تفسير كتاب الله العزيز

للشيخ هود بن محكم الهواري

من علماء القرن الثالث الهجري

حققه وعلق عليه

بالحاج بن سعيد شريفي



تفسير

كتاب الله العزيز

للشيخ هود بن محكم الهواري

من علماء القرن الثالث الهجري

حققه وعلق عليه

بالحاج بن سعيد شريفي

الجزء الأول



الطبعة الأولى

1990



دار الغرب الإسلامي

ص.ب: 5787 - 113

بيروت - لبنان

الإهـــداء

إلى روح أمي التي كانت تحـنو عليّ وترعاني لأحفظ كتاب الله .

وإلى والدي العزيز - أمدّ الله في أنفاسه - الذي حفظني صغيراً كتاب الله، وأدّبني بأخلاق القرآن .

وإلى روح أستاذنا الإمام إبراهيم بيّوض الذي حبّب إليّ بدروسه في التفسير، تدبّر القرآن وتذوّق معانيه .

إليكم جميعا أهدي ثمرة جهدي في تحقيق هذا الكتاب

ابنكم الباز بالحاج

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد للّه الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبداً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله، الرسول النبي الأمّيّ، أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله وأصحابه الطيّبين الطاهرين وعلى من اهتدى بهديه، وسار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد، فهذا تفسير العلاّمة الشيخ هود الهوّاريّ. وإني أحمد الله تعالى على أن وفقني، بمنه وكرمه، إلى جمعه وتحقيقه والاستفادة منه. وأتشرف اليوم بتقديمه إلى المكتبة الإسلامية، إعلاءً لكلمة الله، وخدمة لثقافتنا الدينية، بإحياء تراثنا النفيس، ونشر كنوزه بين أبناء الأمة الإسلامية عامة، وبين طلابنا في الدراسات الإسلامية خاصة.

لقد ظل هذا التفسير أكثر من أحد عشر قرناً منسياً مغموراً إلى أن ظهرت مخطوطاته المتفرقة في بعض الخزائن الخاصة، وهي خزائن لعلماء من القرون الأربعة الأخيرة، يحتفظ بها أبناؤهم وحفدتهم؛ وهي موجودة في وادي ميزاب، جنوب الجزائر، بمدن العطف، وبني يسجن، والقرارة، وفي جزيرة جربة، بالبلاد التونسية.

إن المصادر الإباضية القديمة هي وحدها التي أشارت إلى وجود هذا

التفسير، وذكرته بصفة موجزة جداً، وهي تتفق بشأنه على أمور ثلاثة:

أولها: صاحب هذا التفسير هو الشيخ هود بن محكّم الهوّاري.

ثانيها: أثبتت كتب السير والتاريخ اسم المؤلف في الطبقة السادسة من طبقات العلماء، وهم الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي.

ثالثها: ينتسب هذا العالم إلى قبيلة هوّارة البربرية التي كانت تسكن بطون منها، ولا تزال، جبال أوراس ونواحيها، بغرب إفريقية الإسلامية، بلاد الجزائر الآن[1].

وهكذا يعتبر الكتاب من التفاسير الأولى التي ظهرت في أوائل عهد التدوين عندنا، وهو، فيما أعلم، أقدم تفسير جزائري وصل إلينا كاملاً.

لعل أول مصدر مطبوع ورد فيه ذكر لهذا التفسير إنما هو كتاب السير للبدر الشماخي المتوفى سنة 1522/928؛ فقد طبع هذا الكتاب بالقاهرة طبعة حجرية سنة 1884/1301.

وبعد ذلك بقليل كتب موتلانسكي[2] بحثاً في نشرة المراسلة الإفريقية سنة 1885/1302[3] أورد فيه قائمة بأسماء كتب للإباضية ذكر فيها أنها لمؤلف مجهول[4]

(1) انظر ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 282-291، أخبار البرانس من البربر، وانظر أبو عبيد البكري، المغرب، ص 50، 72، و 144.

(2) كان موتلانسكي إذ ذاك ترجماناً عسكرياً فيما كان يدعى سابقاً ملحقة غرداية بعد إلحاق وادي ميزاب سنة 1882، وإخضاعه للنظام العسكري الفرنسي. وقد سطا موتلانسكي على كثير من المخطوطات الإباضية النفيسة، منها تاريخ ابن الصغير الذي نشره لأول مرة في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي انعقد بعاصمة الجزائر سنة 1905.

(3) Bulletin de correspondance africaine, T. III - pp 15-72، وكانت تصدرها المدرسة العليا للآداب بالجزائر.

(4) الصحيح أنها لأبي القاسم البرادي المتوفى في أوائل القرن التاسع الهجري. وقد بدأها بقوله: =

من القرن التاسع الهجري، كان نَسَخَها أبو بكر بن يوسف بن أبي بكر الميزابيّ سنة 1774/1188. وقد قسّمت إلى ثلاثة أقسام على النحو التالي: كتب لأصحابنا في المشرق، كتب لأصحابنا في جبل نفوسة، وكتب للمغاربة (كذا)، وفي هذا القسم الأخير جاء ذكر كتاب التفسير لهود بن محكّم الهواري تحت رقم 49.

وفيما يلي دراسة موجزة عن هذا التفسير. ولنبدأ أولاً بالتعرّف على حياة المؤلف وعلى أسرته وقبيلته.

إن كتّاب السير والمؤرخين من الإباضية لا يمدوننا بترجمة للشيخ هود تشفي الغليل؛ فلا حياته مبسوطة في كتبهم، ولا آثاره معروفة لديهم. وكل ما أوردوه عنه إنما هو عبارة عن أخبار يسيرة في أسطر قليلة وردت عرضاً في مصدرين أو ثلاثة[1] يكررها خلف عن سلف. وينقلها كاتب عن آخر من دون أن تسند إلى رواية مفصّلة مضبوطة، أو إلى شاهد عيان عاش في عصر المؤلف.

لذلك لا مناص للباحث، وقد أعوزته المصادر الوافية، من أن يجتهد اجتهاداً، أحياناً، للتعرف على شخصية المؤلف؛ أولاً، من خلال هذه الأخبار المتناثرة، مستنطقاً نصوصها للحصول على تصوّر تقريبي لحياة المؤلف. ثانياً، من خلال الكتاب نفسه، الذي نجد فيه، ولا شك، بعض ما يعيننا على كشف حقيقة صاحبه، ومعرفة قيمته العلمية. وهذا ما أحاول إبرازه في الصفحات التالية.

فمن هو الشيخ هود الهوّاري؟

= «ذكر ما وقفت عليه وسمعت به من تآليف أصحابنا...» انظر البرادي، الجواهر المنتقاة، ص 219، وانظر: عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، الموجز لأبي عمار عبد الكافي، ج 2 ص 281-294.

(1) هم: ابن الصغير، في تاريخ الأئمة الرستميين، وأبو زكرياء يحيى بن أبي بكر في كتاب السيرة وأخبار الأئمة، والدرجيني في كتاب طبقات المشائخ بالمغرب. ولم أجد ـ فيما بحثت ـ من بين مؤلفي كتب الطبقات القدامى غير الإباضية، وخاصة الذين صنفوا منهم طبقات العلماء بإفريقية والأندلس، من ذكر الشيخ هـود الهواري أو أشار إلى تفسيره.

إنه العالم الجليل هود بن محكم بن هود[1] الهوّاري. وأرى أن أبدأ أولاً بتقديم قبيلته، ثم نتعرف على أبيه، فإن معرفتهما تمهدان لنا السبيل لمعرفة جوانب من حياة المؤلف.

أما قبيلة هُوَّارة فهي من قبائل البرانس البربرية. وقد سكنت بطونها عدة مواطن في إفريقية والمغرب. فقد جاورت هوّارة قبيلة نفوسة بالجبل الذي ينسب إليها، جنوب طرابلس الغرب، وسكنت بطون منها بلاد الجريد، جنوب الحدود الجزائرية التونسية الآن، وكانت قاعدتها توزر. وسكنت بطون منها جبل أوراس ونواحيه، وهذا الموطن الأخير هو الذي يعنينا في موضوعنا.

وقد أشار ابن خلدون في مواضع كثيرة من تاريخه إلى أغلب هذه المواطن، ولكنّ أبا عبيد البكري هو الذي يفيدنا أكثر في معرفة هذه المواطن وطبيعة الحياة فيها.

لقد ذكر البكري قبيلة هوّارة في مواضع كثيرة من كتابه المسالك والممالك، منها ما جاء في حديثه عن الطريق من مدينة القيروان إلى قلعة أبي طويل. قال: «ومن هنا [من مدينة تبسّة] إلى قرية مسكيانة، ومنها إلى مدينة باغاية، وعلى مقربة منها جبل أوراس». وذكرها أيضاً عند وصفه لمدينة تهوذا فقال: «وبها جامع جليل ومساجد كثيرة وأسواق وفنادق ونهر ينصب في جوفيها من جبل أوراس». وذكر أن بجوارها «هوّارة ومكناسة إباضية، وهم بجوفيها، وأهل تهوذا على مذاهب أهل العراق...»[2].

(1) لم أجد فيما بين يدي من المصادر اسم هود جَدّاً للمؤلف. ولكن هكذا كتب به إليّ أستاذنا المرحوم الشيخ علي يحيى معمر في رسالة خاصة من دون أن يذكر لي مصدره. وعهدي به يستقي معلوماته من مصادر موثوق بها. فإذا ثبت هذا فإن محكّماً الهواري يكون قد سمّى ابنه هوداً باسم أبيه هو؛ وهذا ما نجده كثيراً في الأنساب.

(2) البكري، المغرب، ص 50 و 72، و 73.

ولعل أنسب وصف لموضوعنا هو ما ذكره البكري في الطريق من مدينة فاس إلى القيروان. قال: «ومن أدنة إلى مدينة طبنة مرحلتان... ثم تمشي ثلاث مراحل في مساكن العرب وهوّارة ومكناسة وكبينة وورقلة، يطل عليها وعلى ما والاها جبل أوراس، وهو مسيرة سبعة أيام، وفيه قلاع كثيرة يسكنها قبائل هوّارة ومكناسة، وهم على رأي الخوارج الإباضية... وفي هذا الجبل كان مستقر الكاهنة إلى مدينة باغاية، وهي حصن صخر قديم حوله ربض[1] كبير من ثلاث نواح، وليس فيما يلي الناحية الغربية ربض، إنما يتصل بها بساتين ونهر. وفي أرباضها فنادقها وحماماتها وأسواقها. وجامعها داخل الحصن. وهي في بساط من الأرض عريض، كثير المياه، وجبل أوراس مطلّ عليه. ويسكن فحص هذه المدينة قبائل مزاتة وضريسة، وهم يظعنون في زمن الشتاء إلى الرمال حيث لا مطر ولا ثلج خوفاً على نتاج إبلهم، وإلى مدينة باغاية لجأ البربر والروم، وبها تحصنوا من عقبة ابن نافع القرشي...» إلى أن يقول: «وأهلها كلهم اليوم على رأي الإباضية»[2].

هذا هو جبل أوراس، وتلك هي قبيلة هوّارة التي كانت، بجانب قبائل أخرى، تعمره، وتتنقل حواليه، وإلى الجنوب منه خاصة، كما يصوّره لنا البكري.

هنالك قضت أسرة عالمنا حياتها عقوداً من القرن الثالث الهجري، في ظل الدين الإسلامي الذي اعتنقه أسلافها منذ الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري. ولا تزال أسر كثيرة في هذه النواحي تحتفظ بنسبتها إلى قبيلة هوارة إلى يومنا هذا.

أما ما يتعلق بوالد المؤلف محكّم الهواري فأود أن أستوقف القارىء قليلاً لتحرّي وجه الصواب في ضبط هذا الاسم. وقد بحثت طويلاً في تحقيق أصله ومعناه، فسألت بعض مشايخنا فوجدتهم يروونه بإسكان الحاء وتخفيف الكاف

(1) الربض: ما حول المدينة من النواحي.
(2) البكري، المغرب، ص 145.

المكسورة أو المفتوحة، على اختلاف بينهم. ثم عمدت إلى معاجم اللغة وكتب الرجال والأنساب، فلم أجد من اشتهر بهذا الاسم في القديم غير محكّم بن الطفيل الحنفي، صاحب اليمامة.

وكان المنتظر من ابن دريد أن يبيّن لنا اشتقاق هذا الاسم ويضبطه ويفصّل وجه تسميته، كما فعل بكثير من الأسماء، لأن هذا هو موضوع كتابه: الاشتقاق. ولكنه اكتفى بذكر الاسم ولم يعلق عليه شيئاً [1].

وفي النصوص المطبوعة لدينا ورد هذا الاسم في كل من تاريخ الطبري [2]، وكامل ابن الأثير [3]، ومقاييس الثعالبي، ولسان ابن منظور، وقاموس الفيروزبادي [4] مضبوطاً بفتح الحاء المهملة، وتشديد الكاف المفتوحة، هكذا بدون بيان شاف لأصل الاشتقاق.

وقال الجوهري في الصحاح: «ويقال أيضاً حكّمته في مالي إذا جعلت الحكم إليه فيه... وقال: ومحكَّم اليمامة [بفتح الكاف المشددة] رجل قتله خالد ابن الوليد»... وقال: «وأما الذي في الحديث أن الجنة للمحَكَّمين فهم قوم من أصحاب الأخدود حُكِّموا وخُيِّروا بين القتل والكفر فاختاروا الثبات على الإسلام مع القتل» [5].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلّام حين ذكر محكّم اليمامة: «بعضهم يقول: محكِّم، وبعضهم يقول: محكَّم، بكسر الكاف المشددة وفتحها» [6].

(1) ابن دريد، الاشتقاق، ص 349.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 3 ص 278، 294، 295.
(3) ابن الأثير، الكامل، ج 2 ص 364، 365.
(4) انظر لسان العرب، والقاموس المحيط، ومقاييس اللغة: (حكم).
(5) الجوهري، الصحاح، ج 5، ص 1902، (حكم).
(6) أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال، ص 357.

وهكذا نخلص إلى أن الكاف في محكّم وردت في أغلب المصادر بتشديد الكاف المفتوحة أو المكسورة، لا بالتخفيف.

وهنا يمدنا أبو عبيد البكري [1] . برواية لها وزنها في الترجيح، وكأنه فعلاً يأتي بالقول الفصل في كتابه فصل المقال حين قال، وهو يشرح كلمة لمحكّم اليمامة: «وفي كتاب النسب للكلبي [2] : قيل له محكَّم لأنهم جعلوه حكماً وحكَّموه بينهم». فإذا ثبتت هذه الرواية، ولا أحسبها إلا صحيحة ثابتة، انتهى بنا المطاف إلى ترجيح تشديد الكاف المفتوحة في اسم محكّم الهوّاري. وهذا ما أميل إليه وأرجحه. وأرى أنه إما من قولهم: رجل محكَّم، أي: مجرَّب، منسوب إلى الحكمة، كما قال الجوهري، وأثبته الزمخشري [3] ، وإما لكون المسمّى بهذا الاسم سيّداً في قومه، محكّماً بينهم، حقيقة أو تفاؤلاً. والمعنيان يتعاضدان ويتكاملان، فلكونه مجرَّباً ذا حكمة حكّمه قومه، فهو محكَّم في الحالين [4] .

إن محكّماً الهواري معروف لدينا أكثر من ابنه هود. ذلك أن ابن الصغير، وهو قريب عهد بعصره، قد حفظ لنا نبذة عن حياته ومواقفه الجريئة في القضاء. فهو يصفه لنا قاضياً عدلاً، تقيّاً ورعاً، قوياً في دينه، متيناً في أخلاقه، يجهر بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم، يتبيّن ذلك من خلال محاورة الإمام أفلح بن

(1) أبو عبيد البكري، فصل المقال، ص 427. وأبو عبيد البكري أديب ولغوي ضليع. فمن مؤلفاته: سمط اللآلىء، وهو شرح لكتاب الأمالي لأبي علي القالي، والتنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، وكتابه هذا: فصل المقال، هو شرح لأمثال أبي عبيد القاسم بن سلام.

(2) لعله يشير إلى كتاب النسب لابن الكلبي الذي طبع أخيراً بالكويت طبعة جيدة محققة. ولكنني لم أجد هذه العبارة في هذا الكتاب، ولعلها في كتاب آخر أو لمؤلف آخر.

(3) الزمخشري، أساس البلاغة ج 1 ص 190، والزمخشري، الفائق في غريب الحديث ج 1 ص 303.

(4) ذكر لي بعض المشايخ أن الاسم قد يكون بتشديد الكاف المكسورة نسبة إلى المحكِّمة الذين يقولون لا حكم إلا لله. وقد ورد هذا المعنى فعلاً في بعض المعاجم، وقد يكون له وجه من التأويل، ولكني لا أراه وجهاً راجحاً لأن الاسم كان موجوداً قبل قضية التحكيم.

عبد الوهاب[20] مع الذين رغبوا منه «أن يولي القضاء من يستحق». والذين «أجمعوا أمرهم على محكّم الهوّاري، الساكن بجبل أوراس».

قالوا لأفلح: «قد تدافعنا هذا الأمر فيما بيننا، فلم نرتض أحداً منا. وقد ارتضينا جميعاً بمحكّم (كذا) الهوّاري، الساكن بجبل أوراس لخاصتنا وعامتنا، وديننا ودنيانا. ق[1]ال أفلح: ويحكم دعوتم إلى رجل كما وصفتم في ورعه ودينه، ولكن هو رجل نشأ في بادية، ولا يعرف لذي القدر قدره، ولا لذي الشرف شرفه، وإن كان ليس أحد منكم يحب أن يَظلم ولا يُظلَم، ولكن تحبون أن يجري فيكم الحقوق على وجهها بلا نقص لأغراضكم ولا امتهان لأنفسكم. قالوا فإنا لا نرضى لقضائنا أحداً غيره...» [2].

هذا هو محكّم الهوّاري، عالم قضى معظم حياته في جبل أوراس، وفي البادية من حواليها، فأكسبته من قسوة طبيعتها قوة في النفس، وشدة في الحق، وصلابة في الدين. فلم تؤثر فيه حياة المدن وما يتبعها أحياناً من لين في العيش، وتـرف في الحياة وفساد في الطباع.

أما مدة قضائه، وكيف كانت أواخر أيام حياته، ومتى وأين كانت وفاته، فقد أغفلت المصادر كل ذلك ولم تذكر عنه شيئاً. والذي ثبت لدى المؤرخين وكتاب الطبقات هو أنه عاش في النصف الأول من القرن الثالث، وفي عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208-258 /823-871). ولعله يكون قد توفي قبل الإمام أفلح، أو بعده بقليل. لأن عهد أبي اليقظان بن أفلح بعده عرف قاضياً آخر هو أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن أبي الشيخ. ولم يكن يقل عن محكّم الهوّاري تُقىً وورعاً، وجرأة على أن يصدع بالحق، وأن يقيم العدل بين الناس، حتى إذا رأى أن الظلم قد استشرى، وأن لا حيلة له في إرجاع الحق إلى نصابه، غدا بخاتمه وقمطوه إلى

(1) ابن عبد الرحمٰن بن رستم، ثالث الأئمة الرستميين، بويع إماماً بعد وفاة أبيه سنة 823/208.
(2) ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ص 49-50.

الإمام واعتزل القضاء بكل إباء، لأنه لم يصبح قادراً على معاقبة المعتدين الظالمين كما فصّل ذلك ابن الصغير الذي أدرك عهد أبي اليقظان ورآه مرتين، وحضر مجلسه.

هذه لمحة عابرة عن شخصية محكّم الهوّاري، والد الشيخ هود، وهذا الشبل من ذلك الأسد.

فكيف كانت حياة الشيخ هود الهوّاري:

في تلك المواطن من جبل أوراس وما يحيط به، وفي كنف هذا الوالد الورع التقي، القاضي الحازم، وتحت رعايته، نشأ عالمنا الشيخ هود بن محكّم الهوّاري.

إننا لا نعرف بالتحديد عام مولده، ولكننا نقدر أن يكون في العقد الأول أو الثاني من القرن الثالث الهجري. والذي يبدو لنا أنه يكون قد أخذ العلم أولاً في مراتع طفولته ومرابع صباه عن والده، بعد حفظه لكتاب الله، وأنه قد تفقّه في مجالس العلم وحلقات الدروس التي كانت تعقد بالمساجد في القرى الجبلية أو في البوادي، أو حتى في المغارات إذا اختل الأمن واضطربت الأمور وخيفت الفتن.

إن المصادر لا تفصّل لنا شيئاً من هذا عندما تحدثت عن الشيخ هود، ولكننا نتصوّره اعتماداً على طريقة التعلم التي نقرأ أوصافها في كتب سير الإباضية. فكثيراً ما كان الشيخ يتنقل بطلبته في بعض فصول السنة إلى البوادي والأرياف، وتتواصل الدراسة هناك في أوقات من ليل أو نهار، تحت ظلال الأشجار، أو تحت الخيام، أو تحت أديم السماء، في حياة كلها جد ونشاط وعمل دائب من دروس علمية للخاصة، أو مواعظ للعامة. وكتب تؤلف وتستنسخ، ومجالس تنتظم للمناظرة في مختلف العلوم والفنون (1).

---

(1) انظر الإشارة إلى ذلك في المقدمة التي كتبها المرحوم الشيخ عبد الرحمن بَكَلِّي لكتاب =

وقد دلّت كلمة الإمام أفلح التي أوردها ابن الصغير أن محكّماً عاش في البادية، كما أسلفنا. وأفادت كلمة أخرى أوردها الشماخي في ترجمة الشيخ هود الهوّاري أن هذا الأخير بعث رجلاً من ملازميه إلى «حي هنالك من أحياء مزاتـة. . .» [1] كما أن عبارة البكري التي سلفت تبيّن أن حياتهم كانت «بين ظعن وإقامة»: ظعن في الشتاء إلى البادية «خوفاً على نتاج إبلهم»، وإقامة بقراهم في جبل أوراس أثناء الربيع والصيف وأوائل الخريف [2] .

في ظل هذه الحياة يكون الشيخ هود قضى فترة صباه وشيئاً غير قليل من شبابه في بلده، وفي موطنه بأوراس يكون قد أخذ جلّ علومه. فهل خرج الفتى هود من بلده في رحلة لطلب العلم؟

أنا لا أستبعد ذلك، بل إنني أميل إليه وأكاد أجزم به. ذلك أن مركزين عظيمين كانا في ذلك العهد بإفريقية يشعّان بأنواع المعرفة عامة، وبالعلوم الدينية خاصة؛ وأعني بهما القيروان وتاهرت. كان وجود هذين المركزين جديراً بأن يشد انتباه العالم الناشىء الطموح، وأن يستحث همّته فيولي وجهه شطريهما لينهل منهما ما يشبع نهمه العلمي، ويروي ظمأه للمعرفة.

لقد كانت هاتان العاصمتان تزخران بالعلماء والأدباء من مختلف الطوائف الإسلامية والمذاهب الدينية. وكانت مجالس العلم والمناظرة في أوج نشاطها.

= الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، ص: د ـ هـ. وشبيه بهذه الحياة ما يُروى عن حياة أهل جبل نفوسة؛ فقد كان علماؤهم يتنقلون في أيام الصيف والخريف مع تلاميذهم إلى الأرياف يجنون التين والزيتون دون أن تتوقف الحياة العلمية، بل إنها تستمر وتزدهر في مجالس المناظرة وحلقات الدروس وتأليف الدواوين. ويشبه هذا أيضاً ما كان قصّه علينا أستاذنا المرحوم الإمام إبراهيم بيوض من أن شيخه الحاج عمر بن يحيى كان ينتقل ببعض طلبته من القرارة إلى وارجلان في فصل الخريف، وأن حلقات الدروس كانت تستمر بانتظام أثناء رحلتهم وطوال مدّة إقامتهم.

(1) الشماخي، السير، ص 381.

(2) البكري، المغرب، ص 145.

وكان الجدل يشتد أحياناً ويحتد حتى يتخذ أشكالاً من الصراع المذهبي، وكان التسامح يسودها أحياناً، فتنتظم اللقاءات، وتعقد الندوات بين العلماء، وتتلاقح الأفكار، فلا يستنكف هذا أن يأخذ من هذا، وأن يستفيد هذا من ذاك، وإن لم يكن على مذهبه أو من طائفته [1].

على أن القيروان مثلاً لم تخل في عهد الأغالبة من علماء إباضية عاشوا بجنب علماء مالكية، وإن كان هؤلاء هم الأغلبية، وبجانب علماء من الحنفية أو غيرهم من المذاهب الإسلامية الأخرى.

ونجد لواب بن سلام بن عمر اللواتي الإباضي يعقد فصلاً خاصاً في كتابه: بدء الإسلام وشرائع الدين [2] جعل عنوانه هكذا: «تسمية فقهاء أصحابنا وعلمائهم ومشايخهم وذراريهم بمدينة القيروان وحواليها». لقد عدّ منهم أحد عشر عالماً مبرّزاً وحدّد مجلس كل واحد منهم وسكناه بمدينة القيروان وما حولها. وكان من بين هؤلاء عالمان ينتسبان إلى قبيلة هوّارة نفسها.

كان ذلك طوال القرن الثالث الهجري. فقد كتب لواب بن سلام كتابه بعد سنة 886/273 بقليل [3]. ويُعد هذا الكتاب من أقدم كتب التاريخ التي وصلت إلينا من شاهد عيان لأحداث القرن الثالث الهجري فقصها علينا؛ وقد عاش بين جبل نفوسة وبلاد الجريد أي في شرق إفريقية، بينما عاش ابن الصغير في مدينة تاهرت.

وكانت تاهرت هي المركز الثاني الذي ازدهرت فيه الحياة العلمية في عهد

(1) ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ص 81-85. وانظر عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبي بإفريقية، ص 61-84، و 104-119.

(2) ابن سلام بن عمر اللواتي، بدء الإسلام وشرائع الدين، ص 158-159. هذا هو عنوان الكتاب الحقيقي، وقد اطلعت عليه مخطوطاً سنة 1976. ثم طبع تحت عنوان مزيّف سخيف سنة 1405 هـ/1985 م، ونشرته دار اقرأ البيروتية. وانظر صالح باجية، الإباضية بالجريد، ص 206.

(3) يقول عنه الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في كتابه ورقات: إنه «أقدم المؤرخين الإفريقيين».

الدولة الرستمية، وخاصة في عهد الأئمة عبد الوهاب وابنه أفلح وحفيده أبي اليقظان. وقد ترك لنا ابن الصغير صوراً حيـة وأخباراً مفصّلة عن هذه الحياة العلمية وعن مدى التسامح الذي كان سائداً بين مختلف المذاهب الفقهية والفكرية في تاهرت [1].

إلى هذين المركزين الواقعين في شرق أوراس وغربه، يكون عالمنا قد شد الرحال طلباً لمزيد من المعرفة، وحضور مجالس الدرس والمناظرة والاتصال بالعلماء. وسواء أطالت رحلته العلمية إلى هذين المركزين أو إلى أحدهما أم قصرت، فإن الشيخ هوداً يكون قد عاد إلى موطنه الأول، وقد ملأ وطابه من العلم النافع واتسعت آفاق معارفه، وكثرت تجاربه. وها هوذا، بعد أن ورث علم أبيه وأخلاقه، ولمع اسمه بين العلماء، يستقر في أوراس فيصبح بها محط أنظار، وقبلة آمال لطلبة العلم خاصة، وللناس عامة. يقصده الطلبة ليقتبسوا من علمه وأخلاقه وتجاربه، ويقصده سائر الناس ليتلقوا منه التوجيهات الرشيدة والرأي السديد والحل المرضي لمشاكلهم، فيقضي كل من قصده مأربَه وينال بغيته.

وقد قدّم لنا البدر الشماخي الشيخ هوداً الهوّاريَّ وكتابه بالعبارة الموجزة التالية: «ومنهم هود بن محكّم الهواري، وتقدم الكلام على أبيه. وهو عالم متفنّن غائص. وهو صاحب التفسير المعروف، وهو كتاب جليل في تفسير كلام الله لم يتعرّض فيه للنحو والإعراب، بل على طريقة المتقدمين» [2].

ولنقرأ هذه القصة الطريفة التي كان أبو زكرياء يحيـى بن أبي بكر أوّلَ راوٍ لها، وهي تتعلق بالشيخ هود الهوّاري. قال:

«وذكر الشيخ ميمون بن حمودي [3] أن هود بن محكّم الهوّاري جاءه رجل

---

(1) ابن الصغير، المصدر المذكور أعلاه، وانظر إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية. الباب الثالث، الحياة الفكرية ص 259-398.

(2) الشماخي، السير، ص 381.

(3) هو ميمون بن حمودي بن زوزدتن (أو زورستن) الوسياني. وقد صنّفه الدرجيني في الطبقة =

من العزابة يستعين به على ما يفك كتباً له مرهونة عند رجل من النكّار في خمسة دنانير، فدعا هود بن محكّم رجلاً فقال له: سر مع هذا الرجل إلى مواطن مزاتة. فجاءهم وأخبرهم القصة. وتسارعوا فيما يصنعون له، ويجمعون له من الأموال. فبسطوا بساطاً. فطفق الرجال والنساء يرمون فيه الدنانير والدراهم وما أمكن كل واحد منهم. فجمع من ذلك مالاً كثيراً. فلمّوا أطراف البساط فرفعوه، فأتوا به هود ابن محكّم. فعمد الرجل صاحب الكتب إلى الخمسة دنانير فأخذها وترك الباقي. فقال لهود: أنت أولى به يا شيخ؛ فإن المؤونة عليك كبيرة ممن يقصدونك ويعترونك.

وفي هذه الرواية تصديق لقول الإمام عبد الوهاب، رضي الله عنه: إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسة وأموال مزاتة» [1].

نستخلص من هذه القصة فضل عالمنا وقيمته بين قومه، ومركزه بين أفراد قبيلته من هوارة، وعظيم منزلته في قبيلة مزاتة المجاورة.

أما عن نسبه في الدين وشيوخه الذين جلس إليهم وأخذ عنهم، فليس لدينا أي علم بأسمائهم إذا استثنينا أباه محكّماً. وكذلك الأمر بالنسبة لتلاميذه الذين تلقوا عنه العلم أو تربّوا على يديه، لأن المصادر التي بين أيدينا لم تشر إلى شيء من ذلك. وحاولت جاهداً أن أجد إشارة إلى بعض شيوخه في ثنايا تفسيره فلم أعثر على أي واحد منهم.

وأما عن سنة وفاة الشيخ هود فلم تُذكَر أيضاً بالتحديد في أي مصدر. وأقدّر أنها كانت في العقد الثامن أو التاسع من القرن الثالث الهجري، أي حوالي سنة

= التاسعة (450-500 هـ)، وذكر بعض أخباره. ولم تذكر المصادر سنة وفاته. انظر الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج 2 ص 395-399، وانظر الشماخي السير، ص 381.

(1) أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص 360. وقد أورد الدرجيني هذه القصة في كتاب الطبقات، ج 2، ص 398، باختلاف يسير في ألفاظها، كما أوردها الشماخي في السير ص 381.

ثمانين ومائتين. فإن كل من ذكره من المؤرّخين وكتاب السير يؤكد أنه من علماء الطبقة السادسة: (250-300). فهل كان أدرك نهاية الدولة الرستمية سنة ست وتسعين ومائتين للهجرة؟ أنا أستبعد ذلك، ولكن لا أستطيع أن أجزم بشيء في الموضوع.

هذا كل ما أوردته المصادر الإباضية عن حياة الشيخ هود الهوّاري وعن شخصيته العلمية، وهو ـ كما ترى ـ شيء قليل جداً عن شيخ وصفه بعض المؤرخين وكتاب التراجم بأنه «صاحب التفسير المعروف».

كتابه في التفسير:

إن الحديث عن تفسير الشيخ هود الهوّاري يقتضي منا الوقوف عند مسائل يثير البحث فيها أسئلة نحاول الإجابة عنها لنبيّن وجه الصواب فيها، متحرّين الحقيقة والموضوعية إن شاء الله.

ولعل أول هذه المسائل وأولاها بالنظر البحث عن الطريق التي وصل بها إلينا هذا التفسير بعد أحد عشر قرناً من عصر تأليفه، وعن الذين رووه مباشرة أو بواسطة عن مؤلفه، وعن أقدم المصادر التي تحدثت عنه.

وللجواب نلاحظ بادىء ذي بدء أن مؤرخَيْن معاصرين للشيخ هود الهواري، وهما ابن الصغير ولوّاب بن سلام اللواتي لم يشيرا إلى هذا التفسير ولم يذكرا مؤلفه. فما معنى هذا الإغفال؟

إن ما يبدو لي بعد التأمل أن ذلك قد يكون راجعاً إلى سببين رئيسيين:

الأول: أن ابن سلام اللواتي عاش في المنطقة الشرقية الجنوبية من إفريقية، ما بين جبل نفوسة وبلاد الجريد، وأن ابن الصغير كان مقيماً بالمنطقة الغربية في تاهرت، بينما عاش الشيخ هود الهواري في الوسط بجبل أوراس. ولعل الظروف

لم تسمح بلقاء بينهما رغم العلاقات العلمية والسياسية التي كانت قائمة بين جبل نفوسة وتاهرت وما بينهما.

والسبب الثاني هو أن التاريخ لا يحفظ عادة للعلماء ذكراً ولا تعرف آثار هؤلاء إلا بعد وفاتهم بعشرات السنين؛ لذلك لا نعجب إذا لم يرد في تاريخ ابن الصغير ولا في كتاب بدء الإسلام وشرائع الدين أيُّ ذكر للشيخ هود أو لكتابه.

ونعود الآن فنتساءل: ما هو أقدم مصدر ورد فيه ذكر لهذا التفسير؟

لقد بحثت أغلب المصادر الإباضية التي وصلتنا إلى حد الآن وقارنت بينها فوجدت أن أقدم مصدر أشار إلى تفسير الشيخ هود الهواري هو كتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكرياء؛ وهذا ما جاء فيه:

«وذكر أن رجلين اختصما على تفسير هود بن محكّم الهواري حتى بلغ تشاجرهما قبيلتيهما، وحتى كادت الثورة تقوم بينهم. وتصاف الفريقان، وكاد الشر يقع بينهم. فلما رأى ذلك أبو محمد جمال نزع المصحف (التفسير) من بينهم، فقسمه نصفين، فوافق قرطاساً بين النصفين لم يكتب، وأعطى لكلٍّ نصفاً، وزال الشر واصطلحوا» [1].

هذا أقدم نص ذكر هذا التفسير، فيما أعلم؛ ولي عليه الملاحظات التالية:

أولاً: إذا كان هذا أقدم نص أشار إلى هذا التفسير فإن الدرجيني بعده أورد هذا الخبر نفسه بتفصيل أكثر [2]. ولعله رواه من طريق آخر غير الطريق الذي رواه منه أبو زكرياء. فالدرجيني يفيدنا مثلاً أن راوي الخبر إنما هو أبو الربيع يخلف المزاتي المتوفى سنة 1074/471، وهو شيخ أبي زكرياء. وهذا يؤكد صحة الخبر الذي أورده أبو زكرياء مختصراً، وجاء به الدرجيني مفصّلاً.

---

(1) أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص 359.

(2) الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج 2 ص 345.

ثانياً: تتفق الروايتان على أن الذي فصل بين المتخاصمين إنما هو أبو محمد جمال[1] وهو من علماء النصف الأول من القرن الرابع الهجري، أي جاء بعد وفاة الشيخ هود الهواري بحوالى نصف قرن.

ثالثاً: نستنتج من هذا الخبر أن كتاب التفسير هذا كان معروفاً إذ ذاك ومنسوباً إلى الشيخ هود الهواري، وأنه بلغ من النفاسة مبلغاً جعل شريكين في التجارة، حسب رواية الدرجيني، يتنازعان على اقتنائه، فيحتدم النزاع بينهما حتى يتجاوزهما إلى قبيلتيهما، وكادت الفتنة أن تؤدي بهما إلى القتال، لولا أن منّ الله عليهما بالشيخ محمد جمال المديوني فعالج الأمر بحكمة، وفصل في القضية برأيه السديد.

بعد هذا لا بد أن أقول: إن هذه الروايات المؤكَّدة، وهذه المصادر القديمة التي أشارت إلى الكتاب لم تبيّن لنا كيف رُوي هذا التفسير خلفاً عن سلف، ومن أي طرق من طرق التلقّي والسَّماع تمَّ نقله عبر الأجيال حتى وصلت إلينا مخطوطاته، في القرون الأربعة الأخيرة، متفرقة أجزاؤها، متعددة نسخها، ولكنها، والحمد لله، متكاملة. وهذا يؤدي بنا إلى أن نقف عند مسألة جديرة بالبحث، هي مسألة نسبة الكتاب؛ وهي المسألة الثانية التي أود توضيحها.

نسبة التفسير إلى الشيخ هود الهواري:

وأقول بادىء ذي بدء إن كل المخطوطات التي علمت بوجودها قد حصلت عليها بتوفيق من الله، ثم بسعي حثيث تطلب مني سنوات عديدة لجمعها، إلا

(1) هو أبو محمد جمال المزاتي المديوني، نسبة إلى مديونة، وهي قبيلة بربرية إباضية سكنت ما بين تلمسان وجنوب وجدة. وقد ذكرها ابن حزم في جمهرة أنساب العرب، ص 496، وص 500. أما أبو محمد جمال فكان مقيماً بين وارجلان وبلاد أريغ حسبما تذكره بعض الروايات، وقد صنفته المصادر الإباضية في الطبقة السابعة من طبقات العلماء. اقرأ بعض أخباره التي جمعها الشيخ علي يحيى معمر في كتابه الإباضية في موكب التاريخ. الحلقة الثالثة، الإباضية في تونس، ص 71-75.

واحدة أعياني أمرها [1]. وكل هذه المخطوطات نسبت الكتاب إلى الشيخ هود الهوّاري وإن اختلف ناسخوها في تحديد عصر المؤلّف، فقد ذكر بعضهم مثلاً أنه عاش في عهد الإمام عبد الوهاب الرستمي، كما أخطأ بعض الكتّاب المعاصرين حين قال: إنه كان قاضياً، أو إن تفسيره توقف في سورة البقرة. والصحيح أنه عاش في عهد الإمام أفلح المتوفّى سنة 875/261. وفي عهد ابنه أبي اليقظان المتوفى سنة 894/281 على أصح الأقوال، وأن أباه هو الذي كان قاضياً، كما أسلفتُ، وأن التفسير كامل بين أيدينا الآن، وإنما الذي كان ناقصاً إنما هو حاشية له شرع فيها الشيخ أبو ستة محمد بن عمر ولم يتمها، كما ذُكِر ذلك في بعض المصادر، ولم أطلع عليها [2].

فالكتاب الذي أقدمه اليوم هو للشيخ هود بن محكّم الهوّاري ولا شك. ولا أدل على ذلك من كثرة الروايات والأقوال التي جاءت فيه منسوبة إلى جابر بن زيد وإلى أبي عبيدة مسلم خاصة، وإلى عامة علماء الإباضية وفقهائهم، والذين يصفهم الشيخ هود دائماً بقوله: «أصحابنا».

فإذا ثبت هذا فما معنى التساؤل عن نسبة الكتاب إذن؟

إن الذي يثير هذا التساؤل ويفرضه على الباحث هو ما اكتشفته من صلة وثيقة بين تفسير الشيخ الهوّاري وبين تفسير آخر سبقه بنحو قرن من الزمن، وأعني به تفسير يحيى بن سلاّم البصري [3]. وهي علاقة لم يشر إليها أي مصدر من مصادر

---

(1) هي من مخطوطة موجودة بإحدى مدن ميزاب. وقد أكّد لي أحد مشايخنا أنه كان كثيراً ما يرجع إليها. وقد سألت عنها مراراً وطلبتها بواسطته وبآخرين، ولكن القائمين على الخزانة التي كانت المخطوطة بها اعتذروا بعلل واهية، ولا أدري الآن مصير هذه المخطوطة.

(2) ومن الذين وهمـوا وخلطوا في حديثهم عن هذا التفسير وعن التفسير عند الإباضية عامة الدكتور محمد حسين الذهبي، فقد جاءت معلوماته في كتابه التفسير والمفسرون ج 2 ص 315-331 ناقصة جداً، وجاءت بعض أحكامه مجانبة للحق والصواب.

(3) هو أبو زكرياء يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي، تيم ربيعة، مولاهم. ولد بالكوفة سنة =

التفسير أو التاريخ، إباضياً كان هذا المصدر أو غير إباضي. وفيما يلي بيان ذلك.

كان أول عمل قمت به حين تعرفت على الكتاب هو نسخه أجزاء وقطعاً من مخطوطاته المتفرقة، من غير تتابع، وبدون انتظار لاستكمال الكتاب، خوفاً على المخطوطات من عوادي الزمن.

ومما لفت نظري أثناء النسخ الأول كثرة الروايات عن علماء البصرة صحابة وتابعين، مثل أنس بن مالك وعمران بن حصين، ومثل الحسن البصري وقتادة، بجانب أسماء جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة. فوجهت عنايتي إلى البحث عن سلسلة السند التي تربط بين الشيخ الهواري، وهو من علماء القرن الثالث الهجري ومن المغرب الأوسط، وبين جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم، وهما من علماء القرن الأول والثاني، ومن البصرة.

وفي أثناء ذلك قرأت الفصل الذي كتبه أستاذنا الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور عن يحيى بن سلام والذي أشاد فيه بقيمة هذا المفسر، وقال عن تفسيره إنه: «أقدم التفاسير الموجودة اليوم على الإطلاق» (1). ثم قرأت الدراسة القيمة التي قام بها الأستاذ حمادي صمود والتي نشرها بالفرنسية في مجلة معهد الآداب

= 742/124، ثم نشأ بالبصرة، وهي في أوج ازدهارها العلمي. ولقي بها بعض التابعين وكثيراً من العلماء. ثم انتقل إلى القيروان حيث طاب له المقام زمناً، وبها سمع الناس تفسيره. ثم رحل عنها بسبب سفارة قام بها بين عمران بن مجالد الربَعي وبين أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب فأخفِر فيها العهدُ على يده. ثم قصد مكة للحج، ثم رجع إلى مصر حيث توفي سنة 815/200. أهم مصادر ترجمته وأخباره: أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص 37-39؛ المالكي: رياض النفوس: ص 122-125؛ ابن خير الإشبيلي: فهرسة، ص 56-57؛ الداودي، طبقات المفسرين، ج 2 ص 371؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج 2 ص 373؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج 1 ص 105؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج 4 ص 380، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج 9 ص 396، ط. بيروت؛ الزركلي، الأعلام، ج 9 ص 182-183.

(1) محمد الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، ص 27. وقد وجدت الآن تفاسير مطبوعة أقدم منه عهداً مثل تفسير مجاهد بن جبر، وتفسير مقاتل بن سليمان.

العربية تحت عنوان: مفسر مشرقي بإفريقية: يحيى بن سلام (742-815) (1). فتاقت نفسي إلى الاطلاع على هذا التفسير عن كثب، وذلك ما تمّ لي ـ والحمد للّه ـ أثناء ثلاث زيارات دراسية قمت بها إلى تونس ما بين سنتي 1976 و 1981 م. وهنالك تحقق بعض ما كنت أصبو إليه واقتنيت أول نسخة مصورة من قطعة تفسير ابن سلام التي كانت في خزانة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب والتي تحمل الآن رقم 18653 في فهرست المخطوطات بدار الكتب الوطنية بتونس.

وبينما كنت ذات يوم أنسخ تفسير الشيخ هود الهواري إذ استعصت علي عبارة في تفسير آية من سورة النمل؛ فبدا لي أن أرجع إلى مخطوطة ابن سلام لعلها تسعفني بإيضاح ما أشكل علي. وكم كانت دهشتي عظيمة حين وجدتني أقرأ في تفسير ابن سلام كلاماً لم يكن غريباً عني، وكأنني أعرف عباراته من قبل. وما إن قارنت في صفحة أو صفحتين بين التفسيرين حتى تبيّن لي أن هنالك علاقة ظاهرة بينهما. ثم تأكد ذلك عندي على مرّ الأيام وعلى توالي السور. وهكذا وجهت عنايتي نحو دراسة تفسير ابن سلام والبحث عن مخطوطاته لأستعين بها على عملي في التحقيق.

وقد أبديت ملاحظتي هذه لأستاذنا الإمام المرحوم إبراهيم بيّوض، فعجب وقال: ما كنا نعلم هذا ولا سمعنا به. وأوصاني بالتثبت وزيادة البحث؛ وهذا ما قمت به والتزمته طوال سنوات، ومن أول الكتاب إلى آخره.

فبعد أن أتممت نسخ تفسير الشيخ هود وشرعت في تحقيقه صرت أرجع إلى ما أمكنني الحصول عليه من مخطوطات ابن سلام البصري (2)، وإلى تفسير محمد

---

(1) IBLA, Un exégète oriental en Ifriqiya, Yaḥiā Ibn Sallâm, (742-815). Année 33, n° 126/2, pp. 227-242.

(2) لقد قدّم لي إخوان كرام بتونس يد المساعدة للحصول على بعض المخطوطات والوثائق، وعلى رأسهم صديقي العزيز الدكتور فرحات الجعبيري. وتفضّل الأستاذ الدكتور سعد غراب فبعث إلي ببعض أجزاء من مخطوطة العبدلية التي تحمل رقم 7447 في المكتبة الوطنية بتونس =

ابن أبي زمنين (1) وهو مختصر تفسير ابن سلام.

واليوم، وبعد أكثر من عشر سنوات من التحقيق والمقارنة والاستقراء، أستطيع أن أقول بدون تردد إنّ الشيخ هوداً الهواري اعتمد اعتماداً كثيراً، إن لم أقل اعتماداً كلياً، على تفسير ابن سلام البصري. ولو جاز لي أن أضع للكتاب عنواناً غير الذي وجدته في المخطوطات لكان العنوان هكذا: تفسير الشيخ هود الهواري (مختصر تفسير ابن سلّام البصري) لأن تفسير ابن سلام أصل لتفسير الشيخ هود الهواري، ما في ذلك شك. وهذا هو عين الحقيقة والصواب. والأمانة العلمية تقتضيني أن أجلو هذا وأبيّنه في تقديمي للكتاب.

وقد يقول قائل: إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لم تشر مخطوطات تفسير الهواري التي وصلتنا إلى هذه العلاقة بين التفسيرين؟

إنه من العسير تقديم جواب شاف على هذا السؤال ما دمنا لا نعرف شيئاً عن إسناد رواية هذا التفسير كما ذكرتُ.

إنه من المستبعد جداً أن يكون الشيخ هود الهواري هو الذي كتم هذه العلاقة أو تجاهلها. إن تفسير ابن سلام كان قد انتشر وذاع أمره في القيروان وفي المغرب الإسلامي عامةً طوال القرنين الثالث والرابع من الهجرة فما بعدهما. فلا يمكن أن يجرؤ عالم فينسج على منواله وتخفى على الناس نسبة الكتاب إلى مؤلفه الأول.

= والتي يبتدىء التفسير بها من أوائل سورة النحل، فتمّ لي بذلك جمع ما يقرب من ثلث تفسير ابن سلام.

(1) كانت الدكتورة الفاضلة هند شلبي أول من أطلعني وأنا بتونس على مخطوطة تفسير ابن أبي زمنين، ثم تفضّل السيد مدير المكتبة الوطنية بالجزائر الدكتور محمود بو عياد فحصل لي على المخطوطة كاملة مصورة من هذا التفسير الموجود بالقرويين تحت رقم 34. فجزى الله جميعهم عني وعن الإسلام كل خير.

فهل يكون بعض تلاميذ الشيخ الهواري الأوائل من الذين رووا تفسيره هم الذين أهملوا ذكر ابن سلام عن قصد أو عن غير قصد؟ هذا احتمال قد يرد، ولكنه فيما يبدو مستبعد أيضاً.

والذي أميل إليه، ولعله يكون أقرب إلى المنطق والواقع، هو أن الشيخ الهواري يكون قد أشار في ديباجة تفسيره إلى أنه اعتمد تفسير ابن سلام واختصره، وقد يكون الرواة والنساخ الأوائل قد نقلوا ذلك، ولكن الورقة أو الورقات الأولى من مخطوطات هذا التفسير قد ضاعت في القرن الثالث الهجري أو الرابع ولم تصلنا. فإن أقدم المخطوطات التي بين أيدينا من تفسير الهواري يرجع تاريخها إلى القرن الحادي عشر الهجري، وهذه المخطوطات مخرومة كلها من أولها.

هذا رأي أسجله ولا أجزم به، لأنني لا أملك من الوثائق التاريخية ومن الأدلة الموضوعية الكافية ما يسمح بتقديم جواب شاف ورأي يُطمأن إليه.

ومهما يكن الأمر فهذان تفسيران بين أيدينا الآن: الأول تفسير ابن سلام، والثاني تفسير الهوّاري، توفي ابن سلام بإجماع سنة مائتين للهجرة، وتوفي الهواري بعده بنحو ثمانين سنة. وفي التفسير الثاني كثير مما جاء في الأول وزيادة، فلا بد أن يكون هذا المتأخر زماناً هو الذي اختصر من السابق ونقل عنه. ولكل من المؤلِّفين فضل وأجر، ولكل من الكتابين مميزات ومزايا كما سنبينه فيما يلي (1).

(1) لقد كان لي شرف بسط هذه المسألة وأنا بالقاهرة سنة 1985/1405 بين يدي العالم الجليل والمحقق الكبير الأستاذ الشيخ محمود محمد شاكر، فأكّد لي أن عادة اختصار الكتب ونقل المؤلفين بعضهم عن بعض موجودان كثيراً في تاريخ التأليف. وقد يذكر اللاحق من سبقه ممن نقل عنه وقد لا يذكره. وضرب لي مثالاً مما حققه هو مؤخراً مما كان يُظَن أنه لمؤلف وتبيّن له أن أصله لمؤلف آخر سبقه. وقال: «وهذا لا ينقص من قيمة المؤلف الثاني مطلقاً». وهذا ما لمسته فعلاً كلما تقدمتُ في دراسة تفسير الشيخ الهوّاري.

تفسير ابن سلام:

إن تفسير ابن سلام أصبح الآن معروفاً لدينا بعد أن قُدّمت حوله دراسات ضافية وأبحاث قيمة [1]، وبعد أن حُقِّقت بعض أجزائه تحقيقاً علمياً كافياً لتقديم صورة تقريبية عن محتواه ومنهجه [2]. ولكنه مع ذلك لا يزال غير كامل فيما أعلم.

لقد تتبعت بعناية كل قطع المخطوطات المصورة الموجودة بالقاهرة [3] وقد شملت هذه القطع ما كان موجوداً في خزائن القيروان، والعبدلية بتونس، وفي خزانة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب، وقارنتها بما جمعته من تفسير الهواري فوجدت أن تلك القطع المصورة لا تكفي وحدها لإتمام الكتاب. فسورة البقرة مثلاً التي تملأ في تفسير الهواري نحو سبعين ورقة لا يوجد منها إلا نيف وثلاثون لوحة من القطع الصغير فيما اطلعت عليه من مخطوطات القاهرة. وقد بحثت طويلاً فيها عن المقدمة وعن تفسير سورة الفاتحة فلم أعثر على شيء منهما، مع أن المقدمة موجودة في تفسير ابن سلام أصلاً، فقد وصل إلينا أكثرها مع تفسير سورة الفاتحة كاملة في مخطوطتين من تفسير الشيخ الهواري.

---

(1) إن أحسن دراسة علمية وأوفاها في الموضوع هي تلك الأعمال الممتازة التي نشرتها الباحثة الفاضلة الدكتورة هند شلبي في تقديمها وتحقيقها لكتاب «التصاريف» لابن سلام، وفي أطروحتها: «القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري». وأنا أحيل القارىء عليها فهي من خير ما كتب حول الدراسات القرآنية في القرون الإسلامية الأولى بإفريقية. ولعل الباحثة الفاضلة أصدرت أعمالاً أخرى لم أطلع عليها. فجزاها الله عنا وعن الإسلام وعن لغة القرآن وعلومه خير الجزاء.

(2) حقق الأساتذة الفضلاء السادة حمود صمود، والبشير المخينيني، ورشيد الغزي تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد طالبي ستة أجزاء من تفسير ابن سلام مصدرة بدراسات حول ابن سلام، وذلك منذ سنوات، ولكني لم أطلع عليها إلا أخيراً، فبارك الله فيهم ووفقهم لمزيد من البحث والتحقيق.

(3) هي قطع غير مرتبة توجد بدار الكتب المصرية ضمن ملفات تحمل الأرقام التالية: ب 24791، ب 24792، ب 24831، و ب 24832. وقد وصلت هذه القطع المصورة دار الكتب المصرية سنة 1950 حسبما أفادني به السيد الفاضل الأستاذ علي عبد المحسن، مدير قسم المخطوطات.

وكأنّي بالشيخ محمد الفاضل ابن عاشور كان حسن الظن كثيراً فيما قدّره من مجموع ما هو موجود من تفسير ابن سلام حين كتب يقول: «ويوجد جزء لعله يتمم به بعض نقص النسخة هو من المقتنيات الخاصة لبعض العلماء الأفاضل»[1]. وفهمت من عبارته هذه أنه يشير إلى مخطوطة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب، وكأني به علم بوجودها ولكنه لم يطلع عليها، لأنه لو كان اطلع عليها لعلم أنها لا تزيد عما في مخطوطة العبدلية شيئاً، بل تنقص عنها بكثير.

إن أغلب تفسير ابن سلام مفرّق بين القطع القيروانية المخطوطة. وهذه القطع مع ما يقرب من عشرة أجزاء من مخطوطة العبدلية لا تجمع، حسب تقديري إلا حوالى ثلثي الكتاب. لذلك يكون من الصعب الوصول إلى جمع تفسير ابن سلام وتحقيقه كله إذا لم يُعثر على قطع أخرى من مخطوطات الكتاب.

رواية تفسير ابن سلام:

أشهر من روى تفسير ابن سلام تلميذان له: ابنه محمد بن يحيـى المتوفى سنة 875/262[2] وأبو داود أحمد بن موسى بن جرير الأزدي العطار المتوفى سنة 887/274[3]. وكان هذا الأخير من كبار أصحاب سحنون.

ويبدو لي من مقارنة المخطوطات القيروانية وغيرها أن القطع التي وصلتنا برواية أبي داود العطار أكثر من التي وصلتنا برواية محمد بن يحيـى. وبواسطة هذين التلميذين انتشر الكتاب وتناقلته الأجيال تلاميذ عن شيوخ، وخلفاً عن سلف عبر القرون والأمصار.

(1) محمد الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله، ص 28.

(2) أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص 38-39. وكان أبو العرب ممن روى تفسير ابن سلام عن حفيد المؤلف يحيى بن محمد، بل ذكر عياض في ترتيب المدارك ج 2 ص 335 أنه كان اختلف أياماً إلى دار أبيه محمد بن يحيى بن سلام في أول طلبه للعلم.

(3) أهم مصادر ترجمته: أبو العرب، ص 203؛ الدبّاغ، معالم الإيمان، ج 2 ص 288؛ =

وقد أورد ابن خير الإشبيلي (1) أسماء كثير من العلماء الذين رووا تفسير ابن سلام بأسانيد مختلفة عن طريق أبي الحسن علي بن الحسن المُرّي البَجَّانِي المتوفّى سنة 946/334. وقد تلقاه عن أبي داود العطار وعن يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام (2). كما أورد ابن الفرضي كثيراً من العلماء الذين رووا تفسير ابن سلام (3).

أما المفسّرون والمحدّثون الذين اقتبسوا من تفسير ابن سلام ونقلوا آراءه وأقواله فإنهم لا يحصيهم عد. منهم على سبيل المثال أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي صاحب «الجامع لأحكام القرآن» (4)، وأبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن ابن الجوزي صاحب «زاد المسير» (5)، والحافظ ابن حجر، صاحب «فتح الباري» (6)، وغيرهم كثير.

أما ابن جرير الطبري فلم أعثر في تفسيره على ذكر لابن سلام أو لأقواله إلا مرّة واحدة من الأجزاء الستة عشر التي رجعت إليها من تحقيق الأستاذ الشيخ محمود محمد شاكر (7)؛ ولعل ذلك راجع إلى أن تفسير ابن سلام روي أولاً وانتشر أكثر في إفريقية والمغرب والأندلس.

= القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج 3 ص 269-270؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 32.

(1) ابن خير، الفهرست، ص 56-57.

(2) هو حفيد المؤلف، روى تفسير جده عن أبيه محمد بن يحيى، وأخبر أن لأبيه محمد زيادات على تفسير جده، كما ذكره ابن خير في الفهرست، ص 57. وقد توفي يحيى الحفيد سنة 893/280 حسبما رواه أبو العرب في ص 39.

(3) ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، ج 1 ص 357.

(4) انظر مثلاً تفسير القرطبي ج 12 ص 279، وج 13 ص 247.

(5) انظر زاد المسير، ج 8 ص 305، وقد نقل عبارات ابن سلام هذه ابن القيم في كتابه «الأمثال» في القرآن ص 266، وانظر أيضاً، زاد المسير ج 9 ص 33، و ص 195.

(6) انظر فتح الباري، ج 8 ص 632.

(7) تفسير الطبري، ج 4 ص 100 في تفسير الآية 196 من سورة البقرة.

منهج تفسير ابن سلام:

يُعَدُّ تفسير ابن سلام من أقدم ما وصل إلينا من كتب التفسير بالمأثور؛ فقد تتبع فيه المؤلـف سور القرآن كلها آية آية، يذكر سبب نزولها إن وجد، ويذكر ما يناسبها من الآية أو الآيات المشابهة لها إن كانت. وتفسير القرآن بالقرآن هي القاعدة الأساسية التي التزم بها في تفسيره. وهي في رأيـي الطريقة المثلى في مناهج تفسير القرآن. وقديماً قيل: ما فسّر القرآن مثل القرآن.

ثم يذكر بأسانيد متصلة في أغلب الأحيان الأحاديث التي تبيّن الآية وتعين على فهمها؛ يرويها عمن حدثه بها مباشرة فيقول مثلاً: «حدثني حماد بن سلمة عن الحسن»، أو «الحسن بن دينار عن الحسن»، أو «أبو الأشهب عن الحسن»، أو «حدثني سعيد عن قتادة»، أو «همّام عن قتادة». وربما حدّث ابن سلام عن «صاحب» له من غير ذكر لاسمه. وأحياناً يتحدّث عن نفسه بهذه العبارة: «قال يحيـى»: بلغني أنه كذا وكذا. ويذكر أخبار الصحابة أو التابعين ويروي أقوالهم بالسند أحياناً وبدونه أخرى. وربما اكتفى بقوله: «وفي تفسير الحسن». أو «في تفسير مجاهد» كذا وكذا. وإذا أراد ترجيح رأي على رأي، أو الإدلاء برأيه هو قال: «قال يحيـى»، أو: «وبه يأخذ يحيـى وعليه يعتمد».

وإذا كان للآية قراءتان أو أكثر أشار إلى ذلك وذكر باختصار شديد مدلول كل قراءة من دون تعمق في التعليل.

وأهـم مصادر تفسير ابن سلام من تفاسير الصحابة تفسير ابن عباس، وتفسير ابن عمر، وتفسير ابن مسعود، وتفسير علي بن أبي طالب وغيرهم؛ يذكر ما أثر عنهم ويروي أقوالهم وخاصة في تفسير آيات الأحكام. ومن تفاسير التابعين اعتمد ابن سلام خاصة تفسير الحسن وتفسير مجاهد.

وابن سلام يكثـر الرواية عن الكلبي وعن السدي، لذلك لا نعجب إذا وجدنا في تفسيره بعض الإسرائيليات التي يوردها بدون أن ينقدها أو يعلق عليها، كما فعل بعض المفسرين الذين أتوا من بعده مثل الطبري ومثل ابن كثير وأضرابهم.

وقد ألّف المؤلف كتابه هذا في التفسير بعد كتاب له في الحديث ذكره ابن الجزري وآخرون باسم «الجامع»[1]، ولم يذكره ابن سلام بهذا العنوان، ولكنه يشير إليه أحياناً إثر تفسيره لبعض آيات الأحكام فيقول مثلاً: «وقد ذكرنا ذلك في أحاديث الزكاة»[2].

أما كتابه «التصاريف»، وهو كتاب في علم الأشباه والنظائر، فلم أعثر على ذكر له أو إشارة إليه في كامل التفسير. وكأني به قد وضعه بعد تأليفه للتفسير. ومما يقوّي هذا الظن عندي ويرجحه هو أن أغلب الوجوه المختلفة التي صُرِف إليها اللفظ القرآني في كتاب التصاريف موجودة فعلاً في كتاب التفسير إما بنصها وعبارتها أو بمعناها. فكأن كتاب «التصاريف» زبدة استخرجها المؤلف من تفسيره وتناول بها جانباً من جوانب التفسير فأفرده بمؤلَّف خاص.

هكذا وصل إلينا تفسير ابن سلام وهو يمثّل بمنهجه ومحتواه صورة حية لطور من أطوار التفسير في مراحله الأولى، أي في القرن الثاني الهجري.

وقبل أن أعود إلى الحديث عن تفسير الشيخ الهواري لا بد أن أقول كلمة مختصرة عن تفسيرين آخرين لهما علاقة بتفسير ابن سلام.

الأول تفسير عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن أبي المطرّف الأنصاري القنازعي القرطبي[3]. والمصادر التي ترجمت لأبي المطرّف عبد الرحمن القرطبي تذكر أنه صنف مختصر تفسير القرآن لابن سلام، ولكننا لا نجد في أي مصدر خبراً مفصلاً عن هذا الكتاب، عن منهجه أو عن محتواه. وأغلب الظن أن مخطوطات هذا المختصر غير معروفة، ولعل الأيام المقبلة تكشف عنه إن شاء الله. أما المؤلف فقد

(1) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج 2 ص 373.
(2) انظر مثلاً تفسير الآية الثالثة من سورة البقرة في هذا الجزء، وتفسير الآية الأخيرة من سورة الحج في الجزء الثالث.
(3) أهم من ترجم له: ابن الجزري في طبقات القراء، ج 1 ص 380، ابن فرحون في الديباج ص 152، والداودي في طبقات المفسرين، ج 1 ص 287.

ولد سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة للهجرة ومات في رجب سنة ثلاث عشرة وأربعمائة. وكان ممن روى عنه أبو عمر يوسف بن عبد البر، صاحب الاستيعاب.

والتفسير الثاني هو تفسير محمد بن عبد الله بن عيسى المرّي الإمام أبو عبد الله الإلبيري المعروف بابن أبي زمَنِين. وقد ولد ابن أبي زَمَنِين سنة 935/324 وتوفي بإلبيرة سنة 1008/399 [1]. ومن مؤلفاته الكثيرة «مختصر تفسير ابن سلام» الذي حفظت لنا مكتبة جامعة القرويين بفاس نسخة مخطوطة منه كاملة.

وقد ذكر المؤلف الأسباب التي دفعته إلى اختصار تفسير ابن سلام وبيّن منهجه في الديباجة قائلاً: «وبعد فإني قرأت كتاب يحيى بن سلام في تفسير القرآن فوجدت تكراراً كثيراً وأحاديث ذكرها يقوم علم التفسير دونها، فطال بذلك الكتاب. . .، نظرت فيه فاختصرت فيه مكرره وبعض أحاديثه وزدت فيه على غير كتاب يحيى ما لم يفسره يحيى، وأتبعت ذلك إعراباً كثيراً ولغة على ما نقل عن النحويين وأصحاب اللغة السالكين لمناهج الفقهاء في التأويل زائداً على الذي ذكره يحيى من ذلك. . .».

ولئن كان ابن أبي زمنين اختصر الكتاب اختصاراً مخلاً أحياناً، ونقص من محتواه كثيراً كحذفه لبعض ما يتعلق بالأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين وأخبارهم، فقد أضاف إلى تفسير ابن سلام شيئاً هاماً وهو الشرح اللغوي والملاحظات النحوية أو الصرفية التي تزيد الآية بياناً وتوضيحاً. ومن مزايا تفسير ابن أبي زمنين أن المؤلف حافظ فيه على الأسانيد فيما ينقل من تفسير ابن سلام، وفرّق بين ما هو من أقوال ابن

---

(1) انظر ابن فرحون، الديباج، ص 269، الحميدي، جذوة المقتبس، ص 56، القاضي عياض، ترتيب المدارك ج 2 ص 672 الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 188 ط بيروت، الداودي، طبقات المفسرين، ج 2 ص 161، السيوطي، طبقات المفسرين ص 89. وكان ممن روى عن ابن أبي زَمَنِين أبو عمر الداني.
وقد بلغني أن الأستاذ محمد إبراهيم بن محمد هارون، من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قد حقق أخيراً كتاب أصول السنة لابن أبي زمنين، وقدم دراسة حوله؛ ولم أتمكن من الاطلاع على هذا العمل الذي لا أشك في أنه مفيد.

سلام بقوله: قال يحيـى، وبين ما هو من زياداته بقوله: قال محمد[1].

وقد كان تفسير ابن أبي زَمَنِين أحسن مساعد لي على التحقيق، وخفف عني كثيراً من العناء الذي كنت أشعر به قبل حصولي على مخطوطة الكتاب.

تفسير العلامة هود الهواري؛ ميزته وقيمته:

إذا كان تفسير ابن سلام البصري أصلًا لتفسير الشيخ هود بن محكّم الهواري كما بيّنت، فكيف رواه الشيخ الهواري أو وصل إليه حتى عُنِيَ به واختصره؟ ما هو الدافع له وما هو الغرض من عمله هذا؟ ماذا نجد في تفسيره من جديد؟ بماذا يمتاز تفسيره عن مختصر ابن أبي زمنين؟ وما هي قيمته بين كتب التفسير؟ هذه الأسئلة وغيرها واردة في الموضوع ولا شك. وقد لا نتمكن من الإجابة عنها كلها إجابة شافية لأن الوثائق الضرورية والدلائل الكافية مفقودة لضياع الأوراق الأولى من مخطوطات تفسير الهواري، ولكننا نحاول ذلك، والله الموفق الهادي بمنه وفضله.

تُجمِع المصادر التي بأيدينا على أن تفسير يحيـى بن سلام سُمِع بالقيروان ورواه الناس بها مباشرة عن مؤلفه، وخاصة ابنه محمد وتلميذه أبو داود العطار. وكان أواسط القرن الثالث الهجري هي الفترة التي ملأ فيها هذا التفسير مجالس العلم وحِلَق الدروس والمناظرة بالقيروان خاصة، وفي إفريقية الإسلامية عامة. وكانت دار محمد بن يحيـى، مركزاً من مراكز العلم، كما يفهم من رواية القاضي عياض[2]، ومفتوحة للطلبة الذين يقصدونها، وهم يرتدون زياً خاصاً، للتفقه على هذا العالِم الذي ورث علم أبيه، ويؤمها الفقهاء والعلماء للمناظرة وتلقِّي بعضهم عن بعض في

(1) لقد بيّن ابن أبي زمنين طريق روايته لتفسير ابن سلام أجلى بيان عندما كتب في المقدمة ما يلي: «وجميع ما نقلته من كتاب يحيى فقد أخبرني به أبي رحمه الله عن أبي الحسن علي ابن الحسن عن أبي داود أحمد بن موسى عن يحيى بن سلام، ومنه ما حدثني به عن أبي الحسن عن يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام عن أبيه عن جده...».

(2) عياض، ترتيب المدارك، ج 2 ص 335.

مجلس هذا العالِم «الثقة النبيل» كما وصفه أبو العرب[1] أفلا يكون الشيخ الهواري من بين هؤلاء الطلبة والعلماء؟.

ثم إن تفسير ابن سلام في أوائل القرن الثالث الهجري وأواسطه كان التفسيرَ الجديد الكامل الذي طبّقت شهرته إفريقية الإسلامية وذاع صيته؛ فحداثته كافية لأن تجذب الأنظار والهمم إليه، وكون مؤلفه بصرياً استوطن القيروان تمنح الكتاب ميزة خاصة تزيد الناس إغراء بالاطلاع عليه وولوعاً بتلقيه. وهذه القيمة العلمية إنما اكتسبها من قِبَل أنَّ مؤلِّفه بصري المنشأ والتعلّم، عاش ريعان شبابه وكهولته في وسط من أكثر الأوساط الإسلامية ازدهاراً ونشاطاً في علوم القرآن والحديث، واللغة والأدب، وها هو ذا يقدم ثمرة علمه وعصارة جهده تفسيراً قريباً عهده بالمنابع الأولى من القرآن والسنة، عالياً سنده في الرواية، موصولة أخباره وآثاره بالصحابة والتابعين وتابعيهم.

كل هذا يقوي ظننا أن الشيخ الهواري قد رحل إلى القيروان طَلَباً للعلم، وهو في عنفوان شبابه أو أوائل كهولته. وسواء أكان بلغه خبر هذا التفسير وهو في أوراس، أو عَلِمَه وهو في القيروان، فإنه يكون، وهو في القيروان، تلقاه مباشرة من محمد بن يحيى المتوفى سنة 875/262، أو من أبي داود العطار المتوفى سنة 887/274. وأستبعد أن يكون تلقاه من يحيى بن محمد بن يحيى الحفيد المتوفى سنة 983/280.

ها هو ذا الكتاب بين يديه، يدرسه ويستفيد منه، ولكنه يكتشف فيه أحياناً آراءً وأفكاراً لا تنسجم مع ما تعلّمه من قبل وآمن به. إن مسائل الكفر والإيمان مثلاً ليست دائماً في هذا التفسير الجديد على ما استقر في نفسه، وحسبما تلقاه من أسلافه، ودرسه على أساتذته ومربيه. لقد تعلّم أن النفاق ليس هو إظهار الإيمان وإضمار الكفر فحسب، ولكنه أيضاً أن ينطق الإنسان بالشهادتين ولا يستكمل الفرائض ولا يفي لله بما أقر به. وإذا كانت الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله، فإنها لا تنفع إلا المؤمن

(1) أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص 38.

المُوَفِّي، أما الكافر الذي يتمادى في غيّه، ويموت مصراً على ذنبه ولم يتب، فهو خالد في النار.

هذه المسائل وشبيهاتها جعلت الشيخ هوداً يعيد النظر في تفسير ابن سلام فهو، وإن كان مُعْجَباً به، مقدّراً لمؤلِّفه إلا أنه لا يقبله على علاته ولا يتبنّاه بكل ما فيه. فما العمل؟ يبدو أن الشيخ الهواري لا يريد أن يؤلف تفسيراً من عنده، مستقلاً بذاته، ولعله كان من أولئك الذين يتهيّبون التفسير[1] مخافة أن يتقوّلوا على الله أو يتأولوا كلامه على غير وجوهه، الله أعلم. وكأنه يرى أنه ما دام قد وجد تفسير مرويّ متداوَل، فَلْيُعِد هو كتابتَه على ما يعتقد أنه الحق والصواب؛ يُبقِي على ما ارتضاه ووافق أصول عقيدته، وهو جلُّ التفسير، ويصحّح أو يحذف ما يراه غيرَ صواب، ويضيف من علمه ومعارفه ما يرى فيه فائدة للقارىء المستفيد.

ذلك هو الموقف الذي اتخذه الشيخ الهواري إزاء تفسير ابن سلام، وذلك هو عمله طوال الكتاب، حسبما يستنتجه الباحث إذا قارن تفسير الهواري بأصله.

إن الشيخ الهواري لا يفتأ يؤكد في كل مناسبة على أن الإيمان بالقول وحده لا يكفي، بل لا بد له من العمل الذي يحققه ويتم به. وهو يرد بذلك على كل من يقول بالإرجاء، وإن لم يصرح بلفظه. وكان ابن سلام قد رُمِي بالإرجاء وإن أقسم أنه بريء منه، حسبما رواه أبو العرب[2]. والحق أن رواية أبي العرب توحي أنه فعلاً بريء

(1) كتب إلي الأستاذ الشيخ ناصر المرموري بما نصه: «كان علماء الإباضية يهابون تفسير القرآن. قال لي الإمام غالب رواية عن بعض مشايخه: إن الشيخ أبا نبهان جاعد بن خميس حاول ذلك فبدأ من سورة الناس، فلما بلغ سورة الحاقة عند قوله تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ) [الآيات: ٤٤ - ٤٧] قطع أوراقه وترك التفسير هيبةً وخوفاً».

(2) طبقات علماء إفريقية، ص 37-38. وانظر ما كتبته هند شلبي في مقدمتها لكتاب يحيى بن سلام، التصاريف، ص 78-82، فقد بحثت الموضوع من جميع جوانبه.

منه، ولكن لما كانت التهمة صدرت خطأ من سحنون بن سعيد فإنها انتشرت بين الخاصة والعامة على حد قول الشاعر:

قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً   فما اعتذارك من قول إذا قيلا

فهل كان الهواري يقصده بالذات؟ وهل كان من أغراض كتابه أن يتعقب ابن سلام في هذه المسألة خاصة؟ إن كثيراً من زيادات الهواري على أصل التفسير توحي بذلك، ولكن لا يستطيع الباحث أن يجزم في الموضوع بشيء ما دام الشيخ الهواري لم يبيّن غرضه من تأليف الكتاب، أو قد بيّنه ولم يصل إلينا.

ومهما يكن فإن وقوفه ضد من يقول بالإرجاء شيء بارز في ثنايا الكتاب وهي من إحدى ميزاته. وهذه أمثلة من ذلك، وهي تبيّن أيضاً نماذج من زيادات الشيخ هود على أصل الكتاب.

عندما يقول ابن سلام مثلاً في قول الله تعالى من سورة النحل، الآية 93 ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾: «قال الحسن: كما صنع المنافقون، فلا تصنعوا كما صنع المنافقون، فتظهروا الإيمان وتسروا الشرك، والدَّخَل إظهار الإيمان وإسرار الشرك»[(1)]. يقول الهواري: «﴿دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ أي: خيانة وغدراً كما صنع المنافقون الذين خانوا الله إذ نقضوا الإيمان فقالوا ولم يعملوا، وتركوا الوفاء بما أقروا لله به، والدخل الخيانة».

وإذا قال ابن سلام في ريب المنافقين الذي ورد في الآية 45 من سورة التوبة: «﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: شكت في الله عز وجل وفي دينه»، كما جاء في مختصر ابن أبي زَمَنِين، ورقة 127، قال الشيخ الهواري: «أي: وشكت قلوبهم في أن لا يعذبهم الله بالتخلف عن الجهاد بعد إقرارهم بالله وبالنبي... ولم يكن ارتيابهم شكاً في الله وإنما كان ارتيابهم وشكهم في أن لا يعذبهم الله بتخلفهم عن نبي الله بعد إقرارهم وتوحيدهم».

(1) مخطوطة العبدلية، ورقة 3 ظ.

وفي تفسير قول الله تعالى من سورة فاطر، الآية 10 ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يكتفي ابن سلام بقوله: «﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ أي: التوحيد ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ التوحيدُ، لا يرتفع العمل إلا بالتوحيد». يزيد الشيخ الهواري: «ولا التوحيد إلا بالعمل، كقوله تعالى: ﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُومِنٌ﴾ [الإسراء: 19]، والإيمان قول وعمل، لا ينفع القول دون العمل».

وأحياناً نجد الشيخ الهواري يضيف زيادات لتأكيد هذا المعنى، وربما بالغ أحياناً فحمَّل الآية ما لا تحتمل. لنستمع إليه يعلق على الآية 27 من سورة الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُومِنِينَ﴾، فهو يرى في معنى التكذيب الذي ورد في الآية رأياً خاصاً. قال: «وقال بعضهم: هم المنافقون، وليس تكذيبهم هذا تكذيباً بالبعث، ولكنه بالعمل الذي لم يكملوه، ولم يتموا فرائضه. ومن قال إنها في المنافقين فيقول: التكذيب تكذيبان: تكذيب بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال، وهو تكذيب المشركين، والمنافقون منه برآء. وتكذيب آخر، هو تكذيب المنافقين، وهو ترك الوفاء وانتقاص الفرائض التي لا يكون أهلها مؤمنين إلا باستكمالها. فالمنافقون مكذّبون بهذه الجهة، وبهذا المعنى؛ لا على الإنكار والجحود، لكن على ترك الوفاء واستكمال الفرائض كان تكذيبهم».

والحق أن من تدبّر هذه الآية من سورة الأنعام يدرك أنها لا تعني المنافقين بالمعنى العام للنفاق، الذي نقرأ صوراً عنه في سورة براءة مثلاً أو غيرها من السور. فإن السورة هنا مكية، وسياق الآيات قبلها وبعدها يوحي بأنها نزلت في مشركي قريش الذين ينكرون نبوة سيدنا محمد عليه السلام ورسالته، وينكرون البعث ويكذبون به. ولكن الشيخ هوداً يرى في هذا التكذيب هنا معنى انتقاص الفرائض، ويسمي أصحابه منافقين، وهو معنى بعيد متكلّف لا يُنتزع من الآية إلا باقتسار.

وهناك زيادات أخرى يضيفها الشيخ الهواري القصد منها إيضاح معنى يغمُض، أو دحض شبهة تعترض، أو إسناد رأي إلى قائل به، وهذه أمور يجدها القارىء في أجزاء التفسير كلها، خاصة في تفسير آيات الأحكام، وهي زيادات هامّة تدل على فقه

واسع لدى الشيخ الهواري وإدراك عميق لأسرار التشريع.

أما ما يتعلق بحذف الشيخ الهواري لأحاديث وأخبار وردت في تفسير ابن سلام. فالملاحظ أنه يحذف الأحاديث التي لم تصح عنده والتي لا تتفق وأصول مذهبه. لقد حذف أحاديث في تفسير قوله تعالى من سورة مريم، الآية 87 : (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً)، وهي أحاديث في الشفاعة، وحذف أحاديث متتابعة في تفسير قوله تعالى من أوائل سورة الحجر: (رُبَّمَا يَوَدُّ الذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) وهي أحاديث حول من سمّوا بالجهنّميين، أو بعتقاء الرحمٰن[1] لم تصح عنده كذلك. وقد أشرت إلى ذلك على الهامش في مواضع كثيرة من هذا التفسير.

إذا كانت هذه الزيادات المفيدة والآراء الخاصة التي تنبىء عن فكر الهواري وعن شخصيته العلمية تمثل جانباً إيجابياً هاماً في تفسير الهواري، فمن الإنصاف أن نقول إن حذف المؤلف لأسانيد الرواة هو جانب من جوانب النقص فيه.

لقد اختصر المؤلف أغلب سلاسل الإسناد أو حذفها، واكتفى بذكر الصحابي الذي روى الحديث عن رسول الله ﷺ. أما عن أسماء التابعين وتابعيهم وعن شيوخه هو فلا نعلم عنهم إلا قليلاً. وكان الهواري يبدأ الكلام أحياناً بقوله: قال بعضهم، أو ذُكِر عن بعضهم ثم يأتي بالخبر. وربما قال أحياناً بلغني كذا وكذا فيظن القارىء أن العبارة من قوله هو، ولكن عند المقارنة يتبين أن العبارة لابن سلام. وهذا خطأ منهجي ما كان ينبغي أن يقع فيه الهواري خاصة وهو يؤلف في عهد كان فيه الإسناد والرواية من العلوم التي يُعنى بها عناية بالغة.

وهنالك جانب نقص آخر هو التكرار المملّ أحياناً، أو وجود بعض عبارات في التفسير بلغت من البساطة حداً لا يليق بمستوى تفسير كتاب الله.

هذا هو رأينا في تفسير الشيخ الهواري وقيمته.

(1) هي موجودة في القطع القيروانية لمخطوط تفسير ابن سلام، قطعة رقم 177، ملف 56.

أما عن منزلته فهو يُعد بحق أول مختصر لتفسير ابن سلام البصري، ولو لم يكن له من مزية إلا أنه حفظ لنا تفسير ابن سلام في صورته الكاملة أو القريبة من الكمال لكفاه فخراً وفضلاً، لأن مخطوطات تفسير ابن سلام لا تزال ناقصة. وإذا ما قورن تفسير الهواري بتفسير ابن أبي زمنين فإنه يعتبر أقدم عهداً منه وأقرب إلى زمن المؤلف، وأكبر حجماً وأغزر مادة وأكثر فائدة، لأنه حوى من الآثار ومن الأخبار المفيدة ما لا يوجد في تفسير ابن أبي زمنِين، وهذا لا يتبين إلا لمن تتبع المختصرين بالقراءة المتأنيـة، والمقارنة الدقيقة المستوعبة. والمقـام لا يتسع لتقديم بعض الأمثلة.

عملي في الكتاب:

كان أول عمل قمت به إثر تعرفي على المخطوطة الأولى من تفسير الهواري هو السعي لاستكمال الكتاب وجمعه من الخزائن المتفرقة، ولم يكن ذلك ـ علم الله ـ سهلاً ميسّراً. وكنت كلما حصلت على جزء أو بعضه بادرت إلى نسخه بنفسي نسخاً أولاً بدون تحقيق أو تعليق، إلا ما جاء عفواً، مخافة ضياع المخطوطة أو فسادها.

ولما اكتمل التفسير عندي بعد سنين شرعت في التحقيق. وكانت جميع هذه النسخ المخطوطة يشيع فيها التحريف والتصحيف والسقط. وقد بذلت ما في وسعي لتصحيح الأخطاء، وتدرعت بالصبر على ما وجدته من مسخ النسّاخ. فإذا لم يتبين لي وجه الصواب في كلمة أو في عبارة رجعت إلى المظان من كتب التفسير والحديث والسير.

وكان اعتمادي في التصحيح والتحقيق على تفسير الطبري وأمهات كتب التفسير والحديث. واعتمدت في شرح المفردات والعبارات على كتب غريب القـرآن والحديث وعلى أمهات كتب اللغة، وأخص بالذكر منها كتابي أبي عبيدة والفراء: مجاز القرآن ومعاني القرآن. لأنهما من أقدم كتب التفسير اللغوي البياني ولأن مؤلفيهما معاصران لابن سلام البصري. ولما اكتشفت علاقة تفسير الهواري بتفسير ابن سلام صرت ألجأ إلى ما استطعت الحصول عليه من قطع تفسير ابن سلام المخطوطة وإلى

مختصر ابن أبي زَمَنِين. وهكذا استمر عملي سنوات إلى أن تمّ التحقيق بفضل الله وحسن معونته.

أما ما يتعلق بتخريج الأحاديث فإنني اكتفيت بعزو الحديث إلى مصادره، ولم استطع أن أخَرِّج جميع الأحاديث تخريجاً علمياً كاملاً، فلم يكن ذلك بوسعي ولا من اختصاصي، لأن بضاعتي من علوم الحديث مزجاة، لا يجملُ بي أن أتكلّف علماً لم استوف أصوله وفروعه ولم أتلقّه من أفواه العلماء المحدِّثين؛ فإذا كان الحديث مروياً في بعض كتب الصحاح أشرت إلى الكتاب وإلى الباب الذي يوجد فيه، وإذا لم أجد له مصدراً أشرت إلى ذلك في الهامش.

وأما ما يتعلق بأعلام الرجال والأماكن فإنني لم أعرِّف إلا بالمهم منها وبإيجاز، ورأيت من الأحسن ألا أقف طويلاً عند تراجم العلماء والرواة، صحابة كانوا أو تابعين أو غيرهم، لئلا تكثر الهوامش أو تطول.

وفي تفسير آيات الأحكام أحلت القارىء على بعض المصادر والمراجع الإباضية وغيرها من المدارس الفقهية. لمن يريد مزيداً من التفصيل والتوسع في الفروع.

وهنالك زيادات أضفتها إلى النص وجعلتها بين قوسين معقوفين، الغرض منها إيضاح معنى أو تصحيح خطأ. وهي في أغلبها مأخوذة من تفسير ابن سلام أو من مختصر ابن أبي زمنين. أما إذا كانت من مصدر غيرهما فقد جعلتها في الهوامش؛ وهي زيادات تشير إلى وجه من وجوه التأويل تحتمله الآية ولم يرد في الأصل، أو إعراب كلمة مختلف فيه فرجحت ما بدا لي أولى بالصواب. ولم أتتبع كل ما جاء في تفسير ابن أبي زمنين من شروح أو شواهد لغوية لأن ذلك مما يثقل النص.

وفي التعاليق سجلت بعض خواطر تعنّ. أو ملاحظات تبْدو. والغرض من ذلك لفت نظر القارىء، والطلبة بصفة أخص، إلى ربط حياتنا الدينية والاجتماعية أو السياسية بكتاب الله لإصلاح النفوس وإصلاح مجتمعاتنا الإسلامية على ضوء كتاب الله وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام.

وإذا أكثرت من ذكر المصادر والمراجع فللتوثيق أولاً، ثم لدعوة طلابنا وطالباتنا في الدراسات الإسلامية إلى مزيد من التحقيق العلمي والمطالعة المفيدة لتوسيع آفاق معارفهم؛ فإنه لا شيء يفتق أذهانهم ويقوّي فيهم ملكة البحث والاستنباط كالرجوع إلى أمهات الكتب والمصادر الأولى للتفقه في الدين والغوص إلى أسرار الشريعة الإسلامية وتحصيل كنوزها.

إن معرفة طلابنا لِمختَلِف مذاهب المفسِّرين ودراستَهم لمناهجهم تجعلهم إذا بلغوا درجة من العلم عالية إن شاء الله، قادرين على المقارنة والموازنة بين هذه المذاهب التفسيرية والمدارس الفقهية، وترجيح رأي على رأي، واختيار أحسن الأقوال التي تناسب عصرهم. إن المستقبلَ إن شاء الله للدراسات المقارِنة حتى يُستفاد عن طريقها من المدارس الفقهية كلِّها لتخريج علماء مجتهدين يتصدّرون مجالس الشورى والإفتاء بكفاءة، فيقدّمون الأحكام والحلول لقضايا العصر بصدور رحبة وبنظرات أعم وأشمل، حتى تُستبعد من مجال الفقه والاجتهاد تلك الرؤية الضيقة القاصرة التي تتقيد برأي فقهي معيّن، لا تحيد عنه ولا ترى الحق إلا فيه، وهذا ما ساد في عصور مضت لما طغى التعصب المذهبي على بعض العلماء فأصدروا فتاوى وأحكاماً ما أنزل الله بها من سلطان فضلوا وأضلوا. وهذا لعمري لا يخدم الإسلام في أي مجال.

مخطوطات الكتاب:

اعتمدت في تحقيق تفسير الشيخ الهواري على خمس نسخ من المخطوطات، وهي كلها ناقصة على تفاوت بينها، بحيث لا يمكن أن يعتمد أي ناشر على واحدة بعينها ليكمل له الكتاب؛ ثلاثة منها من مدن وادي ميزاب، واثنتان من جزيرة جربة. وسأتناولها بالوصف مرتبة حسب تحصيلي إياها.

الأولى: نسخة القرارة، وهي التي أرمز إليها بحرف القاف هكذا: ق، وتقع في ثلاث مجلدات، معدّل مسطرتها في المجلدات الثلاثة واحد وعشرون سطراً، مقاسه

22× 15 سم. وعدد أوراق المجلد الأول منها 143 ورقة. ليس في هذه النسخة خطبة الكتاب. يبتدىء المجلد الأول من تفسير سورة الفاتحة ويتوقف التفسير عند الآية 20 من سورة النساء، ثم يستأنف من الآية 145 من سورة الأنعام إلى آخر السورة. يؤرخ الناسخ أبو القاسم بن موسى بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى تمام نسخ المجلد الأول بضحوة يوم السبت ست من شهر جمادى الأولى عام 1116 للهجرة.

أما المجلد الثاني فيتبدىء من أول الأعراف وينتهي بآخر الكهف. وعدد أوراقه 268 ورقة. وكان الفراغ من نسخه ضحوة الأحد آخر شهر ربيع الأول سنة 1118 للهجرة. (كذا).

أما الربع الثالث من القرآن فهو غير موجود في هذه النسخة.

وأما مجلد الربع الأخير فهو يبتدىء من الآية 49 من سورة الزمر، وينتهي بآخر سورة الناس، وبه خرم في الحواميم. وعدد أوراقه 194 ورقة. نسخه أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن عمور لإخوانه أهل القرارة وكان الفراغ من نسخه يوم الأحد 22 صفر سنة 1217 للهجرة [1].

الثانية: مخطوطة جربة التي أرمز إليها بحرف الجيم: ج، موجودة بغيزن في خزانة الشيخ سالم بن يعقوب، أمدّ الله في أنفاسه، وفيها الربع الثاني كاملاً تقريباً مسطرتها 21 سطراً، مقاسها 20 × 15 سم. الآيات المفسّرة مكتوبة بالمداد الأحمر، وعدد أوراقها 176 ورقة. فرغ من نسخها المسمى صالح بن قاسم بن محمد بن سعيد بن إبراهيم بن بونوح بن يوسف بن صالح البلاز بتاريخ 4 صفر سنة 1086 للهجرة.

---

(1) كان المرحوم الشيخ أبو إسحاق أطفيش استعار هذه المخطوطة بمجلداتها الثلاثة، ويبدو أنها أرسلت إليه من القرارة من دون أن يكون قد اطلع عليها من قبل. وبقيت عنده سنوات بالقاهرة، ولما تعذر تحقيقها وطبعها وهي ناقصة رجع بها الأستاذ الشيخ ناصر المرموري إلى القرارة سنة 1965 م. وهذه هي المخطوطة التي اطلع عليها الدكتور محمد حسين الذهبي وأشار إليها في كتابه التفسير والمفسرون، ج 2 ص 316.

الثالثة: مخطوطة العطف التي أرمز إليها بحرف العين: ع، وهي مجلدان من القطع الكبير، متعددة الخطوط، ومسطرتها تتراوح بين 25 سطراً و 38 سطراً، مقاس المجلدين 29× 21 م. عدد أوراق المجلد الأول 167 ورقة، وهو يحوي النصف الأول من القرآن، نقصت أوراق منه في أواخره. أما المجلد الثاني فعدد أوراقه 140 ورقة، سقطت منه ورقة من أوله وورقة أو ورقتان في وسطه. والناسخ يسمى أبا القاسم بن يحيى الغرداوي. ولا يوجد في مجلديها أي تاريخ للنسخ (1). وتحتوي المخطوطة على شيء من خطبة الكتاب في بداية مجلدها الأول.

الرابعة: مخطوطة بني يسجن التي أرمز إليها بحرف الباء: ب، وهي موجودة بمكتبة القطب. تحتوي على الربع الثالث من القرآن، سقطت منها ورقة أو ورقتان من أول سورة مريم. وليس بها أي خرم في وسطها، نسخها سليمان بن أبي القاسم بن سليمان النفوسي، ووافق الفراغ من نسخها يوم الجمعة 13 رمضان عام 1002 للهجرة. وليست الآن بين يدي حتى أفصل مسطرتها وعدد أوراقها، وهي من القطع المتوسط.

الخامسة: مخطوطة جربة التي أرمز إليها بحرف الدال: د، وهي من خزانة آل الجادوي، تقع في مجلد واحد يحوي تفسير النصف الأول من القرآن الكريم، مسطرتها 21 سطراً، مقاسها 20× 14.5 سم. وعدد أوراقها 370 ورقة. نسخها الشيخ علي بن سالم بن بيان، تلميذ الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر بن أبي ستة المعروف بالمحشّي. وليس بالمخطوطة أي ذكر لتاريخ نسخها. وتمتاز هذه المخطوطة بإيرادها لجزء من خطبة الكتاب في أولها يفوق ما أوردته مخطوطة ع. وهي تمتاز أيضاً بأنها أصح المخطوطات كلها وأدقها نقلاً عن أصلها وأقلها أخطاء. تليها في الرتبة من حيث الصحة وقلة الأخطاء مخطوطة ب، فمخطوطة ج، فمخطوطة ق وأخيراً مخطوطة ع، وهذه أوفاها جميعاً وأكبرها حجماً.

---

(1) هي المخطوطة التي أشار إليها المستشرق يوسف شاخت وأوردها في القائمة التي نشرها بالفرنسية عن مخطوطات خزائن وادي ميزاب في المجلة الإفريقية، العدد: 100، السنة 1956، ص 379.

خطوط هذه النسخ كلها مغربية تقرأ بسهولة لمن ألفها. إلا أن أوراق هذه النسخ في حالة سيئة من البِلى وفعل الأرضة فيها، وخاصة مخطوطة القرارة. وبمخطوطة جربة: د رطوبة أثرت في صفحاتها الأولى والأخيرة فطمست كتابتها فلا تقرأ إلا بمشقة.

وعند مقارنة هذه النسخ بعضها ببعض لاحظت أن مخطوطتي ق و ع نقلتا من أصل واحد، وإن نسختي جربة د وج تتشابهان كثيراً وإن لم تنقلا من أصل واحد فيما يبدو، وكذلك مخطوطة ب لم تنقل من الأصل الذي نقلت منه ع.

ولما كانت بعض النسخ غير مؤرخة، وكانت أصول المخطوطات متعددة، رأيت من الأوفق للتحقيق ألّا أتخذ بعضها أصلاً دون الأخرى بل جعلتها كلها أصولاً؛ فما نقص من واحدة أكملته من الأخرى، وصحّحت خطأ هذه بما جاء صواباً في تلك مع الإشارة إلى أغلب الأخطاء أو النقص أو اختلاف في العبارة على الهوامش، وهكذا أكون قد قدمت إن شاء الله أكمل نص وأصحه بالنسبة لجميع النسخ.

هذه هي أهم المخطوطات التي اعتمدتها في التحقيق، وتلك هي طريقتي في العمل فإن حالفني التوفيق فذلك من فضل الله ونعمته علي، وله الحمد والشكر بما هو أهله. وإن كانت الأخرى فأستغفر الله وأتوب إليه. وعذري في ذلك أن هذا أول عمل أقوم به في التحقيق، فلا عجب أن يتّسم بالنقص والزلل. وفي ملاحظات القراء ما يصحح الخطأ ويقوّم المعوجّ، ويكمل النقص إن شاء الله.

وبعد فهذا تفسير الشيخ هود الهواري أقدمه بين يدي القراء، وهو ينشر لأول مرة، وأنا بعد كل هذا سعيد بتوفيق الله إياي إلى إخراجه إلى النور وإبرازه لأبناء الإسلام ومُحِبّي لغة القرآن، وسعيد بأنني عشت في رحاب القرآن سنوات وسنوات، وأمضيت بجواره أياماً وليالي هي من أحسن أيام العمر. وهل هنالك لحظات أسعد وأهنأ. وآنس للنفس وأمتع من تلك التي يقضيها المؤمن مع كتاب ربه يتدبر معانيه، ويستجلي أسراره، ويتلقى نفحاته؟. وهل هنالك أروح للقلب وأدعى للمطأنينة وأكثر جلباً للمسرة من تلك الساعات التي ينقطع فيها المسلم إلى ربه يناجيه من خلال آياته المتلوّة أو المجلوة، فتزيده إيماناً على إيمان وتقوى على تقوى؟! إنه القرآن! عظيم

شأنه في النفوس المؤمنة، وعجيب أمره في القلوب المخلصة. فاللهم أكرمنا من فضائله وامنن علينا ببركاته وانفعنا بهدايته.

هذا وأرى من الواجب علي أن أذكر هنا بكل خير، اعترافاً بالجميل، وتسجيلاً للحقيقة، إخواناً لي وأصدقاء أمدوني بمساعدتهم العلمية والأدبية، وأخص بالذكر منهم صديقي الأستاذ الحاج محمد اطفيّش الذي يسّر لي في القاهرة طريق الوصول إلى بعض المصادر والحصول على بعض المخطوطات بكرمه وحسن مشورته، وصديقي الدكتور فرحات الجعبيري في تونس. فقد كان سعيه معي في جربة وإمداده إياي ببعض الوثائق أكبر حافز لي على العمل، وفي الجزائر صديقي الدكتور محمد ناصر، وشقيقي وعزيزي محمد، لما قدما إلي من توجيه سديد ومساعدة فنية غالية لإتمام هذا العمل وإنجازه على خير وجه إن شاء الله، وكذلك إدارة المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر، ورئاسة جامعة الجزائر.

ليجد هؤلاء، وكل من أعانني بكلمة خير أو دعاء صالح، في هذه العبارات القاصرة، جزيل شكري وعظيم امتناني على ما أسدوه إلي من جميل؛ فلهم مني خالص الود والتقدير، ومن الله، بفضله وكرمه، المثوبة الحسنة والجزاء الأوفى.

اللهمّ إنا نسألك العصمة من الزلل، والتوفيق لما فيه رضاك في النية والقول والعمل. اللهم ارزقنا علماً نافعاً، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً. آت يا ربنا نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها. اللهم واجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم، وتقبلها منا، وعافنا واعف عنا. اللهم ثبت قلوبنا على دينك وأقدامنا على نهجك القويم، وأعنا لخدمة كتابك وإعلاء كلمتك، واهدنا إلى صراطك المستقيم حتى نلقاك وأنت عنا راضٍ يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. آمين.

بالحاج بن سعيد شريفي

الجزائر (العاصمة) السبت 27 رجب الحرام 1409 هـ

5 مارس 1989 م

المخطـوطــات

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم

تفسير فاتحة الكتاب وهي مكية كلها

ذكروا عن الحسن قال هذا افتتاح لم ينزل على نبي من الأنبياء
أن يبتدئ بها الله وذلك من قال بعض العلماء نعلم أن المشركين
قالوا أما الله فنعرفه وأما الرحمن فلا نعرفه فأنزل الله
وهم يكفرون بالرحمن قل يا محمد هو ربي. ذكروا أن أبا
الدرداء قال سمعت النبي يقول قال الله أنا الرحمن
شققت الرحمة من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها
قطعته. ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال كنا نكتب
باسمك اللهم فلما نزلت قل ادع الله أو ادعوا الرحمن كتبنا
بسم الله الرحمن الرحيم فلما نزلت إنه من سليمان وإنه بسم الله
الرحمن الرحيم كتبنا بسم الله الرحمن الرحيم. ذكروا عن سلمان الفارسي
أنه قال إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة
رحمة كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض فأنزل منها رحمة
واحدة فيها يتراحم الخليقة حتى ترحم البهيمة بهيمتها
والدة ولدها فإذا كان يوم القيامة جاء بتلك التسعة والتسعين
رحمة ونزع تلك الرحمة من قلوب الخليقة فأكملها مائة
رحمة ثم يضعها بينه وبين خلقه والخائب من خيب من تلك
المائة رحمة. ذكروا عن الحسن أنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا رحيم
قالوا يا رسول الله كلنا رحيم يرحم الرجل نفسه و

الورقة الأولى من المجلد الأول من مخطوطة القرارة: ق من تفسير الهواري.

536

ومن امعبد سواه فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي يعلم انه لا يقبل
الا ما خالص له ذكروا ان رجلا قال يا رسول الله اني رجل
اقف المواقف اريد وجه الله واحب ان يرى مكاني فسكت
النبيء عليه السلام فانزل الله هذه الاية فمن كان يرجوا
لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
تم النصف الاول من تفسير القرآن العظيم بحمد الله وحسن عونه
وتاييده ونصره على يد العبد الضعيف الحقير الذليل الراجي
عفو مولاه الغني عن من سواه ابي القاسم بن
موسى بن الشيخ عبد الرحمن بن [illegible]
العظيم يا من ينظر فيه ان يعذرنا
في نسخته من نسخة ركيكة وفي زمان
التشويش وزال الرغبة جهد [illegible] اسئل
الله العفو والعافية لنا ولكم معاشر
المسلمين وكان الفراغ منه ضحوة
يوم الاحد يوم الخامس من شهر الله
ربيع الاول عام الثامن عشر
مائة والف من هجرة النبيء عم
والصلاة والسلام
على سيد المرسلين
وامام المتقين
والحمد لله
رب العالمين

الورقة الأخيرة من المجلد الثاني من مخطوطة القرارة: ق من تفسير الهواري.

[illegible] عبد الله بن مسعود فقال [illegible]

ابن مسعود ذكر عقبة بن عامر الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
الصبح فقرأ بالمعوذتين وكان ذلك في سفر ذكر عن عقبة بن عامر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقرأ المعوذتين فإنك لن تقرأ في القرآن مثلهما ذكر عن رجل
من الناس [illegible] أنه لما كتب المصحف جاء رجلان يشهدان على الآية أنهما سمعاها
من النبي عليه السلام ثم كتبت في المصحف فجاء رجل يشهد على الآية لقد جاءكم
رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم فطلبوا
معه رجل آخر فلم يجدوه فقال عمر بن الخطاب أنا أشهد أن رسول [illegible]
فاكتبوها بشهادته [illegible] شهادته [illegible] ذكروا أن في مصحف
ابن مسعود [illegible] قال مصحفنا هذا ثلاثة عشر ومائة سورة وفي مصحف أبي بن كعب
عشر ومائة سورة وفيه دعاء أن السورتان اللهم إنا نستعينك ونستغفرك
مصحف بن مسعود احدا عشر ومائة سورة ليس فيها المعوذتان ولا سورتا [illegible]
ذكروا عن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان كيف جعلتم براءة وهي من الطوال
الأنفال وهي من المئين ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال إن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل عليه الثلاث الآيات والأربع الآيات والخمس الآيات
جميعا أو أقل من ذلك أو أكثر فيقول اجعلوها في كذا وكذا في سورة كذا وكذا
واجعلوا كذا وكذا في موضع كذا وكذا في سورة كذا وكذا وأنه قبض ولم ينبئنا
شيئا ونظرنا فوجدنا قصتهما متشابهة فجعلناها معها ولم نكتب
بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ذكر أبو حمزة أن إبراهيم النخعي
رأى في مصحفه [illegible] سورة كذا وكذا فقال [illegible] فإن عبد الله بن مسعود [illegible]
لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس فيه ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
أخلصوا القرآن [illegible] ذكروا عن ابن عمر أنه قال [illegible] في بعض المصاحف شيء
من السلف أنه كره [illegible] المصاحف [illegible]
[illegible]
[illegible] الدرداء أنه قال [illegible] مساجدكم [illegible] مصاحفكم [illegible]
[illegible] ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [illegible]

الورقة الأولى من المجلد الأول من مخطوطة العطف: ع من تفسير الهواري.

ومن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون هي مثل قوله اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى والهدى
ها هنا الرسول فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ذكر بعضهم أنه لا عبرة بهذه الآية فقال ... الى ابليس الارض
لابليس حين يجعل فيها تجاعنه قوله والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون اي لا يموتون
ولا يخرجون منها قوله فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أي لا احد اظلم منه أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
قال بعضهم ما كتب لهم من أعمالهم التي عملوا وقال بعضهم ما كتب في أم الكتاب من أعمالهم التي هم لها عاملون ذكروا
ان مجاهدا قال هذا ... سعيد ... ما كتب لهم وقال الكلبي نصيبه من الكتاب ان الله قضى انه من افترى عليه سود
وجهه يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قوله حتى إذا جاءتهم رسلنا يعني الملائكة يتوفونهم
قال الحسن وفاة الى النار قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله يعني الأوثان قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا
كافرين قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها كقوله
ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وقوله يكفر بعضكم بولاية بعض حتى إذا اداركوا فيها جميعا اي
حتى إذا صاروا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا كل امة تقول لأخراها ولأولاها فآتهم عذابا ضعفا
من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ذكروا ان مجاهدا قال لكل ضعف مضاعف ... وقالت أولاهم لأخراهم
فما كان لكم علينا من فضل اي في تخفيف العذاب قال الله فذوقوا العذاب اي جميعا بما كنتم تكسبون اي تعملون
قوله ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء اي لا ... عملهم ولا أرواحهم ... ان
المؤمن إذا مات صعد بروحه ملائكة فإذا بلغوا السماء شيعته منها ملائكة الى السماء الثانية وكذلك ... حتى
ينتهي بها الى الله فيؤمر بالسجود وتسجد الملائكة قبلها ثم تسجد ثم يقول ردوه فاني قضيت منها خلقته وفيها أعيدهم
ومنها أخرجهم تارة أخرى ... الكافر فينتهي بروحه الى السماء الدنيا فيقال ردوه فيرد الى برهوت أسفل الثرى من الأرض
السفلى قوله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وهي نقرأه ... حتى يلج الجمل ذكروا عن الحسن قال
هو الذي يقوم في المربد على أربع ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال هو الجمل زوج الناقة وقال مجاهد هو حبل السفينة قوله
في سم الخياط اي حتى يلج الجمل ... جميعا في ... سم الخياط اي ثقب الإبرة ولا يدخلون ... ثقب الإبرة ابدا قال وكذلك
نجزي المجرمين اي المشركين والمنافقين جميعا ... لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش
وكذلك نجزي الظالمين يعني بالمهاد الفرش ... فوقهم غواش يغشاهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل
وكذلك ... في الظالمين ... المشركين والمنافقين جميعا ... قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لا نكلف نفسا الا وسعها اي طاقتها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون لا يموتون ولا يخرجون منها قوله ونزعنا ما في
صدورهم من غل ذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحبس أهل الجنة على باب الجنة وقال على قنطرة باب الجنة
حتى تذهب عنهم ضغائن كانت بينهم في الدنيا وقال بعضهم قال رسول الله يحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يقضى لبعضهم
من بعض ويتفاضل ما بينهم كمثل كوكب بالمشرق وكوكب بالمغرب ذكروا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال اذا
توجه أهل الجنة عرضت لهم عينان فاغتسلوا في إحداهما فجرت عليهم نضرة النعيم ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما في بطونهم
من أذى وقذر وغل فإذا جاءوا الى منازلهم تلقتهم الملائكة قالت لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
وبعضهم يقول فيخرج ما في بطونهم من أذى وقذر وغل أو غير ذلك ... بعضهم عن علي في قوله ونزعنا ما في صدورهم
من غل قال منهم عثمان بن عفان وطلحة والزبير قال تجري من تحتهم الأنهار ... الانهار من فوق هذا الموضع وقالوا
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ... لقد جاءت رسل
ربنا بالحق ... ونودوا ان تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون اي قدر أعمالكم ذكروا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والارض وان العبد من أهل الجنة ليرفع بصره فيلمع له برق
يكاد ان يخطف بصره فيقول ما هذا فيقال هذا نور أخيك فلان فيقول أخي فلان كنا نعمل في الدنيا جميعا وقد فضل علي هكذا فيقال له
انه كان أحسن منك عملا قال ثم يجعل في قلبه الرضا قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم هذا أمر من الله وانقطع كلام الفريقين أن لعنة الله على الظالمين
اي المشركين والمنافقين ... قوله الذين يصدون عن سبيل الله هذا الآخر في الدنيا
وانقطعت القصة الاولى من امر أهل الجنة وقول أهل النار قوله ويبغونها عوجا اي ويبغون سبيل الله ان تكون الهدى

ورقة من المجلد الأول من مخطوطة العطف: ع من تفسير الهواري.

الورقة الأولى من مخطوطة جربة د: (ظ) من تفسير الهواري.

الورقة الثانية من مخطوطة جربة د. (و) من تفسير الهواري.

آخر المجلد الأول من مخطوطة جربة د. (ر. و ظ.) من تفسير الهواري.

ورقتان من مخطوطة جربة ج. (ظ. و و.) من تفسير الهواري.

الورقة الأولى من مخطوطة العبدلية: سح، رقم 7447 من تفسير ابن سلام.

صورة من القطعة القيروانية 180 من تفسير ابن سلام.

الورقة الأولى من تفسير ابن أبي زمنين: ز

أواخر تفسير ابن أبي زمنين: ز.

بيان الإشارات والرموز الواردة في الكتاب

1 ـ ﴿ . . . ﴾ ما بينهما آية أو جزء منها ذكرت في موضعها من السورة المفسّرة.

2 ـ (. . .) ما بينهما آية أو جزء منها استُشهِد بها في غير موضعها من السورة.

3 ـ « . . . » ما بينهما كلمة أو عبارة منقولة من نصّ.

4 ـ [. . .] ما بينهما زيادة للإيضاح والبيان، أو ذكر للسورة ورقم الآية.

5 ـ ق: مخطوطة القرارة (خزانة الشيخ بالحاج).

6 ـ ع: مخطوطة العطف (خزانة الشيخ الحاج داود ابن يوسف).

7 ـ ب: مخطوطة بنى يسجن (خزانة الشيخ أطفيش، القطب).

8 ـ جـ: مخطوطة جربة (خزانة الشيخ سالم بن يعقوب).

9 ـ د: مخطوطة جربة (خزانة الشيخ سليمان الجادوي).

10 ـ سع: مصوّرة مخطوطة ابن سلام (مكتبة العبدلية).

11 ـ سح: مصوّرة مخطوطة ابن سلام (مكتبة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب).

12 ـ و: وجه ورقة في المخطوطة.

13 ـ ظ: ظهر ورقة في المخطوطة.

14 ـ المجاز: مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى.

15 ـ المعاني: معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء.

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

الربع الأول من كتاب تفسير العالم العلاّمة هود بن مُحكَّم الهُوَّاريّ رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة منزله ومأواه(1)

[. . .](2) عن أبي رجاء العطاردي، وكان قد أدرك النبي ﷺ، ولم تكن له صحبة، قال: أول سورة نزلت على النبي ﷺ: (اقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ) [سورة العلق: 1]. وقال: تعلّمت هذه السورة من أبي موسى. وقال بعض السلف: أول ما نزل من القرآن: (اقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ) إلى قوله: (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى)(3) [سورة العلق: 1-8].

أبو سَلَمة(4) قال: قلت لجابر بن عبد الله: أي القرآن نزل أول؟ قال: (يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ) [سورة المدثر: 1] [قلت:](5) أو (اقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ)؟ قال:

(1) هذا ما وجدته في مخطوطة د، وهو جزء من مقدمة التفسير. وفيها زيادة عما في مخطوطة ع تبلغ حوالى الضعف. ولكن المقدّمة مع ذلك غيرُ كاملة. وهذا العنوان من وضع أحد النسّاخ، وليس هو العنوانَ الحقيقيَّ للكتاب.

(2) وضعت هذه النقط هنا لأن المقدمة مخرومة من أولها. ومن الصعب تقدير عدد الأوراق التي سقطت من أول هذه المخطوطة.

(3) أغلب الرواة والمفسّرين يذكرون أن هذه الآيات الأولى تنتهي هنا ـ أول ما نزلت ـ إلى قوله تعالى: (عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [سورة العلق: 5].

(4) هو أبو سَلَمة بن عبد الرحمٰن بن عوف. وأمُّه تُماضر بنت الأصبع الكلبية. كان يُحمَل عنه الحديث، وكان من فقهاء التابعين. قيل: إنه توفي سنة 94 للهجرة عن اثنتين وسبعين سنة.

(5) زيادة لا بد منها ليستقيم المعنى.

أحدثك بما سمعت من رسول الله ﷺ يقول؛ إنه قال: جاورت في حراء، يعني جبلاً بمكة، وكان جوار أهل الجاهلية، فلما قضيت جواري استبطنت الواديَ، فنوديت، فنظرت خلفي وأمامي، وعن يميني وعن شمالي، فلم أر شيئاً. فرفعت رأسي إلى السماء فإذا هو ـ يعني جبريل عليه السلام ـ قاعد على العرش بين السماء والأرض، فَحُممت منه، فأتيت خديجة فقلت: دَثِّروني. وصبَّت عليَّ ماءً بارداً، فأنزل الله عليّ (يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ)(1). قال: والعامّة على أن أول ما نزل من القرآن (اِقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ)(2).

ذكروا عن أُبي بن كعب قال: آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان في سورة براءة: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّم)... إلى آخر السورة. [سورة التوبة: 128-129]. ذكروا عن ابن عباس، عن أُبي بن كعب قال: إن آخر القرآن بالسماء عهداً هاتان الآيتان: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ)... إلى آخر الآيتين.

ذكروا عن الكلبي قال: آخر ما نزل من القرآن: (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) [سورة البقرة: 281].

ذكروا عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني جبريل وميكائيل، فقعد جبريل عن يميني، وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: بسم الله، في حديث الحسن. وفي حديث غيره: يا محمد، اقرأ القرآن على حرف.

---

(1) حديث صحيح؛ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (رقم 257) عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله. وأخرجه البخاري مختصراً في أوائل صحيحه وفيه: «قال ابن شهاب: وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمٰن أن جابر بن عبد الله الأنصاري. قال، وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء...» إلى آخر الحديث.

(2) انظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ج 1 ص 69 ط. المشهد الحسيني، القاهرة: 1378-1967، تجد تلخيصاً وافياً يجمع بين الروايتين وتحقيقاً في أن أول القرآن نزولاً هو صدر سورة العَلَق.

فالتفَتَ إليّ ميكائيل فقال: استزده، فقلت: زدني. فقال: اقرأه على حرفين. فالتفت إليّ ميكائيل فقال: استزده، فقلت: زدني. فقال: اقرأه على ثلاثة أحرف. فالتفت إليّ ميكائيل فقال: استزده، فقلت: زدني. فقال: اقرأه على أربعة أحرف. فالتفت إليّ ميكائيل فقال: استزده، فقلت: زدني. فقال: اقرأه على خمسة أحرف. فالتفت إليّ ميكائيل فقال: استزده، فقلت: زدني. فقال: اقرأه على ستة أحرف. فالتفت إليّ ميكائيل فقال: استزده، فقلت: زدني. فقال: اقرأه على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ، ما لم تختم آيةَ رحمة بآية عذاب، أو آيةَ عذاب بمغفرة، في حديث الحسن. وفي حديث غيره: ما لم يختم آيةَ رحمة بآية عذاب أو آيةَ عذاب برحمة[1].

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: سمعت القراء فرأيتهم [قد اختلفت قراءتهم][2]، فاقرأوا كما عُلِّمتم، وإياكم والتَنَطُّع والاختلاف، فإنما هو كقول أحدكم هَلُمَّ، أو تعالَ. ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: نزل القرآن على سبعة أحرف، كقولك: هلُمَّ، تعالَ، أقبل.

ذكروا عن بعض السلف أنه قال: ليس من لغة إلا وقد نزل القرآن عليها، غير حيٍّ واحد[3].

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه ابن جرير الطبري في مقدمة تفسيره مختصراً عن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة، ومن طرق كثيرة عن أبي بن كعب، انظر مقدمة تفسير الطبري: «القول في اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب» ج 1 ص 21-50، فقد استوفى المؤلف هناك أسانيد الحديث المختلفة.

(2) في المخطوطة بياض قدر كلمتين. وكُتِب على الهامش بمداد مغاير: «لعل هذا البياض: قد اختلفت قراءتهم»، فأثبتُّ ما على الهامش، وهو الصواب إن شاء الله.

(3) كذا في المخطوطة د: «غير حيٍّ واحد». ولست مطمئناً لصحة العبارة، ولم أر لهذا الاستثناء وجهاً ولم أجد هذا الخبر بهذا الاستثناء فيما بين يديّ من المصادر.

أما موضوع لغة القرآن، وهل كل لغته عربية، أم وردت فيه كلمات من غير لغات العرب، فهو موضع اختلاف بين العلماء. فذهب فريق منهم، أمثال الشافعي، وأبي عبيدة والطبري، وابن فارس، إلى أنه ليس في القرآن شيء غير عربي، حتى قال أبو عبيدة معمر بن المثنى

ذكروا عن أبي العالية الرياحي[1] أنه إذا قرىء عليه حرف على غير ما يقرأ لم يقل: ليس هكذا، وقال: أما أنا فأقرأه كذا وكذا. فبلغ ذلك إبراهيم [بن سعد][2] فقال: كأنه قد سمع أنه من كفر بحرف فقد كفر به أجمع.

ذكروا أن أول من كتب المصاحف أبو بكر الصديق حين قُتِل أهل اليمامة، وأول من جمع الناس على مصحف واحد عثمان بن عفان. وذكروا أن حذيفة بن اليمان قال لعثمان بن عفان: ما كنت صانعاً إذا قيل: قراءة فلان وقراءة فلان،

= في كتابه مجاز القرآن ج 1 ص 17: «من زعم أن في القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم على الله القول».

وذهب آخرون إلى وجود ألفاظ في القرآن من غير لسان العرب. فقد رُوي عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد أنهم قالوا: إن في القرآن كلماتٍ بالفارسية والحبشية والنبطية.

ويُعجبني ما ذهب إليه أبو عبيد القاسم بن سلّام من التوفيق بين الرأيين حين ذهب إلى أن اختلاف الفريقين راجع إلى اختلاف في وجهة النظر.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «فهؤلاء ـ يعني ابن عباس وعكرمة ومجاهد ـ أعلم بالتأويل من أبي عبيدة ـ يعني شيخَه أبا عبيدة معمر بن المثنى ـ ولكنهم ذهبوا إلى مذهب، وذهب هذا إلى غيره. وكلاهما مصيب إن شاء الله. وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب بألسنتها، فعرَّبَته، فصار عربياً بتعريبها إياه. فهي عربيّةٌ في هذه الحال، أعجميةُ الأصل».

قال أبو منصور الجواليقي بعد أن ذكر قول أبي عبيد هذا: «فهذا القول يصدِّق الفريقين جميعاً». انظر الجواليقي، المُعَرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، ط. دار الكتب، القاهرة، 1389 هـ ـ 1969 م، ص 52-53.

(1) هو أبو العالية رفيع بن مهران الرِّياحي، مولى امرأة من بني رياح، بطنٍ من بطون تميم. كان من التابعين، توفي سنة تسعين للهجرة. قال عنه أبو بكر بن داود: «ليس أحد بعد الصحابة أعلمَ بالقرآن من أبي العالية، ثم سعيد بن جبير». انظر الداودي، طبقات المفسرين ج 1 ص 173. تحقيق علي محمد عمر، نشر مكتبة وهبة. القاهرة 1392-1972.

(2) زيادة وردت بمداد مغاير، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن سعد بن عبد الرحمٰن بن عوف. نزل بغداد. وكان فقيهاً متشدِّداً في الحديث. مات ببغداد سنة ثلاث وثمانين ومائة للهجرة.

كما صنع أهل الكتاب فاصنعه الآن[1]. فجمع عثمان الناس على هذا المصحف على حرف واحد. [وهو حرف زيد][2].

ذكروا أن جبريل عليه السلام كان يأتي النبي عليه السلام، فيعرض عليه القرآن كل عام عرضة، وأنه أتاه في العام الذي قُبِض فيه فعرضه عليه عرضتين. فقال بعضهم: فكانوا يرون العرضة الآخرة قراءة ابن عفان. وقال بعضهم: فكانوا يرون العرضة الآخرة قراءتنا هذه.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: أُبَيّ أقرأكم للقرآن[3].

ذكروا عن النبي ﷺ أنه قال: إن أرأف أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر بن الخطاب، وأصدقهم حديثاً عثمان بن عفان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرأهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، والأمين أبو عبيدة بن الجراح[4].

ذكروا أن عمر بن الخطاب قال: أقرأنا أُبي، وأقضانا علي بن أبي طالب.

ذكر الحسن أن رسول الله ﷺ قال لأُبيّ بن كعب: إن الله أمرني أن أقرئك القرآن. قال: وقد ذكرتُ ثَمَّ وسمّاني الله لك؟ قال: نعم. قال: فبكى أُبي[5].

---

(1) كذا في مخطوطتي د وز: «فاصنعه الآن» ولم أهتد لتحقيق الصواب في العبارة.

(2) زيادة من ز.

(3) حديث صحيح، أخرجه مسلم بمعناه ضمن حديث في كتاب فضائل الصحابة (2464) عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد ـ فبدأ به ـ ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة.

(4) حديث صحيح أخرجه أبو يعلى في مسنده عن ابن عمر. وفيه بعد ذكر عثمان: «وأقضاهم علي».

(5) حديث صحيح متفق عليه. أخرجه البخاري في المناقب، باب مناقب أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه. وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أُبي بن كعب... (2465)، كلاهما يرويه عن أنس بن مالك، وفي الحديث: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا» [البَيِّنة: 1].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من سرَّه أن يقرأ القرآن [غضّاً][1] جديداً فليقرأه على قراءة ابن مسعود[2].

ذكروا أن في مصحف أبي المعوّذتين، وليستا في مصحف عبد الله بن مسعود[3] قال [بعضهم][4]: وجاء بهما جبريل. أي بالمعوّذتين، للنبي بعد أن سحرته اليهود.

ذكر عقبة بن عامر الجهني قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالمعوّذتين. وكان ذلك في سفر.

ذكروا عن عقبة بن عامر قال: قال لي رسول الله ﷺ: اقرأ المعوّذتين فإنك لن تقرأ في القرآن مثلهما[5].

ذكروا عن رجل من التابعين أنه لما كتب المصحف جاء رجلان فشهدا على الآية أنهما سمعاها من النبي ﷺ فكتبت في المصحف. فجاء رجل[6] بهذه الآية: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُومِنِينَ رَءُوفٌ

---

(1) في مخطوطة د بياض قدر كلمة أثبت فيه كلمة «غضاً» كما وردت في بعض كتب الحديث.

(2) حديث صحيح أخرجه أحمد والحاكم، وأخرجه ابن ماجه في مقدمة سننه، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (138) بلفظ: «عن عبد الله بن مسعود أن أبا بكر وعمر بَشَّرَاه أن رسول الله ﷺ قال: من أحبّ أن يقرأ القرآن غضّاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابنِ أمِّ عبد».

(3) من هنا تبتدىء مخطوطة ع.

(4) زيادة لا بد منها ليستقيم المعنى لأن السند محذوف.

(5) حديث صحيح أخرجه الطبراني وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده ج 3 ص 16 (رقم 810) وزاد عقبة في آخر الحديث: وقد قال قوم إنهما ليستا من القرآن فقد كذبوا وأثموا. وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوّذتين (814) عن عقبة بن عامر. ولفظه: ألم تر آياتٍ أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط؟ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ)، (وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) [الفلق 1، والناس 1].

(6) قيل هو خُزَيْمَة بن ثابت الخَطْمِي الأنصاري. كان يُدعى ذا الشهادتين لأن رسول الله ﷺ أجاز شهادته بشهادة رجلين. انظر ابن عبد البر، الاستيعاب ج 2 ص 448، وانظر الذهبي سير أعلام النبلاء ج 2 ص 346-347.

رَّحِيمٌ) [سورة التوبة: 128]، فطلبوا معه رجلاً آخر فلم يجدوه، فقال عمر بن الخطاب: أنا أشهد أن رسول الله كان هكذا، فاكتبوها بشهادته وشهادتي، فكُتِبت بشهادتها.

ذكروا أن ميمونَ بنَ مهرانَ أو غيرَه قال: مصحفنا هذا ثلاث عشرة ومائة سورة[1]، ومصحف أُبي خمس عشرة ومائة سورة، وفيه هاتان السورتان: اللَّهُمَّ إنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ[2]. وفي مصحف ابن مسعود إحدى عشرة ومائة سورة ليس فيها المعوّذتان ولا سور أبيّ.

ذكروا عن ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان: كيف جعلتم براءة، وهي من الطُّوَل، مع الأنفال، وهي من المثين[3]، ولم تكتبوا بينهما سطر (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ)؟ فقال: إن رسول الله ﷺ كانت تنزل عليه الثلاث الآيات والأربع الآيات والخمس الآيات جميعاً، أو أقل من ذلك أو أكثر، فيقول اجعلوا آية كذا وكذا في سورة كذا وكذا في موضع كذا وكذا، واجعلوا آية كذا وكذا في موضع كذا وكذا في سورة كذا وكذا. وإنه قبض ولم يقل لنا في براءة شيئاً. ونظرنا قصتهما متشابهة[4] فجعلناها معها ولم نكتب بينهما سطر (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ).

ذكر أبو حمزة أن إبراهيم النخعي رأى في مصحفه: فاتحة كذا وكذا، فاتحة كذا وكذا فقال لي: امحه، فإن عبد الله بن مسعود قال: لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس فيه.

---

(1) هذا العَدُّ يجعل سورتي الأنفال والتوبة سورةً واحدة.

(2) تُسمَّيان سورتي الحفد والخلع. وقد أوردهما السيوطي في الإتقان ج 1 ص 185.

(3) كذا في د وع: «وهي من المثين»، والصحيح أن الأنفال من المثاني باتفاق، واختلف في براءة هل هي من الطول أو من المثين. فبعضهم جعلها مع الأنفال سورة واحدة وعدّها مكمّلة للسبع الطول، وبعضهم جعل يونس بدلاً عنها وجعل براءة من المثين. انظر تفسير القرطبي ج 8 ص 62، والسيوطي، الإتقان ج 1 ص 172.

(4) كذا في ع. وفي د: «وكانت قصتهما متشابهة». وفي تفسير الطبري 102:1: «وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها... فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) ووضعتها في السبع الطول».

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أخلصوا القرآن وامحضوه[1].

ذكروا عن ابن عمر أنه كان يكره نقط المصاحف. غير واحد من السلف أنه كره نقط المصاحف.

قال [بعضهم]: وإنه نزل بمكة بعض ما أمر به لما يكون بالمدينة ويعملون به إذا قدموا المدينة. وقد فسّرنا هذه الوجوه في مواضعها من التفسير[2].

ذكروا عن أبي الدرداء أنه قال: إذا زَخْرَفتم مساجدَكم وحلّيتم مصاحفَكم فعليكم الدَّبارُ[3].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوماً: أيُّ الخلق أعجب إيماناً؟ قالوا: الملائكة. قال: الملائكة في السماء، فما لهم لا يؤمنون؟ ثم قال: أي الخلق أعجب إيماناً؟ قالوا: النبيّون. قال: النبيون ينزل عليهم الوحْي، فما لهم لا يؤمنون؟ فقال: أي الخلق أعجب إيماناً؟ قالوا أصحابك. قال: أصحابي يرونني ويسمعون كلامي. فما لهم لا يؤمنون؟ ثم قال: أعجب الخلق إيماناً قوم يأتون بعدكم، يجدون كتاباً في رَقٍّ فيؤمنون به[4].

---

(1) لم أجده فيما بين يدي من المصادر حديثاً مرفوعاً.

(2) هذه الجملة تدل على أن المؤلف كتب المقدمة بعد أن أنهى تفسيره. وانظر السيوطي. الإتقان 1:104.

(3) هذا نص حديث أخرجه أبو عبد الحكيم الترمذي في نوادر الأصول مرفوعاً، كما ذكر ذلك القرطبي في تفسيره ج 12 ص 267 من حديث أبي الدرداء. وأورده الشوكاني في نيل الأوطار ج 2 ص 55 موقوفاً على أبي الدرداء كما ورد هنا. وذكره ابن منظور في اللسان: (دبر) فقال: «وفي حديث أبي هريرة (كذا) إذا زوّقتم مساجدكم وحلّيتم مصاحفكم فالدبار عليكم». ويؤيد ما جاء في هذا الحديث حديث رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب بناء المساجد (448): «عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ما أمرت بتشييد المساجد. وقال ابن عبّاس: لتُزخرِفُنَّها كما زخرفت اليهود والنصارى».

(4) أخرجه أبو داود الطيالسي البصري في مسنده عن محمد بن أبي حميد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر بألفاظ قريبة مما وردت عليه هنا. وفيه: «أي الخلق أفضل إيماناً؟».

قال بعض أهل العلم: حدّثونا أن السور لم تنزل كل سورة منها جملة، إلا اليسير منها. ولكن النبي ﷺ قد كان سمَّى السوَرَ، فكلّما نزل من القرآن شيء أمر أن يضعوه من السورة في المكان الذي يأمرهم به، حتى تمَّت السور. وكان أمر أن يوضع في بعض السور المكية من المدني، وأن يُجعل في بعض السور المدنية من المكّيّ.

كان جبريل يأتي النبيَّ ﷺ فيقول: إن الله يأمرك أن تضع كذا وكذا بين ظهراني كذا وكذا من السورة.

وقد نزل المكي قبل المدني. وإن هذا التأليف الذي أُلِّف بين السور لم ينزل على هذا التأليف، ولكنه وُضع هكذا؛ لم يجعل المكي من السور على حدة يتبع بعضها بعضاً كلها في تأليف السور.

وإن ما أُنزل بمكة وما أُنزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي عليه السلام المدينة فهو من المكي. وما أُنزل على النبي عليه السلام في أسفاره بعدما قدم المدينة فهو مدني. وما كان من القرآن (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) فهو مدني، وما كان (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) ففيه مكي ومدني، وأكثرُهُ مكي.

ذكروا عن أبي الدرداء أنه قال: نزل القرآن على ست آيات: آية مبشِّرة، وآية منذرة، وآية فريضة، وآية تأمرك، وآية تنهاك، وآية قصص وأخبار.

ذكر الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال: نزل القرآن على أربعة أوجه: حلال وحرام لا يسع الناسَ جهلهُ، وتفسير يعلمه العلماء، وعربية تعرفها العرب، وتأويل لا يعلمه إلا الله، (والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ، كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا) [آل عمران: 7][1].

---

(1) إن ابنَ عباس رضي الله عنه، يجعل الكلام في هذه الآية يتم عند قوله تعالى: (إِلاَّ اللهُ)، وعليه الوقف في قراءة ورش عندنا بالمغرب. فيجعل الواو في قوله (وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ) للاستئناف لا للعطف. وفي هذه المسألة خلاف مشهور بين علماء التفسير. فكأن في القرآن آياتٍ تبقى سراً مجهولاً لا يعلم حقيقة تأويلها إلا الله. ونحن متعبِّدون بتلاوتها والإيمان بها. =

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ما في القرآن آية إلا لها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلا وهو حدّ، ولكل حدٍّ مُطَّلَع[1]. ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: ما في القرآن آية إلا ولها بطن. قيل: وما حدٌّ ومُطَّلَعٌ؟ قال: ليس منه حد إلا سيطَّلع عليه قومٌ يعملون به.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار[2]. وذكروا عن ابن عباس أنه قال: الجريء من قال في الكتاب برأيه.

ذكروا عن أبي بكر الصديق أنه قال: أيُّ أرض تُقِلُّني وأيُّ سماء تظلّني إن فسّرت القرآن برأيي[3]. قال بعض أهل العلم: بلغني أنه من فسّر القرآن برأيه فإن أصاب لم يؤجر وإن أخطأ أثِم.

= وهذا قول ذهب إليه الجمهور، منهم ابن عمر وابن مسعود وأُبي بن كعب وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز.

(1) جاء هذا الحديث مضطربَ العبارة في ع، وسقطت بعض ألفاظه في د، فأثبت تصحيحه من بعض كتب التفسير التي أوردته. فقد رواه الطبري مثلاً في تفسيره بإسنادين في المقدمة 22:1 ثم شرحه بتفصيل بعد ذلك في ج 1 ص 72. وانظر تخريج الحديث للمحدّث الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر في تفسير الطبري ج 1 ص 22 تعليق: 3.

وخلاصة معنى الحديث ـ والله أعلم ـ أن لكل حرف حداً حدّه الله في معناه وحكمه يجب على الإنسان أن يقف عنده ولا يتجاوزه. وأن لكل حد مُطَّلَعاً، أي قدراً من جزاء، خيراً يكون أو شراً ـ سيطّلع عليه المرء ويلاقيه يوم القيامة. وللحديث شرح آخر. انظر الألوسي، روح المعاني ج 1 ص 7.

(2) أخرجه أحمد في المسند، وأخرجه الترمذي في أول أبواب تفسير القرآن وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه البغوي في شرح السنة ج 1 ص 258. وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 1 ص 77-78 من عدة طرق. وكلهم يرويه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

(3) روى هذا الخبرَ ابنُ جرير الطبري في تفسيره ج 1 ص 78، من طريقين عن أبي معمر. وانظر تفسير ابن كثير ج 1 ص 11.

وإنه لا يعرف تفسير القرآن إلا من عرف اثنتي عشرة خصلة: المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والتقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والخاص والعام، والإضمار[1] والعربية.

ذكروا أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس فقال: اللَّهمَّ فقِّهه في الدين وعلِّمه التأويل[2].

ذكروا أن الحسن كان يسأل أصحاب النبي عليه السلام عن تفسير القرآن، فيسأل عن الآيات، فيقال نزلت في بني فلان، فيذهب إليهم حتى يسألهم عنها.

ذكروا أن جملة التفسير جاء عن ابن عباس والحسن، وأن تفسير مجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك بن مزاحم والكلبي عن أبي صالح كله عن ابن عباس. وكل المفسرين إنما يدورون على ابن عباس والحسن.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: كنا نتعلّم العشر آيات فلا نجاوزهن حتى نتعلّم العلم بهن، فكنا نتعلم العلم ونتعلم العمل[3].

ذكروا عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: تعَلَّموا القرآن وعلِّموه الناس،

---

(1) يقصد بالإضمار الحذف.

(2) حديث صحيح متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ اللهم علِّمه الكتاب، «عن عكرمة عن ابن عباس قال: ضمَّني رسول الله ﷺ وقال: اللَّهم علِّمه الكتابَ. وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (رقم 2477) بلفظ: «اللهم فقِّهه».

(3) كذا في ع وفي د. وفي رواية أخرى: «كنا لا نجاوز عشر آيات حتى نعرف أمرها ونهيها وأحكامها». وهذا هو معنى العلم بهن. انظر الدكتور محمد رواس قلعه جي، موسوعة فقه ابن مسعود، ص: 498. نشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة، طبع مطبعة المدني القاهرة 1404-1984.

ووردت العبارة في تفسير الطبري هكذا: «كان الرجل منا إذا تعلَّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن».

وتعلَّموا العلم وعلِّموه الناس، وتعلَّموا الفرائضَ وعلِّموها الناس. ألا أنه سيأتي زمان يختلف الرجلان في فريضة فلا يجدان أحداً يفصل بينهما[1].

(1) أخرجه الدارقطني في سننه، في كتاب الفرائض عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً. ورواه الترمذي مختصراً عن أبي هريرة في أبواب الفرائض، باب ما جاء في تعليم الفرائض ولفظه: «تعلَّموا الفرائض والقرآن وعلِّموا الناس فإني مقبوض». وقال الترمذي هذا حديث مضطرب. وأخرج البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه، عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال خيركم (وفي رواية) أفضلكم من تعلّم القرآن وعلّمه.

تفسير فاتحة الكتاب، وهي مكية كلها

[قوله: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾][1]. ذكروا عن الحسن قال: هذان اسمان [ممنوعان][2] لم يستطع أحد من الخلق أن ينتحلهما: الله والرحمٰن. قال بعض أهل العلم: إن المشركين قالوا: أما الله فنعرفه، وأما الرحمٰن فلا نعرفه، فأنزل الله: (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ قُلْ)، يا محمد، (هُوَ رَبِّي) [سورة الرعد: 30].

ذكروا عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله: أنا الرحمن. شققت الرحم من اسمي فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته[3].

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: كنا نكتب باسمك اللهم [زماناً][4]، فلما نزلت: (قُلْ ادْعُوا اللهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ) [الإسراء: 110] كتبنا: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ). فلما نزلت: (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٰنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) [سورة النمل: 30] كتبنا: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ).

---

(1) لم تكتب البسملة هنا في أول الفاتحة، والصواب إثباتها لأن ما يلي تفسير لها.

(2) زيادة من ز، ورقة 3.

(3) كذا ورد هذا الحديث في ع، و ق، و د عن أبي الدرداء. وقد رواه الترمذي بسند أيضاً عن عبد الرحمٰن بن عوف بلفظ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا الله وأنا الرحمٰن، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتتُّه.

(4) زيادة من ز، ورقة 3.

ذكروا عن سلمان الفارسي أنه قال: [قال رسول الله ﷺ][1]: إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة كل رحمة منها طباقها السماوات والأرض، فأنزل الله منها رحمة واحدة، فبها تتراحم الخليقة حتى ترحمَ البهيمةُ بهيمتَها، والوالدة ولدها. فإذا كان يوم القيامة جاء بتلك التسع والتسعين رحمة، ونزع تلك الرحمة من قلوب الخليقة فأكملها مائة رَحمةٍ، ثم يضعها بينه وبين خلقه. فالخائب من خُيِّب من تلك المائة رحمة[2].

ذكروا عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لا يدخل الجنةَ إلا رحيم، قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم، يرحم الرجل نفسه ويرحم ولده، ويرحم أهله. قال: لا، حتى يرحم الناس جميعاً[3].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إنما يضع الله رحمته على كل رحيم[4].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: السبعُ المثاني فاتحةُ الكتاب[5]. غير واحد من

---

(1) زيادة لا بد منها لأن ما يلي نص حديث صحيح باختلاف يسير في ألفاظه.

(2) أخرجه أحمد والبيهقي. وأخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه (2753)، كلهم يرويه عن سلمان مرفوعاً. وأخرجه ابن ماجه مرفوعاً أيضاً عن أبي سعيد في كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (4294)، إلا الجملة الأخيرة فإنها لم ترد ـ فيما أعلم ـ إلا في هذه الرواية هنا، ولعلها من قول سلمان نفسه.

(3) لم أجده فيما بين يدي من المصادر.

(4) لم أجده بهذا اللفظ: وشبيه بلفظه ومعناه ما رواه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت (923) من آخر الحديث الذي رواه أسامة بن زيد: «قال رسول الله ﷺ: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحمُ الله من عباده الرحماءَ».

(5) حديث صحيح أخرجه ابن جرير وابن المنذر عن عمر بن الخطاب موقوفاً. وأخرجه أبو الشيخ وابن مردويه عن أبي هريرة موقوفاً كذلك. وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب فاتحة الكتاب (1457) عن أبي هريرة مرفوعاً، وأخرجه الترمذي عنه كذلك مرفوعاً. وأخرجه الدارمي وابن مردويه والحاكم في مستدركه مرفوعاً عن أُبي بن كعب. انظر السيوطي: الدر المنثور ج 4 ص 104.

العلماء قال: السبع المثاني هي فاتحة الكتاب. وإنما سمّيت السبع المثاني لأنهن يثّنين في كل قراءة، يعني في كل ركعة.

ذكر أبو زيد[1] قال: كنت مع النبي ﷺ ليلة نمشي في بعض طرق المدينة، ويدي في يده، إذ مررنا برجل يتهجّد من الليل، وهو يقرأ فاتحة الكتاب، فذهبت أكلم النبي عليه السلام، فأرسل يدي من يده وقال: صه، وجعل يستمع. فلما فرغ الرجل منها قال لي رسول الله ﷺ: ما في القرآن مثلُها[2].

ذكروا عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لأُبيّ: لأعلمَنّك سورة ما في القرآن مثلُها، ولا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور مثلُها هي أعظم: هي فاتحة الكتاب[3].

ذكروا عن أُبيّ بن كعب قال: قال الله: يا ابن آدم أنزلت عليك سبع آيات ثلاث منهن لي، وثلاث منهن لك، وواحدة بيني وبينك، (الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، مٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، هذه لله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [هذه بين الله وابن آدم][4]. (اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ). هذه لابن آدم[5].

---

(1) لم يبيّن المؤلفُ من هو أبو زيد هذا. وهو واحد من ستة أو سبعة من الأنصار كلهم بهذه الكنية، ذكرهم أبو عمرو بن عبد البر في الاستيعاب ج 4 ص 1663-1666 ولعله واحد من الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ.

(2) لم أجد هذا الحديث ولا سبب وروده فيما بين يدي من مصادر التفسير والحديث.

(3) أخرجه الإمام أحمد والترمذي والنسائي من طرق برواية أبي هريرة عن أُبي بن كعب وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(4) زيادة يقتضيها سياق الكلام.

(5) هذا معنى حديث قدسي جاء في الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب في كتاب الصلاة ووجوبها باب في القراءة في الصلاة (224)، ورواه مسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب القراءة في كل ركعة (395) عن أبي هريرة. وأوله: يقول الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل... الحديث.

ذكروا عن الحسن قال: هذا دعاء أمر اللهُ رسولَه أن يدعوَ به، وجعله سنةً له وللمؤمنين.

ذكروا عن ابن عباس أنه كان يجهر بـ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) في الصلاة، ويقول: من تركها فقد ترك آية من كتاب الله. وابنُ عباس كان يجعل (صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) آية واحدة.

قوله تعالى: ﴿ اَلْحَمْدُ لِلهِ ﴾. قال الحسن: حمد الرب نفسه، وأمر العباد أن يحمدوه. والحمد شكر النعمة. ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾. العالَمون الخَلق. يقول: الحمد لرب الخلق[1].

قوله: ﴿ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يقرأونها: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[2]. وتفسيرها على هذا المقرإ مَالِكه الذي يملكه، من قِبَل المِلك. وبعضهم يقرأونها: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) يعنون بهذا المقرإ أنه من قِبَل المُلك. وبعضهم يقرأها: (مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ) يجعلها نداء[3]. وتفسيره على الدعاء: يا مالكَ يَوْمِ الدِّينِ. ويوم الدين هو يوم الحساب في تفسير مجاهد والحسن. وقال بعضهم: يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم. وقولهم جميعاً في هذا واحد.

---

(1) كذا في د: «الحمد». وفي ع و ق: «الشكر لرب الخلق».

(2) كذا في د، و ق، و ع، و ز «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ». وقد روى الترمذي في أبواب القراءات عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقرأها: «مَلِك يَوْمِ الدِّينِ».

وقد اختلف العلماء كثيراً في أي اللفظين أبلغ: (مَلِكِ) أو (مَالِكِ)، وأدلى كل برأيه وحجته. فرجّح الطبري مثلاً في تفسيره ج 1 ص 149 قراءة: (مَلِك) وبيّن علل ترجيحه. انظر تفسير القرطبي ج 1 ص 140، واقرأ ملخّصاً وافياً لهذه الآراء، وكلاماً نفيساً في الموضوع لأحد علمائنا الأعلام سماحة الشيخ / أحمد بن حمد الخليلي ـ أمَدَّ الله في أنفاسه ـ في كتابه: جواهر التفسير ج 1، ص 231-238، نشر مكتبة الاستقامة، روى، سلطنة عُمان 1404/1984.

(3) في ق و ع و د: «صراخاً» وأثبت ما جاء في ز: «نداء» فهو أنسب وأبلغ.

[قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ][1] آهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾. هذا دعاء؛ سأله المؤمنون الهدى والاستقامة في كل قول وعمل. (اهْدِنَا) أي: أرشدنا. قال بعض المفسرين: (الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ)، يعني الطريق المستقيم إلى الجنة، وهو دين الإسلام. ذكروا عن ابن مسعود وابن عمر قالا: ترك النبي عليه السلام طرفَ الصراط عندنا وطرفَه في الجنة.

قوله: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾. يعني بالإسلام. قال بعضهم: (الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم) هم الأنبياء؛ وهو كقوله: (أُولَئِكَ الذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ. .) إلى آخر الآية. [سورة مريم: 58] والإسلام يجمعهم جميعاً.

قوله: ﴿ غَيْرِ المَغْضُوبِ ﴾ يعني اليهود. ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ يعني النصارى. والمشركون كلهم مغضوب عليهم وكلهم ضالون، ولكن اليهود والنصارى يقرأون الكتابين: التوراة والإنجيل وينتحلونهما، ويزعمون أنهم يدينون بهما. وقد حرَّفوهما، وهم على غير هدى. ذكروا عن الحسن أنه قال: المغضوب عليهم اليهود، والضالون النصارى[2].

---

(1) لم يرد في أي مخطوطة ذكر لهذه الآية ولا تفسير لها. ومن المستبعد أن يكون المؤلف ترك تفسيرها، فقد ورد في ز ما يلي: «قال محمد: معنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع».

(2) أخرجه الترمذي من حديث طويل عن عدي بن حاتم عن رسول الله ﷺ بلفظ: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال». وقال الترمذي حديث حسن غريب. وأخرجه أحمد في مسنده أيضاً.

تفسير سورة (البقرة). وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾. قوله: ﴿ الٓمٓ ﴾. كان الحسن يقول: ما أدري ما تفسير (الٓمٓ وَالٓرٰ وَالٓمٓصٓ) وأشباه ذلك [من حروف المعجم][1]. غير أن قوماً من المسلمين كانوا يقولون: أسماء السور ومفاتحها[2].

ذكروا عن علي بن أبي طالب أنه قال: (الٓر، وحمٓ، ونٓ) هو الرَّحْمٰنُ. يقول: إنه يجعلها اسماً من أسماء الله حروفاً مقطعة في سور شتى، فإذا جمعها صار اسماً من أسماء الله، وهو مبتدأ الاسم.

وكان الكبي يقول: هي الأُخَر المتشابهات[3].

قال: بلغنا أن رهطاً من اليهود، منهم كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب، وأبو ياسر، دخلوا على النبي ﷺ فسألوه عن (الٓمٓ ذَلِكَ الكِتَابُ) [البقرة: 1] فقال حيي: إنه بلغني أنك قرأت (الٓمٓ ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ). أناشدك الله، إنها أتتك من السماء؟ فقال رسول الله: نعم، والله لكذلك نزلت. قال

(1) زيادة من ز، ورقة: 3.

(2) كذا في ق و ع و د: «مفاتحها». وفي ز: «فواتحها».

(3) لعل هذا القول هو أقرب الأقوال إلى الحق والصواب. ويعجبني ما ذكره ابن أبي زمنين في مخطوطة مختصر تفسير ابن سلام ورقة: 4. قال: «وقد سمعت من اقتدى به من مشايخنا يقول: الإمساك عن تفسيرها أفضل».

حيي: إن كنت صادقاً أنها أتتك من السماء إني لأعلم أُكُل[1] هذه الأمة. ثم نظر حيي إلى أصحابه فقال: كيف ندخل في دين رجل إنما ينتهي أُكُل أمته إلى إحدى وسبعين سنة. فقال له عمر: وما يدريك أنها إحدى وسبعون سنة؟ فقال لهم حيي: أما الألف فهي في الحساب واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون. فضحك رسول الله ﷺ. فقال له حيي: هل غير هذا؟ فقال نعم. قال: ما هو؟ قال: (الٓمٓصٓ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُومِنِينَ) [الأعراف: 1 - 2]. فقال: هذا أكثر من الأول: هذا إحدى وثلاثون ومائة سنة؛ نأخذه من حساب الجُمَّل[2]. قال: هل غير هذا؟ قال: نعم. قال: ما هو؟ قال: (الٓرٓ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُن حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [هود: 1]. قال حيي: هذه أكثر من الأولى والثانية. فنحن نشهد لئن كنتَ صادقاً ما ملك أُمتِك إلا إحدى وثلاثون ومائتا سنة، فاتّق الله ولا تقل إلا حقاً. فهل غير هذا؟ قال: نعم. قال: ما هو؟ قال رسول الله ﷺ: (الٓمٓرٓ تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُومِنُونَ) [الرعد: 1]. قال حيي: فأنا أشهد أنا من الذين لا يؤمنون بهذا القول، لأن

(1) الأُكُل، بضم الهمزة وبضم الكاف أو إسكانها، هو حظ الإنسان من هذه الدنيا ورزقه فيها، يقال للميّت: انقطع أُكْله. انظر اللسان: (أكل).

(2) الجُمّل، بضم الجيم وتشديد الميم المفتوحة هو الحساب الخرافي المبني على الحروف المقطّعة أ، ب، جـ، د. انظر اللسان: (جمل). وزعم ابن دريد أن الكلمة دخيلة، وتبعه أبو منصور الجواليقي فقال: «أما الجمّل من الحساب فلا أحسبه عربياً فصيحاً، وهو ما قطّع على حروف أبي جاد». انظر الجواليقي، المعرّب ص 148.

وحساب الجمّل هذا من مناكير الإسرائيليات التي يحرُم اعتقاد صحتها. ومن العجيب أن نرى اليوم بعض الدجّالين ممن يدّعي العلم يحاول أن يتنبّأ ـ اعتماداً على هذه الحروف المقطّعة والأعداد الوهمية ـ بنهاية هذه الأمة، أي: بقيام الساعة. وهذا كفر صُراح ومصادمة وَقِحة لنصوص القرآن القطعيّة وللآيات البيّنات التي وردت في أمر قيام الساعة. وهذا مما استأثر الله بعلمه. وأرشد رسوله ـ ﷺ ـ أن يقول لمن يسأله عنها: (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً....) الآية. [الأعراف: 187]. فكيف يزعم زاعم، وإن أوتي من العلم ما أوتي، أنه يمكن لبشر أن يعرف أُكل هذه الأمة؟ سبحانك ربي هذا بهتان عظيم! المحقق.

هذه الآية أكثر؛ هذه إحدى وسبعون ومائتا سنة. فلا أدري بأيٍّ قولك نأخذ، وبأي ما أنزل عليك نتَّبع. قال أبو ياسر: أما أنا فأشهد أن ما أنزل الله على أنبيائنا أنه الحق، وأنهم قد بَيَّنوا على ملك هذه الأمة ولم يوقِّتوا كم يكون أُكلهم حتى كان محمد، فإن كان محمد صادقاً كما يقول، إني لأراه سيجمع لأمته هذا كله: إحدى وسبعين، وإحدى وثلاثين ومائة، وإحدى وثلاثين ومائتين، وإحدى وسبعين ومائتين [فهذه][1] سبعمائة وأربع سنين. فقال القوم كلهم: قد اشتبه علينا أمرك، فلا ندري بالقليل نأخذ أم بالكثير.

فذلك قوله: (هُوَ الذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَـبَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَـتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَـبِ) [سورة آل عمران: 7] هن ثلاث آيات من آخر سورة الأنعام؛ أولاهن: (قُلْ تَعَالَوا اتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّن امْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ][2] [الأنعام: 151 - 153]. هذا في تفسير الكلبي.

وفي تفسير غيره من السلف، فإنه[3] يجعل الأنعام مكيةً كلَّها. وكان هذا الأمرُ بالمدينة.

---

(1) زيادة لا بد منها للإيضاح. وفي ع: «ومائتين وسبعمائة» وزيادة الواو هنا خطأ لأنه لم يسبق لهذا العدد الأخير ذكر، بل هو مجموع ما سبق من الأعداد. وقاتل الله اليهود، فما أشد جحودهم وكفرهم وعنادهم! وهذا حديث واه لا قيمة له، ضعَّفه كل رجال الحديث. انظر مثلاً: الطبري ج 1 ص 216، وابن كثير ج 1 ص 68، والسيوطي، الدر المنثور ج 1 ص 23.

(2) لم تذكر المخطوطات الثلاث ق و ع و د هذه الآية فزدتها حتى تكمل بها الآيات المحكمات الثلاث.

(3) كذا وردت هذه العبارة في ق و ع و د، وفيها ضعف واضطراب.

قال الكلبي: وأمّا المتشابه [فـ][1] (أَلّمٓ وأَلّمٓصٓ وألٓر). قال الله: (فَأَمَّا الَّذينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ) لهؤلاء النفر من اليهود، مما كانوا يحسبون من ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كم يكون أُكل هذه الأمة؛ ولا يعلم ما كتب الله لهذه الأمة من الأُكل، أي: المدة، إلا الله.

وغير الكلبي يفسّر المتشابهات على وجه آخر. وسنفسّر ذلك في سورة آلِ عِمْرَانَ إن شاء الله.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ الكِتَـٰبَ﴾ أي هذا الكتاب ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا شك فيه. ﴿هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يعني بياناً للمتّقين الذين يتّقون الشّرك؛ يهتدون به إلى الجنة. وبلغنا عن ابن مسعود أنه كان يقرأها: (لَا شَكَّ فِيهِ).

﴿الذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: الذين يصدِّقون بالبَعثِ وبالحساب وبالجنة وبالنار، وكل هذا غُيِّب عنهم.

قوله: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾. يقول: ويقيمون الصلواتِ الخمسَ المفروضةَ عليهم، يحافظون على وضوئها ومواقيتها، وركوعها وسجودها على ما سنَّ رسولُ الله ﷺ في كل صلاة منها.

قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُـمْ يُنْفِقُونَ﴾ يعني الزّكاة المفروضة على ما سنَّ رسول الله ﷺ[2] في الذهب والفضة، والإبل والبقر والغنم، والبر والشعير، والتمر والزبيب. وفي قول الحسن وغيره من أصحابنا[3]: وما سوى ذلك فليس فيه زكاة حتى يُباع فتكون فيه زكاة الأموال، يُزكّيه مع ماله إذا زكّى إن كان له مال. وبعض أصحابنا

(1) زيادة لا بد منها.

(2) في مخطوطة ز: «يعني الزكاة المفروضة على سنتها أيضاً». وهذا التفصيل هو من زيادة الشيخ هود الهواري ولا شك.

(3) إذا وردت كلمة «أصحابنا» من الشيخ الهواري فإنما يقصد بها علماء الإباضية. وسيذكرهم بأسمائهم عند تفسير بعض آيات الأحكام خاصة؛ يذكر جابر بن زيد، وأبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ويزيد أحياناً: «والعامة من فقهائنا».

يجعل الذُّرة مع البر والشعير. وقد فسَّرنا ذلك في أحاديث الزكاة[1].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: السنة سنتان، وما سوى ذلك فريضة: سنة في فريضة، الأخذ بها هدى وتركها ضلالة، وسنة في غير فريضة، الأخـذ بها فضيلة وتركها ليس بخطيئة[2].

قوله: ﴿ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ أي والذين يصدِّقون بما أنزل إليك من القرآن ﴿ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ أي من التوراة والإنجيل والزبور؛ نؤمن بها ولا نعمل إلا بما في القرآن. قال: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي أنها كائنة. ﴿أُولَئِكَ﴾ أي الذين كانت هذه صفتهم ﴿ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ أي على بيان من ربهم. ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ يعني هم السعداء، وهم أهل الجنة.

قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِم ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ فهؤلاء الذين يلقون الله بكفرهم، لأنهم اختاروا العمـى على الهدى[3]. ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلوبِهِمْ﴾ [يعني طبع، فهم لا يفقهون الهدى] ﴿ [وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ فلا يسمعونه

---

(1) في هذه العبارة إشارة واضحة إلى مؤلَّف في فقه الحديث. ولنا أن نتساءل: هل هذه العبارة للشيخ هود الهواري ـ كما يدل عليه سياق الكلام ـ أم أنها لابن سلام؟ قد لا يستطيع أحد أن يقدِّم جواباً شافياً وبصفة جازمة، ما لم يعثر على الربع الأول كاملاً من تفسير ابن سلام نفسه. أما القِطع المصوَّرةُ التي اطلعتُ عليها من هذه السورة في دار الكتب المصرية بالقاهرة فلم يرد فيها ذكر لهذا الكتاب. فإذا ثبت أن العبارة ليست لابن سلّام فمعنى ذلك أن للشيخ هود مؤلَّفاً في الحديث لم تشر إليه المصادر الإباضية التي بين أيدينا. والراجح عندي أن الكتاب هو «الجامع» لابن سلام، الذي ذكره ابن الجزري في غاية النهاية ج 2 ص 373.

(2) لم أجد هذا القول حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ، وسيتكرر وروده في هذا التفسير وأقرب ما وجدته من ذلك قول نسب إلى مكحول بلفظ: «السنة سنتان: سنة أخذها هدى وتركها ضلالة، وسنة أخذها حسن وتركها لا بأس به». انظر السرخسي، أصول السرخسي ج 1 ص 144 تحقيق أبي الوفاء الأفغاني ط دار الكتاب العربي بمصر 1372، وانظر ابن سلام، التصاريف، ص 79.

(3) كذا ورد تفسير هذه الآية في ق و ع و د. أما في ز فجاء التفسير هكذا: «يعني الذين سبق لهم في علم الغيب أنهم يلقون الله بكفرهم.

﴿ وَعَلَى أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ﴾ فلا يبصرونه ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] ﴾[1] بفعلهم الكفرَ الذي استحبوه واختاروه على الإيمان، فهؤلاء أهل الشرك.

ثم ذكر الله صنفاً آخر من الناس، يعني المنافقين فقال: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: أقروا لله بألسنتهم وخالفت أعمالهم. وما هم بمؤمنين، أي: حتى يستكملوا دين الله ويوفوا بفرائضه كـ(إبرٰهِيـمَ الَّذِي وَفَّىٰ) [سورة النجم: 37] أي الذي أكمل الإيمان وأكمل الفرائض.

قوله: ﴿يُخَـٰدِعُونَ اللهَ وَالذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي بما أعطوهم من الإقرار والتصديق، وأعطوا الحقوق من الزكاة، يخادعون بذلك رسول الله ﷺ والمؤمنين[2]؛ فجعل الله مخادعتهم رسولَه والمؤمنين كمخادعة منهم لله. وهو كقوله: (إِنَّ الذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ) [الفتح: 10]. والإيمان بالنبي عليه السلام إيمان بالله، والكفر به هو كفر بالله، وكذلك مخادعة الله. قال: ﴿ وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ أي: إن ذلك يرجع عليهم عذابه وثواب كفره. وتفسير خدعة الله إياهم في سورة الحديد[3] ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي أن ذلك يصير عليهم.

ثم قال: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ يعني بذلك النفاق. يقول: في قلوبهم نفاق، فنسب النفاق إلى القلب كما نسب الإثم إليه، كقوله في الشهادة: (وَمَن يَّكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ) [سورة البقرة: 283] قال: ﴿ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ﴾ أي الطبع على قلوبهم بكفرهم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني عذاباً موجعاً ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ مخفّفة؛ أي: بقولهم: إنا مؤمنون وليسوا بمؤمنين إذ لم يستكملوا فرائض الله ولم يوفوا بها. فهذا تفسير من قرأها بالتخفيف. ومن قرأها بالتثقيل: (بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ) فهو يريد: بعض

(1) ما بين المعقوفين كله ساقط من ق و ع و د، وأثبته من ز. والعبارة: «بفعلهم الكفر». . . إلى آخر الجملة غير واردة في ز.

(2) في ز وردت زيادة بلفظ: «حتى يكفوا عن دمائهم وأموالهم وسبي ذراريهم».

(3) يشير إلى قوله تعالى: (يَوْمَ يَقُولُ المُنافِقُونَ والمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أنْظُرونَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ. . .) إلى آخر الآيتين [الحديد: 13-14].

العمل أيضاً تكذيب[1]؛ يقول: إن التكذيب تكذيبان: تكذيب بالقول وتكذيب بالعمل. ومثله في اللغة أن يقول القائل للرجل إذا حمل على صاحبه فلم يحقق في حملته: كَذَبَ الحملةَ، وإذا حقّق قالوا: صدق الحملة. فمن قرأها بالتخفيف فهو يريد الكذب على معنى ما فسّرناه أولاً. وأخت هذه الآية ونظيرتها التي في براءة: (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) [سورة التوبة: 77]. يقول: أعقبهم، بالخلف والكذب الذي كان منهم، نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه. ومن قرأها بالتثقيل فهو بالمعنى الآخر الذي وصفناه آخراً، ولا يعني به جحداً ولا إنكاراً، لأن مرض النفاق غير مرض الشرك، وكذلك كفر النفاق غير كفر الشرك.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ بالعمل بالمعصية[2] ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يزعمون أنهم بمعصية الله والفساد في الأرض مصلحون. قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ المُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أن الله يعذبهم في الآخرة ولا [ينفعهم][3] إقرارهم وتوحيدهم. وهذا يدل على أن المنافقين ليسوا بمشركين.

---

(1) جاء في د: «يريد: بعض العمل أيضاً قول». وهو خطأ. وفي ق و ع: يريد بعض العمل أيضاً يقول. . . » وفيها نقص. والصحيح ما أثبته؛ فإن ما بعده من تفصيل يؤكده. وانظر ابن خالويه، الحجة ص 44. وقد رجّح الطبري في تفسيره ج 1 ص 284 القراءة بتخفيف الذال.

(2) جاء في ز: «(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ) يعني لا تشركوا. (قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) أي أظهروا الإيمان (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ المُفْسِدُونَ وَلَكِن لَا يَشْعُرُونَ) أن الله يعذبهم في الآخرة». وهذا تفسير ابن سلّام ولا شك. وما جاء من تغيير في التأويل أو من زيادة مما أثبتّه من د و ق و ع فهو للشيخ هود الهواري. وهذا نموذج من عمله في كامل الكتاب؛ فما جاء في تفسير ابن سلّام موافقاً لأصول الإباضية أثبته، وما خالفها حذفه وأثبت مكانه ما وافق رأي الإباضية في مسألة الإيمان والكفر وفي مسائل أخرى من مسائل الخلاف.

(3) زيادة لا بد منها ليتم المعنى وتصح العبارة. وقدأورد القطب (اطفيش محمد) في تفسيره: هميان الزاد، ج 1 ص 269 و ص 273 قول الشيخ هود هذا وعلّق عليه.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ يعني: وإذا قال لهم النبي ﷺ والمؤمنون آمنوا كما آمن الناس أي: أكملوا إيمانكم بالفعل الذي ضيعتموه. كما آمن الناس أي: كما آمن المؤمنون المستكملون القول والعمل ﴿قَالُوا﴾ يقول بعضهم لبعض: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ أنؤمن كما آمن سفيه بني فلان وسفيه بني فلان ممن آمن ووفّى، يعيبونهم بالوفاء والكمال، ولم يعلنوا ذلك للنبي عليه السلام. قال الله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ أنهم سفهاء في تفسير الحسن. وفي تفسير السّدّي: ولا يعلمون أن الله يخبر نبيّه بقولهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ يعني الكفار في تفسير الحسن. وفي تفسير غيره من أصحابنا: إلى كبرائهم وقادتهم في الشر[1] ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بمحمد وأصحابه. وتفسير الاستهزاء في هذا الموضع: إنما نحن مخادعون محمداً وأصحابه. يقول الله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ أي الله يخدعهم بمخادعتهم رسولَه. وقال في سورة النساء: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) [النساء: 142].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: يُجاء بالمستهزئين يوم القيامة فيُفتح لهم باب من الجنة، فيُدعون ليدخلوها، فيجيئون ليدخلوها، فإذا بلغوا الباب أُغلِق دونهم فيرجعون. ثم يُدعون ليدخلوها، فإذا بلغوا الباب أُغلِق دونهم فيرجعون. ثم

(1) ورد هذا القول الأخير في ز، ورقة 4 منسوباً إلى قتادة. وكذلك جاء في تفسير الطبري، ج 1 ص 292 وفي تفسير ابن كثير ج 1 ص 90. فهل كان قتادة من أصحاب الهواري الذين يروي عنهم أحياناً؟ ثم من هم هؤلاء الأصحاب الذين فسّروا قبله القرآن تأليفاً أو تدريساً فنقل عنهم آراءهم وأقوالهم؟ إننا لا نعلم للإباضية تفاسير كاملة لكتاب الله قبل الهواري إلا تفسيراً نسب إلى الإمام عبد الرحمٰن بن رستم وآخر إلى الإمام عبد الوهاب. وليس ببعيد أن يكون الهواري قد اطلع عليهما. وليس بين أيدينا الآن ـ فيما بحثت وعلمت ـ شيء من تفسيريهما حتى نتمكن من المقارنة بين هذه التفاسير ونخرج بجواب شاف في الموضوع. أما أبو المنيب محمد بن يانس، المفسّر الذي ناظر المعتزلة، فلم يؤثر عنه أنه ترك أثراً مكتوباً في التفسير.

يدعون، حتى أنهم لَيُدعَوْن فما يجيئون من الإياس[1].

وهذه الرواية عن الحسن تحقِّق ما تأوَّلنا عليه هذه الآية أن الاستهزاء في هذا الموضع هو الخداع؛ يخدعهم الله في الآخرة كما خدعوا النبي عليه السلام والمؤمنين في الدنيا؛ وهو قوله: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ).

قوله: ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾. قال بعضهم: في ضلالهم يلعبون. وقال بعضهم: في ضلالتهم يتمادون.

قوله: ﴿ أُولَئِكَ الذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ ﴾ يعني اختاروا الضلالة على الهدى. وقال بعضهم: استحبّوا الضلالة على الهدى. قال الله: ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾.

ثم ضرب مثلهم فقال: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذِي اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾. [قال الحسن: يعني مثلهم كمثل رجل يمشي في ليلة مظلمة في يده شعلة من نار، فهو يبصر بها موضع قدميه. فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره فلم يبصر كيف يمشي][2] وإن المنافق تكلم بلا إله إلا الله فأضاءت له في الدنيا، فحقن بها دمه وماله وسباء[3] ذريته، وناكح بها المسلمين وغازاهم ووارثهم بها، وأخذ الحقوق، فلما جاءه الموت ذهب ذلك النور لأنه لم يحققه بعمله ولم يكمِّل فرضه، فطفىء نوره القليل الذي كان معه، وهو التوحيد، كما طفئت النار التي استوقدها صاحبها فأضاءت ما حوله، فبقي في ظلمة حين طفئت النار.

ثم قال: ﴿ صُمٌّ ﴾ يعني عن الهدى فلا يسمعونه ﴿ بُكْمٌ ﴾ عنه فلا ينطقون به ﴿ عُمْيٌ ﴾ عنه فلا يبصرونه. ثم قال: ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي إلى الإيمان، يعني أنهم لا يتوبون من نفاقهم.

(1) رواه يحيى بن سلام عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرسلاً.
(2) زيادة من ز. ورقة: 5.
(3) كذا في د: «سباء». وفي ق و ع: «سبي». وكلاهما مصدر صحيح.

ثم ضرب مثلاً آخر فقال: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾. يقول هذا المثل أيضاً مثل المنافق. والصيِّب المطر. ذكروا عن النبي عليه السلام أنه كان إذا استسقى قال: اللهم صيّباً هيّناً[1] وهو تفسير مجاهد: ﴿ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ قال [بعضهم]: كان المنافقون إذا أصابوا في الإسلام رخاء وطمأنينة طابت أنفسهم في ذلك وسروا به في حال دنياهم، وإذا أصابتهم فيه شدة لم يصبروا عليها ولم يرجوا عاقبتها. فالظلمات هي الشدة، والرعد هو التخوّف إذا تخوّفوا أن تأتيهم شدّة. والمطر فيه الرزق، وتكون فيه الظلمة والرعد والبرق، فضرب الله ذلك مثلاً، والبرق مَثَل نور الإسلام في تفسير الحسن. وقال ابن عباس: هو نور القرآن. وهو واحد.

﴿يَجْعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِم مِّنَ الصَّـٰوٰعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ وهذا كراهية من المنافقين للجهاد لأنهم لم تكن لهم حسبة[2] في الشهادة والجهاد في سبيل الله.

قال الله: ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَـٰفِرِينَ﴾. يقول: والله محيط بالمنافقين، وهو كفر دون كفر الشرك. يقول: هو من[3] وراء المنافقين حتى يخزيهم بنفاقهم وكفرهم.

قوله: ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ ﴾ أي مضوا فيه ﴿ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ [أي بقوا لا يبصرون][4]، يعني بذلك المنافقين يقول: إن

(1) كذا ورد هذا الدعاء: «اللهم صيّباً هيّناً». أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب ما يقال إذا أمطرت، عن عائشة بلفظ: «اللهم صيِّباً نافعاً». ولفظ ابن منظور في اللسان: «اللهم اسقنا غيثاً صيّباً».

(2) في د: «خشية» وهو تصحيف. وفي ق و ع «جلسة» ولا معنى لها. وصواب الكلمة ما أثبته: «حِسبة» وهو احتساب الأجر على الله. يقال: فعلته حِسبةً، أي: طلباً للأجر.

(3) جاء في ق و ع: «هو صُرُرٌ»، ولا معنى له. وفي د: «مُرَوٌّ». هكذا ضُبطت بضم الميم، وفتح الراء، وواو مشدّدة. وأنا في شك من الكلمة. وكأني بالناسخ تصرّف في ضبط الكلمة، فذهب بمعناها إلى معنى التَّمْهيل والإنظار كما في قوله تعالى: (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً) [الطارق: 17] ولكني لم أجد في معاجم اللغة «رَوّاه» بمعنى أمهله؛ لذلك أثبتُّ ما جاء في ز: «هو من وراء المنافقين»، وهو الصحيح إن شاء الله، يؤيده قوله تعالى: (وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ) [البروج: 20]. وما فسَّر القرآن مثلُ القرآن.

(4) زيادة من ز، ورقة: 5.

المنافقين إذا رأوا في الإسلام رخاء وطمأنينة طابت أنفسهم بذلك وسرّوا به في حال الدنيا، وإذا أصابتهم شدة قطع بهم عند ذلك فلم يصبروا على بلائها، ولم يحتسبوا أجرها، ولم يرجوا عاقبتها. قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ حين أقروا ولم يوفوا(1). ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم﴾ أي لا تشركوا به شيئاً ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي وخلق الذين من قبلكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي لكي تتقوا.

قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرٰشاً﴾ فرشكموها ثم جعلكم عليها. وهو مثل قوله: (بِسَاطاً) [نوح: 19] و (مِهَاداً) [طه: 53، والزخرف: 10] قال: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾. ذكروا عن الحسن أن الرسول ﷺ قال يوماً لأصحابه: ما تسمُّون هذه؟ أو قال: هذا، يعني السماء. قالوا: السماء. قال: هذا الرقيع، موج مكفوف. غلظها مسيرة خمسمائة عام، وبينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام، وغلظها مسيرة خمسمائة عام. وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام، وغلظها مسيرة خمسمائة عام. وبينها وبين السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام، وغلظها مسيرة خمسمائة عام. وبينها وبين السماء الخامسة مسيرة خمسمائة عام، وغلظها مسيرة خمسمائة عام. وبينها وبين السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام، وغلظها مسيرة خمسمائة عام. وبينها وبين السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام، وغلظها مسيرة خمسمائة عام. وبين السماء السابعة وبين العرش كما بين سماءين. وغلظ هذه الأرض مسيرة خمسمائة عام. وبينها وبين الثانية مسيرة خمسمائة عام وغلظها مسيرة خمسمائة عام. وبينها وبين الثالثة مسيرة خمسمائة عام، وبين الرابعة إلى الخامسة مثل ذلك. وبين الخامسة إلى السادسة مثل ذلك. وبين السادسة إلى السابعة مثل ذلك(2).

ذكروا أن رسول الله ﷺ [بينما كان](3) في مسير له في يوم شديد الحرّ، إذ نزل

(1) كذا في ق و ع و د. وفي ز: «حين أظهروا الإيمان وأسرّوا الشرك».
(2) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، تفسير سورة الحديد بتفصيل أكثر عن أبي هريرة.
(3) بياض في الأصل، أثبت فيه ما يقتضيه سياق الكلام.

منزلاً فجعل رجل ينتعل ثوبه من شدّة الحرّ، فقال رسول الله ﷺ: إني أراكم تجزعون من حر الشمس وبينكم وبينها مسيرة خمسمائة عام، فوالذي نفسي بيده لو أن باباً من أبواب جهنم فُتح بالمشرق ورجل بالمغرب لغلا منه دماغه حتى يسيل من منخريه[1].

قوله: ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِله أَنْدَاداً ﴾ يعني أعدالاً، تعدلونهم بالله وتعبدونهم، وهو الله لا شريك له. ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه خلقكم وخلق السماوات والأرض وأنه رازقكم؛ كقوله: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ) [الزخرف: 78]، وكقوله: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ) [الزخرف: 9]. وقال في آية أخرى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ) [العنكبوت: 91].

قوله: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾ أي في شكٍّ ﴿ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾ على نبينا محمد ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ أي: من مثل هذا القرآن ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ فيشهدوا أنه مثله ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ بأن هذا القرآن ليس من كلام الوحي[2]، وذلك أن اليهود قالت: إن هذا ليس من كلام الوحي.

قال: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ أي: فإن لم تستطيعوا ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ أي ولن تقدروا على ذلك ولا تفعلونه، أي ولا تستطيعونه. وهذا الحرف يُثبت أن الاستطاعة مع الفعل، كقول الحواريّين: (يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) [المائدة: 112] أي: هل يفعل ربك. ثم قال: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾؛ من كافر مشرك، أو كافر منافق. وهو كفر فوق كفر، وكفر دون كفر. والحجارة من كبريت يفور دخانه ونتنه، فلا يزالون في نتن وغم.

قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

(1) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من المصادر، وقد ورد في معناه أحاديث مختلفة في شدة حر نار جهنم ـ أعاذنا الله وإياك منها ـ تجدها في كتب الحديث.

(2) كذا في ق و ع و د: «من كلام الوحي»، وفي ز: «من كلام الله».

الْأَنْهَـرُ﴾ . ذكروا عن أنس بن مالك خادم رسول الله قال: أنهار الجنة تجري في غير أخدود: الماء واللبن والعسل والخمر. وهو أبيض كله؛ فطينة النهر مسك أذفر، وضراضه الدر والياقوت، وحافاته قباب اللؤلؤ.

قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي في الدنيا، يعرفونه بأسمائه. وقال بعضهم: كلما أُتوا منه بشيء فأكلوه، ثم أُتوا بعدُ بغيره، قالوا: هَذَا الذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ، أي: يشبِّهونه به في طعمه ولونه ورائحته.

قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مَتَشَـبِهاً﴾، قالوا: خياراً كله، لا رذلَ فيه. وقال الكلبي: متشابهاً في المنظر مختلفاً في المطعم.

قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوٰجٌ مُطَهَّـرَةٌ﴾. ذكر الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال في نساء أهل الجنة: يدخلنها عُرُباً أتراباً لا يحضن ولا يلدن ولا يمتخطن ولا يقضين حاجة فيها قذر(1). وقال بعضهم: مطهّرة من الإثم والأذى، قال: ومن مساوىء الأخلاق. ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لا يموتون ولا يخرجون منها.

قوله: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِـي أَن يَّضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾. وما هاهنا كلمة عربية ليس لها معنى؛ زيادة في الكلام. وهو في كلام العرب سواء: بعوضة فما فوقها وما بعوضة فما فوقها(2). وذلك أن الله لما ذكر في كتابه العنكبوت والنملة والذباب قال المشركون: ماذا أراد الله بذكر هذا في كتابه، وليس يقرون أن الله أنزله،

---

(1) قيل إنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ في وصف نساء الجنة إلا حديث واحد مرفوع أخرجه الحاكم وابن مردويه وصححه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: (لَهُمْ فيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ) قال: من الحيض والغائط والنخامة والبزاق. وسائر ما ورد في صفة نساء أهل الجنة هو من ألفاظ الصحابة أو التابعين. قال ابن عباس: مطهرة من القذر والأذى. وقال قتادة: مطهرة من الأذى والمأثم.

(2) ذكر المؤلف وجهاً واحداً من وجوه إعراب ما، وهي أنها زائدة، أو «صلة» أو «تطوّل» كما هو في اصطلاح النحاة القدامى. انظر وجهين آخرين من وجوه إعراب «ما» في معاني القراء ج 1 ص 21-23، وفي تفسير الطبري ج 1 ص 404-406.

ولكن يقولون للنبي عليه السلام: إن كنت صادقاً فماذا أراد الله بهذا مثلاً. فأنزل الله: إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا.

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ قال الله: ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ أي: إلا المشركين. وهذا فسق الشرك، وهو فسق فوق فسق، وفسق دون فسق. والمعاصي كلها فسق.

ثم قال: ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ وهو الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم. وتفسيره في سورة الأعراف(1).

قال: ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾ قال ابن عباس: ما أمر الله به من الإيمان بالأنبياء كلهم، لا نفرق بين أحد منهم. وقال بعضهم: ما أمر الله به من صلة القرابة.

قال: ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ والفساد فيها العمل بمعاصي الله، وأعظم المعاصي الشرك. ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ؛ أي: خسروا أنفسهم أن يغنموها فيصيروا في الجنة فصاروا في النار، وخسروا أنفسهم من الحور العين. وتفسيره في سورة الزمر(2).

ثم قال: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ يعني كنتم أمواتاً في أصلاب(3) آبائكم، نطفاً في تفسير بعضهم، وفي تفسير الكلبي: نطفاً وعلقاً ومضغاً وعظاماً، ثم أحياهم فأخرجهم إلى الدنيا، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم القيامة. وهو قوله: (رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) [غافر: 11]. وعلى هذا أمر العامة. فأما خواصّ من الناس فقد أُمِيتوا عقوبة؛ صُعِق بهم، ثم

(1) يشير إلى قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِم وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى) [الأعراف: 172].

(2) يريد قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ) [الزمر: 15].

(3) كذا في ق: أصلاب، وفي ع و د: أصلبة؛ وكلاهما صحيح.

بُعِثوا حتى استوفوا بقية آجالهم، وليس ببعث النشور. منهم السبعون الذين كانوا مع موسى، وتفسيره في سورة الأعراف، وعزير، و(الذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ) [البقرة: 243]، وتفسير ذلك في غير هذا الموضع بعد هذا. وقد أحيى الله أقواماً عبرة للناس وليس بحياة النشور؛ منهم أصحاب الكهف، وصاحب بقرة بني إسرائيل، ومن كان يحيي عيسى عليه السلام بإذن الله، ثم أماتهم الله مكانهم، فلم يعيشوا ولم يأكلوا ولم يشربوا.

قوله: ﴿هُوَ الذِي خَلَقَ لَكُم﴾ أي سخّر لكم ﴿مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ آسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. في تفسير بعض أهل العلم أن الله خلق السماوات قبل الأرض، ثم خلق الأرض ثم استوى إلى السماء.

وفي تفسير الحسن أنه كان بدءُ خلقِ اللهِ الأرضَ قبل أن يبسطها؛ كانت في موضع واحد، موضع بيت المقدس، ثم خلق السماوات، ثم بسط الأرض فقال لها: انبسطي أنت كذا، وانبسطي أنت كذا.

ذكروا عن عطاء أنه قال: بلغني أن الأرض دحيت دحياً[1] من تحت الكعبة. وقال بعضهم: من مكة دحيت الأرض. ذكروا عن مجاهد قال: كان البيت قبل الأرض بألفي عام، ومدّت الأرض من تحته.

ذكروا عن ابن عباس في قوله: (هُوَ الذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) [البقرة: 29] وعن قوله: (ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) [النازعات: 27-30] قال: إنه خلق الأرض ثم خلق السماوات، ثم عاد فدحا الأرض وخلق فيها جبالها وأنهارها وأشجارها ومرعاها، ثم استوى إلى السماء. وقوله هنا: ثم استوى إلى السماء صلة: يقول: خلق الأرض ثم خلق السماء.

---

(1) كذا ورد هذا المصدر «دحياً» في المخطوطات الثلاث ق، ع، و د. وأفصح منه «دحوا» كما ورد في اللسان، وفي مفردات الراغب الأصبهاني، وفي أساس البلاغة للزمخشري: دحا. وزاد صاحب اللسان: «دحيت الشيء أدحاه دحياً لغة في دحوته».

وذكروا عن الحسن أنه قال: لما خلق الله الأرض جعلت تميد(1) فلما رأت ذلك ملائكة الله قالوا: ربَّنا هذه الأرض لا يقرُّ لك على ظهرها خلق؛ فأصبح وقد وَتَدها(2) بالجبال. فلما رأت ملائكة الله ما أرسيت به الأرض قالوا: ربنا هل خلقت خلقاً أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد. قالوا: ربنا هل خلقت خلقاً أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار. قالوا: ربنا هل خلقت خلقاً هو أشد من النار؟ قال: نعم، الماء. قالوا: ربنا هل خلقت خلقاً أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح. قالوا: ربنا هل خلقت خلقاً هو أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾. في تفسير الحسن أن الله أخبر الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة، وأن من ولده من يسفك الدماء فيها، فقالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [أي: نصلي لك في تفسير بعضهم](3) ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

وفي تفسير بعض أهل العلم أن الملائكة قد علمت من علم الله أنه ليس شيء أكره إليه من سفك الدماء والفساد في الأرض والمعاصي، (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنحْنُ نَسَبِّح بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ). قال علم الله أنه سيكون من تلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون يسكنون الجنة. وقال مجاهد: علم من إبليس المعصية وخلقه لها.

---

(1) في المخطوطات الثلاث ق و ع و د: «تميع» وهو خطأ صوابه ما أثبته: «تميد» بمعنى تتحرك وتضطرب. وبهذا اللفظ ورد في القرآن في قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ) [الأنبياء: 31].

(2) كذا في د: «وتدها»، وفي ق و ع: «ربطها». واللفظ الأول أفصح لأن القرآن ورد به في قوله تعالى: (وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً) [النبأ: 7]. والفعل منه: وَتَدته أنا أَتِده وَتْداً وَتِدَة، بمعنى أثبته، انظر اللسان: (وتد).

(3) زيادة من ز، ورقة: 6.

وفي تفسير الكلبي(1) قال: خلق الله كل شيء قبل ءادم عليه السلام؛ فجعل الملائكة هم عمارَ السماوات. وفي كل سماء ملائكة. ولكل أهل سماء دعاء وتسبيح وصلاة. وكل أهل سماء فوق سماء أشدُّ عبادة وأكثر دعاء وتسبيحاً وصلاة من الذين تحتهم. فكان إبليس في جند من الملائكة في السماء الدنيا. وفي تفسير بعضهم: كان إبليس مع الخزنة في السماء الدنيا: قال: وكانوا أهونَ أهل السماوات عملاً. وكان الجنّ بنو الجانّ الذي خلقه الله من مارج من نار عُمَّارَ الأرض؛ وهو عند الحسن إبليس.

---

(1) سنرى في هذا التفسير كثيراً من الأخبار التي تنعت بالإسرائيليات. وأغلبها مرويٌّ عن الكلبي. والموقف الحازم الذي يجب علينا أن نتبنّاه أزاء هذه الأخبار هو الذي أرشدنا إليه رسول الله ﷺ، فيما رواه البخاري في صحيحه من كتاب التفسير، باب: قُولُوا ءامَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إلينَا... الآية [سورة البقرة: 136] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرأون الكتاب بالعِبرانية ويفسّرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم وقولوا آمنّا بِاللهِ ومَا أُنْزِلَ... الآية، وفيما رواه أيضاً في كتاب بدء الخلق في أبواب الأنبياء؛ باب ما ذكر عن بني إسرائيل، عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرَج، ومن كذب علي متعمِّداً فليتبوّأ مقعده من النار.

فما كان موافقاً للقرآن والسنة الصحيحة قبلناه. وما خالفهما رفضناه ولا كرامة. وما عدا ذلك من التفاصيل التي قد تكون وردت في التوراة، والتي يرويها أمثال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار، جاز لنا التحدُّث بها، إن كانت للموعظة والذكرى، بدون تصديق أو تكذيب، وإلا فالأسلم الإعراض عنها والاشتغال بما هو أهم منها من أحكام شريعتنا وما يفيدنا دنيا وأخرى من الكتاب والسنة.

والمراجع في موضوع الإسرائيليات كثيرة. انظر مثلاً تفسير ابن كثير ج 1 ص 8، وابن حجر، فتح الباري ج 6 ص 498-499 وج 8 ص 170، وانظر، ابن تيمية، مقدّمة في أصول التفسير، تحقيق الدكتور عدنان زرزور، نشر دار القرآن الكريم بالكويت 1391-1971، ومحمد حسين الذهبي، التفسير والمفسّرون ج 2 ص 165، نشر دار الكتب الحديثة ـ القاهرة 1381-1961. واقرأ فصلاً مهماً حول الإسرائيليات عند ابن سلّام للدكتور إسماعيل جراح أوغلو في كتابه: يحيى بن سلام ومنهج تفسيره، نشر كلية الإلهيات، جامعة أنقرة 1970 ص 140-154 المحقق.

وقال الكلبي فلما وقع بينهم التحاسد والفتن اقتتلوا. فبعث الله جنداً من السماء الدنيا فيهم إبليس، وهو رأسهم. فأمروا أن يهبطوا إلى الأرض نُيجلوا منها الجن بني الجان. فهبطوا فأجلوهم عن وجه الأرض، فألحقوهم بجزائر البحور. وسكن إبليس والجند الذين كانوا معه الأرض، فهان عليهم العمل فيها، وأحبّوا المكث فيها. ثم أحب الله تبارك وتعالى أن يخلق ءادم عليه السلام وذريته، فيكونوا هم عمّارَ الأرض، فقال للملائكة الذين كانوا في الأرض، يعني إبليس وأصحابه، إني جاعلٌ في الأرض خليفة ورافعُكم منها. فوَجَدوا من ذلك وقالوا: أتجعل فيها من يُفسد فيها كما أفسدت الجن، ويسفك الدماء كما سفكوا، ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك؟ قال: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وقد علم أنه سيكون من بني آدم من يسبح بحمده ويقدّس له ويطيع أمره. فخلق آدمَ وصوّره جسداً ينظرون إليه ويعجبون منه، ولم يكونوا رأوا فيما خلق الله شيئاً يُشبِهُه.

ذكروا أن إبليس جعل يطوف بآدم قبل أن يُنفخ فيه الروح، فلما رآه أجوف عرف أنه لا يتمالك. ذكر بعضهم أنه جعل يطوف به ويقول: إن كنت أجوف فلي إليك سبيل، وإن لم تكن أجوف فمالي إليك سبيل.

ذكر بعضهم قال: أوّل ما خلق الله في الأرض طير وحوت؛ فجعل الطير يخبر الحوتَ خبرَ السماء، وجعل الحوت يخبر الطيرَ خبرَ الأرض. فلما خلق الله آدم جاء الطير إلى الحوت فقال: لقد خلق الله اليوم خلقاً كذا وكذا. فقال الحوت للطير: فإن كنت صادقاً ليستَنْزِلَنَّكَ من السَّماء وليستخرجَنِّي من الماء. قال الكلبي: فأشفق إبليس عدوُّ الله منه وقال: إني لأرى صورة مخلوق سيكون له نبأ. فقال لأصحابه: أرأيتم هذا الذي لم تروا على خلقه شيئاً من الخلق إن فضِّل عليكم ما تفعلون؟ قالوا: نطيع ربَّنا ونفعل ما يأمرنا به. قال إبليس في نفسه: إن فُضِّل عليَّ لا أطيعه، وإن فضِّلت عليه لأُهلكَنَّه. فلما نفخ الله الروح في آدم جلس فعطس فقال: الحمد لله رب العالمين. فكان أول شيء تكلَّم به. فردّ الله عليه عند ذلك: يرحمك الله، لهذا خلقتك؛ لكي تسبّح باسمي وتقدّس لي. ذكر بعضهم قال: لما نفخ في آدم الروح فعطس فحمد ربه

قال الله له: يرحمك ربك، فكانت هي الرحمة التي سبقت لآدم عليه السلام.

قوله: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الاسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَـٰئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾. [قال مجاهد][1]: خلق الله آدم آخر ساعة النهار، من يوم الجمعة، من بعد ما خلق الخلق كلَّهم. قال الكلبي: ثم علَّمه الأسماءَ كلها، أسماءَ الخلق. ثم إن الله حشر عليه الدوابَّ كلَّها والسِّباع والطيور وما ذرأ في الأرض ثم قال للملائكة: (أَنبِئُوني بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). قال بعضهم: إن كنتم صادقين أني أجعل فيها من يُفسد فيها؛ أي: إن منهم من يعمل بطاعتي. علَّمه أسماءهم باللغة السريانية سرّاً من الملائكة.

﴿ قَالُوا سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ثم ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ فقال آدم: هذا كذا وهذا كذا، فسمَّى كل نوع باسمه: هذا هٰكذا، وهذا هٰكذا. قال بعضهم: سمَّى كل شيء باسمه وألجاه إلى جنسه.

قال: ﴿ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ ﴾ آدم ﴿ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ ﴾ الله للملائكة ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ أما الذي أبدوا فحين قال إبليس لأصحابه: أرأيتم إن فضِّل عليكم ما أنتم فاعلون؟ قالوا: نطيع أمر ربنا. فهذا الذي أبدوا. وأما الذي كتموا فالذي أسرَّ إبليس في خاصة نفسه من المعصية.

وتفسير الحسن وغيره في هذا الحرف: (وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمونَ): أنهم لما قال الله: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) قالوا فيما بينهم: ما الله بخالق خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلمَ منا، فهو الذي كتموا. قال: فابتُلُوا بخلق آدم. وكل شيء مبتَلىً كما ابتُليت السماوات والأرض فقال: (ايتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً) [فصِّلت: 11].

قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ

(1)زيادة من ز، ورقة 7.

مِنَ الْكَـٰفِرِينَ﴾. يعني إن الطاعة كا: ـ لله والسجدة كانت لآدم. [قال بعضهم][1]: أكرم الله آدم بأن أسجد له ملائكته فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين.

تفسير الحسن أنه لم يكن كافر قبله، كما أن آدم كان من الإنس ولم يكن إنسي قبله. وقال بعضهم: خلق الله الخلق شقياً وسعيداً: فكان إبليس ممن خلق الله شقياً، فلما أمر بالسجود له أبى واستكبر وكان من الكافرين. أي كان ممن خلقه الله شقياً بفعله الذي شقي به إذ ترك السجود لآدم.

وقال بعضهم: تفسير كان في هذا الموضع صار؛ يقول: أبى إبليس واستكبر وصار بإبائه السجـود واستكباره كافراً. وهذا أولى كل تأويل تأوّلوه بالحق.

وتفسير آدم أن الله خلقه من أديم الأرض[2]. وتفسير المرأة أنها خلقت من المر[3].

ذكر عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: خلق الله آدم من طينة من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض؛ منهم الأبيض والأحمر والأسود، والسهل والحزن، والحسن والقبيح[4]. والخبيث والطيب[5]. ذكروا عن ابن عباس

(1) زيادة لا بد منها. والقول لقتادة كما في ز، ورقة 7.

(2) هذا وجه من وجوه اشتقاق اسم آدم. وهنالك وجه آخر مال إليه كثير من المحققين اللغويين، وهو أن اسم آدم جاء على وزن أفعل وهو من صيغ الألوان. والأُدمة لون معروف، وهذا ما ذهب إليه أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد في كتابه الاشتقاق ص 71. قال: «واشتقاق (آدم) من شيئين: إما من قولهم: رجل آدم بيِّن الأدْمة، وهي سُمرة كَدِرة. أو تكون من قولهم: ظبي آدم وجمل آدم. والآدم من الظباء الطويل القوائم والعنق، الناصع بياض البطن، المسكي الظهر. وهي ظباء السفوح». وانظر اللسان (أدم)، ففيه خلاصة هذه الآراء، ثم انظر ابن فارس: مجمل اللغة ج 1 ص 175.

(3) كذا وردت الكلمة: «المر» في ع وفي د. ولم أهتد لمعنى الكلمة، ولا لأصل كلمة المرأة فيما بين يدي من معاجم اللغة إلا ما ذكر من أن المرأة مؤنث المرء، انظر اللسان: مرأ.

(4) كذا في د: «الحسن والقبيح»، وفي ع: «الجميل والقبيح».

(5) حديث حسن صحيح، أخرجه أحمد وأبو داود، والحاكم والبيهقي. وأخرجه الترمذي في =

قال: خلق الله آدم من طينة بيضاء وحمراء وسوداء.

قوله: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ أي لا حساب عليكما فيه. ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّـٰلِمِينَ﴾ لأنفسكما بخطيئتكما. وقال في آية أخرى: (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى) [طه: 120].

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: الشَّجرة التي نهى عنها آدم وحواء هي السنبلة وقال بعضهم: هي التينة.

قوله: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾. قال بعضهم: بلغنا أن إبليس دخل في الحية فكلّمهما منها. وكانت أحسن الدوابّ فمسخها الله، ورد قوائمها في جوفها وأمشاها على بطنها.

وقال الكلبي: دعا حواء من باب الجنة فناداها، فدعاها إلى أكل الشجرة، وقال: أيُّكما أكل منها قبل صاحبه كان هو المسلَّط على صاحبه.

وتفسير الحسن أنه وسوس إليهما من الأرض. قال: ولم يكن له أن يلبث فيها بعد قول الله: (فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) [الحجر: 34].

قال الكلبي: فابتدرا الشجرة، فسبقته حواء، وأعجبهما حسن الشجرة وثمرتها، فأكلت منها وأطعمت آدم. فلما أكلا منها بدت لهما سوءاتهما. وكانا كُسِيَا الظفرَ، فبدت سوءاتهما وأبصر كل واحد منهما ما كان وُوري عنه من سوأته فاستحييا[1] (وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الجَنَّةِ) [الأعراف: 22] يرقعانه كهيئة الثوب ليُواريَا سوءاتهما. ثم (نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ

= أبواب التفسير، وهو أول حديث فيما جاء في تفسير سورة البقرة.

(1) كذا في د: «استحييا»، وفي ق و ع: «استحَيَا» وكلاهما صحيح ففي اللسان: «يقولون استحيا منك واستحياك، واستحَى منك واستحَاك». وفي صحاح الجوهري: «قال أبو الحسن الأخفش: استحَى بياء واحدة لغة تميم، وبياءين لغة أهل الحجاز، وهو الأصل».

لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ) [الأعراف: 22] أي: بَيِّن العداوة. فاعتل آدم بحواء وقال: هي أطعمتني فأكلته.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لولا بنو إسرائيل ما خنز لحم وما أنتن طعام، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها[1].

ذكر بعضهم أن حواء هي التي كانت دلت الشيطان على ما كان نهى عنه آدم في الجنة.

ذكر الحسن عن النبي عليه السلام أن آدم كان رجلاً طويلاً كأنه نخلة سحوق، جعد الشعر. فلما وقع بما وقع بدت له عورته، وكان لا يراها قبل ذلك، فانطلق هارباً، فأخذت شجرة من الجنة برأسه، فقال لها: أرسليني. فقالت: لست بمرسلتك. فناداه ربه: يا آدم، أمني تفرّ؟ فقال رب إني استحييتك[2].

قوله: ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾. يعني آدم معه حواء وإبليس. والحية التي دخل فيها إبليس لا تقدر على ابن آدم في موضع إلا لدغته[3]، ولا يقدر عليها في موضع إلا شدخها. وقال في آية أخرى: (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ) [الكهف: 50] قال بعضهم: من قتل حيّةً فقد قتل كافراً.

قوله: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ المستقر من يوم يولد إلى يوم يموت. وهو مثل قوله: (فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ) [الأعراف: 25] ويعني بالمتاع معايشهم في الدنيا، يستمتعون بها. وقوله: إلى حين، يعني الموت.

(1) حديث متفق على صحته؛ أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب قول الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)، وأخرجه مسلم في كتاب الرضاع، باب: لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهرَ (رقم 1470).كلاهما يرويه عن أبي هريرة.

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 12 ص 352 عن أبي بن كعب مرفوعاً. وروى هذا الخبرَ ابنُ كثير في تفسيره ج 3 ص 153-154 موقوفاً وقال: «وقد رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق، عن الحسن عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ مرفوعاً، والموقوف أصح إسناداً».

(3) في ق و ع و د: إلا قتلته، والصواب ما أثبته من ز: «لدغته».

قوله: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ وعلى حواء. ذكروا عن ابن عباس قال: هو قولهما: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَسِرِينَ) [الأعراف: 23]. وبعضهم يقول: قال آدم: يا رب أرأيت إن تُبتُ وأصلحتُ. قال: أرجعك إلى الجنة.

قوله: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً ﴾ قد فسّرناه في الآية الأولى. قال: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾. والهدى في هذا الموضع هو الرسل[1]. وهو حجة الله عليهم في الآخرة حيث يقول: (يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي) [الأعراف: 35]. قال: ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ في الآخرة من النار ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أي على الدنيا.

ذكر بعض أهل العلم أنه ذكر هذه الآية فقال: ما زال لله في الأرض أولياء منذ هبط آدم، ما أخلى الله الأرض لإبليس إلا وفيها أولياء لله يعملون بطاعته. وقال الكلبي: فعند ذلك أخذ عنهم الميثاق في صلب آدم.

قوله: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ أي أهل النار ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾. لا يموتون ولا يخرجون منها.

قوله: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ يقول لمن بقي من بني إسرائيل ممن أدرك النبي عليه السلام: ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ يذكرهم ما فعل بأوائلهم وما أنجاهم من آل فرعون؛ كانوا يذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم فلا يقتلونهن، وأنجاهم من الغرق، وظلّل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المنّ والسلوى، وما أنزل عليهم من الآيات مع نعمته التي لا تحصى.

قوله: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾. قال [بعضهم]: هي التي في

(1) قال يحيى بن سلام في كتابه التصاريف ص 100: «هدى، يعني رسلاً وكتباً، وذلك قوله في البقرة: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى)، يعني رسلاً وكتباً (فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ) يعني فمن تبع رسلي وكتبي».

المائدة: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً)؛ من كل سبط رجل شاهد على سبطه، (وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ) في الميثاق (لَئِنْ أَقَمْتُم الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمْ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ) أي ونصرتموهم (وَأَقْرَضْتُم اللهَ قَرْضاً حَسَناً) قال مجاهد: أي قرضاً حلالاً. وقال غيره: القرض الحسن أن يكونوا محتسبين[1] في قرضهم: (لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) [المائدة: 12]. فهو كقوله: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ).

وقال الكلبي: كان الله عهد إلى بني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام وأنبياء بني إسرائيل أني باعث من بني إسماعيل نبيّاً أميّاً. فمن اتّبعه وصدّق به وبالنور الذي أنزل معه، أي الذي أتى به، أي الذي أنزل عليه، أغفر له ذنبه، وأدخله الجنة، وأجعل له أجرين اثنين: أجراً باتباعه ما جاء به موسى وأنبياء بني إسرائيل، وأجراً آخر بإيمانه بالنبيّ الأميّ. فلما بعث الله محمداً عليه السلام بما يعرفونه ذكّرهم الله عهده فقال: أوفوا بعهدي في هذا النبي أوف بعهدكم الذي عهدت لكم من الجنة. ﴿ وَإِيَّـٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ مثل قوله: (وَإِيَّايَ فَاتَّقُون) [البقرة: 41].

﴿وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ [يعني القرآن][2] ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتب. ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ يعني قريظة والنضير، لأن نبي الله قدم عليهم المدينة، فعصوا الله، وكانوا أول من كفر به من اليهود، ثم كفرت خيبر وفدك، وتتابعت اليهود على ذلك من كل أرض[3].

---

(1) كذا في ق وع: «محتسبين» أي: محتسبين الأجر عند الله؛ وهو أنسب. وفي د: «محسنين»، وله وجه أيضاً.

(2) زيادة من ز.

(3) قريظة والنضير حيان من اليهود كانوا يسكنون قرب المدينة في حصون لهم. وقد حاصر الرسول ﷺ بني قريظة حتى نزلوا على حكمه، فحكّم فيهم سعد بن معاذ، سيدَ الأوس. فحكم سعد بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ونسائهم. فقال رسول الله ﷺ لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة. وكان ذلك سنة خمس للهجرة. أما النضير فقد أجلاهم النبي عليه السلام سنة أربع للهجرة. وفيهم نزلت سورة الحشر. أما خيبر وفدك =

قال: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِئَايَـٰتِي ثَمَناً قَلِيلًا وَإِيَّـٰيَ فَاتَّقُونِ ﴾. يعني الآيات التي وصف الله بها محمداً عليه السلام في كتابهم، فأخفوها من الأميين والجهال من اليهود. وكان الذين يفعلون ذلك الرهط الذين سمّيت في أول السورة: كعب بن الأشرف وأصحابه. وكانت لهم مأكلة[1] من اليهود كل عام، فذلك الثمن القليل. خافوا إن تابعوا محمداً عليه السلام أن تذهب مأكلتهم.

وقال الحسن: هو مثل قوله: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِـم ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا) [البقرة: 79]، يعني عرضاً من الدنيا يسيراً، وهو ما أخذوا عليه من الثمن.

قوله: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ ﴾ أي لا تخلطوا الحق بالباطل. وقال بعضهم: ولا تلبسوا الإسلام باليهودية والنصرانية. قوله: ﴿ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: وأنتم تعلمون أن محمداً رسول الله، وأن الإسلام دين الله، يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.

قوله: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ أي: مع المصلّين أهل الإسلام، أمرهم أن يدخلوا في دين رسول الله.

قوله: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي: وتتركون العمل بما تأمرون به ﴿ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَـٰبَ ﴾ بخلاف ما تفعلون ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ما تأمرون به. يعني أحبار اليهود والمنافقين.

قوله: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ ﴾. قال الحسن: استعينوا بالصبر على الصلاة وعلى الدين كله، فخص الصلاة [لمكانها][2] من الدين. وقال بعضهم:

= فقريتان من قرى اليهود، فتحت الأولى عنوة، وفتحت الثانية صلحاً. وكان ذلك سنة سبع للهجرة. انظر في ذلك كله ابن هشام السيرة ج 2 ص 233 وما بعدها. وانظر الواقدي، المغازي ج 1 ص 363 فما بعدها وج 2 ص 496 و 633 و 706 فما بعدها.

(1) مأكُلة، ومأكَلة: ما يأكلونه وما يكسبونه لا يحاسبون عليه. انظر اللسان: (أكل).

(2) زيادة من ز، ورقة: 8.

الصبر هاهنا الصوم. وقال بعضهم: استعينوا على الدنيا بالصبر والصلاة.

قوله: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ أي: لثقيلة، يعني الصلاة. ﴿ إِلَّا عَلَى الخَـٰشِعِينَ﴾ والخشوع هو الخوف الثابت في القلب. وقال بعضهم: وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا على الخاشعين أي: إلا على المتواضعين، وهو كقوله: (وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [الأنبياء: 90] أي: متواضعين.

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ[1] أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يعني البعث.

قوله: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ وهي مثل الأولى. ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العَـٰلَمِينَ﴾ يعني عالم زمانهم، ولكل زمان عالم.

قوله: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً ﴾ أي: لا تفديها. ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ ﴾ لأن الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين. ﴿ وَلَا يُؤخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ أي: فداء، كقوله: (إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا لَو أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَميعاً) أي: من فضة وذهب (وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ القِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ) [المائدة: ٣٦]. وكقوله (وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤخَذْ مِنْهَا) [الأنعام: 70] أي: وإن تفد بكل فدية ما تُقُبِّل منها.

قال: ﴿ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ أي: لا أحد ينتصر لهم من بعد نقمة الله إياهم. هذا تفسير الحسن. وقال الحسن: الفدية يومئذ الإيمان، أي: أن يقبل منهم وهم يومئذ يؤمنون فلا يقبل منهم.

---

(1) جاء في تفسير الطبري ج 2 ص 17-18: «إن العرب قد تسمي اليقين ظنّاً والشك ظنّاً، نظير تسميتهم الظلمة سُدفة، والضياء سدفة، والمُغِيث صارخاً والمُسْتغيث صارخاً، وما أشبه ذلك من الأشياء التي تسمّي بها الشيء وضدّه. ومما يدل على أنه يسمّى به اليقين قول دريد ابن الصِّمّة:

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّج سَرَاتُهم فِي الفَارِسِيِّ المُسَرَّد

يعني بذلك: تيقنوا ألفي مدجّج تأتيكم».

قوله: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ ﴾ أي: شدة العذاب، وتفسير يسومونكم أي: يذيقونكم سوء العذاب ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسآءَكُمْ﴾ فلا يقتلونهن ﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكم عَظِيمٌ ﴾ أي نعمة من ربكم عظيمة[1] إذ نجاكم منهم.

قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ البَحْرَ﴾ يَعني حين جازوا البحر ﴿فَأَنْجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَونَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرونَ﴾ يعني أوّليهم. وقال بعضهم: وأنتم تنظرون كأنّما عهدكم بهم أمس.

قوله: وَإِذْ وعَدْنَـا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذتُمُ العِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ أي لأنفسكم. ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرونَ ﴾ أي: لكي تشكروا. يعني التوبة التي جعلها الله لهم، فقتل بعضهم بعضاً فغلّظ عليهم في المتاب.

قوله: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الكِتَـٰبَ وَالفُرْقَانَ﴾ الكتاب التوراة، والفرقان حلالها وحرامها. ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾. يقول: لكي تهتدوا بالكتاب وبالحلال والحرام.

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ باتِّخَاذِكُمُ العِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ ﴾ أي: إلى خالقكم ﴿ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ ﴾ أي خالقكم ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.

ذكروا أن موسى عليه السلام لما قطع البحر ببني إسرائيل، وأغرق الله آل فرعون، قالت بنو إسرائيل لموسى: يا موسى، ايتنا بكتاب من عند ربنا كما وعدتنا،

(1) كذا في المخطوطات: «نعمة من ربكم عظيمة» وهو الصواب، وهو تفسير ابن عباس ومجاهد. وجاء في مجاز أبي عبيدة: «أي ما ابتليتم من شدة. وفي موضع آخر: البلاء الابتلاء، يقال: الثناء بعد البلاء، أي الاختبار، من بلوته، ويقال: له عندي بلاء عظيم، أي: نعمة ويد، وهذا من: ابتليته خيراً». وانظر وجوه معاني البلاء عند ابن قتيبة في كتابه: تأويل مشكل القرآن ص 469-470، وانظر تفسير الطبري ج 2 ص 48-49.

وزعمت أنك تأتينا به إلى شهر. فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً لينطلقوا معه. فلما تجهّزوا قال الله لموسى: أخبر قومك أنك لن تأتيهم إلى أربعين ليلة، وذلك حين أتممت بعشر، وهي ثلاثون من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة. قال الحسن: كانت أربعين من أوّل؛ يقول: (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً) [الأعراف: 142] وبعدها عشراً، كقوله: (فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) [البقرة: 196].

قال الكلبي: فلما خرج موسى بالسبعين أمرهم أن ينتظروا في أسفل الجبل. وصعد موسى الجبل فكلّمه ربه، وكتب له في الألواح. ثم إن بني إسرائيل عدّوا عشرين يوماً وعشرين ليلة فقالوا: قد أخلفنا موسى الوعد. وجعل لهم السامري العجل (فَقَالُوا هَـٰذَا إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ) [طَهَ: 88] فعبدوه.

قال الكلبي: فبلغنا ـ والله أعلم ـ أن الله قال عند ذلك: يا موسى إن قومك قد عبدوا من بعدك عجلاً جسداً له خوار. فرجع موسى إلى قومه ومعه السبعون، ولم يخبرهم موسى بالذي أحدثت بنو إسرائيل من بعده بالذي قال له ربه. فلما غشي موسى محلّة قومه سمع اللغط حول العجل، فقال السبعون: هذا قتال في المحلّة. فقال موسى ليس بقتال، ولكنه صوت الفتنة. فلما دخل موسى ونظر ما يصنع بنو إسرائيل حول العجل غضب، وألقى الألواح فانكسرت، فصعد[1] عامة ما فيه من كلام الله. (وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) [الأعراف: 150] فقال له هـرون: يا (ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) [طه: 94]. فأرسله موسى وأقبل على السامري وقال: ما خطبك يا سامري؟ ولم صنعت ما أرى؟ قال: بصرت بما لم يبصروا به، يعني بني إسرائيل. قال: وما الذي بصرت به؟ قال: رأيت جبريل على فرس، فألقي في نفسي أن أقبض من أثره قبضة، فما ألقيت عليه من شيء كان له روح ودم. فحين رأيت قومك سألوك أن تجعل

(1) كذا في المخطوطات ق و ع و د: «فصعد». وجاء في هامش د: «ولعله فانصدع» وهو الصواب إن شاء الله.

لهم إلٰهاً فكذلك سوّلت لي نفسي أن أصنع إلٰهاً، ثم ألقي عليه القبضة فيصير ربّاً لبني إسرائيل، فيعبدونه بين ظهرانيهم.

فغضب موسى فأمر بالسامري أن يخرج من محلّة بني إسرائيل ولا يخالطهم في شيء، فأمر بالعجل فذبح ثم أحرقه بالنار. فمن قرأ (لنحرُقنه) [طه: 97] فهو يريد لنبردنه[1] ومن قرأها لنحرّقنه فهو يريد لنحرّقنه بالنار. وهي أعجب القراءتين إلي، لأن الحريق للذهب الذي لا تحرقه النار آية عجيبة لموسى. فسلّط الله عليه النار فأحرقته. فلما أحرقته النار ذراه موسى في اليم، وهو البحر.

ثم أتاهم موسى بكتاب ربهم فيه الحلال والحرام والحدود والفرائض. فلما نظروا إليه قالوا: لا حاجة لنا فيما أتيتنا به، فإن العجل الذي حرّقته كان أحبَّ إلينا مما أتيتنا به، فلسنا قابليه ولا آخذين ما فيه. فقال موسى: يا رب، إن عبادك بني إسرائيل ردّوا كتابك، وكذّبوا نبيّك، وعصوا أمرك. فأمر الله الملائكة فرفعوا الجبل، فغشوا به بني إسرائيل، حتى أظلوا به عسكرهم، فحال بينهم وبين السماء. فقال موسى: إما أن تأخذوا هذا الكتاب بما فيه، وإما أن يلقى عليكم الجبل فيشدخكم[2]. فقالوا: سمعنا وعصينا. أي: سمعنا الذي تخوّفنا به، وعصينا الذي تأمرنا به. ثم أخذوا الكتاب، ولم يجدوا بداً من أخذه. ورفع عنهم الجبل. فنظروا في الكتاب، فبين راض وكاره، ومؤمن وكافر. يقول الله: (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أي: لكي تشكروا. فندم القوم على ما صنعوا وعاتبهم موسى وعيَّرهم بالذي صنعوا، وقال: يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتّخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم، أي إلى خالقكم. فقالوا: كيف التوبة يا موسى؟ قال: فاقتلوا أنفسكم، يعني يقتل بعضكم بعضاً.

---

(1) هو من الفعل: حرق يحرق بضم الراء وكسرها بمعنى برد يبرد. والمحرق المبرد. وفي معاني الفراء ج 2 ص 191: «(لنحرقنه) لنبردنه بالحديد برداً من حرقت أحرقه وأحرِقه لغتان». وفيه «عن الكلبي عن أبي صالح أن علي بن أبي طالب قال: (لنحرقنه) لنبردنه. وانظر ابن جني، المحتسب ج 2 ص 58، وانظر اللسان: (برد).

(2) في اللسان: «الشدخ كسرك الشيءَ الأجوف كالرأس ونحوه».

ذلكم، أي: المتاب، خير لكم عند خَالِقكم. قالوا: قد فعلنا يا موسى. فأخذ عليهم العهد والميثاق: لتصبرنَّ للقتل ولترضَوُنَّ به. قالوا: نعم. قال: فأصبحوا في أفنية بيوتكم، كل بني أب على حدتهم، ففعلوا. فأمر موسى السبعين الذين لم يكونوا عبدوا العجل من بني إسرائيل أن يأخذوا السيوف ثم يقتلون من لقوا. ففعلوا، فمشوا في العسكر، فقتلوا من لقوا. فبلغنا ـ والله أعلم ـ أن الرجل من بني إسرائيل كان يأتي قومه في أفنية بيوتهم جلوساً فيقول: إن هؤلاء إخوانكم أتوكم شاهرين السيوف، فاتقوا الله واصبروا، فلعنة الله على رجل حل حبوته، أو قام من مجلسه، أو أحدَّ إليهم طرفاً، أو اتَّقاهم بيد أو رجل، فيقولون: آمين. فجعلوا يقتلون من لَقُوا. ثم نزلت الرحمة من الله فرفع عنهم السيف وتاب الله عليهم. [وذلك قوله][1] (فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ). وكانت قتلاهم ـ فيما بلغنا، والله أعلم ـ سبعين ألفاً.

وقال بعض المفسرين: أمروا أن ينتحروا بالشِّفار. فلما بلغ الله فيهم نقمته سقطت الشفار من أيديهم، فكان للمقتول شهادة، وللحي توبة.

قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ﴾ أي لن نصدّقك. ﴿ حَتَّى نَرى اللهَ جَهْرَةً ﴾ أي عياناً ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّـٰعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظرون ﴾. يعني أنهم أُميتوا عقوبة ثم بُعِثوا ليستكملوا بقية آجالهم.

وقال الكلبي: بلغني أنهم هم السبعون الذين اختار موسى من قومه فذهبوا معه إلى حيث كلمه ربه، فقالوا: يا موسى، لنا عليك حق؛ كنا أصحابك، لم نختلف ولم نصنع الذي صنع قومنا، فأرنا الله جهرة كما رأيته أنت. فقال لهم موسى: ما رأيته، ولا كانت مسألتي إياه أن أنظر إليه بالمجاهرة كما سألتم. وتجلّى للجبل فصار دكّاً، وخررتُ صعِقاً. فلما أفقتُ سألت الله واعترفت بالخطيئة. فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم. فظن موسى أنما احترقوا بخطيئة أصحاب العجل فقال موسى لربه: (رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِنْ قَبلُ وَإِيَايَ.

---

(1) زيادة يقتضيها السياق.

أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾. [الأعراف: 155]. فبعثهم الله من بعد موتهم لعلهم يشكرون. أي: لكي يشكروا الله. فلما قدم نبي الله المدينة، فكلّمته اليهود، ودعاهم إلى الله وإلى كتابه، فكذّبوه وجحدوه، أنزل الله ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. [البقرة: 75]. قال الحسن: هو ما حرّفوا من كلام الله.

قوله: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُم المَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾. ذكروا أن مجاهداً قال: الغمام غير السحاب.

قال الكلبي: لما سلكوا مع موسى أرض التيه والمفاز[1] ظلّل الله عليهم الغمام بالنهار، يقيهم حر الشمس، وجعل لهم بالليل عموداً من النار يضيء لهم مكان القمر، وأنزل عليهم المنّ والسلوى.

قال بعضهم: المنّ صمغة[2] تسقط عليهم من السماء. وكان ينزل عليهم المنّ في محلّتهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. وكان أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل؛ فيأخذ أحدهم ما يكفيه يومه، وإن تعدّى ذلك فسد ولم يبق عنده. حتى إذا كان يوم سادسهم، يعني يوم الجمعة، أخذوا ما يكفيهم ذلك اليومَ ويومَ سابعهم، يعني السبت، فيبقى عندهم، لأن يوم السبت إنما كانوا يعبدون الله فيه، لا يشخصون لشيء من الدنيا ولا يطلبونه. قال: والسلوى السُّمَانَى، طير[3] إلى الحمرة كانت تحشرها

(1) كذا في المخطوطات ق ع و د: «المفاز» والكلمة صحيحة، يقال: مفاز ومفازة للبرية القفر، وجمعها مفاوز.

(2) كذا في ق و ع و د: «صمغة» ولم أجد هذه اللفظة عند المفسرين واللغويين إلا عند مجاهد وهي «ما ينضحه الشجر ويسيل منها»، وأغلبهم قالوا هو شيء كالطل ينزل من السماء، وقالوا هو «الترنجبين». انظر اللسان: منن، وابن قتبة، تفسير غريب القرآن ص 49.

(3) كذا في المخطوطات الثلاث ق ع و د، وفي ز: «طير إلى الحمرة» أي: يميل لونه إلى الحمرة.

عليهم الجنوب، فيذبح الرجل ما يكفيه يومَه، فإن تعدّى ذلك فسد ولم يبق عنده، إلا يوم الجمعة فإنهم كانوا يذبحون ليومهم والسبت.

قوله: ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ يعني بالطيبات المن والسلوى ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ أي بمعصيتهم. وقال بعضهم يضرّون أنفسهم. وقال بعضهم ينقصون أنفسهم، وذلك تعدّيهم في المن والسلوى.

قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَـٰذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ أي بيت المقدس ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً ﴾ أي لا حساب عليكم فيه. ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً ﴾ قال بعضهم: هو باب من أبواب بيت المقدس ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ يُغْفَرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فازدحموا على أوراكهم خلافاً لأمر الله.

وقال الحسن: رفع لهم باب، فأمروا أن يسجـدوا لله، يضعوا جباههم ويقولوا حطّة، وهو كقولك: احطط عنا خطايانا. وإنما ارتفعت لأنها حكاية[1]. قال: قولوا: كذا وكذا. قال الحسن: فدخلوا وقد حرفوا وجوههم، ولم يسجدوا وقالوا: حنطة. وقال بعضهم: بل قالوا حبة شعيرة.

قال الله: ﴿ فَبَدَّلَ الذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الذي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً [أي: عذاباً][2] مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾. قال بعضهم: بلغنا أن ذلك العذاب كان الطاعون، فمات منهم سبعون ألفاً.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الطاعون بقية رجز وعذاب عذّب به من كان

(1) قلما يتعرض المؤلف إلى وجوه الإعراب في تفسيره. وذهب هنا في رفع «حطة» مذهب أبي عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 41، على الحكاية. وذهب آخرون إلى النصب، وبه قرأ بعض القراء، على أنها مقول القول. والجمهور على أنها بالرفع على الوجه الأول أي على أنها خبر لمبتدأ محذوف، أي: هي حطة، أو «مسألتنا حطة» كما قدرها ابن أبي زمنين في المخطوطة ز ورقة: 10، والزجاج في إعراب القرآن ج 1 ص 172، وابن الأنباري في البيان في إعراب غريب القرآن ج 1 ص 82. وانظر معاني الفراء ج 1 ص 38.

(2) زيادة من ز.

قبلكم، فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها، وإن وقع بأرض ولستم فيها فلا تقدموا عليها. وذكروا عن النبي عليه السلام أنه قال: الطاعون رجز أرسل من قبلكم على بني إسرائيل، فإذا وقع بأرض فلا تخرجوا فراراً منه، وإذا سمعتم به في أرض فلا تدخلوا عليه[1].

وتفسير مجاهد: أمر موسى قومه أن يدخلوا سجداً ويقولوا حطة، وطؤطىء لهم الباب[2] ليخفضوا رؤوسهم فلم يسجدوا، وقالوا حنطة، فنتق فوقهم الجبل، أي: قطع؛ فجعل فوقهم وأشرف به عليهم. فدخلوا الباب سجداً على خوف وأعينهم إلى الجبل، فرفع عنهم.

وقال الكلبي: لما فصلت بنو إسرائيل من أرض التيه ودخلوا العمران، وكانوا بجبال أريحا من الأردن قيل لهم: ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً. وكانت بنو إسرائيل قد أخطأوا خطيئة، فأحبّ الله أن يستنقذهم منها إن تابوا، فقيل لهم: إذا انتهيتم إلى باب القرية فاسجدوا، وقولوا حطة تحط عنكم خطاياكم، وسنزيد المحسنين الذين لم يكونوا من أهل تلك الخطايا إحساناً إلى إحسانهم. فأما المحسنون ففعلوا ما أمروا به. وأما الذين ظلموا فبدّلوا قولاً غير الذي قيل لهم فقالوا: حطتا سمقتا بالسريانية: أي: حنطة حمراء استهزاءً وتبديلاً لقول الله. قوله: (يَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ). أي: من كان محسناً زيد في إحسانه، ومن كان مخطئاً غفرت له خطيئته.

---

(1) حديث صحيح متفق عليه. أخرجه البخاري في أبواب منها في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون. وأخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها (2218). وأخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجامع، باب ما جاء في الطاعون. كلهم عن أسامة بن زيد، وعن عبد الرحمٰن بن عوف مختصراً. وأخرجه يحيى بن سلام عن سعد بن مالك، حسبما ذكره ابن أبي زمنين في المخطوطة ورقة: 10.

(2) في المخطوطات الثلاث: الجبل، وهو خطأ صوابه ما أثبته «الباب». وانظر تفسير الطبري ج 2 ص 114.

قوله: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَد عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾. كان[1] هذا وهم في البرية، فاشتكوا إلى موسى الظمأ فسقوا من جبل الطور[2]، أي: من حجر كان موسى عليه السلام يحمله معه؛ فكانوا إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم، أي: لكل سبط منهم عين مستفيض ماؤها[3]. وقال الحسن: كانت عصا اعترضها من الشجر.

قوله: ﴿ كُلُوا واشْرَبُوا مِن رِزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾. قال بعض المفسرين: ولا تسيروا في الأرض مفسدين. وقال الحسن: لا تكونوا في الأرض مفسدين.

قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا. قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الذِي هُوَ أَدْنَى بِالذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ يعني بالذي هو خير، المنَّ والسلوى.

قال بعض المفسرين: لما أنزل الله عليهم المن والسلوى في التيه ملّوه، وذكروا عيشاً كان لهم بمصر، فقال الله: أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير. كان قد ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المنّ والسلوى فطلبوا الذي هو أدنى مما هم فيه. والفوم الحَبُّ الذي يختبزه الناس[4].

---

(1) في ق و ع و د: «قال هذا»، وهو خطأ.

(2) كذا في ق و ع و د: «فسقوا من جبل الطور». وفي تفسير الطبري ج 2 ص 120: «فأمروا بحجر طورى، ـ أي من الطور ـ أن يضربه موسى بعصاه»... والقول لقتادة.

(3) في ق و ع: «مستقيد ماؤها» وفيه تصحيف، وفي د: «قد علم كل سبط منهم عيناً يرد ماءها».

(4) وفسره بعضهم بأنه الثوم، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود بهذا اللفظ، أي بالثاء. قال الفراء في معاني القرآن ج 1 ص 41: «فكأنه أشبه المعنيين بالصواب؛ لأنه مع ما يشاكله من العدس والبصل وشبهه. والعرب تبدل الفاء بالثاء فيقولون: جدث وجدف، ووقعوا في عاثور شر وعافور شر، والأثاثي والأثافي، وسمعت كثيراً من بني أسد يسمي المغافير المغاثير».

قوله: ﴿ اهْبِطُوا مِصْراً ﴾ يعني مصراً من الأمصار. وتفسير الكلبي: اهبطوا مصرَ، بغير ألف، يعني مصر بعينها ﴿ فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ إن رجعتم إلى مصر، فكرهوا ذلك. وهي عند الحسن مصرُ هذه.

قوله: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِم الذِّلَّـةُ ﴾ يعني بالذلة الجزية يستذلون بها. ﴿ وَالمَسْكَنَةُ ﴾ ينبئك اليهودي أنه مسكين. ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ﴾ يعني استوجبوا غضباً من الله. ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ﴾ يقول: بدين الله. وقال بعضهم: كَانَ خُرُوجُهُمْ إِلَى مصر هذه بأمر الله ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيينَ بِغَيْرِ الحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَالذِينَ هَادُوا﴾ يعني تهوَّدوا ﴿وَالنَّصَـرَى﴾ يعني تنصَّروا. وقال في آية أخرى: (وَمِنَ الذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ) [المائدة: 14] وإنما سمّوا نصارى لأنهم كانوا بقرية تسمى ناصرة[1]، في تفسير بعضهم. ﴿ والصَّـبِينَ ﴾ هم قوم يقرأون الزبور ويعبدون الملائكة. وقال مجاهد: قوم بين اليهود والمجوس، لا دين لهم. قوله: ﴿مَن ءَامَنَ بِاللهِ وَاليوم الآخِرِ وَعَمِلَ صَـلِحاً فَلَهُم أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يعني الجنة عند ربهم ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أي في الآخرة ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أي على الدنيا. يعني من آمن بمحمد وعمل بشرائعه. والإيمان بمحمد أنه رسول الله إيمان بالله.

قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُم الطُّورَ ﴾ والطور الجبل. ﴿ خُذُو مَـا ءَاتَيْنَـكُمْ﴾ أي ما أعطيناكم ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي بجِدّ. قال بعض المفسّرين: جبل كانوا بأصله. فاقتلع الجبل من أصله فأشرف عليهم به، فقال: لتأخذُنّ أمري أو لأرمينّكم به. وفي تفسير بعضهم: لأرمينّكم به فلأقتلنّكـم. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع.

(1) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ج 5 ص 251 ما يلي: «الناصرة، فاعلة من النصر: قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً، فيها كان مولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ومنه اشتق اسم النصارى».

قوله: ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ أي ما في الكتاب، يعني التوراة، أي احفظوا ما فيه [واعملوا به][1] ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي لكي تتقوا. ففعلوا.

قال: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ فنقضتم الميثاق ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾ بعد نقض الميثاق الأول حين اتخذوا العجل ثم عفا عنهم بالتوبة التي أمرهم أن يقتلوا أنفسهم [بها][2] ﴿ وَرَحْمَتُهُ ﴾ إذ لم يعجّل عليك بالعذاب ﴿ لَكُنْتُم مِنَ الخَـٰسِرِينَ﴾ أي من المعذّبين.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُم الذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُم فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَـٰسِئِينَ﴾.

قال الكلبي: ذكر لنا أنهم كانوا في زمان داود بأرض يقال لها أَيْلَة[3] وهو مكان من البحر تجتمع فيه الحيتان في شهر من السنة كهيئة العيد، تأتيهم فيها حتى لا يروا الماء. وتأتيهم في غير ذلك الشهر كل يوم سبت كما تأتيهم في ذلك الشهر. قال بعض أهل التفسير: وذلك بلاء من الله ليعلم من يطيعه ممن يعصيه. قال الكلبي: فإذا جاء السبت لم يمَسّوا منها شيئاً. فعمد رجال من سفهاء تلك المدينة فأخذوا من الحيتان ليلة السبت[4] ويوم السبت. فأكثروا منها وملَّحوا وباعوا، ولم تنزل بهم عقوبة فاستبشَروا وقالوا: إنا نرى السبت قد حلَّ وذهبت حرمته، إنما كان يعاقَب به آباؤُنا في زمان موسى، ثم استَنَّ الأبناءُ سنةَ الآباء. وكانوا يخافون العقوبة، ولو أنهم فعلوا لم يضرَّهم شيءٌ. فعملوا بذلك حتى أَثْرَوا منه، وتزوّجوا النساء، واتخذوا الأموال.

(1) انظر سبب نزول هذه الآية وقصّة أصحاب سلمان الفارسي وإسلامه هو في تفسير الطبري ج 2 ص 150-154، وفي الدر المنثور للسيوطي ج 1 ص 73.

(2) زيادة لا بد منها يتطلبها عائد الصلة: «بها» أو «فيها».

(3) أيلة، أيلات، مدينة على بحر القلزم، البحر الأحمر، مما يلي الشام، وهي آخر الحجاز وأول الشام، انظر تعريفاً بها وافياً في معجم البلدان لياقوت ج 1 ص 292.

(4) كذا في ق و ع و د: «ليلة السبت»، لعلها لليـلـة السبت ويوم السبت». أي ما يكفيهم لليلة واليوم.

فمشى إليهم طوائف من صالحيهم فقالوا: يا قوم، إنكم قد انتهكتم حرمة سبتكم، وعصيتم ربّكم، وخالفتم سنة نبيّكم، فانتهوا عن هذا العمل الرديء من قبل أن ينزل بكم العذاب؛ فإنا قد علمنا أن الله منزل بكم عذابه عاجلاً ونقمته. قالوا: فلم تعظوننا إن كنتم علمتم بهذا العمل منذ سنين منا، فما زادنا الله به إلا خيراً، وإن أطعتمونا لتفعلُنّ كالذي فعلنا. وإنما حرّم هذا على من قبلنا. قالوا لهم: ويلكم لا تغتروا ولا تأمنوا بأس الله فإنه كأنْ قد نزل[1]. قالوا: فـ (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً). قال الذين آمنوا: (مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ). إما أن تنتهوا فيكون لنا أجر، وإما أن تهلكوا فننجو من معصيتكم. قال الله: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) [الأعراف: 164 — 165]، يعني فسق الشرك. فأصبح الذين استحلوا السبت قردة خاسئين[2].

وقال بعضهم: صاروا ثلاث فرق: فرقة اجترأت على المعصية، وفرقة نهت، وفرقة كفّت ولم تصنع ما صنعوا ولم تنههم، فقالوا للذين نهوا لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون.

قوله: (قِرَدَةً خَاسِئِينَ). والخاسىء الذي لا يتكلم[3] وقال بعضهم: فصاروا قروداً تعاوى لها أذناب بعدما كانت رجالاً ونساءً. وقال الحسن: خاسئين: صاغرين.

قوله: ﴿فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلاً لِمَا بَيْنَهَا وَمَا خَلْفَهَـا وَمَوْعِـظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين بعدهم[4]

---

(1) في ق و ع و د: «كأنه قد نزل» والصواب ما أثبت: «كان قد نزل».

(2) في ق و ع و د: «وهم قردة خاسئين» كذا، والصحيح ما أثبت.

(3) كذا في ق و ع و د: «الخاسىء: الذي لا يتكلم. ولم أجد هذا التفسير لأحد فيما بين يدي من كتب اللغة والتفسير اللهم إلا أن يكون معناه: الذي لا يتكلم من الذل والصَّغار والإبعاد. وهل يستروح هذا المعنى من قوله تعالى في سورة المؤمنون: 108 (إخْسَأوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)؟

(4) سقط تفسير هذه الآية ولا شك من ق و ع و د. فقد جاء في مخطوطة ز ما يلي: «(فَجَعَلْنَاهَا=

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤاً قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ ﴾ . . . إلى قوله: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ المَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي لكي تعقلوا.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: قتل رجل ابن عمه فألقاه بين قريتين، فأعطوه ديتين فأبى أن يأخذ. فأتوا موسى فأوحى الله إليه أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها فشدّدوا فشدّد الله عليهم. ولو أنهم اعترضوا البقر أول ما أمروا لأجزاهم ذلك، حتى أمروا ببقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلّمة لا شية فيها، صفراء لا فارض ولا بكر، عوان. الفارض الكبيرة، والبكر الصغيرة، والعوان وسط بين ذلك. لا تثير الأرض ولا يُسنى عليها[1]. فطلبوها أربعين سنة فوجدوها عند رجل بار بوالديه، والبقرة عليها باب مغلق، فبلغ ثمنها ملءَ مسكها[2] دنانير. فذبحت، فضرب المقتول ببعضها فقام، فأخبر بقاتله ثم مات.

وقال بعضهم: هو قتيل كان في بني إسرائيل من عظمائهم، فتفاقم به الشر فأوحى الله إلى موسى أن اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها فإنه يحيا ويخبر بقاتله. ففعلوا فأحياه الله، فدل على قاتله ثم مات. وذكر لنا أنهم ضربوه بفخذها، وأن وليه الذي كان يطلب دمه هو الذي قتله من أجل ميراث كان بينهم، فلم يورث بعده قاتل.

= نَكَالًا) أي: عبرة (لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا). قال قتادة: يعني لما سلف من ذنوبهم قبل أن يصيدوا الحيتان (وَمَا خَلْفَهَا) يعني ما بعد تلك الذنوب، وهو أخذهم الحيتان. قال محمد: والهاء التي في (جَعَلْنَاهَا) هي على هذا التأويل الفَعلة. وقيل: المعنى جعلنا قرية أهل السبت نكالاً لما بين يديها من القرى وما خلفها ليتعظوا بهم». انظر ابن أبي زمنين مخطوطة ز ورقة 11. وقال الفراء في معاني القرآن ج 1 ص 43: «يعني المسخة التي مسخوها جعلت نكالاً لما مضى من الذنوب، ولما يُعمَل بعدها، ليخافوا أن يعملوا بما عمل الذين مُسِخوا فيمسخوا».

(1) في ق و ع: «لا يُسقى عليها» وفي د: «لا يُسنى عليها» وكلاهما صحيح فصيح. ومنه السواني، وهي جمع سانية للناقة أو البقرة التي يستقى عليها. انظر اللسان: سنا.

(2) المَسْك، بفتح الميم وإسكان السين هو الجلد، ويجمع على مُسُوك.

وقال الكلبي: عمد رجلان أخوان من بني إسرائيل إلى ابن عمهما، أخي أبيهما، فقتلاه، وكان عقيماً، فأرادا أن يرثاه. وكانت لهما ابنة عم شابة مثلاً في بني إسرائيل، فخافا أن ينكحها ابن عمهما، فلذلك قتلاهُ.

قوله: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ ذكروا عن الحسن قال: الفارض الهرمة، والبكر الصغيرة والعوان بين ذلك. وقال بعضهم: العوان النصف بين الصغيرة والكبيرة. قال: ﴿ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾.

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾ عن الحسن قال: صافية الصّفرة. قال: ﴿ تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾. قال بعضهم تعجب الناظرين.

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾.

ذكروا عن النبي ﷺ أنه قال: إنما أُمِر القوم بأدنى البقر، ولكنهم لما شدّدوا شدّد الله عليهم، والذي نفسي بيده لو لم يستثنوا ما بُيِّنَت لهم إلى آخر الأبد(1).

قوله: ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ ﴾ أي: صعبة لا ذلول ﴿ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الحَرْثَ ﴾. ذكروا عن ابن عباس قال: لا ذلول: لا يُحرث عليها ولا تسقي الحرث، أي: لا يُسقى عليها. ذكر بعض المفسرين أنه قال: شدَّدوا فشُدِّدَ عليهم، فكلَّفوها وحشية.

(1) الاستثناء هو قولهم (وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ). هذا الحديث رواه الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة مرفوعاً. وقد شك ابن كثير في رفعه وقال فيه: «حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة». انظر القول الفصل في تخريج هذا الحديث في كتاب: عمدة التفسير للحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق أحمد محمد شاكر ج 1 ص 164-165. ط دار المعارف بمصر 1376/1956.

قوله: ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾. قال: سليمة من العيوب. قال الحسن: مسلّمة القوائم والجسد، ليس فيها أثر رجل ولا يد للعمل. قوله: ﴿ لَا شِيَةَ فِيهَا ﴾ أي: لا بياض فيها. وتفسير مجاهد: لا سواد فيها ولا بياض.

قوله: ﴿ قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالحَقِّ ﴾ أي الآن بيّنت. قال الله: ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ أي تدافعتم بعضكم على بعض، أي: يحيله[1] بعضهم على بعض ﴿ وَاللهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ وقد فسّرناه في قصة البقرة. ذكر قصة البقرة قبل تداريهم في قتل النفس.

قوله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ المَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي لكي تعقلوا. قال بعضهم: يريكم آياته أي عِبَرَه. وذكروا عن ابن عباس في قوله: اضربوه ببعضها، أي: بعضدها. وقال مجاهد: بفخذها. ففعلوا فقام فأخبرهم بقاتله، ثم مات.

قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ أو في هذا الموضع بل، أي بل هي أشد قسوة. وهو كقوله: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مائةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُون) [الصافات: 147] أي: بل يزيدون.

ثم قال: ﴿ وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَـٰرُ﴾. واللام هاهنا صلة[2] أي: من عيونها ما يكثر ماؤه. ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ ﴾ يعني ما يتشقق فيخرج منه الماء حتى تجري منه الأنهار، ومن عيونها ما يقل ماؤه. ﴿ وَإِنَّ

(1) كذا في د: «يحيله»، وفي ق و ع: «يحمله بعضهم على بعض».

(2) كذا في المخطوطات الثلاث: «صلة» أي زائدة في اصطلاح قدماء النحاة. والحق أنها ليست كذلك، فهي لام الابتداء، وتسمى اللام المزحلقة، وتفيد توكيد مضمون الجملة. أما إذا قصد المؤلف بوصفها صلةً كونَها غيرَ عاملة فنعم. انظر ابن هشام، مغني اللبيب ج 1 ص 228.

مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾. واللام هاهنا صلة. قال الحسن: يعني سجودها. إن الجبل يسجد لله ويسبح، وإذا قطع منه شيء فالذي قطع لا يسجد ولا يسبح. ﴿ وَمَا اللهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

وقال بعضهم: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ)، أي: من بعدما أراهم الله من إحياء الموتى ومن أمر العجائب فقست قلوبهم من بعد ذلك؛ فعذر الحجارة ولم يعذر شقي ابن آدم فقال: (وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ. . .) إلى آخر الآية. (وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ).

قوله: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ يقول للنبي ﷺ وللمؤمنين أفتطمعون أن يصدقوكم، يعني به جماعة اليهود، وقد قال: (وَلَئِن أَتَيْتَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ) [البقرة: 145]، يعنى به جماعتهم، لأن الخاصة قد تتبع قبلته. ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾. قال الحسن: التوراة، حرّفوا كلام الله في محمـد[2] والإسلام، يجعلونها قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً. وقد فسّرنا قول الكلبي فيها قبل هذا الموضع. وقول الحسن أحبّ إلي، والله أعلم.

قوله: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الذِينَ آمَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ وهم اليهود ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُم إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ ﴾ أي بما بيّن الله لكم في كتابكم من بعث محمد عليه السلام. ﴿ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. أَوَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾. فما يسرون: مما قال اليهود بعضهم

(1) قال مجاهد: «كل حجر يتفجّر منه الماء، أو يشقّ عن ماء، أو يهبط من جبل، فمن خشية الله عز وجل» نزل بذلك القرآن. انظر تفسير مجاهد: 80، ومخطوطة ابن أبي زمنين ز: ورقة 12.

(2) كذا في ق و ع: «في محمد والإسلام»، وفي د: «في محمد عليه السلام». وفي ز: جاءت العبارة كالتالي: «قال الحسن: يعني كتاب الله التوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِمَا عَقَلُوهُ﴾ حرفوا ما في التوراة من صفة محمد ﷺ ودينه».

لبعض، وما يعلنون: إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا. وقال بعضهم: ما يسرّون كفرهم بمحمد وهم يجدونه مكتوباً عندهم.

وقال مجاهد: هذا حين شتَمَهم النبيُّ وقال: يا إخوة القردة والخنازير[1] قالوا: من حدّثه بهذا؟.

قال الكلبي: قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم في كتابكم من أمر نبيهم ثم لا تتبعونهم ولا تدخلون في دينهم؟ فهذه حجة لهم عليكم ليحاجوكم بها عند ربكم. قالوا وهم يتلاومون: أفلا تعقلون. يقول الله لنبيه: أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون. وهذا قول علمائهم، وهم الذين كتموا وكذبوا فاتَّبعتهم السوقة.

يقول الله: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ أي: إلا أحاديث لا يعلمون إلا ما حُدِّثوا[2]. ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ أي: هم على غير يقين، أي: إن صدقت قراؤهم صدقوا، وإن كذبت قراؤهم كذبوا.

وقال الحسن: إلا أماني. أي: إلا أن يتمنّوا فيه الكذب من قولهم: (لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نصارى)[المائدة: 111]. تقول اليهود: نحن الذين يدخلون الجنة. وقالت النصارى: نحن الذين يدخلون الجنة. وتمنوا أيضاً (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً) [البقرة: 79].

وقال بعضهم: إلا أماني وإن هم إلا يظنون، يقول: لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه إلا أماني، يتمنّون على الله ما ليس لهم، ويظنون الظنون بغير الحق.

---

(1) قال السيوطي في الدر المنثور ج 1 ص 81: «أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قام النبي ﷺ يوم قريظة تحت حصونهم فقال: يا إخوان القردة والخنازير، ويا عبدة الطاغوت، فقالوا: من أخبر هذا محمداً؟ ما خرج هذا الأمر إلا منكم. انظر سيرة ابن هشام 234:3، ومغازي الواقدي ج 2 ص 500.

(2) كذا في ق و ع و د، «إلا ما حدثوا». وفي ز: «ما يحدثهم به قراؤهم به فيقبلونه».

قوله: ﴿فَوَيْلٌ للذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾. قال الكلبي: هم أحبار اليهود وعلماؤهم؛ عمدوا إلى نعت النبي عليه السلام في كتابهم، فزادوا فيه ونقصوا منه، ثم أخرجوه إلى سفلتهم فقالوا: هذا نعت النبي الذي يبعثه الله في آخر الزمان، ليس كنعت هذا الرجل. فلما نظر السفلة إلى محمد ﷺ لم يروا فيه النعت الذي في كتابهم الذي كتبت أحبارهم. وكانت للأحبار مأكلة، فقال الله: (فَوَيْلٌ لِلذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً). أي: تلك المأكلة: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾. قال بعض المفسّرين: قالت اليهود: لن يدخلنا الله النار إلا تحلّة القسم، عدد الأيّام التي عبدنا فيها العجل، فإذا انقضت عنا تلك الأيام انقطع عنا العذاب والشر.

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُم عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. أي: إنكم لم تتخذوا عند الله عهداً وإنكم لتقولون على الله ما لا تعلمون.

وقوله: أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً، يعني التوحيد[1] وهو مثل قوله: (أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ). [سورة نٓ: 39]. وتفسير ذلك في سورة نٓ.

ذكروا عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خمس صلوات كتبهن الله على عباده، من جاء بهن تامة فإن له عند الله عهداً أن يدخله الجنة. وإن لم يجىء بهن تامة فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء رحمه[2].

(1) يعني هل قلتم لا إله إلا الله ولم تشركوا ولم تكفروا فتتخذوا بذلك عهداً عند الله. وهذا رأي لابن عباس رواه عنه الضحاك مذكور في تفسير الطبري ج 1 ص 279.

(2) كذا في ق: «رحمه» وفي ع و د: «غفر له» وفي رواية: «أدخله الجنة». والحديث صحيح أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي في السنن، وابن حبان والحاكم في مستدركه. =

وتفسير مجاهد: ﴿قُل أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً﴾ أي: موثقاً بأنه كما تقولون: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾.

وقال الكلبي: إن اليهود زعمت أنهم يعذَّبون أربعين يوماً عدد أيام العجل الذي عبدوه فيها. فقال الله: ﴿قُل أَتَخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ﴾. قال: فإذا أدخلهم الله النار عذّبهم عدد تلك الأيام لكل يوم سنة، فتلك أربعون سنة، ثم يُقال لهم: يا أعداء الله، هذه الأيام قد مضت والأجل الذي قلتم وبقي الأبد، لا تخرجون منها أبداً؛ فعند ذلك انقطع الرجاء، وأيقنوا بالخلود في النار، وقيل لهم:

﴿بَلىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ يعني الشرك ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ ثم مات ولم يتب منه ﴿فَأُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾. ﴿وَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. أي لا يموتون ولا يخرجون منها أبد الأبد. عن الحسن قال: بلى من كسب سيئة، سيئة الشرك. وأما قوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً﴾، إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له(1).

قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَـا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي القُرْبَى وَاليَتَامَىٰ وَالمَسَـٰكِينِ وَقُولُوا لِلهِ حُسْناً﴾. قال الحسن: تأمرونهم بما أمرهم الله به، وتنهونهم عما نهاهم الله عنه. قال: قال لهم نبيهم أمروهم أن يقولوا إن محمداً رسول الله.

قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي كفرتم وجحدتم ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ﴾ القليل الذين اتبعوا النبي. ﴿وَأَنْتُم مُعْرِضُونَ﴾ عما جاء به النبي جاحدون له(2).

= وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده ج 1 ص 52 (رقم 189) بألفاظ مماثلة إلا أنه جاء في آخره: «ومن نقص من حقهن شيئاً فله عند الله عهد أن يدخله النار».

(1) كذا وردت هذه الجملة في المخطوطات الثلاث، وهي عود على الآية السابقة ويبدو فيها اضطراب، ولعل فيها خرماً، ولم أجد في ز ما يعين على توضيح المقصود.

(2) كذا في د: «النبي»، وفي ق و ع: «النبيون».

وقوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ﴾ [أي لا يخرج بعضكم بعضاً] ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ [أن هذا حق] ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰؤُلَاءِ﴾ [قيل أراد يا هؤلاء] ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ [أي تعاونون عليهم] ﴿بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [يعني الظلم] ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾(1).

قال الحسن: فنكثوا فجعل يقتل بعضهم بعضاً ويخرج بعضهم بعضاً من ديارهم يظاهرون عليهم بالإثم والعدوان، وإن أسِر من أصحابهم أحد فادوهم. وكان ذلك الفداء مفروضاً عليهم، فاختلفت أحكامهم، فقال الله: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ ﴾ أي الفداء ﴿ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ أي القتل والإخراج من الدور.

قوله: ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُم إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَـٰوةِ الدُّنْيَا ﴾ قال الكلبي: الخزي النفي والقتل. فقتلت قريظة ونفيت النضير، أخزاهم الله بما صنعوا. وقال الحسن: الخزي الجزية.

قال الله: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ يعنيهم(2). وهي تقرأ على ثلاثة أوجه: بالتاء جميعاً: تُرَدُّون وتعملون، والوجه الآخر بالياء؛ يقول للنبي: يُرَدُّون ويَعْمَلُون. والوجه الثالث يقوله لهم: فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ في الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ وَما اللهُ بِغَافِلٍ عما تَعْمَلُونَ جَميعاً.

قوله: ﴿ أُولَـٰئِكَ الذِينَ اشْتَرَوُا الحَيَـٰوةَ الدُّنْيَا بِالآخِـرَةِ ﴾ قال بعضهم: استحبّوا الحياة الدنيا على الآخرة؛ استحبوا قليل الدنيا، لأن ما فيها ذاهب، على كثير الآخرة الباقي. قال الحسن: اختاروا الحياة الدنيا على الآخرة.

(1) لم تفسر هذه الآية في ق ولا في ع و د، فأثبت ما جاء في ز زيادة بين المعقوفين.

(2) في ق و ع: «يعينهم»، وفي د: «بغيهم» وفي كلتيهما تصحيف، والصواب ما أثبته إن شاء الله: «يعنيهم»، أي يقصدهم، يقصد اليهود الذين كانوا في زمن الرسول ﷺ، وهذا على قراءة من قرأ: «وما الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ».

قال: ﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ أي ليس لهم ناصر ينصرهم من عذاب الله.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ ﴾ أي التوراة ﴿ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ أي اتبعناه بهم ﴿وءَاتَيْنَا عِيسَى بنَ مَرْيَمَ البَيِّنَـٰتِ ﴾. قال الكلبي: يعني الآيات التي كان يريهم عيسى من إحياء الموتى، وما سوى ذلك مما سمّاه الله: ﴿ وَأَيَّدْنَـٰهُ ﴾ أعنّاه ﴿ بِرُوحِ القُدُسِ ﴾ يعني جبريل عليه السلام. الروح جبريل والقدس هو الله[1]. وهو اسم به كان عيسى يحيـي الموتى، وأيّده على عدوهم فأصبحوا ظاهرين على الكفار، وأيّده بما أتاه من العجائب والآيات[2].

قوله: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُم ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾.

قال الكلبي: لما أنزل الله وآتينا عيسى بن مريم البينات قالت اليهود عند ذلك للنبي عليه السلام: فلا مثل ما جاء به موسى جئتنا به، ولا مثل ما عمل موسى. كما زعمت عملت، ولا كما يقص علينا أنبياؤنا فعلت، قال الله: أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُم اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ، أي: قتلتم. فلما قال لهم النبي عليه السلام ذلك سكتوا وعرفوا أنه الوحي من الله عيّرهم بما صنعوا.

﴿ وَقَالُوا ﴾ يا محمد ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ في أكنة لا تعقل ولا تفقه ما تقول، وكانت قلوبنا أوعية للعلم، فلو كنت صادقاً سمعنا ما تقول. ذكروا عن الحسن أنه

---

(1) ومن معانيه أيضاً الطهر. والتقديس التطهير، وهو قول مروي عن ابن عباس. انظر تفسير الطبري ج 1:475-476، وج 2 ص 321-322، والسيوطي، الدر المنثور ج 1 ص 86، واللسان: قدس.

(2) كذا في ز «بما أتاه من العجائب والآيات» وفي ق و ع: «بما أراه من الأعاجيب والآيات».

قال: غُلْفٌ قلف لم تختن لقولك يا محمد[1]. وقال ابن مجاهد عن أبيه: غلف أي: في أكنة.

قال الله: ﴿ بَلْ لَعَنَهُم اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ ﴾. قال بعضهم: قلَّ من آمن من اليهود[2].

وقال الحسن: قال رسول الله ﷺ: لو آمن بي وصدّقني واتّبعني عشرة من اليهود لم يبق على ظهرها يهودي إلاّ اتّبعني[3]. قال كعب: اثنا عشر من اليهود، ومصداق ذلك في كتاب الله: (وَلَقَد أَخَذَ اللهُ مِيثَـٰقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُم اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً) [المائدة: 12].

وقال بعض المفسّرين: لا نعلم أحداً من اليهود أسلم على عهد النبي إلا رجل واحد. والحسن يذكر آخر، ولا ندري من هو.

وقال بعض المفسّرين في قوله تعالى: (الذِينَ آتَيْنَاهُم الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُومِنُونَ) [القصص: 25] ذكروا عن رِفاعةَ القُرَظي في قوله: (الذِينَ آتَيْنَاهُم الكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) قال نزلت في عشرة من اليهود أنا أحدهم. وذكر بعضهم أن النبي ﷺ قال: لو آمن بي واتبعني وصدَّقني عشرة من اليهود... بعد ما أسلم الرجلان اللذان ذكر بعض أهل التفسير، فيكونون تمام اثني عشر كما قال كعب، والله أعلم.

---

(1) روى هذا القول ابن أبي حاتم عن قتادة عن الحسن، ورواه ابن كثير في تفسيره ج 1 ص 216.

(2) اختار المؤلف هنا هذا التفسير الذي هو لقتادة، وأيّد ما ذهب إليه بالحديث الذي رواه الحسن وبقول رفاعة القرظي. وقد أورد الطبري أيضاً هذا التفسير ولكنه لم يرتضه ورد عليه معتمداً على قواعد من لغة العرب، ورجّح تفسيراً سبقه إليه الفرّاء ـ ولم يَعزُه إليه ـ وخلاصته أن قوله تعالى: فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ يحتمل وجهين: أحدهما: «ألا يكونوا آمنوا قليلاً ولا كثيراً»، والوجه الثاني: «أن يكونوا يصدِّقون بالشيء قليلاً ويكفرون بما سواه؛ بالنبي ﷺ فيكونون كافرين». انظر معاني الفراء ج 1 ص 59-60، وتفسير الطبري ج 2 ص 329-331.

(3) أخرجه البخاري في باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة عن أبي هريرة بلفظ: «لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود». وبلفظ آخر ورد في سير أعلام النبلاء للذهبي ج 2 ص 446: «لو آمن بي عشرة من أحبار يهود لآمن بي كل يهودي في الأرض».

قوله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ أي القرآن ﴿ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ﴾ أي: التوراة والإنجيل ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الذِينَ كَفَرُوا ﴾ والاستفتاح الدعاء ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكَـٰفِرِينَ ﴾.

قال بعض المفسّرين: كانت اليهود تستنصر بمحمد ﷺ على كفار العرب. كانوا يقولون: اللهم ايت بهذا النبي الذي يقتل العرب ويذلهم. فلما رأوا أنه من غيرهم حسدوه وكفروا به. قال الله: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكَافِرِينَ).

قوله: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا به ﴾ أي: باعوا به ﴿ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْياً ﴾ كفروا به حسداً ﴿ أَن يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ﴾ أي: استوجبوا غضباً على غضب ﴿ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾.

قال بعض المفسرين: غضب على غضب: غضب عليهم بكفرهم بالإنجيل، وغضب عليهم بكفرهم بالقرآن.

وقال الكلبي: تفسير اشتروا به أنفسهم، يعني أحبارهم أن جحدوا نبي الله مخافة أن تذهب مأكلتهم فباعوا أنفسهم بما يصيبون فأهلكوا أنفسهم فصاروا في النار.

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُومِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾ أي بما بعده. كفرت اليهود بالإنجيل وبالقرآن. قال الله: ﴿ وَهُوَ الحَقُّ ﴾ ويعني القرآن ﴿مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ﴾ أي التوراة والإنجيل، موافقاً للذي في كتبهم. قالوا: فإنك لم تأتنا بمثل الذي أتى به نبينا. ولم يكن لنا نبي إلا يأتينا بقربان تأكله النار. وكان أعداء الله يتولون آباءهم الذين قتلوا أنبياء الله من قبل، فلذلك يقول: ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

قال الحسن: يعني به أوّليهم: يقول إن كانوا يؤمنون بما أنزل الله عليهم

فليس فيما أنزل الله عليهم قتل أنبيائهم. فكذَّبهم الله في قولهم: (نُومِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا).

قوله: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالبَيِّنَـٰتِ ﴾ يعني أوليهم ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ العِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾ قد فسَّرنا أمر العجل قبل هذا الموضع[1].

قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُم الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[2].

قوله: ﴿ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ سمعنا ما تقول، وعصينا أمرك. ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِم العِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾. قال الحسن: ليس كلهم تاب وقَبِل ذلك: فمنَ لم يتب فهم الذين بقي حبُّ العجل في قلوبهم، وهم الذين قال الله فيهم: (إِنَّ الذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِن رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الحَيَـاةِ الدُّنْيَا...) [الأعراف: 152].

قوله: ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَـٰنُكُمْ إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ ﴾. أي لو كان الإيمان في قلوبكم لحجزكم عن عبادة العجل. يقول: بيسما يأمركم به إيمانكم أن تعبدوا العجل. وهو مثل قوله: (وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِنْـدَ البَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْـدِيَةً) [الأنفال: 53] وأشباه ذلك يقول: إن كنتم مومنين فإن إيمانكم لا يأمركم بعبادة العجل. ثم رجع إليهم لقولهم: (لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارى) [البقرة: 111]، ولقولهم: (لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً) [البقرة: 80]. فقال:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَة عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ أي أنكم من أهل الجنة حتى تدخلوا الجنة بزعمكم. قال: ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: بما أسلفوا من الأعمال الخبيثة، لأنهم يعلمون أنهم معذَّبون، يعني به الخاصة الذين جحدوا وكفروا حسداً وبغياً من بعد ما تبيّن لهم. ﴿ وَاللهُ عَلِيمٌ بالظَّـٰلِمِينَ ﴾.

(1) انظر ما سلف: ص 105.

(2) انظر ما سلف: ص 107.

قال: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ على حَيَوٰةٍ وَمِنَ الذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾. قال الحسن: يعني مشركي العرب. و[قال ابن عباس: الذين أشركوا هم المجوس، وذلك أن المجوس كانوا يلقون الملك بالتحية في النَّيْرُوزِ والمَهرجان(1) فيقولون له: عش أيها الملك ألف سنة كلها مثل يومك هذا](2). وذكر سعيد بن جبير عن ابن عباس: [هو قول أحدهم إذا عطس: «زه هزار سال»](3).

قال: ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾ أي: وما عمره بمزحزحه أي بمنجيه(4) من العذاب ﴿ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ ﴾ قال الحسن: إن اليهود قالوا: إن جبريل لا يأتينا إلا بالشتم والذمّ، وإنما يفعل ذلك لعداوة بيننا وبينه، وميكائيل ليِّن؛ فعادَوا جبريلَ. فأنزل الله: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ. أي نزّل القرآن الذي فيه شتم اليهود وعيبهم بإذن الله ﴿ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي من كتب الله المتقدّمة.

وقال بعضهم: إن اليهود قالت للنبي ﷺ: من صاحبك الذي يأتيك بالوحي؟ فقال: جبريل. فقالت: ذلك عدوّنا من الملائكة، وإنه ينزل بالعذاب والنقمة، وإن ميكائيل ينزل باللّين والرحمة، أو كما قالوا.

(1) المَهرجان، ضبطت الكلمة في مخطوطة ز بفتح الميم، ووجدتها في معجم بكسر الميم، وهو عيد الفرس.

(2) رأيت من الأحسن إثبات قول ابن عباس في النص لأنه لابن سلام لا لابن أبي زمنين. والزيادة من مخطوطة ز ورقة 14.

(3) لم تبين المخطوطات ق ع د قول ابن عباس الذي رواه سعيد بن جبير. وقد أورده الطبري في تفسيره ج 2 ص 373 فرأيت من المناسب زيادته هنا لأن السياق يتطلبه. ومعنى الكلمات الفارسية هو: عش ألف سنة.

(4) كذا في ق و ع و د: «بمنجيه» وفي ز: «بمباعده»، وفي تفسير الطبري ج 2 ص 375 «بمنحيه».

وقال بعضهم: فإنه نزله على قلبك، أي نَزَّل القرآنَ على قلبك.

قال: وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى نفراً من اليهود. فلما أبصروه رحّبوا به، فقال: أما والله ما جئتكم لحبّكم، ولا لرغبة فيكم، ولكن جئت لأسمع منكم. فسألهم وسألوه. فقالوا له: من صاحب صاحبكم؟ فقال: جبريل. قالوا: ذاك عدونا من أهل السماء، يطلع محمداً على سرنا، وهو إذا جاء جاء بالحرب والسنة[1]. وكان صاحب صاحبنا ميكائيل، وكان إذا جاء جاء بالسلام وبالخصب. فقال لهم عمر: أفتعرفون جبريل وتنكرون محمداً. ففارقهم عند ذلك، وتوجه نحو النبي عليه السلام ليحدثه حديثهم فوجده قد أنزلت عليه هذه الآية: (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجبْرِيلَ. . .) إلى آخر الآية.

وقال بعضهم: جادلهم عمر حين قالوا إن جبريل عدوّنا من الملائكة وميكائيل وليُّنا. فقال لهم: حدثوني عن وليّكم من الملائكة، هل يتولّى عدوّكم من الملائكة. فإن كان يتولى وليُّكم من الملائكة عدوَّكم من الملائكة فلِمَ عاديتم من يتولاه وليّكم؟ فمن عادى جبريل فهو عدو الله والملائكة والمؤمنين. فأنزل الله مصداق عمر:

﴿ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لله وَمَلَـٰئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْـرِيلَ وَمِيكَـائِيلَ فَـإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ قال الكلبي: إنَّ اليهود قالت: إنَّ جبريل عدوٌّ لنا، فلو أنَّ محمداً يـزعـم أنَّ ميكائيل هو الذي يأتيه صدَّقناه. وإن جبريل عدوٌّ لميكائيل؛ فقال عمر: فإني أشهد أن من كانِ عدوّاً لجبريل فإنه عدوٌّ لميكائيل؛ فأنزل الله هذه الآية.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الفَـٰسِقُونَ﴾ يعني جميع من كفر بها.

(1) في ق و ع و د: «بالسبّة» وهو تصحيف ظاهر صوابه ما أثبته: بالسنة، والسنة الجدب والقحط، وتجمع الكلمة على سنين، ومنها قوله تعالى: (وَلَقَد أَخَذْنَا آل فِرْعَوْنَ بالسِّنينَ وَنَقْص مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) [الأعراف: 130].

قوله: ﴿ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ ﴾ أي: نقضه ﴿ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ﴾ يعني اليهود. ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُومِنُونَ ﴾ كقوله: (فَقَلِيلاً مَّا يُومِنُونَ) [البقرة: 88].

قوله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ يعني محمداً عليه السلام ﴿ نَبَذَ ﴾ أي نقض ﴿ فَرِيقٌ مِنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ أي كأنهم ليس عندهم من الله فيه عهد، وعندهم من الله فيه العهد، يعني من كفر منهم.

قوله: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَـٰطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾.

ذكر بعض المفسرين أن الشياطين ابتدعت كتاباً فكتبت فيه سحراً وأمراً عظيماً، ثم أفشته في الناس وعلّموهم [إياه][1]. فبلغ ذلك سليمان فتتبع تلك الكتب، فدفنها تحت كرسيه كراهة أن يتعلّمها الناس. فلما قبض الله سليمان عمدت الشياطين فاستخرجوها من مكانها وعلّموها الناس، وقالت: هذا علم كان سليمان يستأثر به ويكتمه. فعذر الله سليمان، وأخبر أن الشياطين هي التي كتبت تلك الكتب. فقال: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ). أي من الكهانة والسحر، (عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ. وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ). أي: وما كان ذلك عن مشورته ولا عن أمره، ولا عن رضى منه، ولكنه شيء افتعلته الشياطين دونه، ولكن الشياطين الذين افتعلوا ذلك هم الذين كفروا يعلّمون الناس السحر.

قال الكلبي: إن سليمان كان أصاب[2] ذنباً فأَحبّ الله أن يعجِّل عقوبتَه في الدنيا. فابتلاه بما كان من أمر الشيطان الذي كان خَلَفَه، وذهب ملك سليمان. فلما انقضت المُدَّة ونزلت رحمة الله عليه ألقى الله في نفس الناس استنكار الشيطان، فمشوا إلى أصف، أحدِ الثلاثة خزان بيت المقدس، فقالوا: يا أصف،

(1) زيادة يقتضيها المعنى.
(2) في ق وع: «كان صاحب ذنب» وهو خطأ في التعبير ومن مسخ النساخ نتزّه عنه الأنبياء.

إنا قد أنكرنا قضاء الملك وعِلمَه، فلا ندري أنكرت ما أنكرنا أم لا. فقال نعم. ولكني سوف أدخل على نسائه، فإن كُنَّ أنكرن منه مثل الذي أنكرنا فذلك أمر عمّ الناس، فاصبروا حتى يكشف الله عنكم، وإن لم ينكرن منه مثل الذي أنكرنا فهو أمر خُصِصنا به، فادعوا الله لملِكِكم بالصلاح والعافية. فانطلق أصف فدخل على نسائه، فسألهن عنه، فقلن: إن كان هذا سليمانَ فقد هلكنا وهلكتم. فخرج أصف إلى الناس فأخبرهم، فدعوا الله ربهم أن يكشف عنهم.

فلما رأت الشياطين الذي فيه الناس من الغفلة كتبوا سحراً كثيراً على لسان أصف، ثم دفنوه في مصلّى سليمان وفي بيت خزانته وتحت كرسيه وضربوا عنه.

وفشا الاستنكار من الناس للشيطان[1] وانقضت أيامه، ونزلت الرحمة من الله لسليمان. فعمد الشيطان إلى الخاتم فألقاه في البحر. فأخذه حوت من حيتان البحر. وكان سليمان يؤاجر نفسه من أصحاب السفن، ينقل السمك من السفن إلى البرِّ، على أن له سمكتين كل يوم. فأخذ سليمان في أجرته يوماً سمكتين فباع إحداهما برغيفين، وشقَّ بطن الأخرى، فجعل يغسلها، فإذا هو بالخاتم. فأخذه، والتفت إليه الملاّحون فعرفوه، فأقبلوا إليه فسجدوا له. وتفسير السجود في سورة يوسف[2]. فقال: ما أحمدكم الآن على السجود، ولا ألومكم على ما كنتم تفعلون. وذلك أنه كان إذا أصابه الجهد استطعم وقال: أنا سليمان بن داود فيكذبونه ويستخِفّون به.

فأقبل سليمان إلى ملكه فعرفه الناس واستبشروا به، وأخبرهم أنه إنما فعله به الشيطان. فاستغفر سليمان ربه فقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِن بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾ [صٓ: 35].

---

(1) في ق و ع: «للشياطين»، وفي القصة اضطراب في بعض العبارات وأخطاء صححتها قدر المستطاع.

(2) سيأتي تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾ [يوسف: 100].

فسخّر الله له الريح والشياطين، وسخّر له الشيطان الذي فعل به ذلك الفعل، واسمه صخر، فأخذه سليمان فجعله في تخت من رخام، ثم أطبق عليه، وسدّ عليه بالنحاس، ثم ألقاه في عرض البحر. فمكث سليمانُ في ملكه راضياً مطمئنّاً حتى قبضه الله إليه حميداً، صلّى الله عليه وسلم.

ثم أتت الشياطين إلى أوليائهم من الأنس فقالوا: ألا ندلكم على ما كان سليمان يملك به الأنس، وتدين له به الجن، وتُسخَّر له الرياح؟ فقالوا: بلى. قالوا: احفروا في مصلّاه وبيت خزائنه وتحت كرسيه. ففعلوا. فاستخرجوا كتباً كثيرة مكتوباً [عليها][1]: «هذا ما عمل آصف للملك سليمان. فلما قرأوها إذا هي الشرك بالله. وقال صلحاء بني إسرائيل: معاذ الله أن نتعلمه! ولئن كان سليمان يعمل بهذا ويدين الله به لقد هلك سليمان. فتعلَّمه سفلةُ الناس من بني إسرائيل وقالوا: الملك خير منا يتعلم ما كنا نتعلم. وفشت اللائمة والقالة السيئة لسليمان في بني إسرائيل حتى عذره الله على لسان محمد ﷺ فقال: (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ).

قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾. وهذا الكلام موصول بما قبله. يقول: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ) واتبعوا (مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ) يعني الفرقة بين المرء وزوجه.

قال بعض المفسرين: إن السحر سحران: سحر تعلِّمه الشياطين، وسحر يعلِّمه هاروت وماروت.

وقال الحسن: إن المَلَكَين ببابل إلى يوم القيامة. وإن من عزم على تعلُّم السحر ثم أتاهما سمع كلامهما من غير أن يراهما ويلقاهما بالنظر.

ذكر مجاهد أن الملائكة عجبت من ظلم بني آدم وقد جاءتهم الرسل بالكتب فقال لهم ربهم: اختاروا منكم اثنين أنزلهما يَحكُمَان في الأرض، فكانا هاروتَ

---

(1) زيادة يقتضيها المعنى.

وماروتَ. فحكما فعدلا حتى نزلت عليهما الزُّهرة في صورة أحسن امرأة تخاصم. فقالا لها: ائتينا في البيت. فكشفا لها عن عوراتهما وافتتنا بها. فطارت الزهرة فرجعت حيث كانت. ورجعا إلى السماء فزُجِرا فاستشفعا برجل من بني آدم، فقالا له: سمعنا ربَّك يذكرك بخير [فاشفع لنا](1). فقال: كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء؟ ثم واعدهما يوماً يدعو لهما فيه. فدعا لهما. فخيِّرا بين عذاب الدنيا وبين عذاب الآخرة. فنظر أحدهما إلى الآخر فقال: ألم تعلم أن أفواج (2) عذاب الله في الآخرة كذا وكذا وفي الخلد أيضاً؟ فاختارا عذاب الدنيا. فهما يعذَّبان ببابل.

ذكروا عن علي بن أبي طالب أنه قال: كانت الزهرة امرأة جميلة معجبة؛ فخاصمت إلى الملكين فراوداها فقالت: لا أفعل حتى تعلِّماني الاسمَ الذي إذا تُكُلِّم به عُرِجَ إلى السماء. فعلَّماها إياه، فعرجت، فمسخها الله كوكباً.

ذكروا عن ابن عباس في هاروت وماروت أنه قال: أتتهما امرأة تخاصم إليهما، فافتتنا بها، فأراداها على نفسها، فقالت: لا أمكنكما من نفسي حتى تشربا هذا الخمر، وتعبدا هذا الصنم؛ وجاءهما رجل فقتلاه مخافة أن يقول عليهما.

ذكروا عن صفوان بن سليم أنه قال: ما نهض ملك من الأرض إلى السماء حتى يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ذكروا عن ابن عمر أنه كان يقول إذا رأى الزهرة: لا مرحباً بك ولا أهلاً.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: أتدرون ما كانت تسمّى هذه الكوكب الحمراء في قومها؟ يعني الزهرة، كانت تسمى بيدخت. ذكروا عن علي أنه قال: كان يقال لها أناهيذ(3).

---

(1) زيادة يقتضيها سياق الكلام، وهي موجودة في ز: ورقة 15.

(2) كذا في المخطوطات الثلاث ق، ع، و د، وفي ز «أفواج». وفي تفسير الطبري ج 2 ص 435: «أنواع».

(3) قصة هاروت وماروت والزهرة رواها كثير من المفسرين باختلاف في بعضها. وأغلبها - إن =

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ﴾.

قال بعض المفسرين: كان أخذ عليهما ألا يعلما أحداً حتى يقولا له: إنما نحن فتنة، أي بلاء، فلا تكفر.

قال: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ وهو أن يُؤَخَّذَ كل واحد منهما عن صاحبه[1]، ويُبَغَّضَ كلُّ واحد منهما إلى صاحبه.

قوله: ﴿ وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ ﴾ قال الحسن: من شاء الله سلّطهم عليه، ومن شاء مَنَعهم منه. وقال بعضهم: إلا بأمر الله.

قوله: ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَنهُ﴾ أي: لمن استحبه، أي اختاره على التوراة[2] ﴿ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾.

قال بعض المفسرين: قد علم أهل الكتاب في عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة عند الله يوم القيامة. وقال الكلبي: ما له في الآخرة من خلاق، أي ما له من نصيب. قال وهو مثل قوله: (وَمَا لَهُ فِي الآخِرَة مِنْ نَصِيبٍ) [الشورى: 20] أي من الجنة. ﴿ وَلَبِيسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ أي: باعوا به أنفسهم. وكل شيء في القرآن شروا وشروه فهو بيع. وكل شيء فيه اشترى واشتروا فهو الشراء إلا قوله: (بِيسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ) [البقرة: 90] فإنه يعني بيسما باعوا به أنفسهم.

= لم أقل كلها ـ أباطيل من القول وزور. ومن أحسن ما قيل فيها ما كتبه ابن كثير تعليقاً عليها إذ قال: «وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى. وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب. فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال». انظر تفسير ابن كثير ج 1 ص 248.

(1) كذا: «يُؤَخَّذَ كل واحد منهما عن صاحبه» وهو صحيح. و«التأخيذ أن تحتال المرأة بحيل في منع زوجها من جماع غيرها، وذلك نوع من السحر». ومنه الأخذة: رُقية كالسحر. انظر اللسان: أخذ.

(2) كذا في ق و ع و د: «اختاره على التوراة» أي اختار السحر على ما في التوراة.

قوله: ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ قال الحسن: لو كانوا علماء أتقياء ما اختاروا السحر.

قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُم آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ يعني الثواب يوم القيامة ﴿ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لو كانوا علماء لآمنوا بعلمهم ذلك واتقوا؛ ولا يوصف الكفار بأنهم علماء.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِين آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾. قال الحسن: راعناً: الهجر[1] من القول، نهاهم الله أن يقولوا كما قالت اليهود، وهو قوله: (مِنَ الذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ). [النساء: 46]. وقال بعضهم عن الحسن: وهو التحريف للوحي الذي يأتيهم من الله.

قال: ﴿ وَقُولُوا انْظُرْنَا ﴾ أي انتظرنا نتفهّم. ﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ ما يأمركم به رسول الله ﷺ. قال: ﴿ وَلِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ الذين لا يقولون انظرنا ولا يسمعون قول رسول الله ﷺ ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي موجع.

وقال الكلبي: راعنا كلمة كانت العرب يتكلّمون بها. يقول الرجل لصاحبه: ارعني سمعك. فلما سمعتهم اليهود يقولونها للنبي أعجبهم ذلك. وكان راعنا في كلام اليهود هو الشيءَ القبيحَ يَسُبُّ به بعضهم بعضاً. قالوا: كنّا نسبّ محمداً سرّاً؛ فالآن فأعلِنوا له السَّبّ. فكانوا يأتونه ويقولونه: يا محمد راعنا ويضحكون. فعرفها رجل من الأنصار كان يعرف لغتهم، فقال: يا أعداء الله، عليكم لعنة الله، والذي نفسي بيده لو سمعت رجلاً منكم بعد مجلسي هذا يعيدها لأضربَنَّ عنقه. فقالوا: أولستم تقولونها؟ فقال الله: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا). فقال المسلمون: الآن فمن سمعتموه من اليهود يقول لنبيّكم: راعنا فأوجعوه ضرباً. فانتهت عنها اليهود.

---

(1) كذا في د: «الهُجر» وفي ق و ع: «السُّخري» من القول.

وقال بعضهم: انظرنا انظر إلينا واسمعوا ما يقول لكم[1].

قوله: ﴿ مَا يَوَدُّ الذينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَـٰبِ وَلَا المُشْرِكِينَ ﴾ أي: ولا من المشركين ﴿ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِن رَبِّكُمْ ﴾ أي: الوحي الذي يأتي رسول الله، لا يسرّهم ذلك، حسداً لرسول الله ﷺ وللمؤمنين. ﴿ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ قال الحسن: يعني النبوّة. ﴿ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ ﴾.

قوله: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِن ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا ﴾ [قال بعضهم][2]: ينسها رسولَه فيرفعها. يقول: قد نُسِّيَ رسول الله بعض ما كان نزل من القرآن فلم يثبت في القرآن. وقد نسخ بعض ما أثبت في القرآن. قال: ألا تراه يقول: (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ) [الأعلى: 6 — 7] أن ينسى منه. وبعضهم يقرأها: ما ننسخ من آية أو نَنْسَأْهَا. أي: نؤخرها فلم تثبت في القرآن. وبعضهم يقرأها: أو ننسها فنتركها ولا ننسخها.

وتفسير مجاهد: ما ننسخ أي: ما نمح من آية أو نبدل حكمها نات بخير منها أو مثلها.

قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾[3] يقول: هذه الآية التي نسَخَت[4] خير في زمانها هذا لأهلها، وتلك الأولى المنسوخة خير لأهلها في ذلك الزمان، وهي مثلها بعدُ في حقِّها وصدقها.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي ذلك لتعلم أن الله له ملك السماوات والأرض يحكم في خلقه بما يريد. كقوله: (اللهُ الذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ

---

(1) جاء في تفسير مجاهدد ص 85: «وقولوا انظرنا، يقول: قولوا أفهمنا يا محمد، بَيِّن لنا».
(2) زيادةٌ يقتضيها السياق. والقول لقتادة كما ورد في ز، ورقة 26.
(3) جاء في تفسير مجاهد ص 85: «ما ننسخ من آية أي: نثبت خطها ونبدل حكمها».
(4) كذا في ق وع ود، وفي ز: «هذه الآية الناسخة».

الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً) [الطلاق: 12].

قوله: ﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ أي يمنعكم إذا أراد بكم عذاباً.

قوله: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ ذكر بعض المفسِّرين أنه قال: كان الذي سألوا موسى من قبل أن قالوا: (أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً) [النساء: 153]. قال الحسن: وقد سألوا ذلك النبي عليه السلام فقالوا: (أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ والمَلاَئِكَةِ قَبِيلًا) [الإسراء: 92]، وقالوا: (لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْنَا المَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا) [الفرقان: 21].

قوله: ﴿ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الكُفْرَ بِالإِيمَانِ ﴾ أي: ومن يقل ذلك فقد بدّل الكفر بالإيمان، يعني تبدّل اليهودية والنصرانية بالإسلام. ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ أي قصد الطريق.

قوله: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِن أَهْلِ الكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ يعني من لم يؤمن منهم. ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ ﴾ أي: أن محمداً رسول الله وأن دينه الحق[1] ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قال بعض المفسرين: نزلت قبل أن يؤمر بقتال أهل الكتاب، ثم أنزل الله بعد ذلك سورة براءة فأتى بها بأمره فقال: (قَاتِلُوا الذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ). وذلك أن أهل الكتاب لا يُقِرّون أن الناس يُبعثون في أجسادهم ويقولون: إنما تبعث الأرواح في غير أجساد. قال: (وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ - أي الإسلام - مِنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ

(1) في ق و ع و د: «وأن الله هو الحق». فأثبت ما في ز: «وأن دينه الحق» فهو أنسب.

وَهَم صَاغِرُونَ) [التوبة: 29]. قال بعض المفسرين: أمر الله فيها بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يقروا بالجزية.

قوله: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ ﴾ أي أنهما فريضتان واجبتان لا رخصة لأحد فيهما. قوله: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي تجدون ثوابه في الآخرة. ﴿ إِنَّ اللهِ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾. قال الله: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ على ذلك. قال الحسن: هاتوا حجّتكم. وقال غيره من المفسّرين: هاتوا بيّنتكم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أي إن كنتم تدخلون الجنة كما زعمتم.

ثم كذّبهم وأخبرهم أن الجنة إنما هي للمؤمنين ولستم بمومنين فقال: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ ﴾ أو وجهته في الدين[1] ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي وهو مُكْمل العمل ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالَت اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَـٰرَىٰ عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتَـٰبَ﴾ يعني التوراة والإنجيل، أي فكيف اختلفوا وتفرّقوا والكتاب واحد جاء من عند الله، يصدّق بعضه بعضاً[2] قال: ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني النصارى[3] ﴿ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ يعني مثل قول اليهود. قال الله: ﴿ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ فيكون حكمه فيهم أن يكذبهم جميعاً ويدخلهم النار.

---

(1) كذا في د: «وجهته»، وفي ق و ع: «وجهه» وفي ز: «من أخلص دينه للّه».

(2) جاءت العبارة مضطربة في ق و ع، و د، فأثبت صحتها من ز، ورقة 17.

(3) كذا في ق و ع و د: يعني النصارى. ويبدو في هذا التأويل المنسوب لقتادة والربيع بُعدٌ؛ فإن صدر الآيات جمعت اليهود والنصارى في نسق واحد وبألفاظ واحدة فكيف يجوز تخصيص النصارى بكونهم هم الذين لا يعلمون. وأولى من ذلك وأقرب إلى الصواب أن

قوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَـٰجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾ أي لا أحَدَ أظلم مِمَّن فعل ذلك. ﴿ أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾. ذكر مجاهد أنهم النصارى أعانوا بختنصر على خراب بيت المقدس. وقال بعض المفسرين: هم النصارى حملهم بغض اليهود على أن أعانوا بختنصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس.

وذكر الكلبي أن الروم غزوا بني إسرائيل فحاصروهم، فظهروا عليهم، فقتلوا مقاتلتهم، وسبوا ذراريهم، وأحرقوا التوراة، وهدموا بيت المقدس وألقوا فيه الجيف، فلم يعمر حتى بناه أهل الإسلام، فلم يدخله رومي بعدُ إلا خائفاً. يعني قوله: (أُولَـٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ) فقضى الله على الذين خرّبوه أن لهم الخزي في الدنيا.

قوله: ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ وهو فتح مدائنهم الرومية، وقتل مقاتلتهم، وسبي ذراريهم، فهذا خزيهم. ﴿ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: جهنم؛ فلا شيء أعظم من عذابها. وإذا عظَّم الله شيئاً فهو عظيم.

قال بعض المفسرين: قوله: (أُولَـٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ) أي: لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلى اليوم إلا أُنهِكَ عقوبةً وأُخرِج منه. وقال بعضهم: (لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) أي: الجزية يؤدّونها عن يد وهم صاغرون، فذلك خزيهم في الدنيا. (وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

قوله: ﴿وَللهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ أي وجوهكم في الصلاة ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ أي: فثمَّ الله. وقال بعضهم: فثمَّ قِبلة الله. (إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

= يكون المقصود بـ (الذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ) مشركي العرب، كما ذهب إليه الجمهور، أو الأمم التي كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وعاد وثمود، وهو ما ذهب إليه ابن عباس فيما ذكره ابن أبي زمنين في ز، ورقة 17. أما الطبري فهو يُبقي الكلام على عمومه ويجعل الذين لا يعلمون هم أهل الجهل بالله وكتبه ورسله من كل زمان. انظر تفسيره ج 2 ص 517.

قال بعض المفسّرين: كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله بمكة. وبعدما هاجر رسول الله ﷺ صلّى بالمدينة ستة عشر شهراً نحو بيت المقدس. ثم وجّهه الله بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام. فقال في آية أخرى: (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) [البقرة: 144] أي: تلقاءه. فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر القبلة في حديث بعضهم. وفي حديث بعضهم: ما كان قبلها من قبلة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ كان في سفر، ونزلوا منزلاً في ليلة ظلماء بجعل أحدهم يجمع الحصباء فيجعل مسجداً فيصلي [فلما أصبحوا إذا هم][1] لغير القبلة، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ أي: وجوهكم في الصلاة، (فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

ذكروا عن الكلبي عن ابن عباس أن النبي عليه السلام كان في سفر في يوم غائم فصلّوا الصلاة، صلى بعضهم نحو المشرق وصلّى بعضهم نحو المغرب، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية.

وقال بعضهم: إن رهطاً من أصحاب النبي عليه السلام انطلقوا في سفر، وذلك قبل أن تصرف القبلة إلى الكعبة، فتحيّروا، والقبلة يومئذ نحو بيت المقدس؛ فمنهم من صلّى قِبَل المشرق، ومنهم من صلّى قِبَل المغرب. فلما طلعت الشمس استبان لهم. فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا ذلك له، فأنزل الله: (وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

ذكروا عن الحسن أنه سئل عن رجل صلّى، فلما فرغ من صلاته إذا هو لغير القبلة، فقال: جازت صلاته. قال الله: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ).

ذكروا عن بعض السلف أنه قال: إذا صلّى ثم استبان له أنه صلّى لغير القبلة

(1) زيادة يقتضيها المعنى، وهي موجودة في ز. انظر اختلاف المفسّرين في سبب نزول هذه الآية عند الواحدي: أسباب نزول القرآن ص 36.

مضت صلاته، وإن استبان له بعدما صلّى ركعة انحرف إلى القبلة فيما يستقبل[1].

قوله: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبْحَـٰنَهُ﴾ ينزّه نفسه عمّا يقولون. ثم قال: ﴿ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَـٰنِتُونَ﴾. أي مُقِرّون بالعبودية. وقال بعضهم: يعني اليهود والنصارى ومشركي العرب، كلٌّ لَهُ قَانِتُونَ، أي: كل له قائم بالشهادة بأنه عبدٌ له. وإنما خصّ المفسّر، وهو الحسن، اليهود والنصارى ومشركي العرب لأنهم هم الذين كانوا بحضرة النبي عليه السلام يومئذ. وقال في آية أخرى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ) [الزخرف: 87] وقال الكلبي: كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ أي: مطيعون في الآخرة، أي فلا يقبل ذلك منهم إذا لم يكونوا آمنوا في الدنيا.

قوله: ﴿ بَدِيعُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي: أنه ابتدعها من غير مثال. ﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ ﴾ قبل أن يكون ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ وهم مشركو العرب ﴿ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ هو كقوله: (فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ) [الأنبياء: 5] وكقوله: (أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالمَلاَئِكَةِ قَبِيلًا) [الإسراء: 92] وكقوله: (لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْنَا المَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا) [الفرقان: 21]. قال الله: ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ أي مثل قوم موسى إذ قالوا: (أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً) [النساء: 153] وما سألوه من الآيات. قال الله: ﴿تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي على الكفر، وهو كقوله: (يُضَاهُونَ قَوْلَ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) [التوبة: 30]، وكقوله: (أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَـوْمٌ طَاغُـونَ) [الذاريات: 53].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَـٰكَ﴾ يعني محمداً عليه السلام ﴿ بِالحَقِّ بَشِيراً ﴾ أي بشيراً بالجنة لمن أطاعك ﴿ وَنَذِيراً ﴾ أي من النار لمن عصاك. ﴿ وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ الجَحِيمِ ﴾ أي: لا تُسأل عنهم إذا أقمت عليهم الحجّة. وهي تقرأ على وجه آخر: (لا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الجَحِيمِ). فمن قرأها بالنصب قال: النبي

(1) وهذا هو القول العدل إن شاء الله.

عليه السلام كان سأل عن أمه فأنزل الله: وَلَا تَسْأَلْ عَن أَصْحَابِ الجَحِيمِ.

قوله: ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَـٰرَىٰ ﴾ يعني بذلك العامة منهم، لأنه قد تسلم الخاصة منهم. وهذا الحرف من العام والخاص. ﴿ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَىٰ ﴾ أي: إن الدين دينُ الله، وهو الإسلام الذي أنت عليه. ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الذِي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ يثبّته بذلك، وقد علم ـ جلّ جلاله ـ أنه لا يتّبع أهواءهم.

قوله: ﴿ الذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾. قال بعضهم: يقرأونه كما أنزله الله، ولا يحرّفونه عن مواضعه. وقال بعضهم: هؤلاء أصحاب النبي عليه السلام؛ آمنوا بكتاب الله وصدّقوا به، فأحلّوا حلاله، واجتنبوا حرامه، وعملوا بما فيه.

وذكروا عن ابن مسعود أنه قال: والله إن حق تلاوته أن يُحَلَّ حلالُه ويُحرَّم حرامُه، وأن يُقرأ كما أنزله الله، ولا يُحَرَّفَ عن مواضعه.

وقال مجاهد: يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أي: يتّبعونه حقّ اتباعه. قال مجاهد: وهو كقوله: (وَالقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) [الشمس: 2] أي: إذا تبعها، يعني صبيحة الهلال.

قال: ﴿ وَمَنْ يَكْفُر بِهِ ﴾ يعني بتأويله، ﴿ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الخَـٰسِرُونَ ﴾ أي خسروا أنفسهم أن يُنجوها من عذاب الله فصاروا في النار.

قال الكلبي: الذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ هم الرهط الذين آمنوا به من أهل الكتاب: اثنان وثلاثون من الحبشة الذين أقبلوا مع جعفر من أرض الحبشة، وثمانية من رهبان الشام، وسبعة من اليهود؛ منهم عبد الله بن سلام[1] وابن صوريا[2].

(1) هو الصحابي الجليل عبد الله بن سَلَام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري. ويكنى أبا يوسف. وهو أحد الأحبار. أسلم عند مقدم النبي عليه السلام المدينة، وحسن إسلامه، وأخلص لله ولرسوله، وشهد له النبي عليه السلام بالجنة. توفي سنة 43 للهجرة.

(2) لم أجد فيما بين يدي من المراجع من قدّم لنا ترجمة مفصّلة لابن صوريا. وكل ما قيل عنه =

قوله: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذكُرُوا نِعْمَتِيَ التِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ قد فسّرناه في الآية الأولى[1] ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العَـٰلَمِينَ﴾ أي على عالم زمانه، ولكل زمان عالم، أي ولكل زمان خلق.

قوله: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ أي فداء. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[2]. ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ﴾ أي لا يشفع لها أحد عند الله، لأنه لا تكون الشفاعة إلا للمؤمنين خاصة. ﴿ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ أي: لا أحد ينصرهم يومئذ؛ كقوله: (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ بَلْ هُمُ اليَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ) [الصافّات: 25 — 26].

قوله: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ أي: عمل بهن. وقال بعضهم: فأكملهن ووفّى بهن، وهو واحد.

ذكروا عن ابن عباس أنه كان يقول: هي المناسك.

وكان الحسن يقول: ابتلاه الله بأمور فصبر عليها؛ ابتلاه الله بالكوكب والقمر والشمس فحبس نفسه في ذلك[3]، وعلم أن الله دائم لا يزول، فوجّه وجهه للذي فطر السماوات والأرض. ثم ابتلاه بالنار فصبر على ذلك. ثم ابتلاه بالهجرة، فخرج من بلاده ومن عند قومه حتى لحق بالشام مهاجراً إلى الله. ثم ابتلاه بذبح ابنه فصبر. وابتلاه بالختان على كبر سنه فصبر على ذلك كله. ذكروا عن النبي ﷺ

= إنه شابّ أعور من علماء اليهود وأكثرهم معرفة بما في التوراة. وتذكر بعض الروايات إسلامه وموقفه الصريح مع رسول الله ﷺ في قصة اليهودي الذي توفي في عهد النبي عليه السلام. وسيأتي ذكر ذلك عند تفسير قوله تعالى: (وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُم التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتولَّوْنَ مِنْ بَعْد ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالمُؤمِنِينَ) [المائدة: 43].

(1) انظر ما سلف، ص: 100.

(2) انظر ما سلف، ص: 103.

(3) كذا في ق وع ود: «فحبس نفسه في ذلك». وفي تفسير الطبري ج 3 ص 14 «فأحسن في ذلك».

أنه قال: اختتن إبراهيم بعدما أتى عليه ثمانون سنة بالقدوم[1].

وتفسير الكلبي أنها العشر خصال: خمسة في الرأس وخمسة في الجسد. فأما اللواتي في الرأس: فالمضمضة والاستنشاق وقصّ الشارب والسواك وفرق الرأس. وأما اللواتي في الجسد: فالاختتان وحلق العانة ونتف الابطين وتقليم الأظافر والاستنجاء.

وقال بعضهم: ابتلي إبراهيم بعشرة أشياء، هن في الإنسان سنة: الاستنشاق، وقص الشارب، والسواك، ونتف الإبطين، وتقليم الأظفار، وغسل البراجم، والختان، وحلق العانة، وغسل الدبر والفرج.

قال الكلبي: فلما فعلهن سأل ربه كلمات فأعطاهن إياه. منهن قوله: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلو عَلَيْهِم آيَاتِكَ) [البقرة: 128 — 129] ففعل الله ذلك، ثم زاده ما لم يسأل.

﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ ﴾ يا إبراهيم ﴿ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾ يقتدون بك فيهتدون بهداك وبسنتك[2]. فأعجب ذلك إبراهيم فـ ﴿ قَالَ ﴾ ﷺ ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ وفي الآية إضمار. يقول: يا رب ومن ذريتي فاجعل إماماً، أي من كان من ذريتي، فأجابه ربه فـ ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِيَ الظَّالِمِينَ ﴾. وفي الآية إضمار فتفهموها فإنها تقضي بين الخلائق. أي لا ينال عهدي الظالمين من ذريتك، أي[3]: لا أجعلهم أئمة يقتدى بهم في ظلمهم.

(1) حديث صحيح متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب قول الله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلًا، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب في فضائل إبراهيم الخليل ﷺ (2369) كلاهما يرويه عن أبي هريرة.

(2) كذا في ق و ع، وفي د: «أي: فيُهتَدى بهداك وبسنتك». وفي ز: «يهتدى بهديك وسنتك».

(3) كذا في ق و ع: «أي»، وفي د: «إني».

وقال مجاهد: وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات هو قوله: إني جاعلك للناس إماماً والمقام والآيات التي في المناسك. وقال بعضهم: لا ينال عهدي الظالمين أي: ينقطع عهدهم في الآخرة. والتأويل ما وصف أولاً.

وقال مجاهد: لا عهد لظالم في ظلم يأمرك به أن تطيعه فيه. وقول مجاهد: عدل صحيح.

وقال بعضهم: ذلك يوم القيامة عند الله لا ينال عهدَه ظالم. فأما في الدنيا فقد نالوا عهد الله؛ يعني بذلك المنافقين؛ قال: فوارثونا بالعهد الذي أقرّوا به للمسلمين وغازوهم به وناكحوهم به: فإذا كان يوم القيامة قصر الله عهده وكرامته على أوليائه وأهل طاعته الذين أوفوا بعهده، وأكملوا فرائضه. وهو كقوله: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي التِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) [البقرة: 40] فالوفاء بعهد الله إكمال فرائضه وإتمام شرائعه والوفاء بعهدهم أن يدخلهم الجنة إذا فعلوا ذلك.

قوله: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ ﴾ أي: مجمعاً لهم. وقال بعضهم: يثوبون إليه كل عام. وهو قول الكلبي(1).

قوله: ﴿ وَأَمْناً ﴾. كان ذلك في الجاهلية؛ لو أن رجلاً جَرَّ كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب ولم يُتناول. وأما في الإسلام فإن الحرم لا يمنع من حدٍّ؛ من قَتل قُتِل ومن أصاب حداً أُقيم عليه.

وذكروا عن ابن عباس أنه قال: إذا أصاب الرجل حداً ثم لجأ إلى الحرم فإنه لا يُبَايَع ولا يُجالَس ولا يُؤْوَى حتى يخرج من الحرم؛ فإذا خرج من الحرم أقيم عليه الحدّ.

قوله: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ أي موطىء قدميه.

(1) جاء في ز ورقة 18 ما يلي: «قال محمد: قوله: مثابة أي معاداً؛ تقول ثبتُ إلى كذا أي عدتُ إليه».

ذكر بعضهم أنه قال: أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه. ولقد تكلفت هذه الأمة أشياء ما تكلفها الناس قبلهم؛ ما زالوا يمسحونه مسحاً وإن أثر قدميه وعقبيه فيه حتى اخلولق وامّحى[1].

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: مقام إبراهيم الحرم كله.

ذكروا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن إبراهيم، لما استأذن سارة في زيارة إسماعيل وهاجر فأذنت له، اشترطت عليه ألا ينزل. فقدم وقد ماتت هاجر، فانتهى إلى بيت إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ فقالت له: ليس هو ها هنا. وكان يخرج من الحرم ويتصيّد؛ فقال لها إبراهيم: هل عندك من ضيافة؟ هل عندك طعام؟ هل عندك شراب؟ قالت: ليس عندي شيء. قال لها: إذا جاء صاحبك فأقريا السلام، وقولي له فليغير عتبة بابه، ثم ذهب.

فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه إبراهيم. فقال لها: هل جاءك أحد؟ فقالت: جاءني شيخ كذا وكذا، كأنها مستخفة بأمره. قال: فما قال لك؟ قالت: قال: قولي له: غيّر عتبة بابك[2] فطلّقها وتزوّج أخرى.

ثم إن إبراهيم استأذن سارة بعد ذلك فأذنت له، واشترطت عليه أن لا ينزل. فجاء حتى انتهى إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبك؟ فقالت: ذهب إلى الصيد، وهو يأتي الآن إن شاء الله، انزل يرحمك الله. قال: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم. قال: هل عندك خبز؟ قال: لا. قال: هل عندك بر[3]؟ قالت: لا. قال: هل عندك شعير؟ قالت لا؛ وجاءته بلبن ولحم. فدعا لها بالبركة في اللبن واللحم اللذين جاءته بهما؛ ولو جاءته يومئذ ببر وشعير لكانت أكثر أرض الله براً وشعيراً. قالت: فانزل حتى أغسل رأسك. فلم ينزل. فجاءته بالمقام فوضع عليه

(1) في ق و ع و د: «امّاح»، وهو خطأ صوابه ما أثبته: «امّحى»، وأصله انمحى كما ورد في تفسير الطبري ج 3 ص 35.

(2) في د: «فيغير» وفي ق و ع: «فليغيّر».

(3) في ق و ع و د: «برة».

إحدى قدميه، فغسلت أحد شقي رأسه، وبقي أثر قدمه فيه. ثم حولته إلى الجانب الآخر، فوضع قدمه الأخرى على المقام فغسلت شق رأسه الآخر وبقي أثر قدمه فيه[1].

ذكروا عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة قبل حجته طاف بالبيت، فمشى إلى المقام وهو يقول: (وَاتَّخَذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)، فصلى خلفه ركعتين قرأ فيهما: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) و(قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ).

قال بعض أهل العلم: بلغني أن المقام قبلة البيت، وأن البيت قبلة المسجد الحرام، وأن المسجد الحرام قبلة الحرم، وأن الحرم قبلة مكة، وأن مكة قبلة أهل الآفاق.

قوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ أي من عبادة الأوثان وقول الزور والمعاصي.

ذكروا عن عائشة أنها قالت: كسوة البيت على الأمراء، ولكن طيِّبوا البيت، فإن ذلك من تطهيره.

قوله: ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَالْعَٰكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ الطائفون من يعتقبه[2] من الناس، والعاكفون أهل مكة، والركع السجود أهل الصلاة.

وقال بعضهم: الطائفون الذين يطوفون حوله، والعاكفون القعود[3] حوله ينظرون إليه، والركع السجود الذين يصلون إليه. ذكروا عن مجاهد وعطاء أن النظر

(1) ورد حديث ابن عباس هذا برواية أكثر تفصيلاً في صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب يزفون النسلان في المشي وفيه ذكر لزيارة إبراهيم للمرة الثالثة وموافقته «إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلاً له» وقصة بناء الكعبة.

(2) في ع: «يعبد»، وفي د بياض قدر كلمة، وفي ق «يعتقبه»، وهي كلمة عربية عريقة. والاعتقاب أن يتناوب القوم عملاً ويجعلوه نوباً متعاقبة. ومنه التعقيب. انظر اللسان: عقب، وانظر مجد الدين ابن الأثير: منال الطالب في شرح طوال الغرائب ص: 231.

(3) في ق و ع و د: «الجلوس حوله»، وفي ز «القعود حوله». وكلاهما جمع صحيح لجالس وقاعد، كما أن السجود جمع لساجد.

إلى البيت عبادة ويكتب له به حسنات.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيـمَ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلداً ءَامِناً وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرٰتِ ﴾. قال الكلبي: تحمل إلَيه من الآفاق.

قال بعضهم: ذكر لنا أن سيلاً أتى على المقام فاقتلعه، فإذا في أسفله كتاب، فدعوا إليه رجلاً من حمير فزبره[1] لهم في جريدة، ثم قرأه عليهم، فإذا فيه: هذا بيت الله المحرم، جعل رزق أهله من معبرة[2] تأتيهم من ثلاثة سبل[3] مبارك لأهله في الماء واللحم. وأول من يحله أهله.

ذكروا عن مجاهد أنه قال: وجد عند المقام كتاب فيه: إني أنا الله ذو بكة صغتها[4] يوم خلقت الشمس والقمر، وحرمتها يوم خلقت السماوات والأرض، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء، وجعلت رزقها يأتي من ثلاث سبل، مبارك لأهلها من الماء واللحم، وأول من يحلها أهلها. قال: وسمعت بعضهم يقول: ويوم وضعت هذين الجبلين، لا تزول حتى يزول الأخشبان[5] قال: فسألت بمكة ما الأخشبان؟ فقيل لي: هذان الجبلان.

قوله: ﴿ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلَيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ

(1) في ق و ع شرح لكلمة زبر «أي: كتب»، وهي من زيادة ناسخ.

(2) كذا في ق و ع: «من معبرة تأتيهم من ثلاثة سبل»، وفي د بياض قدر كلمة. والمعبرة ـ فيما يبدو لي من السياق ـ جماعات المسافرين الذين يعبرون المكان ولا يقيمون به.

(3) هي الطرق الثلاث: هي من أسفل الوادي وأعلاه ومن كدى. انظر تفصيل هذه الرواية عند النويري نهاية الإرب ج 1 ص 311-313.

(4) سميت مكة بكة لأنها فيما قيل تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم، وسيأتي معنى آخر لوجه تسميتها كذلك في سورة آل عمران: 96. وجاء في ق و ع و د: صنعتها، والصحيح ما أثبته إن شاء الله.

(5) الأخشب: صفة لكل ما هو خشن غليظ. والأخشبان هما الجبلان المطلان على الكعبة، وهما أبو قبيس المشرف على الصفا، والجبل الأحمر المشرف بوجهه على قعيقعان، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ج 2 ص 122.

إلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِيسَ المَصِيرُ﴾. قال الحسن: لما قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً امناً وارزق أهله من الثمرات قال الله: إني مجيبك وأجعله بلداً آمناً، ولكن لمن آمن منهم بالله واليوم الآخر إلى يوم القيامة، ومن كفر فإني أمتعه قليلاً وأرزقه من الثمرات وأجعله آمناً في البلد، وذلك إلى قليل، إلى خروج محمد. وذلك أن الله أمر محمداً عليه السلام أن يخرجهم من الحرم، وهو المسجد الحرام. قال: وهو مثل قوله: (بَلْ مَتَّعْتُ هَـٰؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ)[الزخرف: 29] وأشباهها. قال: (ثُمَّ أَضْطَرُّهُ) [أي أدفعه][1] إلى عذاب النار وبيس المصير.

قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرٰهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾ يعني بنيانه. ودفعهما إياه بالبناء: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾.

قال بعضهم: ذكر لنا أن قواعدهما من حراء. قال: وذكر لنا أن البيت بني من خمسة أجبل: من حراء ولبنان وطور سيناء وطور زيتاء والجودى[2].

قوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً﴾ أي: عصبة وهي الجماعة ﴿مُسْلِمَةً لَّكَ﴾ ففعل الله ذلك، فبعث الله محمداً عليه السلام.

قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: مذابحنا. قال بعضهم: أراهم مناسكهم وهي الطواف بالبيت، والسعي بن الصفا والمروة، والوقوف بعرفات، والإفاضة منها، والوقوف بجمع، والإفاضة منها، [ورمي الجمرات][3].

---

(1) في د: «ثم أضطره أي أردده» لعله أرده، وأثبت ما جاء في تفسير الطبري 3:58: «أدفعه إليها وأسوقه».

(2) طور سيناء: هو الجبل الواقع في صحراء سيناء بين مصر وفلسطين، وعليه كلّم الله موسى عليه السلام. وطور زيتاء جبل قرب بيت المقدس ويدعى أيضاً بجبل الزيتون. والجودي جبل قرب الموصل من أرض العراق، وعليه استوت سفينة سيدنا نوح عليه وعلى نبينا السلام.

(3) زيادة وردت في ز أثبتها لأن رمي الجمرات من المناسك.

وذكروا عن ابن عباس أن إبراهيم لما أصّل[1] المناسك عرض له الشيطان عند المسعى، فسابقه فسبقه إبراهيم، ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان عندها، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرما بسبع حصيات حتى ذهب[2]. . . قال وثمَّ تلَّه للجبين. وعلى إسماعيل قميص أبيض. فقال إسماعيل لأبيه: يا أبت: ليس لي ثوب تكفنني فيه غير هذا. فاخلعه حتى تكفّنني فيه. .فالتفت فإذا هو بكبش أبيض أقرن فذبحه. ثم ذهب به إلى الجمرة القصوى، فعرض له الشيطان عندها، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب. ثم أتى به منى فقال: هذا مناخ الناس. ثم أتى به جمعاً فقال: هذا المشعر الحرام. ثم ذهب به إلى عرفات. قال: فقال: ولم سمّيت عرفة. قال: قال له: هل عرفت. قال نعم.

وقال الحسن: إن جبريل أرى إبراهيم المناسك كلها، حتى إذا بلغ عرفات قال: يا إبراهيم: أعرفت ما رأيت من المناسك؟ قال نعم! فلذلك سميت عرفات. فلما كان عند الشجرة، يعني جمرة العقبة يوم النحر، ذهب يزور البيت، فعرض له الشيطان فسدّ عليه الطريق، فأمره جبريل أن يرميه بسبع حصيات مثل حصى الخذف، ففعل. فذهب. ثم عرض له في اليوم الثاني في الجمار كلها، وفي اليوم الثالث، وفي اليوم الرابع، كل ذلك يرميه بأمر جبريل بسبع حصيات.

وقال الحسن: إن جبريل أرى رسول الله ﷺ المناسك كلها، ولكنه أصل[3] عن إبراهيم. وقد كان المسلمون قبل إبراهيم يؤمون نحو الكعبة في صلاتهم.

(1) كذا في د: أصل، وفي ق و ع أمل، ولست مطمئناً لكلا اللفظتين. ولعل بهما تصحيفاً لم أهتد لتصويبه.

(2) كذا وردت هذه الرواية عن ابن عباس في المخطوطات ق و ع و د. وفيها اضطراب وخلط بين إعلام جبريل المناسك لإبراهيم وبين بلاء الله إبراهيم بذبح ابنه. ويبدو أن هناك خرماً لم أهتد لتقديره.

(3) كذا في المخطوطات الثلاث: أصل، وضبطت في ز: «أَصْل»، بفتح فسكون فضم.

قوله: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ ﴾ يعني في ذريته ﴿ رَسُولاً مِنْهُمْ ﴾ فاستجاب الله له، فبعث محمداً عليه السلام في ذرية إبراهيم، يعرفون وجهه ونسبه.

قوله: ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِم ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَـٰبَ والحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ أي يطهرهم. وقال بعضهم: يأخذ صدقاتهم وهي الطهارة. وقال بعضهم: القرآن: الكتاب، والحكمة: السنة [قوله: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ العزيز في نقمته الحكيم في أمره][1].

قوله: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرٰهِيمَ ﴾ أي عن سنته ﴿ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ أي عجز رأيه عن النظر لنفسه فضلّ.

قوله: ﴿ وَلَقَد اصْطَفَيْنَـٰهُ فِي الدُّنْيَا ﴾ أي: بالنبوة، والاصطفاء هو الاختيار ﴿ وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّـٰلِحِينَ ﴾ وهم أهل الجنة. ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ﴾ أي: أخلص قال: أَسْلَمْتُ أي: أخلصت ﴿ لِرَبِّ العَـٰلَمِينَ ﴾. قال الحسن: ذلك حين أفلت الشمس، فـ (قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) [الأنعام: 78].

قوله: ﴿ وَأَوْصَى بِهَا إِبْرٰهِيمُ بَنِيهِ ﴾ أي: بهذه الكلمة، يعني التوحيد. ﴿ وَيَعْقُوبُ ﴾ أي: وأوصى بها أيضاً يعقوب بنيه بعد إبراهيم. ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ ﴾ أي: اختار لكم الدين، وهو الإسلام ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أي: إلا وأنتم مكملون فرائض الله وشرائعه.

وقوله: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتُ ﴾ أي لم تكونوا شهداء يومئذ ﴿ إِذْ قَال لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـٰهاً وَاحداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾.

ذكروا عن الحسن أنه كان يقرأها وإلـه أبيك[2] إبراهيم وإسماعيل وإسحاق.

---

(1) سقطت هذه الجملة الأخيرة من الآية في المخطوطات الثلاث فأثبتها من ز مع تفسيرها.
(2) في ق و ع و د: «إله آبائك» وهو خطأ، والصحيح ما أثبته: «أبيك» وهي قراءة نسبت إلى ابن عباس ويحيى بن يعمر. انظر: ابن جنى، المحتسب ج 1 ص ٣١١. ومعاني الفراء ج 1 =

قوله: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾؛ يعني بذلك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب.

قوله: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا ﴾ قالت اليهود: كونوا يهوداً تهتدوا، وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا. قال الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾. أي إن اليهود والنصارى مشركون. قال الحسن: حنيفاً مخلصاً. وقال الكلبي: الحنيف المسلم(1).

قال الحسن: ثم أمر الله المؤمنين أن يقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ ﴾. والأسباط: يوسف وإخوته الاثنا عشر(2) ﴿ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾.

قال: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا ﴾ أي أهل الكتاب ﴿ بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَد اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ أي في فراق الإيمان. قال الحسن، فجعل الله ذلك، يعني هذه الآية، محنة فيما بين المسلمين واليهود والنصارى.

وسئل بعض السلف فقيل له: إن قوماً يجالسوننا فيقولون لنا: أمومنون أنتم؟ فقال: إذا قالوا لكم ذلك فقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل. . . إلى آخر الآية.

= ص 82 وقد نقل الطبري ج 3 ص 99 ملاحظة الفراء على هذه القراءة وشرحها وبيّن خطأها. وانظر كذلك في الموضوع مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 57.

(1) ذكر أبو عبيدة بعض المعاني المختلفة لكلمة الحنيف في مجاز القرآن ج 1 ص 58 فرأيت من الفائدة إيرادها. قال: «الحنيف في الجاهلية من كان على دين إبراهيم. ثم سمي من اختتن وحج البيت حنيفاً لما تناسخت السنون، وبقي من يعبد الأوثان من العرب قالوا: نحن حنفاء على دين إبراهيم، ولم يتمسكوا منه إلا بالحج والختان. والحنيف اليوم: المسلم». وانظر ترجيح الطبري لمعنى الحنيف في تفسيره ج 3 ص 107-108.

(2) لفظ العدد: «الاثنا عشر» بدل من يوسف وإخوته، لأن إخوته أحد عشر.

وقال الحسن في قوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ، قال: الشقاق هو التعادي إلى يوم القيامة. وقال بعضهم: الشِقاق هو الفراق، والفراق هو العداوة.

وقوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ﴾ أي حتى يظهرك عليهم وينصرك، فيكونوا من تحت يديك ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾.

قوله: ﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾ أي دين الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾ أي: ومن أحسن من الله ديناً ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَـٰبِدُونَ﴾ (1).

وقال بعض المفسّرين: صبغة الله الإسلام، إلا أن اليهود تصبغ أولادها يهوداً وأن النصارى تصبغ أبناءها نصارى. وأن صبغة الله الإسلام.

قوله: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾. أي: إن ديننا هو الإخلاص الذي لا شكَّ فيه.

قوله: أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقِ وَيَعْقُوبَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ﴾ يا محمد لهم ﴿ءَأَنْتُم أَعْلَمُ أَمِ اللهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ﴾ أي: لا أحد أظلم منه ﴿وَمَا اللهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قال الحسن: يعني بذلك علماءهم؛ إنهم كتموا محمداً ودينه، وفي دينه أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين، ولم يكونوا مشركين. ذكروا عن الحسن قال: قد علم القوم أن عندهم من الله شهادة أن أنبياءهم بُرآء من اليهودية والنصرانية. وقال بعضهم: كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دين الله، وكتموا محمداً وهم يعلمون أنه رسول الله.

قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أي: لها ثواب ما عملت، ولكم ثواب ما عملتم ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هم. يعني بذلك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط.

(1) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 59: «(صِبْغَةَ اللّهِ) أي دين الله، وخلقتَه التي خلقه عليها، وهي فطرته، من فاطر أي خالق».

قوله: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾ وهم مشركو العرب في تفسير الحسن. وقال مجاهد: هم اليهود[1]. ﴿ مَا وَلَّيهُـمْ ﴾ أي: ما حوَّلهم في تفسير الحسن. وقال مجاهد: ما صرفهم؛ وهو واحد. ﴿ عَنْ قِبْلَتِهِمْ التِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ يعني بيت المقدس.

نزلت هذه الآية بعدما صُرِف النبيُّ عليه السلام إلى الكعبة. وهي قبلها في التأليف، وهي بعدها في التنزيل. وذلك أن رسول الله ﷺ، لما حوله الله إلى الكعبة من بيت المقدس، قال المشركون: يا محمد، أرغبت عن قبلة آبائك ثم رجعت إليها؟ وأيضاً والله لترجعن إلى دينهم؛ فأنزل الله: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِم التِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ يعني بيت المقدس.

قال: ﴿ قُلْ لِله المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرٰطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ أي: مستقيم إلى الجنة، وهو الإسلام.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ أي: عدلاً [يعني أمة محمد][2] ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ أي يوم القيامة بأن الرسل قد بلغت قومها عن ربها ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ على أنه قد بلغ رسالة ربه إلى أمته.

قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ التي كُنْتَ عَلَيْهَا ﴾ يعني بيت المقدس ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ أي: إلا ليكون ما علمنا كما علمنا[3]. وهو علم الفعال. ﴿ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ يعني صرف القبلة ﴿ إِلَّا عَلَى الذِينَ هَدَى اللهُ ﴾ يعني تحوّلهم عن بيت المقدس؛ لأن العرب لم تكن قبلة أحب إليها من الكعبة. فقال: (وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً، أي: لعظيمة، إِلَّا عَلَى الذِينَ هَدَى اللهُ).

---

(1) وذكر السدي قولاً ثالثاً: إنهم المنافقون، رواه عن ابن مسعود وابن عباس. ولهذا القول وجه من التأويل. ولفظ السفهاء يحتملهم ويشملهم جميعاً.

(2) زيادة من ز.

(3) كذا في ق و ع: «ليكون ما علمنا كما علمنا». وفي د: «ليكون ما علمنا» فقط.

قال بعض المفسرين: كانت القبلة فيها بلاء وتمحيص؛ صلّى رسول الله ﷺ إقامته بمكة إلى بيت المقدس، وصلّت الأنصار إلى بيت المقدس حولين قبل قدوم النبي عليه السلام المدينة. وصلى النبي بعد قدومه المدينة نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً. ثم وجّهه الله بعد ذلك إلى الكعبة البيت الحرام، فقال قائلون: (مَا وَلَّيهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِم التِي كَانُوا عَلَيْهَا)؛ لقد اشتاق الرجل إلى مولده.

وقال أناس لما صُرِفت القبلة: كيف بأعمالنا التي كنا نعمل من قبل في قبلتنا الأولى، فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾. وقد يبتلي الله العباد بما يشاء من أمره، الأمر بعد الأمر، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه. وكل ذلك مقبول إذا كان في إيمان بالله وإخلاص له وتسليم لقضائه[1].

قوله: (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) قال الحسن: محفوظ لكم إيمانكم عند الله حيث أقررتم بالصلاة إلى بيت المقدس إذ فرضها عليكم. وقال بعضهم: عن الحسن وعن جماعة من المفسرين: (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) أي: صلاتكم التي كنتم تصلّون إلى بيت المقدس. وهذا حقيقة التأويل[2]. ﴿ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ ﴾ أي فلنحولنّك ولنصرفنك ﴿ قِبْلَةً تَرْضَـٰهَـا ﴾ أي تحبها. ولم يكن قبلة أحبّ إلى رسول الله ﷺ من الكعبة.

وتفسير الكلبي أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: وددت أن ربي صرفني عن

---

(1) هذا قول قتادة كما في مخطوطة ز، ورقة 20؛ فتأمله فإنه كلام نفيس. وانظر تفسير الطبري ج 3 ص 157.

(2) انظر قول المفسرين الذين قالوا: إن الإيمان في هذه الآية تعني صلاتهم إلى بيت المقدس، وهم كثير من الصحابة والتابعين. انظر ذلك في تفسير الطبري ج 3 ص 167-170. أما ابن سلاّم فلم يذكر هذا الوجه من التأويل في كتابه التصاريف، في باب الإيمـان؛ فقد أورد وجوهاً أربعة لكلمة الإيمان، ليس من بينها الصلاة.

قبلة اليهود إلى غيرها. فقال جبريل: إنما أنا عبد مثلك؛ فادع ربك واسأله. ثم ارتفع جبريل، وجعل رسول الله ﷺ يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بالذي سأل، فأنزل الله: (قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَيٰهَا).

قال: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ أي تلقاءه.

وقال بعضهم قد نرى تقلُّب وجهك في السماء أي: قد نرى نظرك إلى السماء.

ذكروا عن محمد بن عبد الله بن حجش أنه قال: صلّيت القبلتين مع رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية ونحن في صلاة الظهر، وقد صلّينا ركعتين من الظهر فاستدرنا وإنا لفي الصلاة(1).

ذكروا عن مجاهد أنه قال: نزلت هذه الآية وهم في الصلاة، فجاء الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال.

قوله: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾. قال الحسن: يعلمون أن القبلة هي الكعبة. وقال الحسن: لم يبعث الله نبياً إلا وهو يصلّي إلى الكعبة.

قوله: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ

(1) إذا صحت هذه الرواية التي أخرجها ابن سعد فإن محمد بن عبد الله بن جحش يكون قد صلّى مع الرسول ﷺ هذه الصلاة وعمره حوالي سبع سنوات، لأنه ولد قبل الهجرة بخمس سنوات. ومحمد هذا هو ابن الصحابي الجليل عبد الله بن جحش المجدع أنفه الذي استشهد مع حمزة عم النبي عليه السلام في غزوة أحد، ودفن معه في قبر واحد. وعمة محمد هذا هي زوج النبي ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنهم أجمعين. انظر ابن عبد البر، الاستيعاب ج 3 ص 1373.

بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾. قال: لما صلّى رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس قالت اليهود: إنا لنرجو أن يرجع محمد إلى ديننا كما صلّى إلى قبلتنا، فأنزل الله: (وَلَئِن أَتَيْتَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ). ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ [هذا الخطاب للنبي عليه السلام ولسائر أمته][1].

قوله: ﴿ الذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنه الحق. قال الحسن وغيره من المفسرين: وهم يعلمون أي: وهم يعرفون أن محمداً رسول الله فكتموه[2].

قال الكلبي: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن سلام: إن الله أنزل على نبيه، وهو بمكة، أن أهل الكتاب يعرفون النبي عليه السلام كما يعرفون أبناءهم، فكيف هذه المعرفة يا ابن سلام؟ فقال: نعرف نبي الله بالنعت الذي نعته الله به إذا رأيناه فيكم، كما يعرف الرجل[3] ابنه إذا رآه مع الغلمان؛ والذي يحلف به عبد الله بن سلام لأنا بمحمد أشد معرفة مني لابني. فقال له عمر: كيف ذلك؟ قال: عرفته بما نعته الله لنا في كتابنا أنه هو، وأما ابني فلا أدري ما أحدثت أمه؛ فقال له عمر بن الخطاب. وفّقك الله، فقد أصبت وصدقت.

قال بعض المفسّرين: إن هذه الآية نزلت بمكة أولاً في سورة الأنعام: (الذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كما يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الذينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُم فَهُمْ لَا يُومِنُونَ) [الأنعام: 20].

(1) زيادة من ز للإيضاح.

(2) قصد المؤلف هنا عود الضمير في قوله تعالى: «يعرفونه» على النبي عليه السلام، ولم يذكر الوجه الآخر من التأويل، وهو عود الضمير إلى تحويل القبلة، بينما قصره الطبري على أمر القبلة ولم يشر إلى الوجه الأول. انظر تفسير الطبري ج 3 ص 187.

(3) كذا في ق و ع: «الرجل»، وفي د: « الواحد».

﴿ الحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ ﴾ أي: من الشاكين؛ أنهم يعرفون أنك رسول الله ويعرفون الإسلام.

قوله: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ ﴾ أي ولكل قوم وجهة وشريعة[1] ﴿ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ أي: الله موليها، مثل قوله: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً) [المائدة: 48] أي سبيلاً وسنة، والدين واحد وإن اختلفت الشرائع والأحكام. وقال مجاهد: ولكل صاحب ملّة وجهة هو مستقبلها. وقال بعضهم: ولكل قبلة هو مستقبلها.

قوله: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ ﴾ قال بعض المفسرين: لا تُغْبَنُنَّ[2] عن قبلتكم ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللهُ جَمِيعاً إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ ﴾. قوله: وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ كقوله: (قَرْيَتِك التي أَخْرَجَتْكَ) [سورة محمد: 13] أي أهلها، يعني أهل مكة ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ أي تلقاءه ﴿ لِئَلاَّ ﴾ أي لكيلا ﴿ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾.

قال بعض المفسّرين: إن أهل الكتاب قالوا حين[3] صرف النبي إلى الكعبة: اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه. قال: ﴿ إِلاَّ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ يعني مشركي العرب في تفسير الحسن. وقال مجاهد: مشركي قريش.

قال الحسن: أخبره أنه لا يحوّله عن الكعبة إلى غيرها أبداً، فيحتج عليك

---

(1) كذا في ق و ع: «شريعة»، وفي د: «شرعة».

(2) كذا ضبطت الكلمة: «لا تُغْبَنُنَّ». وفي تفسير الطبري ج 3 ص 196: «لا تغلبن على». وفي ز ورقة 21: «لا تُفْتَنُنَّ في قبلتكم» ولعل هذه الكلمة الأخيرة أنسب.

(3) في المخطوطات الثلاث: «حيث»، والصحيح «حين». واستعمال حيث مكان حين لغير ضرورة خطأ شائع بين الكتاب قديماً وحديثاً، فاستعملوا الظرفين معاً للزمان والمكان. والصواب أن «حين» للزمان، و«حيث» للمكان لا غير. انظر تحقيقاً جيداً في الموضوع للأصمعي أورده ابن منظور في لسان العرب: (حيث)، وانظر ابن هشام، مغني اللبيب ج 1 ص 131.

محتجون بالظلم كما احتج عليك مشركو العرب من قولهم لك: رغبت عن قبلة آبائك ثم رجعت إليها، وأيضاً والله لترجعن إلى دينهم؛ فقال الله: لئلا يكون للناس عليكم حجة. أي لا يحتج بمثل تلك الحجة إلا الذين ظلموا.

وقال بعضهم: هم مشركو قريش يقولون: إنهم سيحتجون عليك بذلك. وكانت حجتهم عليهم بانصرافه إلى البيت الحرام أنهم قالوا: سيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا؛ فأنزل الله في ذلك هذا كله.

قال: ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ ﴾ في أمر الله، أي امضوا على ما أمركم به. (وَاخْشَوْنِي ﴾ أي في تركه. ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي: لكي تهتدوا. ويعني بالنعمة الجنة.

قوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُم آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ أي: ويطهركم من الشرك ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَـٰبَ وَالحِكْمَةَ﴾ الكتاب: القرآن. والحكمة: السنة. ﴿ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [يقول: كما فعلت ذلك بكم فاذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي](1) ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون ﴾ أي ولا تكفروني النعمة. وهذا الكفر في هذا الموضع كفر النعم.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلَوٰةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّـٰبِرِينَ ﴾. قال بعض المفسّرين: ليعلم أنهما عون على طاعة الله. وقال بعضهم: الصبر هاهنا الصوم. وقال بعضهم: الصبر على ما أمروا به وعما نهوا عنه؛ وهو حقيقة التأويل(2).

قوله: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَـٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ أنتم كيف تلك الحياة التي هي حياة الشهداء.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: إن أرواح الشهداء في حواصل طير

(1) زيادة من ز، ورقة 21، من الفائدة إثباتها.

(2) كأني بهذه الجملة الأخيرة من زيادة الشيخ الهواري وترجيحه.

خضر ترعى في الجنة، ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ما بين حياة الشهيد في الدنيا وبين حياته في الآخرة إلا كمضغ تمرة[1].

وقال بعضهم: كنا نُحدَّث أن أرواح الشهداء تعارف في طير بيض وخضر يأكلن من ثمار الجنة، وأن مساكنهم السدرة، وأن للمجاهد في سبيل الله ثلاث خصال: من قتل في سبيل الله صار حيّاً مرزوقاً، ومن غُلِب آتاه الله أجراً عظيماً، ومن مات رزقه الله رزقاً حسناً.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد ألم القرصة[2].

قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَٰلِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَٰتِ﴾. نقص الأنفس: الموت.

ذكروا عن ابن مسعود أنه ذكر الدجال فقال: كيف أنتم والقوم آمنون وأنتم خائفون، والقوم شِباع وأنت جِياع، والقوم رِواء وأنتم عطاش، والقوم في الظِل وأنتم في الضِّحّ. [أي حر الشمس][3].

ذكروا عن رجاء بن حيوة[4] قال: سيأتي على الناس زمان لا تحمل فيه النخلة

(1) لم أجده فيما بين يدي من مراجع التفسير والحديث والمصادر.

(2) رواه الترمذي في فضائل الجهاد عن أبي هريرة. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. ورواه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله (2802) عن أبي هريرة أيضاً.

(3) زياد في ق وع، وهي من ناسخ ولا شك. والضِّح، بكسر الضاد: «ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض».

(4) هو أبو المقدام رجاء بن حيوة الكندي، من صغار التابعين. روى عن عبادة الصامت وابن عمر وأبي الدرداء وغيرهم. قال ابن سعد: «كان ثقة فاضلاً كثير العلم». وقال مطر الوراق: «ما نعلم أحداً جازت شهادته وحده إلا رجاء بن حيوة». مات سنة اثنتي عشرة ومائة =

إلا تمرة واحدة؛ قال: (وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ).

﴿وَبَشِّرِ الصَّـٰبِرِينَ الذِينَ إِذَا أَصَـٰبَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَٰجِعُـونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوٰتٌ مِن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾. وصلاة الله على العباد الرحمة. وقال بعضهم: صلاة الله على العباد الثناء والمدح والتزكية للأعمال ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾، أي هُدوا للاسترجاع عند المصيبة. وقوله: ﴿صَلَوَاتٌ مِن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ مثل قوله: (وعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ) [الأعراف: 157] وهو واحد، وهي كلمة عربية[1] وبعضهم يقول: الصلاة هاهنا المغفرة؛ وكل صحيح جائز.

ذكر عطاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: إذا أصاب أحدَكم مصيبةٌ فليذكر مصيبته فيَّ فإنها أعظم المصائب[2].

ذكر الحسن أن رسول الله ﷺ قال: الصبر عند الصدمة الأولى[3]. والعبرة لا يملكها أحد؛ صبابة المرء إلى أخيه.

ذكر عبد الله بن خليفة[4] قال: كنت أمشي مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانقطع شسع نعله فاسترجع، فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فقال: انقطع شسع نعلي، فساءني ذلك، وكل ما ساءك مصيبة.

= للهجرة. انظر السيوطي، طبقات الحفاظ ص: 45، وابن قتيبة. المعارف ص: 472.

(1) يريد أن اللفظين صلوات ورحمة مترادفان كما أن عزروه ونصروه مترادفان أو يكادان، وهو أسلوب عربي.

(2) أخرجه ابن عدي في الكامل، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس، وأخرجه الطبراني في الكبير عن سابط الجمحي.

(3) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، وأخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى (926). كلاهما يرويه عن أنس بن مالك.

(4) هو عبد الله بن خليفة الهمداني، تابعي مخضرم، وثّقه ابن حبان. انظر الذهبي ميزان الاعتدال 414:2.

قوله: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ ﴾ أي: من حرمات الله[1]. ﴿ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَو اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾.

ذكر عاصم الأحول أنه قال: قرأت هذه الآية على أنس بن مالك، خادم رسول الله ﷺ، ثم قلت له: أكنتم تكرهون الطواف بينهما؟ قال: نعم؛ إنهما كانتا من شعائر الجاهلية؛ فلما أسلمنا قالوا: يا رسول الله، هل علينا من حرج إن طفنا بينهما؟ فأنزل الله هذه الآية. قال أنس: والطواف بينهما تطوّع.

وقال بعضهم: كان حي لا يطوفون بينهما، فأمر الله بالطواف بينهما؛ وكانت ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل.

ذكر عن جابر بن عبد الله الأنصاري، صاحب النبي عليه السلام أنه قال: لا حج لقريب ولا لبعيد إلا بطواف بين الصفا والمروة[2].

وسئل جابر بن عبد الله: هل تحل النساء للرجال قبل الطواف بين الصفا والمروة؟ فقال: لا. وقال جابر: أما من كان من أهل الآفاق فإنه لا يطوف بينهما قبل أن يأتي منى، وأما من كان من أهل مكة فبعد ما يرجع من منى. ذكروا عن عطاء قال: أهل مكة يبدأون بمنى، وأهل الآفاق يبدأون بالطواف.

---

(1) جاء في مخطوطة ز ما يلي: «قال محمد: الشعائر واحدها شعيرة، وهي كل شيء جعله الله علماً من أعلام الطاعة».

(2) اختلاف العلماء في السعي بين الصفا والمروة، هل هو ركن من أركان الحج لا يتم إلا به، أو هو سنة يُجبر بدم، أو هو تطوع لا يترتب على تركه شيء، اختلاف مشهور. والذي عليه الجمهور أنه فرض لحديث رسول الله ﷺ: إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا. أخرجه الطبراني عن ابن عباس وصححه الدارقطني. فقال الشافعية والحنابلة والمالكيه إنه ركن. وقال الحنفية أنه سنة ليس بركن. وذهب بعض الإباضية إلى أنه سنة يلزم تاركَه دمٌ. انظر مثلاً: الجيطالي قواعد الإسلام ج 2 ص 155. ورجّح بعض المحققين من الأصحاب فرضيته فلا يتم حج أو عمرة لمن تركه عمداً. انظر خلفان بن جميل السيابي: سلك الدرر، ج 1 ص 320، وانظر: اطفيش، شرح النيل ج 4 ص 146-148 نشر دار الفتح بيروت 1392 هـ - 1972 م.

قوله: إِنَّ الذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ ﴾ قال الكلبي: يعني أهل الكتاب. قال الكلبي: أما البينات فالذي يكتمون من نعت نبي الله في كتابهم، وأما الهدى فما آتاهم به أنبياؤهم. وقال بعضهم: كتموا الإسلام وكتموا محمداً وهم يجدونه مكتوباً عندهم.

قال: ﴿ أُولَـٰئِكَ يَلْعَنُهُم اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّـٰعِنُونَ ﴾ أي من ملائكة الله والمؤمنين. وقال بعضهم: دوابّ الأرض؛ والتأويل ما وصفناه أولاً.

قال الحسن: هذا الميثاق أخذه الله على العلماء ألا يكتموا علمهم. ذكروا عن عطاء أنه قال: من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار(1).

قوله: ﴿ إِلَّا الذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا ﴾ أمر محمد أنه حق. يعني بهذا أهل الكتاب ﴿ فَأُولَـٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾. فبرحمته جعل لهم متاباً ومرجعاً.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كفار أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَـٰئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾. يعني بالناس هاهنا المؤمنين. ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُم العَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ أي ولا هم يؤخرون بالعذاب.

قوله: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ لا إلـه غيره ولا معبود سواه.

قوله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَـٰفِ الَّيْـلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ التِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ

(1) هذا نص حديث لرسول الله ﷺ أخرجه الترمذي في أبواب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة (266) وأخرجه الحاكم وأخرجه أحمد في المسند كلهم يرويه عن أبي هريرة، ولفظه: «من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار».

الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ حين لم يكن فيها نبات فأنبتت ﴿ وَبَثَّ فِيهَا ﴾ أي خلق[1] فيها ﴿ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَـٰحِ ﴾ والرياح أربعة: الجَنوب والشَّمال والصَّبا والدَّبور. فالجنوب ـ فيما بلغنا ـ من مطلع الشمس إلى مطلع سهيل، والشمال من مغرب الشمس إلى بنات نعش، والصبا من بنات نعش إلى مطلع الشمس، والدبور من مطلع سهيل إلى مغرب الشمس. قال: ﴿ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لأَيَـٰتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً ﴾ أي أعدالاً يعدلونهم بالله، يعني ما يعبدون من دون الله ﴿ يُحِبُّونَهُمْ ﴾ أي يحبون آلهتهم التي يعبدون ﴿ كَحُبِّ اللهِ ﴾ إذ جعلوهم آلهة كحب المؤمنين اللهَ، قال الله: ﴿ وَالذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلهِ ﴾ من المشركين لآلهتهم.

﴿ وَلَوْ تَرَى الذِينَ ظَلَمُوا أي الذين أشركوا ﴿ إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ ﴾ أي: القدرة ﴿ لِلهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ العَذَابِ ﴾. قال الحسن: يقول لمحمد عليه السلام: إنك ستراهم إذا دخلوا النار، وهنالك يعلمون أن القوة، أي القدرة لله جميعاً، وأن الله شديد العذاب. قال الحسن: وقد كانوا عن قدرة الله وعزته في الدنيا غافلين.

قوله: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الذِينَ اتُّبِعُوا ﴾ وهم الجبابرة والقادة والرؤوس في الشرك والنفاق ﴿ مِنَ الذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ والأتباع: الضعفاء الذين اتبعوهم على عبادة الأوثان. قال: ﴿ وَرَأَوُا العَذَابَ ﴾ جميعاً، أي: القادة والأتباع ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ أي: المواصلة [التي كانت بينهم] في الدنيا[2] لأنهم كانوا أولياءهم.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ أي: رجعة إلى الدنيا ﴿ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا ﴾. قال الله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَـرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ﴾

---

(1) كذا في المخطوطات ق و ع و د، وفي ز: «خلق»، وأصحّ منه وأحسن تأويلًا: «فرّق وبسط» كما في مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 62.

(2) في ق و د «المواصلة في الدنيا»، والزيادة من تفسير الطبري ج 3 ص 290 والقول لقتادة.

والحسرة والندامة ﴿ وَمَا هُمْ بِخَـٰرِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلَـٰلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوٰتِ الشَّيْطَـٰنِ ﴾ أي ما يأمركم به الشيطان ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي: بَيِّن العداوة. وقال بعضهم: خطوات الشيطان: ما حرَّم عليهم من الحرث والأنعام. ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ أي ما لا تعلمون أنه الحق.

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ﴾ أي: ما وجدنا عليه آباءنا، وهم مشركون بالله. قال الله: ﴿ أَوَ لَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾. وهذا على الاستفهام. أي: أيتبعونهم ولو كانوا لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون؟ يُسفِّه بذلك عقول الأبناء إذا تبعوا الآباء، وهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون.

قوله: ﴿ وَمَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ فيما يدعوهم إليه النبي ﴿ كَمَثَلِ الذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ أي مثلهم كمثل الراعي الذي يصيح بالبعير والشاة. وقال الحسن: كمثل الراعي الذي يصيح بالغنم فترفع رؤوسها لا تدري ما يقول. ثم تضع رؤوسها. قال: فكذلك هم إذا دعوا إلى الهدى. وقال مجاهد: هو دعاء النعق بآلهتهم(1).

قوله: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾. قال: صمّ عن الحق. أي: عن الهدى فلا يسمعونه، وبكم عنه فلا ينطقون به وعمي عنه فلا يبصرونه.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَاشْكُرُوا للهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ يعني بالطيبات الحلال. وذلك لما حرم أهل الجاهلية على أنفسهم

(1) كذا في ق و ع و د: «بالبهائم». وجاء في تفسير الطبري ج 3 ص 310 ما يلي: «وقال مجاهد: (كَمَثَلِ الذِي يَنْعِقُ) الراعي (بِمَا لاَ يَسْمَعُ) من البهائم». وهو صواب وواضح.
وقد تكون كلمة «بآلهتهم» صحيحة في محلها؛ فيكون المعنى: ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع... وهذا هو المعنى الذي أشار إليه الطبري في ج 3 ص 212-213. ولكنه لم يرجحه.

من الأنعام والحرث. مثل قوله: (وَجَعَلُوا للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَـٰذَا للهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَائِنَا. . . إلى آخر الآية) [الأنعام: 136]. وهو كقوله: (قُل أَرَأَيْتُم مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُم مِنْهُ حَرَاماً وحَلَالاً قُل آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ) [يونس: 59]. فأمر الله المؤمنين أن يأكلوا من طيبات ما رزقهم، وأخبرهم أنه ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ ﴾ يعني ذبائح المشركين إلا من كان من أهل الكتاب؛ قال في سورة المائدة: (وَطَعَامُ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ) [المائدة: 5] والطعام هاهنا هو الذبائح.

قوله: ﴿ فَمَنُ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ يأكل حتى يشبع ولا يتزوّد. وقال بعضهم: يأكل ما يزوّد به نفسه ولا يشبع. ﴿ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

وقال بعضهم: غَيْرَ بَاغٍ: أي في أكله، وَلَا عَادٍ: أي: لا يتعدى حلالاً إلى حرام وهو يجد عنه مندوحة قوتاً أو قوة. وقال الحسن: (غَيْرَ بَاغٍ): يحمله على أكله ابتغاء الاثم على غير اضطرار منه إليه، (وَلَا عَادٍ)، أي: لا متعد لما أحل الله له من ذلك عند الاضطرار منه إليه، فيحرمه وهو موضوع عنه. وقال مجاهد: غير باغ: يبغى على الناس، ولا عاد: يقطع عليهم الطريق[1]. وكل ما تأوّلوه عليه يخرج صحيحاً.

ذكروا عن سهل بن عبد الله بن عون[2] قال: دخلت على الحسن فإذا عنده كتاب كتبه سمرة[3] لولده فإذا فيه: يجزى من الضرورة أو من الضارورة صبوح أو غبوق.

---

(1) جاء في ز ورقة 23: «. . (وَلَا عَادٍ) أي: قاطع سبيل، ولا مفارق الأئمة ولا خارج في معصية الله». وهي نفس الكلمات التي جاءت في تفسير مجاهد، ص: 94.

(2) لم أجد فيما بين يدي من كتب الرجال ترجمة لسهلٍ هذا. وقد يكون من تابع التابعين أو من صغار التابعين.

(3) هو سمرة بن جندب بن هلال، من بني لأي بن شمخ بن فزارة، يكنى أبا عبد الرحمٰن وقيل =

ذكر الحسن أن رجلاً قال: يا رسول الله متى تحرم علي الميتة؟ قال: إذا رويت من اللبن وجاءت ميـرة أهلك[1].

ذكروا عن بعض السلف أن من اضطر فلم يأكل ولم يشرب ثم مات دخل النار.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: إن الله يحب أن تُقبل رخصه كما يحب أن تقبل عزائمه.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

فهؤلاء أهل الكتاب الذين حرّفوا كتاب الله. وهو كقوله: (إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ والرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ) [التوبة: 34]. وكانت لهم مأكلة من السلطان وكانوا يضعون[2] لهم ما يهوون.

وقوله: (مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِم إِلَّا النَّارَ)، يقول: فسوف يأكلون به النار. وقوله: (وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ) أي: بما يحبون؛ وقد يكلّمهم ويسألهم عن أعمالهم ويأخذهم بها.

وقال بعضهم: لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أي لا يدخل عليهم الملائكة بالسَّلام من الله؛ فأضاف[3] ذلك السلام الذي هو كلام الملائكة أنه كلامه؛ أي: فلا تأتيهم

= أبا سعيد. كان من صغار الصحابة، شهد أحداً وهو حدث، وسكن البصرة فكان الحسن وابن سيرين والشعبي يروون عنه ويثنون عليه. قال ابن سيرين: «في رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير». توفي سنة 58 هـ. انظر ابن عبد البر الاستيعاب ج 2 ص 653.

(1) لم أجده بهذا اللفظ. وقريب منه ما رواه الحاكم وصححه عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: إذا روّيتَ أهلك من اللبن غبوقاً فاجتنب ما نهى الله عنه من ميتة. وانظر السيوطي الدر المنثور 2:259.

(2) كذا في د: «يضعون»، وفي ق و ع: «يصنعون».

(3) كذا في ق و ع و د: «فأضاف»... أنه ولعل صوابها: «فوصف» حتى تستقيم العبارة.

الملائكة بكلام الله الذي هو السلام. ولا يزكيهم، أي لا يطهرهم من آثامهم. ولهم عذاب أليم؛ أي: موجع. وقال بعضهم: أي ولا يثني عليهم بخير ولا يمدحهم، لأن التزكية ثناء ومدح. وكل ما تأولوا في هذا جائز صحيح.

قوله: ﴿ أُوْلَـٰئِكَ الذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَـٰلَةَ بِالهُدَى وَالعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ﴾ أي: استحبوا الضلالة على الهدى. وقال الحسن: اختاروا الضلالة على الهدى والعذاب على المغفرة. ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ أي: فما أجرأهم على العمل الذي يدخلهم النار[1].

قوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الكِتَـٰبَ بِالحَقِّ وَإِنَّ الذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الكِتَـٰبِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾. أي لفي فراق، أي لفي ضلال طويل، وهم أهل الكتاب، فارقوا الحق. وقال بعضهم: بعيد: أي: بعيد عن الحق.

قوله: ﴿ لَيْسَ البِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ ﴾ قال بعض المفسرين: لَيْسَ البِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ: أي: أن تكونوا نصارى فتصلوا إلى المشرق. ولا أن تكونوا يهوداً فتصلوا إلى المغرب، أي: إلى بيت المقدس.

قوله: ﴿ وَلَكِنِ البِرُّ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالمَلَـٰئِكَةِ وَالْكِتَـٰبِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾. ذكر بعضهم عن النبي ﷺ أن رجلاً سأله عن البر، فأنزل الله هذه الآية. وذكر لنا أن النبي عليه السلام دعا الرجل فتلاها عليه.

ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: آتى المال على حبّه: أن تنفق وأنت صحيح شحيح تأمل الحياة وتخشى الفقر[2].

(1) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 64: «(فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) (ما) في هذا الموضع في معنى الذي، فمجازها: ما الذي صبّرهم على النار، ودعاهم إليها، وليس بتعجب». أما الفراء فأجاز الوجهين فقال في معاني القرآن ج 1 ص 103: «فيه وجهان: أحدهما معناه: فما الذي صبرهم على النار؟ والوجه الآخر: فما أجرأهم على النار!».

(2) كذا في ق و ع: «الفقر»، وفي د: «الفاقة» وهما واحد.

قال: ﴿ ذَوِي القُرْبَى ﴾ يعني القرابة. ﴿ وَاليَتَـٰمَـىٰ وَالمَسَـٰكِيـنَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ يعني الضيف ﴿ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ يعني المكاتب، ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ ﴾ الموقوتة ﴿ وآتى الزَّكَـوٰةَ ﴾ المفروضة ﴿ وَالمُـوفُونَ بِعَهْـدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ أي فيما عاهدوا عليه من الحق ﴿ وَالصَّـٰبِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ ﴾. قال بعض المفسرين: البأساء: البؤس والفقر، والضراء: السقم والوجع. قال أيوب: (رَبِّ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ) [الأنبياء: 83] وحين البأس؛ أي: عند مواطن الجهاد والقتال. ﴿ أُولَـٰئِكَ ﴾ أي الذين هذه صفتهم ﴿ الذِينَ صَدَقُوا ﴾ في إيمانهم ووفائهم ﴿ وَأُولَـٰئِكَ ﴾ الذين هذه صفتهم ﴿ هُمُ المُتَّقُونَ ﴾ فأخبرهم بالبر وهو الإيمان وبيَّنه لهم.

ذكروا عن مجاهد عن أبي ذر أنه سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان فقرأ عليه هذه الآية: (لَيْسَ البِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبَ وَلَكِن البِرُّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ)... إلى آخر الآية، ثم سأله فأعادها عليه، ثم سأله فأعادها عليه فقال: إذا عملت حسنة أحبها قلبك، وإذا عملت سيئة أبغضها قلبك.

ذكروا أن رسول الله ﷺ وسلم قال: من سرّته حسناته وساءته سيئاته فذلك المؤمن [1].

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ ﴾ أي: فرض عليكم القصاص ﴿ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبْدُ بِالعَبْدِ وَالأُنْثَىٰ بِالأُنْثَىٰ ﴾. قال الحسن: كان أهل الجاهلية قوم فيهم عز ومنعة؛ فكان الحي منهم إذا قُتِلت امرأة منهم، قتلتها امرأة من حي آخر، قالوا: لا نقتل بها إلا رجلاً. وإذا قتل منهم عبد قتله عبد حي آخر، قالوا: لا نقتل به إلا حراً، فأنزل الله هذه الآية. [ونهاهم عن البغي][2]. قال:

(1) أخرجه إسحق بن راهويه في مسنده عن أبي ذر بلفظ: المؤمن إذا عمل الحسنة سرّته رجاء ثوابها، وإذا عمل السيئة أحزنته وخاف عقابها.

(2) زيادة من ز. ورقة 23.

ثم أنزل بعد ذلك في سورة المائدة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: 45]. قال الحسن: النفس التي قَتَلت بالنفس التي قُتِلت.

قوله: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ﴾. قال: من وجبت له الدية فليتبع بالمعروف، ومن وجبت الدية عليه فليؤد بإحسان. قال: وتؤخذ الدية في ثلاثة أعوام. والنصف في عامين، والثلث في عام[1].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الدية مائة بعير، يعني دية الخطأ، فمن ازداد بعيراً فهو من أمر الجاهلية[2].

ذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ قال: العقل على العصبة والدية على الميراث[3]. ذكر بعض السلف قال: لا تعقل العاقلة عبداً ولا عمداً ولا اعترافاً[4] قال: ويقولون: إذا اعترف اعترافاً كان عليه في خاصة ماله. ذكر بعضهم قال: ما فرض رسول الله فعلى العاقلة، يعني بذلك الموضحة[5] فما فوقها؛ يقولون: لم يفرض رسول الله فيما دون الموضحة شيئاً.

---

(1) أي: «ترك له». كما في مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 66. وفي ز، ورقة 23: «يقول: من قَتَل عمداً فَعُفِي عنه وقبلت منه الدية».

(2) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 3 ص 371 عن قتادة مرسلاً، وليس فيه الجملة الأولى.

(3) كذا ورد هذا الحديث في ق و ع و د بهذا اللفظ مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ من دون ذكر لراويه. ولم أجده فيما بين يدي من المصادر والمراجع. ومعناه ـ والله أعلم ـ أن العقل على العصبة في قتل الخطأ. وأما في قتل العمد فإن الدية تؤخذ من مال القاتل إذا صُفِح له عن القَوَد، وليس على العاقلة شيء، إلا إذا لم يف مال القاتل بالدية في بعض الأقوال. انظر ذلك عند أبي يوسف، كتاب الخراج ص: 307-317؛ ففيه أن دية الخطأ وشبه العمد على العاقلة. أما الخطأ، فهو أن يريد الإنسان الشيء ويصيب غيره، وأما شبه العمد فهو ما عرفه الحديث: «قتيل السَّوْط والعصا شبه العمد». وانظر كذلك الجصّاص أحكام القرآن ج 1 ص 195-196.

(4) زاد بعضهم: «ولا صلحاً».

(5) الموضحة: هي التي تكشف العظم بدون هشم له.

قوله: ﴿ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ذكر جابر بن زيد عن ابن عباس قال: (ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ) مما كان فرض على بني إسرائيل في العمد، إذ لم يحل لهم الدية.

ذكر بعض المفسرين أن أهل التوراة كانوا أمروا بالقَوَد، وأن أهل الإنجيل أمروا بالعفو، وجُعل لهذه الأمة إن شاءوا قتلوا، وإن شاءوا عفواً، وإن شاءوا أخذوا الدية، يعني إذا تراضوا عليها.

قوله: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي رحيم بهذه الأمة إذ أحل لهم الدية في القتل عمداً. ﴿فَمَنِ اعْتَدىٰ بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني من قتل بعد أخذ الدية فله عذاب أليم، يعني القتل؛ يقتله الوالي ولا ينظر في ذلك إلى عفو الولي.

ذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ قال: لا أعافي رجلاً قتل بعد أخذه الدية[1]. ذكر ذلك جابر بن عبد الله الأنصاري.

قوله: ﴿ وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰأُولِي الأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي لكي تتقوا وليتناهى الناس عن القتل؛ يخاف الرجل القصاص؛ وفي ذلك حياة لهم، أي بقاء. تفسير الحياة هاهنا البقاء. يقول: (وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَـاةٌ) أي: بقاء. (يَا أُولِي الأَلْبَابِ)، يعني يا ذوي العقول، يعني بذلك المؤمنين. (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ): لكي تتقوا القتل الذي فيه القصاص بينكم.

قوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى المُتَّقِينَ ﴾. يعني بالخير المال؛ أي: إن ترك مالاً.

---

(1) رواه أبو داود في سننه في كتاب الديات، باب من يقتل بعد أخذ الدية (4507) عن جابر بن عبد الله، وأورده ابن كثير في تفسيره ج 1 ص 371 عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة مرفوعاً، وأخرجه الطبري في تفسيره ج 3 ص 376 عن قتادة مرسلاً. انظر تخريج الشيخ أحمد محمد شاكر لهذا الحديث في تفسير الطبري في أسفل الصفحة، تعليق: 2.

وكان بعضهم يقول: الخير ألف فما فوق ذلك. فأمر الله في هذه الآية أن يوصي لوالديه وأقربيه، ثم نسخ ذلك في سورة النساء بقوله: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ وَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾. [النساء: 11] وجعل لكل ذي ميراث نصيبه من الميراث وصارت الوصية لمن لا يرث من قريب أو غير قريب.

قال الحسن: نسخ منها الوالدان ومن كانت له قرابة ممن يرث، وصارت الوصية لأقربيه الذين لا يرثون؛ ولم تكن عنده منسوخة. قال [بعضهم][1]: والعامة من الفقهاء على أنها منسوخة.

ذكروا أن علياً دخل على رجل من قومه يعوده في مرضه، فأراد أن يوصي، فقال له علي: إنما قال الله: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً﴾ وأنت مقلٌّ لا مال لك.

ذكروا عن ابن عمر أنه قال: ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه أن يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده[2].

قوله: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قال الحسن: هي الوصية، من بدّلها بعد ما سمعها فإنما إثمها على الذي يبدلها. تفسيره: من بدّل ما في الوصية، يعني الولي أو الشهود، فإنما إثمه على الذين يبدلونه. إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

قوله: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ قوله: ﴿فَمَنْ خَافَ﴾

---

(1) زيادة يقتضيها السياق، وانظر في موضوع هذه الآية وهل هي منسوخة أو محكمة تفسير القرطبي، ج 2 ص 262-263؛ وانظر الجصاص. أحكام القرآن ج 1 ص 202-207؛ وانظر تفسير خمسمائة آية لأبي الحواري، ص 106.

(2) حديث متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب الوصية وهو أول أحاديث الكتاب، وأخرجه أيضاً مسلم في أول أحاديث كتاب الوصية (رقم 1627)، كلاهما عن عبد الله بن عمر، وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده عن أبي سعيد الخدري (677) وفي أوله: لا يحل لامرىء مسلم. . .

أي: فمن علم، من موص، يعني الذي يوصي، (جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ) يعني بين من أوصى له وبين الورثة ﴿ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾. قال بعضهم: من أوصى في وصيته بجور أو جنف، فردها الولي أو إمام من أئمة المسلمين إلى كتاب الله وسنة نبيه، فذلك له. قوله: (جَنَفاً أَوْ إِثْماً): الجنف: أن يوصي بجور وهو لا يتعمد الجور، كقوله: (غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ) [المائدة: 3] أي غير متعمد لإثم. والإثم أن يوصي بجور وهو يعلم أنه جور. ﴿ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ أي فرض عليكم ﴿الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ﴾ أي كما كتب ﴿ عَلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ يعني أمة موسى وعيسى ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

قال بعضهم: هو رمضان كتبه الله على من قبلكم؛ وكان فيما كتب عليهم ألا يأكلوا ولا يشربوا ولا يطأوا النساء بعد رقادهم من الليل إلى مثلها من القابلة. وكان قوم من أصحاب النبي عليه السلام يصيبون ذلك بعد رقادهم فأنزل الله: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ، والرفث: الغشيان، هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ). أي: هن سكن لكم وأنتم سكن لهن. (عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ. فالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ). [البقرة: 187][1].

قال الحسن: كتب على النصارى صيام رمضان فصاموا زماناً. فجعل أحياناً يكون في الحر الشديد فحوّلوه، ووضعوه في زمان لا يكون فيه حر. فصاموا ذلك زماناً. ثم قالوا: لنزيدنّ في صيامنا لمّا حوّلناه؛ فزادوا فيه عشرة أيام. فصاموا كذلك زماناً. ثم إن ملكهم اشتكى؛ فنذر إن عافاه الله أن يزيد في الصيام سبعة أيام. فعافاه الله، فزاد في الصيام سبعة أيام، فصاموا كذلك زماناً. ثم إن ذلك الملك

(1) قدم المؤلف تفسير هذه الآية استطراداً وسوف لا يفسّرها في موضعها من السورة بعد ثلاث آيات، ويكتفي بالإحالة إلى تفسيرها هنا. وجاء في ز، ورقة 24 ما يلي: «تفسير قتادة: هو شهر رمضان وكانوا أمروا أن يصوموا ثلاثة أيام من كل شهر، ويصلوا ركعتين غدوة وركعتين عشية، فكان ذلك بدء الصيام والصلاة».

هلك، فاستُخْلِف ملِكٌ آخر، فقال: ما بال هذه الثلاثة أيام ناقصة من صيامنا، فأتمَّها خمسين يوماً.

ذكر عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر[1].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الفجر فجران؛ فأما الذي كأنه ذنب السرحان فإنه لا يحل شيئاً ولا يحرمه، وأما المستطير[2] الذي يأخذ بالأفق فإنه يحل الصلاة ويحرّم الصيام[3] قال: ومجمل قول رسول الله ﷺ: ويحرم الصيام أن يوجب الصيام فلا يحل إذا طلع الفجر أكل ولا شرب ولا وطء.

قوله: (وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ) [البقرة: 187] أي: من الولد، يطلبه الرجل فإن كان ممن كتب الله منه الولد رزقه الله الولد. وقال بعضهم: (مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ) أي ما أحل الله لكم.

قوله: ﴿ أَيَّاماً مَعْـدُودَٰتٍ ﴾ قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: احصوا هلال شعبان لرمضان، صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غُمِّيَ[4] عليكم فأتموا ثلاثين يوماً

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه (1096)، وأخرجه الترمذي في الصوم، باب ما جاء في فضل السحور، وأخرجه أبو داود في الصوم باب في توكيد السحور (2343) وأخرجه النسائي وغيرهم كلهم يرويه عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص مرفوعاً.

(2) جاء في ق و ع: «الفجر المستضيء»، وفي د و ز: «المستطيل» وفي كلا اللفظين تصحيف صوابه ما أثبته: «المستطير» من قولهم: استطار الفجر إذا انتشر ضوءه في الأفق.

(3) كذا في ق و ع و د: «ويحرم الصيام» وهذا موافق لما جاء في تفسير الطبري. ولذا شرح المؤلف هنا معناه بعد. وفي ز، ورقة 25، وفي تفسير ابن كثير ج 1 ص 393، وفي الدر المنثور ج 1 ص 200: «ويحرم الطعام». وقد ورد هذا الحديث في أغلب المصادر مرسلاً عن محمد بن عبد الرحمٰن بن ثوبان التابعي. وزاد السيوطي في الدر المنثور: «وأخرجه الحاكم من طريقه عن جابر موصولاً».

(4) ورد الحديث بألفاظ: غُمِّي، أُغمِي، غمَّ، يُغَمّ، وكلها صحيحة، بمعنى حال بينكم وبين الهلال غيم.

فإن الشهر يكون تسعة وعشرين يوماً .

ذكروا عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: الشهر تسعة وعشرون وقال: يكفيه هكذا وهكذا وهكذا، وضم الخنصر في الثالثة، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته وإن حالت دونه غمامة أو غياية(2) فأكملوا العدة ثلاثين فإن فطركم يوم تفطرون وأضحاكم يوم تضحّون(3).

غير واحد من العلماء أنهم قالوا: نهى رسول الله ﷺ عن صوم ستة أيام من السنة: يوم الفطر ويوم النحر، وأيام التشريق، واليوم الذي يشك فيه من رمضان.

ذكر محمد بن سيرين قال: انطلقت في اليوم الذي يختلف فيه من رمضان فلم أجد أحداً ممن كنت آخذ عنه إلا رجلاً واحداً كان يحسب حساباً له، ولو لم يحسبه كان خيراً له؛ فكان فيمن أتيت أنس بن مالك ومسلم بن يسار.

قوله: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾. ذكروا عن حمزة الأسلمي أنه سأل رسول الله ﷺ عن الصوم في السفر فقال: إن شئت صمت وإن شئت أفطرت(4).

ذكر بعض أصحاب النبي عليه السلام قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى

(1) حديث رواه أصحاب السنن بألفاظ مختلفة؛ أخرجه الترمذي مختصراً وأخرجه الدارقطني بتمامه عن أبي هريرة، وعن رافع بن حديج في كتاب الصيام.

(2) الغياية: السحابة المنفردة، وقيل: هي كل ما أظلك من سحابة أو ظلمة أو غيرهما. انظر اللسان: غيا، والزمخشري، الفائق في غريب الحديث ج 3 ص 82. غيى.

(3) حديث صحيح أخرجه أصحاب السنن بألفاظ متقاربة. فانظره بأسانيده في أبواب الصوم من الصحاح والسنن.

(4) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب الصوم في السفر والإفطار، وأخرجه مسلم في كتاب الصوم، باب التخيير في الصوم والفطر في السفر (1121) كلاهما عن عائشة. أما حمزة الأسلمي فهو حمزة بن عمرو الأسلمي، يكنى أبا صالح، وهو صحابي عرف بأنه كان يسرد الصوم أي يتابعه، توفي سنة إحدى وستين للهجرة؛ وهو مترجم في أغلب كتب التراجم، انظر مثلاً: ابن عبد البر الاستيعاب 375:1.

حنين[1] لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رمضان فصام طوائف من الناس، وأفطر آخرون، فلم يعب بعضهم على بعض.

قوله: ﴿ وَعَلى الذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾. قال بعضهم: كان رخص فيها للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة وهما يطيقان الصوم أن يفطرا إن شاءا ويطعمان مكان كل يوم مسكيناً، ثم نسخ ذلك في هذه الآية الأخرى. (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) فبقيت الرخصة للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة إذا كانا لا يطيقان الصوم أن يفطرا ويطعما كل يوم مسكيناً، والحبلى والمرضع إذا خافتا.

ذكروا أن أنس بن مالك ضعف عن الصوم عاماً قبل موته فأفطر وأمر أهله أن يطعموا عنه كل يوم مسكيناً.

أما قوله: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) أي: من أقام منكم الشهر فليصمه. فحدثنا عن الثقة من أصحاب النبي عليه السلام وهو أبو سعيد الخدري أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى حنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رمضان فصام طوائف من الناس وأفطر آخرون فلم يعب بعضهم على بعض.

ذكروا عن علي بن أبي طالب أنه قال: من خرج في رمضان فإن الصوم عليه واجب يصومه في السفر. قال بعضهم: والعامة على أنه إن شاء صام وإن شاء أفطر.

قوله: ﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ﴾ قال: من أطعم مسكينين. ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ يعني الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة وهما يطيقان الصوم. ثم نسخ ذلك في الآية الأخرى: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْه).

(1) كذا في ق و ع: «إلى حنين»، وبعد أسطر: «من مكة إلى حنين» وهو خطأ، لأن خروج النبي عليه السلام إلى حنين كان بعد فتح مكة وبقائه بمكة خمسة عشر يوماً، وكان خروجه منها لست خلون من شوال، كما فصله الواقدي في المغازي ج 3 ص 889. والصواب خروجهم من المدينة إلى مكة عام الفتح كما رواه الطبري في تفسيره ج 3 ص 456، وكما رواه مسلم في كتاب الصيام، باب جواز الصوم والإفطار في شهر رمضان للمسافر (1116).

قوله: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْءَانُ﴾. نزل في رمضان ليلة القدر جملة واحدة إلى السماء الدنيا. وهو قوله: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ) [القدر: 1].

ذكر الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا جملة واحدة. ثم جعل بعد ذلك ينزل نجوماً، ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات وأقل من ذلك وأكثر. ثم تلا هذه الآية: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) [الواقعة: 75].

قوله: ﴿ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِنَ الْهُدَى وَالفُرْقَانِ ﴾ والفرقان: الحلال والحرام. وقال بعضهم: الفرقان: المُخرِج من الشبهة والضلالة.

﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُم الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ أي: من كان مقيماً فليصمه، ومن خرج من رمضان فإن شاء صام وإن شاء أفطر ﴿ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَو عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِن أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾.

قوله: ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ ﴾ ذكروا عن ابن عباس أنه قال: إنما يريد الله بالإفطار في السفر التيسير عليكم؛ فمن يسّر عليه الصوم فليصم، ومن يسر عليه الإفطار فليفطر. ذكر أبو حمزة عن ابن عباس أنه قال: عسر ويسر فخذ بأيهما شئت.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن خير دينكم أيسره[1]. ذكروا عن بعض السلف أنه قال: إن كتاب الله قد جاءكم بذلك ورب الكعبة؛ قال الله: (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ).

ذكروا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما عرض لرسول الله أمران إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، وكان أبعد الناس عن الإثم. وما غضب رسول الله لنفسه قط.

(1) أخرجه أحمد عن أبي قتادة عن أعرابي سمع رسول الله ﷺ يقول: لمن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره.

قوله: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ ﴾ أي ثلاثين يوماً أو تسعة وعشرين يوماً. وقد فسّرناه في الآية الأولى[1].

قوله: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدٰيكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. ذكر جعفر بن محمد أن أباه كان يكبّر ليلة الفطر، فلا يزال يكبّر حتى يصلّي مع الإمام صلاة العيد. وكان بعضهم يجهر بالتّكبير حتى يغدو إلى المصلّى.

وذكروا أن علياً كان يكبّر على بغلته يوم الفطر وهو متوجّه إلى المصلّى. ومن السنة أن يكبّر الإمام على المنبر في المصلى يوم العيد تسع تكبيرات قبل أن يخطب الخطبة الأولى، ثم يكبّر قبل أن يخطب الخطبة الأخيرة سبع تكبيرات.

قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ، إِذَا دَعَانِ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾.

ذكر بعض المفسرين قال: ذكر لنا أنه لما أنزل الله: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر: 60] قال رجل: كيف ندعو يا رسول الله؟ قال الله: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)... إلى آخر الآية.

ذكر بعضهم أن موسى ﷺ وعلى جميع الأنبياء قال: يا رب، أقريب أنت فأناجيك، أم بعيد فأناديك؟ فأوحى الله إليه: أنا عند حسن ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني.

قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾... إلى قوله: ﴿فَالْئٰنَ بٰشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ ﴾. قد فسّرناه قبل هذا الموضع[2].

قوله: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ ذكروا عن عبد الله بن أبي أوفى أنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان في سفر، فغابت الشمس فقال: انزل فاجدح

(1) انظر ما سلف قريباً ص: 173 - 174.

(2) انظر ما سلف، ص: 172.

لنا، فقلت: إن عليك النهار. فقال: انزل فاجدح لنا. قلت: لو أمسيت قال: فانزل فاجدح لنا. فنزلت فجدحت له. فشرب. ثم قال: إذا جاء الليل من هاهنا، وأومأ بيده إلى المشرق، فقد أفطر الصائم[1].

ذكر بعضهم قال: ثلاثة من فعل النبوة: تعجيل الإفطار، والتبليغ في السحور، والأخذ باليمين على الشمال في الصلاة. وبلغنا عن أبي ذر مثل ذلك، غير أنه قال: وتأخير السحور.

قوله: ﴿ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَـٰكِفُونَ فِي الْمَسَـٰجِدِ ﴾. قال بعضهم: كان أحدهم يعتكف، فإذا [خرج من مُصلاَّهُ][2] فلقي امرأته غشيها، فنهى الله عن ذلك. وذكروا أن رسول الله ﷺ كان يعتكف للعشر الأواخر من رمضان، ويشمر فيهن للصلاة. وإذا غشى المعتكف نقض اعتكافه.

ذكر الحسن أن المعتكف إذا غشي أعتق. فإن لم يجد أهدى بدنة؛ فإن لم يجد أطعم عشرين صاعاً.

قوله: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ أي لا تقربوا ما نهاكم الله عنه. ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ ءَايَـٰتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي لكي يتقوا.

قوله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَٰلَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴾ قال الحسن: هو الرجل يأكل مال الرجل، يظلمه ويجحده، ثم يأتي به إلى الحكام. فالحكام إنما يحكمون بالظاهر، وإذا حكم له استحلّه بحكمه.

---

(1) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الصوم في أبواب منها، باب الصوم في السفر والإفطار، وأخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار. (1101) وللحديث طريق آخر عن عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه ولفظه: إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا وغابت الشمس فقد أفطر الصائم.

أما المراد بالجدح هنا فهو خلط السويق بالماء ثم تحريكه حتى يستوي؛ ولذلك عبّر الراوي بعد ذلك فقال: فشرب.

(2) زيادة من ز، ورقة 25.

وقال الكلبي: هي اليمين الكاذبة يقطع بها الرجل مال أخيه. ذكروا عن بعض السلف أنه قال: من مشى مع خصمه وهو له ظالم، فهو آثم حتى يرجع إلى الحق.

ذكر: بعضهم أن رسول الله ﷺ قال: إنه قد يُدلَى إلي بالخصومة؛ فلعل أحد الرجلين أن يكون ألحن بحجته من صاحبه فأقضي له. فمن قضيت له من مال أخيه شيئاً فإنما أقطع له قطعة من النار[1].

ذكر الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال: لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيبة نفس فلا تظلموا[2].

قوله: ﴿ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْـوٰلِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه ليس لكم بحق.

قوله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوٰقِيتُ لِلنَّاسِ والحَجّ ﴾ أي: وللحج. كقوله: (وَإِنْ أَرَدتُّم أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلاَدَكُمْ) أي: لأولادكم [البقرة: 233].

ذكر بعض المفسرين قال: ذكر لنا أنهم سألوا رسول الله ﷺ: لم خلقت هذه الأهلة؟ فأنزل الله هذه الآية: (قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ؛ أي) لصومهم ولإفطارهم ولحجهم، ولعدة نسائهم ولمَحِلّ دَيْنهم[3].

---

(1) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب من قضي له بحق أخيه فلا يأخذه... وأخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة. (1713) كلاهما عن أم سلمة. وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده في كتاب الأحكام (588) عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي ﷺ؛ ولفظه: إنما أنا بشر مثلكم تختصمون إلي...

(2) من خطبته ﷺ في حجة الوداع بلفظ... وأن المسلمين أخوة فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلموا أنفسكم. انظر سيرة ابن هشام ج 4 ص 604.

(3) مَحِلّ الدَّيْن: أجله، وهو إما مصدر وإما اسم زمان، وهي نفس الكلمة التي وردت في قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهِ﴾ [البقرة: 196] وهي هنا اسم مكان. «وكانت العرب تقول إذا نظرت إلى الهلال: لا مرحباً بمُحِل الدَّيْن، مُقرّب الأجل». وانظر اللسان: حلل.

قوله: ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوٰبِهَا وَاتَّقُوا اللهَ ﴾ ولا تعصوه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

ذكر البراء بن عازب قال: كان المشركون إذا أحرموا لم يدخل أحدهم بيتاً من بابه إلا أن يتسوّر من الحائط، فأنزل الله هذه الآية.

وقال الحسن: كانوا في الجاهلية إذا أراد أحدهم سفراً فلم يتمّ له سفره، لم يأت بيته من الباب الذي خرج منه، ولكن يغلق الباب، فيأتي الباب من قِبَل ظهره. وكانوا يتقرّبون بذلك، لأنهم زعموا أن ذلك في دينهم، وهو مما أدخل عليهم الشيطان. فأنزل الله: وَلَكِنِ الْبِرُّ مَنِ اتَّقَىٰ وَاتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

وقال الكلبي: كانوا في الإحرام لا يدخلون البيوت من أبوابها، إلا أن ينقب أحدهم نقباً في ظهر بيته فيدخل منه أو يخرج، أو يتخذ سلماً فيصعد فيه وينحدر، إلا أن يكون من الحُمْس. والحُمْس قريش وكنانة وخُزاعة وبنو عامر بن صعصعة الذين لا يلتقطون الأقط ولا يسلأون السمن[1] ولا يفتلون الوبر، ولا الشعر في أيام حجهم، حرم عليهم عندهم في هذا ما أحل للناس، وأحل لهم ما حرم على الناس في أشياء كانوا يفعلونها، فنزلت هذه الآية.

وقال بعضهم: كان هذا الحي من الأنصار إذا أهلَّ أحدهم لم يدخل بيتاً ولا داراً من بابه، إلا أن يتسوَّر حائطاً تسوّراً، وأسلموا على ذلك حتى نهاهم الله.

قوله: ﴿ وَقَـٰتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ وذلك قبل أن يؤمروا[2] بقتال المشركين كافة، فكانوا لا يقاتلون إلا من قاتلهم. قوله: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ أي في حربكم فتقتلوا من لا يقاتلونكم، وتقتلوا من قد آمنتموه وتَحرَّم بحرمتكم[3]

(1) سلأ السمنَ يسلؤه سلأً: أذاب زبده وطبخه وعالجه، وهو سِلاء.

(2) في ق و ع ود وز: «يؤمر» والصحيح ما أثبت لأن الآية جاءت بالجمع.

(3) في ق و ع ود: «ويحرم» وهو تصحيف صوابه ما أثبته. يقال: «تحرَّم فلان بفلان إذا عاشره =

﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾، ثم أمر بقتالهم في سورة براءة فقال: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 5].

قوله: ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ يعني من مكة ﴿ والفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ ﴾ والفتنة هاهنا الشرك. وقال مجاهد: ارتداد المؤمن عن الدين(1) أشد عليه من أن يقتل مُحِقّاً.

قال: ﴿ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَـٰفِرِينَ ﴾. قال بعض المفسِّرين: كانوا لا يبدأون في الحرم بقتال إلا أن يقاتلوهم فيه. ثم أنـزل الله: (فَاقْتُلُوا الْمُشْـرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 5] فأمروا أن يقاتلوهم في الحلّ والحرم، وعند البيت حتى يشهدوا أن لا إلـه إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

وقوله: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا ﴾ أي عن قتالكم ودخلوا في دينكم ﴿ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي شرك ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلهِ فَإِنِ انتَهَوْا ﴾ عن شركهم ﴿ فَلَا عُدْوَانَ ﴾ أي: فلا سبيل ﴿ إِلَّا عَلَى الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي الظالم الذي يأبى أن يقول لا إلـه إلا الله(2).

قوله: ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ ﴾. ذكروا عن مجاهد أنه قال: كان المشركون صدُّوا النبي عليه السلام عام الحديبية، وفخروا عليه بذلك؛ فصالحهم على أن يرجع من العام المقبل في ذلك الشهر، فيدخل مكة، فيقيم فيها ثلاثة أيام. وكان ذلك في ذي القعدة. فأدخله الله من العام المقبل مكة واقتصّ له منهم. وهو قوله: (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ).

وقال الحسن: إن استحللتم منا القتال في الشهر الحرام استحللناه منكم،

= ومالحه، وتأكدت الحرمة بينهما». وانظر الزمخشري، أساس البلاغة.ج 1 ص 169.

(1) كذا في ق و ع و د، وفي تفسير مجاهد: 98 «ارتداد المؤمن إلى الوثن».

(2) كذا في ق و ع و د، وفي ز: (إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) أي المشركين.

فإن الحرمات قصاص. وكان ذلك قبل أن يؤمر بقتالهم كافة.

قال: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ فاستحلّ منكم القتال ﴿ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: فاستحلوا منه. وتأويل الاعتداء هنا هو المجاوزة. يقول: فَمَن اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ. أي جاوز إليكم ما كان يحرمه منكم فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عليكم. أي فجاوزوا ما كنتم تحرّمون منه.

وقال الكلبي: قوله: (فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا آعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ) قال: لما قدم النبي ﷺ مكة من العام المقبل لما كان صالحهم عليه من دخولها ويقيم فيها ثلاثة أيام، فقدم مكة وخرجت قريش كهيئة البزاء[1]، فخاف أصحاب رسول الله ﷺ أن لا يفي لهم المشركون، فقال الله: (فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ) يقول: إن قاتلوكم دون البيت فقاتلوهم.

وقال السدي: إن اعتدوا عليكم فقاتلوكم في ذلك العهد فقاتلوهم.

وقال بعضهم: أقبل نبي الله وأصحابه فاعتمروا في ذي القعدة ومعهم الهدي حتى إذا كانوا بالحديبية صدّهم المشركون. فصالحهم نبي الله أن يرجع عامه ذلك حتى يرجع من العام المقبل، فيكون بمكة ثلاثة أيام وثلاث ليال، ولا يدخلها إلا بسلاح الراكب، ولا يخرج بأحد من مكة. فنحروا الهدي بالحديبية، وحلقوا وقصّروا. فأقصّه الله منهم، فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كان ردوه فيه في ذي القعدة، فقال: (الشَّهْرُ الحَرَامُ بِالشَّهْرِ الحَرَامِ)... إلى آخر الآية. قال: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾. ذكر البراء

---

(1) كذا في ق و ع. «البدا» وفي د: «الندا» وصوابه ما أثبته إن شاء الله «البزاء» وهو انحناء الظهر. ولم أجد لكلمة أخرى تشبهها في الرسم وجهاً تطمئن إليه النفس، ولم أجد العبارة في كتب التفسير والتاريخ. والبزاء انحناء الظهر عند العجز، وقيل: هو أن يتأخر العجز ويظهر، وانظر اللسان: (بزا).

ابن عازب قال: كان الرجل يذنب فيلقي بيده فيقول: لا يغفر الله لي، فلا يجاهد، ولا يعمل، ولا ينفق في سبيل الله.

ذكروا عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال: تمتَّعْ في سبيل الله ولو بسهم. وذكر بعضهم أنه قال: أعطاهم الله رزقاً ومالاً فكانوا يسافرون ويغزون ولا ينفقون أموالهم، فأمرهم الله أن ينفقوا في سبيل الله.

قال مجاهد: لا يمنعنكم نفقةً في حق خيفةُ القتل(1).

وكان الحسن يفسر: (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكم إِلَى التَّهْلُكَةِ) يقول: إن ترككم الإنفاق في سبيل الله إلقاء منكم بأيديكم إلى التهلكة. والتهلكة ما أهلككم عند الله. وهذا حقيقة التأويل. وذكروا عن حذيفة أنه قال: هي في [ترك](2) النفقة. وذكروا عن الحسن أنه قال: لم يقبض رسول الله حتى صار الجهاد تطوّعاً.

قوله: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾. أي: وأحسنوا في نفقاتكم وما افترض الله عليكم. وقال بعضهم: أمرهم أن ينفقوا في سبيل الله وأن يحسنوا فيما رزقهم الله.

قوله: ﴿ وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لِلهِ ﴾. قال بعض المفسرين: قال رسول الله ﷺ: إنما هي حج وعمرة فمن قضاهما فقد قضى الفريضة أو قضى ما عليه. فما أصاب بعد ذلك فهو تطوع(3).

(1) كذا في د، وفي ق و ع: «لا يمنعنكم ذلك نفقة في حق خيفة القتل». وفي تفسير الطبري: ج 3 ص 585: «قال: تمنعكم نفقةً في حق خيفة العيلة». وأصحّ من ذلك كله وأوضح عبارة ما جاء في تفسير مجاهد: 99: «يقول: لا يمنعكم النفقةَ في حق خيفةُ العَيْلةِ». والعَيْلَةُ: الفقر والحاجة، من عال الرجل يَعيل عَيْلاً وعَيْلَةً، وهو عائل، إذا افتقر.

(2) سقطت هذه الكلمة: ترك في كل من ق، و ع، و د، والصحيح إثباتها كما جاءت في تفسير الطبري ج 3 ص 583.

(3) لم أجده فيما بين يدي من كتب الحديث والتفسير. وقد روى أحمد والنسائي من طريق ابن عباس حديثاً بمعناه، وفيه: «الحج مرّة، فمن زاد فهو تطوّع». وقد أورده ابن سلام في ز، ورقة: 26 بدون سند من طريق قتادة مرسلاً.

ذكروا عن مسروق أنه قال: أمرتم في القرآن بإقامة أربع: الصلاة والزكاة والحج والعمرة. وذكروا عنه أيضاً أنه قال: العمرة من الحج كالزكاة من الصلاة.

ذكر داود بن حصين عن ابن عباس أنه قال: العمرة واجبة كوجوب الحج، وهي الحج الأصغر. والعامة مجمعون على أن الحج والعمرة فريضتان ما خلا عبد الله بن مسعود، فإنه كان يقول: الحج فريضة والعمرة تطوع[1] فيقرأ على هذا التفسير بنصب الحج وبرفع العمرة؛ يقول: والعمرةُ لله. وتقرأ العامة على حديث النبي ﷺ كليهما بالنصب، وهو العدل المأخوذ به.

قوله: وأتموا الحج أي: إلى عرفات، والعمرة إلى البيت. ذكروا عن ابن عباس أنه قال: الحج عرفات، والعمرة الطواف.

قوله: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ [الإحصار أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض أو عدو][2]. إذا أهل بالحج ثم أحصر: حبسه مرض، أو ضلّت راحلته وكل ما حبسه، أقام محرماً وبعث بهدي؛ فإذا نحر يوم النحر حلّ من كل شيء إلا النساء والطيب. فإن احتاج إلى شيء قبل أن ينحر الهدي الذي بعث به مما لا يفعله المحرم، من دواء فيه طيب، أو حلق رأس، أو لبس ثوب لا يلبسه المحرم، أو شيء لا يَصلُح للمحرم، فعليه فدية من صيام أو صدقة أو نسك. فإذا برأ، وهو قوله: (فَإِذَا أَمِنتُمْ) فمضى إلى البيت وكان حاجاً فجعلها عمرة، ثم حج من قابل، فعليه هدي آخر، لأنه قد تمتع بالعمرة إلى الحج. وإن رجع إلى بلده، أو أقام مكانه، أقام على إحرامه، كافاً عن النساء والطيب، ثم حج، فليس عليه هدي؛ ووَقْتُ نحر هديه يوم النحر إذا كان حاجاً.

وإذا كان معتمراً وقَّتَ للذي يبعث الهدي معه: يشتري يوم كذا وكذا، ويَقدِم يوم كذا وكذا، وينحر يوم كذا وكذا؛ فإذا جاوز الحد حلّ له كل شيء إلا النساء

(1) انظر محمد رواس قلعه جي، موسوعة فقه عبد الله بن مسعود ص: 472، وانظر ابن قدامة، المغني ج 3 ص 173، وانظر ما سلف في هذا التفسير ص 161، تعليق: 2.

(2) هذا التعريف للإحصار زيادة من ز، ورقة 26.

والطيب، حتى يطوف بالبيت متى طاف، فيقضي عمرته. ويُستَحَبّ له أن ينتظر بعد اليوم الذي وقّت أن يُنحَر الهدي فيه بيوم أو يومين مخافة ما يحدث.

ذكروا في قول الله: (فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) قالوا: شاة. وذكر مجاهد عن ابن عباس أنه قال: مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ من الأزواج الثمانية، من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين. وذكروا عن ابن عمر أنه قال: ما استيسر من الهدى من الإبل والبقر.

قوله: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾ ذكروا عن عطاء أنه قال: كل هدى دخل الحَرَم ثم عطب فقد بلغ مَحِلّه إلا هدي المتعة [والمحصر][1] فإنه لا بد له أن يهريق دماً يوم النحر.

قوله: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾.

ذكر مجاهد قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة[2] أن رسول الله ﷺ مرّ به عام الحديبية وهو محرم، وهو يوقِد تحت قِدر له. فنكس رأسه، فإذا الهوام تجول في رأسه، وتنتثر على وجهه ولحيته، فقال: أتُؤْذِيكَ هوام رأسك يا كعب؟ قال: نعم. فسكت النبي ﷺ فنزلت هذه الآية؛ فقال رسول الله ﷺ: احلقه وصم ثلاثة أيام أو اطعم فَرَقاً بين ستة، أو اهد شاة[3]. قال: والفَرَق ثلاثة أصواع، كل صاع بين اثنين.

(1) زيادة من ز، ورقة: 26.

(2) هو أبو محمد كعب بن عجرة بن أمية بن عدي البلوي، ثم السواري، حليف للأنصار. وقال الواقدي: ليس حليفاً للأنصار ولكنه من أنفسهم. نزل الكوفة زمناً وتوفي بالمدينة سنة إحدى وخمسين أو اثنتين وخمسين للهجرة. روى عنه أهل الكوفة وأهل المدينة معاً. أورد له الذهبي في أعلام النبلاء ج 3 ص 35 ترجمة مختصرة.

(3) حديث كعب هذا متفق عليه. رواه البخاري في كتاب التفسير، من سورة البقرة، ورواه مسلم في كتاب الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى (1201) عن كعب بن عجرة؛ وأخرجه الربيع بـن حبيب في كتاب الحج (432) عن ابن عباس.

قوله: ﴿ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ يقول: من أهلّ بعمرة في أشهر الحج، في شوال، أو في ذي القعدة أو في ذي الحجة ثم حج من عامه فهو متمتع عليه ما استيسر من الهدي. فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله.

قال عمران بن حصين [1] صاحب رسول الله ﷺ: تمتعنا مع رسول الله ﷺ ونزل فيها القرآن.

وذكر بعضهم قال: قيل لابن عباس: إنهم يروون عنك أنك تقول: من طاف البيت فقد حلّ. فقال: تلك سنة نبيّكم وإن رغمتم.

ذكر عطاء عن جابر بن عبد الله أنه قال: قدمنا مع رسول الله ﷺ صباح أربعة مضين من ذي الحجة مهلّين بالحج. فلما طفنا بالبيت، وصلينا الركعتين، وسعينا بين الصفا والمروة، أمرنا فقال: قصّروا فقصّرنا. ثم قال: أحلوا. فقلنا: يا رسول الله، نحلّ مماذا. قال: حل ما يحل الحلال؛ من النساء والطيب. ثم قال: فغشيت النساء، وسطعت المجامر. وبلغنا أن بعضهم يقول: ينطلق أحدنا إلى مِنًى وذكره يقطر مَنِيّاً. فخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي، ولو لم أسق الهدي لحللت: ألا فخذوا عني مناسككم [2].

---

(1) هو عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي الكعبي من فضلاء الصحابة وفقهائهم. سكن البصرة وتوفي بها سنة ثنتين وخمسين للهجرة. قال عنه محمد بن سيرين: أفضل من نزل البصرة من أصحاب رسول الله ﷺ عمران بن حصين وأبو بكرة. مترجم في أغلب كتب التراجم. انظر مثلاً ابن عبد البر الاستيعاب ج 3 ص 1208، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 2 ص 363-366.

(2) حديث جابر بن عبد الله في حجة رسول الله ﷺ رواه أصحاب السنن كلهم، رواه البخاري في كتاب الحج، باب التمتع والإقران والإفراد بالحج... ورواه مسلم في كتاب الحج في باب وجوه الإحرام... (1213).

قال: فلما كان يوم التروية أهللنا بالحج من البطحاء، فكان الهدي على من وجد، والصيام على من لم يجد. وأشرك بينهم في الهدي البعير عن سبعة، والبقرة عن سبعة. قال: وكان عطاء يقول: كان طوافهم طوافاً واحداً وسعيهم سعياً واحداً لحجهم ولعمرتهم.

ذكروا عن أنس بن مالك خادم النبي عليه السلام أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لبيك بالعمرة والحج جميعاً(1).

ذكر عمرو عن مجاهد قال: أهلّ الضبي بن معبد بالعمرة والحج فمرّ على سليمان بن ربيعة وزيد بن صوحان وهو يلبي بهما فقالا: لهذا أضل أو أقل عقلاً من جَمَل أهله. فلما قدم على عمر ذكر ذلك له فقال: هُدِيت لسنة نبيك.

قوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ العامة على أن صيام ثلاثة أيام في الحج قبل التروية بيوم ويوم التروية ويوم عرفة. ذكروا أن علياً قال: قبل التروية بيوم ويوم التروية ويوم عرفة. ذكروا عن ابن عمر مثل ذلك. ذكروا عن الحسن وعطاء أنهما قالا: في العشرة.

ذكروا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: من يوم أن يُهِلّ إلى يوم عرفة، فإن فاته ذلك صام أيّام منى.

ذكروا أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومَ النحر فقال: يا أمير المؤمنين، إني تمتّعت ولم أجد الهَدي ولم أُصُمْ. فقال: سَلْ في قومك، ثم قال: يا

(1) اختلف رواة الحديث وقبلهم الصحابة اختلافاً كثيراً في إهلال الرسول ﷺ؛ فروى أنس بن مالك أنه أهل عليه السلام بالعمرة والحج معاً، وهو ما ذهب إليه ابن عباس وعلي. وذهب غيرهم أمثال عائشة وابن عمر وآخرون إلى أنه عليه السلام كان مفرداً بالحج. والخبر التالي يبين لنا مدى اختلافهم هذا. «عن مروان بن الحكم قال: شهدت علياً وعثمان بين مكة والمدينة وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما. فلما رأى ذلك علي أهلّ بهما، فقال: لبيك بعمرة وحج معاً. فقال عثمان: تراني أنهى الناس وأنت تفعله. فقال علي: لم أكن أدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس.

مُعَيْقِيبُ[1]. أعطه شاة. ذكروا عن سعيد بن جبير قال: يبيع ثيابه ويهريق دماً.

قوله: (وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ) ذكروا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إذا رجع إلى أهله. ذكروا عن مجاهد قال: إن شاء صامها في الطريق.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ أي إذا عاقب.

ذكروا عن عطاء عن ابن عباس أنه قال: يا أهل مكة، ليست لكم متعة، فإن كنتم فاعلين لا محالة فاجعلوا بينكم وبين مكة وادياً.

ذكروا عن عطاء أنه قال: قدر ما تقصر إليه الصلاة فهو من حاضري المسجد الحرام. وتفسير ذلك أنه يقول: إذا كان من وراء ذلك كانت له المتعة. وقال عطاء: من كان منها على رأس ليلة فهو من حاضري المسجد الحرام.

قوله: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ ذكر جماعة من العلماء أنها شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذي الحجة ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ﴾ أي فمن أوجب فيهن الحجّ.

ذكر بعضهم أن عكرمة لقى أبا الحكم البجلي فقال: أنت رجل سوء، يقول الله: الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ، وَأَنْتَ تُهِل بالحج في غير أشهر الحج موجهاً إلى خراسان أو إلى كذا وكذا.

ذكروا عن جابر بن عبد الله أنه قال: لا يهل بالحج في غير أشهر الحج.

ذكر أنه ذكروا للحسن رجلاً يحرم من السنة إلى السنة، فقال: لو أدركه عمر بن الخطاب لأوجع له رأساً. وقال: في أي شهر أحرم فقد وجب عليه الإحرام؛ وأحسن ذلك أن يكون في أشهر الحج.

---

(1) هو معيقيب بن أبي فاطمة، أسلم قديماً بمكة وهاجر إلى الحبشة. وكان على خاتم رسول الله ﷺ، ثم كان أميناً على بيت المال في عهد أبي بكر وعمر بن الخطاب. توفي في آخر خلافة علي بن أبي طالب، قيل سنة أربعين للهجرة. انظر ابن عبد البر الاستيعاب 1478:4. وابن قتيبة، المعارف: 316، والذهبي، سير أعلاء النبلاء 350:2.

قوله: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ ذكر عطاء عن ابن عباس أنه قال: الرفث: الجماع[1]، والفسوق: المعاصي، والجدالَ أن يُماري بعضهم بعضاً حتى يغضبوا.

قوله: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾، يعني التطوّع والفريضة. وهو كقوله: (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ) [آل عمران: 115].

قوله: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾. قال بعض المفسرين: كان أناس من أهل اليمن يحجون ولا يتزوّدون، فأمرهم الله بالزاد والنفقة في سبيله، وأخبرهم أن خير الزاد التقوى. وقال الحسن: يقول: إذا أراد أحدكم سفراً تزوّد لسفره خيراً.

قوله: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ يعني يا أولي العقول، وهم المؤمنون.

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ذكر عن عبيد الله بن أبي يزيد[2] أنه قال: سمعت عبد الله بن الزبير، وبلغه أن أناساً يأنفون من التجارة في الحج فقال: يقول الله: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ) يعني به التجارة في مواسم الحج.

ذكروا عن الحسن أنه كان لا يرى بأساً بالتجارة في الحج، في الفريضة وغيرها.

قوله: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾. ذكر بعض المفسّرين أن رسول الله ﷺ أفاض من عرفات بعد غروب الشمس.

ذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ قال: لا تدفعوا حتى يدفع الإمام فإنها السنة[3].

ذكر عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما أفاض من عرفات قال: يا أيها

(1) وقد نسب إلى ابن عباس تعريف آخر للرفث إذ قال: «إنما الرفث مراجعة النساء الحديث بذكر الجماع». انظر الفارسي، الحجة، ج 2 ص 219-220، وانظر تفسير الطبري ج 4 ص 126.

(2) عبيد الله بن أبي يزيد المكي تابعي ثقة.

(3) لم أجده فيما بين يدي من المراجع والمصادر.

الناس عليكم بالسكينة، لا يشغلنّكم رجل عن الله أكبر(1).

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: كل عرفة موقف، وارتفعوا عن عرَنة، وكل جمع موقف، وارتفعوا عن محسِّر(2).

ذكروا أن عمر بن الخطاب أفاض من عرفات وبعيره يجتر، أي: إنه سار على هيئته.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: عرفة كلها موقف، وارتفعوا عن عُرَنة.

ذكروا عن عطاء أنه قال: قال رسول الله ﷺ: من وقف بعرفات قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج(3).

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: الحج عرفات، والعمرة الطواف.

قوله: ﴿ فَاذْكُرُوا اللهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ قال بعض المفسّرين: هي ليلة المزدلفة، وهي جمع. وإنما سمي جمعاً لأنه يجمع فيه بين المغرب والعشاء(4).

(1) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب أمر النبي ﷺ بالسكينة عند الإفاضة، وأخرجه مسلم مختصراً في كتاب الحج باب استحباب إدامة الحاج التلبية... (1282). ولفظ البخاري: «يا أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع».

(2) هذا حديث مرسل رواه الطبري في تفسيره ج 4 ص 1079 عن زيد بن أسلم، وذكره كذلك ابن كثير في تفسيره، ج 1 ص 429. وقال: هذا حديث مرسل، ورواه بسند آخر عن جبير بن مطعم ولكن فيه انقطاع. وعُرَنة، (بضم ففتح) هو واد بحذاء عرفات. ومحسِّر (بضم ففتح وكسر السين المشددة) واد بين المزدلفة ومنى، وليس منهما.

(3) حديث صحيح رواه أصحاب السنن بألفاظ منها حديث عبد الرحمٰن بن يعمر الديلي الذي أخرجه أبو داود في المناسك، باب من لم يدرك عرفة (1949) وأخرجه ابن ماجه في المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع (3015) وكذلك حديث عروة بن مضرس الطائي حين سأل رسول الله ﷺ بجمع: هل لي من حج يا رسول الله. فقال عليه السلام: من صلى معنا صلاة الغداة بجمع، وقد أتى عرفات قبل ذلك ليلاً أو نهاراً فقد قضى تَفثه وتمّ حجه. أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب من لم يدرك عرفة (1950) وأخرجه النسائي والدارقطني.

(4) وقيل سميت المزدلفة كذلك لأن آدم وحواء لما هبطا اجتمعا بها، والقول الراجح أنها سميت =

ذكر أبو الطفيل أن ابن عباس قال: إن جبريل ذهب بإبراهيم إلى جمع فقال: هذا المشعر الحرام.

ذكروا عن عبد الله بن الزبير أنه قال: ألا لا صلاة إلا بجمع، ألا لا صلاة إلا بجمع، ألا لا صلاة إلا بجمع، يعني المغرب والعشاء. وذكروا عن الحسن وابن سيرين أنهما قالا: لا يصلي المغرب والعشاء ولو انتصف الليل إلا بجمع.

ذكروا عن جابر بن عبد الله أنه قال: إن رسول الله لما صلى الصبح وقف بجمع، ثم أفاض.

ذكروا أن إبراهيم النبي عليه السلام بات بجمع، حتى إذا كان من الغد صلّى صلاة المعجلة[1]، ثم وقف إلى صلاة المصبحة ثم أفاض. ذكروا عن جابر بن عبد الله أنه قال: إن رسول الله ﷺ لما طلع الفجر صلى الصبح، ثم وقف.

ذكروا عن عبد الله بن الزبير أنه قال: رأيت أبا بكر الصديق واقفاً على قزح[2] وهو يقول: يا أيها الناس اصبحوا.

ذكروا أن رسول الله ﷺ أفاض من جمع قبل طلوع الشمس.

ذكروا أن رسول الله ﷺ صلى الصبح ثم وقف عند المشعر الحرام فقال: قد وقفت هاهنا والمزدلفة كلها موقف[3]. ذكروا عن ابن عباس أنه كان يقول: ما بين الجبلين كله موقف.

= جمعا لاجتماع الناس بها.

(1) كذا في ق و د: صلاة المعجلة، وفي ق: «صلاة المعجمة» و «صلاة المصبحة» ولم أهتد لمعنى الكلمتين أولاً للتصحيف الذي بهما، وكأني بالكلمتين تعنيان صلاة سنة الفجر وفريضة الصبح.

(2) قزح اسم جبل بالمزدلفة وقف عليه الرسول ﷺ ووقف بعده الأئمة عليه.

(3) أخرجه الحاكم وصححه. وأخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب الصلاة بجمع (1935) وهذا لفظه: «عن علي قال: فلما أصبح ـ يعني النبي ﷺ ـ وقف على قزح فقال: هذا قزح، وهو الموقف وجمع كلها موقف..».

قوله: ﴿ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدٰيكُمْ وَإِنْ كُنْتُم مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ أي: في مناسككم وحجكم ودينكم كله.

قوله: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وهي الإفاضة من عرفات. رجع إلى الإفاضة من عرفات وهي قبل جمع.

قال بعض المفسرين: كانت قريش وكل ابن أخت لهم وحليف لا يقفون بعرفة ويقولون: نحن أهل الله، لا نخرج من حرمه: وكانوا يفيضون من المشعر. وكان الناس في الجاهلية يفيضون من عرفة قبل غروب الشمس، ومن جمع بعد طلوع الشمس، فخالف رسول الله ﷺ في الدفعتين جميعاً؛ فأفاض من عرفة بعد غروب الشمس، ومن جمع قبل طلوع الشمس، وكانت تلك سنة إبراهيم وإسماعيل.

قوله: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَّنٰسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً ﴾.

ذكر بعض المفسّرين قال: كان أهل الجاهلية إذا قضوا مناسكهم ذكروا آباءهم وفعل آبائهم؛ به يخطب خطيبهم إذا خطب، وبه يحدّث محدثهم إذا حدّث، فأمرهم الله إذا قضوا مناسكهم أن يذكروه كذكرهم آباءهم أو أشد ذكراً [يعني بل أشد ذكراً](1).

قوله: ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلَٰقٍ ﴾ وهم المشركون، ليس لهم هِمَّة إلا الدنيا. لا يسألون الله شيئاً إلا لها، ولا يدعونه أن يصرف عنهم سوءاً إلا لها، وذلك لأنهم لا يُقِرّون بالآخرة، ولا يؤمنون بها. وقد فسّرنا الخلاق قبل هذا الموضع(2).

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ فهؤلاء المؤمنون. والحسنة في الدنيا، في تفسير الحسن، طاعة الله، وفي

(1) زيادة من ز. ورقة 27. وانظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ج 2 ص 245-247.
(2) هو بمعنى النصيب والحظ، وانظر ما سلف ص: 133.

الآخرة الأجر، وهو الجنة. وبعضهم يقول: الحسنة في الدنيا كل ما كان من رخاء الدنيا، ومن ذلك الزوجة الصالحة. وهو الذي في أيدي العامة من التفسير(1).

قوله: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ أي ثواب ما عملوا، وهي الجنة. ﴿ وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾.

قوله: ﴿ وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾. قال ابن عباس: هي أيام التشريق. قال الحسن: يُذكر الله فيها، يُرمى فيها الجمار، وما مضت به السنة من التكبير في دبر الصلوات.

ذكروا عن علي أنه كان يكبّر دبر الصلاة من يوم عرفة من صلاة الصبح إلى أيام التشريق، يكبّر في العصر ثم يكفّ.

ذكروا عن ابن مسعود أنه كان تكبيره: الله أكبر الله أكبر. لا إله إلا الله، الله أكبر، ولله الحمد كثيراً. وذكروا عن علي مثل ذلك.

وذكروا عن الحسن أنه كان يكبر من صلاة الظهر من يوم النحر إلى صلاة الظهر من يوم النفر الأول، وربما قال إلى العصر. قال: وسمعت سعيداً يذكر أن الذي أخذ به الناس عن الحسن إلى صلاة الظهر. وكان تكبيره فيما حدثنا الثقة الله أكبر الله أكبر. يسكت بين كل تكبيرتين.

قوله: ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ ﴾ إلى اليوم الثالث ﴿ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَىٰ ﴾.

ذكر ابن عمر أن عمر بن الخطاب كان يقول: من أدركه الليل من اليوم الثاني ولم ينفر فلا ينفر حتى يرمي الجمار اليومَ الثالث. وذكروا عن الحسن أنه كان يقول: من أدركته صلاة العصر ولم ينفر فلا ينفر إلى اليوم الثالث.

---

(1) قال الزمخشري في تفسيره الكشاف، ج 1 ص 248: «وعن علي رضي الله عنه: الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة، وفي الآخرة الحوراء».

ذكروا أن رسول الله ﷺ كان يرمي يوم النحر الجمرة [بعد طلوع الشمس][1] ويرمي الجمار أيام التشريق بعد زوال الشمس. وكان يرمي بمثل حصى الخذف[2].

ذكروا عن ابن عمر أنه كان يكبر مع كل حصاة.

قوله: (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ). قال: يرجع مغفوراً له.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[3].

قوله: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ يعني البعث.

قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ وهو المنافق الذي يقر بالإيمان ولا يعمل بالفرائض. ﴿ وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ أي: من ترك الوفاء بما أقر لله به. ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾. أي كذاب. إذ لم يوف لله بما أقر به إذ لم يعمل بفرائضه[4]. وهو كقوله: (وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً) [مريم: 97] أي: ذوي خصومة ولَدَدٍ. وقال مجاهد: أَلَدُّ الخصام: ظالم.

وقال الحسن: قول المنافقين في هذا كقوله: (إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ) [التوبة: 107] و (إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً أُولَـٰئِكَ الذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ)

---

(1) زيادة يقتضيها المعنى ليكون للمقابلة بين الرميين وجه.

(2) الخذف: رمي الإنسان بالحصى أو النوى يأخذهما بإبهامه وسبابته.

(3) حديث صحيح أخرجه البخاري والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة. أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، وأخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك، باب فضل الحج والعمرة (2889).

(4) كذا ورد هذا التأويل في المخطوطات ق و ع و د، وهو للشيخ هود ولا شك. وقد جاء في ز ما يلي في تأويل الآية: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبَكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا)، وهو المنافق الذي يُقر بالإيمان في العلانية (وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِه) من الكفر والجحود بما أقر به في العلانية. (وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ) أي كاذب القول».

[النساء: 62-63] من ترك الوفاء بالعمل الذي أقروا به.

وقال بعضهم: (وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ) يقول: يشهد العباد على ما في قلبه. قال: فلولا أن الله بعث عليه دليلاً من عمله ما عرفه الناس، ولكن الله عرّفه للمؤمنين بعمله، عمل السوء. وقال في تأويل ألد الخصام أي: إنه شديد الخصومة في معصية الله جَدِلٌ بالباطل.

قوله: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ ﴾ [أي: فارقك][1] ﴿ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الفَسَادَ ﴾ ذكروا أن رجلاً من بني تميم سأل ابن عباس عن قوله: (وَيُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ) فقال: نسل كل دابة.

وتفسير الكلبي: إنها نزلت في الأخنَس بن شَرِيق الثقفي[2]. وإنما سمّيَ الأخنس لأنه خنس يوم بدر. وكان شديد الخصام. فأما إهلاكه الحرث والنسل فإنه قطع الرحم التي بينه وبين ثقيف؛ أتاهم ليلاً فأهلك مواشيهم، وأحرق حروثهم، وقطع الرحم. وكان سَيّء السريرة سيء العلانية[3].

وقال بعضهم: إذا تولى: إذا ولِّي عمل بالظلم والعدا فأمسك الله المطر، فأهلك الحرث والنسل. وهذا شبيه بقول ابن عباس: نسل كل دابة.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ ﴾ أي فكفاه جهنم. ﴿وَلَبِسَ المِهَادُ ﴾ وهو كقوله: ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) [الأعراف: 41] ومثل قوله: (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ). والمهاد والفراش واحد.

(1) زيادة من ز، ورقة 27.

(2) هو أُبَيّ بن عمرو بن وهب الثقفي، من بني علاج بن أبي سلمَة. وكان حليفاً لبني زهرة بن كلاب، وكان سيداً مطاعاً، قام في بني زهرة خطيباً يوم بدر، بعدما خرج مع قريش لما بلغهم خبر عير قريش، فخنس بهم ـ أي تأخر ورجع وغاب ـ فلم يشهد بدراً منهم أحد. انظر ابن هشام السيرة ج 1 ص 360، و ج 2 ص 619. وانظر ابن دريد، الاشتقاق، ص 304-305.

(3) في ق و ع و د: «سيء السريرة سيء العلانية»، وفي ز: «سيء السريرة حسن العلانية».

وذكر بعضهم قال: (إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ) يقول: إني لأزداد بهذا عند الله قربة.

قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ واللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ أي بالمؤمنين من عباده. قال: إن المؤمن دعا الكافر إلى طاعة الله فأبى، فشرى المؤمن نفسه بالجنة، أي باع نفسه بالجنة فاشتراها. قال: (ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ) بالجهاد في قتال المشركين. وهو مثل قوله: (إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ) [التوبة: 111].

وقال بعضهم: إن أصحاب النبي من المهاجرين والأنصار، لما رأوا المشركين يدعون مع الله إلـهاً آخر، شروا بأنفسهم غضب الله، وجاهدوا في سبيل الله حتى أظهر الله دينه.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ والسلم: الإسلام قال الحسن: هو مثل قوله: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ) [الحديد: 28]، ومثل قوله: (اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة: 119] أي المؤمنين الذين صدقوا في قولهم وفعلهم، أي أكملوا الدين ولا تنقصوه فإنكم لا تستوجبون ثوابه إلا بالإكمال والوفاء. وقال الحسن: هو كقوله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ) [الأحزاب: 1] ولا يجعلها من هذا الوجه.

وقال الكلبي: (ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً)، يعني شرائع الإسلام، كأنه يقول: استكملوا الإيمان.

قوله: ﴿ وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَـٰنِ ﴾ أي أمر الشيطان. وهو أن يأخذوا شرائع دينهم الأول. ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ أخبرهم أن الشيطان لهم عدو مبين، أي بيّن العداوة.

﴿ فَإِنْ زَلَلْتُم مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ البَيِّنَـٰتُ ﴾ يعني بالزلل الكفر قال بعض

المفسّرين: أنزلها الله وقد علم أنه سيزلّ زالّون.

وقال بعضهم في تأويل خطوات الشيطان قال: هي العداوة والمعاصي. وقال بعضهم (ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً) أي: في الإسلام جميعاً.

قوله: ﴿ فَٱعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ ﴾ أي: في نقمته ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أي: في أمره. وقال السدي: تفسير العزيز: هو المنيع في نقمته.

وقلة: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [يوم القيامة][1] ﴿ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ وَالمَلَـٰئِكَةُ ﴾ [أي: وتأتيهم الملائكة][2] ﴿ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ [يعني الموت][3] ﴿ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمورُ ﴾ يعني عواقبها.

قال بعض المفسّرين: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ) أي بأمره (فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ وَالمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ). أي: الموت.

ذكر بعضهم قال: إذا كان يوم القيامة مُدَّت الأرض مدَّ الأديم العكاظي، ثم يحشر الله فيها الخلائق من الجن والأنس. ثم أخذوا مصافهم من الأرض، ثم ينادي منادٍ: (اليَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ اليَوْمَ) [غافر: 17]، ثم أتت عنقاء[4] من النار تسمع وتبصر وتكلّم، حتى إذا أشرفت على رءوس الخلائق نادت بصوتها: ألا إني قد وكلت بثلاثة: بمن دعا مع الله إلـهاً آخر، ومن ادعى أن لله ولداً، ومن زعم أنه العزيز الكريم. ثم صوبت رأسها وسط الخلائق فالتقطتهم كما يلتقط الحمام حبّ السمسم، ثم غاصت بهم في جهنم فألقتهم في النار. ثم عادت، حتى إذا كانت بمكانها نادت: إني قد وكلت بثلاثة: بمن نسب الله، وبمن كذب على الله، وبمن آذى الله. فأما الذي نسب الله، فالذي زعم أنه اتخذ صاحبة وولداً، وهو الواحد الصمد الذي (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ)

(1) (2) (3) زيادات من ز ورقة 280.

(4) كذا في ق و ع: «عنقاء» وهي الداهية. وقيل: طائر ضخم، وفي د: «عُنُق من النار» أي: قطعة منه.

[الإخلاص: 3-4]. وأما الذي كذب على الله فالذي قال الله فيهم: (وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لِيُبَيِّنَ لَهُم الذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ) [النحل: 38] وأما الذي آذى الله فالذي يصنع الصور. فتلتقطهم كما يلتقط الطير الحب حتى تغوص بهم في النار.

ذكروا عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، والدابة، وخويصة أحدكم، يعني موته، وأمر العامة[1]، يعني النفخة التي يميت الله بها كل حي.

قوله: ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ مِنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ قال الحسن يعني ما نجاهم الله من آل فرعون، وفلق لهم البحر، وظلل عليهم الغمام وآتاهم بيّنات من الهدى، أي: بيّن لهم الهدى من الكفر. وقال بعضهم: أراهم الله عصا موسى ويده، وأقطعهم البحر، وأغرق عدوّهم، وظلّل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المنّ والسلوى.

قال: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ أي يكفرها، يقول: بدّلوا ذلك واتخذوا اليهودية والنصرانية. ﴿ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ يخبر الله أنه ستشتد نقمته على اليهود والنصارى الذين بدّلوا دين الله، وكل من يفعل ذلك.

قوله: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الذِينَ ءَامَنُوا ﴾ في طلبهم الآخرة؛ يقول بعضهم لبعض: انظروا إلى هؤلاء الذين تركوا الشهوات يطلبون بذلك، زعموا، نعيماً في الآخرة.

قال الله: ﴿ وَالذِينَ اتَّقَوْا ﴾ وهم المؤمنون ﴿ فَوْقَهُمْ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ ﴾ أي: خير

(1) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال (2947) عن أبي هريرة، ورواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب الآيات (4056) عن أنس بن مالك.

منهم يوم القيامة. وقال الحسن: أعطاهم الله الدولة عليهم فيسخرون منهم ويضحكون كما كان الكفار يضحكون منهم في الدنيا. وهو قوله: (إِنَّ الذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ)... إلى آخر الآية. قال: (فَالْيَوْمَ الذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) [المطففين: 29-34]. بلغنا أن هذا في أصحاب الأنبياء. وبعضهم يقول: أصحاب النبي.

ذكر بعضهم أن كعباً قال: إن بين الجنة وبين النار كوى؛ فإذا أراد الرجل من أهل الجنة أن ينظر إلى عدو له كان في الدنيا من أهل النار اطلع فرآه، وهو قوله: (إِنَّ الذِينَ أَجْرَمُوا) أي أشركوا (كَانُوا مِنَ الذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ)... إلى آخر الآيات. قال بعض المفسّرين: هي مثل قوله في الصّافّات: (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) أي صاحب (يَقُولُ) لصاحبه المؤمن في الدنيا: (إِنَّكَ لَمِنَ المُصَدِّقِينَ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً إِنَّا لَمَدِينُونَ قَالَ هَل أَنْتُم مُّطَّلِعُونَ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ) [الصافات: 51-55]. قال بعضهم: كان شريكه، وقال بعضهم: كان أخاه، ورثا مالاً. وتفسير أمرهما في سورة الكهف.

قوله: ﴿وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي لا ينقص ما عند الله كما ينقص ما في أيدي العباد.

قوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: على الإسلام. كانوا على شريعة واحدة من الحق كلهم.

ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون، يعني عشرة آباء، كلهم يعمل بطاعة الله على الهدى وعلى شريعة الحق. ثم اختلفوا بعد ذلك، فبعث الله نوحاً؛ وكان أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض.

وقال بعضهم: ما قسم الله للعبد من رزق فلا يستطيع أحد صرفه[1].

(1) أقحمت هذه الجملة في المخطوطات الثلاث: ق وع ود، في سياق تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ وكان الأولى أن تكون قبل ذلك لأنها تفسير لقوله تعالى: ﴿وَاللهُ =

وقال الكلبي: كانوا أمة واحدة في زمان نوح الذين ركبوا معه في السفينة وأبناؤهم فاختلفوا بعد.

قوله: ﴿فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَٰبَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَٰتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ أي: حسداً بينهم؛ فكان في الناس مسلمون فيما بين نوح إلى صالح. ثم اختلفوا، فولد إبراهيم في جاهلية؛ فكان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ويوسف وموسى وهم النبيون الذين بشروا وأنذروا. قال: (وَأَنْزَلَ مَعَهُم الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ) قال بعض المفسّرين: بلغنا أن أول كتاب أنزل فيه الحلال والحرام التوراة، كتاب موسى. قال: (وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ بَغياً بَيْنَهُمْ) أي: حسداً بينهم[1].

قوله: ﴿فَهَدَى اللهُ الذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ [أي بأمره][2]. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: نحن الآخرون ونحن السابقون؛ وذلك أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم. ثم هذا يومهم الذي عرض عليهم، يعني يوم الجمعة، فاختلفوا فيه، فهدانا الله له. فاليوم لنا، وغداً لليهود، وبعد غد للنصارى[3].

= يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ويبدو أن هذا سهو من ناسخ تبعه فيه الذين نقلوا عنه بعدُ.

(1) كذا في المخطوطات الثلاث وفي ز: «أي: حسداً منهم» وفيه بعد. وأولى منه بالصواب وأحسن تأويلاً ما أورده الطبري من أن معناه: الطغيان والاعتداء ومجاوزة الحد. انظر تفسير الطبري ج 4 ص 281.

(2) زيادة من ز، ورقة 28.

(3) حديث متفق على صحته. أخرجه البخاري في كتاب الجمعة في أبواب، منها: باب فرض الجمعة. وأخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، عن أبي هريرة. (رقم 855).

قوله: ﴿ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ أي: إلى الجنة، والطريق: الإيمان.

قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ أي سنن الذين مضوا من قبلكم. ﴿ مَسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ ﴾ البأساء: البؤس، وهو الحاجة، والضراء: المرض والجراح. وقال بعضهم: الضرّاء: الشدة والبلاء. ﴿ وَزُلْزِلُوا ﴾ أي أصابتهم الشدة ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ﴾. قال الله: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾.

ذكروا عن الحسن أنه قال: لما نزلت هذه الآية جعل أصحاب النبي عليه السلام يقولون: ما أصابنا هذا بعد. فلما كان يوم الأحزاب وأصابهم ما أصابهم من الجهد أنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً إِذْ جَاءُوكُم مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِن أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَت الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ باللهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُومِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً) [الأحزاب: 9-11]. وقال: (وَلَمَّا رَءَا المُومِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُم إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً). [الأحزاب: 22].

وقال بعضهم عن الحسن في قوله: (وَزُلْزِلُوا) أي: وحُرِّكوا بالخوف. (حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ وَالذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ). وذلك أن الله وعدهم النصر والظفر، فاستبطأوا ذلك لما وصل إليهم من الشدة. فأخبر الله النبي عليه السلام والمؤمنين بأن من مضى من قبلهم من الأنبياء والمؤمنين كان إذا بلغ البلاء بهم هذا عجلتُ لهم نصري. فإذا ابتليتم أنتم بذلك فأبشروا، فإن نصري قريب.

قوله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُم مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوٰلِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَـٰمَى والمَسَـٰكِينِ وَابنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾. نزلت هذه الآية قبل أن تنزل آية الزكاة، ولم يكن ذلك يومئذ شيئاً موقوتاً.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ألا أنبئكم بخمسة الدنانير أفضلها ديناراً وأحسنها[1] ديناراً؟ أفضل الخمسة دنانير الذي تنفقه على والدتك، وإن أفضل الأربعة دنانير الذي تنفقه على والدك، وأن أفضل الثلاثة دنانير الذي تنفقه على ولدك وزوجتك وعيالك. وإن أفضل الدينارين الباقيين الذي تنفقه على ذي قرابتك. وإن أخسها وأقلها أجراً الذي تنفقه في سبيل الله[2].

قوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ ﴾ أي فرض عليكم القتال ﴿ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

قال الحسن: إذا أتيت ما أمر الله من طاعته فهو خير لك، وإذا كرهت ما نهاك الله عن معصيته فهو خير لك. وإذا أصبت ما نهى الله عنه من معصيته فهو شرّ لك، وإذا كرهت ما أمر الله به من طاعته فهو شر لك. وكان أصل هذا في الجهاد. كان المؤمنون كرهوا الجهاد في سبيل الله وكان ذلك خيراً لهم عند الله.

قال الكلبي: وكان هذا حين كان الجهاد فريضة، فلم يقبض رسول الله ﷺ حتى أظهر الله الإسلام فصار الجهاد تطوّعاً. فإن جاء المسلمين عدو لا طاقة لهم بهم تحيزوا إلى البصرة. وإنما قالوا تحيزوا إلى البصرة، لأنه كان بالبصرة. فإن جاءهم عدو لا طاقة لهم به تحيزوا إلى الشام، فإن جاءهم عدوّ لا طاقة لهم به تحيّزوا إلى المدينة. فإن جاءهم عدو لا طاقة لهم به فليس ثَم تحيّز وصار الجهاد فريضة.

ذكروا أن رجلًا سأل بعض السلف أيام الكرك[3]، وكانوا قد دخلوا يومئذ في

(1) كذا في ق و ع و د: «وأحسنها» ولعل صوابها: «وأخسها».

(2) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده وأخرجه مسلم بألفاظ مختلفة. وهذا لفظ مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك (995) «عن مجاهد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدّقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك».

(3) الكُرْك بضم الكاف وإسكان الراء: جيل من الهند. انظر الجواليقي، المعرب ص 337.

جدة[1] فقال: إن لي والدة أفأخرج إلى قتال الكرك. قال: كنا نقول: إذا هجم عليكم العدو فقد وجب عليك القتال.

وقال الكلبي في قوله: (وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُم لَا تَعْلَمُونَ) أي: علم أنه سيكون منكم من يقاتل في سبيل الله فيستشهد.

قوله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ قال الحسن: إنما سألوا عن قتال فيه. وهذا تقديم وتأخير: يقول: يسألونك عن الشهر الحرام وعن المسجد الحرام عن قتال فيه. وذلك أن مشركي العرب سألوا رسول الله ﷺ عن الشهر الحرام عن قتال فيه، ليعلموا أهو على تحريمه ذلك أم لا؛ فقالوا: يا محمد، أنهيت عن قتالنا في الشهر الحرام؟ فقال: نعم، فأرادوا إن كان على تحريمه اغتزوه فقاتلوه. فقال الله: ﴿ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ وهذا منسوخ، كان قبل أن يؤمر بقتالهم عامة. ﴿ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ ﴾ أي كفر بالله ﴿ وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي: إخراج أهل المسجد الحرام، وهو الحرم كله[2]، يعني إخراج النبي والمؤمنين ـ أخرجهم المشركون ـ أكبر من قتالهم. فقال الله: (الشَّهْرُ الحَرَامُ بِالشَّهْرِ الحَرَامِ وَالحُرُمَاتُ قِصَاصٌ) [البقرة: 194]. ذكر الحسن قال: (فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ) فاسْتَحَلّوا منكم القتل (فَاعْتَدُوا عَلَيْهِم) أي: فاستحِلوا منهم، أي جاوزوا ما كنتم تحرِّمون منهم قبل ذلك.

قال بعض المفسّرين: ذكر لنا أن واقد بن عبد الله التميمي، وكان من أصحاب النبي ﷺ قتل عمرو بن الحضرمي، رجلاً من المشركين، في أول يوم من رجب. فعيّر

---

(1) في ق و ع و د: «دجلة» وهو تصحيف صوابه ما أثبته: «جدة»؛ فقد ذكر الطبري في أحداث سنة إحدى وخمسين ومائة أن الكرك أغاروا على جدة من البحر. ثم ذكر بعد ذلك في أحداث سنة ثلاث وخمسين ومائة أن المنصور بعد منصرفه من الحج نزل البصرة فجهز من هنالك جيشاً لقتال الكرك. انظر تاريخ الطبري ج 8 ص: 33، ج 8 ص: 42.

(2) وردت هذه الجملة: «وهو الحرم كله» في النسخ الثلاث، بعد الجملة: «أخرجهم المشركون» وهو خطأ، فوضعتها في مكانها لأنها شرح لما سبقها.

المشركون أصحاب النبي عليه السلام، فأنزل الله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ). يقول الصد عن سبيل الله والكفر بالله أشد من القتل في الشهر الحرام. وإخراج أهله، يعني محمداً ﷺ وأصحابه أكبر عند الله.

ثم عيَّر المشركين بأعمالهم، أعمال السوء، فقال: ﴿ والفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ ﴾.

قال مجاهد: أرسل رسول الله ﷺ رجلاً في سرية، فمرّ بابن الحضرمي وهو يحمل خمراً من الطائف إلى مكة، فرماه بسهم فقتله. وكان بين نبي الله وبين قريش عهد، فقتله آخِرَ ليلة من جمادى الثانية وأول ليلة من رجب؛ فقالت قريش: أفي الشهر الحرام ولنا عليكم عهد؟ فأنزل الله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْه، يعني النبي وأصحابه، فهذا كله أكبر من قتل ابن الحضرمي، والفتنة، أي: الكفر بالله وعبادة الأوثان، أكبر من هذا كله.

وقد كان المسلمون أخذوا بعض من كان مع ابن الحضرمي أخذا، وأفلت أحدهم، وهو نوفل[1] بن عبد الله، فسبقهم إلى مكة فأخبرهم بالذي صنع أصحاب محمد، فأمسوا فنظروا إلى هلال رجب، فلم يستطيعوا الطلب. ومضى أصحاب رسول الله ﷺ حتى قدموا المدينة بأسراهم وبالذي أصابوا. فلما أمسى أصحاب رسول الله من يوم أصابوا ابن الحضرمي نظروا إلى هلال رجب، فكانوا في شك: في جمادى أصابوه أو في رجب. وأقبل المشركون من أهل مكة على من كان بها من المسلمين يعيِّرونهم بالذي فعل إخوانهم من قتل ابن الحضرمي، وأخذهم الأموال والأسارى، وقالوا: عمدتم إلى شهر يأمن فيه الخائف، وتربط فيه الخيل، وتوضع فيه الأسنة، ويتفرغ فيه الناس إلى معايشهم، فسفكتم فيه الدماء، وأخذتم الأسارى،

(1) في المخطوطات الثلاث: «نفيل» والصحيح «نوفل» كما ورد في كتب التفسير وفي سيرة ابن هشام ج 2 ص 601-605.

وذهبتم بالأموال، وأنتم ـ زعمتم ـ أنكم على دين الله. فكتب المسلمون من أهل مكة إلى عبد الله بن جحش بالذي عيّرهم به المشركون، فكلموا رسول الله ﷺ فقالوا: قتلنا ابن الحضرمي، فلما أمسينا نظرنا إلى هلال رجب، فلا ندري أفي رجب قتلناه أم في جمادى الأخيرة. وقد عيّرنا المشركون بذلك، أفحلال ما أصبنا أم حرام؟ فنزلت: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فيهِ... إلى قوله: (وَالفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) أي: أكبر عند الله من قتل ابن الحضرمي. وقال: الفتنة الشرك. وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم عامة.

قال: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِن اسْتَطَـٰعُوا) ولن يستطيعوا. قال: ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ ﴾ أي بطلت، ﴿أَعْمَـٰلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ ﴾ أي: أهل النار ﴿ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾.

ذكروا عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: من بدل دينه فاقتلوه(1).

قوله: ﴿إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا والذِينَ هَاجَرُوا وَجَـٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ ﴾ أي يطمعون في رحمة الله، يعني الجنة ﴿ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ قال الحسن: هو على الإيجاب، يقول: يفعل ذلك بهم.

[قال بعض المفسّرين](2) ذكر في الآية الأولى قصة قتل ابن الحضرمي، وما قال المشركون، وما أنزل الله في ذلك، ثم أثنى الله على أصحاب النبي ﷺ أحسن الثناء فقال: إِنَّ الذِينَ آمَنُوا... إلى آخر الآية.

قوله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَفْعِهِمَا ﴾. والميسر: القمار كله.

(1) حديث صحيح أخرجه الجماعة إلا مسلماً؛ أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين.. باب حكم المرتد والمرتدة، عن ابن عباس.
(2) زيادة من ز ورقة 29، والقول لقتادة.

قوله: ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ كانوا إذا شربوا الخمر فسكروا عدا بعضهم على بعض. وكانوا يتقامرون حتى لا يبقى لأحدهم شيء. فكانوا يتوارثون العداوة.

قوله: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾: أي ما كانوا ينتفعون به من شربها وبيعها ومن القمار قبل أن يحرمها الله.

قال بعضهم: بلغنا أن رسول الله لما نزلت هذه الآية قال: إن الله يقرّب[1] في تحريم الخمر. ثم أنزل الله بعد ذلك في الخمر آية هي أشد منها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: 43] فكانوا يشربونها حتى إذا حضرت الصلاة أمسكوا. وكان السكر عليهم منها حراماً، وأحل لهم ما سوى ذلك. ثم أنزل الله تحريمها في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 90] فجاء تحريمها في هذه الآية، قليلها وكثيرها، ما أسكر منها وما لم يسكر.

ذكر بعضهم عن أنس بن مالك أنه سئل عن خليط البسر والتمر، فقال: أهرقناه[2] مع الخمر حين حرمت.

(1) كذا في ق و ع: «يقرّب»، وفي د: «يقارب»، وفي ز: «تَقَرَّب» ورواه الطبري بسند في تفسيره ج 4 ص 336 بلفظ: «إن ربكم يقدّم في تحريم الخمر».

(2) وردت هذه الجملة في ق و ع هكذا: «أهو قتات، والقتات أي مختلطة في التحريم مع الخمر حيث حرمت». وهذا لعمري تصحيف في غاية الفساد والمسخ، وتصرّف غريب من بعض النساخ. ويبدو لي أن الناسخ ـ عفا الله عنا وعنه ـ لما أشكلت عليه الكلمة، ذهب إلى معاجم اللغة يستشيرها، فوجد في بعض معاني (قتت) معنى الخلط فشرحها بعبارة من عنده، فحرّف ـ بزيادته هذه ـ المعنى تماماً وأفسده. وقد وردت العبارة صحيحة في د، كما أثبتها، وهي في غاية الوضوح لفظاً ومعنى. وقد لاحظت أن ناسخي ق و ع يضيفان أحياناً من عندهما مفردات وشروحاً لغويـة غير واردة في الأصل، فيقعان في الخطأ. وهذا نموذج من مسخ النساخ. حفظنا الله وأعاذنا منه، ووقانا شر الجهل والخطإ. ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن الخمر من هاتين الشجرتين العنبة والنخلة[1].

ذكروا أن عمر بن الخطاب قال: إن هذه الأنبذة تنبذ من خمسة أشياء: التمر والزبيب والبر والشعير والعسل. فما عتقتم فخمّرتم فهو خمر[2].

والعامة عندنا على أن ما عتق من الأنبذة كلها فازداد جودة في إنائه كلما ترك فيه فلا خير فيه. وكل نبيذ له حد ينتهي إليه ثم يفسد فلا بأس به إذا كان في سقاء.

قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ يعني الصدقة. ﴿قُلِ العَفْوَ﴾، كان هذا قبل أن تنزل آية الزكاة.

وكان الحسن يقول: ﴿قُلِ العَفْوَ﴾ قل: الفضل، أي ما فضل عن نفقتك ونفقة عيالك. ثم يقول: قال رسول الله ﷺ: خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى، ولا يلوم الله على الكفاف[3]. وكذلك ذكروا عن الحسن عن النبي عليه السلام.

وقال الكلبي في قوله: (قُلِ العَفْوَ): كان الرجل حين نزلت هذه الآية إن كان من أصحاب الذهب والفضة أمسك منه ما يكفيه سنةً، ويتصدق بسائره، فنسخ ذلك في آية الزكاة.

---

(1) حديث صحيح، أخرجه الجماعة إلا البخاري عن أبي هريرة. أخرجه مسلم في كتاب الأشربة. باب بيان أن جميع ما ينبذ، مما يتخذ من النخل والعنب، يسمى خمراً. (1985).

(2) انظر محمد رواس قلعه جي، موسوعة فقه عمر بن الخطاب: الأشربة، شرب النبيذ، ص 87-89.

(3) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، من رواية أبي هريرة. وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى (1034) من رواية حكيم بن حزام. وأخرجه أيضاً مسلم من رواية أبي أمامة (1035) بلفظ: «يا ابن آدم، إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى».

ذكروا عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان أحدكم فقيراً فليبدأ بنفسه، ثم ليبدأ مع نفسه بمن يعول، ثم يبدأ بقرابته، فإن فضل شيء فهاهنا وهاهنا وهاهنا، وما بين يديه، وعن يمينه وعن يساره، ومن خلفه[1].

قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ قال بعض المفسّرين: أي: لعلكم تتفكرون أن الدنيا دار بلاء وفناء، وأن الآخرة دار جزاء وبقاء.

قوله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اليَتَـٰمَىٰ قُل إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾. قال بعض المفسّرين: لما نزلت هذه الآية: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلَّا بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ) [الأنعام: 152]، و[الإسراء: 34] [اشتدّت عليهم][2] فكانوا لا يخالطونهم في المال ولا في المأكل، ثم أنزل الله هذه الآية فنسختها. قال: ﴿ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ ﴾ [فَرخص لهم][3]. قال الحسن: (إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ) أي توفير لأموالهم خير، والله يعلم المفسد الذي يأكل يتيمه ولا يكافيه من المصلح. قال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ أي لتركِكم في المنزلة الأولى لا تخالطونهم، فكان ذلك عليكم عنتاً شديداً. والعنت الضيق.

وقال بعض المفسّرين: (وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَعْنَتَكُمْ) أي: لجهدكم، فلم تقوموا بحق، ولم تودوا فريضة.

وقال مجاهد: (وَإِنْ تُخَالِطُوهُم فَإِخْوَانُكُمْ) في الدين. ويعني بالمخالطة مخالطة

---

(1) حديث صحيح أخرجه النسائي وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة. باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة (997) عن جابر، في قصة أبي مذكور الأنصاري الذي أعتق غلاماً له عن دُبُر؛ ولفظه: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا، يقول: فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك».

(2) و (3) زيادة من ز، ورقة: 30.

اليتيم في الراعي والإدام[1]. قال: وَلَوْ شَاءَ اللهُ لأَعْنَتَكُمْ فحرّم عليكم الراعي والإدام. قال: ﴿ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّى يُومِنَّ وَلأَمَةٌ مُومِنَةٌ ﴾ يتزوجها المسلم إذا لم يجد طولاً ﴿ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾. ثم نسخ منها المشركات من أهل الكتاب الحرائر في سورة المائدة، وأحل نساء أهل الكتاب فقال: (والْمُحْصَنَاتُ مِنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) [المائدة: 5] والمحصنات في هذه الآية: الحرائر؛ فلا يحل تزويج الإماء من أهل الكتاب، وتوطأ بملك اليمين، لأن الله يقول: (وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحصَناتِ المُومِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَت أَيْمَانُكُم مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُومِنَاتِ) [النساء: 25]. ولا توطأ الأمة من المشركات من غير أهل الكتاب حتى تسلم، ولا تنكح حرة منهن حتى تسلم. قال الحسن: إذا قالت لا إلـه إلا الله وطئها[2].

قوله: ﴿ وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُومِنُوا ﴾ فحرّم الله أن يتزوّج المسلمةَ أحدٌ من المشركين. وهو قوله: (لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ) [الممتحنة: 10].

قوله: ﴿ وَلَعَبْدٌ مُومِنٌ ﴾ تتزوجه المسلمة ﴿ خَيْرٌ مِن مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ قال بعض المفسّرين: ولو قال: أنا ابن فلان بن فلان ﴿ أُولَـٰئِكَ ﴾ يعني المشركين، ﴿ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُـو إِلَى الجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾ أي بأمره. ﴿ وَيُبَيِّنُ اللهُ ءَآيَـٰتِهِ ﴾ أي الحلال والحرام ﴿ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي لكي يتذكّروا.

قوله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ قال الحسن: إن الشيطان أدخل على أهل الجاهلية في حيض النساء ما أدخل على المجوس؛ فكانوا لا يجالسونهن في بيت، ولا يأكلون معهن ولا يشربون.

وقال بعضهم: كان أهل الجاهلية لا تساكنهم حائض ولا تؤاكلهم في إناء. قال الحسن: فلما جاء الإسلام سأل المسلمون رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله: (قُلْ

(1) كذا في المخطوطات ق، ع، و د: «الراعي والأدام، وفي تفسير الطبري ج 5 ص 353: «المراعي والأُدْم».

(2) كذا في ق و ع: «وطِئها». وفي د: «فطأها» بصيغة الأمر.

هُوَ أَذًى﴾؛ أي: قذر (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ) أي: في الدم (وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ). ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ فاغتسلن ﴿فَاتُوهُنَّ﴾.

ذكروا عن سعيد بن جبير قال: (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ)، أي: في الدم (وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ) فاغتسلن (فَأْتُوهُنَّ).

ذكروا عن أبي هريرة أنه قال: الحيضة تبدأ فتكون دماً خاثراً، ثم يرق الدم فيكون صديداً، ثم يكون صفرة، فإذا رأت المرأة القصة البيضاء فهو الطهر.

ذكروا عن عبد الله بن الزبير أنه قال: يا أيها الناس لا تغتروا بنسائكم، فإن المرأة لا تطهر حتى ترى القصة البيضاء.

ذكروا عن عائشة أنها قالت: يكره للنساء أن ينظرن إلى أنفسهن ليلاً، وقالت: بذلك تكون الصفرة والكدرة.

وذكروا عن عائشة أنها قالت: إذا أدخلت المرأة القطنة فخرجت متغيّرة فلا تصلي حتى تطهر.

ذكر بعضهم قال: إذا كانت التربة[1] واصلة بالطهر فلا تصلي حتى تذهب.

ذكروا عن عقبة بن عامر أنه كان يكره أن يطأ امرأته في اليوم الذي تطهر فيه.

ذكروا عن عائشة أنها سئلت: ما يحل للرجل من امرأته إذا كانت حائضاً. فقالت: كل شيء ما خلا الفرج. غير واحد من العلماء أنهم سألوا عائشة ما يحل للرجل من امرأته إذا كانت حائضاً. قالت: كل شيء غير شعار الدم.

قوله: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾. ذكروا عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: من حيث نهاكم الله، يعني قوله: (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ)، يقول: فلا تأتوهن في الفرج[2] وهو تفسير مجاهد.

---

(1) التربة أقل من الصفرة والكدرة وأخفى.

(2) انظر ما تضافرت به الروايات في تفسير الطبري ج 4 ص 388-390. وتأمل ما جاء في ز، =

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ أي من الذنوب. ذكر بعض أهل العلم أنه قال: التائب من الذنب كمن لا ذنب له؛ ثم تلا هذه الآية: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) قال: إذا أحبّ الله عبداً لم يضره ذنب.

قوله: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ أي: كيف شئتم.

ذكر جابر بن عبد الله قال: قالت اليهود: إن الرجل إذا أتى امرأته من خلفها جاء ولده أحول؛ فأنزل الله: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) أي: كيف شئتم: من بين يديها، وإن شئتم من خلفها، غير أن السبيل موضع الولد.

ذكروا عن الحسن أنه قال: قالت اليهود: يا أصحاب محمد، إنه لا يحل لكم أن تأتوا النساء إلا من وجه واحد، فأنزل الله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) أي كيف شئتم: من بين يديها، وإن شئتم من خلفها في فرجها[1].

ذكروا عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: الذي يأتي امرأته في دبرها هي اللوطية الصغرى[2].

ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تأتوا النساء في موضع حشوشهن[3].

= ورقة 30، وهو الصحيح: «قال ابن عباس: من حيث أمركم الله أن تجتنبوهن». وفي تفسير مجاهد، ص: 107 نقرأ ما يلي: «قال: أمروا أن يأتوهن إذا تطهّرن من حيث نهوا عنه في محيضهن».

(1) اقرأ بحثاً قيماً في معاني الحروف وتحقيقاً بديعاً لمعنى «أنى» في تفسير الطبري، ج 4، ص 413-416.

(2) أخرجه أبو داود الطيالسي، وأحمد والبيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ج 1 ص 264.

(3) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي بألفاظ متقاربة: أستاههن، أعجازهن عن ابن مسعود، وعن عمر بن الخطاب بلفظ أدبارهن. وزاد بعضهم في آخر الحديث: إن الله لا يستحيي من الحق.

ذكروا عن رجل من أصحاب النبي أنه سأله رجل عن الذي يأتي إمرأته في دبرها فقال: أفّ، أيريد أن يعمل عمل قوم لوط.

قوله: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ يعني الولد. ذكروا عن أبي ذر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهم الله الجنة بفضل رحمته إياهم[1].

ذكروا عن ابن عمر أنه قال: لولا أن أصيب ولداً فيموت قبلي فأوجر فيه أو يبقى بعدي فيدعو لي ما باليت ألا أصيب ولداً.

ذكروا عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: لأن أقدم سقطاً أحب إليّ من أن أخلف مائة فارس كلهم يجاهد في سبيل الله[2].

قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي بالجنة.

قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُم أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. قال الحسن: كان الرجل يقال له: لم لا تبر أباك أو أخاك أو قرابتك، أو تفعل كذا، لخير، فيقول: قد حلفت بالله لا أبره، ولا أصله، ولا أصلح الذي بيني وبينه، يعتل بالله، فأنزل الله: لا تعتلوا بالله فتجعلوه عرضة لأيمانكم، يعني الحلف.

وقال بعض المفسّرين: لا تعتلوا بالله؛ أن يقول أحدكم: أنه لا يصل رحماً، ولا يسعى في صلاح، ولا يتصدق من ماله.

ذكروا عن إبراهيم أنه قال: سمعت رجالاً من أهل العلم يقولون في هذه الآية: (وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرّوا وتَتَّقُوا وَتُصْلِحوا بَيْنَ النَّاسِ) أي لا يحلف

---

(1) أخرجه أحمد والنسائي عن أنس، وأخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة في كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم.

(2) أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة في كتاب الجنائز، باب ما جاء فيمن أصيب بسقط، ولفظه السقط أقدمه بين يدي أحب إلي من فارس أخلفه خلفي (رقم: 1607).

على معصية الله وقطيعة الرحم. فإن فعل فما أوجب الله من الكفارة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة، فإنك إن تعطها عن مسألة تُكَلْ إليها، وإن تعطها عن غير مسألة تُعَن عليها. وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فات الذي هو خير، وكفر عن يمينك(1).

ذكروا عن الحسن أنه قال: من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه إلا طلاقاً أو عتاقاً.

ذكروا عن الحسن أنه كان يقول في الرجل يقول: عليّ المشي إلى بيت الله إن كلمت أبي أو أمي أو كل معصية، أن يكفر عن يمينه.

قوله: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُم اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾. ذكروا عن عطاء أنه قال: دخلت أنا وعبيد [بن عمير](2) على عائشة فسألناها عن هذه الآية فقالت: هو قول الرجل: لا والله، وبلى والله.

ذكروا عن الحسن أنه قال: هو الشيء تحلف عليه وأنت ترى أنه كذلك فلا يكون كذلك.

ذكروا عن جعفر بن أبي وحشية(3) أنه قال: قلت لسعيد بن جبير: قول الله لا

(1) حديث متفق على صحته: أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب من سأل الإمارة وكل إليها. وأخرجه مسلم في كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها... عن الحسن عن عبد الرحمٰن بن سمرة. وهو عبد الرحمٰن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي العبشمي. أسلم يوم فتح مكة وصحب الرسول ﷺ وروى عنه. وفي زمن عثمان فتح سجستان. وفي تلك الغزوة لقيه الحسن بن أبي الحسن وروى عنه بالبصرة بعد ذلك حين استقر بها عبد الرحمٰن. وتوفي بالبصرة سنة إحدى وخمسين للهجرة.

(2) زيادة من ز ورقة 31؛ وهو عبيد بن عمير بن قتادة، أبو عاصم الليثي قاضي أهل مكة. روى عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب، وروى عنه مجاهد وعطاء وعمرو بن دينار. مات سنة أربع وسبعين للهجرة.

(3) هو أبو بشر جعفر بن إياس، وهو ابن أبي وحشية الواسطي. روى عن سعيد بن جبير =

يواخذكم الله باللغو في أيمانكم: أهو الرجل يحلف على الشيء وهو يرى أنه كذلك فلا يكون كذلك؟ فقال لا، ولكنه تحريمك في يمينك ما أحلّ الله لك، فذلك الذي لا يؤاخذك الله بتركه[1].

قوله: ﴿وَلَـٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ قال بعض المفسرين: ولكن يؤاخذكم بما تعمّدت قلوبكم، أي بما تعمّدت فيه المأثم، فهذا عليك فيه الكفارة. ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قوله: ﴿لِلَّذِينَ يُولُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ أي يحلفون من نسائهم ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَـٰقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

قال بعضهم: كانوا في الجاهلية وفي صدر من الإسلام يغضب أحدهم على امرأته فيحلف بالله لا يقربها كذا وكذا، فيدعها لا أيما ولا ذات بعل؛ فأراد الله أن يعصم[2] المؤمنين عن ذلك بحدّ يحدّه لهم، فحدّ لهم أربعة أشهر. والإيلاء الحلف.

ذكروا عن الحسن عن عبد الله بن مسعود أنه قال: إذا مضت أربعة أشهر ولم يف فهي تطليقة بائنة. قال: وهو قول علي وعثمان وزيد بن ثابت وابن عباس.

وقال ابن عباس: عزم الطلاق انقضاء الأربعة الأشهر.

ذكروا عن ابن عمر وأهل المدينة أنهم قالوا: إذا مضت الأربعة الأشهر وقف فقيل له: إما أن تفيء وإما أن تطلق.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: كل يمين منعت جماعاً فهي إيلاء؛ يعني

= ومجاهد. وكان ثقة من كبار العلماء. وهو معدود في التابعين. توفي سنة خمس وعشرين ومائة. انظر الذهبي، ميزان الاعتدال ج 1 ص 402.

(1) انظر أمثلة من لغو اليمين، ورأي العلاّمة الشيخ محمد بن يوسف أطفيّش المعروف بالقطب في كتابه تيسير التفسير، ج 1 ص 345-346، نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، سنة 1981.

(2) كذا في ق وع: يعصم، وفي د: يقصر، وفي ز ورقة ز، ورقة 31: «أن يفطم»، وهذه الأخيرة أصوب. ومنه فُطِم فلان عن عادته، إذا قُطِع عنها.

أن المولى إذا وطىء في الأربعة الأشهر كانت عليه الكفارة. فأما الذي يطأ بغير كفارة فليس بإيلاء. وذلك أنه إذا حلف أن لا يطأها في موضع كذا وكذا كان له أن يطأها في غير ذلك الموضع، وليس عليه كفارة، وأشباه ذلك مما لا تكون فيه الكفارة.

قوله: (فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). ذكروا عن الحسن عن ابن عباس أنه قال: الفيء الجماع. وذكر مثل ذلك عن سعيد بن جبير. وقال إبراهيم: إذا كان له عذر من حيض، أو غيره أشهد أنه قد فاء، فهو يجتزىء به. ذكروا عن الحسن مثل ذلك. وكان سعيد لا يرى الفيء إلا الوطء.

قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾. والقرء: الحيض في قول أهل العراق. وفي قول أهل المدينة القرء: هو الطهر.

ذكروا عن عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما قالا: هو أحق بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة. ذكروا عن الحسن عن أبي موسى الأشعري مثل ذلك. وذكروا عن علي وابن عباس مثل ذلك. وذكروا عن عمران بن حصين مثل ذلك، وهو قول الحسن وإبراهيم والعامة عندنا[1].

ذكروا عن زيد بن ثابت وعائشة أنهما قالا: إذا دخلت في الحيضة الثالثة فقد بانت منه. وذكروا عن ابن عمر ذلك، وهو قول أهل المدينة.

وتفسير قول أهل المدينة: إن القرء هو الطهر، أن الرجل إذا طلق امرأته، ثم

(1) هذه الزيادة: «والعامة عندنا» من الشيخ هود ولا شك. فإن القول بأن القرء هو الحيض هو ما ذهب إليه أيضاً الإباضية. وحجتهم في ذلك أحاديث؛ منها حديث رواه الربيع بن حبيب في مسنده في كتاب الطلاق (542) «أبو عبيدة عن جابر عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: الرجل أحق بامرأتـه ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة». قال الشيخ السالمي: «لم أجده في كتب قومنا، ولعله مما تفرّد به المصنف رضي الله عنه». فإذا ثبت هذا الحديث كان نصاً قاطعاً لكل خلاف. اقرأ تلخيصاً مهماً وبياناً شافياً في الموضوع أوردهما الشيخ نور الدين السالمي في شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب ج 3 ص 129-232، وانظر الجصاص، أحكام القرآن ج 2 ص 55-62.

حاضت، فإن ما بين طلاقه إلى حيضتها قرء. فإذا طهرت من حيضتها كان ما بين الحيضة الأولى إلى الحيضة الثانية قرءاً. فإذا طهرت من الثانية صار ما بين الثانية والثالثة قرءاً. فبانت حين رأت الدم. فالقرء الأول، على قولهم إنه طهر، ربما كان يوماً واحداً أو أكثر من ذلك، فيما بينها(1) وبين الحيضة، وليس بس(2).

وقول أهل العراق إنه إذا طلقها ثم حاضت كان الحيض هو القرءَ. فإذا طهرت لم تعد الطهر فيما بين الحيضتين قرءاً. فإذا دخلت في الحيضة الثانية فقد دخلت في القرء. فإذا طهرت منها لم تعد الطهر فيما بين الحيضة الثانية والثالثة قرءاً. فإذا دخلت في الدم من الحيضة الثالثة فقد دخلت في القرء الثالث. فإذا اغتسلت منه فقد مضت الأقراء الثلاثة وبانت منه. فالحِيَض ثلاث والقروء صحيحة. والطهران [الأخيران] من قول أهل المدينة صحيحان، والقرء الأول ينكسر. ويختلف القرء لأنه ربما طلقها قبل أن تحيض بيوم، ثم تحيض من الغد، فيكون ذلك اليوم في قولهم قرءاً، وربما كان يومين أو أكثر من ذلك إلى الحيضة الثانية(3). فالقرء الأول مختلف.

قال بعض المفسّرين: [جعل عدة المطلقة في هذه الآية ثلاث حيض ثم](4) نسخ منها ومن الثلاثة قروء أربع نسوة: التي طلقت قبل أن يدخل بها زوجها؛ قال الله تعالى في سورة الأحزاب: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ المُومِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِن عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً). [الأحزاب: 49]؛ فهذه ليست لها عدة، تتزوج من يومها إن شاءت. ونسخ منها العجوز التي قعدت من الحيض، والبكر التي لم تحض. قال في سورة النساء

(1) كذا في المخطوطات الثلاث: بينها، ولعل صوابه: بينه.
(2) لم أهتد لمعنى اللفظة أو لتصحيح ما فيها من تصحيف، وقد وردت هكذا في ق و ع و د: بس ولعلها: «بشيء».
(3) في المخطوطات. . . إلى الحيضة الثالثة، والصحيح ما أثبت.
(4) زيادة من ز ورقة 31.

القصرى[1] (وَاللائـي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِن نِسَائِكُمْ إن ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاَثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاتي لَمْ يَحِضْنَ). [الطلاق: 4] أيضاً ثلاثة أشهر. ونسخ منها المطلقة الحامل فقال: (وَأُولاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ). [الطلاق: 4].

قوله: ﴿ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُومِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾. قال مجاهد: لا تقول: إني حائض وليست بحائض، ولا تقول: إني لست بحائض وهي حائض. ولا تقول إني حامل وليست بحامل، ولا تقول: لست بحامل وهي حامل. قال: لتَبِينَ من زوجها قبل انقضاء العدة ويضاف الولد إلى الزوج الثاني، أو تستوجب الميراث إذا مات الرجل فتقول: لم تنقض عدتي وقد انقضت عدّتها.

قوله: ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ أي: في العدة، وفي التطليقة والتطليقتين ما لم يطلق ثلاثاً. ﴿ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَـٰحاً ﴾ أي: حسن صحبة.

قال: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الذِي عَلَيْهِن بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [يعني فضيلةً في الحق][2]. ﴿ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾. وقال في آية أخرى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) [النساء: 34].

قوله: ﴿ الطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ﴾ يقول: هو أحق بها في التطليقتين. ولا يجمع بين التطليقتين ولا ثلاثاً جميعاً.

قال بعض المفسّرين: (الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ): مرة بعد مرة، فجعل حد الطلاق ثلاثاً. فإذا طلقها الثالثة حرمت عليه. قال: وذلك أنه بلغنا أن أهل الجاهلية كانوا ليس لهم حد في الطلاق؛ كان يطلق أحدهم عشراً أو أقل من ذلك أو أكثر.

ذكر الحسن أن علياً كان يكره أن يطلق الرجل امرأته ثلاثاً جميعاً، ويلزمه ذلك،

(1) هي سورة الطلاق، لأن سورة النساء التي هي السورة الرابعة في ترتيب المصحف كانت تسمى سورة النساء الطولى.
(2) زيادة من ز، ورقة 32.

ويقول: إنه عصى ربه. ذكروا عن ابن عمر مثل ذلك، وليس فيه اختلاف[1].

قوله: ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾. قال مجاهد: هذا حين ملكها وجب ذلك لها. قال: وإن طلقها تطليقتين فهو أيضاً إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ما لم تنقض العدة. وبلغنا أن رجلاً قال: يا رسول الله. قول الله الطلاق مرتان فأين الثالثة قال هو قوله: (أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ)[2].

قوله: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدودَ اللهِ ﴾ أي: أمر الله في أنفسهما. وذلك أنه يخاف من المرأة في نفسها إذا كانت مبغضة لزوجها فتعصى الله فيه؛ ويخاف من الزوج إن لم يطلقها أن يتعدّى عليها.

قال مجاهد: تقول المرأة: لا أبر قسمه، ولا أطيع أمره، فيقبله الرجل خشية أن يسيء إليها وتفتدى.

قال: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ أي: فإن علمتم، يعني الولاة ﴿ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ ﴾ أي سنته وأمره في الطلاق. ﴿ فَلَا تَعتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الظَّـٰلِمُونَ ﴾ أي لأنفسهم.

ذكروا عن الحسن قال: يعني الخلع؛ إذا قالت لا أغتسل لك من جنابة.

قال بعضهم: إذا قالت لا أطيع لك أمراً، ولا أبرّ لك قسماً، ولا أغتسل لك من جنابة، فقد حلّ له أن يقبل منها.

ذكر عكرمة أن جميلة بنت [أبي بن][3] سلول أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا

(1) لعله أراد أنه لا اختلاف في أن الأصل في الطلاق أن يكون ثلاث مرات، مرّة بعد مرة، أما الطلاق الثلاث بلفظ واحد وإلزامه المطلّق ففيه اختلاف كثير قديماً وحديثاً. وهو اختلاف بدأ في عهد الصحابة رضوان الله عليهم. انظر محمد رواس قلعه جي: موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص 484-486.

(2) هذا حديث مرسل أورده ابن جرير الطبري وابن كثير عن أبي رزين، وهو تابعي كوفي ثقة. انظر تخريج هذا الحديث في تفسير الطبري ج 4 ص 545.

(3) زيادة للإيضاح فقط. وإلا فالتسمية وردت هكذا ونسبت إلى جدها في رواية سعيد بن أبي =

رسول الله، إن أبا قيس - تعني زوجها ثابت بن قيس - والله ما أعيب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام. فقال: أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم. قال: خذ منها ما أعطيتها، ولا تزيديه[1].

ذكروا عن عمر بن الخطاب أنه قال: إذا سألكم النساء الخلع فلا تكفروهن. تأويل ذلك أنه ليس يعني أن ذلك واجب عليه، إلا أن يشاء. ومعنى قوله: لا تكفروهن يعني أن تكفر زوجها كقول النبي عليه السلام: لأنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير[2] يعني الصاحب، وهو زوجها.

= عروبة عن قتادة، كما جاءت هنا في المخطوطات الثلاث: ق و ع و د. وقد ذكر البخاري في كتاب الطلاق، باب الخلع وكيف الطلاق فيه، أنها أخت عبد الله بن أبي بن سلول، وكذلك نسبها ابن جرير الطبري وابن عبد البر. وفي مسند الربيع بن حبيب أنها أم جميلة بنت عبد الله بن أبي (الحديث رقم 534) وذكر غيرهم أيضاً أنها بنت عبد الله بن أبي. انظر اختلاف الرواة في نسب امرأة ثابت بن قيس واسمها عند ابن حجر في فتح الباري ج 9 ص 398-399، وعند الشوكاني، نيل الأوطار ج 6 ص 262. والذي تبيّن بعد التحقيق أنها بنت عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، وأخت عبد الله بن عبد الله بن أبي الصحابي الجليل. كما أثبته الإمام الحافظ ابن حجر وأكده الشيخ محمود محمد شاكر في تفسير الطبري ج 4 ص 553.

(2) حديث متفق عليه رواه أصحاب السنن. وقال ابن عباس: هو أول خلع في الإسلام. جاء في المخطوطات الثلاث: «ولا ترديه»، وهو خطأ صوابه: «ولا تزيديه» لأن في بعض ألفاظ الحديث: «قالت نعم وأزيده»، وفي لفظ آخر: «أما الزيادة فلا».

وقد اعتمد بعض العلماء هذا الحديث فلم يجيزوا للزوج أن يأخذ من المختلعة، أكثر مما أعطاها في صداقها. ورأى آخرون أنه يجوز للزوج أن يأخذ أكثر مما أعطاها معتمدين على عموم الآية: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ). قال مالك: «يجوز الخلع بما تراضيا عليه كان أقل مما أعطاها أو أكثر» ومن الذين منعوا الزيادة الإباضية. انظر السالمي بشرح مسند الربيع بن حبيب ج 5 ص 94. وكأن المانعين للزيادة رأوا في الحديث الذي صحّ عندهم بهذه الزيادة تخصيصاً للآية الكريمة. وانظر اطفيش، شرح النيل ج 7 ص 288-289، وانظر ابن أبي ستة، حاشية الترتيب، ج 4 ص 193-197.

(1) رواه البخاري في كتاب النكاح. باب كفران العشير، وهو الزوج، من حديث طويل عن ابن عباس.

ذكر ابن عباس أنه قال: إن الخلع جائز عند السلطان وغيره.

ذكروا عن شريح أن امرأة رفعت إليه(1)، وكانت اختلعت من زوجها، فأجازه؛ فقال رجل عنده: لا يجوز الخلع إلا عند السلطان. فقال شريح: الإسلام إذاً أضيق من حدّ السيف. وكان الحسن لا يجيز الخلع إلا عند السلطان. والعامة على غير قول الحسن.

قوله: ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا ﴾ أي الثالثة ﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ ﴾. ذكر بعضهم أن تميمة بنت عبيد بن وهب(2) القرظية كانت تحت رفاعة القرظي فطلقها ثلاثاً. فخلف عليها عبد الرحمن بن الزبير، ثم طلقها. فأتت النبي عليه السلام فسألته: هل ترجع إلى زوجها. فقال: هل غشيك؟ فقالت: ما كان عنده بأغنى عنه من هدبة ثوبي، فقال رسول الله ﷺ: لا، حتى تذوقي عسيلة غيره. فقالت: يا رسول الله، قد غشيني، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فاحرمها إياه(3). فأتت أبا بكر بعده فلم يرخص لها. ثم أتت عمر فلم يرخص لها.

قوله: ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا ﴾ [أي إن أيقنا](4) ﴿ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ﴾. قال ابن عباس والحسن: يعني المختلعة. رجع إلى قصتهما. قال: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ). قال: هذه

(1) كذا في د: «رفعت»، وفي ق و ع: «وقفت إليه».

(2) كذا في المخطوطات الثلاث: تميمة بنت عبيد بن وهب، والصحيح أنها تميمة بنت وهب، وزوجها رفاعة بن سموءل القرظي؛ ولا تعرف هي إلا بحديث العسيلة، كما قال ابن عبد البر.

(3) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري، في كتاب الطلاق، باب إذا طلقها ثلاثاً ثم تزوجت بعد العدة زوجاً غيره فلم يمسها، عن عائشة. وكذلك رواه مسلم في كتاب النكاح، باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها. . (1433) عن عروة عن عائشة. وسينتهي الحديث عند قوله عليه السلام: لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك. وليس فيه بقية الحديث التي أوردها المؤلف هنا.

(4) زيادة من ز، ورقة 32.

الآية مثل قوله في الآية الأولى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾.

وتفسير قول الحسن: إن أخذه الفداء تطليقة بائنة؛ يعني بقوله: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ أي فإن خالعها؛ وهو قول العامة في الخلع.

وكان ابن عباس لا يرى الخلع طلاقاً، يراها تحرم عليه بدون طلاق؛ ويقول: قال الله: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ يقول: طلقها طلاقاً، ويذكر أن النبي عليه السلام قال لثابت بن قيس: شاطرها الصداق وطلقها[1]. والعامة على قول الحسن: إن الفداء طلاق[2] ويذكر عن النبي وعن عثمان بن عفان.

وبعضهم يفسّرها: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ يعني الزوج الآخر ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ على المرأة والزوج الأول الذي طلقها ثلاثاً أن يتراجعا إن أحبا. وفي تفسيرهم: فإن طلقها، أو مات عنها، فلا جناح عليهما أن يتراجعا.

قال: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

قوله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة إن كانت ممن تحيض في قول أهل

(1) لم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع هذا اللفظ: «شاطرها الصداق» في أي حديث من أحاديث الباب، ولم أهتد لمعنى من المعاني أوجهه إليه.

(2) ذهب كثير من العلماء إلى أن الفداء طلاق، وذهب آخرون إلى أن الفداء فسخ للنكاح وليس طلاقاً. وممن ذهب هذا المذهب الأخير ابن عباس وتلميذه جابر بن زيد وغيرهما، وهو معتمد بعض العلماء المتأخرين من الإباضية في المسألة. ومن أدلة القائلين بأنه فسخ أن سياق آيات الطلاق في سورة البقرة وألفاظها يوحيان به؛ فإن الفداء ذكر بين قوله تعالى: ﴿الطلاق مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ وبين قوله: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ﴾ أي إن طلقها الثالثة. والتسريح بإحسان - إن لم يكن إمساك - هو الطلقة الثالثة كما دل عليه الحديث الصحيح. ولو كان الفداء طلاقاً لكان التسريح طلاقاً رابعاً. فتأمل، وانظر: ضياء الدين عبد العزيز الثميني، كتاب النيل، تصحيح وتعليق بَكَلِّي، ج 2 ص: 423-424. وانظر نور الدين السّالمي، جوهر النظام، ج 2 ص 224-225.

العراق، وفي قول أهل المدينة إذا رأت الدم. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع. وإن كانت ممن لا تحيض فما لم تنقض الثلاثة أشهر، وإن كانت حاملاً فما لم تضع حملها.

وأما قوله: (أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) فإن العدة إذا انقضت قبل أن يراجعها زوجها فهو التسريح.

قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ كان الرجل يطلق امرأته ثم يدعها حتى إذا كان عند انقضاء عدتها راجعها ولا حاجة له فيها، ثم يطلقها؛ فإذا كان عند انقضاء عدتها راجعها. ثم يطلقها، يكون ذلك لتسعة أشهر ليطوّل عليها بذلك، فنهى الله عن ذلك.

ذكر أن رجلاً قال لامرأته: والله لأطلقنك، ثم لأحبسنك لتسع حيض، لا تقديرين أن تتزوجي. قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك تطليقة ثم أدعك، حتى إذا كان عند انقضاء عدتك راجعتك. ثم أطلقك، فإذا كان عند انقضاء عدتك راجعتك. ثم أطلقك أخرى ثم تعتدين ثلاث حيض؛ فأنزل الله هذه الآية: (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً)... إلى آخر الآية.

قوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُؤاً﴾ ذكر الحسن عن أبي الدرداء أنه قال: كان الرجل يطلق، فإذا سئل قال: كنت لاعباً، ويعتق، فإذا سئل قال: كنت لاعباً، ويتزوج، فإذا سئل قال: كنت لاعباً. فأنزل الله: (وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُؤاً) فقال رسول الله ﷺ: من طلق لاعباً، أو تزوج لاعباً، أو أعتق لاعباً فهو جائز عليه كله[1].

---

(1) روي هذا الحديث هنا مرفوعاً عن أبي الدرداء، ورواه ابن جرير الطبري مرسلاً. وذكر ابن كثير رفعه عن عبادة بن الصامت بلفظ مختلف. والمشهور في هذا الحديث ما رواه أبو هريرة عن النبي عليه السلام: ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة، ولعله والعتاق. (رواه ابن ماجه والترمذي وأبو داود).

ذكر بعضهم أن رجلاً طلق امرأته على عهد النبي عليه السلام فأنزل الله: (وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُواً).

ذكر الحسن عن أبي الدرداء قال: ثلاث لا يلعب فيهن أحد، واللاعب فيهن كالجادّ: العتاق والطلاق والنكاح.

قوله: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَـٰبِ وَالحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ الكتاب الفرقان، والحكمة السنة. ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أي فانقضت العدة ﴿ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ أي: فلا تحبسوهن ﴿ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالمَعْرُوفِ ﴾. ذكروا عن الحسن قال: قدم رجل المدينة فرغب فيه معقل بن يسار[1] فزوّجه أخته، فكان بينهما شيء، فطلقها واحدة. فلما انقضت العدة خطبها، فأرادت أن تتزوّجه، فغضب معقل فقال: زوجته ثم طلَّقها، والله لا ترجع إليه آخر ما عليه، فأنزل الله هذه الآية.

قوله: ﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُومِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُم أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ أي لقلب الرجل وقلب المرأة من الريبة ﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾. علم الله حاجته إليها وحاجتها إليه.

قوله: ﴿ وَالْوَٰلِدَٰتُ ﴾ [يعني المطلقات في تفسير مجاهد][2] يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ

---

(1) هو معقل بن يسار بن عبد الله المزني، صحابي شهد بيعة الرضوان، ثم سكن البصرة، وحفر بها نهراً نسب إليه فقيل في المثل: «إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل». وابتنى بها دارَين ذكرهما ابن مفرغ الحميري فقال:

سقى الله أرضاً لي وداراً تركتها إلى جنب دَارَيْ معقِل بن يسار

وتوفي معقل بن يسار بالبصرة في آخر خلافة معاوية، وقيل في خلافة ابنه يزيد. روى عنه أبو عثمان النهدي والحسن وجماعة من البصرة. انظر الثعالبي، ثمار القلوب، ص 30-31. وابن عبد البر، الاستيعاب، ج 3 ص 1432.

(2) زيادة من ز، ورقة 33.

حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾. ذكر بعض المفسرين قال: أنزل الله في أول هذه الآية: (حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) ثم أنزل اليسر والتخفيف فقال: (لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ).

ذكروا عن ابن عمر وابن عباس أنهما كانا لا يريان الرضاع بعد الحولين شيئاً.

قوله: ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ ﴾ يعني الأب ﴿ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ أي كلٌّ على قدر ميسرته. ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾. كقوله: (لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا مَا ءَاتَيٰهَا) [الطلاق: 7] أي ما أعطاها. وكقوله: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ) [الطلاق: 7].

قوله: ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ﴾ ذكر بعض المفسّرين قال: نهى الله الوالد عن الضرار: أن ينزعه من أمه إذا رضيت أن ترضعه بما كان مسترضعاً به غيرَها ويدفعه إلى غيرها. ونهيت الوالدة أن تضارّ بولدها فتدفعه إلى زوجها إضراراً، إذا أعطاها ما كان مسترضعاً به غيرَها.

قوله: ﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ [تفسير قتادة. قال: على وارث المولود إن كان المولود لا مال له (مِثْلُ ذَلِكَ) أي: مثل الذي كان على والده لو كان حيّاً من أجر الرضاع][1]. وقال الحسن: على الرجال دون النساء. والوارث: وارث الصبي إذا مات والد الصبي[2] وبقي وارثه، فعليه يكون وليس على الأم منه شيء، ولا على الأخوة من الأم، وذلك في النفقة والضرار[3]. [وقال ابن عباس: (وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ) هو في الضرار][4].

(1) في المخطوطات الثلاث: «إذا مات الصبي». وهو خطأ محض ولا معنى له: والصحيح ما أثبته: «إذا مات والد الصبي».

(2) وهو ما ذهب إليه الإباضية والحسن وقتادة وأبو حنيفة وآخرون. أما الإمام مالك فلا يلزم الوارثَ النفقةَ والسكنى، ويرجع بقوله تعالى: (وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ) إلى عدم الإضرار فقط. انظر أبو الحواري، تفسير خمسمائة آية ص 205، والجصاص، أحكام القرآن، ج 2 ص 108، وابن العربي، أحكام القرآن ج 1 ص 205، وانظر موسوعة فقه عمر بن الخطاب لمحمد رواس قلعه جي: (نفقة) ص 640.

(3) زيادة من ز، ورقة 33.

قوله: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً [يعني فِطاماً][1] عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ ﴾ قبل انقضاء الحولين، بعد أن يستطيع الطعام ولا تدخل عليه ضرورة فيه.

قال بعض المفسّرين: (عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ) إذا كان ذلك عن رضى منهما ومشورة. ﴿ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾.

قال: ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلاَدَكُمْ ﴾ أي لأولادكم ﴿ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُمْ بِالمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ يقول: إن تراضيا أن يسترضعاه (فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمُ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا ءَاتَيْتُمْ بِالمَعْرُوفِ) [تفسير مجاهد: حساب ما رضع الصبي إذا تراضيا أن يسترضعا له، إذا خافا الضيعة عليه][2].

قوله: ﴿ وَالذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكم وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾. وفي العشر ينفخ في الولد الروح. نسخت هذه الآية الآية التي بعدها في التأليف: (وَالذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ) [البقرة: 240] وهذه قبل هذه في التنزيل، ووضعت في هذا الموضع. قال الحسن: وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي عليه السلام فيقول: يا محمد، إن الله يأمرك أن تضع آية كذا بين ظهراني كذا وكذا من السورة كذا. وذكروا عن ابن عباس وعثمان بن عفان أن رسول الله ﷺ كان ينزل عليه الثلاث الآيات والأربع الآيات والخمس الآيات جميعاً، أو أقل من ذلك أو أكثر، فيقول: اجعلوا آية كذا وكذا في سورة كذا وكذا في موضع كذا وكذا، واجعلوا آية كذا وكذا في سورة كذا وكذا في موضع كذا وكذا.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: نسخ من هذه الآية الحاملُ المتوَفَّى عنها زوجُها فقال في سورة النساء القصرى: (وَأُوْلاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَّضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) [الطلاق: 4].

وذكروا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبي بن كعب عن عدّة الحامل

(1) و (2) زيادة من ز، ورقة 33.

المتوفّى عنها زوجها فقال: أجلها أن تضع حملها؛ فقال: أقاله رسول الله؟ قال: نعم. وقال ابن عباس وعلي: أجلها أبعد الأجلين. ويقول ابن عباس وعلي: بهذا نأخذ وعليه نعتمد. وإنما قول الله: (وَأُولَاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) في المطلقات دون المتوفى عنهن أزواجهن[1].

قوله: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أي انقضاء العدة ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: فلا إثم عليكم ﴿ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ يعني التزويج ﴿ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْأَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي: أسررتم وأضمرتم.

ذكر مجاهد عن ابن عباس قال: التعريض ما لم ينصب للخطبة. وقال عكرمة: التعريض أن يقول: إنك في نفسي، وما يقدَّر من أمر يكن. وقال الحسن: يقول: احبسي نفسك علي، فإني أفعل بك كذا وكذا، وأصدقك كذا وكذا.

قال: ﴿ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً ﴾. قال بعض المفسّرين: لا يأخذ ميثاقها في عدّتها أن لا تنكح غيره، نهى الله عن ذلك وعن الفاحشة والخضع من القول. وقال مجاهد: لا يقول: لا تفوتيني بنفسك فإني أنكحك[2]. وقال

(1) وهذا ما ذهب إليه جمهور الإباضية. وقد روى الربيع بن حبيب في مسنده ج: 2 ص 49 (رقم 540) اختلاف ابن عباس وأبي سلمة بن عبد الرحمن في عدة الحامل المتوفّى عنها زوجها وتحاكمهما إلى أم سلمة فقالت: ولدت سبيعة الأسلمية بعد وفاة زوجها بليال، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: قد حلّت. «قال الربيع: قال أبو عبيدة: وهذه رخصة من النبي ﷺ للأسلمية. وأما العمل فعلى ما قال ابن عباس وهو المأخوذ به عندنا، وهو قول الله عز وجل في كتابه». انظر نور الدين السالمي، شرح الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب ج 3 ص 120-125.

(2) كذا في ق و ع و د، وفي تفسير مجاهد 110: «لا تسبقيني بنفسك فإني ناكحك». وهو أفصح.

الحسن: (لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً) هو الزنا(1).

قوله: ﴿ إِلَّآ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ هو التعريض ما لم ينصب للخطبة.

قوله: ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ قال: حتى تنقضي العدة. ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ يقول: احذروا أن تخفوا في أنفسكم شيئاً من الزنا في تفسير الحسن: أو تزوّجوهن في العدّة، وفي جميع الأشياء بعد.

قوله: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُم إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ يعني ما لم تجامعوهن ﴿ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى المُوسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى المُقْتِرِ قَدْرُهُ ﴾ المُوسِعِ الذي وسع عليه في الرزق، والمقتر الذي قتر عليه في الرزق. قال: ﴿ مَتَاعاً بِالمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى المُحْسِنِينَ ﴾.

إذا طلقها قبل أن يدخل بها، ولم يفرض لها فليس لها صداق، ولها المتعة واجبة. والمتعة على قدر ما يجد؛ وليس فيه شيء مؤقت(2) يؤخذ به الرجل إلا ما أحب لنفسه من طلب الفضل في ذلك.

ذكروا عن الحسن أنه قال: كان منهم من يمتِّع بالخادم، ومنهم من يمتّع بالكسوة، ومنهم من يمتِّع بالطعام. وذكر بعضهم قال: أدنى ما يكون من المتعة درع وخمار وجلباب ومئزر، ومن لم يجد فعلى قدر ما يجد.

قوله: ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَنْ يَعْفُونَ ﴾ يعني النساء ﴿ أَوْ يَعْفُوَ الذي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ هو الزوج. ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾. يقول: ذلك من التقوى. وقوله: (إِلَّآ أَنْ يَعْفُونَ) يعني

(1) وهو قول نسب أيضاً إلى جابر بن زيد كما ذكره الطبري في تفسيره ج 5 ص 105، والقرطبي في تفسيره ج 3 ص 190-191. وابن الجوزي في زاد المسير ج 1 ص 278، وإلى قتادة والنخعي والضحاك، وهو القول الذي اختاره الطبري في تفسيره ج 5 ص 110-113.

(2) أي: محدّد.

إلا أن يتركن (أَوْ يَعْفُوَ) أي: أو يترك (الذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) يقول: إلا أن تعفو المرأة عن نصف الصداق فلا تأخذ منه شيئاً، أو يعفو الرجل عن نصف الصداق فيسلّم الصداق كله للمرأة.

قال: ﴿ وَلَا تَنْسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ أي في هذا حض[1] كل واحد منهما على صاحبه. وإن تشاحّا فلها نصف الصداق.

ذكروا عن جبير بن مطعم[2] أنه تزوّج امرأة قبل أن يدخل بها، فسلّم لها الصداق كله وقال: أنا الذي بيده عقدة النكاح.

وقال الحسن: الذي بيده عقدة النكاح هو الولي. ﴿ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ يعني الصلوات الخمس على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ﴿ والصَّلَـوٰةِ الوُسْطى ﴾. يعني صلاة العصر في قول الحسن. قال: قال رسول الله ﷺ: الصلاة الوسطى صلاة العصر[3].

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: هي صلاة الصبح. ويقول ابن عباس بهذا نأخذ وعليه نعتمد[4].

(1) في ق و ع و د: «حظ» والصحيح ما أثبته: «حض» أي حث لكل من المرأة والزوج على صلة صاحبه بترك نصف الصداق.

(2) هو أبو محمد، وقيل أبو عدي جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي. كان من حلماء قريش ومن ساداتهم. كان من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة. وكان يقول: أخذت النسب من أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، أسلم يوم الفتح وقيل يوم خيبر وحسن إسلامه، ومات بالمدينة سنة سبع وخمسين في خلافة معاوية.

(3) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر (628) عن عائشة وغيرها. ورواه أحمد والترمذي عن سمرة. وإلى هذا القول ذهب جمع من الصحابة منهم علي وأبو أيوب وأبو هريرة. جاء في مخطوطة ز ورقة 34 ما يلي: «يحيى عن عثمان عن أبي إسحاق الهمداني عن الحارث عن علي قال: سئل رسول الله ﷺ عن الصلاة الوسطى فقال: هي صلاة العصر التي فرّط فيها نبي الله سليمان ﷺ».

(4) هذه الجملة الأخيرة للشيخ هود بن محكم الهواري ولا شك. فإن الراجح عند الأصحاب =

قوله: ﴿ وَقُومُوا لِلهِ قَانِتِينَ ﴾ أي مطيعين، لأن [أهل][1] كل دين، غير دين الإسلام، يقومون لله عاصين. ذكروا عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: (وَقُومُوا لِلهِ قَانِتِينَ) أي مطيعين.

قوله: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً ﴾. قال بعضهم: هو عند الضراب بالسيوف، راكباً كنت أو ساعياً، أو ماشياً؛ فإنك تومىء برأسك ركعتين إن استطعت، وإلا فركعة حيث كان وجهك. وإذا كان الأمر أشد من ذلك فكبّر أربع تكبيرات. عن الحسن أنه قال: إذا كنت تطلب عدواً أو يطلبك عدو فإنك تومىء بركعة حيث كان وجهك.

قال: ﴿ فَإِذَا ءَامَنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ ﴾ أي فصلّوا الصلوات الخمس ﴿ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾.

قال: ﴿ وَالذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ﴾ أي أن يتزيّنّ ويتشوّفن ويلتمسن الأزواج. ﴿ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

قال بعضهم: كانت المرأة إذا توفى زوجها أنفق عليها من ماله حولاً ما لم تخرج، فإن خرجت فلا نفقة لها؛ فنسخ الحول في قوله: (وَالذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً) ونسخ النفقة في الحول في هذه الآية: (وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ). [النساء: 12].

ذكروا عن زينب[2] ابنة أم سلمة أن أم حبيبة زوج النّبي ﷺ قالت إن امرأة

= وعند إمامنا جابر بن زيد أن الصلاة الوسطى هي صلاة الصبح، وهو قول روي أيضاً عن عمر ومعاذ وجابر بن عبد الله وغيرهم. انظر تفسير الطبري ج 5 ص 168-227، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ج 1 ص 282-284.

(1) زيادة لا بد منها.

(2) هي زينب بنت أبي سلمة، ربيبة رسول الله ﷺ. ولدتها أمها في أرض الحبشة وكان اسمها =

قالت: يا نبي الله، إن ابنتي توفى عنها زوجها، وقد خشيت على بصرها أفأكحلها؟ قال: إن كانت إحداكن لترمي بالبعرة على رأس الحول، وإنما هي أربعة أشهر وعشر[1].

قال بعضهم: كانت إحداهن إذا تمّ الحول ركبت حماراً، وأخذت معها بعرة، ثم ترمي بالبعرة خلفها وقد حلّت.

ذكروا عن زينب بنت أبي سلمة أنها دخلت على أم حبيبة حين توفي أبوها أبو سفيان. فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره، فمسّت بعارضيها منه، ثم قالت: والله مالي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله يقول: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدّ على ميت فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشراً.

ودخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها، فدعت بطيب فمست منه ثم قالت: والله ما أبالي بالطيب ولا لي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدّ على ميت فوق ثلاث ليال، إلا على زوجها أربعة أشهر وعشراً[2].

قالت زينب بنت أبي سلمة: وسمعت أمي أم سلمة تقول: إن إمرأة جاءت إلى

= برة، فسمّاها رسول الله ﷺ زينب. وقد حفظت عن النبي عليه السلام، فكانت من أفقه النساء في زمانها. تزوجت عبد الله بن زمعة بن الأسود الأسدي فولدت له.

(1) هذا الحديث ترويه زينب بنت أبي سلمة أيضاً عن أمها أم سلمة، وروت ما بعده عن أم حبيبة زوج النبي عليه السلام. والأحاديث الثلاثة متّفق عليها، وأخرجها أصحاب السنن. انظر مثلاً صحيح البخاري كتاب الطلاق، باب تحدّ المتوفى عنها أربعة أشهر وعشراً، وباب الكحل للحادّة. وانظر صحيح مسلم كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة. (1488).

(2) هذه الأحاديث الثلاثة تكاد تتفق ألفاظها وظروفها إلا ما زادت زينب بنت جحش من بيان في الحديث الذي رواه مسلم (1487) حين ذكرت أنها سمعت «رسول الله ﷺ يقول على المنبر». وفي الباب أن أم عطية، وهي الأنصارية التي كانت تغزو مع رسول الله ﷺ، قالت: «نهينا أن نحدّ أكثر من ثلاث إلا بزوج».

النبي ﷺ فقالت: إن ابنتي توفى عنها زوجها، وقد اشتكت عينيها أفأكحلها بالإثمد؟ فقال رسول الله ﷺ: لا. فقالت ذلك ثلاث مرات، كل ذلك والرسول ﷺ يقول: لا، إنما هي أربعة أشهر وعشر، وقد كانت إحداكن ترمي بالبعرة على رأس الحول[1].

وأما قوله: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ) فبتزويج: أن يتزيَّنَّ ويتشوَّفن ويلتمسن الأزواج[2].

قوله: ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. قال: عزيز في نقمته، حكيم في أمره.

قوله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾. ذكروا عن الحسن أنه قال: لكل مطلقة متاع. وليس بالواجب الذي يؤخذ به الرجل، إلا التي طلقت قبل أن يدخل بها ولم يفرض لها.

قال محمد بن سيرين: شهدت شريحاً فرّق بين رجل وامرأته فقال: متّعها، قال: لا أجد. قال: ما قلّ أو أكثر. قال لا أجد. قال: أفٍ، قم، لا تريد أن تكون من المحسنين، لا تريد أن تكون من المتّقين.

قال: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُم ءَايَـٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. أي لكي تعقلوا.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي لا يؤمنون.

ذكر بعض المفسّرين قال: هم قوم فرّوا من الطاعون فمقتهم الله على فرارهم من الموت، فقال لهم الله: موتوا عقوبة، ثم بعثهم ليستوفوا بقيّة أرزاقهم وآجالهم.

---

(1) وقد سئلت زينب عن الرمي بالبعرة فقالت: كان نساء أهل الجاهلية إذا مات زوج إحداهن لبست أطمار ثيابها وجلست في أخس بيوتها، فإذا حال عليها الحول أخذت بعرة فدحرجتها على ظهر حمار وقالت: قد حللت.

(2) هذه هي نفس الألفاظ التي وردت في كتاب التصاريف ليحيى بن سلام ص 204، في الوجه الثاني من وجوه تفسير المعروف. وهذا ما يؤكد أن أصل هذا التفسير لابن سلام.

قال الكلبي: كانوا ثمانية آلاف فأماتهم الله، فمكثوا ثمانية أيام. وقال بعضهم: فخرج عشائرهم ليدفنوهم، فكثروا عليهم، وكانوا جيفاً قد أنتنوا، فحَظَروا عليهم الحظائر.

قوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي يعلم ما تنوون وما تفعلون.

قوله: ﴿مَنْ ذَا الذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ أي حلالاً. وقال بعضهم: محتسباً. ﴿فَيُضَـٰعِفُهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾. قال الحسن: هذا في التطوع. لما نزلت هذه الآية قالت اليهود: هذا ربكم يستقرضكم، وإنما يستقرض الفقير، فهو فقير ونحن أغنياء. فأنزل الله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: 181]. وكان المشركون يخلطون أموالهم بالحرام، حتى جاء الإسلام، فنزلت هذه الآية، وأمروا أن يتصدقوا من الحلال.

ذكروا عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يقبل الله صلاة بغير طُهور، ولا صدقة من غُلول[1].

قوله: ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ أي يقبض عمن يشاء ويبسط الرزق لمن يشاء. وهو كقوله: ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [العنكبوت: 62] أي: وينظر للمؤمن فيكف عنه. قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يعني البعث.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى المَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَـٰتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾.

قال الكلبي: إن بني إسرائيل مكثوا زماناً من الدهر ليس عليهم ملك. فأحبّوا أن يكون عليهم ملك يقاتل عدوّهم. فمشوا إلى نبي لهم من بني هارون يقال له اشمويل.

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة (224) عن ابن عمر. وأخرجه البغوي في شرح السنة من رواية أسامة بن عمير في كتاب الطهارة، باب ما يوجب الوضوء (157).

وقال بعضهم: سمعت من يسمّيه بالعربية إسماعيل؛ فقالوا له: ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله. ﴿ قَالَ ﴾ لهم نبيّهم ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَٰرِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾. وكان عدوهم من قوم جالوت، وكانوا يسكنون بساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين.

وقال بعضهم: كان جالوت من الجبابرة[1]. قال الكلبي: فلقي بنو إسرائيل منهم بلاء، حتى غلبوهم على أرضهم، وسبوا كثيراً من ذراريهم.

قوله: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمِ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ ﴾. قال: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتُ مَلِكاً ﴾ وكان طالوت من سبط قد عملوا ذنباً عظيماً، فنزع منهم الملك في ذلك الزمان، فأنكروه. ﴿ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴾.

قال بعضهم: كان في بني إسرائيل سبطان: سبط نبوة وسبط مملكة؛ كانت النبوة في سبط بني لاوى، وكان الملك في سبط يهوذا. وكان طالوت في سبط بن يامين أخي يوسف[2]. فلما رأوا أنه ليس من سبط بني لاوى ولا من سبط يهوذا قالوا: (أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا) أي كيف يكون له الملك علينا (وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ)، وليس من سبط النبوة ولا من سبط المملكة.

قال الكلبي: (أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا) وهو من سبط الاثم، للذنب الذي كانوا أصابوه.

---

(1) في ق و ع: «الخورة»، وفي د: «الحـ رة» (كذا) ويبدو أن في الكلمة تصحيفاً صوابه ما أثبته «الجبابرة» لأن جالوت كان جباراً من العمالقة.

(2) لاوي ويهوذا ويوسف وبنيامين من أبناء يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام. وأم لاوى ويهوذا هي ليا ابنة لبان بن بتويل الكبرى. أما أم يوسف وبنيامين فهي راحيل ابنة لبان الصغرى. خلف عليها يعقوب بعد وفاة أختها ليا. انظر الطبري تاريخ الرسل والملوك ج 1 ص 317.

قال: ﴿ وَلَمْ يُوتَ سَعَةً مِنَ المَالِ قَال إِنَّ اللهَ اصْطَفَـٰهُ عَلَيْكُمْ ﴾ أي اختاره عليكم ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالجِسْمِ وَاللهُ يُوتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾. وكان طالوت أعلمهم يومئذ وأطولهم وأعظمهم، وكان مغموراً في قومه.

ذكروا عن الحسن أنه قرأ هذه الآية فقال: فإذا الجسم نعمة من الله ذكرها.

فقالوا لنبيهم: لا نصدّق أن الله بعثه علينا، ولكنك أنت بعثته مضادّة لنا إذ سألناك ملكاً: فأتنا بآية نعلم أن الله اصطفاه علينا.

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيئُهُمُ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَاتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ المَلَـٰئِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنتُم مُّومِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ﴾. وسار بهم أخذ بهم مفازة من الأرض فعطشوا ﴿ قَالَ ﴾ لهم نبيهم ﴿ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ ﴾ أي مختبركم ﴿ بِنَهرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ قال الله: ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ ﴾. جعلوا يشربون منه ولا يروون. أما القليل فكفتهم الغرفة. ورجع الذين عصوا وشربوا. فقطع طالوت والذين معه، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بعدة أهل بَدْرٍ. وَبَدَرَهم جالوت وجنوده.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لاَ طَاقَةَ لَنَا اليَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُـو اللهِ ﴾ أي: صالحوهم ﴿ كَم مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّـٰبِرِينَ ﴾.

قال بعضهم في قوله: (أَن يَّاتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ) يعني رحمة (وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَارُونَ). قال بعضهم: كان فيه عصا موسى، ورُضاض الألواح؛ وكان موسى تركه عند فتاه يوشع بن نون، وهو في البريّة، فأقبلت تحمله الملائكة (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَكُمُ إِنْ كُنْتُمْ مُّومِنِينَ).

وقال بعضهم: كان التابوت في أرض جالوت، قد غلبوا عليه زماناً من الدهر، فقالوا لنبيّهم: إن أتيتنا به فأنت صادق، وطالوت ملك كما زعمت، فدعا النبي ربَّه،

فأتاه بالتابوت حتى وضع في أرض بني إسرائيل، فصدّقوه وعلموا أن الله هو الذي بعث طالوت ملكاً عليهم[1].

وقال بعضهم: كان التابوت إذا قابلت بنو إسرائيل العمالقة مشى التابوت بين السماء والأرض، والصفوف والرايات خلفه، فكانوا ظاهرين عليهم، حتى ظفرت العمالقة على التابوت فأخذوه فدفنوه في ملقى كناسة لهم، وذلّت بنو إسرائيل. وألقى الله على رجال العمالقة وعلى نسائهم الناسور[2] فقال بعضهم: ما نرى هذا الذي أصابكم إلا بما صنعتم بالتابوت، فهل لكم أن تردوه على بني إسرائيل؟ فقالوا: لا نفعل؛ لكنا نحمله على بقرة ونحبس عجلها، ثم نُوَجِّهها إلى صفوف بني إسرائيل، فإن أراد الله أن يرجع التابوت إلى بني إسرائيل رجعت البقرة إليهم وإلا رجعت إلى عجلها. ففعلوا، فنزل ملكان من السماء فأخذ أحدهما برأس البقرة وساقها الآخر، حتى دخلت صفوف بني إسرائيل؛ فذلك قوله: (تَحْمِلُهُ المَلاَئِكَةُ: كقول الرجل: وجاء فلان يحمل. وليس يحمله هو، وإنما تحمله الدواب.

وقال بعضهم في قوله تعالى: (إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ) هو نهر بين الأردن وفلسطين وقال بعضهم هو نهر أبي فطرس[3].

وقال الحسن في قوله: (هَلْ عَسِيتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا: عسيتم أي ظننتم[4]. إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا. قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ

(1) يلاحظ اضطراب في قصة بني إسرائيل مع نبيهم ومع طالوت وجالوت. وبها تقديم وتأخير وتكرار في تفسير الآيات وذكر أقوال المفسرين. ويرجع ذلك ـ فيما يبدو ـ إلى الاختصار وحذف أسماء الرواة. وقد حاولت أن أرد كل معنى إلى ما يناسبه من الآيات مع الاحتفاظ بما جاء كله في المخطوطات الثلاث.

(2) في ق و ع: «الناسم»، وفي د: «الناسور» وهو الصحيح. وفي ق و ع شرح لهذه الكلمة جاء فيه: «إسهال يصيب الرجل فينطلق بطنه». ولكن ابن منظور لا يذكر هذا المعنى ويقول: إنه العـرق الغَبِر. والغبر هو الجرح الذي يندمل على فساد، وينتقض ولا يكاد يبرأ.

(3) في ق و ع و د: «ابن فطرس» وهو خطأ صوابه «أبي فطرس». ونهر أبي فُطرُس، يقع قرب الرملة من أرض فلسطين، انظر معجم البلدان لياقوت ج 5 ص 315-316.

(4) كذا في ق و ع دون د: «عسيتم، أي: ظننتم» ولست مطمئناً لهذا التأويل، ولم أجده فيما =

وَقَد أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا) قال الله: وَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِم القِتَالُ تَوَلَّوا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ قال: لم يقبلوا ذلك وكفروا إلا قليلاً منهم.

وإنما سألوا من الملك الذي بعثه الله فقال لهم: إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً. قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْه إلى آخر الآية. قالوا ما آية ملكه التي يعرف بها أنه الملك. قال: إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ. والسكينة هي الوقار في تفسير الحسن. والتابوت من خشب. قال بعضهم: بلغنا أن طوله كان ذراعين وشبراً في ذراعين وشبر. قال كان موسى يضع فيه التوراة ومتاعه ومتاع هارون، وهم يعرفونه. وكان الله رفعه حين قبض موسى بسخطه على اليهود، وبما أحدث القوم بعده. فقال آية ملكه أن يأتيكم التابوت من السماء، وأنتم تنظرون إليه، فتحمله الملائكة عياناً من غير أن يكونوا رأوا الملائكة.

وقال الحسن وغيره في قوله: (فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمن لَّمْ يَطعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي): كان أحدهم يغترف الغرفة بيده فتجزيه، يعنيان المؤمنين الذين استثنى في قوله: (فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ) وقال بعضهم: أما الكفار فجعلوا يشربون، ولا يروون. وأما المؤمنون فجعل الرجل منهم يغترف غرفة فترويه وتجزيه.

قال بعض المفسّرين: وهي تقرأ على وجهين: بفتح العين ورفعها: غَرفة وغُرفة. فمن قرأها غَرفة فهو يعني الغرفة التي اغترف [مرة واحدة][1] كما تقول: إلا من فعل الفَعلة. ومن قرأها غُرفة، فهو يعني الغُرفة بعينها [ملء اليد][2]. وبعضهم يقرأها بمقرإ ثالث: إلا من اغترف غِرفة، يقول: إلا من فعل فِعلة، اغترف اغترافاً.

= بين يدي من كتب التفسير واللغة. ولم أر له وجهاً، اللهم إلا أن يكون بمعنى ما يُظَن بهم، لا بما يَظنون. قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 77: «هل عسيتم: هل تعدون أن تفعلوا ذلك». وقال الزمخشري في الكشاف 291:1: «هل قاربتم ألا تقاتلوا»، أراد أن يقول: «هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون. . . أدخل هل مستفهماً عما هو متوقّع عنده ومظنون». وانظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير ج 2 ص 485.

(1) و (2) زيادة من ز، ورقة 36.

(قَالَ الذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) فقيل للحسن: أليس القوم جميعاً كانوا مؤمنين، الذين جاوزوا؟ قال: بلى! ولكن تفاضلوا بما سخت أنفسهم من الجهاد في سبيله.

وقال بعضهم: ذكر لنا أن نبي الله قال لأصحابه يوم بدر: أنتم اليوم بعدة أصحاب طالوت يوم لقى. وكان أصحاب رسول الله ﷺ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً[1].

قوله: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً ﴾ أي أنزل علينا صبراً ﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَـٰفِرِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَءَاتَيْهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ والحكمة هاهنا النبوّة. ﴿ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ من الوحي الذي كان يأتيه من الله.

قوله: ﴿ وَلَوْلاَ دِفَاعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَـٰلَمِينَ ﴾ ذكر بعض المفسّرين قال: يبتلى المؤمن بالكافر ويعافى الكافر بالمؤمن.

قال: ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

قوله: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ قال الحسن: بما أتاهم الله من النبوّة والرسالة، فقال: ﴿ مِنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ﴾ وهو كقوله: (وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيينَ عَلَى بَعْضٍ) [الإسراء: 55]. قال الحسن: يعني في الدنيا على وجوه ما أعطوا.

(1) كذا في ق و ع. وفي د: «يوم لقى مع جالوت». هكذا رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 5 ص 347-348 عن قتادة مرسلاً، ورواه البخاري في كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر عن البراء بن عازب بلفظ: «حدثني أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدراً أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة. قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن.

ذكر بعضهم أنه قال: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر، الجمّ الغفير. قيل يا رسول الله، أكان آدم نبيّاً مكلّماً أم لم يكن مكلّماً؟ قال: بل كان نبياً مكلماً[1].

قوله: ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ قال الحسن: أيّدناه: أعناه بروح القدس، والقدس الله، والروح جبريل.

قوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الذِينَ مِن بَعْدِهِم مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَـٰتُ ﴾. قال بعضهم: من بعد موسى وعيسى[2]. ﴿ وَلَـٰكِن اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّن ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَـٰكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ ﴾ أي ولا صداقة إلا للمتقين. وهو مثل قوله: (الأَخِـلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ) [الزخرف: 67] والأخلاء من باب الخليل.

قوله: ﴿ وَلاَ شَفَاعَةٌ ﴾ أي للكافرين ﴿ والكَـافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ أي لأنفسهم، وهو كفر دون كفر وكفر فوق كفر.

قوله: ﴿ اللهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ قال الحسن: الله والرحمٰن اسمان ممنوعان لم يستطع أحد من الخلق أن ينتحلهما.

قوله: الحيّ القيّوم، أي القائم على كل نفس. قال الحسن: القائم على كل نفس بكسبها، يحفظ عليها عملها حتى يجازيها به.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ هذا الحرف: الحيُّ القَيَّامُ، وهو من باب الفيعال، والقيّوم الفيعول.

(1) أخرج هذا الحديث ابن مردويه في تفسيره بسند عن أبي ذر الغفاري من حديث له طويل. وجاء السؤال والجواب فيه عن آدم بلفظ: «نبي مرسل» لا بلفظ: «نبي مكلّم». انظر تفسير ابن كثير ج 2 ص 451.

(2) كذا في ق و ع و د: وفي ز: «من بعد موسى وهارون».

قوله: ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾. قال بعضهم: كسل، وقال بعضهم: فترة. ﴿ وَلَا نَوْمٌ ﴾. قال الحسن: السِّنَة النعاس، والنوم النوم الغالب(1).

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ أي: لا أحد. وهو مثل قوله: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) [الأنبياء: 28]. وكقوله: (مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) [يونس: 3].

قوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾. قال الحسن: أول أعمالهم وآخرها. وقال بعضهم: ما بين أيديهم من أمر الآخرة، وما خلفهم من أمر الدنيا، أي: إذا صاروا في الآخرة.

قوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ أي ما أعلم الأنبياءَ من الوحي.

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾. ذكر بعضهم أن الكرسي عماد الشيء وقوامه، ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه. وقال بعضهم: وسع كرسيّه السموات والأرض أي: ملأ كرسيّه السماوات والأرض.

قوله: ﴿ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾. قال مجاهد: أي لا يثقل عليه حفظهما ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ ﴾ قال الحسن: لا شيء أعلى منه. ﴿ الْعَظِيمُ ﴾ الذي لا منتهى له ولا قدر ولا حدّ.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: لا تتفكروا في الله وتفكروا فيما خلق(2).

---

(1) جاء في مجاز القرآن ج 1 ص 78 ما يلي: «(سنة) السنة: النعاس، والوسنة النعاس أيضاً. قال عدي بن الرقاع:

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ»

(2) أخرجه ابن أبي حاتم، وأخرجه الأصبهاني في الترغيب عن عبد الله بن سَلَام قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يتفكّرون فقال: لا تفكّروا في الله ولكن تفكروا فيما خلق. =

ذكروا عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه يوماً: أي القرآن أعظم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: سورة البقرة. قال: أتدرون أيها أعظم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: اللهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ. . . إلى آخر الآية.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: أشرف سورة في القرآن سورة البقرة؛ قيل له: أيها أعظم؟ قال: آية الكرسي(1).

قوله: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ ﴾. ذكروا عن سعيد بن جبير قال: كان قوم من أصحاب النبي عليه السلام استرضعوا لأولادهم من اليهود في الجاهلية، فكبروا على اليهودية؛ فلما جاء الإسلام أسلم الآباء؛ فأرادوا أن يكرهوا أولادهم على الإسلام، فأنزل الله: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ).

ذكروا عن بعضهم أنه قال: أكرِه على الدين ولم يُكره فيه. أكره عليه العرب، إن هذه الأمة كانت أمة أمية ليس لها كتاب تقرأه أتى من عند الله، فأكرهوا على الإسلام. أما من كان على ملة من يهودي أو نصراني فأقر بالجزية قُبِلت منه ولم يُفتن عن دينه. قال: وما كان سوى أهل الكتاب من المشركين ـ ما خلا العرب ـ فأقر بالجزية قبلت منه ولم يقتل.

وقال مجاهد: كانت النضير أرضعت رجالاً من الأوس؛ فلما أمر الرسول بإجلائهم قالت أبناؤهم من الأوس: لنذهبن معهم ولندينن بدينهم، فمنعهم أهلوهم، وأكرهوهم على الإسلام ففيهم نزلت: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ). الرشد الهدى، والغي الضلالة.

= وفي مسند الربيع بن حبيب عن جابر بن زيد عن رجل من أهل الكوفة يكنى أبا أمية جاء الحديث بلفظ: تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق. انظر مسند الربيع بن حبيب ج 3 ص 22 (827)، وبهذا اللفظ أخرجه أيضاً ابن أبي الدنيا والأصبهاني عن عمرو بن مرة.

(1) الأحاديث التي وردت في فضل آية الكرسي كثيرة رواها أصحاب السنن بألفاظ متشابهة، منها ما رواه ابن مسعود بلفظ: أعظم آية في القرآن. . . ولفظ أبي هريرة: سيدة آي القرآن آية الكرسي.

قوله: ﴿ فَمَن يَكْفُر بِالطَّاغُوتِ ﴾ الطاغوت هو الشيطان ﴿ وَيُومِنْ بِاللهِ فَقَد اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾. قال مجاهد: العروة الوثقى الإيمان. وقال بعضهم: العروة الوثقى لا إلـه إلا الله. (لاَ انْفِصَامَ لَهَا) أي لا انقطاع لها. وقال الحسن: لا انفصام لها دون أن تهجم بأهلها على الجنة.

قوله: ﴿ اللهُ وَلِي الذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [قال الحسن: ولي هداهم وتوفيقهم][1] ﴿ يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي يخرجهم من وحي الشيطان إلى وحي الله، ولم يكونوا في وحي الشيطان قط. ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ أي من وحي الله إلى وحيهم، ولم يكونوا في وحي الله قط، وهو كقوله: (إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُم عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) [يونس: 98]، كشف عنهم عذاباً لم ينزل بهم أي صرف عنهم. وقال بعضهم: يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور، أي من الضلالة إلى الهدى، لأنهم كانوا في ضلالة. قال: ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ أي لا يموتون ولا يخرجون منها أبداً.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَن ءَاتـهُ اللهُ المُلْكَ ﴾ أي آتى الملك الذي حاجّ إبراهيم في ربه، وهو نمروذ. ذكر بعض المفسّرين قال: ذكر لنا أنه نمروذ، وهو أول ملك تجبّر في الأرض، وهو صاحب الصرح ببابل.

قوله: ﴿ إِذْ قَال إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ ﴾. قال بعضهم: ذكر لنا أن نمروذ دعا برجلين فقتل أحدهما واستحيى الآخر فـ ﴿ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ ﴾ أي أنا استحيي من شئت وأقتل من شئت.

﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فاتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾. قال: لا يهدي القوم المشركين الذين يلقون الله وهم مشركون [أي لا يهديهم إلى الحجة ولا يهديهم من الضلالة إلى دينه][2]، قال بعضهم: لا يكونون مهتدين وهم ظالمون؛ وهو ظلم فوق ظلم وظلم دون ظلم. قال الحسن: هكذا حجة الله على ألسنة الأنبياء والمؤمنين.

(1) و (2) زيادة من ز، ورقة 37.

قوله: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾ قال: هذا من حجة الله أيضاً وعجائبه. ﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ أي خراب. ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَـٰذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ يعني كيف يحيي هذه الله بعد موتها. ﴿ فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾.

قال بعض المفسّرين: هو عزير، والقرية بيت المقدس بعدما خرج منها بخت نصّر، فقال: أنى تعمر هذه بعد خرابها. ﴿قَالَ: كَمْ لَبِثْتَ، قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾. قال بعضهم: ذكر لنا أنه مات ضحى وبعث قبل غروب الشمس فقال: (لَبِثْتُ يَوْماً)؛ ثم التفت فرأى بقيّة من الشمس [ظنّ أنها][1] من ذلك اليوم فقال: (أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ). ﴿قَالَ﴾ الله ﴿بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ أي لم يتغيّر ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قال بعض المفسّرين: أول ما خلق الله منه رأسه، ثم ركبت فيه عيناه، ثم قيل له: انظر؛ فجعلت عظامه يتواصل بعضها إلى بعض، وبعينيه كل ذلك؛ فقال: أعلم أن الله على كل شيء قدير.

قال بعضهم: إنما أراه الله خلق حماره بعدما أحياه بجميعه؛ وهذا أحق التأويلين وأولاهما بالصواب.

وقال الكلبي في طعامه وشرابه: كان معه سلتان: سلة من تين وسلة من عنب وزق فيه عصير، والقرية إنما هي دير هزقل[2]، . . . .

(1) زيادة للإيضاح.

(2) في المخطوطات الثلاث: «دير هرقل» بالراء، وهو تصحيف صوابه «هِزقِل» بالزاي المعجمة، وهو دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم على دجلة، يضرب به المثل لمجتمع المجانين حتى قيل للمجنون: كأنه من دير هِزقِل. وقد ذكره الشاعر دعبل الخزاعي في بيت من أبيات له يهجو أبا عباد فقال:

وَكَأَنَّهُ مِنْ دَيْرِ هِزْقِلَ مُفْلِتٌ حَرِدٌ يَجُرُّ سَلاسِلَ الأَقْيَادِ

انظر الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص: 528. وانظر ياقوت معجم البلدان ج 2 ص 540-541.

وكان الرجل عزيراً[1]؛ وكان فيمن سباه بخت نصّر من أرض إسرائيل، فحملهم إلى أرض بابل.

وفي قوله: (وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ): فنظر إلى حماره فإذا هو عظام بالية. قال: فرأى العظام قد ارتهشت[2] أي تحرّكت وسعى بعضها إلى بعض؛ فرأى الصلب تسعى كل فقرة منه إلى صاحبتها، ثم رأى الوركين يسعيان إلى أماكنهما، وكل شيء منه يسعى بعضه إلى بعض. ثم جاء الرأس إلى مكانه، ثم رأى العصب والعرق ألقي عليه، ثم وضع عليه اللحم، ثم بسط عليه الجلد، ثم رد عليه الشعر، ثم نفخ فيه الروح، فإذا هو قائم ينهق؛ فخر عزير ساجداً وقال: أعلم أن الله على كل شيء قدير. فهكذا أراه الله خلق حماره. فأما خلق نفسه إذ لم يتكامل خلقه ويتم، فإن الله لم يفعل هذا بأحد.

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَىٰ﴾. قال بعض المفسّرين: بلغنا أن إبراهيم، خليل الرحمن، خرج يسير على حمار له، فإذا هو بجيفة دابة يقع عليها طير السماء، فيأخذ منها بضعة بضعة، وتأتيها سباع البر، فتأخذ منها عضواً عضواً، فيقع من أفواه الطير من ذلك اللحم فتأخذه الحيتان. فقام إبراهيم متعجباً فقال: (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحيـي المَوْتَىٰ).

﴿قَالَ أَوَلَمْ تُومِنْ قَالَ بَلَى وَلَـٰكِنْ لِـ﴾ أعلم حتى ﴿يَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ كيف يجتمع لحم هذه الدابة بعدما أرى بعضه في بطون سباع البر، وبعضه في بطون الطير، وبعضه في بطون الحيتان. فـ﴿قَالَ﴾ له: يا إبراهيم، ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ

(1) «عزيراً»، كذا في المخطوطات، وقد اعتبره بعض القراء مصروفاً وإن كان أعجمياً لخفته، وقد يكون معرباً لتصغيره واشتقاقه، واعتبره آخرون غير مصروف للعلمية والعجمة، وعلى هذا قراءة من قرأ قوله تعالى في سورة التوبة: 30 (وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرُ ابنُ اللَّهِ). انظر ابن خالويه، الحجة: ص 150، وانظر اللسان: عزر.

(2) كذا في المخطوطات الثلاث: «ارتهشت»، والارتهاش الاضطراب. ووردت العبارة في ز، ورقة 37 هكذا: «فرأى العظام قد تحركت».

فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ [يعني فضمّهن إليك][1] ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثم ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً﴾. فأخذ أربعة أطيار مختلفة ألوانها وأسماؤها وريشها؛ فأخذ ديكاً وطاووساً وحماماً وغراباً، فقطع أعناقها، ثم خلط ريش بعضها ببعض، ودماء بعضها ببعض، ثم فرّق بينها على أربعة أجبل، فجعل على كل جبل ريشاً وعظماً ودماً. ثم نوديت من السماء بالوحي: أيتها العظام المفترقة، وأيتها اللحوم المتمزقة، وأيتها العروق المتقطعة، اجتمعي يرجع فيك أرواحك. فجعل يجري الدم إلى الدم، وتطير الريشة إلى الريشة، ويثب العظم إلى العظم، فعُلِّق عليها رؤوسها وأُدخِل فيها أرواحها. فقيل: يا إبراهيم، إن الله لما خلق الأرض وضع بيته في وسطها، وجعل للأرض أربع زوايا، وللبيت أربعة أركان، كل ركن في زاوية من زوايا الأرض، وأرسل عليهم من السماء أربعة أرياح: الشمال والجنوب والصبا والدبور. فإذا نفخ في الصور يوم القيامة اجتمعت أجساد القتلى والهلكى من أربعة أركان الأرض وأربع زواياها كما اجتمعت أربعة أطيار من أربعة أجبل، ثم قال: (مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) [لقمان: 28].

وقال بعض المفسرين: ذكر لنا أن إبراهيم أتى على دابة توزعتها[2] الذئاب والسباع فقال: (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) أي ليسكن قلبي، أي أنظر إليه. قال الحسن: أراد أن يعلم كيف ذلك. (قَالَ: أَوَلَمْ تُؤْمِنْ، قَالَ: بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي). فدعا ربه لينظر إلى ذلك معاينة، ليزداد به علماً. قَالَ: فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ... إلى آخر الآية.

وقال ابن عباس: (قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)، أي: أعلم أني أدعوك فتجيبني وأسألك فتعطيني.

---

(1) زيادة من ز ورقة 38، والقول لابن أبي زمنين.

(2) كذا في المخطوطات الثلاث «توزعتها». وفي تفسير الطبري 486:5 «تمزعت لحمها» وهو أفصح أي تقاسمتها قطعة قطعة، ومن ذلك «المزعة»: القطعة من اللحم والقطن، انظر اللسان: مزع.

وقال بعضهم: أمر أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن، ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن، ثم يجزئهن على أربعة أجبل. وذكر لنا أنه فعل ذلك وأمسك رؤوسهن بيده، فجعل العظم يذهب إلى العظم، والريشة إلى الريشة والبضعة إلى البضعة. ثم دعاهن فأتينه سعياً على أرجلهن، وتلقى كل طير رأسه. وهذا مثل ضربه الله لإبراهيم؛ يقول كما بعثت هذه الأطيار من هذه الأجبل الأربعة، كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أقطار الأرض.

قال بعض المفسّرين: بلغنا أن هذه الأطيار الأربعة: الطاووس والديك والغرنوق والحمام، والعامة يقولون: إنها الطاووس والديك والحمام والغراب.

وقال مجاهد في قوله: (ادْعُهُنَّ)، أي: قل لهن تعالين بإذن الله. قال: وبلغنا في قوله: (يَأْتِينَكَ سَعْياً) أي: مشياً على أرجلهن.

قوله: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ أي: في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ أي: في أمره.

قوله: ﴿مَثَلُ الذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ واللهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَّشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ لخلقه ﴿عَلِيمٌ﴾ بأمرهم.

ذكروا عن عطاء قال: بلغنا أنه من جهّز غيره في سبيل الله كان له بكل درهم سبعمائة ضعف، ومن خرج بنفسه وماله كتب له بكل درهم سبعمائة ضعف، وبكل ضعف سبعون ألف ضعف، و (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِين) [المائدة: 27].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام، يقول الله: الصيام لي وأنا أجزي به، لا يدع طعامه وشرابه وشهوته إلا من أجلي، وإنما الصيام لي وأنا أجزي به[1].

(1) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري ومسلم في كتاب الصوم، باب فضل الصيام، بألفاظ متقاربة وزيادات، وأخرجه أيضاً ابن ماجه في كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل الصيام (1638) كلهم يرويه عن أبي هريرة.

ذكر بعض السلف قال: الذكر في سبيل الله يضاعف كما تضاعف النفقة: الدرهم بسبعمائة.

قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، ما أنفق عبد من نفقة أفضل من نفقة من قول[1].

قوله: ﴿ الذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ [يعني في طاعة الله][2] ﴿ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلاَ أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

ذكروا أنه قيل: يا رسول الله، من المنّان؟ قال: الذي لا يعطي شيئاً إلا منّه[3] وقال بعضهم: علم الله أن أناساً يمنّون عطيتهم فنهى عن ذلك وقدم فيه.

قوله: ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ [أي حسن][4]، يعني بذلك دعاء المرء لأخيه ﴿ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴾ أي يمنّ بها المتصدّق على من تصدّق بها عليه. ﴿ وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾.

ذكروا عن عبد الله أنه قال: كل معروف صدقة. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: كل معروف يصنعه المسلم لأخيه المسلم فهو صدقة[5].

---

(1) أخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن دينار هذا الحديث مرسلاً بلفظ: ما من صدقة أحب إلى الله من قول، ألم تسمع قوله (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى)؟.

(2) زيادة من ز، ورقة 38.

(3) حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي بألفاظ متقاربة؛ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمنّ بالعطية. . . من حديث رواه أبو ذر عن النبي ﷺ قال: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان الذي لا يعطي شيئاً إلا مَنَّهُ، والمنفِّق سلعته بالحَلِف الفاجر، والمسبل إزاره.

(4) زيادة من ز، ورقة 38.

(5) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (1005) كلاهما يرويه عن جابر بن عبد الله. وفي الباب عن سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى =

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَـٰتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأَذَى ﴾ فيصير مثلكم فيما يحبط الله من أعمالكم ﴿كالذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ﴾.

قال الحسن: كان بعض المسلمين يقولون: فعلت كذا وكذا، وأنفقت كذا وكذا، فقال الله: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، وهو المنافق. قال: ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ﴾ كذلك الكفار الذين يطلبون بنفقتهم في سبيل الله الرياء لا يقدرون على شيء منه يوم القيامة. والصفوان الصفا. ﴿ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ﴾ والوابل المطر الشديد. ﴿ فَتَرَكَـهُ صَلْداً ﴾ أي نقياً. قال: ﴿ لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾ يومئذ ﴿ وَاللهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَـٰفِرِينَ ﴾.

قال بعضهم: هذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار يوم القيامة. يقول: لا يقدرون على شيء مما كسبوا يومئذ كما ترك المطر الوابل هذا الصفا، أي الحجر، ليس عليه شيء.

قوله: ﴿ وَمَثَلُ الذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰلَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ قال الحسن: ينوون إذا تصدقوا أنهم يريدون به ما عند الله، يعلمون أن لهم به الجزاء من الله. وقال بعضهم: تثبيتاً أي: احتساباً(1) قال الحسن: فمثلهم في نفقتهم ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرُبْوَةٍ ﴾ أي بنشز من الأرض ﴿ أَصَابَهَا وَابِلٌ ﴾ وهو المطر الشديد. ﴿فَأَتَت أُكْلَهَا﴾ أي ثمرتها ﴿ ضِعْفَيْنِ ﴾ أي مرّتين ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ أي الطش. ﴿ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

= الأشعري عن أبيه عن جده قال قال النبي ﷺ: على كل مسلم صدقة... الحديث.

(1) في د: «إحساناً» وهو تصحيف صوابه ما في ق و ع: «احتساباً». وهو تفسير قتادة أورده الطبري ولم يرتضه، وقد رد عليه وعلى معنى آخر أورده لمجاهد والحسن ورد عليهما بأدلة لغوية وقال: «يعني بذلك: تثبيتاً لهم على إنفاق ذلك في طاعة الله وتحقيقاً، من قول القائل: ثبّت فلاناً في هذا الأمر إذا صححت عزمه وحققته وقويت فيه رأيه» انظر تفسير الطبري ج 5 ص 531-534.

وقال الحسن: لا تخلف خيرها على كل حال، كذلك لا تخلفهم نفقاتهم أن يصيبوا منها خيراً[1]. وقال بعضهم: يقول: ليس لعمل المؤمن خلف كما ليس لهذه الجنة خلف على أي حال كان، إن أصابها وابل وإن أصابها طل.

قوله: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِن نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ الكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ ﴾ والإعصار الريح الشديدة التي فيها النار ﴿ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الأَيَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾.

يقول: هل منكم من يود ذلك؟ على وجه الاستفهام، أي: ليس منكم من يود ذلك، يقول: فاحذروا ألا تكون منزلتكم عند الله كذلك، أحوج ما تكونون إلى أعمالكم يحبطها ويبطلها، فلا تقدرون منها على شيء؛ فكما لا يسرّكم ذلك في حياتكم، فكذلك لا يسرّكم ذلك في الآخرة. وهذا مثل ضربه الله لكم لعلكم تتفكرون.

ذكروا أن الحسن قرأ هذه الآية فقرأ: مثلٌ واللهِ قلَّ من يعقله من الناس، حين كبرت سنة، وكثر عياله، وأحوج ما يكون إلى جنته. وإن أحدكم والله أحوج ما يكون إلى عمله إذا انقضت[2] الدنيا ومضت لحال بالها.

وقال مجاهد: هذا مثل المفرّط في طاعة الله حتى يموت.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾. قال الحسن: هذا في النفقة الواجبة؛ كانوا يتصدّقون بأردإ درهمهم، وأردإ فضتهم، وأردإ طعامهم، فنهاهم الله عن ذلك فقال: ولا تيمّموا [يعني ولا تقصدوا][3] الخبيث، وهو الرديء، منه تنفقون. أي: منه تزكون.

(1) كذا في ق وع ود، وفي ز: «فكذلك لا يخلفهم الله نفقتهم أن يصيبوا منها خيراً».
(2) كذا في ق وع: «انقضت»، وفي د: «انقطعت».
(3) زيادة من ز، وهي من ابن أبي زمنين.

وقال مجاهد: (مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ). أي من التجارة.

قال: ﴿وَلَسْتُمْ بِئَاخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ يقول: ولستم بآخذي هذا الرديء بثمن هذا الجيّد إلاّ أن يُهضَم لكم منه.

قال بعضهم: كان الرجل يكون له حائطان على عهد رسول الله ﷺ فيعمد إلى أردئهما، فيتصدق به، ويخلطه بالحشف، فنهاهم الله عن ذلك. قال: ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه؛ أي: ولستم بآخذي هذا الرديء بسعر هذا الطيب إلا أن يهضم لكم منه. قال الحسن: فكما لا يستوي عندكم هذا الجيّد والرديء فكذلك لا يستوي عند الله في الآخرة.

وقال الكلبي: ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه، قال: لو كان لبعضكم على بعض حق فأعطِيَ دون حقه لم يأخذه منه إلا أن يرى أنه قد تغامض له عن بعض حقه، وكذلك الله، إلا أن يتراحم عليكم، لا تستكملون به الأجر له، إلا أن يتغمّدكم الله برحمته.

وقال مجاهد: إلا أن تغمضوا فيه: إلا أن تأخذوه من غرمائكم بزيادة على الطيّب في الكيل[1].

قوله: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ أي غني عما عندكم لمن بخل بصدقته، حميد لمن احتسب بصدقته.

ثم قال: ﴿الشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ ﴾ يخبرهم أنهم حين ينفقون الرديء إنما هو ما يلقي الشيطان في قلوبهم من الفقر[2]. ﴿ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدكُمْ ﴾ على ما تنفقون ﴿ مَغْفِرَةً ﴾ منه لذنوبكم ﴿ وَفَضْلاً ﴾ أي الجنة.

---

(1) لم يرد هذا القول في تفسير مجاهد المطبوع، ولكن أورده الطبري بسند إلى مجاهد بهذا اللفظ: «لا تأخذونه من غرمائكم ولا في بيوعكم إلا بزيادة على الطيّب في الكيل». انظر تفسير الطبري ج 5 ص 565.

(2) وردت العبارة مضطربة في ق، و ع، و د، فأثبت صحتها من ز، ورقة: 39.

ذكروا أن عبد الله بن مسعود كان يقول: لابن آدم لَمّتان كلَّ صباح: لَمَّة من المَلَك، ولَمَّة من الشيطان: فأما لمّة الملك فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، وتطييب للنفس، وأما لمّة الشيطان فإيعاد بالفقر، وتكذيب بالحق، وتخبيث للنفس، وهو قوله: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً)[1]

قوله: ﴿ وَاللهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي واسع لخلقه عليم بأمرهم.

قوله: ﴿ يُوتِي الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُوتَ الحِكْمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ ذكر بعض المفسّرين قال: الحكمة الفقه في القرآن[2]. قوله: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَـٰبِ ﴾ أي أولو العقول، وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُم مِّنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ ﴾ أي فلم تريدوا به الله، فإن الله لا يتقبله منكم إلا أن تريدوه به. وقال مجاهد: فإن الله يعلمه، أي: يحصيه.

ذكر بعض أصحاب النبي، عن النبي عليه السلام أنه قال: إن النذر لا يأتي بشيء لم يقدره الله، وقد يوافق النذر القدر ليستخرج به من البخيل، فيؤتى على يديه في الشيء لم يأت عليه قبل ذلك[3].

---

(1) ورد هذا الحديث هنا موقوفاً على ابن مسعود. وقد رُوي هذا الحديث مرفوعاً، انظر تخريج هذا الحديث وترجيح رفعه حكماً في تفسير الطبري ج 5 ص 572-575، وانظر السيوطي، الدر المنثور، ج 1 ص 348.

(2) هذا قول نسب إلى ابن عباس، وأورد الطبري بسند إلى مجاهد قوله: «ليست بالنبوة، ولكنه القرآن والعلم والفقه». وهذا هو التأويل الذي رجحه جمهور المحققين من المفسرين قديماً وحديثاً. فالحكمة، وإن وردت أحياناً بمعنى السنة، إلا أن هذا التأويل هنا أعم وأولى بالصواب. وانظر تفسير الحكمة على وجوهها المختلفة في كتاب التصاريف لابن سلام، ص: 201.

(3) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر، وأخرجه مسلم في كتاب النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً (1640) كلاهما يرويه عن أبي هريرة.

قال: ﴿ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي للمشركين ﴿ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾.

قوله: ﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَنُكَفِّرُ عَنكُم مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾. أجمعت العلماء أنه يُستحب أن تكون الزكاة علانية، وصدقة التطوع سراً؛ فإذا كانت سرّاً كانت أفضل منها في العلانية.

ذكر الحسن عن كعب بن عجرة أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا كعب بن عجرة، الصلاة برهان، والصوم جنة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، يا كعب، الناس غاديان: فغاد فمشتر رقبته فمعتقها، وغاد فبائع رقبتـه فموبقها[1].

قوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُـدَىٰهُمْ ﴾ قال بعض المفسّرين: ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب النبي عليه السلام قال: أتصدق على من ليس من أهل ديننا؛ فأنزل الله: (لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَيٰـهُمْ).

قال: ﴿ وَلَـٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَّشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾.

وقال بعض المفسّرين: هذه الصدقة التي هي على غير المسلمين إنما هي تطوع، ولا يعطَون من الواجب شيئاً: لا من زكاة، ولا من كفارة، ولا في فداء من صوم أو حج ولا كل واجب، ولا يطعمون من النسك. ذكروا عن عطاء قال: قال رسول الله ﷺ: لا تطعموا المشركين من نسككم شيئاً[2].

---

(1) أخرجه أبو يعلى عن جابر، وأخرجه ابن حبان عن كعب بن عجرة. انظر السيوطي الدر المنثور، ج 1 ص 354. وأخرجه يحيى بن سلام عن مالك بن سليمان عن الحسن عن كعب ابن عجرة كما في مخطوطة ز، ورقة 39.

(2) لم أجده بهذا اللفظ، وقد أخرج الواحدي بسند عن سعيد بن جبير «قال قال رسول الله ﷺ: لا تَصَدّقوا إلا على أهل دينكم». انظر الواحدي، أسباب نزول القرآن ص 83، والسيوطي الدر المنثور، ج 1 ص 357.

قوله: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ ﴾ قال الحسن: أحصرهم الفقر وهم أهل تعفف. ﴿ يَحْسِبُهُمُ الجَاهِلُ ﴾ بفقرهم ﴿ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ أي بتعففهم، أي فأعطوهم من نفقاتكم.

قال مجاهد: هم مهاجرو قريش بالمدينة مع النبي عليه السلام، أمر الله بالصدقة عليهم.

وقال الكلبي: هم أصحاب صُفّة مسجد النبي عليه السلام، قوم لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر، وكانوا يلتمسون الرزق بالنهار بالمدينة، ويأوون إلى صفة مسجد رسول الله ﷺ، فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسوا، وهم الذين أحصروا في سبيل الله.

قال: ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ أي: بعلاماتهم ﴿ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً ﴾ [أي إلحاحاً][1] ذكروا عن أبي ذر أنه قال: من كانت له أربعون ثم سأل فقد ألحف، يعني أربعين درهماً: وبعض الفقهاء يقول: إذا كانت له خمسون درهماً لم تحل له الصدقة.

عامة فقهائنا: أبو عبيدة وغيره، يقولون: صاحب الخادم والمسكن والغلام وصاحب المائة والمائتين يعطى من الزكاة إذا كان لا تقوتهم ولا يبلغ ما في يديه قوتهم[2]. وقد يستحب لصاحب المائتين والخادم والمسكن والغلام أن يستعفف عن المسألة وعن الأخذ، وإن أخذ فلا بأس[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن المسكين ليس بالطواف الذي ترده التمرة

(1) زيادة من ز، ورقة 39.

(2) وهذا ما يجري به العمل عندنا إلى يوم الناس هذا. وهذه الفقرة الأخيرة من زيادات الشيخ هود بن محكّم ولا شك. وما أورده هنا هو عين الحق والصواب؛ فإن بعض العمال مثلاً لا تكفيه أجرته لسد ضرورات عيشه ونفقات أسرته. انظر بكلي، فتاوى البكري، ج 1 ص 167-168.

والتمرتان والأكلة والأكلتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غناء يغنيه ولا يسأل الناس إلحافاً[1].

قوله: ﴿ وَمَا تُنْفِقوا مِنْ خَيْرٍ من مال فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ أي يحفظه لكم حتى يجازيكم به.

قوله: ﴿ الذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ والنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: في الآخرة ﴿ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أي على الدنيا.

ذكر بعضهم أنها نزلت في علف الخيل.

وذكروا أن هذه الآية لما نزلت عمد رجل من فقراء المسلمين إلى أربعة دراهم، لا يملك غيرها، فقال: إن الله يقول: الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية. فتصدّق بدرهم بالليل ودرهم بالنهار، وبدرهم في السر ودرهم في العلانية؛ فدعاه رسول الله ﷺ فقال له: أأنت الذي أنفقت درهماً بالليل ودرهماً بالنهار، ودرهماً في السر ودرهماً في العلانية؟ فقال الرجل: الله ورسوله أعلم؛ إن كان الله أطلع رسوله على شيء فهو ما أطلعه عليه؛ فقال له رسول الله: نعم، قد أطلعني الله على فعلك، والذي نفسي بيده ما تركت للخير مطلباً إلا وقد طلبته، ولا من الشر مهرباً إلا وقد هربت منه؛ اذهب فقد أعطاك الله ما طلبت، وآمنك مما تخوفت[2].

(1) حديث متفق على صحته أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة؛ أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً)، وكم الغنى... وأوله: «ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان..» إلى آخر الحديث. وأخرجه الربيع بن حبيب عن جابر بن زيد عن أبي هريرة وفيه: «الذي لا يجد غناء يغنيه ولا يُفطَن به فيُعطى، ولا يقوم فيسأل الناس. انظر مسند الربيع بن حبيب ج 1 ص 92 (رقم 349).

(2) اختلف المفسّرون والمحدّثون في سبب نزول الآية فقيل: نزلت في أبي بكر الصديق، وقيل في علي بن أبي طالب، وقيل في عثمان بن عفان وعبد الرحمٰن بن عوف لما أنفقا في جيش العسرة، ويبدو أن هذا الحديث في صحابي آخر فقير. ولم أجده فيما بين يدي من كتب التفسير والحديث بهذا اللفظ، ولعله مما انفرد بروايته ابن سلام. انظر الواحدي، أسباب النزول: ص 84-86، وانظر السيوطي، الدر المنثور، ج 1 ص 362. ولم ترد القصة في مخطوطة ز.

قوله: ﴿ الذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبَـوا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَـٰنُ مِنَ المَسِّ ﴾. ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه حدّث عن ليلةِ أسرِيَ به فكان في حديثه أنه أتى على سابلة آل فرعون حيث ينطلق بهم إلى النار، يعرضون عليها غدواً وعشياً؛ فإذا رأوها قالوا: ربنا لا تقومن الساعة، مما يرون من عذاب الله. قال: فإذا أنا برجال بطونهم كالبيوت، يقومون فيقعون لظهورهم ولبطونهم، فيأتي عليهم آل فرعون فيثردونهم بأرجلهم ثرداً. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا، ثم تلا هذه الآية: الذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبٰوا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَـٰنُ مِنَ المَسِّ[1].

وقال الحسن: إن لِأَكَلَة الربا عَلَماً يعرفون به يوم القيامة أنهم أكلة الربـا، يأخذهم خبل؛ فشبه الخبل الذي يأخذهم في الآخرة بالجنون الذي يكون في الدنيا.

وقال مجاهد: يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ، يوم القيامة في أكل الربا في الدنيا.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا البَيْعُ مِثْلُ الرِّبٰوا ﴾ هو الذي كانوا يعملون به في الجاهلية؛ إذا حل مال[2] أحدهم على صاحبه قال المطلوب: إن هذا ربا قالوا، لا، سواء علينا زدنا في أول البيع أو عند محل الأجل. فأكذبهم الله فقال: ﴿ وَأَحَلَّ اللهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَـوا ﴾.

ذكروا عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: نهى رسول الله ﷺ عن شرطين في بيع، وعن بيع وسلف، وعن بيع ما ليس عندك، وربح ما لم تضمن[3].

---

(1) رواه البيهقي في كتاب دلائل النبوة عن أبي سعيد الخدري في حديثه الطويل عن الإسراء بألفاظ قريبة من هذه. وأورده ابن سلام هنا بسند يرفعه إلى رسول الله ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري كذلك. انظر مخطوطة ز ورقة 39-40.

(2) كذا في ق و ع و د: «إذا حل مال أحدهم»، وفي ز: «إذا حل دَيْن أحدهم».

(3) ترجم البخاري في كتاب البيوع من صحيحه: باب بيع الطعام قبل أن يقبض وبيع ما ليس عندك. وروى في الباب حديثاً عن ابن عباس بلفظ: أما الذي نهى عنه النبي ﷺ فهو الطعام أن يباع حتى يقبض. قال ابن عباس: ولا أحسب كل شيء إلا مثله. وفي رواية لمسلم: من =

ذكروا عن الحسن أنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن بيع الغرر[1].

وذكروا عن الحسن أنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن بيع البسر حتى يحمر، وعن بيع العنب حتى يسود، وعن بيع الحب حتى يبيض[2].

قوله: ﴿ فَمَن جَاءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ يعني البيان الذي في القرآن في تحريم الربا ﴿ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾ أي غفر الله له ما سلف.

= ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه، وفي رواية له أخرى... حتى يكتاله. (الحديث رقم 2525). وأخرجه الربيع بن حبيب عن يحيى بن عامر عن عتاب بن أسيد في مسنده ج 4 ص 4 (رقم 894).

هذه البيوع التي نهى الشارع عنها يجمع بينها كلِّها ما فيها من ربا أو غرر وأضرار بالغة تعود على الناس في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية. وقد جدّت في زماننا هذا صور أخرى من البيع والشراء والمعاملات المالية بحكم تطوّر الحياة وتعقّدها، كثير منها لا يمت إلى الدين بصلة. وقد اقتبس المسلمون هذه الصور في التعامل من الدول الغربية، بدون أن يميّزوا بين ما هو حلال منها وبين ما هو حرام؛ فوقع الناس من حيث يشعرون أو لا يشعرون في الحرام، وأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، فانتشر الربا في مجتمعاتهم، وتعدّدت أسبابه، وكثر متعاطوه، وتفنّنوا في أساليبه حتى صدق فيهم قول رسول الله ﷺ: يأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا، ومن لم يأكل الربا أصابه غباره. وسبب ذلك كله جهل الناس بشريعة ربهم. وإعراضهم عما بيّنته سُنّة نبيهم في أبواب البيوع وفقه المعاملات. وتعاطى التجارةَ أناسٌ لم يتفقّهوا في الدين، فضلّوا وأضلّوا. فرحم الله أمة قال عنها عمر رضي الله عنه: لا يتَّجِر في سوقنا إلا من فَقُهَ، وإلا أكل الربا. وأظلّنا زمانٌ عزَّ فِيه الرزق الحلال، فلم نعد نأكل من طيبات ما رزقنا الله حلالاً طيباً، بل تمادينا في جمع حطام الدنيا من حلِّه ومن غير حلّه، وتيمّمنا الخبيث منه نأكل وننفق. ولا ناهيَ ولا منتهيَ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. المحقق.

(1) ترجمه البخاري في كتاب البيوع، باب بيع الغرر وحبل الحَبَلَة، روى فيه حديث النهي عن ذلك عن عبد الله بن عمر.

(2) ورد هذا الحديث في صحيح البخاري بلفظ: لا تبيعوا الثمر حتى يبدو صلاحه. وفي لفظ آخر عن أنس بن ملك أنه نهى عن بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها وعن النخل حتى يزهو. قيل: وما يزهو؟ قال يحمارّ أو يصفارّ.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: كل ربا في الجاهلية فهو موضوع[1].

ذكروا عن عروة بن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: من أسلم على شيء فهو له[2].

وقال الحسن في قوله: فله ما سلف ﴿ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ ﴾: غفر لَهُ ما سلف من ذلك، ووقع أجره على الله لقبوله الموعظة. وقال السدي: وأمره إلى الله: إن شاء عصمه منه بعد، وإن شاء لم يفعل.

قوله: ﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾ أي ومن عاد فاستحل الربا بعد تحريمه ﴿ فَأُلَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾.

قولـه: ﴿ يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَـٰوا ﴾ أي: يمحقه يوم القيامة فيبسط له ﴿ وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ لأهلها أي: يضاعفها. [يحيى عن عثمان عن سعيد المقبُري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما تصدق عبد بصدقة فتقع في يد السائل حتى تقع في يد الله، ثم يربّيها لصاحبها كما يربّي أحدكم فَلُوَّه[3] أو فصيله، حتى تصير اللقمة مثل أحد][4]. ﴿ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾. أثيم لأكله الربا، والكفر أعظم الاثم.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحاتِ ﴾ يعني ما افترض الله عليهم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ وهما فريضتان واجبتان ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِم﴾ أي الجنة ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

---

(1) من خطبته ﷺ في حجة الوداع، وأول ربا وضعه عليه السلام ربا عمه العباس.

(2) رواه البيهقي في السنن، وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة.

(3) الفَلُوّ والفُلُوّ والفِلْوُ: الجحش والمهر إذا فُطِم. والفصيل: ولد الناقة إذا فُصِل عن أمه.

(4) زيادة من ز. والحديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي بألفاظ متشابهة. أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (1014) عن أبي هريرة.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَـوا إِنْ كُنْتُم مُوْمِنِينَ ﴾ أي إذ كنتم مؤمنين. نزلت هذه الآية فيما بقي مما أربوا فيه في الجاهلية ألا يأخذوه، وما أخذوه قبل إسلامهم فهو لهم حلال. ذكروا عن عروة بن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: من أسلم على شيء فهو له[1].

قوله: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَاذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي فاشعروا[2] أنكم بحرب من الله ورسوله ﴿ وَإِنْ تُبْتُمْ ﴾ أي أسلمتم ﴿فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوٰلِكُمْ ﴾ يقول يبطل الفضل إذا كان قد بقي ديناً على المطلوب ﴿ لَا تَظْلِمُونَ ﴾ فتأخذون الفضل ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ من رؤوس أموالكم شيئاً.

ذكروا عن الحسن أنه كان يقول: من أربى في شيء فلا يأخذ إلا رأس ماله. تفسير ذلك أنه إذا فات البيع ولم يقدرا على أن يردّاه. ومن كان في يده ربا لم يقدر على رد تلك السلعة تصدّق بها على المساكين.

قوله: ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسُرَةٍ ﴾. ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: رحم الله من يسر على معسر أو محا عنه[3].

ذكر يعلى بن شداد بن أوس[4] قال: كنت مع أبي إذ أبصر غريماً له، فلما رآه الغريم أسرع حتى دخل بيته وأغلق بابه. فجئنا فقمنا على بابه فطلبناه. فقالوا: ليس هاهنا. فقال أبي أنا أنظر إليه آنفاً حتى دخل. فلما سمع الغريم خرج. فقال له أبي:

(1) رواه البيهقي في السنن وابن عدي في الكامل عن أبي هريرة.
(2) كذا في ق و ع و د: «فاشعروا»، وفي ز: «فاعلموا».
(3) أخرجه ابن ماجه في كتاب الصدقات، باب إنظار المعسر (2417) بلفظ: من يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، وهو من رواية أبي هريرة.
(4) هو شداد بن أوس بن ثابت، ابن أخي حسان بن ثابت الشاعر، وكان يكنّى بابنه يعلى راوي هذا الحديث. وهو صحابي نزل الشام بناحية فلسطين، وبها توفي سنة 85 للهجرة. قال عنه عبادة بن الصامت: كان شداد بن أوس ممن أوتي العلم والحلم. ويعد شداد بن أوس من زهاد الأنصار الثلاثة مع أبي الدرداء وعمير بن سعد. انظر ابن عبد البر، الاستيعاب ج 2 ص 694.

ما حملك على ما صنعت؟ قال: العسرة. قال: آللهِ فقال: اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أنظر معسراً أو تصدق عليه، وأشهدك يا رب أني تصدقت عليه.

ذكروا أن رسول الله ﷺقال: من أنظر معسراً أو وضع عنه أظلّه الله يوم القيامة في ظله(1).

قوله: ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُم إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي إن علمتم أن الصدقة خير لكم من أخذها.

قوله: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ﴾ قال الحسن: خير لكم في يوم ترجعون فيه إلى الله: ﴿ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ أي لا يُنْقَصُون، يعني المؤمنين، يُوَفَّون حسناتهم يوم القيامة. قال الحسن: هي موعظة يعظ بها المسلمين.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ بين البائع والمشتري، يعدل بينهما في كتابه، لا يزيد على المطلوب ولا ينقص من حق الطالب.

﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَه اللهُ ﴾ الكتابة وترك غيره فلم يعلمه. ﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الذِي عَلَيْهِ الحَقُّ ﴾ يعني المطلوب. وقال الحسن: فإن كان الطالب يقدر على من يكتب فهو واسع. قال: ﴿ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً ﴾ أي لا ينقص من حق الطالب.

(1) أخرج هذا الحديث أحمد ومسلم وابن ماجه عن أبي اليسر كعب بن عمير وأخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر (3006) والقصة تشبه القصة السالفة المنسوبة إلى شداد بن أوس فهل القصتان متشابهتان أم أنهما واحدة. وهنالك قصة أخرى تشبههما منسوبة إلى أبي قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري. ولا يبعد أن تكون هذه القصص المتشابهة جرت للصحابة الثلاثة أبي يعلى شداد بن أوس، وأبي اليسر كعب بن عمرو، وأبي قتادة الحارث بن ربعي، وأنهم سمعوا جميعاً هذا الحديث من رسول الله ﷺ أو رووه، والله أعلم.

ثم قال: ﴿ فَإِنْ كَانَ الذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً ﴾ يعني جاهلاً بالأموال[1] أو عاجزاً أو أخرق أو أحمق. ﴿ أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ ﴾ يعني الذي عليه الحق لا يحسن أن يمل ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ ﴾ أي ولي الحق، يعني الطالب[2] ﴿ بِالْعَدْلِ ﴾ أي لا يزدد شيئاً. وقال بعضهم: السفيه: المرأة الضعيفة والأحمق الذي لا يحسن أن يملّ.

قوله: ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِجَالِكُمْ ﴾ أي من أحراركم ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فـ ﴾ ليكن ﴿ رَجُلٌ وَامْرَأتان مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا تجوز شهادة ذي الظِّنة وذي الحِنّة وذي الجِنة[3]. وتفسير ذي الظنة المتهم، والحنة العداوة بين الرجلين، والجنة الجنون.

ذكروا عن شريح أنه قال: لا أجيز شهادة الخصم، ولا الشريك، ولا دافع المغرم، ولا شهادة الأجير لمن استأجره في تلك الضيعة بعينها.

قوله: ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدٰهُمَـا ﴾ أي أن تنسى إحداهما الشهادة ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدٰهُمَا الأُخْرىٰ ﴾ أي تذكر التي حفظت شهادتها الأخرى. وهي تقرأ بالتخفيف والتثقيل؛ فمن قرأها بالتخفيف فهي قد ذكر لها فذكرت. وقد يكون أن يذكر الإنسان صاحبه فلا

(1) في مخطوطتي ق و ع: «جاهلاً بالإملاء» ويبدو فيه تصحيف صوابه ما جاء في د: «جاهلاً بالأموال» لأن السفيه هو الذي لا يحسن التصرف في المال.

(2) كذا في المخطوطات ق و ع و د و ز، «أي ولي الحق، يعني الطالب». وهو تفسير ابن عباس والفراء ورجح الطبري أيضاً هذا التأويل. وهنالك من أرجع الضمير في قوله تعالى: (وليّه) إلى الذي عليه الحق، أي المطلوب، بمعنى إذا عجز عن الإملاء أملى عنه وليّه. ويبدو أن لهذا التأويل الأخير وجهاً صحيحاً أيضاً، لأن الحقوق تثبت بالإقرار أكثر؛ فالذي عليه الحق أو وليّه إذا أمليا شيئاً ثبت عليهما، أما الذي له الحق، أي صاحب الدين فيستطيع أن يملي ما أراد إذا لم يكن أميناً. وهذا القول الأخير هو ما اختاره الضحاك وابن زيد والزجاج انظر تفسير الطبري ج 6 ص 57-60. وقال القرطبي في تفسيره ج 3 ص 388: «وقيل (الضمير) عائد على الذي عليه الحق، وهو الصحيح، وما روي عن ابن عباس لا يصح. وكيف تشهد البينة على شيء وتدخل مالاً في ذمة السفيه بإملاء الذي له الدين؟».

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك، وأخرجه البيهقي في السنن عن أبي هريرة.

يذكر، ولكن هذه قد ذكرت، فهي في كلا الوجهين قد ذكرت.

قوله: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾. قال بعضهم: كان الرجل يأتي الحِواء[1] العظيم يطلب من يشهد له فلا يتبعه منهم رجل واحد، فنهى الله عن ذلك. وقال الحسن إذا وجد غيره فهو واسع.

ذكروا عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يفيض المال ويظهر العلم ويكثر التجار[2]. قال الحسن: لقد أتى على الناس زمان وما يقال إلا تاجر بني فلان، وكاتب بني فلان، ما يكون في الحي إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد.

قوله: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ ولا تملوا ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ يعني الحق ﴿صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ﴾ أي أعدل ﴿عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي أصوب للشهادة ﴿وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ أي أجدر ألا تشكوا في الحق والأجل والشهادة إذا كان مكتوباً. قال: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ أي حالة ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ ليس فيها أجل ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي حرج ﴿أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ يعني التجارة الحاضرة.

قوله: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ أي أشهدوا على حقكم، كان فيه أجل أو لم يكن فيه أجل. ذكروا عن الحسن أنه قال: نسخها (فَإِنْ آمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً) [البقرة: 283]. قال الحسن: فأنا أشك، ذكر الكتاب وحده أو ذكر الكتاب والشهادة بغير كاتب. ذكروا عن ابن عمر أنه كان إذا اشترى بنقد أو بنسئة أشهد عليه.

قوله: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾. قال بعضهم: لا يجيء يقيمه في حال شغله. وقال بعضهم: هي في الكاتب والشاهد يدعوهما إلى الكتاب والشهادة عند البيع، ولهما حاجة فيشغلهما عن حاجتهما، يضارّهما بذلك، وهو يجد غيرهما،

(1) الحِواء: بيوت متدانية مجتمعة من الناس على ماء.

(2) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ متشابهة وبزيادة ونقصان في كتاب الفتن وأشراط الساعة عن أبي هريرة.

فيقول لهما: قد أمركما الله بالشهادة، فلْيَدَعْهما لحاجتهما، وليلتمس غيرَهما. وقال مجاهد: لا يُقامُ عن شغله وحاجته في نفسه أو يخرج.

قال: ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا ﴾ أي تضاروا الكاتب والشهيد ﴿ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ أي معصية لكم. وبلغنا عن عطاء أنه قال قال: هي في الوجهين جميعاً: إذا دعي لِيُشهَد أو لِيَشهَد بما عنده من الشهادة.

قال: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ ﴾ أي فاتقوا الله ولا تعصوه فيهما.

قال: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَـٰنٌ مَقْبُوضَةٌ ﴾.

ذكروا أن شريحاً والحسن قالا: الرهن بما فيه. ذكروا عن علي بن أبي طالب قال: يترادان الزيادة والنقصان.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الرهن لا يغلق من صاحبه الذي رهنه، له غنمه وعليه غرمه[1].

ذكروا عن جابر بن زيد وأبي عبيدة أنهما قالا: إن كان بأقل مما فيه فهو بما فيه، وإن كان بأكثر مما فيه فإنه يرد الفضل.

قوله: ﴿ فَإِن أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ﴾ يعني فإن كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق، فلم يرتهن منه في السفر لثقته به وحسن ظنه بوفاء الذي عليه، قال: ﴿ فَلْيُؤَدِّ الذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ أي ليؤد الحق الذي عليه إلى صاحبه ﴿ وَلْيَتَّقِ اللهَ

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك، وأخرجه الدارقطني، ج 3 ص 32 عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً، وإسناده حسن متصل ولفظه: «لا يغلق الرهن من صاحبه الذي رهنه، له غنمه وعليه غرمه». وانظر بحثاً قيماً في هذا الموضوع عند الجصّاص، أحكام القرآن ج 2 ص 265، وفي تفسير القرطبي ج 3 ص 413. وغَلَقُ الرهن أو غلوقه هو أن يملك المرتهن ما تحت يده من الرهن عندما يحل الأجل ولا يجد الغريم ما يسدد به الدين فيفك الرهنَ. وانظر البغوي، شرح السنة ج 8 ص 184-186.

رَبَّهُ ﴾. وكان الحسن يقول: نسخت هذه الشهادة، أو قال: الكتابَ والشهادة[1].

قوله: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ أي عند الحاكم، إذا دعي إليها فليُقِمها على وجهها. ﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا ﴾ فلا يشهد إذا دعي إليها ﴿ فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي من كتمان الشهادة وإقامتها ﴿ عَلِيمٌ ﴾.

ذكر الحسن قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: قال رسول الله ﷺ: لا يمنعَنَّ أحدَكم مخافةُ الناسِ أن يقول الحق إذا شهده أو علمه[2].

ذكروا عن الحسن عن النبي عليه السلام مثل ذلك. قال الحسن: أما والله ما هو بالرجل يوانب[3] السلطان. ولكن الرجل تكون عنده الشهادة فيشهد بها.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسْأَلَهَا[4].

قوله: ﴿ لِلهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرْ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَن يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قال بعض المفسّرين: نزلت هذه الآية فجهدتهم، وكبرت عليهم، فأنزل الله

(1) وقد استدل الشافعي بهذه الآية على أن أمر الله تعالى بالكتابة والإشهاد في آية الدين «دلالةٌ على الحضِّ، لا فرض منه، يَعصي من تركه» فإن الله «أمر به على النظر والاختيار، لا على الحتم». انظر الشافعي، أحكام القرآن، ج 2 ص 126-127.

(2) أخرجه يحيى بن سلام عن المبارك عن الحسن عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، انظر ز، ورقة 41، وأخرجه الربيع بن حبيب عن أبي عبيدة مرسلاً في مسنده، ج 3 ص 11، ما جاء في إنكار المنكر (رقم 789).

(3) كذا وردت هذه الكلمة «يوانب» ولم أهتد لما فيها من تصحيف لأصححها.

(4) حديث صحيح أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده في كتاب الأحكام (رقم 594) من طريق عائشة رضي الله عنها عن النبي عليه السلام قال: «ألا أخبركم بخير الشهداء؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: الذي يأتي بشهادته قبل أن يسأل عنها. وأخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب بيان خير الشهود (1716) عن زيد بن خالد الجهني.

بعدها آية فيها يسر وتخفيف وعافية، فنسختها: (لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا). [البقرة: 386].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن الله تجاوز لأمتي عمَّا حدثت به أنفسَها ما لم تعمل أو تتكلم به(1).

وتفسير مجاهد: (إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُم أَوْ تُخْفُوه)، أي: من اليقين أو الشك.

قوله: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُومِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلَـٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾.

قال الحسن: هذا دعاء أمر الله رسوله والمؤمنين أن يدعوا به.

ذكر بعضهم أنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي سنة، فوضعه تحت العرش، فأنزل الله منه آيتين ختم بها سورة البقرة، لا تقرآن في بيت فيقربـه الشيطان ثلاث ليال: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه. . . إلى آخر السورة(2).

ذكروا عن الحسن قال: كان فيما منّ الله به على النبي عليه السلام: ألم أعلمك خواتم سورة البقرة؟.

قوله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي إلا طاقتها. وهذا في حديث النفس. ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ أي من خير ﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ أي من شر.

---

(1) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حلف ناسياً في الأيمان، وأخرجه مسلم في كتاب الأيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس. . . (127) كلاهما عن أبي هريرة. ورواه يحيى بن سلام عن سعيد عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن أبي هريرة يرفعه.

(2) أخرجه الترمذي والنسائي عن النعمان بن بشير.

قوله: ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَـا إِن نسِينَا ﴾ هذا فيما يتخوّف فيه العبد المأثم، أن ينسى أن يعمل بما أمر به، أو ينسى فيعمل بما نُهي عنه.

﴿ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ هذا فيما يتخوّف فيه العبد المأثم، أن يخطىء فيكون منه أمر يخاف فيه المأثم لم يتعمّده، فوضع الله ذلك عنه، كقوله: (وَلَكِنْ يُواخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) [البقرة: 225] أي: ما تعمّدت فيه المأثم.

قوله: ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ يعني ما كان شدِّدَ به على بني إسرائيل، والإصر العهد، فيما كانوا نهوا عنه. وهذا دعاء أمر الله المؤمنين أن يدعوا به. وقد وضع الله عن المؤمنين ما كان شدّد على بني إسرائيل. فقال: (الذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبيَّ الأُمِّيَّ الذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ) أي يجدونه مكتوباً عند أهل الكتاب في كتابهم (يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وينْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِم الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُم إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ التِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَـئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) [الأعراف: 157] وقال: (وَهَـذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ) [الأنعام: 155] أي اتبعوا ما أحل فيه (وَاتَّقُوا) أي ما حرّم فيه. وكان من ذلك الإصر ما حرّم عليهم من الشحوم، وكل ذي ظفر وأمر السبت، وكل ما عهد إليهم ألا يفعلوه مما أحلّ لنا.

قوله: ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ وهو الوسوسة في تفسير ابن عباس.

ذكروا عن الحسن أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني لأحدث نفسي بالشيء ما يسرّني أني تكلّمت به وأن لي الدنيا. قال: ذلك محض الإيمان(2).

---

(1) روى الإمام أحمد عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ: أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبلي.

(2) أخرج مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها (132) عن أبي هريرة قال: جاء ناس من أصحاب النبي فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدُنا أن يتكلم به. قال: وقد وجدتموه؟ قالوا نعم. قال: ذاك صريح الإيمان. وفي رواية لمسلم=

قوله: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَولَـٰنَا فَـانْصُرْنَـا عَلَى الْقَوْمِ الكَافِرِينَ﴾. قال الحسن: هذا دعاء أمر الله به النبي ﷺ والمؤمنين في هاتين الآيتين: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ. . . إلى آخر السورة. وقد أخبر الله النبي عليه السلام أنه قد غفر له.

= في الباب (133) عن عبد الله قال: سئل النبي ﷺ عن الوسوسة. قال: تلك محض الإيمان.

تفسير سورة آل عِمْرَانَ. وهي مدنية كلها[1].

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ قوله: ﴿ أَلَمّ اللهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ أي الحي الذي لا يموت. قوله: أَلَمّ، قد فسّرناه في أول سورة البقرة[2]. وقال بعضهم: القيّوم: القائم على كل شيء. وهو تفسير مجاهد. وقال الحسن: القائم على كل نفس بكسبها حتى يجازيها.

قوله: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَـٰبَ ﴾ أي القرآن ﴿ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي من التوراة والإنجيل. ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي من قبل القرآن. ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ أي أنزل هذه الكتب جميعاً هدى للناس ﴿ وَأَنْزَلَ الفُرْقَانَ ﴾ أي: أنزل الله الحلال والحرام، فرّق الله في الكتاب بين الحلال والحرام. وقال بعضهم: فرّق الله فيه بين الحق والباطل. وقال بعضهم: الفرقان: القرآن.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا بِئَايَـٰتِ اللهِ ﴾ قال الحسن: بدين الله ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ﴾ في نقمته ﴿ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ من أعدائه.

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الذِي

(1) كذا في مخطوطة د، وفي أصلها المنسوخة منه. وفي ق وع زيادة ذكِر فيها عدد حروف السورة وكلماتها وفيها: «وعدد آياتها مائتا آية ليس في جملتها اختلاف». وهذه الزيادة هي ولا شك من إضافات بعض النساخ المتأخرين، لذلك لم أثبتها. وربما زاد بعض النساخ أحياناً دعاء في عنوان السورة مثلما كتبوا في أول هذه السورة، بعد البسملة: «وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ما دام ظلام الليل».

(2) انظر ما سلف، ص. 78.

يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ أي خلق الله كل إنسان على صورة واحدة، وصوّره كيف يشاء. وهو كقوله: (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ) [الانفطار: 8] ذكر بعض المفسّرين قال: يشبه الرجل الرجلَ ليس بينهما قرابة إلا من قبل الأب الأكبر: آدم.

قوله: ﴿ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ أي العزيز في ملكه وفي نقمته، الحكيم في أمره.

قوله: ﴿ هُوَ الذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ قال بعضهم: المحكم هو الناسخ الذي يعمل به، فأحلّ الله فيه حلاله وحرّم وحرامه، والمتشابه هو المنسوخ الذي لا يُعمل به ويُؤمَن به. وتفسير الكلبي: هو آلّمّ، وآلَر، والمرّ، والمصّ، وأشباه ذلك.

وبلغنا عن أبي حازم عن ابن عباس قال: هو التقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والخاص والعام، وتفسير مجاهد: هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ، يعني ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك فهو المتشابه.

قوله: ﴿ فَأَمَّا الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ﴾ والزيغ: الشك. وتفسير الكلبي أنها في النفر من اليهود الذين دخلوا على النبي عليه السلام: كعب بن الأشرف وأصحابه. وقد فسّرنا ذلك في سورة البقرة[1].

ذكروا عن عائشة أنها قالت: إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية فقال: قد سمّاهم الله لكم؛ فإذا رأيتموهم فاحذروهم.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فقال: أرأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين سمّى الله؛ فإذا رأيتموهم فلا تجالسوهم، أو قال: فاحذروهم[2].

(1) انظر ما سلف من هذا الجزء، ص: 78 - 80.

(2) أخرجه البخاري ومسلم وأصحاب السنن؛ أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة آل =

قوله: ﴿ ابْتِغَاءَ الفِتنة وابْتِغاءَ تَأويلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأوِيلَهُ إلاَّ اللهُ وَالرٰسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾. كان الكلبي يقول: (ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ) أي: ابتغاء الشرك[1] يعني أولئك اليهود. وقال الحسن: (ابْتِغَـاء الفِتْنَةِ) أي: ابتغاء الضلالة، (وابْتِغَاءَ تَأوِيلِهِ)، أي ابتغاء الحرابة[2]. وقال الكلبي: هو ما نظر فيه أولـئك اليهود من ألم وأشباه ذلك، وكانوا حملوه على حساب الجمل، حساب بقاء هذه الأمة ـ زعموا ـ حين التبس عليهم، قال: (وَمَا يَعْلَمُ تَأوِيلَهُ) أي: تأويل ما كتب الله لهذه الأمة من الأكل، (إلاَّ اللهُ)، فقال عند ذلك عبد الله بن سلام والنفر الذين أسلموا من اليهود، وهم الراسخون في العلم: (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا). هذا تفسير الكلبي.

وبلغنا عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أنزل القرآن على أربعة أوجه: حلال وحرام لا يسع الناسَ جهلُهُ، وتفسير يعلمه العلماء، وعربية يعرفها العرب، وتأويل لا يعمله إلا الله، يقول الراسخون في العلم: آمنا به كل من عند ربنا. ذكر بعض المفسّرين قال: نزل القرآن على ستّ آيات: آية مبشّرة، وآية منذرة، وآية فريضة، وآية تأمرك، وآية تنهاك، وآية قصص وأخبار[3].

= عمران من طريق ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة. وأخرجه الطبري في تفسيره ج 6 ص 189-195 بأحد عشر سنداً كلها من طريق ابن أبي مليكة، وليس في أي منها ذكر لابن عباس عن عائشة، أو عن النبي ﷺ مباشرة كما هو مروي هنا. أما يحيى بن سلام فأخرجه بهذا السند: «يحيى عن الحارث بن نبهان عن أيوب عن عبد الله بن أبي مُليكة عن ابن عباس». . كما في ز، ورقة 42.

(1) لم يرتض الطبري هذا التأويل ورد عليه في تفسيره ج 6 ص 197 فقال: «معناه: إرادة الشبهات واللبس».

(2) كذا في ق و ع و د: «الحرابة». ولم أفهم للحرابة هنا معنى، ولعلها تصحيف لكلمة لم أهتد إليها. وللفظ التأويل هنا معنيان ذكرهما المفسّرون، فالتأويل يكون بمعنى التفسير، ويكون بمعنى العاقبة المنتظرة، وما يؤول إليه الشيء.

(3) جمهور الأمة، ومنهم الإباضية، يقفون عند لفظ الجلالة من قوله تعالى: «وما يعلم تأويله إلا الله»، «والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا» جملة مستأنفة. روى عن أبي =

قوله: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَـٰبِ ﴾ أي أولو العقول، وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ ﴾. قال الحسن: هذا دعاء أمر الله المؤمنين أن يدعوا به. وقال الكلبي: هم النفر الذين أسلموا من اليهود: عبد الله بن سلام وأصحابه. وقد فسّرناه في الآية الأولى من تفسير الكلبي.

قوله: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾. ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: ليوم لا شك فيه، وهو يوم القيامة: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ المِيعَادَ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ ﴾ أي لن تنفعهم ﴿ أَمْوَٰلُهُـمْ وَلَا أَوْلَـٰدُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَأُولَـٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ أي: حطب النار. هو مثل قوله: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ) [الشعراء: 88].

قوله: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ الدأب: العادة والحال. ﴿ وَالذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللهُ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ يعني ما أهلك به الأمم السالفة حين كذبوا رسلهم.

وقال بعضهم: (كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ)، أي: كفعل آل فرعون والذين من قبلهم. وقال الحسن: هذا مثل ضربه الله لمشركي العرب؛ يقول: كفروا وصنعوا كصنيع آل فرعون (وَالذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الكفار (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ)، وهو عذابه أتاهم حين كذبوا رسله.

= الشعثاء جابر بن زيد وعن أبي نهيك الأسدي أنهما قالا: إنكم تصلون هذه الآية وهي مقطوعة: وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا؛ فانتهى علمهم إلى قولهم الذي قالوا. انظر السيوطي، الدر المنثور ج 2 ص 6، وانظر تلخيصاً مهماً أورده القرطبي في الموضوع في تفسيره، ج 4 ص 16، واقرأ كذلك ملخص رسالة قيمة لشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية أوردها الشيخ محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره: محاسن التأويل ج 4 ص 8-53. واقرأ كذلك كلاماً نفيساً لأبي المعالي الجويني وذكره ابن القيم في كتابه: اعلام الموقعين، ج 4 ص 311.

قال: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِيسَ المِهَادُ﴾ أي: بيس الفراش. وقال في آية أخرى: (لَهُمْ مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) [الأعراف: ٤١] وقال في آية أخرى: (لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) [الزمر: ١٦]؛ وهو واحد كله. وقال الحسن: فهزمهم الله يوم بدر وحشرهم إلى جهنم(1).

قوله: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ﴾ وهما فئتا بدر، فئة المؤمنين، وفئة مشركي العرب في تفسير الحسن ومجاهد وغيرهما. فقال: ﴿ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ يعني النبي عليه السلام وأصحابه ﴿ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ يعني المشركين ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ العَيْنِ ﴾. قال الحسن: يقول: قد كان لكم أيها المشركون آية في فئتكم وفئة رسول الله ﷺ وأصحابه إذ ترونهم مثليهم رأى العين لمّا أراد الله أن يُرعب قلوبهم [ويخذلهم](2) ويخزيهم، وكان مع رسول الله ﷺ الملائكة وجبريل، بما أراد الله(3).

وقال الكلبي: لما هزم الله المشركين يوم بدر قالت اليهود: هو والله النبي الذي ذُكِر لنا؛ لا والله لا تُرفع له راية إلا أظفره الله عليها؛ فقال بعضهم لبعض: اتبعوه ترشدوا وتفلحوا. وتربّصوا به إلى يوم أحد؛ فلمّا نكب أصحاب رسول الله ﷺ شكّت اليهود وارتابوا. فأنزل الله: (قَدْ كَانَ لَكُم آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا)... إلى آخر الآية.

قال: ﴿ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَّشَاءُ ﴾ قال بعض المفسّرين: أي: ما أيّد به رسول الله من الملائكة ومن نصره. ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الأَبْصَـٰرِ ﴾ أي مُتفكَّراً(4) لأولي العقول، وهم المؤمنون.

---

(1) كذا في ز: «وحشرهم»... وفي ق و ع و د: «فذلك حشرهم إلى جهنم».
(2) زيادة من ز، ورقة 43.
(3) كذا في ق و ع و د: «بما أراد الله» أي: لمّا أراد الله أن يرعب قلوبهم ويخذلهم ويخزيهم بما أراد.
(4) كذا في ز: «متفكراً»، وهو أصح، وفي ق و ع و د: «المعرفة». وفي المخطوطات الثلاث بعض النقص في تفسير الآية.

قوله: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَـٰطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾.

ذكروا عن الحسن أنه قال: القنطار ألف دينار ومائتا دينار[1]. وقال بعضهم: ثمانية آلاف مثقال من ذهب أو فضة. وقال بعضهم: القناطير المقنطرة المال الكثير، بعضه على بعض.

وقال بعضهم: الخيل المسوّمة، سيماها، يعني غرّها وتحجيلها. وقال الحسن: الراعية[2]. قال وهي مثل قوله: (شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) [النحل: 100] أي: ترعون. وقال بعضهم: هي من السيما مثل قوله: (مُسَوِّمِينَ) [سورة آل عمران: 125] أي معلمين. وقوله: (ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَـاةِ الدُّنْيَا)، والمتاع ما يُستمتع به ثم يذهب. ﴿ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ ﴾ أي: حسن المرجع، أي الجنة للمؤمنين.

قوله: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيرٍ مِّنْ ذَالِكُمْ ﴾ أي من هذا الذي ذكر من متاع الحياة الدنيا. ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحتِهَا الأَنْهَـٰرُ ﴾. ذكروا عن أنس بن مالك قال: أنهار الجنة تجري في غير خدود: الماء واللبن والعسل والخمر؛ وهو أبيض كله؛ فطينة النهر مسك أذفر، ورضراضه الدر والياقوت، وحافاته قباب اللؤلؤ.

قوله: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي لا يموتون ولا يخرجون منها.

---

(1) اختلف المفسرون في أصل كلمة القنطار ووزنها؛ فذهب بعضهم إلى أن الكلمة دخيلة معرّبة، وقال آخرون إنها عربية خالصة. واختلفوا في مقداره، فقال بعضهم: هو قدر لم يحدّه العرب، وقال الكلبي: هو ملء مَسك ثور من ذهب أو فضة. وقد وردت أحاديث رفعها أبو هريرة وأنس بن مالك في القنطار منها قوله عليه السلام: القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية. انظر مجاز أبي عبيدة، ج 1 ص 88، ومعرب الجواليقي ص 317-318.

(2) في ق و ع: «المسرجة»، وفي د: «الممرغة» ولم أهتد إلى ما في الكلمتين من تصحيف فأثبت ما جاء في ز، ورقة 43: «الراعية»، وهو الصحيح. وهو من سامت الخيل أو الماشية فهي سائمة وسوائم إذا رعت، وأسمتها وسوّمتها تسويماً فهي مسوّمة إذا أرعيتها.

قوله: ﴿ وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ أي مطهّرة من الاثم والأذى. قال الحسن: ومن مساوىء الأخلاق.

ذكروا عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ في نساء أهل الجنة: لا يحضن ولا يلدن ولا يمتخطن ولا يبلن ولا يقضين حاجة إلا حاجة ليس فيها قذر(1).

قوله: ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾. ذكروا عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: إذا أدخل الله أهل الجنة الجنة ورأوا ما فيها قال لهم: لكم عندي أفضل من هذا. قالوا: ربنا ليس شيء أفضل من الجنة. قال: بلى، أُحِلّ عليكم رضواني(2).

قوله: ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ أي: واصرف عنا عذاب النار.

قوله: ﴿ الصَّٰبِرِينَ ﴾ صبروا صبراً على طاعة الله وعن محارمه ﴿ وَالصَّٰدِقِينَ ﴾ قال بعضهم: صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وألسنتهم، فصدقوا في السر والعلانية. ﴿ وَالْقَٰنِتِينَ ﴾ وهم المطيعون لله. ﴿ والْمُنْفِقِينَ ﴾ وهم المنفقون أموالهم في حقها. ﴿ والمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ وهم أهل الصلاة(3).

قال الحسن: هل يستوي هؤلاء والكفار؟ أي أنهم لا يستوون عند الله، يعني

(1) انظر ما سلف من هذا الجزء ص: 22، وانظر الطبري في تفسيره ج 1 ص 359، وتفسير ابن كثير ج 1 ص 110.

(2) في المخطوطات الثلاث: بلى، أَجَل، لكم رضواني، وهو تصحيف صوابه ما أثبته، والحديث متفق على صحته، رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري؛ رواه البخاري في كتاب الرقائق، باب صفة الجنة ولفظه: . . . قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك فيقول: أُحِلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً.

(3) وقع في ق، و ع، و د اضطراب في تفسير هذه الآية بالتقديم والتأخير صححته وجعلت كل لفظ مع ما يناسبه حسبما جاء في ز.

الذين وصفهم الله في الآية الأولى في قوله: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ. . . إلى آخر الآية. ثم قال هَل أُونَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ، ثم ذكر هذه الأعمال الصالحة.

قوله: ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَـٰئِكَةُ وأُولُو العِلمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ ﴾. فيها تقديم وتأخير. يقول: شهد الله أنه لا إلـه إلا هو قائماً بالقسط، أي بالعدل، وشهد الملائكة وشهد أولو العلم، وهم المؤمنون. ﴿ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ العزيز في ملكه، بعزته ذلّ من دونه. وبعضهم يقول: العزيز في نقمته، الحكيم في أمره.

قوله: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ ﴾ هو كقوله: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: 85]. قال: ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَـٰبَ ﴾ وكانوا على الإسلام ﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً ﴾ أي حسداً ﴿ بَيْنَهُمْ وَمن يَكْفُرْ بِئَايَـٰتِ اللهِ ﴾ من بعدما جاءته، أي جاءهم ما عرفوا فكفروا به. ﴿ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ يعني عذابه؛ إذا أراد أن يعذبهم لم يؤخرهم عن ذلك الوقت؛ هذا في تفسير الحسن. وقال مجاهد: يعني إحصاءه عليهم[1].

قوله: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ ﴾ أي: أخلصت ﴿ وَجْهِيَ ﴾ أي ديني ﴿ لِلهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ أي من اتبعني أسلم وجهه لله. ﴿ وَقُل لِلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَـٰبَ وَالأُمِّيِّينَ ﴾ يعني مشركي العرب، وكانت هذه الأمة أمية ليس لها كتاب من السماء تقرأه، حتى أنزل الله القرآن. ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ يقول: أأخلصتم لله، أي أقررتم وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة؟ على الاستفهام. قال: ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَد اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ عن ذلك ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلَـٰغُ ﴾ أي في الحجة تقيمها عليهم. ﴿ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ أي بأعمال العباد، بصير بهم.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ يَكْفُرُونَ بِئَايَـٰتِ اللهِ ﴾ يعني بدين الله في تفسير الحسن. وقال بعضهم يقول: بالقرآن. ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيـينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الذِينَ يَأْمُرُونَ

---

(1) في ق و ع و د: أحصاه. وفي تفسير الطبري، ج 6 ص 279: «قال: إحصاؤه عليهم».

بِالقِسْطِ ﴾ أي بالعدل ﴿ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي موجع.

ذكر بعض المفسّرين قال: ذكر لنا أن عيسى لما رفع انتخبت بنو إسرائيل أربعة من فقهائهم فقالوا للأول: ما تقول في أمر عيسى؟ فقال: هو الله، هبط إلى الأرض، فخلق ما خلق، وأحيى ما أحيى، ثم صعد إلى السماء؛ فتابعه على ذلك أناس من الناس، فكانت اليعقوبية من النصارى. فقال الثلاثة الآخرون: نشهد إنك كاذب. فقالوا للثاني: ما تقول في أمر عيسى؟ قال: هو ابن الله؛ فتابعه على ذلك أناس من الناس، فكانت النسطورية من النصارى؛ فقال الاثنان: نشهد إنك كاذب. فقالوا للثالث: ما تقول في عيسى؟ فقال: هو إلـه وأمه إلـه، والله إلـه. فتابعه على ذلك أناس من الناس. فكانت الإسرائيلية من النصارى؛ فقال الرابع: أشهد إنك كاذب، ولكنه عبد الله ورسوله، ومن كلمة الله وروحه، فاختصم القوم، فقال المسلم: أناشدكم الله، هل تعلمون أن عيسى كان يطعم الطعام(1)؟ فقالوا: اللهم نعم. قال: فهل تعلمون أن عيسى كان ينام والله لا ينام؟ قالوا: اللهم نعم. فخصمهم المسلم فاقتتل القوم. وذكروا لنا أن اليعقوبية ظفرت يومئذ، وأصيب المسلمون، فأنزل الله: (إِنَّ الذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الذينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).

﴿ أُولَئِكَ الذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾ وهذه الأصناف في كتاب الله في ثلاثة مواضع؛ قال الله: (لَقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ) [المائدة: 17 و72]. وقال: (وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ المَسِيحُ ابْنُ اللهِ) [التوبة: 30] وقال: (لَقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ) [المائدة: 73]. فهذه الأصناف الثلاثة موصوفة في هذه المواضع التي سمّينا من كتاب الله.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ اللهِ

(1) سياق المعنى يقتضي أن يزاد هنا: «والله لا يطعم الطعام» ولكن هذا غير موجود في ق، وع، ولا في د.

لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾. يعني أهل الكتاب في تفسير الحسن. وقال غيره: هم اليهود خاصة. دعاهم رسول الله ﷺ إلى المحاكمة إلى كتاب الله، وأعلمهم أن الكتاب الذي أنزله الله عليه موافق لكتابهم الذي أنزل عليهم، فتولوا عن ذلك وأعرضوا عنه.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَٰتٍ﴾ عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل[1]، يعني به أوليهم ـ وقد فسّرناه في سورة البقرة[2] ـ، ثم رجع الكلام إليهم فقال: ﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [أي يختلقون][3] على الله فيه الكذب. قال بعض المفسّرين: هو قولهم: (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) [المائدة: 18].

قوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي لا شك فيه، وهو يوم القيامة، لا شك أنه كائن. ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ أي جزيت كل نفس ﴿ مَا كَسَبَتْ ﴾ أي ما عملت من خير أو شر ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾. فأما المؤمن فيُوفّى حسناته في الآخرة، وأما الكافر فيجازى بها في الدنيا وله في الآخرة عذاب النار. وهو كقوله: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَـوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا) وهو الكافر لا يريد إلا الدنيا، لا يقرُّ بالآخرة. قال: (نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ) أي حسناتهم (فِيهَا) أي في الدنيا (وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) أي: لا ينقصون (أُولَـٰئِكَ الذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [هود: 15-16]. وكقوله: (مَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ) يوم القيامة (كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيَاحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ) [إبراهيم: 18].

قوله: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَـٰلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ

(1) في ق وع ود: «عدد أيام العجل الذي عبدوه فيها أربعين ليلة». وما أثبته من ز أسلس عبارةً مع وضوح المعنى.
(2) انظر ما سلف ص: 120.
(3) زيادة من ز ورقة 44.

تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قال الحسن: أمر الله رسوله أن يدعوه فيعطيه ملك فارس والروم، ويرد ذلّ العرب عليهما؛ أمره بذلك وفي حكمه أن يستجيب له ويعطيه ذلك. وهكذا منازل الأنبياء عندهم؛ إذا أمرهم بالدعاء في شيء أو على قومهم استجاب دعاءهم.

وقال بعضهم: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته، فأنزل الله هذه الآية: قُل اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلك تُؤتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ... إلى آخر الآية.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: تقاتلون جزيرة العرب فيفتح الله عليكم، وتقاتلون فارس فيفتح الله عليكم، وتقاتلون الروم فيفتح الله عليكم، وتقاتلون الدجال فيفتح الله عليكم[1]. وكان عقبة بن نافع يحلف بالله لا يخرج الدّجّال حتى تفتح الروم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إذا مات كسرى فلا كسرى بعده، وإذا مات قيصر فلا قيصر بعده[2].

قوله: ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْـلِ ﴾ وهو أخذ كل واحد منهما من صاحبه. وقال بعضهم: نقصان الليل في زيادة النهار ونقصان النهار في زيادة الليل.

قوله: ﴿ وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ ﴾. قال مجاهد: هي النطفة والحبة؛ يخرج من النطفة الميتة الخلق الحي، ويخرج من النبات

(1) لم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من مصادر التفسير والحديث.

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري ومسلم عن جابر بن سمرة وعن أبي هريرة، أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ بلفظ: إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله. وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت، من البلاء. (2918، 2919).

الحي الحبة اليابسة. وقال بعضهم: والبيضة مثل ذلك. وقال في آية أخرى: (إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ والنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ). [الأنعام: 95]. وهذا موافق لقول مجاهد. وقال الحسن وغيره: يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن. ﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي لا ينقص ما عند الله، أي بغير محاسبة منه لنفسه في تفسير الحسن.

قوله: ﴿ لَا يَتَّخِذِ المُومِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ [يعني في النصيحة][1] مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ وَمن يَّفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَيَةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ﴾ أي عقوبته.

وقال بعضهم: ويحذركم الله نفسه، أي ويحذركم الله منه، ويحذركم الله إياه. ﴿ وَإِلَى اللهِ المَصِيرُ ﴾.

قال بعضهم: تقيّة الرحم من المشركين، من غير أن يتولوهم في دينهم، إلا أن يصل الرجل رحماً له من المشركين[2].

وقال غيره: هذا رجل صار في أيدي المشركين فأعطاهم بلسانه ما ليس في قلبه حتى يجعل الله له مخرجاً.

ذكر أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر[3] قال: أخذ المشركون عمار بن

(1) زيادة من ز ورقة 44.
(2) هذا قول قتادة رواه بسند أبو جرير الطبري في تفسيره ج 6 ص 316.
(3) هو أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، كما ورد اسمه صحيحاً في المخطوطات ق، و ع، و د، و ز، لا كما جاء خطأً في تفسير ابن كثير ج 4 ص 228، فأبو عبيدة اسم لا كنية؛ وهو حفيد عمار بن ياسر. قال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب، ص: 406 في الحديث عن عمار وأبنائه: «وعمّار بدري، مهاجر، معذَّب في الله ـ عز وجل ـ؛ وابناه: سعد، ومحمد، ابنا عمار، قتَل محمداً المختارُ؛ وابنُ ابنِه أبو عبيدة بن محمد من العلماء بالنسب. . .».
وكان أبو عبيدة هذا راوياً، ذكره الطبري في تاريخه مراراً. ومن الذين رووا عن أبي عبيدة ابن محمد بن عمار محمدُ بن إسحاق، صاحب السيرة.

ياسر فلم يدعوه حتى سبَّ رسول الله ﷺ، وذكر آلهتَهُم بخير، [ثم تركوه][1]. فلما أتى النبي ﷺ قال: ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله، والله ما تُركتُ حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير. قال: فكيف تجد قلبك؟ قال: أجده مطمئناً بالإيمان. قال: فإن عادوا فعد[2].

قوله: ﴿ قُلْ إنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ ﴾ أي تظهروه ﴿ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلت مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً ﴾ هٰذا المؤمن. قال بعضهم: (مُحْضَراً) أي: موفَّراً مكثَّراً[3]. ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَو أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً ﴾ فلا يجتمعان أبداً ﴿ وَيُحَذِّرُكُم اللهُ نَفْسَهُ ﴾ أي عقوبته ﴿ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ أي رحيم. أما المؤمن فله رحمة الدنيا والآخرة، وأما الكافر فرحمته في الدنيا ما رزقه الله فيها، وليس له في الآخرة إلا النار.

قوله: ﴿ قُل إنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُم اللهُ ﴾ قال الحسن: جعل محبةَ رسوله محبتَه، وطاعته طاعتَه؛ فقال: (مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾ [النساء: 80] وقال: (إنَّ الذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبايِعُونَ اللهَ) [الفتح: 10].

قوله: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تولَّوْا ﴾ أي عن دينه ﴿ فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الكافِرِين ﴾.

قوله: ﴿ إنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً ﴾ أي: اختار آدم ونوحاً للبلاغ عن الله

---

(1) زيادة من ز، ورقة 44.

(2) حديث صحيح أخرجه ابن سلام عن الفرات بن سلمان عن عبد الكريم الجزري عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار وأخرجه ابن جرير الطبري مختصراً عن ابن عبد الأعلى عن محمد ابن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار عند تفسير قوله تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَن أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ... الآية) [النحل: 106].

(3) في ق و ع و د: «موفّراً مكنوزاً» وأثبت ما جاء في ز، ورقة 44: «موفّراً مُكثّراً».

الرسالة ﴿ وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ يعني إبراهيم وولده وولد ولده ﴿ وَءَالَ عِمْرانَ عَلَى العَـٰلَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ﴾ قال بعض المفسّرين: أي في النية والإخلاص والعمل الصالح والتوجيه له. ﴿ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ إِذْ قَالَت امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا في بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾. قال مجاهد: محرراً للمسجد يقوم عليه[1].

قال الحسن: ألهمت ذلك حتى علمت أنه لله رِضاً، فنذرت وسألت الله أن يتقبل ذلك منها.

وقال بعضهم: كانت امرأة عمران حررت لله ما في بطنها. وكانوا يحررون الذكور. وكان المحرَّر إذا حُرِّر يكون في المسجد لا يبرحه، يقوم عليه ويكنسه. وكانت المرأة لا يُستطاع أن يُصنعَ ذلك بها لِما يصيبها من الأذى، يعني الحيض[2].

قوله: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ وهي تقرأ على وجه آخر: والله أعلم بما وضعتُ. فمن قرأهابالسكون، فهو من قول الله، ومن قرأها بالرفع، فهو من قولها. قال: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَىٰ ﴾.

قال الكلبي: كانت امرأة عمران قد دخلت في السّن، ولم يكن لها ولد، فحملت، فجعلت ما في بطنها محرّراً لبيت المقدس. ولم يكن يحرّر في ذلك الزمان إلا الغلمان، فحرّرته قبل أن تعلم ما هو، فقال لها زوجها: ويحك ما صنعت؟ أرأيت لو كان أنثى، وعورة المرأة ما قد علمت، ما تصنعين؟ فلم تزل في همّ مما قال لها زوجها حتى وضعت، فقالت: (رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا

---

(1) أورد ابن جرير الطبري الخبر في تفسيره ج 6 ص 331 من عدة طرق بلفظ «محرراً للكنيسة» تارةً، ومحرراً للبيعة تارة أخرى، ولم يرد في أي رواية له لفظ «المسجد» كما هو هنا.

(2) جاء في ق، و ع، و د بعد «يعني الحيض» ما يلي: «فعند ذلك قالت وليس الذكر كالأنثى». ولا وجه لهذه الجملة هنا، لأن قولها هذا كان بعد الوضع عندما علمت أنها وضعت أنثى.

وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَىٰ). فلفّتها في خرقة ثم أرسلت بها إلى المسجد، مسجد بيت المقدس، فوضعتها فيه، فتنافسَها الأحبار بنو هارون.

قال مجاهد: حين دخلت عليهم قال لهم زكرياء، وهو يومئذ رأس الأحبار: أنا أحقكم بها؛ عندي أختها، فذروها لي. فقالت الأحبار: لو تركت لأقرب الناس إليها لتركت لأمها التي ولدتها؛ ولكنا[1] نقترع عليها، فهي لمن خرج سهمه. فاقترعوا عليها بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها الوحي، فقرعهم زكرياء فضمَّها إليه، واسترضع لها، حتى إذا شبت بنى لها محراباً في المسجد، فجعل بابه في وسطه، لا يرتقى إليها إلّا بسلّم، ولا يأمن عليها أحداً غيره.

وقال الحسن: لم يسترضع لها ولم تلقم ثدياً قط، أنبتها الله بغير رضاع. قال الكلبي: وكانت امرأة زكريا أيضاً عاقراً قد دخلت في السّن، وزكرياء شيخ كبير، فهنالك طمع زكرياء في الولد.

قوله: ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَـٰنِ الرَّجِيمِ ﴾ أي أن يضلّها وإياهم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: كل بني آدم يطعنه الشيطان في جنبه حين تلده أمه إلا عيسى بن مريم، ذهب يطعن فطعن في الحجاب[2]. وقال بعضهم: أرأيتم هذه الصرخة التي يصرخها حين تلده أمه، فإنها منه. وذكروا عن بعضهم قال: كل آدمي طعن الشيطان في جنبه إلا عيسى وأمه، جعل بينهما وبينه حجاب، فأصابت الطعنة الحجاب، ولم ينفذ إليها بشيء.

قوله: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ أي:

(1) كذا في ق و ع، و د، ولـكنا، وفي ز: ولا كنا، ولكليهما وجه.
(2) أخرجه البخاري ومسلم والحديث الذي يليه من عدة طرق وبألفاظ متشابهة عن النبي ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة آل عمران، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام (رقم 2366).

ضمّها زكرياء في تفسير من خفّف قراءتها، ومن ثقّل قراءتها يقول: وكفّلها اللهُ زكريا، بنصب زكرياء.

قوله: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً ﴾ ذكر بعضهم قال: كان يجد عندها فاكهة الصّيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف. ﴿ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ﴾ أي: من أين لك هذا. ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَّشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

قال الله: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً [أي تقيّةً][1] إنك سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ فاستجاب الله له ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَـٰئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ أي في المسجد. فبينما هو قائم يصلي إذا هو برجل قائم، عليه ثياب بيض، قائم مقابله، وهو جبريل عليه السلام؛ فناداه وهو قائم يصلي في المحراب: ﴿ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ ﴾. والكلمة عيسى عليه السلام.

قوله: (يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى) قال بعض المفسّرين: أحياه الله بالإيمان. (مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ الله)، يعني عيسى على سنته ومنهاجه.

قال: ﴿ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّـٰلِحِينَ ﴾. قال بعض المفسّرين: السيد الحسن الخلق، والحصور الذي لا يأتي النساء، يقول: حصر عنهن فلا يستطيعهن[2]. وقال بعضهم: سيد بالعبادة والحلم والورع. والحصور الذي لا يأتي النساء. وقال مجاهد: السيد هو الكريم على الله.

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ ﴾ أي كيف يكون ﴿ لِي غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي

---

(1) زيادة من ز ورقة 45.

(2) الصحيح الذي عليه المحقّقون من المفسرين أنه لا يأتي النساء تعفّفاً لا عجزاً، وقيل: «إنه يحصر نفسه عن الشهوات» وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن 62:1: «والحصور أيضاً: الذي لا يخرج سرّاً أبداً».

عَاقِرٌ ﴾ أي لا تلد. قال الحسن: أراد أن يعلم كيف وهب ذلك له وهو كبير، وامرأته كبيرة عاقر. وإنما ذلك بمنزلة قول إبراهيم: (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَىٰ) [البقرة: 260]. أراد أن يزداد علماً.

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً ﴾ أي: إلا إيماء. فعوقب، فأخذ عليه بلسانه في تفسير الحسن. وقال غيره: فجعل لا يفيض الكلام إلا ما أومأ إيماء.

وقال بعضهم: إنما عوقب لأن الملائكة شافهته مشافهة، فبشّرته بيحيى مشافهة، فسأل الآية بعدما شافهته الملائكة. فقال الله: (ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً) أي إلا إيماء. قال مجاهد: بالشفتين. وقال الكلبي: بالشفتين والحاجبين واليدين.

قوله: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ وَالإبْكَارِ ﴾ يعني الصلاة.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ المَلَـٰئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ ﴾ أي اختارك لدينه، ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ من الكفر في تفسير الحسن(1). وقال مجاهد: جعلك طيبة إيماناً(2). ﴿ وَاصْطَفَيكِ عَلَىٰ نِسَاءِ العَـٰلَمِينَ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: كفاك من نساء العالمين بأربع: مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد(3).

(1) وقال يحيى بن سلام في كتابه التصاريف ص 193: «من الفاحشة والاثم. ذلك أن اليهود قذفوها بالفاحشة».

(2) وردت هذه الكلمة هكذا في د: «أيّما» مضبوطة بياء مشددة، وبدون ضبط في ع. وما أثبته هو الصحيح.

(3) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده، وابن حبان وصححه، وأخرجه الترمذي، كلهم يرويه من طريق قتادة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ.

قوله: ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾. قال مجاهد: أطيلي الركوع في الصلاة، أي القيام في الصلاة. ﴿ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّكِعِينَ ﴾. قال الحسن: هي الصلوات: فيها القنوت، وهو طول القيام، كما قال مجاهد، وفيها الركوع والسجود[1].

قوله: ﴿ ذَلِكَ مِن أَنْبَاءِ الغَيْبِ ﴾ أي من أخبار الغيب، أي الوحي ﴿ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾ أي عندهم ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ ﴾ أي يستهمون بها ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ أي أيّهم يضمّها إليه.

قال بعض المفسّرين: كانت مريم بنت إمامهم وسيّدهم، فتشاحّ عليها بنو إسرائيل فاقترعوا فيها بسهامهم أيّهم يضمّها إليه، فقرعهم زكرياء، وكان زوج أختها.

قوله: ﴿ إِذْ قَالَتِ المَلَٰئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ[2] مِّنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ قال الحسن: مُسِحَ بالبركة. ﴿ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ ﴾ أي عند الله يوم القيامة.

بلغنا عن عبد الله بن سلام قال: إذا كان يوم القيامة ووضع الجسر على جهنم، جاء النبيّون على مراكزهم، فيكون أولهم مركز نوح، وآخرهم مركز محمد عليه السلام. فيجيء المنادي [فينادي][3]، أين محمد وأمته؟ فيقدمون حتى يأخذوا الجسر، فينجو النبي والصالحون، ويسقط من يسقط. فإذا جازوا تلقتهم الملائكة ينزلونهم منازلهم على يمينك ويسارك. ثم ينطلق بمحمد فيستأذن في دار الله، أي الجنة، فيؤذن له، فيوضع له كرسي عن يمينه. ثم يجيء المنادي فينادي: أين عيسى وأمته؟ فيقدمون حتى يأخذوا الجسر، فينجو النبي والصالحون،

(1) وفي تفسير الطبري ج 6 ص 402 رواية عن مجاهد: «كانت تصلي حتى ترم قدماها».

(2) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 93: «(بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ): الرسالة، هو ما أوحى الله به إلى الملائكة في أن يجعل لمريم ولداً». وقال: «(الوَجِيهُ): الذي يشرُف، ويكون له وجه عند الملوك».

(3) زيادة لا بد منها ليستقيم الكلام.

ويسقط من يسقط. فإذا جازوا تلقّتهم الملائكة ينزلونهم منازلهم على يمينك وعلى يسارك. ثم يأتي عيسى فيستأذن فيؤذن له، ويوضع له كرسي عن يساره، ثم النبيّون كذلك حتى يكون آخرَهم نوح صلى الله عليهم أجمعين.

قوله: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ ﴾ أي في حجر أمه ﴿ وَكَهْلاً ﴾. والكهل ما زاد على ثلاثين سنة في تفسير الكلبي. وقال بعضهم: الكهل منتهى الحلم. وقال الحسن وغيره. يكلّمهم صغيراً وكبيراً[1].

﴿ وَمِنَ الصَّـٰلِحِينَ ﴾. فعلمت بذلك أن الله رزقها إياه، فأرادت أن تعلم كيف ذلك فـ ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾ أي كيف يكون لي ولد ﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾.

قال: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الكِتَـٰبَ ﴾ يعني الخط ﴿ وَالحِكْمَةَ ﴾. قال بعضهم: الحكمة السنة، وقال بعضهم: الفهم والعلم. ﴿ وَالتَّوْرَىٰةَ وَالإِنْجِيلَ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِئَايَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ﴾ [أي أصور][2] ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ أي كشبه الطير ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونَ طَيراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ ﴾ ذكروا عن الحسن أنه قال: الأكمه هو الأعمى. وقال بعضهم: هو الأعمى الذي ولدته أمه مطموس العينين. ﴿ وَأُحْيِي المَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

قال الكلبي: كان يقول لبني إسرائيل: إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طائراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله، فقالوا: ما نرى الذي تصنع إلا سحراً، فأرنا آية نعلم أنك صادق. قال: أرأيتم إن أخبرتكم بما أكلتم في بيوتكم قبل أن تخرجوا، وما ادّخرتم من الليل، أتعلمون أني صادق؟ قالوا: نعم. فأخذ يقول للرجل: أكلت كذا وكذا، وشربت كذا وكذا، ورفعت كذا وكذا؛ فمنهم من يقبل ويؤمن، ومنهم من ينكر.

(1) كذا في ق و ع و د، وفي ز: «(وَكَهْلًا) كبيراً، أي: ويعلّمهم كبيراً».
(2) زيادة من ز، ورقة 45.

وقال مجاهد: وأنبئكم بما أكلتم البارحة، وبما خبأتم في بيوتكم.

وقال: بعضهم: كان القوم لما سألوا المائدة وكانت خواناً ينزل عليهم أينما كانوا ثمراً من ثمار الجنة، فأمروا أن لا يخونوا منه ولا يخبئوا ولا يدخروا لغد؛ فكانوا إذا فعلوا شيئاً من ذلك أنبأهم عيسى بما صنعوا.

قوله: ﴿ وَمُصَدِّقاً بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ الذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾.

قال بعض المفسّرين: كان الذي جاء به عيسى أيسر[1] مما جاء به موسى؛ أحلّت لهم في الإنجيل أشياء كانت عليهم في التوراة حراماً. كان حرم عليهم لحوم الإبل والثروب[2]، فأحلّها لهم عيسى، ومن السمك ما لا حرشفة[3] له، ومن الطير ما لا صيصة[4] له، في أشياء حرّمها الله عليهم، فجاء عيسى بتخفيف منه في الانجيل.

قال: ﴿ وَجِئْتُكُمْ بِئَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أي: هذا طريق مستقيم إلى الجنة، وهو دين الإسلام.

قوله: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ ﴾ قال الحسن: لما علم أنهم قد أجمعوا على قتله ﴿ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ ﴾ [أي: مع الله][5] ﴿ قَالَ الحَوَارِيُّونَ ﴾ وهم أنصاره. وقال بعضهم: الحواريون أصفياء الأنبياء. ﴿ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ ءَامَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ فقاتلوهم فأظهره الله عليهم فأصبحوا

---

(1) كذا في ق و ع و د: «أيسر»، وفي ز ورقة 45: «ألين».

(2) الثُّروب: جمع ثَرْب، وهو الشحم الرقيق الذي يغشى الكرش والأمعاء.

(3) الحرشف: صغار كل شيء، وحراشف السمك فلوس السمك، وهو ما على ظهرها، انظر اللسان: (حرشف).

(4) الصيصة والصيصية الشوكة التي تكون في أرجل بعض الطيور كصيصة الديك.

(5) أثبت هذه العبارة في هذا المكان كما جاءت في ز. وقد جاءت في ق و ع و د في آخر الآية.

ظاهرين. ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّـٰهِدِينَ ﴾. أي: بما جاء عيسى أنه حق.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لكل نبي حواريون، وأنا حواري تسعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن مظعون(1).

قوله: (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) أي مكروا بقتل عيسى، ومكر الله بهم فأهلكهم، ورفع عيسى إليه، فوصف كيف مكر بهم فقال: ﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَـٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ وهذه وفاة الرفع في قول الحسن فيما أحسب. وفيها تقديم، أي: رافعك ومتوفيك بعدما تنزل. قال: ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي في النصر وفي الحجة ﴿ إِلَى يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ ﴾ والذين اتبعوه محمد ﷺ وأهل دينه، اتبعوا دين عيسى، وصدّقوا به.

وقال بعضهم: هم أهل الإسلام الذين اتبعوه على فطرته وملّته وسنّته، ولا يزالون ظاهرين على أهل الشرك إلى يوم القيامة. وهو قوله: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) [الأعراف: 167] أي: شدة العذاب، وهي الجزية. وقال بعضهم: بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منه في ذل إلى يوم القيامة(2).

(1) أخرج البخاري ومسلم والترمذي عن جابر بن عبد الله حديثاً مرفوعاً قال النبي ﷺ: لكل نبي حواري وحواريّ الزبير. انظر مثلاً صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل طلحة والزبير (2415) ولم أجد هذا الحديث الذي يعد تسعة حواريين من جلّة أصحاب رسول الله ﷺ فيما بين يدي من كتب التفسير والحديث.

(2) أولئك عرب الأمس، أصحاب النبي عليه السلام ومن اهتدى بهديه. أما عرب اليوم فهم في ذل من اليهود، لأن جل العرب نبذوا كتاب الله، وحكّموا في أممهم غير شريعة الله. ولن يغيّر الله حالهم من ذل إلى عـز، ومن انكسار إلى انتصار، حتى يعودوا بالإسلام إلى سالف عهده ويحكّموا شريعة الله فيما بينهم.

قوله: ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾. قال الحسن: حكمه فيهم يوم القيامة أن يعذب الكافرين ويدخل المؤمنين الجنة.

قوله: ﴿ فَأَمَّا الذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ أما في الدنيا فهو ما عذب به الكفار من الوقائع والسيف حين كذبوا رسلهم، وأما في الآخرة فالنار. ﴿ وَمَا لَهُم مِّنْ نَّصِرِينَ ﴾ قال: ﴿ وَأَمَّا الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَنُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ أي الجنة ﴿ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ ﴾ أي كل ظالم من ظالم مشرك، وظالم منافق، وهو ظلم فوق ظلم، وظلم دون ظلم.

قوله: ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَٰتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ﴾ أي المحكم، وهو كلام مثنى[1] في قول الحسن.

قوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾.

قال الكلبي: لما قدم نصارى نجران[2] قالوا: يا محمد، أتذكر صاحبنا؟ قال: من صاحبكم؟ قالوا: عيسى بن مريم، أتزعم أنه عبد؟ فقال لهم نبي الله ﷺ: أجل، هو عبد الله. فقالوا: أرِنا في خلق الله عبداً مثله فيمن رأيت أو سمعت به. فأعرض عنهم نبيُّ اللهِ يومئذ. ونزل جبريلُ عليه السلام فقال: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).

﴿ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِّنَ المُمْتَرِينَ ﴾ أي: من الشاكّين. وقال بعضهم: فلَا تَكُنْ مِّنَ المُمْتَرِينَ. أي: لا تكن في شك مما قصصنا عليك في شأن عيسى.

---

(1) كلام مثنى أي: مكرر، انظر الفراء، معاني القرآن 418:20، وانظر اللسان: ثنى.

(2) قصة وفد نجران مذكورة في كتب التفسير والحديث مختصرة ومطولة، وقد جرت سنة تسع للهجرة، انظر الآثار التي وردت فيها عند البخاري مثلاً. كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، انظر ابن حجر، فتح الباري، ج 8 ص 93. وانظر الواحدي، أسباب النزول ص 98-99، وتفسير ابن كثير ج 2 ص 46-52.

قال: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ ﴾ أي في عيسى ﴿ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَـٰذِبِينَ ﴾.

قال الكلبي: ثم عادوا إلى النبي عليه السلام فقالوا: هل سمعت بمثل صاحبك؟ قال: نعم. قالوا: من هو؟ قال: آدم، خلقه الله من تراب ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. قالوا: إنه ليس كما تقول. فقال لهم رسول الله ﷺ: (تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَاوَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ)، أي نتلاعن، (فَنَجْعَل لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ). أي: منا ومنكم. قالوا: نعم، نلاعنك. فخرج رسول الله ﷺ آخذاً بيد علي وفاطمة والحسن والحسين؟ فهمّوا أن يلاعنوه؛ ثم نكثوا، وعلموا أنهم لو فعلوا لوقعت اللعنة عليهم، فصالحوه على الجزية.

وقال بعضهم: ذكر لنا أن نبي الله دعا وفد نجران من النصارى، وهم الذين حاجّوه، فنكصوا وأبوا. فذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال: لقد كاد العذاب أن ينزل على أهل نجران. والذي نفسي بيده لو فعلوا لاستؤصلوا عن جديد الأرض[1].

وذكر لنا أن سيدي أهل نجران وأسقفهم لقيا نبي الله فسألاه عن عيسى فقالا له: كل آدمي له أب، فما شأن عيسى لا أب له؟ فأنزل الله: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ المُمْتَرِينَ... إلى آخر الآية. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لقد كاد العذاب يُدلَى على أهل نجران[2].

قوله: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾. قوله: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أي عما جاء به النبي عليه السلام ﴿ فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالمُفْسِدِينَ ﴾ أي بالمشركين. والمفسدون في هذا الموضع هم المشركون.

(1) روى ابن جرير الطبري هذا الحديث عن قتادة مرسلاً. وجديد الأرض وجِدّها: وجه الأرض.

(2) وفي رواية: «والذي بعثني بالحق لو قالا: لا، لأمطر عليهم الوادي ناراً».

قوله: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَـٰبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي عدل بيننا وبينكم، وهي لا إلـه إلا الله. ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا ﴾ يعني النبي والمؤمنين ﴿ اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

ذكر بعض المفسّرين قال: ذكر لنا أن نبي الله دعا يهود أهل المدينة إلى كلمة السواء لما أنزل الله (قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ. . . . إلى آخر الآية). وهم الذين حاجوا في إبراهيم، وزعموا أنه مات يهودياً، فأكذبهم الله ونفاهم منه فقال: يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ. . . الآية.

أما قوله: (وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللهِ) فقد ذكروا أن عدي[1] بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: يا عديّ، ألق هذا الوثن من عنقك. قال: وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة حتى انتهى إلى هذه الآية: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُم أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ). . . [التوبة: 31] فقلت: إنا لا نتخذهم أرباباً من دون الله. فقال النبي عليه السلام: أليسوا يحلّون لكم ما حرّم الله عليكم فتستحلونه، ويحرّمون عليكم ما أحلّ الله لكم فتحرّمونه؟ قلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم[2].

قوله: ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَيٰةُ وَالإِنْجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾. قال الحسن: وذلك أنهم نحلوه أنه كان على دينهم،

(1) هو عدي بن حاتم الطائي الذي يضرب بوالده المثل في الكرم. وفد على النبي ﷺ سنة سبع فأسلم، وحسن إسلامه، فكان النبي، عليه السلام يكرمه ويقرّب مجلسه. وقد منّ الرسول عليه السلام على أخته، ابنة حاتم، لما وقع عليها السباء في سبايا طيء. اقرأ قصّتها وقصة إسلامه في سيرة ابن هشام ج 4 ص 578-581، وفي تاريخ الطبري، ج 3 ص 112، وانظر طرفاً من أخباره في كتب التراجم، انظر مثلاً الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3 ص 109.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن عدي بن حاتم، وابن جرير الطبري في تفسيره ج 14 ص 210 وانظر الدر المنثور، ج 3 ص 230.

فقالت اليهود ذلك، وقالت النصارى ذلك، فكذبهم الله جميعاً وأخبر أنه كان مسلماً. ثم احتج عليهم أنه إنما أنزلت التوراة والإنجيل من بعده. وقال بعضهم: وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده، أي: إنما كانت اليهودية[1] بعد التوراة، والنصرانية بعد الإنجيل؛ أفلا تعقلون.

قوله: ﴿هَـٰأَنْتُمْ هَـٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ قال الحسن: يقول: حاججتم فيما كان في زمانكم وأدركتموه ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ أن إبراهيم لم يكن نصرانياً ولا يهودياً ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرٰهِيمُ يَهُودِياً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَـٰكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال مجاهد: برأه الله من اليهودية ومن النصرانية حين ادَّعت كل أمة أنه منهم[2] وألحق به المؤمنين من كانوا من أهل الحنيفية.

قوله: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وسمعوه ﴿وَهَـٰذَا النَّبِيُّ﴾ محمد ﴿وَالذِينَ ءَامَنُوا﴾ كلهم به، وذلك أن دينهم واحد، وفيه ولاية الله الذي يتولى المؤمنين. قال الله: ﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْمُومِنِينَ﴾.

وذكر بعضهم قال: الذين اتبعوه، أي: على مِلَّته، وهذا النبي محمد، والذين آمنوا، وهم المؤمنون الذين صدقوا نبي الله واتبعوه.

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه حدّث عن ليلة أسري به فكان في حديثه أنه أتى على إبراهيم في السماء السابعة فإذا أمتي عنده شطران: شطر عليهم ثياب بيض، وشطر عليهم ثياب رمد؛ فخرج الذين عليهم الثياب البيض، وحبس الذين عليهم

---

(1) في ق و ع: «إنما كانت اليهود... والنصارى»، وسقط قول الحسن وقول بعضهم من د، والصحيح ما أثبته من ز ورقة 46: «اليهودية... والنصرانية».

(2) في ق، و ع، و د: «حين ادعى كل أحد أنه منهم». وأثبت ما جاء في ز، ورقة 46: «حين ادعت كل أمة أنه منهم»، وهو موافق لما جاء في تفسير الطبري ج 6 ص 491، بعد تصحيح المحقّق.

الثياب الرمد، فقلت: من هؤلاء يا جبريل، قال: هؤلاء الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وكل إلى الخير، ثم قيل لي: هذه مَنزلتك ومنزلة أمتك، ثم تلا هذه الآية: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ المُومِنِينَ)[1].

قوله: ﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَـٰبِ ﴾ يعني من لم يؤمن منهم ﴿ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ ﴾ أي بما يودّون من ذلك، لأن الذي يودّون من ذلك ضلال وكفر ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾.

ثم أقبل عليهم فقال: ﴿ يَـٰأَهْـلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِئَايَـٰتِ اللهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ أي أنها آيات الله وأنه رسوله، يعني بذلك خاصة علمائهم. وقال بعضهم: وهم يشهدون أن نعت محمد في كتابهم، ثم يكفرون به وينكرونه.

قال الحسن: ثم قال: ﴿ يَـٰأَهْـلَ الكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ﴾ أي لِمَ تخلطون ﴿ الحَقَّ بِالبَاطِلِ ﴾ أي تلبسون الإسلام باليهودية والنصرانية في تفسير الحسن وغيره، وذلك لما حرفوا من التوراة والإنجيل بالباطل الذي قبلوه عن الشيطان. ﴿ وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قال الحسن: تعلمون أن محمداً رسول الله وأن دينه حق. وقال غيره: كتموا محمداً وهم يجدونه مكتوباً عندهم.

قوله: ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا بِالذِي أُنْزِلَ عَلَى الذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ ﴾ أي آمنوا بمحمد وجه النهار ﴿ وَاكْفُرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

قال الكلبي: كتبت يهودُ خيبرَ إلى يهود المدينة أن آمنوا بمحمّد أوّل النهار واكفروا آخره، أي: واجحدوا آخره، ولَبِّسوا على ضَعَفَة أصحابه حتى تشكّكوهم في دينهم، فإنهم لا علم لهم، ولا دراسة يدرسونها، لعلّهم يرجعون عن محمد وعمّا جاء به.

---

(1) أخرجه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي سعيد الخدري، وأخرجه ابن جرير الطبري من حديث أبي هريرة في أحاديث الإسراء.

وقال مجاهد: صلّت اليهود مع النبي أول النهار صلاة الصبح، وكفرت آخره، مكراً منهم، ليرى الناس أنه قد بدت لهم [منه][1] الضلالة بعد أن كانوا اتبعوه.

وقال بعضهم: وجه النهار: أول النهار، صلاة الصبح. لعلهم يرجعون؛ أي: يَدَعون دينهم ويرجعون إلى الذين أنتم عليه.

قوله: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ يقوله بعضهم لبعض، أي: ولا تصدِّقوا إلا لمن تبع دينكم فأخذ به. ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللهِ ﴾ أي إن الدين دين الله، وهو الإسلام. قال: ﴿ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴾ إنما قالوا لأصحابهم اليهود؛ قال يهود خيبر ليهود المدينة: (لَا تُومِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ)، فإنه لن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ ﴾ بمثل دينكم أحد ﴿ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾. فقال الله: (قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللهِ)، وقال: ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ ﴾ وفضل الله الإسلام ﴿ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي واسع لخلقه، عليم بأمرهم. ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ ﴾ أي: بدينه وهو الإسلام ﴿ مَن يَشَاءُ ﴾ وهم المؤمنون ﴿ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾.

وقال بعضهم: يقول لليهود: لما أنزل الله كتاباً مثل كتابكم وبعث نَبيّاً مثل نبيّكم [حسدتموهم على ذلك][2]. ثم قال للنبي عليه السلام: (قُلْ: إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُوتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).

وقال مجاهد: أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم؛ تقوله اليهود حسداً أن تكون النبوة في غيرهم، وأرادوا أن يُتَابَعوا على دينهم[3].

---

(1) زيادة من تفسير مجاهد ص 128؛ وعبارة مجاهد: «مكراً منهم ليُروا الناسَ أنه قد بدت لهم منه الضلالة».

(2) زيادة يقتضيها سياق الكلام، وهي موجودة في تفسير الطبري ج 6 ص 514، والقول لقتادة.

(3) وردت هذه العبارة مضطربة في المخطوطات؛ ففي ق، و ع، و د: «أن يثبتوا على دينهم»، =

قوله: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الكِتَـٰبِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ يعني من آمن منهم. قال بعضهم: كنا نُحَدَّثُ أن القنطار مائة رطل من الذهب، أو ثمانون ألفاً من الورق. قال: ﴿ وَمِنْهُم مَّن إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ﴾ بالطلب، أي إلا ما طلبته واتَّبعته. قال الكلبي: إن سألته حين تعطيه إياه رده إليك، وإن أنظرته به أياماً ذهب به.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّـينَ سَبِيلٌ ﴾. قال الحسن: يعنون بالإميـين مشركي العرب. قالوا: إنما كانت لهم هذه الحقوق وتجب لنا، وهم على دينهم، فلما تحوّلوا عن دينهم الذي بايعناهم عليه لم يثبت لهم علينا حق. وقال: بعضهم: قالت اليهود: ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل، أي إثم.

قال الله: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ﴾ أي يقولون لأصحابهم هذا كذباً على الله(1). ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم كاذبون.

قوله: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ ﴾ قال الكلبي: يقول: من كان [وفيا بعهده](2) فأدوا إليه الأمانة. وقال الحسن: بلى من أدّى الأمانة وآمن ﴿ فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً ﴾. هم أهل الكتاب كتبوا كتباً بأيديهم، وقالوا هذا من عند الله، فاشتروا به ثمناً قليلاً، أي عرضاً من الدنيا يسيراً، وحلفوا لهم أنه من عند الله. وكان ما ادّعوا من قولهم: ليس علينا في الأميـين سبيل ما اشتروا به من عند الله وأيمانهم ثمناً قليلاً.

= وهو تصحيف صوابه من تفسير الطبري ج 6 ص 512: «أن يُتَّبَعوا» أو: «أن يتابعوا على دينهم» كما في تفسير مجاهد ص 129.

(1) في ق وع: «أي لأصحابهم هذا كذب». وفي د: «أي أصحابهم هذا كذب». وكلتا العبارتين خطأ صوابهما ما أثبته؛ ومعناه: يقول اليهود لأصحابهم هذا القول: (لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ)، يقولونه كذباً على الله؛ فأكذبهم الله وأخبر بقيلهم هذا.

(2) زيادة يقتضيها السياق، وفي ق وع ود: «من كان فأدوا إليه الأمانة».

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال أخيه المسلم لقي الله وهو عليه غضبان[1]. قال عمر: إن ذلك لفي كتاب الله: (إِنَّ الذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً)... إلى آخر الآية.

ذكروا عن الحسن أنه قال: ذكرت الكبائر عند النبي عليه السلام فقال: فأين تجعلون اليمين الغموس[2].

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: إذا رأيتم الرجل يريد أن يحلف في يمين وجبت عليه، فاقرأوا عليه هذه الآية: إِنَّ الذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً... إلى آخر الآية.

قوله: ﴿أُولَـٰئِكَ لاَ خَلَـٰقَ لَهُمْ فِي الأَخِرَةِ﴾ [أي لا نصيب لهم من الجنة][3] ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ﴾ أي بما يحبون، وقد يكلّمهم ويسألهم عن أعمالهم. ﴿وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ﴾ نظر رحمة ﴿وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: ولا يطهّرهم من ذنوبهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَـٰبِ لِتَحْسِبُوهُ مِنَ الْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: حرّفوه عن مواضعه وجعلوه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً.

وقال بعضهم: حرّفوا كتاب الله وابتدعوا فيه، وزعموا أنه من عند الله، ثم احتج

---

(1) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، وفي كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿إن الذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً﴾... عن عبد الله بن مسعود، وذكر سبب ورود الحديث في قصة الأشعث بن قيس.

(2) ترجمه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين الغموس، وفيه عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس». وإنما سمّيت غموساً لأنها تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار. وورد في بعض الأحاديث: اليمين الغموس تدع الديار بلاقع.

(3) زيادة من ز ورقة 47.

عليهم بهذا لقولهم: إن عيسى يَنبغي أن يُعبَد، وإنهم ـ زعموا ـ قَبِلوا ذلك من عند الله، وهو في كتابهم ـ زعموا ـ الذي نزل من عند الله. فقال الله ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوءَةَ ﴾ كما آتى عيسى ﴿ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِّنْ دُونِ اللهِ ﴾ أي اعبدوني من دون الله، يقول: لا يفعل ذلك من آتاه الله الكتاب والحكم والنبوءة ﴿ وَلَـٰكِنْ ﴾ يقول لهم: ﴿ كُونُوا رَبَّـٰنِيِّـينَ ﴾ أي علماء فقهاء في تفسير الحسن وغيره. وفي تفسير مجاهد: ولكن كونوا حكماء فقهاء ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ أي تقرأون[1].

﴿ وَلَا يَأْمُرَكُم أَنْ تَتَّخِذُوا المَلَـٰئِكَةَ وَالنَّبِيـينَ أَرْبَاباً ﴾ أي من دون الله. ﴿ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ على الاستفهام، أي لا يفعل ذلك.

ذكروا عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: تعلّموا القرآن وعلّموه الناس، وتعلّموا العلم وعلّموه الناس، وتعلّموا الفرائض وعلّموها الناس، ألا إنه يوشك أن يختلف الرجلان في الفريضة فلا يجدان أحداً يفصل بينهما[2].

ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: اغد عالماً أو متعلّماً، ولا تكن فيما بين ذلك،

---

(1) يبدو أن المؤلف، بإيراده أحاديث تعليم القرآن وفضل العلم، اختار قراءة تُعَلِّمون الكِتَاب، بضم التاء وتشديد اللام، وهي قراءة قرأ بها ابن مسعود والكوفيون وابن عامر. وقد علّل أبو علي الفارسي القراءتين أحسن تعليل وأوضح وجوه البيان في كل منهما. انظر الفارسي، الحجة، ج 2 ص 373.

(2) انظر ما مضى في هذا الجزء، ص 71. وأحاديث تعلم القرآن وتعليمه كثيرة في أبواب فضائل العلم من كتب السنة والتفسير، فلتراجع في مواضعها؛ ففي الصحيحين مثلاً عن معاوية عن النبي ﷺ قال: مـن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ورواه أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في مسند الربيع بن حبيب (رقم 25) وأخرج البخاري عن عثمان ابن عفان قال قال رسول الله ﷺ: خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه. وفي رواية له: إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه. انظر ابن حجر، فتح الباري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ج 9 ص 74-77 (رقم 5027-5028).

فإن ما بين ذلك جهل. وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع[1].

ذكروا عن أبي الدرداء قال: ألا حبذا العالم والمتعلم، ولا تكن الثالث فتهلك.

ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: تعلّموا العلم قبل أن يقبض، فإن ذهاب العلم أن يُقبَضَ أهلُه، وإن أحدكم سيحتاج إلى غيره أو يُحتاج إليه، فإنكم ستجدون قوماً يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والبدع والتنطّع، وعليكم بالعتيق[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم؛ فقال زياد بن لبيد: يا رسول الله، أيرفع العلم ونحن نقرأ القرآن أبناؤنا ونساؤنا؟ فقال: ثكلتك أمك. قد كنت اعدّك من فقهاء المدينة؛ أوليس كتاب الله عند اليهود والنصارى فما أغنى عنهم؟ إن ذهاب العلم ذهاب العلماء[3].

قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ قال بعضهم: أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم ﴿ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّنْ كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ يعني محمداً عليه السلام ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾.

قال الحسن: هذا ميثاق أخذه الله على الأنبياء في محمد، ما خلا محمداً

(1) هذه الجملة الأخيرة من كلام ابن مسعود ألفاظ حديث رواه أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ؛ انظر مسند الربيع بن حبيب، باب في العلم وطلبه وفضله. (رقم 19).

(2) هذا كلام نفيس، وتوجيه سديد من ابن مسعود رضي الله عنه؛ فليت شبابنا من طلاب العلم الديني خاصة يتدبّرون معانيه، ويحملون أنفسهم على العمل بمقتضاه. فالعلم الحقيقي النافع هو ما أخذ من العتيق أوّلاً.

(3) رواه أحمد وابن ماجه بزيادة ونقصان وبألفاظ متشابهة، انظر سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم (رقم 4048).

فإنه لا نبي بعده، ولكنه قد أخذ عليه أن يصدّق بالأنبياء كلهم ففعل. فـ ﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ ﴾ فأقروا بذلك كلهم ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ أي ميثاقي. وقال مجاهد وغيره: عهدي. ﴿ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّـٰهِدِينَ ﴾ يقول الله: أنا شاهد معهم وعليم بما أعطوا من الميثاق والإقرار. ﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ أي فمن كفر بعد ذلك ﴿ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾.

قال بعضهم: هذا ميثاق أخذه الله على الأنبياء أن يصدّق بعضهم بعضاً، وأن يبلّغوا كتاب الله ورسالاته إلى عباده، وأخذ ميثاق أهل الكتاب فيما بلّغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد ويصدّقوا به. فقال: (فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ)، أي بعد الميثاق والعهد (فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ).

قوله: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ ﴾ أي تطلبون. ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰـوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾. قال الحسن: (وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰـوَاتِ). ثم انقطع الكلام، فقال: (وَالأَرْضِ)، أي: ومن في الأرض طوعاً وكرهاً؛ يعني طائعاً وكارهاً. [وقال الحسن: قال رسول الله ﷺ: والله][1] لا يجعل الله من دخل في الإسلام طوعاً كمن دخله كرهاً. قال بعضهم: لا أدري أراد المنافق أو الذي قوتل عليه[2]. وفي تفسير عمرو عن الحسن أنه قال: الذي قوتل عليه[2]. وقال بعض المفسّرين: أما المؤمن فأسلم طائعاً فنفعه ذلك وقُبِل منه، وأما الكافر فأسلم كارهاً فلم ينفعه ذلك ولم يُقبل منه.

قوله: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰـعِيلَ وَإِسْحٰـقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾، يعني يوسف وإخوته الاثني عشر ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَى وَالنَّبِيُّـونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾. قال الحسن: هذا ما

(1) زيادة من ز، ورقة 48. والحديث أورده يحيى بن سلام بدون سند، ولم أجده فيما بين يدي من المصادر.

(2) في ق و ع: «قَبِل عليه»، وفي د: قُتِل عليه، وفي ز: «قوتل عليه» وهذا الأخير هو أحق بالصواب إن شاء الله؛ أي بعد قتال وحذَر السيف.

أخذ الله على رسوله، وذلك ليعلم أنه لا نبيّ بعده، ولم يؤخذ عليه ما أخذ على الأنبياء في قوله: (ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُومِنُنَّ بِهِ).

قوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَـٰسِرِينَ﴾ أي خسر نفسه فصار في النارِ وخسر أهله من الحور العين. وتفسير ذلك في سورة الزمر[1].

قوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ ذكر عن عمرو عن الحسن قال: هم أهل الكتاب، يعني عامّتهم، وقد أسلم الخاصة منهم. كان أصل أمرِ أهل الكتاب الإيمان، فكفروا به وحرّفوا كتاب الله.

ثم قال: ﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾ يعني محمداً، خاصة من يدرس ذلك ويعلمه منهم ﴿وَجَاءَهُمُ البَيِّنَـٰتُ﴾ يعني الكتاب الذي فيه البيّنات والحجج ﴿وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ﴾ يعني من لا يهديه الله منهم.

وقال بعضهم عن الحسن: هم أهل الكتابين: اليهود والنصارى، أقرّوا بنعت محمّد في كتابهم، وشهدوا أنه حق، فلما بعثه الله من غيرهم كفروا به. وقال مجاهد: هو رجل من بني عمرو بن عوف كفر بعد إيمانه[2].

قال: ﴿أُولَـٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالمَلَـٰئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يعني بالناس المؤمنين خاصة. ﴿خَـٰلِدِينَ فيها﴾ أي في تلك اللعنة وثوابها، لأن ثوابها

(1) يشير إلى قوله تعالى من سورة الزمر: 15 ﴿قُلْ إِنَّ الخَاسِرِينَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾... الآية.

(2) روى ابن جرير الطبري ج 6 ص 73 عن مجاهد قال: جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي ﷺ، ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه، فأنزل الله فيه القرآن: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا الذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. قال فحملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه، فقال الحارث: إنك والله ما علمت لصدوق، وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك، وإن الله عز وجل لأصدق الثلاثة وقال: فرجع الحارث فأسلم وحسن إسلامه. وانظر أسباب النزول للواحدي ص 109-110.

النار، وهو كقوله: (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ـ أي عن القرآن ـ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ القِيَامَةِ وِزْراً خَالِدِينَ فِيهِ) [طه: 100-101] أي في ثواب ذلك الوزر الذي حملوه. قوله: ﴿ لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ أي ولا هم يؤخرون بالعذاب.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ قال الحسن: هم أهل الكتاب، كانوا مؤمنين ثم كفروا. ﴿ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً ﴾ أي ماتوا على كفرهم ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ أي لن يَقْبل الله إيمانهم الذي كان قبل ذلك إذا ماتوا على كفرهم. ﴿ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ وقال بعضهم: هم اليهود كفروا بالإنجيل، ثم ازدادوا كفراً حين بعث النبي عليه السلام فأنكروه وكذبوا به.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت مفتدياً به؟ فيقول: نعم، يا رب. فيقال له: قد سئلت أيسر من ذلك(1).

قوله: ﴿ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي موجع. ﴿ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ أي ينصرونهم من عذاب الله.

قوله: ﴿ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ قال الحسن: يعني الزكاة الواجبة. ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: إيتاء المال على حبه أن تنفق وأنت صحيح شحيح تأمل الحياة وتخشى الفقر.

قوله: ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ ﴾ يعني الصدقة ﴿ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ أي يحفظه لكم حتى يجازيكم به.

---

(1) حديث متفق على صحته؛ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب من طريق سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك، وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً، من طرق عن أنس بن مالك (2805).

قوله: ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

ذكر سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان يعقوب اشتكى عرق النسا[1] فكان له بالليل زقاء كزقاء الديك، فحرّم ذلك العرق على نفسه من كل دابة. وقال الحسن: حرّم لحوم الإبل. وقال بعضهم: وألبانها. وقال بعضهم: كل الطعام كان حِلاً لهم إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه. فلما أنزل الله التوراة حرّم عليهم أشياء وأحلّ لهم أشياء. وكان الذي حرّم إسرائيل على نفسه أن الأنساء أخذته ذاتَ ليلة فأسهرته، فقال: لئن شفاه الله لا يطعم نسا أبداً، فتتبَّعَت بنوه العروق يخرجونها من اللحم.

قوله: (قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُم صَادِقِينَ) أنَّ فيها ما تذكرون أنه حرَّمه عليكم، إنما حرَّم عليكم ما حرّمتم ببغيكم وظلمكم.

قال: ﴿ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ الكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ثم قال: ﴿ قُلْ صَدَقَ اللهُ ﴾ أي أن إبراهيم كان مسلماً ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾ والحنيف في تفسير الحسن: المخلص، وفي تفسير الكلبي: المسلم، وهو واحد. ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ قال الحسن: وضع للناس قبلة لهم. ﴿ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾. قال سعيد بن جبير: بكّت الرجال بالنساء، والنساء بالرجال في الطواف.

وقال بعضهم: إن الله بكَّ به الناس جميعاً، فتصلّي النساء أمام الرجال، ولا يصلح ذلك ببلد غيره[2].

---

(1) النَّسا، بالفتح، مقصور على وزن العصا، عرق في الورك يمرّ بالفخذ ثم العرقوب إلى الكعب، وجمعه أنساء، وفي صحاح الجوهري: نسا: «قال ابن السكيت: هو عرق النسا. قال: وقال الأصمعي: هو النسا، ولا تقل: هو عرق النسا، كما لا يقال عرق الأكحَل...».

(2) بكّ، يُبكّ، بكّة: زحم، وتباكّ الناس: ازدحموا. ويقال: بكَّ عنقه أي دقّ عنقه، وقيل =

ذكر بعضهم قال: البيت وما حوله بكّة، وإنما سمّيت بذلك لأن الناس يتباكّون فيها ويتزاحمون، وأسفل من ذلك مكة.

قوله: ﴿ فِيهِ ءَايَـٰتُ بَيِّنَـٰتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ قال الحسن: إن مقام إبراهيم من الآيات البينات. قوله: ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِناً ﴾.

ذكروا عن الحسن وغيره قالوا: ذلك في جاهليتهم؛ لو أن رجلاً جَرَّ كلَّ جريرة ثم لجأ إلى الحرم، لم يُطلب ولم يُتناول. فأما في الإسلام فإن الحرم لا يمنع من حدّ؛ من قتَل قُتِل، ومن أصاب حداً أقيم عليه.

وفي تفسير عمرو عن الحسن: إن أصاب رجل فيه حدّاً ليس فيه قَوَد ولا رجم أقيم عليه، وإن كان فيه قتل أُخرِج من الحرم فقتل. وأما الحدود كلها دون النفس فتقام عليه في الحرم.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: إذا أصاب الرجل حدّاً ثم لجأ إلى الحرم لم يبايَع ولم يُجالَس، ولم يُؤْوَ حتى يخرج من الحرم؛ فإذا خرج من الحرم أُقيم عليه.

قوله: ﴿ وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾. ذكر الحسن أن رجلاً قال: يا رسول الله، قول الله: (وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ البَيْتِ)، أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت النبي عليه السلام، ثم قال: والذي نفسي بيده، لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما قمتم بها، ولو تركتموها لكفرتم، فذروني ما تركتكم. وزاد فيه بعضهم: فذروني ما تركتكم، فإنما هلك من هلك ممن كان قبلكم بكثرة سؤالهم أنبياءَهم، واختلافهم عليهم[1].

= سميت مكة بكّة لأنها تدقّ أعناق الجبابرة. انظر اللسان: بكّ، واقرأ تحقيقاً لغوياً وافياً للفظ بكّة في تفسير الطبري ج 7 ص 23.

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد وأخرجه أبو داود في المناسك، باب فرض الحج (1721) عن ابن عباس. وأخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك، باب فرض الحج من طرق عن علي، وعن أنس بن مالك وعن ابن عباس (2884، 885، 2886) وأخرجه الدارقطني عن ابن عباس وعن أبي هريرة، انظر سنن الدارقطني ج 2 ص 280-282، وأخرجه مسلم في كتاب الحج، =

وذكر بعضهم مثل ذلك الحديث عن النبي عليه السلام وزاد فيه: إنما هي حجة وعمرة فمن قضاهما فقد قضى الفريضة وقضى ما عليه[1].

قوله: (مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) ذكروا أن رسول الله ﷺ سئل عن قول الله: من استطاع إليه سبيلاً فقال: الزاد والراحلة[2].

قوله: ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾. ذكروا عن عطاء قال: الكفر أن [يقول ليس بفريضة][3] فيكفر به. وذكروا عن الحسن مثل ذلك. وقال بعضهم: (وَمَنْ كَفَرَ)، يعني أهل الكتاب، لأنه ذكر قصّتهم قبل هذه الآية.

قوله: ﴿ قُلْ يَـٰأَهْلَ الكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِئَايَـٰتِ اللهِ وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾ أي: تصدّون من آمن عن سبيل الله. (تَبْغُونَهَا عِوَجاً) أي إنكم تدعون إلى خلاف سبيل الله، وهو العِوَج. ﴿ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ﴾ إنكم تبغونها عوجاً ﴿ وَمَا اللهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ يحذرهم ذلك.

وقال بعضهم: تصدون عن سبيل الله، أي عن الإسلام وعن نبي الله من آمن به وأنتم شهداء على ذلك أي فيما تقرأون من كتاب الله أن محمداً رسول الله وأن الإسلام دين الله.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَـٰبَ ﴾ أي من لم يؤمن منهم ﴿ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ. وَكَيفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمُ

= باب فرض الحج مرة في العمر (1337) عن أبي هريرة. وذكر ابن عباس أن السائل كان الأقرعَ بن حابس.

(1) رواه أحمد وأبو داود والنسائي عن ابن عباس ولفظه: الحج مرة، فمن زاد فهو تطوع.

(2) رواه الترمذي في أبواب الحج، باب ما جاء في إيجاب الحج بالزاد والراحلة، وأخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك، باب ما يوجب الحج (2896) عن ابن عمر مرفوعاً، وروي من طرق أخرى عن أنس وابن عباس وعائشة، ورواه الحسن مرسلاً.

(3) زيادة من ز، ورقة 49.

ءَايَـٰتُ اللهِ ﴾ أي كتابه ﴿ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمن يَّعْتَصِمْ بِاللهِ ﴾ [أي يستمسك بدين الله][1] ﴿ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. أي إلى الجنة.

قال الحسن: اعتصامه بالله اعتصامه بحبله، وهو القرآن.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوماً: أي الخلق أعجب إيماناً؟ قالوا: الملائكة. قال الملائكة في السماء فما لهم لا يؤمنون. أي الخلق أعجب إيماناً؟ قالوا: النبيون. قال: النبيون ينزل عليهم الوحي فما لهم لا يؤمنون. أي الخلق أعجب إيماناً قالوا: أصحابك. قال: أصحابي يرونني ويسمعون كلامي فما لهم لا يؤمنون. أعجب الخلق إيماناً قوم يأتون من بعدكم يجدون كتاباً في رَقٍّ فيؤمنون به[2].

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: حق تقاته أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

[قال قتادة: نزلت هذه الآية فثقلت عليهم، ثم أنزل الله اليسر والتخفيف فقال][1]: (فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا) [التّغابن: 16]، وعليها بايع رسول الله على السّمع والطّاعةِ فِيما استطاعوا.

قوله: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾. قال الحسن: إنما قال واعتصموا بحبل الله لأنه حبل نزل من السماء هبط عليهم، وهو القرآن[3]. قال علي بن أبي طالب: حبل الله القرآن.

قوله: ولا تفرّقوا. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: افترقت بنو إسرائيل على

(1) زيادة من ز ورقة 49.

(2) انظر ما سلف من هذا الجزء ص: 68. وانظر تفسير القرطبي ج 4 ص 171، 173.

(3) يؤيد هذا ما رواه أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض.

سبعين فرقة واحدة في الجنة وسائرهم في النار، ولتفترقن هذه الأمة على إحدى وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسائرهم في النار[1].

قال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي احفظوا واشكروا نعمة الله عليكم ﴿إِذْ كُنْتُم أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإيمان، إذ كانت العرب يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً. ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ أي فصرتم ﴿بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بالإسلام ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُم ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي لكي تهتدوا.

ذكر بعضهم قال: كنتم تذابحون فيها؛ يأكل شديدُكم ضعيفكم، حتى جاء الله بالإسلام، فآخى به بينكم، وألَّف به بينكم.

ذكر لنا أن ابن مسعود قيل له: كيف أصبحتم؟. قال أصبحنا بنعمة الله إخواناً.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أتيتكم وأنتم تهافتون في النار، فأخذت بحُجَزِكم فأخرجتكم منها[2].

وقال الحسن: وكنتم على شفا حفرة النار. أي: من مات مات إلى النار ومن كان حياً كان على ضلالة وشفا، فأنقذكم منها برسوله وبكتابه.

قوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِّنْكُم أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي

---

(1) وردت أحاديث صحيحة في افتراق أمة الإسلام، منها ما رواه ابن ماجه في كتاب الفتن عن أنس بن مالك (3993) وفي آخره: «وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة».

(2) أخرج البخاري في باب الانتهاء عن المعاصي عن أبي هريرة هذا الحديث بلفظ: إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدّوابّ التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيتَقَحّمن فيها، فأنا آخذ بحُجَزِكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها. وأخرجه مسلم في الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته... (2284) عن أبي هريرة.

بتوحيد الله وطاعته. ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي عن الشرك بالله ومعصيته ﴿وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي السعداء.

ذكروا أن عمر بن الخطاب قال في حجّةٍ حجّها ورأى من الناس رِعَةً[1] سيئة فقرأ هذه الآية: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) فقال: يا أيها الناس من سَرَّه منكم أن يَكُون من تلكم الأمّة فليؤد شرط الله فيها.

وتفسير عمرو عن الحسن في قوله: (والمُومِنُونَ والمومِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ) [التوبة: 71] أي: يأمرون بالإيمان بالله وينهون عن كفر به.

ذكروا عن الحسن أنه قيل له: ألا تخرج إلى الامام فتأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر فقال: إنما يُعَلَّم من يُرجى أو جاهل لا يَعْلم، وأما من هو أقرأ منك وأعلم منك، قد وضع سيفه حده وَرَهَفَه يقول: اتّقِني اتّقِني، فما يوقفك فيه[2]؟.

ذكروا عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يحل لمسلم أن يُذِلّ نفسه. قيل: يا رسول الله، وكيف يُذِل نفسه؟ قال: يتعرّض من البلاء لما لا يقوى عليه. ولا يقوم به[3].

ذكر أبو خمصة قال: قال لي أبو هريرة: هل تخشى أن تعيش في قوم لا ينكر خيارهم المنكر؟ قال: قلت: ما أولـئك بخيار. قال: بلى، ولكنَّ أحدَهم يكره أن يُشتَم عرضُه ويُضرَب بَشَرُه.

(1) في ق و ع: «دعة سيئة»، وفي د: «رغبة سيئة» وفي كلٍّ تصحيف صوابه ما أثبته: «رِعة» من الورع، وهو الكف عن القبائح والتحرّج منها. يقال: فلان سيء الرِّعة، أي: قليل الحياء. وقال الأصمعي: الرِّعة الهديُ وحسن الهيئة، أو سوء الهيئة. انظر اللسان: ورع.

(2) في ق و ع: اتقي فيمَا يوقعك فيه، وفي د: اتقي اتقي فما يوفقك فيه. وجاء في تفسير القرطبي ج 4 ص 48: «إنما يكلَّم مؤمن يُرجى، أو جاهلٌ يُعَلَّمُ؛ فأما من وضع سيفه أو سوطه فقال: اتقني اتقني فما لك وله».

(3) لم أجده فيما بين يدي من كتب الحديث، إلا أن القرطبي ذكر في تفسيره أن الحديث رواه ابن لهيعة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر تفسير القرطبي ج 4 ص 48.

قوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾. هم أهل الكتاب. يقول: لا تفعلوا كفعلهم.

ذكروا عن عطاء قال: قال رسول الله ﷺ: لتتبعنّ سَنَنَ الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قيل: يا رسول الله، أهم اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذاً[1]؟.

قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ قد فسّرناه قبل هذا[2]. ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ يعني الجنة، أي: لا يموتون ولا يخرجون منها.

قوله: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ اللَّهِ ﴾ أي هذه آيات الله ﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَٰلَمِينَ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ أي عواقبها في الآخرة.

[قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ يعني بتوحيد الله ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ يعني عن الشرك بالله ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال: أنتم توفّون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله[3]].

---

(1) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب لَتَتْبَعُن سنن الذين من كان قبلكم. ورواه مسلم في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (2669) كلاهما يرويه عن أبي سعيد الخدري.

(2) كذا في المخطوطات الثلاث، ولم أهتد لموضع سبق فيه تفسير الآية حتى أحيل القارىء عليه.

(3) لم يرد ذكر لهذه الآية ولا تفسيرها في ق، و ع، و د؛ ويبدو أن أحد النساخ الأوائل أسقطها سهواً وتبعه في ذلك من جاء بعده. وقد أثبتها بين قوسين معقوفين من ز، ورقة 50. وقول الكلبي الذي يأتي بعد الحديث من تمام تفسير الآية. أما الحديث فصحيح أخرجه أحمد، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد باب صفة أمة محمد ﷺ عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده (4288) وجده هذا هو معاوية بن حيدة بن معاوية القشيري، انظر ترجمة مختصرة عنه =

وقال الكلبي: إن من كان قبل هذه الأمة من الأمم، كانوا يستحلون ظلم من دخل فيهم ممن هو على غير دينهم. فلما بعث الله هذه الأمة جعلهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وجعلهم خير الأمم.

قوله: ﴿ وَلَوءَامَنَ أَهْلُ الكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ ﴾ يعني عامَّتهم. ثم قال: ﴿ مِنْهُمُ المُومِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَـٰسِقُونَ ﴾. يعني من آمن منهم هم المؤمنون، وأكثرهم الفاسقون وهو فسق دون فسق، وفسق فوق فسق. وكان فسق أهل الكتاب شركاً، يعني به الذين ثبتوا على اليهودية والنصرانية.

قوله: ﴿لَن يَّضُرُّوكُمُ إِلَّآ أَذىًّ﴾. أي بالألسنة، في تفسير الحسن وغيره، وأما أنتم فتنصرون عليهم. ﴿ وَإِن يُّقَـٰتِلُوكُمْ ﴾. يقول: وإن ينصبوا لكم الحرب ﴿ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَـٰارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا ﴾ أي: حيثما وجدوا ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ قال مجاهد: إلا بعهد من الله وعهد من الناس ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ ﴾ أي استوجبوا غضباً من الله وغضباً من الناس، أي المؤمنين ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ المَسْكَنَةُ ﴾ يعني ما يؤخذ منهم من الجزية.

قال بعضهم: لا تلقى اليهودي إلا يُنْبِيك أنه مسكين.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِئَايَـٰتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ يعني أوَّليهم، وليس يعني الذين أدركوا النبي عليه السلام. ﴿ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾.

قوله: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ يقول: ليس كل أهل الكتاب كافرين. بل ﴿ مِن أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ أي: بأمر الله، مهتدية. يعني من آمن منهم بالنبي عليه السلام في تفسير الحسن.

= وذكراً لحفيده بهز بن حكيم في الاستيعاب لابن عبد البر ج 3 ص 1415.

وقال غيره: ليس كل القوم هلك، قد كان فيهم بقيّة أمة قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه. وقال مجاهد: أمةٌ عَدْلٌ. ﴿يَتْلُونَ﴾ أي يقرأون ﴿ءَآيَـٰتِ اللهِ ءَانَاءَ الَّيْـلِ﴾ أي: ساعات الليل ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يصلّون. ﴿يُومِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ﴾ [يعني بالإيمان][1] ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ﴾ [يعني عن التكذيب بمحمد][1] ﴿وَيُسَـٰرِعُونَ فِي الخَيْـرَٰتِ﴾ أي الأعمال الصالحة ﴿وَأُولَـٰئِكَ مِنَ الصَّـٰلِحِينَ﴾ وهم أهل الجنة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم وإن قيام الليل قربة إلى الله، وتكفير للسيئات، ومنهاة عن الاثم، ومَطرَدة للداء عن الجسد[2].

قوله: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ يقول: تُجازَون به. هو مثل قوله: (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ) [البقرة: 110]، في تفسير الحسن. وقال غيره: فلن تكفروه، أي: فلن يضل عنكم.

قوله: ﴿إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُم أَمْوَٰلُهُـمْ وَلَاَ أَوْلَـٰدُهُمْ مِّنَ اللهِ شَيْئاً﴾ أي في الآخرة ولو افتدى به، وهو قوله: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَن أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [الشعراء: 88-89]، وكقوله: (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً) [سبأ: 71]. وقال في آية أخرى: (إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ القِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [المائدة: 36]. وقال في آية أخرى: (يَوَدُّ المُجْرِمَ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ) [المعارج: 11-12]

---

(1) زيادة من ز، ورقة: 50.

(2) كذا في د: «للداء عن الجسد» وهو الصحيح، وفي ق و ع: «للداعي الخبيث». أخرجه الترمذي في كتاب الدعاء من جامعه عن بلال بنفس الألفاظ التي وردت هنا. وأخرجه أيضاً من حديث أبي أمامة هكذا: «عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربه إلى ربكم ومَكْفَرَة للسيئات، ومَنْهَاة للاثم.

قال: ﴿وَأُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾.

قوله: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَـٰذِهِ الحَيَـوٰةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِن أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ قال مجاهد: يعني نفقة الكفار. وقال الحسن: نفقة المشركين والمنافقين، يقول: لا يكون لهم في الآخرة منها[1] ثواب، وتذهب كما ذهب هذا الزرع الذي أصابته الريح التي فيها الصّر. والصّر: البرد الشديد في تفسير الحسن ومجاهد وغيرهما.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ﴾ [أي من غير المسلمين][2] ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ [أي: شراً][2] وهي مثل قوله: (وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُومِنِينَ وَلِيجَةً) [التوبة: 16]، في تفسير الحسن[3].

وقال الحسن: نهاهم الله أن يتولوا المنافقين، وقال مجاهد: المنافقين من أهل المدينة. ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: وَدُّوا ما ضَاق بكم، كقوله: (إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا). [آل عمران: 120].

قال: ﴿قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِـمْ﴾ قال: قد ظهرت البغضاء من أفواههم لبغضهم الإسلام ورسول الله والمؤمنين. ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُم أَكْبَرُ﴾ أي في البغض والعداوة، ولم يظهروا العداوة، أسرّوها فيما بينهم، فأخبر الله بذلك رسوله.

وقال بعضهم: قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ، أي إلى إخوانهم من الكفار، من غشّهم الإسلامَ وأهلَه وبغضِهم إياه. وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ، أي: ما تكنّ صدورهم من العداوة والبغض أكبر، أي: أعظم مما أبدوا.

(1) في ق و ع: «منه» عاد الضمير إلى «ما» في قوله تعالى: مثل ما ينفقون، وفي د و ز: «منها»، عاد الضمير إلى «نفقة» في قول الحسن.

(2) زيادة من ز، ورقة 51.

(3) في ق و ع شرح لغوي لكلمة «بطانة» جاء فيه: بطانة الرجل: أهل سره، ومثله الوليجة. وهذا الشرح من زيادة أحد النساخ ولا شك.

قال: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَـٰتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

قوله: ﴿هَـٰأَنْتُم أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾. يقول للمؤمنين: أنتم تحبّون المنافقين [لأنهم أظهروا الإيمان، فأحَبّوهم على ما أظهروا، ولم يعلنوا ما في قلوبهم][1] ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالكِتَـٰبِ كُلِّهِ﴾ أي: وهم لا يؤمنون، وفيها إضمار.

قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ﴾ أي أطراف الأصابع، أي: عداوة لله ولرسوله وللمؤمنين. وقالوا بعضهم: إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، ليس بهم إلا مخافة على دمائهم وأموالهم. وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ، لِمَا يَجِدُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مِّنَ الغَيْظِ والكراهة للذي هم عليه.

قال الله لنبيه: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما في الصدور.

قوله: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ يعني بالحسنة الظهور على المشركين والنصر عليهم. ﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي نكبة من المشركين ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾ في تفسير الحسن.

وقال بعضهم: إِنْ تُصِبْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبكُمْ سَيئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا، أي: إذا رأوا من أهل الإسلام أُلفةً وجماعة وظهوراً على عدوّهم غاظهم ذلك وساءهم، وإذا رأوا من أهل الإسلام اختلافاً وأصيب طرف من أطراف المسلمين سرّهم ذلك وأعجبوا به.

قال: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾، يعني المنافقين، لأنهم لا شوكة لهم إلا بالأذى، ولا يضرّون إلا أذى بالألسنة. ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي بأعمالهم يحفظها حتى يجازيهم بها.

(1) زيادة من ز، ورقة 51.

قوله: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِن أَهْلِكَ ﴾ يعني يوم أُحُدٍ ﴿ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني توطىء[1] المؤمنين ﴿ مَقَـعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

قال بعضهم: غدا نبيُّ الله من أهله إلى أُحُدٍ يبوىء المؤمنين مقاعد للقتال.

قوله: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنْكُم أَنْ تَفْشَلاَ ﴾ وهم بنو حَارِثَة وبنو سَلِمَة[2] حيان من الأنصار، في تفسير مجاهد، فعصمهما الله وكان وليَّهما، [وهو قوله: ﴿ وَاللهُ وَلِيُّهُمَا] وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّل الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

وقال الكلبي: كان بنو حارثة وبنو سلمة همّا أن لا يخرجا مع رسول الله، ثم عزم الله لهما على الرشاد. وقال غيره مثل قوله: هما بنو حارثة وبنو سَلِمة همّوا يوم أحد بأمر فعصمهم الله من ذلك.

وذكر لنا أنهم لما نزلت هذه الآية قالوا: واللهِ ما يسرّنا أنا لم نهُمَّ بالذي هممنا وقد أخبرنا الله أنه وليُّنا. وقال مجاهد: هم بنو حارثة كانوا من نحو أحد، وبنو سلمة كانوا من نحو سلع، وذلك يوم أحد[3].

قوله: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ ﴾ قبل ذلك ﴿ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ يذكرهم نعمته عليهم ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. وكان أصحاب رسول الله يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وكان المشركون ألف رجل؛ وقال بعضهم: تسعمائة وخمسين

(1) كذا في ق وع ود: «توطّىء»، وفي ز: «تُنْزِل» ومعناهما متقارب. يقال: بوّأ القومَ منزلاً، أي اتخذه لهم وهيأه مكاناً لنزولهم. وقيل: معناه: «نزل بهم إلى سند جبل أو قِبَل نهر»، انظر اللسان: بوأ. وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن: «من قولك: بوأتك منزلاً؛ إذا أفدتك إياه وأسكنتكه». وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن، 103:1: «متخذاً لهم مصافّاً معسكراً».

(2) بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن الأوس، بطن من بطون الأوس من الأنصار. وبنو سَلِمة بـن سعد بن علي بن أسد بن سادرة بن تزيد بن جشم بن الخزرج، بطن من بطون الخزرج من الأنصار. انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 332، و 358.

(3) في المخطوطات ق ع و د: «وذلك يوم الخندق» والصحيح ما أثبته، وهو قول اختاره الجمهور. انظر تفسير مجاهد ص 134، وتفسير الطبري ج 7 ص 160-161.

أو قاربوا، فنصرهم الله بألف من الملائكة مردفين أي: متتابعين.

قوله: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ رجع إلى قصة أحد ﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ الْمَلَـٰئِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴾ أي ينزلهم عليهم من السماء. ﴿ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَـٰذَا ﴾ أي من وجههم هذا في تفسير الحسن. وقال مجاهد: أي: من غضبهم هذا. ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ أي مُعلَمين. قال أُمِدّوا بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف.

وقال بعضهم في قوله: (إِنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ) [الأنفال: 9] قال: وثلاثة آلاف منزلين، فصاروا أربعة آلاف. وقال: بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ؛ وعَدَه خمسةَ آلاف [إن جاءوا من ذلك الفور، فلم يجيئوا من ذلك الفور ولم يُمِدّه بخمسة آلاف، وإنما أمدّه بألف مردفين وبثلاثة آلاف منزلين][1] فهم أربعة آلاف، وهم اليوم في جنود المسلمين.

قوله: مسوَّمين، أي: معلَمين. قال مجاهد: بالصوف الأبيض في نواصي خيلهم. وقال بعضهم: كان سيما الملائكة يوم بدر العمائم[2].

وقال بعضهم مسوّمين، أي: عليهم سيما القتال، وذلك يوم بدر. قال: وسيماهم الصوف الأبيض في نواصي خيلهم وأذنابها، وهم على خيل بُلق. وذكر

---

(1) وقع اضطراب في ق، و ع، و د، حول تعداد الملائكة صححته من ز ورقة 51 وجعلته بين قوسين وانظر تفسير الطبري ج 7 ص 173-181. وقد روى الطبري في تفسيره: ج 13 ص 418 بسند عن مجاهد يقول: «ما مُد النبي ﷺ مما ذكر الله غير ألف من الملائكة مردفين. وذكر (الثلاثة) و(الخمسة) بشرى. ما مدوا بأكثر من هذه الألف الذي ذكر الله عز وجل في الأنفال. وأما الثلاثة والخمسة فكانت بشرى».

(2) وفي مغازي الواقدي، 75:1 ما يلي: «كان سيماء الملائكة عمائم قد أرخوها بين أكتافهم خضراً وصفراً وحمراً من نور، والصوف في نواصي خيلهم».

بعضهم أن الخيل البلق لم تر بعد غزوة الأحنف[1].

قوله: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ ﴾ يعني المدد ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ ﴾ أي: ما أنزل من الملائكة تستبشرون بها وتفرحون بها ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴾ أي ولتسكن قلوبكم به ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ ﴾[2].

قوله: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِن الذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ ﴾ قال بعضهم: أي: يخزيهم ﴿ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾. قال بعضهم: قطع الله يومئذ، أي يوم بدر، طرفاً من الكفار وقتل صناديدهم ورؤوسهم في الشرك.

قوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ذكروا عن الحسن قال: إن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشُجَّ في وجهه فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم؛ فأنزل الله: لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ. ذكر بعضهم عن رسول الله مثل ذلك، غير أنه قال: خضبوا وجه نبيهم بالدماء وهو يدعوهم إلى الله[3].

وقوله: أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ فيه تقديم؛ لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ

---

(1) في مخطوطتي ق و ع: «غزوة الأخنف» وفي د: «غزوة الأحنف» ولم أهتد لما في الكلمة من تصحيف، اللهم إلا أن تكون «غزوة الأحزاب».

(2) وقد اختلف المفسرون والمؤرخون في شهود الملائكة غزوات المسلمين هل كان ذلك في بدر وأحد والأحزاب. أما في بدر فلا خلاف بينهم في أن الملائكة كانت مدداً للمسلمين، والآية التاسعة من سورة الأنفال صريحة في ذلك، أما في غزوتي أحد والأحزاب فلم يثبت في النص شيء يدل دلالة قاطعة عليه. والجمهور على أن الملائكة حاربت مع المسلمين يوم بدر لا يوم أحد ولا يوم الأحزاب. «وكان ابن عباس يقول: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر» والله أعلم.

(3) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد (1791) عن أنس.

قوله: أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ فيرجعوا إلى الإيمان، وإن يعذبهم فبإقامتهم على الشرك في تفسير الحسن. قال: وهو كقوله: (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) [الأحزاب: 24] أي: فإن يعذبهم فبإقامتهم على النّفاق أو يتوب عليهم فيرجعوا عن نفاقهم.

قوله: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَـوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَّشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَّشَاءُ ﴾ يعني المستوجبين للعذاب ﴿ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ يَـاأَيُّهَـا الَّذِينَ ءامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَـوا أَضْعَـفاً مُّضَـعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ كانوا في الجاهلية إذا حلَّ دَيْن أحدهم على صاحبه فتقاضاه قال: أخِّر عنّي وأزيدك، فيكون ذلك أضعافاً مضاعفة.

قوله: ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أي لكي ترحموا.

قوله: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَـٰوٰتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ذكروا عن كُرَيْبٍ، مولى ابن عباس، أنه بلغه أن سبع سماوات وسبع أرضين يُلفقن جميعاً كما تلفق الثياب بعضها إلى بعض، فهذا عرضها ولا يصف أحد طولها. وقال الحسن: في انبساطهن بعضهن إلى بعض؛ وهو واحد.

وبلغنا أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن قوله: (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَـوَاتُ والْأَرْضُ) فقال: هي مائة درجة، كل درجة منها عرضها السماوات والأرض[1].

قال: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ أي في الرخاء والشدة. وقال بعضهم: في اليسر والعسر، والجهد والرخاء ﴿ والكـٰظمين الغيظ ﴾.

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل، من حديث رواه أبو هريرة بلفظ إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض. . .

ذكروا عن عطاء بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: ما من جرعة يتجرّعها الرجل أفضل من جرعة غيظ[1].

قوله: ﴿ والعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾. ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: أفضل أخلاق المؤمنين العفو[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من أراد أن يشرف له البنيان، وأن يرفع له الدرجات يوم القيامة، فليصل من قطعه، وليعط من حرمه، وليعف عمن ظلمه، وليحلم على من جهل عليه[3].

قوله: ﴿ وَالذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ ﴾ في أنفسهم وعلموا أنه سائلهم عن ذلك فخافوه وتابوا إليه من ذلك. ﴿ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ ثم قال: ﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهَ ﴾. وكان جابر بن زيد إذا قرأ هذه الآية: ومن يغفر الذنوب إلا الله قال: لا أحد يغفرها غيرك يا الله.

ذكروا عن أبي موسى الأشعري قال: جلست إلى رجل من المهاجرين فمسعته يقول: قال رسول الله ﷺ: أيها الناس، استغفروا الله وتوبوا إليه، إني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة[4]. ذكر بعض السلف قال: ما جاور عبداً في قبره خير له من الاستغفار.

---

(1) أخرجه يحيى بن سلام بسند عن عطاء بن يسار مرسلاً بلفظ: «ما تجرع أحد جرعة خيراً له من جرعة غيظ» انظر مخطوطة ز ورقة 52. وأخرجه أحمد والبيهقي بلفظ: ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد، ما كظم عبد للّه إلا ملأ الله قلبه إيماناً.

(2) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من المصادر.

(3) أخرجه الحاكم عن أبي بن كعب بلفظ: من سره أن يشرف له البنيان... كما في الدر المنثور، ج 2 ص 73.

(4) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة عن أبي هريرة ولفظه: والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة. ورواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (2702) عن الأغر المزني بلفظ: إنه لَيُغَان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة.

قوله: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا ﴾ أي من المعصية ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

ذكروا عن ابن عباس قال: كل ذنب أقام عليه العبد حتى يموت فهو كبيرة، وكل ذنب تاب منه العبد قبل أن يموت فليس بكبيرة. وقال بعضهم: كان يقال: لا قليل مع الإصرار ولا كثير[1] مع الاستغفار[2].

قوله: ﴿ أُولَـٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ ﴾ قد فسّرناه قبل هذا الموضع. ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ العَـٰمِلِينَ ﴾ أي الجنة.

قوله: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ يعني ما عذب الله به الأمم السالفة حين كذبوا رسلَهم. وقال في آية أخرى: (سُنَّتَ اللهِ التِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) [غافر: 85] والتي قد خلت من قبل في الكفار أنهم إذا كذبوا رسلهم أهلكهم الله.

قال: ﴿ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ المُكَذِّبِينَ ﴾. كان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم، ثم صيّرهم إلى النار؛ يحذّرهم ذلك.

قوله: ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ قال بعضهم: هذا القرآن بيان للناس عامة ﴿ وَهُدًى ﴾ يهديهم الله به ﴿ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: خصّهم الله به[3].

قوله: ﴿ وَلَا تَهِنُوا ﴾ أي لا تضعفوا عن قتال المشركين ﴿ وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴾ أي وأنتم الظاهرون عليهم والمنصورون. إنهم لما انكشفوا يوم أحد، فصعدوا الجبل علاهم خالد بن الوليد من فوق الجبل وجاءهم أبو سفيان، فقال الله: وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴿ إِنْ كُنْتُم مُّومِنِينَ ﴾.

---

(1) كذا في ق و ع: ولا كثير وهو أصح، وفي د: ولا كبير، وله وجه، وفي ز: جاءت العبارة بتنكير إصرار واستغفار.

(2) يؤيده ما رواه أبو بكر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة. رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار (1514).

(3) هو قول لقتادة، رواه الطبري في تفسيره ج 7 ص 237 جاء فيه: «وهو هذا القرآن جعله الله بياناً للناس عامة، وهدى وموعظة للمتقين خصوصاً».

وأمر رسول الله أصحابه بطلب القوم، فكرهوا ذلك وشكوا إليه الجراح، فأنزل الله: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾. أديل المؤمنون يومَ بدر عليهم، فقتلوا سبعين وأسروا سبعين، وأديل المشركون عليهم يوم أحد، فقتلوا سبعين من أصحاب النبي وجرحوا سبعين.

قال: ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي: ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه، وهـذا علم الفعال. ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ أي المشركين. قال الحسن: فيها تقديم؛ يقول: وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ. وقال: قد مسّ القومَ قرح مثله يوم بدر. والقرح الجراح.

وقال مجاهد: جراح وقتل. وقال بعضهم: القرح الجراح، وذلك يوم أحد، وقد فشا في أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ القتل والجراحات، فأخبرهم الله أن القوم أصابهم من ذلك مثل ما أصابكم، [وأن الذي أصابكم][1] عقوبةٌ[2] قال: وتفسير تلك العقوبة بعد هذا الموضع.

قوله: وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ، قال: لولا أن الله جعلها دولاً بين الناس ما أوذي المؤمنون، ولكن قد يُدال الكافر من المؤمن، ويُدال المؤمن من الكافر.

قوله: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي وليبتلي الله الذين آمنوا ﴿ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ أي يمحق أعمالهم يوم القيامة. قال بعضهم: فكان تمحيصاً للمؤمنين ومحقاً للكافرين.

قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ هو كقوله: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ

(1) زيادة سقطت من المخطوطات الثلاث، أثبتها من ز، ورقة: 52، ليستقيم المعنى.
(2) أي عقوبة للمسلمين لمعصية الرماةِ أمرَ رسول الله ﷺ بلزوم أماكِنهم على الجبل، وسيأتي تفصيل ذلك بعد صفحتين أو ثلاث.

خلَوْا مِنْ قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ)... إلى آخر الآية [البقرة: 214].

قوله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرونَ﴾ أي الموت بالسيوف في أيدي الرجال(1).

إن المؤمنين لما أخبرهم الله بما فعل بمن استشهد منهم يوم بدر ومنازلهم في الجنة في هذه الآية: (وَلاَ تَحْسِبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا ءَاتيهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ)... إلى آخر الآية [آل عمران: 169-170] لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآية رغبوا في ذلك وقالوا: اللهم ربّنا أرِنا قتالاً لنستشهد فيه؛ فأراهم الله إياه يوم أُحد؛ فلم يثبت منهم إلا من شاء الله. نزلت هذه الآية في الشهداء في هذا الموضع قبل هذه الآية: (وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنْ المَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوهُ) وهي بعدها في التأليف.

وقال بعضهم: قال أناس من المسلمين لم يشهدوا يوم بدر والذي أعطى الله أهل بدر من الفضل والشرف، وكانوا يتمنّون أن يرَوْا قِتالاً فيقاتلوا؛ فَسِيق إليهم القتال، حتى كان القتال بناحية المدينة يومَ أُحد، فقال الله ما تسمعون: (وَلَقَدْ كُنْتُم تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ).

قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَايْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ آنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ أي إلى الشرك ﴿وَمَن يَّنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَّضُرَّ اللهَ شَيْئاً﴾ أي إنما يضر نفسه. وقد أخبر الله محمداً أنه لا يُقتَل أبداً ولا يُظْهَر عليه بقتل أبداً فقال: (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ) [الإسراء: ٦٠] فمنعتك منهم(2) أن يصلوا إليك. قال: ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ أي المؤمنين، يجزيهم الجنة.

---

(1) في ز، ورقة 52: «إلى السيوف في أيدي الرجال». وفي ق و ع و د: «أي السيوف يوم أحد الموت فيها» وهي عبارة مضطربة أثبت مكانها ما أورده الطبري في تفسيره ج 7 ص 250 عن ابن إسحاق، وهي أفصح وأدل على المقصود.

(2) كذا وردت العبارة في ق و ع: «فمنعتك منهم»، وهي أصح، وفي د: «فيمنعك منهم».

وقال بعضهم: ذلك يوم أحد حين أصابهم القرح والقتل، فتنازعوا[1] نبي الله على تفئة ذلك، فقال أناس منهم: لو كان نبياً ما قتل، وقال أناس من علية أصحاب النبي عليه السلام: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى يفتح الله عليكم أو تلحقوا به: فقال الله: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَاين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، أي: كفاراً بعد إيمانكم.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَـٰباً مُؤَجَّلاً ﴾ أي لا تستقدم عنه ولا تستأخر.

ذكروا عن سعيد بن جبير قال: أجله مكتوب في أول الكتاب، ثم يكتب في أسفل الكتاب: ذهب من أجله يوم كذا وكذا. وذهب كذا وكذا حتى يفنى عمره. قال: وهو قوله: (وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) [فاطر: 11].

قوله: ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ هو مثل قوله: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ) [الإسراء: 18] ﴿ وَمَن يُّرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ يعني الجنة، يثاب على قدر عمله، ﴿ وَسَنَجْزِي الشَّـٰكِرِينَ ﴾ أي المؤمنين.

قوله: ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ أي: وكم ﴿ مِّن نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ يقول: جموع كثيرة. قوله: (رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ). قال الحسن: علماء كثير. وقال عبد الله بن مسعود جموع كثيرة، وقال مجاهد: جموع كثيرة. وقال بعضهم: الرّبيّون اثنا عشر ألفاً[2]. وبعضهم يقرأها: (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِي قَاتَلَ مَعَهُ).

(1) في ق، و ع، و د: «ثم بايعوا نبي الله على بقية ذلك»، وكأن ناسخ مخطوطة د لم يطمئن لكلمة «بقية» فترك مكانها بياضاً. وفي العبارة تصحيف صوابه ما ورد في تفسير الطبري، ج 7 ص 253، كما صححه الشيخ محمود شاكر. وتناعوا النبي أي كان ينعاه بعضهم لبعض، أي يخبرون بموته وقوله: على تفئة ذلك، أي على إثر ذلك.

(2) قال الفراء في معاني القرآن، 237:1: «الرّبيّون: الألوف». وقال ابن قتيبة في تفسير غريب =

قوله: ﴿ فَمَا وَهَنُوا ﴾ أي فما ضعفوا في تفسير الحسن ومجاهد. ﴿ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا ﴾ وهو كلام مثنى في تفسير الحسن. وقال بعضهم: فما وهنوا: فما عجزوا وما ضعفوا لقتل نبيهم.

وكذلك قال مجاهد. وقال بعضهم في قوله: ﴿ وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ أي وما ارتدوا عن بصيرتهم، أي: قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله حتى لحقوا بالله. ﴿ وَاللهُ يُحِبُّ الصَّـٰبِرِينَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ ﴾ حيث لَقُوا عدوَّهم ﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾ أي على أنفسنا، يعنون خطاياهم. ﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَـٰفِرِينَ|فَئَاتَـٰهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ﴾. أما ثواب الدنيا فالنصر الذي نصرهم على عدوّهم في تفسير الحسن. وقال بعضهم: الفتح والظهور والتمكين والنصر على عدوهم؛ وأما ثواب الآخرة فالجنة. ﴿ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني اليهود في تفسير الحسن ﴿ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ أي إلى الشرك ﴿ فَتَنْقَلِبُوا ﴾ إلى الآخرة ﴿ خَـٰسِرِينَ ﴾. ﴿ بَلِ اللهُ مَوْلَـٰكُمْ ﴾ أي وليّكم ﴿ وَهُوَ خَيْرُ النَّـٰصِرِينَ ﴾ [ينصركم ويعصمكم من أن ترجعوا كافرين][1].

قوله: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ قال الحسن: يعني مشركي العرب. ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: نصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر[2]. قوله: ﴿ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ ﴾ أي نلقي في قلوبهم الرعب بما أشركوا بالله

= القرآن: 113: «أي جماعات كثيرة، ويقال: الألوف. وأصله من الرِّبّة، وهي الجماعة. يقال للجمع رِبّي، كأنه نسب إلى الرِّبة ثم يجمع ربي بالواو والنون فيقال: ربّيّون». وانظر اللسان: ربب.

(1) زيادة من ز، ورقة 53.

(2) حديث صحيح متفق عليه؛ أخرجه البخاري من حديث جابر بن عبد الله في كتاب الصلاة، =

﴿ مَا لَمْ يُنَزِّل بِهِ سُلْطَـٰناً ﴾ أي حجة بما هم عليه من الشرك ﴿ وَمَأْوِيٰهُمُ النَّارُ ﴾ أي: مصيرهم النار. ﴿ وَبِيسَ مَثْوَى الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي المشركين.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ أي إذ تقتلونهم بإذنه في تفسير الحسن ومجاهد وغيره. ﴿ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ ﴾. قال بعضهم: جبنتم ﴿وَتَنَـٰزَعْتُمْ﴾ أي اختلفتم ﴿فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَيٰكُمْ مَّا تُحِبُّونَ﴾.

ذلك يوم أحد؛ عهد إليهم نبي الله عهداً، وأمرهم بأمر، فنسوا العهد. يعني قول النبي لهم: فإن هزمتموهم فلا تتبعوا المدبرين.

وقال بعضهم: خالفوا إلى غير ما أمرهم به فصرف عنهم عدوهم بعد ما أراهم ما يحبون فيهم.

وقال مجاهد: نصر الله المؤمنين يومئذ على عدوهم من المشركين حتى ركب نساء المشركين على كل صعب وذلول، بادية سوقهن، ثم أديل عليهم المشركون بمعصيتهم النبي حتى خطبهم على بغلته الشهباء وقال: ربِّ اكفنيهم بما شئت.

قوله: حَتَّى فَشِلْتُمْ... الآية. قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: رأيت البارحة كأن علي درعاً حصينة فأوّلتها المدينة، فاكمنوا للمشركين في أزقتها حتى يدخلوا عليكم في أزقتها فتقتلوهم. فأبت الأنصار من ذلك فقالوا: يا رسول الله، منعنا مدينتنا من تبّع والجنوذ، فنخلي بين هؤلاء المشركين وبينها يدخلونها. فلبس رسول الله ﷺ سلاحه. فلما خرجوا من عنده أقبل بعضهم على بعض فقالوا: ما صنعنا؟ أشار علينا رسول الله ﷺ فرددنا رأيه. فأتوه فقالوا: يا رسول الله، نحن نكمن لهم في أزقتها حتى يدخلوها فنقتلهم فيها؛ فقال: إنه ليس لنبي لبس لامته،

= باب قول النبي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً؛ ولفظه: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً. وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة عن جابر بن عبد الله (521) وعن أبي هريرة (523).

أي سلاحه، أن يضعها حتى يقاتل. قال: فبات رسول الله دونهم بليلة، فرأى رؤيا، فأصبح فقال: إني رأيت البارحة كأن بقراً منحّراً، فقلت بقر والله خير؛ وإنها كائنة فيكم مصيبة، وإنكم ستلقونهم غداً وتهزمونهم، فإذا هزمتموهم فلا تتبعوا المدبرين[1]. ففعلوا؛ فلقوهم فهزموهم كما قال رسول الله ﷺ. فاتبعوهم على وجهين؛ أما بعضهم فقالوا: مشركون وقد أمكننا الله من أدبارهم فنقتلهم، فقتلوهم على وجه الحِسبة. وأما بعضهم فقتلوهم لطلب الغنيمة. فرجع المشركون عليهم فهزموهم حتى صعدوا أحداً. وهي قوله: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ) لقول رسول الله ﷺ: إنكم ستلقونهم فتهزمونهم فلا تتبعوا المدبرين.

قال: حتى إذا فشلتم أي: ضعفتم في أمر رسول الله، وتنازعتم أي: اختلفتم فصرتم فريقين تقاتلونهم على وجهين، وعصيتم الرسول من بعد ما أراكم ما تحبّون من النصر على عدوّكم.

قال: ﴿ مِنْكُم مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ قد فسّرناه قبل هذا ونرجع فيه؛ يقول: من يريد الدنيا فهي الغنيمة. ﴿ وَمِنْكُم مَّنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ الجنة والثواب ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ إذ لم يستأصلكم ﴿ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُومِنِينَ إِذْ تُصْعِدُونَ ﴾ الجبل. أي أُحُداً ﴿ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخراكُمْ ﴾ جعل يقول: إليّ عباد الله! حتى خصَّ الأنصار فقال: يا أنصار الله! إلي، أنا رسول الله. فتراجعت الأنصار والمؤمنون[2].

---

(1) رؤيا رسول الله ﷺ رواها أصحاب السير والمغازي بألفاظ متقاربة؛ انظر ابن هشام، السيرة، ج 3 ص 62-63، وتفسير الطبري، ج 7 ص 163، ومغازي الواقدي ج 1 ص 208 واقرأ نص الرؤيا وتأويل الرسول إياها في مغازي الواقدي ج 1 ص 209 منها: «ورأيت كأن سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظبته، ورأيت بقراً تذبح...».

(2) روى الواقدي عن محمد بن مسلمة يقول: «سمعت أذناي وأبصرت عيناي رسول الله ﷺ يقول يومئذ، وقد انكشف الناس إلى الجبل، وهم لا يلوون عليه، وإنه ليقول: إلي يا فلان، إلي يا فلان، أنا رسول الله، فما عرّج منهما واحد عليه ومضيا». ولم أجد فيما بين يدي من مصادر التفسير والسير هذه الزيادة التي خُص بها الأنصار كما وردت هنا، وهي مما انفرد بها

قال: ﴿ فَأَثَـٰبَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ ﴾ بما قتلوا من إخوانكم من فوق الجبل بالغم الذي أصابهم يوم بدر.

قال الكلبي: هو إشراف خالد بن الوليد عليهم من فوق الجبل. وقال بعضهم: إِذْ تُصْعِدُونَ: صعدوا في الوادي فرأوا نبي الله يدعوهم: إلي عباد الله، إلي عباد الله، [كانوا تحدثوا يومئذ أن نبي الله أصيب][1]. وكان الهمّ الآخر قتل أصحابهم والجراحات التي فيهم. قال: وذكر لنا أنه قتل يومئذ سبعون رجلاً: ستة وستون من الأنصار، وأربعة من المهاجرين[2].

قوله: ﴿ لِكَيْ لا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ من الغنيمة ﴿ وَلاَ مَا أَصَـٰبَكُمْ ﴾ من قتل إخوانكم، إنما همّ كل رجل منكم بقتله[3] في تفسير الحسن. وقال غيره: وما أصابكم في أنفسكم من القتل والجراح. قال: ﴿ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

قال: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَد أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾. قال بعضهم: ذلك يوم أحد؛ كانوا يومئذ فريقين؛ فأما المؤمنون فغشّاهم[4] الله النعاسَ أمنة منه ورحمة. قال أبو طلحة: أنا يومئذ ممن غشيه النعاس، فجعل سيفي يسقط من يدي فآخذه، فيسقط فآخذه. والطائفة الأخرى: المنافقون ليس لهم همة[5] إلا أنفسهم.

= هذا التفسير فيما أرى، وإنهم لأحق بها وأهلها؛ فقد روى البخاري عن قتادة قال: «ما نعلم حياً من أحياء العرب أكثر شهيداً أعز يوم القيامة من الأنصار». وهذه إحدى مناقبهم التي لا تحصى.

(1) زيادة من ز، ورقة 54.

(2) هؤلاء المهاجرون الأربعة هم: حمزة بن عبد المطّلب، من بني هاشم، وعبد الله بن جحش، من بني أمية، ومصعب بن عمير، من بني عبد الدار، وشمّاس بن عثمان، من بني مخزوم.

(3) في ع: «بقبله»، وفي ق: «يقبله»، وفي د: بقتله، وهذه الأخيرة أصح.

(4) كذا في المخطوطات، وهو الصواب، وهي على قراءة من قرأ في قوله تعالى من سورة الأنفال: 11 (إذ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ).

(5) كذا في ق ود: «همّة»، وفي ز: همّ، وكلاهما صواب.

قوله: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَـٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾. قال الكلبي: هم المنافقون قالوا لعبد الله بن أبي: قتل بنو الخزرج، فقال: وهل لنا من الأمر من شيء.

قال الله: ﴿ قُل إِنَّ الأَمْرَ ﴾ [يعني النصر][1] ﴿ كُلَّهُ لِلهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ، يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَـا ﴾ قال الكلبي: كان ما أخفوا في أنفسهم أن قالوا: لو كنا على شيء من الحق ما قتلنا هاهنا، ولو كنا في بيوتنا ما أصابنا القتل.

قال الله للنبي: ﴿ قُل لَّوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ أي يظهر ما في قلوبكم. وقال: (مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ المُومِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) [آل عمران: 179] أي فقد ميّز يوم أحد المنافقين من المؤمنين. ﴿ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي بما في الصدور.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى الجَمْعَانِ ﴾ وهو يوم أحد ﴿ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهم الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾.

كان الله قد أوجب لمن فرَّ يوم بدر النار، ثم كانت أُحُد بعدها، فأنزل الله: إِنَّ الذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ إِنَّما اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمُ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ. وقال بعضهم: كان أناس من أصحاب النبي عليه السلام تولّوا عن القتال وعن النبي يوم أُحُد، وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه، فأنزل الله: (وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ).

وقال الكلبي: لما أصاب رسول الله المشركين يوم أحد جعل الرماة خمسين، فأمَّر عليهم رجلاً من الأنصار، وجعلهم قِبَل خيل المشركين، وأمرهم أن

(1) زيادة من ز، ورقة 54.

لا يريموا مكانهم؛ وقال: إنِ الخَيْلُ تحرّكت فارموا برشق من النَّبل، واستنفدوا[1] النبل. فلما هزم الله المشركين ودخل المؤمنون عسكرهم رأتهم الرماة، وهم يأخذون الأسلاب، قالوا: أدركوا الغنيمة لا يسبقكم بها الناس. وقالت طائفة منهم: بل نثبت مكاننا. فرجعت طائفة وثبتت طائفة. فحملت الخيل على من ثبت منهم فقتلوهم، ثم دخلوا العسكر، وقتلوا من وجدوا من أصحاب رسول الله ﷺ وسلبوهم.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوٰنِهِمُ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ ﴾ يعني التجارة ﴿ أَوْ كَانُوا غُزَّىً ﴾ يعني في الغزو ﴿ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ﴾. قال مجاهد: هو ابن أبي بن سلول. وقال الحسن: هؤلاء المنافقون وقالوا لإخوانهم، يعني إخوانهم فيما يظهر المنافقون من الإيمان، يزعمون أنهم إخوانهم. قوله: (لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا) قالوا هذا لأنه لا نية لهم في الجهاد[2].

قال الله: ﴿ لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ كقوله: (وَلاَ يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) [التوبة: 54-55]، وذلك أنهم كانوا يجاهدون قوماً كانوا يوادّونهم[3] لكفرهم، فذلك عليهم عذاب وحسرة. ﴿ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

قال الله: ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ ﴾ والمغفرة من الله مغفرة الذنوب، والرحمة: الجنة. ﴿ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ من الدنيا.

---

(1) وردت هذه الكلمة غير واضحة في المخطوطات؛ أما في ق ففيها: «استفقوا»، وفي ع: «استقفوا» وفي د بياض ورجحت أن تكون: استنفدوا. ووردت العبارة في مغازي الواقدي ج 1 ص 225 هكذا: «وارشقوا خيلهم بالنبل، فإن الخيل لا تقدم على النبل».

(2) جاءت هذه العبارات مضطربة بتقديم وتأخير في ق، و ع، و د، فأثبت تصويبها من ز، ورقة 54.

(3) في ق و ع و د: «يودونهم» ولعل ما أثبت أصح.

﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾. قال رجل من المسلمين من أصحاب النبي عليه السلام. لقد أحسن الله إلينا الإحسان كله؛ كنا قوماً مشركين، فلو جاءنا رسول الله ﷺ بهذا الدين جملة واحدة فيه قتال الآباء والأبناء، وتحريم الحرام والربا، والأحكام والحدود، لما دخلنا في الإسلام؛ ولكنه دعانا إلى كلمة، فلما دخلنا فيها، وعرفنا حلاوة الإسلام والإيمان، قبلنا ما جاء به من عند الله[1].

قوله: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ أي: فبرحمة [وما صلة زائدة][2] قال: فبرحمة من الله وتوفيقه دخل المسلمون في الإسلام لِمَا جعل[3] عليه رسول الله ﷺ من اللين والرحمة للمؤمنين. قال: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّم، أي: ما ضاق بكم، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبة: 128] وهي آخر آية نزلت من القرآن فيما قال أبي بن كعب.

قوله: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾ أمره أن يعفو عنهم مما[4] لم يلزمهم من حكم أو حدّ. ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾.

(1) هذا كلام بديع، ينمّ عن تفهّم عميق لطبيعة النفس البشرية، وعن إدراك تام لحِكم هذا التشريع الربّاني وأسراره اللطيفة. ولا عجب أن يكون كذلك، فقد صدر من ذلك الرعيل الأول من الصحابة الكرام الذين هداهم الله للإيمان فذاقوا حلاوته، ونشأوا في أحضان المدرسة المحمدية ينهلون من منابعها الصافية، ويستضيئون من أنوارها. تأمل قول هذا الصحابي الجليل فإنه كلام نفيس. نفعني الله وإياك بأسرار كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(2) زيادة من ز، ورقة 54.

(3) كذا في المخطوطات الثلاث: «جعل» ولعل في الكلمة تصحيفاً صوابه «جُبِل» من الجِبلّةِ وهي الطبيعة والخلقة الأولى.

(4) كذا في المخطوطات ق و ع و د: «ما» ولعل صوابها «فيما».

قال الحسن: ما كان في الأرض أحسن رأياً من رسول الله ﷺ، وما كان له حاجة إلى أصحابه في مشورة، ولكن الله أراد بذلك أن يطمئنّ المسلمون إلى رسول الله بمشاورته إياهم. وكانت المشورة فيما لم ينزل من الله فيه حكم ولا أمر ولا نهي في الحرب، أو أشباه ذلك.

وذكر بعضهم قال: أمره الله أن يشاور أصحابه في الأمر وهو يأتيه الوحي من السماء، لأنه أطيب لأنفس القوم. وإن القوم إذا شاور بعضهم بعضاً، فأرادوا بذلك وجه الله، عزم الله لهم على الرشاد.

وبعضهم قال: ما اجتمع قوم يتشاورون في أمر، فعلم الله أنهم يريدون الخير، إلا وُفِّقوا لأرشد أمرهم.

وذكر بعضهم أن سعداً لم يحكم في قريظة، ولكن رسول الله ﷺ أرسل إليه فجاء على حمار، فقال له رسول الله: أشر عليّ فيهم، فقال: قد عرفت أن الله أمرك فيهم بأمر أنت صانع ما أمرك به. فقال: أشر عليّ فيهم. فقال: لو وليت أمرهم لقتلت مقاتلهم، وسبيت ذريتهم. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لقد أشرت بالذي أمرني الله به[1].

قال: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾. قال بعضهم أمره الله إذا عزم على أمر أن يمضي فيه [ويستقيم على أمر الله][2] ويتوكل على الله.

قوله: ﴿ إِن يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ أي من ينصره الله فلا غالب له ﴿ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الذِي يَنْصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ﴾ أي من خذله الله فلا ناصر له.

(1) قصة تحكيم النبي عليه السلام سعد بن معاذ في بني قريظة وموافقة حكم سعد لحكم الله قصة مشهورة رواها كتاب السيرة ورواة الحديث، انظر مثلاً البخاري، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، عن أبي سعيد الخدري، وانظر تفصيل ذلك في مغازي الواقدي ج 2 ص 510، 515.

(2) زيادة من تفسير الطبري ج 7 ص 346. والقول لقتادة.

﴿ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾. ولقد أعلم الله رسوله والمؤمنين أنهم منصورون، وكذلك إن خذلهم لم ينصرهم من بعده ناصر. ومثل ذلك من كلام الله قول موسى: (رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) [الأعراف: 143]. والجبل لا يستقر مكانه.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغَلَّ ﴾ قال بعضهم: يعني أن يَغُلَّه أصحابُه من المؤمنين. ذكر لنا أنها نزلت على نبي الله يوم بدر، وقد غل طوائف من أصحابه؛ فمن فسّر هذا التفسير فمقرأه على «أَنْ يُغَلَّ». ذكروا عن ابن عباس أنه كان يقرأها: أَنْ يَغُلَّ؛ روى ذلك عنه مجاهد. وقال مجاهد: يَخُون أو يُخَوَّن، وهي تفسير على الوجهين.

قوله: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده لا يغل أحد من هذا المال بعيراً إلا جاء يوم القيامة حامله على عنقه له رغاء، ولا بقرة إلا جاء بها يوم القيامة حاملها على عنقه ولها خوار، ولا شاة إلا جاء بها يوم القيامة حاملها على عنقه ولها ثغاء[1].

ذكروا عن ابن عمر قال: إن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث سعد بن عبادة على صدقة أرض كذا وكذا قال: انظر لا تأتي ببعير تحمله يوم القيامة على عنقك. قال: وإن ذلك لكائن؟ قال: نعم. قال: لا جرم والله لا أكون لك على عمل أبداً؛ فرجع إلى أهله[2].

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الغلول وقول الله تعالى: ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة، عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب غلط تحريم الغلول (1831)، وباب تحريم هدايا العمال (1832) عن أبي حميد الساعدي وفي بعض ألفاظ الحديث: «أو شاة تيعر» أي تصيح. واليُعار صوت الشاة.

(2) أخرج أحمد هذا الخبر عن سعد بن عبادة. وجاء في آخره: فقال سعد: «لا آخذه ولا أجيء به. فأعفاه» وأخرج أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب غلول الصدقة (رقم 2947) عن أبي مسعود الأنصاري قال: بعثني النبي ﷺ ساعياً ثم قال: انطلق أبا مسعود، ولا ألفينّك يوم القيامة تجيء وعلى ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء قد غللته. =

ذكر الحسن قال: قيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله: استُشهِد فلان. قال: كلّا، إني رأيته يُجَرُّ إلى النار بعباءة غَلَّها[1].

قوله: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، قد فسّرناه في أول السورة[2].

قوله: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللهِ﴾ أي: كمن استوجب سخط الله، يقول: أهما سواء؟ على الاستفهام؛ أي إنهما ليسا سواء. ﴿وَمَأْوَيٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

قوله: ﴿هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِنْدَ اللهِ﴾ يعني أهل النار، بعضهم أشد عذاباً من بعض، وأهل الجنة أيضاً، بعضهم أرفع درجات من بعض، قال: ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

ذكر بعضهم قال: قال رسول الله ﷺ: الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض. وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له برق يكاد يخطف بصره فيقول: ما هذا؟ فيقال: هذا نور أخيك فلان. فيقول: أخي فلان! كنا نعمل في الدنيا جميعاً وقد فُضِّل عليّ هكذا؟ فيقال: إنه كان أحسن منك عملاً. قال: ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى[3].

= قال: إذاً لا أنطلق. قال: إذاً لا أكرهك». وانظر تفسير الطبري ج 7 ص 361.

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف مرسلاً كما في الدر المنثور للسيوطي، ج 2 ص 92. وأخرجه الترمذي في أبواب السير عن عمر بن الخطاب مرفوعاً، وانظر أحاديث الغلول في كتاب السِّيَر الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني ج 4 ص 1206-1211، باب ما جاء في الغلول.

(2) انظر ما سلف ص 275 في تفسير قوله تعالى: (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمونَ) آية: 25 من هذه السورة.

(3) أخرجه يحيى بن سلام هكذا: «إسماعيل بن مسلم عن أبي المتوكل الناجي قال: قال رسول الله ﷺ»، انظر مخطوطة سع ورقة 98. وقد وردت أحاديث صحيحة في اختلاف =

قوله: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُومِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِ وَيُـزَكِّيهِمْ ﴾ أي: يصلحهم ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَـٰبَ ﴾ أي القرآن ﴿ وَالحِكْمَةَ ﴾ يعني السنة. ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي من قبل أن يأتيهم النبي عليه السلام ﴿ لَفِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

قوله: ﴿ أَوَلَمَّا أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾ أي يوم أُحُد ﴿ قَد أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ﴾ أي: يوم بدر. ﴿ قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ﴾ أي: من أين هذا؟ من أين أوتينا ونحن مؤمنون والقوم مشركون. وقال بعضهم: (أَنَّىٰ هَـٰذَا) أي: كيف هذا؟ ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي: بمعصيتكم؛ أي بمعصيتهم رسول الله، حيث أمرهم ألا يتّبعوا المدبرين، وبأخذهم الفدية من أهل بدر في تفسير الحسن. ﴿ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَا أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ ﴾ أي جمع المؤمنين وجمع المشركين يوم أحد، وقد فسّرناه قبل هذا الموضع ﴿ فَبِإِذْنِ اللهِ ﴾ [أي الله أذن في ذلك](1) أي عاقبكم الله بذلك. ﴿ وَلِيَعْلَمَ المُومِنِينَ وَلِيَعلَمَ الذِينَ نَافَقُوا ﴾ وهذا علم الفعال. ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أو ادْفَعُوا ﴾ أي كثّروا السواد ﴿ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَـٰكُمْ ﴾ قال الله: ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِـذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ ﴾ أي إنهم كفروا.

قال الحسن: وإذا قال الله أقرب فهو اليقين، أي إنهم كافرون. كقوله: (وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ) [البقرة: 237] أي: والعفو هو من التقوى. كذلك النفاق هو من الكفر، وهو كفر فوق كفر وكفر دون كفر. وقد يقول القائل لخصمه: حجتي أقرب إلى الحق من حجتك، أي: إن حجتي حق ويقين، وحجتك باطل وضلال.

= درجات المؤمنين في الجنة. انظر مثلاً صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف (رقم 2830، 2831).

(1) أثبت هذه الزيادة من ز، ورقة 55، وجاء في ق، و ع، و د، بدل هذه الجملة: «أي عاقبكم الله بذلك».

وقال الكلبي: قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ: كانوا ثلاثمائة منافق رجعوا مع عبد الله بن أبي فقال لهم [أبو][1] جابر عبد الله: أناشدكم الله في نبيكم وذراريكم ودينكم، فقالوا: والله لا يكون قتال اليوم، ولو نعلم قتالاً لاتبعناكم يقول الله: (هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ).

﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: يقولون الإيمان بألسنتهم وقلوبهم مضمرة على ترك الوفاء بما أقروا به من القول والعمل[2]. ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ أي من ترك الوفاء بالعمل بالذي أقروا به من القول والعمل.

قوله: ﴿ الذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ ﴾ يعني من قتل من المؤمنين يوم أُحُد، هم إخوانهم بزعمهم لإقرارهم بدينهم وادعائهم ملتهم ورضاهم بأحكامهم؛ فقال (الذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ) بهذا المعنى وعلى هذا التفسير. ﴿ وَقَعَدُوا ﴾ أي: عن القتال ﴿ لَو أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ أي لو أطاعونا ما خرجوا مع محمد، ولعملوا كما عمل المنافقون [ولما قتلوا][3]. قال الله: ﴿ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾. أي: لا تستطيعون أن تدفعوا عن أنفسكم الموت.

ثم أراد أن يعلمهم أنهم مقتولون أو ميّتون، وأن القتل في سبيل الله أفضل فقال: ﴿ وَلَا تَحْسِبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَـاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾. ذكر بعض المفسّرين أنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول. وذكر لنا

(1) ورد في النسخ الثلاث ق، و ع، و د: «جابر بن عبد الله»، وهو خطأ، والصحيح أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة، كما جاء في سيرة ابن هشام، ج 3 ص 64، وفي مغازي الواقدي ج 1 ص 219، وهو والد جابر بن عبد الله الصحابي الجليل وكان أبو جابر عبد الله نقيباً شهد العقبة ثم بدراً، وهو أول شهيد استشهد يوم أحد ومُثّل به، وقد صلى عليه رسول الله ﷺ قبل الهزيمة، انظر ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر، ج 3 ص 954، وفي سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 1 ص 235-237.

(2) كذا وردت العبارة في د، وفي ق و ع: «من ترك الوفاء بالعمل الذي أقروا به مع القول» والمعنى واحد.

(3) زيادة يقتضيها السياق.

أن رجلاً من أصحاب النبي عليه السلام قال: يا ليتنا نعلم ما فعل إخواننا الذين قتلوا في سبيل الله يوم أحد؛ فأنزل الله: وَلاَ تَحْسِبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا فِي سَبيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ.

﴿ فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَـٰهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي من الشهادة والرزق ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أي: إخوانهم الذين فارقوهم على دينهم وأمرهم، لِمَا قدموا عليه من الكرامة والفضل الذي أعطاهم الله.

ذكروا عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال: لما قَدِمَت أرواح أهل أحد على الله، جُعلت في حواصل طير خضر تسرح في الجنة، ثم تأوي إلى قناديل من ذهب معلّقة بالعرش يجاوب بعضُها بعضاً بصوت رخيم، لم تسمع الخلائق بمثله يقولون: يا ليت إخواننا الذين خلّفنا من بعدنا علموا مثل الذي علمنا[1] فسارعوا في مثل الذي سارعنا فيه، فإنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا [فوعدهم الله ليخبرن نبيّه بذلك حتى يخبرهم][2]. قال: فأنزل الله: (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَل أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ يَسْتَبْشِرُونَ بِالذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ).

قال الله: ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ ﴾ أي ورزق ﴿ وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المُؤْمِنِينَ ﴾ قال الحسن: فرحين بما ءاتاهم الله من الشهادة والرزق. وتأويل الشهيد: أنه يشهد كرامة الله. وإن بعضهم ليقول لبعض: تركنا إخواننا فلاناً وفلاناً في صفوفهم يقاتلون عدوّهم فيُقتَلون إن شاء الله، فيصيبون من الرزق والكرامة والأمن والشهادة ما أصبنا؛ وهو قوله: وَيَستَبْشِرُونَ بالذِينَ لم يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ.

(1) في ق وع: «عملوا مثل الذي عملنا»، وفي د: «علموا مثل الذي علمنا»، وهذه العبارة الأخيرة أصح، وهي أيضاً موافقة لما جاء في ز، ورقة 55.

(2) زيادة من ز، ورقة 55، لا بد من إثباتها، وسياق الكلام يقتضيها.

قوله: ﴿ الذِينَ اسْتَجَابُوا لِلهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ ﴾ والقرح الجرح ﴿ لِلذينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ أي الجنة.

وذلك يوم أحد، حيث قال رسول الله ﷺ: رحم الله قوماً ينتدبون حتى يعلم المشركون أننا لم نُستأصَل، وأن فينا بقيةً[1]. فانتدب قوم ممّن أصابتهم الجراح ذلك اليوم.

وقال بعض المفسّرين: لِلذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُم وَاتَّقَوا أَجْرٌ عَظِيمٌ. أي الجنة. ذلك يوم أُحُد، بعد القتل والجراحات، وبعد ما انصرف المشركون: أبو سفيان وأصحابه، فقال نبي الله لأصحابه: ألا عصابة تنتدب لأمر الله فنطلب عدوَّنا، فإنه أنكى للعدو وأبعد في السّمع[2]. فانطلق عصابة منهم على ما يعلم الله من الجهد بهم، حتى إذا كانوا بذي الحليفة[3] فجعل الأعراب والناس يأتون عليهم ويقولون: هذا أبو سفيان مائل عليكم بالناس فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل؛ فأنزل الله:

﴿ الذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُم إيمَـٰناً وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ﴾. قال الكلبي: بلغنا أن أبا سفيان وأصحابه مرّ بهم قوم من السفار من التجار، وبلغوهم أن القوم يأتونهم[4]، فقالوا للتجار: قولوا

(1) روى هذا الخبرَ كتابُ السيرة عن ابن إسحاق، ورواه ابن كثير في تفسيره ج 2 ص 158 بلفظ قريب مما هو هنا.

(2) رواه ابن جرير الطبري عن قتادة في تفسيره، ج 7 ص 401-403.

(3) أغلب المصادر تذكر هنا «حمراء الأسد»، موضع على ثمانية أميال من المدينة، أما رواية قتادة فهي تذكر هنا ـ كما جاء في تفسير ابن كثير، وفي أسباب النزول للواحدي، ص: 127 ـ ذا الحليفة، وهو موضع على ستة أميال من المدينة. ويبدو أنه لا تنافي بين الروايات، فيمكن أن يكون المسلمون إذ بلغوا ذا الحليفة وهم في طريقهم إلى حمراء الأسد، جعل الأعراب والناس يأتونهم.

(4) كأن الكلبي يُشير هنا إلى قصة معبد بن أبي معبد الخزاعي وتخذيله أبا سفيان وأصحابه حتى ثناه عن الرجوع إلى المدينة لمحاربة الرسول من جديد، وإلى ركب من عبد القيس الذين حمّلهم أبو سفيان رسالة شفوية إلى رسول الله ﷺ فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء =

لمحمد وأصحابه: إنا راجعون إليكم فقاتلوكم، فأنزل الله هذه الآية.

قال الكلبي: وبلغنا أن أبا سفيان يوم أحد حين أراد أن ينصرف قال: يا محمد، موعد ما بيننا وبينكم موسم بدر الصغرى أن نقتتل بها إن شئت. فقال له رسول الله ﷺ: ذلك بيننا وبينك[1]. فانصرف أبو سفيان وقدم مكة، فلقي رجلاً من أشجع يقال له: نُعيم بن مسعود، فقال: أني واعدت محمداً وأصحابه أن يخرج نلتقي بموسم بدر، فبدا لي ألا أخرج إليهم، وأكره أن يخرج محمد وأصحابه ولا أخرج فيزيدهم ذلك علي جرأة، فيكون الخلف من قِبَلهم أَحبَّ إلي، فلك عشرة من الإبل إن أنت حبسته عني فلم يخرج. فقدم الأشجعي المدينة، وأصحاب محمد ﷺ يتجهّزون لميعاد أبي سفيان. فقال: أين تريدون؟. قالوا: واعدنا أبا سفيان أن نلتقي بموسم بدر فنقتتل بها. فقال: بئس الرأي رأيتم؛ أتوكم في دياركم وقراركم فلم يُفلِت منكم إلا الشديد[2]، وأنتم تريدون أن تخرجوا إليهم، وقد جمعوا لكم عند الموسم؛ والله إذاً لا يُفلت منكم أحد. فكره أصحاب رسول الله ﷺ أن يخرجوا. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي منكم أحد[3]. فخرج معه سبعون رجلاً حتى وافوا معه بدراً. ولم يخرج أبو سفيان ولم يكن قتال، فسوَّقُوا في السوق، ثم انصرفوا. فهو قوله:

= الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل. انظر تفصيل ذلك في سيرة ابن هشام، ج 3 ص 102-103. وقد أجمع كتاب السيرة أن الرسول ﷺ بلغ فعلاً حمراء الأسد، وسمّاها بعضهم: غزوة حمراء الأسد، لأن الرسول عليه السلام خرج إليها مع سبعين رجلاً ممن كانوا معه في غزوة أحد، فلم يلق بها حرباً، ورجع إلى المدينة بعد أن أقام بها ثلاثاً.

(1) روى الطبري في تفسيره، ج 7 ص: 411 هذا الخبر عن مجاهد وفيه: فقال محمد ﷺ: عسى.

(2) كذا في ق و ع و د: «فلم يفلت منكم إلا الشديد». وفي ز ورقة 56: فلم يفلت منكم إلا شريد» ولكل معنى صحيح ومناسب.

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 7 ص 402 عن ابن عباس بلفظ: إني ذاهب وإن لم يتبعني أحد.

(الذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ، يعني الأشجعي، إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ).

قال: ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ ﴾ يعني الأجر ﴿ وَفَضْلٍ ﴾ يعني ما تسوّقوا ﴿ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ أي نكبة قتال ولا حرب[1]. ﴿ وَاتَّبَعُوا رِضْوانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ أي يخوفكم بأوليائه[2] المشركين. ﴿ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُم مُّومِنِينَ ﴾. قال بعض المفسّرين: يخوّف المؤمن بالكافر، ويرهب الكافر بالمؤمن.

قوله: ﴿ وَلاَ يُحْزِنْكَ الذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ يعني المنافقين في تفسير الحسن ومجاهد. وقال الحسن: اختاروا الكفر على الإيمان. ﴿ إِنَّهُمْ لَنْ يَّضُرّوا اللهَ شَيْئاً ﴾ وهو كقوله: (إِنَّ الذِينَ اشْتَرُوا الكُفْرَ بِالإِيمَانِ) [آل عمران: 177].

قوله: ﴿ يُرِيدُ اللهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ ﴾ أي من الثواب في الجنة؛ يقول: لا يجعل لمن يختار الكفر على الإيمان حظاً، أي: نصيباً في الآخرة، أي من الثواب في الجنة. ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ إِنَّ الذِينَ اشْتَرَوا الكُفْرَ بِالإِيمَـٰنِ ﴾ أي اختاروا الكفر على الإيمان ﴿ لَن يَّضُرُّوا اللهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي موجع.

قوله: ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ أي من الهوان.

---

(1) في ع: «خوف»، وفي د: «حرب»، وفي ز، ورقة 56: «لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ: قتل ولا هزيمة».
(2) كذا في ق و ع: «بأوليائه»، وهو الصواب، وفي د: «يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَه»، وفي ز، ورقة 56: «يُخَوِّفُكُمْ مِّن أوليائه»، وفي معاني الفراء، ج 1 ص 245: «بأوليائه». «وانظر تحقيق ذلك كله في تفسير الطبري ج 7 ص 417.

قوله: ﴿ مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ المُومِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ أي المنافق من المؤمن. وقد ميّز المنافقين من المومنين يوم أحد. وقال بعضهم: يعني الكفار؛ لم يكن ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من الضلالة، حتى بميز الخبيث من الطيب، فميَّز بينهم بالجهاد والهجرة.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ ﴾ ذكروا أن المنافقين قالوا: ما شأن محمد، إن كان محمد نبياً لا يخبرنا بمن يؤمن به قبل أن يؤمن به. فقال الله: (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ). ﴿ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَّشَاءُ ﴾.

يقول: يستخلص من رسله من يشاء فيطلعه على ما يشاء من الغيب، ثم يعرضه عليكم. كقوله: (عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِه أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُول) [الجن: 25-26].

قوله: ﴿ فَئَامِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُومِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: الجنة.

قوله: ﴿ وَلاَ يحْسِبَنَّ الذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَـٰهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ ﴾ أي ليس ذلك بخير لهم ﴿ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾. قال مجاهد: يعني اليهود. ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: يجيء كنز أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان فيقول: أنا كنزك فيطلبه، فما زال يطلبه حتى يُلْقِمَهُ يده فيقضقضها حتى يأتي على سائر بدنه(1).

قال الكلبي: يُطَوَّق شجاعين في عنقه فيلدغان جبهته ووجهه فيقول: أنا كنزك الذي كنزت، أنا الزكاة التي بَخِلت بها. وقال بعضهم: يحملونها على رقابهم وظهورهم فلا تقبل منهم. وقال مجاهد: سيكلَّفون أن يأتوا بما بَخِلوا به يوم القيامة.

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري في عدة أبواب. أخرجه مثلاً في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة. وفي التفسير، باب وَلاَ يَحْسَبَنَّ الذِينَ يَبْخَلُونَ بما آتَاهُمُ اللَّه مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ، عن أبي هريرة وأوله: من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع. . . ورواه الحافظ أبو يعلى عن ثوبان عن النبي ﷺ، وفيه: حتى يلقِمهُ يده فيقضمها.

قوله: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي يبقى وتفنون أنتم. ﴿ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء ﴾ قالت اليهود: إن الله استقرضكم، وإنما يستقرض الفقير. يعنون قول الله: (مَنْ ذَا الذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفُهُ لَهُ) [الحديد: 11]، وقالوا: فهو فقير ونحن أغنياء.

وقال بعضهم: ذكر لنا أنها نزلت في حيي بن أخطب؛ لما أنزل الله: (مَنْ ذَا الذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً) قال: يستقرضنا، افتقر إلينا. وقال مجاهد: لِم يستقرضنا وهو غني. قال الله: ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍ ﴾ يعني بهذا أوّليهم الذين قتلوا الأنبياء. ﴿ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ ﴾ يعني في الآخرة.

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ من الكفر والتكذيب ﴿ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾.

ثم قال: ﴿ الذِينَ قَالُوا ﴾ ببغيهم ﴿ إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُومِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأكُلُهُ النَّارُ ﴾ قال الله: ﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالبَيِّنَٰتِ وَبِالذِي قُلْتُمْ ﴾ من القربان الذي تأكله النار، وأنتم تنظرون فلم تؤمنوا بهم، وقتلتموهم. ﴿ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أن الله عهد إليكم ذلك، يعني أوليهم. وكانت الغنيمة قبل هذه الأمة لا تحلّ لهم؛ كانوا يجمعونها فتنزل عليها نار من السماء فتأكلها.

قال مجاهد: كان الرجل إذا تصدّق بصدقة فقُبلت منه أنزلت عليها نار من السماء فأكلتها. ذكر عكرمة قال: ما أحلّت الغنائم لأحد قبلكم، ولا حرّمت الخمر على أحد قبلكم.

قوله: ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالبَيِّنَٰتِ وَالزُّبُرِ وَالكِتَابِ المُنِيرِ ﴾ قال الكلبي: أما الزبر فكتب الأنبياء، وأما الكتاب المنير فالحلال والحرام. قال الحسن: جاءوا بالبينات، أي: الحجج، والزبر والكتاب المنير، وهما شيء واحد. وقال: فأمر الله نبيه بالصبر، وعزاه، وأعلمه أن الرسل قد لقيت في جنب الله الأذى.

قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ﴾ قال الحسن: أخبر الله نبيّه أن ما بينهم وبين أن يذوقوا العذاب الموت، فسوف يذوقونه، ثم يوفون أجورهم فيصير الخلق فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير.

قوله: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ﴾ أي: فمن نُحّي ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ أي نجا وفاز بالجنة. ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَـٰعُ الْغُرُورِ﴾.

عزّى الله رسوله والمؤمنين عن الدنيا، وأخبرهم أن ذلك إنما يصير باطلاً.

ذكروا أن أبا الدرداء قال: الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ذكر الله وما أدّى إليه[1].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها. اقرأوا إن شئتم قول الله: (فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَـوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ). ذكر الحسن قال قال رسول الله ﷺ: لقاب قوس أحدكم أو موضع سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها[2].

قوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ أي لتختبرن ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أي مشركي العرب ﴿أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾. أي من حق الأمور[3].

---

(1) هذا نص حديث حسن أخرجه الترمذي في الزهد، وأخرجه ابن ماجه أيضاً في كتاب الزهد (4112) من حديث عبد الله بن ضمرة، وعنه عن أبي هريرة وفي آخره: «إلا ذكرَ الله وما والاه أو عالماً أو متعلّماً».

(2) أخرجه البخاري في الرقائق، باب صفة الجنة والنار، من حديث عن أنس أن أم حارثة أتت رسول الله ﷺ، وقد هلك حارثة يوم بدر. . . وفيه: غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدم من الجنة خير من الدنيا وما فيها. . .

(3) كذا في المخطوطات، وفي تفسير الطبري ج 7 ص 456: «يقول: من القوة مما عزم الله عليه وأمركم به». وقال ابن الجوزي في زاد المسير، ج 1 ص 520: «أي: ما يعزم عليه، لظهوره رشده».

ابتلاهم الله في أموالهم، أي اختبرهم فيها ففرض عليهم حقوقاً، وهو أن يجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وأن يؤتوا الزكاة وما فرض عليهم. ثم أخبرهم أنهم سيؤذون في جنب الله، وأمرهم بالصبر.

قوله: ﴿ وَإِذ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَه ﴾ وهذا ميثاق أخذ على العلماء من أهل الكتاب أن يبيّنوا للناس ما في كتابهم، وفيه رسول الله والإسلام. ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ وكتبوا كتباً بأيديهم فحرفوا كتاب الله ﴿ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ يعني ما كانوا يصيبون عليه من عرض الدنيا ﴿ فَبِيسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ إذ اشتـروا النار بالجنة.

وذكر بعضهم قال: هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم؛ من عَلِم علماً فليُعَلِّمه، وإياكم وكتمان العلم.

ذكر عطاء قال: من سئل عن علم عنده فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار جهنم(1). ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: مثل الذي يتعلم العلم ولا يحدّث به كمثل الذي يكنز الكنز ولا ينفق منه(2).

قوله: ﴿ لَا تَحْسِبَنَّ الذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا ﴾ هم اليهود. قال الحسن: دخلوا على رسول الله ﷺ، فدعاهم إلى الإسلام، فصبروا على دينهم، فخرجوا إلى الناس فقالوا لهم ما صنعتم مع محمد، فقالوا: آمنا به ووافقناه. فقال الله: لَا يَحْسِبَنَّ الذِينَ يَفْرَحُون بِمَا آتَوْا، يقول: فرحوا بما في أيديهم حين لم يوافقوا محمداً. ﴿ وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾.

(1) وهذا أيضـاً نص حديث صحيح رواه أحمد، ورواه أبو داود في كتاب العلم، باب كراهية منع العلم (3658)، وأخرجه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، كلهم يروونه من طريق عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة مرفوعاً.

(2) لم أجده نصاً لحديث فيما بين يدي من مصادر الحديث والتفسير، إلا أن الطبري أورد في تفسيره ج 7 ص 461، قولاً سديداً لقتادة جاء فيه: «كان يقال: مثل علم لا يقال به، كمثل كنز لا ينفق منه، مثل حكمة لا تخرج، كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب. وكان يقال: طوبى لعالم ناطق، وطوبى لمستمع واع».

قال الكلبي: قالوا: نحن أهل الكتاب الأول، وأهل العلم وأهل الصلاة والزكاة، ولم يكونوا كذلك، أحبّوا أن يحمدهم الناس وأن يطأوا أعقابهم بما لم يفعلوا.

وقال مجاهد: يفرحون بما أتوا، أي: بما فعلوا من تبديلهم التوراة، حرّفوها عن مواضعها، ففرحوا بذلك، وأحبّوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، يعني أن يُحمدوا على أن لهم علماً، وليس عندهم علم بما حَرَّفوا[1]، إنما ابتدعوا من قِبل أنفسهم.

وذكر لنا أن يهود خيبر أتوا نبي الله فزعموا أنهم راضون بالذي جاء به، وأنهم يتابعونه، وهم متمسكون بضلالتهم، وأرادوا أن يحمدهم نبي الله بأمر لم يفعلوه.

ذكر بعضهم قال: من طلب العلم والحديث ولم يحدّث به لم يرح ريح الجنة.

قوله: ﴿ فَلا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ ﴾ أي بمنجاة ﴿ مِّنَ العَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي موجع.

قوله: ﴿ وَلِلهِ مُلْكُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِأُولِي الأَلْبَٰبِ ﴾ أي لذوي العقول وهم المؤمنون ﴿ الذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَٰماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ يقولون: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلاً ﴾ أي أن هذا سيصير إلى الميعاد. ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ ينزّهون الله ﴿ فَقِنَا ﴾ أي: فاصرف عنا ﴿ عَذَابَ النَّارِ ﴾.

قال الحسن: هذا دعاء علّمه الله المؤمنين يدعون به الله، ويسألونه الجنة، لأنه إذا وقاهم عذاب النار أدخلهم الجنة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ كان ليلة عند عائشة فقال: يا عائشة، دعيني أتعبد

---

(1) في ق وع: «وليس عندهم علم بما فرحوا»، وفيه تصحيف صوابه ما جاء في ز: «بما حرفوا».

لربي. فخرج فنظر إلى السماء فتلا هذه الآية، ثم استاك، ثم توضأ ثم صلّى، ثم قعد يذكر الله، ثم وضع جنبه فذكر الله، أحسبه فعل ذلك ثلاث مرات، فسألته عائشة، فتلا هذه الآية، ثم قال: ذكرت الله قائماً وقاعداً وعلى جنبي، فويل لمن لاكها بين لحييه ثم لم يتفكر فيها[1].

وبعضهم يقول: (يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ)، يعني الصلاة المكتوبة، إذا لم يستطع أن يصلي قائماً فقاعداً، وإذا لم يستطع قاعداً فعلى جنبه.

قال بعضهم: هذه حالاتك يا ابن آدم كلها: اذكر الله وأنت قائم، فإن لم تستطع فاذكره وأنت جالس، فإن لم تستطع فاذكره على جنبك، يسراً من الله وتخفيفاً.

قوله: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾ أي: فقد أهنته ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ ﴾ أي للمشركين ﴿ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾.

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ ﴾ يعنون رسول الله ﷺ[2] ﴿ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾.

﴿ رَبَّنَا ﴾ أي يا ربنا ﴿ فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴾. قال الحسن: أمرهم الله أن يدعوا بتكفير ما مضى من الذنوب والسيئات والعصمة فيما بقي.

﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ﴾ أي: على ألسنة رسلك. كقوله: (لُعِنَ

---

(1) روى هذا الحديث هنا مختصراً. وقد رواه عبد بن حميد في تفسيره، كما رواه ابن أبي حاتم وابن حبان بأكثر تفصيلاً عن عطاء في قصة دخوله مع عبد الله بن عمر وعبيد بن عمير على عائشة. وفيها أن النبي ﷺ كان يبكي عندما ذكر الله قائماً وقاعداً وعلى جنبه. فدخل عليه بلال يؤذنه بصلاة الصبح. وفي الخبر أن بلالاً سأله عن بكائه فأخبره النبي بنزول هذه الآيات ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها. انظر تفسير ابن كثير ج 2 ص 180-181.

(2) هذا ما ذهب إليه كثير من المفسرين. وقال محمد بن كعب القرظي: ليس كل الناس سمع النبي ﷺ، ولكن المنادي: القرآن. وقد رجّح ابن جرير الطبري هذا القول الأخير في تفسيره ج 7 ص 480-481. وهو أعم وأنسب.

الذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُود وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ) [المائدة: 78]. قال الحسن: وعد الله المؤمنين على ألسنة رسله أن يدخلهم الجنة إذا أطاعوه.

قوله: ﴿ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَـٰمَةِ ﴾ أي: ولا تعذّبنا. والخزي يوم القيامة دخول النار. ﴿ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ المِيعَادَ ﴾.

قال الله: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ انْثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ ﴾ أشرك الله بين الذكر والأنثى.

﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾.

هذه للرجال دون النساء. وهذا ما سأله المؤمنون أن يعطيهم، وهو ما وعده الله على ألسنة رسله. فسألت عائشة النبي عليه السلام: هل على النساء جهاد؟ فقال: نعم، جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة[1].

قوله: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الذِينَ كَفَرُوا فِي البِلَـٰدِ ﴾ أي: بغير عذاب[2] فإنما هو ﴿ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ﴾ أي ذاهب: ﴿ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ أي مصيرهم جهنم. ﴿ وَبِئْسَ المِهَادُ ﴾ مثل قوله: (لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَـادٌ) والمهاد الفراش (وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ)

---

(1) أخرج البخاري في باب فضل الجهاد والسير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، ترى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: لكن أفضل الجهاد حج مبرور. وفي باب جهاد النساء عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت النبي ﷺ في الجهاد فقال: جهادكن الحج. وفي لفظ آخر عنها قالت: سأله نساؤه عن الجهاد فقال: نعم الجهاد الحج.

(2) هذا وجه من أوجه التأويل، وللآية وجه آخر أورده كثيرة من المفسرين. قال الفراء في معاني القرآن 251:1 «كانت اليهود تضرب في الأرض فتصيب الأموال، فقال الله عز وجل: لا يغرنك ذلك». وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص: 117: أي: تصرّفهم في التجارات وإصابتهم الأموال».

[الأعراف: 41]. وقال: (لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) [الزمر: 16].

ثم قال: ﴿لَكِنِ الذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللهِ﴾ أي ثواباً من عند الله [ورزقاً][1] أي ثواب الآخرة. ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ﴾.

قوله: ﴿وَإِنَّ مِن أَهْلِ الكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِ﴾ يعني من آمن من أهل الكتاب. وهم الذين قال [فيهم][2] (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنُوا فَٱكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) [المائدة: 83] ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلهِ﴾ والخشوع: المخافة الثابتة في القلب. وقال بعضهم: الخشوع التواضع، وهما واحد.

﴿لَا يَشْتَرُونَ بِئَايَـٰتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ كما اشترى به غيرهم من أهل الكتاب. ﴿أُولَئِكَ لَهُم أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي الجنة. ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾.

ذكر بعض المفسّرين قال: إنما نزلت في النجاشي وأناس من أصحابه آمنوا بنبي الله وصدّقوه.

ذكر الحسن أن رسول الله ﷺ لمّا بلغه موت النجاشي قام وأمر أصحابه فصلّوا عليه؛ فقال من قال: يأمرنا أن نصلي على علج من الحبشة، فأنزل الله: وَإِنَّ مِن أَهْلِ الكِتَابِ لَمَن يُومِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ... إلى آخر الآية.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾. قال بعضهم: اصبروا على طاعة الله، وصابروا أهل الضلالة، ورابطوا في سبيل الله.

وقال بعضهم: اصبروا على الفرائض، ورابطوا العدو.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 59.

(2) زيادة يقتضيها السياق.

وقال الحسن: اصبروا على أمر الله الذي فرض عليكم من الجهاد وغيره، وصابروا عليه، ورابطوا في سبيل الله، أي الكفار.

وقال الكلبي: اصبروا على البلاء، وصابروا عدوكم ورابطوهم.

قوله: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي لكي تفلحوا، وهي واجبة لمن فعل. والمفلحون: السعداء، وهم أهل الجنة.

(1) في مخطوطة د، وفي أصلها جاء هذا الدعاء، وهو زيادة من أحد النسلخ ولا شك: «اللهم اجعلنا من أهل الجنة وأصحابها، وممن تدخل عليهم الملائكة من أبوابها تبشرهم بزلفى وحسن مآبها، يا أرحم الراحمين». آمين.

تفسير سورة النساء، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ يعني آدم ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ أي حواء من ضِلَع من أضلاعه القصيرى[1]، من جنبه الأيسر وهو نائم.

قال مجاهد: فاستيقظ فقال: أثا أثتى، أي: امرأة امرأتي. أثا بالسريانية. أشا اشتي. أي: امرأة، امرأتي، إلا أنه بالتاء عبراني، وبالشين سرياني. وإثا: تعالى.

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إن المرأة خلقت من ضِلَع[2]، وإنك إن ترد إقامتها تكسرها، فدارها تعش بها[3].

---

(1) وردت الكلمة في المخطوطات ق، و ع، و د، بالألف الممدودة، وصوابها القصيرى، بالتصغير والألف المقصورة، ويقال أيضاً القصري، بدون تصغير، وهي الضِّلَع التي تلي الشاكلة بين الجنب والبطن، وقيل: هي آخر ضِلَع في الجنب. انظر اللسان: ضلع. وفي تفسير مجاهد، ص 143: «خَلَق حواءَ من قُصيرى آدم. . .».

(2) الضِلَع: بكسر الضاد وفتح اللام، وقد تسكّن اللام. والكلمة مؤنثة. وقد أورد صاحب اللسان بيتاً لحاجب بن ذبيان كشاهد على فتح اللام فقال:

بني الضِّلَع العوجاء أنت تقيمها ألَا إن تقويم الضلوع انكسارها.

ثم أورد بيتاً لابن مفرع كشاهد على سكون اللام فقال:

ورمقتها فوجدتها كالضِّلْع ليس لها استقامه

(3) أخرج البخاري في كتاب النكاح، باب المداراة مع النساء، وباب الوصاة بالنساء حديثين عن =

ذكر أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن المرأة خلقت من ضِلَع، لا تستقيم على خلقة واحدة، إنما هي كالضلع، فإن أقمتها كسرتها وإن تركتها استمتعت بها على عوجها[1].

قوله: ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ أي: وخلق منهما رجالاً كثيراً ونساءً.

﴿ وَاتَّقُوا اللهَ الذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ أي: واتقوا الأرحامَ أن تقطعوها، في تفسير من قرأها بالنصب. ومن قرأها بالجر فهو كقول القائل: أنشدك بالله وبالرحم.

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ أي حفيظاً.

قوله: ﴿ وَءَاتُوا الْيَتَـٰمَىٰ أَمْوَٰلَهُـمْ ﴾ أي اعطوا اليتامى أموالهم، أي: إذا بلغوا. ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾. قال مجاهد: ولا تتبدلوا الحرام بالحلال[2]. وقال الحسن: الخبيث: أكل أموال اليتامى، والطيّب: الذي رزقكم الله؛ يقول: لا تذروا الطيّب وتأكلوا الخبيث الذي حرَّم الله عليكم.

قوله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَٰلَهُـمْ إِلَى أَمْوَٰلِكُـمْ ﴾ أي لا تأكلوا أموالهم ظلماً إلى أموالكم، أي مع أموالكم. ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً ﴾. قال الحسن: ذنباً كبيراً. وقال غيره ظلماً كبيراً. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أكل أموال اليتيم من الكبائر[3].

= أبي هريرة. وجاء في الأخير منهما... واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضِلَع، وإن أعوج شيء في الضلَع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته...

(1) أخرجه البخاري ومسلم، أخرجه مسلم في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء (1468) عن أبي هريرة جاء فيه: ... لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها. وكسرها طلاقها.

(2) اللفظ في تفسير مجاهد ص 143 هكذا: «لا تتبدّلوا الحرام من أموال اليتامى بالحلال من أموالكم».

(3) لم أجده حديثاً منفرداً بهذا اللفظ، ولكنه ورد في حديث متفق عليه رواه البخاري في باب قول الله تعالى: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً... عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: اجتنبوا السبع الموبقات... وفيه: وأكل مال اليتيم. ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (89) عن أبي هريرة.

قوله: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا ﴾ أي ألا تعدلوا ﴿ فِي اليَتَـٰمَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم ﴾ أي ما حل لكم ﴿ مِنَ النِّسَاءِ ﴾. قال بعضهم: يقول: كما خفتم الجور في اليتامى وهمّكم ذلك، فخافوا في جمع[1] النساء. وكان الرجل يتزوج في الجاهلية العشر فما دون ذلك؛ فأحل الله له أربعاً، فقال: (فانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ) ﴿ مَثْنَى وثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمُ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ في أربع فانكحوا ثلاثاً، وإن خفتم ألا تعدلوا في ثلاث فانكحوا اثنتين، فإن خفتم ألا تعدلوا في اثنتين ﴿ فَـ ﴾ انكحوا ﴿ وَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَت أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾. تطأ بملك يمينك كم تشاء.

قال الحسن: فَإِنْ خِفْتُمُ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي اليَتَامَىٰ أي: إن علمتم فيهن مخافة إثم؛ وذلك أن الرجل كان يكون عنده يتامى النساء، هو وليُّهن، التسع، والسبع، والخمس، والثلاث، والواحدة، فيكره أن يزوّجهن، يريد أن يحبسهن حتى يمتن فيرثهن، أو يتزوج منهن من يشاء.

ذكروا عن مجاهد أنه قال: كان الرجل في الجاهلية يتزوج بمال اليتيم لا يبالي، فنهاهم الله عن ذلك[2]. وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: إنما قصروا على أربع من أجل أموال اليتامى[3].

قوله: ﴿ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ أي: أجدر ألا تعولوا. ذكروا عن مجاهد قال: ذلك أدنى ألا تضلوا. وقال بعضهم: ذلك أدنى ألا تعولوا، أي: أدنى ألا تميلوا؛ وهو واحد.

قوله: ﴿ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ أي فريضة[4].

---

(1) في د و ز: «جميع»، وفي ق و ع: «جمع» وهو الأصح.

(2) جاء في تفسير مجاهد ص 144 ما يلي: «﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي اليَتَامَى﴾ يقول: إن تحرّجتم من ولاية أموال اليتامى، إيماناً وتصديقاً، فما تأتون في جمعكم النساء أعظم».

(3) لم يشر المؤلف عندما ذكر مختلف تفاسير الآية إلى تفسير عائشة رضي الله عنها لهذه الآية عندما سألها عنها ابن أختها عروة بن الزبير، وتفسيرها جدير بالاعتبار، اقرأه في صحيح البخاري في كتاب التفسير من أوائل سورة النساء. وانظره في تفسير الطبري ج 7 ص 531-533.

(4) فسر الفراء في معاني القرآن ج 1 ص 256 هذه الآية كما يلي: «يقول: هبة وعطية». وما قاله =

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا على أحدكم على ما تزوّج من قليل أو كثير إذا ما سمّى وأشهد[1].

ذكروا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل مهور نساء المؤمنين أربعمائة درهم، فما اصطلحوا عليه دون ذلك فهو جائز. وقال بعضهم: كانوا يكرهون أن يكون مثل مهر النبي، ولكن بالعشرة والعشرين.

قوله: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً﴾ أي: عن شيء من الصداق ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً﴾.

ذكروا أن عمر بن عبد العزيز كتب: أيما امرأة تصدقت على زوجها بصداقها بطيب نفس فهو جائز. قال بعضهم: يقول: ما طابت به نفسها في غير كره أو هوان، فقد أحل الله أن يأكله هنيئاً مريئاً.

قوله: ﴿وَلَا تُوتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ أي: النساء هن السفهاء[2].

وقال مجاهد: هن النساء من كن: بنات أو أخوات أو أمهات. وقال الكلبي:

= أبو عبيدة في مجاز القرآن، ج 1 ص 117 أدق تعبيراً وأوفى بالمقصود: قال: «أي مهورهن عن طيب نفس بالفريضة بذلك».

(1) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من المصادر. وقريب من معناه ما ذكره السيوطي في الدر المنثور، ج 2 ص 120 قال: «أخرج أحمد عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: لو أن رجلاً أعطى امرأة ملء يديه طعاماً كانت له حلالاً».

(2) اللفظ وسياق الآية يمنعان تخصيص النساء بوصفهن بالسفه دون الرجال؛ ولو كان ذلك كذلك لجاء اللفظ بالسفيهات أو لرجع الضمير إليهن تبعاً للآية التي قبلها فكانت القراءة مثلاً: لا توتوهن. وقول الكلبي ومن تبعه في ذلك أولى بالصواب. ولا وجه لقول مجاهد الوارد هنا. على أنه جاء في تفسيره ص: 145 قول له آخر يقول فيه: «السفهاء من الرجال والنساء». وهو أولى بالاعتبار. وهذا ما ذهب إليه الطبري ورجحه في تفسيره، ج 7 ص 565 إذ يقول: «والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا، أن الله جل ثناؤه عم بقوله (وَلَا تُوتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ)، فلم يخصص سفيهاً دون سفيه. فغير جائز لأحد أن يؤتي سفيهاً مالَه، صبياً صغيراً كان أو رجلاً كبيراً، ذكراً كان أو أنثى».

هن النساء والأولاد؛ إذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة، أو ابنه سفيه مفسد، فلا ينبغي له أن يسلّط واحداً منهما على ماله.

قوله: ﴿ التِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيٰماً ﴾ لمعايشكم وصلاحكم. قال: ﴿ وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا ﴾ أي في أموالكم ﴿ وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾ أي العِدَة الحسنة. وقال بعضهم: أمر الله بهذا المال أن يُخزَن فتُحسَن خِزانتُه[1]، ولا تملكه المرأة السفيهة ولا الصبي السفية.

قوله: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَـٰمَىٰ ﴾ أي اختبروا عقولهم ودينهم ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ قال مجاهد: يعني الحلم. ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم ﴾ أي رأيتم ﴿ مِّنْهُمْ رُشْداً ﴾ أي صلاحاً في دينهم ﴿ فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُـمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَّكْبَرُوا ﴾ أي تبادرون باليتيم أن يكبر فيمنعكم ماله.

قوله: ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾. قال بعضهم: المعروف ما سدّ الجوع ووارى العورة.

وقال بعضهم: كان الرجل يلي مال اليتيم، له الحائط من النخل، فيقوم على صلاحه وسقيه، فيصيب من ثَمَره. وتكون له الماشية فيقوم على صلاحها، ويلي علاجها ومؤونتها، فيصيب من جزازها[2] وعوارضها[3] ورِسلها. فأما رقاب المال، فليس له أن يستهلكه ولا أن يأكله.

---

(1) في د: «خزائنه»، وفي ق و ع: «خزانته» وهذا اللفظ الأخير هو الصحيح. والخِزانة: «عمل الخازن» انظر اللسان: خزن.

(2) كذا في ق و ع و د و ز: «من جِزازها» وهو الأصح، وفي اللسان (جَزر) «من جَزرها». أما الجزار فهو مصدر جز يجز، جزاً وجِزازاً وجَزازاً. وقد تكون الكلمة مضمومة الأول: جُزازها؛ وهو ما جُزَّ منها. أما رواية جِززها فهي جمع جِزّة، وهو ما يُجَز من صوف الشاة كلّ سنة ولم يستعمل بعدَ جزّه.

(3) العوارض جمع عارضة، وهي الشاة والناقة تصيبها آفة أو داء فَيُضطرُّ صاحبُها إلى ذبحها. والرِّسل هو اللبن.

ذكروا أن رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ سئلوا عن قول الله عز وجل: (وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ) فقالوا: فينا والله نزلت؛ كان الرجل يلي مال اليتيم له النخل، فيقوم عليها، فإذا طابت الثمرة كانت يده مع أيديهم، مثلما كانوا مستأجرين به غيره في القيام عليها. ذكروا عن سعيد بن جبير أنه قال: يأكل قرضاً.

ذكروا أن رجلاً قال: يا رسول الله: إن في حجري يتيماً أفأضربه؟ فقال: اضربه مما كنت ضارباً منه ولدك. قال أفآكل من ماله؟ قال: بالمعروف غير متأثل من ماله مالاً، ولا واق مالك بماله[1]. قال مجاهد والحسن: هي طعمة أطعمه الله إياها.

قوله: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيباً﴾ أي: حفيظاً فيما بينكم وبينهم.

قوله: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَٰلِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَٰلِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾. هذا حين بيّن الله فرائض المواريث؛ نزلت آية المواريث قبل هذه الآية، وهي بعدها في التأليف؛ فكان أهل الجاهلية لا يعطون النساء من الميراث شيئاً، ولا الصغير شيئاً، وإنما كانوا يعطون من يحترف وينفع ويدفع، فجعل الله لهم من ذلك مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً.

قوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾. وهذه الآية مع الآية الأولى بعد آية المواريث، والآية الأولى قبلها في التأليف.

ذكروا عن الحسن قال: إن كانوا يقتسمون مالاً أو متاعاً أعطُوا منه، وإن كانوا يقتسمون دوابّ[2] أو رقيقاً قيل لهم: ارجعوا رحمكم الله، فهو قوله: (وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً

---

(1) أخرجه يحيى بن سلام عن نصر بن طريف عن عمرو بن دينار عن الحسن العَرَني، وأخرجه الطبري في تفسيره ج 7 ص 593 عن الحسن البصري؛ ولعله «الحسن العرني» كما في ز، ورقة: 59، وفي الدر المنثور، ج 2 ص 122.

(2) كذا في ق، و ع، و د: «دوابّ»، وفي ز، ورقة 59: «دورا».

مَّعْرُوفاً) وقال بعضهم عن الحسن: قولوا لهم قولاً معروفاً قال: أي بارك الله عليك(1).

قال سعيد بن المسيب: القسمة قسمة المواريث. وقال سعيد بن جبير: قسمة الثلث. وقال سعيد بن جبير: هي منسوخة نسختها آية المواريث. وكان الحسن يقول: ليست بمنسوخة. وكذلك قول أبي موسى الأشعري فيها أيضاً. ذكروا عن عطاء عن ابن عباس أنه قال: ليست بمنسوخة. قال [يحيى](2) والعامة على أنها منسوخة.

قوله: ﴿ وَلْيَخْشَ الذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفاً خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ أي بعد موتهم. ﴿ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾.

ذكروا عن عطاء عن ابن عباس قال: إذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فليحثهم على أن يعطوهم، وليَخَفْ عليهم كما يخاف إذا(3) ترك ذرية ضعافاً. وكان بعضهم يقول: من حضر ميتاً فليأمره بالعدل والإحسان ولينهه عن الحيف.

ذكروا عن سعيد بن جبير أنه قال: يحضرهم اليتيم والمسكين فيقولون له: اتق الله وصلهم وأعطهم، ولو كانوا هم لأحبوا أن ينفعوا أولادهم، ولا يَجُرْ في وصيته، وليخش على عياله ما كان خائفاً على عياله إذا(3) حضره الموت.

وقال بعضهم: إذا رأوه قد أوصى فأكثر أمروه أن يعدل، ولا يجحف بورثته.

ذكروا أن رسول الله ﷺ أجاز من الوصيّة الثلث.

ذكروا أن علياً دخل على رجل من قومه يعوده فأراد أن يوصي، فقال له علي: إنما قال الله: (إِنْ تَرَكَ خَيْراً) [البقرة: 180] وأنت مُقِلّ لا مال لك.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْـوَٰلَ اليَتَامَىٰ ظُلْماً ﴾ أي يذهبون به لا يريدون رده،

(1) كذا في د: «بارك الله عليك»، وفي ق، و ع: «بارك الله فيك».
(2) زيادة من ز، ورقة 59. وهو يحيى بن سلام.
(3) كذا في ق و ع و د، وفي ز، ورقة 59. «كما يخاف لو ترك»...

أي استحلالاً له. ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به فقال: أتيت على رجال يلقم أحدهم الحجر فيخرج من دبره. قال: فقلت: من هؤلاء يا جبريل، قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً أو سيصلون سعيراً. وتفسير الحسن: إنما يأكلون فيه ناراً. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أكل مال اليتيم من الكبائر(2).

قوله: ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَـٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾ وإن ترك اثنتين فأكثر من ذلك فلهن ثلثا المال. ﴿ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ﴾(3) وإن ترك ابنته وابن ابن فللبنت النصف، وما بقي فلابن الابن؛ وإن كان مع ابن الابن أخت، فما بقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين.

وإن ترك ابنتين أو أكثر وابن ابن فللبنات الثلثان، ولابن الابن ما بقي. وإن كانت معه أخت(4) فما بقي بينهما، للذكر مثل حظ الانثيين.

وإن ترك ابنته وابنة ابنه فلابنته النصف، ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وإن كن بنات ابن مع ابنته، فلهن السدس بينهن تكملة الثلثين. وليس لبني البنات من الميراث شيء، ذكوراً كانوا أو أناثاً.

---

(1) أخرجه السيوطي بألفاظ قريبة مما هنا في الدر المنثور ج 2 ص 124، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 8 ص 27 عن أبي سعيد الخدري.

(2) انظر ما سلف قريباً ص 210، تعليق: 1.

(3) ورد في مخطوطة ز تعليق لأبي عبد الله محمد بن أبي زمنين رأيت من الفائدة إثباته هنا: «قال محمد: أعطيت البنتان الثلثين بدليل لا بفرض مسمّى لهما. والدليل قوله: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ) [النساء: 176] فقد صار للأخت النصف كما أن للإبنة النصف. (فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ) فأعطيت البنتان الثلثين كما أعطيت الأختان، وأعطى جملة الأخوات الثلثين قياساً على ما أخبر الله في جملة البنات».

(4) كذا في ق و ع: «وإن كانت معه أخت»، وفي د: «وإن كان مع ابن الابن أخت»، وهذا الأخير أوضح، والمعنى واحد.

وإن ترك ابنته وبنات ابن، وابن ابن أسفل من ذلك، فلابنته النصف، ولبنات الابن السدس تكملة الثلثين، ولابن الابن الأسفل ما بقي. وإن كانت معه أخت فما بقي بينهما، للذكر مثل حظ الانثيين. وإن لم يكن لها أخ فليس لها شيء.

وإن ترك ابنته وبنات ابنه، وبنات ابن أسفل من ذلك، وابن ابن أسفل من ذلك، فلابنته النصف، ولبنات الابن السدس تكملة الثلثين، ويقاسم الابن الأسفل بنات ابن الابن اللاتي فوقه، للذكر مثل حظ الأنثيين.

قوله: ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ ذكر، أو ولد ابن ذكر[1]، فلكل واحد من الأبوين السدس.

ذكروا عن جابر بن عبد الله أنه قال: مرضت فجاءني النبي عليه السلام وأبو بكر وعمر، وقد أغمي علي، فلم أفق حتى توضأ النبي عليه السلام، فصب علي من وَضوئه فأفقت، فقلت: يا رسول الله، كيف أقسم مالي؛ فلم يدر ما يقول، فأنزل الله: يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين... إلى آخر الآية.

وإن ترك ابنتين أو أكثر وأبويه فكذلك أيضاً. وإن ترك ابنته وأبويه فلابنته النصف، وللأم ثلث ما بقي وما بقي فللأب. وليس للأم مع الولد، واحداً كان أو أكثر، ذكراً كان أو أنثى إلا السدس.

قوله: ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ﴾ هذا إذا لم يكن وارث غيرهما، في قول زيد والعامة.

وإن ترك رجل امرأته وأبويه فهي من اثني عشر سهماً؛ فلامرأته الربع: ثلاثة أسهم، وللأم ثلث ما بقي: ثلاثة أسهم، وللأب ما بقي: ستة أسهم.

(1) كذا في ق و ع و د. ولا أرى وجهاً لتخصيص الولد بالذكورة هنا، ولا أعلم أحداً قال به؛ فإن الله لما أطلق الولد وأبهمه انصرف إلى الولد الذكر والأنثى منه على السواء. وانظر ما قاله ابن جرير الطبري في تفسيره ج 8 ص 36: «وأما قوله: (وَلِأَبَوَيْهِ) فإنه يعني: ولأبوي الميت (لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ) من تركته وما خلف من ماله، سواء فيه الوالدة والوالد، لا يزداد الواحد منهما على السدس. (إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ) ذكراً كان الولد أو أنثى، واحداً كان أو جماعة».

وإن كانت امّرأة تركت زوجها وأبويها فهي من ستة أسهم؛ فللزوج النصف: ثلاثة أسهم، وللأم ثلث ما بقي: سهم، وللأب ما بقي: سهمان.

ذكر الحسن أن أبا بكر الصديق كان يجعل الجد أبا[1]. والجد: أب الأم لا يرث، والجدات لا يرثن مع الأم شيئاً. والجدة لها السدس إذا لم تكن أم. والجدتان: أم الأم وأم الأب بينهما السدس.

ويرث من الجدات ثلاث ولا ترث الرابعة: أم أب الأم إذا كانت الجدة قبل الأم أقرب فهو لها دون الأخرى، وإذا كانت الأخرى أقرب، وإذا كانتا سواء، فهو بينهما. ولا ترث الجدة وابنها حي[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ أطعم ثلاث جدات السدس؛ قالت العلماء: اثنتين من قبل أبيه، وواحدة من قبل أمه.

ذكروا أن زيد بن ثابت كان يورث ثلاث جدات، اثنتين من قبل أبيه وواحدة من قبل أمه.

قوله: ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾. إذا كان له أخوان فأكثر حجبوا الأم عن الثلث، وكان لها السدس. ولا يحجبها الأخ الواحد من الثلث إلى السدس.

---

(1) وهذا ما ذهب إليه الإباضية قديماً وحديثاً، فليس للإخوة مع الجد شيء. وهم متّبعون في ذلك ما قال به جِلّة من علماء السلف؛ فممن جعل الجد أباً من الصحابة: أبو بكر وابن عباس وعائشة وابن مسعود وأُبي، وأبو الدرداء، ومن التابعين: جابر بن زيد، والحسن البصري وشريح، وهو ما ذهب إليه أبو حنيفة أيضاً. انظر ابن بركة، الجامع ج 2 ص 591-595. وتفسير القرطبي ج 8 ص 68.

(2) كذا في ق و د: «وابنها حي»، وفي ع: «وابنتها حية»، ولا معنى لذكرها، فإن العلماء أجمعوا على أن الأم تحجب أمها وأم الأب. واختلفوا في توريث الجدة وابنها حي، فذهب المؤلف هنا إلى أنه لا ترث الجدة وابنها حي؛ وهذا ما ذهب إليه زيد بن ثابت، وعثمان وعلي. وممن قال بتوريث الجدة وابنها حي عمر وابن مسعود وأبو موسى الأشعري. وقال به أيضاً جابر بن زيد وشريح من التابعين. وبهذا القول الأخير أخذ الإباضية.

والاخوة إذا كانوا إخوة من أبيه وأمه، أو إخوته لأبيه، أو إخوته لأمه، أو بعضهم من الأم، فهو واحد، ذكوراً كانوا أو إناثاً، أو بعضهم ذكور وبعضهم إناث، يحجبون الأم عن الثلث ولا تأخذ إلا السدس.

ذكر بعضهم فقال: كان بعض أهل العلم يقول: إنما حجب الاخوة الأم عن الثلث ولا يرثون، لأن أباهم يلي إنكاحهم والنفقة عليهم دون أمّهم.

قوله: ﴿ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾. فيها تقديم. ذكروا عن علي بن أبي طالب قال: أنتم تقرأون من بعد وصيـة يوصي بها أو دين، وقضى رسول الله ﷺ أن الدين قبل الوصية. يقول: من بعد دين يكون عليه أو وصية يوصي بها.

ذكروا عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: الدين قبل الوصية، ثم الوصية، ثم الميراث[1].

قوله: ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ قال الكلبي: لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً في الآخرة؛ إذا كان هو أفضلَ من ولده سأل الله أن يجمع بينه وبينه في الجنة، ولا ينقصه من رزقه شيئاً. وإن كان الولد هو خيرٌ عملاً من الوالد سأل الله أن يجمع بينه وبين والده، ولا ينقصه من رزقه شيئاً. قال: وهي مثل قوله: (وَالذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَاتِهِمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم، أي: وما أنقصناهم، مِّنْ عَمَلِهِم مِّنْ شَيْءٍ) [الطور: 21].

ذكروا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: إن الله يرفع ذرية المؤمن معه في الجنة في الدرجة إن كانوا دونه في العمل ليُقِرَّ به عينَه، ثم قرأ: (والذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ)... الآية. وقال مجاهد: (لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً) أي: في الدنيا.

(1) لم أجده بهذه الألفاظ كلها. وقد رواه الدارقطني في سننه، في كتاب الفرائض والسير وغير ذلك، ج: 2 ص: 97، من طريق أبي إسحاق الهمداني عن عاصم بن ضمرة، عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ قال: الدَّيْن قبل الوصية، وليس لوارث وصية.

قوله: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُنَّ وَلَدٌ ﴾. أو ولد ابن. وولد البنات لا يرثون شيئاً ولا يحجبون [وارثاً](1) ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ ﴾ ذكر أو أنثى ﴿ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ وهي مثل الأولى.

﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ﴾ أو ولد ولد ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ ﴾ وإن ترك رجل امرأةً أو امرأتين أو ثلاثاً وأربعاً، فالربع بينهن سواء، إذا لم يكن له ولد أو ولد ولد، فإن كان له ولد، أو ولد ولد، ذكر أو أنثى، فالثمن بينهن سواء. ﴿ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ وهي مثل الأولى.

﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾ من الأم ﴿ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴾. ذكروا أنهم الإخوة من الأم؛ فإن كان واحداً فله السدس، وإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث. ذكرهم وأنثاهم فيه سواء.

ذكر بعض المفسّرين قال: الكلالة الذي لا ولد له ولا والد ولا جد.

ذكروا أن أبا بكر الصديق قال في خطبته: إلا إن هذه الآية التي في أوّل سورة النساء من شأن الفرائض، أنزلها الله في الولد والوالد، والآية التي بعدها أنزلها الله في الزوج والزوجة، والآية التي بعدها في الاخوة من الأم، والآية التي أنزلها الله في آخر النساء أنزلها في الاخوة من الأب والأم، والآية التي ختم بها سورة الأنفال، يعني قوله: (وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ) [الأنفال: 75] مما جرّت الرحم من العصبة. قوله: ﴿ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ قد فسّرناه في الآية الأولى.

قوله: ﴿ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ أي: في الميراث أهله. يقول: لا يقرّ بحق ليس عليه، ولا يوصي بأكثر من الثلث مضارة لهم. قوله: ﴿ وَصِيَّةً مِّنَ اللهِ ﴾ أي تلك القسمة، ﴿ وَاللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾.

(1) سقطت الكلمة من ق وع ود، والزيادة من ز، ورقة 60.

قوله: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ ﴾ أي: سنته وأمره في قسمة المواريث. ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي في قسمة المواريث كما أمره الله، ﴿ نُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ قد فسّرنا الفوز العظيم قبل هذا الموضع(1).

وقال بعضهم: تلك حدود الله التي حدّ لخلقه، وفرائضه بينهم من الميراث وقسمته، فانتهوا إليها، ولا تتعدوا ذلك إلى غيره.

قال: ﴿ وَمَن يَّعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ) في قسمة المواريث ولم يقسمها كما أمره الله، وذلك أن [المنافقين كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان الصغار، كانوا يظهرون الإسلام وهم على ما كانوا عليه في الشرك وكان](2) أهل الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان، وإنما كَانُوا يُوَرِّثُونَ من يحترف وينفع ويدفع. قوله: ﴿ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ ﴾ أي يخالف أمره في قسمة المواريث ﴿ نُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ أي من الهوان.

ذكر عن عبد الله بن عمر قال: إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى إذا كان عند موته حاف في وصيته، فجعل ذلك خاتمة عمله فأدخله النار(3).

(1) انظر ما سلف قريباً ص 338.

(2) زيادة من ز، ورقة 60، رأيت من المناسب إثباتها. والكفر ملّة واحدة. فنحن نرى اليوم من يعصون الله ورسوله في المواريث فيمنعون المرأة ـ وقد تكون أماً أو زوجة ـ من التصرّف في نصيبها الذي ورثته من أبيها أو أمها بدعاوى باطلة وتقاليد ضالة. ونجد آخرين يتعدون حدود الله فينادون بتسوية الأنثى بالذكر في الميراث بدعوى أنها تعمل هي أيضاً وتنتج. وهذا لعمري كله كفر صريح بآيات الله، وتحكيم لقوانين بشرية ما أنزل الله بها من سلطان. ونعوذ بالله من فتن تظلنا إذا ما أسندت الأمور لغير أهلها، أو تركت بين أيدي الجاهلين بأسرار التشريع الإسلامي وحِكمه، العابثين المستهترين بما أوصى الله به عباده المؤمنين، وبما فرضه عليهم في مواريثهم.

(3) هذا الأثر المنسوب هنا لابن عمر هو نص حديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظ أتم. وأخرجه أبو داود في كتاب الوصايا، باب ما جاء في كراهية الإضرار في الوصية (رقم 2867)، وأخرجه ابن ماجه أيضاً في كتاب الوصايا، باب الحيف في الوصية (رقم 2704) كلهم يروونه عن أبي هريرة مرفوعاً.

وقال بعضهم: من أجنف في وصيته سلكت به في وادي ألوى[1] تفرغ في جهنم.

قوله: ﴿وَالـتِي يَأتِينَ الفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ﴾ يعني الزنا ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَامْسِكُوهُنَّ فِي البُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيْهُنَّ المَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ قيل: هذه الآية نزلت بعد الآية التي بعدها في التأليف.

﴿والَّذَانِ يَأتِيَانِهَا﴾ يعني الفاحشة ﴿مِنْكُمْ﴾ من الرجال، ﴿فَئَاذُوهُمَا﴾ أي: بالألسنة ﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾. ثم نزلت هذه الآية (فَامْسِكُوهُنَّ في البُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيْهُنَّ المَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾. ثم نزل في سورة النور: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِـدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) [النور: 2]. وهذا في تفسير الحسن.

وقال غيره: (فَإِنْ شَهِدُوا فَامْسِكُوهُنَّ فِي البُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيْهُنَّ المَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً وَالَّذَانِ يَأتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً) قال: كان هذا بدءَ عقوبة الزنا. كانت المرأة تحبس، ويؤذيان جميعاً بالقول والشتيمة، قال: (حَتَّى يَتَوَفَّيْهُنَّ المَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً). فجعل سبيلهن الجلد والرجم: إن كانا محصنين رجماً، وإن كانا غير محصنين جلد كل واحد منهما مائة جلدة.

قال الحسن: إن جاء الشهود الأربعة جميعاً أقيم بشهادتهم الحد، وإن جاءوا مفترقين جلد كل إنسان منهم جلد القاذف ثمانين.

ذكر عكرمة عن ابن عباس قال: لا يقام الحد حتى يشهدوا أنهم رأوه يدخل كما يدخل المرود في المكحلة.

قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ﴾ أي إنما التجاوز من الله ﴿لِلذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ

(1) كذا في المخطوطات ق و ع و د: «وادي الوى»، ولم أهتد لما في الكلمة من تصحيف إن كان ولا لمعناها، ولم أعثر على هذا القول لأحد العلماء، وهو غير موجود في ز.

بِجَهَالَةٍ ﴾ ذكر بعض العلماء قال: كل ذنب أتاه عبد فهو بجهالة. قال: ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ أي: ما دون الموت؛ يقال: ما لم يغرغر بنفسه[1]. ﴿ فَأُولَـٰئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾.

قال الحسن: نزلت هذه الآية في المؤمنين: ثم ذكر الكفار فقال: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ يعني الشرك بالله[2] ﴿ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ ﴾ عند معاينة ملك الموت قبل أن تخرج نفسه من الدنيا ﴿ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ ﴾ أي رجعت الآن ﴿ وَلاَ الذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أعتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾.

قال الحسن: لا يقبل إيمان الكافر عند الموت ولا توبته ولا توبة صاحب الكبائر.

ذكروا عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا إن الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارة لما بينهما لمن اجتنب الكبائر[3].

ذكروا عن الحسن قال: إن إبليس لما أهبط إلى الأرض قال: وعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده، فقال الله: وعزتي لا أمنعه التوبة ما لم يغرغر بنفسه.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: كل ذنب أقام عليه العبد حتى يموت فهو كبيرة. قال: وكل ذنب تاب منه العبد قبل أن يموت فليس بكبيرة.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً ﴾.

كان الرجل في الجاهلية يموت عن امرأته فيُلقِي وليُّه عليها ثوباً، فإن أَحبَّ أن

---

(1) أخرج أحمد والترمذي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر.

(2) هذا قول ابن عباس. وقال أبو العالية في قوله: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ)... الآية، قال: هذه للمؤمنين، وفي قوله: (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ...) قال: هذه لأهل النفاق، وفي قوله: (وَلاَ الذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ) قال: هذه لأهل الشرك.

(3) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة (233) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

يتزوّجها تزوّجها، وإلا تركها حتى تموت فيرثها، إلا أن تذهب إلى أهلها قبل أن يلقي عليها ثوباً، فتكون أحقَّ بنفسها.

وقال بعضهم: إذا ألقى عليها ثوباً كان ذلك تزويجه إياها، فإن كان راغباً فيها عجّل الدخول بها، وإن لم تكن له فيها رغبة حبسها، فلم يدخل بها حتى تفتدي بمالها أو ببعضه.

قال الحسن: كان وليّه يقول: ورثت امرأته كما ورثت ماله، فإن شاء تزوّجها بالصداق الأول، وإن شاء زوّجها وأخذ صداقها.

وقال بعضهم: كان هذا في حي من الأنصار؛ إذا مات لهم ميت قصد ولي الميت ولي المرأة فنكحها أو أنكحها من شاء، ما لم يكن أباها أو عمَّها، أو يعضلوهن حتى يفتدين بأموالهن، فنهاهم الله عن ذلك[1].

قوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي لا تحبسوهن ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ أي: ببعض ما أعطيتموهن. قال الحسن: يعني الصداق. ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾. قال بعضهم: نُهِيَ الرجل إذا لم يكن له بامرأته حاجة أن يضارّها فيحبسها لتفتدي منه، إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة. قال بعضهم: إلا أن تكون هي الناشزةَ فتختلع منه. والفاحشة المبيّنة: عصيانها ونشوزها.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: المختلعات المنتزعات هن المنافقات[2]. ذكر الحسن قال: إنما كان عامة من يصيب هذه الحدود وأشباه هذا من الفعل يومئذ

(1) انظر أسباب نزول هذه الآية في الواحدي، أسباب النزول ص: 140. وانظر ابن حجر، فتح الباري ج 8 ص 246-247 وانظر تفصيلاً أوفى في تفسير الطبري ج 8 ص 104-110.

(2) أخرجه الترمذي في أبواب الطلاق، باب ما جاء في المختلعات عن ثوبان بلفظ «المختلعات هن المنافقات». وأخرجه النسائي وأحمد عن طريق أبي هريرة بلفظ: «المختلعات والمنتزعات هن المنافقات» وأخرجه مزنّب مسند الربيع بن حبيب في مراسل جابر بن زيد (937) ج 4:16 بلفظ: «إن المختلعات والمنتزعات من المنافقات» وشرحه قائلاً: «والمختلعة: التي تفتدي بمالها، والمنتزعة التي تفرّ من زوجها». وانظر الألباني: الأحاديث الصحيحة 2:210.

المنافقين. وذكر الحسن: إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، أي: الزنا، إلا أن تقوم عليها البينة. وهي منسوخة.

قوله: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ ﴾ أي: اصحبوهن بالمعروف ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾. أي: يكره الرجل المرأة، فيحبسها، ويمسكها وهو لها كاره، فعسى الله أن يرزقه منها ولداً، ثم يعطفه الله عليها، أو يطلقها فيتزوجها غيره، فيجعل الله للذي تزوّجها فيها خيراً كثيراً.

قوله: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ ﴾ أي طلاق امرأة ونكاح أخرى[1] ﴿وَءَاتيتم﴾ أي وأعطيتم ﴿ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً ﴾. ذكروا عن الحسن أنه قال: القنطار ألف دينار ومائتا دينار. وذكر بعضهم قال: القنطار مائة رطل من الذهب أو ثمانون ألفاً من الورق.

قال: ﴿ فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ ﴾ على الاستفهام ﴿ بُهْتَـٰناً ﴾ أي: ظلماً ﴿ وَإِثْماً مُّبِيناً ﴾ أي إن أخذتموه على ذلك كان بهتاناً وإثماً مبيناً، أي بيّناً.

لا يحل له أن يأخذ مما أعطاها شيئاً إلا أن تنشز فتفتدي منه، ولا يحل له أن يضارّها فتفتدي منه.

قوله: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَد أَفْضَى بَعْضُكُم إِلَى بَعْضٍ ﴾ يعني المجامعة في تفسير مجاهد وغيره. قال [بعضهم]: كل مدخول بها فلها الصداق كاملاً. وإن كانت محرماً منه تزويجها، وهو لا يعلم، فدخل بها، فلها الصداق كاملاً. وكان الحسن يقول: إن كانت لا تحل له فلها ما أخذت منه ولا تتبعه بما بقي.

قال: ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقاً غَلِيظاً ﴾ هو قوله: (إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) [البقرة: 229]، وهو قول الحسن وغيره. وقال مجاهد: هي كلمة النكاح التي تُستَحلّ بها الفروج.

---

(1) في ع و د: «طلاق امرأة وتزويج امرأة» وأثبت ما جاء في ز: «ونكاح أخرى».

قال بعضهم: وقد كان في عقد المسلمين عند إنكاحهم: ءآلله[1] عليك لتمسكنَّ بمعروف أو لتسرِّحَنَّ بإحسان. وحُدِّثنا عن بعض السلف أنه كان يتلو هذه الآية عند النكاح.

قوله: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ أي إلا ما قد مضى قبل التحريم. ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتاً ﴾ أي وبغضاً من الله ﴿ وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ أي: بئس المسلك.

إذا تزوَّج الرجل المرأة لم تحل لابنه إذا طلّقها الأب، أو مات عنها، دخل بها أو لم يدخل بها. والجد كذلك، والجدّ أب الأم كذلك. وإذا وطىء الرجل أمته أو أمة غيره، أو حرة، أو جرّدها، أو مسّ منها شيئاً بشهوة لم تحل لأبيه ولا لابنه.

قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ ﴾. والجدات كلهن مثل الأم، وأم أب الأم من حيث ما ولدته فهي أم.

قوله: ﴿ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ وبنات الابن وبنات الابنة وأسفل من ذلك من حيث ما ولدها فهي ابنته.

قوله: ﴿ وَأَخَوَٰتُكُمْ ﴾ إن كانت لأبيه وأمّه، أو لأبيه، أو لأمه، فهي أخت.

قوله: ﴿ وَعَمَّـٰتُكُمْ ﴾ فإن كانت عمته أو عمة أبيه أو عمة أمه وما فوق ذلك فهي عمة.

قوله: ﴿ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ ﴾ فإن كانت خالته أو خالة أمه أو خالة أبيه وما فوق ذلك فهي خالة.

---

(1) كذا في ع، و د، وفي ز ورقة 61: «آلله عليك» وفي تفسير الطبري، 128:8 وردت العبارة هكذا: «وكان في عقدة المسلمين عند نكاحهن: أيم الله عليك لتمسكَن بمعروف ولتسرحَن بإحسان». والقول لقتادة. وكأنّي بالعبارة التي وردت هنا بمعنى «ناشدتك الله» وعبارة الطبري تفيد ـ ولا شك ـ معنى القسم حيث حذفت نون أيمن الله فقالوا: أيم الله وإيم الله. وانظر صحاح الجوهري: يمن

قوله: ﴿ وَبَنَاتُ الأَخِ ﴾ فإن كانت ابنة أخيه أو ابنة ابن أخيه لأبيه وأمه، أو لأبيه أو لأمه، أو ابنة ابنة أخيه وما أسفل من ذلك، فهي بنت أخ.

قوله: ﴿ وَبَنَاتُ الأُخْتِ ﴾ إن كانت ابنة أخته أو ابنة ابن أخته أو ابنة ابنة أخته وأسفل من ذلك فهي ابنة أخت.

قوله: ﴿ وَأُمَّهَـٰتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُم وَأَخَوٰتُكُـم مِّنَ الرَّضَاعَةِ ﴾. يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب. فلا تحل له أمه من الرضاعة ولا ما فوقها من الأمّهات، ولا أخته من الرضاعة، ولا عمته من الرضاعة، ولا عمة أبيه من الرضاعة، ولا عمة أمه من الرضاعة، ولا ما فوق ذلك. ولا خالته من الرضاعة، ولا خالة أبيه من الرضاعة، ولا خالة أمه من الرضاعة، ولا ما فوق ذلك. ولا ابنة أخيه من الرضاعة، ولا ابنة ابن أخيه من الرضاعة، ولا ابنة أخته من الرضاعة ولا ابنة ابن أخته، ولا ابنة ابنة أخته من الرضاعة، ولا ما أسفل من ذلك.

وإذا أرضعت المرأة غلاماً لم يتزوّج ذلك الغلام شيئاً من بناتها. لا ما قد وُلد معه ولا قبل ذلك ولا بعده. ويتزوَّج إخوتُه[1] من بناتها إن شاءوا. وكذلك إذا أرضعت جاريةً لم يتزوج تلك الجاريةَ أحدٌ من أولادها[2]. لا ما وُلِد قبل رضاعها ولا ما بعده. ويتزوّج إخوتُها من أولادها إن شاءوا.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب[3] وقال

(1) في ع: «ويتزوج إخوتها» وهو خطأ صوابه ما أثبته: «إخوته». أي: ويتزوج إخوة الغلام الذي رضع من بنات الأم التي أرضعت، لأنهم لم يرضعوا هم، إنما الذي رضع أخوهم.

(2) كذا في ز، ورقة 62: «لم يتزوج تلك الجاريةَ أحدٌ من أولادها» وهذه العبارة أدق تعبيراً، وفي د و ع: «لم تتزوج تلك الجارية شيئاً من أولادها» والمعنى واحد.

(3) أخرجه البخاري في باب الشهادة على الأنساب عن جابر بن زيد عن ابن عباس عندما أرادوه ﷺ على ابنة حمزة فقال: إنها ابنة أخي من الرضاعة، وإنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب. وأخرجه مسلم كذلك في كتاب الرضاع باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة (1447) عن جابر بن زيد عن ابن عباس مرفوعاً.

الحسن. قال رسول الله ﷺ: يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة[1].

ذكروا أن علياً وابن مسعود قالا: يحرم من الرضاع قليله وكثيره.

ذكروا عن ابن عمر وابن عباس أنهما كانا لا يريان الرضاع بعد الحولين شيئاً.

وأما لبن الفحل، فإذا أرضعت امرأة الرجل من لبنه غلاماً أو جارية فهي بمنزلة ولده في قول من يحرّم لبن الفحل. ومنهم من لا يرى الفحل أباً. ومن كره لبن الفحل فهو يقول: (وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الذِينَ مِن أَصْلَابِكُمْ) أي: إذا أرضع من لبنه فاللبن من صلبه، فهو ابنه.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: الرضاع للرجل؛ خرج من ذكر واحد؛ يقول: إن المرأة التي أرضعت هذا الصبي إنما أرضعته من لبن هذا الرجل فهو[2] سواء: هي أمه وهو أبوه.

ومن رخص في لبن الفحل قال: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ. . .) قال: (وَأُمَّهَاتُكُمُ التِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ). ولم يقل: وبناتكم من الرضاعة. قال: فلو كانت ابنة لحرِّمت كما حرِّمت بناتكم.

قوله: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ فلا يحل للرجل أم امرأته ولا أمهاتها.

حرّم الله من النسب سبع نسوة، والرضاعة مثل النسب، وحرّم من الصهر سبع نسوة؛ فلا يتزوج الرجل أمه ولا أم امرأته، ولا ابنته ولا ابنة امرأته، ولا أخته ولا أخت امرأته، ولا عمته ولا عمة امرأته، ولا خالته ولا خالة امرأته، ولا ابنة أخيه ولا ابنة أخ امرأته، ولا ابنة أخته ولا ابنة أخت امرأته، فهؤلاء الأربعة عشر امرأة حرَّمهن الله.

(1) أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده ج 2 ص 42 (رقم 524) عن جابر بن زيد عن ابن عباس. وأخرجه مسلم في كتاب الرضاع، باب يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة عن عائشة عندما سمعت صوت رجل يستأذن في بيت حفصة. وفي آخر الحديث: نعم إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة.

(2) كذا في ع، و د: فهو سواء، ولعل صوابه: «فهما سواء».

وقال في سورة الفرقان: 54: (وَهُوَ الذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً).
فإذا تزوّج الرجل المرأة ثم طلّقها أو ماتت، دخل بها أو لم يدخل لم تحلّ له أمُّها.

قوله: ﴿ وَرَبَائِبُكُمُ التِي فِي جُحُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ الّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ فإذا تزوّج الرجل المرأةَ فطلقها قبل أن يدخل بها، أو ماتت ولم يدخل بها، تزوّج ابنتها إن شاء. وإن كان قد دخل بها لم يتزوّج ابنتها، ولا ابنة ابنتها، ولا ما أسفل من ذلك.

وحرّم الله امرأتين أُخريين: امرأة الأب وامرأة الابن فقال في الآية الأولى. (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ) وقال هاهنا: ﴿ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الذِينَ مِنَ أَصْلَابِكُمْ ﴾ امرأة ابنه، وامرأة ابن ابنه، وامرأة ابن بنت ابنه وما أسفل من ذلك. وإنما قال: (مِنْ أَصْلَابِكُمْ) لأن الرجل كان يَتَبنّى الرجلَ في الجاهلية.

وقد كان النبي عليه السلام تبنّى زيداً، فأحلّ الله نكاح نساء الذين تبنّوا. وقد تزوّج النبي عليه السلام امرأة زيد بعد ما طلقها زيد.

قوله: ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ أي إلا ما مضى قبل التحريم[1] ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ فإن كانت أختها لأبيها وأمّها، أو أختها لأبيها، أو أختها لأمها، فهي أخت.

ذكروا عن مسروق أنه قال: يحرم من الإماء ما يحرم من الحرائر.

ذكر بعضهم أن رجلاً من المشركين أسلم وعنده أختان فأمره رسول الله ﷺ أن يطلق إحداهما[2].

(1) في ع ود: «ما مضى من التحريم» وهو خطأ صوابه ما أثبته.

(2) هو فيروز الديلمي، من أبناء فارس. وفد على النبي ﷺ وروى عنه أحاديث كثيرة. وهو الذي قتل الأسودِ بن كعب العنسي الذي ادّعى النبوة باليمن، فشهد له الرسول ﷺ بالصلاح حين سئل عن قتل هذا المتنبي الكذاب، فأخبر الرسول ﷺ وقال: قتله الرجل الصالح فيروز الديلمي. وقيل: قال فيه: قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين. انظر ابن قتيبة، المعارف ص 335، وابن عبد البر الاستيعاب ج 3 ص 1266، والسيوطي الدر المنثور ج 2 ص 136.

ذكروا أن عبد الله بن مسعود سئل عن الأختين الأَمَتين أيطأهما الرجل جميعاً بملك اليمين فقال: لا. فقيل له: يقول الله: إلا ما ملكت أيمانكم، فقال: بعيرك مما ملكت يمينك.

ذكروا أن علياً سئل عنها فقال: أحلتها آية وحرمتها آية أخرى، وأنا أنهى نفسي وولدي عنها. قال بعضهم يعني بالآيتين: (وَمَا مَلَكَت أَيْمَانُكُمْ)، والأخرى (وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ).

ذكروا عن ابن عمر أنه كان عنده أختان فوطىء إحداهما ولم يطأ الأخرى حتى خرجت الأولى من ملكه. ذكروا عن الحسن أنه قال: لا يطأ الأخرى حتى يخرج الأولى من ملكه، لا يجمع بين الأمة وبين ابنتها ولا أمها ولا ابنتها ولا ابنة ابنها فأسفل من أسفل، ولا أمها ولا أم أب أمها فما فوق ذلك. وجميع النسب والرضاع من الإماء بمنزلة الحرائر.

قوله: ﴿والمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ والمحصنات هاهنا اللاتي لهن الأزواج. يقول: حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم... إلى هذه الآية ثم قال: والمحصنات من النساء، أي وحرمت عليكم المحصنات من النساء. قال: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَت أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ أي من السبايا. فإذا سُبِيت امرأة من أرض[1] الشرك ولها زوج ثم وقعت في سهم رجل، فإن كانت من أهل الكتاب وكانت حاملاً لم يطأها حتى تضع حملها. وإن كانت ليست بحامل لم يقربها حتى تحيض. وإن لم يكن لها زوج فكذلك أيضاً. وإن كانت من غير أهل الكتاب لم يطأها حتى تتكلم بالإسلام وتصلي[2]. فإذا قالت لا إله إلا الله محمد رسول الله وما جاء به حق، وصلّت، استبرأها بحيضة، إلا أن تكون حاملاً فيكف عنها حتى تضع حملها.

(1) كذا في د: أرض الشرك، وفي ز، ورقة 62: «أهل الشرك».

(2) كذا في د: «وتصلي»... «وصلت» وهذا موافق لمذهب الشيخ هود الهواري، أما في ز، فلم ترد فيه كلمة وتصلي، وصلّت. وجاء فيه: «حتى تتكلم بالإسلام فإذا قالت لا إله إلا الله استبرأها بحيضة».

ذكر أبو سعيد الخدري قال: أصبنا يوم أوطاس[1] سبايا نعرف أنسابهن وأزواجهن، فامتنعنا منهن، فنزلت هذه الآية: والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم، أي من السبايا.

قوله: ﴿ كِتَـٰبَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾ يعني حرمت عليكم أمّهاتكم وبناتكم وأخواتكم إلى هذا الموضع، ثم قال: كتاب الله عليكم، يعني بتحريم ما قد ذكر[2].

قوله: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ يعني ما بعد ذلكم من النساء. ﴿ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَٰلِكُم ﴾ أي: تتزوّجوا بأموالكم. لا تتزوجون فوق أربع. ﴿ مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ أي ناكحين غير زانين.

قال: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ﴾ أي من النكاح، نكاح المتعة ﴿فَئَاتُوهُنَّ﴾ أي فاعطوهن ﴿ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي صَدُقَاتهن ﴿ فَرِيضَةً ﴾. وهذا شيء كان في المتعة.

زعم بعضهم أن رسول الله ﷺ رخص في المتعة يوم فتح مكة إلى أجل، على أن لا يرثوا ولا يورثوا، ثم نهى عنها بعد ثلاثة أيام، قال: فصارت منسوخة، نسخها الميراث والعِدة.

وقال بعضهم: بل أحلّها الله ولم ينزل تحريمها ولم ينسخها. وكان ابن عباس ممن يقول ذلك ويُفتي به ويقول: لو أطاعني عمر في المتعة لم يُجلد في الزنا إلا شقي[3].

---

(1) أوطاس واد في ديار بني هوازن، كانت فيه غزوة حنين وذلك سنة ثمان للهجرة، وقد انتصر فيها المسلمون وغنموا غنائم كثيرة، وأصابوا سبياً وأموالاً لا يحصيها عدّ. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي، ج 1 ص 281 وانظر سيرة ابن هشام، ج 4 ص 437-438.

(2) في ع و د: لتحريم ما ذكر، وأثبت ما جاء في ز: بتحريم ما ذكر.

(3) والقول الفصل الذي عليه جمهور العلماء في مختلف المذاهب الإسلامية أن نكاح المتعة حرِّم تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة بعد أن كان مباحاً وأذن فيه الرسول في ظروف خاصة. وقد لَخّص مسلم في صحيحه، كتاب النكاح في عنوان الباب حكم نكاح المتعة فقال: «باب نكاح المتعة=

قوله: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِن بَعْدِ الفَرِيضَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾.

قال الحسن: لا بأس على الرجل أن تدع له المرأة من صداقها الذي فرض لها كقوله: (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً) [النساء: 4].

وقال بعضهم: (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الفَرِيضَةِ) يقول: ما تراضيا عليه من قليل أو كثير أحله الله له.

وقال بعضهم: هذا في المتعة إذا مضى الأجل الذي كانا أجّلاه بينهما، فإن كان له حاجة بها قال لها: زيديني في الأجل وأزيدك في الصداق، فذلك قوله: (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِن بَعْدِ الفَرِيضَةِ)، أي الفريضة الأولى. وهو هذا.

قوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً ﴾ أي غنى، وقال بعضهم: سعة. وهو واحد. أن يَّنْكِحَ المُحْصَنَـٰتِ المُؤْمِنَـٰتِ﴾ أي الحرائر المؤمنات ﴿ فَمِمَّا مَلَكَت أَيْمَانُكُم مِّنْ فَتَيَـٰتِكُمُ ﴾ يعني من إمائكم ﴿المُؤْمِنَـٰتِ﴾. ولا يحل نكاح إماء أهل الكتاب. ﴿ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ ﴾ وفي الآية تقديم. يقول: من فتياتكم المؤمنات بعضكم من بعض، يعني المؤمنين: حرّهم ومملوكهم، ذكرهم وأنثاهم والله أعلم بإيمانكم.

قوله: ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴾: أي ساداتهن، وكذلك المرأة الحرّة، إنما يُنكِحها وليُّها.

= وبيان أنه أبيح ثم نسخ، ثم أبيح ثم نسخ، واستقر تحريمه إلى يوم القيامة». ولئن قال ابن عباس ما قال فإن سعيد بن المسيب قال: «رحم الله عمر لولا أنه نهى عن المتعة لصار الزنا جهاراً».
انظر في الموضوع أحاديث الباب في صحيح مسلم (رقم 1404) وانظر مسند الربيع بن حبيب كتاب النكاح، باب الأولياء (رقم: 518). وانظر قلعه جي، موسوعة فقه عمر، ص: 597-600.
وانظر اطفيش، تيسير التفسير، ج 2 ص 301-302، ففيه تلخيص لأقوال العلماء في الموضوع.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: السلطان ولي من لا ولي له[1]. ذكره عروة بن الزبير، ورواه عن [عائشة عن][2] رسول الله ﷺ.

ذكر الحسن وسعيد بن المسيب[3] في المرأة يزوّجها غير وليها قالا: ذلك إلى الولي، إن شاء أجاز وإن شاء ردّ.

قوله: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: ما تراضوا عليه من المهر. ﴿مُحْصَنَـٰتٍ غَيْرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ﴾ أي ناكحات غير زانيات ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ والمسافحة هي المجاهرة بالزنا، وذات الخدن التي لها خليل في السر. وقال مجاهد: هي الخليلة يتخذها الرجل، والمرأة تتخذ الخليل، ويقول: نكاح ليس بسفاح ولا خليل في السر.

وقال الحسن: لا تحل المسافِحَة لمسلم أن يتزوّجها ولا ذات الخدن.

وذكر بعضهم إن المسافحة البَغِي التي تواجر نفسَها مَنْ عَرَض لها، وذات الخدن ذات الخليل الواحد. والعامة على التفسير الأول.

قوله: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ أي: أحصنتهن البعولة ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ﴾ يعني الزنا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَـٰتِ﴾ يعني الحرائر ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي من الجلد؛ فجلد خمسين جلدة إن لم يكن لها زوج. يقول: تجلد وإن كان لها زوج؛ ليس عليها رجم. ويلقى عنها من الثياب إذا جلدت ما يصل إليها العذاب. وكذلك

---

(1) ترجم البخاري في كتاب النكاح: باب السلطان ولي بقول النبي ﷺ: زوجناكها بما معك من القرآن، وروى قصة الواهبة نفسَها مختصرة عن سهل بن سعد. وروى أبو داود حديثاً صحيحاً عن عروة عن عائشة قالت: قال النبي ﷺ: أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له. وفي رواية أخرى للحديث: فإن لم يكن لها ولي فالسلطان ولي من لا ولي له. انظر سنن أبي داود، كتاب النكاح باب الولي. (رقم 2083).

(2) زيادة لا بد منها فإن عروة ليس صحابياً، وأكثر أحاديثه رواها عن خالته عائشة.

(3) كذا في ع، وفي د: «وسعيد بن جبير».

المملوك أيضاً يجلد خمسين، كانت له امرأة حرة أو مملوكة، أو لم تكن له امرأة. وتوضع عنه ثيابه إذا جلد.

ولا تُحصن المملوكةُ الحرَّ، ولا يحصن الحرُّ المملوكة[1]. ولا تحصن اليهودية ولا النصرانية. ذكروا عن إبراهيم أنه قال: لا رجم عليهما حتى يكونا حرين مسلمين.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ولا يعنفها[2]. ثم إن زنت فليجلدها ولا يعنفها، ثم إن زنت فليجلدها ولا يعنفها ثم إن زنت فليبعها ولو بضفير[3]. والضفير الحبل. قوله: ولا يعنفها؛ إن الزانيين كانا قبل أن ينزل حدهما يعيران ويشتمان وتحبس المرأة. حتى نزل حد الزنا.

قوله: ﴿ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ العَنَتَ مِنْكُمْ ﴾ أي إنما أحل الله نكاح الإماء المؤمنات أن يتزوجهن من خشي العنت؛ والعنت الضيق، يعني الزنا؛ أي لا يجد ما يستعفّ به ولا يصبر فيزني.

وقال في أول الآية: (وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ طَوْلاً أَن يَّنْكِحَ المُحْصَنَاتِ المُومِنَاتِ) ذكر عطاء بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: لا يحل نكاح الأمة إلا لمن لا يجد طولاً وخشي العنت. ولا يتزوج الحرُّ إلا أمة واحدة.

ذكر سعيد بن جبير أنه قال: ما ازلحفّ[4] ناكح الأمة عن الزنا إلا قليلاً، وما رخص له إلا إذا لم يجد طولاً وخشي العنت.

---

(1) كذا في ع و د: «ولا يحصن الحر المملوكة». وهو خطأ. والصحيح أن الحر يحصن المملوكة، وهي لا تحصنه في قول، وقيل هي تحصنه.

(2) في ق و ع: «ولا يعتقها»، وهو تصحيف صوابه ما أثبته: «ولا يعنفها».

(3) أخرجه مسلم في كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، عن أبي هريرة (1703) ولفظه: «إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها، فليجلدها الحد، ولا يثرّب عليها، ثم إن زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها، ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر».

(4) ازلحَفَّ: أي تنحّى وتباعد. وقد أورد ابن منظور صاحب اللسان قول سعيد بن جبير هذا في لفظي (ازحلفّ) و (ازلحفّ).

ذكروا عن الحسن أنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن تزويج الأمة على الحرة. ذكروا أن عمر بن الخطاب كان ينزع الإماء إذا زُوِّجْنَ على الحرائر. وقال الحسن: إذا تزوج الرجل الأمة على الحرة فُرِّق بينه وبينها. ولا بأس أن يتزوج الحرة على الأمة.

ذكروا عن علي بن أبي طالب أنه قال: إن شاء تزوَّج الحرة على الأمة، فيكون للحرة يومان وللأمة يوم.

ذكروا عن الحسن وسعيد بن المسيب أنهما قالا: يتزوّج الحرة على الأمة إن شاء ويقسم بينهما: يومين للحرة ويوماً للأمة، والنفقة كذلك. ولا يتزوج الأمة على اليهودية ولا على النصرانية، ويتزوّج اليهودية والنصرانية على الأمة ويقسم بينهما: لليهودية والنصرانية يومان وللأمة يوم.

قوله: ﴿ وَأَنْ تَصْبِرُوا ﴾ أي عن نكاح الإماء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ في تفسير مجاهد وغيره. ﴿ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ أي حلاله وحرامه ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ أي شرائع الذين من قبلكم من المؤمنين فيما حرّم من الأمهات والبنات والأخوات. . . إلى آخر الآية. قوله: ﴿ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي يتجاوز عما كان من نكاحكم إياهن قبل التحريم ﴿ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي عليم بخلقه حكيم في أمره.

قوله: ﴿ وَاللهُ يُرِيدُ أَن يَّتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾. وهي مثل الأولى. قال: ﴿ وَيُرِيدُ الذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ ﴾ وهم اليهود في استحلالهم نكاح الأخوات ﴿ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴾ أي أن تخطئوا خطأً عظيماً. وقال مجاهد: (الشَّهَـوٰتِ): الزنا، وقوله: (أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً): أن تزنوا.

ذكروا عن مجاهد أنه قال: لا يدخل الجنة عاق، ولا منان، ولا مد من خمر، ولا من أتى ذات محرم، ولا مهاجر رجع إلى أعرابيته(1).

(1) أصل هذا القول حديث أخرجه أحمد عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: لا يدخل الجنة منّان ولا عاق ولا مدمن خمر.

قوله: ﴿ يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾ في نكاح الإماء، ولم يكن أحلَّ نكاحهن لمن كان قبلكم، في تفسير مجاهد وغيره. وقال مجاهد: وفي كل شيء يكون فيه يسر.

قوله: ﴿ وَخُلِقَ الإِنْسَـٰنُ ضَعِيفاً ﴾ أي لا يصبر عن النساء.

قوله: ﴿ يَـا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ [يعني بالظلم][1] ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفس فلا تظلموا[2].

قوله: ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ﴾ أي تجارة حلال ليس فيها ربا.

قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ أي لا يقتل بعضكم بعضاً ولا يقتل أحدكم نفسه.

ذكروا أن النبي ﷺ بعث رجلاً في سرية فأصابه كَلْمٌ، فأصابته عليه جنابة فصلّى ولم يغتسل؛ فعاب عليه ذلك أصحابه. فلما قدموا على النبي ﷺ ذكروا ذلك له فجاء فأخبره، فأنزل الله: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُم إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً[3].

قوله: ﴿ وَمَن يَّفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً ﴾ أي وكان عذابه على الله هيّناً.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 63.

(2) لم أجده بهذا اللفظ ولكن ورد معناه في أحاديث منها ما رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم (2577) «عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا. يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم»... وانظر ما سلف من هذا الجزء، ص179، تعليق: 2.

(3) يبدو أن هذه القصة غير قصة عمرو بن العاص الذي بعثه رسول الله ﷺ فاحتلم في ليلة باردة فأشفق على نفسه، فتيمّم وصلّى بالناس. لم يذكر المؤلف هنا اسم الرجل ولا اسم السرية التي بُعث فيها، وقد أورد ابن سلام هذا الخبر بالسند التالي: «يحيى عن إبراهيم بن محمد عن أبي بكر عن عبد الرحمٰن بن أبي أمامة عن أبي أمامة بن سهل بن حُنيف».

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من قتل نفسه بحديدة فهو يوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلَّداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بسُمّ فهو يتجرّعه في نار جهنم خالداً مخلّداً فيها أبداً. ومن تردى، أو قال: ألقى نفسه من رأس الجبل فهو في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً[1].

قوله: ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً ﴾. ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: الكبائر من أول سورة النساء إلى رأس الثلاثين، ثم قال: (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مـا تُنْهَوْنَ عَنْهُ. . .).

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الكبائر تسع: الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين المسلمين، وقذف المحصنات، وأكل الربـا، وأكل مال اليتيم، والسحر، والفرار من الزحف، واستحلال البيت الحرام قبلتكم التي إليها تَوَجَّهُون[2].

ذكروا عن الحسن قال: الفرار من الزحف يوم بدر من الكبائر. وقال بعضهم: الفرار يوم ملحمة الروم الكبرى من الكبائر لأن المسلمين مجتمعون يومئذ كما كانوا يوم بدر.

قال الحسن: ذكرت الكبائر عند النبي عليه السلام فقال: أين تعدون اليمين الغموس[3].

---

(1) حديث متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وما يخاف فيه، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (109) عن أبي هريرة.

(2) كذا ورد هذا الحديث في ع و د، وفي ز، ورقة 63: «وشهادة الزور» بدل «استحلال البيت الحرام». والحديث صحيح أخرجه البخاري في الأدب المفرد وفي أبواب من الصحيح، وانظر مثلاً في المحاربين، باب: اجتنبوا السبع الموبقات، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (89) عن أبي هريرة، وأخرجه الطبري في تفسيره ج 8 ص 239 عن طريق طيسلة بـن مياس عن ابن عمر.

(3) لم أجده بهذا اللفظ وبهذا السؤال، ولكن اليمين الغموس ذكرت من الكبائر في أحاديث صحيحة، وانظر ما سلف ص 274.

ذكروا أن أبا العالية الرياحي قال: يقولون: الكبائر سبع، وأنا أراها سبعاً وسبعاً وسبعاً حتى عدّ أربعين أو أكثر. جماع الكبائر أن كل ما أوجب الله عليه الحد في الدنيا فهو كبيرة.

وقال الحسن قال رسول الله ﷺ: ما تعدّون السرقة والزنا وشرب الخمر؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: فواحش وفيهن عقوبة. ثم قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، ثم قال: ألا وقول الزور، ألا وقول الزور، ألا وإن لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة بقدر غدرته يركز عند دبره، ألا ولا غدرة أكبر من غدرة أمير عامة(1).

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن ولا يقتل النفس وهو مؤمن فإذا فعل ذلك فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه(2).

وقوله: (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ) أي التي دون الكبائر: وندخلكم مدخلاً كريماً أي الجنة.

قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: ألا إن الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهما لمن اجتنب الكبائر(3).

---

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد والطبراني والبيهقي عن عمران بن حصين كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ج 2 ص 147، وليس فيه الجملة الأخيرة: ألا وإن لكل غادر لواء. وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أكبر الكبائر وأكبرها عن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة عن أبيه. وأخرجه يحيى بن سلام عن نصر بن طريف عن قتادة عن الحسن مرسلاً.

(2) حديث متفق على صحته. أخرجه البخاري في أول كتاب الحدود، عن أبي هريرة، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب نقصان الإيمان بالمعاصي (57) عن أبي هريرة أيضاً. وأخرجه الربيع بن حبيب في مراسيل جابر بن زيد، ج 4 ص 27 (983) وجاء في آخر الحديث: «فإن تاب تاب الله عليه».

(3) كذا في ع، وفي د: «كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر». وانظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص: 359 تعليق: 3.

ذكروا عن أنس بن مالك أنه قرأ هذه الآية (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّـرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً) فقال: قد تجاوز لكم عن السيئات، فما بال الكبائر.

ذكروا أن رجلاً من أصحاب النبي قال: الذنوب درجات فأعظمها القتل: ألا إن الإشراك بالله مقتلة.

قوله: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلْرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾. ذكر بعضهم قال: كان أهل الجاهلية لا يورثون المرأة شيئاً ولا الصبي؛ وإنما يجعلون الميراث لمن يحترف وينفع ويدفع. فلما ألحق الله[1] للمرأة نصيبها وللصبي نصيبه وجعل للذكر مثل حظ الأنثيين قالت النساء: لو كان جعل أنصباءنا في الميراث كأنصباء الرجال، وقالت الرجال، إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن في الميراث، فأنزل الله هذه الآية إلى قوله: (وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ)؛ يقول: المرأة تجزى بحسناتها عشر أمثالها كما يجزى الرجل.

وتفسير مجاهد: تقول النساء: يا ليتنا كنا رجالاً فنغزو ونبلغ ما يبلغ الرجال.

قال: ﴿ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾. وقال الحسن: لا يتمنّى مال فلان، ولا دار فلان، لعله يكون هلاكه فيه.

قوله: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَـوْلِيَ مِمَّا تَرَكَ الْـوْلِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾. بنو الأم[2]. قال بعضهم: هم العصبة.

ذكروا عن علي بن أبي طالب أنه قال: أعياني بنو الأم، يتوارثون دون

(1) كذا في ق و ع: «ألحق»، وهو الصحيح، قارن بما في تفسير الطبري ج 8 ص 265، وبما جاء في الدر المنثور للسيوطي ج 2 ص 149.

(2) كذا ورد في ع دون د و ز: «بنو الأم» ولم أر وجهاً لتخصيص بني الأم هنا. وذهب أكثر المفسرين إلى أن المقصود بالموالي هنا العصبة.

بني العلات؛ الرجل يرث أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه. والأخ من الأب والأم أولى من الأخ للأب. والأخ للأب أولى من ابن الأخ للأب والأم. وابن الأخ للأب والأم أولى من ابن الأخ للأب. وابن الأخ للأب أولى من ابن ابن الأخ للأب والأم. وابن الأخ للأب أولى من العم. والعم أخو الأب للأب والأم أولى من العم أخ الأب للأب. والعم أخو الأب للأب أولى من ابن العم للأب والأم. وابن العم للأب والأم أولى من ابن العم للأب. وابن العم للأب أولى من ابن ابن العم للأب والأم.

ولا تكون النساء عصبة في قرابة ولا ولاء. ولكن الأخوات من الأب والأم، أو من الأب إذا لم تكن الأخوات من أب وأم، فإنهن مع البنات عصبة، لهن الفضل: إلا أن يكون مع الأخوات إخوة أو أخ فيصيرون جميعاً عصبة.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألحقوا المال بالفرائض، فما أبقت الفرائض فلأولى رحم ذكر[1].

ذكروا عن علي أنه كان يرد على كل ذي سهم بقدر سهمه إلا الزوج والزوجة. وكان ابن مسعود لا يرد. قال بعضهم: وكان زيد بن ثابت يجعل ما يبقى في بيت مال المسلمين؛ وهذا إذا أخذ كل ذي سهم نصيبه ولم يكن ذو رحم ذكر يرث الفضل.

قوله: ﴿وَالذِينَ عَـٰقَدَت أَيْمَـٰنُكُمْ فَئَاتُوهُمْ نَصِيبَهُم إِنَّ اللهَ عَلَى كُـلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾. قال بعضهم: كان الرجل يعاقد الرجل في الجاهلية ويقول: دمي دمك، وهَدَمي هدَمك[2]، وترثني وأرثك، وتطلب بي وأطلب بك، فجعل له السدس من جميع المال ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم فنسختها هذه الآية: (وَأُولُـو الأَرْحَامِ

(1) حديث متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، باب ميراث الولد من أبيه وأمه، وأخرجه مسلم في كتاب الفرائض، باب ألحقوا الفرائض بأهلها... كلاهما يرويه عن ابن عباس مرفوعاً.

(2) يروى بفتح الدال وإسكانها؛ هو إهدار دم القتيل، والهدَم بالفتح: ما انهدم، وسمى منزل الرجل هدَماً. وانظر معناه مفصلاً في اللسان (هدم).

بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الأنفال: 75] فذهب ما كان من عقد يُتوارث به وصارت المواريث لذوي الأرحام.

قوله: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ أي مسلَّطون على أدب النساء والأخذ على أيديهن. ﴿ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ جعل شهادة امرأتين شهادة رجل واحد، وفضلوا في الميراث ﴿ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ يعني الصّداق.

ذكروا أن رسول لله قال[1]: المرأة مسكينة ما لم يكن لها زوج. قيل: وإن كان لها مال. قال نعم: وإن كان لها مال (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ).

ذكر بعضهم قال: ذكر لنا أن رجلاً لطم امرأته على عهد النبي عليه السلام فأتت المرأة نبيَّ الله. فأراد نبي الله أن يَقُصّها منه، فأنزل الله: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ). ذكروا عن الحسن أن رجلاً لطم امرأته فَرُفِع ذلك إلى النبي فقال: بئس ما صنعت[2] فأنزل الله: الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ.

وقال الحسن: ليس بين الرجل وامرأته قصاص فيما دون الموضحة. أي: أنه يرى ذلك أدباً.

قوله: ﴿ فَالصَّـٰلِحَـٰتُ ﴾ يعني المحسنات إلى أزواجهن ﴿ قَـٰنِتَـٰتٌ ﴾ أي: مطيعات لأزواجهن في تفسير الحسن. وقال غيره: مطيعات لله ولأزواجهن ﴿ حَـٰفِظَـٰتٌ لِلْغَيْبِ ﴾ أي لغيب أزواجهن في فروجهن. ﴿ بِمَا حَفِظَ اللهُ ﴾ أي بحفظ الله إياهن في تفسير الحسن. وقال غيره: حافظات لما استودعهن الله من حقّه، حافظات لغيب أزواجهن.

---

(1) أخرجه سعيد بن منصور والبيهقي عن أبي نجيح مرسلاً من حديث أوله: مسكين مسكين مسكين رجل... ومسكينة مسكينة مسكينة امرأة ليس ليس لها زوج... انظر الدر المنثور للسيوطي ج 2 ص 311.

(2) لم أجد فيما بين يدي من كتب التفسير والحديث التي تعرضت لسبب نزول الآية هذه العبارة: «بئس ما صنعت» وأقرب ما ذكر ما أورده السيوطي في الدر المنثور، 2:151 في حديث أخرجه ابن مردويه عن علي قوله: «ليس له ذلك».

قوله: ﴿ وَالَّتِي تَخَافُون نُشُوزَهُنَّ ﴾ [عصيانهن، يعني تنشز على زوجها فلا تدعه أن يغشاها][1] ﴿ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾.

قال بعضهم: يبدأ فيعظها بالقول، فإن أبت[2] هجرها، فإن أبت ضربها ضرباً غير مبرح، أي غير شائن. قال بعضهم: ثم يرتفعان إلى السلطان.

قوله: ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ أي إذا تركته يغشاها فلا يطلب عليها العلل. وقال الحسن في قوله: واهجروهن في المضاجع: لا يقربها. وقال الكلبي: (فَإِن أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً) أي: لَا تكلفوهن الحب: فإنما جعلت الموعظة لهن في المضجع والسبّ في المضجع، والضرب في المضجع؛ ليس على الحبّ، ولكن على حاجته إليها. ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً ﴾.

قوله: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ أي: اختلافاً، أي: إن نشزت المرأة حتى تشاقّ زوجها ﴿ فَابْعَثُوا حَكَماً مِّن أَهْلِهِ ﴾ أي من أهل الرجل ﴿ وَحَكَماً مِّن أَهْلِهَا ﴾ أي: من أهل المرأة ﴿ إِن يُرِيدَا إِصْلَـٰحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَان عَلِيماً خَبِيراً ﴾[3].

أي إذا نشزت ورفع ذلك إلى الإمام بعث الإمام حكماً من أهل المرأة وحكماً من أهل الرجل يُصلحان بينهما، ويجمعان ولا يُفرّقان، وينظران من أين يأتي الضرر والمدافعة؛ فإن اصطلحا فهو من الله، وإن أبيا ذلك وأبت المرأة إلا النشوز وقّفها[4] الإمام على النشوز؛ فإن افتدت من زوجها حلّ له أن يخلعها، والخلع جائز عند السلطان وغيره.

وقال بعضهم: فابعثوا حَكَماً عدلاً من أهلها وحَكَماً عدلاً من أهل الرجل

(1) زيادة من ز، ورقة 64. والنشوز يكون بين الزوجين، وهو كراهة كل منهما صاحبه. ونشزت المرأة بزوجها وعلى زوجها وهي ناشز: «إذا ارتفعت عليه واستعصت عليه وأبغضته، وخرجت عن طاعته وفركته». كما في اللسان. (نشز).

(2) في ع: «انزت»، وفي د: أبوت، وهو تصحيف صوابه ما أثبته: «أبت». وفي ز: «عصت».

(3) لم تورد المخطوطتان ع، و د آخر هذه الآية، والصواب إثباته هنا لأن ما يلي تفسير له.

(4) كذا في ع، وفي ز ورقة 64: «وقّفها» بالتشديد، وهو الصحيح، أي: بيّنه وأوضح لها خطره وضرره.

ينظران في النصيحة لهما فيعظان الظالم. وذلك أنه يخلو حَكَم الرجل بالرجل فيقول: أخبرني بما في نفسك فإني لا أستطيع أن أفرّق أو أجمع إلا بأمرك. فإن كان الرجل هو الناشز الظالم قال له: فرّق بيني وبينها، فلا حاجة لي فيها. وإن لم يكن هو الناشز قال له: أرضها من مالي بما أحبّت ولا تفرّق بيني وبينها. ويخلو حكم المرأة بالمرأة فيقول: أخبريني بما في نفسك. فإن كانت هي الناشزة قالت له: اعطه من مالي ما شاء وفرّق بيني وبينه. فإن لم تكن هي الناشزة قالت له: اتق الله ولا تفرق بيني وبينه، ولكن استزده لي في نفقتي، ومره أن يحسن إلي. ثم يلتقي الحكمان. وقد علم كل منهما ما قال له صاحبه. فإن أرادا إصلاحاً بين الرجل والمرأة أخذ كل منهما على صاحبه يميناً لتصدقني وأصدقك. فإذا صدق كل واحد منهما صاحبه عرفا من أيٍّ[1] جاء النشوز. فإن كان من قِبل الرجل قالا له: اتّقِ الله، فإنك أنت الظالم الناشز، فارجع إلى أمر الله، فيأمرانه بالعدل، ويأخذانه بالنفقة حتى يرجع إلى أمر الله ولا يطلقها. وإن كانت المرأة هي الناشز، الظالمة لزوجها، قالا لها: أنت الناشز الظالمة لزوجك، فيأمرانها بالعدل، لعل الله يُصلح ما بينهما على أيديهما.

وقال بعضهم: إنما يُبعث الحكمان ليُصلحا. فإن أعياهما أن يُصلحا بينهما شهدا على الظالم بظلمه وليس بأيديهما الفرقة ولا يملكان ذلك.

وبلغنا عن علي بن أبي طالب أنه قال للحكمين: ذلك إليكما إن رأيتما أن تفرّقا ففرّقا[2].

---

(1) كذا في ع: «من أيِّ»، وهو أفصح، وفي د: «من أين».

(2) وكان أستاذنا المرحوم الإمام إبراهيم بيوض أيضاً يميل إلى هذا الرأي. كان يرى «أن المرأة الناشز إذا افتدت من زوجها وأبت إلا النشوز جاز للسلطان أن يخلعها». وجدت هذا في بعض ما قيدت عنه ولكن لا أذكر مصدره، هل كان في درس من دروس تفسيره، أو كان في فتوى له أو حديث. والمسألة خلافية في المذهب: فالمشارقة من الأصحاب يجيزون تفريق القاضي والمغاربة لا يرون ذلك. وكأن أستاذنا المرحوم مال إلى رأي. المشارقة. وبهذا الرأي أخذ أيضاً المرحوم الشيخ عبد الرحمٰن بكلي، انظر فتاوى البكري للشيخ بكلي ج 2 ص 168-173.

قوله: ﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ [أي لا تعدلوا به غيره](1). ﴿ وَبِالْوَلِدَيْنِ إِحْسَـٰناً وَبِذِي القُرْبَىٰ واليَتَامَىٰ وَالمَسَاكِينِ وَالجَارِ ذِي القُرْبىٰ ﴾ أي الجار الذي له قرابة، ﴿ والجَارِ الجُنُبِ ﴾ أي الأجنبي الذي ليست له قرابة ﴿ وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ ﴾ أي الرفيق والنزيل في السفر.

وقال بعضهم: الصاحب بالجنب هي المرأة التي يلصق جنبها بجنبك، وجنبك بجنبها، أوصاك الله بها، لأنها أقرب الخلق إليك.

ذكر عطاء الخراساني قال: قال رسول الله ﷺ: الجيران ثلاثة: جار له ثلاثة حقوق، وجار له حقان، وجار له حق واحد. فأما الجار الذي له ثلاثة حقوق فالجار المسلم ذو القرابة؛ له حق الإسلام، وحق القرابة، وحق الجوار، وأما الجار الذي له حقان فالجار المسلم؛ له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك؛ له حق الجوار(2).

قال بعضهم: إذا كان له جار له رحم فله حقان: حق الجوار وحق الرحم. والجار الجنب له حق الجوار. والصاحب بالجنب وهو الرفيق والنزيل في السفر.

قوله: ﴿ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ هو الضيف.

ذكروا عن علي بن أبي طالب قال: الجوار أربعون داراً.

الخليل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت(3).

---

(1) زيادة من ز، ورقة 64.
(2) رواه أبو بكر البزار عن عطاء الخراساني عن الحسن عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ.
(3) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان عن أبي هريرة، وفي كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وفيه: «فلا يؤذ جاره». وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت... (47) عن أبي هريرة، و (48) عن أبي شريح الخزاعي.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أتاني جبريل فما زال يوصيني بالجار حتى ظننت، أو رأيت أنه سيورثه[1].

ذكروا عن أبي شريح الخزاعي قال: قال رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوماً وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، وما سوى ذلك فهو صدقة[2].

قوله: ﴿ وَمَا مَلَكَت أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾. ذكروا عن أم سلمة قالت: إن رسول الله ﷺ كان من آخر وصيته عند موته: الصلاة وما ملكت أيمانكم، حتى جعل يجلجلها في صدره، وما يفيض بها لسانه[3].

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: المملوك أخوك، فإن عجز فخذ معه، ومن رضي مملوكه فليمسكه، ومن كرهه فليبعه ولا تعذبوا خلق الله الذي خلق[4].

ذكروا عن أبي ذر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في المملوكين: أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، ولا تكلّفوهم ما لا يطيقون[5].

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً الذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ

---

(1) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار عن ابن عمر، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والأدب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه (2624) عن عائشة و (2625) عن ابن عمر.

(2) حديث متفق على صحته. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. وأخرجه مسلم في كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها، عن شريح الخزاعي، وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده ج 2 ص 88 (رقم 681) عن جابر بن زيد مرسلاً، وفي آخره: «ولا يحل له أن يَثوى عنده حتى يحرجه».

(3) أخرجه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس، وأخرجه البيهقي في الدلائل عن أم سلمة.

(4) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من كتب التفسير والحديث. وأخرج أحمد والبيهقي حديثاً بمعناه عن أبي ذر.

(5) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه. (1661) عن أبي ذر بلفظ أطول.

بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا ءَاتَـٰهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال الحسن: هم اليهود، منعوا حقوق الله في أموالهم، وكتموا محمداً ﷺ وهم يعلمون أنه رسول الله مكتوباً عندهم. وقال بعضهم: هم أهل الكتاب بخلوا بحق الله عليهم، وكتموا الإسلام ومحمداً، وهم يجدونه مكتوباً عندهم. وقال بعضهم: ويأمرون الناس بالبخل فهو كتمان محمد.

قال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾ فأخبر أنهم كفار. وقوله (مُهيناً) من الهوان.

قوله: ﴿وَالذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُـمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُومِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾. قال بعضهم: هم اليهود، وقال بعضهم: هم المنافقون. ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَـٰنُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾ أي فبئس القرين.

قوله: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَو ءَامَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ﴾ يعني الزكاة الواجبة ﴿وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيماً﴾ فهو عليم بهم إذ هم مشركون.

قوله: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي لا ينقص وزن مثقال ذرة. ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ﴾ أي: ويعط ﴿مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ أي الجنة.

ذكر بعضهم قال: إذا حوسب المؤمن بحسناته وسيئاته، فإذا لم يفضل له إلا حسنة واحدة ضاعفها الله له. وهو قوله: (وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ يُضَاعِفْهَا وَيُوتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً).

ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: إن في سورة النساء آياتٍ هنّ خير من الدنيا جميعاً: الأولى قوله: (إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ يُضَاعِفْهَا وَيُوتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً) [النساء: 40]. والثانية قوله: (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً) [النساء: 31]. والثالثة: (إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَّشَاءُ) [النساء: 48]. والرابعة: (وَمَن يَّعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَّحِيماً) [النساء: 112]. والخامسة: (وَالذِينَ

ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَـٰئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً) [النساء: 152].

قوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ أي يوم القيامة يشهد على قومه أنه قد بلغهم. قال بعضهم: شاهدها نبيُّها من كل أمة. ﴿ وَجِئْنَا بِكَ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَى هَـٰؤُلَاءِ شَهِيداً ﴾. قال: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ ﴾. قال بعضهم: ودّوا لو أن الأرض تخرّقت بهم فساخوا فيها.

وقال بعضهم: إن الله إذا حشر الخلائق يوم القيامة قصَّ لبعضهم من بعض حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء، ثم قال: كوني تراباً، يطأ عليهم أهل الجمع، هذا ما سوى الثقلين. فعند ذلك (يَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً) [النبأ: 40] وهو قوله: (يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الذِينَ كَفَرُوا وَعَصَـوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ).

قوله: ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً ﴾ ذكر أبو حازم عن ابن عباس في قوله: (وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) [الأنعام: 23] فبألسنتهم، وأما قوله: (وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً) فبجوارحهم.

ذكروا عن أبي موسى الأشعري قال: (قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) فختم الله على أفواههم فقال للجوارح انطقي، فإن أول ما يتكلم من أحدهم لفخذه، قال الحسن: نسيت اليمنى قال أم اليسرى. وهذا في سورة يَسٓ: (اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ). [يس: 65]. وقال الحسن: في موطن لا يتكلمون ولا تسمع إلا همساً، أي وطء الأقدام، وفي موطن آخر يتكلمون فيكذبون، وَقَالُوا: (مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ) [النحل: 28]، و (قالوا: وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) [الأنعام: 23]. وفي موطن يعترفون على أنفسهم بالكفر،

(1) جاء في تفسير الطبري ج 8 ص 370 ما يلي: «... عن المسعودي عن القاسم أن النبي ﷺ قال لابن مسعود: اقرأ علي. قال: أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري. قال: فقرأ ابن مسعود (النساء) حتى بلغ: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) قال: استعبر النبي ﷺ، وكف ابن مسعود.

ويسألون الله أن يردّهم إلى الدنيا فيؤمنوا. وآخر تلك المواطن أن يختم على أفواههم، وتتكلم أيديهم وأرجلهم.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلَـٰوٰةَ وَأَنْتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾. ذكر بعضهم قال: لما نزلت (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ) ـ والميسر القمار كله ـ (قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) [البقرة: 219] فذمّها الله في هذه الآية ولم يحرّمها، وهي لهم يومئذ حلال. قال: فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال لما نزلت هذه الآية: إن الله قد يقرّب في تحريم الخمر[1]. ثم أنزل في الخمر بعدها آية هي أشد منها: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلَـٰوٰةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) فكان السكر عليهم منها حراماً، وأُحِل لهم ما سوى ذلك؛ فكانوا يشربونها، حتى إذا حضرت الصلاة أمسكوا عنها. ثم أنزل الله تحريمها في سورة المائدة: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنصاب والأزلاَم رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). [المائدة: 90]. فجاء تحريمها في هذه الآية قليلها وكثيرها، ما أسكر منها وما لم يسكر.

قوله: ﴿ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ﴾. ذكروا عن ابن عباس قال: هو المسافر إذا لم يجد الماء تيمم وصلّى. وقال بعضهم: الجنب يعبر المسجد[2] ولا يقعد فيه، ويتلو هذه الآية: وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ.

قوله: ﴿ وَإِنْ كُنْتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ﴾ أي [تعمّدوا][3] تراباً نظيفاً.

والملامسة في قول علي وابن عباس والحسن وعبيد[4] هو الجماع. وكان ابن

(1) انظر ما مضى في هذا الجزء ص 108.
(2) كذا في ع: يعبر، وفي د: «يمر في المسجد».
(3) زيادة من ز، ورقة 65.
(4) في ع: «وغيرهم» ويبدو أن الصواب ما جاء في د: و«عبيد»، وهو أبو عاصم عبيد بن عمير بن =

مسعود يقول: هو اللمس باليد، ويرى منه الوضوء. ومن قال: إنه الجماع لم ير من اللمس باليد ولا من القبلة وضوءاً[1].

ذكروا عن عائشة قالت: إن رسول الله ﷺ كان يتوضأ، ثم يقبّلها، ثم ينطلق إلى الصلاة ولا يتوضأ[2].

قوله: ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾.

ذكروا عن عمار بن ياسر قال: أجنبت وأنا في الإبل، فتمعّكتُ في الرمل كتمعُّكِ الدابة. ثم أتيت النبي ﷺ وقد دخل الرمل في رأسي ولحيتي، فأخبرته فقال: إنما كان يكفيك أن تقول هكذا، وضرب بكفيه إلى الأرض، ثم نفضهما، فمسح بهما وجهه وكفيه [ثم قال: كان يكفيك أن تصنع هكذا][3].

ذكروا عن عمار بن ياسر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: التيمّم ضربة واحدة[4].

ذكروا عن ابن عمر أنه كان يتيمم ضربتين: ضربة للوجه وضربة للذراعين. وذكروا عن الحسن مثل ذلك.

= قتادة الليثي، قاضي أهل مكة. وقد ولد على عهد رسول الله ﷺ، وذكر البخاري أنه رآه. وهو يعد من كبار التابعين. وقد سمع من كثير من الصحابة، وروى عن عمر وأبي بن كعب. وروى عنه مجاهد وعطاء وعمرو بن دينار. توفي سنة أربع وسبعين للهجرة.

(1) الذي عليه الجمهور أن اللمس هنا بمعنى الجماع، وأن القبلة لا تنقض الوضوء، انظر اختلاف الصحابة والتابعين في معنى الملامسة وترجيح الطبري في تفسيره ج 8 ص 390-369.

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب الوضوء من القبلة (179) عن عروة بن الزبير: «عن عائشة أن النبي ﷺ قبّل امرأة من نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ. قال عروة: فقلت لها: من هي إلا أنت، فضحكت».

(3) ما بين المعقوفين زيادة من ز، ورقة 66. والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التيمم، باب المتيمم هل ينفخ فيها، وأخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب التيمم (368).

(4) لم يرد بهذا اللفظ ولكن بمعناه، وقد ترجم البخاري في كتاب التيمم: باب التيمم ضربة. وذكر قصة عمار بن ياسر وفيه: «فضرب بكفه ضربة على الأرض ثم نفضها. . .».

[ذكر سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: الجريح، والمجدور، والمقروح إذا خشي على نفسه تيمّم][1].

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الكِتَـٰبِ ﴾ يعني اليهود ﴿ يَشْتَرُونَ الضلـٰلَة ﴾ أي يختارون الضلالة، في تفسير الحسن. وقال غيره يستحبون الضلالة على الهدى، حرَّفوا كتاب الله. ﴿ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيـلَ ﴾ يعني محمداً وأصحابه. وذلك أنهم دعوهم إلى دينهم. ﴿ وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ﴾ يعني اليهود، وهو كقوله: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلذِينَ ءَامَنُوا اليَهُودَ وَالذِينَ أَشْرَكُوا) [المائدة: 82] قال: ﴿ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللهِ نَصِيراً ﴾.

قوله: ﴿ مِنَ الذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾. قال مجاهد: تبديل اليهود التوراة. وقال الحسن: تحريفهم؛ حرَّفوا كلام الله، وهو الذي وضعوا من قِبَل أنفسهم من الكتاب، ثم ادَّعوا أنه من كتاب الله. قال: (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ). [البقرة: 79].

قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ وهم اليهود. قال الكلبي: (غَيْرَ مُسْمَعٍ) أي: لا سمعت. وقال الحسن: غير مسمع منا ما تحب. وقال مجاهد: (سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) أي: سمعنا ما تقول ولا نطيعك. (وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ) أي: غير مقبول ما تقول.

قوله: ﴿ وَرٰعِنَـا ﴾ قال الكلبي: يلوي لسانه بالسبّ. وقد فسّرناه في سورة البقرة[2]. وقال الحسن: (رَاعِنَا): السخريّ من القول: (لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾ يعني ما يلوون به ألسنتهم من كتمانهم محمداً والإسلام. وقال مجاهد: كان أحدهم يقول: ارعني سمعك، يلوي بذلك لسانه. قال: ﴿ وَطَعْناً فِي الدِّينِ ﴾ أي في الإسلام.

---

(1) أثبت هذه الزيادة من ز ورقة 66 لفائدتها. وقد رواها يحيى عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(2) انظر ما سلف من هذا الجزء ص: 134.

قوله: ﴿ وَلَو أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا ﴾ حتى نتفهم ﴿ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ لأمرهم. ﴿ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُومِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾.

قال بعضهم: قلَّ من آمن من اليهود. ذكر محمد بن سيرين قال: ما نعلم أحداً من اليهود أسلم على عهد النبي محمد عليه السلام غير عبد الله بن سلام، والحسن يذكر آخر، ما أدري من هو.

ذكروا عن رفاعة القرظي في قوله: (الذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُومِنُونَ) [القصص: 52] قال: نزلت في عشرة ممن أسلم من اليهود أنا أحدهم.

ذكر أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لو آمن بي واتبعني وصدقني عشرة من اليهود لم يبق على ظهرها يهودي إلا اتبعني(1). فقال كعب: اثنا عشر. وفي حديث الحسن: عشرة. ومصداق ذلك في كتاب الله: (وَلَقَد أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً) [المائدة: 12]. وقال بعض العلماء: إن لم يكن قال هذا النبي بعدما أسلم الاثنان اللذان قال محمد بن سيرين فما أدري ما هو.

قوله: ﴿ يَـأَيُّهَا الذِينَ أُوتُوا الكِتَـبَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا ﴾. قال بعضهم: فنردها من قِبَل أقفائها. وقال الحسن ومجاهد: فنردها على أدبارها في الضلالة. وقال الحسن: نطمسها عن الهدى.

قوله: ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَـبَ السَّبْتِ ﴾. مسخ أصحاب السبت قردة. ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً ﴾ أي إذا أراد الله أمراً أن يقول له كن فيكون.

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [أي أن يعدل به غيره](2) ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَد افْتَرَىٰ إِثْماً عَظِيماً ﴾.

(1) انظر تخريجه فيما سلف من هذا الجزء ص: 124.

(2) زيادة من ز، ورقة 66.

ذكر عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله ﷺ عن الموجبتين فقال: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات وهو مشرك بالله دخل النار[1].

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَن يَّشَاءُ﴾. قال بعضهم: هم اليهود، زكوا أنفسهم بأمر لم يبلغوه، وقالوا: (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) [المائدة: 18] وقالوا: لا ذنوب لنا.

ذكروا عن مجاهد قال: هم يهود؛ كانوا يقدّمون صبيانهم فيؤمّونهم في الصلاة، يقولون: لا ذنوب لهم، تزكية.

وقال الحسن: هم أهل الكتابين (قَالُوا لَن يَّدْخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارىٰ) [البقرة: 111].

وقال الكلبي: هم اليهود جاءوا بأبنائهم أطفالاً إلى النبي عليه السلام فقالوا: يا محمد، هل على أولادنا هؤلاء من ذنوب فيما اقترفوا؟ قال: لا، أو كما قال، فقالوا: فوالذي يُحلَف به إن نحن إلا كهيئتهم، ما من ذنب نعمله بالنهار إلا كفِّر عنا بالليل، وما من ذنب نعمله بالليل إلا كفِّر عنا بالنهار، فهو الذي زكوا به أنفسهم.

قوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ أي لا ينقصون ﴿فَتِيلاً﴾ الفتيل: الذي في بطن النواة[2]. وهو تفسير العامة. وقال مجاهد: هو دلكك أصابعك بعضها ببعض، فما خرج منها فهو الفتيل.

---

(1) كذا ورد الحديث في ع، وفي ز، ورقة 66 ورد بسند كالتالي: «يحيى عن سفيان الثوري عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله... والحديث صحيح أخرجه أيضاً مسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً... (رقم 93) عن جابر. وفي مخطوطة د ورد هذا الحديث بزيادة: «من مات لا يشرك بالله وأوفى بما افترض الله عليه...» وهي زيادة من أحد النساخ أو الرواة، بعد مسلم وابن سلام. وما كان ينبغي لأحد ـ مهما بلغ علمه ـ أن يقحم في كلام رسول الله شيئاً ليس منه ـ ونعوذ بالله من التكلف ـ اللهم إلا أن يبيّن أنه من كلامه هو لا من كلام الرسول عليه السلام.

(2) في مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 129 «الفتيل الذي في شق النواة» وهذا أدق تعبيراً.

قوله: ﴿ أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْماً مُّبِيناً ﴾ أي: بَيِّناً. قال الحسن: هم اليهود والنصارى حرّفوا كتاب الله وافتروا عليه، وقالوا: هذا كلام الله.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الكِتَـٰبِ يُومِنُونَ بالجِبْتِ وَالطَّـٰغُوتِ ﴾ قال بعضهم: كنا نحدث أن الجبت هو الشيطان، والطاغوت الكاهن. وقال مجاهد: الطاغوت الشيطان في صورة إنسان. وقال مجاهد: الجبت الكاهن، والطاغوت الشيطان. وقال الحسن: الجبت: السحر.

قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ لِلذِينَ كَفَرُوا هَـٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلاً ﴾. قال الحسن: يعنون به أصحابهم من اليهود أنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً.

وقال الكلبي: هم قوم من اليهود، فيهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب، أتوا مكة فسألتهم قريش وأناس من غطفان؛ فقالت قريش: نحن نعمر هذا المسجد، ونحجب هذا البيت، ونسقي الحاج، أفنحن أمثل أم محمد وأصحابه؟ فقالت اليهود: بل أنتم أمثل. فقال عيينة بن حصن وأصحابه الذين معه: أما قريش فقد عدّوا ما فيهم ففُضِّلوا على محمد وأصحابه، فناشدوهم: أنحن أهدى أم محمد وأصحابه؟ فقالوا: لا والله، بل أنتم والله أهدى. فقال الله: ﴿ أُولَـٰئِكَ الذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَن يَّلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً ﴾.

ذكر بعضهم قال: إنها نزلت في كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب اليهوديين من بني النضير؛ لقيا قريشاً بالموسم، فقال لهم المشركون: أنحن أهدى أم محمد وأصحابه؟ فإنا أهل السدانة، وأهل السقاية، وأهل الحرم. فقالا: بل أنتم أهدى من محمد وأصحابه، وهما يعلمان أنهما كاذبان، وإنما حملهما على ذلك حسد محمد وأصحابه؛ فأنزل الله هذه الآية: (أُولَـٰئِكَ الذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ).

قوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ المُلْكِ فَإِذاً لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً ﴾ والنقير النقرة

تكون في ظهر النواة في تفسير مجاهد وغيره. [المعنى: أنهم لو أعطوا الملكَ ما أعطوا الناس مقدار النقير][1].

قوله: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَـٰهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ قال الحسن: هم اليهود يحسدون محمداً وأصحابه على ما آتاهم الله من فضله في الدين.

قال الكلبي: الناس في هذه الآية محمد عليه السلام. قالت اليهود: انظروا إلى هذا الذي لا يشبع من الطعام. ولا والله ما له همٌّ إلا النساء؛ حسدوه لكثرة نسائه وعابوه بذلك، وقالوا: لو كان نبياً ما رغب في كثرة النساء. فأكذبهم الله فقال:

﴿ فَقَد ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَـٰبَ وَالحِكْمَةَ ﴾ يعني النبوة ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُمْ مُّلْكاً عَظِيماً ﴾ فسليمان بن داود من آل إبراهيم؛ وقد كان عند سليمان ألف امرأة، وعند داود مائة، فكيف يحسدونك يا محمد على تسع نسوة.

وقال الحسن: (وَءَاتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً)، ملك النبوّة.

قوله: ﴿ فَمِنْهُمْ مَّن ءَامَنَ بِهِ ﴾ أي بما أتاهم الله من النبوة والإسلام. ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ ﴾ قال مجاهد: فمنهم من آمن به، أي: بما أنزل على محمد، ومنهم من صدَّ عنه. قال: ﴿ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً ﴾ أي لمن صدَّ عنه. وتأويل صدّ عنه: جحده.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا بِئَايَتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا ﴾ أي: كلما احترقت جلودهم جدد الله لهم جلوداً أخرى. قال: ﴿ لِيَذُوقُوا العَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾. أي عزيزاً في نقمته، حكيماً في أمره.

قال بعضهم: تأكل كل شيء حتى تنتهي إلى الفؤاد، فينضج الفؤاد، فلا يريد الله أن تأكل أفئدتهم؛ فإذا لم تجد شيئاً تتعلق به منهم خبت، وخبّوها: سكونها. ثم يعادون خلقاً جديداً، فتأكلهم كلما أعيد خلقهم.

---

(1) زيادة أثبتها من ز، ورقة 66، وهي لأبي محمد بن أبي زمنين، وليست لابن سلّام.

قوله: ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ أي لا يحضن ولا يلدن ولا يبلن ولا يقضين حاجة ولا يمتخطن؛ ليس فيها قذر. قال: ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴾. قال الحسن: أي: دائماً. وقال بعضهم: لذلك الظل ظلال.

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُم أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَـٰنَـٰتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾.

لما فتح رسول الله ﷺ مكة دعا عثمان بن طلحة[1] فقال: أرنا[2] المفتاح. فلما أتاه به قال العباس: يا رسول الله اجمعه لي مع السقاية، فكفَّ عثمان يده مخافة أن يدفعه إلى العباس، فقال رسول الله ﷺ: يا عثمان، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فأرنا المفتاح. فقال: هاك في أمانة الله. فأخذه رسول الله ﷺ، ففتح باب الكعبة، فأفسد ما كان فيها من التماثيل، وأخرج مقام إبراهيم فوضعه حيث وضعه. ثم طاف بالبيت مرة أو مرتين. فنزل عليه جبريل، فأمره برد المفتاح إلى أهله. فدعا عثمان بن طلحة فقال: هاك المفتاح، إن الله يقول: أدوا الأمانات إلى أهلها.

قال: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِماً يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾.

ذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ قال للحجبي[3] يومئذ: هاك، ورمى إليه بالمفتاح، خذها فإن الله قد رضيكم لها في الجاهلية والإسلام.

---

(1) هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة القرشي، من بني عبد الدار. أسلم سنة ثمان للهجرة في هدنة الحديبية (انظر قصة إسلامه مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص في مغازي الواقدي ج 2 ص 743، و 748). وكان عثمان هذا خياطاً. وردّ النبي ﷺ مفتاح الكعبة إليه وإلى ابن عمه شيبة ابن عثمان بن أبي طلحة وقال فيما ترويه كتب السيرة: خذاها خالدة تالدة يا بني أبي طلحة، لا ينزعها منكم إلا ظالم. وقد نزل عثمان بن طلحة المدينة، فأقام بها إلى أن توفي رسول الله ﷺ، ثم سكن مكة حيث توفي بها سنة 42 هـ. انظر ترجمته في كتب التراجم مثل الاستيعاب لابن عبد البر، ج 3 ص 1034، والمعارف لابن قتيبة ص 267، و 575.

(2) كذا في ع و د و ز، ورقة 67: «أرنا» وفي الدر المنثور؛ ج 2 ص 175: «أرني».

(3) هو لقب عثمان بن طلحة بن أبي طلحة لأنه كان يلي حجابة البيت.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: كل مأثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي إلا السدانة والسقاية، فإني قد أمضيتهما لأهلهما[1].

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾. قال الحسن: أولو الأمر منكم: أهل الفقه والعلم والرأي. غير واحد أنه قال: أولـو الأمر منكم: العلماء.

ذكروا عن عطاء أنه قال: يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله، يعني كتابه، وأطيعوا الرسول، يعني ما سَنَّ رسول الله، وأولي الأمر منكم: العلماء من كانوا، وحيثما كانوا. وتفسير مجاهد: أولـو الفقه في الدين والعقل.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: السنة سنتان: سنة في فريضة، الأخذ بها هدى وتركها ضلالة، وسنة في غير فريضة الأخذ بها فضيلة وتركها ليس بخطيئة.

وكان الكلبي يقول: أولـو الأمر منكم أمراء السرايا[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني[3].

---

(1) من خطبته ﷺ يوم فَتح مكة، فوقف على باب الكعبة ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ألا كل مأثرة، أو دم، أو مال يُدَّعى، فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج... إلى آخر الخطبة التي ختمها بقوله لأهل مكة: اذهبوا فأنتم الطلقاء. انظر الخطبة في كتب السيرة والتاريخ والحديث، انظر مثلاً سيرة ابن هشام، ج 3 ص 412.

(2) اختار أبو جعفر الطبري في تفسيره، ج 8 ص 502 قول من قال أولو الأمر هم الأمراء والولاة، ولكنه اعتمد في ذلك حديثاً ضعيفاً جداً، والصحيح ما ذهب إليه جمهور المحققين قديماً وحديثاً أن أولي الأمر هم أهل الفقه في الدين والرأي.

(3) حديث متفق على صحته، رواه البخاري في أول كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، ورواه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (رقم 1835)، كلاهما يرويه عن أبي هريرة.

قوله: ﴿ وَإِنْ تَنَـٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ يعني فردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله. قال: ﴿ إِنْ كُنتُمْ تُومِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ أي أحسنُ ثواباً وخيرٌ عاقبةً.

وقال مجاهد: أحسن ثواباً أي: أحسن جزاءً. قال هو مثل قوله: (يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) [الأعراف: 53] أي ثوابه في الآخرة.

وقال الكلبي: فإن تنازعتم في شيء، يعني في السرية وأميرها فردوه إلى الله والرسول.

قوال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَّكْفُرُوا بِهِ ﴾.

قال الحسن: إن رجلاً من المسلمين كان له على رجل من المنافقين حق فدعاه المسلم إلى رسول الله ﷺ ودعاه المنافق إلى وثن بني فلان الذي كان أهل الجاهلية يتحاكمون إليه، وعند ذلك الوثن رجل يقول للخصمين: قضى بينكما بكذا وكذا. وإنما عبادة الوثن عبادة الشيطان. والأوثان هي الطواغيت.

وقال الكلبي: إن رجلاً من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود خصومة فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد نختصم إليه. وقال المنافق: بل إلى كعب بن الأشرف، وهو الذي يُسمَّى [هاهنا] الطاغوت في قول الكلبي: وقال بعضهم: أراد أن يحاكمه إلى كاهن بالمدينة فقال الله: (يُرِيدُونَ أَن يَّتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَد أُمِرُوا أَنْ يَّكْفُرُوا بِهِ).

قال تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلاً بَعِيداً وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً ﴾. والطاغوت الشيطان. والكاهن من أمر الشيطان. والإيمان بالشيطان كفر بالله، والإيمان بالله كفر بالشيطان. قال الله: (وَمَن يَّكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُومِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ) [البقرة: 256].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: من أتى عرّافاً فصدّقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد(1).

ذكروا أن عبد الله بن مسعود قال: من أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد(2).

قال الكلبي: فأبى المنافق أن يخاصمه إلى النبي، وأبى اليهودي إلا أن يخاصمه إلى النبي. فاختصما إلى النبي ﷺ، فقضى لليهودي. فلما خرجا من عنده قال المنافق لليهودي: انطلق بنا إلى عمر بن الخطاب أخاصمك إليه. فأقبل معه اليهودي، فدخلا على عمر، فقال اليهودي: يا عمر، إنا قد اختصمنا أنا وهذا إلى محمد فقضى لي عليه، فلم يرض هذا بقضائه، وزعم أنه يخاصمني إليك، فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم. قال عمر: رويدكما حتى أخرج إليكما. فدخل البيت فاشتمل على سيفه، ثم خرج إلى المنافق فضربه حتى بَرَد(3). فأنزل الله على نبيه (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَو أَنَّهُم إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُومِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

(1) أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب في الكاهن (3904). وأخرجه الترمذي في كتاب الطهارة وسننها باب النهي عن إتيان الحائض (639) عن أبي هريرة بلفظ: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها، أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد». وأخرجه الربيع بن حبيب في مراسيل جابر بن زيد، ج 4 ص 24 (رقم 971) بلفظ: «من أتى عريفاً أو كاهناً أو ساحراً فصدقه فيما يقول فهو بريء مما أنزل علي محمد ﷺ. وأخرجه مسلم في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (2230) عن حفصة عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة».

(2) ذكره البغوي في شرح السنة، ج 12 ص 182 هكذا: «وقال قتادة عن ابن مسعود: من أتى كاهناً فسأله وصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

(3) أي: حتى مات. وتضيف رواية أبي صالح عن ابن عباس التي أوردها القرطبي في تفسيره، ج 5 ص 263-264: «قال عمر: هكذا أقضي على من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله، وهرب اليهودي، ونزلت الآية، وقال رسول الله ﷺ: أنت الفاروق. ونزل جبريل وقال: إن عمر فرّق بين الحق والباطل، فسمّي الفاروق».

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)[النساء: 64 - 65].

ذكر بعضهم أنها نزلت في رجل من الأنصار يقال له بشر[1] وفي رجل من اليهود في حق كان بينهما، فتنافرا إلى كاهن كان في المدينة ليحكم بينهما وتركا نبيَّ الله. وذكر لنا أن اليهودي يدعوه إلى النبي ليحكم بينهما، وقد علم أنه لن يجور عليه فجعل الأنصاري يأبى، ويزعم أنه مسلم، فنزلت فيهما هذه الآية.

قوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَت أَيْدِيهِمْ ﴾. قال الحسن: هذا كلام منقطع عما قبله وعما بعده. يقول: إذا أصابتهم مصيبة، يعني إن تباينوا بنفاقهم فيقتلهم رسول الله. وفيه إضمار. والإضمار الذي فيه: يقول: إذا أصابتهم مصيبة لم ينجهم منها ولم يغثهم. ثم رجع إلى الكلام الأول، إلى قوله: (يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً) ﴿ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً ﴾ [أي إن أردنا إلا الخير][2].

قال الله: ﴿ أُولَـٰئِكَ الذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي من النفاق ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ ولا تقتلهم ما أظهروا لك الإقرار بدينك والتصديق لقولك. قال: ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً ﴾. يعني يقول لهم: إن باينتم بنفاقكم قتلتكم؛ فهذا القول البليغ.

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ ﴾. قال مجاهد: أوجب الله لهم، يعني الرسل، أن يطيعهم من شاء الله [من الناس، ثم أخبر أنه][3] لا يطيعهم أحد إلاّ بإذن الله.

---

(1) كذا في ع، و د: «بشر». وورد الاسم عند الواحدي، أسباب النزول ص 154 باسم قيس. وفي تفسير القرطبي، ج 5 ص 263 كان هذا المسمى بشراً هو المنافق الذي انتهت قصته مع اليهودي إلى عمر فقتله. على أن هنالك سبباً آخر لنزول الآية لم يشر إليه المؤلف هنا، وهو قصة الزبير مع رجل من الأنصار وتخاصمهما في سقي بستان. اقرأ القصة في أسباب النزول للواحدي ص 156، وفي تفسير الطبري ج 8 ص 519، وفي البخاري في كتاب المساقاة.

(2) زيادة من ز، ورقة 67.

(3) زيادة من تفسير مجاهد ص: 165 لا بد من إثباتها حتى تستقيم العبارة.

قوله: ﴿ وَلَو أَنَّهُم إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾.

قال الحسن: إن اثني عشر رجلاً من المنافقين اجتمعوا على أمر من النفاق، وائتمروا به فيما بينهم، فأتى جبريل إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك. وقد دخلوا على رسول الله ﷺ [فقال رسول الله][1]: إن اثني عشر رجلاً من المنافقين قد أجمعوا على أمر من النفاق، فليقم أولئك، فليستغفروا ربهم، وليعترفوا بذنوبهم حتى أشفع لهم. فجعلوا لا يقومون؛ فقال رسول الله: ألا يقومون؟ ألا يقومون؟ مراراً، ثم قال: قم يا فلان، وأنت يا فلان، وأنت يا فلان. فقالوا: يا رسول الله، نحن نستغفر رسول الله، ونتوب إليه، فاشفع لنا. فقال: آلآن؟ لأنا كنت أول مرة أطيب نفساً بالشفاعة، وكان الله أسرع بالإجابة، اخرجوا عني، فأخرجهم من عنده حتى لم يرهم[2].

قوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُومِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾. قد فسّرناه قبل هذا الموضع[3].

قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمُ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾. تفسير مجاهد: هم اليهود ومشركو العرب من آمن منهم بموسى.

قال الكلبي: كان رجل من المسلمين ورجال من اليهود جلوساً فقالت اليهود: لقد استتابنا الله من أمر فتبنا إليه منه، وما كان ليفعله بأحد غيرنا؛ قتلنا أنفسنا في طاعته

(1) زيادة لا بد منها ليستقيم المعنى، وقد سقطت العبارة من ع، و د، معاً.

(2) لم أجد هذا الخبر الذي رواه الحسن هنا فيما بحثت من كتب التفسير والحديث. وكأن للخبر علاقة بالذين اتّخذوا مسجد الضرار، فقد كان عددهم اثني عشر رجلاً فيما جاء في سيرة ابن هشام، ج 4 ص 530. وأستبعد أن يكون الرسول ﷺ فضح المنافقين بأسمائهم، فإنهم ـ وإن كان نفاق بعضهم مشهوراً كعبد الله بن أبي بن سلول ـ غير معروفين على التحقيق بأسمائهم وأعيانهم لدى الصحابة، إلا حذيفة بن اليمان، صاحب سر رسول الله ﷺ فقد استكتمه عليه السلام أسماءهم، ولم يذكرهم لأحد، حتى إن عمر بن الخطاب كان يلح عليه في السؤال عنهم مخافة أن يكون أحدَهم، فاكتفى حذيفة بأن طمأن عمرَ بأنه ليس منهم.

(3) انظر ذلك في الصفحة التي سلفت والتي قبلها.

حتى رضي عنا؛ يعنون بذلك قوله: (فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) [البقرة: 54] فقال ثابت بن قيس بن شمّاس: إن الله يعلم لو أمرنا محمد أن نقتل أنفسنا لقتلت نفسي. فأنزل الله: وَلَو أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمُ أَنُ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمُ أَوُ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ)؛ قال الحسن: أخبر الله بعلمه.

قوله: ﴿ وَلَو أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ ﴾ أي في العاقبة ﴿ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ﴾ أي في العصمة والمنعة من الشيطان.

﴿ وَإِذاً لَآتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً ﴾ أي الجنة ﴿ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطاً مُّسْتَقِيماً ﴾ إلى الجنة.

قوله: ﴿ وَمَن يُّطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَـٰئِكَ مَعَ الذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـٰئِكَ رَفِيقاً ﴾.

ذكر بعضهم قال: ذكر لنا أن رجالاً قالوا: هذا نبي الله نراه في الدنيا، فأما في الآخرة فيرفع بفضله، فلا نراه، فأنزل الله هذه الآية.

وقال الكلبي :قال رجل[1] : يا رسول الله لقد أحببتك حبّاً ما أحببته شيئاً قط، ولأنت أحب إلي من والدي وولدي والناس، فكيف لي برؤية رسول الله إن أنا دخلت الجنة. فلم يرد عليه شيئاً. فأنزل الله: (وَمَن يُّطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَـٰئِكَ مَعَ الذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيئِينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ)... إلى آخر الآية. فدعاه رسول الله فتلاها عليه.

قال: ﴿ ذَلِكَ الفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ عَلِيماً ﴾.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَو انْفِرُوا جَمِيعاً ﴾

---

(1) هو ثوبان، مولى رسول الله ﷺ، كما ذكره الواحدي في أسباب النزول ص 158. انظر ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر، ج 1 ص 218. وترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج 3 ص 11و12 تحت عنوان: ثوبان النبوي.

الثبات: السرايا، والجميع الزحف. وقال مجاهد: الثبات: الزُّمَر[1].

قوله: ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ عن الغزو والجهاد في سبيل الله، في تفسير الحسن وغيره. قال: ﴿ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾ أي نكبة ﴿ قَالَ قَد أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً ﴾ [أي حاضراً][2] ﴿ وَلَئِن أَصَـٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللهِ ﴾ يعني الغنيمة ﴿ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾.

وهؤلاء المنافقون. وذلك حين كان النبي يأمر بالسرايا، فيبطىء رجال؛ فإن لقيت السرية نكبة قال من أبطأ: قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً فيصيبني ما أصابهم، (وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللهِ)، أي الغنيمة والسلامة، ليقولن (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً)، أي أصيب من الغنيمة.

وقوله: (كَأَن لَّمْ يَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ)، أي: كأنه لم يدخل في دينكم إلا عند ذلك، كأن لم يكن قبل ذلك مع المسلمين. يقول الله للمسلمين: كأن لم يكن بينكم وبينه مودة، أي موافقة في الإسلام والإقرار به.

قوله: ﴿ فَلْيُقَـٰتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الذِينَ يَشْرُونَ الحَيَـوٰةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ ﴾ أي: يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة. كقوله: (إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ المُومِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ) [التوبة: 111]. ﴿ وَمَن يُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُوتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾. أي: الجنة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن في الجنة لمائة درجة، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها للمجاهدين في سبيل الله. ولولا أن أشق على أمتي ولا تطيب أنفسهم أن يتخلّفوا بعدي ما قعدت خلف سرية تغزو، ولوددت لو أقاتل في سبيل الله فأقتل، ثم أُحيى ثم أقتل، ثم أُحيى ثم أقتل[3].

---

(1) الثبات: جمع ثبة، أي الجماعة والعصابة، أي «جماعات في تفرقة». انظر مجاز أبي عبيدة، ج 1 ص 132.

(2) زيادة من ز، ورقة 68.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير في باب درجة المجاهدين، وفي باب تمني الشهادة عن =

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده ما من نفس تموت لها عند الله خير ويسرها أن ترجع إلى الدنيا وأن لها نعيم الدنيا إلا الشهيد، فإنه يود لو رجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لفضل ما قد رأى وعاين[1].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أن ترجع إلى الدنيا وأن لها نعيم الدنيا إلا الشهيد فإنه يود لو رجع إلى الدنيا فيقتل في سبيل الله مرة أخرى لتعظيم الأجر.

قوله: ﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ قال الحسن: يعني وعن المستضعفين من أهل مكة من المسلمين. ﴿ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْـٰدٰنِ ﴾.

قال مجاهد: أمر الله المؤمنين أن يقاتلوا عن مستضعفين كانوا بمكة ﴿الذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِن هَـٰذِهِ القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ وهم مشركو أهل مكة ﴿ وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ نَصِيراً ﴾ أي على أعدائنا في تفسير الحسن.

قال الكلبي: بعث رسول الله ﷺ عتّاب بن أسيد[2] أميراً على مكة فاشتد على الظالمين من أهلها، ولان للمسلمين حتى أنصف الضعيف من الشديد.

قوله: ﴿ الذِينَ ءَامَنُوا يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالذِينَ كَفَرُوا يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّـٰغُوتِ ﴾ والطاغوت الشيطان. قال الله: ﴿ فَقَـٰتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَـٰنِ ﴾ وهم

= أبي هريرة مرفوعاً ولفظة: «والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل».

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين وصفتهم عن أنس، وأخرجه مسلم والحديث الذي يليه في كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى (1877) عن أنس ابن مالك.

(2) هو أبو عبد الرحمٰن عتّاب بن أَسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس القرشي. أسلم يوم الفتح واستعمله رسول الله ﷺ حين خرج إلى حنين أميراً على مكة، وظل كذلك إلى وفاته ﷺ، ثم في عهد أبي بكر إلى أن توفي هو وأبو بكر في وقت واحد. وقيل في يوم واحد. انظر ابن قتيبة، المعارف ص 283، وابن عبد البر، الاستيعاب، ج 3 ص 1023.

المشركون ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ أخبرهم أنهم يظهرون عليهم في تفسير الحسن.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ أي: بل أشد خشية.

قال بعضهم: هؤلاء قوم من أصحاب النبي عليه السلام، وهم يومئذ بمكة قبل الهجرة، تنازعوا إلى القتال وسارعوا إليه حتى قالوا: يا نبي الله، ذرنا نتخذ معاول فنقاتل بها المشركين؛ فنهاهم النبي عن ذلك. فلما كانت الهجرة، وأمروا بالقتال كره القوم ذلك. ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ فقال الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ مَتَـٰعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ وكانوا أمروا بالقتال في سورة الحج في قوله: (أُذِنَ لِلذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمَوا) [الحج: 39]، وفي سورة العنكبوت (أَلَم أَحسِبَ النَّاسُ أن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) أي لا يقاتلون... إلى قوله: (وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ) [العنكبوت: 1-6].

وقال الكلبي: كانوا مع النبي ﷺ بمكة قبل أن يهاجر رسول الله إلى المدينة. وكانوا يلقون من المشركين أذى كثيراً فقالوا: يا رسول الله، ألا تأذن لنا في قتال هؤلاء القوم؟ فقال لهم رسول الله: كفوا أيديكم عنهم، فإني لم أومر بقتالهم(1)، فلما هاجر رسول الله ﷺ وسار إلى بدر فعرفوا أنه القتال، كرهوا أو بعضهم.

قال الله: (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ، أي إلى الموت. قال الله لنبيه: قُلْ يَا محمد: مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ)... إلى آخر الآية.

(1) كذا في ع و د وفي ز ورقة 68 ورد قول النبي عليه السلام موافقاً لما في الكتاب، وفي خبر في تفسير الطبري. ج 8 ص 549 من رواية ابن عباس ورد بلفظ: «إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا». أما رواية الكلبي التي وردت هنا فهي موافقة لما أورده الواحدي في أسباب النزول ص 158.

وقال الحسن: قالوا: يا رسول، ألا نأتي المشركين بمعاولنا فنقتلهم في رحالهم. قال ذلك عبد الرحمن بن عوف وأصحابه. فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً. وذلك لما في قلوبهم من الخشية، لما طبع عليه الآدميون وهم مؤمنون.

لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القِتَالَ لَوْلَا أي: هلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ. قالوه في أنفسهم. والأجل القريب أجلهم. لولا أخرتنا إلى أجل، أي لولا أخرتنا حتى نموت على فُرُشنا بغير قتال؛ وذلك لكراهتهم لقتال آبائهم وأبنائهم وإخوانهم، وهو قوله تعالى: (وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ المُومِنِينَ لَكَارِهُونَ) [الأنفال: 5] وليس بكراهية يردون فيها أمر الله وأمر نبيه؛ فقال الله لمحمد: قُل لهم (مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ) أي: إنكـم علـى كل حال ميّتون والقتل خير لكم.

قال الله: ﴿ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنْ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾. والفتيل هو الذي في بطن النواة.

ثم أخبرهم ليعزيهم ويصبّرهم[1] فقال: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُم فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ قال بعضهم: في قصور محصّنة.

قال الحسن: ثم ذكر المنافقين خاصة فقال: ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ ﴾ أي: النصر والغنيمة ﴿ يَقُولُوا هَـٰذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي: نكبة من العدو ﴿ يَقُولُوا هَـٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ أي إنما أصابتنا هذه عقوبة مذ خرجتَ فينا، يتشاءمون به. ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ ﴾ أي: النصر على الأعداء والنكبة؛ نكبوا يوم أحد عقوبة.

ثم قال:﴿ فَمَا لِ هَـٰؤُلَاءِ القَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ فظفرت بها ونصرت على المشركين ﴿ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ ﴾ أي: من نكبة ﴿ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ أي بذنوبهم، وكانت يوم أحد [عقوبة من الله بمعصيتهم رسول الله

(1) في د: «ثم أخبرهم بقربهم ومصيرهم» وله وجه ومناسبة، وأثبت ما جاء في ز، ورقة 69، وهو أحق بالصواب.

حيث اتبعوا المدبرين][1]، وبأخذهم الفدية من أسارى أهل بدر.

وفي تفسير الحسن: ليست هذه المعصية في المنافقين خاصة. وقال بعضهم: مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ، أي: عقوبة بذنبك.

قال: ﴿وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً﴾ أي على عباده.

قوله: ﴿مَن يُّطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ جعل الله طاعة رسوله طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وعلى الخلق أجمعين. ﴿وَمَنْ تَوَلَّىٰ﴾ أي كفر ﴿فَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ أي تحفظ عليهم أعمالهم حتى تجازيهم بها.

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ يعني به المنافقين، يقولون ذلك لرسول الله ﷺ. ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي: خرجوا من عندك ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ قال بعضهم: غيّرت طائفة منهم. ﴿غَيْرَ الذِي تَقُولُ﴾ أي: ما عهدوا إلى نبي الله. قال الحسن: في خلاف النبي. وقال مجاهد: غيّرت طائفة منهم ما قال لهم النبي. ﴿وَاللهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ أي: ما يغيّرون. وقال الحسن: ما يغيرون من تبييت الكلام. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي لا تقتلهم ولا تحكم عليهم بأحكام المشركين ما أعطوك الطاعة[2]. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ فإنه سيكفيكهم. ﴿وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلاً﴾ أي: لمن توكل عليه.

قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ يقول: لو تدبّروه لم ينافقوا ولآمنوا. ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾.

قال بعضهم: قول الله لا يختلف، هو حق ليس فيه باطل، وإن قول الناس مختلف[3]. قال بعضهم: . . . .

---

(1) زيادة من ز، ورقة 69.

(2) كذا في د و ع: «ما أعطوك الطاعة»، وفي ز، ورقة 69: «ما كانوا إذا لقوك أعطوك الطاعة».

(3) كذا في د و ع، «مختلف» وفي ز: «يختلف». وما أبدع ما رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 8 ص 567، عن ابن زيد، وهو قول عارف بأسرار القرآن، نضرب به في وجوه الذين يتقوَّلون على القرآن ويتّهمون بالتناقض والاختلاف، لا لشيء إلا لأنهم جهلوا مقاصده، ولم يتدبروه حق =

وسمعت في بعض الحديث: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض[1].

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: اقرأوا القرآن ما اجتمعتم، فإذا اختلفتم فقوموا[2].

قوله: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُم أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ ﴾ أي من أن إخوانهم آمنون ظاهرون ﴿ أَوِ الخَوْفِ ﴾ يعني القتل والهزيمة ﴿ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ أي أشاعوه وأفشوه. ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ قال الحسن: الفقهاء[3]. قال: ﴿ لَعَلِمَهُ الذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ أي الذين يفحصون عنه ويهمّهم ذلك. وقال مجاهد: الذين يتبعونه ويتحسّسونه منهم.

قوله: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُم الشَّيْطَـٰنَ إِلاَّ قليلاً﴾. ولولا فضل الله

= تدبره. «قال ابن زيد: إن القرآن لا يكذّب بعضُه بعضاً ولا ينقض بعضُه بعضاً. ما جهل الناس من أمر، فإنما هو من تقصير عقولهم وجهالتهم. وقرأ: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً). قال: فحقٌّ على المؤمن أن يقول: (كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)، ويؤمن بالمتشابه ولا يضرب بعضه ببعض. وإذا جهل أمراً ولم يعرفه أن يقول: الذي قال الله حقّ، ويعرف أن الله تعالى لم يقل قولاً وينقضه؛ ينبغي أن يؤمن بحقيقة ما جاء من الله». انتهى كلام ابن زيد؛ فتأمّله فإنه كلام نفيس.

(1) لم أجده بهذا اللفظ ولكن ورد معناه في حديث رواه الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عندما تمادى مشيخة من صحابة رسول الله ﷺ وارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام مغضباً وقال: «مهلاً يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم: باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض؛ إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً، بل يصدّق بعضه بعضاً، فما عرفتم فاعملوا به وما جهلتم فردّوه إلى عالمه». انظر تفسير ابن كثير ج 2:226، وانظر عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، اختيار وتحقيق أحمد شاكر 226:30، والتعليقين: 1 و 2.

(2) وفي هذا المعنى أخرج مسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه (2667) عن جندب بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله ﷺ: اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فيه فقوموا.

(3) كذا في ع و د: الفقهاء، وفي ز، ورقة 69: «أولي العلم منهم».

الإسلام، ورحمته القرآن. وأما قوله: (لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) فإنه تقديم وتأخير؛ يقول: لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً، ولو فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان.

قال: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُومِنِينَ ﴾ أي على القتال، أي أخبرهم بحسن ثواب الله في الآخرة للشهداء ﴿ عَسَى اللهُ أَن يَّكُفَّ بَأْسَ الذِينَ كَفَرُوا ﴾. وعسى من الله واجبة. ﴿ وَاللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً ﴾ أي أشد عذاباً وأشد عقاباً. وقال بعضهم: عقوبة، وهو واحد.

قوله: ﴿ مَن يَّشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ قال بعضهم: حظ منها. ﴿ وَمَن يَّشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾. والكفل: الاثم.

قال الحسن: الشفاعة الحسنة ما يجوز في الدين أن يُشفَع فيه، والشفاعة السيئة ما يحرم في الدين أن يشفع فيه. والكفل الوزر، وهو الذنب كقوله: (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ) [الأنعام: 31]، وقوله: (وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِن خَطَايَاهُم مِّنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ) [العنكبوت: 12-13] أي: من اتبعهم على السيئة من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً.

قوله: ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً ﴾ أي مقتدراً[1].

---

(1) كذا في ق و ع. «مقيتاً: أي: مقتدراً»، وفي مجاز أبي عبيدة: مقيتاً، أي: حافظاً محيطاً»، وفي قوله: على كل شيء حسيباً: «أي كافياً مقتدراً، يقال: أحسبني هذا أي: كفاني». وللمعنيين شاهد من الشعر أوردهما ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 132-133.

قال الشاعر:

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النفسَ عنه ... وكنت على إساءَتِه مُقِيتاً

أي: مقتدراً.

وقال آخر:

أَلِيَ الفضلُ أم عَلَيَّ إذا حُو ... سبتُ إني على الحساب مُقيتُ =

قوله: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾. التحية: السلام قال الحسن: معنى أحسن منها: إذا قال الرجل السلام عليكم رُدَّ عليه: السلام عليكم ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله رُدَّ عليه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. قوله: (أَوْ رُدُّوهَا). أي: أي ردوا عليه مثل ما سلَّم، وهذا إذا سلم عليك المسلم. ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً ﴾.

ذكر بعضهم أن رسول الله كان جالساً إذ جاء رجل فقال: السلام عليكم فقال رسول الله: عشر، أي: عشر حسنات. ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال النبي عليه السلام: عشرون حسنة، ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال رسول الله ﷺ: ثلاثون حسنة. ثم قال: هكذا تفاضل الناس من قعد فليسلم، ومن قام فليسلِّم. ثم قام رجل فلم يسلِّم فقال رسول الله: ما أسرع ما نسي هذا[1].

ذكروا عن عبد الله بن عمر قال: إلى وبركاته انتهى السلام.

ذكروا أن رجلاً من اليهود مر بالنبي عليه السلام فقال: السام عليكم. فقال النبي: وعليكم السلام. فأخبر جبريل النبي أنه قال: السام عليكم. فقال رسول الله ﷺ: إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: عليك[2]. أي عليك ما قلت.

= أي: «شاهد وحافظ له». وقيل معناه في هذا البيت الأخير: «موقوف عليه» كما ذكره السجستاني في كتابه غريب القرآن: ص 184.

(1) رواه الإمام أحمد ورواه أبو داود في كتاب الأدب، باب كيف السلام عن عمران بن حصين (5195) إلى قوله عليه السلام: ثلاثون، ورواه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة إلى آخره بألفاظ قريبة مما هي هنا.

(2) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب كيف يرد على أهل الذمة عن ابن عمر، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب رد السلام على أهل الذمة (3697) عن أنس بن مالك. وأخرجه أيضاً مسلم في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (2163) عن أنس بن مالك.

وذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه[1].

قوله: ﴿ اللهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي لا شك فيه ﴿ وَمَن أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً ﴾. على الاستفهام. أي: لا أحد.

قوله: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾. هم قوم من المنافقين كانوا بالمدينة. فخرجوا منها إلى مكة، ثم خرجوا منها إلى اليمامة تجاراً [فارتدوا عن الإسلام وأظهروا ما في قلوبهم من الشرك][2] وتخلفوا عن نبي الله في الهجرة؛ فلقيهم المسلمون فكانوا فيهم فئتين أي فرقتين. [قال فريق منهم: قد حلت دماؤهم وهم مشركون مرتدون، وقال بعضهم: لم تحل دماؤهم، هم قوم عرضت عليهم فتنة. فقال الله: فما لكم في المنافقين فئتين، وليس يعني أنهم في تلك الحال التي أظهروا فيها الشرك منافقون، ولكنه نسبه إلى أصلهم الذي كانوا عليه بما كان في قلوبهم من النفاق؛ يقول]: قال بعضكم كذا وقال بعضكم كذا، فهلا كنتم فيهم فئة واحدة [ولم تختلفوا في قتلهم]. ثم قال الله:

﴿ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ [أي ردهم إلى الشرك] بما اقترفوا من النفاق. ﴿ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَن أَضَلَّ اللهُ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً. وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [أي في الكفر شرعاً سواء][3]. [فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي: لا توالوهم. ﴿ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ فيرجعوا إلى الدار التي خرجوا منها، يعني المدينة. ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أي أبوا الهجرة[4] ﴿ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ

(1) أخرجه مسلم في كتاب السلام في الباب المذكور آنفاً (2166) عن أبي هريرة، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب السلام على أهل الذمة (5195) عن أبي هريرة.

(2) ما بين القوسين المعقوفين في هذه الفقرة ساقط من ع و د، فرأيت من الفائدة إثباته من ز، ورقة 70 لأنه يوضح الآية ويبيّن المعنى أحسن بيان.

(3)) زيادة من ز، ورقة 70.

(4)) زيادة من ز، ورقة 70.

وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً ﴾(1).

ثم استثنى قوماً فنهى عن قتالهم فقال: ﴿ إِلَّا الذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَـٰقٌ ﴾ هؤلاء بنو(2) مدلج كان بينهم وبين قريش عهد، وكان بين رسول الله وبين قريش عهد، فحرم الله(3) من بني مدلج ما حرم من قريش. وهذا منسوخ نسخته الآية التي في براءة: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 5].

قال: ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرتَ صُدُورُهُم ﴾ أي كارهة صدورهم ﴿ أَن يُقَـٰتِلُوكُم أَوْ يُقَـٰتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَـٰتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ وَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾ نسختها هذه الآية (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ).

قال بعضهم: ذكر لنا أنهما رجلان من قريش كانا مع المشركين بمكة، وكانا قد تكلّما بالإسلام ولم يهاجرا إلى رسول الله ﷺ؛ فلقيهما أناس من أصحاب النبي عليه السلام وهما مقبلان إلى مكة؛ فقال بعضهم: إن دماءهما وأموالهما حلال، وقال بعضهم: لا يحل لكم ذلك، فأنزل الله: (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِيْنِ فِئَتَيْنِ حتى انتهى إلى قوله... أَو جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ)، أي كارهة صدورهم.

ذكروا أن مجاهداً قال: هم قوم خرجوا من أهل مكة حتى أتوا المدينة ليأتوا ببضائع لهم يتّجِرون فيها؛ فاختلف فيهم الناس فبيَّن الله نفاقهم وأمر بقتالهم.

---

(1) ذكر المفسرون لنزول الآية أسباباً مختلفة أشار المؤلف هنا إلى بعضها، وعدد منها ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير سبعة أقوال في ص 153-154، وذكر الواحدي في أسباب النزول ثلاثة منها في ص 160-162 كما أشار البخاري في صحيحه إلى سبب منها رواه عن زيد بن ثابت في تفسيره للآية في كتاب التفسير وهو الذي يتعلق بأناس من أصحاب النبي ﷺ رجعوا من أحد وكان الناس فيهم فرقتين.

(2) بنو مدلِج، بطن من بطون العرب ينتسبون إلى مدلج بن مرَّة بن عبد مناة بن كنانة. انظر ابن دريد، الاشتقاق ص 195، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص 187.

(3) في ع و د، «حرم رسول الله» ويبدو أنه سهو من النساخ، وأصحّ منه ما جاء في ز، ورقة 70: «فحرّم الله» لأن الآية القرآنية هي التي أفادت الحكم.

قوله: ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ﴾. قال الحسن: إذا لقوا المؤمنين قالوا: إنا منكم، وإذا لقوا المشركين قالوا: إنا منكم. ﴿ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ ﴾ أي عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَـٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰناً مُّبِيناً﴾ أي حجة بيّنة.

وقال بعضهم: (سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ)، كانوا حياً[1] بالحجاز فقالوا: يا نبي الله، لا نقاتلك ولا نقاتل قومنا، وأرادوا أن يأمنوا نبي الله ويأمنوا قومهم، فأبى الله ذلك عنهم.

وقال مجاهد: هم أناس من أهل مكة، كانوا يأتون النبي عليه السلام فيسلّمون عليه رياء[2]، ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون في الأوثان يبتغون بذلك أن يأمنوا هاهنا وهاهنا، فأمِروا بقتالهم إن لم يعتزلوا ويكفوا.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً ﴾. قال الحسن: ما كان لمؤمن، فيما فرض الله عليه من حق أخيه المؤمن، أن يقتل مؤمناً. إلا خطأ. أي إلا أن يكون قتله إياه خطأ لم يتعمّده.

وقال بعضهم: ما كان له ذلك فيما أتاه من ربه في عهد الله الذي عهده إليه. وقال إن عياش بن أبي ربيعة[3] كان قتل رجلاً مؤمناً كان يعذبه مع أبي جهل في اتباع النبيِّ، وعياش يحسب أن ذلك الرجل كافر كما كان.

---

(1) كذا في ع: «كانوا حياً»، وفي د: «كان قوم بالحجاز»، وفي تفسير الطبري ج 9 ص 28 «حي كانوا بتهامة».

(2) كذا في ع وفي د، وفي ز، ورقة 70: «فيسَلِّمون عليه» من التسليم، وفي تفسير مجاهد ص 169، وفي تفسير الطبري، ج 9 ص 27: «يسْلِمون رياء» من الإسلام، وهذا الأخير أقرب إلى الصواب.

(3) هو أبو عبد الرحمن عياش بن أبي ربيعة، أخو أبي جهل بن هشام لأمه. وقد كان من السابقين إلى الإسلام أسلم قبل أن يدخل النبي عليه السلام دار الأرقم. ويقال إنه جمع بين الهجرتين =

قال: ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُومِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّومِنَةٍ ﴾. قال بعضهم: (رَقَبَةٍ مُّومِنَةٍ) مَن عَقَل دينَه. وأخبرت عن الحسن أنه قال: لا تجزي إلا رقبة قد صلت وصامت، ليست صغيرة.

قوله: ﴿ وَدِيَّةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ﴾ أي: إلى أولياء المقتول.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: العقل على العصبة والدية على الميراث[1]. العقل على العصبة، يعني دية الخطأ.

ذكروا عن سعيد بن المسيب قال: إن امرأة جاءت إلى عمر بن الخطاب تطلب ميراثها من دية زوجها، فقال عمر: أيكم سمع من رسول الله في هذا شيئاً. فقام الضحاك بن سفيان الكلابي[2] فقال: أشهد أنِّي كتب إلَيَّ رسولُ الله عليه السلام أن أورِث امرأة الضَّبابي من دية زوجها؛ فوَرَّثها عمر. قال هذا في قتل الخطأ. فأما في

= الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة. ولما قنت رسول الله شهراً يدعو للمستضعفين بمكة كان يذكر عياشاً باسمه مع الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام. قيل: إنه قتل يوم اليرموك وقيل مات بمكة. انظر ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر، ج 3 ص 123، وفي كتب التراجم.

(1) لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ، ولكن معناه ثابت في سنة رسول الله وفي قضائه. فقد أخرج البخاري في كتاب الديات، باب جنين المرأة وأن العقل على الوالد وعصبة الوالد لا على الولد. «عن أبي هريرة أن رسول الله قضى في جنين امرأة من بني لحيان بغرة عبد أو أمة. ثم إن المرأة التي قضى عليها بالغرة توفيت فقضى رسول الله ﷺ أن ميراثها لبنيها وزوجها، وأن العقل على عصبتها». انظر ابن حجر، فتح الباري، ج 12 ص 247-253. وسميت العاقلة ـ وهم عصبة الرجل وقرابته من قِبل الأب ـ عاقلةً لأن دفع الدية كان بِعقل الإبل على باب ولي المقتول. وانظر سنن أبي داود، كتاب الديات، باب دية الجنين، عن جابر بن عبد الله (4575) وعن أبي هريرة (4576). وانظر: يحيى بكوش، فقه الإمام جابر بن زيد، ميراث دية المقتول، ص: 591، تجد تحقيقاً وتلخيصاً لمختلف الأقوال في المسألة.

(2) هو أبو سعيد الضحاك بن سفيان الكلابي، معدود في أهل المدينة وإن كان نازلاً بباديتها. ولاّه رسول الله عليه السلام على من أسلم من قومه. وهو أحد الأبطال المغاوير؛ كان يُعد بمائة فارس وحده. أما خبره مع عمر فأورده أحمد والترمذي ومالك وغيرهم، أورده مالك في الموطأ، ص: 752 في كتاب العقول؛ باب ما جاء في ميراث العقل والتغليظ فيه.

قتل العمد فهو إلى العصبة، فإن رضوا بالدية كانت لهم دون غيرهم من أهل الميراث.

ذكر بعضهم قال: قال رسول الله ﷺ: الدية مائة بعير، يعني دية الخطأ، فمن ازداد بعيراً فهو من أهل الجاهلية(1).

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: هي أخماس: عشرون بنات مخاض، وعشرون بنات لبون، وعشرون حقّة، وعشرون بني لبون ذكوراً، وعشرون جذعة(2).

قوله: ﴿ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا ﴾ أي إلا أن يصدّق أولياء المقتول فيتجاوزوا عن الدية. قال الحسن: وذلك لِمَا حضّ الله عليه عباده من الخير، وليس بواجب عليهم.

قوله: ﴿ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدْوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّومِنَةٍ ﴾. قال الحسن: كان الرجل يُسلِم وقومه حرب، فيقتله رجل من المسلمين خطأ ففيه تحرير رقبة مؤمنة ولا دية لقومه. وإن كان في قومه، وهو مؤمن لا يظهر لقومه الإسلام، وهو فيهم بالتقية، فلا يعطون دية.

﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّومِنَةٍ ﴾.

(1) أخرجه النسائي في كتاب القسامة وأخرجه أصحاب السنن، وأخرجه ابن خزيمة وابن حبان مرفوعاً أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمن كتاباً وفيه: «إن في النفس الدية، مائة من الإبل». وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده عن ابن عباس مرفوعاً في كتاب الأيمان والنذور، باب في الديات والعقل (661) ولفظه: «الدية مائة من الإبل».

(2) أخرجه أبو داود حديثاً مرفوعاً عن عبد الله بن مسعود في كتاب الديات، باب الدّية كم هي. (4545)، وأخرج قبل ذلك في الباب حديثاً عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله قضى أن من قتل خطأ فديته مائة من الإبل: ثلاثون بنت مخاض، وثلاثون بنت لبون، وثلاثون حقّة، وعشرة بني لبون ذكر (رقم 4541). وقد اختلف العلماء في دية قتل الخطأ هل هي أرباع أو أخماس، وفي أسنان الإبل ولكلّ معتمده، انظر مثلاً تفسير الطبري ج 9 ص 45-49. وانظر كتاب الخراج لأبي يوسف، ص 307-310.

كان بين النبي وبين قوم من مشركي العرب عهد إلى أجل معلوم؛ فمن قتل منهم في ذلك العهد دفع إلى أوليائه الدية، وعلى قاتله عتق رقبة. قال: فما كان من عهد بين النبي وبين مشركي العرب فهو منسوخ، نسخه القتال. وما كان من عهد بين المسلمين وبين المشركين من غير العرب وأهل الذمة يودون الجزية فقتل منهم رجل، ففيه الدية لأوليائه وعتق رقبة مؤمنة.

قوله: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللهِ ﴾ أي تجاوزا من الله ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ أي عليماً بخلقه، حكيماً في أمره.

وقال بعضهم: وإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ولا دية لأهله من أجل أنهم كفار، ليس بينهم وبين رسول الله عهد ولا ذمة.

ذكروا عن بعضهم أنه قال: من أصاب دماً خطأً فكتمه لقي الله به عمداً.

قوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُومِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾.

ذكروا عن ابن عباس أنه سئل عن قاتل المؤمن فقال: ذلك قفل ضلَّ مفتاحه.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: إن رجلاً سأل رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، وقد كان قتل، فشدّد عليه، ثم قال: هل أحد من والديك حيّ؟ قال: نعم، أمي. قال: ويلك، برها واحملها فإن دخل الابعـد النار فأبعد من أبعده الله، أو كالذي قال له.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: إن هذه الآية مدنية، والتي في البقرة مدنية ما نسختها من آية.

ذكروا أن رجلاً أتى إلى ابن عباس فقال: ما تقول فيمن قتل مؤمناً؟ قال: (جَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً). فقال: ما كنت تعرف: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ) [طه: 82] قال: وأنى له الهدى، ثكلته أمه، والذي نفس ابن عباس بيده لسمعت رسول الله ﷺ يقول: ثكلته

أمه رجلاً[1] الذي قتل مؤمناً متعمداً يجيء يوم القيامة آخذاً قاتله بيمينه، ممسكاً رأسه بيده الأخرى، تشخب أوداجه دماً في قبل العرش يقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني. وأيم الله لقد نزلت هذه الآية في عهد نبيكم وما نسختها من آية، وما نزل بعدها برهان[2].

ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء[3].

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِين ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾ ذكر بعضهم أنهم نزلت في شأن مرداس رجل من غطفان[4].

---

(1) كذا في ع: «رجلاً»، وفي د: «رجل والذي قتل». وفي كليتهما خطأ، وصوابه: ثكلته أمه رجلاً قتل مؤمناً متعمداً. . . وفي تفسير الطبري ج 9 ص 63، رجل قتل رجلاً متعمداً. . . والحديث صحيح أخرجه أحمد بألفاظ شبيهة بالتي وردت هنا.

(2) جاء في ز، ورقة 70 خبران أوردهما يحيى بن سلام، وكأني بالشيخ هود الهواري حذفهما قصداً فرأيت من تمام الفائدة إثباتهما: أولهما:

«قال يحيى: بلغني أن عمر بن الخطاب قال: لما أنزل الله الموجبات التي أوجب عليها النار لمن عمل بها: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً. . .) وأشباه ذلك كنا نبتّ عليه الشهادة حتى نزلت هذه الآية: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ) [النساء:] فكففنا عن الشهادة».

وثانيهما: «يحيى عن عاصم بن حكيم عن خالد بن أبي كريمة عن عبد الله بن ميسور عن محمد بن الحنفية عن علي قال: لا تنزلوا العارفين المُحْدِثين الجنة ولا النار حتى يكون الله هو الذي يقضي فيهم يوم القيامة».

(3) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في أوائل كتاب الديات، عن عبد الله بن مسعود، وأخرجه مسلم في كتاب القسامة، باب المجازاة بالدماء في الآخرة (1678) عن عبد الله أيضاً.

(4)) هو مرداس بن نهيك الفزاري، ولكن اختلف الرواة في قاتله، والرواية التي تلي هي لقتادة، انظر تفسير الطبري، ج 9 ص 77-81، والواحدي أسباب النزول ص 167، وابن عبد البر، الاستيعاب، ج 3 ص 1386.

ذكر لنا أن نبي الله بعث جيشاً عليهم غالب الليثي إلى أهل فدك، وبه أناس من غطفان. وكان مرداس منهم؛ ففر أصحابه، فقال لهم مرداس: إني مؤمن وإني غير متابعكم. فصبَّحته الخيل غدوة. فلما لقوه سلّم عليهم، فقتلوه، وأخذوا ما كان معه من متاع؛ فأنزل الله: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُومِناً). لأن تحية المؤمنين السلام، بها يتعارفون، وبها يلقى بعضهم بعضاً، وهي تحية أهل الجنة.

﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾. وذلك في تفسير الحسن أن رجلاً من المشركين لما غشيه المسلم في سيره، ومعه متاع له فرغب فيه وهو على حمار له فذهب ليقتله فقال: إني مسلم فلقيه فقتله، فأخذ متاعه فأنزل الله هذه الآية: (فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ) يعطيكموها... إلى آخر الآية.

﴿ كَذَلِكَ كُنْتُم مِّنْ قَبْلُ ﴾ أي ضُلَّالاً ﴿ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ ﴾ بالإسلام وهداكم له.

وقال الحسن: كذلك كنتم من قبل مشركين مثلهم فأعطيتم ما أعطاكم فقبل منكم، فهلَّا قبلتموه منهم. ﴿ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾.

قوله: ﴿ لَا يَسْتَوِي القَـٰعِدُونَ مِنَ المُومِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوٰلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾. ذكروا عن البراء بن عازب قال: لما نزلت هذه الآية: لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله جاء ابن أم مكتوم إلى النبي عليه السلام فقال: يا رسول الله، أنا كما ترى، كان أعمى، فقال رسول الله ﷺ: ادعوا لي زيداً وليأتني باللوح أو الكتف. فأنزل الله: (غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ)، فأنزل الله عذره(1).

وقال الحسن: هو كقوله: (لَّيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ) [الفتح: 17].

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة النساء عن البراء بن عازب، وفي بعض ألفاظه: «ادعوا لي فلاناً، فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف».

قوله: ﴿ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِـمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا ﴾ أي المجاهد والقاعد ﴿ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ والحسنى الجنة. وعد الله المجاهدين من المؤمنين الجنة. وهذه نزلت بعد ما صار الجهاد تطوّعاً.

﴿ وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى الْقَـٰعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من أقام الصلاة وآتى الزكاة ومات لا يشرك بالله فإن حقاً على الله أن يغفر له، جاهد أو قعد[1].

وفي قوله: (فَضَّلَ اللهُ الْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِـمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَـٰعِدِينَ) ذكروا عن عطاء أنه قال: من جهّز غيره بمال في سبيل الله كان له بكل درهم سبعمائة ضعف، ومن خرج بنفسه وماله كان له بكل درهم سبعمائة ضعف وبكل ضعف سبعون ألف ضعف، و (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) [المائدة: 27].

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ تَوَفَّـٰهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا ﴾ أي قالت لهم الملائكة ﴿ فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني [مقهورين في أرض][2] مكة ﴿ قَالُوا ﴾ أي قالت لهم الملائكة ﴿ أَلَمْ تَكُن أَرْضُ اللهِ وٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ أي إليها. قال الله: ﴿ فَأُولَـٰئِكَ مَأْوٰهُـمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ أي بئس المصير من صار إلى جهنم.

ذكروا عن بعضهم قال: هؤلاء قوم كانوا بمكة تكلّموا بالإسلام، فلما خرج أبو جهل وأصحابه خرجوا معه فقتلوا يوم بدر، فاعتذروا بغير عذر، فأبى الله أن يقبل ذلك عنهم. ثم عذر الذين بمكة واستثناهم فقال: ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْـٰدٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ [أي لا قوة لهم فيخرجون من مكة إلى المدينة][2]﴿ وَلَا

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب درجات المجاهدين عن أبي هريرة بلفظ: من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها...

(2) زيادة من ز، ورقة 72.

يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴾ أي لا يعرفون طريقاً إلى المدينة ﴿ فَأُولَـٰئِكَ عَسَى اللهُ أَن يَّعْفُوَ عَنهُمْ ﴾ وعسى من الله واجبة. ﴿ وَكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾.

وقال مجاهد: هم أناس كانوا بمكة لم يستطيعوا أن يخرجوا معهم، فعذرهم الله. وقوله: (لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً). قال مجاهد: طريق المدينة(1).

قوله: ﴿ وَمَن يُّهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرٰغَماً كَثِيراً ﴾. قال الحسن: وجوهاً كثيرة من الطلب. ﴿ وَسَعَةً ﴾. وقال بعضهم: يجد في الأرض مراغماً: مهاجَراً يهاجر إليه، يخرج مهاجراً ومراغماً للمشركين. وتفسير مجاهد: مراغماً. أي: متزحزَحاً عما يكره وسعة(2).

قوله: ﴿ وَمَن يَّخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾. ذكروا أن رجلاً من بني كنانة لما سمع أن بني كنانة قد ضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم يوم بدر، وقد أدنف للموت، قال لأهله احملوني؛ فحملوه إلى النبي عليه السلام فمات في الطريق فأنزل الله فيه هذه الآية(3).

---

(1) وكان ابن عباس يقول: كنت أنا وأمي ممن لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً. وفي صحيح البخاري عن ابن أبي مُلَيكة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ قال: كانت أمي ممن عذر الله.

(2) كذا في د: «متزحزحاً»، وهو الصحيح، وبهذا اللفظ ورد في تفسير مجاهد ص 171، وفي ع: «متحيِّزاً» وله وجه في اللغة. وفي معاني الفراء، ج 1 ص 284: «مراغماً ومراغمة مصدران». فالمراغم: المضطَرب والمذهب في الأرض. وقال ابن قتبة في تفسير غريب القرآن ص 134: «المراغَم والمهاجَر واحد؛ تقول: راغمت وهاجرت [قومي]. وأصله أن الرجل كان إذا أسلم خرج عن قومه مراغماً لهم، أي مغاضباً، ومهاجراً، أي مقاطعاً من الهجران. فقيل للمذهب: مراغم، وللمصير إلى النبي ﷺ: هجرة ـ لأنها كانت بهجرة الرجل قومه». وقد نقل ابن أبي زمنين في مخطوطة ز، ورقة 72 أكثر قول ابن قتيبة هذا حرفياً ولم ينسبه لقائله. على أن ابن قتيبة نفسه نقل الجملة الأولى من مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 138.

(3) انظر اختلاف العلماء في اسم الرجل الذي نزلت فيه هذه الآية في أسباب النزول للواحدي =

قوله: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَّفْتِنَكُمُ ﴾ أي أن يقتلكم ﴿ الذِين كَفَرُوا إِنَّ الكَـٰفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً ﴾ هذا قصر صلاة الخوف.

قال: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةِ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلْيَأخُذُوا أَسْلِحَتَهُم فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَّرَائِكُمْ وَلْتَأتِ طَائِفَةٌ أُخْرىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَن أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيكُم مَّيْلَةً وَٰحِـدةً وَلَا جُنَاح عَلَيْكُمْ إِنْ كَـان بِكُم أَذًى مِّنْ مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُم مَّرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ أي يضعون أسلحتهم وهم حذرون ﴿ إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً ﴾. أي من الهوان. وقد فسّرنا صلاة الخوف في سنن الصلاة[1].

وتفسير مجاهد أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا بعُسفان[2] والمشركون بضَجْنَان[3] فتواقفوا[4]، فصلى النبي ﷺ بأصحابه الظهر أربعاً[5]، ركوعهم وسجودهم وقيامهم

= ص 170-171، وفي الدر المنثور للسيوطي ج 2 ص 207.

(1) هذا كتاب للمؤلف في الفقه، وقد وردت هذه العبارة مراراً في تفسير آيات الأحكام خاصة.

(2) موضع على مرحلتين من مكة على طريق المدينة. انظر ياقوت معجم البلدان ج 4 ص 121.

(3) جبل بناحية تهامة. وقيل جبيل على بريد من مكة. انظر الزمخشري، الفائق: «ضجن» وانظر ياقوت، معجم البلدان ج 3 ص 453.

(4) في ع: «فتوافقوا» وهو خطأ صوابه ما جاء في د، و ز، ورقة 72: «تواقفوا» بتقديم القاف على الفاء، أي: تقابلوا للقتال قبل الهجوم والالتحام.

(5) كذا في ع و د، و ز: «بأصحابه الظهر أربعاً» وهو الصحيح. أما ما رواه الطبري في تفسيره ج 9 ص 130، الفقرة (10322) فهو خطأ، يعضده شك أبي عاصم في الفقرة (10321) حيث قال: «صلاة الظهر ركعتين أو أربعاً». ويؤيد ما جاء هنا من أنه عليه السلام صلّى صلاة الظهر أربعاً ما جاء في الفقرة (10323) «عن مجاهد عن أبي عياش الزرقي قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد. قال: فصلّينا الظهر، فقال المشركون: لقد كانوا على حال، لو أردنا لأصبنا غِرّة، لأصبنا غفلة، فأنزلت آية القصر بين الظهر والعصر. . .» فصلاة الظهر كانت إذاً على أصلها أربعاً، ثم نزلت آية القصر، فقصرت صلاة العصر إلى ركعتين.

وقعودهم جميعاً؛ فهمَّ به المشركون أن يغيروا على أمتعتهم وأثقالهم، فأنزل الله عليه: (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ)... إلى آخر الآية. فصلّى رسول الله العصر؛ فصفَّ أصحابه خلفه صفين، ثم كبَّر بهم وكبَّروا جميعاً؛ فسجد الأوّلون بسجود النبي، والآخرون قيام؛ ثم سجد الآخرون حين قام النبي والصفّ الأول، ثم كبّر بهم وكبّروا جميعاً. فتقدم الصف الآخر وتأخر الصفّ الأول، فتعاقبوا[1] السجود كما فعلوا أول مرة، فقصرت العصر إلى ركعتين.

ذكروا أن أبا موسى الأشعري صلّى بأصحابه صلاة الخوف بالدير من أصبهان، وما بهم يومئذ كثير خوف، إلا أنه أراد أن يعلمهم دينهم؛ فجعل طائفة وراءه وطائفة مقبلة على عدوهم معهم السلاح؛ فصلى بالذين معه ركعة، ثم تأخروا على أعقابهم حتى قاموا مقام أصحابهم. وجاء الآخرون يتخللونهم حتى قاموا مقام أصحابهم، فصلى بهم ركعة أخرى، ثم قاموا فصلوا ركعة، ثم سلم كل إنسان منهم على يمينه وعلى يساره.

ذكروا عن ابن عمر أنه كان يقول في صلاة الخوف: يكونون فرقتين: فرقة تصلي مع الإمام، وطائفة تحرسهم؛ فيصلي بالذين يلونه ركعة، ثم يتأخرون على أعقابهم، فيقومون في مصاف إخوانهم، ويتقدم الآخرون، فيصلي به ركعة أخرى ثم يسلم؛ ثم يصلي كل إنسان منهم ركعة.

ذكروا عن إبراهيم قال: يكونون طائفتين: طائفة خلفه وطائفة قبالة العدوّ؛ فيصلي بالذين خلفه ركعة، ثم يتأخرون حتى يقوموا في مقام أصحابهم، ويجيء الآخرون حتى يقوموا في مقام خلف الإمام، فيصلي بهم ركعة، ثم يسلم. ثم يرجعون إلى مقام أصحابهم، ويجيء أصحابهم فيصلون ركعة، ثم يرجعون إلى مقام أصحابهم، ويجيء الآخرون إلى مقام أصحابهم فيصلون ركعة ثم يسلمون.

---

(1) في ع و د: «ففعلوا في السجود» وأثبت الصواب من تفسير مجاهد ص 127.
(2) في ع و د: «بالذين من أصبهان» وفي تفسير الطبري ج 9 ص 153: «بالدير من أصبهان» ولم أهتد للصواب فيه، ولعله دير خاص بأصبهان، ولم أجد اسمه في أسماء الأماكن والبلدان.

ذكروا عن جابر بن عبد الله أنه قال: صلى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاة الخوف فصفّهم خلفه، ثم كبر فكبروا جميعاً، ثم ركع فركعوا جميعاً، ثم رفع رأسه فرفعوا جميعاً، ثم سجد فسجد الذين يلونه والآخرون قيام. فلما رفعوا رؤوسهم من السجود سجدوا. قال بعضهم: كان العدو فيما بين أيديهم وفيما بينهم وبين القبلة.

وقال بعضهم: عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ صلّى بهم صلاة الخوف فقامت طائفة وراءه، وطائفة خلفه مقبلة على العدو. فصلّى بالذين خلفه ركعتين، ثم تأخروا، وجاء آخرون فصلّى بهم ركعتين ثم سلّم؛ فتمت للنبي أربع ركعات، وللناس ركعتان. قال بعضهم: نرى أنه إنما كان هذا قبل أن تقصر الصلاة.

قال بعضهم: إذا هجم العدو على قوم في مدينتهم صلّوا هكذا لا يقصرون الصلاة، ثم يقضون ركعتين ركعتين، ويكون قضاؤهم: أنّ[1] الذين صلى بهم آخراً يتأخرون حتى يقوموا في مقام أصحابهم، ثم يجيء أصحابهم إلى مكانهم فيقضون ركعتين، ثم يسلّمون، ثم يتأخرون إلى مقام أصحابهم، ثم يجي أصحابهم إلى أماكنهم فيقضون ركعتين ثم يسلمون.

أما صلاة المغرب في الخوف فقال بعضهم: يصلي بالطائفة الأولى ركعتين، ثم يتأخرون ويتقدم الآخرون فيصلّي بهم ركعة ثم يسلّم. ثم يتأخرون إلى مقام أصحابهم، ثم يجيء أصحابهم فيصلون الركعة التي بقيت عليهم، ثم يرجعون إلى مقام أصحابهم، ويتقدم الآخرون، ويصلون ركعتين ثم يسلّمون.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي بين مكة والمدينة ركعتين لا يخاف إلا الله.

ذكروا عن حارثة بن وهب الخزاعي[2] أنه قال: صليت مع رسول الله بمنى ركعتين، أكثر ما كان الناس وآمنهم.

---

(1) في ع و د: «أيِ الذين» وهو خطأ صوابه: «أن الذين».

(2) هو حارثة بن وهب الخزاعي. كانت أمه تحت عمر بن الخطاب وولدت له عبيد الله، فهو أخوه =

ذكروا أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني رجل تاجر اتّجر إلى البحرين، فكيف تأمرني بالصلاة؟ قال: صلّ ركعتين[1].

قوله: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَـٰمًا وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ﴾ قال بعضهم: إذا لم يكن مريضاً صلّى قائماً، وإذا كان مريضاً صلى قاعداً ويسجد على الأرض إن استطاع، فإن لم يستطع أن يسجد على الأرض أومأ إيماء، ويجعل سجوده أخفض من ركوعه، فإن كان لا يستطيع أن يصلي قاعداً صلى مضطجعاً على جنبه الأيمن إلى القبلة، وإن كان مرضه أشد من ذلك صلى مستلقياً، وإن كان مرضه أشد من ذلك كبّر، ويقال: عدد تكبير تلك الصلاة. وإن أغمي عليه يوماً أو أياماً كانت عليه إعادة يوم وليلة، وفيه اختلاف؛ وهو في سنن الصلاة.

وقال بعض المفسّرين في قوله: (فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ) قال: افترض الله ذكره عند القتال. وقال الحسن: قوة المؤمن في قلبه، يذكر الله قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً على فراشه.

قوله: ﴿ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ ﴾ أي فإذا أمنتم[2] ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ﴾ [يقول: فأتموا الصلاة][3] ﴿ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً ﴾ قال الحسن: كتاباً

= لأمه. وقد صلى مع رسول الله ﷺ صلاة القصر هذه وهو في حجة الوداع. والحديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، في أبواب التقصير، باب الصلاة بمنى.

(1) لم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من كتب الحديث والتفسير، ولعله مما انفرد بروايته ابن سلام.

(2) كذا في ع: «فإذا آمنتم». وفي د: «فإذا أقمتم». وفي ز ورقة 72: «يعني في أمصاركم». وقال ابن سلام في كتابه التصاريف: «(فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ) يقول: فإذا أقمتم (فَأَقِيمُوا الصَّلَاة) يعني فأتموا الصلاة».

(3) زيادة من ز، ورقة 72. وانظر تحقيقاً وافياً حول اختلاف العلماء في قصر الصلاة، هل هو قصر كيفية أو قصر كمية كما هو رأي الجمهور. واقرأ قول ابن عباس الذي رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها في أول باب منه (رقم 687) ورواه غيره من أئمة الحديث، قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين وفي الخوف واحدة. انظر ذلك كله في عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، تحقيق أحمد محمد شاكر، ج 3 ص 254-258.

مفروضاً(1). وقال مجاهد: كتاباً واجباً.

وقال بعضهم: (فإذا اطمأننتم) أي: إذا انقضى سفركم (فأقيموا الصلاة) أي: فأقيموا الصلاة أربعاً. وقال مجاهد: (فأقيموا الصلاة) أي: فأتموا الصلاة.

قوله: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ﴾ أي: لا تضعفوا في طلب القوم، وذلك يوم أحد. وقد فسرنا ذلك قبل هذا الموضع. ﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾ قال الحسن: يعني الوجع من الجراح ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ ﴾ في ذلك من ثوابه ﴿ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ أي: ما لا يرجو المشركون. يرغبهم بذلك في الجهاد.

وقال بعضهم: (فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ) أي: ييجعون(2) كما تيجعون. (وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ) من الثواب في الآخرة. (وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً).

قوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَـٰبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ ﴾ أي في

(1) كذا في ع و د، وفي ز: «كتاباً مفروضاً... كتاباً واجباً»، وهو وجه من التأويل صحيح. انظر مختلف معاني (كَتَبَ) عند ابن سلام، في التصاريف، ص 172، وعند الفارسي، في الحجة في القراءات السبع، ج 2 ص 332. ولم يشر المؤلف إلى المعنى الآخر للفظ (مَوْقُوتاً) وهو الذي أورده مفسّرون ولغويون كثيرون. قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 131: «أي موقّتاً وقّته الله عليهم». وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرءان، ص 135: «أي: موقّتاً، يقال: وقّته الله عليهم وَوَقَتَه أي: جعله لأوقات». وقال الزمخشري في الكشاف ج 1 ص 561: «محدّداً بأوقات لا يجوز إخراجها عن وقتها على أي حال كنتم: خوفٍ أو أمنٍ». وقال السجستاني في غريب القرآن: «موقوتاً: أي مؤقتاً». وترجم البخاري: «باب مواقيت الصلاة وفضلها وقوله: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً) وقته». وفي اللسان: كتاباً موقوتاً أي: مُوَقَّتاً مقدّراً؛ تقول: وقته فهو موقوت إذا بيّن للفعل وقتاً يُفعل فيه». وإذا اعتمدنا القاعدة: التأسيس أولى من التوكيد، رجّحنا هذا الجانب الأخير من التأويل فيكون المعنى: إن الصلاة كانت على المؤمنين فرضاً مقدراً ومحدداً بوقت. وهذا ما مال إليه الطبري في تفسيره ج 9 ص 170 وبيّنه أحسن بيان. وانظر في اللسان (وقت) كيف اتسع معنى الوقت من تحديد الزمان إلى تحديد المكان فقيل للموضع ميقات. ومنه ميقات الحاج.

(2) كذا «ييجعون» من الوجع. وقد ورد في اللغة: وجع، يَوْجع، ويَيْجع، وياجع، وكلٌّ صحيح. انظر اللسان (وجع).

الوحي ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً ﴾. ذكر عن الحسن أن رجلاً من الأنصار سرق درعاً فاتُّهِمَ عليها. فلما فشت عليه القالة استودعها رجلاً من اليهود. ثم أتى قومه فقال: ألم تروا إلى هؤلاء الذين اتَّهموني بالدرع، فوالله ما زلت أسأل عنها حتى وجدتها عند فلان اليهودي. فأتوا اليهودي فوجدوا عنده الدرع؛ فقال: والله ما سرقتها، إنما استودعنيها. ثم قال الأنصاري لقومه: انطلقوا إلى النبي عليه السلام فقولوا له فليخرج فليعذرني فتسقط عني القالة. فأتى قومُه رسولَ الله فقالوا: يا رسول الله، اخرج فاعذر فلاناً حتى تسقط عنه القالة. فأراد رسول الله أن يفعل، فأنزل الله: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً) يعني الأنصاري(1).

﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللهَ ﴾ مما كنت هممت به أن تعذره. ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾.

قوله: ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الذِينَ يَخْتَانُونَ أنفسهم ﴾ أي أن الأنصاري هو الذي سرقها، أما اليهودي فهو منها بريء ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً ﴾. وهو طعمة بن أبيرق الأنصاري(2)، وكان منافقاً، في حديث الحسن.

قال: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ ﴾ أي يستحيون من الناس ولا يستحيون من الله ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ القَوْلِ ﴾. تفسير يبيتون أي يفترون. وقال بعضهم: يبيتون أي: يلقون(3).

---

(1) وردت هذه القصة مضطربة ناقصة في ق و ع، فأثبت صحتها وتمامها من ز، ورقة 73. ويذكر الواحدي أن هذه القصة هي سبب نزول الآيات، وهنالك أسباب أخرى قريبة منها ذكرها المفسرون. انظر مثلاً تفسير الطبري ج 9 ص 176-189، وانظر الدر المنثور ج 2 ص 215-219.

(2) هو طعمة بن أبيرق الأنصاري، ذكره ابن قتيبة في المعارف، ص 343 في أسماء المنافقين الذين أرادوا أن يلقوا رسول الله ﷺ من الثنية في غزوة تبوك. انظر تفاصيل القصة وأسماء الذين شاركوا فيها في تفسير الطبري ج 9 ص 176-183.

(3) في ع: «يزلقون» ويبدو أنه تصحيف من الفعل «يؤلفون» وهو تفسير رواه الطبري عن أبي رزين =

وقال بعضهم: يعذرون[1]، وهو ما قال الأنصاري: إن اليهودي سرقها. ﴿ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ﴾.

ثم أقبل على قوم الأنصاري فقال: ﴿ هَا أَنْتُمْ هَـٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الحَيَـوٰةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ أَم مَّنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾ أي حافظاً لأعمالهم في تفسير الحسن. قال الحسن: ثم استتابه الله فقال:

﴿ وَمَن يَّعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾.

قال: ﴿ وَمَن يَّكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً وَمَن يَّكْسِبْ خَطِيئَةً وَإِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً ﴾ يعني اليهودي أنه منها بريء ﴿ فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَـٰناً ﴾ والبهتان الكذب ﴿ وَإِثْماً مُّبِيناً ﴾ أي بيّناً.

قال الحسن: ثم أقبل على النبي وقال: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ فيما أرادوا من النبي أن يعذر صاحبهم ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الكِتَـٰبَ وَالحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾.

ثم قال: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَجْوٰهُـمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوِ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَّفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾. قال الحسن: فلما أنزل الله في الأنصاري ما نزل [استحيى أن يقيم بين المسلمين][2] فلحق بالمشركين فأنزل الله.

﴿ وَمَن يُّشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾ والشقاق في تفسير بعضهم الفراق[3]. وقال بعضهم:

= في تفسيره ج 9 ص 192. وفي د: «يلقون». وإذا صح بهذا الأخير فيكون من الفعل: ولق، أي: كذب؛ كما قرأت عائشة من سورة النور: 15 (إِذْ تَلِقُونَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ).

(1) كذا في ع و د: يعذرون، ولم أر للكلمة هنا وجهاً. على أن معنى التبييت إنما هو تدبير أمر بليل.

(2) زيادة من ز، ورقة 73.

(3) كذا في ع «الفِرَاق»، وفي ز: «ومن يفارق»، وفي د: «النِّفاق» ولكلٍّ وجهٌ، والأول أنسب.

ومن يشاقق الرسول، أي: ومن يخالف الرسول ﴿ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُومِنِينَ ﴾ أي غير دين المؤمنين ﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾.

قال الحسن: ثم استتابه الله فقال: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُّشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَّشَاءُ وَمَن يُّشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَّلَّ ضَلَالاً بَعِيداً ﴾. فلما نزلت هذه الآية رجع إلى المسلمين. ثم إنه نقب على بيت من المسلمين بيتاً، فأدرك وقد وقع عليه الحائط فقتله.

وقوله: (إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ) والمعروف القرض[1].

وأما قوله: (نُوَلِّهِ مَا تُوَلَّىٰ) أي من آلهة الباطل.

قوله: (وَمَن يَّعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَّحِيماً) فبلغنا أنها لما نزلت قال إبليس وجنوده: ذهب عملنا باطلاً؛ إذا فتنّاهم استغفروا فغفر لهم. فقال إبليس: لأحملنهم على أمر يدينون به فيقتل بعضهم بعضاً.

قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش بينهم وما يحقرون من أعمالهم قد رضي[2].

قوله: ﴿ إِن يَّدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَـٰثاً ﴾ قال الحسن: إلا أمواتاً. غير أن بعضهم روى عنه أنه قال: شيئاً ميتاً لا روح فيه. قال بعضهم هو مثل قوله: (وَالذِينَ تَدْعُونَ مِن

---

(1) هذا وجه من وجوه معاني المعروف اختاره المؤلف ابن سلام هنا. وقد جعله في كتابه التصاريف ص 204 أول وجه من وجوه الكلمة الخمسة. وبه فسّر المعروف في هذه الآية: 114، وفي الآية: 6 من أوائل هذه السورة. والحقّ أن كلمة المعروف أعمّ من ذلك معنى وأكثر شمولاً؛ فهي تتناول كل أنواع البرّ كما ذهب إليه كثير من المحقّقين، فكيف يُقصَر معناها على القرض.

(2) من خطبته ﷺ في حجة الوداع. وقد وردت في كتب السنن والتاريخ. انظر مثلاً: سيرة ابن هشام ج 4 ص 604، ومغازي الواقدي، ج 3 ص 113، وتاريخ الطبري ج 3 ص 150. وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان... (رقم 2812) عن جابر.

دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ) [النحل: 20-21] يعني أصنامهم[1]. ﴿ وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰناً مَّرِيداً ﴾. قال بعضهم: مَرَد على المعصية.

وقال الحسن: أي أن تلك الأوثان التي عبدوها من دون الله لم تدعهم إلى عبادتها وإنما دعاهم إلى عبادتها الشيطان.

قوله: ﴿ لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ ﴾ إبليس ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً وَلَأُضِلَّنَّهُمْ ﴾ أي لأغوينَّهُمْ؛ كقوله: (لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) [الإسراء: 62] أي لأستولينَّ عليهم، أي لأُضِلَّنَّهم إلا قليلاً. وذلك ظنٌّ منه. وكان الأمر على ما ظنَّ. وهو كقوله: (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُومِنِينَ) [سبأ: 20].

ذكر الحسن قال قال رسول الله ﷺ: يقول الله لآدم: قم فابعث بعث أهل النار. قال: يا رب وما بعث أهل النار. قال: من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون[2].

قوله: ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ أي: بأنه لا عذاب عليهم ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ ﴾ وهي البحيرة؛ كانوا يقطعون أطراف آذانها ويحرّمونها على أنفسهم. ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾. قال مجاهد: دين الله[3]، أي يأمرهم بالشرك.

وقال ابن عباس: هو الإخصاء. وقال الحسن: هو ما تَشِمُ النساء في أيديها ووجوهها من هذا الوشم. كان نساء أهل الجاهلية يفعلن ذلك.

قال الله: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَـٰنَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً ﴾ أي

---

(1) جاء في ز، ورقة 73 ما يلي: «قال محمد: وقيل المعنى: إلا ما سموه بأسماء الإناث مثل اللات والعزى ومناة».

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب قصة ياجوج وياجوج. وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب قوله: يقول الله لآدم أخرج بعث النار (222) كلاهما يرويه عن أبي سعيد الخدري.

(3) الذين أولوا تغيير خلق ار بتغيير دين الله اعتمدوا قوله تعالى من سورة الروم: 20 (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ). وهو ما ذهب إليه مجاهد والضحاك بن مزاحم وغيرهم، ورجحه الطبري في تفسيره، ج 9 ص 222.

بَيِّناً ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُوراً أُولَـٰئِكَ مَأْوَيهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً ﴾ أي ملجأ.

قوله: ﴿وَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَـٰلِدِين فِيهَا أَبَداً ﴾ أي لا يموتون ولا يخرجون منها أبداً ﴿ وَعْدَ اللهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً ﴾ أي لا أحد.

قوله: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مَن يَّعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً ﴾.

قال الحسن: قالت اليهود للمؤمنين: كتابنا قبل كتابكم، ونبيّنا قبل نبيّكم، ونحن أهدى منكم. وقال المؤمنون: كذبتم؛ إنا صدّقنا بكتابكم ونبيكم وكذّبتم بكتابنا ونبينا، وكتابنا القاضي على ما قبله من الكتب؛ فأنزل الله: (لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مَن يَّعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً).

ذكروا أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ فقال له النبي عليه السلام: أي آية يا أبا بكر؟ قال يقول الله: (مَن يَّعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ). قال: يغفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض، ألست تحزن، ألست تصيبك اللأواء؟ قال: بلى، قال: فهو ما تجزون به[1].

قال مجاهد: هذا في مشركي قريش: قالوا: لن نبعث ولن نعذب.

ذكروا عن أمية أنها سألت عائشة عن قوله تعالى: (قُل إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُم أَوْ تُخْفُـوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ) [البقرة: 284]، وعن قوله: (مَن يَّعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ) فقالت: ما سألني عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: يا عائشة هذه

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ابن أبي زهير الثقفي. وأخرجه أبو بكر المروزي في مسند أبي بكر الصديق عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي عن أبي بكر بسند ضعيف وإن كان الحديث صحيحاً (الحديث رقم 112). واللأواء: الشدة والمحنة وضيق المعيشة. انظر اللسان: (لأى) وأخرجه ابن سلّام عن المعلى بن هلال عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن زهير.

متابعة الله على العبد بما يصيبه من الحمى والحزن والشوكة حتى البضاعة يضعها في كمّه فيفقدها فيفزع لها فيجدها في ضبنه، حتى أن المؤمن ليخرج من خطاياه كما يخرج التبر الأحمر من الكير(1).

قوله: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْ ذَكَرٍ أَو أُنثَىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَأُولَـٰئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾. وهي النقرة التي في ظهر النواة.

ذكر بعضهم قال: ثلاثة في النواة: الفتيل والنقير والقطمير. أما الفتيل فهو الذي يكون في بطن النواة، والنقير الذي يكون في ظهر النواة، والقطمير الذي يكون على النواة والمعروف بِقِمع العنبة(2).

قوله: ﴿ وَمَن أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّن أَسْلَمَ ﴾ أي: أخلص ﴿ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾ أي لا أحد أحسن ديناً منه. ﴿ وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرٰهِيـمَ خَلِيلاً ﴾.

قال الكلبي: لما قالت اليهود للمؤمنين: إن كتابنا قبل كتابكم، ونبيّنا قبل نبيكم، ونحن أهدى منكم، قال لهم المؤمنون ما قالوا، فأنزل الله: (لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ... إلى قوله: وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً) ففضّل الله المؤمنين على اليهود.

قوله: ﴿ وَلِلهِ مَا فِي السَّـمٰـوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً ﴾ أي أحاط علمه بكل شيء.

قوله: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَـٰبِ فِي يَتَـٰمَى النِّسَاءِ الّـٰتِي لَا تُوتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴾ أي من الميراث في تفسير الكلبي

---

(1) أخرجه أحمد والبيهقي، وأخرجه الترمذي في تفسير سورة البقرة في قوله تعالى: (إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ) [الآية: ٢٨٤] عن أمية بنت عبد الله عن عائشة (رقم 4075)، وفي لفظة: «هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى...».

(2) كذا في ع، وهو الصحيح: قِمْع، ويقال أيضاً قِمَع، وهو ما على التمرة والعنبة. انظر اللسان: (قمع).

وغيره. قال الكلبي: سئل رسول الله ﷺ: ما لهن من الميراث، فأنزل الله الربع والثمن. قوله: ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾.

قال الحسن: كان الرجل يكون عنده من اليتامى التسع والسبع والخمس والثلاث والواحدة وهو عاصبهن[1] ووارثهن؛ فيرغب عن نكاحهن أن يتزوجهن، ويكره أن يزوّجَهُنَّ، يريد أن يرثهن، فيحبسهن ليمتن فيرثهن: فأنزل الله: (الَّتِي لاَ تُوتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ) أي ما أحل الله لهن من التزويج وترغبون أن تنكحوهن.

ذكروا عن مجاهد قال: كانت المرأة اليتيمة في الجاهلية تكون دميمة، فيكره الرجل أن يتزوجها لأجل دمامتها، فيتزوّجها غيره إذا لم يكن لها مال؛ وإذا مات حميم لها لم يعطها من ميراثها شيئاً. وإذا كانت حسنة الوجه ذات مال تزوّجها. وكانوا يعطون الميراث لذوي الأسنان من الرجل ولا يعطون الولدان الصغار ولا النساء شيئاً.

ذكروا عن علي بن أبي طالب أنه قال في قوله: (وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لاَ تُوتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ) قال: تكون المرأة عند الرجل بنت عمه، يتيمة في حجره، ولها مال فلا يتزوّجها لدمامتها، ولكن يحبسها حتى يرثها، فأنزل الله هذه الآية، فنهوا عن ذلك، وقال: (لاَ تُوتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ) قال: ميراثهن.

قال: ﴿ وَالمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الوِلْدٰنِ ﴾. يقول: يفتيكم فيهن وفي المستضعفين من الولدان ألا تأكلوا أموالهم.

وقال بعضهم: [وكانوا لا يورثون الصغير وإنما][2] كانوا يورثون من يحترف وينفع ويدفع.

وقال الكلبي: كانوا لا يعطون الميراث إلا من قاتل الأقوام، وحاز الغنيمة، وكانوا لا يورّثون الجارية، وكانوا يرون ذلك في دينهم حسناً. فلما أنزل الله فرائض الميراث وجدوا من ذلك وجداً شديداً فقال عيينة بن حصن لرهط من قومه: انطلقوا بنا

(1) في المخطوطتين ع و د: «عصبتهن» وهو خطأ صوابه ما أثبته.

(2) زيادة من ز، ورقة 74.

إلى رسول الله ﷺ نذكر له، فلعلّه يدعه إلى غيره. فأتوه فقالوا: يا رسول الله: أتعطى الجارية نصف ما ترك أبوها وأخوها، ويعطى الصبي الميراث كله، وتعطى المرأة الربع والثمن، وليس من هؤلاء من يركب الفرس أو يحوز الغنيمة أو يقاتل أحداً؟ قال: نعم بذلك أمرت[1].

قوله: ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل. وهو تبع للكلام الأول؛ قل الله يفتيكم فيهن، وفي يتامى النساء، وفي المستضعفين من الولدان، وفي أن تقوموا لليتامى بالقسط. وكانوا يفسدون أموال اليتامى وينفقونها، فأمرهم الله أن يصلحوا أموالهم. قال: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً﴾.

قوله: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا﴾ أي علمت من زوجها ﴿نُشُوزاً﴾ يعني بغضاً. ﴿أَوْ إِعْرَاضاً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.

قال بعضهم: هي المرأة تكون عند الرجل فتكبر فلا تلد، فيريد أن يتزوج عليها أشب منها، ويوثرها على الكبيرة، فيقول لها: إن رضيت أن أوثرها عليك وإلا طلقتك؛ أو يعطيها من ماله على أن ترضى أن يوثر عليها الشابة؛ وهو قوله: فلا جناح عليهما أي لا حرج على الزوج وامرأته أن يصلحا بينهما صلحاً، والصلح خير من غيره.

قوله: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾. قال بعضهم: يعني الحرص على المال فترضى بما يعطيها بنصيبها من زوجها. وقال الكلبي: شحّت بنصيبها من زوجها للأخرى أي: فلم ترض. ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ البعل[2] [وَتَتَّقُوا﴾ الميل والجور فيهن ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾.

---

(1) لم أجد فيما بين يدي من المصادر هذا الخبر الخاص بعيينة بن حصن وقومه وجواب الرسول إياهم. ولعله مما انفرد بروايته ابن سلام، وإن كانت الروايات متضافرة في هذا المعنى، انظر مثلاً تفسير الطبري ج 9 ص 253-257.

(2) كذا في د ومخطوطته الأصلية: «البعل» وهو الصحيح، أي: حسن العشرة كزوج. والفعل منه بعل يبعل بعلاً وبعولة، انظر اللسان: (بعل).

قوله: ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ أي في النكاح والحب[1]. قال مجاهد: أي: لن تستطيعوا العدل بينهن ﴿ فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ ﴾ أي لا تعمّدوا الإساءة. وقال الحسن: (فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ) فتأتي واحدة وتترك الأخرى. قال: ﴿ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ أي كالمسجونة[2]. قال الحسن: أي لا أيّم ولا ذات بعل. ﴿ وَإِنْ تُصْلِحُوا ﴾ الفعل في أمرهن ﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ الميل والجور ﴿ فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾.

قوله: ﴿ وَإِن يَّتَفَرَّقَا ﴾ أي بالطلاق ﴿ يُغْنِ اللهُ كُلاًّ مِّنْ سَعَتِهِ ﴾ أي من فضله ﴿ وَكَانَ اللهُ وَاسِعاً حَكِيماً ﴾ يعني واسعاً لهما في الرزق، حكيماً في أمره.

قوله: ﴿ وَللهِ مَا فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الذِينَ أُوتُوا الكِتَـٰبَ مِّنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ للهِ مَا في السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللهُ غَنِيّاً حَمِيداً ﴾ أي غنياً عن خلقه حميدا بما أنعم عليهم.

﴿ وَللهِ مَا فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلاً ﴾ أي لمن توكّل عليه.

قوله: ﴿ إِن يَّشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ أي بعذاب الاستئصال ﴿ وَيَـأْتِ بِآخَرِينَ ﴾ أي يطيعونه ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيراً ﴾ وهو كقوله: (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) [محمد: 38] في الخلاف والمعصية: يعني بهذا المشركين.

---

(1) وهذه حقيقة نفسية ثابتة، أخبر بها اللطيف الخبير الذي يعلم ما نخفي وما نعلن. فلا يتعلقْ بها الذين ينكرون تعدد الزوجات في الإسلام بدعوى عدم تحقق العدل؛ فإن على الرجل أن يعدل في النفقة والسكنى وسائر الأمور الظاهرة من حسن العِشرة؛ أما الميل النفسي والحب، فذلك ما لن يستطيع العدلَ فيه. وصدق رسول الله ﷺ الذي كان يقسم بين نسائه ويعدل ثم يقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك.

(2) وكذلك قرأها أبي قراءة تفسير: «كالمسجونة» كما ذكره الفراء في معاني القرآن، ج 1 ص 291.

قوله: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ أي: فعنده ثواب الآخرة لمن أراد الآخرة ﴿ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ وهو كقوله: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً وَمَن أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُومِنٌ فَأُولَـٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً) [الإسراء: 18-19].

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ ﴾ أي بالعدل ﴿ شُهَدَاءَ لِلهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الوَٰلِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا ﴾ في الشهادة إذا كانت عنده. يقول: اشهدوا على أنفسكم، أي على أبنائكم وآبائكم وأمهاتكم وقرابتكم، أغنياء كانوا أو فقراء. وهو قوله: (إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا) أي أولى بغناه وفقره.

وقال بعضهم: لا يمنعكم غنى غني، ولا فقر فقير أن تشهدوا عليه بما تعلمون، قال: الله أعلم بغناهم وفقرهم.

قوله: ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الهَوَىٰ ﴾ فتدعوا الشهادة[1] ﴿ أَنْ تَعْـدِلُوا ﴾ فتقيموا الشهادة[1] ﴿ وَإِنْ تَلْوُوا ﴾ بألسنتكم، أي تلجلجوا فتحرّفوا الشهادة ﴿ أَوْ تُعْرِضُوا ﴾ فلا تشهدوا بها. وقال مجاهد: إن تلووا، أي تبدّلوا الشهادة، أو تعرضوا، أي تكتموها ﴿ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَـٰبِ الذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ والكِتَابِ الذِي أُنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴾ قال الكلبي: يعني من آمن من أهل الكِتَـٰبِ، فإنهم قالوا عند إسلامهم: أنؤمن بكتاب محمد ونكفر بما سواه؛ فقال الله: بل آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل. ﴿ وَمَن يَّكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَـٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فقد ضَلَّ ضَلَـٰلاً بَعِيداً ﴾.

(1) كذا في د: فتقيموا الشهادة، وهو الصحيح. وفي ع: (فَلَا تَتَّبِعُوا الهَوَىٰ) فتدعوا الشهادة (أَنْ تَعْدِلُوا) فتكتموا الشهادة، وهذه الأخيرة خطأ.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَّمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً ﴾. هم أهل الكتابين.

ذكر بعضهم قال: آمن أهل التوراة بالتوراة، وآمن أهل الإنجيل بالإنجيل، ثم كفروا بهما، يعني ما حرَّفوا منهما، ثم ازدادوا كلهم كفراً، أي: بالقرآن. (لَّمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ) قال الحسن: يعني من مات منهم على كفره، (وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً)، أي سبيل الهدى، يعني عامّتهم؛ وقد أسلم الخاصة منهم. وقال بعضهم: ولا ليهديهم سبيلاً، أي طريق هدى، وقد كفروا بكتاب الله.

قوله: ﴿ بَشِّرِ المُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً الذِينَ يَتَّخِذُونَ الكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المُومِنِينَ ﴾ كانوا يتولون اليهود وقد أظهروا الإيمان وأجابوا إليه. ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ العِزَّةَ ﴾ أي أيريدون بهم العزة ﴿ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلهِ جَمِيعاً ﴾.

قوله: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَـٰبِ أَن إِذَا سَمِعْتُمُ ءَايَـٰتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ المُنَـٰفِقِينَ ﴾ من أهل الإقرار ﴿ وَالكَـٰفِرِينَ ﴾ من أهل الإقرار والكافرين من أهل الإنكار ﴿ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ﴾.

قال الكلبي: نُهِيَ المؤمنون أن يجالسوا المنافقين والكفار إذا سمعوهم يستهزئون بشيء من كتاب الله ويعيبونه. وأما قوله: (وَقَدْ نُزِّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ) فيعني ما أنزل في سورة الأنعام بمكة قبل الهجرة: (وَإِذَا رَأَيْتَ الذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) [الأنعام: 68] وكان ذلك قبل أن يؤمر بقتال مشركي العرب ثم أمر بقتالهم. فأما المنافقون الذين أظهروا الإيمان، واليهود إذا أدّوا الجزية، فلا يقاتَلون.

قوله: ﴿ الذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ﴾ يعني المنافقين؛ كانوا يتربصون برسول الله ﷺ وبالمؤمنين. ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللهِ ﴾ أي نصر وغنيمة ﴿ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ ﴾ أي نكبة على المؤمنين ﴿ قَالُوا ﴾

للكافرين ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ألم نغلب عليكم[1] بمودتنا إياكم ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ المُومِنِينَ﴾ يقولون: إنهم آمنوا بمحمد، وكنا لكم عيوناً، نأتيكم بأخبارهم، ونغينكم عليهم؛ وكان ذلك في السِّرّ.

قال الله: ﴿فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ فيجعل المؤمنين في الجنة ويجعل الكافرين في النار ﴿وَلَن يَّجْعَلَ اللهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى المُومِنِينَ سَبِيلاً﴾ أي حجة في الآخرة؛ وقد تكون في الدنيا الدولة للكافرين؛ وربما ابتلي المؤمنون.

قوله: ﴿إِنَّ المُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ اللهَ﴾ بكونهم (إِذَا لَقُوا الذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) [البقرة: 14] ﴿وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾.

قوله: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَى عنها يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ بصلاتهم ليظنوا أنهم مؤمنون، وليسوا بمؤمنين ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ أي: التوحيد الذي قِبَلَهم. وقال الحسن: إنما قلّ لأنه لغير الله.

قوله: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَى هَـٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ﴾ لا إلى المؤمنين ولا إلى المشركين. وقال بعضهم: ليسوا بمؤمنين مخلصين ولا بمصرّحين بالشرك[2].

ذكروا عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وتعير إلى هذه مرة، لا تدري أيهما تتبع[3].

وذكر بعضهم أن نبي الله كان يضرب مثلاً للمؤمن والكافر كمثل رهط ثلاثة دفعوا إلى نهر فوقع المؤمن فقطع، ثم وقع المنافق، حتى إذا كاد أن يصل إلى المؤمن

(1) كذا في د و ع: «ألم نغلب عليكم» وهو الصحيح، كما ورد في مجاز أبي عبيدة، ج 1 ص 141، وفي ز ورقة 75: «ألم نستحوذ عليكم، أي: ندين (كذا) بدينكم، ونمنعكم من المؤمنين».

(2) كذا في ع و د: «ولا بمصرحين بالشرك». وفي ز ورقة 76: «ولا بمشركين مصرحين»، وهذا موافق لما جاء في تفسير الطبري، ج 9 ص 334: «ولا مشركين مصرحين بالشرك». والقول لقتادة.

(3) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (رقم 2784) وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 1 ص 333 كلهم يرويه من حديث ابن عمر.

ناداه الكافر: هلمّ إليّ فإنني أخشى عليك، وناداه المؤمن: هلم إليّ فإن عندي وعندي، يحصي له ما عنده. فما زال المنافق يتردد حتى أتى عليه آذى[1] فغرقه. وإن المنافق لم يزل في شبهة وشك حتى أتى عليه الموت[2].

قوله: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾ أي سبيل الهدى.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المُومِنِينَ ﴾ أي: لا تفعلوا كفعل المنافقين اتخذوا المشركين أولياء، أي في المودة، من دون المؤمنين. ﴿ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا للهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰناً مُبِيناً ﴾ أي حجة بيّنة في تفسير ابن عباس. وقال مجاهد: حجة[3].

قوله: ﴿ إِنَّ المُنَـٰفِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾ وهو الباب السابع الأسفل، وهو الهاوية.

قوله: ﴿ إِلاَّ الذِينَ تَابُوا ﴾ أي من نفاقهم ﴿ وَأَصْلَحُوا ﴾ أي بعد التوبة ﴿ وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ فَأُولَـٰئِكَ مَعَ المُومِنِينَ وَسَوْفَ يُؤتِ اللهُ المُومِنِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ أي الجنة.

قوله: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِراً عَلِيماً ﴾ شاكراً أي: يشكر للمؤمن عمله حتى يجازيه به. عليماً بأفعال العباد. قال بعضهم: لا يعذب الله شاكراً ولا مؤمناً[4].

قوله: ﴿ لاَ يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ ﴾ يقول: لا يحب الله الجهر

(1) الآذى، بمد الهمزة وتشديد الياء: الموج الشديد.

(2) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 9 ص 334 عن قتادة مرسلاً.

(3) كذا في ع و د، حجة، وفي تفسير الطبري ج 9 ص 337: حجة، وفي تفسير مجاهد نفسه، ص 179: «حجة بينة».

(4) هذا قول لقتادة، ورد في د و ع بعد تفسير قوله تعالى: (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ) فأثبته هنا في مكانه المناسب.

بالشتم من القول. ﴿ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ ﴾ ذكروا عن الحسن أنه قال: رخص للمظلوم أن يدعو على من ظلمه.

ذكروا عن مجاهد أنه قال: هو الضيف ينزل فيحوّل رحله فإنه يجهر لصاحبه بالسوء ويقول: فعل الله به، لم ينزلني. قال: ﴿ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً ﴾.

قوله: ﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً ﴾ هو كقوله: (إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ) [آل عمران: 29].

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُّفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُومِنُ بِبَعْضٍ وَّنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾ قال بعضهم: هم اليهود والنصارى. آمنت اليهود بالتوراة وبموسى وكفروا بالإنجيل وبعيسى، وآمنت النصارى بالإنجيل وبعيسى وكفروا بالقرآن وبمحمد على جميعهم السلام. قوله: ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يَّتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴾ أي دنيا؛ يقوله للذين اتخذوا اليهودية والنصرانية وتركوا الإسلام. قال الله: ﴿ أُولَـٰئِكَ هُمُ الكَـٰفِرُونَ حَقّاً وَاعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً ﴾.

قوله: ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَـٰئِكَ سَوْفَ نُوتِيهِمُ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ وهي مثل قوله: (قُولُوا ءَامَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ)... الآية [البقرة: 136].

قوله: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكِتَـٰبِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰباً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ قال بعضهم: كتاباً من السماء، أي خاصة عليهم. ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً ﴾ أي عياناً ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ وهو قوله: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُّومِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ) [البقرة: 55].

قوله: ﴿ ثُمَّ اتَّخَذُوا العِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰناً مُّبِيناً ﴾ أي حجة بينة. وقد فسّرنا ذلك في سورة البقرة(2).

(1) انظر ذلك فيما سلف ص 104 فما بعدها.

قوله: ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ ﴾ أي الجبل ﴿ بِمِيثَـٰقِهِمْ ﴾ أي أخذ ميثاقهم على أن يأخذوا ما أمرهم به بقوة، أي بِجدّ ﴿ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً ﴾ قال بعضهم: هو باب حطة. ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقاً غَلِيظاً ﴾ وقد فسَّرنا تعديهم في السبت في سورة البقرة[1].

قوله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ ﴾ أي فبنقضهم ميثاقهم ﴿ وَكُفْرِهِمْ بِئَايَـٰتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ أي لا نفقه قولك يا محمد. قال الحسن غُلْف أي: قلف لم تختن لقولك يا محمد[2]. وقال مجاهد: يعني الطبع. قال الله: ﴿ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ قال بعضهم: قلَّ من آمن من اليهود.

قوله: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَـٰناً عَظِيماً ﴾. هو ما قذفوا به مريم. والبهتان العظيم الكذب. وهم اليهود.

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ﴾ أي مسح بالبركة ﴿ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ أي ألقى الله على رجل شبه عيسى فقُتِلَ ذلك الرجلُ.

وقال بعضهم: ائتمروا بقتل عيسى وزعموا أنهم قتلوه وصلبوه.

ذكروا أن عيسى قال لأصحابه: أيّكم يُلقى عليه شبهي وأنه مقتول؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله. فقُتِل ذلك الرجل ومنع الله نبيَّه ورفعه إليه.

وقال مجاهد: صلبوا رجلاً غير عيسى يحسبونه إياه، ورفع الله عيسى حيّاً.

قوله: ﴿وَإِنَّ الذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ كان بعضهم يقول: هم النصارى

(1) انظر تفصيل ذلك فيما سلف ص 106 فما بعدها.

(2) كذا في ع و د: «قلف لم تختن لقولك يا محمد» ومعناها ظاهر؛ أي: إن قلوبنا في غلاف لم ينزع عنها غلافها حتى تفقه ما تقول. ويبدو في العبارة المجازية شيء من الغرابة. وانظر تفسير الطبري ج 2 ص 324.

اختلفوا فيه فصاروا فيه ثلاث فرق. وقال بعضهم: صارت النصارى فيه فرقتين: فمنهم من شهد أنه قتل، ومنهم من زعم أنه لم يقتل.

قال الله: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾ أي ما قتلوا ظنهم يقيناً[1] ﴿بَل رَّفَعَه اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به أنه أتى على يحيى وعيسى في السماء الثانية.

قوله: ﴿وَإِن مِّن أَهْلِ الكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُومِنَنَّ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يقول: قبل موت عيسى إذا نزل عليهم. ﴿وَيَوْمَ القِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ أي يكون عليهم شهيداً يوم القيامة أنه قد بلغ رسالة ربه، وأقر بالعبودية على نفسه.

وبعضهم يقول: (إِلَّا لَيُومِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) يقول: عند موت أحدهم[2].

وقال مجاهد: (إِلَّا لَيُومِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) يعني كل صاحب كتاب قبل موت صاحب الكتاب.

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد. وأنا أولى الناس بعيسى لأنه ليس بيني وبينه نبي. وإنه نازل لا محالة، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع الخلق، بين ممصرتين إلى الحمرتين والبياض، سبط الرأس، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب ويقتل الخنزير، ويقاتل الناس على الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام. وتقع

---

(1) هذا وجه من وجوه التأويل أورده المؤلف واكتفى به، وهو ما ذهب إليه الفراء في معاني القرآن، ج 1 ص 294 إذ قال: «وقوله: (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً) الهاء هاهنا للعلم، كما تقول: قتلته علماً وقتلته يقيناً، للرأي والحديث والظن». وذكر بعض المفسرين وجهاً آخر من التأويل له قيمته أيضاً وهو جعل الهاء في (قَتَلُوهُ) تعود على عيسى فيكون المعنى كما ذكره الزمخشري في الكشاف ج 1 ص 587: «وما قتلوه قتلاً يقيناً. أو ما قتلوه متيقنين». أي ما قتلوا عيسى حقاً.

(2) جاء في ز ورقة 76 ما يلي: «يقول: لا يموت منهم أحد حتى يؤمن بعيسى أنه عبد الله ورسوله فلا ينفعه ذلك عند معاينة ملك الموت».

الأمانة في الأرض حتى ترتع الأسد مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الغلمان بالحيّاتِ لا يضر بعضهم بعضاً[1].

قوله: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً ﴾ قال مجاهد: صدوا أنفسهم وصدوا غيرهم. ﴿ وَأَخْذِهِمِ الرِّبَوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَـٰطِلِ ﴾ وقد فسّرنا ذلك في سورة آل عمران. ﴿ وَاعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي للظالمين ﴿ مِنْهُمْ ﴾ من لم يؤمن ﴿ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ أي موجعاً. يعني من لم يؤمن من أهل الكتاب.

قال الكلبي: لما نزلت (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ) قالت اليهود عند ذلك: لا والله ما حرم الله علينا حلالاً قط؛ وإن كان هذا الذي حرم علينا لحراماً على آدم ومن بعده إلى يومنا هذا؛ فقال من آمن منهم: كذبتم، وقرأوا عليهم آيات من التوراة يخصمونهم بها[2] فقال الله:

﴿ لَكِنِ الرَّٰسِخُونَ في العِلْمِ مِنْهُمْ وَالمُومِنُونَ يُومِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالمُقِيمِينَ الصَّلَـٰوٰةَ وَالمُوتُونَ الزَّكَـٰوٰةَ وَالمُومِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُوتِيهِمُ أَجْراً عَظِيماً ﴾ أي الجنة.

قال بعضهم: استثنى الله منهم[3]؛ فكان منهم من يؤمن بالله وما أنزل عليهم وما أنزل على نبي الله. قال الحسن: (لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ) هذا كلام مستثنى.

---

(1) صدر الحديث متفق على صحته، أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما. أخرجه مثلاً مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام عن أبي هريرة (رقم 2365)، وروى الحديث أحمد في مسنده كما رواه الحاكم وصححه. انظر تحقيق ذلك في تفسير الطبري ج 6 ص 459، والتعاليق التي بها. وانظر الأحاديث التي وردت في نزول سيدنا عيسى عليه السلام إلى الأرض في آخر الزمان في تفسير ابن كثير ج 2 ص 436 فما بعدها.

(2) في ع «يخصمونهم»، وهذا الأخير أصح تعبيراً وأدلّ على المقصود. يقال: خاصمه فخصمه، أي: فغلبه بالحجة.

(3) كذا في ع و د: استثنى الله منهم فكان... وفي ز ورقة 76: استثنى الله منهم من كان...

قوله: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ والنَّبِيينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرٰهِيمَ ﴾ أي: وكما أوحينا إلى إبراهيم ﴿ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ ﴾ وهم يوسف وإخوته الأنبياء الاثنا عشر. قال: ﴿ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾ يعني كتاباً. وكان داود بين موسى وعيسى.

قال بعضهم: ليس في الزبور حلال ولا حرام، إنما هو تمجيد وتحميد وتعظيم.

قوله: ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلَ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾. [أي كلاماً من غير وحي](1).

ذكروا عن أبي قلابة قال: يا رسول الله: كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً جماً غفيراً(2). قيل: يا رسول الله، أكان آدم نبياً مكلماً أو غير مكلم؟ قال: بل كان نبياً مكلّماً(3).

قوله: ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ أي مبشرين بالجنة ومنذرين من النار. ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ أي عزيزاً في نقمته، حكيماً في أمره.

قوله: ﴿ لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾ يعني القرآن ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالمَلَـٰئِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ أنه أنزله إليك ﴿ وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً ﴾.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 77.

(2) اختلف العلماء والمؤرخون في عدة الأنبياء والمرسلين ولم يثبت في عددهم حديث يوثق بصحته. وأشهر ما روي في عددهم حديث طويل رواه ابن مردويه في تفسيره عن أبي ذر، وهذا جزء منه في عدة المرسلين بلفظ: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير». وقد ضعّف بعض رجال الجرح والتعديل هذا الحديث. انظر تفسير ابن كثير ج 2 ص 450، والدر المنثور ج 2 ص 246.

(3) كذا في ع و د، وفي ز «مكلماً». ويبدو أنه خطأ، ففي تفسير ابن كثير وفي الدر المنثور أن آدم نبي مرسل. ولم يُخصّ من الأنبياء بتكليم الله إياه إلا موسى على نبينا وعليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين السلام.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بعيداً ﴾ ثم قال: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا ﴾ أي وظلموا أنفسهم بالكفر ﴿ لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ يعني إذا ماتوا على كفرهم. وهو كقوله: (إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَّغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) [سورة محمد: 34] ﴿ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً ﴾ أي طريق الهدى، يعني العامّة من أحيائهم، وهم أهل الكتاب. ﴿ إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً ﴾.

قوله: ﴿ يـٰأَيُّهَـا الرَّسُولُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ ﴾ يعني محمداً ﴿ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَئَامِنُوا خَيْراً لَّكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ أي عليماً بخلقه حكيماً في أمره.

قوله: ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَـٰبِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ الغُلوّ تعدّي الحق. ﴿ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الحَقَّ إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَـٰهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [أي أنه كان من غير بشر][1] ﴿ فَئَامِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ ﴾ أي: آلهتنا ثلاثة[2] ﴿ انْتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَـٰنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾. ينزّه نفسَه أن يكون له ولد. ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمٰـوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلاً ﴾ أي لمن توكل عليه.

قوله: ﴿ لَن يَّسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلهِ ﴾. قال بعضهم: لن يحتشم[3] المسيح أن يكون عبداً لله ﴿ وَلاَ المَلَـٰئِكَةُ المُقَرَّبُونَ ﴾ أي أن يكونوا عباداً لله ﴿ وَمَن يَّسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً ﴾ أي الكافرين والمؤمنين.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 77.

(2) في ع و د: «أي ثالث ثلاثة»، وأثبت ما جاء في ز، ورقة 77: «أي آلهتنا ثلاثة»، فهو أصح تقديراً. وفي معاني القرآن للفراء ج 1 ص 296: «هم ثلاثة، كقوله تعالى: (سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَابِعُهُمْ)... فكل ما رأيته بعد القول مرفوعاً ولا رافع معه ففيه إضمار اسم رافع لذلك الاسم».

(3) كذا في ع و د، وفي ز: «لن يحتشم». وفي مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 296: «لن يأنف ويستكبر ويتعظم». وهذا أدق لفظاً وأحسن تأويلاً.

﴿فَأَمَّا الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّنْ فَضْلِهِ﴾ أي تضعيف الحسنات ﴿وَأَمَّا الذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً﴾.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال مجاهد: البرهان الحجة. وقال غيره: بيّنة. قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾ يعني القرآن. ﴿فَأَمَّا الذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ وهي الجنة ﴿وَفَضْلٍ﴾ وهو الرزق في الجنة ﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾ أي في الدنيا ﴿إِلَيْهِ صِرَٰطاً مُّسْتَقِيماً﴾ أي إلى الجنة.

قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [قال بعضهم: الكلالة الذي لا ولد له ولا والد ولا جد][1]. ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ﴾ من أب وأم أو من أب إذا لم تكن من أب وأم ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ أيهما مات توارثا إن لم يكن لهما ولد أو ولد ولد.

﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾.

فإن كانت أخت معها أخ أو إخوة لأب وأم كانوا عصبة، للذكر مثل حظ الانثيين.

وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً من أب وأم، وإخوة رجالاً لأب فإن الاخوة من الأب والأم أولى من الإخوة لأب، وليس للاخوة من الأب معهم شيء.

فإن كانت أخت لأب وأم وأخت لأب، فللأخت للأب والأم النصف وللأخت للأب السدس تكملة الثلثين. وإن كان مع الأخت للأب أخ وإخوة صار ما بقي بعد النصف للإخوة والأخوات للأب، للذكر مثل حظ الأنثيين.

(1) زيادة من ز، ورقة 77.

وإن كانتا أختين لأب وأم وأخت وأخوات لأب، فللأختين من الأب والأم الثلثان، وما بقي فهو بين الإخوة والأخوات، للذكر مثل حظ الأنثيين.

فإن كانتا أختين لأب وأم وأخت واحدة من الأب فليس لها بعد الثلثين شيء، إلا أن يكون معها ذكر فيصيران عصبة فيما بقي، للذكر مثل حظ الأنثيين.

ذكروا عن علي بن أبي طالب أنه قال: أعياني بنو الأم، يتوارثون دون بني العلات؛ الرجل يرث أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه. وإن ترك إخوة لأبيه وأمه وإخوة لأمه فلإخوته من أمه الثلث، ذكرهم وأنثاهم فيه سواء، ولإخوته من الأب والأم، أو من الأب إذا لم يكن إخوة من أب وأم، الثلثان.

وإن تركت امرأة زوجها وأمها وإخوتها لأمها وإخوتها لأبيها وأمها فلزوجها النصف، ولأمها السدس، والثلث الباقي بين الإخوة من الأم وبين الإخوة من الأب والأم، ذكرهم وأنثاهم فيه سواء. وهذه المشتركة.

ذكروا أن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت كانوا يشركون بينهم. ذكر بعضهم أن عمر بن الخطاب كان يشرك بينهم إذا لم يبق إلا الثلث. ذكروا عن علي بن أبي طالب أنه كان لا يشرك بينهم ويجعل الثلث الباقي للإخوة من الأم.

ذكروا عن عقبة بن عامر الجهني[1] أن رجلاً سأله عن الكلالة قال: ألا تعجبون من هذا، يسألني عن الكلالة، فوالله ما عُمِّيَ على أصحاب محمد شيء ما عُمِّيَ عليهم من أمر الكلالة.

ذكروا عن عمر بن الخطاب قال: أشهدكم أني مفارقكم ولم أقل في الجدّ شيئاً ولا في الكلالة.

---

(1) هو الصحابي أبو عمرو، وقيل أبو حماد عقبة بن عامر بن عبس، من جهينة. أسلم بعد مقدم النبي ﷺ المدينة. وكان رامياً. ولما مات ترك سبعين قوساً بجعابها ونبالها. نزل مصر وبنى بها داراً، وتوفي في آخر خلافة معاوية، وقد روى عنه من الصحابة جابر وابن عباس وأبو أمامة، ومن التابعين خلق كثير.

ذكروا عن عمر بن الخطاب قال: ما أخلّف بعدي شيئاً أهمّ إليّ من أمر الكلالة، وما راجعت رسول الله في شيء ما راجعته فيها حتى طعن بأصبعه في جنبي فقال: يا عمر، أما تكفيك آية الصيف التي أنزلت في آخر النساء[1]؟.

ذكروا أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الكلالة فقال: أما تقرأ هذه الآية؟: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلَالَةِ)[2].

قوله: ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ أي لئلا تضلوا ﴿ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة (رقم 1617) عن عمر. وفيه: «حتى طعن بأصبعه في صدري». وإنما سميت آية الصيف لأنها نزلت في الصيف والرسول يتجهز للسفر إلى مكة في حجة الوداع.

(2) أخرجه أبو داود مرسلاً، وأخرجه البيهقي عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، وأخرجه الحاكم موصولاً عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وفيه زيادة. انظر السيوطي، الدر المنثور ج 2 ص 249.

تفسير سورة المَائِدَة وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾. قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامنوا أوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ يعني عقود الجاهلية. ويقال: ما كان من عقد في الجاهلية، فإن الإسلام لا يزيده إلا شدّة، ولا حلف في الإسلام، يقول: إلا ما نسخ منها. وقد فسْرنا نسخ تلك الأشياء المنسوخة في مواضعها[1]. منها: (والذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ). [النساء: 33]. قال بعضهم: كان يقال: الحلف في الإسلام لا يزيده الإسلام إلا ذلاً، وإنه من تعزز بمعاصي الله أذلّه الله. وقال بعضهم: العهد فيما بين الناس.

وقال الكلبي: ما أخذ الله على العباد من العهد فيما أحلّ لهم وحرّم عليهم.

قوله: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَـٰمِ ﴾. والأنعام: الإبل والبقر والغنم. ﴿ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ أي إلا ما يقرأ عليكم، أي: من (المَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الخَنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالمُنْخَنِقَةُ وَالمَوْقُوذَةُ وَالمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبُ) نزلت هذه الآية [المائدة: 3] التي حرّمت هذه الأشياء قبل الآية الأولى: (أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ) من هذه الأشياء التي سمّى، وهي قبلها في التأليف.

قال بعضهم: البهيمة: ما في بطونها؛ إذا أشعر فكله.

(1) انظر ما سلف: ص 375 - 377.

قال: ﴿ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾ أي من غير أن تحلوا الصيد وأنتم حُرُم. قال مجاهد: لا يحل لأحد الصيد وهو محرم. قال: ﴿ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ قال الحسن: هو حكم الله الذي يحكم، والله يحكم ما يريد.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَـٰئِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الحَرَامَ وَلَا الهَدْيَ وَلَا القَلَـٰئِدَ وَلَا ءَامِّينَ البَيْتَ الحَرَامَ ﴾.

ذكروا أن رجلاً سأل ابن عمر عن أعظم الشعائر فقال: أوفي شك أنت منه؟ هذا أعظم الشعائر، يعني البيت.

قوله: (وَلَا الشَّهْرَ الحَرَامَ) فكان هذا قبل أن يؤمر بقتال المشركين كافة.

قوله: (وَلَا الهَدْيَ وَلَا القَلَائِدَ). ذكروا أن مجاهداً قال: كانوا يعلّقون لحاء الشجر في أعناقهم وكان هذا من الشعائر[1]؛ فقال أصحاب النبي عليه السلام: هذا من أعمال الجاهلية، فحرّم الله ذلك كله في الإسلام، يعني الآية: (لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الحَرَامَ وَلَا الهَدْيَ وَلَا القَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ البَيْتَ الحَرَامَ)، يعني الحجاج؛ إلا القلائد في أعناق الناس فإنه ترك. ثم أمر بقتال المشركين فقال: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعدَ عَامِهِمْ هَذَا) [التوبة: 28] وهو العام الذي حج فيه أبو بكر ونادى فيه علي بالأذان[2].

قال بعضهم: كان أحدهم يعلق قلادة من لحاء السمر[3] إذا خرج من مكة

(1) كذا في د و ع، وفي تفسير مجاهد؛ ص 183: «اللحاء في رقاب الناس والبهائم أمان لهم، وهي من الشعائر».

(2) يشير المؤلف إلى خروج أبي بكر بالناس أميراً على الحج، ثم نزول الآيات الأولى من صدر سورة التوبة، فأمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب بأن يلحق أبا بكر، ويكون معه ليؤذن بهذه الآيات في الموسم يوم عيد النحر بمنى، وينبذ إلى كل ذي عهد عهده، انظر تفصيل ذلك في سيرة ابن هشام، ج 4 ص 543-548.

(3) كذا في ع: «السمر»، وفي د: «الشجر». والسمر واحدته سمُرة، وهي شجرة من شجر الطلح، وخشبة من أجود الأنواع. وكانت الشجرة التي ورد ذكرها في سورة الفتح عند بيعة الرضوان سَمُرة. انظر اللسان (سمر) ولحاء الشجرة: قشرها.

فيقول: هذا حرمي، فلا يعرض له حيثما توجّه؛ فنسخ آمين البيت الحرام، وهم حجاج المشركين فقال: اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم. وتفسير آمين، يؤمون، [يقصدون] البيت الحرام.

وقال الكلبي: إنما كانوا يستحلون فيصيبون الهدي وأصحاب القلائد.

وكانت القلائد أن الرجل إذا خرج من أهله حاجاً أو معتمراً ليس معه هدي جعل في عنقه قلادة من شعر أو وبر، فأمِن به إلى مكة. وإذا خرج من مكة يعلّق من لحاء شجر مكة فأمِن به إلى أرضه.

قوله: ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْـوَٰناً ﴾. قال بعضهم: الفضل والرضوان اللذان كانوا يبتغون أن يصلح الله معيشتهم في الدنيا، ولا يعجل لهم العقوبة فيها. وقال مجاهد: (يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِهِمْ): التجارة.

قال الكلبي: نزلت ـ فيما بلغنا ـ في رجل من بني بكر بن وائل من بني قيس بن ثعلبة[1]؛ قدم على النبي بالمدينة فقال: يا محمد، ما تأمرنا به وما تنهانا عنه؟ فأخبره النبي بالذي له وبالذي عليه في الإسلام. فلم يرض فقال: أرجع إلى قومي فاعرض عليهم ما ذكرت، فإن قبلوا كنت معهم، وإن أدبروا كنت معهم على هذا؛ فقال رسول الله ﷺ: لقد دخل علي بوجه كافر، وخرج من عندي بقفا غادر، وما الرجل بمسلم[2]. فلما خرج من أرض المدينة مرّ بسرح من أهل المدينة فانطلق به، فبلغ الخبر أهل المدينة فطلبوه فسبقهم. وحضر الحج، فأقبل تاجراً حاجاً فبلغ ذلك أصحاب النبي ﷺ فأرادوا أن يطلبوه فيقتلوه فيأخدوا ما معه، فنهوا عنه في هذه الآية. وكان ذلك قبل أن يؤمروا بقتال المشركين.

(1) هو الحطم، شريح بن ضبيعة بن شرحبيل. وكان «صاحب المشركين في الردة» كما ذكره ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص 320. وانظر قصته في أسباب النزول للواحدي ص 181. وقد قتل الحطم في حروب الردة، قتله المسلمون الذين كانوا بقيادة العلاء بن الحضرمي. انظر تفاصيل ذلك في تاريخ الطبري ج 3 ص 308-309.

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 9 ص 472-473 عن عكرمة. وانظر الدر المنثور ج 2 ص 254.

وقال الكلبي في قوله: (يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً): التجارة بعد الحج. وأما الرضوان فالناس كانوا يحجّون بين مسلم وكافر قبل أن تنزل هذه الآية: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَاالمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) [التوبة: 28] وأصحاب الرضوان المسلمون.

قوله: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ أي إذا رمى أحدكم جمرة العقبة يوم النحر فقد حلّ له كل شيء، إلا النساء والطيب فحتّى يطوف بالبيت. وهي رخصة إن شاء اصطاد وإن شاء ترك. يقول: (إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا) وقال في آية أخرى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ). [المائدة: 95].

قوله: ﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ ﴾ قال بعضهم: لا يحملنكم بغض قوم ﴿ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ﴾. قال الكلبي: يعني بالقوم أهل مكة؛ يقول: لا تعتدوا عليهم لأن صدوكم عن المسجد الحرام؛ وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم.

وقال مجاهد: هو رجل مؤمن من حلفاء النبي ﷺ قتل حليفاً لأبي سفيان من هذيل يوم الفتح بعرفة، لأنه كان يقتل حلفاء النبي. فقال رسول الله ﷺ: لعن الله من يقتل بذَحْل الجاهلية(1).

قال: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾، قال الحسن. هذا حين صدّوه يوم الحديبية عن المسجد الحرام.

---

(1) الذَّحل: الثأر، وقيل: الحقد والعداوة. ولم أجد الحديث بهذا اللفظ فيما بين يدي من مصادر الحديث. إلا أن القرطبي أورد في تفسيره ج 2 ص 245 حديثاً بدون سند هذا نصه: «إن من أعْتى النّاس على الله يوم القيامة ثلاثة: رجل قتل غير قاتله، ورجل قتل في الحرم، ورجل أخذ بذُحول الجاهلية». وروى الذهبي في ميزان الاعتدال ج 2 ص 547 ما يلي: بشر بن المفضل، حدثنا عبد الرحمٰن بن إسحاق، عن الزهري، عن عطاء بن يزيد، عن أبي شريح - مرفوعاً: إن أعتى الناس على الله من قتل غير قاتله، ومن طلب بذَحل الجاهلية. ورواه أبو عبيد القاسم بن سلام بسند في كتاب الأموال، ص 145.

قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ ﴾ أي: ما ذبح لغير الله. ﴿ وَالمُنْخَنِقَةُ ﴾. قال بعضهم: المنخنقة: التي تختنق في حبلها فتموت، كانوا يأكلونها. ﴿ والمَوْقُوذَةُ ﴾ كانوا يضربونها بالخشبة حتى تموت ثم يأكلونها. ﴿ وَالمُتَرَدِّيَةُ ﴾ التي تتردّى في بئر فتموت فيأكلونها. ﴿ وَالنَّطِيحَةُ ﴾ الكبشان ينتطحان فيموت أحدهما، كانوا يأكلونه. ﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ أي إلا ما أدركتم ذكاته.

قال بعضهم: كل ما أدركتم من هذا كله، ما خلا الخنزير، من عين تطرف، أو قائمة تركض، أو ذَنَب يتحرّك، فأدركت ذكاته، فذكرت اسم الله عليه، فقد أحلّ الله لك أكله.

ذكروا عن بعضهم قال: إنما تكون الذكاة في العين والطرف والرجل. ثم أنزل الله بعد ذلك: (اليَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ) [المائدة: 5]. والطعام الذبيحة في تفسير مجاهد والناس(1).

قولِه: ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾. قال بعضهم: هي حجارة كان يعبدها أهل الجاهلية فيذبحون لها.

قوله: ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلَامِ ﴾ قال بعضهم: قِداح كانوا يستقيسمون بها في الأمور، فكان الرجل إذا أراد سفراً أخذ قِدحاً فقال: هذا يأمرني بالخروج، وأنا مصيب في سفري خيراً، ويأخذ قِدحاً آخر ويقول: هذا يأمرني بالمكوث، ولست بمصيب في سفري خيراً، والمنيح بينهما، فنُهوا عن ذلك(2).

وقال الكلبي: إذا كانت بينهما مداراة(3) جعلوا لكل رجل سهماً وللحضر

(1) لم أهتد إلى وجه إيراد هذه الآية هنا، وستأتي مفسّرة مفصّلة بعد آيتين.
(2) جاءت العبارة مضطربة في ع، وجاءت في ز ناقصة، وفي د جاءت بصيغة الغائب: «هذا يأمره بالخروج» و«هذا يأمره بالمكوث». فأثبت ما هو صواب حتى يستقيم المعنى.
(3) كذا في ع و د: «مداراة»، ويبدو أن في الكلمة تصحيفاً صوابها «مماراة» بمعنى المجادلة والخصام، ومن معاني المداراة المخاتلة، ولكن هذا غير مناسب هنا.

سهماً، ثم أجالوا السهام، فمن خرج سهمه فهو أولى بالحق. وكانوا يجعلون للسفر سهماً وللحضر سهماً، ثم يقولون: ربنا أيهم كان خيراً لفلان فأخرجه؛ فأيهما خرج رضي به.

وقال مجاهد: كانوا يجعلون ذلك لكل سفر وحرب وتجارة.

قوله: ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ يعني أن الله حرَّمه.

قوله: ﴿اليَوْمَ يَئِسَ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. قال بعضهم: ذكر لنا أنها نزلت على نبي الله يوم عرفة، يوم جمعة، حين نفى الله المشركين عن المسجد الحرام وأخلص الله للمسلمين حجَّهم. قال: وفي تفسير بعضهم: فلم يحجَّ بعدُ مشرك.

ذكروا عن ابن عباس أنه قرأ هذه الآية: (اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) وعنده رجل من اليهود فقال اليهودي: لو أن هذه الآية نزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. فقال ابن عباس: فإنها نزلت في يوم عيدين اثنين: يوم جمعة ويوم عرفة[1].

وقال الكلبي: نزلت يوم عرفة حين فرغ من تنزيل الحلال والحرام فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام، غير أنه في سورة البقرة على رأس ثمانين ومائتي آية: (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ). [سورة البقرة: 281]. نزلت هذه الآية بمنى بعد يوم النحر في حجة رسول الله التي يقال لها: حجة الوداع، والآية التي في آخر سورة النساء مُخْرَجَهُ إلى حجة الوداع: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ في الكَلاَلَةِ)... إلى آخر السورة؛ وكان يقال لها آية الصيف.

وقال الحسن: (اليَوْمَ يَئِسَ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ) أي يئسوا أن يستحلوا فيه ما استحلوا في دينهم (فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ).

(1) نسب مثل هذا الأثر إلى عمر بن الخطاب أيضاً. وقد روى الطبري في تفسيره الأثرين معاً في ج 9 ص 524-525.

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ يعني باليوم زمان النبي عليه السلام كله. ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ أي بالجنة. قال: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً ﴾.

قوله: ﴿ فَمَنُ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ ﴾ أي في مجاعة خمص لها بطنه. رجع إلى الكلام الأول في قوله: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخَنْزِيرِ)... إلى آخر الآية ﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ﴾ أي غير متعمِّد لإثم، في تفسير الحسن. وقال بعضهم: غير متعرّض لمعصية الله[1]. قال الله: ﴿ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلُ احِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَـتُ ﴾ يعني الحلال من الذبائح ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الجَوَارِحِ ﴾ قال مجاهد: هي من الطير والكلاب. ﴿ مُكَلِّبِينَ ﴾ أي: مُضْرِين[2] ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾.

ذكروا عن عدي بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله، إن لنا كلاباً مكلّبة نرسلها فتأخذ الصيد وتقتل. قال: كل، قلت: وإن قتلن، قال وإن قتلن ما لم يخالطها كلب من غيرها[3].

ذكروا عن الحسن قال: ما قتل الكلب أو الصقر أو البازي فكل.

وقيل لبعضهم: ما تقول في رجل يستعير كلب اليهودي والنصراني يصيد به؟

---

(1) قال ابن قتيبة في غريب القرآن، ص 141: «غير متجانف لإثم، أي منحرف مائل إلى ذلك، والجنف: الميل. والإثم: أن يتعدّى عند الاضطرار فيأكل فوق الشبع».

(2) أضرى الكلب إذا عوّده الصيدَ وأغراه به. وسمّيت جوارح الطير والكلاب جوارح، واحدته جارحة، لأنها تجرح لأهلها، أي تكسب لهم من الصيد. يقال: جرح الشيء واجترحه، أي: كسبه. ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام: 60 (وَهُوَ الذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ)، أي: ما كسبتم. انظر: اللسان (جرح) وانظر تفسير الطبري ج 9 ص 543.

(3) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب ما أصاب المعراض بعرضه، وأخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب الصيد بالكلاب المعلمة (1929) كلاهما من حديث عدي بن حاتم.

قال: لا بأس به، إنما هو بمنزلة شفرته، يعني مثل ذبيحته[1]. ولا يصلح ما صيد بكلاب المجوس ولا ما أخذت كلابهم.

ذكروا عن الحسن أنه قال: يكره ما سوى كلاب المسلمين، يقول: إلا ما علّمتم أنتم لقوله: (تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ).

ذكروا عن ابن عمر أنه سئل عما أكل الكلب. قال: كل، وإن أكل ثلثيه، قلت: عمّن؟ قال: عن سلمان الفارسي.

ذكروا عن عطاء بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما أكل الكلب فلا تأكله فإنك تستطيع أن تمنعه، وما أكل الصقر والبازي فكله فإنك لا تستطيع أن تمنعه. قال بعضهم: كره ما رخص فيه الناس، ورخص فيما كره الناس.

ذكر نافع قال: قرأت في كتاب علي بن أبي طالب: ما قتل الكلب فكل، وما قتل الصقر والبازي فلا تأكل.

قوله: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَـٰتُ وَطَعَامُ الذِينَ أُوتُوا الكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ يعني بطعام الذين أوتوا الكتاب ذبائحهم.

ذكروا عن الحسن أنه قيل له: إن النصارى إذا ذبحوا قالوا: باسم المسيح، قال: كلوا ذبائحهم، فإن الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون[2].

ذكروا عن القاسم أنه قال: لو سمعت نصرانياً يذبح لجرجيس[3] ولبولس[4] ولكنائسهم لأكلتها.

---

(1) الصواب أنه يعني بالشفرة، آلة الذبح، الموسى، لا نفس الذبيحة. كأنه قال: لو استعرت شفرة اليهودي أو النصراني فذبحت بها كانت ذكاتك شرعية وذبيحتك حلالاً، فكذلك إذا استعرت كلبهما.

(2) وهذا من فقه الحسن، ومعرفته بأسرار التشريع.

(3) رجل صالح مؤمن من أتباع عيسى، وقد أدرك بعض حواريي عيسى وأخذ عنهم. عاش في فلسطين تحت ملك جبار وأوذي في سبيل دينه. انظر أخباره في تاريخ الطبري ج 2 ص 24-36.

(4) هو أيضاً من أتباع عيسى، صاحب فطرس. وقد قتله نيرون الطاغية.

قوله: ﴿ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾. هذا مثل قوله: (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ التِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) [الأعراف: 157] أي: ما كان شدد عليهم فيه من أمر السبت والشحوم وكل ذي ظفر، وكل ما كان حرم عليهم فليس يحرم على المسلمين شيء مما حرم عليهم من تلك الأشياء. قال الله: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا) [الأنعام: 155] أي اتّبعوا ما أحلّ فيه واتقوا ما حرّم فيه. فالخمر اليوم عليهم حرام، وكل ما حرّم الله على المسلمين فهو عليهم حرام.

﴿ وَالْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ الْمُؤْمِنَـٰتِ وَالْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ الذِينَ أُوتُوا الْكِتَـٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ والمحصنات هنا الحرائر، ولا يحل نكاح إماء أهل الكتاب، ويوطأن بملك اليمين. يقول الله: (فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَن يَّنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُومِنَاتِ فَمِمَّا مَلَكَت أَيْمَانُكُم مِّنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُومِنَاتِ). [النساء: 25]. ولا يتزوّج العبد المسلم الأمة اليهودية ولا النصرانية في قول الحسن: وبه نأخذ(1).

قوله: ﴿ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي صداقهن. فإذا سمّاه لها فلا بأس بأن يدخل عليها قبل أن يعطيها شيئاً.

قوله: ﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾. قال مجاهد: ناكحين غير زانين، قال تزويجاً غيرَ زنى. ﴿ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾ أي الخليل في السر، والخليلة في السر؛ يقول نكاحاً غير سفاح. والسفاح الزنا الظاهر. (وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) غير متخذها خليلة، ولكن نكاحاً حلالاً.

قوله: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ ﴾. ذكر بعضهم أنه لما نزل تحليل نساء أهل الكتاب قال بعضهم: كيف نتزوّج نساء من غير أهل ديننا فأنزل الله: (وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ). تفسير ذلك: ومن

(1) كأني بهذه الجملة الأخيرة من الشيخ هود بن محكم الهواري، فإنها تمثل رأي الإباضية في المسألة. انظر تعليقاً ضافياً في الموضوع للمرحوم الشيخ علي يحيى معمر في كتاب النكاح لأبي زكرياء يحيى الجناوني ص 28-31.

يكفر بتصديق تحليلهن فقد حبط عمله. قال مجاهد: (وَمَن يَكْفُر بِالإِيمَانِ). أي: بالله.

قوله: ﴿ يَـأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمُ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمُ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾.

ذكروا عن بعضهم قال: رأيت عليّاً توضّأ فمضمض ثلاثاً، واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه وغسل ذراعيه ثلاثاً ثلاثاً، ومسح برأسه ثلاثاً، وغسل رجليه. فلما فرغ من وُضوئه استتمّ قائماً فأخذ فضل وَضوئه فشربه وهو قائم، ثم قال: إني رأيت رسول الله فعل ما فعلت فأحببت أن أريكم.

ذكروا أن الربيّع بنت معوذ بن عفراء[1] قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ فدعا بوَضوء، فأتيته بإناء فيه ماء قدر مدّ وثلث، أو مدّ وربع، فغسل يديه ثلاثاً [قبل أن يدخلهما في الإناء][2]، ثم مضمض ثلاثاً، واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، وغسل ذراعيه ثلاثاً، ثم مسح برأسه ما أقبل منه وما أدبر، ومسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما، وغسل رجليه. قالت فأتاني غلام من بني عبد المطلب، تعني ابن عباس، فسألني عن

(1) هي الربيّع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية، من فضليات الصحابيات. وأبوها معوذ. شهد مع رسول الله ﷺ بدراً، واستشهد بها بعدما قتل أبا جهل بن هشام. وشهدت الربيع مواقف مع رسول الله ﷺ، وصحبته في بعض غزواته. وقد أخرج البخاري في كتاب فضل الجهاد والسير، باب مداواة النساء الجرحى في الغزو، عن الرُّبَيّع بنت معوّذ قالت: كنا مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة. وكانت من المبايعات تحت الشجرة بيعة الرضوان. وقد روت أحاديث عن رسول الله ﷺ وحدثت بها. روى عنها أهل المدينة من الصحابة والتابعين. وكانوا يسألونها في بعض مسائل الدين. انظر ترجمتها في الاستيعاب لابن عبد البر، ج 4 ص 1838، وغيره من كتب التراجم.

(2) زيادة من ز، لا بد من إثباتها. وقد أخرج هذا الحديث يحيى بن سلام عن إبراهيم بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الربيّع بنت معوذ. انظر مخطوطة ز ورقة 79. وأخرجه البيهقي مختصراً في كتاب الطهارة، باب المسح بفضل اليدين. وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، باب الرجل يستعين على وضوئه فيصب عليه (رقم 390).

هذا الحديث فأخبرته، فقال: أبى الناس إلا الغسل، ولا أجد في كتاب الله إلا المسح.

ذكر بعضهم أنه رأى عمر بن الخطاب خرج من حدث فمضمض مرّتين، واستنشق مرتين، وغسل وجهه مرتين وذراعيه مرتين مرتين، ومسح برأسه مرتين.

قوله: ﴿ وَإِنْ كُنْتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدُكُم مِّنَ الغَائِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُم النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ﴾ أي: تراباً نظيفاً.

ذكروا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: الجريح والمجدور والمقروح إذا خشي على نفسه تيمّم. ذكروا عن سعيد بن جبير وعلي وابن عباس مثل ذلك وزاد فيه بعضهم: وكل مريض.

ذكروا عن عبيد بن عمير وعطاء وسعيد بن جبير أنهم اختلفوا في الملامسة فقال سعيد وعطاء: هو ما دون الجماع، وقال عبيد بن عمير: هو الجماع. فخرج عليهم ابن عباس فسألوه وأخبروه عما قالوا فقال: أخطأ الموليان وأصاب العربي[1]، الملامسة: الجماع، ولكن الله يكني ويعفّ.

ذكروا عن علي أنه قال: اللمس: الجماع، ولكنه كنى. وقال ابن مسعود: الملامسة: اللمس باليد، والقول عندنا قول ابن عباس وعلي، وبه نأخذ[2].

قوله: ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾. ذكروا عن عمار بن ياسر قال: أصابتني جنابة وأنا في الإبل، فتمعّكت[3] في الرمل كتمعّك الدابة، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ وقد دخل الرمل في رأسي ولحيتي فأخبرته فقال: يكفيك أن تقول هكذا، وضرب بكفّيه الأرض، ثم نفضهما، ثم مسح بهما وجهه وكفيه مرة واحدة.

(1) يعني به عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، قاضي أهل مكة.
(2) وهو قول الأصحاب من الإباضية، والعبارة من الشيخ هود الهواري، ولا شك، ولم ترد في ز.
(3) التمعّك: التقلب في التراب والتمرغ فيه. وانظر تخريج الحديث فيما سلف؛ ص: 385.

ذكروا عن الحسن أنه سئل عن الرجل يكون مسافراً، وهو يعلم أنه لا يقدر على الماء. قال: يطأ أهله ويتيمم.

ذكروا عن علي أنه قال: إذا كان المسافر يجد الماء يوماً ولا يجده يوماً فلا يطأ أهله.

قوله: ﴿ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ أي من ضيق ﴿ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ أي من الذنوب ﴿ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ أي بدخول الجنة. ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي لكي تشكروا النعمة فتدخلوا الجنة.

قوله: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ الذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ وهو الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم. وتفسير ذلك في سورة الأعراف[1]. وقال مجاهد: الذي واثق به بني آدم في ظهر آدم عليه السلام. قال: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي بما في الصدور.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل، وهي الشهادة تكون عند الرجل. قوله: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ قال بعضهم: ولا يحملنكم بغض قوم على ألا تعدلوا. قال الكلبي يعني به قريشاً الذين صدوهم عن المسجد الحرام وصدوا الهديَ، فأمر الله رسوله بالعدل فيهم، ولم يكن أُمِر بقتال المشركين يومئذ عامة.

قوله: ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [أي فإنه من التقوى][2]. قال: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَعَدَ اللهُ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾. وإنما ارتفعت لأن إضمارها وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وفي الوعد لهم مغفرة، أي لذنوبهم وأجر عظيم[3]: أي الجنة.

---

(1) سيأتي تفسيره إن شاء الله في سورة الأعراف: 172، في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَاتِهِمْ. . . الآية).

(2) زيادة من ز، ورقة 79.

(3) قلما يتعرّض مؤلف الكتاب في تفسيره لمسائل اللغة والإعراب، وإذا فعل فبإيجاز. ومن أراد =

قوله: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ أي أصحاب النار، وهو اسم من أسماء أبواب جهنم.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُم أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُم عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُومِنُونَ ﴾.

قال الحسن: كان رسول الله ﷺ ببطن نخل محاصراً غطفان، وهو متقلد سيفه؛ فجاءه رجل كانت قريش بعثته ليفتك برسول الله ﷺ وقال: يا محمد أرني سيفك هذا حتى أنظر إليه، فقال: هاكه. فأخذه فجعل ينظر إلى السيف مرة وإلى رسول الله مرة، فقال: يا محمد، أما تخافني؟ قال: لا.

وقال بعضهم: ذكر لنا أنها نزلت على نبي الله وهو بنخل في الغزوة السابعة فأراد بنو تغلب وبنو محارب أن يفتكوا به، فأطلعه الله على ذلك. وذكر لنا أن رجلاً انتدب لقتله، فأتى نبيَّ الله وسيفه موضوع، فقال: آخذه؟ قال: خذه. قال: أسلّه؟ قال: سلّه. فلما انتضاه قال: ما يمنعك؟ قال الله يمنعني منك. فتهدده أصحاب النبي وأغلظوا له، فشام السيف فرده، فأمر رسول الله ﷺ بالرحيل. وأنزلت عليه صلاة الخوف عند ذلك.

ذكر جابر بن عبد الله قال: نزلت صلاة الخوف في الغزوة السابعة[1].

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَـٰقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً ﴾ ذكر بعضهم قال: أي: شاهداً؛ من كل سبط شاهد على قومه.

= تفصيلاً في هذا وزيادة بيان فعليه بكتاب معاني القرآن للفراء فهو العمدة في الموضوع بالنسبة للمفسّرين القدامى.

(1) يذكر المفسّرون في سبب نزول الآية قصتين أورد المؤلف هنا إحداهما. والثانية التي لم يشر إليها هي «حديث بني النضير ومخرج رسول الله ﷺ إليهم في دية الرجلين» وما كان من همّ اليهود، وعلى رأسهم كعب بن الأشرف، قتلَ نبيّ الله عليه السلام بإلقائهم رحا عظيمة عليه، وهو جالس مع أصحابه في حائط لهم، فأتاه جبريل فأخبره بمحاولة غدر اليهود به، وقد كفّ الله أيديهم عنهم. والطبري في تفسيره ج 10 ص 106-107 يرجح هذه القصة الأخيرة في سبب نزول الآية. وانظر الواحدي، أسباب النزول ص: 185-187.

قال الحسن: ما ضمنوا عنهم من شيء قبلوه من الدين، فهم ضامنون له قابلوه. وقد جعل رسول الله أيضاً بما أمره الله اثني عشر نقيباً ليلة العقبة. وقال مجاهد: من كل سبط رجلاً، فأرسلهم موسى إلى الجبّارين.

قوله: ﴿وَقَالَ اللهُ: إِنِّي مَعَكُمْ﴾ على الشرط ﴿لَئِن أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَءَامَنْتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ أي ونصرتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ أي: الصدقة والنفقة في الحق. ﴿لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾. وهو كقوله في سورة البقرة: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) [البقرة: 40] وقد فسّرنا ذلك في سورة البقرة.

وتفسير مجاهد: إن موسى أرسل نقيباً من كل سبط إلى الجبارين فوجدوهم يدخل في كُمِّ أحدهم اثنان منهم، فرجع النقباء كلهم ينهى سبطه(1) عن قتالهم، إلا يوشع بن نون وطالوت(2) فإنهما أمرا الأسباط بقتال الجبارين ومجاهدتهم، فعصوهما فتاهت بنو إسرائيل أربعين سنة.

قوله: ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَقَد ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي قصد الطريق، وقال بعضهم: عدل الطريق.

قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ أي فبنقضهم ميثاقهم لعناهم. يعني باللعن المسخ، فجعل منهم قردة وخنازير؛ مسخوا في زمان داود قردة، وفي زمان عيسى خنازير. قال: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ أي غليظة ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ وهو ما حرّفوا من كتاب الله. قال: ﴿وَنَسُوا﴾ أي تركوا ﴿حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُوا

(1) كذا في ع و د: «رجع النقباء كلهم ينهى سبطه»، وفي تفسير مجاهد ص: 189: «فرجع النفر كلهم ينهى سبطه» وفي تفسير الطبري، ج 10 ص 113: «فرجع النقباء كل منهم ينهى سبطه» وهو الصواب.

(2) كذا في ع و د: «وطالوت» وهو خطأ ولا شك صوابه ما ورد في كتب التفسير: كالوب أو كالب بن يافنة كما جاء في تفسير مجاهد ص 189 وفي تفسير الطبري أيضاً ج 10 ص 124: «كالب بن يوفنا».

بِهِ ﴾ في الكتاب. وقال الحسن: تركوا عرى دينهم.

وقال بعضهم: نسوا كتاب الله وراء ظهورهم، وعهده الذي عهده إليهم، وضَيَّعوا فرائضه وعطّلوا حدوده.

قوله: ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ يعني حيث دخل النبي حائطاً لليهود فهمّوا به. وتفسيره في غير هذا الموضع. قال: ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ أي من آمن منهم.

قوله: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَح إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾. قال بعضهم: نسختها هذه الآية: (قَاتِلُوا الذِينَ لَا يُومِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَّدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [التوبة: 29].

قوله: ﴿ وَمِنَ الذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ ﴾ كما أخذنا ميثاق اليهود.

قال بعضهم: إنما سمّوا نصارى لأنهم كانوا بقرية يقال لها ناصرة(1) نزلها عيسى. وهو اسم تَسَمَّوا به ولم يؤمروا به.

قال: ﴿ فَنَسُوا حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ وهي مثل الأولى. قوله: ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ﴾ بكفرهم، يعني به أهل الكتاب، بما فعلوا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء. ﴿ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾.

قوله: ﴿ يَـٰأَهْـلَ الكِتَـٰبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ هو محمد ﷺ ﴿ يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَـٰبِ ﴾ أي ما حرّفوا من الكتاب وأخفوا من الحق فيه ﴿ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ مما كان حرّم عليهم فأحلّه لهم.

قوله: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ(2) وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ يعني به القرآن. ﴿ يَهْدِي

(1) مدينة في أرض الجليل، شمالي فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً كما يقول ياقوت. ولا تزال إلى يومنا هذا، وهي NAZARETH.

(2) قال قتادة: يعني بالنور محمداً عليه السلام، وهو قول نسب إلى الزجاج وإلى ابن خالويه أيضاً. وقال غيرهم: هو الإسلام.

بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُ سُبُلَ السَّلَـٰمِ ﴾ والسلام هو الله، كقوله: (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) [العنكبوت: 69]. وكقوله: (وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ) [يونس: 25].

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: السلام اسم من أسماء الله(1).

قوله: ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي من الكفر إلى الإيمان ﴿ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي إلى الجنة.

قوله: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَّمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِن أَرَادَ أَن يُّهْلِكَ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ يحتج عليهم بما يعرفون. قال: ﴿ وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰؤُا اللهِ وَأَحِبَّـٰؤُهُ﴾ قالت اليهود لأنفسها، وقالت النصارى لأنفسها، وقال الحسن: يقولون: قربنا من الله وحبُّه إيانا كقرب الولد من والده وكحب الوالد ولدَه، ليس على حدّ ما قالت النصارى لعيسى. قال الله للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾ فيجعل منكم القردة والخنازير؛ لو كان لكم هذا القرب وهذه المحبة ما عذّبكم أبداً.

وقال الكلبي: إنهم يقرون أن الله معذبهم عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل، وليس يقرون بما وراء ذلك، فاحتج عليهم بما يقرّون به.

قوله: ﴿ بَلَ انْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَّشَاءُ ﴾ أي للمؤمنين ﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَّشَاءُ ﴾ أي الكافرين ﴿ وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ المَصِيرِ ﴾ أي المرجع.

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن أنس بلفظ: إن السلام اسم من أسماء الله تعالى، وضعه في الأرض، فأفشوا السلام بينكم، وأخرجه في صحيحه في كتاب الصلاة، باب التشهد في الآخرة عن عبد الله بن مسعود بلفظ: إن الله هو السلام، وبنفس اللفظ في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: السلام المومن المهيمن.

قوله: ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ﴾ أي: لئلا تقولوا يوم القيامة ﴿ مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ ﴾ يبشر بالجنة ﴿ وَنَذِيرٌ ﴾ ينذر من النار، يعني محمداً ﷺ ﴿ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. والفترة ما بين عيسى ومحمد خمسمائة سنة، وفي تفسير بعضهم: ستمائة سنة أو ما شاء الله من ذلك.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: أنا أولى الناس بعيسى لأنه ليس بيني وبينه نبي(1).

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً ﴾. قال الكلبي: إذ جعل فيكم أَنْبِئَاءَ: كان منهم في حياة موسى اثنان وسبعون نبياً. وقال في قوله: (وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً): الرجل ملك بيته لا يدخل عليه إلا بإذن.

ذكروا أن مجاهداً قال: جعل لكم أزواجاً وبيوتاً وخدماً. وقال الحسن: وجعلكم ملوكاً، أحراراً، لأنهم كانوا في قوم فرعون بمنزلة أهل الجزية فينا فأخرجهم من ذلك الذل.

قوله: ﴿وَءَاتَـٰكُمْ مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّنَ الْعَـٰلَمِينَ﴾ أي فيما ظلل عليهم من الغمام، وأنزل عليهم من المن والسلوى وأشباه ذلك مما أوتوا. وقال مجاهد: يعني المن والسلوى والحجر والغمام.

قوله: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ ﴾ التي بورك فيها. قال بعضهم: يعني الشام وقال مجاهد: يعني الطور وما حوله. قوله: ﴿ التِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ ﴾ أي كتب الله لبني إسرائيل، أي أمر بني إسرائيل أن يدخلوها فدخلها أبناؤهم، ولم يدخل إلا رجلان يوشع بن نون وكالوب(2) وأبناؤهم، وهم بنو إسرائيل. ﴿ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى

(1) كذا ورد هذا الحديث الصحيح مختصراً هنا، انظر التعليق عليه فيما سلف قريباً: ص 437.
(2) في ع و د: طالوت، وهو خطأ ولا شك. وقد ورد هذا الاسم بلفظ كالوب وكالب في تاريخ =

أَدْبَارِكُمْ ﴾ أي كافرين ﴿ فَتَنْقَلِبُوا ﴾ إلى الآخرة ﴿ خَـٰسِرِينَ ﴾ أي قد خسرتم الجنة.

قال الكلبي: كانوا بجبال أريحا من الأردن فجبُن القوم أن يدخلوها، فأرسلوا جواسيس، من كل سبط رجلًا، ليأتوهم بخبر الأرض المقدسة. قال الله جل ثناؤه لإبراهيم عليه السلام، وإبراهيم إذ ذاك بأرض فلسطين: يا إبراهيم إن هذه الأرض التي أنت فيها ميراث لولدك من بعدك، فدخل الاثنا عشر، فمكثوا فيها أربعين ليلة، ثم خرجوا، فصَدَق اثنان وكَذَب عشرة؛ فقالت العشرة: رأينا أرضاً تأكل[1] أهلها ورأينا فيها حصوناً منيعة، ورأينا رجالاً جبابرة ينبغي لرجل منهم مائة منا، فجَبُنَت بنو إسرائيل وقالوا: والله لا ندخلها.

﴿ قَالُوا ﴾ لموسى عليه السلام ﴿ يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَّخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دٰخِلُـونَ. قَالَ رَجُلانِ ﴾ أحدهما يوشع بن نون والآخر كالب، وهما اللذان قال الله فيهما ﴿ مِنَ الذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ﴾ بمخافتهما الله: نحن أعلم بالقوم من هؤلاء، إن القوم قد ملئوا منا رعباً. ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ ﴾ قال مجاهد: باب مدينة الجبارين ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ عَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُم مُّومِنِينَ ﴾.

قال الكلبي: قالوا: يا موسى أيكذّب منا عشرة ويُصَدّق اثنان؟ ﴿ قَالُوا يَـٰمُوسَـى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَا إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾. وكان موسى ﷺ وعلى جميع الأنبياء حديداً فـ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾ أي: وأخي لا يملك إلا نفسه ﴿ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ القَوْمِ الفَـٰسِقِينَ ﴾ يعني قومه.

﴿ قَالَ ﴾ الله لموسى: إذ سميتهم فاسقين: ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمُ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلَا تَأْسَ ﴾ أي فلا تحزن ﴿ عَلَى الْقَوْمِ الفَـٰسِقِينَ ﴾ فتاهوا أربعين سنة.

= الطبري وفي تفسيره، وفي تفسير القرطبي وغيرهما من المصادر. وانظر التعليق السالف قريباً: ص 456.

(1) في ع: «أرضاً باطل أهلها»، وفيه تصحيف صوابه ما جاء في د: «تأكل أهلها».

قال الكلبي: لما قالوا (إِنَّـا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً) قال الله: فإنها محرمة عليهم أبداً، مع ذلك يتيهون في الأرض أربعين سنة. قال: فلم يدخلها أحد ممن كان مع موسى؛ هلكوا أجمعون في التيه إلا رجلين: يوشع بن نون وكالوب، وأنزل الله عليهم في تلك الأربعين سنة المن والسلوى وثياباً لا تخرق ولا تدنس، تشبّ مع الصغير، وخِفافاً لا تخرق، فكان لهم ذلك في تيههم حتى دخلوا أُريحاً[1] مع يوشع بن نون بعد وفاة موسى ﷺ وعلى جميع الأنبياء.

[2]وقال بعضهم: ذكر لنا أن يوشع بن نون وكالوب بعثوا اثني عشر رجلاً من كل سبط رجلاً عيوناً لهم ليأتوهم بأمر القوم. فأما عشرة فجبنوا وكرهوا الدخول إليهم. وأما يوشع وصاحبه فأمرا بالدخول فاستقاما على أمر الله ورغبا قومهما في ذلك. وقال بعضهم: جبن القوم عن عدوهم وتركوا أمر ربهم. قال الله: (فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً)، إنما يشربون ماء الآبار، لا يهبطون قرية ولا مصراً، لا يهتدون لها ولا يقدرون على ذلك.

(قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ). قال بعضهم: ذكر لنا أنه كان فيها قوم لهم أجسام وَخَلق منكر. قوله: (وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا)، أي حتى يخرج الجبارون منها، (فَإِن يَّخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ. قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِـمُ البَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ)، أي فإذا دخلتم باب مدينة الجبارين فإنكم غالبون. (وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُم مُّومِنِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْت وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنا قَاعِدُونَ).

قال الحسن: قال الله: (فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمُ) أبداً في الإضمار، ثم قال:

---

(1) أريحا: بفتح الهمزة وكسر الراء بعدها ياء ساكنة وحاء مهملة ثم قصر، مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردن بالشام قيل سميت بأريحا بن مالك بن أرفخشد بن نوح عليه السلام. ولا تزال معروفة إلى اليوم.

(2) من هنا يتغير الخط في مخطوطة العطف التي أرمز لها بحرف ع، فيصبح خطّاً رديئاً رقيقاً متداخل الحروف.

(أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ)[1]. أربعين سنة كانوا يرتحلون من المنزل فيسيرون يومهم وليلتهم، ثم يصبحون حيث ارتحلوا، أربعين سنة عذاباً عذّبهم الله بدعوة موسى.

قال مجاهد: كانوا يصبحون حيث أمسوا ويمسون حيث أصبحوا، وفي تيههم ذلك ضرب لهم موسى الحجر. قال الله: (فَلَا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِينَ).

ذكر لنا أنه كان طول موسى سبعة أذرع، وطول عصاه سبعة أذرع، ووثب من الأرض سبعة أذرع فأصاب كعب ذلك الجبار الذي قتل. وذلك أنه بلغنا أنه أشرف على عسكرهم يريدهم.

قوله: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَي ءَادَمَ بِالحَقِّ ﴾ أي خبر ابني آدم ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ ﴾.

قال الكلبي: كانت حواء تلد في كل بطن اثنين: غلاماً وجارية؛ فولدت في أول بطن قابيل ابن آدم وأخته، وفي البطن الثاني هابيل وأخته. فلما أدركوا أُمِر آدمُ أن يُنكح قابيلَ أختَ هابيلَ وهابيلَ أختَ قابيل. فقال آدم لامرأته الذي أمر به؛ فذكرته لابنيها، فرضي هابيل بالذي أمر به، وسخط قابيل لأن أخته أحسنهما، فقال: ما أمر الله بهذا قط، ولكن هذا عن أمرك يا آدم. قال آدم: فقرّبا قربانكما فأيّكما كان أحق بها أنزل الله ناراً من السماء فأكلت القربان. فرضيا بذلك. فعمد هابيل، وكان صاحب ماشية، إلى خيار غنمه وزبد ولبن[2] وكان قابيل زرّاعاً فأخذ من سوء زرعه، ثم

(1) هذا على قراءة من جعل الوقف تاماً في قوله: (مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِم)، وجعل قوله: (أربعين سنة) منصوباً على الظرفية بقوله: يتيهون. ومن المفسّرين من جعل (أربعين) منصوباً بقوله (محرمة) أي محرمة عليهم أربعين سنة. انظر كيف علّل الطبري في تفسيره ج 10 ص 198 ترجيحه لهذا الوجه الأخير. أما الفراء في معاني القرآن ج 1 ص 305 فقد صوَّبَ الوجهين.

(2) في د وفي ز ورقة 81: «إلى خير غذاء غنمه وزبد ولبن» وأثبت ما في ع: «إلى خيار غنمه»، وهذه العبارة الأخيرة أنسب وأصح. ولم أجد فيما بين يدي من كتب التفسير ذكراً للزبد واللبن في هذا السياق.

صعد الجبل وآدم معهما. فوضعا القربان على الجبل، فدعا آدم ربه، وقال قابيل في نفسه: لا أدري أيقبل مني أم لا، لا ينكح هابيل أختي أبداً. فنزلت النار فأكلت قربان هابيل، وتجنّبت قربان قابيل لأنه لم يكن زاكي القلب. فنزلوا من الجبل. فانطلق قابيل إلى هابيل وهو في غنمه فقال: لأقتلنّك، قال: لِمَ، قال: لأن الله تقبّل منك وردّ عليّ قرباني، وتنكح أختي الحسناء وأنكح أختك القبيحة، ويتحدث الناس بعد اليوم أنك خير مني، فقال له هابيل:

﴿ لَئِنْ بَسَطتَّ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَـٰلَمِينَ ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلاً فخذوا بخيرهما ودعوا شرهما[1].

ذكر بعضهم قال: كان من قبلكم إذا تقربوا بقربان فتقبل الله منهم نزلت عليه من السماء نار فأكلته، فإذا رد عليهم خلوا عنه فأكلته السباع والطيور.

﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾ أي تستوجب إثمي وإثمك ﴿ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّـٰلِمِينَ ﴾. وقال بعضهم: إني أريد أن تبوء بإثمي إن قتلتني، وإثمك الذي مضى من قبل قتلي.

قوله: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ﴾. قال مجاهد: فشجعته نفسه. وقال غيره: فزَيَّنت له نفسه قتل أخيه فقتله. ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَـٰسِرِينَ ﴾، قال الحسن: الذين خسروا الجنة.

﴿ فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ: يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ﴾ قال الحسن: بعث الله غرابين فقتل أحدهما صاحبه، ثم جعل يحثي عليه التراب وابن آدم ينظر فقال: يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي.

(1) أخرجه ابن سلام هكذا: يحيى عن خالد عن الحسن مرسلاً، وأخرجه الطبري في تفسيره ج 10 ص 230من ثلاثة طرق إثنان منهما من طريق الحسن. وقال محقق تفسير الطبري: «هذه الثلاثة أخبار مرسلة لم أهتد إلى شيء منها في دواوين السنة».

ذكر بعضهم قال: كانا غرابين فقتل أحدهما الآخر فجعل الحي يحثي على الميت، وذلك بعين ابن آدم. قال الكلبي: وكان قتله عشية، وغدا إليه غدوة لينظر ما فعل فإذا هو بغراب حي يحثي التراب على غراب ميت، فقال: يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي كما يواري هذا الغراب سوءة أخيه فدعا بالويل ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّـٰدِمِينَ ﴾.

ذكروا عن السدي أنه قال: ثلاثة لا يقبل الله منهم توبة أبداً: إبليس، وابن آدم الذي قتل أخاه، رأس الخطيئة، ومن قتل نبيّاً.

قوله: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ ﴾ أي ما يستوجب به القتل. ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾.

ذكروا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو قتل نفساً متعمداً، أو زنى بعد إحصانه[1]. قال جابر بن زيد: وأنا أقول الرابعة من كتاب الله: (قَاتِلُوا التِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ) [الحجرات: 9].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: القتيل دون ماله شهيد[2].

ذكروا أن رجلاً قال: يا رسول الله، الرجل يعرض لي يريد نفسي ومالي. قال:

(1) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري. وأخرجه مسلم في كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم (1676) عن عبد الله بن مسعود ولفظه: لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث، الثيب الزان، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة.

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب من قاتل دون ماله، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من قصد أخذ ماله بغير حق... (141) كلاهما يرويه من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ المقتول دون ماله شهيد، في كتاب الجهاد، باب في عدة الشهداء (رقم 448).

تناشده بالله، قال: ناشدته بالله فلم ينته، قال: استعد عليه السلطان، قال: ليس بحضرتنا سلطان. قال: استعن عليه بالمسلمين، قال: نحن بأرض فلاة ليس قربنا أحد. قال: فجاهده دون مالك حتى تمنعه أو تكتب في شهداء الآخرة في الجنة[1].

قوله: (فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً). ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه سنَّ القتلَ[2].

ذكروا أن مجاهداً قال في قوله تعالى: (وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الذيْن أَضَلَّانَا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ) [فصلت: 29] قال: هما إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه.

ذكروا عن ابن مسعود في قوله: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) [الانفطار: 5] قال: (مَا قَدَّمَتْ) أي: ما قدمت من خير، (وَمَا أَخَّرَتْ) أي ما أخرت من سنة حسنة فعمل بها بعده، فإن له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجره شيئاً، أو سنة سيئة فعمل بها بعده فإن عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزاره شيئاً.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه كان له أجر من تبعه ولا ينقص من أجره شيئاً[3].

قوله: ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ أي من أحياها من القتل في تفسير الكلبي وغيره.

---

(1) رواه يحيى بن سلام عن المعلى عن سماك بن حرب عن قابوس بن المخارق عن أبيه، وكذلك رواه النسائي من هذا الطريق في كتاب تحريم الدم، انظر شرح سنن النسائي للسيوطي ج 7 ص 113، وما يفعل من تعرض لماله.

(2) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب قول الله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)، وأخرجه مسلم في كتاب القسامة، باب بيان إثم من سنّ القتل (1677) عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً.

(3) حديث صحيح رواه مسلم من حديث عن المنذر بن جرير عن أبيه في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة. . . (رقم 1017) ورواه ابن ماجه في المقدمة من سننه، باب من سن سنة حسنة أو سيئة عن أنس بن مالك (رقم 205) وعن أبي هريرة (206).

وقال الحسن: من إحيائها أن ينجيها من القود فيعفو عنها، ويفاديها من العدو، وينجيها من الغرق ومن الحرق ومن السبع، وأفضل إحيائها أن ينجيها من كفرها وضلالتها.

ذكروا أن رسول الله ﷺ بعث علياً على جيش وأمره بأمره ثم قال: واعلم يا علي أنه أن يحيي الله بك رجلاً خير لك من الدنيا وما فيها[1].

قوله: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ﴾ يعني أهل الكتاب ﴿ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ أي لمشركون، وهو سرف فوق سرف. وإنما يعني بهذا من لم يؤمن منهم.

قوله: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

ذكروا أن أناساً من عرينة[2] قدموا على النبي المدينة فأسلموا، فاستوخموا المدينة، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا في إبل الصدقة فيشربوا من ألبانها [وأبوالها][3]. ففعلوا حتى صحّوا فقتلوا راعي رسول الله ﷺ وساقوا الإبل وكفروا بعد إسلامهم. فبعث رسول الله ﷺ في طلبهم، فجيء بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمر أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا.

---

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري في باب مناقب علي بن أبي طالب، وفي باب غزوة خيبر عن سعد بن سهل بلفظ: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم».

(2) كذا في ع و د «من عرينة» وفي ز: «من عكل وعرينة» وقد اختلف المفسرون في هؤلاء الرهط هل هم من عرينة أو من عكل وعرينة، وقصتهم مروية معروفة في كتب السنن. انظر الطبري في تفسيره ج 10 ص 244-251، وترجم البخاري في المغازي «باب قصة عكل وعرينة».

(3) زيادة من ز، ورقة 82. وترجم البخاري في كتاب الوضوء: باب أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها، وفيه عن أنس قال: قدم أناس من عكل وعرينة... الحديث.

قال بعضهم: إن هذا كان من قبل أن تنزل الحدود. وذكر أبو هريرة أنهم لما جيء بهم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمّر أعينهم نزلت هذه الآية: (إِنَّمَا جَزَاءُ الذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ)... إلى آخر الآية، فترك سمر الأعين.

وذكروا عن بعضهم أنه قال: تلك حدود أنزلها الله: إذا حارب فأخذ المال وقتل صُلِب، وإذا حارب فقتل ولم يأخذ مالاً قُتِل، وإذا حارب فأخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف، وإذا حارب فلم يقتل ولم يأخذ مالاً نفي.

ذكر عن الحسن أنه قال: نفي بالسيف. وذكر عنه قال: ذلك إلى الوالي يصنع ما شاء، يعني أنه [مخيَّر][1]. والعامة من فقهائنا على قول الحسن: إلى الوالي يصنع من ذلك ما شاء، وليس للولي من ذلك شيء[2].

ومن رأى أن هذا حكم في المسلمين ماضٍ فيأخذها من هذا الموضع (وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً). ذكروا عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: (أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ) أي أن يعجزوا فلا يقدر عليهم. وأما قوله: (مِنْ خِلَافٍ) فإنه تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى. فذلك تفسير قوله: من خلاف.

قوله: ﴿ إِلَّا الذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ذكروا أن هذه كانت في أهل الشرك خاصة. ذكروا عن مجاهد قال: (مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ) على عهد الرسول.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذين ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ ﴾ أي القربة إليه. قال بعضهم: أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه. قال: ﴿ وَجَـٰهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي لكي تفلحوا.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا لَو أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ

(1) في الأصل بياض قدر كلمة أثبت فيه هذه الكلمة التي يقتضيها السياق.

(2) يعني المؤلف بلفظ الوالي هنا الإمام الذي له الخيار في تنفيذ الحد الذي يراه مناسباً. أما الولي فهو ولي المقتول من أقاربه، ليس له عفو ولا قود.

مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قد فسّرناه في سورة آل عمران[1].

قوله: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَّخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ أي دائم لا يفتر عنهم. قال الحسن: كلما رفعتهم بلهبها حتى يرتفعوا إلى أعلاها وطلبوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها. وهو قوله: (كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَّخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا) [السجدة: 20].

قوله: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ وهي في قراءة ابن مسعود: فاقطعوا أيمانهما ﴿ جَزَاءً بِمَا كَسَبَا ﴾ أي بما عملا ﴿ نَكَـٰلاً مِّنَ اللهِ ﴾ أي عذاباً من الله وعقوبة ﴿ وَاللهُ عَزِيزٌ ﴾ في نقمته ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في أمره.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: لا تقطع يد السارق إلا في الدينار وعشرة الدراهم.

ذكروا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله ﷺ: لا تقطع يد السارق في أقل من ربع دينار[2].

ذكروا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تقطع الخمسة إلا في الخمسة؛ يعني خمسة دراهم.

ذكروا أن إبراهيم قال: لا تقطع يد الذي يدخل البيت بإذن.

ذكروا أن عثمان بن عفان قال: لا تقطع يد السارق حتى يخرج المتاع من البيت.

---

(1) انظر ما سلف ص 299 عند تفسير قوله تعالى: (إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِن أَحَدِهِم مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ) [آل عمران: 91].

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الحدود عن عائشة ولفظه: تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً، وأخرجه مسلم أيضاً في كتاب الحدود، باب حد السرقة ونصابها عن عائشة ولفظه: لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قطع يد سارق من الكوع وحسمها[1].

قوله: ﴿ فَمَنْ تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ ﴾ أي من بعد سرقته ﴿ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. وفي هذه الآية دليل على أنه ظلم دون ظلم وظلم فوق ظلم، وكذلك الكفر كفر دون كفر وكفر فوق كفر.

ذكروا أن رجلاً جاء إلى النبي عليه السلام فأقر عنده أنه سرق؛ فقال له النبي: ما أخالك سرقت. قال: بلى يا رسول الله. فأمر بقطعه، فقطع. ثم قال له النبي: قل: استغفر الله وأتوب إليه. فقال: أستغفر الله وأتوب إليه؛ فقال النبي: اللهم تب عليه.

ذكر عن بعضهم أنه قال في السارق إذا قطع أنه لا يغرم ما سرق، إلا أن توجد السرقة بعينها.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَعْلَم أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي إنك قد علمت أن الله له ملك السماوات والأرض ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَّشَاءُ ﴾ أي الكافر ﴿ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَّشَاءُ ﴾ أي: للمؤمن ﴿ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يريده ﴿ قَدِيرٌ ﴾[2].

قوله: ﴿ يَٰأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يُحْزِنكَ الذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي الكُفْرِ مِنَ الذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا

(1) الصحيح أن هذا الحديث والذي يليه في قصة واحدة وهي قصة الرجل الذي سرق شملة فلما أقر أمر النبي عليه السلام بقطع يده وحسمها. وحسَم الجرح والعرق بعد القطع كواه لئلا ينزف دمه. والحديث رواه الدارقطني في سننه ج 3 ص 102 عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه ابن سلام كما في مخطوطة ز ورقة 83 عن محمد بن المنكدر مرسلاً.

(2) هذا قضاء الله الذي عزّ فحكم فقطع. وليت المسلمين يفقهون دينهم ليعودوا إلى تنفيذ أحكام شريعتهم في الحدود التي حكم بها، على أن يوجدوا المجتمع المسلم الذي يتقبلها بنفوس مطمئنة راضية. إنهم لو فعلوا لوجدوا في الامتثال لأوامر الله وتطبيق أحكامه العلاج الحاسم لأمراضهم الاجتماعية حتى يصلحوا الفساد المستشري في مدنهم وقراهم، حتى أصبح الناس غير آمنين في أنفسهم وأموالهم. اقرأ في الموضوع تعليقاً مفيداً وكلاماً نفيساً للشيخ أحمد محمد شاكر في عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، ج 4، ص 146-147.

بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُومِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ وهم المنافقون. يقول: لا يحزنك كفرهم، فإن ذلك لا يضرّك، إنما ضرّه عليهم.

ثم قال: ﴿ وَمِنَ الذِينَ هَادُوا سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ وهم اليهود ﴿ يَقُولُونَ ﴾ أي يقول الذين لم يأتوك ﴿ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُوتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

ذكر بعضهم قال: كان قتيل من بني قريظة قتلته النضير، وكان قتيل عمد. وكانت النضير إذا قتلت من قريظة قتيلاً لم يعطوهم القود ويعطونهم الدية. وإذا قتلت قريظة من النضير قتيلاً لم يرضوا دون القود، فكانوا على ذلك حتى قدم نبي الله المدينة على تفئة[1] قتيلهم؛ فأرادوا أن يرفعوا ذلك إليه ليحكم بينهم. فقال رجل من المنافقين: إن قتيلكم قتل عمداً، ومتى ترفعوه إلى محمد أخشى عليكم القود، فإن قبل منكم الدية فخذوه، وإلا فكونوا منه على حذر. فأنزل الله هذه الآية ثم قال:

﴿ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ أي الرشى، يعني اليهود ﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَو اعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَّضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ ﴾ أي بالعدل ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ ﴾.

ذكروا عن الحسن في قوله: (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) قال: كان أحدهم يجيء مع خصمه إلى القاضي ويجيء برشوته في يده ليراها القاضي فلا يسمع القاضي إلا لها ولا ينظر إلا إليها. وأما قوله: (فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَو اَعْرِضْ عَنْهُمْ)... الآية فإنه كان رخص له في هذه الآية إن جاءوا أن يحكم بينهم أو يعرض عنهم إن شاء، ثم نسخ ذلك بعد فقال: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا

(1) على تفئة ذلك، أي على حينه وزمانه، وعلى إثره.

جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ) [المائدة: 48] فنسخت هذه الآيةُ الآيةَ الأولى.

قوله: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُومِنِينَ ﴾. قال بعضهم: (وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ)، أي بيان ما تشاجروا فيه من شأن قتيلهم، يعني القَوَد؛ أي إن في التوريٰةِ أن النفس بالنفس.

قال الحسن[1]: إن رجلاً من أشراف اليهود زنى وهو محصن، فرفعه أحبارهم إلى رسول الله ﷺ، ورجوا أن يصيبوا عنده رخصة وقد علموا أنه رسول الله، وكان عندهم في التوراة الرجم. فأتوه به وقالوا: يا محمد، إن هذا قد زنى وهو محصن، فماذا عليه في دينك؟ فأبى الله إلا أن يقرّرهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: أناشدكم بالله ما عليه؟ فقالوا: يا أبا القاسم، إنا لم نرد هذا، وإنا قد رضينا بحكمك. فأبى الله إلا أن يقرّرهم له، فقال لهم رسول الله: أناشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما عليه؟ فقالوا مثل ذلك. فأبى الله لرسوله إلا أن يقرّرهم له. فقال لهم مثل ذلك. فقالوا: الرجم. فأمر به رسول الله ﷺ فرجم[2].

ذكروا عن ابن عمر أن يهوديين أصابا فاحشة، فرفعا إلى النبي ﷺ فقال: ما في كتابكم؟ فقالوا: يحمّمان ويجبّهان ويجلدان ويغلظ لهما في القول؛ ثم يخرجان عن أوطانهما ويطردان. فقال عبد الله بن سلام: كذبوا؛ في كتابهم الرجم يا رسول الله. فقال لهم: (فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [آل عمران: 93][3]. قال: فأتوا

---

(1) يذكر المؤلف هنا عدة روايات لقصة مشهورة يرويها المفسرون في سبب نزول الآية. وقد وردت في كتب السنة مثل صحيح مسلم في كتاب الحدود، باب رجم اليهود، أهل الذمة، في الزنى عن عبد الله بن عمر وعن البراء بن عازب (رقم 1699) و (رقم 1700) وسنن أبي داود وابن ماجه، وأوردها الطبري في تفسيره ج 10 ص 312 فما بعدها، والسيوطي في الدر المنثور ج 2 ص 282، والواحدي في أسباب النزول ص 188.

(2) وردت الجملة في ع و د مضطربة وبها أخطاء فأثبت صحتها من كتب التفسير.

(3) أقحم في هذا الموضع، في مخطوطتي د و ع جزء من الآية 44 التالية، فرأيت من المناسب أن تتتابع الروايات المختلفة في قصة اليهوديين اللذين رفع أمرهما إلى رسول الله ﷺ وأرجأت الآية إلى موضعها حسبما وردت في النص القرآني.

بها فجاءوا بقارئهم فوضع يده على آية الرجم وجعل يقرأ. فقال عبد الله بن سلام: أرخ كفك. فباعدها، فإذا آية الرجم تلوح. فأمر رسول الله ﷺ برجمهما. قال ابن عمر فلقد رأيتهما وهما يرجمان وإنه ليقيها الرجمَ بنفسه.

ذكروا عن عكرمة قال: إن يهوديين رفعا إلى رسول الله ﷺ وقد أصابا فاحشة فسألهم فقال: أيكم أعلم؟ فقالوا: ابن صوريا، رجل أعور. فسأله رسول الله ﷺ فقال: أنت أعلم اليهود؟ فقال: إنهم ليقولون ذلك. فقال: إني أناشدك بالذي فلق البحر لبني إسرائيل، وأنزل التوراة على موسى، وأنزل عليهم المنّ والسلوى، ما تجدون في كتابكم؟ فقال: لقد سألتني بعظيم ولا ينبغي لي أن أكتمك؛ في كتابنا الرجم، ولكنا كنا نتكاتمه بيننا، فرجمهما رسول الله.

وقال بعضهم: بلغنا أن اليهود قالت حين زنى ذلك الرجل منهم؛ إنه بلغنا أن محمداً يجلد الزاني مائة، وفي كتابنا الرجم، فنرفع هذا إليه. فقال لهم بعض المنافقين: سلوه عن ذلك فإن أخبركم بالجلد فاقبلوه، وإن أخبركم بالرجم فاحذروا. وهو قوله: (سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ). أي: ليسوا منهم؛ أي إن المنافقين قوم آخرون ليسوا من اليهود المشركين ولا من المؤمنين، كقوله: (مَا هُم مِّنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ) [سورة المجادلة: 14] وكقوله: (لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ) [النساء: 143] فقال: (سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الكلم من بعد مواضعه (يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا) يقول المنافقون لليهود: إن أوتيتم، أي إن أعطيتم هذا، أي الجلد (فَخُذُوهُ) أي: من محمد، (وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ)، أي: وإن لم تعطوه (فَاحْذَرُوا). فلما أتوا النبي ﷺ فسألوه جاء جبريل إلى النبي عليه السلام فقال: يا محمد، سلهم عن شاب أعور يقال له ابن صوريا: ما حاله فيهم؟ فسألهم عنه فقالوا: هو أعلم أهل الدنيا بما أنزل على موسى. فقال لهم رسول الله: أترضون به؟ فقالوا نعم. فبعثوا إلى ابن صوريا فجاء. فقال له رسول الله: أنت ابن صوريا؟ فقال نعم. فقال: أنت أعلم اليهود؟ قال: كذلك تقول اليهود. فقال رسول الله: ما على الزاني المحصن في كتابكم؟ وناشده بالله فقال له: بالذي نجّاكم من آل فرعون، وفلق لكم البحر، وأنزل عليكم المنّ

والسلوى، وبالذي أنزل التوراة على موسى لما أخبرتني بما في كتابكم. فقال ابن صوريا: الرجم، ولولا أني تخوّفت أن تحرقني التوراة ما أخبرتك. فسأل النبيَّ عن أشياء فأخبره بها النبيُّ. فآمن ابن صوريا. فقالت له اليهود: والله ما كنت بأهل لما أثنينا به عليك. ولكن كرهنا أن نعيبك[1]، وأنت غائب.

قوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِها النَّبِيُّونَ الذِينَ أَسْلَمُوا ﴾. قال الحسن: يعني موسى وعيسى ومحمداً حكموا بالرجم جميعاً؛ يقول: يحكم بها النبيون المسلمون ﴿ لِلذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّـٰنِيُّونَ والأَحْبَـارُ ﴾ يعني علماءهم الذين رفعوا اليهودي الزاني إلى النبي. ﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ ﴾ أي بعد أنبيائهم ﴿ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾. قال بعضهم: الربانيون العبّاد، والأحبار العلماء[2]. ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ ﴾ أي في إقامة الحدود على أهلها من كانوا ﴿ وَاخْشَوْنِ ﴾ أي في إقامتها ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِئَايٰتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَـٰفِرُونَ ﴾.

قال بعضهم: نزلت في اليهود في القتيل عمداً؛ كانوا أمروا فيه بالقَوَد، والآية الأخرى (وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) في النصارى؛ كانوا أمروا بالعفو في القتيل عمداً، والآية الأخرى: (وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ) [في الكفار كلهم][3]. قال: كل هذه الآي في أهل الكتاب.

وقال جابر: سئل حذيفة بن اليمان عن هذه الآي الثلاث: قوله: (وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ وَالظَّالِمُونَ وَالفَاسِقُونَ) أي خاصة في أهل الكتاب من اليهود والنصارى أم هي عامة فيهم وفيمن أقر بالإسلام ودان به؟ فقال

(1) كذا في د: «أن نعيبك» وفي ع: أن نغتابك.

(2) كذا في د و ع: وفي ز ورقة 83: «قال قتادة: الربانيون فقهاء اليهود والأحبار علماؤهم». وفي تفسير الطبري، ج 10 ص 341: «والربانيون جمع ربانيّ، وهم العلماء الحكماء البصراء بسياسة الناس وتدبير أمورهم والقيام بمصالحهم والأحبار هم العلماء...» و«أما الأحبار فإنهم جمع حَبر وهو العالم المحكِم للشيء، ومنه قيل لكعب: كعب الأحبار...».

(3) زيادة من ز ورقة 83، وهي موجودة أيضاً في الدر المنثور ج 2 ص 386.

حذيفة: بخ بخ[1] نعم الإخوة بنو إسرائيل إن كان لكم حلوها وعليهم مرها، بل هي السنة في إثر السنة كالقذة تحذى على القذة[2]. يعني أنها عامة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ولأهل الإسلام؛ من لم يحكم منهم جميعاً بما في كتابه وبما عهد إليه ربه وأمره به نبيه محمد ﷺ فهو كافر ظالم فاسق، غير أن كفر أهل الكتاب في ذلك كفر جحود وهو شرك، وكفر أهل الإقرار بالله والنبي كفر نفاق، وهو ترك شكر النعمة، وهو كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق[3].

قال الحسن: ومن لم يحكم بما أنزل الله أي: من لم يتخذ ما أنزل الله ديناً ويُقِرَّ به فهو كافر ظالم فاسق.

قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ أي في التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ والأَنْفَ

(1) بَخْ، كلمة تقال عند مدح الشيء والرضا به، وتكرر للمبالغة وتكسر الخاء: بخٍ بخٍ.

(2) القذّة: ريش السهم، وحذا يحذو: قدر وقطع. فالقذة تقدر وتقطع على مثيلتها. ويضرب هذا مثلًا للتسوية الدقيقة الكاملة بين الشيئين. وفي الحديث: «لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة» كما في اللسان (قذذ).

(3) روى الطبري في تفسيره ج 10 ص 349-350 خبر حذيفة من طرق ثلاثة عن أبي البختري التابعي الذي لم يسمع من حذيفة. وراوي الخبر هنا هو جابر؛ واسم جابر إذا أطلق في كتب التفسير والحديث فإنه ينصرف غالباً إلى أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري. وهو يعد من الحفاظ الذين رووا سنة النبي عليه السلام. وقد توفي جابر بن عبد الله سنة ثمان وسبعين للهجرة. فقد يكون روى، رواية صحابي عن صحابي، عن حذيفة الذي توفي سنة ست وثلاثين للهجرة. هذا ولا يبعد أن يكون جابر المذكور هنا هو أبا الشعثاء جابر بن زيد، فإنه أدرك، وهو دون العشرين، حذيفة بن اليمان وروى عنه كما روى عن سبعين بدرياً. وقد روى جابر بن زيد أقوالًا لحذيفة حول النفاق والمنافقين حسبما جاء في مسند الربيع بن حبيب ج 4 ص 14-15 (أرقام 929، 931، 932، 933). إن كلام حذيفة ينتهي في تفسير الطبري وفي هذا التفسير إلى قوله: «كالقذة تُحذَى على القذة»، وما بعده لا يعدو أن يكون من كلام جابر، راوي الخبر، أو من كلام ابن سلام، أو من كلام الشيخ هود الهواري. ويبدو لي أن هذا الكلام من شرح الشيخ هود؛ فهو إلى تعبيره أقرب، وبأسلوبه أشبه. ومما يقوي هذا الترجيح ـ ولا أجزم به ـ هو أن خبر حذيفة هذا وشرحه غير واردين في مخطوطة ز التي هي مختصر تفسير ابن سلام لابن أبي زمنين.

بالأَنْفِ وَالأُذْنَ بِالأُذْنِ وَالسِّنَّ بالسِّنِّ والجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾. وهذه الآية مفروضة على هذه الأمة. وكل ما ذكر الله في القرآن أنه أنزله في الكتب الأولى ثم لم ينسخه في القرآن فهو ثابت يعمل به، لأنه في كتاب الله ولم ينسخه. وفي ذلك دليل على أن من لم يحكم من أهل القرآن بما أنزل الله فيه فهو كافر ظالم فاسق كما كان يكفر به من حكم من أهل الكتاب بغير ما أنزل الله في التوراة والإنجيل. ألا ترى أن علينا في كتابنا مثل ما عليهم في كتبهم من أن النفس بالنفس والعين بالعين... إلى آخر الآية. كذلك من لم يحكم منا ومنهم بما أنزل الله في كتابه وعلى ألسنة رسله فهو كافر ظالم فاسق[1].

قوله: والجروح قصاص. ذكروا أن أبا بكر وعمر قالا: ليس فيما لا يستطاع منه قصاص قصاص.

---

(1) هذا تأكيد وإيضاح للجملة السابقة: «وهذه الآية مفروضة على هذه الأمة... إلى قوله: فهو ثابت يعمل به». فهو يؤيد كلام ابن سلام كما جاء في مخطوطة ز ورقة 83. وما بعده من الاستدلال من كلام الشيخ هود ولا شك. فهو يؤيد رأي ابن سلام من جهة، وكأنه يشير من جهة أخرى إلى ما يذهب إليه الإباضية في مسألة أصولية اختلف فيها العلماء، وهي شرع من قبلنا هل هو شرع لنا أو لا. فالحنفية مثلاً يقولون بأن شرع من قبلنا هو شرع لنا؛ قال السرخسي في أصوله ج 2 ص 99: «وأصح الأقوال عندنا أن ما ثبت بكلام الله أنه كان شريعة من قبلنا أو ببيان من رسول الله ﷺ فإن علينا العمل به على أنه شريعة لنبينا ما لم يظهر ناسخه». والإباضية يقولون به كذلك بشرطين؛ يقول أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي في منظومته: شمس الأصول:

وشرع من مضى إذا لم يبدل ... شرع لنا على المقال الأعدل
إن قصه الله أو المختار ... شرعاً لنا ولم يكن إنكار

انظر شرح طلعة الشمس للسالمي ج 2 ص 60. وذهب بعض المالكية وبعض أصحاب الشافعي، وفي رواية عن أحمد أن ذلك لا يكون شرعاً لنا.

والذي ندين الله به ونعتقده هو أن من لم يحكم بما أنزل الله من جميع الأديان فهو كافر ظالم فاسق لا يخص به أقوام دون أقوام ولا أتباع دين دون أتباع دين آخر. والله نسأل أن يوفقنا إلى التفقه في ديننا وإلى الحكم بما شرعه الله في كتبه وعلى ألسنة رسله. آمين.

ذكروا عن الحسن أنه قال: أربع ليس فيهن قصاص: الآمة والجائفة والمنقلة والهاشمة[1].

وذكر بعضهم قال: كان يقال: لا قصاص في الكسر؛ يقال فيما لا يستطاع منه القصاص: إن فيه الأرش.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال في جراحات الرجال والنساء: يستويان في السن والموضحة ويختلفان فيما فوق ذلك، يقول: تصير المرأة على النصف، ذكروا أن علياً قال: لها النصف من كل شيء. ذكروا عن الحسن قال: يستويان في الثلث ويختلفان فيما فوق ذلك.

قوله: ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ﴾. يعني كفارة لذنبه.

ذكروا عن رجل من الأنصار قال قال رسول الله ﷺ: فمن تصدّق به فهو كفارة له قال: هو الرجل تكسر سنه أو يجرح في جسده فيعفو، فيحط عنه بقدر ما عفا من خطاياه؛ فإن كان ربع الدية فربع خطاياه، وإن كان ثلث الدية فثلث خطاياه، وإن كان نصف الدية فنصف خطاياه وإن كانت الدية كلها فخطاياه كلها[2]. وهو تفسير الحسن؛ غير أنه قال: كفّارة له إن أراد بذلك وجه الله. وكان الحسن يشترط في هذا ونحوه الصدقَ. صدق والله الحسن؛ إنه كفّارة له إذا أراد به وجه الله؛ (وَإِنَّمَا يَتَقَبَّلَ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) [المائدة: 27].

ذكروا أن مجاهداً قال: هو كفارة للجارح[3].

---

(1) الآمة: هي الشجة تصيب أم الدماغ، والجائفة هي الطعنة تنفذ إلى الجوف، والمنقلة التي تنقل العظم من موضعه، والهاشمة: الشجة تهشم العظم.

(2) أخرجه الديلمي عن ابن عمر عن النبي ﷺ، وأخرجه ابن مردويه عن رجل من الأنصار عن رسول الله ﷺ. وانظر الدر المنثور ج 2 ص 288. وفي تفسير الطبري ج 10 ص 365: «قال ابن الصامت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من جرح في جسده جراحة فتصدق بها، كفر عنه ذنوبه بمثل ما تصدق به».

(3)) وهو قول نسب أيضاً إلى ابن عباس، «قال: كفارة للجارح، وأجر الذي أصيب على الله» كما جاء في تفسير الطبري ج 10 ص 366.

قوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ قد فسّرناه في الآية الأولى.

قوله: ﴿ قَفَّيْنَا عَلَىٰءاثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرٰنة وَءَاتَيْنَاهُ الانْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَٰنة وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾. ﴿ وَلْيَحْكُم أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَـٰسِقُونَ ﴾ والفسق هاهنا الشرك. وهو فسق أهل الجهود. وقد فسّرناه في الآية الأولى وفسّرنا أنه فسق فوق فسـق وفسق دون فسق. وكذلك الظلم والكفر.

قد كان أهل التوراة أُمِروا في القتيل عمداً بالقوَد، وكأن أهل الإنجيل أُمِروا بالعفو، فعاتب الله اليهود والنصارى في هذه الآية بما حرّفوا من كتاب الله، وهم يشهدون عليه أنه من كتاب الله فكتبوا كتاباً بأيديهم، ثم أنزل الله القرآن فدعاهم إلى أن يعملوا بما فيه. ومن حكمهم بما أنزل الله في كتابهم أن يتّبعوا محمداً فيما جاء به.

قال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَـٰبَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَـٰبِ ﴾ يعني التوراة والإنجيل وإن اختلفت الشرائع فإن الدين واحد. قال: (لِكُلٍّ جَعَلْنَامِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً) [المائدة: 48].

قوله: ﴿ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾ ذكروا عن رجل من بني تميم (1) قال: سألت ابن عباس عن قوله: ومهيمناً عليه فقال: ومؤتمناً عليه. ذكروا عن عبد الله بن الزبير قال: المهيمن القاضي على ما قبله من الكتب. وتفسير الكلبي: ومهيمناً عليه، أي: شهيداً عليه. وذكر بعضهم قال: مهيمناً عليه، أي: أميناً عليه وشاهداً على الكتب التي قد خلت قبله.

قوله: ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ ﴾. قال الحسن ورجل من أهل العلم؛ قال أحدهما: يخلّى بينهم وبين حكامهم فإذا ارتفعوا إلينا حكمنا عليهم بما في كتابنا، وقال الآخر: بما في كتابهم.

(1) هو أربِدة، بكسر الباء، وقيل أربد التميمي، تابعي ثقة، يروي التفسير عن ابن عباس.

ذكر جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ رجم رجلاً من اليهود وامرأة زنيا وقال لليهود: نحن نحكم عليكم اليوم[1]. ذكر بعضهم قال: ذكر لنا أن نبي الله لما نزلت هذه الآية: (يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الذِينَ أَسْلَمُوا لِلذِينَ هَادُوا)... إلى آخر الآية قال: نحكم اليوم على اليهود وعلى من سواهم من أهل الأديان[1].

ذكر محمد بن سيرين أن رجلاً من اليهود زنى وهو محصن فقال رسول الله ﷺ: تعالوا نحكم عليهم بما في كتابهم إذ ضيّعوه[1].

قوله: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾. ذكروا عن رجل من بني تميم قال: سألت ابن عباس عن قول الله تعالى: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً). قال: شرعة ومنهاجاً: سبيلاً وسنة. وهو تفسير مجاهد. وتفسير مجاهد: الشرعة السنة والمنهاج السبيل. ذكروا عن بعضهم أنه قال: شرعة ومنهاجاً: سبيلاً وسنة. والشرائع مختلفة؛ للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يُحلّ الله ما يشاء ويحرّم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولكن الدين واحد لا يقبل الله إلا الوفاء والإخلاص والتوحيد له.

قوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً وَّاحِدَةً ﴾ أي ملّة واحدة ﴿ وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا ءَاتَـٰكُمْ ﴾. أي ليختبركم فيما أعطاكم من الكتب والسنن. وقال الحسن: ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، أي على الهدى، كقوله: (وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَىٰ) [الأنعام: 35].

وقال: ﴿ فَٱسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ ﴾ أي في وجهتكم ﴿ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً

(1) هذه الأحاديث الثلاثة كلها حول قصة واحدة. وقد وردت في أغلب كتب الصحاح، فقد أخرجه مسلم في كتاب الحدود، باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنى (رقم 1700) وأخرجه ابن ماجه في كتاب الحدود، باب رجم اليهود واليهودية. كلاهما يرويه عن البراء بن عازب. ولفظهما: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه. وقد أخرج الطبري في تفسيره ج 10 ص 338 الحديث الثاني عن قتادة مرسلاً بلفظ: «نحن نحكم على اليهود وعلى من سواهم من أهل الأديان». ونسبه السيوطي في الدر المنثور ج 2 ص 285 إلى عبد بن حميد عن قتادة.

فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُم فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَأَنُ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ قد فسّرناه في الآية الأولى. قوله: ﴿ وَاحْذَرْهُم أَن يَّفْتِنُوكَ ﴾ أي: يصدوك ﴿ عَن بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ يعني اليهود عن بعض ما أنزل الله إليك، أي عن حكم الله الذي يحكم به محمد ﴿ فَاعْلَم أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُّصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ فيقتلهم ويجليهم ويخزيهم وتؤخذ منهم الجزية بالصَّغار والذّلّ، ففعل الله ذلك بهم.

ذكروا عن جابر بن عبد الله أن رسول الله أمر أن يخرج اليهود من جزيرة العرب.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: لئن عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود من جزيرة العرب حتى لا يبقى فيها إلا مسلم(1). فمات قبل أن يفعل.

﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴾ يعني اليهود وغيرهم من الكفار، وهو فسق فوق فسق، وفسق دون فسق، وكفر فوق كفر.

ثم قال: ﴿ أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ أي: ما خالف كتاب الله وحكمه فهو حكم الجاهلية. قال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُّوقِنُونَ ﴾ أي لا أحد أحسن من الله حكماً.

ثم قال: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾ [أي في الدين](2) ﴿ بَعْضُهُم أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَّتَوَلَّهُم مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُم إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ ﴾.

(1) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب عن عمر بن الخطاب (رقم 1767) ولفظه: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً». وأخرجه أيضاً أبو داود والترمذي وأحمد، كما أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام عن جابر. وزاد جابر: «فأخرجهم عمر». انظر خبر إجلاء اليهود والنصارى والمشركين وأهل نجران في كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص 127 - 130.

(2) زيادة من ز، ورقة 84.

قوله: ﴿ فَتَرَى الذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ يعني المنافقين ﴿ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ ﴾ أي في أهل الكتاب، أي يسارعون في مودتهم ونصيحتهم ﴿ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ لليهود فينصروا علينا، فنكون قد اتخذنا بيننا وبينهم مودة.

قال الله: ﴿ فَعَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾ أي علي أهل الكتابين ﴿أَو أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ ﴾ يقول: فيباين المنافقون بنفاقهم فيقتلون. ﴿ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ أي على ما أسروا في أنفسهم من موادتهم لليهود ومِن غشّهم للإسلام ﴿نَـٰدِمِينَ ﴾. وهم أناس من اليهود كانوا يوادّون اليهود ويناصحونهم دون المؤمنين. قال الله: فعسى الله أن يأتي بالفتح، أي: بالفصل. وقال مجاهد: (نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ) أي: نخشى أن تكون الدائرة لليهود. قال الله فعسى الله أن يأتي بالفتح حينئذ.

وفي تفسير الكلبي في هذه الآية: إنها نزلت وقد علم الله أن المؤمنين برآء من ولاية اليهود والنصارى. قال: (فَتَرَى الذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) يعني المنافقين (يُسَارِعُونَ فِيهِمْ) أي في مودة اليهود، فجاء الله بالفتح فنصر نبيَّه، وجاء أمر الله من عنده، فأجلى بني النضير، وقتل بني قريظة وسبى ذراريهم، فندم المنافقون حين باينُوا بنفاقهم وأظهروه للمؤمنين. ولما أجلى بني النضير وأجلى أهل ودّهم عن أرضهم فعند ذلك قال الذين آمنوا بعضهم لبعض: (أَهَؤُلَاءِ الذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتَ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ).

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا مَن يَّرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى المُومِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَـٰفِرِينَ ﴾. هو كقوله: (أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح: 29] يُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُوتِيهِ مَن يَّشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.

قال بعضهم: أنزل الله هذه الآية وقد علم أنه سيرتد مرتدون[1]. فلما قبض رسول الله ﷺ ارتد الناس عن الإسلام إلا أهل ثلاثة مساجد، مسجد المدينة ومسجد

(1) كذا في د: «مرتدون»، وفي ع: «سيرتد من يرتد».

مكة ومسجد جواثا[1] من عبد القيس من البحرين فقالوا: أما الصلاة فنصّلي وأما الزكاة فوالله لا نعطي أموالنا. فكُلِّم أبو بكر أن يتجاوز عنهم وأن يخلّي عنهم وقيل له: إنهم لو قد فُقِّهوا أعطوا الزكاة طائعين. فأبى أبو بكر وقال: لا أفرِّق بين اثنين جمع بينهما الله وجمع بينهما رسوله: الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عِقَالاً مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه.

وذكروا أن أبا بكر إنما قال: لو منعوني عقالاً مما فرض الله ورسوله أنه من وجب عليه في الزكاة بعير وجب عليه أن يعطي مع البعير عقالاً. فبعث الله عصابة مع أبي بكر فقاتلوا على ما قاتل عليه نبيُّ الله حتى أقروا بالماعون، وهي الزكاة المفروضة.

ثم إن وفود العرب أتوه بعد ذلك فخيّرهم بين حرب مُجْلِية أو خطة مُخْزِية فاختاروا الخطة المخزية؛ وكانت أهونَ عليهم أن يشهدوا أن قتلاهم في النار وأن قتلى المسلمين في الجنّة؛ وأن ما أصابوا من مال المسلمين فَرَدٌّ عليهم، وأن ما أصاب المسلمون من أموالهم فهو لهم حلال[2].

قوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالذِينءَامَنُوا الذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُوتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾. قال الحسن: هو كقوله: (وَالمُومِنُونَ وَالمُومِنَاتُ بَعْضُهُم أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) [التوبة: 71] وكقوله: (اللهُ وَلِيُّ الذِينَءَامَنُوا) [البقرة: 257] وكقوله: (وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) [الأعراف: 196].

قال الكلبي: بلغنا أن عبد الله بن سلام ورهطاً من مسلمي أهل الكتاب أتوا النبي عند صلاة الظهر فقالوا: يا رسول الله، إن بيوتنا قاصية، ولا نجد متحدثاً دون

---

(1) جواثا، أو جؤاثى، حصن لعبد القيس بالبحرين، وقيل: إن جواثا أول موضع جمعت فيه الجمعة بعد المدينة، وقد أورد الطبري في تاريخه ج 3 ص 304 خبر أهل البحرين وردة الحطم، وانظر معجم ياقوت ج 1 ص 174.

(2) كذا في ع، وفي د: «وأن ما أصابوا للمسلمين من مال ردوه عليهم وأن ما أصاب المسلمون لهم فهو لهم حلال».

المسجد، وإن قومنا لما رأونا قد قصدنا[1] الله ورسوله وتركناهم ودينهم أظهروا لنا العداوة، وأقسموا ألا يخالطونا ولا يجالسونا، فشق ذلك علينا. فبينما هم يشكون ذلك إلى النبي إذ نزلت هذه الآية، فلما قرأها رسول الله ﷺ قالوا: رضينا الله ورسوله والمؤمنين أولياء. وأذن بلال بالصلاة. فخرج رسول الله ﷺ والناس يصلون بين قائم وراكع وساجد[2].

قوله: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ وَرَسُولَهُ وَالذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَـٰلِبُونَ ﴾ قال الحسن: يعني أنهم منصورون على المشركين.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءامَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الذِينَ اتَّخِذُوا دِينَكُمْ هُزُؤاً وَلَعِباً مِّنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَـٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ، يعني بالكفار هنا مشركي العرب ﴾ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُم مُّومِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَـٰوةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤاً وَلَعِباً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ قال الكلبي: إذا نادى منادي رسول الله ﷺ للصلاة قال اليهود والمشركون: قد قاموا، وإذا ركعوا وسجدوا استهزأوا بهم وضحكوا فقال الله لنبيه عليه السلام:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَـٰبِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ ءَامَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ

(1) كذا في ع: «قصدنا» وفي د و ز، ورقة 84: «صدقنا». ولكلّ وجه مقبول، وإن كان اللفظ الأخير أنسب.

(2) جاء في ز ورقة 85 بعد هذا ما يلي: «وإذا هو بمسكين يسأل، فدعاه رسول الله فقال له: هل أعطاك أحد شيئاً؟ فقال: ذلك الرجل القائم، فإذا هو علي. قال: على أي حال أعطاكه، قال أعطانيه وهو راكع... قال: إن رسول الله كبّر عند ذلك».

ولا شك أن الشيخ هوداً قد حذف هذا الخبر قصداً لما فيه من التكلّف الظاهر. وقد مدد الخبر في بعض التفاسير، ورد ابن كثير عليه ولم يقبله. انظر تفسير ابن كثير ج 2 ص 597، وانظر تفسير الطبري ج 10 ص 426-427، وفي تعليق المحقق الشيخ محمود محمد شاكر على الخبر القول الفصل. قال... «وإذن فليس قوله: (وَهُمْ رَاكِعون) حالاً من (يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ). وهذا هو الصواب المحض.

قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾؛ قال الحسن: (وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ) يقول: بفسقكم نقمتم ذلك علينا.

ثم قال: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ ﴾ أي ثواباً عند الله ﴿ مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّـٰغُوتَ ﴾ قال الحسن: جعل الله ذلك بما عبدوا الطاغوت، يعني الشيطان، يذكرهم بأمر قد علموه من أصحابهم الأوّلين. قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً ﴾ أي في الآخرة لأنهم في النار ﴿ وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ أي: عن قصد الطَّريق.

قوله: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ﴾ قال الكلبي: هؤلاء منافقو أهل الكتاب، كانوا إذا دخلوا على رسول الله ﷺ قالوا آمنا، وقد دخلوا حين دخلوا على النبي كفاراً، وخرجوا من عنده وهم كفار لم ينتفعوا بما سمعوا منه بشيء، وهم من اليهود. قال: ﴿ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ أي: كانوا يكتمون دين اليهود.

وقال بعضهم: هم أناس من اليهود كانوا يدخلون على النبي فيخبرونه أنهم مؤمنون راضون بالذي جاء به، وهم مستمسكون بضلالتهم بالكفر، فكانوا يدخلون بذلك ويخرجون به من عند نبي الله.

قوله: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ ﴾ يعني اليهود ﴿ يُسَـٰرِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ ﴾ [يعني المعصية والظلم](1) ﴿ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾ يعني أخذهم الرشوة على الحكم ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ يعني حكامهم وعلماءهم.

قال: ﴿ لَوْلَا يَنْهَـٰهُمُ ﴾ أي هلا ينهاهم ﴿ الرَّبَّـٰنِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾ يعني أخذهم الرشوة. قال الحسن: الربّانيون علماء الإنجيل والأحبار علماء أهل التوراة. وهو تفسير مجاهد.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 85.

وقال الكلبي: الربّانيون العلماء والفقهاء، والأحبار من كان من ولد هارون. فعاب[1] بذلك الرّبانيين والأحبار فقال: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمِ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾.

وقال بعضهم: الربّانيون العباد، والأحبار العلماء. ذكر بعضهم قال: كان هذا في حكام اليهود بين أيديكم ولا ينهاهم الربّانيون والأحبار. ﴿لَبِيسَ ما كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

قال الحسن: لبيس ما كانوا يصنعون حين سارعوا في الإثم والعدوان وأكلهم السحت، أي: الرشوة؛ وبيس ما صنع الربّانيون والأحبار حين لم ينهوهم عن ذلك.

قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾. قال بعضهم: قالوا: بخيل غير جواد، لِمَ يستقرضنا؟ قال الكلبي: كانوا من أخصب الناس وأكثرهم خيراً، فلما عصوا الله وبدّلوا نعمة الله كفراً كَفَّ الله عنهم بعض الذي كان بسط لهم، فعند ذلك قالت اليهود: كفّ الله يده عنا، فهي مغلولة. ولم يقولوا: مغلولة إلى عنقه، ولكن قالوا عن قول الله للنبي عليه السلام: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ أي فلا تنفق شيئاً ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ﴾ [الإسراء: 29]، وذلك أن ينفق في معصية الله. قال الكلبي: وكذلك قالت اليهود: ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَة﴾ فلا يبسطها علينا بشيء.

وقال مجاهد: قالوا: لقد تحمّدنا الله بقوله: يا بني إسرائيل، حتى جعل يده إلى نحره وكذبوا[2].

قوله: ﴿غُلَّتَ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ قال الحسن: غلّت أيديهم في النار.

---

(1) في ع و د: «أعاب»، وهو خطأ. ولم تذكر كتب اللغة «أعاب» بمعنى «عاب» من العيب، بل جاء في معناه «عيّب» و «تعيّب».

(2) في ق و ع: «قالوا لقد يحمدنا الله بقوله. . .» وصوابه: «تحمّدنا الله»، وهو موافق لما جاء في تفسير مجاهد، ص 199-200، وانظر تفسير الطبري ج 10 ص 452-453. وفي اللسان «ويقال: فلان يتحمّد الناس بجوده، أي يريهم أنه محمود». وفيه أيضاً: «وفلان يتحمّد علي»، أي: يمتنّ.

قوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ أي جواد، مبسوطتان، أي: بالنفقة ينفق كيف يشاء، هو مثل قوله: (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ) [الرعد: 26].

قوله: ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰناً وَكُفْراً ﴾ وهم اليهود من بعد ما تبيّن لهم فكفروا به. وقال بعضهم: حملهم حسد محمد والعرب على أن كفروا به وهم يجدونه مكتوباً عندهم.

قال: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ العَـٰدَوَةَ وَالبَغْضَاءَ إِلَى يَـوْمِ القِيَـٰمَـةِ ﴾ يعني اليهود والنصارى. ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ ﴾ قال الحسن ومجاهد: (لِلْحَرْبِ) يعني حرب محمد. قال الحسن: فأذلّهم الله ونصره عليهم.

قال الكلبي: كلما مكروا مكراً أطفأ الله نار مكرهم. وقال بعضهم: أولئك اليهود، فلم تجد اليهود ببلد إلا وجدتهم أذلَّ أهله. لقد جاء الإسلام حين جاء وهم تحت أيدي المجوس، أبغض خلق الله إليه، نقمة وتصغيراً لهم بأعمالهم، أعمال السوء.

قال: ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللهُ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ ﴾ يعني يدعون فيها إلى خلاف دين الله وهم يعلمون ذلك.

ثم قال: ﴿ وَلَو أَنَّ أَهْلَ الكِتَـٰبِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾. قال بعضهم: لو آمنوا بما أنزل الله واتقوا ما حرّم الله ﴿ لَكَفَّرْنَا عَنْهُم سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ النَّعِيمِ ﴾ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ قال بعضهم: إذاً لأعطتهم السماء قطرها، أو قال: بركتها، والأرض نباتها.

وقال الحسن: لأوسعنا لهم في الرزق بهذا المطر. وهو قوله: (وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ، أي على الإيمان، لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً) [الجن: 16] أي رَوَاء. وكقوله: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُّرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً) [نوح: 10-11]. وإقامتهم التوراة والإنجيل أن يؤمنوا بمحمد وما جاء به، لأنهم قد أمروا بذلك في كتابهم.

قوله: ﴿ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾ أي متَّبعة، يعني من آمن من أهل الكتاب برسول الله وبما جاء به. قال: ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ يعني من ثبت منهم على اليهودية والنصرانية.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتِهِ ﴾. ذكروا عن عائشة أنها قالت: من زعم أن محمداً نقص شيئاً من الوحي لم يخبر به فقد أعظم على الله الفرية؛ لأن الله يقول: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالاَتِهِ)[1].

قوله: ﴿ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ أي فلا يصلون إليك حتى تبلغ عن الله الرسالة ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَـٰفِرِينَ ﴾ وقال في سورة بني إسرائيل: (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ) [الإسراء: 60] أي فلا يصلون إليك حتى تبلغ عن الله الرسالة.

وقال الحسن: إن رسول الله شكا إلى ربه ما يلقى من قومه فقال: يا رب إن قومي خَوَّفوني فأعطني من قبلك آية أعلم أني لا مخافة علي. فأوحى إليه أن يأتي وادي كذا وكذا فيه شجرة، فليدع غصناً منها يأته. فانطلق إلى الوادي فدعا غصناً منها فجاء يخط في الأرض خطاً حتى انتصب بين يديه، فحبسه ما شاء الله أن يحبسه، ثم قال له: ارجع كما جئت، فرجع. فقال رسول الله: علمت يا رب ألا مخافة علي[2].

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، المائدة، باب يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، ولفظه عن عائشة: «من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب». وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان من حديث مطول ولفظه: «من زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية».

(2) رواه يحيى عن أبي أمية عن الحسن كما جاء في ز، ورقة 85 ولم أجده فيما بين يدي من كتب الحديث، وإن آثار الوضع لبادية عليه، فهل بالرسول عليه السلام من حاجة إلى علامة تطمئنه على أن الله حافظه وعاصمه بعد أن أمره بالتبليغ ووعده الحفظ والرعاية؟ كلا والله، ولكن المولعين بالإسرائيليات والأحاديث الغريبة لا يترددون في نسبة ما لا يليق بمقام الرسول ﷺ دون خجل أو حياء.

قوله: ﴿ قل يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالانْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ وفي إقامة التوراة والإنجيل الدخول في دين محمد وحكمه وشريعته لأن ذلك في كتبهم. قال: ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰناً وَكُفْراً ﴾ وقد فسَّرنا ذلك في الآية الأولى. قال: ﴿ فَلَا تَأْسَ ﴾ أي فلا تحزن ﴿ عَلَى الْقَوْمِ الكَـٰفِرِينَ ﴾ أي لا تحزن عليهم إذا لم يؤمنوا وقد أقمتَ عليهم الحجة.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَالذِينَ هَادُوا ﴾ أي تهوّدوا ﴿ وَالصَّابِئُونَ ﴾ وقد فسّرنا أمرهم في سورة البقرة[1] ﴿وَالنَّصَـٰرَىٰ﴾ أي: والذين تنصروا ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحاً﴾ يعني من آمن منهم بمحمد ودخل دينه وشريعته وحكمه. ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

قوله: ﴿ لَقَد أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ قد فسَّرنا أمر الميثاق في سورة آل عمران[2]. ﴿ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً ﴾ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ ﴾ يعني أوليهم. هو مثل قوله: ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيئِينَ بِغَيْرِ الحَقِّ) [البقرة: 61].

قوله: ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾. قال الحسن: حسبوا ألا يكون بلاء. وتفسير عمرو عن الحسن: وحسبوا أَلَّا يُبتلوا في الدين، أي يجاهدون فيه وتفرض عليهم الطاعة فيه لمحمد. قال: ﴿ فَعَمُوا وَصَمُّوا ﴾ يعني الذين حسبوا ألا تكون فتنة، (عَمُوا وَصَمُّوا) أي عن الهدى. ﴿ ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي جعل لهم متاباً فاستنقذهم بمحمد ﷺ ﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾ يعني من كفر منهم.

ذكر بعضهم قال: (فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا) قال: كلَّما عرض بلاء وابتلوا هلكوا فيه. قال: ﴿ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ المَسِيحُ يَا بَنِي

(1) انظر ما سلف ص 112.
(2) انظر ما سلف من هذا الجزء، ص: 296 - 297.

إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴾.

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾ قال بعضهم: قالوا: عيسى إلٰه، وأمه إلٰه والله إلٰه. وقد فسّرنا أصناف النصارى الثلاثة في سورة آل عمران[1].

قال الله: ﴿ وَمَا مِن إِلٰهٍ إِلَّآ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. أي موجع، يعني من ثبت على الكفر منهم.

قال: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ أي فكيف يكونان إلٰهين، وهما مخلوقان محتاجان إلى الغذاء لأنهما لا يقومان إلا به، ولا يبقيان إلا عليه. ﴿ انْظُرْ ﴾ يا محمد ﴿ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَـٰتِ ﴾ أي الحجج ﴿ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ أي كيف يوفكون عقولهم، أي كيف يصرفون عنها، أي عن الآيات والحجج التي احتج الله عليهم بها.

قال: ﴿ قل أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ أي فلا أسمع منه ولا أعلم.

قوله: ﴿ قُلْ يَـٰأَهْـلَ الكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ ﴾ والغلوّ مجاوزة الحق. ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَد ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ ﴾ يعني اليهود ﴿ وَأَضَلُّوا كَثِيراً ﴾ أي ممن اتبعهم. ﴿ وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ أي عن قصد السبيل، وهو طريق الحق والهدى.

قوله: ﴿ لُعِنَ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾.

قال بعض المفسرين: (عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ) أي في زمان داود فمُسخوا قردةً حين

(1) انظر ما سلف من هذا الجزء، ص: 274.

أكلوا الحيتان. وأما في زمان عيسى فَمُسِخِوا خنازير حيث قال الله: (إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّيَ أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَ أُعَذِّبُهُ أَحداً مِّنَ العَالَمِينَ) [المائدة: 115] فكفروا فمسخوا خنازير.

وقال الكلبي: لُعِنوا على لسان داود لمّا اعتدوا في السبت، دعا عليهم باللعن وقال: اللهم اجعلهم آية ومثلاً لخلقك، فأصبحوا قردة خاسئين. وأما لعنة عيسى، فمن أكل من المائدة ولم يؤمن قال عيسى حين كفروا: اللهمّ إنك قد وعدت من لم يؤمن بك وكفر بعد ما يأكل من المائدة تعذبه عذاباً لا تعذبه أحداً من العالمين. اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت؛ فأصبحوا خنازير.

قال: ﴿ كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾. وسنفسر ذلك في سورة الأعراف[1].

قوله: ﴿ تَرىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ ﴾ يعني من لم يؤمن منهم. ﴿ يَتَوَلَّوْنَ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي يتولون مشركي العرب. قال الله: ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [أي لأن سخط الله عليهم][2] ﴿ وَفِي العَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴾.

قال: ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُومِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ قال مجاهد: (وَلَوْ كَانُوا يُومِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيّ) أي: يتّقون الله ويتّقون النبي، يعني المنافقين، (مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ) أي ما وادّوهم ولا ناصحوهم.

قوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلذِينَ ءامَنُوا اليَهُودَ وَالذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ يعني مشركي العرب، وهم الذين كانوا بحضرة النبي من المشركين يومئذ. ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلذِينَ ءَامَنُوا الذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَـٰرَىٰ﴾ يعني من آمن منهم وكان على النصرانية في الأصل فآمن.

---

(1) سيأتي هذا مفصلاً في تفسير قوله تعالى: «وَاسْأَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التِي كَانَتْ حَاضِرَةَ البَحْرِ» الآية: 163 فما بعدها.

(2) زيادة من ز، ورقة 86.

قال: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً ﴾ يعني من آمن منهم ﴿ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن عبادة الله والإيمان به.

قوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ عَلَى الرَّسُولِ ﴾ يعني محمداً ﴿ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّـٰهِدِينَ ﴾ أي فاجعلنا مع الشاهدين، أي مع من يشهد بما جاء به محمد أنه حق.

وقال بعضهم: (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) أي مع أمة محمد الذين يشهدون يوم القيامة على الأمم أن رسلها قد بلغتها.

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ القَوْمِ الصَّـٰلِحِينَ ﴾ وهم أهل الجنة.

وقال الكلبي: في قوله: (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلذِينَ ءَامَنُوا الذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ) قال: هم أربعون رجلاً آمنوا بالنبي عليه السلام من النصارى: اثنان وثلاثون رجلاً من الحبشة، وثمانية من رهبان الشام. فلما رجعوا إلى أرضهم لامهم قومهم وقالوا: تركتم ملة عيسى ودين آبائكم، فردوا عليهم وقالوا: (مَا لَنَا لَا نُومِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ القَوْمِ الصَّالِحِينَ).

قال الله: (فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ المُحْسِنِينَ وَالذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَـٰتِنَا أُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ الجَحِيمِ ﴾ أي أهل النار.

وقال بعضهم: (ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً). قال: هم أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى؛ فلما بعث الله محمداً صدّقوه وآمنوا به، فأثنى الله عليهم ما تسمعون. وقال في القصص: (أُولَئِكَ يُوتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ) [القصص: 54] أي بإيمانهم بعيسى وإيمانهم بمحمد عليهما السلام.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَـٰتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ ﴾.

ذكروا عن الحسن أن ثلاثة من أصحاب النبي عليه السلام جعل أحدهم على نفسه ألا ينام أبداً، وجعل الآخر على نفسه ألا يفطر نهاراً أبداً، وجعل الآخر على نفسه ألا يغشى النساء أبداً [وكان عثمان بن مظعون ممن جعل على نفسه ألا يغشى النساء. وكانت امرأته تأتي أزواج النبي في شارة حسنة وريح طيبة. فلما جعل عثمان على نفسه ما جعل أتتهن على غير تلك الشارة، فأنكرن عليها، فقالت: إنما تصنع المرأة لزوجها وإن فلاناً وفلاناً جعلوا على أنفسهم كذا وكذا. فلما جاء رسول الله ذكرن ذلك له، فغضب وبعث إليهم فقال: ألم أحدّث عنكم بكذا وكذا؟ قالوا: بلى][1] قال: لكني أنا أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأغشى النساء وأدع، فمن رغب عن سنتي فليس مني[2]. فاستغفر القوم من ذلك وراجعوا أمرهم الأول.

وفي تفسير عمرو عن الحسن: (لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا) فإن ذلك اعتداء.

قوله: ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللهَ الذِي أَنْتُمْ بِهِ مُومِنُونَ ﴾. قال بعضهم: ذكر لنا أن رجالاً من أصحاب النبي عليه السلام رفضوا النساء واللحم وأرادوا أن يتخذوا صوامع. فلما بلغ ذلك نبي الله قال: ليس في ديني ترك النساء واللحم ولا اتخاذ الصوامع[3].

قوله: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾.

---

(1) ما بين المعقوفين تفصيل للقصة رأيت من المفيد إثباته كما ورد في مخطوطة ز، ورقة 86 للإيضاح، وأقرأ هذه القصة بتفصيل أكثر، وهي تتعلق بالحولاء، امرأة عثمان بن مظعون، في تفسير الطبري ج 10 ص 517.

(2) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح. وأخرجه مسلم أيضاً في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه... (رقم 1401) وهما يرويان عن أنس بن مالك.

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 10 ص 516 عن قتادة مرسلاً.

ذكروا عن جعفر بن أبي وحشية قال: قلت لسعيد بن جبير: قول الله: ﴿لَا يُوَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ أهو الرجل يحلف على الشيء وهو يرى أنه كذلك فلا يكون كذلك؟ قال: لا، ولكنه تحريمك ما أحلّ الله لك في يمينك، فذلك الذي لا يؤاخذك الله بتركه.

وقال الحسن وغيره: هو الشيء يحلف عليه الرجل وهو يرى أنه كذلك فلا يكون كذلك[1].

ذكروا عن عطاء أنه قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فسألناها عن هذه الآية فقالت: هو قول الرجل: لا والله، وبلى والله[2].

﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ أي: ما حلفتم فيه معمّدين. وقال بعضهم: ما تعمّدت فيه المأثم فعليك فيه الكفارة.

قال: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

ذكروا عن الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: يا عبد الرحمٰن لا تسأل الإمارة، فإنك إن تُعطهَا عن مسألة تُكَلْ إليها، وإن تُعْطَهَا عن غير مسألة تُعَن عليها. وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأْت الذي هو خير وكفر عن يمينك[3].

ذكروا عن الحسن أنه قال: من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفّر عن يمينه إلّا طلاق أوعتاق.

---

(1) كذا في ع و د. وفي ز، ورقة 87 ما يلي: «عن الحسن وقتادة قالا: هو الخطأ غير العمد؛ وذلك أن تحلف على الشيء وأنت ترى أنه كذلك فلا يكون كما حنثت عليه.

(2) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.

(3) انظر تخريجه فيما مضى من هذا الجزء، ص 213.

قوله: (فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنَ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ)، أي يشبعهم. إن شاء أعطى كل إنسان منهم مدّين قمحاً، وإن شاء مدّاً واحداً وإن شاء جمعهم على ثريد بخبز ولحم، أو خبز وسمن، أو خبز وزيت، أو خبز ولبن؛ إن شاء غَداء وعَشاء، وإن شاء أكلة واحدة غَداء أو عَشاء؛ وإن كانوا صغاراً فغداء وعشاء. وإن لم يجد عشرة مساكين جميعاً أطعم من وجد منهم اليوم، ثم أطعمهم غداً، ثم أطعمهم بعد غد حتى يتموا عشرة.

وأما قوله: أو كسوتهم فإن شاء كسا كل واحد منهم ثوبين وإن شاء ثوباً واحداً. وقال بعضهم: إن كسا ثوباً واحداً كان ثوباً جامعاً كساء وملحفة.

وذكر الحسن أن أبا موسى الأشعري كسا في كفارة اليمين لكل مسكين ثوبين معقدين من معقد البحرين. وبه كان يأخذ الحسن.

قوله: (أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) إن شاء أعتق رقبة صغيرة أو كبيرة، وإن كانت من أهل الكتاب فلا بأس.

قوله: (فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ) أي: فمن لم يجد من هذه الأشياء الثلاثة شيئاً من الإطعام أو الكسوة أو العتق فهو في ذلك مخيّر يفعل أيَّ ذلك شاء. وكل شيء في القرآن أو، أو، فهو في ذلك مخيّر، وكل شيء في القرآن كذا وكذا، فمن لم يجد فكذا وكذا، فمن لم يستطع فكذا وكذا فإنه يبدأ بالأول فالأول.

قوله: (فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ). أي: متتابعة، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود: (ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ).

قال: (ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَـٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أي لكي تشكروا نعمة الله.

ذكر بعضهم قال: الأيمان أربعة: يمينان تكفران، ويمينان لا تكفّران فأما اللتان تكفّران [فهو أن يقول الرجل والله لا أفعل فيفعل، أو يقول: والله لأفعلن ثم لا يفعل،

وأما اللتان لا تكفران][1] فالرجل يقول: والله ما فعلت وقد فعل، والرجل يقول: والله قد فعلت ولم يفعل ذلك.

ذكروا عن ابن عباس أن رجلين تخاصما إلى النبي ﷺ فكلف المدَّعِيَ البينةَ فلم تكن له بينة، فاستحلف المدَّعى عليه بالله الذي لا إله إلا هو، فحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما له عندي حق. فنزل جبريل فقال له: قل له يرد على الرجل حقّه، وكفارته شهادته أو معرفته أن لا إله إلا الله.

قال بعضهم: إنما تكون الكفارة في المستقبل إذا حلف أن يفعل أو لا يفعل؛ فإذا أخبر عما مضى فليس عليه كفارة، وإن كان لم يتعمد فليس عليه فيه مأثم، فإن تعمّد الكذب فهو آثم، وليس على واحد منهما كفارة، ولكن يستغفر الله ولا يعود.

وذكروا عن الحسن في الرجل يقول للرجل؛ والله لتفعلن ويقول الآخر: والله لا أفعل فلا يفعل، فليس على أحد منهما كفارة؛ يقول: إنما تكون الكفارة عليه إذا حلف على نفسه، وأما إذا حلف على غيره فلا كفارة. وليس ينبغي أن يحلف على الغير[2] أن يفعل أو لا يفعل حتى يقول: إن شاء الله؛ وهو قوله: (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً إِلَّآ أَن يَّشَاءَ اللهُ) [الكهف: 23-24] أي: تقول: إن شاء الله.

وكان بعضهم يقال: إذا استثنى في اليمين قبل أن يتكلّم بَينهما بشيء فله ثنياه[3].

---

(1) سقط ما بين القوسين المعقوفين من ع و د، والسياق والمعنى يقتضيانه. والتصحيح من تفسير القرطبي ج 6 ص 265 مع تفصيل يراجع هناك.

(2) كذا في ع: «على الغير» وما سبق من سياق الكلام يؤيده. وفي د: «على الغيب» وله وجه أيضاً، وإيراد الآية بعده يؤيده لأن الغد غيب.

(3) جاء في ع: «قبل أن يتكلم قبلها بشيء». وفي د: «قبل أن يتكلم بينهما بشيء» هذه العبارة الأخيرة أولى بالصواب أي: بين الاستثناء واليمين، وصورته ما ورد في الصحيحين عن رسول الله ﷺ: إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني.

ذكروا عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: إن استثنى فله ثنياه[1].

وقال بعضهم: ليس الاستثناء بشيء حتى يجهر باليمين.

وسئل بعضهم عن الرجل يحلف على الشيء الواحد فقال: كفارة واحدة. وكان الحسن يقول ذلك. وقال أبو عبيدة: إن جمع فكفارة واحدة وإن فرّق فلكل يمين كفارة.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

أما الميسر فهو القمار كله. والأنصاب هي أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله. والأزلام القداح، وهي السهام. كان أحدهم إذا أراد سفراً أخذ قدحين فقال: هذا يأمرني بالخروج، وهذا يأمرني بالمقام، مكتوب عليهما هذا. والمنيح بينهما؛ فأيهما خرج عمل به. وأما ذكر الخمر في هذه الآية ففيها نزل تحريم الخمر، وقد فسّرناه في سورة البقرة[2].

قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَـٰنُ أَن يُّوقِعَ بَيْنَكُمُ العَـدَوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ كانوا إذا شربوا الخَمر فسكروا عدا بعضهم على بعض فكانوا يتقامرون حتى لا يبقى لأحدهم شيء. فكان يورث ذلك بينهم عداوة.

وقال بعضهم: الميسر القمار كله. قال: وذكر لنا أن نبي الله ﷺ نهى عن اللعب بالكعبين، وقال: هو ميسر العجم[3].

وكان الرجل في الجاهلية يقامر على عز ماله وأهله فيقعد حزيناً سليباً ينظر إلى ماله في يد غيره، فكانت تورث بينهم عداوة فنهى الله عن ذلك.

(1) أخرجه ابن ماجه في الكفارات؛ باب الاستثناء في اليمين (رقم 2104) عن أبي هريرة بلفظ: من حلف فقال إن شاء الله فله ثنياه.

(2) انظر ما سلف من هذا الجزء ص 205 - 207.

(3) أخرجه أحمد والبيهقي عن ابن مسعود بلفظ: إياكم وهذه الكعاب الموسومة التي تزجر زجراً فإنها ميسر العجم.

قوله: ﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَوٰةِ فَهَل أَنْتُم مُّنْتَهُونَ ﴾. كان أنزل في سورة البقرة: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) [البقرة: 219] فذمّها في هذه الآية وهي يومئذ حلال. وبلغنا أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال: إن الله يقرب في تحريم الخمر[1]. ثم نزلت آية أشدّ منها: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلَـوٰةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) [النساء: 43]. فكانوا يشربونها حتى إذا حضرت الصلاة أمسكوا. وكان السكر عليهم منها حراماً، وأحل لهم ما سوى ذلك. ثم جاء تحريمها في هذه الآية: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ والأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانِ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ والمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَـوٰةِ فَهَل أَنْتُم مُّنتَهُونَ) [فجاء تحريم الخمر قليلها وكثيرها ما أسكر منها وما لم يسكر][2].

ذكر بعضهم قال قال رسول الله ﷺ: من شرب الخمر ثم لم يسكر أعرض الله عنه أربعين ليلة، ومن شرب الخمر ثم سكر لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً أربعين ليلة، فإن مات فيها مات كعابد الأوثان، وكان حقاً على الله أن يسقيه الله من طينة الخبال. قيل يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار في النار: القيح والدم[3].

قوله: ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا البَلَـٰغُ المُبِينُ ﴾.

﴿ لَيْسَ عَلَى الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا

---

(1) أخرجه عبيد بن حميد عن قتادة مرسلاً بلفظ أن الله قد تقرب في تحريم الخمر، وانظر السيوطي، الدر المنثور ج 2 ص 216.

(2) زيادة من ز، ورقة 87.

(3) رواه أحمد في مسنده بمعناه عن أسماء بنت يزيد الأنصارية، ورواه يحيى بن سلام عن محمد بن أبي حميد عن محمد بن المنكدر مرسلاً.

وَّءَامَنُوا﴾. قال بعضهم: شربها القوم على تقوى من الله وإحسان، وهي يومئذ لهم حلال، ثم حرمت بعدهم، فلا جناح عليهم فيما شربوا قبل التحريم وقال السدي: (فِيمَا طَعِمُوا) أي فيما شربوا، يعني الحي منهم والميت قبل تحريمها. ﴿ ثُمَّ اتَّقَوا وَّءَامَنُوا﴾ أي صدقوا بتحريمها ﴿ ثُمَّ اتَّقَوا ﴾ أي اتقوا شربها ﴿ وَّأَحْسَنُوا ﴾ العمل بعد تحريمها فلم يشربوها، ومن فعل ذلك فهو محسن. ﴿ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي الذين يأخذون بالسنة.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ ﴾ أي ليختبرنَّكم الله ﴿ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ قال مجاهد: رماحكم ونبالكم تنال كبير الصيد، وأيديكم تنال صغير الصيد أخذاً. قوله: ﴿ لِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَّخَافُهُ بِالغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِك فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قال مجاهد: إن قتله ناسياً لإحرامه غير متعمد لقتله فعليه الجزاء. وإن قتله ذاكراً لإحرامه غير متعمد لقتله فعليه الجزاء، وإن قتله ذاكراً لإحرامه متعمّداً لقتله فله عذاب أليم، لكن ليس عليه الجزاء. قال الحسن: (فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ) أي بعد التحريم [وصاد][1] في الإحرام فله عذاب أليم.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَاماً ﴾.

كان الحسن يقول: حكم الحكمين ماض أبداً. وقد يحكم الحكمان بما حكم به رسول الله، ولكن لا بد أن يحكما.

ذكروا عن الحسن وعطاء أنهما قالا: إذا أصاب الرجل صيداً حكم عليه مثل من النعم، فإن لم يجد قوّم وَرِقاً، ثم قوّم طعاماً ثم صام لكل مد يوماً في قول عطاء وقال الحسن: لكل مدين يوماً.

وقال بعضهم: يحكمان في النعم، فإذا كان صيداً لم يبلغ النعم حَكَمَا طعاماً

(1) زيادة من ز، ورقة 87، وفيه: «وصاد وهو محرم».

وصوماً. قال سعيد بن جبير: يحكمان في النعم، وإنما الطعام والصوم فيما لم يبلغ ثمن النعم. والصوم فيه من ثلاثة أيام إلى عشرة أيام.

ذكروا أن عمر بن الخطاب جعل في الظبي شاة، وفي الضبع كبشاً، وفي الأرنب عناقاً[1] وفي اليربوع جفرة[2].

ذكر أبو يزيد المدني[3] أن رسول الله ﷺ جعل في الضبع كبشاً. وقال عطاء: في الضبع كبش نجدي. ذكر أبو المليح[4] أن عمر بن الخطاب جعل في الظبي شاة عفراء. ذكر أبو المليح الهذلي أن عبد الله بن مسعود قال: في النعامة بدنة.

ذكروا أن رجلاً قال لعبد الله بن عمر: أصبت ولد أرنب وأنا محرم، قال: يا عمر، قل فيها. قلت: أنت أحق أن تقول. قال: أجل، ولكن الله يقول: يحكم به ذوا عدل منكم، فقلت: ولد شاة، فقال: ولد شاة.

ذكر بعضهم قال: في البقرة الوحشية بقرة. ذكروا عن عطاء أنه قال في رجل أصاب بقرة نتوجاً، فقال: فيها بقرة نتوج حامل. وذكروا عن عطاء في رجل أصاب ظبية والداً، فقال: فيها شاة والد.

ذكر بعضهم قال: يحكم عليه في الخطأ والعمد، وهو قول العامة. تفسيرهم على أنه ذاكر لإحرامه، وإن كان قتله خطأ؛ ويوجبون أيضاً على من قتل ناسياً لإحرامه الجزاء.

---

(1) العناق واحدة العُنُوق: الأنثى من أولاد المعزى إذا أتت عليها سنة، وقيل ما لم تأت عليها سنة.

(2) الجفرة: العناق إذا شبعت من البقل والشجر، واستغنت عن أمها.

(3) لم أجد فيما بين يدي من كتب التراجم اسم أبي يزيد «المدني»، كما في د أو «العدي»، كما في ع. وقد أورد هذا الخبر القرطبي في تفسيره ج 6 ص 311، وقال: رواه أبو الزبير عن جابر مرفوعاً. وأبو الزبير هذا هو محمد بن تدرس المكي الذي يروي عن جابر، وهو تابعي ثقة أخرج له الجماعة وهو مترجم في كتب التراجم، انظر مثلاً: السيوطي، طبقات الحفاظ ص 50.

(4) أبو المليح الهذلي، ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ج 4 ص 576، وقال عنه: خرج له الحاكم في المستدرك في كتاب الدعاء.

قال بعضهم: يحكم عليه حيث أصابه. ذكروا عن عطاء عن ابن عباس أنه قال: يؤكل من الهدي إلا من جزاء الصيد، أو فداء، أو نذر.

قوله: ﴿ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ أي عقوبة فعله. ﴿ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ ﴾. ذكروا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لا جزاء دون نقمة الله. ذكروا عن عطاء بن السايب عن شريح قال: يحكم عليه كلما عاد. ذكروا عن سعيد بن جبير قال: يحكم عليه كلما عاد.

قال بعضهم: إن كان أصابه خطأً يحكم عليه كلما عاد، وإن كان أصابه عمداً ترك والنقمة. وقال بعضهم: ذكر لنا أن رجلاً عاد فبعث الله عليه ناراً فأكلته. قوله: ﴿ وَاللهُ عَزِيزٌ ﴾ قال عزيز في نقمته ﴿ ذُو انْتِقَامٍ ﴾.

قوله: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ ﴾. ذكر عمرو عن الحسن أنه كان لا يرى بأساً أن يصيد المحرم الحيتان. وسئل الزهري عن ذلك فقال: لا بأس به. قوله: ﴿ وَطَعَامُهُ ﴾ يعني بطعامه ما قذف[1] وكان ابن عمر يقول ذلك.

قوله: ﴿ مَتَـٰعاً لَّكُمْ ﴾ أي بلاغاً لكم ﴿ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ أي للمسافرين. قال بعضهم: (مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ) هو السمك المملوح الذي يتزوّده الناس لأسفارهم.

قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُوا اللهَ الذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

ذكروا عن أبي هريرة أنه قال: استفتاني قوم بالبحرين على لحم صيد صاده حلال، أيأكله المحرم؟ فأفتيتهم بأكله. فبلغ ذلك عمر بن الخطاب. فلما قدمت قال

(1) اختلف العلماء في المقصود «بطعامه». والجمهور على أنه الحوت الذي قذفه البحر إلى الساحل ميتاً. وذهب جابر بن زيد والسدي وسعيد بن جبير إلى أن طعام البحر إنما هو الحوت المليح. وقد روى عمرو بن دينار عن جابر بن زيد قال: «كنا نحدث أن طعامه مليحه، ويكره الطافي منه». وذكر أبو الحواري في كتابه تفسير خمسمائة آية ص 80 أن المقصود بطعامه في الآية «السمك المالح». انظر تفصيل هذا الاختلاف وترجيح الطبري في تفسيره ج 11 ص 65-71.

لي: ما أفتيت به القوم، فأخبرته، فقال: لو أفتيت بغير هذا لأوجعتك ضرباً؛ وقال: إنما يحرم عليك صيده، أي: أن تصيده[1].

ذكروا أن عثمان بن عفان لما نزل بقديد[2] أوتي بالحجل في الجفان، فقال: كلوا، ولم يأكل وقال: لولا أظن أنه صِيدَ من أجلي أو أميت من أجلي لأكلته.

ذكروا عن جابر بن عبد الله أنه قال: قال رسول الله ﷺ: صيد البر لكم حلال إلا ما صدتم أو صيد لكم. يعني في الإحرام[3].

ذكروا أن رسول الله ﷺ أهدى إليه أعرابي بيضات نعام و[رجل][4] حمار وحشي فقال: أطعمهم أهلك فإنا قوم حُرُم[5].

ذكر عكرمة عن ابن عباس أنه كان يكرهه ويقول: هي مبهمة، أي قوله: (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً).

قوله: ﴿ جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَـماً لِلنَّاسِ ﴾. ذكروا عن الحسن قال: ما يزال الناس على دين ما حجوا البيت واستلموه. ذكروا عن ابن عباس أنه قال لو تركوا هذا البيت عاماً واحداً ما مطروا.

---

(1) نسب مثل هذا الخبر إلى عبد الله بن عمر، انظر محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عبد الله بن عمر، ص 83. وانظر الطبري ج 11 ص 97.

(2) قُدَيد، بالتصغير، موضع بالحجاز قرب مكة في الطريق إلى المدينة.

(3) حديث صحيح رواه أحمد والنسائي، ورواه أبو داود في المناسك، باب لحم الصيد للمحرم عن جابر بن عبد الله (رقم 1851) ورواه ابن ماجه في المناسك أيضاً باب ما ينهى عنه المحرم من الصيد (رقم 3090) عن صعب بن جثّامة.

(4) زيادة من تفسير الطبري ج 11 ص 86.

(5) أخرجه ابن ماجه في المناسك، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 11 ص 86 ورواه البخاري في الصحيح عن عبد الله بن عباس عن الصعب بن جثامة في باب إذا أهدي المحرم حماراً وحشياً لم يقبل. أما المُهْدِي فهو الصعب بن جثامة الليثي. ترجم له ابن عبد البر في باب الأفراد في حرف الصاد ج 3 ص 739، وقال: كان ينزل ودّان من أرض الحجاز، وتُوفي في خلافة أبي بكر.

قوله: ﴿ وَالشَّهْرَ الحَرَامَ ﴾ الأشهر الحرم الأربعة دائم تحريمها إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَالهَدْيَ وَالقَلَـٰئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَـٰوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

قال بعضهم: كانت هذه في الجاهلية حواجز. قال: كان الرجل لو جرّ كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يُتناول. وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يمسَّه. وكان الرجل لو لقي الهدي مقلّداً وهو يأكل العصب من الجوع لم يمسَّه. وكان الرجل إذا أراد البيت الحرَامَ تَقلَّدَ قِلادةً من شعَر حتى يبلغ مكة. وإذا أراد أن يصدر من مكة تقلّد قلادة من لِحَاء السَّمُر أو من الإذخر فتمنعه حتى يأتي أهله.

ذكروا عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قلَّدَ هديه نعلين. وقد فسّرنا أمر القلائد قبل هذا الموضع[1]. ذكروا عن عائشة بنت سعد أن أباها كان يقلد هديه نعلاً.

قوله: ﴿ إِعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ أي لمن أراد أن ينتقم منه ﴿ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. قوله: ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا البَلَـٰغُ ﴾ كقوله: (فَإِنْ تَوَلوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلَاغُ ﴾ [آل عمران: 20] ثم قال: ﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ قُل لَا يَسْتَوِي الخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ يعني الحلال والحرام ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخَبِيثِ ﴾ أي كثرة الحرام ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَـٰبِ ﴾ يا ذوي العقول ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾. أي لكي تفلحوا.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ القُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللهُ عَنْهَا وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾.

قال الحسن: سألوا رسول الله ﷺ فأكثروا حتى غضب غضباً شديداً. وسألوه عن أمور الجاهلية التي قد عفا الله عنها، قال: سلوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به إلى يوم القيامة، حتى أتى رجل فقال: يا رسول الله من أبي؟

(1) انظر ما سلف من تفسير في أوائل هذه السورة ص 444 - 445.

فقال: أبوك حذافة. ذكروا عن أنس بن مالك أن ابن حذافة بن قيس هو الذي سأله: من أبي، فقال: أبوك حذافة. قال الحسن: فأتاه رجل فقال: أين أنا يا رسول الله فقال: أنت في النار[1].

فلما رأى عمر بن الخطاب الجواب قام فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، ونعوذ بالله من شر عاقبة الأمور. فأنزل الله: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ)... إلى آخر الآية.

ذكروا عن سلمان الفارسي أنه قال: ما أحل الله فهو حلال، وما حرّم الله فهو حرام، وما سكت عنه فقد عفا عنه[2]. قال الحسن: ثم قال الله:

﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَـٰفِرِينَ ﴾ ذكروا عن الحسن أن رجلاً قال: يا رسول الله، قول الله: (وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ البَيْتِ) [آل عمران: 97] أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما قمتم بها، ولو تركتموها لكفرتم، فذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم أنبياءهم واختلافهم عليهم. وما أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، أو فأتموه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فانتهوا[3]. وزاد فيه بعضهم: عن الحسن عن النبي عليه السلام: إنما هي حجة وعمرة فمن قضاهما فقد قضى الفريضة أو قضى ما عليه، فما أصاب بعد ذلك فهو تطوّع[4]. وبعضهم يقول: وفي هذا أنزلت هذه الآية.

(1) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب التعوذ من الفتن عن أنس، وأخرجه في كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلّف ما لا يعنيه، عن أبي موسى الأشعري.

(2) نسب البغوي في شرح السنة ج 1 ص 311 هذا القول إلى عبيد بن عمير من رواية سفيان بن عيينة ابن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير «قال: إن الله أحل حلالاً وحرم حراماً، فما أحل...» الخ.

(3) انظر تخريجه فيما سلف من هذا الجزء ص: 301.

(4) هذه الزيادة أوردها أبو داود في أول كتاب المناسك، باب فرض الحج (رقم 1721) هكذا: «عن ابن عباس أن الأقرع ابن حابس سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، الحج في كل سنة أو مرة واحدة؟ قال: بل مرة واحدة، فمن زاد فهو تطوع».

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن أعظم الناس في المسلمين جرماً من سأل عن مسألة لم تكن فحرمت من أجل مسألته لم تكن قبل ذلك حراماً[1].

ذكروا عن عمر بن الخطاب أنه قال: أحرِّج بالله[2] على كل امرىء سأل عما لم يكن فإن الله قد بيّن فيما هو كائن.

قوله: ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ ﴾ ذكروا عن أبي الأحوص أنه قال: كان هذا فينا معشر قريش؛ البحيرة التي يقطع أطراف آذانها، والسائبة التي كانوا يسيّبونها لآلهتهم، والوصيلة الشاة تلد سبعة أبطن السابع جدياً وعناقاً فيقولون: قد وصلت، وسمعت بعضهم يقول: قد وصلت أخاها، فيتركونها، والحام: الجمل يَضرِب لصلبه العشرةُ من ولده فيقولون: حمى ظهره، فيُترك فلا يُزمّ ولا يُخطَم ولا يُركب ولا يُرَد عن حوض الماء حتى يموت.

قال بعضهم: كانت البحيرة من الإبل، كانت الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن نظر إلى البطن الخامس فإن كان سقباً[3] أكله الرجال دون النساء، وإن كان ميتة اشترك فيه ذكرهم وأنثاهم، وإن كانت هي أنثى فتُبُتِّك[4] أذنها، وتركت، فلم يُجزّ لها وبر، ولم يُشرب لها لبن، ولم يُركب لها ظهر، ولم يُذكر لله عليها اسم. وكانت السائبة، يسيّبون ما بدا لهم من أموالهم فلا تمنع من مرعى ترعى فيه، ولا من حوض تشرع[5] فيه. وكانت الوصيلة من الشاء؛ كان الرجل إذا أنتج سبعة من غنمه نظر إلى البطن السابع

(1) حديث متفق على صحته أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال عن سعد بن أبي وقاص بلفظ: «إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يُحَرَّمْ فحرم من أجل مسألته، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب توفيره ﷺ وترك إكثار سؤاله...» (رقم 2358).

(2) كأن العبارة قسم، والإحراج والتحريج: التضييق والتأثيم.

(3) السقب: ولد الناقة إذا كان ذكراً.

(4) كذا في ع و د، تبتك، وفي ز، ورقة 88: «وإن كانت أنثى بحروا أذنها أي شقوها وتركت».

(5) في د و ع: «من حوض تستريح فيه» وفيه تصحيف صوابه ما أثبته: «تشرع فيه» أي تَرِده وتشرب منه.

فإن كان ذكراً ذُبح وكان للرجال دون النساء، وإن كان ميتة اشترك فيه الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تركت، وإن جاءت بذكر وأنثى جميعاً قيل: قد وصلت أخاها، فمنعته الذبح. وكان الحامي إذا ركب من ولد ولده الفحل عشرة قيل له حام، حمى ظهره فلا يُزم ولا يُخطم ولا يُركب.

وقال الحسن: هو مثل قوله تعالى: (قُل أَرَأَيْتُم مَّا أَنْزَلَ اللهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُل ءَآللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ) [يونس: 59].

قوله: ﴿ وَلَكِنَّ الذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾. قال بعضهم: لا يعقلون تحريم الشيطان الذي حرَّم عليهم.

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالوا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ﴾ وهم مشركو العرب، يعنون ما وجدوا عليه آباءهم من الشرك وعبادة الأوثان. قال الله: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ أي يطيعونهم ولو كانوا لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون.

قوله: ﴿ يَـأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي: إذا لم يُقبل منكم ﴿ لاَيَضُرُّكُم مَّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ ليس هذا في ضلال الكفر، ولكن في ضلال عن الحق في الإسلام. ﴿ إِلى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

ذكر عن الحسن أنه قرأ هذه الآية فقال: اللهم لك الحمد عليها وعلى أشباهها.

وعن [الحسن قال: قرئت هذه الآية عند] عبد الله بن مسعود فقال: [ليس هذا بزمانها](1) قولوها ما قُبلت منكم، فإذا ردّت عليكم فعليكم أنفسكم.

ذكر أبو مازن(2) قال: قدمت المدينة في حياة عثمان بن عفان، فرفعت إلى حلقة من أصحاب رسول الله ﷺ، فتلا رجل من القوم هذه الآية. فقال رجل من أسنّ

(1) ما بين القوسين زيادة من ز، ورقة 89، لتستقيم العبارة ويتم النص.
(2) في ع و د أبو رمان، وفيه تصحيف صوابه ما أثبته: أبو مازن. كان «من صلحاء الأزد، من بني الحُدّان»، روى عنه قتادة هذا الخبر في تفسير الطبري ج 11 ص 141-142.

القوم: دع هذه الآية فإنما تأويلها في آخر الزمان. قال بعضهم: قد جاء تأويلها. [إذا] أقبل رجل على نفسه ولها من الناس إلا بخير[1].

ذكر شيخ من أهل دمشق قال: كنا قعوداً بالجابية[2] في مجلس فيه كعب وأبو الدرداء. فجاءهم رجل فسلّم ثم جلس فقال: رأيت أمراً كرهته لله. إن صاحبه لخليق أن يعاقَب ويُنكل. فقال رجل من القوم: أقبل على نفسك ودع الناس عنك، إن الله قال في كتابه العزيز: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً) فقال كعب: لا تطعه، ذبّ عن محارم الله ذَبَّك عن عَيْبتك[3] حتى يقع تأويل هذه الآية. فقال أبو الدرداء: متى يقع تأويلها؟ فقال: إذا رأيت كنيسة دمشق هدمت وبني مكانها مسجد فذاك من تأويلها، وإذا رأيت العصب[4] فذاك من تأويلها، وإذا رأيت الكاسيات العاريات فذلك من تأويلها[5].

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيَّةِ

---

(1) كذا وردت هذه العبارة في ع و د، بدون «إذا» في أولها. ولم أهتد لمعنى واضح لها تطمئن إليه النفس. ولعل كلمة لها تعني أعرض وترك فيكون المعنى: لها عن الناس وتركهم إلا إذا ذكرهم بخير. والله أعلم

(2) الجابية: قرية من أعمال دمشق، فتحها المسلمون في عهد أبي بكر، ونزل بها عمر بن الخطاب واتخذها معسكراً حين قدم إلى الشام لفتح بيت المقدس. انظر تاريخ الطبري، ج 3 ص 607-608.

(3) في ع: عينيك، وفي د: غيبتك، وفي الكلمتين تصحيف صوابه ما أثبته؛ وعيبة الرجل خاصته من أهله وموضع سره. وأصل العيبة: وعاء من آدم: يجعل فيه الثياب وكل متاع عزيز، انظر اللسان: (عيب).

(4) العصْب: ضرب من برود اليمن: سمي كذلك لأن غزله يعصب، أي يدرج، يجمع ثم يصبغ ثم يحاك.

(5) لم أجد فيما بين يدي من كتب التفسير هذا الخبر مفصلاً عن مجلس يجمع من جلة الصحابة أمثال كعب وأبي الدرداء. وقد أشار إليه ابن كثير إشارة عابرة في تفسير الآية، ولم يرو إلا قول كعب: «إذا هدمت كنيسة دمشق. وظهر لبس العصب، فحينئذ تأويل هذه الآية». انظر تفسير ابن كثير ج 2 ص 670.

اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَو ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُم﴾ وفي هذه الآية تقديم: يقول: يا أيها الذين آمنوا إذا حضر أحدكم الموت فأشهدوا ذوي عدل منكم.

قال الحسن أي: من المسلمين، من العشيرة، لأن العشيرة أعلم بالرجل وبولده وماله، وأجدر ألا ينسوا ما يشهدون عليه. فإن لم يكن من العشيرة أحد، فآخران من غيركم، أي من غير العشيرة.

قال: ﴿ إِنَ انْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ المَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَوٰةِ﴾ فإن شهدا وهما عدلان مضت شهادتهما، وإن ارتبتم في شهادتهما حبسا بعد صلاة العصر. وفيها تقديم؛ ثم تحبسونهما من بعد الصلاة إن ارتبتم. قال الحسن: ولو كانا من غير أهل الصلاة[1] ما حلفا دبر الصلاة.

قال: ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلاَ نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ اللهِ إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الآثِمِينَ ﴾ فتمضي شهادتهما.

﴿ فَإِنْ عُثِرَ ﴾ أي اطلع ﴿ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً ﴾ أي شهدا بزور، ردت الأشياء على الورثة الشاهدين، وهو قوله: ﴿فئاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَـٰنِ ﴾ يعني من الورثة ﴿ فَيُقْسِمانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الظَّـٰلِمِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ ذَلِكَ أَدْنىٰ ﴾ [أي أجدر][2] ﴿ أَن يَّأتُوا بِالشَّهَـٰدَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُـرَدَّ أَيْمَـٰنٌ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾.

قال الحسن: أراد الله أن ينكل الشهود بعضهم على بعض، ولم تكن عند الحسن منسوخة.

ذكر عبد الله بن عون قال: قلت للحسن: هل نسخ من المائدة شيء؟ قال: لا.

(1) في ز ورقة 89: «أهل الكتاب» وهو خطأ صوابه ما جاء في ع و د: «أهل الصلاة».
(2) زيادة من ز، ورقة 89.

ذكروا عن الحسن قال: كان المسلمون أمروا أن يُشهدوا من عشائرهم، ثم رخص لهم بعدُ أن يشهدوا من غير عشائرهم.

قال بعضهم: هذا رجل مات بغربة من الأرض في غير عشيرته، وأوصى بوصية، وأشهد عليها رجلين. فإن ارتيب في شهادتهما استُحْلِفا بعد العصر؛ وكان يقال: وعندها تصير الأَيْمان. (فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً) قال: فإن اطُّلِع منهما على خائنة[1] أنهما كذبا أو كتما، أو جاء شاهدان يشهدان بغير ما شهدا به، أجيزت شهادة الآخرين وأبطلت شهادة الأولين. قال الله: (ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَّأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ) أي ذلك أحرى أن يصدقوا فيها وأن يخافوا العَقِب[2].

ذكروا عن عطاء بن السائب في قوله: (أَوَ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمُ) أي من أهل الكتاب.

وقال الكلبي: إن رجلاً لبني سهم[3] انطلق في تجارة ومعه تميم الداري ورجل آخر[4]، وهما نصرانيان يومئذ. فلما حضر الرجلَ الموت كتب وصية ثم جعلها في ماله ومتاعه، ثم دفعه إليهما فقال: أبلغا هذا أهلي: فانطلقا لوجههما الذي توجها إليه. وفتّشا متاع الرجل بعد موته فأخذا ما أعجبهما فيه، ثم رجعا بالمال إلى أهل الميت. فلما فتش القوم المال افتقدوا بعض ما خرج به صاحبهم معه. ونظروا في الوصية فوجدوا المال فيها تاماً. فكلموا تميماً وصاحبه فقالوا: هل باع صاحبنا شيئاً أو اشترى

(1) كذا في ع و د: «خائنة» وفي تفسير الطبري، ج 11 ص 202: «على خيانة» وكلاهما صحيح فصيح، فقد يأتي وزن فاعلة في موضع المصدر.

(2) في ع: «العيب»، وفي د: «الغيب» وفي تفسير الطبري ج 11 ص 205: «العقب» بمعنى العاقبة. وللكلمة الأولى أيضاً وجه من التأويل، أي: يخافوا عيب الكذب وردّ شهادتهما.

(3) هو بديل بن أبي مريم، وقيل بن أبي مارية، مولى عمرو بن العاص.

(4) هو عدي بن براء. أما تميم الداري فقد أسلم سنة تسع للهجرة وحسن إسلامه. وقد وهب له الرسول ﷺ قريتين من بيت لحم بطلب منه، وكتب له في ذلك كتاباً.

شيئاً فوُضِعَ فيه[1]؟ قالا: لا. فقالوا: هل مرض فطال مرضه فأنفق على نفسه؟ فقالا: لا. فقالوا: إنا نفتقد بعض ما أبدى به[2] صاحبنا، فقالا: لا علم لنا بالذي أبدى به ولا بما كان في وصيته، ولكنه دفع إلينا المال فبلّغناه كما هو. فرفعوا الأمر إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية. فقدما فحلفا عند منبر رسول الله ﷺ دبر صلاة العصر، فخلّى سبيلهما. فاطلع على إناء من فضة منقوش مموّه بذهب عند تميم، فقالوا: هذا من آنية صاحبنا التي كانت مع صاحبنا، وقد زعمتما أنه لم يبع شيئاً ولم يشتره. قالا: لا، فإنا كنا اشتريناه منه فنسينا أن نخبركم به. فرفع أمرهما إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية. (فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الذِينَ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ). فقام رجلان من أولياء الميّت، يزعمان أنهما عبد الله بن عمر[3] والمطلب بن أبي رفاعة، فحلفا بالله إن ما في وصيته حق، وإن خيانة بتميم وصاحبه. فأخذ تميم وصاحبه بما وجد في أوصيته لما اطلع عليه عندهما من الخيانة لقول الله: (ذَلِكَ أَدْنَى، أي أجدر، أَن يَّأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا)... إلى آخر الآية.

وبعضهم يقول: هي منسوخة. لا يحلف الشاهدان اليوم؛ إن كانا عدلين جازت شهادتهما، وإن لم يكونا عدلين لم تجز شهادتهما. قال الله في سورة البقرة: 282: (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ). وقال في سورة الطلاق: 2: (وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنْكُمْ) ولم يجعل على الشاهد أن يحلف. ولا يستوجب المدَّعي بنفسه الحق، إن شهد له شاهدان ذوا عدل قُضِيَ له، وإن لم تكن له بيّنة استحلِف له المدعى عليه.

(1) وُضع فيه، أي: غُبِن فيه وخسر.

(2) كذا في ع و د: أبدى به، ولم أهتد لمعنى هذه العبارة، ولعلها: بدا به، أي خرج به إلى البادية؟ وانظر القصة في تفسير الطبري، ج 11 ص 185-189، والدر المنثور، ج 2 ص 342.

(3) كذا في ع وفي د، وفي رواية ابن أبي حاتم عن ابن عباس عن تميم الدارمي أنه عمرو بن العاص. ويبدو أن هذه الرواية أصح لأن عمرو بن العاص من بني سهم، فهو من أولياء الميت.

ذكروا عن ابن عباس في قوله: (وَءَاتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ) [صٓ: 20] قال: البيّنة على المدَّعِي واليمين على المدَّعَى عليه.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: المدعى عليه أولى باليمين إذا لم تكن بيّنة[1].

ذكروا أن مجاهداً قال: هو أن يموت المؤمن فيحضر موته مؤمنان أو كافران، لا يحضر غير اثنين. فإن رضي ورثته عما غابا عليه من تركته فذاك، وإلا حلف الشاهدان أنهما صادقان، فإن عثر، أي: إن وجد لطخ أو لبس أو سبة[2]، حلف اثنان من الأَوْليين من الورثة فاستحقا وأبطلا أيمان الشاهدين.

قال: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَـٰسِقِينَ ﴾ أي المشركين الذين يموتون على شركهم.

قوله: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّـٰمُ الغُيُوبِ ﴾ ذكروا عن مجاهد قال: تنزع أفئدتهم فلا يعلمون [ثم ترد إليهم فيعلمون][3] وقال الحسن: يعنون أنهم لا علم لهم بباطن أمورهم، إنما علمنا الظاهر ولم نعلم الباطن.

قوله: ﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَـٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَٰلِدَتِـكَ ﴾ قال الحسن: يقوله يوم القيامة. كقوله: (وَقَالَ الذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ) [غافر: 49] أي إنهم سيقولون ذلك، وكقوله: (وَقَال الذِينَ اسْتُضْعِفُوا) [سبأ: 33] وأشباه ذلك من كتاب الله.

---

(1) لم أجده بهذا اللفظ. وقد أخرج البيهقي في الشعب: «البينة على المدعي واليمين على من أنكر». وترجم البخاري في كتاب الشهادات، باب اليمين على المدعى عليه في الأموال والحدود، وقال النبي: شاهداك أو بيّنة.

(2) كذا في ع: «سبة» وفي د: بياض، وفي بعض الروايات: شبه وهذا أصح، وفي تفسير مجاهد، ص 210: تشبيه.

(3) زيادة من ز، ورقة 89.

قال: ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ أي إذ أعنتك بروح القدس، والقدس: الله، والروح جبريل، له اسمان: جبريل والروح. ﴿ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ أي في حجر أمك. ﴿ وَكَهْلاً ﴾ أي كبيراً.

﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَٰبَ وَالحِكْمَةَ والتَّوْرَىٰةَ وَالانْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونَ طَيراً بِإِذْنِي وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾. قال الحسن: الأكمه الأعمى. وقال غيره هو الأعمى الذي ولدته أمه مطموس العينين. ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ قال: ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْا جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾. وقد فسّرناه في سورة آل عمران[1].

قوله: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الحَوَارِيِّينَ ﴾ والحواريون أنصار عيسى ﴿ أَن ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ﴾ يعني وحيه إلى الحواريين يأمرهم أن يتبعوه ﴿قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ إِذْ قَالَ الحَوَارِيُّونَ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ قال الحسن: يقولون: هل ربك فاعل ذلك؟ وهو كلام من كلام العرب؛ ما استطيع ذلك، أي: ما أنا فاعل ذلك، وهو معروف في اللغة.

ذكروا عن عائشة قالت: هم كانوا أعلم بالله من أن يقولوا: هل يستطيع ربك، ولكن قالوا: هل يستطيع ربك، أي هل تقدر على هذا منه[2].

---

(1) انظر ما سلف من هذا الجزء ص 284.

(2) ورد هذا الخبر في ز ورقة 89 مسنداً هكذا: «يحيى عن عثمان عن أبي الأشهب عن القاسم بن محمد عن عائشة. وأورده الطبري في تفسيره ج 11 ص 219 بسند آخر: عن ابن وكيع عن محمد بن بشير عن نافع عن ابن عمر عن أبي مليكة عن عائشة قالت: «كان الحواريون لا يشكون أن الله قادر على أن ينزل عليهم مائدة ولكن قالوا: يا عيسى هل تستطيع ربَّك؟». وهذه قراءة نسبت إلى سعيد بن جبير، كما في تفسير الطبري ج 11 ص 219. وقال ابن الأنباري في البيان في غريب إعراب القرآن، ج 1 ص 310: «قوله تعالى: (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) قرىء بالتاء والنصب، والتقدير فيه: هل تستطيع سؤال ربك، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه».

قوله: ﴿ قَالَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُم مُّومِنِينَ ﴾ أي لما سمع عيسى ذلك منهم قال: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين.

﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ أي وتسكن قلوبنا إذا نظرنا إلى المائدة. قال الحسن: ليس ذلك منهم على وجه الشك. وهو كقوله: (أَوَلَمْ تُومِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي). ﴿ وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ وهم عالمون بذلك ﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّـٰهِدِينَ ﴾ أي أنها نزلت من عند الله.

﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونَ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ قال الحسن: يعني أول المسلمين وآخرهم. وقال مجاهد: لأولنا: لأهل زماننا، وآخرنا: من يأتي بعدنا. ﴿ وَآيَةً مِّنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ ﴾.

﴿ قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُم ﴾ على شرط ﴿ فَمَن يَّكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ ﴾ يعني عذاب الدنيا ﴿ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحداً مِنَ العَـٰلَمِينَ ﴾. فلما اشترط عليهم كرهوا ذلك الشرط فلم ينزلها. قال بعضهم: والعامّة على أنها قد نزلت.

ذكروا أن عمار بن ياسر قال: قد نزلت. ذكروا عن سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس قال: قد أنزل عليهم كل شيء غير اللحم. قال بعضهم: نزل عليهم خبز وحيتان.

وقال مجاهد: المائدة طعام كان ينزل عليهم حيث نزلوا.

قوله: (فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحداً مِنَ العَالَمِين). ذكر بعضهم قال: ذكر لنا أنهم لما صنعوا في المائدة ما صنعوا من الخيانة وغيرها حُوِّلوا خنازير. وذكر لنا أن المائدة كانت خواناً؛ ينزل عليهم ثمر من ثمر الجنة على خوان فيأكلون منه، فأمر القوم أن لا يخونوا فيه ولا يخبأوا ولا يدّخروا لغد. فخان القوم وخبأوا وادّخروا لغد. قال: وهو قوله: (لُعِنَ الذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) [المائدة: 78] أي مُسخوا في زمان داود قردة، ومسخوا في زمان عيسى خنازير.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾ [يعني لبني

إسرائيل خاصة][1]. قال الحسن؛ يقوله يوم القيامة أأنت قلت للناس ﴿ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ ﴾ ينزّه الله أن يكون قاله ﴿ مَا يَكُونُ لِيَ أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ أي تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم أنت ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّـٰمُ الْغُيُوبِ ﴾ وقد علم الله أنه لم يقله.

﴿ مَا قُلْتُ لَهُم إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ وهذه وفاة الرفع إلى السماء ﴿ كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي الحفيظ عليهم ﴿ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ أي: فبإقامتهم على كفرهم ﴿ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ فَبِتَوْبَةٍ كانت منهم ﴿ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

﴿ قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ والصادقون هاهنا هم النبيون. يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ أي: أنهم قد بلغوا الرسالة. وهي تقرأ على وجه آخر: هذا يومٌ، منونة، يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴿ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ وقد فسّرنا الأنهار في غير هذا الموضع[2]. ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ لا يموتون ولا يخرجون منها. ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ أي الثواب[3]. ﴿ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾. قال بعضهم: فازوا من النار إلى الجنة. وقال الحسن: الفوز العظيم: النجاة العظيمة.

﴿ لِلهِ مُلْكُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ [أي وملك ما فيهن][4] [وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 90.

(2) انظر ما سلف ص: 90.

(3) كذا في د و ع: «الثواب»، أي: ذلك أعظم الثواب، وهو كقوله تعالى: (وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ).

(4) زيادة من ز، ورقة 90.

تفسير سورة الأنعام

وهي مكية كلها في قول بعضهم وقال الكلبي: إلا ثلاث آيات مدنيات في آخرها: (قُلْ تَعَالَوا اتْلُ مَا حَرَّم رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ)... إلى قوله: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحَمْدُ للهِ ﴾ حمد نفسه، وهو أهل للحمد.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إنه ليس أحد أحبَّ إليه الحمد من الله ولا أكثر معاذير من الله[1]. أي أنه قطع العذر الذي بينه وبين خلقه حتى لا يجدوا عذراً.

قوله: ﴿ الذِي خَلَقَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَـٰتِ وَالنُّورَ ﴾ أي وخلق الظلمات والنور. الظلمات الليل، والنور ضوء النهار. قال بعضهم خلق السماوات قبل الأرض، والنور قبل الظلمة، والجنة قبل النار.

قال: ﴿ ثُمَّ الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ يعني المشركين، عدلوا به الآلهة وهي أصنامهم التي عبدوها من دون الله.

---

(1) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في التفسير، في سورة الأنعام وفي سورة الأعراف، وفي كتاب التوحيد، باب ويحذركم الله نفسه، ولفظه: لا أحدَ أغيرُ من الله، فلذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحبّ إليه الحمد من الله فلذلك مدح نفسه، وأخرجه مسلم بلفظ أطول في كتاب اللعان عن سعد بن عبادة (رقم 1499).

ذكروا عن كعب قال: فتحت التوراة بهذه الآية: (الحَمْدُ لِلهِ الذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الذِينَ كَفَروا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) وختمت بـ (الحَمْدُ لِلهِ الذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً) [الإسراء: 111].

قوله: ﴿ هُوَ الذِي خَلَقَكُم مِّنْ طِينٍ ﴾ قال: خلق آدم من طين، ثم جعل نسله بعد من سلالة من ماء مهين.

قوله: ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ قضى أجلاً، يعني الموت، وأجل مسمّى عنده، ما بين الموت إلى البعث. فأنت يا ابن آدم بين أجلين من الله. وقال مجاهد: قضى أجلاً، أي: أجل الدنيا، وأجل مسمّى عنده، يعني الآخرة[1]. قوله: ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ أي: تشكّون في الساعة.

قوله: ﴿ وَهُوَ اللهُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ أي ما تعملون. يحذرهم سرَّهم وعلانيتَهم لأنه يعلم ذلك كله.

ذكروا عن الحسن قال: اجتمع أربعة أملاك فقال أحدهم: جئت من السماء السابعة من عند ربي. وقال أحدهم: جئت من الأرض السفلى من عند ربي، وقال أحدهم: جئت من المشرق من عند ربي، وقال أحدهم: جئت من المغرب من عند ربي، ثم تلا هذه الآية: (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحديد: 3].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أذن لي أن أحدّث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه خفقان

(1) كذا في ع و د، وفي تفسير مجاهد ص 211: (قَضَىٰ أَجَلاً)، يعني الآخرة (وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) يعني: الدنيا وفي تفسير الطبري ج 11 ص 258 «عن مجاهد (قَضَى أَجَلاً) قال: أجل الدنيا (وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) قال: البعث».

الطير مسيرة سبعمائة سنة، وهو يقول سبحانك[1]. قال بعضهم: بلغنا أن اسمه روفيل.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: لا تتفكّروا في الله وتفكّروا فيما خلق[2].

قوله: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّن ءَايَةٍ مِّن ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ يعني القرآن ﴿ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ يعني به مشركي العرب.

قال: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ يعني القرآن. ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَـٰؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي يأتيهم علمه في الآخرة فيأخذهم الله به ويدخلهم النار.

قوله: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ هذا على الخبر ﴿ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَـٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ يعني من أهلك من الأمم السالفة حين كذّبوا رسلهم. يحذّر مشركي العرب ويخوّفهم ما أهلك به الأمم حين كذّبوا رسلهم. ﴿ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ ﴾ أي وخلقنا من بعدهم ﴿ قَرْناً ءَاخَرِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ قال بعضهم: فعاينوه معاينة ومسّوه بأيديهم. وذلك أنّهم سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بكتاب يقرأونه؛ قالوا لن نؤمن بك حتى تنزّل علينا كتاباً نقرأه من الله إلى فلان بن فلان، إلى كل رجل باسمه واسم أبيه أن آمن بمحمد فإنه رسولي. ﴿ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَـٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي بيّن.

قوله: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ أي في صورته. قال مجاهد: وقد قالوا

(1) أخرجه أبو داود في كتاب السنة؛ باب في الجهمية، عن جابر بن عبد الله (رقم 4727) وليس فيه «وعلى قرنه العرش» وأخرجه الطبراني في الأوسط عن أنس، وفي آخره «سبحانك حيث كنت».

(2) أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده ج 3 ص 22، باب النهي عن الفكرة في الله عز وجل بألفاظ متقاربة في رقم 827-828. وفي رقم 829 عن ابن عباس بلفظ: «لا تتفكروا في الله. فإن التفكر في خلقه شاغل، فإنه لا تدركه فكرة متفكر إلا بتصديقه».

في آية أخرى: (لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً) [الفرقان: 7]. وفي تفسير الحسن: لولا أنزل عليه ملك، أي يأمرنا باتباعه.

قال الله: ﴿ وَلَوَ انْزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ أي بعذابهم. ﴿ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾. أي لا يؤخرون بعد نزول المَلَك، لأن القوم إذا سألوا نبيَّهم الآية فجاءهم بها، ثم لم يؤمنوا، لم يؤخروا، أي أهلكهم الله. وقالوا: (فَلْيَاتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ) قال الله: (ما ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤمِنُونَ) [الأنبياء: 5-6] على الاستفهام، أي أنهم لا يؤمنون.

وقال بعضهم: يقول: لو أنزل ملكاً فبعثناه إليهم ثم لم يؤمنوا لقضى بينهم أي العذاب والعقوبة، ثم لا ينظرون أي لا يؤخرون.

قوله: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكاً لَّجْعَلْنَـٰهُ رَجُلًا ﴾ قال مجاهد: في صورة رجل حتى لا يعرفوا أنه ملك، ثم قال: ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾.

قال بعضهم: اللبس، الخلط، أي ولخلطنا عليهم ما يخلطون، لأنهم طلبوا أن يكون ملك مع آدمي. قال: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا)، أي لجعلنا ذلك الملك في صورة آدمي، ولو فعلنا ذلك لدخل عليهم اللبس في الملَكِ كما دخلهم اللبس في أمرك.

قوله: ﴿ وَلَقَدُ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ فحاق بهم، أي وجب عليهم ونزل بهم استهزاؤهم، يعني عقوبة استهزائهم، فأخذهم العذاب بكفرهم واستهزائهم.

قوله: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ المُكَذِّبِينَ ﴾ كان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

قوله: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّـمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ قُل لِلهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [أي أوجبها][1].

(1) زيادة من ز، ورقة 91.

ذكروا عن الحسن أن بني إسرائيل قالوا لموسى: سل لنا ربك هل يصلي لعلنا نصلي بصلاة ربنا، فقال: يا بني إسرائيل (اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُم مُّومِنِينَ). فأوحى الله إليه: إنما أرسلتك لتبلّغهم عني وتبلّغني عنهم. قال: يا رب، يقولون ما قد سمعت: يقولون سل لنا ربك هل يصلي لعلنا نصلي بصلاة ربنا. قال: فأخبرهم أني أصلي، وَإِن صلاتي لَسَبْق رحمتي غضبي، ولولا ذلك لهلكوا.

ذكروا عن ابن عباس في قوله: (هُوَ الذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ) [الأحزاب: 43] قال: صلاة الله هي الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار.

قوله: ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَـٰمَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي لا شك فيه ﴿ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاَيُؤْمِنُونَ﴾: أي خسروا أنفسهم فصاروا في النار.

قوله: ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الَّيْـلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ أي فلا أسمع منه ولا أعلم.

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِـذُ وَلِيّاً فَاطِرَ السَّـمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي خالق السماوات والأرض ﴿ وهو يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ ﴾ أي يرزق ولا يُرزق. وقال في الذاريات: (وَمَا أُرِيدُ أَن يُّطْعِمُونِ) [الذاريات: 57] وبعضهم يقرأها: ولا يَطعَم. ﴿ قُلِ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَن أَسْلَمَ ﴾ يعني من أمته ﴿ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ ﴾.

﴿ قُل إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ مَّن يُّصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ ﴾ يعني من يُصرف عنه يومئذ عذابه ﴿ فَقَدْ رَحِمَهُ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لن ينجي أحداً منكم عملُه، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمَّدني الله برحمته، ولكن قاربوا وسدّدوا، واغدوا ورُوحوا، وشيء من الدُّلجة، والقصدَ القصدَ تبلغوا[1].

(1) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله

قوله: ﴿ وَذَلِكَ الفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ قد فسّرناه في غير هذا الموضع[1].

قوله: ﴿ وَإِن يَّمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ ﴾ أي بمرض ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَّمْسَسْكَ بِخَيْرٍ ﴾ أي بعافية ﴿ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من ذلك ﴿ قَدِيرٌ ﴾.

﴿ وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ قهرهم بالموت وبما شاء من أمره ﴿ وَهُوَ الحَكِيمُ ﴾ في أمره ﴿ الخَبِيرُ ﴾ بأعمال عباده في تفسير الحسن. ويقال: الخبير بخلقه، وهو واحد.

قوله: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ﴾ قال الكلبي: قال المشركون من أهل مكة للنبي: من يعلم أنك رسول الله فيشهد لك؟ فأنزل الله: (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً) ﴿ قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ فهو يشهد أني رسوله.

وقال مجاهد: أمر النبي أن يسأل قريشاً: أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً، ثم أمر أن يخبرهم فيقول: اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، أي: إن لم تؤمنوا.

قوله: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ ﴾ قال الحسن: عذاب الله في الدنيا والآخرة. قوله: ﴿ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ أي: ومن بلغه القرآن. قال بعضهم: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يا أيها الناس، بَلِّغوا ولو آية من كتاب الله، فمن بلغه آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله أخذه أو تركه[2].

وذكر لنا أنه كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي يدعوهم إلى الله. قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: من بلغه أنني أدعو إلى لا إله إلا الله فقد بلغته الحجة وقامت

= (رقم 2816) كلاهما يرفعه إلى رسول الله ﷺ من طريق أبي هريرة، وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده مختصراً عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ.

(1) انظر ما سلف ص 338.

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 11 ص 290 بسند عن قتادة مرسلاً. وأخرج البخاري بعض الحديث في الأنبياء، باب ما ذكر عن نبي إسرائيل عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

عليه[1]. وقال مجاهد: ومن بلغ، أي: من أسلم من العجم وغيرهم.

قوله: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ وهذا على الاستفهام؛ يقول: نعم، قد شهدتم أن مع الله آلهة أخرى. ﴿ قُل لَّا أَشْهَدُ ﴾ أن مع الله آلهة أخرى. ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾، يعني أوثانهم أشركوها بعبادة الله.

وقال الكلبي: إنما قال لهم النبي: أينكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى. قالوا: نعم، نشهد، فقال الله للنبي عليه السلام. (قُل لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾.

ثم قال: ﴿الذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُومِنُونَ ﴾ يعني مشركي أهل مكة.

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن سلام: إن الله أنزل على نبيّه وهو بمكة أن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فكيف هذه المعرفة يا ابن سلام؟ قال: نعرف نبي الله للنعت الذي نعته به إذا رأيناه كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه مع الغلمان؛ والذي يحلف به عبد الله بن سلام، لأنا بمحمد أشد معرفة مني بابني، فقال عمر: كيف ذلك؟ قال عرفته بما نعته الله لنا في كتابنا، وأشهد هو نبي الله، وأما ابني فلا أدري ما أحدثت أمه. فقال له عمر: وفّقك الله، فقد أصبت وصدقت.

وقال بعضهم: يعرفون أن الإسلام دين الله، وأن محمداً رسول الله. قوله: (الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُومِنُونَ) يعني من كفر من أهل الكتاب.

قوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً ﴾ فعبد معه الأوثان ﴿ أَوْ كَذَّبَ بئايِتِهِ﴾ وهذا على الاستفهام، يقول: لا أحد أظلم منه ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّـٰلِمُونَ﴾ أي المشركون.

---

(1) لم أجده بهذا اللفظ، وهو توكيد لمعنى الحديث السابق، وانظر الدر المنثور ج 3 ص 7.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ للذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ يعني أوثانهم الذين يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى، أي قربة. ذلك في أمر دنياهم ليصلحها لهم، ولا يقرّون بالبعث.

قوله: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ ﴾ قال مجاهد وغيره: معذرتهم، وقال الكلبي: معذرتهم وحجتهم ﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾. قال مجاهد: قالوا ذلك حين خلدوا في النار.

قال: ﴿ انْظُرْ كَيفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ قال الحسن: جحدوا أنهم لم يكونوا في الدنيا مشركين. وقال بعضهم: انظر كيف كذبوا على أنفسهم باعتذارهم بالكذب والباطل ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أي يشركون.

وقال الحسن: (وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) أي: الأوثان التي عبدوها ضلّت عنهم فلم تغن عنهم شيئاً. وقال مجاهد: (انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ): بتكذيب الله إياهم.

قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمُ أَكِنَّةً ﴾ أي غُلُفاً[1] ﴿ أَن يَّفْقَهُوهُ ﴾ أي لئلا يفقهوه ﴿ وَفِي ءَاذَانِهِم وَقْراً﴾ أي صمماً عن الهدى.

﴿ وَإِن يَّرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ﴾ يعني ما سألوا النبي عليه السلام من الآيات. ﴿ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ ﴾ ومجادلتهم أن ﴿ يَقُولُ الذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَـٰطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي كذب الأولين وباطلهم. يعنون القرآن.

وقال الكلبي: كان النضر بن الحارث أخو بني عبد الدار كثير الأحاديث عن الأعاجم. فلما حدثهم نبي الله ﷺ عن القرون الأولى قال النضر: (إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ).

قوله: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ ذكروا أنها نزلت في أبي طالب؛ كان

---

(1) غُلُفاً: بضم الغين واللام معاً، جمع غلاف، والأكنة جمع كِنان، وهو الغطاء.

ينهى عن النبي من يؤذيه وينأى عما جاء به، أي يتباعد عنه. وقال الحسن: (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ) أي عن [اتِّباع][1] محمد وينأون عنه أي ويتباعدون عنه فراراً ﴿ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ ﴾ بذلك ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ أنهم يهلكون أنفسهم بذلك.

قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾ [إلى الدنيا][2] ﴿ وَلاَ نُكَذِّبُ بِئايٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُومِنِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ بَلْ بَدَا لَهُمْ ﴾ في الآخرة ﴿ مَّا كَانُوا يُخْفُونَ ﴾ ما كان يخفيه بعضهم إلى بعض ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ إذ كانوا في الدنيا وكانوا يكذبون بالبعث.

وقال بعضهم: هم المنافقون؛ وليس تكذيبهم هذا تكذيباً بالبعث، ولكنه بالعمل الذي لم يكمّلوه، ولم يتمّوا فرائضه.

ومن قال: إنها في المنافقين فيقول: إن التكذيب تكذيبان: تكذيب بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال، وهو تكذيب المشركين، والمنافقون منه برآء. وتكذيب آخر، هو تكذيب المنافقين، وهو ترك الوفاء وانتقاص الفرائض التي لا يكون أهلها مؤمنين إلا باستكمالها. فالمنافقون مكذّبون بهذه الجهة وبهذا المعنى، لا على الإنكار والجحود، لكن على ترك الوفاء واستكمال الفرائض كان تكذيبهم[3].

قوله: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا ﴾ إلى الدنيا ﴿ لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ من التكذيب ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أي إنهم لم يكونوا ليؤمنوا؛ أخبر بعلمه فيهم.

﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ أي يكذبون بالبعث.

قال: ﴿ وَلَوْ تَرىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ﴾ الذي كنتم

(1) زيادة لا بد بها، وقد سقطت من د و ع، حتى يستقيم المعنى، وهو التأويل الذي اختاره ابن عباس ورجحه الطبري في تفسيره ج 11 ص 315.

(2) زيادة من ز، ورقة 91.

(3) هذه الفقرة من الشيخ هود بن محكم، فهي بفكره أشبه، وبأسلوبه أقرب، وهي غير واردة في مخطوطة ز.

تكذبون به إذ أنتم في الدنيا ﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ فآمنوا حيث لا ينفعهم الإيمان. ﴿ قَالَ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ أي في الدنيا.

قوله: ﴿ قَدْ خَسِرَ الذِينَ كَذَّبُوا بِلَقَاءِ اللهِ ﴾ يعني الذين تقوم عليهم الساعة الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَـٰحَسْرَتَنَا ﴾ والتحسّر التندّم ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ أي في الساعة إذ لم يؤمنوا بها. والتفريط هو التضييع. فآمنوا حيث لا ينفعهم الإيمان. قال: ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ أي بئس ما يحملون، وهي ذنوبهم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن الكافر إذا خرج من قبره مثل له عمله في أقبح صورة رآها قط، أقبحه وجهاً وأنتنه ريحاً وأسوده[1] لوناً، فيقول: من أنت، أعوذ بالله منك، فما رأيت أقبح منك وجهاً ولا أنتن منك ريحاً ولا أسود منك لوناً. فيقول: أتعجب من قبحي؟ فيقول نعم. فيقول: أنا والله عملك الخبيث. إن عملك كان والله خبيثاً. إنك كنت تركبني في الدنيا! واني والله لأركبنّـك اليوم فيركبه، فلا يرى شيئاً يَهُوله ولا يَرُوعه إلا قال: أبشر يا عدو الله، أنت والله الذي يُراد، وأنت الذي يُعنى، وهو قوله: (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُون)[2].

قوله: ﴿ وَمَا الحَيَـوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ [أي إن أهل الدنيا أهل لعب ولهو][3] كقوله: (إِنَّ الذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالحَيَـوٰةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا) [يونس: 7] ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[4].

---

(1) كذا في ع: «أسوده لوناً» وهو أصح، وفي د و ز: «أسواه لفظاً».

(2) لم أجد هذا الحديث حديثاً مرفوعاً فيما بين يدي من كتب التفسير والحديث. وقد رواه الطبري في ج 11 ص 348 منسوباً إلى السدي، ونقله عنه السيوطي كذلك في الدر المنثور ج 3 ص 9. أما ابن سلام فيرفعه كما في ز، ورقة 92 بالسند التالي: «يحيـى عن صاحب له عن إسماعيل بن أبي رافع عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الكافر»... الحديث.

(3) زيادة من ز، ورقة 92.

(4) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، وهو أول أحاديث الكتاب (رقم 2956) =

قال: ﴿ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الذِي يَقُولُونَ ﴾ أي إنك ساحر وإنك شاعر، وإنك كاهن وإنك مجنون ﴿ وَلَكِنَّ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ يعني المشركين ﴿ بِئَايَـٰتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾ أي يكذّبون.

وقال الكلبي: إن رسول الله ﷺ لما تظاهرت عليه قريش بالتكذيب شقَّ عليه ذلك وحزن، فأخبره الله أنهم لا يكذبونك وقد عرفوا أنك صادق، (وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ). وهي مثل قوله: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) [النمل: 14].

قوله: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَيهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ اللهِ ﴾ أي سينصرك الله ويظهر دينك كما نصر الرسل الذين كُذّبوا من قبلك ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَبَإِىْ الْمُرْسَلِينَ ﴾ أي من أخبار المرسلين أنهم قد نصروا بعد الأذى وبعد الشدائد. قال [في آية أخرى]: (وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ) قال الله: (أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ) [البقرة: 214] فأتاهم الله بنصره.

قوله: ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾ عنك وتكذيبهم إياك ﴿ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ ﴾ أي سرباً فتدخل فيه ﴿ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ ﴾ أي إلى السماء فترقى إليها ﴿ فَتَأْتِيَهُمْ بِئَايَةٍ ﴾ وهذا حين سألوه الآية. قال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الجَـٰهِلِينَ ﴾ كقوله: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً) [يونس: 99].

قوله: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾. قال الحسن: إنما يستجيب لك الذين يسمعون الحجة فيؤمنون. كقوله: (إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَـٰنَ

= وأخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه، كلهم عن أبي هريرة، وأخرجه الحاكم والطبراني عن سلمان.

بِالْغَيْبِ) [يس: 11]. قال بعضهم: المؤمن حيّ؛ حيّ القلب، حيّ النظرة، سمع كتاب الله فعقله[1].

قال: ﴿ وَالمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللهُ ﴾ قال الحسن: يعني بالموتى المشركين الصمّ، بعثهم الله، يعني كل من منّ الله عليهم بالإيمان ممن كان على الشرك؛ يبعثهم الله، أي يحييهم[2] من شركهم حتى يؤمنوا ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ يوم القيامة.

وقال مجاهد: الذين يسمعون هم المؤمنون [يسمعون الذكر][3] والموتى هم الكفار، حتى يبعثهم الله مع الموتى [أي مع الكفار][3].

قوله: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا ﴾ أي هلا ﴿ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهم المشركون.

قوله: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَـٰئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ ذكروا أن مجاهداً قال: هم أصناف مصنّفة تعرف بأسمائها.

قوله: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ يعني من آجالها وأعمالها وأرزاقها وآثارها. أي: إن ذلك كله مكتوب عند الله[4]. ﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ أي يوم القيامة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أول ما يدعى إلى الحساب البهائم، فتجعل الشاة الجماء قرناء والقرناء جمّاء حتى يقتصّ لبعضها من بعض، ثم يقال لها. كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً) [النبأ: 40][5].

---

(1) جاء هذا القول في د و ع بعد قوله: (وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمْ اللهُ) والصواب إثباته هنا لأنه تفسير لقوله: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الذِينَ يَسْمَعُونَ).

(2) كذا في ع وفي ز، ورقة 92: «يحييهم»، وفي د: ينجيهم.

(3) زيادة من ز، ورقة 92.

(4) وقيل معناه: ما تركنا شيئاً من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن إما تفصيلاً وإما تأصيلاً.

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 11 ص 347 من حديث أبي هريرة، وكذلك رواه =

قوله: ﴿ وَالذِينَ كَذَّبُوا بِئايَٰتِنَا صُمٌّ ﴾ أي عن الهدى فلا يسمعونه ﴿ وَبُكْمٌ ﴾ عنه فلا ينطقون به ﴿ فِي الظُّلُمَٰتِ ﴾ أي ظلمات الكفر ﴿ مَن يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي الجنة. وقال بعضهم: الكافر أصمّ أبكم لا يسمع خيراً ولا يعقله، ولا يتكلم به ولا يَقْبَلُه.

قوله: ﴿ قل أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَيكُمْ عَذَابُ اللهِ ﴾ قال الحسن: يعني عذاب الله بالاستئصال ﴿ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ ﴾ أي بالعذاب ﴿ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ على الاستفهام، أي إنكم لا تدعون إلا الله فتؤمنون حيث لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب. قال الله: (فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أي عذابنا (سُنَّتَ اللهِ التِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) [غافر: 85].

قال: ﴿ بَل إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ ﴾ وهذه مشيئة القدرة، ولا يشاء أن يكشف عنهم عند نزول العذاب. ﴿ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ بالله من هذه الأوثان. وقال بعضهم: (أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ) أي إذا أصابكم الضرّ في الدنيا.

قوله: ﴿ وَلَقَدَ اَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ والبأساء البؤس، وهي الشدائد من الجدوبة وشدة المعاش. والضراء هي الأذى من الأمراض والأوجاع.

قوله: ﴿ فَلَوْلَا ﴾ أي فهلا ﴿ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾ أي إنهم لم يتضرعوا. ﴿ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي غلظت قلوبهم فلم يؤمنوا. وهذا الذي كان يصيب الأمم من البأساء والضراء إنما هو شيء يبتليهم الله به قبل العذاب لعلّهم يؤمنون، فإذا لم يؤمنوا أهلكهم الله. قال: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

قال: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ أي ما وُعِظوا به، أي تركوا ما جاءتهم به

= الترمذي، وأخرجه مسلم مختصراً في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم عن أبي هريرة (رقم 2582) ولفظه: «لتؤدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلها يومَ القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

الرسل. وفي قول الحسن: أعرضوا عما جاءت به الرسل. ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي من الرزق. وقال مجاهد: أبواب كل شيء من رخاء الدنيا. ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ﴾ أي بالعذاب فجأة. وقال مجاهد: فجأة آمنين وهم لا يشعرون. ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ أي يئسون(1).

وقال بعضهم: ما ذكروا به من أمر الله (أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً) أي بغت القومَ أمرُ الله. وقلّ ما أخذ الله قوماً قط إلا عند سلوتهم وغبطتهم. قال: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي القوم الذين أشركوا ﴿ وَالحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾.

وهي مثل الآية التي في الأعراف: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نبي إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ) أي القحط (الحَسَنَةَ) أي الرخاء (حَتَّى عَفَوْا) أي حتى كثروا (وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ والسَّرَّاءُ) فلم يكن شيء. قال الله: (فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) [الأعراف: 94-95].

قوله: ﴿ قُل أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ ﴾ فأذهبه ﴿وَأَبْصَرَكُمْ﴾ فأعماها ﴿وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنِ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ ﴾ أي ليس غيره إله ﴿ يَأتِيكُمْ بِهِ ﴾ أي بما اذهب من أسماعكم وأبصاركم فإنه ليس يفعل ذلك حتى يرده عليكم - إن شاء - إلا هو. قوله: ﴿ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَـٰتِ ﴾ يقول: كيف نبيّن الآيات ﴿ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ يقول: يعرضون عنها.

قوله: ﴿ قُلَ ارَءيْتَكُمْ إِن أَتَيكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً ﴾ قال الحسن: بغتة: ليلاً ﴿ أَوْ جَهْرَةً ﴾ نهاراً. وقال في آية أخرى: (قُل أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهاراً) [يونس: 50] وعذاب الله إن جاء ليلاً أو نهاراً لا يأتي إلا بغتة. قوله: ﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّـٰلِمُونَ ﴾. أي أنه لا يهلك إلا القوم الظالمون. يخوفهم العذاب.

(1) في ع و ز: يئسون، وفي د: آيسون. وفي معاني القرآن للفراء ج 1 ص 335: «المبلس: اليائس المنقطع رجاؤه. وفي مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 192: «المبلس: الحزين الدائم. . . وإبلاس أي: اكتئاب وكسوف وحزن». وأيس لغة في يئس، ومصدرهما واحد: اليأس. انظر اللسان: (أيس ويئس).

قوله: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ يقول: مبشّرين بالجنة ومنذرين من النار. قال الحسن: مبشّرين إن هم آمنوا بالنعمة في الدنيا والجنة في الآخرة. وإن لم يؤمنوا أهلكهم الله بالعذاب في الدنيا وأدخلهم النار في الآخرة.

قوله: ﴿فَمَن ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. وَالذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ يعني بما كانوا يشركون.

قوله: ﴿ قُل لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ ﴾ أي علم خزائن الله الذي فيه العذاب، لقولهم: (اِيتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأنفال: 32]. قوله: ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ أي متى يأتيكم العذاب. قوله: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ يعني من الملائكة، وإنما أنا بشر، تعرفونني وتعرفون نسبي، ولكني رسول الله. ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ أي إنما أبلغ عن الله ما أمرني الله به.

قوله: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ يقول: لا يستوي الأعمى في الدين والبصير فيه. [هذا مثل المؤمن والكافر][1]، يقول كما لا يستوي البصير والذي لا يبصر، كذلك لا يستوي المؤمن والكافر. ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ وهذا على الاستفهام، أي إنهما لا يستويان.

قوله: ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ ﴾ أي بالقرآن ﴿ الذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ يعني المؤمنين. وهذا كقوله: (إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) [يس: 11]، يقول: إنما يقبل منك من آمن. قوله: ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّنْ دُونِهِ ﴾ أي من دون الله ﴿ وَلِيٌّ ﴾ يمنعهم من عذابه ﴿ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ يشفع لهم إن لم يكونوا مؤمنين. ﴿ لَعَلَّهُمْ ﴾ لعل المشركين ﴿ يَتَّقُونَ ﴾ هذا فيؤمنوا.

قوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ قرّة بن خالد عن الحسن قال: يعني صلاة مكة، حين كانت ركعتين غدوة وركعتين عشية، قبل أن تفرض الصلوات الخمس.

(1) وردت هذا الجملة مضطربة فاسدة في ع و د، فأثبت تصحيحها بما زدته بين القوسين من ز ورقة 93.

وذكر بعضهم قال: نزلت في سلمان الفارسي وبلال وصهيب وخبّاب بن الأرتّ؛ قال: أشك في خبّاب، لا أدري في حديث بعضهم هو أو في حديث غيره.

قرة بن خالد عن الحسن قال: إن المشركين من أهل الحرم قالوا للنبي عليه السلام: يا محمد، إنا قوم لنا أخطار وأحساب، فإن كنت تريد أن نجالسك ونسمع منك فاطرد عنا دعِيّ بني فلان ومولى بني فلان [لأناس كانوا دونهم في الذكر][1]، فإنا نستحيي أن نجالسهم؛ فأنزل الله: (وَلَا تَطْرُدِ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ). ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ أي يريدون الله ورضوانه ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي إن طردتهم.

قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ أي ابتلى بعضهم ببعض. ابتلى الله المؤمنين بالمشركين والمشركين بالمؤمنين. ﴿ لِيَقُولُوا ﴾ يعني ليقول المشركون ﴿ أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ﴾ أي: أهؤلاء أفضل عند الله منا؛ قال الله: ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّـٰكِرِينَ ﴾ يقول: إن الله عليم بالشاكرين.

قوله: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الذِينَ يُومِنُونَ بِئَايَٰتِنَـا ﴾ قال الحسن: يعني هؤلاء الذين أمر المشركون النبيَّ بطردهم ﴿ فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أمر الله النبي أن يسلم عليهم من الله.

قوله: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾. قال بعضهم: كل ذنب عمله العبد فهو بجهالة.

وأما قوله: (ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فقال الكلبي: إن أناساً من أصحاب النبي من المنظورين[2] إليهم قالوا: يا رسول الله: صدق عمك فاطرد عنا سفلة الموالي. وفي تفسير الكلبي: إن أبا طالب هو الذي قال له ذلك. قال: فعاتبهم

(1) زيادة من ز، ورقة 93.

(2) كذا في ع: «من المنظورين إليهم». وفي د: «من المنظور إليه منهم».

الله في الآية الأولى. فجاءوا يعتذرون إلى رسول الله من سقطتهم[1] ويسألونه أن يعفو عنهم فأنزل الله: (وَإِذَا جَاءَكَ الذِينَ يُومِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ المُجْرِمِينَ ﴾ أي: ولتستبين سبيل المشركين، بالآيات التي فصَّلها الله، فصَّل سبيل المهتدين من سبيل الضلالة[2].

قوله: ﴿ قُلِ اِنِّي نُهِيتَ أَنَ اَعْبُدَ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ يعني الأوثان. ﴿ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ﴾ يعني إنما أعبد الله، ولا أتبع أهواءكم في عبادة الأوثان. ﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ المُهْتَدِينَ ﴾.

قوله: ﴿ قُلِ اِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ أي: النبوّة. ﴿ وَكَذَّبْتُم بِهِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴾ أي من العذاب لقولهم: (عَجِّلْ لَّنَا قِطَّنَا) [سورة صٓ: 16] أي عذابنا، ولقولهم: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ اِيتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأنفال: 32]، وأشباه ذلك. قال الله: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ) [الحج: 47].

قوله: ﴿ إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلهِ ﴾ أي: إنِ القضاء إلا لله. ﴿ يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَـٰصِلِينَ ﴾ أي: يحكم بالحق وهو خير الفاصلين. وهي تقرأ على وجه آخر، يقصّ الحق. من قبل القَصَص. والوجه الأول أحسنهما، لأنه ذكر في آخر الآية الفصل. فالفصل فصل القضاء، يقول: يقضي الحق. وهو خير الفاصلين، أي القاضين.

﴿ قُل لَّوَ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴾ أي من عذاب الله ﴿ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ الساعةَ فآتيكم بالعذاب ﴿ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي فهو يعلم أنكم ظالمون مشركون. وهو ظلم فوق ظلم وظلم دون ظلم.

(1) كذا في د: «من سقطتهم» وهو أصح، وفي ع: «من تنقيصهم». وله أيضاً وجه.

(2) كذا في ع و د: وفي ز ورقة 49: «بالآيات التي بيّن الله معها سبيل الهدى من سبيل الضلالة».

قوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ أي خزائن الغيب، لا يعلمها إلا هو، فهو يعلم متى يأتيكم العذاب في تفسير الحسن، وبعضهم يقول: مفاتح الغيب هي قوله: (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [لقمان: 34].

ذكروا عن ابن عمر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: خمس لا يعلمهنّ إلا الله: إن الله عنده علم الساعة... إلى آخر الآية[1].

ذكر موسى بن علي عن أبيه قال: كنت عند عمرو بن العاص بالاسكندرية إذ قال رجل: زعم قسطار[2] هذه المدينة أن القمر يُخسَف به الليلة، فقال رجل: كذب هذا، لا ظننت تعلمون ما في الأرض، فكيف تعلمون ما في السماء. فقال عمرو بن العاص: إن الله يقول: (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ)... إلى آخر الآية، وما سوى ذلك يعلمه قوم ويجهله آخرون.

ذكر الحسن قال: أَضَلّ رجل من المسلمين راحلته فذهب يطلبها، فلقي رجلاً من المشركين فنَشَدها إياه، فقال: ألستَ مع هذا الذي يزعم أنه نبيّ؟ قال: أفلا تقول له فيخبرك بمكان راحلتك. فمضى الرجل قليلاً فردّ الله عليه راحلته. فلما جاء إلى النبي أخبره بقول الرجل؛ قال له: فما قلت له؟ فقال: ما عسيت أن أقول لرجل من

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله، ولفظه: «مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر». وأخرجه مسلم في آخر حديث من أول باب في كتاب الإيمان عن أبي هريرة (رقم 10).

(2) وردت الكلمة في ع هكذا: «قسطال»، وفي د هكذا «سطال» بدون نقط. ويبدو أن الصحيح ما أثبته: «قُسطار» فقد ورد في المعرّب للجواليقي، ص 311 ما يلي: «القُسطار، والقِسطار، بضم القاف وكسرها: هو الميزان، وليس بعربي. ويقال للذي يلي أمور القرية وشؤونها: «قُسطار» وهو راجع إلى معنى الميزان».

المشركين مكذِّب. قال: أفلا قلت له: إن الغيب لا يعلمه إلا الله، وإن الشمس لم تطلع قط إلا بزيادة أو نقصان[1].

قوله: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَّرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَـٰتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فقال: ربِّ وما أكتب، قال: ما هو كائن. قال: فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة. فأعمال العباد تعرض على العباد كل يوم اثنين ويوم خميس فيجدونه على ما في الكتاب.

ذكروا أن سورة الأنعام نزلت كلها جملة، شيّعها سبعون ألف ملك. ومع هذه الآية الواحدة منها اثنا عشر ألف ملك: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ)... إلى آخر الآية.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي يَتَوَفَّـٰكُمْ بالَّيْـلِ ﴾ يعني النوم ﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بالنَّهَارِ ﴾ أي ما عملتم بالنهار. ذكروا أن أبا موسى الأشعري قال: الذنوب جراحات. وأعظمها القتل، والإشراك بالله مقتلة.

قال: ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ أي يبعث أحدكم في أجله حتى يستوفي أجله، في تفسير الحسن. وقال مجاهد: (ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ) أي في النَّهار. وقال: ﴿ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ يعني الساعة باختلاف الليل والنهار. ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ يوم القيامة ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ أي قهرهم بالموت وبما شاء من أمره ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ من الملائكة يحفظون أعمال العباد ويكتبونها، ويحفظونه ممّا لم يقدر له حتى يأتي القدر.

ذكر بعضهم عن بعض أصحاب النبي قال: ما من آدمي إلا ومعه ملكان

(1) لم أجد فيما بين يدي من مصادر التفسير والحديث هذا الخبر ولا هذا الحديث.

يحفظانه في ليله ونهاره، ونومه ويقظته، من الجن والإنس والدوابّ والسّباع والهوامّ، وأحسبه قال: والطير، إن أراده شيء قالا له: إليك حتى يأتي القدر.

وقال بعضهم: (وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً) يحفظون عليك يا ابن آدم رزقك وعملك وأجلك، فإذا وفّيتَ ذلك قُبِضت إلى ربك.

قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ أي في أمر الله. وبلغنا أن لملك الموت أعواناً من الملائكة هم الذين يسُلون الروح من الجسد، حتى إذا كانت عند خروجها قبضها ملك الموت، ولا يعلمون آجال العباد حتى يأتيهم علم ذلك من قِبَل الله.

قال: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَيْهُمُ الحَقِّ﴾ يعني مالكهم، والحق اسم من أسماء ﴿أَلَا لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَـٰسِبِينَ﴾.

ذكر بعضهم قال: يفرغ الله من القضاء بين الخلق [إذا أخذ في حسابهم][1] في قدر نصف يوم من أيام الدنيا[2].

وفي تفسير الحسن: إذا أراد الله أن يعذّب قوماً في الدنيا كان حسابه إياهم، أي عذابه إياهم، أسرع من لمح البصر.

قوله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّنْ ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ﴾ أي من كروب البر والبحر ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ أما التضرع فالخضوع، والخفية السّرّ بالتضرع ﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا

---

(1) زيادة من ز، ورقة 94.

(2) أورد هذا الخبر يحيى بن سلام بقوله: «سمعت بعض الكوفيين يقول يفرغ الله من القضاء. . .» الخ. ومثل هذه الأخبار التي تتعلق بأمور المعاد، والتي كثيراً ما تشحن بها كتب التفسير والتاريخ في القديم، هي من قبيل الإسرائيليات ولا شك. ويجب على المؤمن ألا يشغل بها وقته ولا يصدقها ما لم يثبت في شأنها عن الصادق المعصوم خبر صحيح. فنحن نؤمن بما جاء في القرآن مجملاً كما أنزله الله ونقف عنده لا نتجاوزه. فالله أسرع الحاسبين وكفى. أما البحث عن مقدار سرعته أو كيفيتها فذلك رجم بالغيب وتكلّف وَقَفْو لما ليس للإنسان به علم. «وأحكام تلك الدار ليست كهذه»، ونعوذ بالله من ترف العلم.

﴿مِنْ هَذِهِ﴾ الشدة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّـٰكِرِينَ﴾ يعني المؤمنين.

قوله: ﴿ قُلِ اللهُ يُنْجِيكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ﴾ أي لا ينجي من الكرب إلا هو؛ أي كل كرب نجوتم منه فهو الذي أنجاكم منه. قال: ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾.

قوله: ﴿ قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَن يَّبْعَثْ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ فَوْقِكُم أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾.

ذكروا أن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت (قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَىٰ أَن يَّبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ فَوْقِكُمُ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) قال رسول الله ﷺ: اللّهم إني أعوذ بوجهك[1]. قال: (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) قال: هو ما كان بعد النبي عليه السلام من الفرقة والاختلاف.

ذكروا عن الحسن أن رسول الله ﷺ صلى يوماً صلاة فأطالها فقيل: يا رسول الله: قد رأيناك اليوم تصلي صلاة ما رأيناك تصليها قال: إنها صلاة رغبة ورهبة، وإني سألت ربي فيها ثلاثاً، فأعطاني منها اثنتين ومنعني واحدة؛ سألته ألا يسلّط على أمتي عدواً من غيرها، فأعطانيها، وسألته ألا يسلط على أمتي السَّنَة فيهلكهم، فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فَمنعنيها[2].

ذكروا أن رسول الله قال: استقيموا ونِعِمَّا إن استقمتم، وخير أعمالكم الصلاة، ولن تجوعوا ولن تُعلَوا ولا أخاف عليكم إلا أنفسكم[3].

---

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الأنعام. ولفظه: «لما نزلت هذه الآية (قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَن يَّبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ فَوْقِكُمُ) قال رسول الله ﷺ: أعوذ بوجهك. قال: (أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمُ) قال: أعوذ بوجهك، (أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض) قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون، أو هذا أيسر». وأخرج الترمذي في أبواب تفسير القرآن، وفي آخر الحديث: «هاتان أهون، أو هاتان أيسر»، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 11 ص 422.

(2) رواه أحمد عن معاذ بن جبل، ورواه أيضاً أحمد والنسائي عن أنس بن مالك، وروى الحديث عن نافع بن خالد الخزاعي عن أبيه، فالحديث صحيح من طرق مختلفة وبألفاظ متشابهة.

(3) أخرجه ابن ماجه عن أبي أمامة في كتاب الطهارة وسننها، باب المحافظة على الوضوء =

وفي تفسير عمرو عن الحسن في قوله: (عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ) أي فيحصبكم بالحجارة كما حصب قوم لوط أو ببعض ما ينزل من العذاب، (أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) أي بخسفة أو برجفة، (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً) أي اختلافاً يخالف بعضكم بعضاً (وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) أي فيقتل بعضكم بعضاً. قال: وقال رسول الله ﷺ. سألت ربي ألا يظهر على أمتي أهل دين غيرهم فأعطاني ذلك، وسألته ألا يهلكهم جوعاً فأعطاني ذلك، وسألته ألا يجمعهم على ضلالة فأعطاني ذلك، وسألته ألا يلبسهم شيعاً فمنعني ذلك[1].

قوله: ﴿ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَـٰتِ ﴾ أي كيف نبيّن الآيات ﴿ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ أي لكي يفقهوا.

قوله: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ ﴾ أي بالقرآن ﴿ وَهُوَ الحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ أي: بحفيظ لأعمالكم حتى أجازيكم بها. إنما أنا منذر، والله المجازي لكم بأعمالكم.

قوله: ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾. قال الحسن: حبست عقوبتها حتى عمل ذنبها. فلما عمل ذنبها أرسلت عقوبتها. وفي تفسير عمرو عن الحسن: (لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ): عند الله خيره وشره، حتى يجازيكم به. ﴿ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ أي يوم القيامة. وهذا وعيد من الله للكفار، لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث.

قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَٰتِنَـا ﴾ أي يكذبون بآياتنا. وقال مجاهد: يستهزءون بآياتنا ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ كان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم، وهو يومئذ بمكة، ثم أمر بعد بقتالهم.

= (رقم 277-278) وأخرجه مالك في الموطأ ولفظه: استقيموا ولن تحصوا واعملوا وخير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن. (انظر كتاب الموطأ، كتاب جامع الوضوء) (رقم 33).

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في ج 11 ص 427، ببعض الاختلاف عن الحسن مرسلاً.

قال: ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ قال مجاهد: نهى [نبي الله ﷺ][1] أن يقعد معهم إلا أن ينسى، فإذا ذكر فليقم، وذلك قوله: (فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ).

قال: ﴿ وَمَا عَلَى الذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ يعني المؤمنين ﴿ مِنْ حِسَابِهِم مِّنْ شَيْءٍ ﴾ أي من حساب المشركين من شيء. قال مجاهد: أي إن قعدوا معهم، ولكن لا تقعد معهم. قال: ﴿ وَلَكِنْ ذِكْرَىٰ ﴾ أي: يذكرونهم[2] بالقرآن ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي فيؤمنوا.

وقال الكلبي: (وَإِذَا رَأَيْتَ الذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا) أي: يستهزءون بها (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ)؛ إن أصحاب رسول الله قالوا: لئن كنا كلما استهزأ المشركون بكتاب الله قمنا وتركناهم لا ندخل المسجد ولا نطوف بالبيت، فرخّص الله للمؤمنين فقال: (وَمَا عَلَى الذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)، فكان على المؤمنين أن يذكروهم ما استطاعوا.

قوله: ﴿ وَذَرِ الذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً ﴾ قال بعضهم: نسختها آية القتال.

قال: ﴿ وَغَرَّتْهُمُ الحَيَـٰوةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ ﴾ أي بالقرآن ﴿ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ ﴾. قال مجاهد: أن تسلم نفس[3] ﴿ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ أي بما عملت، أي تسلم في النار. قال: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ ﴾ يمنعها منه ﴿ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ يشفع لها عنده، وهذا الكافر. قال: ﴿ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ ﴾ أي إن تفتد بكل فدية ﴿ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا ﴾ أي لا يقبل منها.

قال الله: ﴿ أُولَئِكَ الذِينَ أُبْسِلُوا ﴾ أي أسلموا في النار ﴿ بِمَا كَسَبُوا ﴾ بما

(1) زيادة من تفسير مجاهد، ص 217، وهي موجودة في ز ورقة 95.

(2) في د و ع: يذكرهم، وما أثبته أصح. لأن الضمير راجع إلى الذين يتقون.

(3) وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 194: «(أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ) أي: تُرتهن وتسلم». وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 155: «أن تسلم للهلكة».

عملوا ﴿ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ والحميم الحار الذي قد انتهى حره. ﴿ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي موجع ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْفُرونَ ﴾ أي يعملون.

قوله: ﴿ قُلَ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا ﴾ أي لا نفعل ﴿ وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدٰينا اللهُ﴾ أي نرجع إلى الكفر بعد الإيمان ﴿ كالذي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: غلبت عليه الشياطين واستحوذت عليه ﴿ حَيْرَانَ ﴾ يعني أنه متحيّر لا يبصر الهدى ﴿ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الهُدىٰ ايتِنَا ﴾ أي بمنزلة رجل ضلّ في فلاة، له أصحاب كلهم يدعونه إلى الطريق فهو متحيّر[1].

وقال مجاهد: هو رجل حيران يدعوه أصحابه إلى الطريق، وذلك مثل من ضلّ بعد الهدى. وقال بعضهم: هذه خصومة علّمها الله النبيَ وأصحابَه يخاصمون بها أهل الضلالة.

قال الله للنبي: ﴿ قُل إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَىٰ ﴾ وهو الذي أنت عليه. ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَـٰلَمِينَ﴾.

قوله: ﴿ وَأَنَ اقِيمُوا الصَّلَـوٰةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي يوم القيامة.

﴿ وَهُوَ الذِي خَلَقَ السَّـمٰـوٰتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ ﴾ أي للحق، يعني الميعاد. ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ يعني يوم القيامة.

﴿ قَوْلُهُ الحَقُّ وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ أي ينفخ فيه صاحب الصور، مَلك يقوم بين السماء والأرض في تفسير ابن مسعود. وقال بعضهم: من الصخرة من بيت المقدس. والصور قرن ينفخ فيه أرواح الخلق[2]، فيذهب كل روح إلى جسده فيدخل فيه، ثم ينطلقون سراعاً إلى المنادي صاحب الصور إلى بيت المقدس[3].

(1) في ع و د: «وهو متحير»، وأثبت ما في ز ورقة 95: «فهو متحير».

(2) كذا في ق و ع، وفي ز ورقة 95: «والصور قرن فيه أرواح الخلق فينفخ فيه فيذهب كل روح إلى جسده فيدخل فيه...».

(3) والحق أنه لم يصح عن النبي ﷺ حديث يُطمأن إليه في موضوع النفخ وكيفيته وعودة الأرواح إلى =

﴿ عٰلِمُ الغَيْبِ والشَّهٰدَةِ ﴾ فالغيب السر والشهادة العلانية ﴿ وَهُوَ الحَكِيمُ ﴾ في أمره ﴿ الخَبِيرُ ﴾ بأعمال عباده. ويقال: العليم بخلقه.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازرَ﴾. قال [مجاهد](1) آزر الصنم، وأبوه تارح. المقرأ على هذا التفسير استفهام: آزر؟ ﴿ أتتخذ أصناماً ءآلهة ﴾ أي أتتخذه إلهاً؟ ومقرأ الحسن بالرفع؛ آزرُ، يقوله إبراهيم لأبيه(2)؛ أتتخذ أصناماً آلهة.

وبعضهم يقرأها بالنصب ويقول: اسم أبيه آزر(3)؛ يقرأها بغير استفهام في أولها. يقول: وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر، ويستفهم في آخرها. وكذلك استفهام الحسن في آخرها.

قال: ﴿ إِنِّي أَرٰيكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي بيّن.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرٰهِيمَ مَلَكُوتَ [أي مُلْك](4) السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوْقِنِينَ﴾.

قال بعضهم: ذكر لنا أن إبراهيم فُرَّ بِهِ من جبَّار مُتْرَف(5)، فَجُعِل في سرب

= الأجساد. وكل ما نؤمن به ونتيقنه أنهما نفختان في الصور: نفخة الصعق ونفخة البعث كما أخبرنا به الله في محكم كتابه حيث يقول: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) [الزمر: 68]. أما صورة الصور، وكيفية النفخ فيه، ومستقر الأرواح بعد أن تفارق الأجساد ثم عودتها إليها للبعث والحساب فتلك أمور غيبية نؤمن بها مجملة ونفوض أمر تفاصيلها إلى بارئها.

(1) سقط اسم القائل من ع و د وأثبت اسم مجاهد لأن القول قوله، كما جاء في تفاسير الطبري والقرطبي وابن الجوزي.

(2) أي يناديه: يا آزر.

(3) على أنه بدل أو عطف بيان. والقول الراجح أن لفظ آزر اسم علم لأبي إبراهيم عليه السلام وأقرأ تحقيقاً علمياً مهماً في المعرّب للجواليقي ص 407-413 ختم به المحقق الشيخ أحمد محمد شاكر كتاب المعرب وأثبت بالدليل والبرهان هذا القول الراجح.

(4) زيادة من ز، ورقة 96.

(5) في ع: «جبار مشرك»، وفي د: «من جنان مشرف»، وكلاهما خطأ صوابه ما أثبته من تفسير =

وجعل رزقه في أطراف أصابعه، فجعل لا يمصّ إصبعاً من أصابعه إلا وجد فيه رزقاً. وإنه لما خرج من ذلك السّرب أراه الله ملكوت السماوات؛ أراه شمساً وقمراً ونجوماً وغيوماً وخلقاً عظيماً، وأراه ملكوت الأرض؛ فأراه جبالاً وبحاراً وأنهاراً وأشجاراً ومن كل الدواب وخلقاً عظيماً.

وقال مجاهد: (مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) أي: آيات السماوات والأرض.

وقال الكلبي: بلغنا أن إبراهيم وُلد في زمان النمرود[1] الجبّار، وأنه كان مع نمرود كهنةٌ يخبرونه أنه يولد في هذه السنة غلام يفسد آلهة أهل الأرض ويدعو إلى غير دينهم، ويكون هلاك أهل بيته على يده. فقال النمروذ: فإن دواء هذا هيّن: أن نعزل النساء عن الرجال، وننظر كل حبلى، فإذا ولدت غلاماً قُتِل، إلى أن تمضي السنة. قالوا: افعل ذلك، وإلا فهو الذي قلنا لك. ففعل النمرود، فعزل الرجال عن النساء، وجعل على كل عشرة[2] وكيلاً أميناً؛ فكان أمين العشرة إذا طهرت امرأة رجل منهم حال بينه وبينها، فإذا حاضت تركها إلى أهلها حتى تطهر. فرجع أبو إبراهيم إلى أهله فوجد امرأته قد طهرت، فواقعها فحملت. فقال الكهان: إن الغلام قد حُمِل به الليلة. قال: فانظروا إلى كل امرأة قد استبان حملها فخلوا سبيلها، وانظروا اللائي يبقين، وكلما ولدت امرأة غلاماً فاقتلوه. فلما دنا وِلَادُ[3] إبراهيم، وأخذ أمَّه المخاضُ، خرجت هاربة فوضعته في نهر يابس، وألقته في حفرة تحت حلفاء. ثم رجعت إلى زوجها فأخبرته أنها ولدت غلاماً، وأنه في مكان كذا وكذا. فانطلق إليه أبوه فأخذه فحفر له سرباً، فواراه فيه، وسدّ عليه بصخرة مخافة السّباع. وكانت أمه

= الطبري ج 11 ص 474، ومن الدر المنثور ص 3 ص 25.

(1) ورد اسم نمرود بالدال المهملة وبالذال المعجمة معاً، وبأداة التعريف وبدونها، وهو اسم مِلِك مَلَكَ المشرقَ والمغرب، ونسبه الطبري في تاريخه ج 1 ص 207 وقال: هو «نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح» عليه السلام. وهو صاحب بابل وصاحب إبراهيم خليل الرحمن.

(2) كذا في د: «عشرة» وفي ع: على كل عشيرة».

(3)) كذا وِلاد: وهو مصدر ولد، فصيح في العربية. يقال: حان وِلَاد المرأة. ومعناه هنا: حان وضع أمه إياه.

تختلف إليه وترضعه حتى فُطِم وعقل، فقال لأمه: من ربي؟ فقالت: أنا. قال: فمن ربّك أنتِ؟ قالت: أبوك، فقال: فمن ربّ أبي؟، فضربته وقالت له: اسكت، فسكت. فرجعت إلى زوجها فقالت: أرأيت الغلام الذي كنا نَتَحدَّث به أنه يغيِّر دين أهل الأرض، فإنه ابنك. فانطلق أبوه، فسأله إبراهيم، قال: يا أبت، من ربّي؟ قال: أمك. قال: فمن ربّ أمي؟ قال: أنا. فمن ربّك؟ فضربه وقال اسكت.

فلما أمسى دنا إبراهيم من باب السرب فإذا الكوكب ـ ويزعم الناس أنه الزهرة ـ قال: هذا ربي. وذلك قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْـلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الأفِلِينَ﴾ أي لا أحب ربّاً ليس بدائم.

﴿ فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغاً ﴾ أي طالعاً. وليس هذا من حديث الكلبي. ﴿ قال: هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَال هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ ﴾ أي غابت رفع إبراهيم الصخرة عن باب السرب ثم خرج فأتى قومه، فإذا هم عاكفون على أصنام لهم ﴿ قَالَ يٰـقَـوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾.

قالوا فمن تعبد؟ قال: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِي فَطَرَ السَّمٰـوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً ﴾ والحنيف المسلم، وقال الحسن: المخلص ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَٰنِ ﴾ قالوا يا إبراهيم أما تخاف من آلهتنا أن تخبلك[1] أو تفسدك وأنت تسبّها؟ فقال: ﴿ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَّشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ. وَكَيْفَ أَخَافُ مَا

(1) في ع: «تختلك» من الختل بمعنى الخديعة. وأصح منه ما ورد في د: تخبلك من الخبل والخبال. أي: مس وجنون، وهو المعنى المناسب هنا. وانظر اللسان (خبل) ففيها معان أخرى: منها، قطع عضو من أعضاء الجسم. ومن عجيب أمر النساخ أن ناسخ مخطوطة ع كتب: تختلك، وزاد من عنده شرحاً للكلمة فكتب: «الختل الغدر». وهذا تصرف منه؛ ما كان ينبغي له ذلك.

أَشْرَكْتُمْ [يعني من هذه الأوثان][1] وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰناً ﴾ أي حجة ﴿ فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ ﴾ على الاستفهام ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: من عبد إلهاً واحداً أحق أن يأمن، أو من يعبد آلهة شتى، ذكراناً وإناثاً، صغاراً وكباراً، كيف لا يخاف من الكبير إذ يسوّيه بالصغير؟ وكيف لا يخاف من الذكر إذ يسوّيه بالأنثى؟ اخبروني أي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون.

قال الله: ﴿الذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا [أي ولم يخلطوا][1] إِيمَـٰنَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ أي: بشرك ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَـٰهَا إِبْرَٰهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾.

وقال الحسن: (مَلَكُوتَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ) أي: ملك السماوات والأرض. (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ) أي: أتاه الليل (رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ) أي لا أحب الذاهبين. وأهمَّه النظر في ذلك[2] فراعى الكوكب حتى ذهب وغاب، قال: وطلع القمر، وكان ذلك في آخر الشهر. (فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغاً)، أي طالعاً (قَالَ هَذَا رَبِّي). فراعاه حتى غاب، (فَلَمَّا أَفَلَ) أي: ذهب (قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ). قال: فأراد تقرباً من معرفة الله؛ (فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً)، أي طالعة (قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ) أي من القمر والكوكب. قال فراعاها حتى غابت. (فَلَمَّا أَفَلَتْ)، أي ذهبت (قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ)، أي للذي خلق السماوات والأرض (حَنِيفاً)، والحنيف المخلص (وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ. وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ) أي: إلى الإسلام (وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ) يعني أصنامهم التي كانوا يعبدون

(1) زيادة من ز، ورقة 96.

(2) وردت العبارة في ع مضطربة فاسدة هكذا: «وهم البصر أهل البصائر في ذلك»، وفي د: «وهم النظر في ذلك»، وما أثبته هو الصواب إن شاء الله.

(إِلَّا أَن يَّشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ. وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ). قال الحسن: وكيف أخاف ما أشركتم من هذه الأوثان المخلوقة (وَلَا تَخَافُونَ أَنَكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً) أي حجة، أي بعبادة الأوثان، ولم يأمر بعبادتها، ولم يأمر إلا بعبادة نفسه، وأنتم لا تخافون الذي يملك موتكم وحياتكم[1]. (فَأَيُّ الفَرِيقَيْنَ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أي: من عبد الله أو من عبد الأوثان.

وقال مجاهد: هي حجة إبراهيم. وقول الله: (الذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) أي بشرك (أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ) يوم القيامة (وَهُم مُّهْتَدُونَ) أي: في الدنيا. على طريق الجنة.

ذكر الحسن أن عمر بن الخطاب قال لأبي بن كعب: يا أبا المنذر، آية في كتاب الله أحزنتني. قال: وأيّ آية يا أمير المؤمنين؟ قال: قول الله: (الذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال: أينا لم يظلم؟ قال: يا أمير المؤمنين إنها ليست حيث تذهب، ألم تسمع إلى قول العبد الصالح حيث يقول لابنه: (يا بُنَيِّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان: 13]، إنما هو الشرك[2].

ذكروا أن أبا بكر الصديق قال: (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) أي بشرك.

وقال بعضهم: الآية محتملة لظلم الشرك وظلم النفاق، جامعة لهما جميعاً، وهو ظلم فوق ظلم، وظلم دون ظلم. وهذا حقيقة التأويل[3].

قوله: (نَرْفَعُ دَرَجَات مَن نَّشَاءُ) قال الحسن: بالنبوّة.

---

(1) كذا في ع: «موتكم وحياتكم» وفي د: «حسابكم وموتكم».

(2) وفي معناه أخرج البخاري في كتاب التفسير سورة الأنعام: «عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت: (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال أصحابه: وأينا لم يظلم، فنزلت: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)».

(3) هذا القول الأخير من كلام الشيخ هود ولا شك، فهو برأيه أشبه. وهو غير وارد في مخطوطة ز.

قوله: ﴿ ووَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾ بالنبوّة ﴿ وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي من قبل إبراهيم. قوله: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ ﴾ أي ومن ذرية نوح هدينا دَاوُدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّـا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّـٰلِحِينَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: على عالم زمانهم.

﴿ وَمِنَ ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِـمْ وَاجْتَبَيْنَـٰهُمْ ﴾ أي استخلصنـاهم للنبوّة ﴿ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِـرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: إلى الجنة. ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوَ اشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ أُولَـٰئِكَ الذِينَ ءاتَيْنَٰهُمُ الكِتَـٰبَ وَالحُكْمَ ﴾ يعني الفهم والعقل ﴿ وَالنُّبُـوَّةَ فَإِن يَّكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ﴾ يعني المشركين ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا ﴾ أي بالنبوّة ﴿ قَوْماً لَّيْسُوا بِهَا بِكَـٰفِرِينَ ﴾ يعني النبيين الذين ذكر(1).

وقال بعضهم: (فَإِن يَّكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ) يعني أهل مكة (فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا) أي بالنبوّة (قَوْماً لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ) يعني أهل المدينة.

﴿ أُولَـٰئِكَ الذِينَ هَدَى اللهُ ﴾ يعني النبيين الذين قصّ الله ﴿ فَبِهُدَٰهُـمُ اقْتَدِهْ ﴾ يا محمد. ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على القرآن ﴿ أَجْراً إِنْ هُوَ ﴾ أي القرآن ﴿ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ أي وما عظّموا الله حقّ عظمته، يعني المشركين ﴿ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ ﴾، يعني المشركين في تفسير بعضهم. وقال الحسن: هم اليهود، كانوا يقولون: هؤلاء قوم أميّون، يعنون النبي وأصحابه، ولَبسوا عليهم فكانوا يقولون، أي يقول بعضهم لبعض: (ءَامِنُوا بِالذِي أُنْزِلَ عَلَى الذِينَ ءَامَنُوا)، أي بمحمد (وَجْهَ النَّهَارِ) أي أول النهار (وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ

(1) وهذا هو القول الذي رجحه أبو جعفر الطبري في تفسيره ج 11 ص 518 إذ قال: «يعني به الأنبياء الثمانية عشر الذين سمّاهم الله تعالى ذكره في الآيات قبل هذه الآية».

يَرْجِعُونَ) [آل عمران: 72]، أي إلى دين اليهود، وقد فسّرناه في سورة آل عمران(1). ثم قالوا: (مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ) فقد كانت الأنبياء تجيء من عند الله فلم تكن تجيء بالكتاب، فأين جاء محمد بهذا الكتاب؟ قال الله لمحمد عليه السلام.

﴿ قُل ﴾ لهم ﴿ مَنَ انْزَلَ الكِتَـٰبَ الذِي جَاءَ بِه مُوسَىٰ نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ أي: لمن اهتدى به ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ ﴾ مقرأ الحسن على التاء. ﴿ تُبْدُونَهَا وَتُخفُونَ كَثِيراً ﴾ والقراطيس الكتب التي كتبوا بأيديهم بما حرّفوا من التوراة. ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلاَ ءَابَاؤُكُمْ ﴾ يقول: علّمتم علماً فلم يصر لكم علماً بتضييعكم إياه ولا لآبائكم. ﴿ قُلِ اللهُ ﴾ الذي أنزل الكتاب ﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ وهذا قبل أن يؤمر بقتال أهل الكتاب.

وقال مجاهد: (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ) يعني مشركي العرب. (قُلْ مَنَ انْزَلَ الكِتَابَ الذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخفُونَ كَثِيراً) وهو مقرأ مجاهد على الياء، يعني أهل الكتاب (وَعُلِّمْتُمْ) أنتم معاشر العرب (مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلاَ ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ) أنزله. (ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)(2).

قوله: ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنْزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ أي القرآن ﴿ مُصَدِّقُ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من التوراة والإنجيل. ﴿ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَىٰ ﴾ أي مكة، منها دحيت الأرض؛ لتنذر أهل مكة ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ أي سائر الأرض ﴿ وَالذِينَ يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤمِنُونَ بِهِ ﴾ أي بالقرآن ﴿ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾. قال الحسن: يعني صلاة أهل مكة، حين كانت الصلاة ركعتين غدوة وركعتين عشية.

---

(1) انظر ما سلف ص 291 - 292.

(2) وهذه القراءة التي قرأ بها مجاهد هي التي مال إليها الطبري ورجحها واحتج لها، وبيّن أيضاً، اعتماداً على سياق الآيات وموضوع السورة، أن المعنيّين بالآية هنا إنما هم مشركو قريش. ولاختياره هذا وبيانه حظ كبير من النظر، وهو تأويل وجيه للآية. انظر تفسير الطبري ج 11 ص 524-525.

وقال بعضهم: (وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ) أي يحافظون على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. وقال: كل ما ذكر من الصلاة في المَكّيِّ قبل أن تفرض الصلوات الخمس فهو الصلوات الأولى، ركعتين غدوة وركعتين عشية؛ وما كان بعد ما أسرى بالنبي وافترضت عليه الصلوات الخمس تلك الليلة يعني به الصلوات الخمس. وكان أسري بالنبي، فافترضت عليه الصلوات الخمس، فيما بلغنا، قبل أن يخرج من مكة بسنة.

قوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً ﴾ وهذا على الاستفهام، يقول: لا أحد أظلم منه ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾[1].

قال بعضهم: نزلت في مسيلمة الكذاب، وهو قول الحسن.

ذكر بعضهم قال: ذكر لنا أن نبي الله قال: رأيت فيما يرى النائم أن في يدي سوارين من ذهب فكبُرا علي وأهمَّاني. فأوحى الله إلي أن أنفخهما فنفختهما، فطارا فأولتهما في منامي الكذابين اللذين أنا بينهما: كذاب اليمامة مسيلمة، وكذاب صنعاء العنسي[2]. وكان يسمّى الأسود.

وذكر الحسن أن مسيلمة كان قاعداً عند النبي، فلما قام قال النبي عليه السلام هذا سقب هلكة لقومه[3].

(1) قيل نزلت هذه الآية في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان يكتب لرسول الله ﷺ، ثم ارتد عن الإسلام، انظر تفصيل ذلك في معاني القرآن للفراء ج 1 ص 344، وفي أسباب النزول للواحدي، ص 216.

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب التعبير. باب النفخ في المنام، وأخرجه مسلم في كتاب الرؤيا، باب رؤيا رسول الله ﷺ (رقم 2274) كلاهما يرويه من طريق أبي هريرة عن رسول الله ﷺ. أما مسيلمة الكذاب فهو أبو ثمامة مسيلمة بن حبيب من بني حنيفة بن لجيم، ادعى النبوة وتزوج بسجاح التي تنبأت هي أيضاً. وأما كذاب صنعاء فهو الأسود بن كعب العنسي، وعنس رهط عمار بن ياسر الصحابي الجليل. وقد قُتِل الكذابان في حروب الردة سنة إحدى عشرة للهجرة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(3) قصة لقاء النبي بمسيلمة الكذاب ثابتة في كتب الحديث والتاريخ، انظر مثلاً صحيح البخاري =

قوله: ﴿ وَلَوْ تَرىٰ إِذِ الظَّـٰلِمُونَ فِي غَمَـرٰتِ المَوْتِ وَالمَلاَئِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمُ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ ﴾.

ذكر بعض أصحاب النبي قال(1): هذا عند الموت، يقبضون روحه ويعدونه بالنار ويشدد عليه، وإن رأيتم أنه يهون عليه. ويقبضون روح المؤمن ويعدونه بالجنة، ويهون عليه، وإن رأيتم أنه يشدد عليه.

وقال الحسن: هذا في النار، يقال لهم: أخرجوا أنفسكم إن استطعتم لأنهم يتمنون الموت ولا يموتون. كقوله: (وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ [إبراهيم: 17]. قوله عذاب الهون أي: الهوان.

قوله: ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الحَقِّ ﴾ كقوله: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللهُ مَن يَّمُوتُ) [النحل: 38]. قال: ﴿ وَكُنْتُمْ عَنَ ءَايَـٰتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي في الدنيا.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي خلقنا كل إنسان فرداً ويأتينا يوم القيامة فرداً ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ ﴾ أي ما أعطيناكم من مال وخول ﴿ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ أي في الدنيا.

قوله: ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ ﴾ يعني بالشفعاء ما قال المشركون في آلهتهم: (مَا نَعْبُدُهُمُ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ) [الزمر: 3] أي في أمر الدنيا، في صلاحهم فيها ومعايشهم، وليس يقرّون بالآخرة. ﴿الذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰؤُا﴾ أي أنهم شركاء لله فيكم فعبدتموهم من دون الله.

= في المغازي، باب قصة الأسود العنسي وفيه: «بلغنا أن مسيلمة الكذاب قدم المدينة فنزل في دار بنت الحارث. . . فأتاه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس. . .» إلى آخر الحديث. ولكنني لم أجد فيما بين يدي من كتب الحديث قول النبي عليه السلام في مسيلمة: هذا سقب هلكة لقومه.

(1) ذكر يحيى بن سلام هكذا: أخبرني بعض الكوفيين عمن حدثه عن أبي أمامة قال: هذا عند الموت. . . .

قال: ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ قال مجاهد: وصلكم. وقال الحسن: الذي كان يواصل به بعضكم بعضاً على عبادة الأوثان، يعني الوصلَ نفسه. وهذا تفسير من قرأها بالرفع. ومن قرأها بالنصب (لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) أي ما بينكم من المواصلة ﴿ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَّا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أي أنها تشفع لكم، كقوله: (هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ) [يونس: 18].

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوىٰ ﴾ أي ينفلق عن النبات في تفسير الحسن. وقال مجاهد: هما الشّقّان اللذان فيهما. ﴿ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ﴾ قال مجاهد: هي النطفة والحبة. يخرج من النطفة الميتة الخلق الحي، ويخرج من الحبّة اليابسة النبات الحي، ويخرج النطفة الميّتة من الحيّ، ويخرج الحبة اليابسة من النبات الحي.

وقال الحسن: يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن.

﴿ ذٰلِكُمُ اللهُ فَأَنَّىٰ تُوفَكُونَ ﴾ أي فكيف تُصرف عقولُكم.

قوله: ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ ﴾ أي حين يضيء الصبح[1] في تفسير الحسن ومجاهد. وقال الحسن: صَبَح وصَبْح وصُبْح وجماعتها الإِصْبَاح[2]. ذكروا عن جابر بن عبد الله في قوله: (قُل أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ) قال: فلق الصبح. ذكروا عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ: الفلق شجر في جهنم[3].

---

(1) كذا في د و ع: «حين يضيء الصبح»، وفي ز، ورقة 97 «(فالق الإصباح) خالق الإصباح يعني الصبح حين يضيء».

(2) كذا في د و ع: ولم أجدها في كتب اللغة مثلثة بهذا المعنى. أما الصبْح، فهو مصدر صَبَحَ القومَ وصبَحتهم الخيل إذا أتاهم وأتتهم صباحاً، أما الصِّبح بكسر الصاد فلغة في الصُّبْح، أما الصَّبَح، بفتح الصاد والباء فلم أجدها في كتب اللغة، اللهم إلا أن تكون مخففة من الصباح. انظر اللسان (صبح) وانظر ابن مالك، إكمال الإعلام بتثليث الكلام، ج 2 ص 354-355.

(3) كذا ورد هذا الحديث في د و ع بلفظ: «شجر في جهنم» وقد أورد الطبري في تفسيره في أول سورة الفلق قولاً لابن عباس: «إن الفلق سجن في جهنم» وقولاً للسدي «إنه جب في جهنم». =

قوله: ﴿وَجَعَلَ الّيْلِ سَكَناً﴾ أي يسكن فيه الخلق ﴿والشَّمْسَ والْقَمَرَ حُسْبَاناً﴾ كقوله (الشَّمْسُ والْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) [الرحمن: ٥]. قال الحسن: به تجري. وقال مجاهد: كحسبان الرحا، وهي أيضاً تجري. وقال بعضهم: الحسبان الشيء المعلّق؛ كقوله: (كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ). [الأنبياء: 33] والفلك يدور دون السماء، يجري بها الفلك وَ (يَسْبَحُون): يدورون. وقال بعضهم: (حُسْبَاناً) أي ضياء. وقال الكلبي: حساب منازل الشمس والقمر، أي من قبل الحساب، كل يوم بمنزل.

قال: ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ ﴾ أي العزيز في سلطانه، العليم بخلقه.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَـٰتِ البَرِّ وَالبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾، يعني التي يهتدى بها منها.

قال بعض السلف[1]: من قال في النجوم شيئاً سوى هذه الثلاث فهو كاذب آثم مفتر مبتدع: قال الله: (وَلَقَد زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ) [المُلك: 5]. وقال: (وَهُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ) فهي مصابيح ورجوم ويُهتدى بها.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أخاف على أمتي حيف الأئمة والتكذيب بالقدر والتصديق بالنجوم[2].

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فكفوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا[3].

= وأخرج الطبري في معناه حديثاً من طريق أبي هريرة مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ قال عنه الحافظ ابن كثير في تفسيره ج 7 ص 419: «إنه حديث منكر... وإسناده غريب ولا يصح رفعه».

(1) هو قتادة، وبوّب البخاري في كتاب بدء الخلق: باب في النجوم، وذكر قول قتادة هذا، وفي آخره: «فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلّف ما لا علم به».

(2) أخرجه أبو يعلى وابن مردويه والخطيب عن أنس بلفظ: أخاف على أمتي خَصْلتين: تكذيباً بالقدر وتصديقاً بالنجوم، وفي لفظ وحذقاً بالنجوم.

(3) أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية والخطيب عن ابن مسعود، وقد أورد هذين الحديثين السيوطي في الدر المنثور ج 3 ص 35.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي أَنْشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ يعني آدم ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: فمستقِر ومستودع، فمستَقَر ومستودَع ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَّفْقَهُونَ ﴾ أي عن الله فيؤمنون.

ذكروا عن ابن عباس أنه كان يقرأها (فمستَقَر ومستودَع) فالمستقَر: الرحم، والمستودع الصلب. وكان الحسن يقرأها فمستقِر [بكسر القاف] ومستودع؛ أي مستقر من أجله من يوم يولد إلى يوم يموت، ومستودع في قبره من يوم يوضع فيه إلى يوم يبعث.

وبيان قول ابن عباس: المستقَر الرحم في هذه الآية الأخرى: (وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) [الحج: 5]. وبيان قول الحسن: فمستقِر في أجله من يوم يولد إلى يوم يموت في هذه الآية الأخرى: (وَلَكُمْ في الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) [الأعراف: 24] أي إلى الموت. وتفسير الحسن أن المستقر هو المخلوق.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي من النبات الذي ينبت. ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً ﴾ أي يركب بعضه بعضاً، والحب: الزرع ﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ والقِنوان العذُوق[1]، والدانية في تفسير الحسن: قريب بعضها من بعض، وفي تفسير الكلبي قريبة من الأرض. وقال بعضهم: قنوان دانية: عذوق متهدّلة.

وقوله: ﴿ وَجَنَّـٰتٍ مِنَ أَعْنَابٍ ﴾ يعني العنب ﴿ وَالزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ ﴾ يقول: وأخرجنا الزيتون والرمان ﴿ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ يقول مشتبهاً في طعمه ولونه، وغير متشابه. وقال الكلبي: مشتبهاً في المنظر مختلفاً في الطعم. وقال بعضهم: مشتبهاً

(1) القنو ويجمع على قِنوان، وهو العِذق بكسر العين ويجمع على عذوق. أما العُذق بفتح العين فهي النخلة بحملها. فالعِذق هو الكِباسة، أي: العرجون، «وأعذقت النخلة إذ كثرت أعذاقها»، والعِذق: القنو من النخل والعنقود من العنب انظر الزمخشري، الفائق ج 2 ص 403، واللسان: (عذق).

ورقه مختلفاً ثمره، ألا تراه يقول: ﴿ أُنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ يعني حين يكون غضاً ﴿ وَيَنْعِهِ ﴾ أي ونضجه في تفسير الحسن وغيره.

قال: ﴿ إِنَّ في ذَلِكَ لآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُومِنُونَ ﴾. قال الحسن: فالذي أخرج من هذا الماء هذا النبات وهذا الخضر وهذه الجنات وهذه الأعناب قادر على أن يحيي الموتى.

قوله: ﴿ وَجَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ ﴾ يعني الشياطين من الجن لأن الشياطين هي التي دعتهم إلى عبادة الأوثان، ولم تدعهم الأوثان إلى عبادتها، فأشركوا الجن بعبادة الله.

قال: ﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾ أي الله خلقهم ﴿ وَخَرَّقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾ أي جعلوا له بنين وبنات في تفسير الحسن. وقال بعضهم: كذبوا له بنين وبنات. وقالوا: له بنون وبنات. قال الحسن: يعني قوله: (وَيَجْعَلُونَ لِلهِ البَنَاتِ سُبْحَانَهُ) [النحل: 57] قوله: ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي أتاهم من الله ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ ينزّه نفسه عما قالوا: ﴿ وَتَعَالَىٰ ﴾ أي من قبل العلو والارتفاع، أي ارتفع ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ أي عما يكذبون.

قوله: ﴿ بَدِيعُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي ابتدعها على غير مثال. ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ﴾ أي كيف[2] يكون له ولد ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

---

(1) جاء في ز، ورقة 98: «لا تدركه الأبصار، يعني في الدنيا». ويبدو أن الشيخ هود بن محكم حذف هذه العبارة الأخيرة قصداً، لأنها قيد يفيد أن الأبصار قد تدرك المولى سبحانه وتعالى في الآخرة. وهذا مخالف لرأي الإباضية في رؤية الله. فهم ينفونها في الدنيا والآخرة معاً. قال الشيخ أبو محمد عبد الله السالمي في منظومته «أنوار العقول».

ورؤية الباري من المحال دنيا وأخرى احكم بكل حال
لأن من لازمها التميّزا والكيف والتبعيض والتحيُّزا

وهذا هو مذهب الأباضية من السلف والخلف في المسألة.

(2) وكذا في ع: «كيف» وفي ز، ورقة 98: «من أين يكون له ولد». وكلا التأويلين ورد بهما القرآن كما ذكره ابن سلام في التصاريف ص 198.

قال: ﴿ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ أي حفيظ لأعمال العباد.

قوله: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَـٰرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾ أي اللطيف بخلقه فيما أعطاهم، الخبير بأعمالهم.

قوله: ﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ أي القرآن ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ ﴾ أي اهتدى ﴿ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ ﴾ أي عن الهدى ﴿ فَعَلَيْهَا ﴾ أي فعلى نفسه ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ أي أحفظ أعمالكم حتى أجازيكم بها.

قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَـٰتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ وهي تقرأ على أربعة أوجه: دَرَسْتَ وَدَارَسْتَ وَدُرِسَت وَدَرَسَت. ذكروا عن ابن عباس قال: درستَ أي: قرأتَ وتعلّمتَ. وقال مجاهد مثل ذلك. وبعضهم يقول: دارستَ، أي: قارأت أهل الكتابين. ومن قرأ: دُرِسَت فهو يقول: قُرئت. ومقرأ الحسن: دَرَسَتْ، أي: قد دَرَست وذهبت مع كذب الأولين وباطلهم[1]. قال: ﴿ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ اتبع ما أوحِيَ إليك من ربك لا أله إلا هو ﴾ أي ادعهم إلى لا إله إلا هو[2] والعمل بفرائضه. ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ ﴾. وقد نسخها القتال.

قوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾ وهو كقوله: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً) ﴿ وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ﴾ أي: لأعمالهم حتى تجازيهم بها. ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾. وهي تقرأ على وجهين: عَدْواً وَعُدُوّاً. وهو من العدوان، والعدوان الظلم[3].

---

(1) وردت هذه الكلمة مضبوطة خطأ في ع و د فأثبت تصحيحها حسبما تدل عليه تفاصيل معانيها وانظر في اختلاف قراءتها الداني، التيسير، ص 105، وابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص 122 وابن جني، المحتسب ج 1 ص 255.

(2) في ع: ادعهم إلى الله لا إله إلا هو، وفي ز و د: ادعهم إلى لا إله إلا الله. وهو أصح.

(3) في ع و د: «فعَدْوا من العدوان، وعُدُوّا من الاعتداء»، وأثبت ما جاء في ز ورقة 98 لأنه أوضح =

قال الحسن: كان المسلمون يسبون آلهة المشركين، أي أوثانهم، فإذا سبّوها سبَّ المشركون الله. وقال بعضهم: كان المسلمون يسبّون أوثان الكفّار فيردون عليهم، فنهاهم الله أن يستسبّوا لربهم قوماً جهلة لا علم لهم بربهم.

وقال الكلبي: قال المشركون: والله لينتهين محمد عن سبّ آلهتنا أو لنسبَّنَّ ربه، فنزلت هذه الآية.

﴿ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ وهي مثل قوله: (إِنَّ الذِينَ لَا يُومِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ) [النمل: 4] ﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي في الدنيا.

قوله: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُومِنُنَّ بِهَا ﴾ لقولهم: (فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ) [الأنبياء: 5] وأشباه ذلك. قال الله للنبي ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا الآيَـٰتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُومِنُونَ ﴾ كقوله: مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُومِنُونَ) [الأنبياء: 6] على الاستفهام أي: إنهم لا يؤمنون. لأن القوم أذا سألوا نبيَّهم الآيةَ فجاءتهم فلم يؤمنوا أُهلِكوا[1].

قوله: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ ﴾ أي: نطبع عليها بكفرهم ﴿ كَمَا لَمْ يُومِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي لو جاءتهم الآية لم يؤمنوا بها، فإذا جاءهم العذاب فآمنوا حين رأوا العذاب لم يقبل منهم[2]؛ (كَمَا لَمْ يُومِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أي من قبل أن يجيئهم العذاب.

= وأوجز، إذ لا فرق في المعنى بين العدوان والاعتداء. قال أبو الفتح ابن جني في المحتسب ج 1 ص 226 بعد أن ذكر القراءاتين: «العَدْوُ والعُدُوّ جميعاً الظلم والتعدِّي للحق، ومثلهما العُدوان والعَدَاء».

(1) جاء في مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 204 ما يلي: «(إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ) ألف إنها مكسورة على ابتداء إنها أو تخبير عنها؛ ومن فتح ألف أنها فعلى إعمال (يُشْعِرُكُمْ) فيها، فهي في موضع اسم منصوب».

(2) جاءت العبارة مضطربة في ع و د، مختصرة في ز، ورقة 98، فأثبتُّ تصحيحها حسبما يقتضيه سياق الكلام ومعنى الآية.

قوله: ﴿ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي في ضلالتهم يلعبون. وقال الحسن: يعمهون: يتمادون[1].

قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ المَلاَئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ المَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قِبَلاً ﴾ قال الحسن وغيره: هذا حين قالوا ابعث لنا موتانا نسألهم أحق ما تقول أم باطل، لقولهم: (لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْنَا المَلاَئِكَةُ أَوْ نَرىٰ رَبَّنَا) [الفرقان: 21] ولقولهم: (أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً) [الإسراء: 92]؛ يقول: لو فعلنا هذا بهم حتى يروه عياناً[2] ﴿مَا كَانُوا لِيُومِنُوا إِلاَّ أَن يَّشَاءَ اللهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ أي لا يعلمون: كقوله: (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) [الأنعام: 37] يقول: أي جماعتهم. يعني من ثبت منهم على الكفر.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عُدُوّاً شَيَـٰطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً﴾ قال مجاهد: تزيين الباطل بالألسنة[3]. وقال الحسن: جعل الله أعداء الأنبياء شياطين الإنس والجن، وهم المشركون: (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً) وهو ما توحي الشياطين إلى بني آدم وتوسوس إليهم مما يغرونهم به.

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ أي لو شاء الله ما أوحى الشياطين إلى الأنس. ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ ثم أوحى بقتالهم بعد. قال بعضهم: كل شيء في القرآن: ذر، وذرهم فهو منسوخ نسخه القتال.

قال الكلبي: بلغنا أن إبليس بعث جنوده فريقين، فبعث فريقاً إلى الإنس وفريقاً

---

(1) في مخطوطة: ز، ورقة 98 «يترددون».

(2) لم يشر المؤلف هنا إلى القراءات المختلفة لكلمة (قِبَلاً) ولم يذكر إلا وجهاً واحداً من أوجه معانيها وهو المعاينة وقد اختار الفراء أن تكون قراءتها برفع القاف والباء معاً، على أنها جمع قبيل، بمعنى الكفيل الذي يضمن؛ وذكر أوجهاً أخرى. انظر معاني الفراء ج 1 ص 305-351.

(3) في ع و د: «تزيين الباطل بالأشباه» وفي تفسير مجاهد ص 222، وفي تفسير الطبري ج 12 ص 55: تزيين الباطل بالألسنة».

إلى الجن. فإذا التقوا أعلم هؤلاء هؤلاء، وأعلم هؤلاء هؤلاء ما يقولون؛ فذلك قوله: (زُخرُفَ القَوْلِ غُرُوراً)، وكل ذلك عداوة من إبليس وجنوده لأنبياء الله وأتباعهم.

ذكروا أن أبا ذر قام إلى الصلاة فقال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر، تعوَّذ بالله من شياطين الإنس والجن؛ فقال: يا رسول الله أوللإنـس شياطين كشياطين الجن؟ فقال: نعم(1).

ذكر بعضهم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: توشك الشياطين أن تجالس الناس في مجالسهم وتفتنهم في الدين.

ذكروا عن عبد الله بن عمر أنه قال: إن شياطين أوثقها سليمان بن داود فألقاها من وراء البحر توشك أن تظهر حتى تقرىء الناس القرآن(2).

ذكروا أن أبا موسى الأشعري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن إبليس اتخذ عريشاً على البحر، فإذا أصبح ندب جنوده فقال: أيّكم فتن اليوم مسلماً ألبسه التاج. قال: فيجيء أحدهم فيقول: لم أزل اليوم برجل حتى سبَّ آخر، فيقول: سوف يصطلحان. ثم يجيء آخر فيقول: لم أزل اليوم برجل حتى عقّ والديه. فيقول: سوف يبرّهما. ثم يجيء آخر فيقول: لم أزل اليوم برجل حتى زنى. فيقول: أنت. ثم يجيء آخر فيقول: لم أزل اليوم برجل حتى سرق. فيقول: أنت. ثم يجيء آخر فيقول: لم أزل اليوم برجل حتى شرب الخمر. فيقول: أنت. قال بعضهم: فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة. قال بعضهم: بلغنا أن جهنم موضع البحر(3).

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي أمامة، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 12 ص 53-55 وأخرجه ابن كثير من طرق مختلفة بأسانيد متصلة ومتقطعة وقال في تفسيره ج 3 ص 83: «فهذه طرق لهذا الحدبث ومجموعها يفيد قوته وصحته، والله أعلم.

(2) **هذه أقوال وأخبار لا تقبل وإن نسبت إلى الصحابة الكرام ما لم يثبت في معناها حديث صحيح عن النبي عليه السلام.**

(3) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه مسلم مختصراً عن جابر في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس. . . (رقم 2813).

قوله: ﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الذِينَ لَا يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾ يعني أفئدة المشركين تصغي إلى ما توحي إليها الشياطين وترضاه. والإصغاء الميل. يقول: ولتصغى أي: ولتميل إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة. ﴿ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ أي: وليكتسبوا ما هم مكتسبون، أي سيعملون ما هم عاملون.

قوله: ﴿ أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الكِتَـٰبَ مُفَصَّلاً ﴾ أي: مبيَّناً فصَّل فيه الهدى والضلالة والحلال والحرام.

قوله: ﴿ وَالذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ الكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالحَقِّ ﴾ يعني أهل الدراسة من أهل الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحقّ ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ ﴾ أي من الشاكّين [أن هذا القرآن من عند الله وأن الدارسين من أهل الكتاب يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالحَقِّ][1].

قوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَـٰتُ رَبِّكَ صِدْقاً ﴾ فيما وعد ﴿ وَعَدْلاً ﴾ فيما حكم. وقال الحسن: صدقاً وعدلاً بالوعد والوعيد الذي جاء من عند الله. ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِ ﴾ فيما وعد، كقوله: (لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَد قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ الوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) [سورة قٓ: 28-29]. قوله: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ أي لا أسمع منه ولا أعلم منه.

قوله: ﴿ وَإِنْ تُطِعِ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ لأن المشركين كانوا يدعونه إلى عبادة الأوثان. ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ ﴾ بعبادتهم الأوثان ﴿ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ أي: ادَّعوا أنهم آلهة بظنٍّ منهم. ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ أي ألا يكذبون.

قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ ﴾ أي: فهو أعلم أن محمداً على الهدى وأن المشركين هم الذين ضلُّوا عن سبيله.

قوله: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ ﴾ [يعني ما أدرك ذكاته][2]. قال الحسن:

(1) زيادة من ز، ورقة 99.

(2) زيادة من ز، ورقة 99.

وذلك أن مشركي العرب كانوا يأكلون الميتة والدم والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، فحرَّم الله ذلك كله إلا ما أدرك ذكاته. قال الله: (إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ) [المائدة: 3] قال: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُومِنِينَ ﴾.

ثم قال: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ ﴾ أي: فكلوه فهو لكم حلال ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ من الميتة والدم ولحم الخنزير... إلى آخر الآية ﴿ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ أي من تلك الأشياء التي حرّم. وقال بعضهم: إلا ما اضطررتم إليه من الميتة.

قال: ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ يعني المشركين، بغير علم أتاهم من الله ولا حجة. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ فهو يعلم أنكم أيها المشركون أنتم المعتدون، تعتدون أمر الله

قال الكلبي: (فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُومِنِينَ) فلما حرّم الله الميتة قال المشركون للمؤمنين: ما قتل الله لكم أحق أن تأكلوه أو ما قتلتم بسكاكينكم وأنتم زعمتم أنكم تعبدون الله ولا تأكلون ما ذبح لكم وتأكلون أنتم ممّا ذكرتم عليه اسم الله. فقال الله للمؤمنين: (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ)، أي بيّن لكم ما حرّم عليكم.

قوله: ﴿ وَذَرُوا ظَـٰهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾[1]. قال الحسن: علانيته وسرّه. وقال

---

(1) قال أبو جعفر الطبري بعد أن روى اختلاف المفسرين في ظاهر الإثم وباطنه ما يلي: «والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره تقدم إلى خلقه بترك ظاهر الإثم وباطنه، وذلك سرّه وعلانيته. والإثم كل ما عصى الله به من محارمه، وقد يدخل في ذلك سر الزنا وعلانيته، ومعاهرة أهل الرايات وأولات الأخدان منهن ونكاح حلائل الأباء والأمهات والبنات، والطواف بالبيت عرياناً. وكل معصية لله ظهرت أو بطنت. وإذ كان ذلك كذلك، وكان جميع ذلك إثماً، وكان الله عمّ بقوله: (وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ) جميع ما ظهر من الإثم وجميع ما بطن، لم يكن لأحد أن يخصّ من ذلك شيئاً دون شيء، إلا بحجّة للعذر قاطعة»... انظر تفسير الطبري ج 12 ص 75.

بعضهم: قليلَه وكثيرَه وسرّه وعلانيّته. قال: ﴿ إِنَّ الذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ ﴾ أي يعملون الإثم ﴿ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾ أي يكتسبون، أي يعملون.

قوله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ قال بعضهم: وإنه لشرك. أي: إن أكل الميتة على الاستحلال لشرك. وقال بعضهم: (وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) أي: وإنه لمعصية؛ والفسوق المعاصي.

﴿ وَإِنَّ الشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ أي من المشركين ﴿ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ﴾ في أكل الميتة.

[قال مجاهد: كان المشركون يجادلون المسلمين في الذبيحة][1] ويقولون: يا صِحاب محمد، أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون، وأما ما قتل الله فلا تأكلونه وأنتم تزعمون أنكم تتبعون أمر الله.

قال الله: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴾ أي فاستحللتم الميتة فأكلتموها على وجه الاستحلال لها كما يستحلها المشركون ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾.

وقال بعضهم: (وَإِنَ اَطَعْتُمُوهُمُ) أي صدقتم المشركين فيما قالوا واحتجوا به (إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) أي في تصديقكم المشركين، لأنكم إن صدقتموهم في ذلك فقد كذبتم الله، فأنتم بتصديقكم المشركين وتكذيبكم اللهَ مشركون.

قوله: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً ﴾ أي كافراً ﴿ فَأَحْيَيْنَـٰهُ ﴾ بالإسلام في تفسير الحسن. وقال مجاهد: ضالاًّ فهديناه، وهو واحد. ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَّمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ قال مجاهد: يعني الهدى ﴿ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَـٰتِ ﴾ أي ظلمات الكفر في تفسير الحسن. وقال مجاهد: في ظلمات الضلالة، وهو واحد. ﴿ لَّيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ أي: هو مقيم في ظلمات الكفر والضلالة.

وقال بعضهم: (فَأَحْيَيْنَاهُ) هذا المؤمن معه من الله بيّنة، عليها يعمل، وبها

(1) زيادة من ز، ورقة 100.

يأخذ، [وإليها ينتهي][1]. قال: (كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا)؛ هذا الكافر في الضلالة متحيّر فيها. قال هل يستويان مثلاً، أي هل يستويان هذان؟ على الاستفهام، أي إنهما لا يستويان.

[قال بعضهم][2]: بلغنا أنَّها نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام، ثم هي عامة بعدُ.

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم أيد الإسلام[3] بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام[4] فأيده بعمر بن الخطاب، وأحسبه قال: وأهلك أبا جهل بن هشام أو كما قال.

قال: ﴿ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾. قال بعضهم: أكابر مجرميها: جبابرتها. وقال مجاهد: عظماؤها، وهو واحد. قال: ﴿ لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ أنهم إنما يمكرون بأنفسهم، وهم المشركون الذين كذبوا رسلهم.

---

(1) زيادة من تفسير الطبري، ج 12 ص 91، ومن الدر المنثور، ج 3 ص 44، والقول لقتادة.

(2) زيادة لا بد منها، والكلام منفصل عما قبله، والقول ليحيى بن سلام كما جاء في مخطوطة ز، ورقة 100.

(3) كذا في ع: «اللهم أيد الإسلام» وفي د: «اللهم أيد الدين».

(4) حديث حسن صحيح، أخرجه البغوي في شرح السنة، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضائل عمر عن عكرمة عن ابن عباس بسند فيه ضعف (رقم 3885) لكن أخرجه الترمذي في المناقب، مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب عن نافع عن ابن عمر بلفظ: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب. قال: وكان أحبهما إليه عمر». وصححه ابن حبان وصححه الحاكم بلفظ: اللهم أيد الدين... كما ورد هنا في مخطوطة د.

ويحسن بنا أن نورد ما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «كان إسلام عمر عزاً، وهجرته نصراً، وإمارته رحمة؛ والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر». رضي الله عنه وأرضاه.

قوله: ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّومِنَ حَتَّى نُوتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتِهِ سَيُصِيبُ الذِينَ أَجْرَمُوا ﴾ أي الذين أشركوا ﴿ صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي ذلة عند الله ﴿ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ أي في الآخرة ﴿ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ أي: يشركون.

قوله: ﴿ فَمَن يُّرِدِ اللهُ أَن يَّهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ ﴾ أي يوسع صدره ﴿ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُّرِدِ أَن يُّضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرِجاً ﴾ والحرج الضيق، وهو كلام مثنى[1] وهو الشك ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ أي يثقل عليه ما يُدْعَى إليه من الإيمان. وفي تفسير الحسن: كأنما يكلّف أن يصعّد في السماء. قال الله: ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ ﴾ يعني رجاسة الكفر ﴿ عَلَى الذِينَ لاَ يُومِنُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَهَذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ ﴾ أي الإسلام ﴿ مُسْتَقِيماً ﴾ مستقيماً إلى الجنة. وإنما انتصب لأنه من باب المعرفة، كقولك: هذا عبد الله مقبلاً.

قوله: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَـٰتِ ﴾ أي بيّنّا الآيات ﴿ لِقَوْمٍ يَّذَّكَّرُونَ ﴾ أي إنما يتذكر المؤمن كقوله: (إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) [يس: 11] أي: إنما يقبل نذارتك من اتبع الذكر.

قوله: ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَٰمِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ والسلام هو الله وداره الجنة. قال: (عِنْدَ رَبِّهِمْ) كقوله: (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) [الغاشية: 10] أي في السماء. وكقول امرأة فرعون: (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ) [التحريم: 11] أي في السماء، وكقوله: (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ) [القمر: 55] أي في السماء. يقول: إن الجنة في السماء عند الله، ولو كانت الجنة في الأرض لكانت أيضاً عند الله، ولكنه أخبر بموضع الجنة أنها في السماء عند الله كما أن النار في الأرض عند الله.

وفيما يؤثر أن أربعة أملاك التقوا فتساءلوا فيما بينهم من أين جاءوا. فقال

---

(1) كذا في ع و د: «كلام مثنى» أي كلام مكرر. وفي ز، ورقة 100: «الحرج والضيق معناهما واحد».

أحدهم: جئت من السماء السابعة من عند ربي، وقال الآخر: جئت من الأرض السفلى من عند ربي، وقال الآخر: جئت من المشرق من عند ربي. وقال الآخر: جئت من المغرب من عند ربّي.

ذكروا أن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: السلام اسم من أسماء الله[1].

قال: ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَـٰمَعْشَرَ الجِنِّ ﴾ أي: ثم نقول يَا مَعْشَرَ الجِنِّ ﴿ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنْسِ ﴾ ذكروا أن مجاهداً قال: (قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ) أي قد كثر من أغويتم وأضللتم من الأنس، وهو قول الحسن. ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنْسِ ﴾ أي الذين أضلوا من الإنس ﴿ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾.

قال الكلبي: كانت الجن قد أضلوا كثيراً من الإنس حتى تولَّوْهم وعَدَوا بهم. وكان استمتاع الإنس بالجن أن الرجل كان إذا خاف الضلال وهو بأرض قفراء واستوحش بها قال: أعوذ بسيّد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في جواره وكان استمتاع الجن بالإنس أن يقولوا: لقد سوّدتنا الإنس مع الجن[2] فيزدادون بذلك شرفاً من قومهم. وقال في سورة الجن: (وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَال مِّنَ الجِنِّ) أي إذا حل أحد من الإنس بالوادي القفر أو بالمكان المخوف قال: أعوذ بسيّد هذا الوادي من سفهاء قومه. قال: (فَزَادُوهُمْ رَهَقاً) [الجن: 6] والرهق هو الإثم، إذ استعاذوا بمن لا يعيذ وتركوا أن يستعيذوا بالله الذي يعيذ من استعاذ به.

قوله: ﴿ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الذِي أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ قال الكلبي: الموت ﴿ قَالَ النَّارُ مَثْوَيٰكُم ﴾أي مصيركم ومنزلكم ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ ﴾ إلا قدر ما يخرجون

(1) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة عن عبد الله بلفظ: إن الله هو السلام، وانظر ما سلف من هذا التفسير ص 458.

(2) في ع: «الانس مع الجن» ويبدو أن الصواب ما أثبته الجِن (بالحاء) كما جاء في تفسير الطبري ج 1 ص 455 في خبر طويل عن ابن عباس، والحِن حي من أحياء الجن. وانظر اللسان (حنن).

من قبوركم فتحاسبون بأعمالكم الخبيثة فتعاقبون عليها وتخلدون في النار. فلذلك استثنى من الخلود ما ذكرنا إلا قدر ما وصفنا[1]. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ أي حكيم في أمره عليم بخلقه.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّٰلِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾. قال الحسن: المشركون بعضهم أولياء بعض كما أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض. قال بعضهم الآية محتملة جامعة لجميع الظالمين، وهو ظلم فوق ظلم وظلم دون ظلم.

قوله: ﴿ يَٰمَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ ﴾ يعني من كفر منهم ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ ﴾ أي من الإنس خاصة، ولم يبعث الله نبياً من الجن ولا من النساء ولا من أهل البدو. وإن كان خاطب بهذه المقالة الثقلين جميعاً من الجن والإنس، وأرسل فيهم الرسل من الإنس خاصة، فقال وهو يخاطبهم جميعاً: الجن والإنس: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ) أي: من أحدكم، أي من الإنس. كقوله: (يُخْرَجُ مِنْهُمَا) أي من البحرين (اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ) [الرحمٰن: 22] وإنما يخرج من أحدهما، وليس يخرج منهما جميعاً، وكذلك قوله: (يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ) أي من أحدكم، وهو الإنس. قال: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً يُوحَى إِلَيْهِم مِّنَ أَهْلِ القُرَىٰ) [يوسف: 109] أي من أهل الحضر لأنهم كانوا أعلم وأفضل من أهل العمود[2].

ذكروا أن معاذ بن جبل كان على بعض قرى أهل الشام فجاء أناس من أهل البادية فقالوا: قد شقّت علينا الإقامة، فلو بدأت بنا، فقال لعمري لا أبدأ بكم قبل أهل الحضارة أهل العبادة وأهل المساجد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: تنزل عليهم السكينة، وإليهم يأتي الخير، وبهم يبدأ يوم القيامة[3].

---

(1) كأن هذا التفسير للاستثناء هنا من زيادة الشيخ هود بن محكّم، وهو غير موجود في مخطوطة ز.

(2) هم أصحاب الخيام والأخبية. وهم الأعراب الذين يسكنون البوادي، وهم في أغلب أحوالهم بين حل وترحال، ينتجعون الكلأ ويرودون الغدران.

(3) لم أجده فيما بين يدي من المراجع.

قوله: ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنْذِرُنَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا ﴾ أنه قد جاءتنا الرسل في الدنيا، وهذا بعد ما صاروا إلى النار.

يقول الله: ﴿ وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ إذ كانوا فيها ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمُ ﴾ أي في الآخرة ﴿ أَنَّهُمْ كَانُوا كَـٰفِرِينَ﴾ أي في الدنيا.

﴿ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ﴾ أي: لم يبعث إليهم رسولاً، يعني من أهلك من الأمم السالفة حين كذبوا رسلهم. يقول: لم أكن لأهلكهم حتى أبعث فيهم رسولاً احتج به عليهم، ولم أكن لأظلمهم فأعذبهم قبل مبعث الرسل والاحتجاج بالكتب.

قوله: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ أي: على قدر أعمالهم. قال الله في أهل النار (جَزَاءً وِّفَاقاً) [النبأ: 26] أي وافق أعمالهم الخبيثة. وقال في أهل الجنة: (جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً) [النبأ: 36] أي على قدر أعمالهم.

ذكر بعض الفقهاء قال: يقول الله: ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم.

قوله: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ﴾ أي عن خلقه وعن عبادتهم ﴿ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَّشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ أي بعذاب الاستئصال، يعني المشركين ﴿ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ ﴾ أي كما خلقكم ﴿ مِّنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُون لأَتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي ما أنتم بالذين يعجزون الله فتسبقونه حتى لا يقدر عليكم.

قوله: ﴿ قُلْ يَـٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمُ ﴾ وهذا وعيد، أي اعملوا على ناحيتكم، أي على كفركم، ﴿ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَـٰقِبَةُ الدَّارِ ﴾ أي دار الآخرة، وعاقبتها الجنة، أي فستعلمون يوم القيامة أنّا أهل الجنة وأنكم أهل النار. ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّـٰلِمُونَ ﴾ أي المشركون، وهو ظلم فوق ظلم، وظلم دون

ظلم. وقد تحمل الآية على جميع الظالمين من المشركين وغيرهم، وقد تكون الآية خاصة ثم تعمّ.

قوله: ﴿ وَجَعَلُوا لِلهِ مِمَّا ذَرَأَ ﴾ [أي مما خلق][1] ﴿ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَـٰمِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ لِلهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾.

كان هذا في الجاهلية. كانوا قد جعلوا من أنعامهم وحروثهم جزءاً لله وجزءاً لآلهتهم؛ فكانوا يحرثون الحرث فيخطون فيه خطاً فيقولون: ما دون هذا الخط لآلهتنا، وما وراءه فهو لله. ثم يبذرون البذر، فإن سقط فيما سموا لله شيء من البذر [الذي][1] جعلوه لآلهتهم لقطوه[2] فردوه إلى ما جعلوا لآلهتهم تعظيماً لآلهتهم، وإن سقط من البذر شيء في ما سموا لآلهتهم من الذي جعلوه لله تركوه. ويرسلون الماء في الذي سمّوا لله؛ فإن انفجر في الذي سمّوا لآلهتهم قالوا: أَقِرّوه فإن هذا فقير إليه، وإن انفجر في الذي خطّوه لله سدّوه. وهذا في تفسير الكلبي.

وفي تفسير الحسن: إذا حسن الزرع جعلوه لآلهتهم إن كان هو الذي جعلوه لآلهتهم، فهو لها عندهم وإن كان هو الذي جعلوه لله أحسن جعلوه لآلهتهم، ولا يجعلون لله مما جعلوا لآلهتهم، إذا حسُن، شيئاً. وأما في الأنعام فإذا اختلط مما جعلوا لله شيء فيما جعلوه لآلهتهم تركوه ولا يُمَيِّز. فإذا اختلط مما جعلوا لآلهتهم فيما جعلوا لله ردّوه في الذي جعلوه لآلهتهم. وإذا ذبحوا شيئاً لآلهتهم ذبحوه في وطاء فاستقر الدم مكانه، وإذا ذبحوه لله ذبحوه على مشرف فيسيل الدم إلى المكان الذي ذبحوا لآلهتهم. قال الله: (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ).

وقال بعضهم: عمد ناس من أهل الضلالة فجزأوا من حروثهم ومواشيهم

(1) سقط اسم الموصول هذا من ع و د، ولا بد من إثباته حتى يستقيم المعنى.

(2) كذا في ع: لقطوه، وهو صحيح فصيح، يقال: لَقَطَه يلقُطه، والتقطه يلتقِطه، أي أخذه من الأرض ومنه المثل «لكلِّ ساقطة لاقطة». وانظر اللسان (لقط).

جزءاً لله وجزءاً لشركائهم؛ فكانوا إذا خالط شيء مما جزأوا لله شيئاً مما جزأوا لشركائهم تركوه، وإذا خالط شيء مما جزأوا لشركائهم شيئاً مما جزأوا لله ردّوه إلى شركائهم. وإذا أصابتهم سَنَة استعانوا بما جزّأوا لله ووفّروا ما جزأوا لشركائهم. قال الله: (أَلَا سَاءَ) أي بئس ما (يَحْكُمُونَ).

[وقال مجاهد][(1)]: كانوا يسمّون لله جزءاً من الحرث ولأوثانهم جزءاً فما ذهبت به الريح مما سموا لله إلى جزء أوثانهم تركوه، وقالوا: الله غني عن هذا، وما ذهبت به الريح من جزء أوثانهم إلى ما سمّوا لله ردّوه إلى جزء أوثانهم.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾ يعني الشياطين الذين عبدوهم من دون الله، لأن الشياطين هي التي حملتهم على عبادة أوثانهم، وإنما عبدوا الشياطين. قال الله: (إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً) أي: أمواتاً، يعني أوثانهم، (وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَّرِيداً) [النساء: 117] وقال: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءَادَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) [يٓس: 60] وقال: (بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ) أي الشياطين من الجن. [سبأ: 41].

وقال مجاهد: شركاؤهم: شياطينهم، أمروهم بقتل أولادهم خشية العَيْلة. وقال بعضهم: (وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ) يقول: شركاؤهم زيّنوا لهم قتل أولادهم.

قال: ﴿ لِيُرْدُوهُمْ ﴾ أي ليبعدوهم عن الله. وقال بعضهم: لِيُهْلِكوهم، وهو واحد. ﴿ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ أي وليخلطوا عليهم دينهم الذي أمرهم الله به. أي الإسلام. ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾ كقوله: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً) [يونس: 99]. قال: ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ أي حرام ﴿ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ

(1) وقع اضطراب وتقديم وتأخير في ع و د بين الأثر السابق وهو قول لقتادة وبين قول مجاهد الذي لم يذكر اسمه في ع و د وأثبته من ز ورقة 101 ومن تفسير الطبري ج 12 ص 132.

بِزَعْمِهِمْ ﴾ وهذا ما كان يأكل الرجال دون النساء، وتفسيره في الآية التي بعد هذه. قال: ﴿ وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَت ظُهُورُهَا ﴾ وهو الحام في تفسير الكلبي. وقال الحسن: (وَأَنْعَامٌ حُرِّمَت ظُهُورُهَا ﴾ هو ما حرّموا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام. وقد فسّرنا أمر الحام في سورة المائدة(1).

قوله: ﴿ وَأَنْعَـٰمٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا ﴾ قال الحسن: هو ما استحلوا من أكل الميتة وأشباه ذلك. وهو قوله: (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) [الأنعام: 121]. قال: ﴿ افْتِرَاءً عَلَيْهِ ﴾ أي على الله ﴿ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ زعموا أن الله أمرهم بهذا.

قوله: ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ الْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ﴾.

أما قوله: (خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا) فذلك [لأنها](2) صارت جماعة وهو قوله في الآية الأولى: (لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ). نزلت هذه الآية قبل الأولى، وهي بعدها في التأليف. قال: (وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا) أي ما في بطون تلك الأنعام من ذكر أو أنثى. رجع إلى الكلام الأول: إلى [مَا]. وما مذكر، فهو محرّم على النساء كلّه عندهم(3).

كان ما ولد من تلك الأنعام من ذكر يأكله الرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركت محرّمة على الرّجال والنساء، وإن كانت ميّتة فهم فيه شركاء، أكلها الرجال والنساء جميعاً فيما ذكر مجاهد.

(1) انظر ما سلف قريباً ص: 503 - 504.

(2) زيادة لا بد منها ليستقيم المعنى.

(3) يبين المؤلف هنا وجه تأنيث كلمة (خَالِصَة) وتذكير كلمة (محرّم). والتاء في (خالصة) تشير إما إلى الأنعام التي في بطون الأنعام، «وتأنيثها لتأنيث الأنعام لأن ما في بطونها مثلها فأنثت لتأنيثها» كما قال الفراء، وإما إلى الأجنة والألبان التي في بطون الأنعام. انظر تفصيل ذلك وتعليل وجوه القراءات التي وردت في هذه الآية في معاني القرآن للفراء ج 1 ص 358، والحجة لابن خالويه ص 126-127.

وبعضهم يقرأها (خَالِصٌ) أي: لبن خالص، أي لَبَنُه خالص لذكورنا، مثل قوله: (لَبَناً خَالِصاً) [النحل: 66] (وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا) أي ذلك اللّبن. والعامّة على المقرأ الأول والتفسير الأول.

قوله: ﴿ سَيَجْزِيهِمْ ﴾ أي في الآخرة ﴿ وَصْفَهُمْ ﴾ أي كذبهم بما فعلوا في ذلك، في تفسير الحسن ومجاهد: وقال الحسن: بما زعموا أن الله أمرهم به. ﴿ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾.

وبلغنا أن ابن عباس على المقرأ الأول؛ قال: وكانوا إذا ولدت الشاة سبعة أبطن عمدوا إلى السابع، فإن كان ذكراً ذبح وكان لحمه للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى استحيوها فتركوها لآلهتهم، وإن كانت أنثى وذكراً استحيوا الذكر من أجل الأنثى وسمّوها الوصيلة التي وصلت أخاها، وإن ولدت ميتاً من ذكر أوأنثى أكله الرجال والنساء(1).

وقال بعضهم في قوله: (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا) أي: ألبان البحائر؛ كانت ألبانها خالصة للرجال دون النساء، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء: الذكور والإناث. قوله: (إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) أي حكيم في أمره عليم بخلقه.

قوله: ﴿ قَدْ خَسِرَ الذِينَ قَتَلُوا أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي سفه الرأي، بغير علم أتاهم من الله يأمرهم فيه بقتل أولادهم، وهي الموءودة. كانوا يدفنون بناتهم وهن أحياء خشية الفاقة، ويقولون: إن الملائكة بنات الله، والله صاحب بنات، فألحقوا البنات به.

وقال بعضهم: هذا صنيع أهل الجاهلية، كان أحدهم يقتل ابنتَه ويغذو كلبَه.

قال: ﴿ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ ﴾ أي ما حرّموا من الأنعام والحرث على

(1) في المخطوطتين د و ع: «أكله الرجال دون النساء» وهو خطأ محض مخالف لصريح الآية. والصحيح ما أثبته: أكله الرجال والنساء، وهو قوله تعالى: (فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ).

أنفسهم. وهو الذي فسّرنا قبل هذا، وهو تفسير العامة. ﴿ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ ﴾، قال: ﴿ قَد ضَلّوا ﴾ عن الحق، أي عن الهدى ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي أَنْشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ ﴾. والمعروشات في تفسير الكلبي العنب، وغير معروشات الشجر والنخل. وفي تفسير مجاهد: العنب منه معروش وغير معروش. قال: ﴿ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ ﴾. تفسير الكلبي: منه الجيِّد ومنه الرّديء. ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ﴾ أي متشابهاً في المنظر وغير متشابه في المطعم.

ذكروا عن مجاهد عن ابن عباس قال: اختلاف الطعم والشجر. وتفسير بعضهم في الآية الأولى: متشابهاً في الورق مختلفاً في الثمر.

قوله: ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ أي: الزكاة المفروضة فيما ذكر الحسن. وقال غيره: هي الصدقة التي فيه. وكذلك قال سعيد بن جبير: هي الزكاة.

ذكروا عن ابن عمر ومجاهد قالا: هو سوى العشر ونصف العشر أن يُتَنَاوَل منه يوم يحصد.

ذكر الحسن قال: نهى رسول الله ﷺ عن أن يُصرم ليلاً، أو يُحصد أو يُضحّى ليلاً[1]. قال بعضهم: نراه من أجل من يحضره من المساكين؛ كقوله في سورة نٓ في (أَصْحَابَ الجَنَّةِ إذ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ)... إلى قوله (أَن لَا يَدْخُلَنها اليَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ) [سورة نٓ: 17-24].

ذكروا أن رسول الله ﷺ سنّ فيما سقت السماء والعيون السائحة وما سقي الطّل - والطل الندى - وكان بعلاً، العشر، كاملاً، وما سقي بالدوالي والسّواني نصف العشر.

(1) رواه يحيى بن آدم في كتاب الخراج ص 127 بسند عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن حسين قال: نهى رسول الله ﷺ عن جذاذ الليل وحصاده. الحديث رقم 422-423.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة(1).

ذكر بعضهم أنه قال: كان رجال من أهل العلم يقولون: لا يؤخذ من الحب اليابس شيء حتى يبلغ ثلاثمائة صاع، فإذا بلغ ثلاثمائة صاع ففيه الزكاة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ بعث معاذ بن جبل إلى اليمن فأمره أن يأخذ الزكاة من لتمر والزبيب والبر والشعير والذرة(2).

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ليس في الخضراوات صدقة(3).

ذكروا عن الحسن قال: الزكاة في تسعة: الذهب والفضة، والإبل والبقر والغنم والبر والشعير، والتمر والزبيب.

قوله: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾. أي لا تحرّموا ما حرّم أهل

(1) حديث صحيح أخرجه أئمة الحديث؛ رواه الإمام الربيع بن حبيب عن ابن عباس في مسنده (رقم 331) وأخرج البخاري في كتاب الزكاة، باب ليس فيما دون خمس ذود صدقة عن أبي سعيد الخدري وفيه: ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة، وأخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام بسند عن أبي سعيد الخدري (رقم الحديث: 1422) وأخرجه يحيى بن آدم عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ: «ليس في أقل من خمسة أوساق من الحنطة والشعير والتمر والزبيب صدقة تؤخذ». (رقم الحديث: 513)، وأخرجه أغلب أئمة الحديث. وانظر كتاب الخراج لأبي يوسف ففيه الحديث عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة.

(2) أخرجه يحيى بن آدم في كتاب الخراج من طرق في باب من قال: الصدقة من الحنطة والشعير والتمر والزبيب خاصة، وليس في الخضر صدقة (أرقام 502-513) وأخرجه الحاكم والبيهقي والطبراني من حديث أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل حين أرسلهما النبي عليه السلام. إلى اليمن يعلّمان الناس أمر دينهم وفيه: «لا تأخذا الصدقة إلا من أربعة: الشعير والحنطة والزبيب والتمر».

(3) أخرجه أبو يوسف في كتاب الخراج (رقم 130 و132) ص 122، وأخرجه يحيى بن آدم في كتاب الخراج عن موسى بن طلحة مرسلاً (الحديث رقم 502-503)، وأخرجه الدارقطني عن موسى بن طلحة مرسلاً أيضاً. ورواه الأثرم في سننه مرسلاً. واقرأ تحقيقاً مهمّاً في الموضوع أورده الشوكاني في نيل الأوطار: ج 4 ص 151-152. وانظر تفسير القرطبي ج 7 ص 102-104. ثم اقرأ تحقيقاً قيماً له قيمته، كتبه الدكتور يوسف القرضاوي في فقه الزكاة ج 1 ص 355.

الجاهلية من الأنعام والحرث، وهو الذي فسّرنا قبل هذا.

قوله: ﴿ وَمِنَ الأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشاً ﴾ أي: وأنشأ من الأنعام، تبعاً للكلام الأول، (وَهُوَ الذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ) وأنشأ حمولة، أي: وخلق حمولة وفرشاً.

قال بعضهم: الحمولة ما حمل من الإبل، والفرش الصغار التي لا تطيق الحمل. وتفسير الحسن وغيره: الحمولة الإبل والبقر، والفرش الغنم.

قال: ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ ﴾ أي الحلال منه ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَـٰنِ ﴾ أي خطايا الشيطان[1] وقال بعضهم: أمر الشيطان فيما حرّم عليهم من الأنعام والحرث الذي ذكرنا قبل هذا الموضع. ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي: بيّن العداوة.

قوله: ﴿ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ[2] مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾ أي ذكر وأنثى، والواحد زوج[3] ﴿ قُلْ ءالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ ﴾ على الاستفهام ﴿ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ ﴾ من ذكر وأنثى، أم كل ذلك حرام، فإنه لم يحرّم منه شيئاً. ﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾. أي إن الله حرم هذا، وهو ما حرموا من الأنعام التي ذكرنا مثل هذا الموضع.

---

(1) كذا في ع و د: «خطايا، وهو جمع خطيئة، وهذا تأويل ذهب إليه مجاهد وقتادة والضحاك كما جاء في تفسير الطبري ج 3 ص 301.

(2)) جاء في مخطوطة ز، ورقة 100: «(ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) أي: أصناف». ويبدو أن هذا خطأ. فإن لفظ الزوج هنا لا يعني الصنف. ولم أجد في أغلب التفاسير التي بين يدي من أول هذا التأويل في هذه الآية. إن كلمة الزوج تعني الصِّنْفَ في مثل قوله تعالى: (سُبْحَانَ الذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ...) [يس: 36] أي سبحان الذي خلق الأصناف كلها كما ذكره السجستاني في غريب القرآن ص 104، وفي قوله تعالى: (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً) [الواقعة: 7] أي أصنافاً وأنواعاً كما ذكره المفسّرون.

(3) نعم «الواحد زوج» لأن كلمة الزوج هنا لا تعني ما ليس بمفرد. ولكن كل من الذكر والأنثى زوج بالنسبة للآخر. فالواحد زوج. انظر اللسان (زوج). قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص: 162: «(ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) أي ثمانية أفراد، والفرد يقال له زوج». وهذا هو الصواب، ولكنه في كتابه تأويل مشكل القرآن ص 498 يجعل الزوج في هذه الآية بمعنى الصِّنف؛ ولعله وَهِمَ.

قال: ﴿ وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِن البَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ ﴾ من ذكر وأنثى أم كل ذلك حرام فإنه لم يُحَرَّم منه شيء، يقول: أي كل هذا حرمت؟ فإني لم أحرّم منه شيئاً، ذكراً ولا أنثى.

قال الكلبي: يقول: إنما الأنعام كلها ثمانية أزواج، فمن أين جاء التحريم؟ من قبل الذكرين أم من قبل الأنثيين. (نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). فسألهم النبي عليه السلام. فسكتوا ولم يجيبوه. قال الله: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءُ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا) فقال ذلك لهم النبي عليه السلام فقالوا: يا محمد: فبم هذا التحريم الذي حرّمه آباؤنا وآباؤهم قبلهم؟ فقال الله للنبي عليه السلام: قل يا محمد لا أجد فيما أوحي إلي محرّماً. . . إلى آخر الآية.

قوله: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّـٰكُمُ اللهُ بِهَذَا ﴾ بزعمكم أن الله حرّم هذا، أو أمركم بهذا. أي: إنكم لم تكونوا شهداء لهذا ولم يوصكم الله بهذا.

ثم قال: ﴿ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً ﴾ يقول: لا أحد أظلم منه. ﴿ لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ جاءه من الله ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ يعني من يموت على شركه.

ثم قال: ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَّطْعَمُهُ ﴾ أي على آكل يأكله أي لِما كانوا حرّموا على أنفسهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام. قال: ﴿ إِلَّا أَن يَّكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً ﴾ وهو المهراق، وأما دم في عرق أو مخالط لحماً فلا. ﴿ أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً ﴾ فيها تقديم: إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو فسقاً فإنه رجس؛ وإنما انتصب فسقاً لأنه تبع للكلام الأول: (لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ فِسْقاً). قوله: ﴿ أُهِلَّ لِغيرِ اللهِ بِهِ ﴾ أي ما ذبحوا على أصنامهم.

قال: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ أي فأكل من هذه الأشياء على الاضطرار منه ﴿ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

ذكروا عن محمد بن الحنفية أنه كان سئل عن الطحال والأسد والحرباء وأشباه ذلك مما يكره فتلا هذه الآية: ﴿قُل لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحرَّماً﴾. . . .

ذكروا عن جابر بن عبد الله أنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية[1] وذكر عن الحكم الغفاري مثل ذلك، قال: وأبي البحر. قال عمرو بن دينار: وأبي البحر، قلت: من البحر؟ قال: ابن عباس. قال: قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً. . . إلى آخر الآية[2].

ذكر الحسن قال: نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية وألبانها.

وقال بعضهم: إنما نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر إبقاء على الظهر ولم يحرّمها تحريماً. وهذا يشد قول ابن عباس في قوله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً﴾.

ذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع[3]. وهذا حديث شاذ ليس بالمجمع عليه. وقال: أهل المدينة: لا نعرف هذا الحديث.

---

(1) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب لحوم الحمر الأنسية، وأخرجه مسلم في الصيد والذبائح، باب في أكل لحوم الخيل عن جابر بن عبد الله. مسلم: «أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في لحوم الخيل».

(2) وقع اضطراب وحذف في هذا الأثر في مخطوطتي ع و د، وصوابه ما أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب لحوم الحمر الأنسية، وهو آخر أحاديث الباب قال: «حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال عمرو: قلت لجابر بن زيد يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن حمر الأهلية، فقال: قد كان يقول ذاك الحكم بن عمرو الغفاري عندنا بالبصرة، ولكن أبي ذاك البحر ابن عباس وقرأ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً﴾». وكان الحكم بن عمرو الغفاري من خيار الصحابة قال فيه الذهبي في سير أعلام النبلاء ج 2 ص 339: «له صحبة ورواية، وفضل وصلاح ورأي وإقدام». نزل البصرة، وبها روى عنه جابر بن زيد وعبد الله بن الصامت وغيرهم. وقد عينه زياد بن أبيه والياً على خراسان وبها توفي سنة خمسين للهجرة. وكان لا يخاف في الله لومة لائم. انظر موقفه من زياد كما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب ج 1 ص 357.

(3) رواه البخاري في كتاب الذبائح والصيد بسند عن أبي ثعلبة في باب أكل ذي ناب من السباع.

ذكر قرة بن خالد قال: سألت الحسن عن السباع والضباع والضباب فقال: قد أغنى الله عنها، كانت طعام هذه الرعاء. قلت: أبلغك أن رسول الله ﷺ نهى عن كل سبع ذي ناب فقال: لا والله، ما سمعنا بذلك.

وكان عبادة بن الصامت[1] يقول: إن رسول الله ﷺ نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير. ولم يجمع الناس على هذا الحديث. وقال ابن أبي ذئب: هذا حديث لا يعرفه أهل المدينة.

قوله: (غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ) قال بعضهم: غير باغ في أكله ولا عاد، أي يتعدّى حلالاً إلى حرام. وقال مجاهد: غير باغ على الناس ولا عاد يقطع عنهم السبيل.

ذكر الحسن قال: إن رجلاً قال: يا رسول الله، متى تحرم عليّ الميتة. قال: إذا رويت من اللبن وجاءت ميرة أهلك[2].

ذكر عبد الله بن عون[3] قال: دخلت على الحسن فإذا عنده كتاب فقال: هذا كتاب سمرة لولده فإذا فيه يجزي من الضرورة أو من الضارورة صبوح أو غبوق.

ذكروا عن بعض السلف أنه قال: من اضطر فلم يأكل أو لم يشرب ومات دخل النار.

قوله: ﴿ وَعَلَى الذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ﴾ يعني البعير والنعامة في أشياء من الطير والحيتان. وقد فسّرناه في سورة آل عمران: من الطير ما لا صيصة له، ومن الحيتان ما لا حرشفة له[4].

وقال مجاهد: النعامة والبعير. وقال الكلبي: كل ذي ظفر يجرج به أو ذي ظفر يجترّ.

---

(1) من هنا إلى آخر السورة تعود مخطوطة القرارة التي أرمز لها بحرف ق ببعض أوراق.

(2) انظر ما سلف ص 166، تعليق: 1.

(3) ورد هذا الخبر في صفحة165 منسوباً إلى سهل بن عبد الله بن عون. ولا أدري أيهما أصح.

(4) انظر ما سلف ص 285.

قوله: ﴿ وَمِنَ البَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الحَوَايَا ﴾ يعني المبعر في تفسير العامة. ﴿ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾. قال: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَـٰهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ أي بكفرهم ﴿ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴾.

قوله: ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ ﴾ أي لمن تاب من شركه وقَبِل ما أنزل الله ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ ﴾ أي عذابه ﴿ عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ ﴾ أي المشركين في هذا الموضع، يعني عذاب الساعة، أي النفخة التي يهلك الله بها كفار آخر هذه الأمة في تفسير الحسن، بتكذيبهم النبيَّ عليه السلام.

قوله: ﴿ سَيَقُولُ الذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾ أي ما حرّموا على أنفسهم من الأنعام والحرث. قال مشركو العرب: لو كره الله ما نحن عليه لحوَّلَنا عنه.

قال الله: ﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ﴾ أي عذابنا، يعني من أهلك منهم من الأمم السالفة حين كذَّبُوا رسلهم، فقال الله للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ هَلْ عِنْدَكُم مِّنْ عِلْمٍ ﴾ أن الذي أنتم عليه من الشرك أني أمرتكم به ﴿ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ أي: إنْ هذا منكم إلا ظن. ﴿ وَإِن أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ أي تكذبون.

قوله: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَـٰلِغَةُ ﴾ أي فقد قامت عليكم الحجة وجاءكم الرسول. ﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ كقوله: (وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ). [السجدة: 13].

قوله: ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا ﴾ يعني ما حرّموا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وما حرَّموا من الحرث. ﴿ فَإِنْ شَهِدُوا ﴾ أي فلا يجدون من يشهد لهم ﴿ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ﴾ وإنما هذه صفة، ولا يكون ذلك ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا وَالذِينَ لَا يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ أي يعدلون به الأصنام فيعبدونها.

قوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ وهذا ما حرّم عليكم ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَٰدَكُمْ مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ وهو الوأد: دفنهم البنات أحياء مخافة الفاقة ومخافة السبي في تفسير بعضهم. وتفسير أول الآية عن الحسن. ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾.

قال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَٰحِشَ ﴾ يعني الزنا ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ فما ظهر منها علانيتها وما بطن سريرتها. وقال الكلبي: ما ظهر منها السِّفاح، يعني الزنا الظاهر، وما بطن المخادنة؛ وكانوا يستقبحون السِّفاح ولا يرون بالمخادنة بأساً، فنهاهم الله عنهما جميعاً.

قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾. ذكروا أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يحل دم امرىء إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً متعمداً[1]. وبعضهم يقول: والرابعة ما حكم الله من قتل الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله.

وفيما يؤثر عن النبي عليه السلام أنه قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم إلا بحقها[2]. فينبغي أن يتفهَّم الناس هذه النُّكتة: إلا بحقّها؛ وحقُّها ما وصفنا من رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً متعمداً، أو قاتل على البغي فقُتل عليه.

قال: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي لكي تعقلوا.

---

(1) انظر ما سلف ص 464، تعليق: 1.

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم عن ابن عمر مرفوعاً، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان؛ باب أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، من طرق عن أبي هريرة وجابر وابن عمر (رقم 20-21-22) وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده عن ابن عباس مرفوعاً. ولم أجد في هذه الأحاديث كلها عبارة: «وسبي ذراريهم» التي وردت هنا في مخطوطة ق دون مخطوطتي د و ع. وكأني بها زيادة من ناسخ.

قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾. نزلت هذه الآية فكانت جهداً عليهم ألا يخالطوهم في المال ولا في المأكل، ثم أنزل: (وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) [البقرة: 220] فنسختها.

قرة بن خالد قال: سألت الضحاك بن مزاحم عن مخالطة اليتيم في ماله فقال: في نفسي لو قدمت الكوفة إن شاء الله أن أنظر إلى بني أخت لي أيتام، فأخلط طعامي وطعامهم كما يخلط الخليط الأسحم ثم نضرب بأيدينا في نواحيه.

قوله: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ أي بالعدل ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي إلا طاقتها، وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[1].

قال: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ يعني الشهادة ﴿ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ أي ولو كانت الشهادة على ذي قربى، يعني المسلمين. كقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) [النساء: 135] قال: ﴿ وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ﴾ أي ما كان من الحق. ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّىٰكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي لكي تتذكروا.

قوله: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيماً ﴾ أي الإسلام، طريقاً مستقيماً إلى الجنة. وإنما انتصب لأنه من باب المعرفة، كقولك: هذا عبد الله مقبلاً.

قال: ﴿ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ اليهودية والنصرانية وما كان غير ملّة الإسلام ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ أي عن سبيل الله، أي الإسلام. ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّىٰكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾. أي لكي تتقوا.

وقال مجاهد: (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ)، أي: البدع والشهوات. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: كلّ بدعة ضلالة[2].

(1) انظر ما سلف في تفسير أواخر البقرة: ص 263.

(2) هذا لفظ من حديث رواه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة من طريق جابر بن عبد الله (رقم 867).

قوله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الكِتَـٰبَ﴾ أي التوراة ﴿تَمَاماً عَلَى الذِي أَحْسَنَ﴾. ذكر بعضهم قال: من أحسن في الدنيا تمّت عليه النِّعمة في الآخرة، يعني الجنة.

قوله: ﴿وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ قال بعضهم: تبييناً لكل شيء. وقال الحسن: لكلِّ شيء من الحلال والحرام والأحكام والهدى والضلالة. ﴿وَهُدًى﴾ أي يهتدون به إلى الجنة. ﴿وَرَحْمَةً﴾ يقتسمونها ﴿لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني البعث.

قوله: ﴿وَهَذا كِتَابٌ أَنْزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ﴾ يعني القرآن. ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. قال بعضهم: اتّبعوا ما أحلّ الله فيه، واتّقوا ما حرّم فيه.

قوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ يوم القيامة أي لئلا تقولوا يوم القيامة. قال مجاهد: يعني قريشاً. ﴿إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال بعضهم: اليهود والنصارى ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَـٰفِلِينَ﴾ قال:

﴿أَوْ تَقُولُوا لَو أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الكِتَـٰبُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ أي من أهل الكتاب. ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ أي موعظة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ يعني القرآن ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِئَايَـٰتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أي وصدّ عنها في تفسير الحسن. وقال غيره: وأعرض عنها. أي لا أظلم منه. ﴿سَنَجْزِي الذِينَ يَصْدِفُونَ عَنَ ءَايَـٰتِنَا سُوءَ العَذَابِ﴾ أي أشدّه ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ أي يصدون في تفسير الحسن. وقال غيره: يعرضون.

قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي ما ينظرون، يعني المشركين ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلَـٰئِكَةُ﴾ أي بالموت ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾ أي بأمره ﴿أَوْ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ وقال بعضهم: (إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلَائِكَةُ) بالموت، (أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ) أي بالقيامة. وهو قوله: (وَجَاءَ رَبُّكَ) [الفجر: 22] أي بأمره. (وَالمَلَكُ صَفّاً صَفّاً). وكقوله: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَّأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّن الغَمَامِ وَالمَلَائِكَةُ) [البقرة: 220].

قال: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ أي: طلوع الشمس من مغربها ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْساً ـ إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ـ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَـٰنِهَا خَيْراً﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت آمنوا كلهم أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً(1).

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن باب التوبة مفتوح من قبل المغرب مسيرة خمسمائة عام لا يزال مفتوحاً للتوبة ما لم تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت أغلق(2).

ذكروا عن عبد الله بن عمر قال: إن الشمس تطلع من حيث يطلع الفجر، وتغرب من حيث يغرب الفجر، فإذا أرادت أن تغرب تقاعست حتى تضرب بالعمد فتقول: يا رب، إني إذا طلعت عُبدت دونك، فتطلع على ولد آدم كلهم. فتجري إلى المغرب فتسلّم فيرد عليها فتسجد فينظر إليها، ثم تستأذن فيؤذن لها فتجري إلى المشرق، والقمر كذلك. حتى يأتي عليها يوم تغرب فيه، فتسلّم ولا يُرَد عليها، وتسجد فلا يُنظر إليها، ثم تستأذن فلا يُؤذن لها. ثم يقال لهما: ارجعا من حيث جئتما فيطلعان من المغرب كالبعيرين المقترنين.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: الليلة التي صبيحتها تطلع الشمس من مغربها قدرها ثلاث ليال.

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير عن أبي هريرة، وهو آخر حديث في تفسير سورة الأنعام. وأخرجه أيضاً يحيى بن سلام بسند يرفعه إلى رسول الله ﷺ عن عثمان عن نعيم بن عبد الله عن أبي هريرة.

(2) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (رقم 2703)، من طريق أبي هريرة ولفظه: من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه. وأخرجه الترمذي من حديث طويل عن صفوان بن عسّال المرادي بلفظ: «إن الله عز وجل جعل بالمغرب باباً عرضه مسيرة سبعين عاماً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله. وذلك قول الله تبارك وتعالى: (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا)». وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

قوله: (لَمْ تَكُن ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً). قال الكلبي: لا تقبل التوبة يومئذ ممن لم يكن مؤمناً، ولا ممن كان يدّعي الإيمان بغير وفاء. فأما المؤمنون الصادقون فإن العمل يقبل منهم كما كان يقبل قبل ذلك.

قوله: ﴿ قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ كان المشركون ينتظرون بالنبي عليه السلام الموت، وكان النبي ينتظر بهم العذاب.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً ﴾ [أي أحزاباً][1]. قال مجاهد: هم أهل الكتاب اليهود والنصارى. وقال بعضهم: اليهود والنصارى والصابـون وغيرهم. قال: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ هذه في المؤمنين. والحسنة هاهنا الأعمال الحسنة. وكان هذا قبل أن تنزل الآية التي في البقرة: (مَثَلُ الذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ) [البقرة: ٢٦١].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام، يقول الله: هو لي وأنا أجزي به، لا يذر طعامه ولا شرابه ولا شهوته إلا من أجلي، فأنا أجزيه به[2].

قوله: ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ﴾ وهذه في المنافقين[3] ﴿ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ وقال بعضهم: هي في أهل الشرك. وقال السيئة هاهنا الشرك.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من همَّ بحسنة فعملها كتبت عشراً ـ وهذا في المؤمنين ـ ومن همّ بسيئة وعملها كتبت له سيئة واحدة. ومن همَّ بسيئة ولم يعملها لم

---

(1) زيادة من ز، ورقة 103.

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب فضل الصوم عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب فضل الصيام عن أبي هريرة (رقم 1151).

(3) كذا في ق و ع و د: «وهذه في المنافقين» وفي ز ورقة 103: «(وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) وهذه في المؤمنين أيضاً، السيئة هاهنا هي الأعمال السيئة».

يكتب عليه شيء. قال: وقال رسول الله ﷺ يقول الله للملائكة: اكتبوها له حسنة، وإنما تركها من خشيتي[1].

قوله: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَـٰدٰنِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قَيِّماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ والحنيف المخلص في تفسير الحسن. وفي تفسير الكلبي: المسلم.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي﴾ قال بعضهم: (نُسُكِي): حجي وذبحي. قال: (وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ﴾ قال: لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي من هذه الأمة.

قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [وهذا جواب من الله للمشركين حيث دعوا النبي إلى أن يعبد ما كان يعبد آباؤهم][2] ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ أي على نفسها ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ أي: ولا تحمل ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ والوزر: الذنب. أي لا يحمل أحد ذنب أحد. ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي ما اختلف فيه المؤمنون والمشركون فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل المشركين النار.

قوله: ﴿وَهُوَ الذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ﴾

قال بعضهم: خَلَفاً بعد خلف. وقال الحسن: خلائف بعد الهالكين. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أنتم توافون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله[3].

---

(1) ورد هذا الحديث في ز ورقة 103 هكذا: «يحيى عن أبي أمية عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال ربكم: إذا عمل عبدي حسنة فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وإن هم بها ولم يعملها فاكتبوها له واحدة. وإن عمل سيئة فاكتبوها بواحدة، وإن هم بها فتركها من أجلي فاكتبوها بحسنة». وقد وردت أحاديث كثيرة في مضاعفة حسنات المؤمن بألفاظ متقاربة. فقد أخرج هذا الحديث البخاري مثلاً في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: يريدون أن يبدلوا كلام الله. من حديث أبي هريرة.

(2) زيادة من ز، ورقة 103.

(3) انظر تخريجه فيما سلف ص 306، تعليق: 3.

قوله: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ ﴾ فيما أعطاكم [من الفضائل في الدنيا][1] ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا ءَاتَيْكُمْ ﴾ أي ليختبركم فيما أعطاكم ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ ﴾ أي إذا جاء الوقت الذي يريد أن يعذبهم فيه حين كذّبوا رسله ﴿ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ غفّار لمن تاب من شركه وآمن، ومن تاب في الإيمان من ذنوبه رحيم لهم[2].

(1) زيادة من ز، ورقة 103.

(2) هذا ما جاء في مخطوطة القرارة التي أرمز لها بحرف: ق: «تم الربع الأول من تفسير القرآن العظيم بحمد الله وحسن عونه وتأييده ونصره على يد العبد الفقير الحقير الذليل الراجي عفو مولاه وغفرانه أبي القاسم بن موسى بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى. وكان الفراغ منه ضحوة يوم السبت ست من شهر الله جمادى الأولى من عام السادس عشر (كذا) بعد مائة وألف من هجرة النبي عليه السلام».

وجاء في مخطوطة الشيخ الجادوي من جربة التي رمزت لها بحرف: د ما يلي: «تم وكمل الربع الأول بحمد الله وعونه والصلاة والسلام على رسوله». وجاء بعد هذا بمداد أحمر: «الربع الثاني من تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري، رحمه الله وغفر له».

فهرس الجزء الأول

تفسير
كتاب الله العزيز

للشيخ هود بن محكم الهواري
من علماء القرن الثالث الهجري

حققه وعلق عليه
بالحاج بن سعيد شريفي

الجزء الثاني



الطبعة الأولى

1990



دار الغرب الإسلامي

ص. ب: 5787 - 113
بيروت - لبنان

تفسير

كتاب الله العزيز

الجزء الثاني

تفسير سورة الأَعْرَافِ

وهي مكية كلها إلا آية واحدة[1]

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ آلِمَّصَ ﴾ كان الحسن يقول: لا أدري ما تفسير (آلمَّصّ) و (آلَـمّ) و (آلَـرّ) غير أن قوماً من السلف كانوا يقولون: أسماء السور ومفاتيحها. وقد فسّرنا ما بلغنا في هذا في غير هذا الموضع[2].

قوله: ﴿ كِتَـٰبٌ أَنْزَلْنَـٰهُ إِلَيْـكَ ﴾ أي القرآن: ﴿ فَلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ أي: شك منه بأنه من عند الله، في تفسير الحسن ومجاهد وغيرهما. ﴿ لِتُنْذِرَ بِهِ ﴾ أي من النار ﴿ وَذِكْـرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يذكرون به الآخرة.

قوله: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ أي القرآن ﴿ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ يعني الأوثان. ﴿ قَلِيلاً مَّا تَذَّكَّرُونَ ﴾ أي أقلُّكم المتذكّر. كقوله:) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) [يوسف: ١٠٣].

قوله: ﴿ وَكَم مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا ﴾ يعني ما أهلك من الأمم السالفة حين كذّبوا رسلهم. ﴿ فَجَاءَهَا بَأْسُنَا ﴾ أي عذابنا ﴿ بَيَـٰتاً ﴾ أي ليلاً ﴿ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ أي عند

(1) جاء في نسخة ج، مخطوطة الشيخ سالم بن يعقوب في أول ورقة منها ما يلي: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ » صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. الربع الثاني من تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري رحمه الله، تفسير سورة الأعراف، وهي مكية كلها إلا آية واحدة.

(2) انظر ذلك فيما مضى ج 1، ص: 78.

القائلة بالنهار. وهو كقوله: ﴿ قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ أَتَـٰيكُم عَذَابُهُ بَيَـٰتاً أَوْ نَهَاراً ﴾ [يونس: ٥٠].

قال: ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَيهُـمْ ﴾ أي: [قولهم][1] إذ جاءهم بأسنا، أي عذابنا ﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾. قال بعضهم: لم يكن لهم هجّيرى[2] حين جاءهم العذاب إلا أن قالوا إنا كنا ظـٰلمين. كقوله في سورة الأنبياء: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَـٰلِمَةً ﴾، أي مشركة، يعني أهلها، إلى قوله..: ﴿ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَايهُمْ ﴾ [سورة الأنبياء: 10 - 15] أي لم يكن لهم هجّيري ﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا: يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾. قال: الهجّيرى: الذي يلزمه الرجل يردده.

ذكروا عن الحسن انه كانت هجيراه سبحـٰن الله العظيم، سبحـٰن الله وبحمده. وكانت هجّيرى بعضهم: ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾. يعني بهجّيراهم أنه لم يكن لهم قول حين جاءهم العذاب ﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾.

قال الحسن: فَمَا كَانَ دَعْوَايهُمْ، أي ما دعوا به حين جاءهم العذاب إلا أن قالوا: يا ويلنا إنا كنا ظلمين. فاقرّوا بالظلم على أنفسهم ونادوا بالتوبة حين لم تنفعهم التوبة. قال: فهي مثل قوله: ﴿ فَنَادَوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [سورة صٓ: 3] أي ليس حين نزو[3] ولا فرار. وكقوله: ﴿ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ [سورة سبإ: 52 - 53]، وأنّى لهم التّناوُش، أي وأني لهم الرّدّ إلى الدنيا، أي فيؤمنوا، فهذا تفسير ابن عباس. وقال الحسن: التّناوُش: الإيمان، أي: وكيف لهم بالإيمان وقد جاءهم العذاب.

قوله: ﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ الذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَـنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، كقـوله: ﴿ يَوْمَ

---

(1) زيادة من ز، ورقة: 104.

(2) كذا في ج وفي ق وع: «هجّيري»، وهو الصواب، وفي د: «لم يكن لهم مخبر، وهو تصحيف. وفي اللسان: هجّيراه وإهجيراه، أي دأبه وديدنه وشأنه وعادته. انظر اللسان: (هجر).

(3) وردت هذه الكلمة في ق وع هكذا: «برد»، وفي ج و د: «فروا»، وهي في كلها مصحفة صوابها ما أثبته: «نزو»، وهو ضرب من العدو، وهكذا وردت الكلمة في تفسير ابن كثير، ج 6، ص: 45، وفي تفسير القرطبي ج 15، ص 145، ونسب القول فيهما إلى ابن عباس.

يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ) [المائدة: 109] أي ماذا أجابكم قومكم. ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ ﴾ أي أعمالهم ﴿ بِعِلْمٍ ﴾ بها ﴿ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ أي عن أعمالهم.

قوله: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ[1] فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُـهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ أي: السعداء، وهم أهل الجنة. ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ فصاروا إلى النار. ﴿ بِمَا كَانُوا بِئَايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ أي يظلمون أنفسهم. وهو ظلم فوق ظلم وظلم دون ظلم.

وبلغنا أن المومن توزن حسناته وسيئاته، فمنهم من تفضل حسناته على سيئاته، وإن لم تفضل إلا حسنة واحدة يضاعفها الله له فيدخله الجنة: وهو قوله: (وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُـؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً) [النساء: 40]، ومنهم من تستوي حسناته وسيئاته، وهم أصحاب الأعراف، ومنهم من تفضل سيئاته على حسناته. قال الله: (وَمَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ) [المؤمنون: 103 - 105].

وقوله: بما كانوا بآياتنا يظلمون، أي: أنفسهم، وهو ظلم فوق ظلم، وظلم دون ظلم. فالآية محتملة لظلم الشرك وظلم النفاق[2].

---

(1) لم تذكر المخطوطات الأربع تفسيراً لقوله تعالى: (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ). وجاء في ز، ورقة: 104 بعد قوله: (والْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ) ما يلي: «يحيى عن حماد عن ثابت البناني عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال: يوضع الميزان يوم القيامة، ولو وضع في كفته السماوات والأرض لوسعتهما، فتقول الملائكة: ربنا ما هذا؟ فيقول: أزن به لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: ربنا ما عبدناك حق عبادتك». وفي تفسير مجاهد، ص: 231: «عن عبيد بن عمير الليثي في قوله تعالى: (والوزن يومئذٍ الحق) قال: يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب، فلا يزن عند الله جناح بعوضة. ومثله نص حديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير من آخر سورة الكهف عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة.

(2) هذه الجملة من زيادات الشيخ هود الهواري ولا شك.

قوله: ﴿ وَلَقَد مَكَّنَّـكُمْ فِي الأَرْضِ ﴾. قال الحسن: يعني المشركينَ بعد الماضين، فجعلناكم خلائف بعدهم. ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـيِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: أقلكم الشاكرون، يعني أقلكم المؤمنون، أي أقلكم من يؤمن.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـكُمْ ﴾ أي الخلق الأول: آدم من طين، ونسله بعده من نطفة ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـئِكَةِ ﴾ أي: بعد خلق آدم، قبل خلقكم من النطف ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّـجِدِينَ ﴾.

قال بعضهم: خلق الله آدم من طين، ثم صوّرناكم في بطون أمهاتكم. وقال مجاهد: ثم صورناكم في ظهر آدم.

وقال الكلبي: خلقناكم من نطفة، ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم لحماً، ثم صورناكم، أي العينين والأنف والأذنين واليدين والرجلين صوراً نحوا من هذا. ثم جعل حسناً وقبيحاً، وجسيماً وقصيراً وأشباه ذلك. ثم رجع إلى قصة آدم عليه السلام فقال: ثم قلنا للملـئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من السـجدين. قال بعضهم: كانت الطاعة لله والسجود لآدم.

قوله: (إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّـجِدِينَ. وقال في آية أخرى: (فَسَجَدُوا إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ) [الكهف: 50]. ذكروا عن ابن عباس أنه قال: لو لم يكن من الملـئكة لم يؤمر بالسجود. وقال بعضهم: كان من الجن وهم جنس من الملائكة يقال لهم الجن. وقال بعضهم: جن عن طاعة ربّه.

وقال الحسن: إن إبليس ليس من الملائكة وإنه من نار السّموم، وإن الملائكة خلقوا من نور الله، وإن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم وأمر إبليس أيضاً بالسجود له، فجمع المأمورين جميعاً.

قوله: ﴿ قَالَ: مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ(1) إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ

(1) جاء في ز، ورقة 104 ما يلي: «قال محمد: (أَلَّا تَسْجُدَ) معناه: أن تسجد، ولا مؤكدة. وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص: 211: «مجازه: ما منعك أن تسجد، والعرب تضع لا في موضع الإيجاب، وهي من حروف الزوائد...».

وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ. قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ يعني في السماء ﴿ فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّـٰغِرِينَ. قَالَ أَنْظِرْنِي ﴾ أي أخرني ﴿ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قال إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ وقال في آية أخرى: (إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ) [سورة صٓ: 81] أي إلى النفخة الأولى. وأما قوله ها هنا: (إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ) ففيها إضمار: إلى يوم الوقت المعلوم.

﴿ قال فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ أي: فبما أضللتني. وقال الحسن: فبما لعنتني ﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي: فأصدّهم عنه.

ذكروا عن الحسن قال: ليس من هذا الخلق شيء إلا وقد توجه حيث وجه. ولولا أن ابن آدم قعد له على الطريق، أي الشيطان، فيخبل له[1] حتى عدله، مضى كما مضى سائر الخلق. يعني أن بني آدم ابتلوا بما لم يُبتل به غيرهم من الخلق.

قوله: ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ من حيث لا يشعرون ﴿ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴾ أي مؤمنين.

أما قوله: (مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم) فمن قِبَلِ الآخرة فأخبرهم أنه لا بعث بعد الموت ولا جنة ولا نار. وأما قوله: (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) فمن أمر دنياهم [فازينُها في أعينهم وأخبرهم][2] أنه لا حساب عليهم في الآخرة فيما صنعوا في الدنيا، لأنهم إذا كانوا في الآخرة كانت الدنيا خلفهم. كقوله: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمر الآخرة (وَمَا خَلْفَهُم) [البقرة: 255] من أمر الدنيا إذا كانت الآخرة. وقوله: (وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ) فأثبطهم عن الخير، كقوله: (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليَمِينِ) [الصافات: 28] أي من قِبَل الخير فتثبطوننا عنه. وأما (عَنْ شَمَائِلِهِمْ) فيعني من قبل المعاصي. يأمرهم بمعصية الله. (وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ) أي مؤمنين. وكان ذلك ظناً منه، فكان

(1) في ج و د: «فيحمل له»، وفي ق وع: «فيخبل له» ولست مطمئناً للعبارتين معاً، وأثبت الأخيرة إذا كانت تعني أن الشيطان يصيب ابن آدم بخبال، أي بمسّ، يقال خَبَله وخبَّله واختبله، إذا أفسد عقله وانظر اللسان (خبل).

(2) زيادة من ز، ورقة 104.

الأمر على ما ظن. كقوله: (وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) [سبأ: 40] أي إلا الفريق الذين آمنوا.

قوله: ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً ﴾ قال الحسن: مذموماً. وقال مجاهد: منفياً. قوله: ﴿ مَّدْحُوراً ﴾. قال مجاهد: مطروداً منفياً. وقال بعضهم: مباعداً. وقال بعضهم: مقصياً. وقال بعضهم: (اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَّدْحُوراً) أي: مقيتاً منفياً. وتفسير مجاهد فيها على التقديم: اخرج منها مطروداً منفياً. قال: ﴿ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَيَـٰئَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي لأنفسكما بخطيئتكما.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: الشجرة التي نهى عنها آدم وحواء هي السنبلة التي فيها رزق ابن آدم. وقال بعضهم: هي التين.

قوله: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمُ الشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِـمَا﴾ وكانا كسيا الظفر، فلما أكلا الشجرة بدت لهما سوءاتهما.

ذكروا عن الحسن عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ: كان آدم طوالاً كأنه نخلة سحوق، كثير شعر الرأس، فلما وقع فيما وقع فيه بدت له عورته، وكان لا يراها قبل ذلك، فانطلق هارباً في الجنة، فأخذت شجرة من شجر الجنة برأسه، فقال لها: أرسليني. فقالت: لست بمرسلتك. فناداه ربه: أَمِنِّي تفرّ؟ قال: يا رب إني استحييتك[1].

قوله: ﴿ وَقَالَ مَا نَهَـٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ ﴾ أي من الملائكة ﴿ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَـٰلِدِينَ ﴾ أي من الذين لا يموتون. أي إنكما إذا أكلتما من الشجرة كنتما مَلَكين من ملائكة الله.

(1) أخرجه يحيى بن سلام عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب مرفوعاً، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 12، ص 352، 354 موقوفاً ومرفوعاً، وأخرجه ابن كثير كذلك وقال: الموقوف أصح إسناداً.

﴿ وَقَاسَمَهُمَا ﴾ بالله ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّـٰصِحِينَ ﴾. قال: [بعضهم][1]: حلف لهما بالله وقال لهما: خُلِقْتُ قبلكما، وأنا أعلم منكما، فاتبعاني أرشدكما. قال: إنما يخدع[2] المؤمن بالله. قال الله: ﴿ فَدَلَّـٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ وقد فسّرناه قبل هذا الموضع.

قوله: ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَّرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ ذكروا أن مجاهدا قال: يرقّعان كهيئة الثوب. ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي بيِّن العداوة.

﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ ﴾.

﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ آدم معه حواء وإبليس والحية التي دخل فيها إبليس فكلمهما فيها، فهي لا تقدر على ابن آدم في موضع إلا لدغته، ولا يقدر عليها في موضع إلا شدخها.

ذكر بعضهم قال: من قتل حية أو عقرباً فقد قتل كافراً. وذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ قال في الحيات: ما سالمناهن منذ حاربناهن[3].

ذكر عن عبد الله بن عمر قال: الحيات مما مسخ من ذرية إبليس، وما سالمناهن منذ حاربناهن، فمن تركهن تقية منهن قال في ذلك قولاً عظيماً.

ذكروا عن عائشة أنها قالت: من ترك حية خشية ثأرها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

---

(1) زيادة يقتضيها السياق، والقول لقتادة.

(2) في المخطوطات الأربع: «يروع» وهو خطأ صوابه ما أثبته: «يخدع». والتصحيح من تفسير الطبري ج 12 ص 351.

(3) أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده ج 3 ص 2، (رقم: 744) عن جابر بن زيد مرسلاً ولفظه: اقتلوا الحيات صغارها وكبارها، فإنا ما سالمناهن منذ حاربناهن، فمن تركهن خشية الثأر فقد كفر، وأخرجه الحميدي مرفوعاً عن أبي هريرة، وفي آخره: «من ترك منهن شيئاً خيفة فليس مني».

ذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ قال: من رأى في بيته من هذه الحيات شيئاً فَلْيُحَرِّج عليه ثلاثاً فإن ظهر بعد ذلك فليقتله فإنه كافر[1].

قوله: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ أي تكونون فيها ﴿ وَمَتَـٰعٌ ﴾ يعني متاع الدنيا تستمتعون به ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أي: إلى الموت.

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ ﴾ أي في الأرض تولدون ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ أي يوم القيامة.

قوله: ﴿يَـٰبَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَرِي سَوْءَاتِكُمْ ﴾ يعني الثياب ﴿ وَرِيشاً ﴾ يعني المال والمتاع في تفسير الحسن. وقال مجاهد: المال[2]. قال: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (ذَلِكَ خَيْرٌ) كلام مستقل، ومن قرأها بالنصب يقول: أنزلنا عليكم لباس التقوى، أي العفاف. إن العفيف لا تبدو له فيه عورة وإن كان عارياً، وإن الفاجر بادي العورة وإن كان كاسياً. قال: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ اللهِ لَعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ يَـٰبَنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَـٰنُ ﴾ أي: لا يضلّنّكم الشيطان. ﴿ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَـا﴾ إنه لما أمرهما بالأكل من الشجرة فأكلا بدت لهما سوءاتهما.

قال: ﴿ إِنَّهُ يَرَيكُـمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. ذكروا أن مجاهداً قال: قبيله الجن والشياطين. وقال بعضهم:

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها، رقم 2236، وفيه قصة رواها أبو السايب عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه الترمذي في أبواب الصيد، باب في قتل الحيات، ولفظه في مسلم: «إن لهذه البيوت عوامر فإذا رأيتم شيئاً منها فحرجوا عليها ثلاثاً. فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر». والتحريج كما في شرح الترمذي أن يقال لها: «أنت في حرج أي ضيق إن عدت إلينا فلا تلومينا أن نضيق عليك بالتتبع والطرد والقتل. كذا في النهاية وفي شرح مسلم للنووي».

(2) قال أبو عبيدة في معاني القرآن ج 1 ص 212: «[الرياش والريش واحد]، وهو ما ظهر من اللباس والشارة. . . والرياش أيضاً الخصب والمعاش».

إن عدوا يراك من حيث لا تراه لشديد المؤونة إلا من عصمه الله. وقال الحسن: قبيله، الجن وهم ولده. وقال الكلبي: قبيله جنوده.

قوله: ﴿ وإِذَا فَعَلُوا فَـٰحِشَةً ﴾ أي من الكفر والشرك ﴿ قَالُوا وَجَـدْنَا عَلَيْـهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾. وهذا على الاستفهام، يقول: نعم، قد قلتم على الله ما لا تعلمون.

قوله: ﴿ قُلَ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ أي بالعدل ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ كقوله: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحداً) [الجن: 18] أي: إن كل قوم سوى المسلمين إذا صلوا في مساجدهم أشركوا بالله، وقال مجاهد: (وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) أي إلى الكعبة حيث صلّيتم في كنيسة أو غيرها[1].

قوله: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) أي عراة كما خلقوا[2].

ذكروا عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: يبعث الله الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً[3].

قال: ﴿ فَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَـٰلَةُ ﴾ ذكروا أن مجاهداً قال: يعني شقياً وسعيداً.

---

(1) هذا المعنى الذي ذهب إليه المؤلف هنا حين استشهد بآية سورة الجن من إخلاص السجود لله دون ما سواه من الآلهة والأنداد هو قول الربيع بن أنس، وهو ما رجحه الطبري في تفسيره ج 12 ص 381، وهو فيما يبدو لي أولى وأقرب إلى الصواب مما ذهب إليه مجاهد.

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في أبواب منها في كتاب التفسير في آخر سورة المائدة، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (رقم 2860) كلاهما يرويه مرفوعاً من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس؛ وأوله: أنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً... والأغرل هو الأقلف الذي لم يختتن.

(3) ورد هذا الحديث في ز هكذا: «يحيى عن همام عن القاسم بن عبد الواحد عن عبد الله بن محمد عن جابر بن عبد الله عن عبد الله بن إياس قال قال رسول الله ﷺ: يحشر الله العباد أو قال الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بُهما، قال: قلت: ما بُهما؟ قال: ليس معهم شيء.

قال: ﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ قال مجاهد: يعني قريشاً لتركهم الثياب في الطواف[1].

قوله: ﴿ يَـٰبَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾. قال الحسن: كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت عراة، الرجال والنساء، فأمر الله المسلمين فقال: (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ، أمرهم أن يلبسوا الثياب.

قال: ﴿ وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا ﴾ أي الحلال في الإضمار ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ أي: فتحرموا ما أحل الله لكم كما حرم أهل الجاهلية من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وما حرموا من زروعهم ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ أي المشركين. وقال مجاهد: هم السافكون الدماء بغير حلّها.

قوله: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾، يعني الثياب، لأنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة ﴿ وَالطَّيِّبَـٰتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ أي ما حرموا من أنعامهم وحروثهم[2]. ﴿ قُلْ هِيَ لِلذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَـٰوةِ الدُّنْيَا ﴾ وقد خالطهم المشركون والمنافقون فيها في الدنيا، وهي للذين ءامنوا ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ ﴾ دون المشركين والمنافقين.

قال بعضهم: من عمل بالإيمان في الدنيا خلصت له كرامة الله يوم القيامة.

قال: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْأَيَـٰتِ ﴾ أي نبين الآيات بالحلال والحرام والأمر والنهي: ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ وهم المؤمنون الذين قبلوا ذلك عن الله. فأما المشركون فصدوا عنه وجحدوه، والمنافقون فرّطوا وضيّعوا، ولم يوفّوا بما أقرّوا به من العمل الذي انتقصوه.

(1) في النسخ اضطراب وتقديم وتأخير في تفسير بعض الآية فأثبت صحتها مما جاء في تفسير مجاهد، ص: 235.

(2) يبدو أن تأويل الآية أعم من أن يحصر في أسباب نزولها وفيما كان يقوم به المشركون في الجاهلية، فمظاهر الإسراف في كل زمان ومكان متنوعة متجددة، والطيبات من الرزق كذلك. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وأوامر الله ونواهيه باقية موجهة إلى الناس على مر الأيام والدهور، وحِكَم تشريع الله وأحكامه صالحة لكل زمان ومكان.

ذكر بعضهم قال: كان هذا الحي من كندة يطوفون بالبيت وهم عراة، إلا أن يستعير أحدهم مئزراً من أهل مكة فيطوف فيه. فأنزل الله ما تسمعون حتى انتهى إلى قوله: قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبـٰت من الرزق، وهو ما حرّم أهل الجاهلية من أموالهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام[1].

قوله: ﴿ قُل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الفَوٰحِـشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ ما ظهر منها: العلانية، وما بطن منها: السّرّ. وقال بعضهم: الزنا، سرُّه وعلانيته. ﴿ وَالإِثْمَ ﴾ المعاصي كلها ﴿ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾ [يعني الظلم] ﴿ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـٰناً ﴾ أي حجة، يعني أوثانهم التي عبدوا من دون الله ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ زعموا أن الله أمرهم بعبادتها بغير علم جاءهم من الله.

قوله: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ يعني أن القوم إذا كذّبوا رسلهم فجاء الوقت الذي يأتيهم فيه العذاب، فإنهم لا يستأخرون ساعة عن العذاب ولا يستقدمون.

قوله: ﴿ يَـٰبَنِي ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. هي مثل قوله: (اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى)، والهدى ها هنا الرسول (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ). [البقرة: 38] أي في الآخرة[2].

ذكر بعضهم أنه ذكر هذه الآية فقال: ماكان الله ليخلي الأرض لإبليس حتى لا يجعل له فيها من يعمل بطاعته.

قوله: ﴿ وَالذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَـٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ أي لا يموتون ولا يخرجون منها.

قوله: ﴿ فَمَنَ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِئَايَـٰتِهِ ﴾ أي لا أحد

(1) هذا نوع من التكرار الذي أشار إليه ابن أبي زمنين في مقدمته لمختصر تفسير ابن سلام.
(2) انظر ما سلف من هذا التفسير، ج 1 ص: 100.

أظلم منه ﴿ أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الكِتَـٰبِ ﴾ قال بعضهم: ما كتب لهم من أعمالهم التي عملوا. وقال بعضهم: ما كتب في أم الكتاب من أعمالهم التي هم لها عاملون. قال مجاهد: هذا شقي وهذا سعيد ينالهم ما كتب عليهم. وقال الكلبي: نصيبهم من الكتـب أي أن الله قضى أنه من افترى عليه سوّد وجهه. قال: (وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ) [الزمر: 60].

قوله: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا ﴾ أي الملائكة ﴿ يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ قال الحسن: هذه وفاة إلى النار. ﴿ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يعني أوثانهم ﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا ﴾ في الدنيا ﴿ كَـٰفِرِينَ ﴾.

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ ﴾ أي مع أمم ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُم مِّنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَت أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ كقوله: (ثُمَّ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً) [العنكبوت: 25]. قوله يكفر بعضكم، أي بولاية بعض.

﴿ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً ﴾ أي إذا صاروا فيها جميعاً ﴿ قَالَت أُخْرَيٰهُمْ لأُولَيٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا ﴾ كل أمة تقوله أخراها لأولاها. ﴿ فَئَاتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾. ذكروا أن مجاهداً قال: لكل ضعف مضاعف لأُوْلَاهُـم ولأُخـراهُم. [وقوله: ولكن لا تعلمون أي أيها المخاطبون ما لكل فريق منكم][1].

قوله: ﴿ وَقَالَتْ أُولَيٰهُمْ لأُخْرَيٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ﴾ أي في تخفيف العذاب قال الله: ﴿ فَذُوقُوا العَذَابَ ﴾ أي: جميعاً ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ أي تعملون.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَـٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ أي: لأعمالهم ولأرواحهم إذا ماتوا.

(1) زيادة من ز، ورقة 106.

[ذكر بعضهم قال][1] إن المؤمن إذا مات صعد بروحه ملائكة، فإذا بلغوا السماء الدنيا شيعتهم منها ملائكة إلى السماء الثانية، وكذلك كل سماء حتى ينتهى به [إلى الله، فيؤمر بالسجود فتسجد الملائكة قبله، ثم يسجد][1]، ويقوم الملائكة المقربون فيصلون عليه كما تصلون أنتم على موتاكم وأنتم ها هنا. ثم يقول: ردوه فإني قضيت أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. وأما الكافر فينتهي بروحه إلى السماء الدنيا فيقال: ردوه إلى برهوت أسفل الثرى من الأرض السفلى[2].

قوله: ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ وهي تقرأ على وجه آخر: حتى يلج الجُمَّل في سمّ الخياط. ذكروا عن الحسن قال: هو الذي يقوم في المربد على أربع. ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: هو الجمل زوج الناقة. وقال مجاهد: هو حبل السفينة[3].

وقوله: في سم الخياط، أي: حتى يلج الجمل، في القراءتين جميعاً، في سم الخياط، أي في ثقب الإبرة، ولا يدخل في ثقب الإبرة أبداً.

قال: ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي المشركين والمنافقين جميعاً، وهو جرم فوق جرم، وجرم دون جرم.

(1) زيادة من ز، وقد أورد ابن سلام هذا الخبر بسند عن أبي موسى الأشعري بألفاظ مختلفة. وفي آخره: «قال ابن عباس: فيُرَدُّ إلى وادٍ يقال له برهوت أسفل الثرى من الأرضين السبع، من حديث يحيى بن محمد» هكذا. فهل يفهم من هذا أن في تفسير يحيى بن سلام زيادات من حفيده يحيى بن محمد؟ انظر تفسير ابن أبي زمنين، ورقة 106.

(2) برهوت، اسم لواد به بئـر عميقة بحضرموت، وهي من الأعاجيب، انظر تفاصيل أخبارها في معجم ياقوت ج 1 ص 405. وقد ذكر الداودي في طبقات المفسرين ج 2 ص ٣٠٨ أن مجاهداً ذهب إلى حضرموت ليرى بئـر برهوت.

(3) قراءة الجمهور في لفظ الجمل هي التي بفتح الجيم والميم المخففة، أما قراءتها بضم الجيم وتشديد الميم فهي قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير، وهي بمعنى الحبال المجموعة التي تكوّن الحبل الغليظ من حبال السفينة، ويسمى القلس. انظر تفصيل هذا في المحتسب لابن جني ج 1 ص 249، وفي تفسير الطبري، ج 12 ص 428 فما بعدها، وفي اللسان: (جمل).

﴿ لَهُم مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ يعني بالمهاد الفراش، ومن فوقهم غواش، ما يغشاهم من النار. وهو كقوله: ﴿ لَهُم مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر: 16]. ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي المشركين والمنافقين جميعاً وهو ظلم فوق ظلم وظلم دون ظلم.

قوله: ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي إلا طاقتها ﴿ أُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ أي لا يموتون ولا يخرجون منها.

قوله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ [يعني العداوة والحسد][1].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: يحبس أهل الجنة على باب الجنة، أو قال: على قنطرة باب الجنة، حتى تذهب عنهم ضغائن كانت في الدنيا[2].

وقال بعضهم: قال رسول الله ﷺ: يحبس أهل الجنة كلهم دون الجنة حتى يقضي لبعضهم من بعض ويفاضل بينهم كمثل كوكب بالمشرق وكوكب بالمغرب[3].

ذكروا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إذا توجه أهل الجنة عرضت لهم عينان فاغتسلوا في إحداهما فجرت عليهم نضرة النعيم، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من أذى وقذى وغلّ. فإذا جاءوا إلى منازلهم تلقتهم الملائكة وقالت لهم: (سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُم فَادْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ) [الزمر: 73]. وبعضهم يقول: فيخرج ما في بطونهم من أذى وقذى أو غل وغش.

ذكر بعضهم عن علي في قوله: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّن غِلٍّ) قال: منهم عثمان بن مظعون[4] وطلحة والزبير.

(1) زيادة من ز، ورقة: 106.
(2) أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن مرسلاً بألفاظ قريبة مما هي هنا.
(3) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 12 ص 439 بزيادة ونقصان عن أبي نضرة مرسلاً.
(4) كذا في المخطوطات الأربع: ق، ع، د، وج: «عثمان بن مظعون» وهو خطأ ولا شك صوابه عثمان بن عفان؛ فإن عثمان بن مظعون الصحابي الجليل توفي بعد غزوة بدر بإجماع الرواة، وقَبَّلَ رسول الله ﷺ بين عينيه بعد أن غسل وكفن، فلما دفن قال: نعم السلف هو لنا عثمان بن =

قال: ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَـٰرُ ﴾ وقد فسّرنا الأنهار من قبل هذا الموضع.

﴿ وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الذِي هَدَيْنَا لِهَـٰذَا ﴾ أي للإيمان ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَيْنَا اللَّهُ ﴾ أي لم نكن لنهتدي له لولا أن هدانا الله. ﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ ﴾ أي في الدنيا. ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾. أي على قدر أعمالكم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض. وإن العبد من أهل الجنة ليرفع بصره فيلمع له برق يكاد يخطف بصره فيقول: ما هذا؟ فيقال: هذا نور أخيك فلان. فيقول أخي فلان! كنا نعمل في الدنيا وقد فضِّل عليّ هكذا. فيقال له: إنه كان أحسن منك عملاً[1].

قوله: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَـٰبُ الجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ ﴾. هذا من قول الله وانقطع كلام الفريقين. ﴿ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي المشركين والمنافقين، وهو ظلم فوق ظلم، وظلم دون ظلم.

قوله: ﴿ الذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ هذا الآن في الدنيا، وانقطعت القصة الأولى من قول أهل الجنة وقول أهل النار. قال: ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾ أي ويبغون سبيل الله، أي طريق الهدى، عوجاً. ﴿ وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَـٰفِرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ أي بين الجنة والنار حجاب. ﴿ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ والحجاب هو الأعراف. والأعراف هو المكان المشرف المرتفع فيما ذكروا عن ابن عباس. وذكروا أن مجاهداً قال: الأعراف حجاب بين

= مظعون؛ فلم يشترك إذن عثمان بن مظعون في الفتنة وإنما المقصود من قول علي هنا بعض جلة الصحابة الذين أدركتهم الفتن. واستظهرت هذا مما أخرجه الطبري في تفسيره ج 12 ص 438 عن قتادة قال: «قال علي رضي الله عنه: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى ذكره فيهم: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ)، رضي الله عنهم».

(1) أنظر ما سلف ج 1 ص 329.

الجنة والنار. وقال بعضهم: الحجاب حائط بين الجنة والنار.

قوله: ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ قال بعضهم: السيما الأعلام، فهم يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، ويعرفون أهل النار بسواد الوجوه. وقال مجاهد: بسواد وجوههم وزرقة عيونهم(1).

ذكروا عن ابن عباس قال: أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم تفضل حسناتهم على سيئاتهم ولا سيئاتهم على حسناتهم، فحبسوا هنالك. وقال بعضهم: وقد نباكم الله بمكانهم من الطمع إذ قال: ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ ﴾ [الحديد: 13]. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن أُحُداً جبلٌ يحبّنا ونحبه. وإنه يمثل يوم القيامة بين الجنة والنار، يحشر عليه أقوام يعرفون كلا بسيماهم، هم إن شاء الله من أهل الجنة(2).

وقال بعضهم عن حذيفة بن اليمان قال: أصحاب الأعراف رجال تجاوزت بهم حسناتهم عن النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَـٰبِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ ﴾. فبينما هم كذلك إذ قال الله لهم: ادخلوا الجنة(3).

قوله: ﴿ وَنَادَوْا أَصْحَـٰبَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي سلموا عليهم. وقال بعضهم: يميل بهم الصراط مرة إلى الجنة ومرة إلى النار، ثم يدخلون الجنة.

(1) وقع اضطراب في ذكر هذه الأقوال، وقد أثبت صحتها تبعاً لما يناسبها معتمداً على بعض ما جاء منها في تفسير ابن أبي زمنين ورقة: 106.

(2) رواه يحيى بن سلام عن أبي أمية عن المتلمس السدوسي عن إسحق بن عبد الله بن الحارث قال قال رسول الله ﷺ، وأخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة أحد، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب: أُحد جبل يحبنا ونحبه، عن أنس. وليس فيما أخرجاه: «وإنه يمثل يوم القيامة بين الجنة والنار...» الخ.

(3) أورد ابن أبي زمنين في ورقة 106 هنا حديثاً رواه «يحيى عن إبراهيم بن محمد عن محمد بن المنكدر قال قال رسول الله ﷺ أصحاب الأعراف هم قوم غزوا بغير إذن آبائهم فاستشهدوا فحبسوا عن الجنة لمعصيتهم آباءهم وعن النار بشهادتهم».

قال الله: ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا ﴾ يعني أصحاب الأعراف ﴿ وَهُمْ يَطْمَعُوْنَ ﴾ أي: في دخولها. قال الحسن: هذا طمع اليقين كقول إبراهيم عليه السلام: (وَالذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ). [الشعراء: 82].

قال: ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ ابْصـٰرُهُمْ تِلْقَاءَ ﴾ أي نحو ﴿ أَصْحَـٰبِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ القَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي من ظالم مشرك ومن ظالم منافق، وهو ظلم فوق ظلم وظلم دون ظلم، وهم أهل النار جميعاً.

قوله: ﴿ وَنَادَى أَصْحَـٰبُ الأَعْرَافِ ﴾ وهؤلاء ملئكة نادوا ﴿ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ أي بسواد وجوههم وزرقة أعينهم، يعني أهل النار ﴿ قَالُوا ﴾ لهم ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ ﴾ في الدنيا ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي عن عبادة الله.

﴿ أَهَـٰؤُلَاءِ ﴾ على الاستفهام، يعنون أهل الجنة. ﴿ الذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾. يعني أصحاب الأعراف في تفسير مجاهد. وفي تفسير الحسن يعنون أهل الجنة كلهم. يقول: لأن أصحاب الأعراف من أهل الجنة، كقوله: (وَقَالُوا مَا لَنَا لاَ نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعدُّهُمْ) في الدنيا (مِّنَ الأَشْرَارِ) [سورة صٓ: 62]، وكقوله هنا: أَهَـٰؤُلَاءِ الذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يُنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ) ثم انقطع كلام الملائكة، وقال لهم الله: (ادْخُلُوا الجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ). وهذا كلام مقطوع من كلام الملئكة يعرفه الراسخون في العلم. وهذا من نحو حديث حذيفة إذ قال: فبينما هُم كذلك إذ قال الله لهم: ادخلوا الجنة.

قوله: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَـٰبُ النَّارِ أَصْحَـٰبَ الجَنَّةِ أَن افِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ أي الطعام. قال بعض التابعين: الخبز[1]. ﴿ قَالُوا ﴾ أي قال أهل الجنة: ﴿ إِنَّ اللَّـهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الكَـٰفِرِينَ﴾ أي الكافرين جميعاً من كافرٍ مشرك أو كافر منافق.

﴿ الذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ ﴾ أي في الدنيا ﴿ لَهْواً ﴾ أي ملهاة يتلاهون به

(1) كذا مي ق و ع: «الخبز»، وفي ج و د: «الخير».

﴿ وَلَعِباً ﴾ أي من جهة اللعب والباطل ﴿ وَغرَّتْهُمُ ٱلْحَيَـوٰةُ الدُّنْيَا ﴾ بزخرفها وغرورها ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَـٰهُمْ أي نتركهم في النار ﴿كَمَا نَسُوا﴾ أي كما تركوا ﴿لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا ﴾ أي كما تركوا العمل للقاء هذا اليوم. وإنما نسوا من الخير ولم ينسوا من الشر: أي: تركوا من الخير ولم يتركوا من الشر. قال:

﴿ وَمَا كَانُوا بِئَايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ يعني أنه ليس أصحاب النار كلهم جاحدين. يقول: وما كانوا، أي ولم يكونوا. أي: أهل النار جميعاً بآياتنا يجحدون. أي: إن من أهل النار الجاحد بآياتنا وغير الجاحد. وهذا حقيقة التأويل؛ لأنه قد دُخِلت النار بغير الجحود؛ دخلها أكلة الربا، وراكبو الزنا، وقاتلو الأنفس، وآكلو أموال اليتامى وأموال الناس بالباطل، وغير ذلك من الكبائر الموبقة. والآية جامعة لجميع الكفار من كافر مشرك وكافر منافق على المعنى الذي فسّرنا. فمن قال إن أهل النار كلهم جاحدون أكذبه الوجود، فقد دخلها بغير جحود من وصفنا. ومن قال إنهم جميعاً غير جاحدين لقول الله وما كانوا بآياتنا يجحدون، أي: إنهم جميعاً لم يكونوا جاحدين، أكذبه الوجود أنْ أهل الجحد والإنكار من أهل النار[1]. قال الله: وما كانوا بآياتنا

(1) هذا الاحتجاج الذي جاء هنا استطراداً في هذه الفقرة غير موجود في مخطوطة ز. وأكاد أجزم أنه للشيخ هود الهواري، فهو إلى فكره أقرب وبأسلوبه أشبه. وسواء أكان له أو لغيره فإن صاحبه قد نزع في تأويل الآية منزعاً بعيداً، وتكلف من الأعراب ما لا تحتمله الجملة، إذ جعل «ما» في قوله تعالى (وَمَا كَانُوا بِأَيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) نافية. وهي لا تعرب كذلك إلا بتكلف شديد وإغراب في الإعراب. ولم أجد فيما بحثت ـ من أعربها نافية. والمفسّرون الذين تعرّضوا للآية جعلوا «ما» معطوفة على «ما» التي قبلها في قوله: (كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذا)؛ فيكون المعنى، فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا، وكما كانوا بآياتنا يجحدون.

فتكون على هذا الإعـراب كالأولى مصدرية في محل جر. قال ابن الأنباري في كتابه: البيان في غريب إعراب القرآن ج 1 ص 364: «(ما) الأولى و(ما) التي بعدها في تأويل المصدر، وهي في محل جر بالكاف. وتقديره: فاليوم ننساهم كنسيانهم لقاء يومهم هذا. وما الثانية في موضع جر بالعطف على ما الأولى). وإلى هذا الإعراب ذهب أيضاً الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير، ج 8 ص 151. وهذا في نظري هو التأويل الصحيح الأليق بكلام الله في يسره ووضوحه. وانظر تفسير الطبري ج 12 ص 476، وتفسير ابن =

يجحدون، فانقطعت قصة أهل الجنة وأهل النار ها هنا.

ثم ابتدأ الكلام فقال: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ بِكِتَـٰبٍ ﴾ يعني القرآن ومعنى جئناهم أي: جاءتهم به الرسل، إنه جاءهم به، أي فجعل ما جاءتهم به الرسل أنه جاءهم به، أي بالرسل والكتاب[1] ﴿ فَصَّلْنَـٰهُ ﴾ أي بيَّنَّا فيه الحلال والحرام، والأمر والنهي، والوعد والوعيد والأحكام ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي هدى يهتدون به طريق الجنة.

ثم قال: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ أي ثوابه في تفسير الحسن وغيره. وقال مجاهد: جزاءه، وهو واحد. قال: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾ أي ثوابه والجزاء به [في الآخرة][2] ﴿ يَقُولُ الذِينَ نَسُوهُ ﴾ أي الذين تركوه ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي في الدنيا. أي: اعرضوا عنه. والإعراض من وجهين: أحدهما لم يؤمنوا به، والآخر لم يعملوا بفرائضه وأحكامه. وهذا إعراض المنافقين. كقوله: (وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ) أي عن العمل بما أقروا به والاستكمال لما عاهدوا عليه (وَهُم مُّعْرِضُونَ) [النور: 48 و 49][3] أي عن استكمال الفرائض التي أقرّوا بها.

﴿ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ ﴾ إذ نحن في الدنيا فآمنوا حيث لا ينفعهم الإيمان. ﴿ فَهَل لَّنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾ أن لا نعذب ﴿ أَوْ نُرَدُّ ﴾ إلى الدنيا ﴿ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ سألوا الله أن يَرُدُّهُم إلى الدنيا فيعملوا بالإيمان ويكملوا الفرائض.

= الجوزي: زاد المسير، ج 3، ص 209.

(1) كذا جاءت هذه الجمل مقطعة مضطربة، ومعناها أوضح من أن يحتاج إلى هذا الشرح الذي لا طائل تحته.

(2) زيادة من ز، ورقة 107.

(3) ليست هذه آية متصلة، بل هما آيتان: هما قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ. وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ).

قال الله: ﴿ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ فصاروا في النار ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أي أوثانهم التي عبدوها فلم تغن عنهم شيئاً.

قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الذِي خَلَقَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ وفيها إضمار، وإضمارها: الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما. وهذا موضع الإضمار. كقوله: (وَلَقَدْ خَلَقْنا السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) [سورة قٓ: 38].

قوله: ﴿ ثُمَّ آسْتَوَى عَلَى الْعَرْش يُغْشِي الَّيْـلَ النَّهَارَ ﴾ [أي أن الليل يأتي على النهار][2] ويغطيه ويُذهبه ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ فيذهبه ﴿ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّـرٰتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ ﴾ من البركة، وهو تفاعل ﴿ رَبُّ العَـٰلَمِينَ﴾.

قوله: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً ﴾ أي من الضراعة والخضوع ﴿ وَخُفْيَةً ﴾ أي: وسرّا ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾.

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ قال بعضهم، يعني بعدما بعث النبي عليه السلام واستجيب له ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾ أي خوفاً منه وطمعاً في رحمته. ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي إنها للمحسنين دون سواهم.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ قال بعضهم: أي يبسطها بين يدي المطر. وتفسير الحسن في قوله نشرا، أي: تلفح السحاب.

قال: ﴿ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً ﴾ قال بعضهم: الثقال: التي فيها الماء ﴿سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ أي: إلى بلد ليس به نبات ﴿ فَأَنْزَلْنَا بِهِ المَاءَ ﴾ أي: بذلك البلد. قال الحسن: إن الله ينزل الماء من السماء فيسكنه السحاب ثم يصرفه حيث يشاء. ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ﴾ أي أنبتنا بالماء ﴿ مِنْ كُلِّ الثَّمَـرٰتِ﴾.

قال: ﴿ كَذٰلِكَ﴾ أي هكذا ﴿ نُخْرِجُ المَوْتَىٰ ﴾ يعني البعث.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: يرسل الله مطراً منياً كمني الرجال، فتنبت به لحمانهم وجسمانهم كما تنبت الأرض الثرى. ثم تلا هذه الآية: (وَاللَّهُ الذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ) [فاطر: 9] أي كذلك البعث. وقال مجاهد: (كَذَلِكَ النُّشُورُ)، أي: بمطر السماء حتى تنشق عنهم الأرض.

قوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ قال الحسن: يقوله للمشركين. يقول: فالذي أنزل الماء فأخرج به هذا النبات من هذه الأرض الميتة قادر على أن يحيي الموتى.

قوله: ﴿ وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً ﴾. قال الحسن: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر: إن عمل المؤمن مقبول، وعمل الكافر ليس بمقبول؛ مثل الأرض التي ليست بطيبة والتي لا يخرج نباتها إلا نكداً.

وقال الكلبي: هذا مثل المؤمن والمنافق. أما البلد الطيب فمثل المؤمن يعمل ما عمل من شيء ابتغاء وجه الله، وأما الذي خبث فالمنافق لا يفعل شيئاً، ولا يعمله إلا رياء وسمعة، إلا نكداً، ليست له فيه حسبة[1].

وقال مجاهد: كل هذا من الأرض، الخبيث وغيره، مثل آدم وذريته، كلهم منه؛ منهم طيب وخبيث.

وقال بعضهم: (البَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ)، هذا مثل المؤمن، سمع كتاب الله فأقر، فانتفع به وعقله، كمثل هذه الأرض الطيبة أصابها الغيث فأنبتت وأمرعت. (وَالذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً) أي إلا عسراً[2]. هذا مثل الكافر، سمع كتاب الله فلم يعقله ولم ينتفع به، كمثل هذه الأرض الخبيثة أصابها الغيث فلم تنبت شيئاً ولم تمرع عنه.

(1) كذا في ق و ع: «ليست له فيه حسبة» وهو الصواب، وفي ج و د: «ليست له فيه خشية».
(2) في مجاز أبي عبيدة، ج 1 ص 217: «(نكداً) أي: قليلاً عسراً في شدة»، وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 169: «لا يخرج إلا نكداً) أي: إلا قليلاً، يقال: عطاء منكود: منزور».

قال: ﴿ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْأَيَٰتِ ﴾ أي نبيّن الآيات. وقال بعضهم: أي نكرر الآيات ونأتي بها من الوجوه التي فيها البيان والشرح. ﴿ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ أي لقوم يؤمنون.

قوله: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ! إني أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي في ضلال بيِّن، أي فيما تدعونا إليه. ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

قال الحسن يقول: أعلم من الله أنه مهلككم ومعذبكم إن لم تؤمنوا.

قال: ﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُم ذِكْرٌ ﴾، أي وحي ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾ [أي على لسان رجل منكم][1] وذلك أنهم عجبوا من ذلك ﴿ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ أي لكي ينذركم العذاب في الدنيا والآخرة. ﴿ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أي لكي ترحموا إن اتّقيتم[2]. ولعل من الله واجبة للمؤمنين[3].

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَالذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ ﴾ أي عن الهدى[4].

قوله: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ﴾ يقول: وأرسلنا أخاهم هوداً، تبعاً للكلام الأول: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً). هو أخوهم في النسب وليس بأخيهم في الدين. ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾.

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ﴾ [يعني الرؤساء][1] ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾ أي من

(1) زيادة من ز، ورقة 107.

(2) كذا في ع و ق: «إن اتقيتم» وهو أنسب، وفي ج و د: «إن أيقنتم» وهو تصحيف.

(3) كلمة «للمؤمنين» وردت في كل المخطوطات إلا في ز، وهي من زيادة الشيخ هود ولا شك.

(4) كذا في المخطوطات: عمين عن الهدى، وفي ز، ورقة 107، وفي تفسير مجاهد ص 239: «عمين عن الحق»، وهو واحد.

الرأي، سفّهوه وسفّهوا دينه وزعموا أنه مجنون. ﴿ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَـٰذِبِينَ﴾ كان تكذيبهم إياه بالظن.

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ ﴾ أي ادعوكم إلى الله وإلى ما ينفعكم في الدنيا والآخرة ﴿ أَمِينٌ ﴾ على ما جئتكم به من عند الله.

قوله: ﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي بيان من ربكم ﴿ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ ﴾ عذاب الله في الدنيا والآخرة، ولم يبعث الله نبياً إلا وهو يحذر أمته عذاب الله في الدنيا وعذابه في الآخرة إن لم يؤمنوا.

﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ أي استخلفكم في الأرض بعدهم. ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَصْطَةً ﴾ يعني الأجسام والقوة التي أعطاكم. قال الله: (التِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلَادِ) [الفجر: 8].

قوله: ﴿ فَاذْكُـرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ ﴾ أي نعماء الله. وقال بعضهم: نعمة الله ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي لكي تفلحوا.

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ﴾ دعاهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام. ﴿ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا ﴾ يعنون أصنامهم ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ﴾.

﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ ﴾ أي قد وجب عليكم من ربكم رجس، والرجس العذاب ﴿ وَغَضَبٌ أَتُجَـٰدِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُم وَءَابَاؤُكُمْ ﴾ يعني أصنامهم ﴿ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَـٰنٍ﴾ أي من حجة تأمركم بعبادتها ﴿ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ أي فارتقبوا إني معكم من المرتقبين، فإن عذاب الله نازل بكم.

﴿فَأَنْجَيْنَـٰهُ وَالذِينَ مَعَهُ ﴾ يعني من ءامن معه ﴿ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ أي: بمنّ منا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَـٰتِنَا﴾ أي أصلهم ﴿ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحاً﴾ أي وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً، تبعاً للكلام الأول: (لَقَدَ أَرْسَلْنَا نوحاً إِلَى قَوْمِهِ) هو أخوهم في النسب وليس بأخيهم في الدين. ﴿ قَالَ يَـٰقَـوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِّن إِلَهٍ غَيْرُه قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَبِّكُمْ ﴾ يعني النبوة التي جاءهم بها ﴿ هَـٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمُ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ﴾ أي لا تعقروها ﴿ فَيَأخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي موجع.

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِنَ بَعْدِ عَادٍ ﴾ أي استخلفكم في الأرض من بعد عاد ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ أي واسكنكم في الأرض ﴿تَتخِذُوْنَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الجِبَال بُيُوتاً فَاذْكُرُوا ءَالآءَ اللَّهِ ﴾ أي: نعم الله ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾. قال بعضهم: لا تسيروا في الأرض مفسدين. وقال الحسن: ولا تكونوا في الأرض مفسدين(1).

﴿ قَالَ الْمَلأُ الـذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَـوْمِهِ ﴾ أي عن عبادة الله ﴿ لِلذِينَ اسْتُضْعِفُوا ﴾ وهم المؤمنون ﴿لِمَنْ ءامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ أي مصدقون. ﴿ قَالَ الذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ ﴾ أي صدقتم به ﴿كَـٰفِرُونَ﴾.

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنَ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ والعتوّ الاستكبار ﴿ وَقَالُوا يَـٰصَـٰلِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

﴿ فَأَخَذَتْهُم الرَّجْفَةُ ﴾ قال الحسن: تحركت بهم الأرض فكان موتهم في ذلك. وقال في ءاية أخرى: (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ) [الحجر: 73]. والصيحة اسم موت إلا أنه على وجوه. ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ أي موتى(2).

---

(1) وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 41: «(ولا تعثوا) أي: لا تفسدوا، من عثيت، تعثى، عثوا، وعثا: يعثو عثواً وهو أشد الفساد».

(2) وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 218 «(جاثمين) أي بعضهم على بعض جثوم، وله موضع آخر جثوم على الركب». والأصل في الجثوم: البروك على الركب».

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّـٰصِحِينَ﴾ وهذا بعد ما هلكوا.

قوله: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾ أي: وأرسلنا لوطاً، تبعاً للكلام الأول في قصة نوح وهود وصالح ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَـٰلَمِينَ﴾ أي إن هذا لم يكن فيما خلا من الأمم قبلكم أن ينكح الرجال بعضهم بعضاً.

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلَ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ أي: مشركون. قال الحسن: كانوا لا يفعلون ذلك إلا بالغرباء، ولا يفعله بعضهم ببعض.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن أخوف ما أخافه على أمتي عمل قوم لوط[1].

قال: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ أي يتنزهون عن إتيان الرجال في الأدبار. وقال مجاهد: يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء. وقال الحسن: يتطهرون من أعمالكم، فلا يعملون ما تعملون. وهذا وقول مجاهد واحد في إتيان الرجال في أدبارهم إلا أن مجاهدا ذكر النساء.

قال: ﴿فَأَنْجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَـٰبِرِينَ ﴾ أي في عذاب الهالكين[2]. ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً ﴾ أي الحجارة التي رموا بها، رمى بها من كان خارجاً من المدينة في حوائجهم وأهل السفر منهم، وأصاب قريتهم الخسف. قال: ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ وهذا جرم شرك. وهو جرم فوق جرم، وجرم دون جرم. وقال بعضهم: عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

قوله: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً ﴾ أي وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيباً، تبعاً

(1) حديث صحيح رواه ابن ماجه عن جابر بن عبد الله مرفوعاً في كتاب الحدود، باب من عمل عمل قوم لوط (رقم: 2563).

(2) هذا قول قتادة. وأصل معنى الغابرين أي الباقين، وانظر في تفسير الطبري ج 12 ص 552 - 553 معنى آخر لكلمة الغابرين.

للكلام الأول، هو أخوهم في النسب وليس بأخيهم في الدين.

﴿ قال يَـٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِهِ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي النبوة التي أتاهم بها. ﴿ فَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالمِيزَانَ ﴾ وكانوا يطففون في المكيال وينقصون الميزان. ﴿ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ أي: لا تنقصوا الناس أشياءهم ﴿ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ﴾. قال بعضهم: هذا بعدما بعث إليكم النبي عليه السلام واستجيب له. ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ يقول: ولا ينفعكم أن توفوا المكيال والميزان في الآخرة إن لم تكونوا مؤمنين(1).

قوله: ﴿ وَلاَ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ ﴾ قال: توعدون من أتى شعيباً وغشيه وأراد الإسلام. من آمن به: أي تصدون المؤمنين عن سبيل الله. ﴿ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾ أي تبغون طريق الهدى عوجاً؛ وهو قعودهم على الطريق يتهددون المؤمنين الذين يأتون شعيباً بالقتل، ويصدونهم عنه. وقال مجاهد: وتبغونها عوجاً. أي تلتمسون لها الزيغ.

قال: ﴿ واذْكُـرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ ﴾ يذكرهم نعمته. ﴿ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ المُفْسِدِينَ ﴾ يعني من أهلك من الأمم السالفة حين كذّبوا رسلهم؛ كانت عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

قال: ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الحَـٰكِمِينَ ﴾. كقول هود: (فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ المُنْتَظِرِينَ) [الأعراف: 71]، وكقول الله للنبي عليه السلام: (فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ) [الدخان: 59].

قوله: ﴿ قَالَ المَلأُ الذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ أي: عن عبادة الله ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ

(1) كذا في المخطوطات ق وج ود، وسقطت هذه الجلمة من ع. ويبدو أن هذا تأويل بعيد عن ظاهر مدلول الآية، والمعنى أبسط وأظهر من أن يتكلف له هذا التأويل. ولم أرَ هذا التأويل في كتب التفسير التي بين يدي. على أن هذه الجملة غير واردة في ز.

يَـشُعَيْبُ وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ ﴾ أي الذين صدقوا معك ﴿ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ أي: في دِينِنَا حتى تعبدوا ما نعبد ﴿ قَالَ ﴾ شعيب ﴿ أَوَ لَوْ كُنَّا كَـرِهِينَ ﴾ أي لدينكم. وهذا على الاستفهام.

قوله: ﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّـنَا اللَّهُ مِنْهَا وما يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّآ أَن يَّشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ قال بعضهم: ملأ ربنا كل شيء علماً ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا ﴾ أي اقضِ بيننا[1] وبين قومنا ﴿ بِالحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الفَـتِحِينَ﴾ أي خير القاضين. وقال في الآية الأخرى: (وَأَنْتَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ) [الأعراف: 87]. وهذا واحد؛ احكم بيننا، وافتح بيننا، واقضِ بيننا واحد. وإذا دعا النبي ربه أن يحكم بينه وبين قومه جاءهم العذاب، في تفسير بعضهم[2]. وقال الحسن: إن النبي إذا جاء الوقت الذي يهلك الله فيه القوم أمره الله بالدعاء عليهم، ثم استجاب له فأهلكهم.

قوله: ﴿ وَقَالَ المَلأُ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ يقوله بعضهم لبعض ﴿ لَئِن اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَـسِرُونَ﴾ قال الله: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ أي الصيحة. قال: ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَـثِمِينَ ﴾ أي قد هلكوا.

قال: ﴿ الذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ أي: كَأَن لَّمْ يَعِيشُوا فِيهَا[4] ﴿ الذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الخَـسِرِينَ﴾.

(1) كذا في ق وع و د: «اقضِ بيننا»، وفي ز، ورقة 108: «أي احكم»، وفي مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 220: «أي: احكم بيننا. قال: والقاضي يقال له الفتاح». وقال الفراء في معاني القرآن ج 1 ص 385: «يريد: اقضِ بيننا، وأهل عُمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح».

(2) هذا قول لقتادة كما في ز، ورقة 108.

(3) كذا في ق و ع و د، «الصيحة»، والرجفة غير الصَّيحـة، ففي مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 221: الرجفة «من رجفت بهم الأرض أي: تحركت - وفي معاني الفراء ج ص 384: «والرجفة هي الزلزلة، والصاعقة هي النار، يقال: أحرقتهم».

(4) في ق و ع: «يعيشوا فيها»، وهو صحيح المعنى، وفي ج و د: «يغشوا»، وفيه تصحيف، وهو خطأ، وفي ز، ورقة 108: «يقيموا فيها». وهو صحيح المعنى أيضاً. وفي مجاز أبي عبيدة، ج 1 ص 221: «(كَأَنْ لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) أي: كأن لم ينزلوا فيها ولم يعيشوا فيها».

قوله: ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ وهذا بعدما هلكوا ﴿ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ ﴾ أي فكيف أحزن، ﴿ عَلَى قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ﴾ أي لا أحزن عليهم.

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيءٍ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ البأساء: البؤس والجوع وقحط المطر، والضراء: اللأواء من الأمراض والشدائد. ﴿ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾.

قال: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ ﴾ أي مكان البأساء والضراء، وهي الشدة ﴿ الْحَسَنَةَ ﴾ والحسنة ها هنا، الرخاء والعافية. ﴿ حَتَّى عَفَوْا ﴾ أي حتى كثروا. قال الحسن: سمنوا بعد الجوع، فهو من الكثرة ﴿ وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ ﴾ أي الشدة والرخاء فلم يكن شيء، يعنون ما كان يعد النبي به قومه من العذاب إن لم يؤمنوا.

قال الله: ﴿فَأَخَذْنَـٰهُمْ بَغْتَةً ﴾ أي فجأة بالعذاب ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَو أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ السَّمَاءِ الْأَرْضِ ﴾. قال بعضهم: لأعطتهم السماء قطرها والأرض نباتها. ﴿ وَلَـٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَـٰهُمْ ﴾ بالعذاب ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي: بما كانوا يعملون يعني: يشركهم.

قوله: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ﴾ أي عذابنا ﴿بَيَـٰتاً﴾ أي: ليلاً وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهِمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾ أي نهاراً، مثل قوله: (وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ) [الضحى: 1 - 2]. قال: ﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ أي ليسوا بآمنين من ذلك. وقد كان المشركون يقولون للنبي عليه السلام: إيتنا بعذاب الله.

قال: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴾ أي إنهم ليسوا بآمنين من ذلك ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ ﴾ أن يمكر بهم فيهلكهم ﴿ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَـٰسِرُونَ﴾. وهو قوله: ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس ءاباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون هكذا مكره بهم.

قوله: ﴿ أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: (يَهْدِ)

و (نَهْدِ). فمن قرأها (نَهْدِ) فيقول نُبين. ومن قرأها (يَهْدِ) فيقول: يبيّن الله للذين يرثون الأرض. ﴿ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا ﴾ أي الذين هلكوا من الأمم السالفة ﴿ أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ فأهلكناهم بالعذاب كما أهلكنا من كان قبلهم حين كذّبوا رسلهم. ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ أي لو شئنا أصبناهم بذلك.

ثم قال: ﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ﴾ أي: من أخبارها، يعني ما قص في هذه السورة من أخبار الأمم ورسلها وكيف أهلكهم. قال: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ﴾ أي بما كفروا به من قبل. ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَـٰفِرِينَ ﴾ وهي مثل قوله: (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) [يونس: 13].

قوله: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ﴾ يعني الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب ءادم. ﴿ وَإِن وَّجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴾.

قوله: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِئَايَـٰتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ ﴾ أي: العصا واليد ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ أي: فظلموا أنفسهم بها بتكذيبهم بالآيات ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾. فكان عاقبتهم إن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

قوله: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ يعني الوحي والنبوءة التي جاء بها ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ ﴾ وكان بنو إسراءيل في أيديهم كمثل أهل الجزية فينا في ذلّ.

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِئَايَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ. فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ أي بيّن إنها حيّة.

قال بعضهم: فإذا هي أشعر[1] ذكر، تكاد تبلع وتسترط فرعون.

---

(1) الحيّة اسم يطلق على الذكر والأنثى من الأفاعي، ولذا جاء الوصف هنا بلفظ أشعر، لا شعراء، ثم وصفت بأنها ذكر. ويقال: فلان حيّة ذكر؛ يعنون شجاعته وشدته.

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾، أي أخرج يده من جيب قميصه. ذكروا عن مجاهد أنه قال: من جيبه: أي: من جيب قميصه. قال الحسن: أخرجها والله كأنها مصباح.

وقال الكلبي: بلغنا أن موسى عليه السلام قال: يا فرعون، ما هذه بيدي؟ قال: هي عصا. فألقاها موسى، فإذا هي ثعبان مبين قد ملأت الدار من عظمها، ثم أهوت إلى فرعون لتبتلعه فنادى: يا موسى يا موسى، فأخذ موسى بذنبها فإذا هي عصا بيده. فقال فرعون: يا موسى، هل من آية غير هذه؟ قال: نعم. قال: ما هي. فأخرج موسى يده فقال: ما هذه يا فرعون؟ قال هذه يدك. فأدخلها موسى في جيبه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء للناظرين تعشى البصر من بياضها. وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: غرزت ذنبها في الأرض ورفعت صدرها ورأسها وأهوت إلى فرعون لتأخذه فجعل يميل ويقول: يا موسى، خذها يا موسى خذها، فأخذها موسى.

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ أي بالسحر ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّن أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ أي إنه إذا أخرج بني إسرائيل عنكم فقد أخرجكم من أرضكم، وهو كقوله: (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ) [طَهَ: 63] أي بعيشكم الأمثل؛ يعني بني إسرائيل.

قوله: ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ أي احبسه وأخاه[1] ﴿ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَـٰشِرِينَ ﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾. قال له أصحابه: لا تقتله، فإنما هو ساحر، وليس سحره بالذي يغلب سحر سحرتك؛ فإنك إن قتلته أدخلت على الناس في أمره شبهة، ولكن أرجه وأخاه واجمع له السحرة.

قوله: ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً ﴾ يعنون العطية ﴿ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَـٰلِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ أي في المنزلة والقربة.

(1) كذا في المخطوطات الأربع: «احبسه وأخاه»، وفي ز، ورقة 108 «أَخِّرْه وأخاه». وفي مجاز أبي عبيدة، ج 1 ص 225: (أرجه وأخاه). مجازه: أخره». وفي معاني الفراء ج 1 ص 388: «جاء في التفسير: احبسهما. عندك ولا تقتلهما، والإرجاء تأخير الأمر».

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ. قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ أي من الرهب والمخافة[1] ﴿ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾. فخيّل إلى موسى أن حبالهم وعصيهم حيات كما كانت عصا موسى. فألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، أعظم من حياتهم. ثم رموا فازدادت حبالهم وعصيهم عظماً في أعين الناس، وجعلت عصا موسى تعظم، وهم يرمون حتى أنفدوا سحرهم، فلم يبقَ منه شيء، وعظمت عصا موسى حتى سدّت الأفق، ثم فتحت فاها فابتلعت ما ألقوا. ثم أخذ موسى عصاه بيده فإذا حبالهم وعصيهم قد ذهبت.

قال: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ قال الحسن: فإذا هي تسترط حبالهم وعصيهم، أي تلقفه بفيها. قوله: (مَا يَأْفِكُونَ) قال مجاهد: ما يكذبون. وَسَرطَتْ حبالهم وعصيهم.

قوله: ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ قال بعضهم: فظهر الحق، وهو تفسير مجاهد وبطل ما كانوا يعملون[2].

قال: ﴿ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾. قال الكلبي: فقال السحرة بعضهم لبعض: لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعصينا.

﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ فبهت فرعون وألقى بيده، وخلّى سبيل موسى، ولم يعرض له.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ لهم (آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾ على الاستفهام، أي إنكم فعلتم ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ أي: قلتم لموسى: يا موسى اذهب فاصنع شيئاً، فإذا صنعت ذلك دعانا فرعون فصدّقنا مقالتك ﴿ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾

---

(1) كذا في المخطوطات، وفي ز، ورقة 108: «أي أخافوهم. وفي مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 225: «خوّفوهم».

(2) في معاني الفراء ج 1 ص 391 ما يلي: «(فَوَقَعَ الْحَقُّ) معناه: أن السحرة قالوا: لو كان ما صنع موسى سحراً لعادت حبالنا وعصينا إلى حالها الأولى، ولكنها فُقِدت. فذلك قوله: (فَوَقَعَ الْحَقُّ) فتبين الحق من السحر.

أي لتخرجوني وقومي بسحركم وسحر موسى. ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَفٍ ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

قَالُوا: إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ فآمنوا. ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَن ءَامَنَّا بِئَايَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ﴾ وهو كقوله في أصحاب الأخدود (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ) [البروج: 8] ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾. قال بعضهم: كانوا أول النهار سحرة وآخره شهداء.

قوله: ﴿ وَقَالَ المَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي أرض مصر فيخرجوا منها بني إسرائيل. وقال بعضهم: ليقتلوا أبناء أهل مصر، كقول فرعون: (وَأَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الفَسَادَ) [غافر: 26]. أي يقتل أبناءكم كما قتلتم أبناءهم، وإنما عيشكم من بني إسرائيل.

قال: ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ أي فلا يعبد ما تعبد. قال الحسن: وكان فرعون يعبد الأوثان. وكان بعضهم يقرأها: ويذرك وإلاهتك. أي: وعبادتك[1]. ومن قرأها بهذا المقرأ قال: ألا تراه يقول: (أَنَا رَبُّكُمْ الأعلى) [النازعات: 24].

قوله: ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ أي فلا نقتلهن ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾ أي: إنا قاهرون لهم.

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وكان الله قد أعلم موسى أنه مهلك فرعون وقومه وأن الله سيورث بني إسرائيل الأرض من بعدهم وقال في آية أخرى: (كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الشعراء: 59]. قوله: ﴿وَالعَـٰقِبَـةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ العاقبة هي الجنة، وهي للمتقين ليست لمن سواهم.

(1) هذه قراءة ابن عباس ومجاهد. روى الطبري في تفسيره ج 3 ص 39: «عن ابن عباس أنه قرأ: (وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ) قال: وعبادتك، ويقول: إنه كان يُعبَد ولا يَعبُد». والإلاهة، والألوهة، والألوهية كلها تأتي بمعنى العبادة. انظر اللسان: (أله).

قوله: ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ يقوله بنو إسرائيل لموسى عليه السلام؛ يعنون ما كان يصنع بهم فرعون وقومه. قال مجاهد: من قبل إرسال الله إياك ومن بعده.

وقال الكلبي: إنه لما ألقى السحرة ساجدين فبهت فرعون فألقى بيده وخلّى سبيل موسى، قال الملأ من قوم فرعون لفرعون: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك والهتك. قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون. فأمر فرعون ببني إسرائيل أن يكلفوا من العمل ما لا يطيقون. فمر موسى عليهم كذلك فقالوا: أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا[1].

﴿ قَالَ ﴾ لهم موسى ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ فأخذ الله آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات.

قال: ﴿وَلَقَد أَخَذْنَا ءالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فأجدبت أرضهم وهلكت مواشيهم ونقصت ثمارهم فقالوا: هذا مما سحرنا به هذا الرجل.

قوله: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَـٰذِهِ ﴾ قال الحسن: أي نحن أولى بالحسنة ومنا جاءت. قال مجاهد: الحسنة في هذا الموضع العافية والشبع والرخاء والمطر والخير والخصب. ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي جدوبة أو شدة ﴿ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ﴾ ويقولوا: إنما أصابنا هذا من شؤم موسى ومن معه.

قال الله: ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَـٰئِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي محفوظ. عليهم حتى يجازيهم به يوم القيامة[2]. ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿وَقَالُوا﴾ له يا موسى ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن ءايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ أي ما تأتنا به،

(1) في هذه الصفحة والتي تليها اضطراب وخلط بين الآيات في المخطوطات، وفيها تكرار أحياناً، جعلت كل آية وتفسيرها حسب الترتيب الذي جاءت عليه في المصحف.

(2) في مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 226: «(أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ) مجازه إنما طائرهم عند الله، وتزاد (أَلَا) للتنبيه والتوكيد. ومجاز طائرهم: حظهم ونصيبهم».

وهي كلمة عربية: ما تأتنا به، ومهما تأتنا به، وهو واحد، لتسحرنا بها ﴿ فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أي بمصدقين.

قال الله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم الطُّوفَانَ والجَرَادَ وَالقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلَتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِيْنَ ﴾.

قال بعضهم: فمطروا الليل والنهار ثمانية أيام ولياليهن لا يرون فيها شمساً ولا قمراً، فصرخ الناس إلى فرعون، وخافوا الغرق. فأرسل فرعون إلى موسى فأتاه فقال له: يا موسى اكشف عنا فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه فأقلعت السماء ونَشِفَت[1] الأرض ماءها، وأنبتت من الكلأ والزرع ما لم يروا مثله قط في مصر. فقالوا: لا والله، لا نؤمن لك ولا نرسل معك بني إسرائيل. ولقد جزعنا من أمر كان خيراً لنا فنكثوا وعصوا. فأرسل الله عليهم الجراد فأكل ما أنبتت الأرض وبقي الجراد عليهم ثمانية أيام ولياليها لا يرون الأرض. وركب الجراد بعضه بعضاً ذراعاً. وفي تفسير مجاهد، إن الجراد أكل مسامير أبوابهم وبنيانهم. قال الله: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ﴾... الآية.

قال الكلبي: فصرخ أهل مصر إلى فرعون فأرسل إلى موسى فقال: أيها الساحر، ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ فدعا موسى ربه فأرسل الله ريحاً شديدة فاحتملت الجراد فألقته في البحر، فلم تبقَ منه جرادة واحدة. فنظر أهل مصر فإذا قد بقيت لهم بقية من زروعهم وكلإهم ما يكفيهم عامَهم ذلك. فقالوا له: والله لقد بقي لنا ما يكفينا هذه السنة، فلا والله لا نؤمن لك ولا نرسل معك بني إسرائيل. فأرسل الله عليهم القمَّل، وهو الدبى[2] فلم يُبْقِ في أرضهم عوداً أخضر إلا أكله. فصرخوا إلى فرعون. فأرسل إلى

(1) في المخطوطات «انشقت الأرض»، ولم ترد الكلمة في المعاجم إلا مجردة في هذا المعنى، يقال: نَشِفت الأرض ماءها تنشَفه ويقال أيضاً: نشّفت، بالتضعيف. أما أنشفه، فهو بمعنى أعطاه النُّشَافة، وهي الرغوة التي تعلو اللبن إذا حُلِب. انظر اللسان: (نشف).

(2) الدبى: جمع دباة، وهي صغار الجراد قبل أن يطير.

موسى فأتاه، فقال: يا موسى اكشف عنا هذا الدبى فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه فأمات الدبى حتى لم تبقَ منه واحدة. فلما نظر القوم أنه لم يبقَ لهم شيء يعيشون به قالوا: يا موسى، هل تستطيع أن تفعل بنا أسوأ مما فعلت، فوالله لا نؤمن لك، ولا نرسل معك بني إسرائيل. فأرسل الله عليهم الضفادع، فدبت في أرضهم وبيوتهم ومخادعهم وظهور بيوتهم، حتى جعل الرجل منهم يستيقظ وعليه منهم ما لا يحصى. فصرخوا إلى فرعون. فأرسل إلى موسى فأتاه فقال: ادع لنا ربك فليهلك هذه الضفادع من أرضنا ونؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه فأذهب الضفادع من أرضهم، فأماتها. ثم أرسل مطراً فاحتملها فألقاها في البحر. فقالوا: لا والله لا نؤمن لك ولا نرسل معك بني إسرائيل. فأرسل عليهم الدم فجرت أنهارهم دماً، ودكا[1] ماؤهم، فلم يكونوا يقدرون على الماء، وأنهار بني إسرائيل تجري ماء عذباً طيباً. فإذا دخل الرجل من آل فرعون في أنهار بني إسرائيل صار ما دخل فيه دماً، والماء من بين يديه ومن خلفه صافٍ عذب لا يقدر منه على شيء. فمكثوا ثمانية أيام ولياليهن، لا يذوقون الماء حتى بلغهم الجهد. فصرخ أهل مصر إلى فرعون: إنا قد هلكنا وهلكت دوابنا ومواشينا من الظمإ، فأرسل فرعون إلى موسى فدعاه. فأتاه فقال: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الرجز ونعطيك ميثاقنا لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل.

قال الله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ [أي العذاب] إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ أي البحر ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾.

وقال بعضهم في قوله: ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات،

(1) كذا في ق وفي د: «دكا»، وفي ع «ذكا»؛ ولم أوفق إلى تصحيح ما به من تصحيف إن كان، اللهم إلا أن تكون الكلمة دكّ بمعنى قل الماء. ففي اللسان: «مطر دك: قليل ضعيف... وكل شيء قليل دقيق من ماء ونبت وعلم، فهو دكيك» أو لعل الكلمة: «ركد» كما ذكِر في بعض الروايات.

قال: جهدهم الله بالجوع عاماً فعاماً. وفي قوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم الطُّوفَانَ وَالجَرَادَ وَالقُمَّلَ وَالضفَادِعَ والدم. . . ﴾ إلى آخر الآية: أما الطوفان فالماء أرسله الله عليهم حتى قاموا فيه قياماً. فدعوا موسى، فدعا ربه، فكشفه عنهم، ثم عادوا لسوء ما يخطر لهم؛ فأرسل الله عليهم الجراد، فأكل عامة حروثهم. فدعا موسى ربه، فكشفه عنهم. ثم عادوا لسوء ما يخطر لهم. فأرسل الله عليهم القمل، وهو الدبى، فأكل ما أبقى الجراد من حروثهم ولحسه. فدعوا موسى فدعا ربه، فكشفه عنهم. ثم عادوا لسوء ما يخطر لهم، فأرسل عليهم الضفادع حتى ملأت فرشهم وأفنيتهم، فدعوا موسى، فدعا ربه، فكشف عنهم، ثم عادوا لسوء ما يخطر لهم، فأرسل عليهم الدم فجعلوا لا يغترفون إلا دماً أحمر، حتى لقد ذكر لنا أن فرعون جمع رجلين أحدهما إسرائيلي والآخر قبطي على إناء واحد، فكان الذي يلي الإسرائيلي ماء، والذي يلي القبطي دماً. فدعوا موسى فدعا ربه فكشفه عنهم.

قال الله: ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا ﴾، أي: عن عبادة الله، ﴿ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾. وهذا جرم شرك، وهو جرم فوق جرم وجرم دون جرم.

قوله: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ ﴾، أي العذاب، في تفسير مجاهد والعامة. قوله: ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِي اليَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِئَايَتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾، أي: تاركين لها معرضين عنها.

قوله: ﴿ وَأَوْرَثْنَا القَوْمَ الذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ ﴾ وهم بنو إسرائيل ﴿مَشَـٰرِقَ الأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا التِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ قال الحسن وغيره: أرض الشام. وقال الكلبي: مقدس فلسطين والأردن. وإنما سكنها أبناء من كان مع موسى، لم يبقَ منهم يومئذٍ إلا يوشع بن نون معه، دخل أبناؤهم.

قوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الحُسْنَىٰ ﴾ يعني ظهور قوم موسى على فرعون[1] في

(1) أثبت هذا من مخطوطة ز، ورقة 109، وهو الصواب. وفي المخطوطات الأربع الأخرى: «﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الحُسْنَىٰ ﴾ أي: «وعد ربك بالجنة». وهذا غير مرتَضىً، ولعله سهو من النساخ، =

تفسير مجاهد ﴿ عَلَى بَنِي إِسْرَاءِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ أي على دين الله.

قوله: ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾. قال بعضهم: وما كانوا يبنون. وقال مجاهد: وما كانوا يبنون [من البيوت والمساكن ما بلغت][1]، قال: وكان عنبهم غير معروش.

قوله: ﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَـٰمُوسَـىٰ اجْعَل لَّنَا إِلَـٰهاً كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾. قال بعضهم: إن هؤلاء مفسَد ما هم فيه. قال بعضهم: بلغنا إنها نزلت بالسريانية[2].

قال الحسن: لما قطعوا البحر خرجوا إلى أرض بيضاء ليس معهم فيها طعام ولا شراب ولا بناء. فظلل الله عليهم الغمام وأنزل الله عليهم المنّ والسلوى. وقال بعضهم: فعل ذلك بهم في تيههم.

قال الحسن: فبينما هم كذلك نجاهم الله من البحر ومن آل فرعون، وأغرق فرعون وقومه، وأنزل عليهم المنّ والسلوى وظلل عليهم الغمام. وفيهم نبيهم،

= اللهم إلا أن يكون التقدير، وعد ربك بالجنة ءاذا اتبعوا موسى وأطاعوه عندما ينبأ ويرسل إليهم، وهذا تأويل ظاهرٌ بُعدُه وتكلّفه. والصحيح ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أن قوله: (وتمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الحُسْنَىٰ) يعني وفاء الله بوعده لبني إسرائيل أن ينجيهم من قهر فرعون ويمكن لهم في الأرض. وكلمة الله الحسنى هي قوله في سورة القصص: 5 - 6: «(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الذِين اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) [القصص: 5 - 6]. وانظر تفسير الطبري ج 13 ص 77 - 78.

(1) زيادة من مجاهد، ص: 245.

(2) كذا في المخطوطات: «بلغنا أنها نزلت بالسريانية» ولم أفهم ما يعنيه المؤلف بهذه الجملة؛ فإن كان يعني أن هذا الحوار الذي جرى بين موسى وقومه كان بالسريانية فنعم، لأن الله يقول: (وَمَا أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ). وإن كان يعني شيئاً أخر قيل له: إن كل ما ورد في القرآن إنما أنزل بلسان عربي مبين.

وحجرهم معهم، فيه آية عظيمة، إذا استسقوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، لكل سبط عين، قد علم كل أناس مشربهم، لا يخالط بعضهم بعضاً، إذ أتوا على قوم عندهم أوثان يعكفون على أصنام لهم، ﴿ قَالُوا يَـٰمُوسَىٰ اجْعَل لَّنَا إِلَـٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ)، فارتدّوا كفاراً.

قوله: ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَـٰلَمِينَ﴾ يعني عالَمي زمانهم، ولكل زمان عالَم.

قوله: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَـٰكُم مِّنَ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ قال الحسن: يذيقونكم سوء العذاب. ﴿ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ أي فلا يقتلونهن ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ أي نعمة عظيمة من ربكم إذ نجاكم منهم(1).

قوله: ﴿وَوَٰعَدْنَـا مُوسَىٰ ثَلَـٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَـٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِ أَرْبَعِين لَيْلَةً ﴾ الثلاثون: ذو القعدة، وعشر من ذي الحجة.

قال الكلبي: إن موسى لما قطع البحر ببني إسرائيل، وأغرق الله آل فرعون قالت بنو إسرائيل لموسى: يا موسى، أيتنا بكتاب من عند ربنا كما وعدتنا وزعمت أنك تأتينا به إلى شهر. فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً لينطلقوا معه، فلما تجهزوا قال الله لموسى: أخبر قومك أنك لن تأتيهم أربعين ليلة، وذلك حين أتمت بعشر. وقال الحسن: كانت أربعين من أول؛ يقول: وواعدنا موسى ثلاثين ليلة، وبعدها عشر، مثل قوله: (فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) [البقرة: 191].

قال الكلبي: فلما خرج موسى بالسبعين، أمرهم أن ينتظروه في أسفل الجبل. وصعد موسى عليه السلام الجبل؛ فكلمه الله أربعين يوماً وأربعين ليلة وكتب له فيها بالألواح. ثم إن بني إسرائيل عدوا عشرين يوماً وعشرين ليلة فقالوا: قد أخلفنا موسى

(1) انظر ما سلف من هذا التفسير، ج 1 ص 104.

الوعد. وجعل لهم السامري العجل، فقال: (هَـٰذَا إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ) [طه: 88] فعبدوه. وقد فسّرنا ذلك في سورة البقرة(1).

قوله: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾. هذا حيث انطلق موسى للميعاد.

قوله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾. قال الحسن: لما كلّمه ربه دخل قلبَ موسى من السرور من كلام الله ما لم يصل إلى قلبه مثلُه قطّ. فدعت موسى نفسُه إلى أن يسأل ربّه أن يريَه نفسَه. ولو كان فيما عهد إليه قبل ذلك أنه لا يُرى لم يسأل ربه ما يعلم أنه لا يعطيه إياه.

﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرِ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَىٰنِي وَلَـٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ﴾ أي إن الجبل لا يستقرّ مكانه، وكذلك لا تراني لأني لا تدركني الأبصار وأنا أدرك الأبصار.

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ يعني أنه أبدى بعض آياته للجبل فجعله دكاً، وخرّ موسى صعقاً. قوله: جَعَلَهُ دَكًّا. قال بعضهم: جعل بعضه على بعض(2). وبعضهم يقرأها: دكاء، ممدودة. وسمعت بعضهم يقول: إن الدكاء الأرض المستوية.

قال: ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾. غشيته الصاعقة(3). ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ ﴾ قال بعضهم: فلما ردّ الله إليه نفسَه(4). وقال بعضهم: فلما أفاق من غشيته، أي أنه غشي عليه. وكانت صعقة موسى أن غشي عليه، ولم تكن صعقةَ موت، ألا تراه يقول: فلما

(1) انظر ما سلف من هذا التفسير ج 1، ص 104 - 107.

(2) كذا في المخطوطات، وفي ز ورقة 110: «فعفر الجبل بعضه على بعض».

(3) كذا في المخطوطات، وفي ز، ورقة

(4) كذا في المخطوطات، وفي ز: «فلما رد الله إليه حياته». ويبدو من ملاحظة محمد ابن أبي زمنين أن المؤلف ذهب إلى أن الصعق هنا هو الموت، وفي التعليق التالي بيان ذلك.

أفاق، أي من غشيته، والإفاقة لا تكون من الموت. وكان دل على صعقةٍ أنها صعقة موت؛ دل على ذلك قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ قال: ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ قال: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] [البقرة: 55، 56].

قال: فلما أفاق ﴿ قال سُبْحَـٰنَكَ ﴾ ينزه الله ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ أي مما تقدمت بين يديك من المسألة[2]. ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾. قال مجاهد: وأنا أول قومي إيماناً. وقال بعضهم: وأنا أول المؤمنين بأنك لا ترى، وهو أيضاً أول قومه إيماناً بهذا، وقد آمن الناس قبله[3].

قوله: ﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ ﴾ أي اخترتك ﴿ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَـٰمِي فَخُذْ مَا ءَاتَيْتُكَ ﴾ أي ما أعطيتك ﴿ وَكُن مِّنَ الشَّـٰكِرِينَ ﴾ أي لأنعمي عليك.

قوله: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال

---

(1) كأنّ في عبارة المؤلف شيئاً من التكرار والتعقيد، ولكن المعنى واضح كل الوضوح؛ فهو يريد أن يبيّن أن من الصعق ما يكون موتاً، ومنه ما يكون غشية كالإغماء. فصعق موسى عندما اندك الجبل صعق غشية، وصعق قومه عندما طلبوا رؤية الله جهرة صعق موت، لأن الله ذكر عنهم أنه بعثهم من بعد موتهم حين أخذتهم الصاعقة. وفي هذا من بديع الأسلوب القرآني ودقة تعبيره ما يدل على إعجازه، فتأمله فإنه نفيس. وتأمل كيف نسب الفعل في موسى إليه نفسه فقال الله: «فَلَمَّا أَفَاقَ». أما قوم موسى فإن الله هو الذي بعثهم ونسب الفعل إلى ذاته العلية فقال: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾. وتلك هي بلاغة النص القرآني. وصدق من قال: ما فسّر القرآن مثل القرآن.

(2) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز، ورقة 110: «أي من قولي انظر إليك».

(3) جاء في مسند الربيع بن حبيب، ج 3، 247، (رقم 870) ما يلي في تفسير الآية «(سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ (: أي من مسألتي أني أنظر إليك (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) المصدّقين بأنك لا يراك أحد. وقال مجاهد مثل ذلك. وقال الحسن: لن تراني ولا ينبغي لبشر أن يراني. قال الربيع بن حبيب: لن حرف من حروف الإياس عند النحويين وأهل اللغة، أي لن يراه أحد في الدنيا ولا في الآخرة».

الحسن: تفصيلاً من الحلال والحرام والأحكام والهدى والضلالة. وقال مجاهد: ما أمروا به وما نهوا عنه، وهو واحد.

قال: ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ أي بجد. قال بعض العلماء: إن الله يحب أن يؤخذ أمره بقوة، والقوة: الجد. ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ وأحسنها أن يأخذوا بما أمرهم الله به وأن ينتهوا عما نهاهم الله عنه.

﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَـٰسِقِينَ ﴾، يعني دار فرعون وقومه، يريد مصر، يعني منازلهم في الدنيا في تفسير بعضهم(1). قال: فأراهم الله إياها. كقوله: (كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الشعراء: 59]. وقال مجاهد: (سَأُورِيكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ) أي مصيرهم في الآخرة.

قوله: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ الذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾ قال الحسن: سأصرفهم عنها بفعلهم حتى لا يؤمنوا بها. قال: ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ يخبر بعلمه فيهم. ﴿ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ أخبر أنهم لا يؤمنون أبداً. ثم أخبر لِمَ ذلك وبِمَ هو، فقال:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِئَايَـٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾ أي معرضين جاحدين.

قوله: ﴿ وَالذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَـٰتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَت أَعْمَـٰلُهُمْ ﴾ أي حسناتهم في الآخرة، أي استوفوها في الدنيا ﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾. كقوله: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) أي لا ينقصون (أولَٰئِكَ الذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [هود: 15 - 16].

(1) هذا قول يحيى بن سلام. وقد أشار الطبري إلى هذا القول ولكنه لم يُذْكر قائله لوجود بياض في الأصل. انظر تفسير الطبري ج 13 ص 111. وانظر علوم الحديث لابن الصلاح، وتعليق المحقق الدكتور نور الدين عتر، ص 254. ونسب ابن الجوزي في زاد المسير، ج 3 ص 260 هذا القول إلى عطية العوفي.

قوله: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ ﴾ أي من بعد موسى حين ذهب للميعاد. ﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ ﴾. قال بعضهم: جعل يخور خوار البقرة. وقال مجاهد: خوار فيه الريح.

وقال الحسن: إن موسى عليه السلام لما مضى للميعاد عمد السامري فألقى ما كان معه من الحليّ، وألقى بنو إسرائيل ما كان معهم من الحليّ أيضاً. وكانت معهم تلك الحليّ عوارى استعاروها من آل فرعون ليوم الزينة، يوم العيد الذي وعدهم موسى حيث يقول: (مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ) [طه: 59]. وهو قول بني إسرائيل: (حُمِّلْنا أَوْزَاراً، أي آثاماً، مِّن زِينَةِ القَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّـٰمِرِيُّ) [طه: 87] أي ما معه كما ألقينا ما معنا. وكان الله أمر موسى أن يسير بهم ليلاً، فكره القوم أن يردوا العواري على آل فرعون، فيفطن بهم آل فرعون، فساروا من الليل والعواري معهم. فعمد السامري فصاغ عجلاً من ذلك الحليّ؛ قال: وكان صائغاً[1]. قال: وقد كان أخذ تراباً من أثر فرس جبريل يوم قطعوا البحر فكان معه، فقذف ذلك التراب في ذلك العجل، فتحول لحماً ودماً له خوار للبلا[2]. (فَقَالُوا هَـٰذَا إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ) [طه: 88] أي ولكن نسي موسى إلٰهه فأضله فذهب في طلبه، وهو عندكم.

قال الله: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ ﴾ يعني العجل ﴿ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً ﴾ أي طريقاً. ﴿ ٱتَّخَذُوهُ ﴾ إلـٰهاً ﴿ وَكَانُوا ظَـٰلِمِينَ ﴾ لأنفسهم باتخاذهم إياه.

قوله: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ [أي ندموا][3] وَرَأَوا أَنَّهُمْ قَد ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ

(1) كذا في ق وع وج: «وكان صائغاً»، وفي د: «وما كان صائغاً». ولم أجد فيما بين يدي من المصادر من أشار إلى هذا حتى أثبت كونه صائغاً أو أنفيه.

(2) كذا وردت هذه الكلمة: «للبلا»، منقوطة أحياناً وغير منقوطة في المخطوطات، ولم اهتد لمعناها.

(3) زيادة من ز، ورقة 110. وقال الطبري في تفسيره ج 13 ص 118: «وكذلك تقول العرب لكل نادم على أمر فات منه أو سلف، وعاجز عن شيء: «قد سقط في يديه» و «أسقط» لغتان فصيحتان. وأصله من الاستئسار. وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرعه. فيرمي به من يديه إلى الأرض ليأسره، فيكتفه، فالمرمي به مسقوط في يدي الساقط به. فقيل لكل عاجز عن شيء، وضارع لعجزه، متندم على ما قاله: «سقط في يديه» و «أسقط».

يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا ﴾ أي: لئن لم يفعل ذلك بنا ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَـٰسِرِينَ﴾.
وهي تقرأ على وجه آخر: لَئِن لَّمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا ﴾ أي لئن لم ترحمنا يا ربنا، صراخ منسوب، (لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ). قالوا ذلك لما صنع موسى بالعجل ما صنع، فطلبوا التوبة، فأبى الله أن يقبل منهم إلا أن يقتلوا أنفسهم، فَغَلِظَ عليهم في المتاب.
وهو قوله: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ العِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ). أي إلى خالقكم (فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ...) إلى آخر الآية. [البقرة: 54].

قوله: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً ﴾ أي حزينا[1]. وقال بعضهم: الأسف شدة الغضب ﴿ قَالَ بِيسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ القَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ القَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ﴾ قال مجاهد: مع أصحاب العجل.

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ﴾ يعني الجنة ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الحَيَـوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ يعني بالذلة الجزية. ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي المُفْتَرِينَ ﴾ أي لعبادتهم العجل. افتروا على الله إذ زعموا أن العجل إلـٰههم.

قوله: ﴿ وَالذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا ﴾ أي من بعد تلك السيئات وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

(1) هذا قول ابن عباس والسدي والحسن في تفسير أسفا. كما جاء في الطبري ج 13، ص 121، وفيه عن ابن عباس: «وقال في الزخرف: آية: 55 (فَلَمَّا ءَاسَفُونَا) يقول: أغضبونا. والأسف على وجهين: الغضب والحزن». وقال الطبري قبل ذلك في ص 120: «والأسف شدة الغضب». وروى بسند عن أبي الدرداء قال: «قول الله: (غَضْبَانَ أسفاً) قال: «أسِفَ منزلة وراء الغضب».

قوله: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الغَضَبُ ﴾ أي سكن ﴿ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ يعني الكتاب الذي نسخت منه التوراة ﴿ هُدىً وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ والرهب الخوف. وقال بعضهم: (وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً) قال:

إن موسى لما أخذ الألواح قال: يا رب، إني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويسارعون في طاعة الله، رب فاجعلهم من أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال رب أني أجد في الألواح أمة هم الآخرون والسابقون يوم القيامة، أي الآخرون والسابقون في دخول الجنة، فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرأونها، وأجد قوماً يقرأون كتابهم نظراً، إذا رفعوه لم يحفظوا منه شيئاً ولم يعوه؛ فإن الله أعطى هذه الأمة من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الآدميين، قال: رب اجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويقتلون فضول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، رب فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة يأكلون صدقاتهم في بطونهم ويؤجرون عليها، وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم، وكان من قبلكم إذا تصدق أحدهم بصدقة أنزلت عليها نار من السماء فأكلتها، فاجعلها اللهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. [قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة، رب اجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد][1]. قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه، وإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة، رب فاجعلهم أمتي. قال تلك أمة أحمد.

وذكر لنا أنه نبذ الألواح، وقال: رب اجعلني من أمة أحمد. فأعطى اثنتين لم

(1) زيادة من تفسير الطبري ج 13 ص 123، رأيت من المناسب إثباتها هنا، وكأني بها سقطت من الناسخ الأول، وقد جاءت هذه الرواية في تفسير الطبري أتم وأوفى مع بعض اختلاف في ألفاظها، وجاءت فيه منسوبة إلى قتادة.

يعطوهما. قال: (إنّي اصْطَفَيْتُكَ عَلى النّاس بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي) فرضي. ثم أعطى الثانية: (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) [الأعراف: 159] فرضي موسى كل الرضى.

قوله: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَـٰتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ ﴾ أي بليّتك ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ أي تأمر وتنهي، لا يكون أحد ضالاً ولا مهتدياً إلا بعد الأمر والنهي، فمن فعل ما أمر به كان مهتدياً، ومن فعل ما نُهِيَ عنه كان ضالاً. ﴿ أَنْتَ وَلِيُّنَا ﴾ في المنّ والتوفيق والعصمة ﴿ فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الغَـٰفِرِينَ﴾.

قال الكلبي: إن السبعين قالوا لموسى عليه السلام حين كلمه ربه: يا موسى، إن لنا عليك حقاً؛ كنا أصحابك، لم نختلف ولم نصنع الذي صنع قومنا، فأرنا الله جهرة كما رأيته. فقال موسى: لا والله ما رأيته. [ولقد أردته على ذلك فأبى][1]، ولا يُرى. ولقد أبدى الله بعض آياته للجبل فكان دكاً، وهو أشد مني، وخررت صعقاً، فلما أفقت سألت الله تعالى واعترفت بالخطيئة التي كانت مني إذ تقدمت بين يدي الله. فقالوا: فإنا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم. فظن موسى أنهم إنما احترقوا بخطيئة أصحاب العجل. فقال: لربه: (رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّنْ قَبْلُ وَإِيَّ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا)، يعني أصحاب العجل، (إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ. . .) إلى آخر الآية. ثم بعثهم اللَّهُ من بعد موتهم فقال: (ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [البقرة: 56]. وقد فسّرنا ذلك في سورة البقرة[2].

قال بعضهم: ذكر لنا أن ابن عباس قال: إنما تناولت الرجفة السبعين لأنهم لم

(1) زيادة من ز، ورقة 111.

(2) انظر ما سلف، ج 1 ص: 106 - 107.

يزايلوا القوم حين نصبوا العجل، وقد كرهوا أن يجامعوهم عليه. وذكر لنا أن أولـئك السبعين كانوا يلبسون الثياب الطاهرة ثم يبرزون صبيحة[1] شاتية إلى البرية فيدعون الله فيها، فوالله ما سأل القوم يومئذٍ شيئاً إلا أعطاه الله هذه الأمة.

ذكر بعضهم في قول الله: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْطُّوْرِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ [القصص: 46] قال: نودي بأمة محمد: أجبتكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني.

قوله: ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْأَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾. قال مجاهد: إنا تبنا إليك. ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنَ أَشَاءُ ﴾ يعني النار.

قال: ﴿ وَرَحْمَتِي ﴾ يعني الجنة ﴿ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ يعني أهلها. وهذا الحرف من خفي القرآن.

قال بعضهم: لما نزلت هذه الآية تطاول لها إبليس والأبالسة وقالوا: إنا من ذلك الشيء، وطمع فيها أهل الكتابين والمنافقون، فقال الله: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا ﴾ أي فسأجعلها ﴿ لِلذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ قال بعضهم: يتقون الشرك. وقال بعضهم...[2] ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ ﴾. قال بعضهم: الزكاة في هذا الموضع التوحيد؛ كقوله: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ [فصلت: 6 - 7] أي لا يوحّدون الله ولا يُقِرّون به. ﴿ وَالذِينَ هُمْ بِئَايَتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي يصدّقون.

﴿ الذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِـيَّ الْأُمِّيَّ الذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاية وَالإِنْجِيلِ ﴾ يعني أهل الكتاب. ﴿ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ ﴾ أي ما يعرف العباد عدله ﴿وَيَنْهَيـٰهُمْ عَنِ المُنْكَرِ ﴾ أي ما ينكر العباد عدله. ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَـٰتِ﴾ أي الحلال منه والشحوم وكل ذي ظفر ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ ﴾ أي الحرام[3]

(1) كذا في المخطوطات ق و ع ود: «ثم يبرزون صبيحة شاتية» لعل صوابها في «الصبيحة الشاتية».

(2) وردت هذه الجملة في ج و د، وسقطت من ق و ع، وورد هذا البياض في ج ود بدون ذكر لما قاله بعضهم.

(3) مثل الخنزير والربا، كما ذكره بعض المفسرين القدامى، وحكم التحريم هذا يتناول كثيراً من =

﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: إصرهم وآصارهم. فمن قرأها إصرهم فيقول عهدهم، ومن قرأها آصارهم فيعني عهودهم فيما كان حرم عليهم ببغيهم، أي بكفرهم. ﴿ وَالأَغْلَـٰلَ التِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني ما كان شدد عليهم فيه؛ فأمرهم الله أن يؤمنوا بمحمد عليه السلام ويتبعوا ما جاء به.

وقال بعضهم في قوله: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ فقال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فأنزل الله: (فَسَأَكْتُبُهَا لِلذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالذِينَ هُمْ بِئَايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ). ثم زاد في نعتهم ليبينهم الله ممن سواهم فقال: (الذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيءَ الأُمِّيَ . . .) إلى آخر الآية.

وقال: ﴿ فَالَّذِيْنَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ ﴾ [أي عظموه][1] ﴿ وَنَصَرُوهُ ﴾ وهو كلام مثنى ﴿ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ﴾ وهو القرآن، فأحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه، وعملوا بفرائضه، وانتهوا عن زواجره ﴿ أُولَئِكَ ﴾ أي: الذين هذه صفتهم، ﴿ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ أي: هم السعداء؛ أولئك الذين جعلت رحمتي لهم، فأيس منها إبليس وجميع جنوده، وجميع الكفار (كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ القُبُورِ) [الممتحنة: 13].

قوله: ﴿ قُلْ يَـٰأَيُّهَـا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ ذكروا عن الحَسَن قال: قال رسول الله ﷺ: بعثت إلى كل أحمر وأسود[2]. وفي تفسير عمرو عن الحسن قال: بعثت إلى الناس كافة، ولم يُعْطَ هذه المنزلة نبي قط، قال: إنّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جميعاً).

= أنواع الخبائث التي جدّت، أفعالاً كانت، أو مآكل ومشارب، مما تجره ويلات المدينة الفاجرة في هذا العصر.

(1) زيادة من ز، ورقة: 111.

(2) أخرجه أحمد في مسنده عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود. وأخرجه البخاري. وأخرجه مسلم في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري (521) وأوله: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي؛ كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود.

﴿ الذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَئَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِ﴾ وهي تقرأ على وجهين: (وكَلِماتِهِ) (وكَلِمَتِـه). وكان الحسن يقرأها: (وَكَلِمَاتِه) قال: كلمات الله وحيه الذي أنزل على محمد عليه السلام. ومن قرأها: (وَكَلِمَتِهِ) فهو يعني عيسى روحَ الله وكلمته. وقال بعضهم: (وكَلِمَاتِهِ) أي: وآياته. قال: ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي لكي تهتدوا. ولعلّ من الله واجبة.

قوله: ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ ﴾ أي عصابة وجماعة. ﴿ يَهْدُونَ بِالحَقِّ ﴾ أي يهتدون بالحق ﴿ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾. به يحكمُون. وقال بعضهم: يهدون بالحق أي: يدعون بالحق؛ كقوله: (وَجَعَلْنَاهُم أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) [الأنبياء: 73] أي يدعون بأمر الله. وقد فسّرناه في الآية الأولى. قال فرضي موسى كل الرضا.

قوله: ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً) يعني بني إسرائيل. ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذ اسْتَسْقَـٰهُ قَوْمُهُ أَنِ ٱضْرِبْ بِّعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً ﴾. قال بعضهم: كان موسى احتمل معه من الجبل، جبل الطور، حجراً؛ فإذا نزلوا ضربه موسى فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، لكل سبط عين مستعذَب ماؤها ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ وذلك في تيههم.

قوله: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمْ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ المَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾. قال بعضهم: كان المن ينزل عليهم من السماء في محلتهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وكان أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل، والسلوى السّمّان. وهو هذا الطائر الذي يقال له السمّان، كانت تحشرها عليهم الجَنوب. وقد فسّرنا أمرهم في سورة البقرة[1]. وقال الحسن: السلوى السمّان.

قوله: ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ يعني المنّ والسلوى. وقال الحسن: هذا حين خرجوا من البحر، أعطاهم الله ذلك لأنهم خرجوا إلى أرض بيضاء ليس فيها

(1) انظر ما سلف، ج 1، ص: 108 - 109.

نبات ولا بناء، وليس معهم طعام ولا شراب. قال: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَـٰذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ قال بعضهم: بيت المقدس ﴿ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً تُغْفَرْ لَكُمْ خَطِيئَـٰتُكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ قد فسّرناه في سورة البقرة[1].

قال: ﴿ فَبَدَّلَ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾. وقد فسرناه في سورة البقرة[1].

قوله: ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ التِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ ذكر بعضهم قال: ذكر لنا أنها كانت قرية على ساحل البحر يقال لها أيلة[2]. فكان إذا كان السبت أقبلت الحيتان فتنبطح على سواحلهم وأفنيتهم لما بلغها من أمن [3] الله في الماء. فإذا كان غير يوم السبت بعدت في الماء حتى يطلبها طالبهم. فخدعهم الشيطان فقال: إنما نهيتم عن أكله ولم تنهوا عن صيده. فاصطادوها يوم السبت، ثم أكلوها بعد ذلك.

وقال الكلبي: هي أيلة، وهو مكان من البحر تجتمع فيه الحيتان في شهر من السنة كهيئة العيد، تأتيهم متها [حتى لا يروا الماء وتأتيهم في غير ذلك الشهر كل يوم سبت][4] كما تأتيهم في ذلك الشهر. قال: وذلك بلاء من الله ليعلم من يطيعه ممن يعصيه. وذلك في زمان داود عليه السلام.

وقال الكلبي: فإذا جاء السبت لم يمسوا منها شيئاً. فعمد رجال من سفهاء تلك

---

(1) انظر ما سلف، ج 1، ص: 109 - 111.

(2) هي مدينة مشهورة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر)، لا تزال موجودة إلى يومنا هذا، قيل: «هي آخر الحجاز وأول الشام». إقرأ وصف موقعها وشيئاً من تاريخها في معجم البلدان للحموي، ج 1، ص 292.

(3) كذا في المخطوطات الأربع، وفي تفسير الطبري ج 13 ص 190 من أمر الله، وهو الصحيح، والقول لقتادة.

(4) زيادة من ز، ورقة 111، وقد سقطت من المخطوطات الأربع، وسياق الكلام يقتضيها.

المدينة فأخذوا الحيتان ليلة السبت ويوم السبت، فأكثروا منها، وملّحوا وباعوا؛ ولم تنزل بهم عقوبة فاستبشروا وقالوا: إنا نرى السبت قد حلّ وذهبت حرمته؛ إنما كان يعاقب به آباؤنا في زمن موسى، ثم استنَّ الأبناء سنة الآباء، وكانوا يخافون العقوبة، ولو كانوا فعلوا لم يضرهم شيء. فعملوا بذلك سنين، حتى أثروا منه، وتزوجوا النساء، واتخذوا الأموال.

فمشى إليهم طوائف من صالحيهم فقالوا: يا قوم، إنكم قد انتهكتم حرمة سبتكم، وعصيتم ربكم، وخالفتم سنة نبيّكم، فانتهوا عن هذا العمل الرديء قبل أن ينزل بكم العذاب، فإنا قد علمنا أن الله منزل بكم عذابه عاجلاً ونقمته. قالوا: فلمَ تعظوننا إذ علمتم أن الله مهلكنا، والله لقد عملنا هذا العمل منذ سنين، فما زادنا الله به إلا خيراً؛ وإن أطعتمونا لتفعلن مثل الذي فعلنا؛ فإنما حرم هذا على من قبلنا، وهم الذين نهوا عنه. قالوا: ويلكم لا تغتروا ولا تأمنوا بأس الله، فإنه كأن قد نزل بكم. قالوا: فـ (لِمَ تعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً). قالوا: معذرة إلى ربكم؛ إما أن تنتهوا فيكون لنا أجر، أو تهلكوا فننجو من معصيتكم. فأنزل الله: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُوءِ وَأَخَذْنَا الذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بِيسٍ، أي شديد، بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ). فأصبح الذين استحلّوا السبت قردة خاسئين.

وقال بعضهم: إنهم صاروا ثلاث فرق: فرقة اجترأت على المعصية، وفرقة نهت، وفرقة كفّت فلم تصنع ما صنعوا ولم تنههم؛ فقالوا للذين نهوا: لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً، قالوا معذرة إلى ربكم. ولعلهم يتقون.

قوله: ﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾ أي يعتدون في السبت، وهو من الاعتداء ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً ﴾ قال الحسن: إن الله حرم عليهم أخذ الحيتان يوم السبت بخطيئة كانت منهم، وأحل لهم الأيام كلها إلا يوم السبت. فإذا كان يوم السبت أتتهم على أبوابهم فتنبطح وتشرع[1]. ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ﴾ أي في غير يوم

(1) أي تظهر على الماء، قيل رافعة رؤوسها، وقيل خافضة لها للشرب، انظر اللسان (شرع).

السبت ﴿ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾. قال الله: ﴿ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ ﴾ أي نبتليهم ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾. أي بما تعدوا وأخذوا في السبت.

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾.

قوله: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ أي ما وعظوا به، أي ما نهاهم عنه المؤمنون الذين نهوهم عما يصنعون، أي ذكروهم الله ﴿ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ﴾. قال الحسن: نجت فرقتان وهلكت فرقة، وهم الذين أخذوا الحيتان. ﴿ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بِيسٍ ﴾ قال مجاهد: بعذاب أليم شديد ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾.

قوله: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ قال مجاهد: إلا طائفة منهم لم يفعلوا.

قال الحسن: (خَاسِئِينَ): صاغرين[1]. قال: وهي كقوله: (اخْسَأُوا فِيهَا) أي اصغروا فيها، أي في النار (وَلَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108]. قال بعضهم: فصاروا قردة تَعَاوى لها أذناب بعد أن كانوا رجالاً ونساء.

ذكروا أنه دُخِل على ابن عباس، وبين يديه المصحف، وهو يبكي، وقد أتى على هذه الآية: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) فقال: قد علمتُ أن الله أهلك الذين أخذوا الحيتان، ونجّى الذين نَهَوْهم، ولا أدري ما صنع بالذين لم ينهوا ولم يواقعوا المعصية[2].

وقال الحسن: وأي نهي أشد من أنهم أثبتوا لهم الوعيد، وخوّفوهم العذاب

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز، ورقة 112: «أي مبعدين». وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 231: «أي قاصيـن مبعدين. يقال خسأته عني وخسأ هو عني».

(2) إقرأ هذا الخبر الذي رواه عكرمة عن ابن عباس بتفصيل أكثر في تفسير الطبري؛ ج 13، ص 188 - 190، وفي الدر المنثور، ج 3، ص 137 - 138.

فقالوا: (لِمَ تعظُوْنَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً).

قوله: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ ﴾ قال مجاهد: وإذ قال ربك. وقال الحسن: أعلم ربك[1] ﴿ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمُ إِلَى يَوْمِ القِيَـٰمَةِ مَن يَّسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ ﴾ أي يذيقهم[4] سوء العذاب، أي شدته.

وقال بعضهم: بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب إلى يوم القيامة يعني بالجزية والذل، يعني أهل الكتاب[3].

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ ﴾ قال الحسن: إذا أراد الله أن يعذّب قوماً كان عذابه إياهم أسرعَ من الطرف. ﴿ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيْمٌ ﴾ أي لمن تاب وآمن وعمل صالحاً.

قوله: ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ [أي فرّقناهم][4] ﴿ أُمَماً ﴾ مختلفين. قال الحسن: بني إسرائيل. وقال مجاهد: يعني اليهود. ﴿ مِّنْهُمُ الصَّـٰلِحُونَ﴾ يعني المؤمنين ﴿ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ يعني المنافقين، ومنهم مشركون[5]. ﴿وَبَلَوْنَـٰهُمْ﴾ أي ابتليناهم، أي اختبرناهم ﴿بِالحَسَنَـٰتِ والسَّيِّئَاتِ ﴾ أي بالشدة والرخاء. ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي لكي يرجعوا إلى الإيمان.

---

(1) في المخطوطات الأربع: «شعر»، وصوابها: أشعر، وأثبت ما جاء في ز، ورقة 112: «اعلم»، ومعناهما واحد.

(2) كذا في المخطوطات، «يذيقهم». وفي ز ورقة 112: «يولونهم».

(3) ذلك يوم كان المسلمون مؤمنين حقاً. ويوم كان الإسلام في عز ومنعة من أهله. أما اليوم فقد تغيرت الأوضاع، وأصبح بعض العرب في ذل من اليهود، يُسامون سوءَ الهوان، ويُخرجون من ديارهم بغير حق. وسيبقون كذلك إلى أن يعودوا إلى دينهم الحق، وينبذوا ما بينهم من عداوة وبغضاء، ويجتمعون كلهم حول كلمة لا إلـه إلا الله محمد رسول الله. (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [الرعد: 11].

(4) زيادة من ز، ورقة 112.

(5) كذا في ق: «يعني المنافقين ومنهم مشركون». وفي ع: «يعني المنافقين وهم المشركون»، وفي ج و د: «يعني المنافقين وهم مشركون». وفي ز، ورقة 112: «يعني كفاراً». وهذا نموذج من الخلط أو الزيادة التي تأتي من قبل النساخ غالباً عن قصد أو غير قصد.

قال: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ أي من بعد الماضين ﴿ خَلْفٌ ﴾ والخلْف هو الخلف السوء، والخلَف الصالح(1). قال بعضهم: الخلف: اليهود، وقال مجاهد: النصارى بعد اليهود، وقال بعضهم: الخلف من كل، وهو الخلف السوء من جميع الخلق.

قال: ﴿ وَرِثُوا الكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِم مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾. [قال مجاهد: يعني ما أشرف لهم في اليوم من حلال أو حرام أخذوه ويتمنّون المغفرة، وإن يجدوا الغد غيره يأخذوه](2). وقال الحسن: لو عرضت لهم الدنيا ومثلها معها لاصطلموها(3) ولتمنوا المغفرة بعد ذلك.

قوله: أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ الكِتَابِ أَلَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾ أي وقرأوا ما فيه، أي ما في هذا الكتاب بخلاف ما يقولون وما يعملون. ﴿ وَالدَّارُ الآخِرَةُ ﴾ يعني الجنة ﴿ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ والتقوى اسم جامع لخصال الإيمان. ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يقول: أفلا تعقلون ما تدرسون؛ ينبههم لكي ينتبهوا.

قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا الصَّلَـوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ المُصْلِحِينَ ﴾ قال الحسن: هؤلاء أهل الإيمان منهم. وقال مجاهد: من آمن من اليهود والنصارى.

قوله: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَـٰكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ أي بجدّ. ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾. أي واحفظوا ما فيه، أي: من الأمر والنهي فاعملوا به.

(1) انظر الخطابي، غريب الحديث، ج 1 ص: 54.

(2) زيادة من ز، ورقة 112، ومن تفسير مجاهد، ص 249.

(3) وردت هذه الكلمة في ق وع بلفظ: «لاصطلحوها»، وفي ج و د: «لاصطلموها» ولست مطمئناً للكلمتين معاً اللهم إلا أن تكون الكلمة الثانية: لاصطلموها هي الصحيحة، بمعنى لقضوا عليها عن آخرها، لأن معنى اصطلم، قطعه واستأصله. ويبدو أن في الكلمة تصحيفاً لم أهتدِ إليه، ولم أجد من روى هذا الخبر عن الحسن فيما بين يدي من المصادر.

قال بعضهم: اقتلع الجبل من أصله، فأشرف به عليهم فقال: لتأخذنّ أمري أو لأرمينّكم به[1].

قوله: ﴿وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُـمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا شَهِدْنَا﴾.

ذكروا عن عطاء بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أهبط الله آدم بالهند بأرض يقال لها بجنا[1] ثم مسح على ظهره فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم قال: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا). ثم أعادهم في صلب آدم.

وقال الكلبي: مسح ظهر آدم فأخرج منه كل خلق هو خالقه إلى يوم القيامة ثم قال: ألست بربكم قالوا بلى، فقال للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا.

قوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي لئلا تقولوا: ﴿يَوْمَ القِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾. قال: ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ، ءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ﴾ [وجدناهم على ملة فاتبعناهم][3] ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُونَ﴾.

قال الله: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَـٰتِ﴾ أي هكذا نبين الآيات ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي إلى الإيمان.

قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الذِي ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ أي كفر ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ﴾ أي الضالّين.

ذكروا عن مجاهد قال: هو بلعام بن بعران[4]. وقال بعضهم هو بلعم آتاه الله

(1) انظر ما سلف، ج 1 ص 106 و 112.

(2) كذا وردت هذه الكلمة «بجنا» في ق و ع، وفي د و ج «لحا» هكذا بدون نقط، وانظر تحقيقاً مفصلاً لهذا العلم في تفسير الطبري ج 13، ص 225 - 226 حيث يرجح المحقق أنها دجنا، وهي تعريب لـ: «دهنج» التي في أرض الهند، والله أعلم.

(3) زيادة من ز، ورقة 112.

(4) كذا في المخطوطات الأربع، وفي تفسير الطبري ج 13 ص 253. بلعم بن أبر، وبلعم بن باعر، وفي تفسير مجاهد ص 250: بلعام بن باعر.

علماً فتركه وكفر. وبعضهم يقول: هو أمية بن أبي الصلت. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال في أمية بن أبي الصلت: آمن شعره وكفر قلبه[1].

قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا ﴾ أي بآياتنا ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ ﴾ أي اختار الدنيا[2]. وقال مجاهد: سكن، أي اطْمَأَنَّ إلى الدنيا. وقد قال في آية أخرى: (إِنَّ الذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالحَيَواةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا) [يونس: 7] قال: ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَيٰهُ ﴾ قال بعضهم: أبى أن يصحب الهدى. فضرب الله مثلاً فقال:

﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ قال: فمثله في العلم الذي آتاه الله فتركه كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فهو على كل حال يلهث، أي فلم ينتفع بالعلم الذي علم.

وقال مجاهد: إن تحمل عليه أي: أن تطرده بدابتك[3] أو برجلك، وهو مثل الكافر بالكتاب. وقال بعضهم: فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، وأذل ما يكون الكلب إذا لهث، يقول: فكذلك مثل هذا الذي يعلم ولا يعمل بما يعلم هو كالكلب الذليل.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه[4].

(1) أورد هذا الخبر بعض المفسرين في سبب نزول الآية مثل الطبري والقرطبي، ورواه مسلم في كتاب الشعر عن الشريد بن سويد الثقفي (رقم 2255) وفي بعض ألفاظه: «فلقد كاد يسلم في شعره»، ورواه ابن الأنباري وابن عساكر في تاريخيهما عن ابن عباس، وانظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ج 1 ص 459.

(2) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز ورقة 112: «ركن إلى الدنيا».

(3) في ع بياض قرر كلمة، وفي ق بداية (كذا) وسقطت الجملة من د. والتصحيح من القرطبي في تفسيره ج 7 ص 323.

(4) أخرجه البيهقي من حديث ابن عباس جاء فيه: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي، أو قتل أحد والديه، وعالم لم ينتفع بعلمه. انظر الدر المنثور ج 14 ص 174.

وقال الكلبي: (إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) يقول: هو ضال على كل حال، وعظته أو تركته.

﴿ ذَلِكَ ﴾ يقول هذا المثل ﴿ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾ أي الحق يا محمد ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي لكي يتفكروا فيما يقص عليهم.

ثم قال: ﴿ سَاءَ مَثَلاً ﴾ أي: بئس المثل مثل: ﴿ الْقَوْمُ الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ مَن يَّهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُّضْلِلْ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ ﴾ أي: خسروا أنفسهم فصاروا في النار وخسروا الجنة.

قوله: ﴿ وَلَقَد ذَّرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ ﴾ ذرأنا، أي: خلقنا لجهنم في تفسير الحسن وغيره ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ الهدى ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ الهدى ﴿ وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ الهدى ﴿ أُولَـٰئِكَ كَالأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ من الأنعام فيما تُعُبِّدوا به ﴿ أُولَـٰئِكَ هُمُ الغَـٰفِلُونَ ﴾ عن الآخرة.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾. ذكر بعضهم قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله تسعة وتسعين إسماً، مائة غير واحد، من أحصاها دخل الجنة[1]. قال الحسن: منها الله ومنها الرَّحْمَـٰنُ قال: ﴿ وَذَرُوا الذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ أي الذين يكذبون في أسمائه.

قال الكلبي: من أسمائه الله والرحمـٰن والرحيم والعزيز وأشباه هذا؛ قال: (فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الذِينَ يُلْحِدُونَ في أَسْمَائِهِ)، أي يميلون في أسمائه، فسموا مكان الله اللات، ومكان العزيز العُزَّى، يعبدون اللات والعزّى. كل ذلك نهى الله عنه. نهاهم أن يسموا آلهتهم بشيء من أسمائه.

(1) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب: لله مائة اسم غير واحد. وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، وأخرجه الترمذي كذلك، كلهم يرويه عن أبي هريرة.

قال: ﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾. وذروا في هذا الموضع منسوخ نسخه القتال[1].

قوله: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ ﴾ أي عصابة، أي جماعة ﴿ يَهْدُون بِالحَقِّ ﴾: أي يهتدون بالحق ﴿ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ أي بالحق يعدلون، أي يحكمون. قال الكلبي: يعني الذين أسلموا مع النبي ﷺ من أهل الكتاب.

وذكر بعضهم قال: ذكر لنا أن نبي الله عليه السلام قال: هذه لكم، وقد أعطى الله القوم بين أيديكم مثلها[2]؛ يعني قوله: (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ، وَبِهِ يَعْدِلُونَ) [الأعراف: 159].

قوله: ﴿ وَالذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ هو كقوله: (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ) [الأنعام: 44]. وكقوله: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ) [الأنفال: 30]. وقد فسَّرناه في غير هذا الموضع في هذه السورة وفي سورة الأنعام[3].

قوله: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾ أي [وأطيل لهم][4] ﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ أي عذابي شديد.

قوله: ﴿ أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّنْ جِنَّةٍ ﴾ وهذا جواب من الله للمشركين لقولهم للنبي عليه السلام إنه مَجنون. يقول: لو تفكروا لعلموا أنه ليس بمجنون ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ ﴾ ينذر عذاب الله ﴿ مُّبِينٌ ﴾ يبين عن الله.

قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي ما أراهم الله من آياته

(1) انظر في تفسير الطبري، ج 13، ص 285، كيف يرد الطبري رداً محكماً على من قال بالنسخ هنا.

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 13، ص 286، عن قتادة مرسلاً. وكذلك أورده يحيى بن سلام عن قتادة مرسلاً حسبما أورده ابن أبي زمنين في مخطوطة ز، ورقة 113.

(3) انظر ما مضى من هذا التفسير ج 525، 526.

(4) زيادة من ز، ورقة: 113.

فيهما ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ مما يرونه، فيتفكروا فيعلموا أن الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يحيـي الموتى. قال: ﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ فيبادروا للتوبة قبل الموت. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ أي بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي يصدقون.

قوله: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. قال الحسن: في ضلالتهم يتمادون، وقال غيره: في ضلالتهم يلعبون.

قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ أي متى قيامها في قول الكلبي. وقال الحسن: متى مجيئها.

قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ أي إنما علم مجيئها عند ربي ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا﴾ أي [لا يظهرها في وقتها][1] الذي وقت ﴿إِلَّا هُوَ﴾ قال مجاهد: لا يأتي بها إلّا هو.

قال: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكروا عن عبد الله بن القاسم بن يسار[2] مولى أبي بكر الصديق، رضي الله عنه قال: إن الوحى إذا نزل سمع أهل السماوات، قال بعضهم مثل جر السلاسل على الصخور قال: فيفزعون ويخافون أن تكون الساعة. فإذا انجلى الخوف عن قلوبهم قال أهل كل سماء لأهل السماء الذين فوقهم: ماذا قال ربكم؟ فيقولون الحق، يعنون الوحي، وهو العلي الكبير. فلا يزال ذلك من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا. وهو قوله في سورة سبإ [الآية: 23] (حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ) أي انجلى عن قلوبهم (قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) وقد قال في آية أخرى: (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ) [الشورى: 18].

---

(1) زيادة من ز، ورقة: 113.

(2) هو عبد الله بن القاسم بن يسار المدني، وردت الرواية عنه في حروف القرآن، ذكره ابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء، ج 1 ص 441.

وقال الحسن: ثقلت على أهل السماوات حتى تشققت لها السماوات، وانتثرت لها النجوم، وذهب الشمس والقَمر، وعلى الأرض، حتى ذهبت جبالها وذهبت بحارها.

قوله: ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ أي فجأة. ذكر بعضهم قال: قضى الله لا تأتيكم إلا بغتة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه، فما يطويانه حتى تقوم الساعة. وتقوم الساعة والرجل يخفض ميزانه ويرفعه، وتقوم الساعة والرجل يليط[1] حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم الساعة. وتقوم الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه، فما تصل إلى فيه حتى تقوم الساعة[2].

قوله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾. فيها تقديم. يسألونك عنها، يعني الساعة متى قيامها، كأنك حفيٌّ بهم. وقال الكلبي: كأنك بينك وبينهم صداقة، وهو واحد.

وذكر بعضهم عن مجاهد أنه قال: كأنك استحفيت عنها السؤال حتى علمتها. ومن قال بهذا فليس فيها على هذا التفسير تقديم. قال الحسن: يعني قريشاً؛ يقول: تعلّمهم ما لا تعلّم غيرَهم، أي: لقرابتهم منك. قال الكلبي: كأنك عالم بها؛ وهي عنده مقدمة.

وقال بعضهم: قالت قريش: يا محمد، أَسِرَّ إلينا أمر الساعة لما بيننا وبينك من

(1) لاط حوضه يليطه ويلوطه، أي طيّنه وأصلحه لسقي ماشيته؛ انظر اللسان: (لوط).

(2) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب طلوع الشمس من مغربها، من حديث أبي هريرة وأوله: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها. وفيه... ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها. وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة (2954) عن أبي هريرة وفي ألفاظه: «والرجل يلط في حوضه فما يصدر حتى تقوم».

قرابة. فقال الله: (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا)، أي كأنك حفي بهم. قال: وهي في هذا التفسير مقدمة؛ (يَسْأَلُونَكَ عَنْهَا كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِهِمْ)[1].

قال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: خمس لا يعلمهن إلا الله: (إِنَّ ٱللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ). [لقمان: 34][2].

قوله: ﴿ قُلَ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ أي إنما ذلك بما شاء الله ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ ﴾ أي: لو اطلعني الله على أكثر مما أطلعني عليه من الغيب لكان أكثر لخيري عنده[3]؛ ولم يطلعني الله على علم الساعة متى قيامها.

قوله: ﴿ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ ﴾ هذا جواب لقول المشركين إنه مجنون؛ فقال الله له: قل: (وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ) أي الجنون، كقولهم لنوح عليه السلام: إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) [هود: 54] أي بجنون. ﴿ إِنْ أَنَـا إِلاَّ نَذِيرٌ ﴾ أي من العذاب ﴿ وَبَشِيرٌ ﴾ بالجنة ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ وهذا تبع للكلام الأول: (أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ).

قوله: ﴿ هُوَ الذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وٰحِـدَةٍ ﴾ أي: آدم ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ يعني حواء من ضلعه القصيري اليسرى وهو نائم ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾.

(1) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 175: «(حَفِّي عَنْهَا) أي: معنيٌّ بِطلب علمها، ومنه يقال: تَحَفَّى فلان بالقوم».

(2) أخرجه أحمد عن بريدة مرفوعاً بهذا اللفظ: وأخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب: لا يدري متى يجيء المطر إلا الله. وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ: خمس لا يعلمهن إلا الله. وفي الباب عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله...

(3) هذا وجه من وجوه التأويل؛ وقال الفراء في تفسير الآية في معاني القرآن ج 1 ص 400: «يقول: لو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجدبة من السنة المخصبة، ولعرفت الغلاء فاستعددت له في الرخص. هذا قول محمد ﷺ». وانظر تفسير الطبري ج 13 ص 302.

قال: ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّيهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ أي [استمر بها الحمل فأتمته][1]. ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ قال بعضهم: استبان حملها، أي فاشتهر بها الحمل. ﴿ دَعَوا اللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ أي: آدم وحواء ﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحاً ﴾ أي غلاماً[2] ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّـكِرِينَ﴾ أي لأنعمك.

قال الله: ﴿ فَلَمَّا ءَاتَيهُمَا﴾ أي أعطاهما ﴿صَـلِحاً﴾ أي غلاماً ﴿ جَعَلَا لَهُ شِرْكاً فِيمَا ءَاتَيهُمَا﴾ . قال لهما إبليس: سمِّياه عبد الحارث، فسمَّياه عبد الحارث؛ فكان شركا في طاعة إبليس في تسميتهما إياه عبد الحارث، ولم يكن شركاً في عبادة، في تفسير بعضهم. انقضت قصة آدم وحواء من هذا الموضع.

قال: ﴿فَتَعَـلَى اللَّهُ ﴾ أي ارتفع الله وعلا، من قبل العلو ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

وقال الكلبي: (حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً)، يعني حواء. (فَمَرَّتْ بِهِ) أي قامت به وقعدت. ثم أتاها الشيطان في غير صورته فقال: يا حواء، ما هذا في بطنك؟ فقالت: لا أدري. قال: لعله بهيمة من هذه البهائم. قالت: لا أدري. فأعرض عنها. حتى إذا أثقلت أتاها، فقال لها: كيف تجدين نفسك يا حواء؟ قالت: إني أخاف أن يكون في بطني الذي خوفتني؛ ما أستطيع القيام إذا قعدت. فقال: أفرأيت إن دعوت الله فجعله إنساناً مثلك، أو مثل آدم، أتسمينه بي؟ قالت نعم؛ فانصرف عنها. فقالت لآدم: إن الذي في بطني بهيمة من هذه البهائم، وإني لأجد له ثقلاً. ولقد خفت أن يكون كما قال، [فلم يكن لآدم ولا لحواء همٌّ غيره][3] حتى وضعت. فذلك قوله: (دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحاً، أي إنساناً، لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ).

كان هذا دعاءهما قبل أن تلد. فلما ولدت أتاها إبليس فقال: ألاَ تَسمِّينه بي كما وعدتني. قالت: وما ٱسْمُكْ؟ قال: اسمي عبد الحارث. فسمته عبد الحارث،

(1) زيادة من مجاز القرآن لأبي عبيدة، ج 1 ص 236.

(2) قال ابن سلام في كتاب التصاريف ص 280: في تفسير معنى الصلاح: «لئن أعطيتنا ولداً سَوِيَّ الخلق في صورة البشر».

(3) زيادة من ز، ورقة 114. لا بد من إثباتها حتى يستقيم المعنى.

فمات. يقول الله: (فَلَمَّا، أَتَيَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شِرْكاً فِيمَا ءَاتيهما). ثم انقضت قصة آدم وحواء ها هنا. ثم قال الله: (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) يعني المشركين من بني آدم.

قوله: ﴿ أَيُشْرِكُونَ ﴾ أي: أيشركون بالله، على الاستفهام، أي قد فعلوا. ﴿ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً ﴾ يعني الأوثان. ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ كقوله: (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: 95 - 96] أي بأيديكم، يعني أصنامهم. قال: ﴿ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً ﴾ أي ولا تستطيع الأوثان أن تنصر من عبدها. ﴿ وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرونَ ﴾ أي: ولا تنصر الأوثان أنفسها. قال في آية أخرى: (وَإِنَّ يسْلُبْهُم الذُّبَابُ شَيْئاً لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ) أي الوثن (وَالمَطْلُوبُ) أي الذباب [الحج: 73].

قال: ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الهُدَىٰ ﴾ يعني المشركين ﴿ لاَ يَتْبَعُوكُمْ ﴾ أخبر بعلمه فيهم. ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَم أَنْتُمْ صَـٰمِتُونَ﴾ وهو كقوله: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَانْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ) [البقرة: 6].

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يقوله للمشركين، يعني أوثانهم ﴿ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ أي مخلوقون ﴿ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أنهم آلهة.

ثم قال: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ﴾ على الاستفهام، يعني الأوثان ﴿ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ أي: إنه ليس لهم شيء من هذا، كقوله: (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ) [النحل: 21] ﴿ قُلْ ادْعُـوا شُرَكَاءَكُمْ ﴾ يعني أوثانكم التي أشركتموها بالله. ﴿ ثُمَّ كِيدُونِ ﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ فَلاَ تُنْظِرُونِ ﴾ أي: اجهـدوا عليّ جهدكم.

(1) انظر لزيادة الإيضاح تفسير الطبري ج 13 ص 303 - 317، وانظر ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 258 - 259.

قال: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الذِي نَزَّلَ الكِتَـٰبَ﴾ أي: القرآن، وأولياؤكم أنتم أيها المشركون الشياطين. قال: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّـٰلِحِينَ ﴾ أي: يتولى المؤمنين، وهو وليهم.

﴿ وَالذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يعني الأوثان ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ ﴾ من عذاب الله ﴿ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ ثم قال: ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ ﴾ يعني المشركين ﴿ لَا يَسْمَعُوا ﴾ أي: الحجة، لا يسمعونها سمع قبول، وقد سمعوها بآذانهم وقامت عليهم الحجة. ﴿ وَتَرَيٰهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ يعني النبي عليه السلام ﴿ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ يعني الحجة.

قوله: ﴿ خُذِ العَفْوَ﴾ ذكروا عن عبد الله بن الزبير قال: خذ العفو من أخلاق الناس. [وقال مجاهد: يقول: خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تجسس][1].

وقال الحسن: خذ العفو من المؤمنين من أنفسهم ما لا يجهدهم، يعني الصدقة. والعفو: الفضل عن نفقتك ونفقة عيالك. وكان هذا قبل أن تفرض الزكاة.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إن خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وأبدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى، ولا يلوم الله على الكفاف[2].

وقال الكلبي: (خُذِ العَفْوَ) أي: ما عفا من أموالهم، وهو الفضل، وذلك قبل أن تفرض الزكاة.

قوله: ﴿ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ ﴾ أي بالمعروف ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَـٰهِلِينَ﴾ أي عن

---

(1) زيادة من ز، ورقة 114، ومن تفسير مجاهد، ص 253، وقال ابن أبي زمنين: العفو في كلام العرب ما أتى بغير كلفة.

(2) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال عن أبي هريرة. وانظر ما مضى من هذا التفسير، ج 1 ص جـ 1 ص: 207.

المشركين. الجاهلون ها هنا المشركون(1). قال بعضهم: نسخها القتال.

قوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ قال بعضهم: الغضب. وقال الحسن: وساوسه. ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ الذِينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَٰنِ﴾ ذكروا أن مجاهداً قال: الطائف: الغضب. وقال الحسن: الطائف من الطّوَفان، أي: يطوف عليهم الشيطان بوساوسه؛ يأمرهم بالمعصية، فتقبل وساوسه من معاصي الله. قال: ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ أي تائبون من المعصية(2).

قال: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ يعني من الشياطين ﴿يُمِدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ﴾ يمدون المشركين في الغي استجهالاً ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ عن هلكتهم(3).

---

(1) هذا القول لا يقبل على ظاهره، فإن للجهل معاني كثيرة. والجهل هنا إلى معنى السفه والحمق وسوء الأخلاق أقرب. وأكاد أجزم أن صفة الجهل هنا لا تعني الشرك، وقد تكون من معانيه في سياق آخر. وأقول إنه لا نسخ في الآية؛ فإن هذه الآية عامة فيما أدب الله به نبيه، وأدبنا به بالتبع، من الأدب العالي والسلوك الحسن حتى قيل: «ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها». يدل على ذلك قصة عيينة بن حصن الفزاري التي رواها البخاري في كتاب التفسير عن ابن عباس قال: «إن الحرّ بن قيس استأذن لعمه عيينة بن حصن على عمر بن الخطاب، فأذن له. فلما دخل عليه قال له عيينة: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى همّ أن يوقع به. فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه: خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين. وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمرُ حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند حدود الله».

فلم يكن عيينة بن حصن حينئذٍ مشركاً، فقد أسلم زمن الفتح، وكان من المؤلفة قلوبهم، ولكنه كان أحمق سفيهاً. وصدق فيه قول ابن أخيه إنه من الجاهلين. فقد روى أنه دخل يوماً على رسول الله ﷺ بيته، وعائشة جالسة معه ـ وذلك قبل أن ينزل الحجاب ـ فسألت عائشة النبي عليه السلام عن الرجل فقال عليه السلام: هذا أحمق مطاع، وهو على ما ترين سيد قومه. انظر ابن عبد البر، الاستيعاب؛ ج 3 ص 1249.

(2) في المخطوطات تقديم وتأخير وتكرار في تفسير هذه الآية، صححت كل ذلك من ز، ورقة 114.

(3) كذا في ق، وع، ود، وفي ز ورقة 114: «وإخوانهم يعني إخوان المشركين»، وأثبت ما جاء في تفسير مجاهد، ص 254. وقد اختلف المفسرون في هذه الهاء والميم في (إِخْوَانُهُمْ) هل هي =

وبلغنا عن الحسن أنه قال: الناس في الغضب أربعة: رجل بطيء الغضب سريع الرضا؛ فذلك له ولا عليه، ورجل سريع الغضب سريع الرضا؛ فذلك لا له ولا عليه، ورجل بطيء الغضب بطيء الرضا؛ فذلك أيضاً لا له ولا عليه، ورجل سريع الغضب بطيء الرضا؛ فذلك عليه ولا له.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: الغضب جمرة من نار توقد في جوف ابن آدم؛ ألم ترَ إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه؛ فإذا غضب أحدكم فإن كان قاعداً فليلزم الأرض، وإن كان قائماً فليجلس[1].

قوله: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِئَايَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ أي: لولا تلقيتها من الله[2]، في تفسير مجاهد. وقال بعضهم: (لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) أي: لولا جئت بها من قِبَلك. وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا أبطأ عنه الوحي، قال له المشركون: لولا اجتبيتها، أي هلا اجتبيتها من عندك فأتيت بهذا الوحي، فإنما تجيء به من عندك. وإذا أتاهم بآية كذّبوا بها، يعني بآية من القرآن. وإذا أبطأ الوحي سألوا أن يأتيهم بآية.

قال الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ إِنَّمَا اتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ﴾ ليس ذلك من عندي، إنما هو من عند الله ﴿ هَـٰذَا بَصَائِرُ ﴾ يعني القرآن ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي لكي ترحموا. قال بعضهم: ذلك في الصلاة، وهو قول الحسن.

= عائدة على المشركين، أو هي راجعة إلى المتقين؛ ولكل تقدير وجه مقبول من التأويل. انظر تفصيل ذلك في تفسير ابن الجوزي، زاد المسير، ج 3 ص 203 - 204.

(1) هذه الفقرة، مع ما ذكر عن الحسن قبلها، جُمَلٌ من خطبة لرسول الله ﷺ رواها الترمذي عن أبي سعيد الخدري. وقال الترمذي: حديث حسن.

(2) كذا في ق و ع و د: «لولا تلقيتها من الله»، وهو قول لابن عباس وقتادة كما في تفسير الطبري، ج 13، ص 342. وفي تفسير مجاهد، ص 254. «يقول: لولا ابتدعتها من قبل نفسك». وفي معاني الفراء، ج 1 ص 1402 «يقول: هلا افتعلتها». وذكر الطبري في تفسيره، ج 13 ص 343 أنه «حكى عن الفراء أنه كان يقول: اجتبيت الكلام، واختلقته، وارتجلته، إذا افتعلته من قبل نفسك». وأصل الاجتباء هو الاختيار والاصطفاء، انظر اللسان (جبي).

وقال الحسن: كانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت هذه الآية. قال: وصارت سنة بعد في غير الصلاة، أن ينصت القوم إذا جلسوا لمن يقرأ عليهم القرآن.

قال الكلبي: بلغنا أنهم كانوا، قبل أن تنزل هذه الآية، يتكلم الرجل بالحاجة وهو في صلاته، فيجيء الرجل إلى القوم وهم يصلون، فيقول: كم صليتم، فيقولون: كذا وكذا، يسألهم عما فاته، فأنزل الله هذه الآية.

قوله: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً ﴾ أي مخافة منه ﴿ وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾. يقول: واذكره في نفسك أيضاً بالغدو والآصال. والآصال العشيات، يعني صلاة مكة، حين كانت الصلاة ركعتين غدوة، وركعتين عشية قبل أن تفرض الصلوات الخمس.

قال: ﴿ وَلاَ تَكُن مِّنَ الغَـٰفِلِينَ﴾ أي عن الله وعن دينه.

قوله: ﴿إِنَّ الذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة ﴿لاَ يَسْتَكْبِرُون عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ أي في الصلاة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أَطَّتِ السماء وحقَّ لها أن تئِطَّ؛ ليس فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد، أو مسبّح أو مهلّل، أو معظّم لله.

(1) أخرجه ابن أبي حاتم عن حكيم ابن حزام، ولفظه: «بينما رسول الله ﷺ بين أصحابه إذ قال لهم: هل تسمعون ما اسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء، فقال رسول الله ﷺ: إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تَئِط؛ ما فيها من موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم».

تفسير سورة الأنفال، وهي مدنية كلها.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ ﴾ والأنفال الغنائم. ﴿ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾.

قال الحسن: كانت السرية تسري، فينفلهم الرسول ما شاء بعد الخُمْس.

ذكروا أن رسول الله ﷺ كان ينفل في البدأة الربع، وفي الرجعة الثلث؛ فقيل لبعضهم: لِمَ كان يجعل في الرجعة أكثر؟ قال: لأنهم إذا رجعوا كانوا أشد لخوفهم.

ذكروا أن أبا إدريس [قال][1]: إن الناس كانوا معسكرين؛ فأتاهم أبو عبيدة بْنُ الجراح حتى بلغ حبيب بن مسلمة أن علجا من الروم يقال له بن [2] توجه نحو أرمينية؛ فطلبه فأدركه، فقتله وأخذ سلبه. فوجد معه وقر خمسة أبغال ديباج ولؤلؤ من أصناف المتاع. فلما رجع قال له أبو عبيدة: أرنا ما جئت به. فقال: إنما هو لي، وأنا قتلته، ولي سلبه. فقال له أبو عبيدة: ليس كذلك، إنما لك ما أعطيتك منه وطابت به نفسي. فقال: أناشدك الله أن تظلمني وأن تأخذ مني ما أعطاني الله، حتى ارتفعت أصواتهما. فسمعهما معاذ بن جبل، فجاء فقال: يا حبيب بن مسلمة، لا تسأل ما ليس

(1) زيادة لا بد منها لتستقيم العبارة.

(2) كذا في ج و د بياض قدر كلمتين، وفي ق و ع: «فقال له بأني قد توجه» (كذا) ولم أجد فيما بين يدي من المصادر من روى هذه القصة حتى أتبين اسم العلج الرومي؛ ولعلها مما انفرد بروايتها ابن سلام؛ ولم ترد في ز.

لك. فقال حبيب: أليس يقول رسول الله ﷺ: من قتل قتيلاً فله سلبه؟[1] فقال: إنما قال ذلك في غزوة واحدة عام حُنين[2]، ولم يقله لأبد. وسمعت رسول الله ﷺ يقول: ذلك إلى الإمام، إن شاء أعطى وإن شاء منع. وهو على ما يرى الإمام. فأخذه منه أبو عبيدة فخمّسه، ثم أعطاه الخمس بعد الخمس[3]. فبلغ ما أعطي عشرة آلاف.

ذكروا عن الحسن أنه قال: ما نَفل الإمام فهو جائز.

ذكروا عن سعيد بن المسيب أنه قال: لا نفل بعد رسول الله. وقال سعيد بن المسيب: إنما ينفل الإمام في الخمس. معنى قوله: إن النبي كان ينفل الخمس من بعد الخمس، ولا يُنفل بعده إلا في الخمس.

ذكروا عن ابن عمر أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فبلغت سهامهم اثني عشر بعيراً، قال: ونفّل كل إنسان منا بعيراً سوى ذلك.

ذكروا عن الحسن أن رجلاً سأل النبي ﷺ زماماً من شعر قبل أن تقسم الغنيمة، فقال: سألتني زماماً من نار، فوالله ما كان لك أن تسألنيه، وما كان لي أن أعطيكه، ولو أعطيتكه لأعطيتك به زماماً من نار[4].

---

(1) حديث متفق على صحته. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من لم يخمس الأسلاب، ومن قتل قتيلاً فله سلبه، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد واليسر، باب استحقاق القاتل سلب القتيل (رقم: 1751)، وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده في كتاب الجهاد (رقم: 467). وأخرجه مالك في الموطأ، باب ما جاء في السلب في النفل (رقم: 24) كلهم يرويه عن أبي قتادة ولفظه: «من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه».

(2) في المخطوطات الأربع: «عام خيبر» وهو تصحيف صوابه ما أثبته: «عام حنين».

(3) كذا في د و ج: «بعد الخمس»، وهو أصح، وفي ق و ع: «بعد الخصم».

(4) أورده السرخسي في شرح كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني ج 3، ص 597. «عن ابي الأشعث الصنعاني قال: جاء رجل إلى النبي عليه السلام ومعه زمام من شعر، فقال: مُرْ لي بهذا الزمام، فإنه ليس لراحلتي زمام. فقال: سألتني زماماً من نار. مالك أن تسألينه، ومالي أن أعطيكه. فرمى به في المغنم».

وأما قوله:) قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولُ) فيقول: ذلك كله لله، وجعل حكمه إلى رسول الله[1].

قوله: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾.

قال الكلبي: بلغنا أن رسول الله ﷺ، لما صافّ المشركين يوم بدر، قال ليحرض الناس على القتال: إن الله وعدني أن يفتح لي بدراً، وأن يغنمني عسكرهم، فمن قتل قتيلاً فله كذا وكذا إن شاء الله من غنيمتهم، ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا إن شاء الله[3]. فلما تواقفوا ألقى الله في قلوب المشركين الرعب، فانهزموا، واتبعهم سرعان[3] من الناس، فقتلوا سبعين رجلاً، وأسروا سبعين، وغنموا العسكر وما فيه. وأقام وجوه الناس مع رسول الله ﷺ في مصافّه، فلم يشذ عنه منهم أحد.

ثم قام أبو اليسر بن عمرو الأنصاري من بني سلمة، فكلم رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك وعدت من قتل قتيلاً أو أسر أسيراً من غنيمة القوم، الذي وعدتهم، وإنا قد قتلنا سبعين، وأسرنا سبعين. ثم قام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، إنه ما منعنا أن نطلب كما طلب هؤلاء زهادة في الأجر، ولا جبن عن العدو، ولكنا خفنا أن نعري صفك، فتعطف علينا[4] خيل المشركين فأعرض عنهما رسول الله. ثم قال أبو اليسر مثل كلامه الأول. وعاد سعد فتكلم مثل كلامه الأول وقال: يا رسول الله، الأسرى والقتلى كثير، والغنيمة قليلة، وإن تعطِ هؤلاء الذي ذكرت لهم لم يبقَ لسائر أصحابك كبير شيء، فنزلت هذه الآية: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ

(1) سقط هذا السطر كله من د و ج.

(2) وسقطت هذه الجملة: «ومن أسر أسيراً. . .» من د وج. والحديث صحيح؛ أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب النفل، وأخرجه النسائي، وابن جرير الطبري في تفسيره، ج 13 ص 367 - 371، كلهم يرويه عن ابن عباس.

(3) سرعان الناس وسرْعانهم: أوائلهم المستبقون إلى الأمر.

(4) في ق و ع: «علينا»، وفي د و ج: «عليك»، وما أثبته أصح وأليق بأدب الصحابة في مخاطبة الرسول ﷺ.

وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ. . .) إلى آخر الآية[1].

ذكروا عن الكلبي أنه قال: كان النبي وعد الأنصار المغنم، فتكلّم فيه المهاجرون فأنزل الله هذه الآية وقال: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) فقسمه النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار.

ذكر بعضهم قال: كان نبي الله ينفل الرجل من المؤمنين سلَب الرجل من الكفار إذا ما قتله، فأمرهم الله أن يردّ بعضُهم على بعض فقال: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) أي: لِيَرُدَّ بعضكم على بعض.

قال: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: رقّت قلوبهم مخافة عقابه. وقال مجاهد: (وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)، أي: فَرِقت قلوبهم[2].

قال: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً ﴾ أي: تصديقاً. أي كلما نزل من القرآن شيء صدّقوا به. كقوله: (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَّقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ إِيمَاناً) هذا قول المنافقين. قال الله: (فَأَمَّا الذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) [التوبة: 124].

قوله: ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ ﴾ أي: يقيمونها على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ أي الزكاة المفروضة على ما سنّ رسول الله ﷺ. وقد فسّرنا ذلك في سورة البقرة وسورة الأنعام[3].

قال: ﴿ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حقّاً لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي في الجنة على

(1) انظر للتوسع فيما جاء في أوائل هذه السورة، شرح كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، شرح السرخسي، ج 2 ص 592 - 620، أبواب الأنفال، ففيه فقه كثير، وعلم غزير وفوائد جمة.

(2) ورد في المخطوطات بعض الاختلاف في ألفاظ تفسير هذه الآية، فأثبت التصحيح من ز، ورقة 115، ومن تفسير مجاهد، ص 257.

(3) انظر ما سلف، ج 1 ص: 250 - 253، وص: 566 - 568.

قدر أعمالهم. قال ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [الأحقاف: 19]. قوله: ﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ أي لذنوبهم ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ أي في الجنة.

قوله: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالحَقِّ ﴾ أي: أخرجك من مكة إلى المدينة، ومن المدينة إلى قتال أهل بدر. وقال مجاهد: لهم درجات عند ربهم. كما أخرجك ربك من بيتك كذلك لهم درجات عند ربهم[1].

قوله: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ المُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الحَقِّ ﴾ قال مجاهد والحسن: يعني: في القتال. قال الحسن: ومعنى مجادلتهم أنهم كانوا يريدون العير، ورسول الله يريد ذات الشوكة، أي القتال، بما وعده الله أن ينصره على أهل بدر.

قوله: ﴿ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾. قال الحسن: من بعد ما أخبرهم الله أنهم منصورون، إلا أن بين ذلك قوماً يقتلون. ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ وهم في ذلك ماضون لأمر الله.

وذلك أن عيراً أقبلت من الشام لقريش تحمل التجارة فيها أبو سفيان، وهو أمير القوم، وخرج المشركون العرب من الحرم [فيهم][2] أبو جهل لقتال رسول الله، فوعده الله إحدى الطائفتين فقال:

(1) كذا في ق، و ع، ود، وز، ورقة 115. ولكن جاء في تفسير مجاهد، ص 258 ما يلي: «(كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) يقول: كذلك أخرجك ربك من بيتك بالحق». ويبدو أنه خطأ، صوابه: «كذلك يجدلونك في الحق». فقد روى الطبري بإسناد في تفسيره ج 13 ص 392: «عن مجاهد: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق كذلك يجادلونك في الحق، القتال». وهذا الوجه الأخير هو ما رجحه الطبري: «ومعناه كما أخرجك ربك بالحق على كره من فريق من المؤمنين، كذلك يجادلونك في الحق بعدما تبين، لأن كلا الأمرين قد كان، أعني خروج من خرج من المدينة كارهاً، وجدالهم في لقاء العدو وعند دنو القوم بعضهم على بعض..» وأورد أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 240 قولاً لم أره لغيره فقال: (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنَ بَيْتِكَ بِالحَقِّ) مجازه مجاز القَسَم، كقولك: والذي أخرجك ربك لأن (مَا) في موضع الذي، وفي آية أخرى: (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا) أي والذي بناها». وهذا تأويل بعيد.

(2) زيادة لا بد منها ليستقيم المعنى، أي خرج المشركون وفيهم، أو، وعلى رأسهم أبو جهل.

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ ووعدهم الله ذات الشوكة في الإضمار. [ومعنى الشوكة السلاح والحرب][1].

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِ﴾ وكلمات الله وعده الذي وعدهم أن لهم إحدى الطائفتين. ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَـٰفِرِينَ﴾ أي أصل الكـفرين.

﴿ لِيُحِقَّ الحَقَّ ﴾ فيظهر محمداً، ومعه الحق ﴿ وَيُبْطِلَ البَـٰطِلَ﴾ أي ما جاء به المشركون. ﴿ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ ﴾ وهم المشركون في هذا الموضع.

وهذه الآية نزلت قبل قوله: (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالحَقِّ)، وهي بعدها في التأليف. هذا في تفسير الحسن. وكان جبريل يأتي النبي بالوحي فيقول: إن الله يأمرك أن تضع آية كذا وكذا بين ظهراني آية كذا وكذا من السورة.

وقال بعضهم: الطائفتان: إحداهما أبو سفيان أقبل بالعير من الشام، والطائفة الأخرى: أبو جهل معه نفير قريش[2]؛ فكره المسلمون الشوكة والقتال، وأحبوا أن يصيبوا العير، وأراد الله أن يصيبوا ثمّ ما أراد.

قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ المَلَـٰئِكَةِ مُرْدَفِينَ ﴾ أي متتابعين. وقال مجاهد: مردفين: ممدين[3]. وقال الحسن: دعوا الله أن ينصرهم على عدوهم، فاستجاب لهم فقال: إني ممدّكم بألف من الملائكة مردفين.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 116. وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 241: «مجاز الشوكة: الحدّ، يقال: ما أشد شوكة بني فلان، أي: حدّهم».

(2) في ق و ع: «معه عير قريش»، وهو خطأ، وفي ج ود: «معه عسكر قريش» وهو صحيح، وفي ز، ورقة 116: «معه نفير قريش» وهو أصح وأدق تعبيراً، لأن مشركي قريش استُنفِروا استنفاراً من مكة.

(3) وقال أبو عبيدة: « (بِأَلْفٍ مِّنَ المَلاَئِكَةِ مُرْدَفِينَ) مجازه: مجاز فاعلين، من أردفوا أي: جاءوا بعد قوم قبلهم، وبعضهم يقول: ردفني. أي جاء بعدي، وهما لغتان. ومن قرأها بفتح الدال وضعها في موضع مفعولين، من أردفهم الله من بعد من قبلهم وقُدّامهم».

قوله: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾ أي ما جعل المدد من الملائكة إلا بشرى ﴿ ولِتَطْمَئِنَّ ﴾ أي [لتسكن][1] ﴿ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي عزيز في نقمته، حكيم في أمره.

قوله: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ أي: أماناً منه. قال الحسن ومجاهد: أماناً من الله. ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ﴾ أي يطهّر ما في قلوبكم من الخوف ﴿ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَـٰنِ ﴾ أي ترهيب الشيطان الذي كان دخل قلوبكم[2] في تفسير الحسن: ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾. فأنزل الله ذلك الماء على المسلمين، فاذهب الله ما في قلوبهم مما كان أوقع الشيطان في قلوبهم من تخويفه.

وقال بعضهم: ذكر لنا أنهم مطروا يومين حتى سال الوادي ماء واقتتلوا على كثيب أعفر، فلبّده الله بالماء، وشرب المسلمون، وتوضأوا، واستقوا، وأذهب الله عنهم وساوس الشيطان.

قال الكلبي: بلغنا أن المشركين سبقوا رسول الله ﷺ حتى نزل حيالهم، وبينه وبينهم الوادي؛ ونزل على غير ماء؛ فقذف الشيطان في قلوب المؤمنين أمراً عظيماً فقال: زعمتم أنكم عباد الله، وعلى دين الله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلّون محدثين مجنبين، فأحبّ الله أن يذهب من قلوبهم رجز الشيطان، فأغشى المؤمنين نعاساً أمنة منه، وأنزل عليهم من السماء ماء ليطهرهم به من الإحداث والجنابة، ويذهب عنهم رجز الشيطان [أي ما كان قذف في قلوبهم][3] وليربط على قلوبهم ويثبّت به الأقدام.

وكان بطن الوادي فيه رملة تغيب فيه الأقدام؛ فلما مطر الوادي اشتدت الرملة،

(1) زيادة من ز، ورقة 116.
(2) كذا في ق وع، وفي ج ود: «الذي كان أدخل في قلوبهم».
(3) زيادة من ز، ورقة 116.

فمشى عليها الرجال، واتخذ رسول الله ﷺ حياضاً على الوادي[4]، فشرب المسلمون منها واستقوا، ثم صفّوا. وأوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبّتوا الذين ءامنوا. . إلى قوله واضربوا منهم كل بنان؛ وهي أطراف الأيدي والأرجل[2].

قوله: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَـٰئِكَةِ إِنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ ﴾ قال الحسن: يعني فاضربوا الأعناق ﴿ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ أي كلّ عُضو. وقال الكلبي: أطراف الأيدي والأرجل. وقال بعضهم: كل بنان، أي: كل مفصل.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ قال الحسن: حادّوا الله وعادوه ورسوله. وقال بعضهم: الشقاق هو الفراق. ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾.

قال: ﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ ﴾ أي في الدنيا، يعني القتل ﴿ وَأَنَّ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ بعد القتل ﴿ عَذَابَ النَّارِ ﴾ أي في الآخرة.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلَا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴾ أي: منهزمين ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ ﴾ أي: ينهزم ﴿ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾ أي: يوم بدر ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ ﴾ أي يتحرّف للقتال، أن يدع موقف مكان لمكان. ﴿ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ ﴾ أي ينحاز إلى جماعة ﴿ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ أي استوجب غضباً من الله ﴿ وَمَأْوَيـٰهُ جَهَنَّمُ وَبِيسَ المَصِيرُ ﴾ أي بئس مصير من صار إلى جهنم.

---

(1) كذا في ق وع، وفي ز، وهو الصواب، وفي د: «وانحدر رسول الله ﷺ حتى وطىء على الوادي. . .» وهو تصحيف ولا شك.

(2) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 242: «(وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ) مجازه: يفرغ عليهم الصبر وينزله عليهم فيثبتون لعدوهم».
وقال: «(فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ) مجازه: على الأعناق، يقال: ضربته فوق الرأس وضربته على الرأس».

قال الحسن: لم يكن الفرار من الزحف من الكبائر إلا يوم بدر، لأن تلك العصابة من المسلمين لـو أُصيبت لذهب الإسلام. فكان الله قد آفترض في هذه الآية: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن تَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِّنَ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الأنفال: 55] فأمر الله المسلمين أن يصبروا لعشرة أمثالهم[1] إذا لقوهم. ثم أنزل الله بعد ذلك التخفيف فقال: ﴿ أَلآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن تَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مَائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمُ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال: 66]. فلم يقبض رسول الله ﷺ حتى اظهر الله الإسلام وصار الجهاد تطوّعاً.

فإن جاء المسلمين عدوٌّ لا طاقة لهم به تحيّزوا إلى البصرة، أو قال: إلى بصرتهم. وإن جاءهم ما يغلبهم تحيّزوا إلى الكوفة، فإن جاءهم ما يغلبهم تحيّزوا إلى الشام، وإن جاءهم ما يغلبهم تحيّزوا إلى المدينة، فإن جاءهم ما يغلبهم فليس ثَمَّ تحيّز، وصار الجهاد فريضة.

ذكروا عن الحسن أنه قال: إن عمر بن الخطاب لما بلغه قتل أبي عبيدة بن الجراح وأصحابه بالقادسية قال: يرحم الله أبا عبيدة؛ لو انحاز إلينا لكنا فئته[2].

ذكروا عن الحسن قال: لو أن أهل سمرقند انحازوا إلينا ـ ونسأل الله العافية من ذلك ـ لكنا فئتهم.

ذكروا أن أبا بكر وعمر كانا يقولان للجيوش: وإن غلبكم أمر فانحازوا إلينا، فإنا فئتكم.

ذكر بعضهم قال: أوجب الله لمن فرّ يوم بدر النار، ثم كانت أُحُد بعدها فأنزل الله: ﴿ إِنَّ الذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُم الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: 155]. ثم كانت حنين بعدها

---

(1) في ق وع ود: «أن تصبر العشرة مكانهم. وأثبت ما جاء في ز، فهو أصح وأدق تعبيراً.
(2) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز ورقة 117: لو انحاز إليّ لكنت له فئة.

بسبع سنين فأنزل الله: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: 25 - 27].

قال بعضهم: يوم الدجّال كيوم بدر. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أفضل الشهداء شهداء بدر، وشهداء الأعماق، والأعماق أنطاكية(1).

ذكروا عن عبد الله بن عون أنه قال: كتبت إلى نافع أسأله عن الفرار من الزحف، فقال: إنما كان يوم بدر.

قوله: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾. قال الحسن: لما واقف رسول الله المشركين يوم بدر أمره الله أن يرميهم بثلاثة أحجار، فكان النصر فيما رماهم به، وألقى في قلوبهم الرعب. قال: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ أي: بقوتكم، حين قال هذا: قتلت، وقال هذا: قتلت. ﴿ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾.

وقال الكلبي: لما صافّ رسول الله ﷺ المشركين دعا بقُبضة(2) من حصى الوادي وترابه، فرمى بها في وجوه المشركين، فملأ الله منها وجوههم وأعينهم تراباً، وقذف في قلوبهم الرعب، فانهزموا، واتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم.

وقال بعضهم: ذكروا أن رسول الله ﷺ أخذ ثلاثة أحجار يوم بدر، فرمى بها في وجوه الكفار، فهزموا عند الحجر الثالث.

---

(1) في ق: «وشهداء الأعماق أعماق أنطاكية»، وفي ع: «شهداء أعماق وأنطاكية»، وأثبت ما جاء في د: وشهداء الأعماق، والأعماق أنطاكية. ولم أجد فيما بين يدي من مصادر التفسير أو الحديث والسِّيَر هذا الحديث بهذا اللفظ. إلا إشارة وردت في حديث رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح قسطنطينية (رقم 2897) تشير إلى الأعماق ولفظه: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق... إلى أن يقول: ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله».

(2) القبضة، بضم القاف: قدر ما تقبض عليه الكف.

قوله: ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً ﴾ أي ينعم على المؤمنين بقتلهم المشركين يوم بدر. ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ ذَالِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوَهِّنُ كَيْدِ الْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي مُضعِف كيد الكافرين الذين قاتلوا رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ قال الكلبي: إن المشركين لما صافّوا رسول الله ﷺ يوم بدر قالوا: اللهم ربنا أيُّنا كان أَحبَّ إليك، وأرضى عندك، فانصره. فنصر الله نبيَّه، وقال: ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا ﴾ يعني أن تستنصروا ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ والفتح النصر.

قال: ﴿ وَإِنْ تَنْتَهُوا ﴾ عن قتال محمد ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا ﴾ لِقتاله ﴿ نَعُدْ ﴾ عليكم بالهزيمة ﴿ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وقال مجاهد: ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ بدعاء كفار قريش في قولهم: ربنا افتح بيننا وبين محمد، ففتح الله بينه وبينهم يوم بدر(1).

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ ﴾ أي عن رسول الله ﴿ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ يعني الحجة.

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الهدى](2). قال مجاهد: يعني عاصين. وقال الحسن: ليسوا سمعاء ولا بصراء بالحق إذ لم يقبلوه.

قوله: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ ﴾ أي الخلق ﴿ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ ﴾ أي عن الهدى فلا يسمعونه، أي فلا يقبلونه ﴿ الْبُكْمُ ﴾ أي عنه فلا ينطقون به ﴿ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أي الهدى. وقال مجاهد: لا يتبعون الحق وهو واحد.

---

(1) المشهور في التفاسير وفي التاريخ أن المستفتح كان أبا جهل، وأنه قال حين التقى الجمعان: اللهم أيُّنا كان أقطع للرحم، وآتانا بما لا نعرف، فأحِنه الغداة. فكان ذلك استفتاحاً منه. انظر الواحدي، أسباب النزول، ص 230، وتفسير الطبري ج 3 ص 451 - 452.

(2) زيادة من ز، ورقة 117.

قال الله: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً ﴾ أي إيماناً ﴿ لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾. قال الحسن: هي كقوله: (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لكاذبون) [الأنعام: 28] أخبر بعلمه فيهم.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ قال مجاهد: لما يحييكم به، أي الحق، يعني الهدى. وقال بعضهم: هو القرآن. وقال: هو القرآن، فيه الحياة والبقاء[1].

قوله: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾. قال بعضهم: يحول بين قلب المؤمن وبين معصيته بفعله، وبين قلب الكافر وبين طاعته بفعله. قال: ﴿ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [يعني أنها إذا نزلت تعم الظالم وغيره][2]. قال بعضهم: يعني [يوم] الجمل. وقال الحسن: يعني أصحاب النبي عليه السلام.

ذكروا أن الزبير بن العوام كان يقول: لقد تلوتُ هذه الآية زماناً ما أحدث نفسي أن أكون من أهلها، فإذا نحن أصحاب النبي المعنيّون بها: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً)[3]. ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾.

قوله: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ [أي مقهورون في أرض

---

(1) هذا قول لقتادة، فقد أورده الطبري في تفسيره، ج 13 ص 465 بلفظ: «هو هذا القرآن، فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة».

(2) زيادة من ز، ورقة 117.

(3) وأرى أن الآية أعم من أن تنحصر في أصحاب النبي عليه السلام أو في صدر الإسلام؛ فقد خوطب بها المؤمنون كلهم في كل زمان ومكان. وقد أظلتنا اليوم فتن كقطع الليل المظلم قد لا تعد فتن الصدر الأول أمامها شيئاً، نعوذ بالله من شرورها وويلاتها، ونسأل الله النجاة منها، والعصمة والسلامة في ديننا ودنيانا، إنه لطيف بعباده، رؤوف رحيم بهم، لا إلـٰه إلا هو.

مكة][1] ﴿ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ ﴾ أي فارس والروم في تفسير بعضهم. ﴿فَئَاوَيْكُمْ ﴾ [أي ضمّكم][2] إلى المدينة حين أسلمتم[3]. ﴿ وَأَيَّدَكُمْ ﴾ أي أعانكم ﴿ بِنَصْرِهِ ﴾ أي نصركم على المشركين ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَـٰتِ﴾ أي: الحلال من الرزق والغنيمة بعد، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي لكي تشكروا هذه النعم.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. قال الكلبي: أما خيانتكم الله فمعصيتُه، وكذلك خيانتكم الرسول هي معصية الرسول. أما خيانتكم أماناتكم فكل عبد مؤتمَن على ما افترض الله عليه، لم يطلع عليها إلا الله.

وقال بعضهم: إن أَبَا لُبَابة أشار لليهود إلى النحور حتى لا ينزلوا على الحكم، [فكانت خيانة منه وذنباً][4].

وقال الحسن: لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم كما صنع المنافقون الذين قالوا ولم يعملوا[5] فإنهم خانوا الله والرسول في تَرْكهم الوفاء بفرائضه، إذ لم يستكملوا العمل مع القول. (وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) يقول: إذا خنتم الله والرسول خنتم أماناتكم إذ لم توفوا بالعمل الذي أقررتم به مع القول، (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنكم قد خنتم. وتخونوا أماناتكم أيضاً فيما بينكم وبين الناس.

قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَٰلُكُـمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي بلية، ابتلاكم الله بالأموال والأولاد لكي تطيعوه فيما ابتلاكم به. ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ أي الجنة.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾. قال مجاهد:

(1) و (2) زيادة من ز، ورقة 117.
(3) في ع وق ود: «أي إلى المدينة حتى أسلموا. والصواب إن شاء الله ما أثبته.
(4) زيادة من ز، وفي المخطوطات اضطراب في العبارة صوابه ما أثبته. وقصة أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري مع يهود بني قريظة وتوبته بعد ذلك مشهورة. انظر تفاصيلها في سيرة ابن هشام، ج 3 ص 236، وفي أسباب النزول للواحدي ص: 231.
(5) كذا في ق.وع: «ولم يعملوا» وفي د وج: «ولم يوفوا».

يجعل لكم فرقاناً، أي حجة. وقال بعضهم: مخرجاً [في الدين من الشبهة والضلالة][1]. وقال بعضهم: يجعل لكم نجاة. وقال الحسن: ﴿فُرْقَاناً﴾. أي: يفرق فيه بين الحق والباطل، فتعرفون ما أحل لكم وما حرم عليكم. ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَـٰكِرِينَ﴾.

قال الكلبي: بلغنا أن عصابة من قريش اجتمعوا في دار الندوة يمكرون بنبي الله عليه السلام، فدخل معهم إبليس عليه لعنة الله، عليه ثياب له أطمار، في صورة شيخ كبير، فجلس معهم؛ فقالوا ما أجلسك في جماعتنا بغير إذننا. فقال لهم: أنا رجل من أهل نجد، قدمت مكة فأحببت أن أسمع من حديثكم، وأقتبس منكم خيراً، ورأيت وجوهكم حسنة، وريحكم طيبة؛ فإن أحببتم جلست معكم، وإن كرهتم مجلسي خرجت. فقال بعضهم لبعض: هذا رجل من أهل نجد، ليس من أهل تهامة، فلا بأس عليكم منه.

فتكلموا بالمكر بنبي الله؛ فقال أبو البَخْتري بن هشام[2]، أحد بني أسد بن عبد العزى: أما أنا فأرى لكم من الرأي أن تأخذوا محمداً فتجعلوه في بيت ثم تسدّوا عليه بابه، وتجعلوا فيه كوّة، فتدخلوا إليه طعامه وشرابه، ثم تذروه فيه حتى يموت. فقال القوم: نعم الرأي رأيت. فقال إبليس: بئس الرأي رأيتم، تعمدون إلى رجل له فيكم صغو[3]، وقد سمع به من حولكم، فتحبسونه وتطعمونه وتسقونه، فيوشك ذلك

(1) زيادة من ز، ورقة 117.

(2) كذا في المخطوطات الأربع وفي ز أبو البختري بن هشام، وكذلك جاء في المعارف لابن قتيبة. أما البلاذري في أنساب الأشراف ج 1 ص 146، وابن حزم في جمهرة أنساب العرب فيذكران أنه العاص أو العاصي بن هاشم.

(3) في ج ود وردت الكلمة هكذا: «صفو»، وفي ع: «عضو»! والصحيح ما جاء في ق وز: «صغو» وقد ضبط ابن أبي زمنين في ورقة 118، والجوهري في الصحاح الكلمة بفتح الصاد وكسرها، وتفيد معنى الميل، يريد أن يقول هنا: فيكم من يميل إليه. والصغو أو الصاغية هم خاصة =

الصغو الذي له فيكم أن يقاتلوكم عليه، فتفسد فيه جماعتكم، وتسفك فيه دماؤكم. فقالوا صدق والله.

ثم تكلم أبو الأسود، وهو هاشم بن عمير بن ربيعة، أحد بني عامر بن لؤي، فقال: أما أنا فأرى أن تحملوا محمداً على بعير، فتخرجوه من أرضكم، فيذهب حيث شاء، ويليه غيركم. فقالوا: نعم والله الرأي رأيت. فقال إبليس: بئس الرأي والله رأيتم؛ تعمدون إلى رجل أفسد جماعتكم، واتبعته منكم طائفة فتخرجونه إلى غيركم، فيأتيهم فيفسدهم كما أفسدكم؛ يوشك والله أن يُقبل[1] بهم عليكم. قالوا: صدق والله.

ثم تكلم أبو جهل فقال: أما أنا فأرى من الرأي أن تأخذوا من كل بطن من قريش رجلاً، ثم تعطوا كل رجل سيفاً، فيأتونه، فيضربونه جميعاً، فلا يدري قومه من يأخذون به، وتؤدي قريش ديته. فقال إبليس: صدق والله هذا الشاب، إن الأمر لَكَما قال؛ فاتفقوا على ذلك.

فنزل جبريل على النبي ﷺ فأخبره، وأمره بالخروج؛ فخرج من ليلته إلى المدينة. قال الله: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ).

قال بعضهم في قوله: (لِيُثْبِتُوك) أي وثاقاً، أرادوا ذلك ونبي الله بمكة[2].

قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَا إِنْ هَـٰذَا إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾.

قال الكلبي: لما قصّ رسول الله ﷺ على قومه شأن القرون الأولى قال النضر ابن الحارث، أخو بني عبد الدار: لو شئت لقلت مثل هذا (إِنْ هَـٰذَا إِلَّآ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)، أي: كذب الأولين وباطلهم.

= الرجل وأتباعه الذين يميلون إليه، ويأتونه يطلبون ما عنده. ولم أجد هذه الكلمة فيما بين يدي من مصادر السيرة والتاريخ التي روت حديث دار الندوة.

(1) كذا في ع ود: «يقبل، وفي ز، ورقة 118 «أن يميل بهم عليكم».

(2) كذا في ع وق، وفي ج ود: «أرادوا بذلك نبي الله بمكة».

(3) هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلَدَة بن عبد مناف بن عبد الدار، كان من الذين آذوا =

قال الكلبي: يقول له عند ذلك عثمان بن مظعون: اتقِ الله يا نضر، فإن محمداً يقول الحق. قال النضر: وأنا أقول الحق. قال عثمان: فإن محمداً يقول لا إله إلا الله. فقال النضر: وأنا أقول: لا إلـه إلا الله، ولكن هذه بنات الله عندنا: اللات والعزى ومناة. فأنزل الله: (قُل إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ). [الزخرف: 81] وتفسيرها في حَمَ الزخرف؛ فقال النضر: ألا تَرون أنه قد صدّقني: إن للرحمـٰن ولداً؟ فقال الوليد بن المغيرة: لا والله ما صدقك، ولكن قال: (إِنْ كَانَ)[1]، منكراً لقولك. فصعق لها النضر فغضب، فقال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّـٰهُمَّ إِنْ كَانَ هَـٰذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ أي إن كان ما يقوله محمد حقاً ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوايتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَـذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَـانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ قال مجاهد: وهم يسلمون.

وقال الكلبي: بلغنا أن رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الهدى قال الحارث بن عامر بن نوفل[2]: يا محمد، (إن نَّتَّبِعِ الهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِنَ أَرْضِنَـا)،

= رسول الله ﷺ بمكة. وقد أُسِرَ يوم بدر، وأمر رسول الله بقتله، قتله علي بن أبي طالب بالصفراء، أنظر سيرة ابن هشام ج 1 ص 644. وقد رَثَتْهُ أخته قُتَيلة بنت الحارث. كما ذكره ابن إسحاق، وصحح السهيلي أنها بنته ـ بأبيات رقيقة. «قال ابن هشام: فيقال. والله أعلم. أن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال: لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه. انظر سيرة ابن هشام ج 2 ص 42.

(1) يريد أن يقول: إنّ (إنْ) هنا نافية. وهو قول رواه أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 2 ص 206 حيث قال: «(إنْ) في موضع (ما) في قول بعضهم: ما كان للرحمٰن ولد. والفاء مجازها الواو: ما كان للرحمـٰن ولد وأنا أول العابدين». وانظر في معنى الآية ووجوه إعرابها ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج 2 ص 355، والزمخشري، الكشاف، ج 4 ص 265 - 266.

(2) عده ابن هشام فيما يرويه عن ابن إسحاق من المطعمين الذين كانوا يطعمون الحاج في الموسم، وكان من سادة بني نوفل بن عبد مناف، وقد حضر بدراً في صفوف المشركين فقتل هناك، انظر سيرة ابن هشام، ج 1 ص 665 وص 710.

[القصص: ٥٧] وإنما تتقي العربُ حرمَنا أنا على دينهم. يقول الله قد متعتهم بهذا الحرم، وهم يأكلون رزقي، ويعبدون غيري، وقد مكنت لهم حرماً آمناً تجبى إليه ثمرات كل شيء، فكانوا يخافون أن لو عبدوني أن أسلط عليهم من يقتلهم ويسبيهم، ما كنت لأفعل ذلك بهم لو فعلوا واستغفروا، فلما لم يفعلوا [عذبوا][1].

يقول الله: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ أَنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ وهم الذين لا يؤمنون.

قال الحسن: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) أي: حتى يخرجك من بين أظهرهم. وقد قضى الله أنه إذا أهلك قوماً نجّى المؤمنين. (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) أي: لا يزال منهم مستغفر يستغفر من الشرك ويدخل في الإيمان. ولا يعذب الله قوماً حتى يبلغوا الحدَّ الذي لا يؤمن منهم أحد.

وقال بعضهم: (وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) أي: يعملون عمل الغفران. قال: (وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ) [زعم المشركون أنهم أولياء المسجد الحرام فقال الله: وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ][2] (إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ). أي: من كانوا وأين كانوا (وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) يقول: إن القوم لم يكونوا يستغفرون، أي يعملون عمل الغفران، ولو عملوا عمل الغفران ما عذبوا.

وكان بعض أهل العلم يقول: هما أمانان أنزلهما الله. أما أحدهما فمضى، وهو نبي الله ﷺ. وأما الآخر فأبقاه الله رحمة: هذا الاستغفار.

وذكر بعض أهل العلم قال: ما من أمة يكون فيها خمسة عشر رجلاً من المسلمين يستغفرون الله إلا رحم الله تلك الأمة بهم.

---

(1) زيادة يقتضيها السياق، فجواب لما غير مذكور في المخطوطات الأربع.
(2) زيادة من ز، ورقة 118.

ذكروا عن رجل من المهاجرين قال: قال رسول الله ﷺ: استغفروا الله وتوبوا إليه، إني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة[1].

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ قال ابن عمر[2]: المكاء الصفير، والتصدية التصفيق، يقول: يفعلون ذلك مكان الصلاة. وقال مجاهد: يخلطون على النبي عليه السلام بذلك صلاته. وقال بعضهم: كنا نحدث أن المكاء التصفير في الأيدي، يعارضون به القرآن؛ مثل قوله: (وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) [فصلت: 36].

قال: ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ يعني القتل بالسيف قبل عذاب الآخرة.

قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾. لما هزم رسول الله أهل بدر رجعوا إلى مكة، فأخذوا ما جاءت به العير من الشام فتجهزوا به لقتال النبي، واستنصروا بقبائل من قبائل العرب؛ فأوحى الله إلى النبي عليه السلام، وهو بالمدينة: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ. .) إلى قوله: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ فبيّن الله لنبيه أنهم سيغلبون من قبل أن يقاتلوا. قوله: (فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً) أي: النفقة يعذّبون عليها كما يعذّبون على كفرهم.

وقال بعضهم: لما قدم أبو سفيان بالعير إلى مكة ندب الناس ودعاهم إلى القتال حتى غزا نبي الله يوم أُحد في شوّال، يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شوّال في العام المقبل الذي يلي بدراً.

---

(1) حديث صحيح متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة عن أبي هريرة ولفظه: والله إني لأستغفر الله وأتوب في اليوم أكثر من سبعين مرة. وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (رقم 2702) عن الأغر المزني ولفظه: إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة، وعنه أيضاً بلفظ: يا أيها الناس، توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة.

(2) كذا في المخطوطات الأربع، قال ابن عمر»، وفي ز، ورقة 118: «قال الحسن».

وقال مجاهد في قوله: (إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا) قال: هذا في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أُحد.

قوله: ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ أي ليميز نفقة المؤمنين من نفقة الكفار. ﴿ فَيَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ ﴾ أي نفقاتهم التي أنفقوها في حرب النبيّ من كسبهم الخبيث. ﴿ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً ﴾ أي بعضه على بعض ﴿ فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ﴾ أي معهم ﴿ أُولَـٰئِكَ هُمُ الخَـٰسِرُونَ ﴾ قال الحسن: هي كقوله: (يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ) [التوبة: 35].

قوله: ﴿ قُل لِّلذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا ﴾ لقتال محمد ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي بالقتال، والاستئصال. وقال مجاهد: في قريش يوم بدر، وفي غيرهم من الأمم [قبل ذلك][1].

قوله: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي: حتى لا يكون شرك. وهذه في مشركي قريش خاصة؛ وأما من سواهم من المشركين فإذا أدوا الجزية قبلت منهم ولم يقتلوا إذا أقروا بالجزية، إلا من كان دخل من العرب في دين أهل الكتاب، فإن عمر لم يقتلهم، وقبل منهم الضِّعف مما يؤخذ من المسلمين من مواشيهم؛ وهو قول العامة[2]. وكان علي يرى قتلهم[3].

قوله: ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ يعني الإسلام. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال:

---

(1) زيادة من ز، ورقة 119.

(2) انظر ما رواه في الموضوع أبو يوسف صاحب أبي حنيفة في كتاب الخراج ص 249 - 251.

(3) روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال ص 37 عن زرعة بن النعمان أو النعمان بن زرعة قال: «فصالحهم [أي نصارى بني تغلب] عمر بنُ الخطاب على أن أضعف عليهم الصدقة، واشترط عليهم أن لا ينصِّروا أولادَهم. قال مغيرة: فحدِّثتُ أن علياً قال: لئن تفرغت لبني تغلب ليكونن لي فيهم رأي: لأقتلنّ مقاتلتهم، ولأسبينّ ذراريهم، فقد نقضوا العهد، وبرئت منهم الذمة حين نصّروا أولادهم».

أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـه إلا الله فإذا قالوها عصموا بها دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله[1].

قوله: ﴿ فَإِنِ انْتَهَوْا ﴾ أي عن كفرهم ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾. قال الكلبي فإن انتهوا عن القتال، وهو واحد. ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي: وإن أبو إلا القتال ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَيكُمْ ﴾ أي وليّكم ﴿ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ ﴾ أي نعم الولي ﴿ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ أي لأوليائه.

قوله: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾.

ذكر عبد الله بن الخير قال: بينما نحن جلوس بهذا المربد[2] إذ أقبل علينا أعرابي أشعر الرأس، أو مشعار الرأس، قال: قلنا: والله لكأنّ هذا ليس من أهل البلد. قال: أجل. قال وإذا معه أديم أو قطعة من جواب، قال: هذا كتاب كتبه لي رسول الله ﷺ. فأخذنا الكتاب، فقرأناه. فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي، رسول الله، لبني زهير بن أُقَيْش[3]: إنكم إن شهدتم أن لا إلـه

---

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري عن ابن عمر مرفوعاً في كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، وانظر فيما مضى من الجزء الأول ص 573 ، تعليق 2.

(2) المربد محلة من محلات البصرة، كانت سوقاً للإبل، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء والأدباء. وكان بعض اللغويين يقصدونه ليتلقفوا الفصاحة من أفواه الأعراب عندما بدأ اللحن يفشو على ألسنة العامة في المدن.

(3) في ج ود: «لبني زهيرة وقيس»، وفي ق وع: «لبني زهير بن قيس» والصواب ما أثبته. وهم بنو زهير بن أُقَيْش ابن عبد بن كعب بن عوف بن الحارث، وهم من عُكل، كما ذكره ابن حزم في جمهرة أنساب العرب، ص 199. ومنهم النَّمر ابن تولب بن زهير، الشاعر الإسلامي الصحابي الذي وفد على النبي ﷺ مسلماً، ومدحه بقصيدة مطلعها:

إِنَّـا أَتَيْنَـاكَ وَقَـد طَـالَ السَّفَـرْ نَقُـودُ خَيْـلاً ضُمَّـراً فِيهَـا عَسَـرْ

وكان فصيحاً شاعراً جواداً. أنْظُرْ ترجمته في كتب الصحابة مثل ابن عبد البرّ، الاستيعاب، ج 3 ص 1531، وفي كتب الأدب مثل الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج 1 ص 309 - 311. وقد أشار =

إلا الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وفارقتم المشركين، وأعطيتم من الغنائم الخمس، وسهم الصفي، وربما قال: وصفيّه، فأنتم آمنون[1] بأمان الله وأمان رسوله.

وسهم الصفي ـ فيما بلغنا ـ أنه إذا جمعت الغنائم كان للنبي شيء يُصْفَى به قبل أن تقسم الغنائم، فرساً كان أو بعيراً أو غير ذلك[2].

وقال الحسن: كانت إذا جمعت، للنبي أن يأخذ منها ما شاء قبل أن تقسم الغنائم، وهو الصفي الذي أصفاه الله محمداً عليه السلام. وأن النبي عليه السلام لم يستأثر على المسلمين من ذلك السهم قط. وقد جعله الله له يريد بذلك كرامته. فتركه رسول الله ﷺ للمسلمين، وصار أجره وذخره لرسول الله عند الله. ثم يجعل الغنائم على خمسة أخماس؛ يقوم ويقسم، ثم يقرع عليها، فيخرج منها خمساً لله.

وبلغنا أن عثمان بن عفان كان يقول لصاحب الجيش إذا بعثه: إذا غنمتم غنيمة فاقسمها على خمسة أخماس. ثم خذ خمسة أسهم، فاكتب على سهم منها: لله. ثم ألقها عليها، فأيها وقع عليها ذلك السهم فاجعله الخمس.

قال الحسن: فيأخذ رسول الله ﷺ من الخمس ما شاء. وليس فيه وقت[3]. ويعطي قرابته من ذلك ما رأى. ويعطي اليتامى والمساكين وابن السبيل على قدر ما يرى من قلتهم وكثرتهم وفقرهم. وليس ذلك على الأمراء. ثم يقسم رسول الله والأئمة بعده تلك الأربعة الأخماس على أهل العسكر، فيعطي الفرس سهمين وفارسه سهماً.

= ابن دريد في كتابه الاشتقاق إلى كتاب النبي عليه السلام هذا فقال في ص 183: «وكتب النبي ﷺ كتاباً لبني أقيش في ركية بالبادية، فهو في أيديهم إلى اليوم»؛ كما أشار إليه ابن عبد البرّ في الاستيعاب.

(1) في ق: «فأنتم مؤمنون بأمان الله» والصحيح ما أثبته: «آمنون». وسقطت الجملة كلها من ع ود.

(2) جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف، ص 66 ما يلي: «قال أبو يوسف: حدثني أشعث بن سوار عن محمد بن سيرين قال: كان لرسول الله ﷺ من كل غنيمة صفيّ يصطفيه، فكان الصفيّ يوم خيبر صفيةَ بنت حييّ.

(3) أي: شيء محدّد مقدرّ.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده، ما أعطيكم شيئاً ولا أمنعكموه، إنما أنا خازن أضع حيث أمرت(1).

ذكروا عن معاوية أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما أنا قاسم، والله يعطي(2).

ذكر بعض أهل العلم قال: تقسم الغنائم على خمسة أخماس؛ فخمس منها لله والرسول، فهذا سهم واحد، ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وأربعة أخماس لأهل القتال. فأما سهم ذي القربى فإن أبا بكر وعمر حملا عليه في سبيل الله.

ذكروا أن نجدة كَتَبَ إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى فكتب إليه: إنا كنا نراه لقرابة رسول الله فأبى ذلك علينا قومنا(3).

ذكر بعض أهل العلم قال: ما بيع بذهب أو فضة ففيه خمس الله وسهام المسلمين. ولا بأس بأكل الطعام ما لم يُبع فيصير ذهباً أو فضة.

ذكر ابن عمر أن رسول الله ﷺ جعل يوم خيبر(4) للفارس سهمين وللراجل سهماً.

ذكروا أن أربعة من المسلمين قدموا على النبي ﷺ ومعهم فرس، فأعطى الفرس سهمين، وأعطاهم سهماً سهماً.

---

(1) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى فإن لله خمسه عن أبي هريرة وفيه: أنا قاسم أضع حيث أمرت.

(2) رواه البخاري أيضاً في نفس الكتاب والباب بلفظ: إنما أنا قاسم وخازن والله يعطي. وفيه عن معاوية: قال رسول الله ﷺ: والله المعطي وأنا القاسم.

(3) انظر نص كتاب ابن عباس إلى نجدة بن عويمر في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم (رقم 1812) عن يزيد بن هرمز، واقرأه في كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص 417 - 418.

(4) كذا في قع وع: «يوم خيبر»، وهو الصحيح، وفي ج ود: «يوم حنين».

ذكروا عن خالد بن الوليد أنه أُتِي بهجين فقال: لأن أَسَفَّ التراب أحبُّ إليّ من أن أقسم له. ذكر بعضهم قال: إن رسول الله ﷺ قسم للهجين سهماً[1].

وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يكون معه الأفراس فقال: لا يقسم لأكثر من فرسين، ولو كانت معه عشرة أفراس[2].

ذكروا أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن المرأة والعبد يشهدان الغنيمة، فقال: ليس لهما من الغنيمة شيء، إلا أنه قال: يُحْذَيان[3].

وقال بعضهم: إذا قسمت الغنائم فلا يُخَص أحد دون أحد إلا راعٍ أو دليل.

ذكروا أن رسول الله ﷺ صلّى إلى جنب بعير ثم أخذ وَبَرَة منه فقال: ما لي ولكم منها مثل هذه، إلا الخُمُس، ثمَّ هو ردٌّ عليكم، فأَدُّوا الخيط والمِخيط، فإن الغلول نار وشنار[4] على أهله يوم القيامة[5].

ذكروا أن رجلاً من يعلين[6] قال لرسول الله ﷺ: هل أحد أحق بالمغنم من

---

(1) الهجين في الناس وفي الخيل من كان أبوه خيراً من أمه. فإذا كان الأب عتيقاً والأم ليست كذلك كان الولد هجيناً.

(2) وهذا رأي أبي يوسف القاضي ورأي مكحول كما ذكره أبو يوسف في كتاب الخراج ص 60.

(3) في ج ود: «يحدبان» كذا بدون نقط، وفي ق «يَحْدِيان» كذا ضبطت، وفي ع: «يجديان»، وفي كل منها تصحيف، والصواب: يُحذَيان، أي: يعطيان شيئاً ولكن لا يُسهم لهما. قال الجوهري: «أحذيته من الغنيمة إذا أعطيته منها». والحذِيّة، والحِذوة والحُذَيّا، العطية القليلة من الغنيمة. وترجم أبو داود في كتاب الجهاد من سننه، باب في المرأة والعبد يحذيان من الغنيمة.

(4) الشنار: العيب والعار.

(5) رواه الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت، ورواه النسائي عن عمرو بن عَبَسَة السّلمي، ورواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال (رقم 2694) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في قصة وفد هوازن.

(6) كذا في ق وع: «يعلين»، وفي د بياض، وفي ج لمنٍ (كذا) ولم أهتدِ إلى كلمة تشبه هذه علَماً لقبيلة أو مكان حتى أحققه، وقد ورد هذا الحديث في تفسير ابن كثير ج 3 ص 321 من رواية البيهقي عن عبد الله بن شفيق عن رجل، ولم ينسب الرجل.

أحد؟ قال: لا، حتى السهم يأخذه أحدكم من جنبه فليس بأحق منه.

ذكروا عن الحسن. قال: قيل لرسول الله ﷺ: استُشْهِدَ فتاك فلان قال: كلّا، إني رأيته يُجَر إلى النار بعباءة غَلَّها[1].

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ﴾ أي يوم بدر، فرق الله فيه بين الحق والباطل [فنصر الله نبيه وهزم عدوه][2]. قال: ﴿يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ﴾ أي جَمْع المسلمين وجمع المشركين ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي عدوة الوادي بأعلى الوادي ﴿وَهُمْ بِالعُدْوَةِ القُصْوَىٰ﴾ أي أسفل الوادي. ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ يعني أبا سفيان وأصحاب العير.

قال الكلبي: كان أبو سفيان والعير أسفل من الوادي ـ زعموا ـ بثلاثة أميال في طريق الساحل، لا يعلم المشركون مكان عيرهم، ولا يعلم أصحاب العير مكان المشركين.

قال بعضهم: العدو كان شفير الوادي؛ كان المسلمون بأعلاه، وكان المشركون بأسفله، والركب يعني به أبا سفيان والعير، الخدم فانطلق على حورسه[3].

(1) حديث صحيح أخرجه الترمذي في أبواب السير، باب ما جاء في الغلول عن ابن عباس عن عمر ابن الخطاب مرفوعاً، وكذلك رواه أحمد من طريق ابن عباس عن عمر بن الخطاب، وانظر ما سلف ج 1 ص 329، تعليق 1.

(2) زيادة من ز، ورقة 119.

(3) كذا وردت هذه الجملة في ع وق: «الخدم فانطلق على حورسة»، وفي ج ود: «الحرم فانطلق على حورسه» ولم أهتدِ لما في الجملة من تصحيف حتى أصححه. وقد أشكلت الجملة من قبل على المحقق الكبير الشيخ محمود محمد شاكر في تفسير الطبري ج 13 ص 564. حيث ذكر أنها جاءت في المخطوطة: «انخدم بالعير على حورمه». أما عبارة الواقدي في المغازي ج 1 ص 41 فهكذا: «فضرب وجه عيره، فساحل بها، وترك بدراً يساراً، وانطلق سريعاً». ونقل هذه الجمل الطبري في تاريخه ج 2 ص 437 نقلاً يكاد يكون حرفياً. نقلها من مغازي الواقدي، ولم يشر إلى هذا المصدر.

قال: ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ ﴾ أي: أنتم والمشركون ﴿ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾ قال الحسن: لو تواعدتم فيما بينكم فقلتم نصنع كذا وكذا لاختلفتم في الميعاد. ﴿ وَلَـٰكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً ﴾ أي فيه نصركم والنعمة عليكم.

قوله: ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ أي بعد الحجة والبيان. كقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ) [إبراهيم: 4] أي بعد البيان. ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَـٰكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ قال الكلبي: إن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر وأخبره الله بسير المشركين أراه المشركين في منامه قليلاً، فقال رسول الله: أبشروا فإن الله أراني المشركين في منامي قليلاً[1]، فقال المسلمون عند ذلك: رؤيا رسول الله حق، والقوم قليل.

قوله: (وَلَوْ أَرَـٰكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ) قال الحسن: لجبنتم. (وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ) أي: ولاختلفتم في الأمر، أي أمر الله ورسوله. وقال مجاهد: لفشلت يا محمد فيفشل بذلك أصحابك. ﴿ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ﴾ أي من ذلك، سلم للمسلمين أمرهم، وهزم عدوهم. ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾. أي بما في الصدور. قال الحسن: من علمه بما في صدوركم قلّلهم في أعينكم، وأذهب الخوف الذي كان في صدوركم.

قوله: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾. قال الكلبي إن المسلمين لما عاينوا المشركين يوم بدر رأوهم قليلاً فصدقوا رؤيا رسول الله. وقلّل الله المسلمين في أعين المشركين، فاجترأ المؤمنون على المشركين لقلتهم في أعينهم، واجترأ المشركون على المؤمنين لقلتهم في أعينهم. ﴿ لِيَقْضِيَ

---

(1) لم أجده بهذا اللفظ، ولكنه تفسير واضح للآية؛ ففي تفسير الطبري ج 13 ص 570: «عن مجاهد.. قال: أراهم الله إياهم في منامه قليلاً، فأخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك، فكان تثبيتاً لهم».

اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً ﴾ أي: فيه نصركم والنعمة عليكم. ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورِ ﴾.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾ يعني من المشركين ﴿ فَاثْبُتُوا ﴾ في صفوفكم ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي لكي تفلحوا.

قال بعضهم: افترض الله ذكره عند أشغل ما يكون الناس، عند الضراب بالسيوف.

ذكروا عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: لا تتمنَّوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإن جاءوكم يرجفون ويصيحون ويبرقون فالزموا الأرض جلوساً، واعلموا أن الجنة تحت الأبارق(1).

ذكر الحسن عن قيس بن عباد قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون الصوت عند ثلاثة: عند القتال، وعند الجنائز، وعند قراءة القرآن.

ذكروا عن ابن عباس أنه كان يكره التلثم عند القتال.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: اطلبوا إجابة الدعاء عند ثلاثة: عند إقامة الصلاة، وعند التقاء الجيوش، وعند نزول الغيث(2).

قوله: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ﴾ قال بعضهم: لا تختلفوا فتجبُنوا. قوله: ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أي يذهب نصركم. قال مجاهد: ويذهب نصركم؛ قال: فذهب نصر أصحاب محمد ﷺ حين نازعوه يوم أُحد. قال:

---

(1) هذا لفظ حديث مختصر. وقد أخرجه عبد الرزاق عن يحيى بن أبي كثير، وفيه قبل آخره: «فإذا دنوا منكم فثوروا إليهم، واعلموا أن الجنة تحت البارقة. وجاء في صحيح البخاري، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس؛ عن عبد الله بن أبي أوفى قال رسول الله ﷺ حين قام خطيباً في الناس: أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. وفي رواية لعبد الله بن عمرو: فإذا لقيتموهم فأثبتوا واذكروا الله كثيراً، فإن صخبوا وصاحوا فعليكم بالصمت.

(2) أخرجه البيهقي في المعرفة عن مكحول مرسلاً.

﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّـٰبِرِينَ﴾ أي في العون والتأييد.

قوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَآءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يعني المشركين. ﴿ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ أي: يحفظها عليهم حتى يجازيهم بها.

قوله: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَـٰنُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾.

قال الكلبي[1]: إن المشركين لما خرجوا من مكة إلى بدر أتاهم الخبر، وهم بالجحفة[2] قبل أن يصلوا إلى بدر، أن عيرهم قد نجت؛ فأراد القوم الرجوع. فأتاهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم[3]، فقال: يا قوم، لا ترجعوا حتى تستأصلوهم، فإنكم كثير، وعدوكم قليل، فتأمن عيركم. وإني جار لكم على بني كنانة ألا تمروا على حي من بني كنانة إلا أمدوكم بالخيل والرجال والسلاح. فمضوا كما أمرهم للذي أراد الله من هلاكهم.

فالتقوا هم والمسلمون ببدر؛ فنزلت الملائكة مع المسلمين [في صف][4]، وإبليس في صف المشركين في صورة سراقة بن مالك. فلما نظر إبليس إلى الملائكة مع المسلمين نكص على عقبيه. وأخذ الحارث بن هشام المخزومي بيده فقال: يا سراقة، على هذه الحال تخذلنا؟ فقال: إني أرى ما لا ترون، أي الملائكة، إني أخاف الله والله شديد العقاب. فقال له الحارث: ألا كان هذا القول أمس. فلما رأى

(1) في بعض المخطوطات اضطراب وحذف أثبت التصحيح والزيادة من ز، ورقة 120.

(2) الجحفة، قرية على طريق المدينة على ثلاث مراحل وقيل أربع مراحل من مكة، وسميت كذلك لأن السيل أجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام. وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ج 2 ص 111.

(3) هو سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، يكنى أبا سفيان. انظر ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر، ج 2 ص 581.

(4) زيادة من ز، ورقة 120.

إبليس أن المؤمنين أقبلوا إليهم، دفع في صدر الحارث فخرّ، وانطلق إبليس وانهزم المشركون.

فلما قدموا مكة قالوا: إنما انهزم بالناس سراقة بن مالك ونقض الصف، ثم انهزم الناس. فبلغ ذلك سُراقة، فقدم عليهم مكة فقال: بلغني أنكم تزعمون أني انهزمت بالناس؛ فوالذي يحلف به سراقة ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم. فجعلوا يذكّرونه: أما أتيتنا يوم كذا وكذا، وقلت لنا كذا وكذا؟ فجعل يحلف لهم. فلما أسلموا علموا أنه الشيطان.

ذكروا أن مجاهداً قال: هو أبو جهل وأصحابه يوم بدر.

ذكر بعضهم قال: كان الذين قاتلوا نبي الله يوم بدر خرجوا ولهم بغي وفخر. وقد قيل لهم يومئذٍ: ارجعوا فقد انطلقت عيركم، وقد ظفرتم. فقالوا: لا والله حتى يبلغ أهل الحجاز مسيرُنا وعددُنا.

وأما قوله: ﴿ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ﴾ أي إنه ليس أحد من الناس يغلبكم اليوم في تفسير الحسن. ﴿ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾ أي معكم. وقوله: ﴿ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ أي رجع على عقبيه هارباً. وقوله: ﴿ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ أي أنه رأى جبريل يزع الملائكة. وقال الحسن: رأى الملائكة تضرب وجوه المشركين. وقال بعضهم: ذكر لنا أن الشيطان رأى جبريل تنزل معه الملائكة.

قوله: ﴿ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ ﴾ قال بعضهم: كذب، ولكن علم أن لا طاقة لهم بهم. قال الكلبي: أما قوله: ﴿ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ فصدق. وأما قوله: ﴿ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ ﴾ فكذب.

قوله: ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَـٰفِقُونَ وَالذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ وهم المنافقون أيضاً. والمرض في تفسير الحسن الشك[1]. وفي تفسير العامة المرض النفاق، وهو واحد، إلا أنه كلام مثنى[2].

---

(1) كذا في ق وع: «الشك»، وفي ج ود: «الشرك» وما أثبته هو الصحيح إن شاء الله.

(2) أي كلام مكرر، أو مترادف، وسياق الكلام وروح اللغة العربية تأبى ما ذهب إليه المؤلف هنا. =

﴿ غَرَّ هَـٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾ قال الكلبي: بلغنا أن المشركين لما نفروا من مكة إلى بدر لم يخلفوا بعدهم أحداً قد احتلم، فنفر معهم أناس كانوا أجابوا إلى الإسلام وتكلموا به. فلما رأوا قلة المؤمنين ارتابوا ونافقوا وقاتلوا مع المشركين، وقالوا: غَرَّ هَـٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ، يعنون المؤمنين. قال الله: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي عزيز في نقمته، حكيم في أمره.

قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الذِينَ كَفَرُوا المَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴾ يعني في يوم بدر ضربت الملائكة وجوه المشركين وأدبارهم ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ ﴾ أي في الآخرة. ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾.

قوله: ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ قال الحسن: كفعل آل فرعون وجحودهم؛ يقول فعل المشركون كما فعل آل فرعون. ﴿ وَالذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي الكفار ﴿ كَفَرُوا بِئَايَٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بذنوبهم ﴾ أي فعذبهم الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ أي إذا جحدوا الرسول وكذبوه أهلكهم الله. ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

قوله: كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ والذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِئَايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ وفرعون معهم. أي غيّر هؤلاء كما غيّر آل فرعون والذين من قبلهم فأهلكهم الله. كقوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ). [إبراهيم: 28] وهم المشركون من أهل بدر. والبوار الهلاك. قال: ﴿ وَكُلٌّ كَانُوا ظَـٰلِمِينَ﴾ لأنفسهم.

قوله: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي الذين

= فليس المنافقون والذين في قلوبهم مرض صنفاً واحداً. وقد نسب إلى ابن عباس القول بأن المنافقين هم قوم من أهل المدينة من الأوس والخزرج. أما الذين في قلوبهم مرض فهم الذين تكلموا بالإسلام في مكة وأخرجهم المشركون معهم إلى بدر. وانظر مختلف مذاهب العلماء في هذين النوعين في زاد المسير لابن الجوزي، ج 3 ص 367 - 368.

يموتون على كفرهم. وقوله: (شَرَّ الدَّوَابِّ) أي: شر الخلق. كقوله: (إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّم خَالِدِينَ فِيهَا أُولَـٰئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيئَةِ) [البينة: 6] والبرية خلق الله.

قوله: ﴿ الذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ فَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ ﴾. قال الكلبي. هؤلاء قوم ممن كان وادع رسول الله عليه السلام، وكانوا ينقضون العهد فأمر الله فيهم بأمره فقال:

﴿ فإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ [أي تظفر بهم][1] ﴿ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ أي لعل من بقي منهم أن يذكر ما فعل بمن عذب. وقال مجاهد: أهل قريظة مـالأوا[2] على النبي يوم الخندق.

وقال الحسن: لعلهم يؤمنون مخافة أن ينزل بهم ما نزل بالذين نقضوا العهد.

قال بعضهم: كان أنزل في سورة محمد [الآية: 4]: (فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) فكانوا إذا أخذوا أسيراً لم يكن لهم إلا أن يفادوه، أو يمنوا عليه فيرسلوه، فنسختها هذه الآية: (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ) أي: فعظ بهم من سواهم لعلهم يذكرون.

ذكر رجل من خولان قال: كنا مع عبد الله بن مسعود صاحب النبي عليه السلام في غزوة فكان إذا أُتي[3] بأسارى قال: لعل لأحد منهم عندكم عهداً، فإن قالوا لا قُسِم أو قُتِل.

---

(1) زيادة من ز ورقة 120.

(2) في كل المخطوطات: «مالوا على النبي» وأثبت ما في تفسير مجاهد، ص 266: «مالأوا على نبي الله» وفي تفسير الطبري ج 14 ص 22: «مالأوا على محمد يوم الخندق أعداءه».

(3) كذا في المخطوطات كلها «أوتي»، وصوابه: أُتِي بأسارى. نعم جاء في اللغة العربية: آتى به، ولكن معناه جازى؛ وقد جاء في معاني القرآن للفراء ج 2 ص 205 ما يلي: وقرأ مجاهد: (آتينا بها) بمد الألف، يريد جازينا بها على فاعلنا وهو وجه حسن». وذلك في قوله تعالى: (وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها) [الأنبياء: 47].

قوله: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ أي تعلمن من قوم خيانة، أي: نقضاً للعهد، يعني إذا هم نقضوا. كقوله: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا) [النساء: 35] أي: وإن علمتم شقاق بينهما، وذلك إذا كانا قد وقع الشقاق بينهما. ﴿ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ أي على أمر بيِّن. أي أعلمهم أنك حَرْبٌ لهم. وقوله: (عَلَى سَوَاءٍ) أي: يكون الكفار كلهم عندك سواء. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ ﴾ لدينهم أذا نقضوا العهد. وقال مجاهد: هم أهل قريظة.

قوله: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ﴾ [أي: فاتوا. ثم ابتدأ فقال][1] ﴿ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ أي لا يعجزون الله فيسبقونه حتى لا يقدر عليهم.

قوله: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ قال بعضهم: النَّبل. وقال الحسن: ما استطعتم من قوة تقوون بها عليهم.

ذكر عمرو بن عبسة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من رمى سهماً في سبيل الله فأصاب العدو أو أخطأه فهو كعتق رقبة[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن الله ليدخل الجنة بالسهم الواحد الثلاثة من الناس: صانعه يحتسب به في صنعته الخير، والمُمِدَّ به، والذي يرمي به. ثم قال رسول الله ﷺ: ارموا واركبوا، وأن ترموا أحبّ إليّ من أن تركبوا، ومن ترك الرمي بعد ما علمه فهي نعمة كفرها[3].

قوله: ﴿ وَمِن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ أي تخوفون به عدو الله وعدوكم. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من ارتبط فرساً في سبيل الله فهو كباسط يده بالصدقة لا يقبضها[4].

(1) زيادة من ز، ورقة 120.

(2) أخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب الرمي في سبيل الله عن عمرو بن عبسة. (رقم 2812).

(3) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن عقبة بن عامر الجهني. فأخرجه ابن ماجة في كتاب الجهاد، باب الرمي في سبيل الله (رقم 2811) وفي آخره: وكل ما يلهو به المرء المسلم باطل إلا رميَه بقوسه، وتأديبَه فرسه، وملاعبتَه امرأتَه، فإنهن من الحق.

(4) هذا من حديث رواه البيهقي عن الحسن بن أبي الحسن عن سهل ابن الحنظلية قال: سمعت =

ذكروا عن علي بن أبي طالب قال: من ارتبط فرساً في سبيل الله كان روثه وأثَرُهُ في أجره.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال في الخيل: من اتخذها يعدها في سبيل الله فله بكل ما غيّبت في بطونها أجر. وإن مرت بمرج فرعت فيه كان له بكل ما غيبت في بطونها أجر. وإن استنّت[1] شرفاً كان له بكل خطوة أجر، حتى ذكر أرواثها وأبوالها[2].

قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: من دون المشركين ﴿لاَ تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ قال مجاهد: هم قريظة. وقال الحسن: هم المنافقون. وقال بعضهم: الجن. قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾.

قوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ أي مالوا ﴿لِلسَّلْم فَاجْنَحْ لَهَا﴾ والسلم هو الصلح. قوله: ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ أي للموادعة. قال مجاهد: هم قريظة. وقال بعضهم: نسخها في هذه الآية: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 5]. قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي فلا أسمع منه ولا أعلم منه.

قوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَّخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ قال مجاهد: هم قريظة.

= رسول الله ﷺ يقول: الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، ومن ربط فرساً في سبيل الله كانت النفقة عليه كالمادِّ يده بالصدقة لا يقبضها. وانظر الأحاديث الواردة في فضل ارتباط الخيل في الدر المنثور للسيوطي ج 3 ص 194 - 198.

(1) أي عَدَت لِمَرَحها ونشاطها شوطاً أو شوطين (انظر اللسان: (سنن) و(شرف) وانظر الخطابي، غريب الحديث ج 1 ص 522. وفيه: «سنّت شرفاً: أي عدت طَلَقاً. يقال سن الفرس إذا لَجَّ في عدوه مقبلاً ومدبراً».

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة عن أبي هريرة وقد سُئِلَ النبي عليه السلام عن الخيل. فأجاب بلفظ أطول مما هو هنا، وأخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرساً لقوله تعالى: ومن رباط الخيل، عن أبي هريرة ولفظه: من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة. وأخرجه ابن ماجة في كتاب الجهاد، باب ارتباط الخيل في سبيل الله (رقم 2788).

وقال الحسن: يعني المشركين، يقول: إن هم اظهروا لك الإيمان وأسرّوا الكفر ليخدعوك بذلك [لتعطيهم حقوق المـؤمنين وتكف عن دمائهم وأموالهم][1] فإن حسبك الله.

﴿ هُوَ الذي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ ﴾ أي أعانك بنصره ﴿ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ يعني قلوب المؤمنين ﴿ لَو أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ يعني أنهم كانوا أهل جاهلية يقتل بعضهم بعضاً ويسبى بعضهم بعضاً، متعادين، فألّف الله بين قلوبهم حتى تحابّوا وذهبت الضغائن التي كانت بينهم بالإسلام ﴿ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي عزيز في نقمته حكيم في أمره.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَـا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ أي: حثهم على القتال، حرضهم بما وعد الله الشهداء في الجنة والمجاهدين.

قوله: ﴿ إِن يَكُنْ مِّنْكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ تَكُنْ مِّنْكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِّنَ الذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ قال الحسن: كان الله افترض هذا في هذه الآية فأمر المسلمين أن يصبروا لعشرة أمثالهم إذا لقوهم. ثم أنزل الله التخفيف بعد ذلك فقال:

﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ تَكُن مِّنْكُم ماثة صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُنْ مِّنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّـٰبِرِينَ﴾ فأمر الله المسلمين أن يصبروا لمثلَيْهم إذا لقوهم. فلم يقبض رسول الله ﷺ حتى أظهر الله الإسلام[2] وصار الإسلام تطوّعاً.

(1) زيادة من ز، ورقة 121.

(2) كذا من المخطوطات، وفي ز: «حتى أظهر الله الدين وأعزّه وصار الجهاد تطوّعاً. قال ابن عباس: =

ذكروا عن ابن عباس قال: كان جعل على كل رجل عشرة فجعل بعد ذلك على كل رجل رجلين.

قوله: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾. كان هذا في أسارى بدر.

قال بعضهم: كان أبو بكر أحبّ أن يقبل منهم الفداء، وأراد عمر أن يُقتلوا. فأنزل الله هذه الآية ثم قال: ﴿ لَوْلَا كِتَـٰبٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

وقال الكلبي: ما كان لنبي قبلك يا محمد أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض. قال: لولا كتاب من الله سبق أنكم الذين تأكلون الغنائم لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم.

وقال الحسن: يقول: فأخذتم الفداء من الأُسارى في أول وقعة كانت في المشركين من قبل أن تثخنوا في الأرض. وقال الحسن: لم يكن أوحِيَ إلى النبي في ذلك بشيء فاستشار المسلمين فأجمع رأيهم على الفداء.

ذكر بعضهم قال: كان أراد أصحاب نبي الله يومئذٍ الفداء، ففادوا أسارى بدر يومئذٍ بأربعة آلاف أربعة آلاف. وما أثخن نبي الله يومئذٍ في الأرض.

وقال بعضهم في قوله: (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ) أي سبق لهم من الله الخير، وسبق لهم أنهم استُحلّ لهم الغنائم.

وقال الحسن: لولا كتاب من الله سبق أن لا يعذب أهل بدر لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل النار من شهد بدراً

= فمن فرّ من ثلاثة من المشركين فلم يفر، ومن فر من اثنين فقد فرّ، ولا ينبغي لرجل من المسلمين أن يفر من رجلين من المشركين». انظر ز ورقة 121.

والحديبية، فقالت حفصة بلى، فانتهرها، في حديث بعضهم، فقالت أليس يقول الله: (وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) فقال: أوليس قال: (ثُمَّ نُنَجِّي الذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جُثِيّاً) [مريم: 71 - 72][1].

ذكروا عن عكرمة قال: ما أُحلّت الغنيمة قبلكم ولا حُرّمت الخمر على أحد قبلكم. وقال بعضهم: لم تحل الغنيمة إلا لهذه الأمة؛ كانت تجمع فتنزل عليها نار من السماء فتأكلها.

قال: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَلاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أي فلا تعصوه ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿يَـاأَيُّهَـا النَّبِي قُل لِّمَنْ فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَّعْلَـمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً ﴾ أي إسلاماً ﴿ يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ ﴾ أي يعطيكم في الدنيا خيراً مما أخذ منكم ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ أي كفركم وقتالكـم النبي. ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي لمن تاب وآمن وعمل صالحاً.

ذكروا أن رسول الله ﷺ لما قدم عليه مال البحرين أمر العباس أن يأخذ منه. فجعل العباس يحثى في جيوبه ويقول: هذا خير مما أخذ منا، وأرجو المغفرة مع ذلك.

وقال الحسن: إن النبي أطلق الأسارى فمن شاء منهم رجع إلى مكة، ومن شاء منهم أقام معه. ذكروا أن الطلقاء أهل مكة، والعتقاء أهل الطائف.

قوله: ﴿ وَإِنْ يُّرِيدُوا خِيَانَتَكَ ﴾ قال الحسن: يعني الطلقاء، بما أقروا لك به من الإيمان. ﴿ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي من قبل إقرارهم لك بالإيمان. وهي خيانة

---

(1) أخرجه مسلم وأحمد والترمذي وابن ماجة وغيرهم، أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة... عن أم مبشر الأنصارية امرأة زيد بن حارثة (رقم 2496). وأخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب ذكر البعث (رقم 4281).

(2) رواه الطبري في تفسيره ج 14 ص 73 - 74 عن قتادة مرسلاً، وعن ابن عباس.

فوق خيانة، وخيانة دون خيانة. قال: ﴿ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ حتى صاروا أسارى في يديك. ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

ذكر بعضهم قال: ذكر لنا أن رجلاً[1] كان يكتب لرسول الله ثم نافق ولحق بالمشركين بمكة فقال: والله ما كان محمد يكتب إلا ما شئت. فلما سمع ذلك رجل من الأنصار نذر لئن أمكنه الله منه ليضربنّه بالسيف. فلما كان يوم الفتح جاء به رجل من عامة المسلمين كانت بينه وبينه رضاعة فقال: يا نبي الله، هذا فلان قد أقبل تائباً نادماً. فأعرض عنه نبي الله. فلما سمع به الأنصاري أقبل متقلداً سيفه. فطاف به ساعة. ثم إن نبي الله قدم يده للمبايعة فقال: أما والله لقد تَلَوَّمتك[2] هذا اليوم لتوفي فيه نذرَك. فقال: يا نبي الله، هَيْبَتُك والله منعتني، فلولا أومضت إليّ[3]. قال: إنه لا ينبغي لنبي أن يومض، إنما بعثوا بأمر علانية ليس فيه دنس ولا رمس[4].

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا ﴾ أي إلى المدينة ﴿وَجَـٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِـمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يعني المهاجرين ﴿ وَالذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا ﴾ يعني الأنصار آووا المهاجرين لأنهم أهل الدار ونصروا الله ورسوله. ﴿ أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ يعني المهاجرين والأنصار.

ذكروا أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن بذلاً في كثير، ولا أحسن مواساة في قليل، قد كفونا المؤونة، وأشركونا في المَهْنَإِ؛ قد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: كلّا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم.

(1) قيل: هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

(2) تلوّم في الأمر: تمكّث وانتظر.

(3) أومض، أي: أشار إليه إشارة خفية، وهو من أومض البرق، ومنه أومضت المرأة إذا سارقت النظر.

(4) الرمس: الصوت الخفي. ورمس الخبر والحديث أخفاه وكتمه. وقد روى الطبري في تفسيره ج 14 ص 76 هذا الخبر عن قتادة في قصة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ولم ترد فيه الجملة الأخيرة.

قوله: ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلَايَتِهِم مِّنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾ هذا في الميراث.

قال بعضهم: نزلت هذه الآية فتوارث المسلمون زماناً بالهجرة. وكان الأعرابي المسلم لا يرث من قريبه المهاجر شيئاً. [ثم نسخ ذلك][1] في سورة الأحزاب في هذه الآية: (وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) [الأحزاب: 6] فخلط الله المؤمنين بعضهم ببعض وصارت المواريث بالملل.

غير واحد من العلماء أن رسول الله ﷺ قال: لا يتوارث أهل ملتين.

ذكر عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر، لا يتوارث أهل ملتين شتى [2].

وقال الحسن: أراد أن يحض الأعراب على الهجرة، فلم يكن الأعرابي يرث المهاجر ولا المهاجر الأعرابي. وهو منسوخ.

قوله: ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ لهم، يعني الأعراب، لحرمة الإسلام. ﴿ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ يعني أهل الموادعة وأهل العهد من مشركي العرب، من كان بينه وبين رسول الله عهد، فنُهِي المسلمون عن أهل ميثاقهم ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي: لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

قوله: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ أي في الألفة والجماعة على معاصي الله. ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾.

(1) جاء في المخطوطات الأربع: «حتى نزلت هذه الآية في سورة الأحزاب» وأثبت ما ورد في ز ورقة 122، وفي تفسير الطبري ج 14 ص 80.

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم، وكذلك أخرجه مسلم في أول حديث في كتاب الفرائض (1614) كلاهما عن أسامة بن زيد. وأخرجه الربيع ابن حبيب في مسنده في المواريث عن أسامة بن زيد، (671) وقال الربيع: يعني بالكافر ها هنا المشرك. وأخرجه أحمد في مسنده والترمذي في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

نزلت هذه الآية حين أُمِر النبي بقتال المشركين كافة، وقد كان قوم من المشركين يكونون بين رسول الله وبين حربه[1] من قريش. فإذا أرادهم رسول الله قالوا له: ما تريد منا ونحن كافّون عنك، وقد نرى ناركم. وكان أهل الجاهلية يعظمون النار لحرمة قرب الجوار، لأنهم إذا رأوا نارهم فهم جيرانهم. وإذا أرادهم المشركون قالوا: ما تريدون منا ونحن على دينكم. فأنزل الله: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ أي: فألحقوا المشركين بعضهم ببعض حتى يكون حكمكم فيهم واحداً. ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ ﴾ أي شرك ﴿ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾.

وقال بعضهم: كان [ينزل][2] الرجل بين المشركين والمسلمين فيقول: أيهم ظفر كنت معه، فأنزل الله في ذلك. فلا تراءى ناران: نار مشرك ونار مسلم إلا صاحب جزية مُقِرّ بها.

ذكروا أن رسول الله ﷺ بعث سرية إلى أناس من خثعم كان فيهم لهم وليجة[3] ولجوا إليهم. فلما رأوهم استعصموا بالسجود فقتل بعضهم. فبلغ ذلك النبي عليه السلام فقال: أَعطوهم نصف العقل. ثم قال يومئذٍ عند ذلك: ألا إني بريء من كل مسلم مع مشرك في داره. قيل: لِمَ يا رسول الله؟ قال: ألا لا تراءى ناراهما[4].

(1) أي: وبين أعدائه من قريش. يقال: أنا حرب لمن حاربني، وهم حرب، كذلك. وقيل إن الكلمة جمع حارب أو محارب على حذف الزائد، كما يقال هم قوم سفر لجماعة المسافرين. انظر اللسان (حرب).

(2) زيادة من تفسير الطبري، ج 14 ص 85 للإيضاح. والقول لقتادة، وفي آخره: «إلا صاحب جزية مقر بالخراج».

(3) الوليجة: بطانة الرجل وخاصته. وقيل هي: بطانة الرجل من غير أهله خاصة. وقال الفراء في معاني القرآن ج 1 ص 426: هي البطانة من المشركين. وقال السجستاني في غريب القرآن ص 204: «والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة».

(4) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود (2645) وأخرجه الترمذي في السير، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين، كلاهما من حديث جرير ابن عبد الله، ولفظه عند أبي داود: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، قالوا يا رسول الله، لم؟ قال لا تراءى ناراهما».

ذكر الحسن قال قال رسول الله ﷺ: لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم، فمن ساكنهم أو جامعهم فهو منهم[1]. وهذا مثل الحديث الأول.

قوله: ﴿وَالذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا﴾ يعني الأنصار ﴿أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ أي لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي الجنة.

﴿وَالذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدُ﴾ أي: من بعد فتح مكة ﴿وَهَاجَرُوا وَجَـٰهَدُوا مَعَكُمْ﴾ أي مع النبي عليه السلام والمؤمنين ﴿فَأُولَـٰئِكَ مِنْكُمْ﴾ أي مؤمنون مثلكم، ولا هجرة بعد فتح مكة. قال الحسن: يعني الهجرة التي كانت مع النبي عليه السلام. قال: إلا أن الهجرة إلى الأمصار قائمة إلى يوم القيامة.

ذكروا أن صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو ورجل آخر قد سموه[2] قدموا على النبي عليه السلام المدينة فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: إنا سمعنا أنه لا يدخل الجنة إلا من هاجر. فقال: إن الهجرة قد انقطعت، ولكن جهاد ونية حسنة[3]. ثم قال: أقسمت عليك أبا وهب، يعني صفوان بن أمية، لترجعن إلى أباطيح مكة[4].

قوله: ﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(1) أخرجه الترمذي في السير، في نفس الباب السابق عن سمرة بن جندب، وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الإقامة بأرض الشرك (2787). وانظر فقه هذين الحديثين في شرح السنة للبغوي ج 10 ص 244 - 247.

(2) ورد ذكره في ز، ورقة 222، وهو عكرمة بن أبي جهل.

(3) رواه الجماعة إلا ابن ماجة من حديث ابن عباس. فقد رواه البخاري في كتاب الحج، باب لا يحل القتال بمكة، ولفظه: قال النبي ﷺ يوم افتتح مكة: لا هجرة، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا...».

(4) روى الطبري في تفسيره ج 14 ص 83، «عن ابن عباس قال: ترك النبي ﷺ الناسَ يوم توفي على أربع منازل: مؤمن مهاجر، والأنصار، وأعرابي مؤمن لم يهاجر... والرابعة التابعون بإحسان». وانظر ترجمة صفوان بن أمية وقصته مع الرسول ﷺ في الاستيعاب لابن عبد البر، ج 2 ص 718، وفي سير أعلام النبلاء، ج 3 ص 405 - 408.

ذكروا أن أبا بكر الصديق قال: إن هذه الآية التي ختم الله بها سورة الأنفال: (وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) ممن جرت الرحم من العصبة.

ذكروا أن مجاهداً قال: هذه الثلاث الآيات في خاتمة الأنفال فيهن ذكر ما كان كتب رسول الله ﷺ بين مهاجري المسلمين من كانوا وبين الأنصار في الميراث، ثم نسخ ذلك في آخر السورة: (وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

تفسير سورة التوبة
وهي مدنية كلها[1]

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: قلت لعثمان بن عفان: كيف جعلتم الأنفال وهي من المثين مع براءة، وهي من الطول، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمٰـن الرحيم؟ فقال: إن رسول الله عليه السلام كان تنزل عليه الثلاث الآيات والأربع الآيات والخمس الآيات جميعاً وأقل من ذلك وأكثر فيقول: اجعلوا آية كذا وكذا في سورة كذا وكذا في موضع كذا وكذا، وأنه قبض ولم يقل لنا في الأنفال شيئاً، ونظرنا فرأينا قصصهما متشابها فجعلناها معها ولم نكتب بينهما سطر بسم الله الرحمٰـن الرحيم.

قوله: ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يعني بالبراءة براءة من العهد الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين مشركي العرب. يقول للنبي ﷺ وأصحابه: (بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ)، ثم أقبل على أهل العهد من المشركين فقال:

﴿ فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ وكان ذلك بقية عهدهم من يوم النحر إلى عشر ليالٍ يمضين من ربيع الآخر، وهو العام الذي حجّ فيه أبو بكر الصديق ونادى فيه عليّ بالأذان.

(1) أُذكّر أنه ورد في أول السور في مخطوطتي ق وع تعداد للآيات والكلمات والحروف، وهي من زيادة بعض النساخ ولا شك، وهي غير واردة في د وج، ولا في ز. لذلك لم أر ضرورة لإثباتها.

وفي تفسير الحسن أن النبي عليه السلام أمر أبا بكر أن يؤذن الناسَ بالبراءة. فلما مضى دعاه فقال: إنه لا يبلغ عني في هذا الأمر إلا من هو من أهل بيتي. وقال بعضهم: إلا من هو مني. فأمر بذلك علي بن أبي طالب، رضي الله عنه[1].

ذكر الأعمش عن بعض أشياخه أن النبي بعث ببراءة مع أبي بكر، ثم أتبعه علياً. فأمره أن ينادي بها. ورجع أبو بكر إلى النبي يبكي، فقال: يا رسول الله، هل أنزل في شيء؟ قال: لا. فذكر ما لا أحفظه[2] وحج أبو بكر بالناس[3] ذلك العام.

ذكروا أن مجاهداً قال: ﴿إِلَى الذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، يعني خزاعة ومدلج ومن كان له عهد غيرهم.

أقبل رسول الله ﷺ من تبوك حين فرغ منها، فأراد أن يحج. ثم إنه قال: إنه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة، ولا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك. فأرسل أبا بكر وعلياً فطافا بالناس بذي المجاز وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون فيها، وبالموسم كله، فآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر، وهي الأربعة الأشهر المنسلخات المتواليات: عشرون من آخر ذي الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر، ثم لا عهد لهم.

ذكروا أن أبا بكر أُمِّر يومئذٍ على الحاج، ونادى فيه علي بالأذان. وكان عام حجّ فيه المسلمون والمشركون، فلم يحج المشركون بعده.

---

(1) ذكره ابن هشام في السيرة ج 3 ص 549 عن أبي جعفر محمد بن علي.

(2) خبر رجوع أبي بكر إلى الرسول ﷺ هذا أورده الطبري في تاريخه ج 3 ص 122 - 123 بسند عن السدي. وفيه أن رسول الله ﷺ أجاب أبا بكر حين سأله هذا: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله أَنَزَل في شأني شيء؟ قال: لا، ولكن لا يُبلِّغ عني غيري، أو رجل مني. أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار، وأنك صاحبي على الحوض؟ قال: بلى يا رسول الله. فسار أبو بكر على الحج، وسار علي يؤذن ببراءة».

(3) سقط تفصيل هذا الخبر كله من د؛ حيث وثب الناسخ من كلمة الناس التي جاءت قبل خمسة أسطر إلى شبيهتها هنا؛ فجاءت العبارة في د هكذا: «أمر أبا بكر أن يؤذن الناس ذلك العام»، وهذا نموذج من سهو النساخ.

قوله: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ أي إنكم لستم بالذين تعجزون الله وتسبقونه في الأرض حتى لا يقدر عليكم. ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَـٰفِرِينَ ﴾.

قال: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [أي وإعلام من الله ورسوله](1)، يعني بالأذان أن يؤذن للناس بذلك. ﴿ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ أي يوم النحر.

ذكروا عن علي قال: سئل رسول الله ﷺ عن يوم الحج الأكبر فقال: هو يوم النحر(2).

ذكر عن الحسن قال: إنما كان عاماً ولم يكن يوماً، يعني ذلك العام.

ذكروا عن مجاهد قال: وأذان من الله ورسوله إلى الناس كلّهم بالقتال إلا أن يؤمنوا وقال: الحج الأكبر، حين الحج، أيامه كلها.

قوله: ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ أي إن لم يؤمنوا ﴿ فَإِنْ تُبْتُمْ ﴾ يقول للمشركين: فإن تبتم من الشرك فأسلمتم ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أي عن الله ورسوله وعن دينه ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ أي لستم بالذين تعجزون الله فتسبقونه حتى لا يقدر عليكم.

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي بالقتل قبل عذاب الآخرة.

ثم رجع إلى قصة أصحاب العهد فقال: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً ﴾ أي لم يضروكم شيئاً ﴿ وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا ﴾ أي لم يعاونوا ﴿ عَلَيْكُمْ أَحَداً ﴾ من المشركين ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ أي إلى الأجل الذي عاهدتموهم عليه من يوم النحر إلى عشر يمضين من شهر ربيع الآخر. ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾.

قوله: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ ذكروا

(1) زيادة من ز، ورقة 123.

(2) أخرجه الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن علي رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ؛ فكان هو السائل عن يوم الحج الأكبر. انظر الدر المنثور ج 3 ص 211.

عن بعضهم قال: إنه ذكر في أول السورة أهل العهد فقال: (فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ) من يوم النحر خمسين ليلة إلى انسلاخ المحرم لمن لا عهد له. فأمر الله نبيه إذا مضى هذا الأجل في المشركين ممن لم يكن له عهد فقال: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ).

قال: ﴿ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ فأمر بقتالهم في الحلّ والحرم وعند البيت حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وأمره في أهل العهد أن يتم لهم عهدهم أربعة أشهر بعد يوم النحر إلى عشر يمضين من ربيع الآخر، ثم يُقتَلون حيث وجَدَهم.

قال الحسن: (فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ) الأشهر الحرم في هذا الموضع الأشهر التي أُجِّلوا فيها والتي كانوا يَحْرُمون فيها على المسلمين لأنهم في عهد منها[1]، آخرها عشر ليالٍ يمضين من شهر ربيع الآخر؛ وسمّاها حرماً لأنه نهى عن قتالهم فيها وحرّمه. وقول الكلبي مثل القول الأول، لهم خمسون ليلة إلى انسلاخ المحرّم ثم يقتلون حيث وُجِدوا.

قال: ﴿ فَإِنْ تَابُوا ﴾ أي من الشرك ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ ﴾ أي وأقروا بالزكاة، لأن من المسلمين من لا تجب عليهم الزكاة ﴿ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي يغفر لهم الكفر إذا آمنوا. كقوله: (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ) [الأنفال: 38].

وقال بعضهم في قوله: (إِلَّا الذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ المُشْرِكِينَ).. إلى آخر الآية، قال: هم مشركو قريش الذين عاهدهم نبي الله زمان الحديبية، وكان عهدهم أن لا إغلال ولا اسلال[2]. فغلّوا نبي الله ونكثوا العهد وظاهروا المشركين على المسلمين.

(1) كذا في المخطوطات، ولعل صوابها «في عهد منهم».
(2) لا إغلال ولا إسلال، أي: لا خيانة ولا سرقة، يقال: غلّ يغلّ غلولاً، وأغلّ بمعنى خان خيانة. ورجل مُغِلّ مُسِلّ، أي: صاحب خيانة وسلّة. قال شريح: ليس على المستعير غيرِ المغِلّ ولا =

قوله: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾ ليسمع كلام الله ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ فإن أسلم أسلم وإن أبى أن يسلم فـ[1]﴿ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ أي لا تحركه حتى يبلغ ما منه. قال الحسن: هي محكمة إلى يوم القيامة.

وقال مجاهد: هو إنسان يأتيه فيسمع كلام الله ويسمع ما أنزل الله فهو آمن حتى يبلغ مأمنه من حيث جاء. قال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ وهم المشركون.

وقال الكلبي: إن أناساً من المشركين ممن لم يكن لهم عهد ولم يوافوا الموسم ذلك العام بلغهم أن رسول الله أمر بقتال المشركين ممن لا عهد له إذا انسلخ المحرم. فقدموا على رسول الله بالمدينة ليجدّدوا حِلفاً، وذلك بعد ما انسلخ المحرّم، فلم يصالحهم رسول الله إلا على الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأبوا، فخلّى رسول الله سبيلَهم حتى بلغوا مأمنهم. وكانوا نصارى من بني قيس بن ثعلبة، فلحقوا باليمامة حتى أسلم الناس، فمنهم من أسلم، ومنهم من أقام على نصرانيته.

قوله: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [أي ليس العهد إلا لهؤلاء الذين لم ينكثوا][2].

وقال مجاهد: هم قوم كان بينهم وبين النبي عهد ومدة، فأمره أن يوفي لهم بعهدهم ما أوفوا، ولا ينبغي للمشركين أن يقربوا المسجد الحرام.

قال: ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ ﴾ أي على العهد ﴿ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾ عليه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾.

قال: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ أي: كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله وأن يظهروا عليكم ﴿ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾. قال بعضهم: الإل: الجوار، والذمة: العهد.

= على المستودَع غير المغِل ضمان أي: إذا لم يخن في العارية والوديعة فلا ضمان عليه. انظر اللسان (غلل).

(1) في الآية القرآنية: (ثُمَّ أَبْلِغْهُ).

(2) زيادة من ز، ورقة 123.

وقال مجاهد: إلًّا ولا ذمة: عهداً ولا ذمة. وقال الكلبي: الإل: الحلف، والذمة: العهد. وقال بعضهم: الإل: القرابة، والذمة: العهد.

قوله: ﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾ وهم المنافقون في تفسير الحسن؛ وهو ما أقروا به من التوحيد فأصابوا به الغنائم والحقوق، وحقنوا دماءهم وأموالهم وذراريهم ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ وهذا فسق نفاق، وهو دون فسق الشرك.

﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ أي: عرضاً من الدنيا يسيراً. ﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ﴾ أي: فصدّوا الناس عن دينه ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: بئس ما كانوا يعملون.

وقال مجاهد: هو أبو سفيان أطعم حلفاءه وترك حلفاء محمد عليه السلام.

قوله: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾. وقد فسّرنا ذلك واختلافهم فيه. ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ وهو من باب الإعتداء. اعتدوا على الله وعلى رسوله وأهل دينه.

﴿ فَإِن تَابُوا ﴾ أي: من الشرك ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.

ذكر أبو هريرة وغيره قال: قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله[1]. وقد فسرنا «إلا بحقها» في غير هذا الموضع[2].

(1) انظر تخريجه فيما مضى من الجزء الأول ص 573، تعليق: 2. وفي ق وع. وردت العبارة هكذا: «فقد عصموا مني دماءهم. . .».

(2) هذه الجملة الأخيرة من الشيخ هود الهواري. وقد فسّر هذه العبارة «إلا بحقها» بمناسبة تفسير قوله تعالى من سورة الأنعام آية: 151 فقال: «فينبغي أن يتفهّم الناس هذه النكتة إلا بحقها؛ وحقّها ما وصفنا من رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً متعمداً، أو قاتل على البغي فقُتل عليه».

وقد زعم الحسن أن رسول الله ﷺ قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـه إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. وفي ذلك دليل على أن الإيمان قول وعمل، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتوا الزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ [البينة: 5]. ومن قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فهو يقول: هو أول ما يدعون إليه: شهادة أن لا إله إلا الله، ثم يدعون بعد ذلك إلى الصلاة وإلى الزكاة، فإن أبوا لم يقبل منهم[1].

قوله: ﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَٰنَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾ قال بعضهم: من أئمة الكفر أبو سفيان وأمية بن خلف وأبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وسهيل بن عمرو، وهم الذين نكثوا العهد بينهم وبين نبي الله وهمّوا بإخراجه من مكة.

قال: ﴿ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَٰنَ لَهُمْ ﴾ أي لا عهد لهم ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ أي لعل من لم يقتل منهم أن ينتهي عن كفره مخافة القتل.

وفي تفسير الكلبي أن رسول الله ﷺ كان وادع أهل مكة سنين، وهو يومئذٍ بالحديبية، فحبسوه عن البيت، وصالحوه على أنك ترجع عامك هذا، ولا تطأ بلدنا، ولا تنحر البدن بأرضنا، وأن نخليها لك عاماً قابلاً ثلاثة أيام، ولا تأتينا بالسلاح. إلا سلاحاً يجعل في قرابه، وأنه من صبا إليك منا فهو إلينا ردّ. فصالحهم رسول الله على ذلك، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا.

ثم إن حلفاء رسول الله من خزاعة قاتلوا بني أمية من كنانة، فأمدت بنو أمية حلفاء هم بالسلاح والطعام. فركب ثلاثون رجلاً من حلفاء رسول الله ﷺ من خزاعة، فيهم بديل بن ورقاء؛ فناشدوه الله والحلف. فأُمر رسول الله ﷺ أن يُعين حلفاءه، فأنزل الله على نبيه: ﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا

(1) وهذا الشرح والتعليق أيضاً من زيادة الشيخ هود، فهو يقف، كلما وردت عبارة توحي بمعنى من معاني الإرجاء ليرد فكرة الإرجاء ويفندها بالحجج.

أَئِمَّةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ)، أي لا عهد لهم (لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ).

قوله: ﴿ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾ قال الحسن: من المدينة ﴿ وَهُمْ بَـدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَـرَّةٍ ﴾ فـاستحلّوا قتـال حلفـائكم ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ على الاستفهام، فلا تقاتلوهم ﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُم مُّؤمِنِينَ ﴾ أي: إذ كنتم مؤمنين، فالله أحق أن تخشوه، وليس أحد أشدَّ خشية لله من المؤمنين.

﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ يعني القتل في الدنيا ﴿ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾. والقوم المؤمنون الذين شفى الله صدورَهم حلفاءُ رسول الله من مؤمني خزاعة؛ فأصابوا يومئذٍ، وهو يوم فتح مكة، مقيس بن صبابة[1] في خمسين رجلاً من قومه.

وقال مجاهد: وهم بدأوكم أول مرة، أي قاتلوا حلفاء محمد عليه السلام. قال: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: خزاعة، حلفاء محمد، من آمن منهم.

ذكر عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة، كُفّوا السلاح إلا خزاعة من بني بكر[2].

---

(1) في المخطوطات الأربع: «مقسم» وفيه تصحيف صوابه ما أثبت من ز، ورقة 124، ومن سيرة ابن هشام، ج 2 ص 293، ومن جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص 182: «مِقْيَس بن صُبابة». وهو الذي أهدر رسول الله ﷺ دمَه يوم فتح مكة، وكان قَدِم المدينة مُظْهراً إسلامَه، ومُطالباً بدية أخيه هشام. فأمر له النبي عليه السلام بدية أخيه. ولكنّه عدا، بعد مدّة، على قاتل أخيه فقتله، ورجع إلى مكة مرتداً، وقال في ذلك شعراً.

(2) كذا في المخطوطات الأربع: «كفّوا السلاح إلا خزاعة من بني بكر». ومعنى هذا الحديث أن النبي عليه السلام أمر الناس أن يكفوا عن القتال، قتال المشركين يوم الفتح، إلا خزاعة فقد استثناها من هذا الأمر لتنتقم من بني بكر الذين كانوا قاتلوهم قبل الفتح، وأعانتهم في ذلك قريش. وكان هذا الاستثناء، لدى المفسّرين، هو معنى قوله تعالى: (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ): مؤمني خزاعة، حلفاء النبي عليه السلام. وقد أورد هذا الحديث أبو عبيد القاسم ابن سلام مسنداً في كتاب الأموال ص 145 وبتفصيل أكثر. ولفظه: «كفوا السلاح إلا خزاعة عن بني =

ذكر بعضهم قال: كان يقال: ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لا يزيده إلا شدة، ولا حلف في الإسلام[1].

قوله: ﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ ﴾ أي من أهل مكة ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا ﴾ أي: فلا يفرض عليكم الجهاد ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ ﴾ أي: ولما يعلمكم فاعلين لما فرض عليكم، وهو علم الفعال[2]. ﴿ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾. أي: دخلا. وقال بعضهم: بطانة، وهو واحد. أي: مثل ما صنع المنافقون ﴿ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِم) أي: إلى الكفار المشركين (قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) [البقرة: 14] أي: في المودة والهوى. قال الله: ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾ وهذا كفر الشرك، وهذا حين نفي المشركون من المسجد الحرام.

قوله: (شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ) يقول: كلامهم يشهد عليهم بالكفر. ﴿ أُولَئِكَ حَبِطَت أَعْمَالُهُمْ ﴾ في الدنيا والآخرة. ﴿ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾.

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ يعني الكعبة[3] لأنها مسجد جميع الخَلْق، إليها

= بكر، فإن لهم حتى صلاة العصر. ثم قال: كفوا السلاح». وذكر ابن هشام في السيرة، ج 3 ص 414 - 416 أن خزاعة عدت في الغد من يوم الفتح على رجل مشرك من هذيل، فقتلوه في الحرم، فقال النبي عليه السلام: يا خزاعة، ارفعوا أيديكم عن القتال، فقد كثر القتل إن نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأدِيَنَّهُ. وانظر تفسير الطبري ج 14 ص 160 - 161.

(1) حديث صحيح. رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه عن جبير بن مطعم (رقم 2530)، ورواه ابن جرير عن ابن عباس، ورواه أحمد عن قيس بن عاصم أنه سأل النبي عليه السلام عن الحِلْف فقال: ما كان من حِلف في الجاهلية فتمسّكوا به، ولا حِلف في الإسلام.

(2) جاء في ز، ورقة 124 ما يلي: «قال محمد: قد علم الله قبل أمرهم بالقتال من يقاتل ممن لا يقاتل، ولكنه كان يعلم ذلك غيباً، فأراد الله العلم الذي يجازي به وتقوم به الحجة، وهو علم الفعال.

(3) هذا قول غير مسلّم به. لأنه لا خلاف في أن القراءة وردت في قوله تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ =

يؤمـون. ﴿ مَن ءَامَنَ بِـاللَّهِ وَاليَـوْمِ الآخِـرِ وَأَقَـامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الـزَّكَـاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَـٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ المُهْتَدِينَ ﴾ وعسى من اللّهِ واجبة.

قوله: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الأخِرِ وَجَـٰهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي لا يكونون بالظلم عند الله مهتدين. وهو ظلم فوق ظلم وظلم دون ظلم.

ذكروا أن مجاهداً قال: أمروا بالهجرة فقال عباس بن عبد المطلب: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة، أخو بني عبد الدار: وأنا حاجب الكعبة، فلا نهاجر[1]. فنزلت هذ الآية. . . إلى قوله: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ). وكان هذا قبل فتح مكة.

وقال الحسن: اختلف أناس من أصحاب النبي عليه السلام فقال بعضهم: من أقام على السقاية للمسجد الحرام أفضل ممن جاهد. وقال بعضهم: المجاهد في سبيل الله أفضل ممن أقام على السقاية وعمَر المسجد الحرام[2]. وقال بعضهم: بلغنا أن الذي ذُكِر بالجهاد في هذا الموضع علي بن أبي طالب.

قوله: (لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ) قال الحسن: أي: إن المؤمن المجاهد أفضل. أي أهل هذه الصفة ليسوا سواء.

= اللَّهِ) بالجمع؛ فالمقصود بها أذاً جميع المساجد، حتى يشمل فضل العمارة جميع بيوت الله، وينال أجرَها كلُّ مؤمن يعمر أي بيت من بيوت الله. أما في الآية السابقة: (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ) فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو فيها على التوحيد: (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ) وقرأ الباقون بالجمع، فيمكن أن يكون المقصود بها الكعبة البيت الحرام دون غيرها من المساجد. وهذا وجه له حظ قوي من النظر. انظر الحجة لابن خالويه ص 149. والتيسير للداني، ص 118.

(1) وقع اضطراب في النسخ في الاستشهاد بالآية. فقد ورد في ق و ع وج بعد قوله: «فلا نهاجر» هذه الجملة: «فأنزل الله: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَـاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ). . .» وهذا خطأ أثبت صوابه من ز، ورقة 124.

(2) في بعض المخطوطات: «الجهاد في سبيل الله أفضل ممن أقام على السقاية. . . والتعبير صحيح له في الأسلوب العربي نظائر، بل له نظير في هذه الآية نفسها.

قال: ﴿ الذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَـٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِـمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ممن أقام على السقاية وعَمَر المسجد الحرام. ﴿ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ أي: الناجون من النار إلى الجنة.

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْـوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ أي: دائم لا يزول. ﴿خَـٰلِدِين فيها ﴾ أي في الجنة ﴿ أَبَداً ﴾ أي: لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُـمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي لا تتولوهم على معاصي الله ﴿ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَـٰنِ﴾ أي إن اختاروا الكفر على الإيمان ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ ﴾ أي من المؤمنين على الكفر ﴿ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الظَّـٰلِمُونَ﴾.

يقول: من تولى مشركاً فهو مشرك، ومن تولى منافقاً فهو منافق، وهو بولايتهما جميعاً ظالم، وهو ظلم فوق ظلم، وظلم دون ظلم. وهو كقوله: (لَا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ). [المائدة: 51] أي لا يكونون بظلم الشرك والنفاق مهتدين عند الله.

قوله: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُـمْ وَأَزْوَٰجُكُـمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِي اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ قال الحسن: الغنيمة. وقال مجاهد: فتح مكة. ﴿ واللَّهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الفَـٰسِقِينَ﴾.

قال بعضهم: الفاسقون ها هنا المشركون الذين يموتون على شركهم(1).

وقال بعضهم: الآية جامعة محتملة لفسق الشرك والنفاق، يقول: (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ) أي لا يكونون بالفسق مهتدين عند الله، من فاسق مشرك أو

(1) هذا قول يحيى بن سلام، وهو موجود في ز، ورقة 124. أما القول الذي جاء بعده فهو للشيخ هود الهواري فهو برأيه أشبه وإلى أسلوبه أقرب.

منافق؛ وهو فسق فوق فسق، وفسق دون فسق.

قوله: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ يعني يوم بدر والأيام التي نصر الله فيها النبي عليه السلام والمؤمنين. وقال مجاهد: يعرفهم بنصره ويوطئهم[1] لغزوة تبوك!.

قال: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ أي بسعتها ﴿ ثُم وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ أي منهزمين.

وذلك أن رسول الله ﷺ سار إلى حنين، بعد فتح مكة، فلقي بها جمع هوازن [وثقيف وهم][2] قريب من أربعة آلاف، ورسول الله في قريب من عشرة آلاف في تفسير الكلبي. وقال بعضهم: وهو في اثني عشر ألفاً.

فلما التقوا قال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: لن نغلب اليوم من قلّة. فوجد رسول الله ﷺ من كلمته وجداً شديداً. وخرجت هوازن ومعها دريد بن الصمة، وهو شيخ كبير، فقال دريد: يا معشر هوازن، أمعكم من بني كلاب أحد؟ قالوا: لا. قال: أفمن بني كعب أحد؟ قالوا: لا. قال: أفمن بني عامر؟ قالوا: لا. قال: أفمعكم من بني هلال بن عامر أحد؟ قالوا: لا. قال: أما والله لو كان خيراً ما سبقتموهم إليه، فأطيعوني وارجعوا، فعصوه فاقتتلوا. فانهزم أصحاب رسول الله ﷺ حتّى قال رسول الله ﷺ: إليّ عباد الله[3]. فأخذ العباس بثفر[4] بغلة رسول الله ثم نادى: يا

(1) في ق وع: يوطئهم، وفي ج ود: يوطنهم، وكلا المعنيين من التوطئة بمعنى التسهيل والتهيئة النفسية. والتوطين، بمعنى التعويد، محتمل.

(2) زيادة من ز، ورقة 125.

(3) جاء في مغازي الواقدي ج 3 ص 897 - 898 عن أنس: «فسمعت رسول الله ﷺ، والتفت عن يمينه ويساره، والناس منهزمون، وهو يقول: يا أنصار الله وأنصار رسوله». وفي سيرة ابن هشام ج 3 ص 443 جاء نداء رسول الله عليه السلام بهذا اللفظ: «أين أيها الناس، هلمّوا إليّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله».

(4)) الثفر، بالتحريك: السير الذي في مؤخر السرج، وثفر الدابة: الذي يجعل تحت ذنبها. انظر اللسان: (ثفر).

معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة، يا معشر الأنصار الذين آووا ونصروا، إن هذا رسول الله عليه السلام، هلمّ لكم. وكان العباس رجلاً صيّاحاً[1]. فاسمع الفريقين كليهما. فأقبلوا جميعاً. فأما المؤمنون فأقبلوا لنصر الله ونصر رسوله، وأما المشركون فأقبلوا ليطفئوا نور الله. فالتقوا عند رسول الله، واقتتلوا قتالاً شديداً.

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾. والسكينة في تفسير الحسن الوقار. وقال بعضهم: الرحمة. ﴿ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ يعني الملائكة ﴿ وَعَذَّبَ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي بالقتل. وهو عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الكَـٰفِرِينَ﴾.

ذكروا أن رجلاً من بني نصر قال للمؤمنين وهو في أيديهم أسير: أين الخيل البلق والرجال الذين عليهم الثياب البيض؟ وإنما كان قتلنا بأيديهم، ما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة. قالوا: تلك الملائكة.

قال الله: ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَّشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

ذكروا أن حنيناً ما بين مكة وبين الطائف، قاتل عليه نبي الله يومئذٍ هوازن وثقيفاً.

ذكر لنا أنه خرج مع نبي الله يومئذٍ اثنا عشر ألفاً؛ عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وألفان من الطلقاء. فقال رجل يومئذٍ: لن نغلب اليوم لكثرة. فجلوا عن رسول الله ﷺ حتى نزل عن بغلته الشهباء فقال: يا ربّ أين ما وعدتني. وجعل ينادي: يا معشر المهاجرين، [يا معشر الأنصار][2]. فالتفت فإذا عصابة من الأنصار

---

(3) كذا في ع وق وج ود: «رجلاً صياحاً» وفي ر، ورقة 125: «رجلاً صيّتاً» أي شديد الصوت عاليه.

(4) زيادة من ز، ورقة 125. وقد جاءت هذه الرواية هنا مختصرة. وقد أوردها الطبري مفصلة عن قتادة في تفسيره ج 14 ص 180. واقرأها مفصلة أيضاً في كتب السير والتاريخ تجد ما قاله الرسول عليه السلام في هذه الغزوة.

فقال: أما معكم غيركم؟ فقالوا: والله يا نبي الله، والله لو عمدت بنا إلى نعمان[1] من ذي يمن لكنا معك. ثم أنزل الله نصره، وهزم عدوه وتراجع المسلمون.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قال بعضهم: الأنجاس: الأخباث. وقال بعضهم: الأقذار. ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ يعني العام الذي حج فيه أبو بكر ونادى فيه علي بالأذان. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع.

قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ وهي الفاقة ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِّن فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. كانوا يصيبون في مواشيهم في أسواقهم[2]. فلما أمر الله أن يُنفى المشركون عن المسجد الحرام إذا انقضى الأجل الذي بقي من عهدهم فلا يقربوا المسجد الحرام بعد ذلك العام، قال: (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً)[3] لما كانوا يصيبون

(1) جاء في تفسير الطبري ج 14 ص 180: «إلى برك الغماد من ذي يمن» وفي اللسان: برك ونعمان موضعان من أطراف اليمن. ونعمان حصن في جبل وصاب باليمن من أعمال زبيد، وهو اسم لِحصْنين آخرين باليمن. انظر ياقوت، معجم البلدان ج 5 ص 294.

(2) كذا في ق وع ود: «في مواشيهم في أسواقهم». ولست مطمئناً إلى كلمة مواشيهم هنا، ولم أرَ وجهاً لاختصاصها من سائر ما يصيبون من المشركين. ولعل صواب العبارة: «يصيبون في مواسمهم وفي أسواقهم». وجاء تفسير هذا في ز، ورقة 125 بعبارة أوضح، جاء فيه: «كان لأهل مكة مكسبة ورفق ممن كان يحج من المشركين، فلما عزلوا عن ذلك اشتد عليهم فأعلمهم الله أنه يعوضهم من ذلك».

(3) العَيْلَة مصدر عالَ يعيل إذا افتقر. قال أُحيحة بن الجلاح الأوسي من قصيدة مطلعها:

صحوتُ عن الصِّبَا والدهرُ غُولُ ونفسُ المرء آوِنَةً قَتولُ

إلى أن يقول:

وما يدري الفقيرُ متى غِنَاه وما يدري الغني متى يَعِيلُ

... وفيها:

وما تدري وإن أجمعت أمراً بأي الأرضِ يُدركُكَ المَقِيلُ

وانظر الأبيات عند أبي زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب ج 2 ص 648، 650. وانظر مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 255.

من أسواقهم في المواشي ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

﴿قَـٰتِلُوا الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ﴾ أي دين الإسلام، وهو دين الحق ﴿ مِنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ فأمر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يقروا بالجزية. فجعل الله للمسلمين مكان ما كانوا يصيبون في أسواقهم في مواشيهم الجزية الدَّارّة، تؤخذ من أهل الكتاب كل عام عن ظهر يد. وجميع المشركين، ما خلا العرب، بتلك المنزلة. إذا أقروا بالجزية قبلت منهم.

وقال بعضهم: كان المسلمون يبايعون المشركين وينتفعون منهم؛ فلما عزلوا عن ذلك اشتد ذلك على المسلمين، فأنزل الله هذه الآية، فأغناهم الله بالجزية الجارية، يأخذونها شهراً شهراً، وعاماً عاماً.

وقال مجاهد: قال المؤمنون: كنا نصيب من متاجر المشركين، فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله عوضاً لهم بألا يقربوا المسجد الحرام.

قال مجاهد: هذه الآية مع أول براءة في القراءة، ومع آخرها في التأويل. وقال مجاهد: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾: أمر النبي وأصحابه بغزوة تبوك.

ذكر الحسن أن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس البحرين وأخذ عمر من فارس.

ذكر أن عمر سأل عن المجوس فقال عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سنّوا فيهم سنّة أهل الكتاب[1].

(1) روى البخاري في كتاب الجهاد، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، وروى كذلك أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في أخذ الجزية من المجوس كلاهما يروى عن بجالة قال: «... ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن =

ذكروا أن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس البحرين، وأخذ عمر من فارس، وأخذ عثمان من البربر. قال: وأما من دخل من العرب في أهل الكتاب فقد فسّرنا ذلك في سورة البقرة[1].

ذكروا أن خالد بن الوليد صالح نصارى بني تغلب بالشام على الضعف مما يؤخذ من المسلمين من مواشيهم، ثم كتب بذلك إلى عمر فأجازه.

ذكروا أن علياً قال: لا تأكلوا ذبائح نصارى العرب، فإنهم لم يبلغوا من النصرانية إلا شرب الخمر. قال: فكان يرى قتلهم إن لم يسلموا. وأحبّ ذلك إلينا أنه من كان دخل في أهل الكتاب قبل أن تنزل الآية فهم منهم، ومن دخل بعد نزول الآية لم يقبل منه ذلك وقتل.

قوله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ قال الله عزّ وجلّ: ﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ ﴾ أي يشابهون ﴿ قَوْلَ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ قال بعضهم: ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم، قالت النصارى المسيح بن الله، وقالت اليهود عزير بن الله. ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُوفَكُونَ ﴾ أي لعنهم الله جميعاً كيف يُصرفون، أي عن الحق.

قوله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ أي اتخذوه ربا ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهاً وَاحِداً ﴾ وهو الله ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لا شريك له ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ ينزّه نفسه ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

ذكروا عن عدي بن حاتم الطائي أنه قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: يا عديّ، ألقِ هذا عن عنقك. قال: وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة. فلما أتى على هذه الآية: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ) قلت: إنا لا

= رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر. وفي رواية قال عبد الرحمن بن عوف: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: سنوا بهم سنة أهل الكتاب، انظر البغوي، شرح السنة ج 11 ص 168 - 169 (رقم 2750 - 2751).

(1) انظر ما سلف من هذا التفسير، ج 1 ص 240.

نتخذهم أرباباً من دون الله. قال: أليس يحلّون لكم ما حرّم عليكم فتستحلونه، ويحرّمون عليكم ما أحلّ الله لكم فتحرمونه؟ قلت بلى. قال: فتلك عبادتهم[1].

قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي ما يدعون إليه من اليهودية والنصرانية، وما حرّفوا من كتاب الله. ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ أي القرآن والإسلام والنصر لنبيه والمؤمنين ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْكَـٰفِرُونَ﴾ أي الكافرون جميعاً، من كافر مشرك وكافر منافق، وهو كفر فوق كفر وكفر دون كفر.

قوله: ﴿ هُوَ الذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾.

ذكر الحسن قال قال رسول الله ﷺ: الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد. وأنا أولى الناس بعيسى لأنه ليس بيني وبينه نبي. وإنه نازل لا محالة. فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع الخلق، بين ممصرتين من الحمرة والبياض، سبط الرأس، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل. فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويقاتل الناس على الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام، حتى يقع الأمان في الأرض، حتى ترتع الأسد مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً[2].

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى إبْنُ مريم، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب، وحتى يكون الدين واحداً[3].

(1) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 289. تعليق: 2.

(2)أخرجه أحمد، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام عن أبي هريرة بألفاظ شبيهة بهذه (رقم 2365) كما أخرجه الطبري في تفسيره ج 6 ص 549، وانظر ما سلف، ج 1 ص 437.

(3) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام عن أبي هريرة بلفظ: والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً... وأخرجه أحمد عن أبي هريرة أيضاً، وأخرجه الترمذي في أبواب الفتن، باب ما جاء في نزول عيسى بن مريم.

ذكروا عن عائشة أنها قالت: لا تقولوا لا نبي بعد محمد، وقولوا خاتم النبيين، فإنه سينزل عيسى بن مريم حاكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، فيقتل الدجّال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، وتضع الحرب أوزارها.

ذكروا أن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يبقى بيت وبر ولا مدر إلا أدخله الله كلمة الإسلام، تعز عزيزاً وتذل ذليلاً؛ إما أن يعزهم الله فيجعلهم من أهلها، وأما أن يذلهم فيدينون لها.

وفي تفسير الحسن: حتى يكون الحاكم على الأديان كلها. فكان ذلك حتى ظهر على عبدة الأوثان كلها، وحكم على اليهود والنصارى فأخذ منهم الجزية ومن المجوس.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: [في قوله تعالى: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ] يعني شرائع الدين كلها فلم يقبض رسول الله ﷺ حتى أتمّ الله ذلك كله.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَـٰطِلِ﴾ يعني ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكم وعلى ما حرفوا من كتاب الله، وكتبوا كتاباً بأيديهم على ما يهوون، ثم قالوا: هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً أي عرضاً من الدنيا يسيراً، وهو ما كانوا يأخذون. ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن محمد والإسلام.

قوله: ﴿وَالذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي موجع ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.

قال الحسن: تُحشر تلك الأموال يوم القيامة بأعيانها، فيُحمى عليها، فتُكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. (هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَاكُنتُمْ تَكْنِزُونَ) يعني من وجب عليه الانفاق في سبيل الله.

(1) أخرجه أحمد عن المقداد بن الأسود وعن تميم الداري بألفاظ متقاربة.

ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: والذي لا إلـه غيره، لا يُكوى رجل بكنزٍ فيمسي دينار ديناراً، ولا درهم درهماً، ولكن يُوسّع لذلك جلده.

ذكروا عن أبي ذر وأبي هريرة أنهما قالا: كلّ صفراء وبيضاء أوكأ عليها صاحبها فهي كنز حتى يفرغها، فينفقها في سبيل الله.

ذكروا عن الزهري أنه قال: نسخت آية الزكاة الكنز. وقال بعضهم: نَسَخت الزكاةُ كلَّ صدقة كانت قبلها.

ذكروا عن ابن عمر أنه قال: كل مال تؤدى زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً، وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً. وذكروا عن ابن عباس مثل ذلك.

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: من أدّى زكاة ماله فقد أدّى حقَّ الله في ماله، ومن زاد فهو خير له[1].

قوله: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَـٰبِ اللَّهِ ﴾ [قال الحسن: في كتاب الله][2] الذي نسخ منه كتب الأنبياء وفي جميع كتب الله ﴿ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرّم ﴿ ذَٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ﴾ يعني أنه حرّم على ألسنة أنبيائه هذه الأربعة الأشهر.

قوله: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي في الاثني عشر كلها. وفيها تؤدى الزكاة في كل اثني عشر شهراً مرة. وقد عظّم الله هذه الأربعة الأشهر فجعلها حُرُماً.

وقال بعضهم: (لَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) يقول: إن الظلم فيهن أعظم خطيئة ووزراً من الظلم فيما سوى ذلك.

---

(1) ترجم البخاري في كتاب الزكاة: باب ما أدى زكاته فليس بكنز. وأخرج الترمذي حديثاً عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: إذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك. وبهذا اللفظ الأخير أخرجه أيضاً ابن ماجة في كتاب الزكاة، باب ما أدى زكاته فليس بكنز عن أبي هريرة (رقم 1788).

(2) زيادة من ز، ورقة 126.

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنّه قال: سيِّد الشهور رمضان، وأعظمها حرمة ذو الحجة[1].

ذكر الحسن قال: قيل يا رسول الله: أي الشهور بعد رمضان أفضل؟ قال: شهر الله الأصم: المحرم.

قوله: ﴿وَقَـٰتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ أي: جميعاً، كما يُقَـٰتِلُونَكُمْ جميعاً ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون لهم والنصر على عدوهم.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ قال الحسن: النسيُّ من النسئة، وهو التأخير، كانوا يجعلون هذه الأربعة الأشهر الحرم في عام متوالية، فيجعلون ذا القعدة وذا الحجة والمحرم وصفر، فيقولون: قد أنْسأْنا العام رجباً، أي أخرناه، فيجعلونها في العام المقبل على منزلتها، فقال الله: (إِنَّمَا النَّسِيُّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ). يقول: إنساؤهم رجباً. أي: تأخيرهم رجباً، وتحريفهم أمر الله زيادة في الكفر، أي زيادة في كفرهم.

﴿يَضِلُّ بِهِ الذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي: وهم في ذلك يواطئون العدة فيها ولا ينقصون منها، إلا أنهم يحلّون ما حرّم الله؛ ورجب مما حرّم الله.

قال الكلبي: النسي هو المحرم؛ كانوا يسمّونه صفر الأول. وكان الذي يُحله للناس جنادة بن عوف الكناني[2]. كان ينادي بالموسم: ألا إن صفر الأول حلال، فيحلُّه للناس، ويحرّم صفر مكان المحرم. فإذا كان العامُ المقبلُ حرّم المحرمَ وأحلَّ صفرَ.

---

(1) هذا الحديث والذي يليه معناهما واحد في فضيلة شهر الصيام، ولم أجدهما بهذا اللفظ. فيما بين يدي من مصادر التفسير والحديث. وقريب منهما ما رواه مسلم في كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم (رقم 1163) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل.

(2) قال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب، ص 494 ما يلي: «كان القلمس، وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة ابن الحارث بن مالك بن كنانة، أول من نسأ الشهور، ثم وردث ذلك عنه بنوه، وكان آخرهم أبا ثمامة جنادة بن عوف بن سلمة بن قلع بن عباد بن حذيفة».

ذكروا أن مجاهداً قال: كانوا يحرمون المحرم عاماً ويحرمون صفر عاماً. وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم يفعلـونه.

وقال بعضهم: كان أناس من أهل الضلالة زادوا صفرَ في الأشهر الحرم؛ فكان يقوم قائمُهم في الموسم فيقول: ألا إن آلهتكم قد حرّمت العامَ صفرَ، فيحرّمونه ذلك العام، فكانوا يسمونهما الصفرين. وكان أول من أنسا النسي صفوان بن أمية أبو ثمامة من بني مالك بن كنان، أحد بني فقيم.

وذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم منى: ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان(1). وكان هرم يسمى رجب في الجاهلية منتصل الأسنة.

ذكروا أن مجاهداً قال: (يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهَ عَاماً) رجب. وذكر ابن مجاهد أن مجاهداً قال: إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ليعرف بها الناس النسي، أي: ما ينقص من السنة.

قوله: ﴿ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَـٰلِهِمْ﴾ أي ما كانوا يصنعون من ذلك. ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَـٰفِرِينَ﴾ أي: الذين يموتون على كفرهم، أي: لا يكونون بما صنعوا من ذلك مهتدين عند الله.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا مَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ ﴾ وهو مثل قوله: (أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ) [الأعراف: 176] وهو الرضا بالدنيا.

قال: ﴿ أَرَضِيتُمْ بِـالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ ﴾ أي ليست الدنيا عوضاً من الآخرة ﴿ فَمَا مَتَـٰعُ الْحَيَـوٰةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أي يستمتع به في الدنيا ثم يفنى، ويذهب ولا يبقى. وما في الآخرة باقٍ دائم، لا يفنى ولا يذهب. كقوله (مَا

(1) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم من حديث أبي بكرة، من خطبته ﷺ في حجة الوداع. انظر مثلاً البخاري، باب حجة الوداع.

عِنْدَكُمْ) أي في الدنيا (يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) أي في الآخرة (بَاقٍ) [النحل: 96] وكقوله: (إِنَّ هَـٰذَا لِرِزْقُنَا مَالَهُ مِن نَّفَادٍ) [سورة صٓ: 54] أي: من فناء.

﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ أي موجعاً. قال الحسن: يعني به العامة الذين فرض عليهم الجهاد مع النبي عليه السلام. وكان الجهاد يومئذٍ مع النبي فريضة. وقد كان النبي يخلف قوماً بالمدينة، وفيهم من قد وضع عنه الجهاد. وكان هذا حين أمروا بغزوة تبوك [في الصيف حين طابت الثمار واشتهوا الظل][1] ﴿ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ﴾ يقول: يهلككم بالعذاب ويستبدل قوماً غيركم ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً ﴾ إن أهلككم ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

وفي هذه الآية دليل على أهل الفراق أن هؤلاء الذين وعدوا بالعذاب ممن ناداهم الله بالإيمان، وسماهم بما قِبَلهم من خصال الإيمان كلما قيل المؤمنون فقال: (إِلَّا تَنْفِرُوا) أنتم الذين نودوا بالإيمان وسموا به، (يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً) فلا يجوز لواصفٍ أن يصف الله أنه يعذبهم - إن لم ينفروا كما استنفرهم - وهم مومنون[2].

قال بعضهم: استنفر الله المومنين في شدة لهَبَان الحرِّ في غزوة تبوك على ما يعلم من الجهد. وفيها قيل ما قيل.

قوله: ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ ﴾ يعني النبي عليه السلام ﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي من مكة ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ ﴾ أي أخرجوه ثاني اثنين ﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾.

(1) زيادة من ز، ورقة 126.

(2) هذا من كلام الشيخ هود الهواري ولا شك، وقد ورد في المخطوطات الأربع: ق، ع، د، ج، وأكاد أجزم أنه غير موجود في تفسير ابن سلام الأصلي لأنه غير موجود في ز. ونرى في هذا نموذجاً من أساليب الشيخ هود في إثبات أصل من أصول الإباضية في مسألة من مسائل الخلاف كمسألة الإيمان والكفر، وجزاء أصحاب الكبائر من المؤمنين إن لم يتوبوا قبل موتهم؛ كما نرى فيه طريقة من طرق حواره مع من يسميهم بأهل الفراق، قارن هذا بقول الطبري وبقول ابن عباس حين سئل عن قوله: (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً) وأن هذا العذاب هنا كان إمساك المطر عنهم. انظر تفسير الطبري ج 14 ص 254 - 255.

وذلك أن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة، فتوامروا بالنبي، أجمع رأيهم على ما قال عدو الله أبو جهل من قتله. وقد فسّرنا ذلك في سورة الأنفال[1].

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه فخرج هو وأبو بكر ليلاً حتى انتهيا إلى الغار، ونام علي على فراش رسول الله ﷺ. فطلبه المشركون، فلم يجدوه. ووجدوا علياً على فراشه، فطلبوا الأثر. وقد كان أبو بكر دخل الغار قبل رسول الله ﷺ فلمس الغار ينظر ما فيه، لئلا يكون فيه سبع أو حية، يقي رسول الله ﷺ بنفسه.

ثم دخل رسول الله ﷺ الغار، وأخذ ثمامة فوضعها على باب الغار، فجعلا يستمعان وقع حوافر دواب المشركين في طلبهما. فجعل أبو بكر يبكي، فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا أبا بكر؟ قال: أخاف أن يظهر عليك المشركون فيقتلوك يا رسول الله، فلا يعبد الله بعدك أبداً. فقال رسول الله ﷺ: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا). فجعل أبو بكر يمسح الدموع عن خده. وكان أبو بكر أرق الخلق كلهم وأحضره دموعاً[2].

﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ قال الحسن: السكينة: الوقار. وقال بعضهم: السكينة: الرحمة.

قال: ﴿ وَأَيَّدَهُ ﴾ أي وأعانه ﴿ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ يعني الملائكة عند قتالهم المشركين بعد.

قال مجاهد: (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ) يقول: فالله فاعل ذلك به، أي ناصره كما نصره إذ هو ثاني اثنين.

قال: ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ﴾ وهي كلمة الكفر ﴿ وَكَلِمَةُ اللَّهِ ﴾ أي: ودين الله، وهو الإيمان بلا إلـه إلا الله والعمل بفرائضه. ﴿ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ أي:

(1) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 84 - 85.

(2) تذكر بعض الروايات في كتب السيرة أن بكاء أبي بكر الصديق كان في الغار، وتذكر أخرى أن ذلك كان عندما اقترب منهما سراقة في الطريق. ولا تنافي بين الروايات، فلعل ذلك كان في كلتا الحالتين فقد كان أبو بكر رضي الله عنه رقيق القلب كثير البكاء.

هي الظاهرة ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ أي في نقمته ﴿ حكِيمٌ ﴾ أي: في أمره.

قال بعضهم: (ثَانِي اثْنَيْنِ): كان صاحبَه أبو بكر، والغار في جبل بمكة يقال له ثَوْر.

قوله: ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً ﴾، ذكروا أن أبا طلحة وأبا أيوب قالا: استنفَرَنا الله على كل حال، شباباً وشيوخاً، وهو تفسير الحسن وقال: الخِفاف: الشباب. والثِقال: الشيوخ. وقال بعضهم خفافاً وثقالاً: نِشاطاً وغير نِشاط. وقال بعضهم: فقراء وأغنياء.

قال: ﴿وَجَـٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَالِـكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أي الجهاد خير لكم في الثواب عند الله ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ هذا في غزوة تبوك، وهي آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

قاال الكلبي: وذلك حين استنفر رسول الله ﷺ الناس إلى تبوك في حر شديد وعسرة من الناس، فكره بعض الناس الخروج، وجعلوا يستأذنونه في المقام من بين صاحب علة ومن ليست به علة، فيأذن لمن يشاء أن يأذن له. وتخلف كثير منهم بغير إذن، فأنزل الله فيهـا نفاقهم، فقال:

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً ﴾ أي: غنيمة قريبة ﴿ وَسَفَراً قَاصِداً ﴾ أي: هيّناً. وقال الحسن: (لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً)، أي: غنيمة حاضرة (وَسَفَراً قَاصِداً) أي: قريباً ﴿ لاَتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِم الشُّقَّةُ ﴾ [يعني السفر][1] قال: وتخلّف المنافقون[2] وقال بعضهم لبعض: أترى هذا الرجل أنه يظهر على الشام، وما الشام، إنما الشام الدّهم[3]، وتبوك في أدنى الشام؛ فقال الله: لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة أي السفر.

(1) زيادة من ز، ورقة 127، وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ص 260 «الشقة: السفر البعيد، يقال: إنك لَبَعِيد الشقة».

(2) كذا في د وج: «وتخلف المنافقون» وهو الصحيح، وفي ق وع: ويحلف المنافقون، وفيه تصحيف.

(3) كأنه أراد العدد الكثير من الناس الذين بهـا. أو لعل هذا القائل أراد الشدة التي تدهمهم، أي تغشاهم بالشام. انظر اللسان (دهم).

﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ أي: بالكذب. ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ أي أنهم إنما اعتلوا بالكذب.

قوله: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ ﴾ كان المنافقون يأتون النبي عليه السلام فيعتلون بالمرض وبأشياء أكذبهم الله فيها فقال: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ). ثم قال للنبي عليه السلام: (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ والعفو من الله لا يكون إلا بعد ذنب، (لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ)، أي للمنافقين، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الذِينَ صَدَقُوا، أي: من له عذر، (وَتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ) أي: من لا عذر له.

ثم قال: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أي يتقون الله ﴿ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ أي ويتقون اليوم الآخر ﴿ أَن يُجَـٰهِدُوا بِأَمْـوَٰلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ كراهية للجهاد، فيتخلفوا عنك ولا عذر لهم. ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ والتقوى اسم للأعمال الصالحة.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ أي لا يتقون الله. ﴿ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ أي ولا يتقون اليوم الآخر. كقوله: (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) [البقرة: 281]، كراهية للجهاد.

قوله: ﴿ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي وشكت قلوبهم في أن لا يعذبهم الله بالتخلف عن الجهاد بعد إقرارهم بالله وبالنبي[1]. ﴿ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ ﴾ أي في شكهم ﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾ أي: متحيِّرون. ولم يكن ارتيابهم شكاً في الله ولا في نبيه ولا في شيء مما جاء به، بل كانوا موقنين بذلك كله، وإنما كان لارتيابهم وشكهم في أن لا يعذبهم الله بتخلفهم عن نبي الله بعد إقرارهم وتوحيدهم[2].

قال مجاهد: قال أناس من المنافقين: استأذنوا رسول الله، فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا.

(1) كذا في المخطوطات ق وع ود وج، وهو من تفسير الشيخ هود ورأيه، فقد جاء في ز، ورقة 127: «(وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ) أي شكت في الله عزّ وجلّ وفي دينه».

(2) هذا رأي الشيخ هود الهواري في ريب المنافقين، وهو شرح لما غيّره من تفسير ابن سلام كما أورده ابن أبي زمنين في مخطوطة ز ورقة 127.

وقال بعضهم: نزلت هذه الآية: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الذِينَ صَدَقُوا ﴾ فيما اعتذروا به إليك، وهم المؤمنون، وتعلم الكاذبين فيما اعتذروا به إليك وهم المنافقون. ثم أنزل الله بعد ذلك الرخصة للمؤمنين خاصة دون المنافقين: ﴿ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ قال في سورة النور: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَـٰئِكَ الذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: 62][1].

قوله: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَـٰكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾ أي خروجهم، لما يعلم منهم أنهم عُيُون للمشركين على المومنين، ولِمَا يمشون بين المومنين بالنمائم والفساد. ﴿ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ أي عن الخروج لما يعلم منهم من الفساد ﴿ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَـٰعِدِينَ ﴾.

(1) يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن الاستئذان الوارد في سورة التوبة، والذي نفاه الله عن المؤمنين، غير الاستئذان الوارد في سورة النور، والذي أباحه الله لهم، وأمر نبيه عليه السلام أن يأذن فيه لمن شاء منهم. فهو في سورة التوبة استئذان للتخلف عن الجهاد، وهذا ليس من شأن المؤمنين ولا من طبيعتهم، بل هو من طبيعة المنافقين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. أما الاستئذان في سورة النور فإنما هو للذهاب من مجلس رسول الله ﷺ ـ إذا كانوا معه على أمر جامع ـ لبعض شأنهم، وهو من الآداب الحسنة العامة التي وصف الله بها المؤمنين في عهد الرسول عليه السلام ليتأدب بها من جاء بعدهم. وذلك مما يدل على تقديرهم وحبهم وتوددهم للنبي عليه السلام. ثم إنهم بعد ذلك مجزيون باستغفار الرسول لهم، فإن من استغفر لهم الرسول عليه السلام من المؤمنين جديرون أن يُغفَر لهم بإذن الله.

ومن جهة أخرى، لا تكون سورة التوبة نزلت قبل سورة النور، فإن آية الاستئذان في سورة التوبة من أواخر القرآن نزولاً، فقد نزلت في السنة التاسعة للهجرة أيام غزوة تبوك، وسورة النور نزلت قبل ذلك بسنتين أو ثلاث. اللهم إلا أن تكون آية الاستئذان والإذن في سورة النور نزلت منفردة بعد غزوة تبوك. وهذا الاحتمال مستبعد. والله أعلم. لهـذا كلـه. لا نرى وجهاً لما قاله بعضهم، وهو قتادة، من «أن الله أنزل بعد ذلك الرخصة للمؤمنين دون المنافقين». انظر في الموضوع كتب التفسير والسيرة، وانظر خاصة الكشاف للزمخشري، ج 3 ص 259 في معنى الأمر الجامع وما هو الدرس الذي يجب على المؤمن أن يعيَه عند تدبره لهذه الآية.

ثم قال للمومنين ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلَـٰلَكُمْ ﴾ أي: مشوا بينكم بالنميمة والكذب. ﴿ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ ﴾ أي: يبغون [أَنْ تَكُونُوا مُشْرِكِينَ[1] و] أن يظهر عليكم المشركون، وظهور الشرك فتنة. ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ أي للمشركين، يعني المنافقين؛ إنهم عيون للمشركين عليكم، يسمعون أخباركم فيرسلون بها إلى المشركين، في تفسير الحسن. ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي من المشركين والمنافقين جميعاً، وهو ظلم فوق ظلم وظلم دون ظلم.

قوله: ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الفِتْنَةَ ﴾ أي الشرك ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي من قبل أن تهاجروا ﴿ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ ﴾ وهو قوله عزّ وجلّ: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذِين كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ) [الأنفال: 30] وقوله: (أَم ابْرَمُوا أمراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) [الزخرف: 79]، وهو اجتماع المشركين في دار الندوة يتشاورون في أمر النبي. وقد فسّرنا ذلك في سورة الأنفال[2].

وقال الحسن: (لَقَدِ ابْتَغَوُا الفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ): أي القتل قبل أن تقدم المدينة، يعني المنافقين.

قال: ﴿ حَتَّى جَاءَ الحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ أي دين الله ﴿ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴾ أي لظهوره.

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ يَّقُولُ ائذَن لِّيَ ﴾ يا محمد أُقِم في أهلي ﴿ وَلَا تَفْتِنِّي ﴾ أي بالنساء فافتتن بهن. وذلك أن رسول الله ﷺ قال: اغزوا تبوك تغنموا من بنات الأصفر[3]، أي بنات الروم، فقال المنافقون: إيذن لنا ولا تفتنا بالنساء فنفتتن. قال بعضهم: هو عبد الله بن أبي السلولي[4].

---

(1) زيادة من ز، ورقة 127.

(2) انظر ما سلف في هذا الجزء: 84 - 85.

(3) أورده مجاهد في تفسيره ص: 281 بدون سند للحديث، ورواه الطبري عن مجاهد، ج 14 ص: 287.

(4) أغلب المفسرين يذكرون أن الآية نزلت في الجد بن قيس، أخي بني سَلِمَة. ويروي الطبري في =

قال الله: ﴿ أَلاَ فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ أي في الهلكة، وهو الكفر، سقطوا، أي وقعوا. ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمحِيطَةٌ بِالْكَـٰفِرِينَ﴾ جميعاً، من كافر مشرك، أو كافر منافق. كقوله: (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً) [النساء: 140]. وكقوله: (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً) [الإسراء: 8] أي: سجنا. وكقوله: (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) [الكهف: 29] أي: سورها.

ثم قال: ﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ ﴾ يعني النصر فتظهر بها على المشركين ﴿ تَسُؤْهُمْ ﴾ أي تلك الحسنة ﴿ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ ﴾ أي نكبة من المشركين ﴿ يَقُولُوا قَدَ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي [أخذنا الوثيقة](1) في مخالفة محمد والتخلف عنه. ﴿ وَيَتَوَلَّوْا ﴾ إلى منازلهم ﴿ وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾ أي بالذي دخل على النبي ﷺ والمؤمنين من النكبة.

وقال مجاهد: (قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا) أي: أخذنا حذرنا من قبل.

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿ قُل لَّن يُّصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ أي إلا ما قضى الله لنا ﴿ هُوَ مَوْلَـٰـنَا﴾ أي هو ولينا ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

قوله: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا ﴾ أي هل تنتظرون بنا، يعني المنافقين ﴿ إِلاَّ إِحْدَىٰ الحُسْنَيَيْنِ ﴾ قال الحسن: أن نظهر على المشركين فنقتلهم ونغنمهم، أو نقتل فندخل الجنة ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمُ أَن يُصِيبَكُـمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ ﴾ فيهلككم به

= تفسيره ج 14 ص: 287 ما يلي: «قال رسول الله ﷺ ذات يوم، وهو في جهازه، للجد بن قيس، أخي بني سَلِمة: هل لك يا جدُّ العامَ في جلاد بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله. أو تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن: فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: قد أذنت لك». وقد ذكر ابن دريد في كتاب الاشتقاق ص 464 ضمن بطون الخزرج ورجالها ما يلي: «قال رسول الله ﷺ: من سيّدكم يا بني سلِمَة؟ قالوا: الجدّ بن قيس، على بخل فيه. قال: وأي داء أدوأ من البخل. بل سيّدكم الأبيض الجعد: بشر بن البراء». وانظر الواحدي، أسباب النزول،

(1) زيادة من ز، ورقة 127.

﴿ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾ أي تظهروا نفاقكم فنقتلكم عليه؛ فإنا إنما كففنا عن قتلكم بكفكم عن إظهار نفاقكم. وهو كقوله: (لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) وكل هؤلاء منافقون، وهو كلام مثنى (لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) يا محمد (ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً. سُنَّةَ اللَّهِ فِي الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) [الأحزاب: 60-62] أي: كذلك سنّة الله في منافقي كل أمة خلت من قبلك، القتل إن لم ينتهوا عن نفاقهم. وكذلك سنّته في منافقي أمتك، إن هم لم ينتهوا عن إظهار نفاقهم. فكفوا عن إظهار نفاقهم. فبالكف عن إظهار نفاقهم كفّ النبي عن قتالهم[1].

قال: ﴿ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾.

وقال مجاهد: هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ ﴾ أي القتل في سبيل الله أو الظهور على أعداء الله.

﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ﴾ مما فرض عليهم من النفقة في الجهاد. ﴿ لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَسِقِينَ ﴾. أي فسق النفاق لأنه فسق دون فسق الشرك، لأنكم ليست لكم حسبة[2] ولا نية.

قال: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي: خالفوا الله ورسوله وإن أقروا بهما. ﴿ وَلَا يَأْتُـونَ الصَّلَوٰةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾ يراءون الناس بها، ولا يذكرون الله إلا قليلاً، أي: بتوحيدهم إياه، وإقرارهم به وبنبيّه؛ وهو كقوله: (بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً) [النساء: 155] يعني بالقليل إقرارهم وتوحيدهم: وكقوله: (فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ) [البقرة: 88]. يعني بهذا كله إقرارهم وتوحيدهم، فهو قليل إذ لم يستكملوا جميع فرائض الإيمان، فيكمل لهم الإيمان.

(1) جاء في ر ورقة 128 ما يلي: «(وَنحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) فيهَلككم به. (أَوْ بِأَيْدِينَا) أي يستخرج ما في قلوبكم من النفاق حتى تظهروا الشرك فنقتلكم به».

(2) كذا في قع وع: «حسبة» وهو أصح، وفي د: «خشية» وللكلمة وجه.

قال: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴾ أي: الإنفاق في سبيل الله وما فرض الله عليهم.

وفي هذه الآي كلها حجّة على أهل الفراق أن لو كان المنافقون مشركين لم يفرض عليهم الجهاد الذي لم يقرّوا به ولا نفقة[1].

قوله: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَا أَوْلَـٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ قال الحسن: ليعذّبهم بالزكاة في الحياة الدنيا.

وفي تفسير عمرو عن الحسن: يعني أنهم ينفقون أموالهم، ويُشخِصون أبدانهم، ويقتلون أحباءهم وأهل مودتهم من المشركين مع أعدائهم من المؤمنين، لأنهم يسرّون لهم العداوة. وهو كقوله: (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ) من العداوة والبغضاء (أَكْبَرُ) [آل عمران: 118] أي أعظم من الذي بدا من أفواههم.

وقال الكلبي: (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ فِي الْحَيَـٰوةِ الدُّنْيَا) يقول: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. فيها تقديم وتأخير. وهذا من خفي القرآن.

قوله: ﴿ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ ﴾ أي تموت أنفسهم ﴿ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ أي كفر النّفاق.

قوله: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾ فيما أظهروا لكم من الإقرار بدينكم، والادعاء لملّتكم ﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾ إذ لم يعملوا بأعمالكم ويوفوا بوفائكم ﴿ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ أي يخافون على دمائهم إن هم أظهروا نفاقهم وباينوا به.

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً ﴾ يلجأون إليه، أي حصوناً يدخلونها ﴿ أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ ﴾ أي:

(1) وهذا من كلام الشيخ هود الهواري ولا شك. فهو كلما وجد فرصة لإثبات رأيه والرد على شبهة من شبه الإرجاء إلا وانبرى لتقرير ما يراه صواباً.

غيراناً ﴿ أَوْ مُدَّخَلاً ﴾ أي: بيوتاً. وقال الكلبي: الملجأ: الحرز، والمغارات: الغيران في الجبل، والمدخل: السرب في الأرض.

قال: ﴿لَوَلَّوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ أي: وهم يسرعون الانطلاق إليه، يعني المنافقين. وقال مجاهد: لو يجدون محرزاً لولوا إليه أي: لفروا إليه منكم.

قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ [أي: يعيبك ويطعُن عليك](1). قال مجاهد: يَرُوزُكَ (2). ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ءَانِ لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ بينما هو يوماً يقسم ذهباً وفضة، إذ جاء رجل من المنافقين، قال بعضهم: ناتىء الجبين، مشرف الحاجبين، غائر العينين، فقال: يا محمد، إن كان أمرك الله أن تعدل فما عدلت هذا اليوم. فقال: ويلك فمن يعدل عليك بعدي. ثم قال: احذروا هذا وأشباهه، فإن في أمتي أشباه هذا؛ قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية(2).

ذكروا أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: إن رجلاً أتى النبي وهو يقسم ذهباً وفضة، فقال: يا محمد، إن كان الله أمرك أن تعدل، فما عدلت اليوم. فقال له النبي: لقد شقيت، إن لم أعدل فمن يعدل(2).

---

(1) زيادة من ز، ورقة 128.

(2) في قع وع: «يدورك» وفيه تصحيف، وفي ح ود: «يرورك» (كذا بدون نقط) والصحيح ما أثبته: «يروزك» وفي اللسان: الروز: التجربة، رازه، يروزه روزاً: جرّب ما عنده وخَبَره. وفي تفسير مجاهد: ص 282: «يقول: يتهمك، يسألك ويروزك». وانظر تفسير الطبري، ج 14 ص 302، تعليق: 1.

(3) حديث متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل: ويلك، عن أبي سعيد الخدري. وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم من طرق (رقم 1063) والرجل هو ذو الخويصرة التميمي.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده، ما أعطيكم شيئاً ولا أمنعكموه؛ إنما أنا خازن أضع حيث أمرت[1].

قوله: ﴿وَلَو أَنَّهُمْ رَضُوا مَا ءَاتَيٰهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أي ما أعطاهم الله ورسوله ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ وهي تقرأ على وجه آخر بالنصب: سيوتينا الله ورسوله، أي: ويؤتي رسوله ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رٰغِبُونَ﴾. وفيها إضمار. أي: لكان خيراً لهم من النفاق الذي كفروا به.

قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَٰكِينِ وَالعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

فالفقير: الذي به زمانة، أي عاهة في بعض جسده، وهو محتاج. والمسكين: الذي ليست به زمانة وهو محتاج. والعاملون عليها، أي على الصدقات الذين يسعون في جمعها. والمؤلفة قلوبُهم: قوم كانوا يتألفهم النبي ﷺ ليُسلِموا؛ منهم أبو سفيان ابن حرب، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، والحارث بن هشام، وصفوان بن أمية ابن خلف، وسهيل بن عمرو، والأقرع بن حابس، أعطاهم النبي ﷺ يوم حنين؛ أعطى أبا سفيان ورهطاً معه مائة مائة من الإبل، وأعطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن خمسين خمسين من الإبل. وفي الرقاب، يعني المكاتَبين. والغارمون: قوم عليهم دين [أو غرم][2] من غير فساد. وفي سبيل الله؛ يُحمل من ليس له حملان ويعطى منها. وابن السبيل: الضيف والمسافر إذا قُطع به وليس له شيء[3] جعل الله له فيها نصيباً. قال بعضهم: ويُحمل في سبيل الله من الصدقة، ويعطى إذا كان لا شيء له، ثم يكون له سهم مع المسلمين.

---

(1) مضى تخريجه فيما سلف من هذا الجزء ص 92.

(2) زيادة من ز، ورقة 128.

(3) كذا «وليس له شيء» انفردت بها المخطوطات ق، ع، ود، ولم ترد العبارة في ز.

ذكروا أن علياً وابن عباس قالا: إنما هو عَلَم جعله الله، ففي أي صنف منهم جعلتها أجزأك.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن المسكين ليس بالطواف الذي ترده الأكلة والأكلتان، والتمرة والتمرتان، ولكن الذي لا يجد ما يغنيه ولا يسأل الناس إلحافاً[1].

ذكروا عن الحسن قال: ليس للعاملين عليها ولا للمؤلفة قلوبهم اليوم شيء، إلا ما جعل الإمام للعاملين عليها. وكان يقول: ليست بسهام تقرع[2]، ولكن على ما يرى الإمام، فربما كان بنو السبيل قليلاً والفقراء كثيراً. وربما كان الفقراء كثيراً والمساكين كثيراً. وكذلك المكاتَبون والغارِمون. وإنما هو على ما يرى الإمام من كثرتهم وقلّتهم وفقرهم.

قال: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إذا لم يسعهم الفيء رُضِخَ لهم من الصدقة.

﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: الرجل المنقطع به في الأرض، فإنه يُرضخ له من الصدقة، وإن كان في أرضه ذا مال كثير، ولا يكون ذلك ديناً عليه.

ذكر بعض السلف قال: إن حقاً على الناس إذا جاءهم المصدّق أن يرحِّبُوا به، وأن يُطعموه من طعامهم، فإن أخذ الصدقة على وجهها فسبيلٌ ذلك، وإن تعدّى لم يضرّ إلا نفسه، وسُيخلِف الله عليهم.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: المتعدي في الصدقة كمانعها[3].

(1) انظر تخريجه فيما سلف ج 1 ص 253، تعليق: 1.

(2) كذا في ق وع: «تقرع»، وفي د وج: «توزع».

(3) أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده في كتاب الزكاة والصدقة، باب الوعيد في منع الزكاة (رقم 242) «عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: لا صلاة لمانع الزكاة - قالها ثلاثاً - والمتعدي فيها كمانعها». قال الربيع: المتعدي فيها هو الذي يدفعها لغير أهلها. وفي كتاب الخراج لأبي يوسف ص 175. «عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ما مانع الصدقة بمسلم، ومن لم يؤدها فلا صلاة له».

ذكروا أن عقبة بن عامر الجهني قال: بعثني رسول الله ﷺ ساعياً، فاستأذنته أن نأكل من الصدقة فأذن لنا.

ذكروا عن عون بن أبي جحيفة[1] عن أبيه قال: بعث رسول الله ﷺ إلينا ساعياً فأمره أن يأخذ الصدقة من أغنيائنا فيجعلها في فقرائنا، وكنت غلاماً فأعطاني منها قلوصاً.

ذكروا أن أول مكاتب كوتب في الإسلام أبو مؤمل على عهد رسول الله ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ: أعينوا أبا مؤمل[2]. فأعطي حتى فضل منه فضلة من مكاتبته، فسأل عنها رسول الله ﷺ فقال: أنفقها في سبيل الله.

ذكروا أن مكاتباً قام إلى أبي موسى الأشعري فقال: إني رجل مكاتب، فَحُثَّ عليَّ الناسَ. قال: فَحَثَّ أبو موسى عليه الناس. فألقى إليه من الدراهم والثياب حتى قال، حسبي. فانطلق إلى منزله فوجد معه فضلة ثلاثمائة درهم. فسأل عن ذلك أبا موسى الأشعري، فأمره أن يجعلها في مثله من الناس.

ذكروا أن مكاتباً كان في عهد علي تُصُدِّقَ عليه، ففضل عن مكاتبته فضل، فأمره علي أن يجعله في المكاتَبين.

قال: وكذلك الغارمون الذين لزمهم دين من غير فساد، يجمع لهم من الصدقة ويأخذون منها كفاف ديونهم. فإن أعطوا أكثر من ذلك حتى تفضل في أيديهم منه فضلة ردوا تلك الفضلة على مثلهم في مثل حالهم.

وسئل بعض السلف عن الرجل العالم الفقيه الذي قد اتخذه المسلمون سلفاً

(1) في ق وع «جحفة»، وفي د: حذيفة، وفي كلتا الكلمتين تصحيف صوابه «جحيفة» كما جاء في الاستيعاب لابن عبد البرّ: ج 4 ص 1619 - 1620.

(2) لم أجد فيما بين يدي في مصادر الحديث هذا الحديث، ولم أعثر على اسم هذا الرجل المكنى بأبي مؤمل فيما بين يدي من تراجم الرجال. فهل هذا مما انفرد بروايته يحيى بن سلام البصري؟.

وإماماً، فاستقل بأمور المسلمين والنظر في حوائجهم، وهو فقير، هل ينظر المسلمون له نظراً يُغْنونه عن المسألة، ويفضّلونه على من سواه ممن لم يحتمل من أمور المسلمين ما احتمل؟ فقال نعم. وهل ينبغي للمسلمين إلا هذا؟ وهل يجوز لهم أن يحتاج فيهم مثل هذا؟ وقد كان عمر بن الخطاب يفضل أهل الفضل في الإسلام، ويخصّهم من الصدقة والفيء بما لا يخص به غيرهم لما يحتملون من أمور المسلمين، ويشغلون أنفسهم بحوائج المسلمين عن حوائجهم. فأهل أن يُفضّلوا، وأهل أن يُشرّفوا، وأهل أن ينظر لهم المسلمون بما يسعهم ويقوتهم ويقوت عيالهم[1].

قوله: ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾ أي: لهؤلاء الذين سمّى في هذه الآية. وذلك في جميع الزكاة، في الذهب والفضة والماشية والثمار والحبوب والزروع. ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ عليم بخلقه، حكيم في أمره.

قوله: ﴿ وَمِنْهُمُ الذِينَ يُوذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ يعني المنافقين.

قال الحسن: كانوا يقولون: ما هذا الرجل إلا أذن، من شاء صرفه حيث شاء، [ليست له عزيمة][2] فقال الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ أي: هذا الرجل الذي تزعمون أنه أذن، خير لكم. ﴿ يُومِنُ بِاللَّهِ وَيُومِنُ لِلْمُومِنِينَ ﴾ [أي يصدق الله ويصدق المؤمنين][2] ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ ﴾ أي: وهو رحمة للذين ءامنوا منكم. أي إنه رحمة للمؤمنين، رحمهم الله بها واستنقذهم من الجاهلية وظلمتها إلى النور، وأنقذهم من النار إلى الجنة.

وقال مجاهد: ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ أي: سنقول له فيصدّقنا. يعني المنافقين

(1) هذا كلام نفيس من الشيخ هود الهواري، وتوجيه سديد من سيدنا عمر رضي الله عنه. وليت جماعات المسلمين يفقهون هذا الكلام فيعرفون لذوي الفضل فضلهم، ولمن يضحون بجهدهم الفكري وبأوقاتهم الثمينة يصرفونها في سبيل إعلاء كلمة الله، وفي سبيل الصالح العام، فيكفونهم مؤونة العيش ويخففون عنهم وطأة الحياة إن كانوا محتاجين.

(2) زيادة من ز، ورقة 129.

يقولون: نحلف له فيعذرنا. وبعضهم يقرأها: قل اذنٌ خيرٌ لكم. أي: هو أذن خيرٌ لكم.

قوله: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ ﴾. أي بالعلل والكذب ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ أي بالصدق والوفاء ﴿ إِنْ كَانُوا مُومِنِينَ ﴾ أي: إنهم يزعمون أنهم مؤمنون بالإقرار والتوحيد دون العمل بجميع الفرائض التي فرض الله عليهم. وليسوا بمؤمنين حتى يكملوا جميع فرائض الله في القول والعمل. فقال: (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ) من أن يرضوكم بالعلل والكذب.

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي: من يشقاق الله ورسوله، وقال بعضهم: من يخالف الله ورسوله ﴿ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِداً فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ أي: قد أنزل الله ذلك عليهم، وأعلمهم به، واتخذ به الحجة عليهم. وهو كقوله: (أَوَلَـمْ يَرَ الذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّـمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً) [الأنبياء: 30]؛ وكقوله: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَيٰهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الغُيُوبِ) [التوبة: 78].

قوله: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَـٰفِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ من النفاق وما كانوا يحذرون. ففعل الله ذلك بهم، فأخرج أضغانهم، وهو ما كانوا يكنون في صدورهم. وإنما حذروا من شيء تَيَقّنوا به، ولو كانوا مشركين لم يحذروه لأنهم يجحدونه ولا يقرون به.

وقال مجاهد: يقولون القول بينهم ثم يقولون: نخشى الله أن يُفشِي علينا سرَّنا هذا.

ذكر بعضهم قال: كانت هذه السورة تسمى جاهرة أي: جهرته(1). وبعضهم

---

(1) كذا في د وج: «جهرته» وفي ق وع: «جهرة» ويبدو أن في الكلام سقطاً. ولم أجد هذا الوصف لهذه السورة ضمن تسعة أسماء لها ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ج 3 ص 389، ولا ضمن اثني عشر اسماً عددها الزمخشري في الكشاف، ج 2 ص 241.

يقول: حافرة، أي حفرت عن ذنوب القوم، يعني المنافقين. وقال بعضهم: كانت هذه السورة تسمى فاضحة المنافقين، لأنها أنبأت بمقالتهم وأعمالهم. وقال الحسن: كانت تسمى حافرة، أنبأت بما في قلوب المنافقين.

﴿ قُل اسْتَهْزِءُوا ﴾ أي بمحمد وأصحابه، وهو وعيد هَوْلُه شديد. كقوله: (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُومِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) [الكهف: 29] وهو وعيد. ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ أي: ما أكننتم في قلوبكم من النفاق فمخرجه، فذاكره عنكم.

وأما قوله: (اسْتَهْزِءُوا) فهو جواب من الله لقولهم. (إِذَا لَقُوا الذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ) يعني كفار المشركين (قَالُوا إِنَّا مَعَكُم) أي في المودة (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ) [البقرة: 14 - 15]. أي إنما نحن مخادعون. والاستهزاء في هذا الموضع إنما هو الخداع. ألا تراه يرد عليهم جوابهم: (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) أي يخدعهم في الآخرة كما خدعوه في الدنيا.

وقد أوضح ما تأولنا عليه الآية في النساء فقال: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) [النساء: 142] يخادعونه بما أظهروا من التوحيد والإقرار، وليس من شأنهم الوفاء بالأعمال. وهو خادعهم إذ جعل مساقهم مع المؤمنين. وبيان خدعه إياهم في سورة الحديد. وسنذكر ذلك أيضاً في سورة الحديد إذا أتينا عليه، كيف خدعهم الله عند ضرب السور بينهم وبين المؤمنين إذ طمعوا أن يكونوا من المؤمنين، إذ سيقوا في زمرتهم بالنور القليل الذي كان معهم، وبه ناكحوا المسلمين ووارثوهم. فَطفِئ نور المنافقين، ومضى نور المؤمنين من بين أيديهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم. وسنأتي على بقيّة ما بقي من هذا في سورة الحديد إذا نحن بلغناها إن شاء الله.

قوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

قال الكلبي: بلغنا أن رسول الله ﷺ حين رجع من تبوك، بينما هو يسير إذا برهط أربعة يسيرون بين يديه وهم يضحكون. فنزل جبريل على النبي عليه السلام

فأخبره أنهم يستهزءون بالله تعالى ورسوله وكتابه. فبعث رسول الله ﷺ عمار بن ياسر فقال: أدركهم قبل أن يحترقوا واسألهم مما يضحكون، فإنهم سيقولون مما يخوض فيه الركب إذا ساروا[1]. فلحقهم. فقال لهم: مم تضحكون وما تقولون؟ فقالوا: مما يخوض فيه الركب إذا ساروا فقال عمار: صدق الله وبلغ الرسول، احترقتم لعنكم الله. وكان يسايرهم رجل لم ينههم ولم يُمَالِئْهُم. فأقبل ذلك الرجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، والذي أنزل عليك الكتاب ما مالأتهم ولا نهيتهم. وجاءوا إلى النبي ﷺ يعتذرون فأنزل الله:

﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمانِكُم ﴾ فأخبر أن لهم إيماناً كفروا بعده، وأن المشركين لم يتطاعموا[3] إيماناً قط فيكفروا بعد إيمانهم.

﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ أي جرم نفاق، لأنه جرم دون جرم، وجرم فوق جرم، فيرجى أن يكون العفو من الله لمن لم يمالئهم ولم ينههم[2].

وقال بعضهم: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وبين يديه ناس من المنافقين، فقالوا: أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها؟ هيهات، هيهات له من ذلك. فأطلع الله نبيه على ذلك فقال: احبسوا علي هذا الركب [فأتاهم][4] فقال: قلتم كذا وكذا. قالوا: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب.

(1) روى ابن هشام هذا الخبر عن ابن إسحاق بتفصيل في سيرته ج 4 ص 524 - 529، وأورده الواقدي كذلك في المغازي، ج 3 ص 1004 - 1005.

(2) انظر في معاني القراء للفراء ج 1 ص 445 معنى العفو عن الطائفة في هذه الآية فقد جاء في ذلك ما يلي: «والطائفة واحد واثنان، وإنما نزل في ثلاثة نفر؛ استهزأ رجلان برسول الله ﷺ والقرآن، وضحك إليهما آخر، فنزل: (إِنْ يُعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ) يعني الواحد الضاحك (تُعَذَّبْ طَائِفَةٌ) يعني المستهزأين».

(3) كذا في المخطوطات بصيغة التفاعل. ففي د: تطاعموا، وفي ق وع تطامعوا، ويبدو أن المعنى لم يذوقوا للإيمان طعماً، ولكني لم أجد هذا المعنى بهذه الصيغة في كتب اللغة.

(4) زيادة من تفسير الطبري، ج 14 ص 334 حيث جاء الخبر مروياً بسند عن قتادة. وانظر في هذه الآية الواحدي، أسباب النزول، ص 250 - 251.

قوله: (قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)، أي: قد نافقتم بعد إقراركم وتوحيدكم، يعني أهل هذا الكلام الذي تكلّموا به، وهو كفر نفاق. وهو كفر المحدثين من أهل الإقرار بالله والنبي والكتاب.

قوله: ﴿ المُنَـٰفِقُونَ وَالمُنَـٰفِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ﴾ أي في الألفة والاجتماع على معاصي الله ﴿ يَامُرُونَ بِالمُنْكَرِ ﴾ وهو كل ما يعرف العباد جوره. ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ ﴾ وكل ما يعرف العباد عدله فهو معروف.

وقال بعضهم: (يَامُرُونَ بِالمُنْكَرِ) أي بالكفر، وهو النفاق. (وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ) وهو الإيمان، أي: عن العمل بالصالحات، وهي الإيمان، وهذا يرجع إلى التأويل الأول، وهو واحد.

﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أي عن النفقة في سبيل الله وعن الزكاة. وقال مجاهد: لا يبسطونها بالنفقة في الحق. وقال بعضهم: لا يبسطونها إلى الخير.

قال: ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ أي: تركوا فرائض الله فلم يكملوها ولم يعملوا بجميعها[1]. ﴿ فَنَسِيَهُمْ ﴾ أي فتركهم كمن ليس مذكوراً. وقال بعضهم: (فَتَرَكَهُمْ) أي: لم يذكرهم بما يذكر به المؤمنين أهل الوفاء والصدق من الخير. ﴿ إِنَّ المُنَـٰفِقِينَ هُمُ الفَـٰسِقُونَ﴾ يعني فسق النفاق، وهو فسق دون فسق، وفسق فوق فسق.

قوله: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ المُنَـٰفِقِينَ وَالمُنَـٰفِقَاتِ﴾ أهل الإقرار بالله والنبي والكتاب. ﴿ وَالكُفَّارَ ﴾ أهل الإنكار والجحود. ﴿ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ لا يموتون ولا يخرجون منها. ﴿ هِيَ حَسْبُهُمْ ﴾ جميعاً: المشركين والمنافقين. كقوله: (حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا) [المجادلة: 8] ﴿ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ أي: دائم في الآخرة.

قال: ﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ يعني من الكفار ﴿ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُم قُوَّةً وَأَكْثَرَ

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز، ورقة 129: «(نَسُوا اللَّهَ) أي: تركوا ذكره بالإخلاص من قلوبهم.

أَمْـوٰلاً وَأَوْلٰداً﴾ يقول: لعنهم وأهلكهم وأوجب لهم النار. يقول: فسيعذبكم كما عذب الذين من قبلكم من الكفار، يعني الذين تقوم عليهم الساعة الدائنين بدين المشركين أبى جهل وأصحابه.

قال: ﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَـٰقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَـٰقِكُمْ ﴾ قال الحسن: أي بدينكم ﴿ كَمَا اسْتَمْتَعَ الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلٰقِهِمْ﴾ أي: بدينهم ﴿ وَخُضْتُمْ ﴾ في الكفر والتكذيب. رجع بهذا كله إلى كفار قريش دون المنافقين. وخضتم في الكفر ﴿ كَالذِي خَاضُوا أُولَـٰئِكَ حَبِطَتَ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَـٰئِكَ ﴾ جميعاً من الماضيـن والباقين ﴿ هُمُ الخَـٰسِرُونَ﴾.

وقال الكلبي: (فَاسْتَمْتَعْتُمْ) في الدنيا بنصيبكم من الآخرة (كَمَا اسْتَمْتَعَ الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) في الدنيا بنصيبهم من الآخرة.

قوله: ﴿ أَلَمْ يَأتِهِمْ نَبَأُ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْـرٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَـٰتِ ﴾ قريات قوم لوط الثلاث، خسف بهم، رفعها جبريل بجناحه حتى سمع أهل سماء الدنيا صراخ كلابهم ثم قلبها. والمؤتفكات هي المنقلبات. وقال في آية أخرى: (وَالْمُؤتَفِكَةَ أَهْوَىٰ) [النجم: 53] وهي قريـات قوم لوط الثلاث، فهم يتجلجلون[1] فيها إلى يوم القيامة. يقول: ألم يأتهم خبرهم فيما أنزل الله في كتابه.

قال: ﴿ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَـٰتِ﴾ أي أتت جميع هؤلاء رسلهم بالبينات ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ أي بإهلاكه إياهم بعد قيام الحجج عليهم برسلهم ﴿ وَلَـٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ أي بجحودهم وبشركهم، يحذر هؤلاء ما فعل بمن كان قبلهم.

قـوله: ﴿وَالمُؤْمِنُـونَ وَالمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُم أَوْلِيَـاءُ بَعْضٍ ﴾ أي في الالفة والاجتماع على دين الله ﴿يَأمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ وهو ما يعرف العباد عدله، ﴿ وَيَنْهَوْنَ

(1) يتجلجلون، أي: يسيخون في الأرض ويدخلون فيها. وفي الحديث: بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خُسِف به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة.

عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ وهو ما يعرف العباد جوره. وقال الحسن: (يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) أي بالإيمان بالله (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) أي: عن الكفر بالله.

قال: ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ ﴾ أي على ما أمرهم الله به لا ينقصونها، ولا يقومون إليها كسالى، ولا يراءون الناس بها كما يفعل المنافقون. ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ ﴾ المفروضة، طيبة بها أنفسهم، ليس كما يصنع المنافقون الذين لا ينفقون إلا وهم كارهون.

قال: ﴿ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ في القول والعمل، وفي كل ما تعبّدهم به من جميع فرائضه، ليس كما صنع المنافقون الذين لم يطيعوا الله في كل ما تعبّدهم به من القول، أي إنهم قالوا ولم يعملوا، يعني المنافقين.

﴿ أُولَـٰئِكَ ﴾ يعني المؤمنين الذين هذه صفتهم ﴿ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ أي: سيثيبهم الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: عزيز في نقمته حكيم في أمره.

قوله: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ أهل الصدق والوفاء ﴿ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ ﴾. وقد فسّرنا الأنهار في غير هذا الموضع. ﴿خَـٰلِدِين فِيهَا ﴾ أي في الجنة ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً ﴾. ذكر الحسن قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة آخرهم دخولاً. فيقال له: انظر ما أعطاك الله، فيفسح له في بصره. فينظر مسيرة مائة ألف سنة كله له، فليس فيه موضع شبر إلا وهو عامر قصور الذهب والفضة، وخيام اللؤلؤ والياقوت. فيها أزواجه وخدمه، يُغدَى عليه كل يوم بسبعين ألف صَحْفَة من الذهب، ويُراح عليه بمثلها. في كل واحدة منها لون من الطعام ليس في صاحبتها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها. لو نزل عليه الجن والإنس في غداء واحد وسعهم، ولا ينقص ذلك مما عنده شيئاً.

وذكروا عن ابن عباس قال: الخيمة درّة مجوّفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب. ذكروا عن أبي موسى الأشعري قال: إن الرجل من أهل الجنة لتكون له الخيمة طولها في السماء سبعون ميلاً، وإن له فيها لأهلاً يطوف عليهم ولا يشعر بهم الآخرون.

وقال: ﴿ فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ قال الحسن: عدن اسم من أسماء الجنة. وقال بعضهم: هي أشرف الجنان. ذكروا عن ابن عباس قال: عدن: بطنان الجنة[1].

وقال: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي أعظم مما هم فيه من ملك الجنة. قال الحسن:[2] وصل إلى قلوبهم من رضوان الله من اللذة والسرور ما هو ألذ عندهم وأقر لأعينهم من كل شيء أصابوه من لذة الجنة.

ذكروا عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إذا دخل أهل الجنة الجنة فرأوا ما فيها قال الله عزّ وجلّ لهم: لكم عندي أفضل من هذا. قالوا: ربنا ليس شيء أفضل من الجنة. قال: بلى، أحلّ عليكم رضواني[3].

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾. قال الحسن: النجاة العظيمة. وقال بعضهم: فازوا من النار إلى الجنة. وقد قال: (فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ) أي نجا من النار (وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) [آل عمران: 185] أي فقد سعد.

قوله: ﴿يَٰأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَٰفِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي جاهد الكفار المشركين بالسيف، واغلظ على المنافقين بالحدود، وهو تفسير الحسن. وقال الحسن: كان أكثرُ من يصيب الحدود يومئذٍ المنافقين. قال الكلبي: وَاغلظ على

---

(1) بطنان الجنة: وسطها، كما ذكره الجوهري في الصحاح (بطن) وكما جاء في تفسير الطبري ج 14 ص 353.

(2) كذا في المخطوطات، وفي ز، ورقة 130: «يصل»، وهو أبلغ تعبيراً.

(3) حديث متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم. أخرجه البخاري في كتاب الرقائق، وفي كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، عن أبي سعيد الخدري ولفظه: «إن الله يقول لأهل الجنة، يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم، فيقولون: ومالنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك. فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك، فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً» وأخرجه مسلم في أواخر حديث طويل من كتاب الإيمان عن أبي سعيد الخدري (رقم 183). وأخرجه ابن سلام بالسند التالي: يحيى عن إبراهيم بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله كما جاء في ز، ورقة 130.

المنافقين، أي: بالقول. قال: ﴿ وَمَأْوَيٰهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ أي: ومصيرهم، أي منزلهم، جهنم. ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.

قوله: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ ﴾.

ذكروا عن الحسن قال: قال رجل من المنافقين لرجل من المسلمين: إن كان ما يقول محمد حقاً لنحن أشرُّ من الحمير. فقال المسلم: فأنا أشهد أن ما يقول محمد ﷺ حق وإنك شر من حمار. ثم أتى النبي عليه السلام فأخبره بذلك. فأرسل النبي إلى المنافق فقال: أَقُلتَ كذا وكذا فقال: [والله][1] يا رسول الله ما قلته، [وحلف المسلم لقد قاله][2] فأنزل الله: (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) أي بعد إقرارهم وتوحيدهم[3].

﴿ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ قال مجاهد: هو المنافق الذي قال ما قال، أراد أن يقتل المسلم الذي أخبر النبي عليه السلام بقول المنافق للمؤمن: إن كان ما يقوله محمد حقاً فنحن أشر من الحمير.

قال بعضهم: بإظهار النفاق. وكان يقول: كانوا نفراً، وكان الرجل الذي أخبر النبي عليه السلام حاضرَهم حين قال بعضهم: لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن أشر من الحمير؛ فلم يفطنوا بمكان الرجل، فأرعب الله قلوبهم، فقال في سورة الأحزاب: (لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) [الأحزاب: 60] بالنبي وأصحابه، وهم المنافقون، يقولون: يهلك محمد وأصحابه، ونرجع إلى دين مشركي العرب.

---

(1) زيادة لا بد من إثباتها، فالآية نص في ذلك.

(2) زيادة من ز، ورقة 130.

(3) أورد الطبري هذا الخبر في تفسيره ج 14 ص 361. والرجل الذي عناه هو الجلاس بن سويد الصامت كما جاء في بعض الروايات. وقد قيل: إنه تاب بعد ذلك وحسنت توبته.

(4) وقد أورد الواحدي في أسباب النزول ص 251 - 252 سبباً لنزول الآية يشير إلى أن قوماً هموا بقتل النبي عليه السلام في عَقَبَةٍ.

وقال بعضهم: نزل هذا حين قالوا: ﴿ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾ [المنافقون: 8] فقال الله لئن لم ينتهوا عن إرجافهم وإظهارهم نفاقهم ﴿ لَنُغْرِينَّكَ بِهِمْ ﴾ أي لنسلطنّك عليهم فتقتلهم، ﴿ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب: 60].

وقال بعضهم: ﴿ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ أي: حين قالوا ﴿ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَـٰهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ يقول: لم ينقموا من الذي جاء به رسول الله ﷺ شيئاً إلا أنهم أصابوا الغنى في الدنيا، ولو تمسّكوا به لأصابوا الجنة في الآخرة. وهو كقوله: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ ﴾ [البروج: 8] وكقوله: ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَـنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ ﴾.

قوله: ﴿ فَإِن يَتُوبُوا ﴾ أي: يرجعوا عن نفاقهم ﴿ يَكُ خَيْراً لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا ﴾ عن التوبة، ويباينوا بالنفاق[1] ﴿ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا ﴾ بالسيف ﴿ وَالأَخِرَةِ ﴾ بالنار ﴿ وَمَا لَهُم فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ ﴾ يمنعهم من عذاب الله ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾.

قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ اللَّهَ لَئِنَ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ فأوسع علينا من الرزق ﴿ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ يعني الصدقة ﴿ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّـٰلِحِينَ ﴾ أي: ممن يطيع الله ورسوله. قال هذا المنافقون.

قال الله: ﴿ فَلَمَّا ءَاتَيٰهُم مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ ﴾ عن الإنفاق في سبيل الله وعن الصدقة ومنعوا حق الله. ﴿ وَتَوَلَّوْا ﴾ أي عن الصلاح والطاعة ﴿ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ أي عن أمر الله.

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ لا يتوبون منه ﴿ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز، ورقة 130: «ويظهروا الشرك».

مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ قال الحسن: ثلاث في المنافق: إذا وعد أخلف، وإذا حدَّث كذب، وإذا اؤتمن خان[1].

ذكروا عن الحسن قال: هؤلاء المنافقون؛ ائتمنهم الله فخانوه، أي: لم يكملوا بما كانوا أقروا لله من القول والعمل. أي: قالوا ولم يفعلوا، ووعدوه فأخلفوه حين قالوا: (لَئِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ). أي المؤمنين المستكملين للقول والعمل[2].

قوله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَيٰهُمْ ﴾ فسرهم الذي يخفونه والذي في قلوبهم من النفاق، ونجواهم ما يتناجون به من النفاق فيما بينهم. أي: قد علموا ذلك فيما أنزل الله في كتابه، وقامت به الحجة عليهم. ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّـٰمُ الْغُيُوبِ ﴾.

قوله: ﴿ الذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَـٰتِ وَالذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

ذكروا أن عبد الرحمٰن بن عوف جاء بنصف ماله إلى رسول الله ﷺ يتقرّب به

(1) هذا نص حديث متفق عليه، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ. ونصه في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، (رقم 59): «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان».

(2) هذا هو الحق إن شاء الله. فالآية عامة نزلت في المنافقين لا في شخص بعينه. ولم يشر المؤلف - على غير عادته - إلى سبب نزول الآية، وإلى أنها نزلت في صحابي يُدعى ثعلبةَ بن حاطب الأنصاري. وقد أورد قصته كثير من المفسرين وجعلوها سبباً لنزول الآية. انظر مثلاً تفسير الطبري ج 14 ص 370 - 373، وأسباب النزول للواحدي ص 252 - 254. وقد أجمع المؤرخون وأصحاب السير والتراجم أن ثعلبة بن حاطب شهد بدراً وأُحداً، ولعله شهد الحديبية أيضاً. وقد شك ابن حجر في الإصابة في نسبة هذا الخبر إليه وقال: «فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقاً في قلبه وينزل فيه ما نزل؟. فالظاهر أنه غيره». فالأولى أن نتوقف في قبول هذه الأخبار وتقويتها بدون تمحيص، وأن نحسن الظن بالصحابة، وخاصةبمن قال فيهم من لا ينطق على الهوى، ﷺ: ما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

إلى الله فقال: يا رسول الله، هذا صدقة [وأحسبه قال: يا رسول الله هذا نصف مالي أتيتك به، وتركت نصفه لعيالي. فدعا الله أن يبارك له فيما أعطى وفيما أمسك][1]. فلمزه المنافقون، وقالوا: ما أعطى إلا رياء وسمعة.

وجاء الحثحاث أبو عقيل[2]، رجل من الأنصار، إلى النبي عليه السلام فقال: يا رسول الله: بت البارحة أجر الجرير[3] على صاعين من تمر. فأما صاع فأمسكته لأهلي، وأما صاع فهذا هو. [فقال له نبي الله عليه السلام خيراً][3]؛ فقال المنافقون: والله إن كان الله ورسوله لغنيَّيْن عن صاع أبي عقيل. فأنزل الله هذه الآية. وقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَّغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي خالفوا الله ورسوله ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ﴾ أي لا يكونون بالفسق مهتدين عند الله. وهذا فسق النفاق، وهو فسق دون فسق، وفسق فوق فسق.

وكانوا يأتون النبيَّ عليه السلام ويعتذرون إليه، ويقولون: (إِن أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ) [التوبة: 107] و (إِن أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً) [النساء: 62]. فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: قد خيّرني ربي، فوالله لأزيدنّهم على السبعين[4]؛ فأنزل

---

(1) زيادة من ز، ورقة 131.

(2) أخرج الحديث البخاري عن أبي مسعود الأنصاري في كتاب التفسير، باب الذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُومِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ، وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق سعيد عن قتادة مرسلاً في تفسيره ج 14 ص 384 - 385. وقد اختلف الرواة في اسم أبي عقيل صاحب الصاع؛ فقد ورد اسمه في مخطوطتي ق وع بلفظ الحجاب، وكذلك ورد في تفسير الطبري بالحاء والباء. وقد أورد الحافظ ابن حجر في فتح الباري ج 8 ص 331 مختلف هذه الروايات. ويبدو لي أن الراجح في ضبطه ما أثبتُّه الحثحاث بالحاء وبمثلثتين، كما ورد في الاستيعاب لابن عبد البرّ ج 4 ص 1717، والله أعلم.

(3) الجرير هو الحبل، ويعني أنه بات يستقي الماء من البئر وهو يجرّ حبل الدّلو.

(4) أخرجه البخاري في كتاب التفسير عند تفسير الآية من سورة التوبة، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه الطبري في تفسيره ج 14 ص 396 عن ابن عباس مرفوعاً، وعن قتادة مرسلاً.

الله هذه الآية في سورة المنافقون (سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ) [المنافقون: 6] وهو فسق النفاق.

وهذا مما يدل أهل الفراق أن لو كانوا مشركين كما وصفوا لم يستغفر لهم رسول الله، ولم يقل لأزيدن على السبعين مرة في الاستغفار لهم؛ وما كان رسول الله ﷺ ليجهل الشرك فيستغفر لأهله، وقد قال الله: (مَا كَانَ لِلنَّبِي وَالذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الحَجِيمِ) [التوبة: 113].

قوله: ﴿ فَرِحَ المُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَـٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِـمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِي الحَرِّ ﴾ قال مجاهد: بعد الفتح وبعد الطائف وبعد حنين في الصيف، حين اخترُفَت النخلُ، وطابت الثمار، واشتُهِيَ الظلّ، وشَقَّ عليهم الخروجُ في إبّان الحرّ.

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً ﴾ من نارالدنيا في تفسير الحسن. ﴿ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ لعلموا أن نار جهنم أشد حراً من نار الدنيا.

ذكر بعضهم قال: بينما رسول الله ﷺ في مسير له في يوم شديد الحر إذ نزل منزلاً وجعل أحدهم ينتعل ثوبَه من شدة حرّ الأرض، فقال رسول الله ﷺ: أراكم تجزعون من شدة حرّ الشمس وبينكم وبينها مسيرة خمسمائة عام، والذي نفسي بيده لو أن باباً من أبواب جهنم فتح بالمشرق ورجل بالمغرب لغلا دماغه حتى يسيل من منخريه[1].

وذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لو أن غرباً[2] من جهنم وضع في الأرض لأذى حرّه ما بين المشرق والمغرب.

(1) رواه يحيى بن سلام عن النضر بن معبد عن أبي قلابة كما جاء في ز ورقة 131.

(2) في بعض المخطوطات تراباً، وفي بعضها غراباً، والصحيح ما أثبته «غرباً»، وهي الدلو العظيمة. وقد روى هـذا الحديث الطبراني عن أنس بلفظ أطول حسبما ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ج 4 ص 462.

وذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ناركم هذه التي توقدون بها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم. قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية. قال: فإنها فضلتها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرّها. وزاد فيه بعضهم قال: ضربت بالماء مرّتين لكي تنتفعوا بها وتدنوا منها[1].

قوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يعني المنافقين. فليضحكوا قليلاً في الدنيا، أي: إلى موتهم، وليبكوا كثيراً، أي في النار إذا صاروا إليها.

ذكروا عن أبي موسى الأشعري أنه قال: إن أهل النار ليبكون الدموع، حتى لو أن السفن أرسلت في دموعهم لجَرَت، ثم يبكون بعد ذلك الدم[2].

ثم قال للنبي عليه السلام: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ﴾ أي: من غزوة تبوك ﴿إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي من المنافقين ﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِي عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فبذلك كفرتم، وبذلك نُهيتُ أن أستصحبكم ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾. أي مع النساء في تفسير الحسن. وفي تفسير الكلبي: مع الأشرار. ذكر بعضهم قال: ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلاً قيل فيهم ما قيل.

قوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ ثم أخبره لم ذاك وبم هو، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: خالفوا الله وخالفوا رسوله ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وهو فسق النفاق.

---

(1) حديث متفق على صحته، رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة عن ابن عمر. وأخرجه مسلم... أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم (رقم 2843) عن أبي هريرة، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد؛ باب صفة النار، عن أنس بن مالك (4318).

(2) هذا معنى حديث أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك مرفوعاً (رقم 4324) ولفظه: «يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى ينقطع الدموع، ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيه السفن لجرت».

قال بعضهم: بلغنا أنه عبد الله بن أبي بن سلول؛ لما مات جاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أكفّنه فيه. فأعطاه رسول الله ﷺ قميصه فكفنه فيه، وصلّى عليه النبي. فأنزل الله: (وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) ثم أخبره لم ذاك وبم هو فقال: (إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) أي خالفوا الله وخالفوا رسوله (وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ)(1).

وقال بعضهم: ذكر لنا أنه مات منافق فكفنه رسول الله في قميصه وصلى عليه ودلّاه في قبره. فأنزل الله هذه الآية. فذكر لنا أن النبي ﷺ قال: وما يغني عنه قميصي من عذاب الله. والله إني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه(2).

وقال بعضهم: إن رسول الله تقدم ليصلِّيَ عليه، فأخذ جبريل بثوبه فقال: والله لا تصل على أحد منهم مات أبداً.. إلى آخر الآية.

وفي هذا دليل على أهل الفراق أن لو كانوا مشركين كما قالوا ما صلّى عليهم رسول الله، ولا وقف على قبورهم، ولا كفنهم في ثيابه، ولا دلّاهم في قبورهم بعد قول الله: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) [التوبة: 28]، وبعد قوله: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) [التوبة: 113].

قوله: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: وتموت أنفسهم ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ أي: وهم مخالفون لله ورسوله. أخبر أنهم يموتون على الكفر. وقد فسّرناه في الآية الأولى التي قبل هذه الآية.

---

(1) قصة طلب عبد الله بن عبد الله بن أبي من رسول الله عليه السلام أن يصلي على أبيه عبد الله بن أبي وصلاة الرسول عليه ثابتة في كتب التفسير والحديث، انظر مثلاً صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة براءة، وتفسير الطبري ج 14 ص 409.

(2) ذكر السيوطي في الدر المنثور ج 3 ص 266 هذا الخبر الذي أخرجه أبو الشيخ عن قتادة وفيه: «والله إني لأرجو أن يسلم به أكثر من ألف من بني الخزرج».

قوله: ﴿ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَن ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَـٰهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾ أي: ذوو السّعة والغِنى في المُقام والتخلّف عن الجهاد ﴿ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ القَـٰعِدِينَ ﴾[1] قال: ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ ﴾ أي مع النساء في تفسير الحسن وغيره من العامة. ﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾.

قال: ﴿ لَـٰكِنِ الرَّسُولُ وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَـٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَـٰئِكَ لَهُمُ الخَيْـرَٰتُ ﴾ قال الحسن: الخيرات: النساء الحسان[2]. وقد قال: (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) [الرحمن: 70] ﴿ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ أي: السعداء.

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ قد فسّرنا الأنهار في غير هذا الموضع[3] ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي: لا يموتون ﴿ ذَٰلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾. قد فسرناه قبل هذا الموضع[4].

قوله: ﴿ وَجَاءَ المُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ ﴾ يعني المنافقين من الأعراب ﴿ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ في القعود ﴿ وَقَعَدَ الذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ فيما أقروا به من الإقرار والتوحيد إذ تخلفوا في غزوة تبوك ﴿ سَيُصِيبُ الذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع. وذلك يقع على جميع المنافقين.

قوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى المَرْضَىٰ ﴾ نزلت في عبد الله بن أم

(1) في المخطوطات الأربع: «مع القاعدين، أي مع النساء». وهو خطأ من النساخ ولا شك. وقد أثبت «النساء» تفسيراً «للخوالف» كما هو الصحيح. وكما ذهب إليه جمهور المفسرين؛ فإن صيغة فواعل تأتي في الأصل جمعاً لمؤنث على وزن فاعلة. وقد ورد فواعل وزناً لمذكر مثل فارس فوارس وهالك هوالك. انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة، ج 1 ص 265. أما القاعدون فهم الذين قعدوا في بيوتهم من العجزة والمرضى وغيرهم ممن لا يخرج للجهاد.

(2) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 267: (وأولـٰئك لهم الخيرات) وهي جميع خيرة، ومعناها الفاضلة في كل شيء». وهو وصف، وليس على صيغة التفضيل. وإذا أريد التفـ قيل: هو، أو هي، خير الناس. وانظر اللسان: (خير).

(3) انظر ما سلف، ج 1 ص 90.

(4) انظر ما سلف ج 1 ص 512.

مكتوم الأعمى وأصحابه ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾ أي جناح في التخلف عن الغزو ﴿ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ إذا كان لهم عذر. ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي غفر لهم مقامهم ووضع الخروج عنهم.

﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا ﴾ أي: انصرفوا من عندك ﴿ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ ذكروا أن مجاهداً قال: هم بنو مُقرِّن، من مُزَينة. وقال بعضهم: هم الأشعريون، رهط أبي موسى الأشعري[1].

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ﴾ يعني المنافقين ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ أي مع النساء ﴿ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ من غزاتكم، وهي غزوة تبوك. ﴿ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ﴾ أي لن نصدقكم ﴿ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ يعني ما أنزل فيهم ﴿ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ الغيب: السر، والشهادة: العلانية ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: في الدنيا.

قوله: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ من غزاتكم ﴿ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ لا تقتلوهم ما أظهروا لكم الإيمان واعتذروا ﴿ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي يعملون.

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ أي: بالكذب والعلل ﴿ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ﴾ أي بما أظهروا لكم من الإيمان والاعتذار. ﴿ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ ﴾ بما أظهروا لكم من الإيمان ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾. أي لا يرضى عنهم بالفسق والنفاق الذي بطن منهم، ولم تطلعوا عليه أنتم منهم.

قوله: ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ يعني المنافقين من الأعراب. أي: هم

(1) هم البكاءون السبعة، وهم من الأنصار وغيرهم. وقد ذكرت كتب التفسير والسير أسماءهم وقصتهم، انظر سيرة ابن هشام ج 4 ص 518، وتفسير الطبري ج 14 ص 421 - 423.

أشد نفاقاً من نفاق أهل المدينة، وأشد كفراً من كفرهم. ﴿ وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾ أي: أقل علماً بالسنن، وأجفى في الدين. ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: عليم بخلقه، حكيم في أمره.

قوله: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَماً ﴾[1] أي: في الجهاد في سبيل الله ﴿ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ﴾ أي أن يهلك محمد والمؤمنون فيرجع إلى دين مشركي العرب. ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ أي عاقبة السوء ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَٰتٍ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي يتقرّب به إلى الله ﴿ وَصَلَوَٰتِ الرَّسُولِ ﴾ أي: ويتخذ صلوات الرسول أيضاً قربة إلى الله عزّ وجلّ. وصلوات الرسول استغفاره ودعاؤه. ﴿ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ أي الجنة ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من أقام الصلاة، وآتى الزكاة، ومات لا يشرك بالله فإن حقاً على الله أن يغفر له، هاجر أو قعد في مولده. وإنما يتقبل الله من المتقين. وإن في الجنة لمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله لمن جاهد في سبيله. ولولا أن أشق على أمتي ولا أجد ما أحملهم عليه ولا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا بعدي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أن أقاتل في سبيل الله فأقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل[2].

وقوله في أول الحديث: هاجر أو قعد في مولده، إنما هو بعد ما انقطعت الهجرة، وذلك بعد فتح مكة، فصار الجهاد تطوعاً.

قوله: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾. ذكروا عن سعيد بن

---

(1) جاء في ز، ورقة 132 ما يلي: «(وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَماً) يعني المنافقين، لأنهم ليست لهم نية. قال محمد: قوله مغرماً، يعني غرماً وخسراناً».

(2) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب فضل الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، وفي باب تمني الشهادة، عن أبي هريرة.

المسيب[1] قال: هم الذين صلّوا القبلتين مع النبي ﷺ[1]. ﴿وَالذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَـٰنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿ذَٰلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾. وقد فسرناه قبل هذا الموضع.

قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنَ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ أي اجترأوا عليه، والمتمرد الجريء على المعاصي. ﴿لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ أي لا تعرفهم أنت يا محمد. نحن نعرفهم.

وقد عرفهم الله رسوله وأعلمه بهم بعد ذلك، وأسرّهم رسول الله ﷺ إلى حذيفة ابن اليمان.

ذكروا عن الحسن أنه قال: مات رجل له صحبة إلى جانب حذيفة فلم يصلِ عليه حذيفة. فأرسل إليه عمر فأغلظ له، وقال: يموت رجل من أصحاب النبي إلى جانبك ولا تصلي عليه. قال: يا أمير المؤمنين، إنه من القوم. فقال له عمر: أناشدك بالله، أنا منهم، قال: لا، والله لا أؤمن منها أحداً بعدك.

وقال بعضهم: قال له عمر: يموت رجل من أصحاب النبي إلى جانبك لا تسأل عليه؟ فقال له حذيفة: لو كنت مثله ما صليتُ عليك. قال: أمنافق هو يا حذيفة؟ قال: ما كنت لأخبرك بسرّ رسول الله ﷺ. فقال عمر: أناشدك الله، أنا منهم. قال حذيفة: اللهم لا.

وفي هذا دليل لأهل الفراق أن عمر لم يَلُم حذيفةَ على أن لا يصلي عليه، وهو عند عمر مسلم. وفي قول عمر: يا حذيفة أناشدك الله أنا منهم ما يدل كل ذي نُهى وحِجى أن عمر لم يكن يخاف على نفسه أنه مشرك، بل إنه خاف أن تكون له معاصٍ في الإسلام توجب عليه النفاق، أو يكون نبي الله قد أسرَّ إلى حذيفة شيئاً من ذلك.

---

(1) نسب هذا القول في ز، ورقة 132 إلى قتادة. وقد جاء منسوباً في تفسير الطبري إلى سعيد بن المسيب برواية قتادة عنه. انظر تفسير الطبري ج 14 ص 436 - 437. وقال بعضهم: هم الذين بايعوا بيعة الرضوان.

وأما الشرك، فلم يكن يخافه عمر على نفسه، ولا يظنه به[1].

قوله: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ فأما إحداهما فبالزكاة تؤخذ منهم قهراً، وأما الأخرى فعذاب القبر في تفسير بعضهم. ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ يعني المنافقين. وعذاب القبر أيضاً في سورة طه [124] في قوله: (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً).

ذكروا عن أبي سلمة بن عبد الرحمن [عن أبي هريرة][2] عن النبي ﷺ، وذكروه عن عبد الله بن مسعود، وذكروه عن أبي سعيد الخدري أنه قال: هو عذاب القبر يلتئم على صاحبه حتى تختلف أضلاعه[3]. وقال بعضهم: (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ) أي: عذاب الدنيا وعذاب القبر، (ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ)، أي جهنم.

قوله: ﴿ وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَـٰلِحاً وَءَاخَرَ سَيِّئاً ﴾ قيل: هم نفر من المؤمنين، منهم أبو لبابة بن عبد المنذر، وأُوَيْس بن ثعلبة في تفسير الكلبي. وكان الحسن لا يسميهم ويقول: كان عرض في هممهم شيء، ولم يعزموا على ذلك، ثم تابوا من بعد ذلك، وأتوا رسول الله ﷺ فاعترفوا بذنوبهم.

قال: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. وعسى من الله واجبة.

وقال بعضهم: ذكر لنا أنهم كانوا سبعة رهط تخلّفوا عن غزوة تبوك، فأما أربعة فهم الذين خلطوا: جدّ بن قيس، وأوس، وحرام، وأبو لبابة، وكلهم من الأنصار،

(1) هذه الفقرة من قوله: وفي هذا دليل لأهل الفراق... من الشيخ هود الهواري ولا شك يحاجّ بها من يسميهم بأهل الفراق في مسائل الشرك والنفاق كما يراها الإباضية.

(2) زيادة لا بد منها، لأن أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف توفي سنة أربع وتسعين للهجرة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، فلم يكن إذاً صحابياً. ولكنه كان من فقهاء التابعين، وكان يحمل عنه الحديث.

(3) رواه مجاهد بنسد عن أبي هريرة يرفعه إلى رسول الله ﷺ، وأخرجه عبد الرزاق وابن أبي حاتم والحاكم. وأخرج الربيع بن حبيب في مسنده ج 3 ص 17 رقم 813 عن جابر بن زيد عن ابن عباس: «قال النبي ﷺ: لو نجا من عذاب القبر أحد لنجا منه سعد بن معاذ. ولقد ضغطه القبر ضغطة اختلفت فيه (أو منها) أضلاعه».

فقيل فيهم[1]: ﴿خُذْ مِن أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تطَهِّرُهُمْ...﴾ الآية. قال: كانوا وعدوا أن ينفقوا ويجاهدوا ويتصدّقوا. والمُرجَوْن لأمر الله: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية.

وقال مجاهد: وآخرون اعترفوا بذنوبهم: أبو لبابة إذ قال لقريظة ما قال: أشار إلى حلقه أن محمداً ذَابِحُكم إذا نزلتم على حكمه. أخبرهم وأيأسهم من العفو.

ذكروا أن رسول الله ﷺ حدث عن ليلة أسري به، فكان في حديثه أنه رأى إبراهيم في السماء السابعة قال: وإذا أمتي عنده شطران: شطر عليهم ثياب بيض، وشطر عليهم ثياب رمد. فدخل الذين عليهم الثياب البيض، واحتبس الذين عليهم الثياب الرمد. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وكل إلى خير[2]. ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُومِنِينَ﴾. [آل عمران: 68].

قوله: ﴿خُذْ مِن أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ [من الذنوب][3] وتزكِّيهم بِهَا﴾. وليست بصدقة الفريضة، ولكنها كفارة لهم. وقال بعضهم: هم الذين اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهم ناس من أصحاب النبي عليه السلام، فتاب الله عليهم، وقال: ﴿خُذْ مِن أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾.

قال: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: واستغفر لهم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾ أي استغفارك ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ أي تثبيت منك لهم على ما هم عليه من الإيمان[4]. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

---

(1) كذا في ق وع: «فقيل فيهم»، وهو الصحيح؛ وفي ج ود: «فقبل منهم» وهو خطأ. وفي الطبري ج 14، ص 450: «وهم الذين قيل فيهم». وهذه الجملة الأخيرة أوضح وأصح.

(2) رواه البيهقي في دلائل النبوة عن أبي سعيد الخدري، ورواه كثيرون منهم أبو هريرة وشداد بن أوس وابن عباس. وانظر أحاديث الإسراء والمعراج في كتب السنّة.

(3) زيادة من ز، ورقة 132.

(4) كذا في المخطوطات الأربع: وفي ز، ورقة 132 «(سكن لهم) أي يعني طمأنينة لقلوبهم، يقوله الله عزّ وجلّ للنبي عليه السلام».

قوله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَـٰتِ ﴾ أي: ويقبل الصدقات ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.

ذكروا عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يقبل الله صلاة بغير طُهور، ولا صدقة من غُلول[1].

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُومِنُونَ ﴾ أي بما يطلعهم الله عليه، في تفسير الحسن. قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن، فإنه بنور الله ينظر[2].

ذكروا عن أبي الدرداء قال: إياكم وفراسة العلماء، إن شهدوا عليكم شهادة تكبّكم في النار، فوالله إنه الحق، يقذفه الله في قلوبهم وعلى أبصارهم.

ذكروا عن عثمان بن عفان أنه قال: لو أن رجلاً عمل في قعر سبعين بيتاً لكساه الله رداء عمله، خيراً كان ذلك أو شراً.

ذكر لنا أنه مُرَّ على رسول الله بجنازة فأثنوا عليها خيراً، حتى تتابعت الألسن لها بخير، فقال رسول الله ﷺ: وجبت. ثم مُرَّ عليه بجنازة، فأثنوا عليها شراً، حتى تتابعت الألسن عليها بشر فقال: وجبت، أنتم شهداء الله في الأرض[3].

قوله: ﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

(1) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1، ص 232، تعليق: 1.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، تفسير سورة الحجر، عن أبي سعيد الخدري ولفظه: «قال رسول الله ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُومِنِينَ)» وأخرجه ابن جرير الطبري أيضاً عن ابن عمر، وأخرجه أيضاً عن ثوبان وزاد فيه: «وينطق بتوفيق الله».

(3) حديث صحيح أخرجه ابن ماجة في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الثناء على الميت عن أنس ابن مالك (رقم: 1491) وعن أبي هريرة (رقم 1492). وأخرجه الترمذي وابن حبان عن أنس.

قال بعضهم: هم هلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، وكعب بن مالك. وقال مجاهد: هم الثلاثة الذين في آخر السورة الذين خُلِّفوا، وهم الذين أرجئوا في هذه الآية، ثم تاب عليهم في الآية التي في آخر السورة.

قوله: ﴿ الذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُومِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنَ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ ﴾ أي: إن أردنا ببنيانه إلا خيراً ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾.

في تفسير الحسن أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك نزل بين ظهراني الأنصار وبنى مسجد قباء[1] وهو الذي أسس على التقوى. وقد كان المنافقون من الأنصار بنوا مسجداً، فقالوا نميل[2] به. فإما يأتينا رسول الله فيه وإما لا يأتيه، ونخلو فيه لحوائجنا. ونبعث إلى أبي عامر الراهب [لمحارب من محاربي الأنصار كان يقال له الراهب][3] وكان رسول الله ﷺ أسره[4] فيأتينا ونستشيره في أمورنا.

فلما بنوا المسجد وهو الذي قال الله عزّ وجلّ: (الذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُومِنِينَ) أي: بين جماعة المؤمنين، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، يعني أبا عامر المحارب. قال: فجعل رسول الله ﷺ ينتظر الوحي، فجعل لا يأتيهم ولا يأتونه. فلما طال ذلك عليه دعا بقميصه ليأتيهم. قال: فإنه ليزُرُّه عليه إذ أتاه جبريل فقال:

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز ورقة 133 كذلك: «لما رجع من غزوة تبوك نزل بين ظهراني الأنصار وبنى مسجد قباء». وهو خطأ تاريخي محض، لأن النبي عليه السلام بنى مسجد قباء قبل ذلك بسنوات. وقيل كان المسجد موجوداً قبل ذلك فصلى فيه النبي عليه السلام أول صلاة جماعة عند مقدمه المدينة مهاجراً من مكة وإقامته أياماً بقباء. وقباء قرية بها مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار. انظر معجم ياقوت: معجم البلدان ج 3، ص 301. ولعل في الكلام سقطاً أو سهواً من النساخ.

(2) كذا في بعض المخطوطات وفي ز: «نميل به»، وفي بعضها: نمثل به.

(3) زيادة من ر، ورقة 133.

(4) كذا في ق وع ود: «سيّره»، وفي ز: «أَسَرَه» ولم أهتدِ إلى معنى ارتضيه للكلمتين، إلا أن يكون المعنى: أخرجه من المدينة.

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً ﴾ يعني ذلك المسجد ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ يعني مسجد قباء، في تفسير الحسن، ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ ﴾. أي من الذنوب.

ذكروا أنه لما نزلت هذه الآية: (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ) قال رسول الله ﷺ: يا أهل قباء، إن الله قد أحسن عليكم الثناء [في الطُّهور][1] فماذا تصنعون؟ قالوا نغسل أدبار المقاعد[2].

وقال بعضهم: ذكروا لنا أن أناساً من أهل النفاق ابتنوا مسجداً بقباء ليضاهوا به مسجد نبي الله عليه السلام. وبعثوا إلى نبي الله ليصلِّيَ فيه. وذكر لنا أنه أخذ قميصه ليأتيهم حتى أطلعه الله على ذلك. وكان رجل فرّ من الإسلام يقال له أبا عامر، فلحق بالمشركين فقتلوه بإسلامه[3] وقالوا: إذا جاء صلى فيه. قال مجاهد: (وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ) أي: لأبي عامر.

ذكروا عن عثمان وعلي رضي الله عنهما في قوله: (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) قالا: هو مسجد النبي عليه السلام.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال في قوله: (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ) قال: هو مسجدي هذا، وفي ذلكم خير[4]، يعني مسجد قباء.

---

(1) زيادة من ر، ورقة 133.

(2) كذا وردت هذه الجملة في المخطوطات الأربع: «نغسل أدبار المقاعد». وقد رويت بألفاظ منها: «إنا نغسل منا أثر الغائط والبول». و«إنا نستطيب بالماء إذا جئنا من الغائط». والحديث أخرجه أحمد وابن خزيمة والطبراني عن عويم بن ساعدة الأنصاري كما في تفسير الطبري. وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها باب الاستنجاء بالماء عن أبي أيوب الأنصاري وجابر ابن عبد الله، وأنس بن مالك. (رقم 355) بلفظ: «يا معشر الأنصار، إن الله قد أثنى عليكم في الطّهور. فما طُهوركم؟ قالوا: نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة، ونستنجي بالماء. قال: فهو ذاك، فعليكموه». وانظر تفسير الطبري ج 14 ص 483 - 490.

(3) في المخطوطات الأربع: «فألزموه بإسلامهم»، وهو خطأ أثبت تصحيحه من تفسير الطبري ج 14، ص 473، وانظر تعليق المحقق هناك.

(4) كذا في المخطوطات: «وفي ذالكم خير». وفي تفسير الطبري: «وفي كلٍّ خيرٌ»، والحديث =

وبلغنا أن رسول الله ﷺ دعا المنافقين الذين بنوا ذلك المسجد فقال: ما حملكم على بناء هذا المسجد؟ فحلفوا له بالله: إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون.

قوله: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ﴾ يقول: لا يكونون بالظلم مهتدين عند الله، وهو ظلم النفاق، وهو ظلم دون ظلم، وظلم فوق ظلم. أي إن الذي أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير من الآخر. قال بعضهم: ما تناهى أن وقع في النار. وذكر لنا أنهم حفروا فيه بقعه فَرِيءَ منها الدخان.

وقال الحسن: شبه الله أعمال المنافقين مثل إنسان بنى على الرمل فانهار، فلم يثبت البناء عليه. وكذلك أعمال المنافقين لا تثبت عند الله لأنها ليس لها أصل تثبت به، فانهارت لهم أعمالهم في نار جهنم.

وبعضهم يقرأها بالنصب: (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّن أَسَّسَ بُنْيَانَه، بالنصب جميعاً، عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ).

قوله: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الذِي بَنَوْا رِيبَةً﴾ أي: شكا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تُقَطَّعَ

= أخرجه أحمد في مسنده كما أخرجه الطبري في تفسيره ج 14 ص 481 عن أبي سعيد الخدري. ورجح الطبري أن المسجد الذي أسِّس على التقوى هو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة. ولكن إذا ثبت الحديث الذي رواه الطبري نفسه في ص 488، وهو أن الرسول ﷺ سئل عن الذين قال الله فيهم: (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا) فأجاب بقوله: نعم الرجال منهم عويم بن ساعدة، أقول: إذا ثبت هذا الحديث، وليس هناك ما يقدح في صحته، أمكن أن نرجح أن المسجد الذي أسِّس على القتوى هو مسجد قباء، لأن عويم بن ساعدة هو، بدون خلاف، من بني عمرو ابن عوف، أهل قباء. ومما يقوّي هذا الترجيح ما رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، باب في الاستنجاء، (رقم 357) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: نزلت في أهل قباء، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين. قال: كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية. وانظر تفسير القرطبي، ج 8 ص 259 - 260.

قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: إلا أن يموتوا. أخبر أنهم يموتون على النفاق. ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: عليم بخلقه، حكيم في أمره.

قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ المُومِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُـمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَىٰـةِ وَالإِنْجِيلِ والقُرْآنِ ﴾ أي: هذا حكم الله في هذا في التوراة والإنجيل والقرآن.

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْـدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ على الاستفهام، أي: لا أحـد. قال: ﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ أي النجاة العظيمة.

قوله: ﴿ التَّـٰائِبُونَ ﴾ قـال الحسن: تابـوا من الشرك وبَـرِئوا من النفـاق ﴿العَـٰبِدُونَ﴾ أي عبدوا الله مخلصين. ﴿الحَـٰمِدُونَ﴾ أي الحامدون الله على السراء والضرّاء. قال الحسن. قال رسول الله ﷺ: قضى الله خيراً لكل مسلم؛ إن أعطاه شكر، وإن ابتلاه صبر[1].

﴿السَّـٰئِحُونَ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ سئل عن السائحين فقـال: هم الصائمون[2]. وذكروا عن الحسن قال: السياحة كثرة الصيام.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه عن صهيب مرفوعاً في كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (رقم 2999) بمعنى أتم، وهذا نصه: عجباً لأمر المؤمن. إن أمره كله خير. وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابتـه سرّاء شكر، فكان خيراً له. وإن أصابته ضرّاء صبر، فكان خيراً له.

(2) أخرجه ابن جرير الطبري وغيره مرفوعاً عن أبي هريرة وعن ابن مسعود أيضاً، وأخرجه بعضهم مرسلاً. انظر تفسير الطبري ج 14 ص 502، 506، وانظر الدر المنثور ج 3 ص 281.
وروى بعض المحققين من علماء التفسير في (السَّائِحُونَ) معنى وجيهاً له قيمته وهو أنه من السياحة بمعنى السير في الأرض للتفقه في الدين والوقوف على آثار الماضين للاتعاظ والاعتبار. انظر في هذا الموضوع كلاماً جميلاً للعلامة محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره: محاسن التأويل ج 7 ص 335، 338.
وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ج 1 ص 193: (السَّائِحُونَ): الصائمون: وأصل السائح: الذاهب في الأرض. ومنه يقال: ماء سائح وسَيْح، إذا جرى وذهب. والسائح في =

﴿الرَّٰكِعُونَ السَّٰجِدُونَ﴾ يقول: أهل الصلاة. ﴿ الأَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ وهو كل ما يعرف العباد عدله. ﴿ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ وهو كل ما يعرف العباد جوره.

﴿وَالحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴾ فيما أمروا به ونهوا عنه. ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤمِنِينَ ﴾ وهم أهل هذه الصفة. أي: بشّرهم يا محمد بالجنة.

قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِي وَالذِينَ ءَامَنُوا أَن يَّسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ أَنَّهُمُ أَصْحَٰبُ الجَحِيمِ ﴾.

ذكر بعضهم قال: كان أنزل في سورة بني إسرائيل: (وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) [الإسراء: 23 - 24]؛ ثم أنزل الله في هذه السورة: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالذِينَ ءَامَنُوا أَن يُّسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ. . .) الآية؛ فلا ينبغي [للمسلم][1] إذا كان أبواه مشركين أن يستغفر لهما، ولا يقل: ربّ ارحمهما؛ وكذلك إذا كانا منافقين.

قال الحسن: (مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ) أي: ماتوا على الكفر والنِّفاق. وقال بعضهم: كان يقال: ليقل: اللهم اهده، ولا يقل: اللهم اغفر له.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾.

في تفسير ابن عباس والحسن: فلما مات تبيّن له أنه عدوٌّ لله. وكان إبراهيم يرجوه ما كان حيّاً، فلما مات تبيّن له أنه عدوّ لله، لأنه مات على الكفر.

وقال الكلبي: إن النبي عليه السلام سأل: أيّ قرابته أحدث به عهداً، فقيل: أمك. فأراد أن يستغفر لها، وقال استغفر إبراهيم لأبويه، وهما مشركان. فلما همّ أن

= الأرض ممتنع من الشهوات، فشبه الصائم به، لإمساكه في صومه عن المطعم والمشرب والنكاح».

(1) زيادة لا بد منها، من ز ورقة 133، سقطت من المخطوطات الأربع.

يستغفر لأمه جاءه جبريل وقال: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾. يقول: فلما مات علم أنه لا توبة له، فتبرأ منه.

وقال بعضهم: ذكر لنا أن رجلاً قال لنبي الله عليه السلام: إن من آبائنا من كان يُحسِن الجوار، ويصل الأرحام، ويفي بالذِّمم، أفلا نستغفر لهم. قال: بلى، فوالله إني لأستغفر لهم، يعني والديه، كما استغفر إبراهيم لوالديه[1]. فأنزل الله هذه الآية: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾. وقال في قوله: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ ﴾ أي: لما مات على شركه ﴿ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ قال بعضهم: الأوّاه: الرحيم. ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الأوّاه: الرحيم. وبعضهم يقول: هو الدّعّاء. [وقال ابن عباس: الأوّاه: الموقن][2].

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَيٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

بلغنا أن أناساً من أصحاب النبي عليه السلام ماتوا قبل أن تفرض الفرائض أو بعضها، فقال قوم من أصحاب النبي: مات إخواننا قبل أن تفرض هذه الفرائض، فما منزلتهم، وقد كانوا مؤمنين بما فرض عليهم يومئذٍ، فأنزل الله هذه الآية، فأخبر أنهم ماتوا على الإيمان.

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 14 ص 513 عن قتادة مرسلاً.

(2) زيادة من ز، ورقة 134 وقد عدد ابن الجوزي في زاد المسير ج 3 ص 509 - 510 ثمانية أقوال في (أواه) ويبدو أن أدقها تعبيراً وأصحها تأويلاً ما قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن، ج 6 ص 270. قال: «مجازه مجاز فعّال من التأوه، ومعناه: متضرّع شفقاً وفرقاً ولزوماً لطاعة ربّه، وقال المثقِّف العبديُّ:

إِذَا مَـا قُمْتُ أَرْحَلُهَـا بِلَيْـلٍ   تَـأَوَّهُ آهَـةَ الرَّجُـلِ الحَـزِينِ».

وانظر البيت ضمن قصيدة رائعة اختارها المفضل الضبي في «المفضليات» ص 288 - 292. تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام ومحمد هارون، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر.

قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَالَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ﴾ أي: يمنعكم من عذاب الله ﴿وَلاَ نَصِيرٍ﴾. قال الحسن: يقول: إن كفرتم، يعني المؤمنين.

قوله: ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِي وَالمُهَـٰجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ ﴾ يعني حين العسرة، وهي غزوة تبوك.

قال بعضهم: هم الذين اتبعوا رسول الله في غزوة تبوك في لَهَبان الحرِّ على ما يعلم الله من الجهد. أصابهم منها جهد شديد، حتى لقد بلغنا أن الرجلين كانا يشقّان التمرة بينهما. وكان النفر يتداولون التمرة بينهم، يمصّها هذا، ثم يشرب عليها الماء، ثم يمصّها الآخر.

ذكروا أن عثمان بن عفان حمل في جيش العسرة على ألف بعير إلا خمسين، فكمّلها خيلاً.

قوله: ﴿ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ قال الحسن: تزيغ[1] عن الجهاد فينصرفون؛ فعصمهم الله من ذلك، فمضوا مع النبي ﷺ.

قال: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾. قال بعضهم: الثلاثة الذين خلّفوا هلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، وكعب بن مالك، وهو تفسير مجاهد والعامّة. قال: أما أحدهم فأوثق نفسه إلى سارية وقال: لا أطلقها [ولا أطلق نفسي][2] حتى يطلقني نبي الله [فقال رسول الله: والله لا أطلقه حتى يطلقه ربه إن شاء][2]. وأما الآخر فعمد إلى حائطه الذي كان تخلف عليه وهو مونع [فجعله صدقة في سبيل الله][2]. وأما الآخر فركب المفاوز حتى لحق نبي الله ورجلاه تسيلان دماً.

---

(1) في ز، ورقة 134: (مِن بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ) أي: تميل عن الجهاد فعصمهم الله عزّ وجلّ من ذلك.

(2) هذه الزيادات التي جعلتها بين المعقوفين كلها من تفسير الطبري ج 14 ص 546، للإيضاح، والقول لقتادة وفي آخرها بدل تسيلان: «تشلشلان» أي تتشلشلان، بمعنى «يتبع قطران بعضه بعضاً وسيلانه» كما جاء في اللسان (شلل).

قوله: ﴿ وَعَلَى الثَّلَـٰثَةِ الذِينَ خُلِّفُوا ﴾ أي: وتاب على الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك: كعب بن مالك، وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة، وهم الذين أرجئوا في الآية الأولى حيث يقول: (وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ) في تفسير مجاهد. وهم عند الحسن آخرون غير المُرجَيْن.

قال: ﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ أي بسعتها. ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا ﴾ أي: وعلموا ﴿ أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.

بلغنا أن رسول الله ﷺ كان أمر الناس ألَّا يكلّموهم ولا يجالسوهم، ثم أرسل إلى أهلهم ألا يؤووهم ولا يكلّموهم. فلما رأوا ذلك ندموا وجاءوا فأوثقوا أنفسهم إلى سواري المسجد، حتى أنزل الله توبتهم في هذه الآية.

ذكروا عن كعب بن مالك أنه لما تِيبَ عليه جاء بماله كله إلى النبي صدقة، فقال له رسول الله ﷺ: أمسك عليك الشطر فهو خير لك[1].

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّـٰدِقِينَ﴾.

قال الكلبي: الذين آمنوا من أهل الكتاب، أمرهم أن يكونوا مع الصادقين، وهم المهاجرون والأنصار. وقال بعضهم: الصدق في النية، في السر والعلانية.

وقال بعضهم: (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ): صدقوا بقولهم فهاجروا، فكونوا معهم، أي: فهاجروا إلى المدينة[2].

(1) أخرج هذه القصة الطريفة البخاري في كتاب التفسير، في أواخر سورة التوبة، وفيه: قال مالك في آخر حديثه: «إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله. فقال النبي ﷺ: أمسك بعض مالك فهو خير لك». واقرأ قصة المخلفين مفصّلة في كتب التفسير والحديث والسيرة ففيها مواعظ وعبر وذكرى.

(2) لا أرى وجهاً لتخصيص الكلبي مؤمني أهل الكتاب بالخطاب، ولا لما ذهب إليه بعضهم من قصر معنى المعية في اتباع المهاجرين في هجرتهم إلى المدينة، فإن صفة الصدق وردت في الآية بصيغة العموم، فيجب أن تحمل على أوسع معانيها. وكلام الله موجّه إلى كل المؤمنين في =

قوله: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ﴾ وهذا في غزوة تبوك ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ يعني من خرج منهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ أي عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ أي: في أبدانهم ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ أي: جوع تخمص له بطونهم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

ذكروا أن المجاهد إذا خرج من بيته جعل ذنوبه جسراً على باب بيته، فإذا خرج قطعها، فيكون من ذنوبه كيوم ولدته أمه؛ فما من خطوة يخطوها إلا كُتِب له بها سبعُمائة حسنةً، ولا بطشة يبطشها، ولا عمل يعمله إلا كتب له سبعمائة حسنة، فإن مات أو قتل كان على الأرض حراماً حتى يرى مقعده في الجنة، ويغفر له كل ذنب هو له.

= كل زمان ومكان. ومِن أولى معاني الصدق في الآية الصدقُ في الحديث والتنزّه عن الكذب في كل شيء. وذلك ما أدركه كعب بن مالك حين قال بعد ما روى قصة المخلفين الثلاثة، وهو أحدهم: «قلتُ يا رسول الله، إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أُحدِّث إلا صدقاً ما بَقيت». وقال: «فوالله ما علمت أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام أحسن مما ابتلاني؛ والله ما تعمّدتُ كَذْبةً منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا. وإني أرجو أن يحفظني الله فيما بقي». وقال: «والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسولَ الله ﷺ، ألا أكون كَذَبْتُه، فأهلك كما هلك الذين كذبوه».

وهو ما فهمه أيضاً ابن مسعود رضي الله عنه فقال: إن الكذب لا يحل منه جد ولا هزل وقرأ: «اتقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ». وانظر الطبري في تفسيره ج 14 ص 559 - 560 وفيه أن قراءة ابن مسعود كانت: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ)، وزاد فيه: «فهل ترون في الكذب رخصة».

وهكذا من تأمل في قصة المخلفين الثلاثة، وتدبر ما كان من أمر كعب بن مالك خاصة، وحديثه للرسول ﷺ بعد نزول توبته، أدرك أن معنى الصدق هنا ينصرف أولاً إلى الصدق في الحديث. ثم، بعد ذلك، الصدق في النية والعمل، وأن الخطاب موجه إلى كافة المؤمنين في كل زمان ومكان بدون تخصيص.

ذكروا أن ابن عمر قال: صفرة في سبيل الله خير من خمسين حجة. قال: يعني بالصفرة أن يذهب زاده حتى يبقى صفراً ليس معه طعام، وإنما يتقبّل الله من المتقين.

ذكروا عن أبي المصبّح قال: غزونا مع مالك بن عبد الله الخثعمي[1] أرض الروم، فسبق الناسَ رجل، ثم نزل يمشي ويسوق فرسه. فقال له مالك: يا عبد الله. ألا تركب: فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من اغبرّت قدماه في سبيل الله ساعة من نهار فهما حرام على النار[2]. وأصلح دابتي لتقيني من قومي[3]. قال: فلم أرَ نازلاً أكثر من يومئذٍ.

ذكروا عن سعيد بن المسيب أنه قال: العمل[4] في سبيل الله يضاعف كما تضاعف النفقة الواحدة بسبعمائة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان نار جهنم في منخري عبد مسلم أبداً[5].

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُومِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ أي جميعاً. قال الحسن: فَيُعْرُوا مقامَ

---

(1) هو الأمير أبو حكيم مالك بن عبد الله الخثعمي، الفلسطيني، من أبطال الإسلام. كان أميراً على الجيوش في خلافة معاوية. قيل إنه قاد جيوش الصوائف أربعين سنة. ورُوِيَ أنه كان صحابياً والراجح أنه تابعي، توفي في حدود سنة ستين للهجرة أو بعدها. انظر ابن عبد البّر، الاستيعاب، ج 3 ص 1353، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4 ص 109.

(2) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الجهاد والسير، باب من اغبرّت قدماه في سبيل الله عن أبي عبس بن عبد الرحمن بن جبر بلفظ: ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار.

(3) كذا وردت هذه الجملة هنا في المخطوطات، وكأنها أقحمت إقحاماً، ولم أفهم لها معنى ولا مناسبة. وهي غير موجودة في ز، ورقة 134 حيث جاءت نهاية الحديث متصلة بقول أبي المصبح: فلم أرَ نازلاً أكثر من يومئذٍ.

(4) في المخطوطات: الذكر في سبيل الله يضاعف. . . وأثبت ما جاء في ز، فهو أنسب مقاماً وأصح معنى.

(5) حديث صحيح أخرجه أحمد، وأخرجه النسائي في كتاب الجهاد، باب من عمل في سبيل الله على قدميه، عن أبي هريرة وانظر البغوي، شرح السنّة، ج 10 ص 354.

رسول الله. ﴿ فَلَوْلَا ﴾ أي: فهلاّ ﴿ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ ﴾ أي: من الكفار ﴿ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ فيخبروهم بنصر الله النبيَّ والمؤمنين، ويخبروهم أنهم ليس لهم بقتال النبي طاقة ﴿ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ أي لا ينزل بهم ما نزل بغيرهم من القتل والسبإ والغنيمة، فيؤمنوا.

وقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ حين رجع من تبوك، وقد أنزل الله في المنافقين الذين تخلّفوا عنه ما نزل، قال المؤمنون: لا والله، لا يرانا الله متخلفين عن غزوة غزاها رسول الله أبداً ولا عن سرية. فأمر رسول الله ﷺ السرايا، أن تخرج. فنفر المسلمون من آخرهم، وتركوا نبيَّ الله عليه السلام وحده، فأنزل الله عزّ وجلّ: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) أي جميعاً، فيتركوك وحدك بالمدينة. (فَلَوْلا، أي: فهلا، نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّين [أي ليتفقه المقيمون][1] وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِم، أي من غزاتهم، لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)، أي لِيُعْلِم المقيمُ الغازيَ، إذا رجع، ما نزل بعده من القرآن.

وقال بعضهم: إن أحياء من بني أسد بن خزيمة أقحمتهم السنة إلى المدينة، فأقبلوا معهم بالذراري، فنزلوا المدينة، فغلوا أسعارها، وأفسدوا طرقها، فنزلت: (وَمَا كَانَ الْمُومِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ).

وقال مجاهد: إن أناساً من أصحاب النبي عليه السلام كانوا خرجوا إلى البوادي، فأصابوا من الناس معروفاً، ومن الخصب ما ينتفعون به، ودعوا من لقوا من الناس إلى الهدى؛ فقال لهم الناس: ما نراكم إلا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا. فوجدوا في أنفسهم من ذلك تحرّجاً، وأقبلوا من البادية حتى دخلوا على النبي ﷺ؛ فقال الله: فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة، أي: بعض، وقعد بعض يبتغون الخير، ليتفقهوا، أي ليستمعوا ما في الناس وما أنزل بعدهم، ولينذروا قومهم، أي الناس كلهم[2].

(1) زيادة من ز، ورقة 135.

(2) هكذا يستعرض المؤلف هنا أوجهاً مختلفة لتأويل الآية الكريمة، مُسنَدَة إلى أصحابها القائلين =

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الكُفَّارِ ﴾. قال الحسن: كان هذا قبل أن يؤمر بقتال المشركين كافة، ثم أمر بقتال المشركين كافة بعدُ.

قوله: ﴿ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ أي: شدة عليهم ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ المُتَّقِينَ ﴾ أي بالنصر والتأييد. أي: إنه سينصركم عليهم.

قوله: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم ﴾ يعني المنافقين؛ رجع إليهم ﴿ مَّن يَّقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ ﴾ يعني السورة[1] ﴿ إِيمَاناً ﴾ يقوله بعضهم لبعض.

قال الله جواباً لقولهم ﴿ فَأَمَّا الذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً ﴾ أي تصديقاً إلى تصديقهم ﴿ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ أي بما يجيء من عند الله.

﴿ وَأَمَّا الذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ وهم المنافقون ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ أي كفراً إلى كفرهم ﴿ وَمَاتُوا وَّهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ يقول: أنهم يموتون على الكفر.

قوله: ﴿ أَوَلَا يَـرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾. قال الحسن: يعني: يبتلون بالجهاد في سبيل الله مع رسول الله ﷺ فيرون نصرَ اللهِ رسولَه ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ ﴾ من نفاقهم ﴿ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

وقال مجاهد: يفتنون في كل عام مرة أو مرتين بالسنين والجوع[2].

قوله: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ يعني المنافقين ﴿ هَلْ يَرَيٰـكُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ يعني من المسلمين؛ يقوله بعضهم لبعض ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا ﴾ قال

= بها. ولكن المؤلف يكتفي بهذا ولا يجرؤ فيرجح قولاً على آخر ولا يختار تأويلاً على تأويل. قارن هذا بطريقة الطبري في تفسيره وبموقفه حين لا يتردد في أن يرجح أحد هذه الأقوال ويدلي برأيه، بعبارته المألوفة، حين يقول: «وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: تأويله.. الخ. انظر تفسير الطبري ج 14 ص 565 - 574.

(1) جاء في المخطوطات: «يعني الآية» وهو خطأ. ورجوع الضمير إلى اللفظ المذكور أولى.

(2) سقط ذكر هذه الآية وتفسيرها كله من مخطوطة د وج. وهكذا تكمل المخطوطة نقص الأخرى.

الحسن: يعني عزموا على الكفر. ﴿ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ هذا دعاء واجب عليهم ﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ أي لا يرجعون إلى الإيمان.

قوله: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ يعني النبي ﷺ. [قال السدي: أي: من جنسكم][1] ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ أي شديد عليه ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: ما ضاق بكم. وقال الحسن: ما ضاق بكم في دينكم. ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: على أن تـؤمنـوا. ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: إنما يرأف بالمؤمنين الذين تجب لهم الرأفة، ولا يرأف بغيرهم ممن نزع الله الرأفة عنهم.

قوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي: أعرضوا عن الله وعما بعث به رسوله ﴿ فَقُلْ ﴾: يا محمد ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾.

ذكروا عن ابن عباس قال: لا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه.

ذكروا عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: إن آخر القرآن بالسماء عهداً هاتان الآيتان: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ).

(1) زيادة من ز، ورقة 135.

تفسير سورة يونس
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾. قوله: ﴿ أَلَـرٰ ﴾. ذكروا أن علياً قال: أَلَـرٰ وحَمَ، ونون: الرَّحمَـٰن. وكان الكلبي يقول في هذا وأشباهه: هو من الذي قال الله فيه: (وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) [آل عمران: 7]. وكان الحسن يقول: ما أدري ما تفسير الَـرٰ وأشباه ذلك، غير أن قوماً من السلف كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.

قوله: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ الكِتَـٰبِ الحَكِيمِ ﴾ أي: هذه آيات الكتاب الحكيم. أي المحكم[1]؛ أحكمت آياته بالأمر والنهي.

قوله: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً ﴾ على الاستفهام ﴿ أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ يعني محمداً ﷺ، أي: إنه ليس بِعَجَب. وقد قال في آية أخرى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً يُوحَىٰ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ القُرَىٰ) [يوسف: 109]؛ ولم يبعث الله رسولاً من أهل البادية، ولا من الجن، ولا من النساء.

قوله: ﴿ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ أي: عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا، كما أهلك قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم حين كذبوا رسلهم.

وهذا جواب من الله لقول المشركين حيث قالوا: (وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا

(1) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 272: «والحكيم مجازه: المُحْكَم المبيَّن الموضَّح: والعرب قد تضع فعيل في معنى مُفعَل. وفي آية أخرى: (هَـٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ) [سورة قٓ: 23] مجازه: مُعَد».

وَاصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ) أي على عبادتها (إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ) [سورة صٓ: 6]. وقال في الآية الأخرى: (إِنَّ هَـٰذَا لَشَيءٌ عُجَابٌ) [سورة صٓ: 5]. فقال الله: (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا) أي بأن أوحينا (إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ) يعرفونه ويعرفون نسبه.

قوله: ﴿وَبَشِّرِ الذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي سلف صدق عند ربهم[1] أي إنهم يثابون به الجنة. كقوله: (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) [الروم: 44].

﴿قَالَ الكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يعنون القرآن. وبعضهم يقرأون: (لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ) يعنون النبي، وهم مشركو العرب. فأراد الله أن يحتج عليهم وأن يبيّن لهم؛ فقال تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الذِي خَلَقَ السَّـمَٰوٰتِ وَالأَرْضَ﴾، وفيها إضمار؛ قال في آية أخرى: (اللَّهُ الذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) [السجدة: 4] ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ والأيام كل يوم ألف سنة. قال: (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) [الحج: 47].

قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى العَرْشِ﴾.

ذكروا عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه: ما تسمون هذه، أو قال: هذا؟ قالوا: السماء. قال: هذه الرقيع، موج مكفوف، وغلظها مسيرة خمسمائة سنة، وبينها وبين السماء التي فوقها مسيرة خمسمائة عام وغلظها خمسمائة سنة، وبينها وبين السماء الثالثة مثل ذلك، حتى عد سبع سماوات وأرضين هكذا. قال: وبين السماء السابعة وبين العرش كما بين سماءين. وغلظ هذه الأرض مسيرة

(1) هذا لفظ قتادة. وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ج 1 ص 273 «مجازه: سَابِقَةُ صِدْقٍ عند ربهم؛ ويقال: له قدم في الإسلام وفي الجاهلية». أما الطبري فقد رجّح في تفسيره، ج 15 ص 16 قول من قال: «معناه أن لهم أعمالاً صالحة يستوجبون بها منه الثواب».

(2) انظر ما سلف، ج 1 ص 88، تعليق: 2.

خمسمائة سنة، وبينها وبين الثانية مسيرة خمسمائة عام، وبينها وبين الثالثة مسيرة خمسمائة عام حتى عدّ سبع أرضين هكذا.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أذن لي أن أحدّث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى، وعلى قرنه العرش. وَبَيْنَ شحمة أذنه إلى عاتقه خفقان الطير مسيرة سبعمائة سنة يقول: سبحانك حيث كنت[1].

قوله: ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾ قال الحسن: يعني في خلقه، ما يحيي ويميت، وما يرزق ويفعل. وهو كقوله: (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَانٍ) [الرحمٰن: 29]. وقال مجاهد: يدبّره أي: يقضيه.

قوله: ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ يقول: ليس أحد يشفع يوم القيامة إلا أن يؤذن له. كقوله: (مَنْ ذَا الذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) [البقرة: 255] وكقوله: (وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ) [الأنبياء: 28] وقال: (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ) [غافر: 18].

قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَّكَّرُونَ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً ﴾ يوم القيامة. يقول: إن الذي خلق السماوات والأرض، ثم استوى على العرش، يدبر الأمر، والذي لا يشفع عنده إلا بإذنه، هو ربكم، أي فإن ذلكم الله ربكم فاعبدوه. أفلاتذكرون. إليه مرجعكم جميعاً، يعني البعث يوم القيامة لأنهم لا يقرون بالبعث.

قوله: ﴿ وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً ﴾ [أي في المرجع إليه][2] ﴿ إِنَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ وهو كقوله: (قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِيءُ النَّشْأَةَ الآخِرَةِ) [العنكبوت: 20] أي: يوم القيامة. وقال مجاهد: (إِنَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ): يحييه ثم يميته، ثم يبلؤه فيحييه.

قال: ﴿لِيَجْزِيَ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَاتِ بِالقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل، أي:

(1) انظر ما سلف، ج 1 ص 515، تعليق: 1.
(2) زيادة من ز، ورقة: 136.

يجزيهم الجنة. ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ وهو الذي قد انتهى حرّه. ﴿ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي موجع ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾. أي: إن ذلك جزاؤهم بما كانوا يكفرون.

ثم احتجّ عليهم أيضاً فقال: ﴿ هُوَ الذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴾ يعني القمر ﴿ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ ﴾ بالليل والنهار.

﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالحَقِّ ﴾ أي: إن ذلك يصير إلى الحق والمعاد[1]. ثم قال: ﴿ نُفَصِّلُ الآيَـٰتِ ﴾ أي: نبيّنها ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

ثم قال: ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمٰوَاتِ ﴾ من شمسها وقمرها ونجومها ﴿وَ﴾ ما خلق في ﴿الأَرْضِ﴾ من جبالها وأشجارها وثمارها وأنهارها ﴿ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ [أي لا يخافون البعث، وهم المشركون، لأنهم لا يقرون بالبعث][2] ﴿ وَرَضُوا بِالحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ﴾ أي: لا يقرون بثواب الآخرة ﴿ وَالذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ أُولَـٰئِكَ مَأْوَيٰهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي يعملون.

قوله: ﴿إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَـٰنِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَـٰرُ فِي جَنَّـٰتِ النَّعِيمِ ﴾.

ذكروا عن الحسن أن نبي الله قال: إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له: ما أنت، فوالله إني لأراك امرأ صِدقٍ. فيقول: أنا عملك فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة. وأما الكافر فإذا خرج من قبره صور له عمله في صورة

(1) في ق و ع: «إلى الحق والمعاد» وهو الصحيح، وكذلك جاءت الكلمة في ز، ورقة 136. وفي د و ج: «إلى الحق والميعاد».

(2) زيادة من ز، ورقة 136. وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة، ج 1 ص 275: (الذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) «مجازه: لا يخافون ولا يخشون، وقال:

إِذَا لَسَعَتْـهُ النَّحْـلُ لَمْ يَـرْجُ لَسْعَهَـا   وَحَـالَفَهَا فِي بيتِ نُـوبٍ عَـوَامِـلِ».

سيئة وشارة سيئة، فيقول له: ما أنت، فوالله إني لأراك امرأ سوء، فيقول: أنا عملك، فينطلق به حتى يدخله النار[1].

وقال مجاهد: (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) أي يكون لهم نوراً يمشون به.

قوله: ﴿دَعْوَيٰهُمْ فِيهَا﴾ أي: قولهم فيها، أي في الجنة ﴿سُبْحَـٰنَكَ اللَّهُمَّ﴾ أي سبحانك ربنا في تفسير الحسن. وكذلك قال غيره: ذلك قولهم فيها ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ﴾ أي يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، وتحييهم الملائكة عن الله عزّ وجلّ بالسلام. والسلام اسم من أسماء الله، وهي تحية أهل الإسلام في الدنيا. وقال الحسن: السلام اسم من أسماء الله الحسنى.

قوله: ﴿وَآخِرُ دَعْوَيٰهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ﴾ أي إن أول كلامهم التسبيح وآخره الحمد لله. قال الحسن: إن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح كما يُلهمون النفَس[2].

قوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ أي: فلو يعجل الله للناس ذلك الشر كاستعجاله بالخير[3] ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [وهو ما يدعو به الإنسان على نفسه وولده وماله، ولو استجاب الله عزّ وجلّ له لأهلكه][4]. وقال مجاهد: لأمات الذي يدعو عليه، مثل قول الرجل لولده وماله: اللهم لا تبارك فيه والعنه.

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 15 ص 27 عن قتادة مرسلًا، وانظر الدر المنثور للسيوطي ج 3 ص 301.

(2) هذا نص حديث رواه يحيى بن سلام عن الحسن بن دينار عن الحسن البصري مرسلًا، ففي ز، ورقة 136: «عن الحسن البصري قال قال رسول الله ﷺ: إن أهل الجنة يُلهمون الحمد. . .».

(3) كذا جاءت هذه العبارة في المخطوطات، وعبارة الطبري في تفسيره ج 15 ص 33 أدق وأوضح. «قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولو يعجل الله للناس إجابةَ دعائهم في الشر، وذلك فيما عليهم مضرة في نفس أو مال، (استعجَالَهُمْ بالخير) يقول: كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة إذا دعَوْه به، (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) يقول: لهلكوا، وعُجِّل لهم الموت، وهو الأجل».

(4) زيادة من ز، ورقة 136.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: لا يتمنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ، ولا يدعو به؛ فإن أحدكم إذا مات انقطع عنه عمله، وإن أحدكم يزداد في أجله خيراً[1].

وقال في آية أخرى: ﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَاوُرِيكُمْ ءَايَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: 37]. أي إن آدم خلق آخر ساعات النهار من يوم الجمعة بعدما خلق الله الخلق. فلما أحيا الله الروح في عينيه ورأسه ولم يبلغ أسفله قال: ربّ استعجل بخلقي، قد غربت الشمس؛ فهو قوله: ﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

قوله: ﴿وَنَذَرُ الذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ يعني أهل الشرك ﴿فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال الحسن: في كفرهم يتمادون. وقال غيره: في ضلالتهم يلعبون. قال: والضلالة والكفر واحد.

قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾ يعني المرض. والإنسان ها هنا المشرك. ﴿دَعَانَا لِجَنْبِهِ﴾ أي: وهو مضطجع على جنبه ﴿أَوْ قَاعِداً﴾ يقول: أو دعانا قاعداً ﴿أَوْ قائماً﴾ قال: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَان لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾ أي: مَرَّ معرضاً عن الله عزّ وجلّ الذي كشف عنه الضر. ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾، أي: لنكشفه عنه.

﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أي للمشركين ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدَ أَهْلَكْنَا القُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يريد من أهلك من القرون السالفة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أي: لما أشركوا، وهذا ظلم شرك. ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّنَـٰتِ﴾ فكذبوا رسلهم فأهلكهم الله.

قوله: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ [أخبر بعلمه فيهم][2]. ذكروا عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ هذا الحرف ﴿وَحِرمَ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا

(1) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به عن أبي هريرة (رقم 2682).

(2) زيادة من ز، ورقة 136.

يَرْجِعُونَ) [الأنبياء: 95]. قال: وجب على قرية أهلكناها أنهم لم يكونوا ليؤمنوا[1].

قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ وهذا جرم شرك. يقول: كذلك نجزي القوم المشركين. يعني ما عذبهم به في الدنيا فأهلكهم حين كذبوا رسلهم ولهم في الآخرة النار.

قوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰئِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ أي من بعد الهالكين جعلناكم خلفاء في الأرض من بعدهم. ﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ الذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ أي الذين لا يؤمنون بالبعث ﴿آيتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ أي أو بدل آية الرحمة بآية العذاب، أو بدل آية العذاب بآية الرحمة [وهذا قول][2] مشركي العرب.

قال الله لنبيه محمد عليه السلام ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَن أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ﴾ أي من عندي ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَلَا أَدْرَيٰكُمْ بِهِ ﴾ أي: ولا أعلمكم الله به ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّنْ قَبْلِهِ ﴾ أي من قبل القرآن لا أدعى هذه النبوة. ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ قال: لبثت أربعين سنة ضالاً. ذكروا عن ابن عباس أنه قال: إن النبي عليه السلام بعث وهو ابن أربعين سنة.

قوله: ﴿ فَمَنَ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِئَايَٰتِهِ﴾ يقول: لا أحد أظلم منه. وهذا على الاستفهام. قال: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي المشركون.

قوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ ﴾ إن لم يعبدوه ﴿ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ إن عبدوه، يعني الأوثان ﴿ وَيَقُولُونَ هَـٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي: إن الأوثان تشفع

(1) انظر ابن جني، المحتسب، ج 2 ص 65 - 66.

(2) في المخطوطات اضطراب وحذف، فأثبت ما يقتضيه سياق الكلام.

لهم ـ زعموا ـ عند الله ليصلح لهم معايشهم في الدنيا من غير أن يقروا بالبعث. قال الله: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ) [النحل: 38].

قوله: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَـٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي لا يعلم أن في السماوات ولا في الأرض إلـهاً غيره. وهو كقول مؤمن آل فرعون: (تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ) [غافر: 42] أي: لا أعلم أنَّ في السماوات والأرض إلـهاً غيره. ﴿سُبْحَـٰنَهُ﴾ ينزّه نفسه عما قـال المشركـون. ﴿وَتَعَـٰلَىٰ﴾ من قبل العلو، أي ارتفع، مثل قوله: (الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ) [الرعد: 9] ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾. قال بعضهم: على الإسلام ما بين آدم إلى نوح. وكان بينهم عشرة آباء.

وقال مجاهد: كان الناس أمة واحدة، وآدم وحده. وقال غيره: كان الناس أمة واحدة: آدم وحواء.

﴿ فَاخْتَلَفُوا ﴾ أي: حين قتل ابن آدم أخاه.

وقال الحسن: (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَّاحِدَةً) أهل ضلالات، إلا الخاصة من الناس. وذلك من وفاة آدم إلى مبعث نوح، فإن الأرض لم تخل من أن تكون فيها حجة. (فَاخْتَلَفُوا) أي حتى أتتهم الأنبياء، فآمن بعضهم وكفر بعضهم.

وقال مجاهد: فاختلفوا حِيْن قتل ابن آدم أخاه.

قوله: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾، تفسير الحسن أنه يعني المؤمنين والكافرين. لولا أن الله قضى ألا يحاسب بحساب الآخرة في الدنيا لحاسبهم في الدنيا بحساب الآخرة، فأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ أي هلا أنزل عليه ﴿ءايَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ يعنون الآيات التي كانت الأمم تسألها أنبياءها. فقال: ﴿ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ وهو كقوله

(إِنَّمَا الآيَـاتُ عِنْدَ اللَّهِ) [الأنعام: 109] أي: إذا شاء أنزلها. ﴿ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ أي فستعلمون بمن ينزل عليه العذاب.

قوله: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً ﴾ والرحمة في هذا الموضع العافية. ﴿ مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ ﴾ أي من بعد مرض أو شدة أصابتهم، يعني المشركين. ﴿ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي ءَايَٰتِنَا﴾ قال الحسن: يعني جحوداً وتكذيباً بآياتنا. وقال مجاهد: (مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا) أي: استهزاء وتكذيب[1].

﴿ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً ﴾ أي: أسرع عذاباً. قال الحسن: إن الله إذا أراد أن يهلك قوماً كان عذابه إياهم أسرع من لمح البصر.

قوله: ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ وهي تقرأ بالتاء والياء. فمن قرأها بالتاء فيقول للمشركين: (إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ). ومن قرأها بالياء فهو يقول للنبي عليه السلام: (إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا يَمْكُرُونَ)، يعني المشركين، ويعني الحفظة الذين يكتبون أعمال العباد. يعني ما يمكرون من كفرهم وتكذيبهم. وفي الآية تقديم: إذا لهم مكر في ءايٰتنا قل إن رسلنا يكتبون ما تمكرون قل الله أسرع مكراً.

قوله: ﴿ هُوَ الذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ ﴾ أي: في السفن. [يقول هذا للمشركين، ثم قال للنبي عليه السلام][1] ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ للمسير ﴿ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ أي شديدة ﴿ وَجَاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾ أي: أنهم مغرقون ﴿ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِ ﴾ أي من هذه الشّدّة ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّـٰكِرِينَ ﴾. أي: من المؤمنين.

(1) وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن، ج 1 ص 276: «مجاز المكر ها هنا مجاز الجحود بها والرد لها. وقال: (قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً) أي: أخذاً وعقوبة واستدراجاً».

(2) زيادة من ز، ورقة 139.

﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾ أي يكفرون[1] في الأرض ويفسدون فيها، ويعبدون غير الله، وذلك بغي في الأرض.

ثم قال: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾ يعني بالناس في هذا الموضع المشركين. (إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ) يعني أنه يصير عليكم ثوابه، أي النار ثواب ذلك البغي والكفر. ﴿مَتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. يقول: وإنما بغيكم وكفركم في الدنيا، ثم ينقطع فترجعون إلى الله. وهو قوله: ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

ثم ضرب مثل متاع الحياة الدنيا فقال: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ ﴾. قال بعضهم: فأخرجت الأرض ألوانها من النبات. وقال بعضهم: فاختلط ذلك الماء بالنبات الذي أنبت الله بذلك الماء. ﴿ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾ أي زينتها، أي من نباتها من صفرة وحمرة وخضرة. ﴿ وازَّيَّنَتْ ﴾ يعني الزينة من زهرتها ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ﴾ أي: أن ذلك الزرع في أيديهم[2] ﴿أَتَيٰهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً ﴾ أي: قد حصد وذهب أجمع. ﴿ كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾ أي: كأن لم يكن ذلك الزرع بالأمس قائماً.

قال: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الأَيَٰتِ﴾ أي نبيّن الآيات ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾. يقول: فالذي أنبت هذا الزرع في الأرض الموات حتى صار زرعاً حسناً، فاهتز فأخرج زينته، ثم أهلكه بعد حسنه وبهجته، قادر على أن يحيي الموتى. وهو كقوله: (كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ) [الكهف: 45] قال: (كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) أي: إنما يقبل ذلك ويعقله المتفكرون، وهم المومنون. وهو كقوله: (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ العَالِمُونَ) [العنكبوت: 43].

(1) كذا في المخطوطات، وفي ز، ورقة 139: «أي يكفرون ويعملون بالمعاصي».
(2) كذا في المخطوطات، وفي ز ورقة 139: «أي قادرون على الانتفاع بما فيها من زرع.

قوله: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلْمِ ﴾ والسلام هو الله، وداره الجنة.

ذكروا أن أبا الدرداء قال قال رسول الله ﷺ: ما طلعت شمس إلا بُعِثَ بجنبتيها ملكان يناديان، يسمعان من على الأرض. إلا الثقلين الجن والإنس: أيها الناس، هلموا إلى ربكم، فإنه ما قل وكفى خير مما كثر وألهى. ولا غابت إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان، يسمعان من على الأرض إلا الثقلين: اللهم أعطِ كل منفق خلفاً، وكل ممسك تلفاً[1]. وزاد بعضهم: (وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ).

قوله: ﴿ وَيَدْعُو مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: إلى الجنة.

قوله: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ ﴾ أي الجنة. ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ يعني الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف[2].

قوله: ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ ﴾ أي: ولا يغشى وجوههم ﴿ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ القتر: السواد، والذلة: الذل. ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ ﴾ أي: أهل الجنة. ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ أي لا يخرجون منها ولا يموتون.

قوله: ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ أي والذين عملوا السيئات. والسيئات ها هنا الشرك. ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ أي: جزاء الشرك النار. وهو مثل قوله: (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) أي الشرك: (فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا) [الأنعام: 160] أي: النار.

قوله: ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ أي: وتغشاهم ذلة، أي: إنهم أذلاء. ﴿ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ أي: يعصمهم من عذاب الله. ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً ﴾. قال الحسن: لم يخلق الله شيئاً أشد سواداً من الليل. قال: (كَأَنَّمَا

(1) أخرجه أحمد في مسنده بسند صحيح، وأخرجه الطبري في تفسيره، ج 15 ص 60 - 61، وأخرجه البغوي في شرح السنة ج 14 ص 247.

(2) كذا في المخطوطات الأربع، ولم يرد هذا في ز ورقة 139 وورد مكانه: «وزيادة: النظر إلى الله عزّ وجلّ» وقد حذفه الشيخ هود عمداً ولا شك لأن الإباضية يرون أن رؤية الباري مستحيلة دنيا وآخرة. وهذا القول الذي أثبته الشيخ هود هنا هو قول ابن عباس والحسن البصري وآخرين. انظر تفسير الطبري ج 15 ص 70.

أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ ٱللَّيْلِ مُظْلِماً) قطعة، ثم قطعة، ثم قطعة، الله أعلم كم ذلك بعضها فوق بعض، وهو أشد لسواد وجوههم. ﴿أُوْلَٰئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ﴾ أي: أهل النار ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي لا يخرجون منها ولا يموتون.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ﴾ أي نحشر المشركين من قبورهم وما كانوا يعبدون من دون الله جميعاً. ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ﴾ يعني الأوثان التي عبدها المشركون في الدنيا. قال الحسن: إن الله يحشر الأوثان المعبودة في الدنيا بأعيانها، فتخاصم عُبَّادها الذين عبدوها في الدنيا.

قال: ﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾(1) أي بالمسألة؛ فسألنا المشركين على حدة، والأوثان على حدة. ﴿ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم ﴾ يعني الأوثان تقول للمشركين ﴿ مَّا كُنْتُمْ إِيَانَا تَعْبُدُونَ ﴾. أي ما كانت عبادتكم إيانا دعاء منا لكم، وإنما كان دعاكم إلى عبادتنا الشيطانُ. وهو كقوله: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ) يعني الصابين ومن عبد الملائكة (وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يعني الملائكة (فَيَقُولُ) للملائكة (أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ) على الاستفهام، وهو أعلم بذلك، تعالى وتقدّس. (قَالُوا) أي الملائكة (سُبْحَانَكَ) ينزهون الله عن ذلك (مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ) [الفرقان: 17 - 18] أي: ما كان ينبغي لنا أن نتولاهم على عبادتهم إيانا دونك، ولم نفعل ذلك. وبعضهم يقرأها: (مَا كَانَ يَنْبَغِي لنا أن نُتَّخَذَ من دونك من أولياء). يقول: ما كان ينبغي لنا أن يتخذونا أولياء من دونك يعبدوننا.

قوله: ﴿ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا ﴾ [أي لقد كنا](2) ﴿ عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ أي إنا لم نأمركم بذلك.

(1) قال الفراء في معاني القرآن ج 1 ص 462: «وقوله: (فَزَيَّلْنَا بينهم) ليست من زُلتُ» إنما هي من زِلتُ ذا من ذا: إذا فرقتَ أنت ذا من ذا. وقال: (فَزَيَّلْنَا) لكثرة الفعل. ولو قلّ: لقلت: زل ذا من ذا، كقولك: مِذْ ذا من ذا. وقرأ بعضهم: (فَزَايَلْنَا بَيْنَهُمْ)».

(2) زيادة من ز، ورقة 139. «وإنْ» في قوله؛ (وإنْ كُنَّا) هي مخففة من الثقيلة. واللام في قوله: (لَغَافِلِينَ) هي اللام الفارقة بين أن المخففة وإن النافية.

قوله: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ﴾. ذكروا أن مجاهداً قال: هنالك تختَبِر كل نفس ما أسلفت، أي تختَبِر ثواب ما أسلفت في الدنيا.

وقال بعضهم عن مجاهد: تخبُر. وهي تقرأ على وجه آخر: (هُنَالِكَ تَتْلُو) أي تتبع كل نفس ما أسلفت.

ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: تحشر الأمم بأوثانها وما كانت تعبد من دون الله.

قوله: ﴿ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَيهُمُ الحَقِّ ﴾ والحق اسم من أسماء الله. وهو كقوله (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ). وكقوله: (ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ البَاطِلُ) [لقمان: 30].

قوله: ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ عن عبادتهم الأوثان.

ثم قال للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ وهو على الاستفهام ﴿ أَم مَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ ﴾ أي: أن يذهبهما أو يبقيهما. ﴿ وَمَن يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ ﴾ يعني النطفة والحبة. أي: يخرج من النطفة الميتة الخلق الحي، ويخرج من الخلق الحي النطفة الميتة، ويخرج من الحبة اليابسة النبات الحي، ويخرج من النبات الحي الحبة اليابسة. وهذا تفسير مجاهد.

وقال الحسن: يخرج المومن من الكافر، ويخرج الكافر من المومن.

﴿ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾ أي فيما يحيي ويميت، ويقبض ويبسط، وينزل الغيث، ويدبّر الأمر في السماوات والأرض. ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُل أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ أي: الله. وأنتم تقرون بالله عزّ وجلّ أنه هو الذي يفعل هذه الأشياء ثم لا تتقونه، وتعبدون هذه الأوثان من دون الله.

﴿ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ ﴾ أي الذي تقرون أنه خلقكم؛ والأوثان هي الباطل، أي: الأموات، لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون.

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ ﴾ والحق هو الله. يقول: فماذا بعد الحق ﴿ إِلَّا الضَّلَلُ ﴾

أي: إلا هذه الأوثان. وقال بعضهم: الباطل: إبليس. قوله في سبأ: (قُلْ جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ) يعني إبليس، يقول: وما يبدئ إبليس خلقاً (وَمَا يُعِيدُ) [سبأ: 49] أي: وما يعيده كما لم يبدئه، فكذلك لا يعيده، والله هو المبدئ وهو المعيد.

قوله: ﴿ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ أي: فكيف تصرف عقولكم فتعبدون غيره، وأنتم مقِرّون أنه خالق هذه الأشياء.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى الذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يعني الذين يلقون الله بشركهم. وهذا فسق شرك، وهو فسق فوق فسق، وفسق دون فسق.

قوله: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ وهذا على الاستفهام. يعني هل من هذه الأوثان من يخلق ثم يميت ثم يحيي؟ أي إنها لا تقدر على ذلك؛ إنما هي أموات غير أحياء. ثم قال:

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ أي الله يبدأ الخلق في الدنيا، ثم يعيده يوم القيامة. ﴿ فَأَنَّىٰ تُوفَكُونَ ﴾ أي: عنه. كقوله: (يُوفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) [الذاريات: 9] أي: يصرف عنه من صُرِف، ويُصَد عنه من صُدَّ، وهو واحد.

قوله: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الحَقِّ ﴾ أي: إلى الدين والهدى، أي: أنها لا تفعل ولا تعقل. ﴿ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَم مَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ﴾ على الاستفهام. أي: فالذي يهدي للحق أَحَقُّ أن يُتَّبع، وهو الله الذي يهدي إلى الحق.

وفي تفسير مجاهد: (لَا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ) أي الأوثان؛ الله يهدي منها ومن غيرها ما يشاء[1].

قال: ﴿ فَمَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ أي: إنكم تقرون بأن الله هو الخالق وأنه الرازق، ثم تعبدون الأوثان من دونه.

(1) كذا في المخطوطات، وفي تفسير الطبري ج 15 ص 88: «الله يهدي منها ومن غيرها من شاء لما شاء».

قوله: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنّاً ﴾ أي يعبدون الأوثان يتقربون بها إلى الله - زعموا - لِيُصلح لهم معايشهم في الدنيا، وما يعملون ذلك إلا بالظن. ﴿ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا القُرْءانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾يقول: لم يكن أحد يستطيع أن يفتريه فيأتي به من قِبَل نفسه ﴿ وَلَـٰكِنْ تَصْدِيقَ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: من التوراة والإنجيل ﴿ وَتَفْصِيلَ الكِتَـٰبِ﴾ أي من الحلال والحرام والأحكام والوعد والوعيد. ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي: لا شك فيه ﴿ مِن رَّبِّ العَـٰلَمِينَ﴾.

قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيـٰهُ ﴾ أي: إن محمداً افتعل هـذا القرآن؛ على الاستفهام. أي: نعم، قد قالوا افتراه، أي: افتعله.

قال الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ أي مثل هذا القرآن ﴿ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ حتى يشهدوا أنه مثل هذا القرآن[1] ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾. يقول: إن كنتم صادقين فأتوا بسورة مثله؛ أي: إنكم لستم بصادقين ولا تأتون بسورة مثله. ثم قال:

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ أي: لم يكن لهم علم بما كذبوا أن الله لا يحيـي الموتى، ولا يجزي الناس بأعمالهم بعد الموت. ﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ [أي: ولـم يأتهم تأويله][2]، أي: الجزاء به، أي: ثوابه. يقول: ولو قد أتاهم تأويله لآمنوا به حيث لا ينفعهم الإيمان.

﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ يعني قوم نوح وعادا وثمود ومن بعدهم. ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: المشركين. ذكر بعضهم قال: كان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم، أي: أهلكهم بتكذيبهم رسلهم ثم صيّرهم إلى النار.

(1) كذا في المخطوطات: «حتى يشهدوا أنه مثل هذا القرآن». وفي ز ورقة 139: (وادعوا) يعني استعينوا (مَنِ اسْتَطَعْتُم) أي: من أطاعكم.

(2) زيادة من ز، ورقة 139.

قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ يُؤمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّنْ لَّا يُؤمِنُ بِهِ ﴾ أي: ومن المشركين من يومن بالقرآن، ومنهم من لا يؤمن به ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ أي: المشركين.

قوله: ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ﴾ أي: ليس عليكم من عملي شيء، وليس عليّ من عملكم شيء. ﴿ أَنْتُمْ بَرِيْئُوْنَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُوْنَ ﴾.

قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَّسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ وإنما صارت يستمعون لأنهم جماعة. ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ ﴾ أي: عن الهدى ﴿ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أي: لا تسمعهم أنت، وهذا سمع قبول. كقوله: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنَ أَحْبَبْتَ) [القصص: 56].

قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ ﴾ وهذا على الواحد، لا على الجماعة. [أي: ومنهم من يقبل عليك بالنظر][(1)] ﴿ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْىَ ﴾ [يعني عمى القلب][(1)] ﴿ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾ هي مثل الأولى. واستماعهم ونظرهم كقوله: (وَتَرَيهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) [الأعراف: 198] أي: الهدى. وكقوله: (وَمَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً). [البقرة: 171] أي: مثل الغنم إذا صاح بها الراعي فسمعت فرفعت رءوسها، ثم وضعت رؤوسها لا تدري لم صاح بها. فكذلك هم لا يسمعون بقلوبهم إلا ما سمعت آذانهم: أي: لا يقبلونه.

قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَـكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾. أي: يضرّون. وقال الحسن: ينقصون، أي: بمعصيتهم.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾ أي: في طول ما هم لابثون في النار.

قوله: ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة مواطن لا يعرف

(1) زيادة من ز، ورقة 139.

فيهن أحد أحداً: عند الميزان، حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الكتب، حتى يعلم أبيمينه يأخذ كتابه أم بشماله، وعند الصراط، حتى يعلم أيجوز الصراط أم لا يجوز[1]. وقال في آية أخرى: (وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً) [المعارج: 10]. وهي مواطن؛ فمنها ما يتعارفون فيها، ومنها ما لا يتعارفون فيها. وهذا قول الحسن.

قوله: ﴿ قَد خَسِرَ الذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾ أي: الذين كذبوا بالبعث، خسروا أنفسهم أن يغنموها فصاروا في النار. ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ أي: لو كانوا مهتدين ما خسروا أنفسهم.

قوله: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الذِي نَعِدُهُمْ ﴾ من العذاب، أي: عذاب الدنيا ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ فيكون بعد وفاتك ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ أي: من أعمالهم.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ في تفسير الحسن: إذا بعث رسولهم فكذبوه، فدعا عليهم، فاستجيب له أهلكهم الله[2]. وإنما يدعو عليهم إذا أُمِر بالدعاء.

ذكروا أن مجاهداً قال: فإذا جاء رسولهم يوم القيامة؛ وهو كقوله: (وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ) [الزمر: 69].

قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ يقوله المشركون لما كان يعدهم به النبي عليه السلام من عذاب الله إن لم يؤمنوا؛ فكانوا يستعجلونه بالعذاب استهزاءً وتكذيباً. أي: إنه لا يأتيهم العذاب، ويقولون: متى هذا الوعد، و (إِيتِنَا

(1) حديث صحيح أخرجه أبو داود في كتاب السنّة، باب في ذكر الميزان. (رقم 4755) عن الحسن عن عائشة. وأخرجه أحمد في مسنده. وأخرجه يحيى بن سلام من طريق الحسن عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله، هل يذكر الرجل يوم القيامة حميمه فقال: ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحد حميمه.. الحديث. أورده يحيى في تفسير قوله تعالى: (وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ) [الأنبياء: 47].

(2) في المخطوطات الأربع: «فأهلكهم الله»، والأصح حذف الفاء ليستقيم الكلام.

بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [العنكبوت: 29].

قال الله لمحمد عليه السلام: (قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي) أي: النبوة (وَكَذَّبْتُم بِهِ) أي: بالقرآن (مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ) أي: من عذاب الله (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) أي: إِنِ الْقَضَاءُ إِلَّا لِلَّهِ) أي: إنما ذلك إلى الله (يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) [الأنعام: 57] أي القاضين.

قوله: ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلَا نَفْعاً ﴾ يخبرهم أن الذي يستعجلون به من العذاب ليس في يده. ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ﴾ عن عذاب الله إذا نزل بهم ﴿ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ العذاب، أي: فيعذبون قبل أن يأتيها رسولها بكتابها من عند الله بعذابها. وهو كقوله: (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الحجر: 4] أي: يأتيها به رسولها، ووقت ذلك الكتاب أن يكذبوا رسولهم فيدعو عليهم بأمر الله فيهلكهم الله.

قوله: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً ﴾ أي: ليلاً ﴿ أَوْ نَهَاراً مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: المشركون.

﴿ أَثُـمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ﴾ وهو على الاستفهام. يقول: ماذا يستعجلون به من عذاب الله، فإنه سينزل بهم فيؤمنون به، إذا نزل بهم العذاب فلا ينفعهم الإيمان ولا يقبل منهم عند نزول العذاب ويصيرون إلى النار[1]، ويقال لهم: إذا آمنوا عند نزول العذاب: ﴿ ءَالْـَٔـٰنَ ﴾ أي: الآن تؤمنون به ﴿ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ يعني بالعذاب. يقول: قد نزل بكم ما كنتم تستعجلون به من عذاب الله فآمنتم حين لا ينفعكم الإيمان. وقد قال لفرعون: (ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) [يونس: 91] أي: لا ينفعك الإيمان عند نزول العذاب.

وكقوله: (فَلَمَّا رَأَوا بَأْسَنَا) أي: عذابنا إذا نزل بهم (قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ

(1) كذا وردت هذه العبارة بما فيها من تكرار مملّ لبعض كلماتها، وهي واضحة المعنى بأقل من هذا.

وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أي: عذابنا (سُنَّتَ اللَّهِ التِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) أي: إن القوم إذا كذّبوا رسولهم أهلكهم الله، وإن هم، إذا جاءهم العذاب، آمنوا لم يُقبَل منهم.

قال: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ﴾ أي: النار. وعذابها خالد دائم لا انقطاع له، أي: ذوقوه بعد عذاب الدنيا. ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾. أي: تجزون النار بشرككم.

قوله: ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ ﴾ أي: [يستخبرونك][1] ويسألونك ﴿ أَحَقٌّ هُوَ ﴾ أي: القرآن ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي: ما أنتم بالذين تعجزوننا فتسبقوننا فلا نقدر عليكم.

قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ﴾ أي: أشركت فظلمت بذلك نفسها ﴿ مَا فِي الأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ﴾ أي: لو أن لها ما في الأرض من ذهب أو فضة لافتدت به يوم القيامة من عذاب الله ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ ﴾ أي: أسروا الندامة في أنفسهم لما دخلوا العذاب ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ أي: إن الذي وعدكم في الدنيا حق، إنه سيجزيكم به في الآخرة على ما قال في الدنيا من الوعد والوعيد؛ أي من الوعد بالجنة والوعيد بالنار. ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهم المشركون وهم أكثر الناس.

قوله: ﴿ هُوَ يُحْيِـي ﴾ أي: يخلق ﴿ وَيُمِيتُ ﴾ أي: ويميت من خلق ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: بالبعث.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَـا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَشِفَاءٌ لِّمَا

(1) زيادة من ز، ورقة 140.

﴿فِي الصُّدُورِ﴾ أي: يُذهِب ما فيها من الكفر والنفاق. ﴿وَهُدىً﴾ أي: يهتدون به إلى الجنة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وأما الكافرون فإنه عليهم عذاب.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ ذكر بعضهم قال: فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن.

قوله: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ إن كانوا فرحين. قال الحسن: فبذلك فليفرحوا. ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: في الدنيا. وبعضهم يقرأها: (فَلْتَفْرَحُوا) يعني المؤمنين. (هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) أي: مما يجمع الكفار.

قوله: ﴿قُلَ أَرَآيْتُمْ مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً﴾ يعني مشركي العرب. وإنما أرزاق العباد من المطر؛ به ينبت زرعهم، وتعيش ماشيتهم (فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً) أي: ما حرموا من الأنعام من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وما حرَّموا من زروعهم؛ وهو قوله: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا: هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَائِنَا) [الأنعام: 136] أي: لأوثاننا التي كانوا يعبدونها من دون الله.

قال: الله لمحمد عليه السلام: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ آذِنَ لَكُمْ﴾ يعني أمركم بما صنعتم من ذلك ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ وهو على الاستفهام، أي: إنه لم يفعل ذلك.

ثم أوعدهم على ذلك فقال: ﴿وَمَا ظَنُّ الذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الكَذِبَ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ﴾ وهو على الاستفهام، يقول: ظنهم أن الله سيعذبهم، وظنهم ذلك في الآخرة يقين منهم. وقد كانوا في الدنيا لا يقرون بالبعث، فلما صاروا إلى الله علموا أن الله سيعذبهم.

ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: بما أنعم عليهم وبما أرسل إليهم الرسل ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يؤمنون.

قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ يعني النبي عليه السلام، أي: في شأن من حوائجك في الدنيا ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ يعني النبي عليه السلام ﴿وَلاَ

تَعْمَلُونَ ﴾ يعني العامة ﴿ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً ﴾ أي: بذلك ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ أي: في ذلك العمل أجمع ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ ﴾ أي: وما يضل عن ربك، وبعضهم يقول: وما يغيب عن ربك ﴿ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾ أي: وزن ذرة[1] ﴿ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ ﴾ أي: حتى لا يعلمه ولا يعلم موضعه ﴿ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بيّن عند الله. يحذر الله العباد ويخبرهم أنه شاهد لأعمالهم.

قوله: ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أي: في الآخرة. ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾.

ذكروا عن عمرو بن دينار قال: قدم علينا فقيه من أهل مصر فسألته عن هذه الآية فقال: سألت عنها أبا الدرداء فقال: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو تُرى له[2].

قال: ﴿ وَفِي الآخِرَةِ ﴾ يعني الجنة.

وتفسير الحسن: يبشّرهم الله في القرآن بالجنة، كقوله: (وَبَشِّرِ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) [البقرة: 25]. وقال: (وَبَشِّرِ الذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) [يونس: 2] وقال: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً) [الأحزاب: ٤٧] أي الجنة، قال: ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ اللهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي الجنة، على الكلام الأول، على قوله: (لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ).

---

(1) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 278: (وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ) أي: ما يغيب عنه. ويقال: أين عزب عقلك عنك. (مِثْقَالِ ذَرَّةٍ) أي: زنة نملة صغيرة، ويقال: خذ هذا فإنه أخف مثقالاً أي: وزناً».

(2) أخرجه أحمد وأخرجه ابن جرير الطبري من عدة طرق عن أبي الدرداء وعن عبادة الصامت في تفسيره ج 15 ص 125 - 140، وفي ز ورقة 140 جاء الحديث بالسند التالي: «يحيى عن أمية عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة أن عبادة بن الصامت سأل نبي الله ﷺ عن هذه الآية فقال: هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له».

وقال بعضهم: فازوا من الجنة إلى النار. وقال الحسن: الفوز العظيم: النجاة العظيمة من النار. قال الله: ﴿ مَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: 185].

قوله: ﴿ وَلَا يُحْزِنْكَ قَوْلُهُمْ ﴾ يقوله للنبي عليه السلام، لقول المشركين له: إنك مجنون وإنك شاعر، وإنك ساحر، وإنك كاذب. ﴿ إِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ أي: فسينصرك عليهم ويذلهم لك. ﴿ هُوَالسَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ أي: لا أسمع منه ولا أعلم منه.

قوله: ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَـٰوٰتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: جميع من في السماوات ومن في الأرض وأصنامهم التي يعبدونها من دون الله وأنفسهم [يفعل فيهم وبهم ما يشاء][1] قوله: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ يقول: إن الذين يعبدون من دون الله ليسوا بشركاء لله. ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ يقول: ما يعبدون أوثانهم ويقولون إنها تقربهم إلى الله زلفى، وما يقولون ذلك بعلم، إن هو منهم إلا ظن. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ أي: إلا يكذبون.

قوله: ﴿ هُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾ يعني لتستقروا فيه من النصب ﴿ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ﴾ أي: منيراً لتبتغوا فيه معايشكم ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ وهم المؤمنون سمعوا عن الله ما أنزل إليهم فقبلوه.

قوله: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ﴾ يعني مشركي العرب. وذلك أنهم قالوا: إن الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَـٰنَهُ﴾ ينزّه نفسه عن ذلك ﴿هُوَ الغَنِيُّ﴾ أي: عن الولد ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾. ثم قال: ﴿ إِنْ عِندَكُم مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا ﴾ أي: ما عندكم من حجة بهذا الذي قلتم ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: نعم قد قلتم على الله ما لا تعلمون.

قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ الذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ ثم انقطع الكلام.

(1) زيادة من ز، ورقة 140.

﴿مَتَـٰعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ يقول: وإنما الدنيا وما هم فيه متاع قليل ينقطع، متاع يستمتعون به ثم يذهب إذا فارقوا الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُم العَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ أي: عذاب جهنم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

قوله: ﴿واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ أي: خبر نوح ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَـٰقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عظم عليكم ﴿مَّقَامِي﴾ أي: بالدعاء إلى الله عزّ وجلّ ﴿وَتَذْكِيرِي بِئَايَـٰتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكَاءَكُمْ﴾ [أي: وأجمعوا شركاءكم][1].

وقال بعضهم: وليجمع أوثانكم أيضاً أمرهم[2]. قال الحسن ومجاهد: ما في أنفسكم وكيدكم. والعامة على الوجه الأول: فأجمعوا أمركم وشركاءكم، أي: واجمعوا شركاءكم.

﴿ثُمَّ لَا يَكُن أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: في ستر وشبهة، أي: ليكن ذلك علانية.

قال: ﴿ثُمَّ ٱقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي: اجهدوا عليَّ جهدكم ﴿وَلَا تُنْظِرُونَ﴾، أي: طرفة عين. أي: إنكم لا تقدرون على ذلك. وذلك حين قالوا: (لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ المَرْجُومِينَ) [الشعراء: 116]. وهو كقوله: (فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ) [القمر: 9] أي: ويهدد بالقتل.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: بكفركم ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنَ أَجْرٍ إِنَ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾. أي: إنْ ثوابي إلّا على الله ﴿وَأُمِرتُ أَن أَكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ﴾ يقول: فما سألتكم على ما أدعوكم إليه من هذا الدين أجراً فيحملكم ذلك على ترك ما أدعوكم

(1) زيادة من ز، ورقة 141.

(2) هذا على قراءة من قرأ: (وَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكَاؤُكُمْ) وهي قراءة الحسن التي قال عنها الفرّاء في معاني القرآن ج 1 ص 473: «وإنما الشركاء ها هنا آلهتهم، كأنه أراد: أجمعوا أمركم أنتم وشركاؤكم ولست أشتهيه لخلافه للكتاب، ولأن المعنى فيه ضعيف لأن الآلهة لا تعمل ولا تُجمع». وانظر ابن جني، المحتسب، ج 1 ص 314.

إليه. وقد قال الله لمحمد عليه السلام: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجراً فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ [القلم: 46] أي: فقد أثقلهم الغرمُ، فإنما يحملهم على ترك الهدى الأجرُ الذي تسألهم. أي: إنك لا تسألهم ذلك.

قوله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الفُلْكِ ﴾ أي: في السفينة. وكان مع نوح في السفينة امرأته وثلاثة بنين له: سام وحام ويافث ونساؤهم، فجميعهم ثمانية. ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَٰئِفَ ﴾ أي: بعد الهالكين يخلفون في الأرض بعدهم. ﴿ وَأَغْرَقْنَا الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ أي: الذين أنذرهم نوح كان عاقبتهم أن عذبهم الله ثم صَيَّرَهم إلى النار.

قال: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ ﴾ أي: من بعد نوح ﴿ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالبَيِّنَـٰتِ﴾ أي: من عند الله ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبل أن يأتيهم العذاب. ﴿ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ أي: المشركين بشركهم.

قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلإِيْهِ﴾ يعني: قومه ﴿ بِئَايَٰتِنَا﴾ أي: التسع الآيات: يده وعصاه والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ [الأعراف: 130]. قال: ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا ﴾ أي: عن إجابة الرسل ﴿ وَكَانُوا قَوْماً مُّجْرِمِينَ ﴾ أي: مشركين.

قوله: ﴿ فَلَمَّا جَـاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِندِنَا ﴾ [يعني اليد والعصا](1) ﴿ قَالُوا إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَـٰذَا ﴾ قال الله: ﴿ وَلاَ يُفْلِحُ السَّـٰحِرُونَ﴾.

قوله: ﴿ قالوا أجئتنا لتلفتنا ﴾ أي: لتأفكنا، أي: لتصدنا ولتحولنا ﴿ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ أي: إنا وجدناهم عبدة أوثان، فنحن على دينهم، وأنت تريد أن تحوّلنا

(1) زيادة من ز، ورقة 141.

عن ذلك ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: وتريد أن يكون لك ولهارون الملك والطاعة ﴿ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: بمصدّقين.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ أي: عليم بالسحر.

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ ﴾ أي: للميعاد الذي اتعدوا له هم وموسى ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُم مُّلْـقُوْنَ ﴾ وذلك أنهم قالوا لموسى (إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ المُلْقِينَ) [الأعراف: 115] قال لهم موسى: (أَلْقُوا مَا أَنْتُم مُّلْقُونَ) ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا ﴾ يعني حيّاتهم وعصيّهم ﴿ قَالَ ﴾ لهم ﴿ مُوسَىٰ ﴾ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ﴾[1] ليس بشيء ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ﴾ أي: حتى لا يكون شيئاً ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ المُفْسِدِينَ ﴾ أي: السحرة والمشركين.

﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الحَقَّ ﴾ أي: الذي جاء به موسى ﴿ بِكَلِمَـٰتِهِ ﴾ أي: بوعده الذي وعد موسى بقوله: (لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَىٰ) [طه: 68] أي: إنك أنت الظاهر الظافر. ﴿ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ ﴾ أي: المشركون. أي: إن فرعون وقومه كانوا يكرهون الحق، وأن يظهر عليهم موسى وهارون فيظهر دينهما، ويغرق آل فرعون وهم ينظرون.

قوله: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ﴾ ذكروا عن ابن عباس قال: الذرية: القليل. ذكروا أن مُجاهداً قال: أولاد الذين أرسل إليهم موسى من طول الدهر ومات آباؤهم.

قوله: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ أي: أن يقتلهم فرعون، وكانوا سبعين أهل بيت من قوم فرعون وإخوانهم[2] بنو إسرائيل.

(1) جاء في مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 280: «مجاز (ما) ها هنا: الذي، ويزيد فيه قوم ألف الاستفهام كقولك: آلسِحْرُ». انظر تفصيل ذلك وبيان وجوه قراءة الكلمة عند الفراء في معاني القرآن ج 1 ص 475.

(2) كذا في د وج: «إخوانهم» وفي ق وع «من أخوالهم بني إسرائيل».

قوله: ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: لباغٍ في الأرض، يبغي عليهم ويتعدى. ﴿ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ أي: لمن المشركين.

قوله: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُم بِاللَّهِ ﴾ وقد علم أنهم قد آمنوا وصدقوا، ولكنه كلام من كلام العرب. تقول: إن كنت كذا فاصنع كذا، وهو يعلم أنه كذلك، ولكنه يريد أن يعمل بما قال له.

قال: ﴿ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي: إن كنتم مؤمنين فامضوا على ما يأمركم به الله.

﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ﴾.

ذكروا أن مجاهداً قال: قالوا: لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون، ولا بعذاب من عندك، فيقول فرعون وقومه: لو كان هؤلاء على حق ما عذِّبوا وما سُلِّطنا عليهم [فيفتتنوا بنا][1] ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ﴾ أي: من فرعون وقومه.

قوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾.

قال مجاهد: حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في مساجد ظاهرة[2] أمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سراً. وقال الحسن: كانت قبلة النبيين كلهم الكعبة؛ قال بعضهم إلا ما صلى النبي عليه السلام إلى بيت المقدس، ثم صرف إلى الكعبة.

وقال الحسن: (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) أي: حين دخل موسى وبنو إسرائيل مصر بعد ما أهلك الله فرعون وقومه، أمروا أن يبنوا بمصر بيوتاً، أي: مساجد مستقبلة

(1) زيادة من ز، ورقة 141، وفي تفسير مجاهد ص 296، وفي تفسير الطبري ج 15 ص 170.
(2) كذا في المخطوطات: «في مساجد ظاهرة، وفي ز، ورقة 142: «أن يصلوا في الكنائس الجامعة». وبهذا اللفظ الأخير جاءت العبارة في تفسيري مجاهد والطبري.

القبلة. كقوله: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) [النور: 36] يعني المساجد.

قال: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: بالجنة.

قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً﴾ أي: زينة الدنيا ﴿وَأَمْوَٰلاً فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ وهذا دعاء، أي: يا ربّنا فأضلهم عن سبيلك، وهذا حين جاء وقت عذابهم وأمرهم بالدعاء عليهم. ﴿ رَبَّنَا ﴾ أي: يا ربنا ﴿اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ فمسخت دنانيرهم ودراهمهم وزروعهم حجارة. ذكر لنا أن زروعهم تحولت حجارة. ﴿ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: بالضلالة التي كانت منهم ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا ﴾ أي: فَحِيل[1] بينهم وبين أن يؤمنوا بفعلهم في تفسير الحسن. وقد فعل. ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ أي: الموجع.

و ﴿ قَالَ ﴾ مجيباً لهما: ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا ﴾ على أمري وديني ﴿ وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ ﴾ أي: طريق ﴿ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني المشركين.

قوله: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ وهذا حين خرجوا من مصر. قال الله لموسى: (فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ) [الدخان: 23] ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً ﴾ والعدو هو العدوان. وهي تقرأ على وجه آخر: وعُدُوا[2]، من التعدّي.

وكان جبريل يومئذٍ على فرس قائداً لموسى وأصحابه. وأوحى الله لموسى أن يضرب بعصاه البحر ففعل. (فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) [الشعراء: 63] وصار لهم اثني عشر طريقاً، لكل سبط طريق. واجتمع الماء وصار كالجبلين على تلك الطرق. وكان بنو إسرائيل يومئذٍ ستمائة ألف مقاتل سوى الحشم. وكان مقدمة

(1) كذا في ز ورقة 142: «فحيل بينهم». وفي ع: «فيحل» (كذا، وفي ق: «فحل» وفي د كذلك: فحل، ولعل ما جاء في ق ود هو الصواب: فَحُلْ، حتى يكون تابعاً للدعاء قبله، ثم تأتي عبارة: «وقد فعل» إخبار بما تَمّ بعد ذلك.

(2) العَدْو، والعُدُوّ، والعِدْوان، كلها مصادر للفعل عدا. انظر اللسان: (عدو).

فرعون على ألف ألف حصان ومائتي ألف حصان. وكان جميع جنوده أربعين ألف ألف. حتى إذا خرج آخر أصحاب موسى ودخل فرعون وأصحابه أوحى الله عزّ وجلّ إلى البحر أن يلتئم عليهم ففعل.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا الذِي ءَامَنْتَ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ﴾.

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ﴾. أي إنه آمن في حين لا يقبل الله منه الإيمان. وقد مضت سنة الله في الذين خلوا من قبل أن لا يقبل الله الإيمان عند نزول العذاب.

قال: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ أي: بجسدك. مَجَّه البحر، أي: قذفه البحر عرياناً على شاطىء البحر. قال: ﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾ أي: لمن بعدك آية فيعلمون أنك عبد ذليل قد أهلكك الله وغرقك. فرآه العالمون.

قوله: ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ يعني المشركين، أي لا يتفكرون فيها ولا ينظرون.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ بَـوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ أي: أنزلنا بني إسرائيل منزل صدق، أي: مصر، في تفسير الحسن، بعدما أهلك الله فرعون وقومه.

﴿وَرَزَقْنَـهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَـتِ﴾ قال تعالى: (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّـتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) أي: ومنزل حسن في الدنيا (وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ) [الدخان: 26 - 27] أي مسرورين. وقال بعضهم: مُعْجَبِيْنَ وهو واحد. قال: (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الشعراء: 59][1] أي هكذا أورثناها بني إسرائيل.

(1) كذا في المخطوطات الأربع: (كذلك وأورثناها بني إسرائيل) [الشعراء: 59] أما في سورة الدخان فجاءت الآية: 28 هكذا: (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ) ولعل الآيتان المتشابهتان اختلطتا على المؤلف أو على بعض النساخ، اللَّهُمَّ إلا أن يكون المؤلف عَمَدَ إلى الآية التي نص فيها نصاً صريحاً ببني إسرائيل.

قوله: ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ العِلْمُ ﴾ مثل قوله: (وَلَا تَكُونُوا كَالذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ) [آل عمران: 5]. وكقوله: (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ).[المؤمنون: 53] وهم أهل الكتاب.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾.

قوله: ﴿ فَإِنْ كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الذِينَ يَقْرَأُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [يعني من آمن منهم][1]. ذكروا لنا أن رسول الله ﷺ قال: لا أشك ولا أسأل[2].

قال الحسن: (فَإِنْ كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) يقول: لو سألت الذين يقرأون الكتاب من قبلك لأخبروك، وليس يقول: سَلْهم لتعلم ذلك منهم.

قال: ﴿ لَقَدْ جَاءَكَ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ ﴾ أي: من الشاكّين.

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَـٰتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الخَـٰسِرِينَ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَـٰتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وهم الذين يلقون الله عزّ وجلّ بكفرهم. ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ﴾ أي: الموجع. أي: إن الآية إذا جاءتهم فلم يؤمنوا جاءهم العذاب، فإذا رأوا العذاب آمنوا فلا يُقبل منهم.

قوله: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا ﴾ يقول: لو آمنت قبل نزول العذاب عليها لنفعها إيمانها. فلم يفعل ذلك أهل قرية فيما خلا ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا

(1) زيادة من ز، ورقة 142.

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 15 ص 202 عن قتادة مرسلاً.

(3) جاءت عبارة أبي عبيدة في مجاز القرآن، ج 1 ص 284 أوجز وأوضح. قال: «ثم استثنى منهم فقال: إلا أن قوم يونس لما رأوا العذاب آمنوا فنفعهم إيمانهم فكشفنا عنهم عذاب الخزي».

ءَامَنُوا﴾ أي: قبل أن ينزل عليهم العذاب ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ﴾ أي عذاب الهون ﴿فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ أي: عن الذين لو كانوا لم يؤمنوا قبل أن ينزل بهم العذاب نزل بهم الخزي. ولو كان نزل بهم ثم آمنوا لم يقبل منهم الإيمان. قال الله: (فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ التِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ). [غافر: 85].

قال بعضهم: يقول: لم يكن هذا في الأمم قبلكم، لم يكن ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين عاينت عذاب الله إلا قوم يونس.

وقال: ذكر لنا أن قوم يونس كانوا من أرض الموصل. فلما فقدوا نبيَّهم قذف الله في قلوبهم التوبة، فلبسوا المسوح، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها، فَحَجُّوا إلى الله أربعين ليلة. فلما عرف الله الصدق من قلوبهم، والتوبة والندامة على ما مضى منهم، كشف عنهم العذاب بعدما نزل بهم.

وقال بعضهم: كان بينهم وبين العذاب أربعة أميال.

وذكروا أن مجاهداً قال: (فَنَفَعَهَا) أي: كما نفع قومَ يونس إيمانُهم، فلم يكن ذلك. قوله: (كَشَفْنَا عَنْهُمْ)، أي: صرفنا عنهم.

قوله: ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني إلى الموت بغير عذاب.

قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ على الاستفهام؛ أي: لا تستطيع أن تجبر الناس على الإيمان، إنما يؤمن من أراد الله أن يؤمن.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي رجاسة الكفر بكفرهم.

قوله: ﴿قُلُ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَـٰوٰتِ﴾ أي: من شمسها وقمرها ونجومها وما فيها من العجائب ﴿وَالأَرْضِ﴾ أي: من بحارها وشجرها وجبالها، أي: ففي هذه آيات وحجج عظام.

ثم قال: ﴿ وَمَا تُغْنِي الآيَـٰتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: ما تغني عنهم الآيات إذا لم يقبلوها ولم يتفكروا فيها.

قوله: »: (فَهَل يَنْتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ) أي: وقائع الله في الأمم السالفة، أي: ما أهلكهم به حين كذبوا رسلهم. قال: ﴿ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ أي: فسينزل بكم ما نزل بهم، يعني الذين تقوم عليهم الساعة، الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه. إن الله أخّر عذاب كفار هذه الأمة إلى النفخة الأولى، بها يكون هلاكهم، ولم يهلكهم حين كذبوا النبي عليه السلام بعذاب الاستئصال، كما أهلك من قبلهم بعذاب الاستئصال، فلم يبقَ منهم أحد.

قوله: ﴿ ثم نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: وكنا إذا أهلكنا قوماً أنجينا النبيَّ والمؤمنين. ﴿ كَذَٰلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿ قُلْ يَـٰأَيُّهَـا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي ﴾ يعني المشركين ﴿ فَلاَ أَعْبُدُ الذِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَـٰكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الذِي يَتَوَفَّـٰكُمْ ﴾ أي: الذي يميتكم ﴿ وَأُمِرْتُ أَن أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿وَأَن أَقِمْ وَجْهَكَ﴾ أي: وجهتك ﴿ لِلدِّينِ حَنِيفاً ﴾ أي: مخلصاً ﴿ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

﴿ وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ ﴾ يعني الأصنام ﴿ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: من المشركين. (فَإِنْ فَعَلْتَ) أي: ولستَ فاعلاً.

قوله: ﴿ وَإِن يَّمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ أي: بمرض أو بلية ﴿ فَلاَ كَـاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُّرِدْكَ بِخَيْرٍ ﴾ أي: بعافية أو سعة ﴿ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ يعني السراء والضرّاء في النصب وغيره ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.

قوله: ﴿ قُلْ يَـٰأَيُّهَـا النَّـاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ يعني القرآن ﴿ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ أي: على نفسه، كقوله: (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) [سورة فصلت: 46].

قوله: ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ أي: بحفيظ لأعمالكم حتى أجازيكم بها. إنما أنا منذر أُبَلِّغُكُمْ رسالة ربي.

قال: ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ من ربك ﴿ وَاصْبِرْ ﴾ على ما يقول لك المشركون من أنك ساحر وأنك شاعر وأنك مجنون وأنك كاهن وأنك كاذب ﴿ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ﴾ فيأمرك بالهجرة والجهاد. وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال. وقد كان الله أعلم محمداً عليه السلام أنه سيفرض عليه الجهاد، جهاد الكفار ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ﴾ أي أفضل ﴿الْحَـٰكِمِينَ﴾.

تفسير سورة هود[1]

وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ آلَمَـرٓ ﴾ قد فسّرناه في أول سورة يونس.

﴿ قوله: ﴿كِتَـٰبٌ﴾ [أي: هذا كتاب][1]، يعني القرآن ﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُ ﴾ أي: بالأمر والنهي. ﴿ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾. قال مجاهد: ثم فسّرت.

وقال الحسن: ثم فسِّرت، بُيِّن فيها الحدود والأحكام. وقال بعضهم: فصّلها فبيّن فيها حلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته.

﴿ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ ﴾ أي: من عند حكيم، وهو الله تبارك وتعالى، أحكمه بعلمه ﴿ خَبِيرٍ ﴾ أي: بأعمال العباد.

قوله: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ يقول للنبي عليه السلام: قل لهم ألا تعبدوا إلا الله ﴿ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ ﴾ يحذّركم عقابه، أي النار إن لم تؤمنوا ﴿ وَبَشِيرٌ ﴾ أي يبشر بالجنة من أطاعه وآمن به.

قوله: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ أي: من الشرك ﴿ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ منه

(1) في د: سورة هود عليه السلام، وفي ق وع ذكر لعدد الحروف والكلمات والآيات على اختلاف بينهما في بعض الألفاظ. ففي ق عدد الآيات 123 عند أهل الكوفة وأهل البصرة واثنان في عدد دمشق، وفي ع: عند أهل الكوفة وأهل حمص واثنان في عدد دمشق.

﴿ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعاً حَسَناً ﴾ والمتاع معايشهم. ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: إلى الموت، ولا يهلككم بالعذاب إن آمنتم. يقول: أنتم في ذلك المتاع إلى الموت.

قوله: ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ أي: على قدر ما عمل واحتسب. كقوله: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [الأنعام: 132].

وبلغنا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: من عمل حسنة كتبت له عشر حسنات، ومن عمل سيئة واحدة كتبت عليه واحدة، فإن عوقب بالسيئة في الدنيا بقيت له العشر حسنات، فإن حُوسِبَ بها في الآخرة بقيت له تسع حسنات.

وقال مجاهد: (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) في الآخرة.

قال: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أي: عن هذا القرآن فيكذبوا به. ﴿ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ يحذرهم عذاب الله في الآخرة، ولم يبعث الله نبياً إلا حذر أمته عذاب الدنيا وعذاب الآخرة إن لم يؤمنوا.

قوله: ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يقول: فيعذبكم في الآخرة إن لم تؤمنوا في الدنيا لقدرته عليكم، فيعذبكم بكفركم.

قوله: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ أي: على ما هم عليه من الكفر. وقال مجاهد: ثنيُهم صدورَهم شكٌّ وامتراء.

قال: ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ أي: من الله إن استطاعوا، ولن يستطيعوا. وقال الحسن: ليستخفوا منه بذلك، يظنون أن الله لا يعلم الذي استخفوا منه.

قال: ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ أي: ما يظهرون من الكفر.

وقال بعضهم: هم المنافقون يثنون صدورهم بما هم عليه من الكفر، وهو ما

(1) زيادة من ز، ورقة 143.

يسرّون، أي: من ترك الوفاء بما أَقرُّوا به من الأعمال التي لم يُوَفّوا بها، وما يعلنون أي: ما يظهرون من الإيمان للنبي والمؤمنين.

قال: ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي: بما تخفي الصدور.

وقال بعضهم: (يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) يقنعون رؤوسهم، ويحنون صدورهم لكي لا يسمعوا كلام النبي عليه السلام؛ فكانوا يحنون صدورهم لكي لا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره.

وقال بعضهم: (أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابُهِمْ) وذلك أخفى ما يكون فيه ابن آدم إذا حنى صدره واستغشى ثوبه، وأهمّ همّا في نفسه، فإن الله لا يخفى ذلك عليه.

قوله: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾.

كان الحسن يقول في قوله: (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) [الأنعام: 98]: مستقر في أجله إلى يوم يموت، ومُستودَع في قبره إلى يوم يبعث. كأنه يريد هذه الآية: (وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ) [البقرة: 36].

وقال الكلبي: مستقرّها: حيث تأوي بالليل.

وذكر عكرمة عن ابن عباس أنه قال: المستقر: الرحم، والمستودع: الصلب؛ يعني مستقرها في الرحم قبل أن تخرج إلى الدنيا، ومستودعها في الصلب قبل أن تقع إلى الرحم.

وبلغنا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: مستقرها الأرحام، ومستودعها الأرض التي تموت فيها[1].

(1) روى ابن سلام هنا بسند إلى ابن مسعود خبراً رأيت من المناسب إثباته هنا كما ورد في ز، ورقة 143: «عن ابن مسعود قال: إذا أراد الله عزّ وجلّ أن يقبض عبداً بأرض جعل له بها حاجة، فإذا كان يوم القيامة قالت الأرض: ربّ هذا ما استودعتني».

قوله: ﴿ كُلٌّ فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ يعني عند الله، وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[1].

قوله: ﴿وَهُوَ الذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ يعني: وما بينهما. وقد فسّرنا ذلك في غير هذا الموضع[2]. وهذا من الإضمار.

قوله: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ ﴾ قال مجاهد: قبل أن يخلق شيئاً. ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ أي ليختبركم بالأمر والنهي. ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ أي: فيما ابتلاكم.

قوله: ﴿ وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُولَنَّ الذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَـٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: إن هذا القرآن إلا سحر مبين، تكذيباً منهم بالبعث.

قوله: ﴿ وَلَئِنَ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ أي: إلى سنين معدودة، في تفسير الكلبي. وقال مجاهد: إلى حين. وقال بعضهم: إلى أجل معدود. وذلك عند بعضهم عذاب الآخرة.

وفتسير الحسن: إلى النفخة الأولى، لأن الله قضى ألا يعذّب كفار هذه الأمة بعذاب الاستئصال إلا بالساعة.

﴿ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ﴾ قال بعضهم: لما قالوا: (مَا يَحْبِسُـهُ)، يعنون العذاب[3].

قال الله: ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ ﴾. ثم أنزل بعد ذلك: (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) [النحل: 1] فذلك قوله: (مَا يَحْبِسُهُ) أي ما يحبس العذاب.

قال الحسن: وذلك قولهم للنبي: (إِيتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ) [العنكبوت: 29]. قال الله: (وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ العَذَابُ) [العنكبوت: 47].

(1) انظر ما سلف، ج 1 ص 531.

(2) انظر ما مضى في هذا الجزء ص 181.

(3) كذا في المخطوطات الأربع، ورجوع الضمير في الآية إلى لفظ العذاب ظاهر، فلا معنى لذكر ذلك وشرحه. اللهم إلا أن يكون في الكلام سقط أو خطأ. ويلاحظ في هذه الجمل تكرار لا داعي له، فالمعنى واضح.

قال: (أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ) يعني الذين تقوم عليهم الساعة، الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه. (لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ) أي ليسوا بالذين يستطيع أحدهم أن يصرف عنهم عذاب الله إذا نزل بهم.

﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾ يومئذٍ ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ وتفسير الكلبي: عذاب الآخرة.

قوله: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ والإنسان ها هنا المشرك، والرحمة في هذا الموضع الصحة والسعة في الرزق.

قال: ﴿ ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ ﴾ أي من رحمة الله أن تصل إليه فيصيبه رخاء بعد شدة ﴿ كَفُورٌ ﴾ أي: لنعمة الله.

قال: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ ﴾ فعافيناه من تلك الضراء. والضرّاء: المرض واللاواء، وهي الشدائد ﴿ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّيَ ﴾ أي: بعد إذ نزلت به ﴿ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ أي ليست له حسبة[1] عند ضراء، ولا شكر عند سراء. (فَرِحٌ) أي بالدنيا، مثل قوله: (وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) [الرعد: 26] وهم أهل الشرك.

ثم استثنى الله أهل الإيمان فقال: ﴿ إِلَّا الذِينَ صَبَرُوا ﴾ أي: على هذه اللاواء[2] والشدائد ﴿ وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ أي: إنهم لا يفعلون ذلك الذي وصف من فعل المشركين. ﴿ أُولَـٰئِكَ ﴾ الذين هذه صفتهم ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ أي: لذنوبهم ﴿ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ أي: الجنة.

قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ يعني النبي عليه السلام، حتى لا تبلّغ عن الله الرسالة مخافة قومك ﴿ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا ﴾ أي: بأن يقولوا:

(1) كذا في ز، ورقة 144: «حسبة»، أي احتساب أجر الصبر عند الله، وهو أصح، وفي ق وع ود: خشية.

(2) كذا في ق وع: «اللاواء» وهو أصح، وفي د وج: «الأذى».

﴿ لَوْلَا ﴾ أي: هلا ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ ﴾ أي: مال فإنه فقير ليس له شيء ﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ فيخبرنا أنه رسول الله فنؤمن به.

وقوله: (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ) على الاستفهام، أي: لست بتارك ذلك حتى تبلغ عن الله الرسالة.

﴿ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ ﴾ أي: تنذرهم عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ أي: حفيظ لأعمالهم حتى يجازيهم بها.

قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ أي: افترى محمد هذا القرآن، على الاستفهام، يقول: قد قالوا ذلك. قال: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ ﴾ أي: مثل هذا القرآن ﴿ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ أي: من هذه الأوثان[1] التي تعبدون من دون الله ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

قال: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾ فيأتوا بعشر سور مثله، ولن يفعلوا، يعني الأوثان، ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ ﴾ أي: القرآن ﴿ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾ أي: من عند الله ﴿ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾. يقول: قل لهم فهل أنتم مسلمون. وهو كقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: 25].

قوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ يعني المشرك الذي لا يؤمن بالآخرة[2] نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ [أي جزاء حسناتهم][3] ﴿ فِيهَا ﴾ أي: في الدنيا.

(1) كذا في المخطوطات الأربع: «أي: من هذه الأوثان». وفي ز، ورقة 144: «أي: استعينوا من أطاعكم من دون الله». ويبدو أن تأويل قوله تعالى: (وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ) بالأوثان لا يؤدي معنى العموم الذي يدل عليه اسم الموصول (مَنْ) وأرى إبقاء اسم الموصول على عمومه وإطلاقه أولى من تخصيصه وتقييده، خاصة إذا ذكرنا قوله تعالى من سورة الإسراء: 88 (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً).

(2) وهذه الآية أيضاً أعمّ من أن تقصر على المشركين، فقد قال مجاهد: إنهم أهل الرياء، وقال قتادة: هي في اليهود والنصارى. وانظر تفسير الطبري، ج 15 ص 262 - 268.

(3) زيادة من ز، ورقة 144.

﴿ وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ﴾ أي في الدنيا لا يبخسون، أي: لا يظلمون، لا يُنقصون حسناتهم التي عملوها في الدنيا. يُجَازَوْن بها في الدنيا.

﴿ أُولَـٰئِكَ ﴾ يعني المشركين ﴿ الذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: من حسنات الآخرة لأنهم جوزوا بها في الدنيا.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[1].

ذكروا عن الحسن قال: قيل يا رسول الله: هذا المؤمن المعروف إيمانه شدد عليه عند الموت، وهذا الكافر المعروف كفره يهوَّن عليه عند الموت. قال: سأخبركم عن ذلك. إن المؤمن يكون قد عمل السيئة فتشدد عليه عند الموت ليكون بها، وإن الكافر يكون قد عمل الحسنة فيهون عليه عند الموت ليكون بها[2].

قوله: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ أي: على بيان ويقين. قال بعضهم: يعني محمداً ﷺ ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾. قال الحسن: شاهد منه لسانه. يعني النبي عليه السلام. وفي تفسير الكلبي: (شَاهِدٌ مِنْهُ): جبريل، أي: شاهد من الله.

قال: ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ ﴾ قال الكلبي: ومن قبل القرآن ﴿ كِتَابُ مُوسَىٰ ﴾ أي: التوراة ﴿ إِمَاماً وَرَحْمَةً ﴾ يقول: تلا جبريل على موسى التوراة إماماً ورحمة.

وقال ابن عباس: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ) قال: هو المؤمن. (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) أي: من أهل الكتاب. قال: (وَمِنْ قَبْلِهِ) أي من قبل القرآن (كِتَابُ

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، وهو أول أحاديث الكتاب (رقم 2956) وأخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، (رقم 4113) كلاهما يرويه من حديث أبي هريرة، وانظر ما مضى، ج 1 ص 522.

(2) كذا ورد هذا الحديث في المخطوطات الأربع بهذه العبارة: «ليكون بها» ولم أُوَفَّق لتحقيقها، ولعل في الحديث نقصاً. ولم أجد الحديث فيما بين يدي من المصادر والمراجع حتى أضبطه وأصححه.

مُوسَىٰ) أي التوراة (إِمَاماً) أي يأتم به من قبله[1] وعمل به، (وَرَحْمَةً) له.

قوله: ﴿ أُولَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ يعني المؤمنين يؤمنون بالقرآن والتوراة والإنجيل. ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ مِنَ الأَحْزَابِ ﴾ أي: من اليهود والنصارى[2]. قال الله: ﴿ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ أي: في شك منه. يقول للنبي عليه السلام: ومن يكفر به فالنار موعده ﴿ إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قال: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) هل يستوى هو ومن يكفر بالقرآن والتوراة والإنجيل؛ إنهما لا يستويان عند الله.

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾ على الاستفهام، أي: لا أحد أظلم منه. وافتراؤهم على الله أن قالوا إن الله أمرهم بما هم عليه من عبادة الأوثان، وتكذيبهم بمحمد، يعني به مشركي العرب.

قوله: ﴿ أُولَـٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَـٰدُ﴾ [أي: الأنبياء][3] ﴿ هَـٰؤُلَاءِ الذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّـٰلِمِينَ﴾.

ذكروا عن صفوان بن محرز أنه قال: بينما أنا أحدث ابنَ عمر إذ عارضه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، كيف سمعت رسول الله ﷺ في مسألة الربِّ عبدَه المؤمنَ يوم القيامة. قال: سمعته يقول: إن الله يسأل عبده المؤمن يوم القيامة، ويخبره بستره

(1) في المخطوطات: «من قبل وعمل به».

(2) اقتصر المؤلف هنا على تأويل (الأحزاب) باليهود والنصارى. ولكن سعيد بن جبير عندما روى عن بن عباس عن النبي ﷺ قوله: «ما من أحد يسمع بي من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ولا يؤمن بي إلا دخل النار» نزع بهذه الآية: (وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) وقال: الأحزاب الملل كلها. وقال قتادة: الكفار أحزاب كلهم على الكفر. وانظر تفسير الطبري ج 15 ص 280.

(3) زيادة من ز، ورقة 144. وقد اختلف العلماء في الأشهاد على خمسة أقوال فقيل هم الرسل، وقيل هم الملائكة، وقيل: الناس عامة، وقيل الجوارح، انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج 4 ص 89.

من الناس، فيقرّره بذنوبه فيقول: عبدي، أتعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: يا رب، أعرف؛ حتى إذا قرّره بذنوبه، وظنّ في نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم؛ ثم يُعطى كتابَ حسناته. وأما الكافر والمنافق فإنه ينادى الأشهاد: (هَؤُلَاءِ الذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلى الظَّالِمِينَ)(1).

والكذب على الله من وجهين: فكذب المشركين ادعاؤهم الأنداد والأولاد لله. وكذب المنافقين في نصبهم الحرام ديناً، وادعاؤهم على الله ديناً غيـرَ دينه، واستخلالُهم ما حرّم الله.

قوله: ﴿ الذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي عن طريق الله ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾ أي: ويدعون الناس إلى الطريق الأعوج، إلى الشرك، وطريق الله مستقيم إلى الجنة، وهو طريق المؤمنين، وهو الإسلام، طريق إلى الجنة.

قال: ﴿ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ أي: يكذبون بالبعث.

﴿ أُولَـٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: سابقين في الأرض، أي: لم يكونوا ليسبقونا حتى لا نبعثهم ثم نعذبهم.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ أَوْلِيَاءَ ﴾ يمنعونهم من عذاب الله. قال: ﴿يُضَـٰعَفُ لَهُمُ العَذَابُ ﴾ أي: في النار ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ أي: سمع الهدى، أي: لا يقدرون أن يسمعوه سمع قبول في الدنيا. ﴿ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ أي: بصر قبول الهدى. قال بعضهم: هي مثل التي في البقرة: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى

(1) في المخطوطات: «ويخبره من يستره من الناس، وهو خطأ، صوابه ما أثبته. والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري مراراً، فأخرجه في كتاب التفسير، سورة هود، وأخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله. (رقم 2768) وأخرجه ابن ماجة في المقدمة، الحديث (رقم 183). وانظر تفسير الطبري، ج 6 ص 120، وج 15 ص 284، كلهم يروى الحديث من طريي قتادة عن صفوان بن محرز عن ابن عمر عن النبي ﷺ، وهو حديث النجوى. وانظر الطرسوسي، مسند عبد الله بن عمر، (رقم 26) ص 27.

قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وعلى أبصارهم غشاوة) [البقرة: 7] أي: بكفرهم فعل ذلك بهم.

﴿ أُولَـٰئِكَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ فصاروا في النار ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أي: من عبادة الأوثان. ضلّت عنهم فلم تغن عنهم شيئاً؛ كقوله (ضلّوا عنا) [غافر: 74].

﴿ لَا جَرَمَ ﴾ وهي كلمة وعيد(1) ﴿ أَنَّهُمْ فِي الأَخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ ﴾ أي: خسروا أنفسهم.

ثم قال: ﴿ إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أي: اطمأنوا إلى ربهم، أي: خلصت قلوبهم بالإيمان. كقوله: (وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإِيمَانِ) وقال مجاهد: أخبتوا اطمأنوا. وقال بعضهم: وأخبتوا: وأنابوا إلى ربهم(2) ﴿ أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ ﴾ أي: أهل الجنة ﴿ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ أي: لا يخرجون منها.

قوله: ﴿ مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلَا تَذَّكَّرُونَ ﴾ أي: لا يستويان مثلاً. أي: فكما لا يستوي عندكم الأعمى والأصم والبصير والسميع في الدنيا. فكذلك لا يستويان عند الله في الدين. ومثل الكافر مثل الأعمى والأصم، لأنه أعمى أصم عن الهدى، والبصير والسميع هو المؤمن، أبصر الهدى وسمعه فقَبِله.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: أنذركم عذاب

---

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز، ورقة 144، ولم يفسر المؤلف الكلمة، وهي تفيد التحقيق. قال الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 8: «كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد أنك قائم، ولا محالة أنك ذاهب، فجرت على ذلك، وكثر استعمالهم إياها، حتى صارت بمنزلة حقاً؛ ألا ترى أن العرب تقول: لا جرم لأتينّك، لا جرم قد أحسنتَ، وكذلك فسّرها المفسّرون بمعنى الحق...» وانظر تفسير الطبري ج 15 ص 288.

(2) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 286: (وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) مجازه: أنابوا إلى ربهم وتضرعوا إليه وخضعوا وتواضعوا له».

الله في الدنيا والآخرة. ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ أي: موجع.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَيٰكَ إِلَّا بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَيٰكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ أي: سفلتنا ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ أي: فيما ظهر لنا ﴿وَمَا نَرىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ أي: في الدين ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ يعنون نوحاً ومن آمن معه.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي: بيان من ربي ﴿وَآتَيٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ﴾ يعني بالرحمة النبوّة ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أن تبصروها بقلوبكم وتقبلوها. ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ﴾. وقد علم الله أنه على بيّنة من ربّه، وهذا استفهام على معرفة.

﴿وَيَـٰقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على ما أدعوكم إليه من الهدى ﴿مَالاً﴾ فإنما يحملكم على ترك الهدى المالُ الذي أسألكموه. ﴿إِنَ أَجْرِيَ﴾ أي: ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ فيحاسبهم بأعمالهم. وقد قال الله في آية أخرى: (إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ) [الشعراء: 113] ﴿وَلَـٰكِنِي أَرَاٰيكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾.

﴿وَيَا قَوْمِ مَن يَّنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من عذاب الله، فيمنعني من الله حتى لا يعذبني ﴿إِنْ طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَّكَّرُونَ﴾.

وقال أهل الحرم من مشركي العرب للنبي ﷺ: يا محمد، إن أردت أن نجالسك فاطرد عنا فلاناً وفلاناً، فقال الله: (وَلَا تَطْرُدِ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) [الأنعام: 52] وقال في آية أخرى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) إلى غيرهم (تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا) [الكهف: 28](1).

---

(1) من العجيب أن تتفق المخطوطات الثلاث: ق، وع، ود، التي بين يدي الآن، على الخطإ في =

قال نوح: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾ أي: خزائن علم الله. ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ من الملائكة ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ ﴾ من المؤمنين ﴿ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً ﴾ قال بعضهم: إيماناً. وقال الحسن: (لَن يُوتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً) أي: في العاقبة.

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ أي: إنه سيؤتيهم بذلك خيراً إن كانت قلوبهم صادقة. ﴿ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا ﴾ أي: ماريتنا، ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ أي: مِراءَنا. ﴿ فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾ من عذاب الله ﴿ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾: ليس ذلك إليّ، وهذا إضمار. ﴿ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي: بالذين تعجزون الله فتسبقونه حتى لا يقدر عليكم فيعذبكم.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أي: أن يهلككم. مثل قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ) [إبراهيم: 4] بعد البيان. قال الله: ﴿ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ يعني مشركي العرب ﴿ افْتَرَاهُ ﴾ أي: إن محمداً افترى القرآن، على الاستفهام، أي: قد قالوا. ﴿ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ من قبل الجرم. يقول: فعليّ عملي وأنا بريء مما تعملون. وهو كقوله (قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) [سبأ: 45].

قال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ قال: بعضهم:

= الخلط بين آيتي الأنعام والكهف المتشابهتين، وقد صححت ذلك وذكرت الآيتين معاً كما وردتا في المصحف. وسبحان من لا يخطىء ولا ينسى.

ذلك حين دعا نوح عليهم فقال: (رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً) [نوح: 26] ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾ أي: لا تحزن عليهم ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ قال بعضهم: لا تأسَ ولا تحزن.

قوله: ﴿ وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي: بأمرنا ﴿ وَوَحْيِنَا ﴾ أي: وبوحينا[1] فعملها على مثل جؤجؤ الطير. قال بعضهم: رأسها مثل رأس الحمامة، وذنبها مثل ذنب الديك.

قوله: ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الذِينَ ظَلَمُوا ﴾، أي: ولا تراجعني في الذين ظلموا أنفسهم بشركهم ﴿ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾.

قال: ﴿ وَيَصْنَعُ الفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾ أي: إن نوحاً عمل الفلك بيده، فكان يمر عليه الملأ من قومه، فيقولون له استهزاءً به: يا نوح، بينما تزعم أنك رسول رب العالمين إذ صرت نجّاراً.

﴿ قَالَ ﴾ لهم: ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾. وكان الرجل من قومه يأخذ بيد ابنه فيذهب به إلى نوح فيقول: يا بُنَيّ، لا تطع هذا، فإن أبي قد ذهب بي إليه، وأنا مثلك، فقال لي: لا تطع هذا.

وقوله: (مَنْ يَاتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) يعني عذاب الدنيا، أي: الغرق.

قال: ﴿ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ أي: دائم في الآخرة. وهي تقرأ على وجهين: يحِل ويحُل؛ فمن قرأها: ويحل، أي: يجب. ومن قرأها: ويحُل: أي وينزل به.

قوله: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ والتنور في تفسير الحسن: الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة؛ ففار منه الماء، والسفينة على الأرض[2]. [فكان ذلك

(1) كذا في المخطوطات، وفي ز، ورقة 145 (وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا): كما نأمرك بعملها.
(2) كذا وردت العبارة في ج ود وفي ز، 145، وهي صحيحة، وفي ق وع: «ففار منه الماء على =

علامة لإهلاك القوم][1].

وقال بعضهم: التنور عين ماء كانت بالجزيرة يقال لها التنور.

وبعضهم يقول: كان التنور في أقصى داره. وقال بعضهم: كان التنور أعلى الأرض وأشرفها.

وقال مجاهد: ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ حين ينبجس الماء منه. فأوحى الله إليه إذا فار التنور أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، وهو قوله:

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: من كل صنف اثنين. والزوج هو الواحد، والزوجان اثنان. وقال مجاهد: ذكر وأنثى من كل صنف. فحمل فيها من جميع ما خلق الله من البهائم والهوام والسباع والدواب، دوابّ البر والبحر والطير والشجر. وشكوا إلى نوح في السفينة الزبل، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى نوح أن يمسح بيده على ذنب الفيل، ففعل؛ فخرج منه خنزيران كانا يأكلان الزبل. وشكوا إليه الفار، فأوحى الله إلى الأسد، أي ألقى في قلبه، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: 68]، فعطس الأسد فخرج من منخريه سنّوران فكانا يأكلان الفار. وشكوا إلى نوح عرامة[2] الأسد، فدعا عليه نوح فسلط الله عليه الحمى، فقال له نوح: «إزناتاعت لسري» وهي بالسريانية. فقال له نوح: أيها الأسد: أتريد لحماً؟ فأومأ الأسد: لا[3].

= الأرض. وقد وردت في التنور أقوال كثيرة عددها ابن الجوزي في زاد المسير ج 4 ص 105، ولم أجد في كتب التفسير التي بين يدي قول الحسن هذا.

(1) زيادة من ز، ورقة 145.

(2) عرامته: شدته وقوته وشراسته.

(3) هذه الأخبار التي تروى حول سفينة نوح عليه السلام، وشكلها، وحمولتها، هي ولا شك من قبيل الإسرائيليات، ومن أحاديث القصاص المولعين بسرد الأساطير وغرائب الأخبار، ولا يمكن أبداً أن تكتسب أي صبغة علمية، أو قيمة إخبارية. ولولا أمانة النقل لما جاز لعاقل أن يسوِّد بها صحيفة، أو يجريَ بها قلماً في كتاب. وإن المؤمن الغيور على دينه ليأسف كل الأسف أن يجد بعض هذه الأخبار مبثوثة في بعض كتب التفسير والحديث، وهي مناكير لا يمكن أن يثبت بها =

قوله: ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾ أي: الغضب، وهو ابنه الذي غرق، وقال الحسن: (مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) أي: كل من غرق يومئذٍ.

وقال الحسن: وأهلك إلا من سبق عليه القول: ﴿ وَمَنْ ءَامَنَ ﴾ يقول: احمل أهلك ومن آمن، وهم الذين كانوا في السفينة، هم أهله، وهم الذين آمنوا إلا من سبق عليه القول.

قال: ﴿ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾. قال بعضهم: لم ينج في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنين له: سام وحام ويافث ونساؤهم، فجميعهم ثمانية.

ذكروا عن الحسن أن النبي ﷺ قال: سام أبو العرب، وحام أبو الروم، ويافث أبو الحبش(1).

قال الحسن: وكان طول السفينة ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، مطبَّقَة تسير ما بين الماءين، بين ماء السماء وماء الأرض.

وقال بعضهم: كان طول السفينة ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين ذراعاً، وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً، وبابها في عرضها. وإنما استقلّت بهم في عشر خلون من رجب، وكانت بهم في الماء خمسين ومائة يوم، واستقرّت بهم على

= شيء عن الصادق المصدوق عليه السلام. وإنه ليخجل أن يجدها منسوبة إلى بعض أعلام الصحابة أو التابعين ممن لهم قدم راسخة في تأويل كلام الله. على أن هذا يجب أن لا يصرف هِمَمَ طلابِنا وشبابِنا المسلم عن قراءة هذه النفائس من ثرات الأوائل في التفسير والحديث أو التاريخ، وإن وجدوا أحياناً في بعضها ما يبدو لهم كذباً منكراً، أو تافهاً بسيطاً. فإن هذه النفائس من تراث الأوائل، وعطائهم الفكري الأصيل هي التي تفتق أذهانهم وتكسبهم مهارة في تفهم كلام الله لمعالجة مشاكل العصر على ضوء كتاب الله عزّ وجلّ، وسنّة النبي عليه السلام.

(1) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، في سورة الصافات عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ. وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسير ج 23 ص 97 مختصراً، وفي تاريخه ج 1 ص 192 بهذا السند قال: «حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن عثمة قال: حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ في قوله: (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال: سام وحام ويافث».

الجودي شهراً، وأهبطوا إلى الأرض في عشر خلون من المحرم.

قال: وذكر لنا أن نوحاً عليه السلام بعث الغراب لينظر إلى الماء، فوجد جيفة، فوقع عليها، فبعث الحمامة فأتته بورقة زيتون، فأعطيت الطوق الذي في عنقها، وخضاب رجليها. وأن السفينة لما مرّت بالبيت طافت به أسبوعاً.

قال: وكان للسفينة ثلاثة أبواب، باب للسباع والطير، وباب للبهائم، وباب للناس. وفصل بين الرجال والنساء بجسد آدم عليه السلام، حمله معه نوح. وكان إبليس على الكوثل، وهو ذنب السفينة، فعرض عليه نوح التوبة، فقال إبليس: كيف أصنع؟ قال تسجد لجسد آدم، أي: بالوحي[1] قال: ما سجدت له حياً فكيف أسجد له ميتاً.

قوله: ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مُجْرَيْهَا وَمُرْسَيْهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وهو تعليم من الله علمهم إياه، ودَلَّهم عليه.

قال بعضهم: قد بيّن الله لكم ما تقولون إذا ركبتم في البر وإذا ركبتم في البحر؛ إذا ركبتم في البحر فقولوا: (بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَيْهَا وَمُرْسَيْهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) وإذا ركبتم في البر فقولوا: (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ) [الزخرف: 13].

وتفسير الحسن أن الله علّمهم يومئذٍ بسم الله مُجْرَيْهَا وَمُرْسَيْهَا. يقول: بسم الله تُجرى وبسم الله تُرسى.

وتفسير مجاهد: (بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَيْهَا وَمُرْسَيْهَا). قال: بسم الله حين يركبون وحين يجرون وحين يرسون[2].

وقال بعضهم في مصحف أبي بن كعب: (وقال اركبوا فيها على بسم الله

(1) كذا في ق وع: أي: «بالوحي» لعله يريد قال نوح لإبليس ذلك بوحي من الله. وفي د: بالوخى، ولم أهتدِ لمعنى أطمئن إليه إذا كان بهذا اللفظ الأخير.
(2) على أن الكلمتين اسما زمان.

مُجْرَيٰها ومُرْسَيٰهَا) وبعضهم يقرأها: بسم الله مجرَيٰـها، أي المجرى الذي يجري، ومرسَيٰـهَا أي المرسى الذي تُرسي[1].

قوله: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيِّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَـٰفِرِينَ. قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ يعني الذين كانوا في السفينة ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ ﴾ أي: بين ابن نوح وبين الجبل ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾.

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾ أي: ابلعي ما كان عليك ﴿ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ ﴾ أي: ونقص الماء. غاض فذهب، أي نَشِفَتْه الأرض، وقال بعضهم: (يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ)، أي: ابلعي ما كان عليك، (وَيَا سَماءُ اقْلِعي) أي: أمسكي، وغيض الماء، والغيضوضة: [2] ذهابه.

[﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ أي فرغ منه، يعني هلاك قوم نوح][3].

قال: ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ أي: السفينة. والجودي جبل بالجزيرة بموضع يقال له: باقِردَى[4]. قوله: (وَقُضِيَ الْأَمْرُ) قال مجاهد: وهلك قوم نوح.

(1) على أنهما مصدران ميميان. وقال محمد بن أبي زمنين في ز، ورقة 146: «من قرأ باسم الله مُجريٰها ومُرسٰيها. بضم الميمين جميعاً فمعنى ذلك بسم الله إجراؤ ها وبسم الله إرساؤ ها. يقال جرت السفينة وأجريتها أنا مجرى وإجراء في معنى واحد، ورست وأرسيتها مُرسىً وإرساءً». وانظر ابن خالويه: الحجة، ص 162، والزجاج، إعراب القرآن ج 3 ص 951. وانظر تفسير الطبري، ج 15 ص 327 - 330.

(2) كذا في المخطوطات الأربع: «الغيضوضة» ولم أجد هذا المصدر في كتب اللغة، وإن كان القياس الصرفي لا يمنعه. فهو مثل القيلولة، من قال، يقيل. وفي تفسير الطبري ج 15 ص 337: «والغيوض: ذهاب الماء»، وانظر اللسان (غيض).

(3) ما بين المعقوفين ساقط من المخطوطات الأربع، وأثبته من ز، ورقة 146.

(4) في ق وع: «ياقوذى»، وفي د «ياقودا» وفي كليهما تصحيف صوابه ما أثبته: «باقِردي»، أو «قِردي» وهي وبازبدى قريتان قريبتان من جبل الجودي بالجزيرة، انظر ياقوت الحموي ج 1 ص 321 و 327، وج 4 ص 322 وقال البكري في معجم ما استعجم: «(باقردى) بالراء والدال =

قال بعضهم: قال الله لآدم عليه السلام: يا آدم، أُهبِط معك بيتي يطاف حوله كما يطاف حول عرشي. فطافَ آدم ومن معه من المؤمنين. فلما كان زمان الطوفان، حيث أغرق الله قوم نوح، رفعه الله وطهّره من أن تصيبه عقوبة أهل الأرض، فصار معموراً في السماء.

قال: وبلغنا أن السفينة لما أرادت أن تقف تطاول لها الجبال، كل جبل منها أحب أن تقف عليه، وتواضع الجودي، فجاءت حتى وقفت عليه.

وقال بعضهم: أبقاها الله بباقردي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة بعدها صارت رماداً.

قوله: ﴿وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ﴾ أي المشركين، قوم نوح.

قوله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنَ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الحَـٰكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ أَهْلِكَ﴾ الذين وعدتك أن أنجيهم لك. وهو قوله: (وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ).

وكان ابنه منافقاً، ونوح لا يعلم في تفسير الحسن. فناداه، وكان عنده مؤمناً، ولولا ذلك لم يناده، وهو يعلم أن الله مغرق المشركين الكفار. وقد قضى أنه إذا نزل العذاب على قوم كذبوا رسلهم ثم آمنوا لم يقبل منهم.

قوله: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ﴾ ذكروا عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هذا الحرف: (إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ)[1].

= المهملتين، مقصور؛ موضع بالجزيرة، مذكور في رسم الجودي».

(1) رواه أحمد في سننه وأبو داود. ورواه الترمذي في القراءات عن شهر بن حوشب عن أم سلمة، وهي أسماء بنت يزيد الأنصارية. قال: وقد روى عن عائشة عن النبي ﷺ نحو هذا، ورواه أيضاً يحيى بن سلام عن حماد عن ثابت البناني عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد الأنصارية كما جاء في مخطوطة ز، ورقة 147. وانظر تخريج الحديث في تفسير الطبري، ج 15 ص 348 - 350 وتحقيق القول فيه وفي سنده.

ذكرو عن ابن عباس أنه قال: هو ابنه ولكنه عمل غير صالح.

وكان الحسن يقرأها: (عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ). وكان عنده ليس بابنه. وهي قراءة عروة بن الزبير. وبعضهم يقرأها على مقرأ الحسن وعروة ويقول: إن سؤالك إياي يا نوح ما ليس لك به علم عملٌ غير صالح.

وقال بعضهم: كان يقال: ما بغت امرأة نبيّ قط.

قوله: ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾. قال الحسن: إنك لم تكن تعلم ما كان يُسِرّ من النفاق. ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الجَـٰهِلِينَ﴾.

قالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَن أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الخَـٰسِرِينَ﴾ أي: في العقوبة.

﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا ﴾ [يعني بسلامة من الغرق][1] ﴿وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ﴾ يعني نسول من كان معه في السفينة ﴿ وَأُمَمٌ ﴾ من نسول من كان معه في السفينة ﴿ سَنُمَتِّعُهُمْ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

ذكروا أن عبد الله بن مسعود قال: ذنب ابن آدم دخل على الجعل في جحره فأسرى في ساعة ثم قال ومن غرق قوم نوح[2].

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: القوس الذي كان في السماء أمان للأرض من الغرق يوم أهلك قوم نوح. وقال ابن عباس: لا تقولوا قوس قزح، فإن القزح الشيطان، وقولوا القوس. وذكروا عن ابن مسعود مثل ذلك.

قوله: ﴿ تِلْكَ مِن أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ﴾ يقول للنبي عليه السلام حين

(1) زيادة من ز، ورقة 147.

(2) كذا ورد هذا الخبر عن ابن مسعود والذي يليه عن ابن عباس في كل المخطوطات الأربع فاسدي العبارة مخرومين في بعض ألفاظهما، وقد أثبت ما جاء في د، ولم اهتدِ لتصحيح الخبرين. وقد جاء الخبر في ع أكثر فساداً. جاء فيه: «ذنب آدم دخل على الجعل في حجره فاسمد (كذا) أمتي ساعة من قال أي والله ومن غرق قوم نوح» وهو في غاية الفساد والغموض.

انقضت قصة نوح: ذلك من أخبار الغيب، يعني ما قصَّه عليه ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾ يعني قريشاً ﴿مِنْ قَبْلِ هَـٰذَا﴾ أي: من قبل هذا القرآن ﴿فَاصْبِرْ﴾ أي: على قولهم إنك مجنون، وإنك ساحر، وإنك شاعر، وإنك كاذب، وإنك كاهن. ﴿إِنَّ العَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ والعاقبة الجنة.

قوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾ يقول: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً، على الكلام الأول: (وَلَقَد أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ). وقوله: أخاهم هوداً أي: أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الديـن.

﴿قَالَ يَـٰقَـوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِّن إِلَـٰهٍ غَيْرِهِ إِنَ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ أي: كل من عبد غير الله سبحانه فقد افترى الكذب على الله تعالى، لأن الله عزّ وجلّ أمر العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. وهو قوله: (أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ) [يوسف: 40].

قوله: ﴿يَـٰقَـوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على ما أدعوكم إليه من الدين ﴿أَجْراً إِن أَجْرِيَ﴾ أي: إنَ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى الذِي فَطَرَنِي﴾ أي: الذي خلقني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَيَـٰقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: من الشرك ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾ أي: يوسع لكم[1] من الرزق، وإنما أرزاق العباد من المطر[2]. ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ قال مجاهد: يعني شدة إلى شدتكم ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ أي: مشركين.

﴿قَالُوا يَـٰهُـودُ مَاجِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ فجحدوا وكذبوا ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُومِنِينَ﴾.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا آعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ أي بجنون، لأنك عبت آلهتنا

(1) في ع وز: يوسع لكم من الرزق، وفي ق ود: يوسع عليكم من الرزق، وكل صواب إن شاء الله.

(2) قال الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 19: «يقول: يجعلها تدر عليكم عند الحاجة إلى المطر، لا أن تدر ليلاً ونهاراً».

(3) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن: «(إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) وهو افتعلك من =

وسفَّهْتها، فآلهتنا التي صنعت بك هذا الجنون بشتمك لها. وقال بعضهم: إنما تصنع هذا لأن بعض آلهتنا أصابك بسوء.

﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ أي: الذين تعبدون من دونه، أي الأوثان ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ﴾ أنتم وأوثانكم التي تعبدون، أي: اجهدوا جهدكم ﴿ ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴾ أي: طرفة عين. أي: إن الله سيمنعني منكم. قوله: (فَكِيدُونِي جَمِيعاً) قال هذا وقد علم أن الأوثان لا تقدر على أن تكيد، وأنها لا تضر ولا تنفع.

قوله: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ أي: كل دابة ناصيتها بيد الله، [أي هي في قبضته][1] وقدرته، لا يخرجون منها.

قوله: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: على الحق.

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أي: عما جئتكم به ﴿ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾.

قال الله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ أي عذابنا ﴿ نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ يعني عذاب الدنيا الذي عذبوا به.

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ﴾ يعني هوداً ﴿ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ أي: واتبع بعضهم بعضاً على الكفر. والعنيد المعاند للهدى المجتنب له.

قوله: ﴿ وَأُتْبِعُوا ﴾ [أي ألحقوا][1] ﴿ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ يعني العذاب

= عروته، أي أصابك قال أبو خراش:

تَذَكَّرَ ذَحْلًا عِنْدَنَا وَهُوَ فَاتِكٌ مِنَ القَوْمِ يَعْرُوهُ اجْتِرَاءٌ وَمَأْثَمُ.

وشرح السّكري في كتاب شرح أشعار الهذليين ج 3 ص 1219 فقال: «يعروه، يعتريه، يُلِمُّ به».

(1) زيادة من ز، ورقة 147.

الذي عذبوا به ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: ولهم يوم القيامة أيضاً لعنة، يعني عذاب جهنم. ﴿ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ ﴾ يقول: وأرسلنا إلى ثمود ﴿ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا﴾ على الكلام الأول في عاد. ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ أي مبتدأ خلقكم من آدم، وخلق آدم من طين، فهو خلقكم من الأرض ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ قال مجاهد: أعمركم فيها. وقال الحسن: جعلكم عمار الأرض(1)، وهو واحد. كقوله: (وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ) [الأعراف: 129] أي: بعد الماضين: ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ أي: من الشرك ﴿ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ منه ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ أي: قريب ممن دعاه، مجيب لمن دعاه.

ذكروا أن موسى عليه السلام قال: يا رب، أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك، فأوحى الله إليه: إني عند ظن عبدي، وأنا معه إذا دعاني.

﴿ قَالُوا يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَا ﴾ أي كنا نرجو ألا تشتم آلهتنا وألا تعبد غيرها. ﴿ أَتَنْهَـٰنَا أَنْ نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ أي: من الريبة.

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ أي: على أمر بيّن، أي من النبوة ﴿وَءَاتَانِي﴾ وأعطاني ﴿ مِنْهُ رَحْمَةً ﴾ أي: النبوة ﴿ فَمَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴾ فيمنعني منه، أي لا أحد. ﴿ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ يعني إن أجبتكم إلى ما تدعونني إليه لم أزدد به إلا خسراناً(2).

---

(1) وهي نفس عبارة أبي عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 291. وزاد: «يقال: أعمرته الدار، أي: جعلتها له أبداً وهي العمرى. . .».

(2) هذا قول ابن سلام، ويرى الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 20 غير ذلك: «يقول: فما تزيدونني غير تخسير لكم وتضليل لكم، أي: كلما اعتذرتم بشيء هو يزيدكم تخسيراً، وليس غير تخسير لي أنا، وهو كقولك للرجل: ما تزيدني إلا غضبـاً، أي: غضباً عليك». وهو قول مجاهد والطبري أيضاً. انظر تفسير الطبري ج 15 ص 371.

﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ وكان قوم صالح سألوه أن يأتيهم بآية فأتاهم بالناقة. قال: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ أي: لا تعقروها ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾. فقالوا آية ذلك ماذا، فنعلم أنك صادق. قال: آية ذلك أن وجوهكم تصبح أول يوم مصفرّة، واليوم الثاني محمرّة، واليوم الثالث مسوّدة.

فلما كان ذلك عرفوا أنه العذاب، فتحنّطوا وتكفّنوا. فلما أمسوا تلفّفوا في الأنطاع. ثم صبّحهم العذاب في اليوم الرابع بالرجفة.

ذكر بعضهم قال: ذكر لنا أن صالحاً حين أخبرهم أن العذاب يأتيهم لبسوا الأنطاع والأكسية وأطلوا[1] وقيل لهم آية ذلك أن تصفر ألوانكم في أول يوم، ثم تحمر من الغد، ثم تسود في اليوم الثالث. وإنهم لما عقروا الناقة تذامروا[2] وقالوا: عليكم بالفصيل. وصعد الفصيل القارة، والقارَة الجبل[3]. حتى إذا كان اليوم الثالث استقبل القبلة، وقال: يا رب أمي، يا رب أمي، فأرسلت عليهم الصيحة عند ذلك.

قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي: عذابنا ﴿نَجَّيْنَا صَـٰلِحاً وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: عذاب يومئذٍ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَـزِيزُ﴾. أي: القوي في قدرته، العزيز في نقمصه.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ أي: العـذاب ﴿فَأَصْبَحُـوا فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾. قال بعضهم: قد هلكوا. وقال الحسن: موتى. وقال بعضهم: الجاثم: الملقى على وجه الأرض ميتاً[4].

(1) في ق وع: «وأظلموا»، وأثبت ما جاء في د وج: «أطلوا» وهو الصواب إن شاء الله.
(2) في ق وع: «تدامروا»، وفي ج ود: «توامروا»، وفي تفسير الطبري ج 15 ص 372: «ندموا» وصواب الكلمة إن شاء الله ما أثبته: «تذامروا»؛ أي: لام بعضهم بعضاً.
(3) القارَة: هي الجبيل الصغير، وقال الجوهري: هي الأكمة، انظر اللسان، والصحاح: (قور).
(4) ورد قوله تعالى: (فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِم جَاثِمِينَ) قبل بضعة أسطر، بعد قول المفسر: ثم صبحهم العذاب في اليوم الرابع بالرجفة، ولم يُذكر هنا في المخطوطات الأربع. فرأيت من =

قوله: ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ أي: كأن لم يعيشوا فيها. ﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُوداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْداً لِّثَمُودَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبَراهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ ﴾ أي: بشّروه بإسحاق ﴿ قَالُوا سَلَـٰماً قَالَ سَلَـٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾.

قيل إنهم أتوه على صورة الآدميين، فاستضافوه، وكان صاحب ضيافة، وهو أول من أضاف. (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيـذٍ) أي: نضيج مشويّ. قال بعضهم: إنه مشويّ. ويقال: إنه شبه مَلّة.

وفي تفسير الكلبي أن جبريل أتى إبراهيم ومعه ملكان، وكان إبراهيم تأتيه الضيفان فيتلقاهم. فتلقاهم إبراهيم، ولا يظن إلا أنهم بشر. فأرسل فأوتي بعجل فذبحه، ثم أمر به فحنذ، ثم أمر بطعام فصنع، ثم قرّبه إليهم.

﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْه نَكِرَهُمْ ﴾ أي: أنـكرهم ﴿ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ أي: خافهم إذ لم يأكلوا ﴿ وَقَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ وفيها إضمار، أي: لنهلكهم.

قال: ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ ﴾ أي: امرأة إبراهيم سارّة. ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾ أي: ضحكت تعجّباً[1] أن قوماً قد أتاهم العذاب وهم في غفلة.

قال الكلبي: (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) عرف

= الأحسن إثباته هنا حسبما ورد في موضعه من ترتيب آي السورة.

(1) هذا هو التأويل الراجح في معنى (ضحكت) حسبما ذهب إليه جمهور المفسرين. قال الفراء في معاني القرآن، ج 2 ص 22: «وأما قوله: (فضحكت): حاضت، فلم نسمعه من ثقة». وكان الطبري في تفسيره ج 15 ص 392، 393 يرد على الفراء قوله إنه لم يسمع ورود لفظ الضحك في معنى الحيض، فيذكر أبياتاً في هذا المعنى، ولكنه يرجح في الأخير أن معنى الآية أنها ضحكت تعجباً من غفلة قـوم لوط والعذاب محيط بهم. وانظر في سبب ضحكها هذا الأقوال التي عددها ابن الجوزي في زاد المسير، ج 4 ص 130 - 131.

أنهم ملائكة. ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾. فلما رأت سارة فَرَقَ إبراهيم عجبت من فَرَقه فضحكت، وهي لا تدري من القوم.

قال: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَاقَ﴾. فبشروها بإسحاق، وقالوا نرجع إليك [عاماً][1] قابلاً، وقد ولدت غلاماً اسمه إسحاق. ﴿ وَ﴾ يكون ﴿ مِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ ﴾.

قال الحسن: ﴿ مِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ ﴾ أي: من بعد إسحاق ﴿ يَعْقُوبُ ﴾ بشر بِنُبوّته وهو ابن إسحاق، وهو نبي يوحى إليه.

﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ﴾، وكانت قعدت من الولد[2] ﴿ وَهَـٰذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ. قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنَ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾. هذا كلام مستقبل، مقطوع من كلام الملائكة.

﴿ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ حميد، أي: مستحمد إلى خلقه بنعمته عليهم. والمجيد هو الكريم، فلا أكرم منه.

قال الحسن قال رسول الله ﷺ: إنه ليس أحد أحب إليه الحمد من الله، ولا أكثر معاذير من الله[3].

قوله: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ الرَّوْعُ ﴾ يعني الخوف ﴿ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ ﴾ أي: بإسحاق، ﴿يُجَـٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ أي: يخاصمنا في قوم لوط. وإنما كانت مجادلته مخاصمة للملائكة.

ذكروا عن حذيفة بن اليمان أنه قال: لما بعثت الملائكة إلى قوم لوط عُهِدَ إليهم

---

(1) كلمة سقطت من المخطوطات الأربع فأثبتها من ز، ورقة 148.

(2) كذا في ق وع ود، وفي ز، ورقة 148: «وكانت قد قعدت عن الولد». وهو أفصح.

(3) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى، وتحريم الفواحش مرفوعاً من طريق عبد الله بن مسعود ولفظه: ليس أحد أحب إليه المدح من الله عزّ وجلّ، من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش، وليس أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل (رقم 2760)، وانظر ما سلف، ج 1 ص 331، تعليق: 1.

ألا يُهلكوا قوم لوط حتى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات. فأتوا على إبراهيم، وكان الطريق عليه، (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ) فقال: أتهلكون قوم لوط وفيهم لوط؟ (قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الغَابِرِينَ) [العنكبوت: 31] فقال: أتهلكون قوم لوط وإن كان فيهم أربعون من المسلمين؟ قالوا: لا. قالوا: أتهلكون قوم لوط وإن كان فيهم ثلاثون من المسلمين؟ قالوا: لا. قال: أتهلكون قوم لوط وإن كان فيهم عشرون من المسلمين؟ قالوا: لا. قال: أتهلكون قوم لوط وإن كان فيهم عشرة من المسلمين؟ قالوا: لا. فذكر لنا أن مجادلته إياهم هي هذه. وذكر لنا أنهم ثلاث قريات فيها ما شاء الله من الكثرة.

قوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾. ذكر بعضهم قال: الأوّاه: الرحيم، والمنيب: التائب. وقال بعضهم: الأوّاه: الدّعّاء، والمنيب: المخلص لله المصلّي. وقال ابن مسعود: الأواه: الرحيم. وقال مجاهد: أواه منيب: فقيه مؤمن، وقال بعضهم: الموفق[1].

قوله: ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ﴾ قال الكلبي: سأل إبراهيم ربه ألا يهلك لوطاً وأهله، وأن يعفو عن قوم لوط، فقيل له: (يَا إِبْرَاهِيمْ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا) قال: ﴿ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾[2].

قوله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً ﴾ قال بعضهم: سيء بقومه الظن، وضاق بأضيافه الذرع. أي سيء بقومه الظن لما كانوا يفعلون من الفاحشة، وضاق بأضيافه الذرع مخافة عليهم منهم.

وفي تفسير الحسن: سيء بهم، أي: ساءه دخولهم عليه لما يتخوّفه عليهم من

---

(1) كذا في المخطوطات الأربع، «الموفق»، ولعل في الكلمة تصحيفاً صوابه: الموقن، وهو تفسير نسب إلى ابن عباس، وانظر ما مضى في هذا الجزء ص 172.

(2) وقع اضطراب ونقص في هذه الآية في بعض المخطوطات أثبت صحة ذلك من ز، ورقة 148.

قومه، وضاق بهم ذرعاً. ﴿ وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ أي: شديد في تفسير الحسن وغيره. وقال الحسن: العذاب الذي أخبر أنه نازل بهم.

وقال الكلبي: ساءت جَيئتهم، وضاق بهم ذرعاً، أي: لم يدرِ أين ينزلهم. قال: وكان قوم لوط لا يُؤوون ضيفاً بليل، وكانوا يعترضون من يمرّ بالطريق نهاراً للفاحشة؛ فلما جاءت الملائكة لوطاً حين أمسوا كرههم ولم يستطع دفعهم فقال هذا يوم عصيب، أي شديد[1].

قال: ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ أي: يسرعون إليه. ذكروا أن مجاهداً قال: الإهراع الإسراع في المشي.

قال الحسن: يبتدرونه[2] أي: يبتدرون أضيافه للفاحشة.

قال: ﴿ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ أي: يأتون الرجال في أدبارهم. وكان لا يفعل ذلك بعضهم ببعض، إنما كانوا يفعلون ذلك بالغرباء.

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ أي: هن أحل لكم من الرجال. قال الحسن: فتزوجوهن. ولم يكن حرم يومئذٍ المسلمات على المشركين قال: وكان ذلك في صدر الإسلام حتى نزلت: (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ. . . وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤمِنُوا). [البقرة: 221] وقال بعضهم: أمرهم أن يتزوجوا النساء.

وفي تفسير الكلبي قال: (هَـٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) أي: من الرجال. أي: هن أحل لكم فتزوجوهن، وقد كان لوط قبل ذلك يأبى أن ينكح في قومه، فلما راودوه

---

(1) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 293: (هذا يوم عصيب) أي: شديد، يعصب الناس بالشر. ثم استشهد بأبيات، منها بيت لم يعرف قائله، وهو:

يَـومٌ عَصِيبٌ يَعْصِبُ الأَبْطَالاَ عَصْبَ القَـوِيِّ السَّلَمَ الطَّوَالاَ

(2) في المخطوطات الأربع: «يبتدونه»، وأثبت ما بدا لي أنه أولى بالصواب، من الابتدار. اللهم إلا أن تكون الكلمة الواردة في المخطوطات من الابتداء، وحذفت الهمزة للتخفيف؛ ولكن ما أثبته أنسب للمقام.

عن ضيفه طابت نفسه أن ينكحهن. قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم، أي أحلّ لكم. يقول التزويج أحلّ لكم من الفاحشة.

[وقال مجاهد: كل نبي أبو أمته، وإنما عنى ببناته نساء أمته][1].

قوله: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ أي: ولا تفضحون ﴿ فِي ضَيْفِي ﴾ كقوله: (إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ) [الحجر: 68] والأضياف ضيف، والضيف الواحد ضيف.

قال: ﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ أي: ليس منكم رجل رشيد. وهو على الاستفهام، كقول الرجل: أما منكم رجل رشيد، وهو يعلم أنه ليس فيهم رجل رشيد.

قوله: ﴿ قَالُوا: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ أي: من حاجة ﴿ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ أي: إنا نريد أضيافك دون بناتك.

﴿ قَالَ لَوَ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَو ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾. قال بعضهم: أي: إلى عشيرة[2].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: رحم الله لوطاً، لقد كان يأوى إلى ركن شديد[3].

ذكروا عن حذيفة بن اليمان قال: لما جـاءت الملائكة بعذاب قوم لوط، أتوا على لوط وهو في زرع له يسقيه. فسألوه الضيافة، فقال: اجلسوا حتى أفرغ لكم.

(1) زيادة من ز، ورقة 148، وجاء بعده ما يلي: «قال أبو عبيد وهذا شبيه بما يروى عن قراءة أبي بن كعب: (النَّبِيءُ أَوْلَىٰ بالمُومِنِينَ مِنَ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ) [الأحزاب: 6].

(2) وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 294: «ومجاز الركن ها هنا عشيرة، عزيزة، كثيرة، منيعة».

(3) رواه أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة، ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره، ج 15 ص 420 - 421 عن أبي هريرة من عدة طرق، وفي بعضها زيادة: «قال رسول الله ﷺ: فما بعث الله بعده من نبيّ إلا في ثروة من قومه».

فلما فرغ جاءهم فتوجّه بهم إلى منزله. وقد عُهِدَ إلى الملائكة ألا يُهلكوا قوم لوط حتى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات.

فبينما هو متوجّه إلى القرية إذ قال: قفوا. فقال: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية؟ قالوا: وما يعملون؟ قال: ما أعلم لله خلائق أشرّ منهم، فقالوا: واحدة. ثم مشى معهم، ثم قال: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية؟ قالوا: وما يعملون؟ قال: ما أعلم لله خلائق أشرّ منهم. فقالوا: اثنتان. ثم مشى معهم، ثم قال: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية؟ قالوا: وما يعملون؟ قال: ما أعلم لله خلائق أشرّ منهم. قالوا: ثلاثة. فجاء بهم إلى منزله.

فلما رأت العجوز، عجوز السوء، القومَ لم ترَ قوماً أحسن وجوهاً، ولا أحسن ثياباً، ولا أطيب ريحاً. وكان العلم بينها وبين قومها إذا نزل بلوط ضيف أن تدخِّن[1]. فلما رأتهم لم تملك نفسها أن ذهبت بنفسها إليهم فقالت: لقد نزل الليلة بلوط ضيف ما نزل به أحسن وجوهاً ولا أحسن ثياباً ولا أطيب ريحاً. فجاءوه يُهرعون إليه، (وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ). فراودوه عن ضيفه، فقال: (يَا قَوْمِ هَـٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيَ أَلَيْسَ مِّنْكُم رَجُلٌ رشيد قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ). فقالت الملائكة.

﴿ قَالُوا يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ [أي: سر بهم في ظلمة من الليل][2] ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾ فقال: لا، بل أهلكوهم الساعة. قالوا: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾.

(1) كذا في المخطوطات: «أن تدخن» أي: تبعث دخاناً في الجو إعلاماً بوجود أضياف جدد. ولم أجد هذا الخبر فيما بين يدي من المصادر.

(2) زيادة من ز، ورقة 149.

ثم مال جبريل بجناحه فطمس أعينهم فباتوا عمياناً يستكفون[1] فذلك قوله: ﴿ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ﴾ [القمر: 37].

فلما كان السحر خرج لوط وأهله، ثم رفعها جبريل عليه السلام حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا نباحَ كلابهم. وذلك قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾.

قال حذيفة: ثم قلبها، ثم اتبعها الحجارة. فلما سمعت العجوز الهدة التفت فأصابها حجر. وقال: فأصابها ما أصاب قومها. فأصاب سُفَّارَهم الحجارةُ، وأصاب أرضَهم الخسف.

وفي تفسير الكلبي أن جبريل عليه السلام استأذن الله في هلاكهم فأذن له؛ فأتاهم بعدما أصبح، فأدخل جناحه تحت مدائن لوط، وهي أربع مدائن، وقال بعضهم: كانت ثلاث قرى. قال الكلبي: ثم رفعهم حتى بلغ السماء، فسمع أهل السماء أصوات الدجاج والكلاب، ثم قلبها. وأرسل الله الحجارة على من كان خارجاً من المدائن.

قال الحسن: ولم يبعث الله نبياً بعد لوط. إلا في عز من قومه، وقال بعضهم: إلا في ثروة[2] من قومه.

قوله: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ ﴾ قال بعضهم بطائفة من الليل.

وكان الحسن يقول: وكانت امرأة لوط منافقة، تظهر له الإسلام وتخالفه في الأعمال[3]. وكذلك ابن نوح أظهر له الإسلام وخالفه في الأعمال.

---

(1) في ق وع: «يتعكسون»، وفي ج ود: «يستكفون» وأثبت هذه الأخيرة كأن فيها معنى التلمس بالكف فعل الأعمى الذي يريد أن يتعرف على الأشياء. وانظر اللسان (كفف).

(2) الثروة هنا بمعنى الكثرة والمنَعَة، حسبما شرحها محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي في تفسير الطبري ج 15 ص 420، وقد مر هذا القول مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ في بعض روايات الطبري.

(3) كذا في المخطوطات الأربع. وفي ز، ورقة 149: «تظهر الإسلام وقلبها على الكفر».

وقوله: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ﴾ أي: يكون هلاكهم حين تشرق الشمس. وكذلك قال في الآية الأخرى التي في الحجر: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ [الحجر: 73] أي: حين أشرقت الشمس.

وقوله: ﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ أي: بلى الصبح قريب، في الإضمار.

وقال الحسن: خسف بهم فهم يتجلجلون[1] فيها إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ ﴾. قال بعضهم: هو الطين. وقال مجاهد: هي بالفارسية؛ أولها حجر وآخرها طين. وقال في الآية الأخرى التي في الذاريات: ﴿ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ [الذاريات: 33] قال بعض الكوفيين: هي بالفارسية سنك وكل[2].

قوله: ﴿ مَنْضُودٍ ﴾ أي بعضه على بعض ﴿ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أي: مُعلمة عند ربك في تفسير الحسن. وقال الحسن: هي من السماء، مسوّمة، أي: عليها سيما. إنها ليست من حجارة الدنيا، وإنما هي من حجارة العذاب. وتلك السيما على الحجر منها مثل الخاتم.

قوله: ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ قال مجاهد: يرهب به قريشاً، يعني المشركين. وبعضهم يقول: وما هي من ظالمي أمتك، يا محمد، يعني المشركين، ببعيد، أي: أن يحصبهم بها كما حصب قوم لوط.

(1) تجلجل، أي: ساخ في الأرض ودخل، انظر اللسان (جلل).

(2) جاءت الكلمة في المخطوطات هكذا: «سند وكل» وما أثبته هو الصواب حسبما جاء رسمها في كتب التفسير واللغة. وقد اختلف المفسرون في أصل الكلمة، وهل هي عربية أو معربة. فذهب أبو عبيدة في المجاز ج 1 ص 296 إلى أن الكلمة عربية وأن معناها «الشديد من الحجارة الصُّلب، ومن الضرب» وذهب المؤلف هنا إلى أنها فارسية معربة، وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة، وتبعه في ذلك الجواليقي في المعرب ص 229. وقد لخص محقق كتاب المعرب الشيخ أحمد محمد شاكر هذه الأقوال ورجح أن الكلمة عربية وأن معناها كثيرة وشديدة، مؤيداً في ذلك ما ذهب إليه أبو عبيدة.

ذكر جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط[1].

قوله: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ ﴾ أي وأرسلنا إلى مدين، تبعاً للكلام الأول ﴿ أَخَاهُمْ شُعَيْباً ﴾ هو أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الدين.

﴿ قال يَـٰقَـوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِّن إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ إِنِّي أَرَيـٰكُمْ بِخَيْرٍ ﴾ أي بخير من الله في السعة والرزق. وقال بعضهم: رأي عليهم يسراً من يسر الدنيا، وكانوا أصحاب تطفيف في الكيل ونقصان في الميزان. ﴿ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ أي: يحيط بكم عذاب الله في الدنيا قبل عذاب الآخرة.

﴿وَيَـٰقَـوْمِ أَوْفُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ بِالقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ أي: ولا تنقصوا الناس حقهم الذي لهم. وقال بعضهم: ولا تظلموا، وهو واحد.

قوله: ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ أي: ولا تسيروا في الأرض مفسدين. وقال الحسن: ولا تكونوا في الأرض مفسدين.

قوله: ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْـرٌ لَّكُمْ ﴾ قال بعضهم: حظكم من ربكم خير لكم، يعني الجنة. ﴿ إِنْ كُنْتُم مُّومِنِينَ ﴾ أي: إن آمنتم.

بعضهم: ما أبقى الله لكم من أموالكم الحلال هو خير لكم مما تبخسون الناس[2]. وقال مجاهد: بقيت الله: طاعة الله.

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده، والترمذي والحاكم في المستدرك. وأخرجه ابن ماجه في كتاب الحدود، باب من عمل عمل قوم لوط (رقم 2563) كلهم من حديث جابر، وأخرجه يحيى بن سلام كما جاء في ز، ورقة 149 بالسند التالي: يحيى عن همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله مرفوعاً بلفظ: إن أكثر ما أتخوّف على أمتي..

(2) هذا الوجه من التأويل هو أقرب الوجوه إلى الصواب، وهو ما ذهب إليه الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 25، واختاره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 208.

قوله: ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ أي: أحفظ أعمالكم عليكم حتى أجازيكم بها.

قوله: ﴿ قَالُوا يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا﴾ يعنون أوثانهم. ﴿ أَو أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَٰلِنَـا مَا نَشَاءُ ﴾ أي: أو أن نترك [أن نفعل][1]. وبعضهم يقرأها أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء، أي: أو تأمرك أن تفعل في أموالنا ما تشاء.

﴿ إِنَّكَ لأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ أي: إنك أنت السفيه الضال. قال الحسن: أي: إنك لست بالحليم الرشيد. كقوله: (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العِزِيزُ الكَرِيمُ) [الدخان: 49] أي: إنك لست كذلك.

وأما قوله: (أَصَـلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ) فقال الحسن: إن الله لم يبعث نبياً إلا فرض عليه الصلاة والزكاة. وهي مثل قوله: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّـلَوٰةَ وَيُؤتُوا الزَّكَوٰةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ) [البينة: 5].

﴿ قَالَ يَـٰقَـوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ أي: على أمر بيِّن من النبوة ﴿ وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً ﴾ أي: النبوة ﴿ وَمَا أُرِيدُ أن أُخَالِفَكُم إِلَىٰ مَا أَنْهَيٰكُم عَنْهُ ﴾ فأفعله، في تفسير الحسن. وقال غيره: لم أكن لأنهاكم عن أمر فأركبه.

﴿ إِن أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَٰحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِـاللَّهِ ﴾ أي: وما اعتصامي[2] إلا بالله؛ أي: إن الله الموَفقُ الهادي إلى كل خير. ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ أي بقلبي وعملي.

---

(1) زيادة لا بد منها لإيضاح المعنى. قال الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 25: «معناه أو تأمرك أن نترك أن نفعل (فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ). فأن مردودة على (نترك) وقال الفراء: «وفيها وجه آخر؛ تجعل الأمر كالنهي، كأنه قال: أصلواتك تأمرك بذا وتنهانا عن ذا. وهي حينئذٍ مردودة على (أَنْ) الأولى، لا إضمار فيه؛ كأنك قلت: تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء؛ كما تقول: أضربك أن تسيء، كأنه قال: أنهاك بالضرب عن الإساءة».

(2) كذا في ق وع: «اعتصامي»، وفي د وج: «عصمتي».

﴿وَيَـٰقَـوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيَ﴾ أي: لا يحملنكم فراقي [1] ﴿أَن يُصِيبَكُم﴾ قال الحسن: بكفركم ﴿مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَـٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ أي: أن ينزل بكم من عذاب الله مثل ما نزل بهم.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ لمن استغفره وتاب إليه ﴿وَدُودٌ﴾ أي: يود أهل طاعته. وقال الحسن: يتودَّدُ إلى خلقه.

﴿قَالُوا يَـٰشُعَيْـبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ﴾ [أي: لا نقبل ما تقول، وقد فهموه وقامت بينهم به الحجة][2] ﴿وَإِنَّا لَنَـرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾ أي: مصاب البصر؛ كان أعمى. ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ أي: بالحجارة فقتلناك بها. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ وكان من أشرافهم.

﴿قَالَ يَـٰقَـوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾ على الاستفهام ﴿وَاتَّخَذتُّمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيّاً﴾ قال مجاهد: فضلاً[3]. وقال غيره: أعززتم قومكم وأظهرتم بربكم، يعني أنكم جعلتموه منكم بظهر.

﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي: خبير بأعمالكم. كقوله: (وَقَـدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً). [الكهف: 91] وكقوله: (أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً) [الطلاق: 12].

قوله: ﴿وَيَـٰقَـوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على ناحيتكم، أي: على

---

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز، ورقة 149: «لا يحملنكم عداوتي أن يصيبكم بكفركم بي من عذاب الله مثل ما..».

(2) زيادة من ز، ورقة 149.

(3) في المخطوطات: «فصلاً» وهو تصحيف صوابه ما أثبته: «فضلاً»، ولم أجد هذا التفسير عند مجاهد، ووجدته منسوباً في تفسير الطبري، ج 15، ص 461 إلى ابن زيد؛ قال: «الظهري الفضل، مثل الجمّال يخرج معه بإبل ظَهَارية، فضل، لا يحمل معها شيئاً، إلا أن يحتاج إليها. قال: فيقول: إنما ربكم عندكم مثل هذا، إن احتجتم إليه، وإن لم تحتاجوا إليه، فليس بشيء». وانظر مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 298.

الكفر. وهذا وعيد ﴿ إِنِّي عَـٰمِلٌ ﴾. على ناحيتي[1]، أي: على ديني ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وليس يأمرهم أن يثبتوا على دينهم، ولكن يخوفهم أنهم إن ثبتوا على دينهم جاءهم العذاب.

قال: ﴿ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ أي: في الدنيا قبل عذاب الآخرة. ﴿ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ﴾ أي: سيعلمون إذا جاءهم العذاب من الكاذب. ﴿ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ كقوله: (فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنْتَظِرِينَ) [الأعراف: 71].

قوله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ أي: بالعذاب ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ أي: موتى قد هلكوا.

قوله: ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ أي: كان لم يعيشوا فيها ﴿ أَلَا بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَقَدَ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أي: بآياتنا التي تدل على صحة نبوته. ﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بحجة بينة. ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ ﴾ أي: وقومه. ﴿ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾. قال الحسن: يكون قائدهم إلى النار حتى يدخلها ويدخلها معه قومه.

قال: ﴿ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾. أي: النار.

﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَـٰذِهِ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ لَعْنَةً ﴾ [يَعني العذاب الذي عذّبهم به من الغرق][2] ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أي: واتبعوا يوم القيامة لعنة. ﴿ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾. قال بعضهم: ترادفت عليه لعنتان: لعنة بعد لعنة، لعنة الدنيا، ولعنة الآخرة.

---

(1) كذا في المخطوطات: وفي ز، ورقة 150: (عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ)، أي: على دينكم (إِنِّي عَامِلٌ على ديني).

(2) زيادة من ز.

قوله: ﴿ ذٰلِكَ مِن أَنْبَاءِ القُرَىٰ ﴾ أي: من أخبار القرى، أي: الأمم السالفة. ﴿ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ﴾ يا محمد؛ يعني ما قص من أخبارهم إلى هذا الموضع ﴿ مِنْهَا قَائِمٌ ﴾ أي: تراه، وقد هلك أهله ﴿ وَ ﴾ منها ﴿ حَصِيدٌ ﴾ لا تراه. وقال بعضهم: منها قائم ترى مكانه، وحصيد لا ترى له أثراً.

قوله: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ وهو كقوله: (وَلَـٰكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ) [الزخرف: 76] أي: لأنفسهم، وكقوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَـٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [يونس: 44].

قوله: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ التِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾. يعني الأوثان التي كانوا يعبدونها. ﴿ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ يعني العذاب. ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ ﴾ أي تلك الأوثان في عبادتهم ﴿ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ أي: غير تخسير. وقال الحسن: غير تدمير.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ ﴾ أي: هـٰكذا أخذ ربك ﴿ إِذَا أَخَذَ القُرَىٰ ﴾ يعني أهلها، أي: الكفار. ﴿ وَهِيَ ظَـٰلِمَةٌ﴾ أي: وهي مشركة، يعني أهلها ﴿ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذٰلِكَ ﴾ أي: فيما قصصت من أخبار الأمم السالفة، ومن إهلاكي القرى الظالمة ﴿ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ﴾.

قوله: ﴿ ذٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ ﴾ أي: يوم القيامة يجتمع فيه الخلق. ﴿ وَذٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ أي: يشهده أهل السماوات وأهل الأرض. قال: ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ ﴾ أي: ذلك اليوم، يوم القيامة ﴿ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ أي: عند الله.

قوله: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ وهو كقوله: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ) أي: روح كل جسد[1] (وَالمَلَائِكَةُ صَفّاً لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَن أَذِنَ لَهُ

---

(1) هذا وجه من وجوه تأويل كلمة الروح، نسب إلى ابن عباس في بعض التفاسير، ولها أوجه =

الرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَاباً). [النبأ: 38] أي: في الدنيا. وقوله: (صَوَاباً) أي: لا إلـه إلا الله.

ذكروا عن حذيفة بن اليمان أنه قال: يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد حفاة عراة، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، قال: فأول ما يدعى محمد ﷺ فيقول: لبّيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك. المهديّ من هديت، عبدك بين يديك، وبك وإليك، لا منجى ولا ملجأ إلا إليك. تباركت ربنا وتعاليت، وعلى عرشك استويت، سبحانك رب البيت، ثم يقال له: اشفع؛ فذلك المقام المحمود الذي وعده الله.

قوله: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول: الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطنه أمه[1].

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: حدثنا الصادق المصدّق قال: إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون أربعين يوماً علقة، ثم يكون أربعين يوماً مضغة، ثم يبعث الملك فيؤمر أن يكتب رزقه وعمله وأجله وأثره[2] وشقي أو سعيد. والذي لا إله غيره إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار حتى يدخلها. وإن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة حتى يدخلها[3].

= أخرى؛ منها أن الروح هنا هو جبريل عليه السلام. وانظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج 7 ص 12 - 13.

(1) انفردت ع بهذه الجملة الأخيرة، وهي أنسب للمقام، وفي ق وج ود: «والسعيد من وعظ بغيره».

(2) كذا في ج: «وأجله وأثره» وسقطت الكلمة: «وأجله» من د، وسقطتا معاً من ق وع.

(3) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه أصحاب السنن عن عبد الله بن مسعود. أخرجه البخاري ومسلم في كتاب القدر، وهو في صحيح مسلم في باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه... (رقم 2643) وجاء فيه: «ويؤمر بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد».

قوله: ﴿ فَأَمَّا الذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ قال بعضهم: هذا حين ينقطع كلامهم حيث يقول الله: (اِخْسَأُوا فِيهَا ولاَ تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108]. وذلك أن أهل النار يدعون مالكاً، فيذرهم مقدار أربعين خريفاً، ثم يجيبهم: (إِنَّكُم مَّاكِثُونَ) [الزخرف: 77]. ثم يدعون ربهم: فيذرهم قدر عمر الدنيا ثم يقول: (اِخْسَأُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ)؛ فلا ينبسون بعدها بكلمة، ولا كان إلا الزفير والشهيق في نار جهنم. فشبّه أصواتهم بأصوات الحمير، أولها زفير وآخرها شهيق[1].

قوله: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَـٰوٰتُ وَالأَرْضُ ﴾ أي: إن الجنة في السماء والنار في الأرض[2]، وذلك ما لا ينقطع أبداً.

قوله: ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ [يعني ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم][3] كقوله: (وَسِيقَ الذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً) وقال: (وَسِيقَ الذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَراً) [الزمر: 71 و73]. فالزمرة تدخل بعد الزمرة، إلا ما شاء ربك[4]. قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 150.

(2) أورد ابن أبي زمنين في ورقة 150 شرحاً لغوياً للكلمتين فقال: «ذكر عن الخليل أنه قال: الشهيق رد النفَس، والزفير إخراج النفَس. وقيل الزفير صوت المكروب بالأنين، والشهيق أشد منه ارتفاعاً».

(3) [illegible]

عليه من كتب التفسير. وما وجدته قريباً منه ما ذكر عن ابن زيد في قوله تعالى: (مَا دَامَتِ السَّمـٰوَاتُ وَالأَرْضُ) قال: «ما دامت الأرض أرضاً والسماء سماءً».

(4) انظر أوجهاً من وجوه تأويل هذا الاستثناء في معاني الفراء ج 2 ص 28، وفي تفسير الطبري ج 15، ص 481 فما بعدها. وكان من المنتظر أن يقف الشيخ هود في هذا الاستثناء والذي بعده ويبين رأيه في ذلك، ولكنه لم يفعل. انظر إن شئت في هذا الموضوع ما قاله قطب الأئمة محمد أطفيش في تيسير التفسير ج 6 ص 46 - 44، فقد ذكر أوجهاً لمعنى الخلود ما دامت السماوات

قوله: ﴿ وَأَمَّا الذِينَ سَعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰـوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ أي: إلا ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم. وذكر ها هنا ما افترت الفرقة الشاكة من أن قوماً يدخلون النار، ثم يخرجون منها بالشفاعة؛ فإن هذا موضعه وموضع الرد عليهم[1].

قوله: ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ أي: غير مقطوع.

قوله: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ ﴾ يقول للنبي ﷺ: فلا تك في شك ﴿ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ ﴾ يعني مشركي العرب. ﴿ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُهُم ﴾ أي: إلا ما كان يعبد آباؤهم[2] ﴿ مِّنْ قَبْلُ ﴾ أي: كانوا يعبدون الأوثان. ﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ أي: من العذاب ﴿ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴾. وهو كقوله: (فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُوراً) [الإسراء: 63].

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الكِتَـٰبَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ﴾ [أي: آمن به قوم وكفر به قوم][3] ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ ألا يعذب بعذاب الآخرة في الدنيا ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: لقضى الله بينهم في الدنيا، فأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ولكن أخر ذلك إلى يوم القيامة. ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ يعني المشركين. وقوله مريب، من قِبَل الريبة.

(1) هذا كلام الشيخ هود الهواري يشير به إلى من يخالف رأيه في مسألة الخلود؛ وهي ـ كما تعلم ـ من مسائل الخلاف بين العلماء. ولكن الشيخ هوداً حين ذكر أن هذا موضع الرد على من يسميهم «الفرقة الشاكة» لم يرد عليهم بالحجج، واكتفى بحذف تأويلهم للآية، وعدم ذكر رأيهم. فقد نقل ابن أبي زمنين في ز، ورقيّ 150 - 151، قولاً للسدي في تفسير الآية فقال عن الاستثناء الأول: «إلا ما شاء ربك لأهل التوحيد الذين يدخلون النار فلا يدومون فيها، يخرجون منها إلى الجنة.» وقال عن الاستثناء الثاني: «إلا ما شاء ربك، يعني ما نقص لأهل التوحيد الذين أخرجوا من النار». وسيعود الشيخ هود إلى هذا الموضوع بشيء من التفصيل في أوائل سورة الحجر، ستقف عليه هناك، إن شاء الله.

(2) جعل المؤلف هنا «ما» في قوله: «كما» موصولة، ويمكن أن تكون مصدرية، أي: كعبادة آبائهم، كما جاءت في تفسير الطبري ج 15 ص 491، وانظر كشاف الزمخشري ج 2 ص 431.

(3) زيادة من ز، ورقة 151.

قوله: ﴿ وَإِنْ كُلًّا ﴾ يعني الأولين والآخرين ﴿ لَّمَا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [1].

قوله: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ على الإسلام ﴿ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ يعني المؤمنين الذين تابوا من الشرك. ﴿ وَلاَ تَطْغَوْا ﴾ فترجعوا عن الإسلام وتطغوا فيما أحل لكم كما طغى أهل الجاهلية فحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام والزرع. ولا تقارفوا كبائر ما نهاكم الله عنه فتطغوا. وهو طغيان فوق طغيان، وطغيان دون طغيان؛ بعضه شرك، وبعضه نفاق دون الشرك. ﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الذِينَ ظَلَمُوا ﴾ والركون[2] إلى الظلمة من وجهين: يقول: لا تلحقوا بالمشركين[3] ولا ترضوا بأعمالهم، وهم ظلم شرك. وكذلك لا تركنوا إلى الذين ظلموا من المنافقين ولا ترضوا بأعمالهم، وهو ظلم فوق ظلم، وظلم دون ظلم. ﴿ فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ ﴾ أي: فتدخلوها، إذا أنتم ركنتم إلى الظالمين من المشركين والمنافقين. ﴿ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي: يمنعونكم من عذاب الله ﴿ ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ ﴾ أي: لا ناصر لكم من الله.

قوله: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ الَّيْلِ ﴾ يعني الصلوات الخمس: أن تقام على وضوئها وركوعها وسجودها ومواقيتها.

وطرفا النهار، في الطرف الأول صلاة الصبح، وفي الطرف الآخر صلاة الظهر

(1) انظر اختلاف القراء في قراءة قوله تعالى: (وَإِنْ كُلًّا لَّمَا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) وبيان ذلك في معاني الفراء ج 2 ص 28 - 30.

(2) وردت الكلمة في المخطوطات كلها: «الإركان» هكذا، ولعل المؤلف قرأ بقراءة من قرأ «ولا تُركنوا» بضم التاء، وهي قراءة أشار إليها الزمخشري في الكشاف ج 2 ص 433 ونسبها إلى ابن أبي عبلة، من أركنه إذا أماله، والصواب ما أثبته «الركون» تبعاً لقراءة الجمهور، ولا تَركنوا.

(3) في المخطوطات الأربع، وفي ز، ورقة 151: «لا تلحقوا بالشرك»، وهي نفس عبارة الطبري في تفسير ج 15 ص 501، وهي من كلام قتادة. ولكن الجملة التالية تستلزم ما أثبته: لا تلحقوا بالمشركين ولا ترضوا بأعمالهم.

والعصر، وزلفا من الليل، يعني صلاة المغرب وصلاة العشـاء. وزلف الليل [أدانيه][1]، يعني أوائله.

قال: ﴿إِنَّ الحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: إن الصلوات الخمس يذهبن ما دون الكبائر.

ذكر أبو عثمان النهدي قال: كنت مع سلمان الفارسي تحت شجرة فأخذ غصناً منها، فهزّه حتى تساقط ورقه، ثم قال: إني كنت مع رسول الله ﷺ تحت شجرة، فأخذ غصناً منها، فهزّه حتى تساقط ورقه، ثم قال: إن الرجل المسلم إذا توضأ وأحسن وضوءه، ثم صلّى الصلوات الخمس تحاتّت عنه ذنوبُه كما تَحَاتُّ هذا الورق، ثم تلا هذه الآية: (وَأَقِمِ الصَّـلَوٰةَ طَرَفَي النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ الَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السيِّئَاتِ ذٰلِكَ ذِكْرَىٰ للذَّاكِرِين)[2].

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ألا إن الصوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر[3].

قوله: ﴿ذٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّكِرِيـنَ﴾ أي: توبة للتائبين. ذكروا عن عبد الله بن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ يسأله عن كفارتها، فنزلت هذه الآية: (أَقِمِ الصَّلَـوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ. . .) إلى قوله: (ذٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ)[4].

---

(1) زيادة من ز، ورقة 151.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه الطبراني في الأوسط، كما أخرجه الطبري في تفسيره، ج 15 ص 514 و 520.

(3) أخرجه أحمد والترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلوات الخمس. وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة. . (رقم 233) عن أبي هريرة، وفي بعض ألفاظه، «كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر».

(4) أخرجه البخاري في كتاب التفسير من آخر تفسير سورة هود، وفي آخره: «قال الرجل: أَلِيَ هذه؟ قال: لمن عمل بها من أمتي. وأخرجه الطبري من طرق في تفسيره ج 15 ص 515 - 519 من حديث ابن مسعود.

قوله: ﴿ وَاصْبِرْ ﴾ أي: على ما فرض الله عليك، وعلى ما يقول لك المشركون من الأذى ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿ فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ ﴾ [يعني طاعة][1] ﴿ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ يقول: لم يكن ذلك إلا قليلاً ممن أنجينا منهم أي: من المؤمنين. وأولو بقية عند بعضهم مثل قوله: (بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ) [يونس: 86] أي: حظكم عند ربكم خير لكم، يعني الجنة.

قال: ﴿ وَاتَّبَعَ الذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ ﴾ يعني المشركين، اتبعوا ما أترفوا فيه، أي: من دنياهم. وقال الحسن: ما وسّع الله عليهم فيه من الدنيا. ﴿ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ أي: مشركين.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ كقوله: (فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنَ أرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنَ أَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنَ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنَ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [العنكبوت: 40]، يعني بشركهم وتكذيبهم رسلهم. ولو آمنوا لم يهلكوا بالعذاب.

قوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ أي: على الإيمان. مثل قوله: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً) [يونس: 99] ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ والمختلفون هم الكفار، وهم في اختلاف [على أديان شتى][2] في تفسير مجاهد وغيره، مثل قوله: (بَلْ كَذَّبُوا بِالحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ) [سورة قٓ: 5] أي: ملتبس. وعامة الناس كفار.

وقوله: (إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ) والمختلفون هم الكفار، وهم المؤمنون، لا يختلفون في البعث كما اختلف الكفّار، وهم في شك منه، وذلك منهم اختلاف،

(1) زيادة من ز، ورقة 51.

(2) زيادة من تفسير مجاهد: ص 309.

وهم منه في لَبس. فأهل رحمة الله أهل جماعة وإن تفرّقت ديارهم، وأهل معصية الله أهل فرقة وإن اجتمعت ديارهم. والآية محتملة لاختلاف الكفار في البعث وشكهم فيه، واختلاف من اختلف من أهل القبلة مما شرعوا من الأديان ما لم يأذن به الله، وادعائهم على الله في ذلك الكذب، وبقولهم في ذلك على الله ما لا يعلمون(1).

قوله: ﴿وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال الحسن: للاختلاف، وتلا هذه الآية: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) [النبإ: 1 - 3]. ولا اختلاف اليوم أعظم وبالاً ولا أشد فرقة ولا ادعاء على الله من مختلفي أهل القبلة فيما شرعوا من أديانهم، وتَقَوَّلُوا على الله من أباطيلهم. قال: ولذلك خلق أهل الرحمة لا يختلفون.

قوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ أي: وسبقت كلمة ربك ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ أي: من كلا الفريقين: الجن والإنس، يعني الكفار أهل النار. كقوله: (اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَّدْحُوراً لَّمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأعراف: 16] أي: من كلا الفريقين ممن عصى الله وارتكب الكبائر.

قوله: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنَ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ فتعلم أن الأنبياء قد لقِيَت من الأذى ما قد لَقِيتَ. قوله: ﴿ وَجَاءَكَ فِي هَـٰذِهِ الحَقُّ ﴾ قال بعضهم: وجاءك في هذه السورة الحق. وقال الحسن: في هذه الدنيا الحق. وتفسير مجاهد: في هذه السورة.

ذكروا أن أبا بكر قال: يا رسول الله، ألا أراك قد شِبْتَ. قال: شيَّبتني هود والواقعة والمرسلات وعمَّ يتساءلون وإذا الشمس كوّرت(2).

قوله: ﴿ وَمَوْعِظَةٌ ﴾ أي: ما في القرآن من مواعظ. ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

---

(1) بعض هذه الجمل في هذه الفقرة والتي تليها من كلام الشيخ هود ولا شك، وهي غير واردة في ز.

(2) أخرجه الترمذي في سننه في تفسير سورة الواقعة بهذا اللفظ عن ابن عباس، وقال هذا حديث حسن غريب. وأخرجه ابن سعد في الطبقات، وأبو نعيم في الحلية، ورواه الطبراني بلفظ: شيبتني هود وأخواتها.

قوله: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ لاَ يُومِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكانَتِكُمُ ﴾ أي: على ناحيتكم، على كفركم. يخوفهم العذاب إن ثبتوا على كفرهم ﴿ إِنَّا عَـٰمِلُونَ﴾ أي: على ديننا ﴿ وَانْتَظِرُوا ﴾ أي: ما ينزل بكم من العذاب، أي: الذين تقوم عليهم الساعة، يعني آخر كفار هذه الأمة الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه. ﴿ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ أي: أن يأتيكم العذاب.

قوله: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي: لا يعلم غيب السماوات والأرض إلا هو. وهو مثل قوله: (يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ) [الفرقان: 6] ﴿ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ لا يغفل، ولا تخفى عليه خافية.

تفسير سورة يوسف
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ قد فسّرناه في غير هذا الموضع. ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَٰهُ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً ﴾ أي: بلسان عربي مبين ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: لكي تعقلوا ما فيه فتؤمنوا به.

قوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ من الكتب الماضية وأمور الله السالفة في الأمم[1] ﴿ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْءَانَ﴾ [أي: بوحينا إليك هذا القرآن][2] ﴿ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: من قبل أن ينزل عليك القرآن ﴿ لَمِنَ الْغَٰفِلِينَ﴾. وهو كقوله: (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ) [الشورى: 52]، وكقوله: (وَوَجَدَكَ ضَآلّاً فَهَدَىٰ). [الضحى: 7].

قوله: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾.

فتأولها يعقوب أن إخوة يوسف، وكانوا أحد عشر رجلاً، وأبويه سيسجدون له؛ أعلمه الله بذلك. فإخوته هم الأحد عشر كوكباً، والشمس والقمر أبواه.

---

(1) جاءت العبارة مضطربة في أغلب النسخ المخطوطة فأثبت التصحيح من ز، ورقة 152، ومن تفسير الطبري ج 15 ص 551 - 552، ونسب هذا القول فيهما لقتادة.
(2) زيادة من ز، ورقة 152، وما مصدرية هنا.

﴿ قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً ﴾ يقول: يحسدوك، ظناً منه؛ فكان حقاً، كما ظن. ﴿ إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي: بيّن العداوة للإنسان.

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ أي: يصطفيك ويختارك للنبوة. وهذا شيء أعلمه الله يعقوب عليه السلام، أن الله سيعطي يوسفَ النبوةَ.

قوله: ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾. قال مجاهد: تفسير الرؤيا. وتفسير الحسن: عواقب الأمور التي لا تعلم إلا بوحي النبوة. ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ أي: بالنبوة. ﴿وَعَلَىٰ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ فأعلمه أنه سيعطي ولد يعقوب كلهم النبوة. ﴿ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ﴾. قال بعضهم: حيث أراد ذبحه، في قول من قال: إنه إسحاق، ففداه الله بكبش. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: عليم بخلقه، حكيم في أمره.

قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ أي: عبرة لمن كان سائلاً عن حديثهم.

قوله: ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ أي: جماعة ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: من الرأي، أي: في حب يوسف وأخيه، وليس يعنون في ضلال في الدين. ولم يكونوا يوم قالوا هذه المقالة أنبياء، وقد كانوا مسلمين.

قوله: ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَـٰلِحِينَ﴾. تفسير الحسن قال: يعنون في الدنيا، أي: في صلاح الدنيا[1]، وليس يعنون صلاح الدين. وبعضهم يقول: وتتوبون من بعد قتله، فتكونون قوماً صالحين.

(1) كذا في المخطوطات الأربع. ولكن جاء في ز، ورقة 152 تفسير آخر للحسن هذا نصه: «يعنون تصلح منزلتكم عند أبيكم في تفسير الحسن». وهذا تأويل ورد في كثير من كتب التفسير.

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ ﴾ قال بعضهم: هو روبيل، وكان أكبر القوم، وهو ابن خالة يوسف وهو الذي قال: (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدَ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً مِّنَ اللَّهِ) [يوسف: 80]. وقال مجاهد: كبيرهم شمعون، وأكبر منه في التلاد[1] روبيل.

﴿ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَـٰبَتِ الجُبِّ ﴾ أي: في بعض نواحيها ﴿ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾ أي: بعض مارة الطريق ﴿ إِنْ كُنْتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴾ ولا تقتلوه.

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّـا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَـٰصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَع وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: بالياء والنون. فمن قرأها بالياء فهو يعني يوسف، يقول: يرتع ويلعب. ومن قرأها بالنون فهو يعني جماعتهم. وقراءة الحسن بالياء، وقراءة مجاهد بالنون. وقال مجاهد: تفسير نرتع ونلعب، أي: ننشط ونلهو[3].

قوله: ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيَ اَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَّأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ قَالُوا لَئِنَ أَكَلَهُ الذِّيبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾[3] أي: جماعة ﴿ إِنَّا إِذاً لَّخَـٰسِرُونَ ﴾ أي: إنا إذاً لعَجَزَة.

قال الله: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَّجْعَلُوهُ فِي غَيَـٰبَتِ الجُبِّ ﴾ ففعلوا وألقوه في الجبّ[4]. ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ﴾ قال مجاهد: إلى يوسف. قال الحسن: أعطاه

---

(1) في ق وع: «البلاد»، وفي ج ود: «التيلاد» (كذا). فإذا كانت هذه الكلمة الأخيرة تصحيفاً للتلاد، وهو المال القديم، فينبغي أن يكون الوصف هكذا: وأكثر منه في التلاد. ولست مطمئناً للكلمتين معاً. ولم أجد فيما بين يدي من المصادر أخباراً مفصلة عن روبيل بن يعقوب تعينني على تصحيح الكلمة.

(2) وقراءتنا وقراءة أهل المدينة بالياء وكسر العين، ويلعب بالياء أيضاً. قال ابن أبي زمنين في ز ورقة 152: «كأنهم قالوا يرعى ماشيته ويلعب فيجمع النفع والسرور».

(3) قال ابن أبي زمنين: «يقال: العصبة من العشرة إلى الأربعين». وهو قول نسب إلى ابن عباس في بعض التفاسير.

(4) جعل الطبري في تفسيره ج 15 ص 574 قوله (أَجْمَعُوا) هو جواب (لَمَّا) دخلت عليه الواو. ورأى الزمخشري في الكشاف ج 2 ص 449 أن جواب لما محذوف تقديره: «فعلوا ما فعلوا به من الأذى».

الله النبوة وهو في الجبّ. وقال بعضهم: هو إلهام ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: أنك يوسف. ولم يكن إخوة يوسف يومئذٍ أنبياء، وإنما أوتوا النبوّة بعد ذلك، وهم الأسباط.

وقال بعضهم: أتاه وحي الله وهو في البئر بما يريدون أن يفعلوا به، (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ). أي: بما أطلع الله عليه يوسف من أمرهم.

قوله: ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَـٰأَبَانَـا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّيبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ أي: بمصدِّق لنا ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴾ أي: ولو صَدَقناك.

﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ أي: لطخوا قميصه بدم سخلة، قال مجاهد: سخلة شاة.

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ﴾ أي: زيّنت لكم أنفسكم أمراً ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ أي: ليس لي فيه جزع، في تفسير مجاهد. ﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ أي: ما تكذبون.

قال الحسن: فعلم يعقوب، بما أعلمه الله، أن يوسف حي، ولكن لا يعلم أين هو.

وذكروا عن الحسن أنه قال: لما جيء بقميص يوسف إلى يعقوب، نظر إليه فلم يرَ شقاً ولا خرقاً، وقال: ما كنت أعهد الذئب حليماً [أكل ابني وأبقى على قميصه](1).

قوله: ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾ الذي يرد الماء ليستقي للقوم(2).

---

(1) زيادة من تفسير الطبري، ج 15 ص 581 أثبتها لإيضاح هذا المعنى الطريف.

(2) في المخطوطات الأربع: «واردهم، الذي يستقي لهم الماء». وأثبت ما في ز، ورقة 153، فهو أدق تعبيراً، وأدل على أصل الكلمة اللغوي.

وقال بعضهم: واردهم: رسولهم. ﴿ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ﴾ أي: في الجب، وهي بئر بيت المقدس. فلما أدلى دلوه تشبّث بها يوسف.

قال الحسن: فـ ﴿ قَالَ ﴾ الذي أدلى دلوه في البئر: ﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ﴾ يقول لصاحبه: البشرى! قال له صاحبه: ما وراءك؟ قال: هذا غلام، فأخرجوه. وقال بعضهم: يا بشراي هذا غلام، أي: تباشروا به حين أخرجوه[1].

قوله: ﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ قال بعضهم: أخفوه من أصحابهم، وقالوا: هو بضاعة استبضعناه أهل الماء لنبيعه لهم بمصر.

وقال بعضهم: كان إخوة يوسف، وهم عشرة، قريباً منهم حين أخرجوه من الجب؛ فجاءوا فقالوا: هذا غلام لنا أبقَ منا، فباعوه منهم، فهم الذين أسروه بضاعة فباعوه.

وقال مجاهد: وأسروه بضاعة، أي: صاحب الدلو ومن كان معه قالوا لأصحابهم: إنما استبضعناه، مخافة أن يستشركوهم فيه إن علموا بثمنه. قالوا: إنما استبضعناه، وإخوته معه يقولون: استوثقوا منه لا يأبق حتى تبيعوه بمصر. وقال يوسف: من يبتاعني فليبشر[2].

قوله: ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ أي: باعوه ﴿ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ أي ظلم، أي حرام ولم يكن يحل بيعه[3] ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾. قال مجاهد: باعوه باثنين وعشرين درهماً.

---

(1) وقيل نادى المدلي دلوه صاحباً له من السيارة كان يسمى بشرى، وهذا على قراءة من قرأ الكلمة بدون إضافة. وهو قول نسب إلى السدي كما في تفسير الطبري ج 16 ص 3.

(2) كذا في المخطوطات، وفي ز ورقة 153: «بخس أي حرام لم يكن يحل بيعه» والحق أن كلمة البخس نفسها لا تفيد معنى الحرمة. قال أبو عبيدة في معاني القرآن ج 1 ص 304: «بخس: أي: نقصان، ناقص، منقوص. يقال: بخسني حقي، أي: نقصني، وهو مصدر بخست، فوصفوا به، وقد تفعل العرب ذلك».

(3) كذا في ق و ع: «فليبشر»، وهو الصحيح، وفي ج ود: «فليشترِ». وهو تصحيف.

قال الكلبي: المعدودة ما كان دون الوقية[1] والوقية أربعون درهماً! فما دون الوقية فهو معدود، لا يوزن.

قوله: ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ أي الذين التقطوه. وزهادتهم فيه أنهم لم يكونوا يعرفون منزلته من الله، فباعوه من ملك مصر.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِي اشْتَرَيٰهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَيٰهُ ﴾ أي منزلته ﴿ عَسَىٰ أَن يَّنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾ أي نتبناه. قال الحسن: يقول: نتبناه.

قال الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني أرض مصر وما أعطاه الله وما مكنه ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾. قال مجاهد: تعبير الرؤيا. ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾ هو مثل قوله: (إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ) [الطلاق: 3] ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهم المشركون.

قوله: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ [يقال: بلغ عشرين سنة][2] ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾. قال الحسن: أعطى الرسالة عند هذه الحال. وقد كان أعطى النبوّة قبل ذلك في الجب. ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ التِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ أي: امرأة العزيز ﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ أي: هلمَّ لك. وهي تقرأ على وجه آخر: هيتُ لك، أي: تهيأت لك[3] ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي ﴾ أي: سيّدي، يعني العزيز. ﴿ أَحْسَنَ

(1) في المخطوطات: «الوقية» وأصح منها «الأوقية»، والوقية قليلة الاستعمال وهي لغة عامية، ووزنها في القديم أربعون درهماً. انظر اللسان: وقى، وأوق، وانظر صحاح الجوهري: وقى. أما وزنها بمقياس الميزان العصري فهو حوالي مائة وعشرين غراماً. وانظر إن شئت جدول المكاييل والمقاييس في قواعد الإسلام للجيطالي، ج 2 ص 30، والجدول من وضع محقق الكتاب المرحوم الشيخ عبد الرحمن بكلي.

(2) زيادة من ز، ورقة 153.

(3) أشار بعض المفسرين إلى هذا المعنى، وقد أنكره أبو عمرو بن العلاء إنكاراً شديداً كما أخبر به =

مَثْوَايَ ﴾ أي: أكرم منزلتي[1]. ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّـٰلِمُونَ﴾. ذكروا أن أول ما قالت: يا يوسف، ما أحسن شعَرك! قال: أما إنه أول شيء يبلى مني.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ أي: ما أرادته به على نفسها حين اضطجعت له. ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ أي: حلّ سراويله[2]. قال: ﴿ لَوْلَآ أَن رَّأَىٰ بُرْهَـٰنَ رَبِّهِ ﴾.

ذكروا عن الحسن أنه قال: زعموا أنه رأى يعقوب في صورته قد فرج عنه سقف البيت عاضاً على إصبعه. وكذلك قال غيره. قال مجاهد: مثل له يعقوب فاستحيى منه. وقال بعضهم: قد مثل له يعقوب، قد فرج سقف البيت، مشرفاً عليه، فصرف الله عنه وأذهب كل شهوة كانت في مفاصله. وفي تفسير الكلبي: إنه ملك تشبه بيعقوب.

قال الله: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ يعني أنه نبي أخلص بالنبوة.

= أبو عبيدة معمر في مجاز القرآن ج 1 ص 305-306، ونقله عنه الطبري، وذكر مختلف قراءات اللفظة في تفسيره ج 16 ص 25-31.

(1) كذا جاء تفسير كلمة «مثواي»، «ومثواه» قبلها، بالمنزلة، وكذلك جاءت منسوبة إلى قتادة في تفسير الطبري ج 16 ص 18. وأصح من ذلك وأدق تعبيراً أن يقال عن الأولى ما ذكره الطبري: «أكرمي موضع مقامه وذلك حيث يثوي ويقيم فيه». لأن المثوى هو المنزل والمقام، كما ذكره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 214، والزمخشري في الكشاف ج 2 ص 454. وقال البخاري في كتاب التفسير تفسير سورة يوسف: «مثواه مقامه».

(2) كذا في المخطوطات وفي ز ورقة 153. وهو منكر من القول وزور. وقد وردت في كتب التفسير أقوال مختلفة في همّ يوسف، نسب بعضها إلى ابن عباس؛ فراحت أخيلة القصاص والأكاذيب الإسرائيلية تنسج أخباراً ما أنزل الله بها من سلطان، ولا ثبت فيها عن الصادق المصدوق حديث صحيح. والذي يليق بكل مسلم أن يؤمن بما دل عليه اللفظ القرآني مجملاً مع تنزيه الأنبياء عما لا يليق بمقامهم؛ فهم المصطفون الأخيار. والهمّ لا يعدو أن يكون حديثاً نفسياً، أو خاطراً عابراً، لا يتعديان إلى حركات أو أعمال بالجوارح. ونعوذ بالله من سيئات الظنون. انظر في هذا الموضوع، على سبيل المثال مناقشة قيمة رَدَّ بها الفخر الرازي على بعض الروايات الزائفة وذلك في التفسير الكبير ج 18 ص 114 - 119.

قال بعضهم: فولّى هارباً فاتبعته ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ فسبقها إلى الباب ليخرج ﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ ﴾ أي: شقّته من خلفه. ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا ﴾ أي زوجها. ولو لم يعلم حق الزوج وحرمته، إلا أن الله سمّاه سيداً، أي: سيداً للمرأة. قال: وألفيا سيّدها. ﴿ لَدَى الْبَابِ ﴾ أي: عند الباب.

﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنَ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً ﴾ تعني الفاحشة ﴿ إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع.

﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ قال: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ أي: من أهل المرأة. قال بعضهم: أخوها، وقال بعضهم: ابن عمها. فجعله العزيز بينهما حكماً، فقضى بينهما بالحق.

قال: ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَـٰذِبِيـنَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ ﴾.

وفي تفسير الكلبي: إنه كان شاهداً. قال: سمعنا الجلبة وقَدَّ القميص؛ فإن كان قُدَّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، أي: فهو الذي أرادها على نفسها فقَدَّت قميصه، وإن كان قُدَّ من دبر فهو الذي فَرَّ منها فقدَّت قميصَه.

وقال مجاهد: وشهد شاهد من أهلها، أي: قميصه مشقوق من دبر، فذلك شاهدها.

وقال بعضهم: وشهد شاهد، أي: وحكم حاكم من أهلها. وقال بعضهم: شهد رجل حكيم. وكان لعمري حكيماً إذ حكم بهذا، فقال: القميص يقضي بينهما؛ إن كان قُدَّ من قُبُل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قُدَّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين.

قوله: ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَال ﴾ زوجها ﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾. قال الحسن: ثم قال ليوسف: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ﴾ ولا تذكره ولا تُفْشِه. وقال لها: ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ يعني الخطيئة.

وقال الكلبي: إن قريبها، وهو ابن عمها، رغب إلى يوسف أن يُعرض عن ذلك، ولا يذكره لأحد، وقال لها استغفري لذنبك من زوجك واستعفيه ألا يعاقبك إنك كنت من الخاطئين.

قوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ يعني غير الملِك[1] ﴿تُرَاوِدُ فَتَيٰهَا عَن نَّفْسِهِ﴾، أي: غلامها ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قال الحسن: قد بطنها حبه؛ وكان يقرأها: قد شعفها حُبّاً. وقال والشعف أن تكون مشغوفاً به. وقال بعضهم: قد شغفها، أي: ملأها حبه.

وقال الكلبي: قد شغفها حباً، والشغاف حجاب القلب [وقال مجاهد: أي: دخل حبه في شغافها][2]. والعامة على شغفها. وبعضهم يقرأها: قد شعفها.

قال الكلبي: والنسوة امرأة صاحب السجن، وامرأة ساقي الملك، وامرأة أمير الخبازين، وامرأة صاحب الدواب. والعزيز كان دون الملك على أمر الملك[3]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَيٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بيِّن. يعنين مراودتَها فتاها عن نفسه.

قوله: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ [أي: بغيبتهن][4] ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ [وأرادت أن توقعهن فيما وقعت فيه][4].. ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾ أي: وأعدّت ﴿لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾. وهي تقرأ على وجهين: مثقلة ومخففة. فمن قرأها مثقلة جعلها مجلساً

(1) كذا في ق وع: «يعني غير الملك». وهو أصح. وفي ج ود، وفي ز، ورقة 154: عز الملك وله وجه.

(2) زيادة من ز، ورقة 154، وهو موافق لما جاء في تفسير مجاهد، ص 314.

(3) كذا في المخطوطات، وهو الصحيح، فإن العزيز لقب كان عند قدماء المصريين لرئيس شرطة الملك، وقيل لمن كان على خزائنه. وأما ما ذكره أبو جعفر الطبري في تفسيره ج 16. ص 62 من أن العزيز هو الملك في كلام العرب، فيبدو أنه يقصد المعنى اللغوي العام، لأنه يقول، بعد أن أورد بيتاً لأبي دؤاد:

دُرَّةٌ غَاصَ عَلَيْهَا تَاجِرٌ جُلِيَتْ عِنْدَ عَزِيزٍ يَوْمَ طَلّ:

«يعني بالعزيز الملِك، وهو من العزة».

(4) زيادة من ز، ورقة 154.

وتُكَأَة، وهو قول مجاهد(1). ومن خفّفها جعله شيئاً يحز بالسكاكين، وقال بعضهم: هو الأترج(2). وقال الحسن: هو طعام يحز بالسكاكين.

قوله: ﴿ وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً ﴾ أي: ليقطعن ويأكلن. ﴿ وَقَالَتِ ﴾ ليوسف ﴿ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾.

قال: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ ﴾ أي: أعظمنه. قال الحسن: لما رأين من جماله وهيئته(3). وقال الكلبي: أعظمنه أن يكون من البشر.

قوله: ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ أي: وحززن أيديهن. قال الكلبي: لا يعقلن ما يصنعن. ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ﴾ أي: معاذ الله ﴿ مَا هَـٰذَا بَشَراً إِنْ هَـٰذَا إِلَّا مَلَكٌ ﴾ من ملائكة الله، ﴿ كَرِيمٌ ﴾ أي: على الله.

﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ أي: فهذا الذي لمتنّني فيه ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ أي: فاستعصى. وقال الحسن: فامتنع. ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّـٰغِرِينَ ﴾ أي: من الأذلاء.

فدعا يوسف ربه فـ ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾ [قال الحسن: قد كان من النسوة عون لها عليه](4) ﴿ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ أي: أتابعهن. [وقال بعضهم: أَمِلْ إليهن ميل جهل وصبا](5). ﴿ وَأَكُن مِّنَ الْجَـٰهِلِينَ ﴾.

---

(1) هذا هو القول الراجح في قوله «متّكأ». قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 309: أعدت. لهن متكئاً، أي: نمرقاً تتكىء عليه، وزعم قوم أنه الأترج، وهذا أبطل باطل في الأرض، ولكن عسى أن يكون مع المتكإ أترج يأكلونه. ويقال: ألق له متكأً».

(2) في بعض المخطوطات: «الأترنج، وهو من ألفاظ العامة، وما أثبته: «الأترج» من كلام الفصحاء.

(3) كذا في ج ود، «هيئته»، وهو أصح وأنسب، وفي ق وع: «وهيبته».

(4) زيادة من ز، ورقة 154، وهو من كلام يحيى بن سلام.

(5) زيادة من ز، ورقة 154، وهو من شرح محمد بن أبي زمنين.

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ أي: لا أسمع منه ولا أعلم منه.

قوله: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الأَيَـٰتِ﴾ قال مجاهد: يعني قدّ القميص من دبر، وقطع الأيدي، أيدي النسوة. ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾ أي: حتى زمان، في تفسير الكلبي.

قال الكلبي: بلغنا أنها قالت لزوجها: صدّقته وكذّبتني وفضحتني في المدينة، فأنا غير ساعية في رضاك إن لم تسجن يوسف، وتسمع به وتعذرني، فأمر بيوسف، فحمل على حمار، ثم ضرب بالطبل: إن هذا يوسف العبراني أراد سيدته على نفسها. فطيف به في أسواق مصر كلها، ثم أدخل السجن. قال الكلبي: قال أبو صالح: لم أرَ ابن عباس قط يذكر هذا الحديث على يوسف إلا بكى.

قوله: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ. قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّيَ أَرَيٰنِي أَعْصِرُ خَمْراً ﴾ وهي في قراءة ابن مسعود: أعصر عنباً. ﴿ وَقَالَ الأَخَرُ إِنِّيَ أَرَيٰنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً ﴾ وهي في قراءة ابن مسعود: قصعة من ثريد. ﴿ تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَيٰكَ مِنَ المُحْسِنِينَ ﴾.

قال بعضهم: كان إحسانه، فيما بلغنا، أنه كان يداوي جرحاهم، ويعزّي حزينهم، ورأوا منه إحساناً فأحبّوه على فعله[1].

وكان الذي قال: إني أراني أعصر خمراً ساقي الملك على شرابه، وكان الذي قال: إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه خباز الملك على طعامه. فقال للخباز: إنك تصلب وتأكل الطير من رأسك، وقال لساقيه: أما أنت فترد على عملك. فذكر لنا أنهما قالا حين عبّر لهما الرؤيا: لم نرَ شيئاً، فقال: (قُضِيَ الأَمْرُ الذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ).

---

(1) هذا قول رواه قتادة وهو هنا مختصر، انظر تفصيله، وخبر يوسف مع من كانوا معه في السجن، وحسن معاملته إياهم في تفسير الطبري ج 16 ص 99.

وقال الكلبي: قال الساقي: إني رأيت فيما يرى النائم أني دخلت الكرم، فإذا أنا بحبلة[1] حسنة الورق والظل، ذات قضبان ثلاثة. فنظرت إلى القضبان فإذا أنا فيها بعنب قد طاب. فأخذت من العنب، فعصرته في كأس الملك، ثم أعطيته إياه، فأخذه من يدي فشربه. فقال له يوسف: نعم الرؤيا رأيت. أما الحبلة التي رأيت وظلها وحسن ورقها فهو عملك الذي كنت عليه، وأما القضبان الثلاثة فهي ثلاثة أيام تكون في السجن، ثم يسأل عنك الملك، فيردك إلى عملك، ثم تعطيه الكأس فيأخذها من يدك ويشربها. ثم قال له يوسف: اذكرني عند ربك، أي: عند الملك، لعله يخرجني من مكاني.

وقال الخباز: رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزاً، وقال: يا يوسف، عبر رؤياي كما عبرت لصاحبي، فقال له يوسف: وما رؤياك؟ فقال: رأيت فيما يرى النائم أني خارج من مطبخ الملك، وعلى رأسي ثلاث سلل من خبز، فإذا فوق أعلاها طير تأكل منها. قال له يوسف: رؤياك قبيحة. أما السلل الثلاثة فثلاثة أيام تكون في السجن، ثم يخرجك الملك فيصلبك فتأكل الطير من رأسك. فقال: يا يوسف، فإني لم أرَ شيئاً. قال: ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ كالذي قلتما، كذلك يقضى لكما، لصاحب الخير خير، ولصاحب الشر شر.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الرؤيا عندما عُبِرت[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الرؤيا معلقة برجل طير ما لم يحدث بها صاحبها، فإذا حدث بها وقعت. فلا تحدثَنَّ بها إلا عالماً أو ناصحاً، أو قال: حبيباً، أو كالذي قال[3].

---

(1) الحَبَلة، والحُبْلة، والحَبْلة: الكرم مطلقاً، وقيل: الأصل من أصول الكرم، أو: طاق من قضبان الكرم. وهذان المعنيان الأخيران هما المقصودان هنا. انظر اللسان: (حبل).

(2) أخرجه ابن ماجه من حديث هذا لفظه: اعتبروها بأسمائها، وكنوها بكناها والرؤيا لأول عابر في كتاب تعبير الرؤيا (رقم 3915) وأخرجه ابن أبي شيبة بلفظ: الرؤيا لأول عابر، وأخرجه الحاكم بلفظ: إن الرؤيا تقع على ما تعبر، كلهم يروي الحديث عن أنس مرفوعاً.

(3) أخرجه ابن ماجه في كتاب تعبير الرؤيا، باب الرؤيا إذا عبرت وقعت (رقم 3914)، وأخرجه أبو =

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان في آخر الزمان، أو إذا اقترب الزمان لم تكد تكذب رؤيا المؤمن. وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً. والرؤيا ثلاثة: منها بشرى من الله، ومنها تحزين من الشيطان، ومنها ما يحدث به الرجل نفسه[1]].

قوله: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ أي: بمجيئه. قال بعضهم: أي: بلون الطعام ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾. فكان يخبرهما بما يأتيهما من الطعام قبل أن يأتيهما، بما يطلعه الله عليه، كما أطلع عيسى ابن مريم، فكان ينبىء بني إسرائيل بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم. فكان يقول للرجل: أكلت كذا وكذا، وادّخرت كذا وكذا.

قوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ يقول: لم أتبع ملتهم. ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَائِي إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ يعني النبوة التي أعطاهم الله ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ يعني الإسلام. ويقال: رب شاكر نعمة على غيره. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يؤمنون.

قوله: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ السِّجْنِ﴾ يعني الفتيين اللذين سجنا معه ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾، على الاستفهام، أي: يفهمهم، يعني الأوثان التي يعبدون من دون الله من صغير وكبير ووسط ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَٰحِدُ الْقَهَّارُ﴾ أي: إن الله خير منهم. وهو مثل قوله: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ

= داود في كتاب الأدب، باب تعبير الرؤيا (رقم 5020) كلاهما يرويه من طريق وكيع بن عدس، عن عمه أبي رزين عن النبي عليه السلام.

(1) أخرجه ابن ماجه في كتاب تعبير الرؤيا، باب أصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثاً (رقم 3917) وفي باب الرؤيا ثلاثة (رقم 3906) وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في الرؤيا (رقم 5019) كلاهما يرويه من حديث أبي هريرة. كما أخرج البخاري بعضه في كتاب التعبير، باب القيد في المنام، وأخرجه الترمذي أيضاً.

يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً) [الزمر: 29]، يعني به مثلاً لنفسه، ويعني بالرجل السلم الذي يعبده ويوحده، ويعني بالشركاء المتشاكسين الآلهة التي يعبدونها من دون الله.

قوله: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ أي: من حجة ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ أي: إن القضاء إلا لله ﴿ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ أي: لم يأمر العباد إلا بعبادته. قال الله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: 26].

ذكر بعضهم قال: لما علم يوسف أن أحدهما مقتول دعاهما إلى حظهما من ربهما، فقال: (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) أي: إنه قهر العباد بالموت وبما شاء من أمره.

قوله: ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهم الذين لا يؤمنون، وهم أكثر الناس. ذكروا عن الحسن قال: [قال رسول الله ﷺ] (1) يقول الله لآدم، يا آدم قم فابعث بعث أهل النار. قال: يا رب، وما بعث أهل النار؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة، فلما سمعوا ما قال نبيهم أبلسوا حتى ما يُجلى أحدهم عن واضحة (2). فلما رأى ما بهم، قال: أبشروا، فما أنتم في الناس إلا كالرقمة في ذراع الدابة، أو كالشامة في جنب البعير. وإنكم لمع الخليقتين ما كانتا مع شيء قط إلا كثَّرتاه: ياجوج وماجوج ومن هلك من بني إبليس، فتكمل العدة من المنافقين (3).

قوله: ﴿يَـٰصَـٰحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ وقد فسّرناه في الآيات الأولى.

(1) ما بين المعقوفين زيادة لا بد منها لأن هذا نص حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ.

(2) الواضحة: السِّن التي تبدو عند الضحك، ومعناه: أنهم سكنوا من الخوف والحيرة والذهول حتى ما يقدر أحدهم أن يبتسم أو يضحك. وفي أساس البلاغة للزمخشري: «لا ترك الله له واضحة: سناً تضح عند الضحك». وانظر صحاح الجوهري، (وضح).

(3) حديث متفق عليه، انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 424.

قوله: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي: اذكر أمري عند سيدك، أي: الملك.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا يقولن أحدكم عبدي ولا أمتي، وليقل فتاي وفتاتي، ولا يقولن المملوك لسيده ربي وربتي، وليقل سيّدي وسيّدتي؛ كلكم عبيد، والله هو الرب[1].

قوله: ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾ ذكر أن يوسف قال للساقي حين عبر له رؤياه: (اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ)، وذلك بعد ما لبث في السجن خمس سنين يتضرّع إلى الله بالليل والنهار ويدعوه، فأنساه الشيطان ذكر ربه، يعني يوسف. ورغب يوسف إلى الساقي أن يذكره عند الملك.

قال: ﴿ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾. قال بعضهم: سبع سنين بعد ذلك، عقوبة من الله لقوله: (اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ)، وقال الحسن: البضع ما بين الثلاثة إلى العشرة.

وقال مجاهد: (اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ) أي: عند الملك؛ فلم يذكره حتى رأى الملك الرؤيا. وذلك أن يوسف عليه السلام أنساه الشيطان ذكر ربه وأمره أن يذكره للملك ابتغاء الفرج عنده. فلبث في السجن بضع سنين عقوبة [لقوله ذلك][2].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الأدب، باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة والمولى والسيد (رقم 2249) وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك ربي وربتي. كلهم يرويه من حديث أبي هريرة.

(2) زيادة من ز ورقة 155. لم يذكر المؤلف هنا إلا وجهاً واحداً لتأويل قوله تعالى: (فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) مع تكرار في اللفظ وتطويل. أما الفراء فقد ذكر ذلك بعبارة موجزة واضحة مع استيفائه لوجهي التأويل. قال في معاني القرآن ج 2 ص 46: «(فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ) يقول: أنسى الشيطان يوسف أن يجعل ذكره ومستغاثه إلى الله، ويقال: أنسى الشيطان الساقي أن يذكر أمر يوسف. (ذِكْرَ رَبِّهِ) ذكر يوسف لمولاه».

اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ما لبث(1).

قوله: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾ أي: سبع بقرات عجاف ﴿ وَسَبْعَ سُنْبُلٰتٍ ﴾ أي: ورأيت سبع سنبلات ﴿ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسٰتٍ ﴾ أي: وسبعا يابسات ﴿يَـٰأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيٰيَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾.

﴿ قَالُوا أَضْغَـٰثُ أَحْلٰمٍ ﴾ أي: أخلاط أحلام. وقال الحسن: ألوان أحلام. وقال بعضهم: فعل أحلام، وقال الأضغاث الأَحْلٰمِ الكاذبة. ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلٰمِ بِعٰلِمِينَ﴾.

﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا ﴾ أي: من المسجونين، وهو الساقي ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ يقول: ادَّكر بعد حين، في تفسير مجاهد. وقال الكلبي: بعد سبع سنين. وقال بعضهم، (بَعْدَ أُمَّةٍ) أي: بعد سنين.

وذكر عكرمة أن ابن عباس كان يقرأها: (بَعْدَ أَمَهٍ) أي: بعد نسيان.

﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونَ ﴾. وفيها إضمار، وإضمارها. [فأرسله الملك، فأتى يوسف في السجن فقال: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ يعني الصادق.

وقال بعضهم:](1) أيها الرجل الصالح ﴿ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرٰتٍ سِمَانٍ ﴾ أي: أخبرنا عن سبع بقرات سمان ﴿ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرُ يَابِسٰتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

فأجابه يوسف فقال: أما السبع البقرات السمان والسبع السنبلات الخضر فهي سبع سنين تخصب. وأما السبع البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فهي سبع سنين مجدبة يابسات. قال: يا يوسف، ثم ماذا بعد ذلك؟ قال: (ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ

(1) أخرجه الطبري في تفسيره ج 16 ص 116 ص 112 عن عكرمة وعن الحسن مرسلاً. وأخرجه مرة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي عليه السلام. وقال عنه المحقق الشيخ محمود محمد شاكر: هذا خبر ضعيف الإسناد جداً.

ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ). هذا في تفسير الكلبي.

وقوله: (فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ)، أي: أهل مصر يغاثون بالمطر. (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) أي: العنب والزيتون في تفسير بعضهم. قال: وهذا علم أتاه الله علمه لم يسأل عنه.

قوله: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ [أي: دائبين كعادتكم][1] ﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ ﴾ أراد بذلك البقاء، لأنه إذا كان في السنبل كان أبقى له ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾.

قال: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ أي: مجدبة ﴿ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ﴾ أي: في السنين المخاصب ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾ أي: إلا قليلاً مما [تحرزون وتدخرون][3].

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ قد فسّرناه في الآية الأولى.

فأخبر الملك أن يوسف هو الذي عبر الرؤيا.

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ ﴾ أي: رسولُ الملك جاء يوسفَ. ﴿ قَالَ ﴾ له يوسف ﴿ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي: إلى سيدك، يعني الملك، وهذا كلامهم يومئذٍ، قال: ﴿ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ أي: حززن أيديهن ﴿ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾.

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: رحم الله أخي يوسف، لو كنت أنا دعيت لأسرعت في الإجابة[4]، قال بعضهم: أراد ألا يخرج حتى يكون له عذر.

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط كله من المخطوطات الأربع، فأثبته من ز ورقة 155.

(2) في المخطوطات: «سبع سنين خصب» و. . . «سبع سنين جدوبة» وأثبت ما في ز ورقة 155.

(3) في المخطوطات: «إلا قليلاً مما تأكلون» وهو خطأ ظاهر. وأثبت التصحيح من كتب التفسير ومن ز، ورقة 155.

(4) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه ابن المنذر عن الحسن مرسلاً، وأخرجه ابن جرير الطبري من =

فأرسل إليهن الملك، فدعاهن فـ ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ ﴾ في يوسف، أي: ما حجتكن[1]. ﴿ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ﴾ أي: بالكلام والدعاء إلى المرأة. قال الحسن: قد كان منهن عون للمرأة عليه، وكان منهن شيء. ﴿ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ ﴾ فانتفين من ذلك ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ أي: من زنا. والسوء ها هنا الزنا.

﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ أي: الآن تبيّن الحق ﴿ أَنَا رَٰوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّـهُ لَمِنَ الصَّـٰدِقِينَ﴾ فانقضى كلام المرأة.

فقال يوسف عليه السلام: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ لما قالت امرأة العزيز (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) بلغ ذلك يوسف فقال: (ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخنْهُ بِالْغَيْبِ) وكان الملك فوق العزيز.

قوله: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ أي: لا يصلح عمل الزناة.

قال بعضهم: فلما قال يوسف هذا قال الملك الذي تشبه بيعقوب حين فرج سقف البيت، فأشرف عليه حين همّت به وهمّ بها، قال: ولا حين حللت سراويلـك، أي: لم تخنه ولا حين حللت سراويلك. وقال بعضهم: إن جبريل عليه السلام قال: فما فعلت السراويل[2]؟ قال يوسف:

﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يعني الهمّ الذي همّ بها.

كان بعض السلف يقول: إذا أذنب أنبياؤه عجّلَ لهم العقوبة في الدنيا والتنبيه

= طرق عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ في تفسيره ج 16 ص 134 - 136، وفي بعض ألفاظه: لأسرعت في الإجابة وما ابتغيت العذر. ولفظ البخاري في تفسير سورة يوسف: «ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعيَ».

(1) كذا في المخطوطات، وفي ز ورقة 155. وأصح من ذلك ما قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 218: «ما أمركن، ما شأنكن؟».

(2) وهذا كله من الإسرائيليات الساقطة أو من خيال القصاص المولعين بغرائب الأخبار. ومعاذ الله أن يثبت في هذا وأمثاله خبر صحيح عن الصادق المصدوق ﷺ.

والتذكير، يريدهم التطهير. وإنما أخرنا نحن إذ لم يعجل عقوبتنا، لعقاب الآخرة، وليس ذلك لما هو خير لنا. بل ذلك شرٌّ لنا.

قال الحسن: (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) أي: الآن جاء الحق. وذكر بعضهم في قوله: (ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ) قال: ذكر لنا أن الملك الذي كان مع يوسف قال له: اذكر ما كنت هممت به، فقال يوسف: وما أبرىء نفسي[1].

قوله: ﴿ وَقَالَ المَلِكُ إيتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ أي: أتخذه لنفسي. فأتوه به من السجن. ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا ﴾ أي: عندنا ﴿ مَكِينٌ ﴾ أي: في المكانة والمنزلة. ﴿ أَمِينٌ ﴾ أي: من الأمانة، كقول الجارية لأبيها في موسى. إذ قالت: (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ). [القصص: 26] يعني موسى صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء. وسنذكر ذلك إذا أتينا عليه في سورة القصص [إن شاء الله].

فولّاه الملك وعزل العزيز. ﴿ قَالَ ﴾ يوسف: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ ﴾ يعني أرض مصر، أي: على أقوات أهل الأرض ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ ﴾ لما وليت عليه، ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأمره. وقال الحسن: يعني عليم بما يصلحهم من ميرتهم.

قال بعضهم: باع منهم يوسف قوتهم عاماً بكل ذهب عندهم، فصار ذهبهم كله له. ثم باعهم عاماً آخر بكل فضة عندهم، ثم باعهم عاماً آخر بكل نحاس عندهم،

(1) هذا القول نسبه المؤلف إلى يوسف عليه السلام كما نسبه إليه كثير من محققي المفسرين، ومنهم ابن عباس ومجاهد والطبري. ولم يشر المؤلف إلى قول من ذهب إلى أن قوله: (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيَ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) هو من قول المرأة، فهنالك من المفسرين من ذهب إلى هذا. ومعناه: وما أبرىء نفسي أني راودته عن نفسه فإن النفس أمارة بالسوء. وممن ذهب إلى هذا القول الحافظ ابن كثير؛ فقد قال في تفسيره ج 4 ص 32: «وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام».

ثم باعهم عاماً آخر بكل رصاص عندهم، ثم باعهم عاماً آخر بكل حديد عندهم، ثم باعهم عاماً آخر برقاب أنفسهم، فصارت رقابهم وأموالهم كلها له.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: أرض مصر ﴿ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يشاء ﴾ [أي: ينزل منها حيث يشاء][1] وإنما كان ذلك لتمكين الله له وعطيته إياه. ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ﴾ يعني النبوة. ﴿ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

قال: ﴿ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ ﴾ أي: الجنة ﴿ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ يعني ما يعطي الله في الآخرة أولياءه خير من الدنيا.

قوله: ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴾ أي: من أبيه ﴿ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ فأكرمهم وأنزلهم.

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ أي: من الميرة ﴿ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ يعني أخاه، وكان أصغرهم كلّهم. قال بعضهم: هو بنيامين، وهو أخو يوسف من أبيه وأمه.

قال: ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ أي: خير المضيفين، أي: خير من يضيف بمصر. وقد رأوا ذلك؛ إنه قد أحسن نزلهم وأكرمهم [لما] عرف أنهم إخوته ولم يعرفوه[2]. قال: ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ يعني إذا رجعوا.

﴿ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ أي: ليرسله معنا ﴿ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَتِهِ ﴾ يعني غلمانه ﴿ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ أي: دراهمهم في متاعهم ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾. أي: لكي

(1) زيادة من ز، ورقة 156.

(2) وردت هذه الجملة الأخيرة في المخطوطات الأربع بعد قوله: (إذا رجعوا) في آخر السطر التالي، وهذا خطأ من النساخ ولا شك، وقد أثبتها في سياقها المناسب وربطتها بما قبلها بكلمة «لما».

يرجعوا إليّ. يقول: هو أحرى أن يرجعوا إذا رُدت عليهم بضاعتهم.

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَـٰأَبَانَـا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ ﴾ أي: فيما يستقبل، أي: إن لم نأته بأخينا. ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ. قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ يعني يوسف ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الـرَّٰحِمِينَ﴾ وهي تقرأ على وجهين: حفظاً وحافظاً. فمن قرأها حفظاً يعني: حفظ الله خير من كل حفظ. ومن قرأها حافظاً يعني إن الله هو الحافظ وهو خير الحافظين.

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُوا بِضَـٰعَتَهُمْ﴾ أي: دراهمهم ﴿ رُدَّت إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ﴾ أي: وراء هذا ﴿ هَـٰذِهِ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّت إِلَيْنَا ﴾ وقد أوفى لنا الكيل. قال: ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ يقولون: إذا أرسلت معنا أخانا ﴿ وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾. وإنما ذلك لأنه كان يكال لكل إنسان حمل بعير بمصر. وتفسير الحسن إنه يزيدنا كيل بعير، أي: بغير ثمن، إذا أرسلت معنا أخانا. وكان يوسف وعدهم، في تفسير الحسن، إن هم جاءوهم بأخيهم، أن يزيدهم حمل بغير بغير ثمن.

وقال بعضهم: كيل بعير، أي: حمل بعير. وقال مجاهد: حمل بعير، أي: حمل حمار، وهي لغة لبعض العرب(1).

﴿ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيـرٌ ﴾ [قال السدي: يعني سريعاً لا حبس فيه](2) وقال الحسن: أي: يسير علينا الكيل، لأنه قد كان القوم يأتونه للمَيْر(3) فيُحبَسون الزمانَ حتى يُكال لهم. وبعضهم يقول: (ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) هذا من قول الله.

قوله: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: حتى تعطون موثقاً من الله ﴿ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ أي: إلا أن تغلبوا عليه. وقال بعضهم: أي: إلا أن تهلكوا جميعاً.

(1) وهو قول ذهب إليه أيضاً مقاتل بن سليمان في تفسيره، وانظر اللسان: (بعر).

(2) زيادة من ز، ورقة 156.

(3) المَيْرُ، مصدر مار، يمير، ميرا، أي: اشترى الطعام وجلبه لأهله أو لغيره، والمِيرة الطعام الممتار.

﴿ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ ﴾ أي: أعطوه ﴿ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ﴾ يعقوب: ﴿ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ أي: حفيظ لهذا العهد.

قوله: ﴿ وَقَالَ يَـٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾. قال بعضهم: خشي على بنيه العين؛ وكانوا ذوي صورة وجمال.

ذكروا عن أسماء بنت عميس[1] أنها قالت: يا رسول الله، إن بني جعفر أسرع شيء إليهم العين، أفأسترقي لهم؟ فقال: استرقي لهم. لو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين[2].

ذكروا عن داود بن حصين عن علي بن عبد الله بن عباس أن يتيمة كانت عند ميمونة، فافتقدها النبي ﷺ، فسأل عنها. فقالوا: اشتكت عينيها. فقال: استرقوا لها، فإنه أعجبتني عيناها[3].

(1) هي أسماء بنت عُميس الخثعمية، من السابقات إلى الإسلام. تزوجت جعفر بن أبي طالب، وهاجر بها إلى الحبشة، فولدت له بها عبد الله، ومحمداً، وعوناً. ولما توفي جعفر تزوجها أبو بكر، فولدت له محمداً. ولما توفي أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب، فولدت له يحيى، قيل: وعوناً. وقد حفظت أحاديث عن رسول الله ﷺ رواها الصحابة والتابعون. انظر ترجمتها في الاستيعاب لابن عبد البرّ ج 4 ص 1784، وفي سير أعلام النبلاء للذهبي ج 2 ص 207 - 204، وفي غيرهما من كتب الرجال.

(2) حديث صحيح أخرجه الترمذي في كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية من العين (رقم 2060). وأخرجه ابن ماجة في كتاب الطب، باب من استرقى من العين (رقم 3510) كلاهما يرويه من طريق عبيد بن رفاعة الزرقي عن أسماء بنت عميس. وأخرجه مسلم بغير هذه الألفاظ في كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين (رقم 2198) عن جابر بن عبد الله.

(3) هذا حديث لم أعثر عليه في كتب الصحاح، هكذا في قصة «يتيمة» كانت عند ميمونة» زوج النبي عليه السلام. وبلفظ «فإنه أعجبتني عيناها» في آخره، هكذا جاء في المخطوطات الأربع. وشبيه بهذا الحديث ما رواه الشيخان: البخاري في كتاب الطب، باب رقية العين، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب الرقية، كلاهما يرويه عن أم سلمة في قصة «جارية في بيتها» وبلفظ: «استرقوا لها فإن بها النظرة» فهل هما حديث واحد؟ ليت لدينا تفسير ابن سلام كاملاً لعل به سنداً صحيحاً، إذاً لأمكنت المقارنة وسهل التحقيق.

ذكروا عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أنه عان[1] سهل بن حنيف فقال: قال رسول الله ﷺ: إذا أعجب أحدَكم أخوه فليبرّك[2].

قوله: ﴿ وَمَا أُغْنِي عَنْكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴾ يعني قوله: (لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ).

قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ ﴾ قال الحسن: لما آتاه الله من النبوة. وقال بعضهم: لعالم لما علمناه[3]. ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ وهم المشركون، وهم أكثر الناس. قال: فأرسل معهم أخاهم.

قوله: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴾ أي: ضمّه إليه ﴿ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ ﴾ قال مجاهد: فلا تحزن ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ يعني إخوته. وقال الحسن: يقول: لا تغتمّ بما كان من أمرك وأمر إخوتك.

قال: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ ﴾ يعني ميرتهم التي جاءوا لها، ووفّى لهم الكيل، وقضى حاجتهم ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ والسقاية إناء الملك الذي كان

(1) عانه يعينه، أي: أصابه بالعين.

(2) أخرجه أحمد في مسنده مفصّلاً بلفظ: علام يقتل أحدكم أخاه، هلا إذا رأيت ما يعجبك برّكت»، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطب، باب العين (رقم 3509) عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف. والتبريك أن يقول الإنسان: بارك الله فيك، أو يقول: (تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ).

(3) كذا في المخطوطات الأربع: «لعالم لما علمناه» وله وجه صحيح مناسب. وقد يكون في الجملة تصحيف صوابه: «وإنه لعامل بما علمناه». فقد أورد هذا التأويل الطبري في تفسيره ج 16 ص 168 منسوباً لقتادة، قال: «إنه لعامل بما علم». وزاد غيره: «من لا يعمل لا يكون عالماً». وقال الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 50: «يقول: إنه لذو علم لتعليمنا إياه، ويقال: إنه لذو حفظ لما علمناه».

يُسقى فيه، وهو الصواع، والصواع الإناء الذي كان يشرب فيه؛ جعله في متاع أخيه.

وخرج إخوة يوسف، وأخوهم معهم، من عنده وساروا معه، فاتبعهم منـاد ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ﴾ أي: ثم نادى منادٍ ﴿ أَيَّتُها العِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾.

﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي: إخوة يوسف أقبلوا عليهم ﴿ مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ المَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾ أي: من الطعام، والطعام يومئذٍ عزيز. ﴿ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ أي: وأنا به كفيل لمن جاء به.

قال مجاهد: الزعيم هو المؤذن [الذي قال: (أَيَّتُهَا العِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارُقُونَ)][1].

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ ﴾ وهو يومئذٍ قَسَم يُقسم به ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ ﴾ لما كانوا يأتونهم قبل ذلك في المَيْر، وأنهم لم يروا منهم فساداً، ﴿ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ﴾.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَآؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَـٰذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي يؤخذ به عبداً. وكانت تلك سنتهم. ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: السارقين.

وكذلك كان الحكم عندهم: أن يؤخذ بسرقته عبداً [يستخدم على قدر سرقته][2] وكان في قضاء أهل مصر أن يغرم السارق ضعفي ما أخذ، ثم يرسل. فقضوا على أنفسهم بقضاء أرضهم، وهو مما صنع الله ليوسف، فذلك قوله: (كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) أي: صنعنا ليوسف (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ) أي: في قضاء الملك، ملك مصر؛ أي: لو كان القضاء إليه غرمه ضعفي ما أخذ، ثم خلّى سبيله.

قوله: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ ﴾ ففتشها ﴿ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا[3] مِن وِّعَاءِ

(1) زيادة من تفسير مجاهد، ص 318.

(2) زيادة من ز، ورقة 156.

(3) رجع بضمير المؤنث على السقاية، وقال الفراء في معانيه ج 2 ص 52: «ذهب إلى تأنيث السرقة.

أَخِيهِ ﴾. قال الله: ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾. قال الحسن: كاد الله ليوسف ليضمَّ إليه أخاه.

ذكر بعضهم قال: ذكر لنا أن يوسف عليه السلام كان لا ينظر في وعاء من أوعيتهم إلا استغفر الله تائباً[1] مما قذفهم به.

قال الله: ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ قال بعضهم: أي: ما كان ذلك في قضاء الملك. قال: ﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾أي: أن يستعبد رجلاً بسرقة.

قال مجاهد: وكان الملك مسلماً. وقال مجاهد: (إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ)، أي: إلا بعلّة[2] كادها الله له، فاعتلّ بها يوسف.

قوله: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾ قال: بالنبوة. ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ قال: إن الله علا علمه فوق كل علم.

قال الحسن: أجل والله، لفوق كلّ ذي علم عليم، حتى ينتهي العلم إلى الذي جاء منه، وهو الله. وكل شيء فعله يوسف من أمر أخيه، وما صنع من أمر الصُّواع، إنما هو شيء قَبِلَه عن الله.

قوله: ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ يعنون يوسف.

وكان جدُّه، أبو أمه، يعبد الأوثان؛ فقالت له أمه: يا يوسف، اذهب فخذ القفة التي فيها أوثان أبي، ففعل، فجاء بها إلى أمه. فتلك السرقة التي عيّروه بها. قال الحسن: كَذَبوا عليه، ولم يكونوا يوم قالوا هذه المقالة أنبياء، إنما أُعطوا النبوة بعد ذلك. وقال بعضهم: كان الصنم لجده، أبي أمه، وإنما أراد به الخير[3].

(1) كذا في المخطوطات: تائباً وهو الصحيح، وفي تفسير الطبري ج 16 ص 184، «تَأَثُّماً مما قذفهم به» وله وجه.

(2) كذا في المخطوطات، وفي ز ورقة 156 «بِعِلة» وفي تفسير الطبري ج 18 ص 187: «إلا فِعْلَةً».

(3) انظر اختلاف المفسرين في السَّرَقِ الذي اتهم به يوسف، واقرأ قصته مع عمته، ابنة إسحاق في تفسير الطبري، ج 16 ص 196 - 197، وفي زاد المسير لابن الجوزي ج 4 ص 263، فقد أورد ابن الجوزي سبعة أقوال في المقصود من هذه السرقة.

قوله: ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ أي: هذه الكلمة.

وفي تفسير بعضهم: أسرّ في نفسه هذا القول: (أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً). وهذا من مقاديم الكلام، أي: في الإِضمار.

﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً﴾ ممن قلتم له هذا. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أي: إنه كذب.

﴿ قَالُوا يَـٰأَيُّهَـا الْعَزِيزُ ﴾ يعنون يوسف، يعنون على الملك[1]. قال الكلبي: إن يوسف كان العزيز بعد العزيز، سيده الذي ملكه. ﴿ إِنَّ لَهُ أَبَاً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴾ عبداً، ورُدَّه على أبيه، فإنه شيخ كبير. ﴿ إِنَّا نَرَيٰـكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ يوسف ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ ﴾ فنستعبد ﴿ إِلَّا مَن وَّجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِنْدَهُ ﴾ أي: على ما قضوا به على أنفسهم حيث (قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُّجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُو جَزَاؤُهُ) يؤخذ عبداً بتلك السرقة. ﴿ إِنَّا إِذاً لَّظَـٰلِمُونَ﴾ [أي: إن أخذنا غير الذي وجدنا متاعنا عنده][2].

قوله: ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ ﴾ أي: يئسوا من أن يرد عليهم أخاهم ﴿ خَلَصُوا نَجِيّاً ﴾ أي: خلصوا وحدهم نجيّاً. جعلوا يتناجون ويتشاورون فيما بينهم في ذلك.

﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ وهو روبيل، وهو الذي قال: (لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ). وقال مجاهد: كبيرهم شمعون، وأكبر منه في الميلاد[3] روبيل. ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَد أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً مِّنَ اللَّهِ، وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾

(1) كذا في ق وع، «يعنون يوسف، يعنون على الملك». وفي د: «يعنون يوسف عز الملك»، لعل المعنى كان يوسف عزيزاً لدى الملِك. أي: يا أيها العزيز على الملِك.

(2) زيادة من تفسير الطبري ج 16 ص 203 لإيضاح معنى (إذاً).

(3) كذا في المخطوطات: «وأكبر منه في الميلاد». وهو الصحيح، أي: أكبر منه سناً. فقد جاء في مخطوطة ز، ورقة 157 ما يلي: «وقال السدي: يعني كبيرهم في الرأي والعلم ولم يكن أكبرهم في السن». وبهذا يتضح التصحيف الذي أشرت إليه في هامش 1 ص 258 من هذا الجزء. فليصحح.

قال الحسن: وقد كانوا أعطوا أباهم في يوسف أيضاً عهداً أن يردوه عليه.

﴿ فَلَن أَبْرَحَ الأَرْضَ ﴾ يعني أرض مصر ﴿ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ في الرجوع إليه ﴿ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ﴾ بغير الرجوع. وقال بعضهم: أو يحكم الله لي بالموت ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الحَـٰكِمِينَ﴾.

﴿ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَـٰأَبَانَـا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾ أي: من سرقته ﴿ وَمَا كُنَّا لِلغَيْبِ حَـٰفِظِينَ﴾ أي: ما كنا نرى أنه يسرق.

قال: ﴿وَاسْئَلِ القَرْيَةَ التِي كُنَّا فِيهَا ﴾ أي: أهل القرية ﴿ وَالعِيرَ التِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ أي: أهل العير التي أقبلنا فيها ﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾.

قالوا ذلك له فلم يصدقهم و ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ ﴾ أي: زيّنت لكم أنفسكم ﴿ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾. قال مجاهد: الصبر الجميل: الذي ليس فيه جزع. كان مفزع يعقوب في يوسف وأخيه جميعاً إلى الصبر الجميل الذي لم يخالطه الجزع. وكل صبر فيه جزع فليس بجميل.

قوله: ﴿ عَسى اللَّهُ أن يَـأْتِيَنَـي بِهِمْ جَمِيعاً ﴾ أي: يوسف وأخيه [وروبيل][1] ﴿ إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ ﴾ أي: العليم بخلقه ﴿ الحَكِيمُ ﴾ أي: في أمره.

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ أي: وأعرض عنهم ﴿ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ أي: يا حزنا[2] على يوسف ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ ﴾ أي: عمي ﴿ مِنَ الحُزْنِ ﴾ على يوسف. وقد علم بما أعلمه الله بالوحي أن يوسف حي، وأنه نبي، ولكنه لا يعلم حيث هو، فمكث يبكي. ﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ أي: قد كظم على تردد حزنه في جوفه.

(1) زيادة من ز، ورقة 157، فقد بقي روبيل في أرض مصر ولم يرجع مع إخوته إلى أبيهم.

(2) في المخطوطات: «يا جزعاه» وكذلك جاءت الكلمة في تفسير مجاهد، ص 319. ولكني أثبت ما جاء في ز، ورقة 157، لأنه أصح وأحسن تأويلاً، وهو أيضاً لفظ قتادة كما ورد في تفسير الطبري ج 16 ص 216. فإن الجزع يتنافى والصبر الجميل. وقد روى الطبري في تفسيره ج 16 ص 217: «عن سعيد بـن جبير قال: «لم يعط أحد غير هذه الأمة الاسترجاع، ألا تسمعون إلى قول يعقوب: يا أسفى على يوسف».

وبلغنا أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء في السجن، فقال له يوسف: أيها الملك الطاهر المطهَّر، الكريم على الله، ما أدخلك هذا المكان الرجس النجس مع القوم الظلمة. قال جبريل: إن المكان الذي تكون فيه ليس بنجس. فقال له يوسف: أيها الملك الكريم على الله، أخبرني ما بلغ وجد يعقوب على يوسف؟ قال: وجد سبعين ثكلى. قال: فما بلغ منه؟ قال: ذهب بصره. قال فما بلغ أجره؟ قال: على قدر ذلك[1].

وذكر بعضهم ان ملك الموت دخل على يعقوب فقال له يعقوب: أيها الملك الكريم على ربه، أسألك بعظمة إلاهك وجبروته هل قبضت روح يوسف فيما قبضت من الأرواح؟ فقال: لا والله ما قبضت روحه وإنه لحي كما أنك حي.

قوله: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ ﴾ وهو قسم ﴿ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ أي: لا تزال تذكر يوسف[2] ﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضاً ﴾ أي: حتى تبلى[3] ﴿ أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ ﴾ أي: أو تموت. وقال مجاهد: (تَفْتَؤُا) أي: لا تفتأ، أي: لا تفتر عن ذكر يوسف أو تكون من الميتين.

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي ﴾ أي: هَمِّي ﴿ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾. قال الحسن: أي: أعلم أن يوسف حي.

ذكر بعضهم قال: إنه لم ينزل بيعقوب بلاء قط إلا أتى حسن ظنه بالله من ورائه.

---

(1) كذا في المخطوطات الأربع: «على قدر ذلك. وفي تفسير الطبري، ج 16 ص 288 - 230: «قال أجر مائة شهيد»، وفي رواية: «أجر سبعين شهيداً». وقد أورد الطبري الخبر من طرق كثيرة عن ثابت البناني، وعن عكرمة وعن السدي وغيرهم.

(2) انظر ما قاله الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 54 في تفسير قوله تعالى: (لا تفتؤا) وتعليل حذف «لا»، بشواهده فإنه كلام نفيس في مباحث العربية. وقد نقل ذلك الطبريُّ وفصّله في تفسيره ج 16 ص 220 - 221.

(3) قال الطبري: «وأصل الحرض: الفساد في الجسم والعقل من الحزن أو العشق». وهو ما قاله أبو عبيدة قبله في مجاز القرآن ج 1 ص 316: قال: «والحرَض الذي أذابه الحزن أو العشق وهو في موضع محرض».

قوله: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ [أي: تبحّثوا عن خبرهما][1] ﴿ وَلَا تَيْأَيْسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ﴾ أي: من رحمته ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَيْسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَـٰفِرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ ﴾ أي: فلما رجعوا إلى مصر، فدخلوا على يوسف وهم لا يعرفونه ﴿ قَالُوا يَـٰأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ﴾ أي: الحاجة ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ ﴾ أي: يسيرة، في تفسير بعضهم. وقال الحسن: خفيفة قليلة. وقال مجاهد: قليلة[2]. وقال بعضهم بدراهم ردية، وكانوا لا يأخذون في الطعام إلا الجياد.

قوله: ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ ﴾ أي: ببضاعتنا ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ أي: بأخينا. ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾[3].

﴿ قَالَ: هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴾ أي: إن ذلك كان منكم بجهالة، ولم يكونوا حين ألقوه في الجب بأنبياء.

﴿ قَالُوا: أَءِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ﴾ على الاستفهام ﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَـٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ وهذا منهم قَسَم يُقسمون به ﴿ وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ أي: وقد كنا خاطئين. من الخطيئة التي انتهكوها منه ومن أبيهم.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 157، وتبحث، أي: بالغ في البحث والتفتيش والالتماس. ولفظ أبي عبيدة في تفسير (فَتَحَسَّسُوا) أدق تعبيراً. قال في مجاز القرآن ص 317 (فَتَحَسَّسُوا) أي: تخبّروا والتسموا في المظانّ».

(2) في المخطوطات الأربع: «ثقيلة»، ولا معنى للكلمة، وهي خطأ أثبت صوابه من تفسير مجاهد ص 320، ومن كتب التفسير.

(3) هذا وجه من وجوه التأويل نسبه يحيى بن سلام، كما في مخطوطة ز ورقة 157، إلى قتادة، ونسبه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 16 ص 242 إلى ابن جريج، وهو تأويل لم يرتضه الطبري وقال في تأويل قوله: (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا): «يقولون: وتفضل علينا بما بين سعر الجياد والردية فلا تنقصنا من سعر طعامك لردي بضاعتنا».

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ [أي: لا تخليط ولا شغب ولا إفساد ولا معاقبة][1] قد غفرت لكم ذلك. ﴿ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾.

وهكذا يكون العفو الكريم، والصفح الجميل. وفيما يؤثر عن النبي عليه السلام إذ أظهره الله على مكة، وأظفره بها أنه قام على باب الكعبة[2]، فأخذ بعضادتي الباب، وقد اجتمعت قريش أجمعها، فحمد الله وأثنى عليه؛ وصلى على نفسه وعلى الأنبياء، ثم قال: يا معشر قريش، ما تقولون وما تظنون؟ قالوا: نقول خيراً ونظن خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، وقد قدرت، فما تقول؟ قال: أقول كما قال أخي يوسف صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء: (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ)، وأنتم اذهبوا فأنتم عتقاء الله وطلقاؤه[3].

فأطلقهم رسول الله ﷺ، وعفا عنهم، ولم يثرّب عليهم شيئاً مما فعلوه به، كما فعل يوسف بإخوته إذ قال: (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) أي: أرحم من رحم. دعا لهم.

قوله: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً ﴾ [أي: يرجع بصيراً][4] وإنما بعث بقميصه إلى أبيه بأمر الله، ولولا أن ذلك عَلِمَه من قِبَل الله، لأنه كان نبياً مرسلاً، لم يكن له بذلك علم أنه يرجع إليه بصره إذا ألقي القميص على وجهه.

قوله: ﴿ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

---

(1) زيادة من مجاز أبي عبيدة ج 1 ص 318. وقال القرطبي في تفسير 5 ص 257: أي: لا تعيير ولا توبيخ ولا لوم عليكم اليوم».

(2) في المخطوطات: «على باب المسجد» والصواب ما أثبته على باب الكعبة» كما ورد الخبر في كتب السيرة والتاريخ.

(3) أخرجه البيهقي في الدلائل عن أبي هريرة كما ذكره السيوطي في الدر المنثور، ج 4 ص 134. وأقرأ الخبر مفصلاً في سيرة ابن هشام مثلاً، ج 3 ص 411 - 412.

(4) زيادة من ز، ورقة 157. وقال أبو عبيدة: «أي يعد بصيراً، أي يعد مبصراً».

قوله: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ العِيرُ ﴾ أي: خرجت العير من مصر بالقميص وجد يعقوب ريح يوسف فقال: ﴿ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾.

قال بعضهم: وجد ريحه حين خرجوا بالقميص من مصر، وهو بأرض كنعان، وبينهما ثمانون فرسخاً.

وقوله: (لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ) أي: لولا أن تسفّهون. وقال الحسن: لولا أن تهرّمون. وهو واحد. يقول: لولا أن تقولوا هرم واختلط عقله فتسفّهون. وقال مجاهد: لولا أن تقولوا: ذهب عقله.

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ ﴾ وهو قسم يقسمون به ﴿ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ القَدِيمِ ﴾ أي: في حبّك يوسف، أما تنساه. وبعضهم يقول: في طمع من يوسف.

وبلغنا أن هذا قول أبنائهم، وكان آباؤهم في العير، وأنه كان يقول منذ فقد يوسف إلى أن وجد ريح القميص: ما أنا بيائس منه كلما ذكرت رؤياه.

قوله: ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ البَشِيرُ ﴾ ذكروا أن مجاهداً قال: البشير يهوذا بن يعقوب. ﴿ أَلْقَيٰهُ عَلَىٰ وَجهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَم أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ قال الحسن: يعني من فرج الله ونعمته وعطائه. وكان الله قد أخبره بأن يوسف حيّ، ولم يعلم أين مكانه.

قوله: ﴿ قَالوا: يَـٰأَبَانَـا اسْتَغفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَـٰطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ أي: أوخر ذلك إلى السحر. ﴿ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.

قوله: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ قال بعضهم: يعني بأبويه أباه يعقوب وخالته[1]. وقال بعضهم: كانت جدته

(1) ذهب إلى هذا القول كثيرون، منهم السدي كما في تفسير الطبري ج 16 ص 267، والسجستاني في غريب القرآن، ص 4، ولكن الطبري، ذهب إلى أنهما أبوه وأمه اعتماداً على قول ابن إسحاق وعلى لفظ الأبوين واستعماله في اللغة. ولعله لم يطلع على قول الحسن الذي رواه ابن سلام هنا.

أم أمه. وكان الحسن يقول: هي أمه التي ولدته.

قوله: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ والعرش هو السرير ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً ﴾ قال الحسن: خرّوا له بأمر الله، أمرهم بالسجود له لتأويل الرؤيا.

قال بعضهم: كان السجود تحية من كان قبلكم، وأعطى الله هذه الأمة السلام، وهي تحيّة أهل الجنة. وقال بعضهم: كان سجودهم لله تلقاء يوسف.

﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: تحقيق رؤياي من قبل ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً ﴾.

قوله: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيَ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾. وكانوا بأرض كنعان، أهل مواشٍ وبرّيّه ﴿ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَـٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ﴾ أي: لطف بيوسف حتى أخرجه من الجب ومن السجن، وجمع له شمله وأقرّ عينه. ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾.

قوله: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[1]. ﴿ فَاطِرَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي: خالق السَّمـٰوٰتِ والأرض ﴿ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالأَخِرَةِ﴾ أي: لا أتولى في الدنيا والآخرة غيرك. ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: بأهل الجنة.

وقال بعضهم: لما جمع الله شمله، وأقر عينيه ذكر الآخرة فاشتـاق إليها فتمنى الموت؛ قال: فلم يتمنى نبي قط الموت قبل يوسف عليه السلام[2].

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِن أَنْبَاءِ الغَيْبِ ﴾ أي: من أخبار الغيب، يعني ما قص من قصتهم من أول السورة إلى هذا الموضع. ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾ أي: عندهم ﴿ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرونَ ﴾ أي: بيوسف إذ يلقونه في الجب.

---

(1) انظر ما سلف من هذا الجزء، ص 261. وهو يعني التمكين الذي أعطاه الله وما علّمه من تعبير الرؤيا.

(2) هذا قول ابن عباس رواه الطبري من طرق في تفسيره ج 16 ص 279 - 280، فاقرأه مفصلاً هنالك من رواية قتادة وابن إسحاق. ففيه الموعظة والذكرى لمن اعتبر.

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُومِنِينَ ﴾ قال: ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على القرآن ﴿ مِنْ أَجْرٍ ﴾ فيكونون إنما حملهم على تركه الغرم. وقال في آية أخرى: (قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ). [الأنعام: 90] قوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾ يذكرون به الجنة والنار.

قوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن ءَايَةٍ ﴾ أي: وكم من آية ودليل ﴿ فِي السَّمَٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا ﴾ أي: يرونها ﴿ وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ يعني بآيات السماوات الشمس والقمر والنجوم، وبالآيات التي في الأرض ما خلق الله فيها وآثار من أهلك الله من الأمم السالفة. يقول: لا يتعظون بالآيات.

قوله: ﴿ وَمَا يُؤمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ وهي مثل قوله: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [الزخرف: 87]: قال بعضهم: إيمانهم أنك لا تسأل أحداً إلا أنباك أنَّ الله ربُّه، وهو في ذلك مشرك في عبادته.

قوله: ﴿ أَفَأَمِنُوا ﴾ يعني المشركين ﴿ أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾ على الاستفهام، أي: غاشية تغشاهم من عذاب الله، وهم آمنون من ذلك غافلون. أي: إنهم ليسوا بآمنين أن يأتيهم ذلك في تفسير الحسن. وقال غيره: (غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ)، أي: عقوبة من عذاب الله، ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي تبغتهم فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: وهم غافلون. يعني الذين تقوم عليهم الساعة بالعذاب.

قوله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِيَ ﴾ أي: طريقي، وهو الهدى ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [أي: على يقين][1] ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ أي: أنا على الهدى ومن اتبعني على بصيرة، أي: على الهدى الذي أتانا من ربنا ﴿ وَسُبْحَٰنَ اللَّهِ ﴾ أمره أن ينزّه الله عما قال المشركون. ﴿ وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرَكِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِم مِّن أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾. قال الحسن: لم يبعث الله نبياً من أهل البادية، ولا من النساء، ولا من الجن. قال: لأن

(1) زيادة من ز، ورقة 158.

أهل القرى كانوا أعلم وأحلم من أهل العمود[1].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: فضيلة أهل المدائن على أهل القرى كفضيلة الرجال على النساء، وفضيلة أهل القرى على أهل العمود كفضيلة الرجال على النساء، وأهل الكفور كأهل القبور. فقيل: ما الكفور؟ قال: البيت بعد البيت[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ما من ثلاثة يكونون في قرية أو بدو ولا يجمعون للصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان. وإنما يأخذ الذيب من الغنم القاصية[3].

ذكروا عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ: الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأتي الشاذة والقاصية والناحية. عليكم بالمساجد والجماعة والعامة، وإياكم والشعاب[4].

ذكروا أن معاذ بن جبل كان على بعض أهل الشام فجاءه ناس من أهل البادية فقالوا: قد شقّت علينا الإقامة، فلو بدأت بنا، فقال لعمري، لا أبدأ بكم قبل الحاضرة، أهل العبادة وأهل المساجد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليهم تنزل السكينة، وإليهم يأتي الخبر[5]، وبهم يبدأ يوم القيامة. قال والخبر أي الوحي[6].

(1) أهل العمود، وأهل العماد، هم أهل الأخبية الذين يعيشون في البادية. نسبوا إلى العمود، وهو الخشبة التي تنصب وسط الخباء، ويقوم عليها البيت وإليها يُسند. فكأن أعمدة الخيام تلازمهم في حلّهم وترحالهم فأضيفوا إليها.

(2) لم أجد فيما بين يدي من مصادر الحديث هذا الحديث. وقد نسب ابن منظور في اللسان: (كفر) جملة من هذا الحديث، وهي قوله: أهل الكفور كأهل القبور، إلى معاوية. والكَفْر في اللغة هي القرية عند أهل الشام ومصر. انظر المعرب للجواليقي، ص 334. ولعل يحيى بن سلام ذكر سند هذا الحديث.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه أبـو داود في كتاب الصلاة، باب في التشديدفي ترك الجماعة، (رقم 547) وأخرجه النسائي في كتاب الإمامة، باب التشديد في الجماعة.

(4) أخرجه أحمد في مسنده.

(5) في المخطوطات: «وإليهم يأتي الخير»، ورجحت أن يكون في الكلمة تصحيف صوابه، «الخبر» أي خبر السماء، وهو الوحي، وإن كان الوحي خيراً أيضاً بل هو كل الخير.

(6) هذه أحاديث وأخبار قيّمة لم يوردها ابن أبي زمنين في مختصره لتفسير ابن سلام، وهي لعمري =

قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ يقول: قد ساروا في الأرض فرأوا آثار الذين أهلكهم الله من الأمم السالفة حين كذبوا رسلهم. كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم فصيّرهم إلى النار. يقول: أفلم يسيروا في الأرض فيحذروا أن ينزل بهم ما نزل بالقرون من قبلهم. ﴿ وَلَدَارُ الأخِرَةِ ﴾ هي دار المؤمنين في الآخرة ﴿ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ أي: خير لهم من الدنيا ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ ﴾ أي: يئس الرسل ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ﴾.

ذكروا عن سعيد بن جبير أنه قال: حتى إذا استيئس الرجل من قومهم أن يؤمنوا وظن قومهم أن الرسل قد كَذَبوا.

وقال مجاهد: استيئس الرسل أن يُعذِّب قومُهم. قال: [ظَنَّ قومهم أن الرسل قد كَذَبوهم](1) وهذا تفسير من قرأها بالتخفيف: كذَبوا. ومثل ذلك في هذه الآية الأخرى في سورة الأنبياء: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً يُوحَىٰ إِلَيْهِم فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمَ لاَ تَعْلَمُونَ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَّ يَاكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا المُسْرِفِينَ) [الأنبياء: 7 - 9].

قوله: (كُذَبُوا) [أي(2): ما] وعدوا. كان الرسل وعدوا أن ينزل على قومهم العذاب إن لم يؤمنوا، فظن القوم أن الرسل كذبوا بما وعدوا به، أي: من مجيء العذاب.

وكان الحسن يقرأها بالتثقيل: (كُذِّبوا) وتفسيرها حتى إذا استيئس الرسل من

= من كنوز السنّة وأخبار الصحابة الكرام رضي الله عنهم. فليتنا نبسط فيها القول تعليقاً وشرحاً، حتى نستفيد منها ونفيد، فنقدم لأجيالنا الصالحة المؤمنة نماذج من الخلق القويم والسيرة الحميدة. وقد حفظها لنا الشيخ هود الهواري ورواها كلها ولو كان نقله إياها بأسانيدها، كما جاءت في تفسير ابن سلام، لكان صنيعه أحسن وعمله أتمّ.

(1) زيادة من تفسير مجاهد، ص 322.

(2) في المخطوطات «كذبوا، وعدوا» كذا، وزدت ما بين المعقوفين ليصح المعنى.

أن يجيبهم قومهم بشيء قد علموه من قِبَل الله، (وظَنُّوا) أي: وظن الرسل، أي: وعلموا أنهم قد كذِّبُوا التكذيب الذي لا يؤمن القوم بعده أبداً، استفتحوا على قومهم بالدعاء عليهم، أي: حين أذن الله بالدعـاء عليهم، فدعَوا عليهم، فاستجاب الله فأهلكهم[1].

وقوله: (جَاءَهُمْ نَصْرُنَا) أي: عذابنـا ﴿ فَنُنْجِي مَن نَّشَاءُ ﴾ أي: النبي والمؤمنين ﴿ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا ﴾ أي: عذابنا ﴿ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: عن القوم المشركين.

قوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ ﴾ يعني قصص يوسف وإخوته ﴿ عِبْرَةٌ لِاولِي الأَلْبَـبِ﴾ أي: لذوي العقول يعتبرون بها، وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ ﴾ أي: ما كان يفتريه محمد، أي: لقول المشركين (إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَيٰهُ) [الفرقان: 4 أي: كذب افتراه؛ يعنون محمداً ﷺ وعلى جميع الأنبياء. قال الله: (مَا كَانَ) يعني القرآن (حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ) أي: يُفْتَعَل ويُتَقَوَّل ﴿ وَلَـٰكِنْ تَصْدِيقَ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: من التوراة والإنجيل. وفيها تصديق بالقرآن وإيمان به وبمحمد عليه السلام. ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: من الحلال والحرام والأحكام والوعد والوعيد ﴿ وَهُدًى ﴾ يهتدون به إلى الجنة ﴿ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُّومِنُونَ ﴾ أي: يصدّقون.

(1) اقرأ سؤال عروة بن الزبير خالته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن قوله تعالى في هذه الآية، وكيف فسّرت الآية على قراءة من قرأ بالتثقيل: (كُذِّبُوا) في كتاب التفسير من سورة يوسف، باب (حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ) اقرأ ذلك في فتح الباري ج 8. ص 367 - 370. وانظر مختلف قراءات هذا اللفظ: «كذبوا» ومعانيها في تفسير الطبري ج 16 ص 296 - 311.

تفسير سورة الرعد، وهي مدنية[1]

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ آلَمَـرَ ﴾ قد فسّرنا نحوها قبل هذا الموضع. قوله: ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ الكِتَـٰبِ ﴾ أي: القرآن. وبعضهم يقول: التوراة والإنجيل. ﴿ وَالذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الحَقُّ ﴾ أي: القرآن ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤمِنُونَ ﴾. وقد فسّرناه في غير هذا الموضع.

قوله: ﴿ اللَّهُ الذِي رَفَعَ السَّمَـٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ فيها تقديم في تفسير الحسن. يقول: الذي رفع السماوات ترونها بغير عمد. وقال الكلبي أيضاً: إن رفعها بغير عمد. وقال ابن عباس: لها عمد ولكن لا ترونها.

قوله: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾. وهو مثل قوله: (الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) [سور طَهَ: 5]. قال: ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: القيامة وقال بعضهم: يجري مجرًى لا يَعْدُوه.

قوله: ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾ أي: [يقضي القضاء][2] في خلقه فيما يخلق ويحيي

(1) في ق وع وز: «وهي مكية كلها» إلا آية واحدة، وهي قوله: ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة... الآية، وأثبت ما جاء في ج ود؛ وفيهما: «وهي مدنية كلها إلا آية واحدة..» لأنه موافق لما في مصاحف ورش. واختلاف السلف في كون السورة مكية أو مدنية اختلاف قديم يرجع إلى عهد الصحابة والتابعين.

(2) زيادة من ز، ورقة 159.

ويميت ويرزق ويفعل ﴿ يُفَصِّلُ الأيَـٰتِ ﴾ أي: يبيّنها ﴿ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ أي: تصدّقون بالبعث. يقول: (لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)، أي: إذا سمعتم ما في القرآن.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي مَدَّ الأَرْضَ ﴾ أي: بسطها. وبسطها ودحاها واحد.

وفي تفسير الحسن: إن بدء خلق الأرض كان في موضع بيت المقدس. قال الله لها انبسطي أنت كذا، وانبسطي أنت كذا، وانبسطي أنت كذا. وفي تفسير عطاء إن الأرض دحيت دحوا[1] من تحت الكعبة. وقال مجاهد: كان البيت قبل الأرض بألفي سنة[2] ومدّت الأرض من تحته. وقال بعضهم: من مكة دحيت الأرض.

قوله: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ ﴾ يعني الجبال ﴿وَأَنْهَـٰراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَـرَٰتِ﴾ قال بعضهم: أهبط الله من الجنة ثلاثين ثمرة؛ عشرة يؤكل داخلها ولا يؤكل خارجها، وعشرة يؤكل خارجها ولا يؤكل داخلها، وعشرة يؤكل داخلها وخارجها.

قوله: ﴿ جَعَلَ فِيهَا ﴾ أي: خلق ﴿ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: من كل لونين[3] اثنين من كل ما خلق الله من النبات. والواحد زوج.

قوله: ﴿ يُغْشِي الَّيْـلَ النَّهَارَ ﴾ أي: يُلبس الليل النهار. وقال الحسن: فيذهبه. وهو كقوله: (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) [الزمر: 5] يعني أحدهما يذهب الآخر. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَـٰوِرَٰتٌ﴾. قال مجـاهد: هي الأرض العَذِيَة[1] الطيّبة تكون مجاورة أرضاً سَبِخة مالحة. وقال بعضهم: قرى متجاورات قريب بعضها من بعض.

(1) في المخطوطات: «دحيت دحاً ودحى». ولم أجد فيما بين يدي من مصادر اللغة هذا المصدر، فأثبت التصحيح «دحوا» من اللسان ومن كتب اللغة. يقال: دحوت الشيء أدحوه دحوا، ودحوته أدحاه، دحياً، والأول أفصح.

(2) كذا في ق وع: «ألفي سنة»، وفي ع ود: «ألف سنة» والله أعلم بحقيقة ذلك.

(3)، العذِيَة، والعذاة: الأرض ذات التربة الطيبة، البعيدة من البحور والسباخ، لا وخامة فيها ولا وباء. وانظر اللسان (عذا).

قال: ﴿ وَجَنَّـٰتٌ مِّن أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ ذكروا أن البراء بن عازب قال: إذا كان أصل النخلات واحداً فهو صنوان، وغير صنوان إذا كانت النخلات مفترقات.

قوله: ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ ﴾ قال مجاهد: بماء السماء. وقال بعضهم: وكل ماء عذب فهو من السماء. قال الله: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فسلكه يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ) [الزمر: 21] والينابيع العيون تنبع.

ذكروا أن ابن مسعود رحمه الله قال: كل النخل قد نبت من مستنقع الماء الأول إلا العجوة[1] فإنها من الجنة.

قوله: ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ ﴾ قال مجاهد: أي: بعضها أطيب من بعض. [وقال: هذا مثل لبني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد][2] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لأَيَـٰتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ أي: فيعلمون أن الذي صنع هذا قادر على أن يحيي الموتى.

قوله: ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُم ﴾ أي: إن تعجب يا محمد من تكذيبهم إياك فعَجَب لتكذيبهم بالبعث حين قالوا: ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَاباً أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾. وهذا على الاستفهام. أي: إنا لا نبعث، وهذا استفهام على إنكار، أي: قولهم ذلك عَجَبٌ.

قال الله: ﴿ أُولَـٰئِكَ الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَـٰئِكَ الأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾.

قوله: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ ﴾ أي: بالعذاب. وذلك قولهم: (اللَّـٰهُمَّ إِنْ

(1) العجوة نوع من أجود تمور المدينة، وقيل هي مما غرسه الرسول ﷺ بيده ونخلتها تسمى اللِّينة.
(2) زيادة من تفسير مجاهد، ص 329.
(3) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز، ورقة 159: أي صنفين، وجاء فيها: «قال محمد: قيل إنه يعني نوعين حلواً وحامضاً، والزوج عند أهل اللغة: الواحد الذي له قرين».

كَانَ هَـٰذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأنفال: 32]، وقولهم: (رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ) [سورة صٓ: 16] وذلك منهم تكذيب واستهزاء.

قال الله: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ ﴾. والحسنة ما هم فيه من الرخاء والعافية، أي: أرادوا تعجيل العذاب. ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثُلَاتُ ﴾ قال بعضهم: يعني وقائع الله في الأمم السالفة. وقال مجاهد: المَثُلٰتُ﴾ الأمثال، وهذا مثل القول الأول[1].

قال: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ أي: إذا تابوا إليه. ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقَابِ ﴾ أي: إذا داموا على شركهم.

قوله: ﴿ وَيَقُولُ الذِينَ كَفَرُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِهِ ﴾ هذا قول مشركي العرب. وقال الحسن: ولست من أن تأتيهم بآية في شيء.

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ أي: داعٍ يدعو إلى الله، يعني النبيين. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إنما أنا منذر والله هو الهادي[2]. وقال بعضهم: (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)، أي: نبي.

قوله: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ أي: من ذكر أو أنثى. ﴿ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾. ذكروا عن الحسن قال: الغيضوضة[3] أن تلد المرأة في تسعة أشهر، وما تزداد: أن تلد لأكثر من تسعة أشهر.

---

(1) وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 323: «المَثُلات واحدتها مَثُلَة، ومجازها مجاز الأمثال».

(2) أخرجه الطبراني في الكبير بلفظ: إنما أنا مبلغ والله يهدي، عن معاوية.

(3) كذا وردت هذه الكلمة الغيضوضة، وهي كلمة رواها المؤلف عن الحسن وعكرمة ومجاهد، وهي من مصادر الفعل: غاض غيضاً ومغيضاً ومغاضاً وغيضوضة، ولم ترد هذه الكلمة في معاجم اللغة وقد رواها الطبري مرّة واحدة في تفسير هذه الآية عن الحسن في ج 16 ص 364، وقال محقق التفسير الشيخ محمود محمد شاكر: «وهذا المصدر» حقيق أن يثبت في كتب اللغة لأنه من كلام الحسن البصري، وناهيك به فصيحاً وحجة في اللغة».

قال عكرمة: الغيضوضة في الحمل: لا تغيض يوماً في حملها إلا ازدادته في طهورها. وقال مجاهد: الغيضوضة: إراقة المرأة تحبس الولد. (وَمَا تَزْدَادُ) أي: وإذا لم تهرق المرأة تمّ الولد وعظم. والغيضوضة: النقصان.

وفي تفسير بعضهم: السقط الذي تسقط الأرحام من غير تمام، وإذا ولدته لتمام فهو الزيادة فوق السقط إلى التمام كقوله: (مُخَلَّقَةٍ) أي: التمام، (وغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ) [الحج: 5] أي: السقط.

قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ أي: بقدر.

قوله: ﴿عَـٰلِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ﴾ الغيب السرّ، والشهادة العلانية. ﴿الكَبِيرُ المُتَعَالِ﴾ أي: المتعالي عما قال المشركون.

قوله: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُم مَّنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾. قال بعضهم: فيها تقديم[1]. يقول: من أسر القول ومن جهر به ذلك عند الله سواء، سره وعلانيته.

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالَّيْلِ﴾ أي: يعمل الذنوب والمعاصي سرّاً بالليل ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ أي: وظاهر بالنهار.

وقال الكلبي: (مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ): يعمل الذنوب والمعاصي سراً بالليل، (وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ): أي: خارج بالنهار ومُعَالِنٌ لتلك الذنوب بالنهار، يقول: الليل والنهار والسر والعلانية عنده سواء.

قوله: ﴿لَهُ مُعَقِّبَـٰتٌ﴾ أي: لهذا المستخفي وهذا السارب معقبات[2] ﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنَ أَمْرِ اللَّهِ﴾ فيها تقديم: أي: له معقبات من بين يديه ومن خلفه، من أمر الله ملائكة يحفظونه.

(1) يريد تقديم الخبر على المبتدإ، وانظر معاني القرآن للفراء ج 2 ص 59 - 60.

(2) هذا هو القول الصحيح الراجح في رجوع الضميرإلى أقرب مذكور، وانظر قولاً آخر لابن زيد رواه الطبري في تفسيره ج 16 ص 379 - 382 في قصة عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة، وقد رد الطبري هذا القول ولم يرتضه.

قال مجاهد: الملائكة من أمر الله بالليل والنهار. وإنهم يجتمعون عند صلاة الصبح وعند صلاة المغرب. وبعضهم يقول: يحفظونه من أمر الله، أي: بأمر الله. وقال بعضهم: هم ملائكة الله يتعاقبونكم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فيجتمعون عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلّون وتركناهم وهم يصلّون[1].

ذكر مجاهد قال: ما من آدمي إلا ومعه ملكان يحفظانه في ليله ونهاره، ونومه ويقظته، من الجن والإنس والدواب والسباع والهوام، وأحسبه قال: والطير، كلما أراده شيء قالا: إليك حتى يأتي القدر.

وقال بعض أصحاب النبي عليه السلام: ما من آدمي إلا ومعه ملكان: ملك يكتب عمله، وملك يقيه ما لم يقدر له.

وقال الحسن: إن الملائكة المعقبات الذين يتعاقبون بالليل والنهار أربعة أملاك: ملكان بالليل وملكان بالنهار.

ذكر بعضهم أن في مصحف أبي بن كعب: له معقّبات من بين يديه، ورقيب من خلفه.

وتفسير الكلبي (يَحْفَظُونَهُ) أي: يحفظون عمله؛ كقوله: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِراماً كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) [الانفطار: 10 - 12]، وهم يتعاقبون، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، يتعاقبون ببني آدم ويحفظون أعمالهم.

قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾. وقال في الآية

(1) حديث صحيح أخرجه الربيع بن حبيب من طريق جابر بن زيد عن أبي هريرة وأوله: «يتعاقب فيكم»... وأخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب فضل صلاة العصر، انظر فتح الباري ج 2 ص 33 - 37. وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (رقم 632).

الأخرى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) [سورة إبراهيم: 28]، وذلك أن الله، إذا بعث إلى قوم رسولاً فكذبوه، أهلكهم. كقوله: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتَ ءَامنةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) وهم أهل مكة (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) [النحل: 112 - 113]. وذلك العذاب هو الجوع الذي كان أصابهم، ثم عذِّبوا بعد ذلك بالسيف يوم بدر.

قال: ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً ﴾ يعني عذاباً[1] ﴿ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّنْ دُونِهِ مِن وَّالٍ ﴾ يمنعهم من عذاب الله.

قوله: ﴿ هُوَ الذِي يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾ يخاف أذاه [ومعرته][2] والنصب فيه، وطمعاً للمقيم يرجو منفعته وبركته ويطمع في رزق الله.

وبعضهم يقول: خوفاً من البَرَد أن يهلك الزرع، وطمعاً في المطر أن يُنتَفَع به في الزرع[3]. وتفسير الحسن: خوفاً: يخيف به عباده لما فيه من الخوف والصواعق، وطمعاً يرجون به المطر. وقال: والبرق ضوء خلقه الله عَلَماً للمطر.

قوله: ﴿ وَيُنْشِيءُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ قال مجاهد: هي التي فيها الماء. وهو مثل قوله: (حَتَّى إِذَا قَلَّتْ سِحَاباً ثِقَالاً) [الأعراف: 57].

قوله: ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ أي: والملائكة أيضاً يسبّحون بحمده من خيفته.

---

(1) في المخطوطات: «يعني استئصالهم» وأثبت ما في ز، ورقة 160 لأنه أنسب وأعم. قال أبو عبيدة في مجاز القرآن: «(وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً) مضموم الأول، ومجازه هلكة، وكل جذام وبرص وعمى، وكل بلاء عظيم فهو سُوء مضموم الأول، وإذا فتحت فهو مصدر سؤت القوم. . .».

(2) زيادة من ز، ورقة 160.

(3) كذا في ق وع: «أن ينتفع به في الزرع» وهو أنسب، وفي ج ود: «ينتفع به في الرزق».

قال بعضهم: والرعد ملك يزجر السحاب بالتسبيح. وكان بعض الصحابة إذا سمع الرعد قال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته.

وقال الكلبي: هو ملك اسمه الرعد، والصوت الذي يسمع هو تسبيحه، يؤلف به السحاب بعضَه إلى بعض، ثم يسوقه حيث أمر. وبعضهم يقول: كما يسوق الحادي الإبل.

ذكروا عن عبد الله بن عمر قال: ليس شيء أشد سياقاً من السحاب. ذكروا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: البرق مخاريق الملائكة.

ذكروا عن ابن عباس أنه كتب إلى أبي الجلد يسأله عن البرق، فكتب إليه أن البرق ماء[1].

وقال بعضهم: إن البرق لمحة يلمحها الملك إلى الأرض، وهو الملك الذي يزجر السحاب.

وذكر بعضهم قال: من سمع الرعد فقال: سبحان ربي وبحمده لم تصبه صاعقة.

قوله: ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَّشَاءُ ﴾. ذكروا عن الحسن أن الملك يزجر السحاب بسوط من نار، وربما انقطع السوط، وهو الصاعقة[2].

---

(1) هو أبو الجَلْد جيلان بن فروة الأسدي البصري. قال عنه ابن أبي حاتم: صاحب كتب التوراة ونحوها. وثقه ابن سعد، وابن حبان. وقد روى الطبري بسندٍ هذا الخبر في تفسيره، ج 1 ص 340. وفيه أن ابن عباس كتب إليه يسأله عن الرعد فأجابه أبو الجلد فقال: الرعد مَلَك. وبنفس السند روى الطبري في ج 16 ص 387 هذا الخبر: «كتب ابن عباس إلى أبي الجلد يسأله عن البرق، فقال: البرق، الماء».

(2) لا أساس لهذه الأقوال كلها من كتاب أو سنة صحيحة، وهي وأمثالها من الإسرائيليات التي شُحِنَت بها كتب التفسير الأولى، ونقلها الرواة بدون تمحيص. فنحن نؤمن بأن الرعد يسبّح مصداقاً لقوله تعالى في هذه الآية، وفي الأخرى في قوله: (وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) [الإسراء: 44]، ولكن لا نصدّق أبداً أن الرعد اسم ملك، أو أن =

قوله: ﴿ وَهُمْ يُجَـٰدِلُونَ فِي اللَّهِ ﴾ أي: المشركون يجادلون نبي الله، أي: يخاصمونه في عبادتهم الأوثانَ دون الله ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ ﴾.

ذكروا أن رجلًا أنكر القرآن[1] وكَذَّب بالنبي عليه السلام، فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته، فأنزل الله: (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَّشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ).

قال بعضهم: المِحال: القوة والحيلة. وقال مجاهد: شديد القوى. وقال الحسن: شديد النقمة. وقال الكلبي: شديد الجدال.

قوله: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ ﴾ أي: لا إلـه إلا الله، هي دعوة الحق. قال: ﴿ وَالذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ﴾ أي: الأوثان ﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ﴾ وهو مثل الذي يعبد الأوثان إذا رجا الحياة في عبادته[2] كالذي يرفع بيده الإناء الذي فيه الماء يرجو به الحياة فمات قبل أن يصل إلى فيه.

وقال بعضهم: كباسط كفّيه إلى الماء يدعو الإناء الذي فيه الماء ليأتيه فمات قبل أن يأتيه الإناء. يقول: فكذلك المشركون حيث رجوا منفعة آلهتهم ضلّت عنهم فهلكوا.

= البرق مخاريق الملائكة، أو أنه لمحة ملك يزجر السحاب. وهذا قبل أن يأتي العلم الحديث فيفنّد كل هذه الأقوال الخرافية. ومن العجيب أن يكتب هذا بعضُ المفسرين وينسبون أمثال هذه الأباطيل إلى الصحابة، ويروون هذه الأساطير وهم يتلون قوله تعالى من سورة النور: 43: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) فاللهم إنا نعوذ بك من الجهل ومن العجز والكسل، ووفقنا يا رب إلى التفكير في آياتك المجلوّة في الأكوان، وإلى تدبّرَ آياتك المتلوّة في القرآن، وألهمنا الرشاد في أمرنا، والسداد في قولنا، والصلاح في عملنا، وهب لنا من لدنك إيماناً ينير بصائرنا، ويعصمنا من الزلل. آمين.

(1) هو عامر بن الطفيل حسبما ذكره الواحدي في أسباب النزول ص 275 - 276 وما رواه المفسرون: الطبري وابن كثير والقرطبي والسيوطي في تفسير الآية.

(2) كذا في المخطوطات الأربع: «إذا رجا الحياة في عبادته»، وفي ز 160: «إذا رجا الخير في عبادتها».

قال: ﴿ وَمَا دُعَاءُ الكَـٰفِرِينَ﴾ أي: آلهتهم ﴿ إِلاَّ فِي ضَلَـٰلٍ ﴾.

وقال مجاهد: يدعو الماء بلسانه، ويشير إليه بيده ولا يأتيه أبداً.

ذكر بعضهم قال: هذا مثل ضربه الله؛ إن هذا الوثن الذي يدعو من دون الله، إنه لا يستجيب له بشيء، أي: لا يسوق له خيراً، ولا يدفع عنه شراً حتى يأتيه الموت، كمثل هذا الذي يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه، ولا يصل ذلك إليه حتى يموت عطشاً.

قوله: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَٰلُهُمْ بِالغُدُوِّ وَالأَصَالِ ﴾. أي: العشي.

قال الحسن: ولله يسجد من في السماوات، ثم انقطع الكلام. ثم قال: والأرض، أي: ومن في الأرض، طوعاً وكرهاً [أي: طائعاً وكارهاً](1). ثم قال(2): لا يجعل الله من دخل في الإسلام طوعاً كمن دخله كرهاً(3).

وفي تفسير الكلبي: يسجد أهل السماوات طوعاً، ومن ولد في الإسلام، والذي يسجد كرهاً من جبر(4) على الإسلام.

وقال مجاهد: سجود المؤمن طائعاً، وسجود ظل الكافر كارهاً. يقول: يسجد ظله والكافر كاره. وقال الحسن: (وَظِلاَلُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ) يعني سجود ظل الكافر. يعني أنه يسجد له بالغدو والأصال. أما ظله فيسجد له، وأما هو فلا يسجد. وتفسير الكلبي: إذا سجد الرجل سجد ظله معه.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 160.

(2) كذا في المخطوطات الأربع، ثم قال، أي: الحسن، وفي ز، ورقة 160: «قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: والله لا يجعل الله من دخل في الإسلام طوعاً كمن دخله كرهاً.

(3) لم أجده حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ فيما بين يدي من مصادر الحديث. ولعل ناسخ مخطوطة ز وهم فجعله من مراسيل الحسن.

(4) كذا في المخطوطات الأربع: جبر، والثلاثي صحيح، وأفصح منه: أجبر. انظر اللسان: (جبر).

قوله: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَٰوٰتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ هو مثل قوله: (قُل مَن رَبُّ السَّمٰواتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [المؤمنون: 86 - 87] قال الله: فإذا أقروا بذلك أي: أنه الله فـ ﴿ قُلْ أَفَاتَّخَذتُّم مِّنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ وهو على الاستفهام. ﴿ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً ﴾ ولا تغني عنهم أوثانهم التي يعبدون من دون الله. وهذا استفهام على معرفة. أي: قد فعلتم.

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالبَصِيرُ ﴾ وهذا مثل الكافر والمؤمن؛ الكافر أعمى عن الهدى، والمؤمن أبصر الإيمان. ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَٰتُ وَالنُّورُ ﴾ على الاستفهام، أي: إن ذلك لا يستوي.

﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَٰبَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾ يقول: هل يدّعون أن تلك الأوثان خلقت مع الله شيئاً، فلم يدروا أي الخالقين يعبدون؟ هل رأوا ذلك؟ وهل يستطيعون أن يحتجوا به على الله يوم القيامة؟ أي: إنهم لا يدّعون ذلك، وإنهم يعرفون أن الله خالق كل شيء، فكيف يعبدون هذه الأوثان من دون الله. وهذا تفسير الحسن.

ثم قال الله: ﴿ قُلِ اللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَٰحِدُ القَهَّٰرُ ﴾.

وقال مجاهد: (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ) فحملهم ذلك على أن شكّوا في الأوثان، فاتخذوهم آلهة.

قوله: ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَت أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ الكبير بقدره، والصغير بقدره ﴿ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً ﴾ أي: عالياً، يعني الزبد الذي قد ربا فوق الماء.

﴿ وَمِمَّا تُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ﴾ هذه ثلاثة أمثال في مثل واحد ضربها الله للمؤمن والكافر.

فأما قوله: (وَمِمَّا تُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ) فإنه يعني الذهب والفضة إذا أذيبا، فعلا خبثهما، وهو الزبد، فخلص خالصهما تحت ذلك الزبد. (أَوْ مَتَاعٍ) أي: وابتغاء متاع، ما يستمتع به، زبد مثله، أي: مثل زبد الماء. والذي يوقد عليه

ابتغاء متاع هو الحديد والنحاس والرصاص إذا صُفِّيَ ذلك أيضاً فخلص خالصه وعلا خبثه، وهو زبده[1].

قال الله: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الحَقَّ وَالبَاطِلَ ﴾.

قال: ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ ﴾ زبد الماء وزبد الحلي وزبد الحديد والنحاس والرصاص ﴿ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ﴾ أي: باطلاً لا ينتفع به، وهذا مثل عمل الكافر لا ينتفع به في الآخرة ﴿ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: فينتفع بالماء، فينبت عليه الزرع والمرعى، فينتفع به. وينتفع بذلك الحلي والمتاع الخالص من الصفر والحديد والرصاص. فهذا عمل المؤمن يبقى ثوابه في الآخرة.

قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ ﴾. ثم فسّر تلك الأمثال فقال:

﴿ لِلذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ ﴾ أي: آمنوا بربهم ﴿ الحُسْنَىٰ ﴾ أي: الجنة. ﴿ وَالذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ ﴾ أي: الكفار ﴿ لَوَ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: يقال للكافر يوم القيامة: لو أن لك ملء الأرض ذهباً أكنت مفتدياً به؟ فيقول: نعم. فيقال له: كذبت. قد سئلت ما هو أهون من ذلك[2].

قال: ﴿ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الحِسَابِ ﴾ أي: لافتدوا به من سوء الحساب؛ يؤخذون بسيئاتهم، وتحبط حسناتهم؛ أي: قد استوفوها في الدنيا، فلهم سوء الحساب في الآخرة. وسوء الحساب شدته. وحسابهم أن يصيروا إلى النار.

---

(1) في تفصيل هذه الأمثال وردت بعض الأخطاء في المخطوطات أثبت صحتها من ز، ورقة 161. ففي بعضها وردت كلمة الصفر، بدل كلمة الحديد، وفي بعضها فخلص وخلص خالصه.

(2) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً (رقم 2805) كلاهما يرويه من حديث أنس بن مالك.

﴿ وَمَـاوَيٰـهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ أي: ومنزلهم جهنم ﴿ وَبِيسَ المِهَادُ ﴾ أي: وبئس الفراش. والمهاد والفراش والقرار واحد. مثل قوله: (جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً) [البقرة: 22] ومهاداً وبساطاً وقراراً.

قوله: ﴿ أَفَمن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الحَقُّ ﴾ أي: القرآن الحق، ﴿ كَمَنْ هُوَ أَعْمىٰ ﴾ أي: عنه. يعني به الكافر، وهو على الاستفهام. يقول: فهل يستوي هذا المؤمن وهذا الكافر؟ أي: إنهما لا يستويان. ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَـٰبِ﴾ أي: أولو العقول، وهم المؤمنون.

﴿ الذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يَنْقُضُونَ المِيثَـٰقَ﴾ أي: الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم حيث قال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ) [الأعراف: 172]. يقول: أوفوا بذلك الميثاق، يعني المؤمنين الذين آمنوا بمحمد عليه السلام.

وقال بعضهم: هو ميثاق الله الذي أخذه على جميع المؤمنين إذ كلّفهم طاعته، فـ (قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) [البقرة: 285]. وهذا الميثاق لكل من وجب عليه التكليف من البالغين الأصحاء.

قوله: ﴿ وَالذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾. ذكروا عن ابن عباس أنه قال: الذي أمر الله به أن يوصل هو أن يؤمن بالنبيين كلّهم لا يفرق بين أحد منهم. وقال بعضهم: ما أمر الله به أن يوصل من القرابة.

قوله: ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ ﴾. ذكروا عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن قول الله: (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً) [الانشقاق: 8] فقال: ذٰلِك العرض، ولكن من نوقش الحساب عذب[1].

قال: ﴿ وَالذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّـلَوٰةَ ﴾، أي: الصلوات الخمس، وحافظوا على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها.

(1) حديث صحيح متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب. وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب. (رقم 2876).

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها يراه حقاً لله عليه حرُم على النار[1].

قوله: ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ﴾ يعني الزكاة المفروضة في تفسير الحسن. ﴿ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً ﴾. يستحب أن تعطى الزكاة علانية والتطوع سراً. قال ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ يقول: يعفون عن السيئة إذا أسيء إليهم، ولا يكافؤونَ صاحبها. فالعفو عنهم حسنة.

﴿ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ أي: دار الآخرة. والعقبى الثواب، وهو الجنة.

ذكروا أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي جاراً يسيء مجاورتي، أفأفعل به كما يفعل بي؟ قال لا، إن اليد العليا خير من اليد السفلى[2].

قوله: ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ وقد فسّرناه قبل هذا الموضع. ﴿ وَمَنْ صَلَحَ مِنَ ءَابَائِهِمْ﴾ أي: من آمن وعمل صالحاً من آبائهم ﴿ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ﴾. وقال في آية أخرى: (وَالذِي ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَاتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَاتِهِمْ) [الطور: 21] أي: إن الله يرفع إلى المؤمن ولده في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقَرَّ بهم عينُه.

ذكروا أن رسول الله ﷺ سئل عن المرأة يكون لها الزوجان في الدنيا. امرأة أيهما تكون في الجنة؟ قال: امرأة الآخر[3].

قال: ﴿ وَالْمَلَـٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّنْ كُلِّ بَابٍ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾.

(1) انظر ما سلف، ج 1 ص 120.

(2) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ مختلفة وزيادات، عن ابن عمر، وعن حكيم بن حزام، وعن أبي هريرة. ولم أجد سبب ورود الحديث كما ذكر هنا في غير هذا التفسير. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى (رقم 1033 - 1034 - 1035).

(3) أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء ولفظه: أيما امرأة توفي عنها زوجها، فتزوجت بعده، فهي لآخر أزواجها.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: إذا أثاب الله أهل الجنة بالجنة انطُلِق بالرجل منهم إلى سرادق من لؤلؤ في خمسين ألف فرسخ، فيه قبة حمراء من ياقوتة، ولها ألف باب، وله فيها سبعمائة امرأة، فيتكىء على أحد شقيه، فينظر إليها كذا وكذا سنة، ثم يتكىء على الشق الآخر، فينظر إليها مثل ذلك. ثم يدخل عليه من كل باب ألف ملك من ألف باب، معهم الهدية من ربهم، فيقولون له: السلام عليك من ربك، فيوضع ذلك فيقول: ما أحسن هذا! فيقول الملك للشجر حوله: إن ربكن يأمركن أن تقطعن له كل ما اشتهى عن مثل هذا. قال: وذلك كل جمعة، وهو المزيد.

قوله: ﴿ وَالذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَـٰقِهِ﴾ أي: ينقضون الميثاق الذي وثقوه على أنفسهم لله، إذ أقروا بالسمع والطاعة. قال: ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ﴾. وقد فسّرناه قبل هذا[1]. ﴿ أُولَـٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ أي: الدار الآخرة. وسوءها النار، يعني منازلهم في النار.

قوله: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ أي: يوسّع عليه ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: ويقتّر عليه الرزق[2] ﴿ وَفَرِحُوا بِالحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ يعني المشركين ﴿ وَمَا الحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ﴾ أي: ذاهب زائل يستمتع به ثم يذهب. وإن الآخرة باقية.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[3].

قوله: ﴿ وَيَقُولُ الذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا ﴾ أي: هلا ﴿ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُل إِنَّ اللَّـهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أَنَابَ ﴾ أي: إلى الله فأخلص له. وقال بعضهم: أي: من تاب.

---

(1) انظر ما سلف ج 1 ص 91 في تفسير الآية: 27 من سورة البقرة.

(2) قال الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 62: «وقيل يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له في ذلك، أي: يخيّر له. قال ابن عباس: إن الله خلق الخلق وهو بهم عالم، فجعل الغنى لبعضهم صلاحاً، والفقر لبعضهم صلاحاً فذلك الخيار للفريقين».

(3) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 522.

قوله: ﴿الذِينَ ءامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تسكن قلوبهم ﴿ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ قال الحسن: بوعد الله الذي وعدهم من الجنة[1].

قال: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أي: بوعد الله ﴿ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ كقوله: (يَا أَيَّتُها النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) [الفجر: 27 - 30]. وقال بعضهم: (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) أي: هشّت قلوبهم إلى ذكر الله فاستأنست به.

قوله: ﴿ الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾ ذكروا عن ابن عباس أنه قال: طوبى شَجرة في الجنة. وقال بعضهم: طوبى: الجنة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: طوبى شجرة في الجنة لو سار الراكب المجِدّ في ظلها مائة عام ما خرج من ظلها[2].

[وقال بعضهم][3]: ولو أن غراباً طار من أصلها لم يبلغ فرعها حتى يبيض شيباً. ولو أن أمة من الأمم كانت تحت ورقة من ورقها لأظلتهم.

ذكروا عن بعضهم قال: إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى، يسير في ظلها الراكب مائة عام لا يقطعها، زهرها رياط، وورقها برود، وبطحاؤها الياقوت، وكثبانها عنبر، وترابها كافور، من أصلها تنبع أنهار الجنة: الماء والخمر والعسل واللبن. وهي مجلس من مجالس أهل الجنة ومُحَدَّثهم[4].

(1) هذا وجه من وجوه التأويل اقتصر عليه المؤلف هنا. وفي تفسير الذكر أقوال منها: ذكر الله في التسبيح والتهليل والتكبير وفي كل عبادة، ومنها الذكر بمعنى القرآن لأنه من أسمائه. وقد أورد ابن سلام ستة عشر وجهاً للذكر في كتابه التصاريف.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه الطبري بسند يرفعه إلى رسول الله ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري في تفسيره ج 16 ص 443 ولفظه: طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها.

(3) زيادة لا بد منها، لأن ما بعدها ليس تكملة للحديث السابق.

(4) روى هذا الخبر ابن جرير الطبري في تفسيره ج 16 ص 439 - 441 عن وهب بن منبه، ونقله عنه ابن كثير في تفسيره ج 4، ص 91 - 92 ووصف هذا الخبر بأنه غريب عجيب.

وقال بعضهم: طوبى شجرة في الجنة، أصلها في دار محمد ﷺ، وليس في الجنة دار ولا غرفة إلا وغصن منها في تلك الدار.

قوله: ﴿وَحُسْنُ مَئابٍ﴾ أي: وحسن مرجع. أي: صاروا إلى الجنة ونعيمها مثل قوله: (وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ) [آل عمران:]. وقال مجاهد: وحسن مآب، أي: الجنة.

قوله: ﴿كَذٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ يقول: كذلك أرسلناك في أمة كما أرسلنا في الأمم التي قد خلت من قبل هذه الأمم. قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: أنتم توافون سبعين أمة أنتم خيرها وآخرها وأكرمها على الله(1).

قوله: ﴿لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُـرُونَ بـالرَّحْمٰنِ﴾؛ كانوا يقولون: أما الله فنعرفه، وأما الرحمٰـن فلا نعرفه. قال الله: (قُلِ ادْعُوا اللَّهِ أَوُ ادْعُوا الـرَّحْمٰنَ أَيَّامًا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ) [الإسراء: 110]. وقال: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِـلرَّحْمٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا) [الفرقان: 60]. هذا في تفسير الحسن.

وقال بعضهم: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ زمان الحديبية حين صالح قريشاً كتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله. فقال مشركو العرب: إن كنت رسول الله ثم قاتلناك لقد ظلمناك، ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله. فقال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله، دعنا نقاتلهم. قال: لا، ولكن اكتبوا ما يريدون. إنّي لمحمد بن عبد الله [وإني لرسول الله](2). فكتب الكاتب: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ) فقالت قريش: أما الرحمٰـن فلا نعرفه. وكان أهل الجاهلية يكتبون: باسمك اللّهم؛ فقال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله، دعنا نقاتلهم.

(1) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 306.

(2) انظر كتب السيرة في فصل صلح الحديبية. وانظر صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، من حديث المسور بن مخرمة ومروان وفيه: «وإني لرسول الله وإن كذبتموني».

قال: لا، ولكن اكتبوا كما يريدون، فأنزل الله (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ)[1].

﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾. قال الحسن: يعني التوبة.

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءاناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَىٰ ﴾.

وذلك أن رهطاً من قريش قالوا: يا محمد، إن كنت كما تزعم فسيِّر لنا هذه الجبال من مكة، فإنها ضيّقة. قال لا أطيق ذلك. قالوا: فسخّر لنا الريح لنركبها إلى الشام فنقضي عليها مَيْرنا[2] وحاجتنا حتى نرجع من يومنا إن كنت رسول الله، فإنها قد سخّرت لسليمان بن داود، ولست بأهون على الله من سليمان بن داود. قال: لا أستطيع. قالوا فابعث لنا بعض من قد مات منا فنسألهم أحق ما تقول أم باطل، فإن عيسى قد كان يحيي الموتى ـ كما زعمت ـ لقومه، ولست بأهون على الله منه إن كنت رسوله. قال: لا أستطيع ذلك، فأنزل الله: (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَىٰ) يقول لو أنا فعلنا ذلك بقرآن غير قرآنك فعلنا بالقرآن الذي أنزلناه إليك.

وقال الحسن: قالوا إن أرضنا أرض ضَيِّقة، فادع لنا ربك بقرآنك هذا حتى تسير عنا جبال تهامة حتى نزرع فيها، وتفجر لنا أنهاراً وعيوناً فإنا أصحاب آبار، وأَحْيِ لنا أمواتنا حتى يشهدوا أنك رسول الله فنؤمن بك. وهو قوله: (وَقَالُوا لَن نُّومِنَ لَكَ حَتَّىٰ تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ...) إلى آخر الآيات. [الإسراء: 90 - 93] فقال الله: لو أن بلاغة قرآن بلغت عند الله ما يسيِّر به الجبال أو يفجّر به الأنهار أو يحيي الموتى لبلغت بلاغة هذا القرآن بمنزلته وكرامته عند الله.

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 16 ص 445 عن قتادة مرسلاً.
(2) انظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص 276، تعليق: 3.

قال الله: ﴿ بَل لِّلَّه الأَمْرُ جَمِيعاً ﴾.

وقال مجاهد: سألت قريش النبي عليه السلام أن يفسح لهم جبال مكة، ويقطع لهم الأرض بينهم وبين الشام، ويحيي لهم موتاهم، فقال الله لمحمد: لو فعلنا هذا بنبي قبلك فعلناه بك.

وذكر بعضهم قال: ذكر لنا أن قريشاً قالت لنبي الله: إن سرك أن نتبعك فسيّر لنا جبال تهامة، وزد لنا في حرمنا حتى نتخذ قطائع نحترث فيها، وأحي لنا فلاناً وفلاناً، لأناس ماتوا في الجاهلية، فأنزل الله هذه الآية. يقول: لو فعلنا هذا بقرآن غير قرآنكم فعلناه بقرآنكم.

قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْئَسِ الذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ﴾. وهو على الاستفهام، أي: قد تبيَّن للذين آمنوا. وقال في آية أخرى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآَمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ بربهم جَمِيعاً).

قوال بعضهم: (أَفَلَمْ يَاْيْئَسِ الذِينَ ءَامَنُوا) يقول: ألم يعرف الذين آمنوا ويتبيّن لهم (أن لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً)[1].

قوله: ﴿ وَلاَ يَزَالُ الذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ﴾ وهي السرايا، سرايا رسول الله عليه السلام، يصيبهم الله منها بعذاب، يعني المشركين. ﴿ أَوْ تَحُلُّ ﴾ أنت يا محمد[2] ﴿ قَرِيباً مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ﴾ [يعني فتح مكة في تفسير مجاهد وقتادة [3] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ المِيعَادَ ﴾.

(1) هذا المعنى أورده أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 332 حيث قال: «(أفلم يايئس)؛ مجازه: ألم يعلم ويتبيّن. قال سحيم بن وثيل اليربوعي:

أَقُولُ لَهُم بِالشِّعْبِ إِذْ يَـأْسِـرُونَنِي   أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ

(2) هذا قول نسب إلى ابن عباس وإلى مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم، حسبما رواه الطبري في تفسيره ج 16 ص 457 - 458، وهنالك قول آخر نسب إلى الحسن يذهب إلى أن الضمير في (تَحلّ) راجع إلى القارعة، أي: أو تحل القارعة. ولكل وجه من التأويل صحيح. وقد روى السيوطي في الدر المنثور ج 4 ص 64 قولاً يؤيد به القول الأول ويفصله؛ روى عن مجاهد أنه قال: (أَوْ تَحلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ) قال: الحديبية.

(3) زيادة من ز، ورقة 162 ومن كتب التفسير.

قوله: ﴿ وَلَقَدُ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: لم آخذهم عند استهزائهم بأنبيائهم، ولكن أمليت لهم، أي: أخرتهم حتى بلغ الوقت. ﴿ ثُمَّ أَخذتُهُمْ فكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾. على الاستفهام. أي: كان شديداً. وكان الحسن إذا أتى على هذا قال: كان والله شديداً.

قوله: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾. قال بعضهم: ذلكم الله. وهذا على الاستفهام. قال الحسن: هو الله القائم على كل نفس بما عملت حتى يجزيها به.

قال: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ يقول هل يستوي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت هو وهذه الأوثان التي عبدوها؟ قال: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ) [قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ وقال في آية أخرى: (إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) [النجم: 23] أي: من حجة أنها آلهة.

قال: ﴿ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ ﴾ على الاستفهام. يقول: قد نبَّأتموه بما لا يعلم في الأرض، أي: لا يعلم أن في الأرض آلهة معه، أي: أنه يعلم أنه ليس معه إلـٰه في الأرض ولا في السماء. ﴿ أَمْ بِظَاهِرٍ مِّنَ القَوْلِ ﴾ قال مجاهد: أو بظن من القول. وقال بعضهم: الظاهر من القول الباطل. وقال الكلبي: (أَمْ بِظَاهِرٍ مِّنَ القَوْلِ) أي: الزور من القول، وهو واحد.

﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ ﴾ أي: شركهم. قال مجاهد: قولهم، وهو الشرك. ﴿ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ﴾ أي: سبيل الهدى.

قال: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يهديه ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ يعني مشركي العرب، بالسيف يوم بدر، ولآخر كفار هذه الأمة بالساعة، يعني النفخة الأولى. ﴿ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ ﴾ من عذاب الدنيا ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴾ أي: يقيهم عذابه.

قوله: ﴿ مَثَلُ الجَنَّةِ ﴾ أي: صفة الجنة ﴿ التِي وُعِدَ المُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ﴾.

ذكروا أن أنهار الجنة تجري في غير خدود: الماء واللبن والعسل والخمر، فهو أبيض كله، فطينة النهر مسك، ورضراضه الدرّ والياقوت، وحافاته قباب اللؤلؤ المجوّف.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: بينا أنا في الجنة، يعني ليلة أسري به، إذا أنا بنهر، حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فضربت بيدي إلى مجرى الماء، فإذا مسك أذفر، فقلت ما هذا يا جبريل؟ فقال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله(1).

قوله: ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ ﴾ أي: ثمرها لا ينفد ﴿ وَظِلُّهَا ﴾ أي: دائم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن أهل الجنة ليتناولون من قطوفها وهم متكئون على فرشهم؛ فما تصل إلى في أحدهم حتى يبدّل الله مكانها أخرى(1).

ذكروا عن ابن مسعود قال: نخل الجنة نضيد ما بين أصلها إلى فرعها. وتمرها كالقلال. كلما نزعت تمرة عادت تمرة. وأنهارها تجري في غير خدود، العنقود منها إثنا عشر ذراعاً منضود من أعلاه إلى أسفله، ليس في شيء منه عجم، أحلى من العسل، وأشد بياضاً من الثلج واللبن، وألين من الزبد. كلما نزع منه شيء أعاده الله كما كان.

ذكروا أن رسول الله ﷺ حدث عن ليلة أسري به فكان في حديثه: . . . ثم أعطيت الكوثر فسلكته حتى انفجر بي في الجنة، فإذا الرمّانة من رمّانها مثل جلد البعير المقتّب.

قوله: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الذِينَ اتَّقَوْا ﴾ يعني الجنة. ﴿ وَّعُقْبَى الكَـٰفِرِينَ النَّارُ ﴾.

---

(1) حديث صحيح، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض؛ عن أنس بن مالك، والأذفر هنا الريح الطيبة الذكية. وقيل الأذفر هو الخالص الذي لا خلط له.

(2) لم أجده بهذا اللفظ عينه فيما بين يدي من المصادر، وقد روي عن البراء بن عازب قال: إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين. والحديث موقوف وإسناده حسن من رواية البيهقي.

قوله: ﴿ وَالذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ الكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ قال بعضهم: يعني من آمن منهم. وقال بعضهم: هؤلاء أصحاب النبي عليه السلام فرحوا بكتاب الله. ﴿ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ ﴾ الأحزاب ها هنا اليهود والنصارى ينكرون بعض القرآن، ويُقرّون ببعضه، أي: بما وافقهم.

﴿ قُل إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنَ اعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَئابِ﴾ أي: وإليه مرجعي.

قوله: ﴿ وَكَـذٰلِكَ أَنـزَلْنَـٰهُ حُكْمـاً عَرَبِيّـاً ﴾ يعني القرآن[1] ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ أي: أهواء المشركين حتى لا تبلغ عن الله الرسالة ﴿ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ ﴾ قال: ﴿ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ ﴾ أي: يتولى دفع العذاب عنك ﴿ وَلاَ وَاقٍ ﴾أي: يقيك عذابه إن فعلت، ولست فاعلاً.

قوله: ﴿ وَلَقَدَ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمُ أَزْوٰجـاً وَذُرِّيَّةً ﴾. نزلت حين قال اليهود: لو كان محمد رسولاً لكان له همّ عيرُ النساء والتماس الولد.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَّأتِيَ بِئَايَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: إلا بأمر الله. قال مجاهد: قالت قريش لما نزلت: يا محمد، ما نراك تملك من الأمر شيئاً، ولقد فرغ من الأمر، فأنزل الله هذه الآية تخويفاً ووعيداً لهم.

قال: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ قوله: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ تفسير مجاهد: يمحو الله ما يشاء ويثبت في كل ليلة القدر إلا الشقاء والسعادة. وذكر بعضهم فقال: هي مثل قوله: (مَا نَنْسَخْ مِن آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا) [البقرة: 106].

وتفسير الحسن أن آجال العباد عند الله؛ في الكتاب أجل فلان كـذا وكذا، وأجل فلان كذا وكذا فيمحو الله من ذلك الكتاب ما يشاء، أي: يمحو منه من انقضى

(1) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 334: «(حُكْماً عَرَبِيّاً) أي: ديناً عربياً أنزل على رجل عربي. وقال الطبري في تفسيره ج 16 ص 475: «وجعل ذلك عربياً ووصفه به، لأنه أنزل على محمد ﷺ وهو عربي، فنسب الدين إليه، إذ كان عليه أنزل».

أجله، ويثبت من لم يجىء أجله، فيدعه مثبتاً في الكتاب حتى ينقضي أجله، فيمحي من ذلك الكتاب.

وبعضهم يقول: قال الله: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ). [سورة قٓ: 18] أي: يكتب ما يقول، فإذا كان كل يوم اثنين وخميس مُحِيَ منه ما لم يكن خيراً أو شـراً، وأثبت ما سوى ذلك من خيرأوشر.

ذكروا أن عمر بن الخطاب كان يطوف بالبيت ويقول: اللّهم إن كنت كتبت علي ذنباً أو إثماً أو ضغناً فامحه عني، فإنك قلت: (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ).

قوله: ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَـٰبِ﴾ ذكروا أن كعباً قال لعمر بن الخطاب: لولا هذه الآية لحدثتك بما هو كائن إلى يوم القيامة: (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾. وأم الكتاب: اللوح المحفوظ.

ذكروا عن كعب أنه قال: إن أقرب الملائكة إلى الله إسرافيل، وله أربعة أجنحة: جناح بالمشرق، وجناح بالمغرب، وقد تسرول بالثالث، والرابع بينه وبين اللوح المحفوظ. فإذا أراد الله أمراً أن يوحيه جاء الله حتى يصفق جبهة إسرافيل فيرفع رأسه فينظر، فإذا الأمر مكتوب؛ فينـادي جبريل فيلبيه فيقول: أمرت بكذا، أمرت بكذا. فلا يهبط جبريل من سماء إلى سماء إلا فزع أهلها مخافة الساعة، حتى يقول جبريل: الحقّ من عند الحقّ فيهبط على النبي. فيوحي إليه. [وتفسير أم الكتاب جملة الكتاب وأصله][1].

قوله: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الذِي نَعِدُهُم أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ في تفسير الحسن أن الله أخبر محمداً ﷺ أن له في أمته نقمة، ولم يخبره أفي حياته تكون أم بعد موته. قال: (وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) وفيها إضمار. وإضمارها: (فَإِنَّا مِنْهُم مُّنْتَقِمُونَ). وهي مثل الآية الأخرى: (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنْتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ) [الزخرف: 41 - 42].

(1) زيادة من ز، ورقة 163.

ذكروا عن الحسن في تفسير هذه الآية أنه قال: كانت نقمته شديدة؛ أكرم الله نبيّه أن يريه ما كان في أمته من النقمة بعده.

قوله: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ ﴾ أي: إنما عليك أن تبلغهم، (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ)، أي: أن تكرههم على الإيمان، كقوله: (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُومِنِينَ) [يونس: 99].

قوله: ﴿ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ أي: يوم القيامة. ثم أمر بقتالهم على الإيمان. ولا يستطيع أن يكرههم على الإيمان. إنما يقاتلهم عليه. وإنما يؤمن من شاء الله أن يؤمن.

قوله: ﴿ أَوَلَـمْ يَرَوا أَنَّا نَاتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِن أَطْرَافِهَا ﴾. ذكروا عن عكرمة أنه قال: ينقصها من أطرافها بالموت. وقال بعضهم: موت الناس. وقال مجاهد: موت أهلها؛ وهو واحد.

وذكر ابن عباس قال: موت فقهائها وعلمائها(1).

وقال الحسن: ننقصها من أطرافها بالفتوح على النبي عليه السلام؛ ألا تراه يقول في الآية الأخرى: (أَفَهُمُ الغَالِبُونَ) [الأنبياء: 44] أي: أنهم ليسوا بالغالبين، ولكن رسول الله وأصحابه هم الغالبون.

وتفسير الكلبي: ننقصها من أطرافها بالقتل والسبي، موافقاً لقول الحسن.

وذكر الحسن أن الله يبعث ناراً قبل يوم القيامة تطرد الناس إلى الشام، تنزل معهم إذا نزلوا، وترتحل معهم إذا ارتحلوا، تطردهم إلى الشام، ثم تقوم عليهم الساعة بالشام.

ذكر بعضهم قال: ما ينقص من الأرضين يزداد في الشام، وما ينقص من الشام يزداد في فلسطين.

---

(1) وقال عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 334: «مجازه: ننقص من في الأرض ومن في نواحيها من العلماء والعباد».

قوله: ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ أي: لا راد لحكمه ﴿ وَهُوَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ إذا أراد الله أن يعذّب قوماً كان عذابه إياهم أسرع من الطرف، يعني الذين كذبوا رسله. يخوف بذلك المشركين.

قوله: ﴿ وَقَدْ مَكَرَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: من قبل مشركي هذه الأمة، فكان مكرهم في تباب، أي: في خسار.

قال الله: ﴿ فَلِلَّهِ المَكْرُ جَمِيعاً ﴾ فمَكَر بهم؛ أهلكهم أحسن ما كانوا في دنياهم حالاً وأعزّه. وقال في آية أخرى: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِي إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ. ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ) أي: مكان الشدة الرخاء (حَتَّى عَفَوا) أي: حتى كثروا (وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ) أي: قد أتى على آبائنا مثل هذا فلم يكن شيء. قال الله: (فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً) أي: فجأة (وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) [الأعراف: 94 - 95].

قوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ أي: ما تعمل كل نفس ﴿ وَسَيَعْلَمُ الكُفَّرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ أي: لمن الجنة.

قوله: ﴿ وَيَقُولُ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: يقولون لمحمد ﴿ لَسْتَ مُرْسَلاً ﴾ أي: لستَ برسول الله. ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَـٰبِ ﴾ أي: إني مرسل.

وهو كقوله: (الذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) [سورة البقرة: 146] أي: يعرفون أن محمداً رسول الله؛ بل معرفتهم لمحمد أنه رسول الله، لِمَا جاءتهم به أنبياؤهم وما يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، أثبتُ؛ لأن أبناءهم لا يدرون ما أحدثت نساؤهم فيهم؛ ومحمد لا يشكّون أنه رسول الله، بما جاءتهم به أنبياؤهم من عند الله، وبما وجدوا في كتبهم التي أنزلها الله عليهم.

ذكروا عن عبد الله بن سلام قال: فيّ نزلت هذه الآية: (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ).

قال الحسن: هو الله. وقال بعضهم: علم الكتاب أي: أصل الكتاب وجِماعه.

وبعضهم يقرأ هذا الحرف: (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الكِتَابِ) يقول: من عند الله علم الكتاب[1].

وقال بعضهم: (وَيَقُولُ الذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً) يعني مشركي العرب. (قُلْ) يا محمد (كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ) قال: قد كان من أهل الكتاب قوم يهدون بالحق ويعرفونه؛ منهم عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وكعب.

(1) انظر معاني الفراء، ج 2 ص 68. وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلق، كما جاء في التعليق.

تفسير سورة إبراهيم عليه السلام، وهي مكية كلها[1]

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾. قوله: ﴿ الٓر كِتَـٰبٌ أَنْزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾ يعني من أراد الله أن يهديه ﴿مِنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من الضلالة إلى الهدى. ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾أي: بأمر ربهم ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطِ العَزِيزِ ﴾ أي: إلى طريق العزيز ﴿ الحَمِيدِ ﴾ وهو الإسلام، طريق إلى الجنة.

وتفسير العزيز، أي: العزيز في نقمته. والحميد المستحمد إلى خلقه؛ استوجب عليهم أن يحمدوه. بلغنا ان عبد الله بن مسعود أو ابن عمر قال: ترك النبي ﷺ طرف الصراط عندنا وطرفه في الجنة.

﴿ اللَّهُ الذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ أي: في الآخرة. ﴿ الذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ﴾ أي: يختارون ﴿الحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾ أي: لا يقرون بالآخرة ﴿ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾ أي: يبغون السبيل أي: الطريق، عوجاً، أي: الشرك[2] ﴿ أُولَـٰئِكَ فِي ضَلَـٰلٍ بعيدٍ ﴾.

(1) في نسختي ج ود زيادة هي هذه: وهي مكية كلها «إلا آيتين: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً. . .) إلى آخر الآيتين».

(2) في المخطوطات: «ويبغون السبيل الطريق الأعوج أي: الشرك». وأثبت ما جاء في ز، ورقة 163. لأنه أدق تعبيراً وأقرب إلى سياق الآية.

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [قال بعضهم: بلغة قومه][1]. [لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَّشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَّشَاءُ ﴾ أي: بعد البيان ﴿ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ أي: العزيز في نقمته الحكيم في أمره.

قوله: ﴿ وَلَقَدَ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِئَايَٰتِنَا﴾ قال الحسن: بديننا. وقال مجاهد: بالبيان[2]. ﴿ أَنَ اخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي: من الضلالة إلى الهدى ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّـٰمِ اللَّهِ ﴾ أي: بنعم الله في تفسير الحَسن ومجاهد. قال الحسن: التي أنعم الله عليهم بها إذ نجاهم من آل فرعون، وأنزل عليهم المنّ والسلوى، وما أنعم عليهم به.

وقال الكلبي: (وذكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ): النعيم والبلاء؛ يذكّرهم ما أنعم الله عليهم، ويذكرهم البلاء، كيف أهلك قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب. يقول: ذكرهم هذا وهذا. وقد قال في آية أخرى: (قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) [الجاثية: 14] أي: أيام الآخرة، وهم المشركون، ثم أمر بقتالهم بعدُ. قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لأَيَـٰتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ والشكور هو المؤمن.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ثم أخبر بتلك النعمة فقال: ﴿ إِذَ أَنْجَيْكُم مِّنَ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ ﴾ أي: يذيقونكم شدّة العذاب ﴿ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ أي: فلا يقتلونهن ﴿ وَفِي ذَٰلِكُمْ ﴾ أي: فيما نجاكم منهم ﴿ بَلاَءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ أي: نعمة من ربكم عظيمة[3]. وقال

(1) زيادة من ز، ورقة 163. والقول لقتادة.

(2) كذا في المخطوطات: «بالبيان». وفي تفسير مجاهد، ص 333: «بالبينات». وفي تفسيرالطبري ج 16 ص 518: «عن مجاهد: التسع الآيات: الطوفان وما معه.

(3) هذا وجه من وجهي التأويل، وقد أورد الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 69 الوجهين معاً فقال موضحاً وموجزاً: «يقول: فيما كان يصنع بكم فرعون من أصناف العذاب بلاء عظيم، من البلية. ويقال: في ذلكم نِعَم من ربكم عظيمة إذ أنجاكم منها. والبلاء قد يكون إنعماً وعذاباً ألا ترى أنك تقول: إن فلاناً لحسن البلاء عندك، تريد الإنعام عليك».

في آية أخرى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ) أي: بغى في الأرض (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً) [القصص: 4] أي: فرقاً؛ يقتل طائفة، ويستحيي طائفة، ويستعبد طائفة، فهو الذي كان يسومهم سوء العذاب.

قوله: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾ قال بعضهم: وإذ قال ربكم. وقال الحسن: (تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ) يقول: أعلمكم ربكم ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ ﴾ أي: آمنتم ﴿ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ أي: في النعم ﴿ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ أي: الآخرة.

وهو كقوله: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾ [سورة هود: 52]. وكقوله: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) أي: إذا لأعطتهم السماء مطرها والأرض نباتها. (وَلَـٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَـٰهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [الأعراف: 96] أي يعملون، يخوّفهم ما أهلك به الأمم السالفة.

قوله: ﴿ أَلَمْ يَاتِكُمْ نَبَؤُا الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ أي: خبر الذين من قبلكم ﴿ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ أي: كيف أهلكهم. وقوله: (والذِينَ مِن بَعْدِهِمْ) كقوله: (وَقُرُوناً بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيراً وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيراً) [الفرقان: 38 - 39] أي: دمرنا تدميراً.

قوله: ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: جعلوا أيديهم في أفواههم، أي: في أفواه الأنبياء، تكذيباً لهم بما جاءوا به من عند الله. وقال بعضهم: (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) أي: بأفواههم [أي: بألسنتهم][1] فكذبوهم. وقال بعضهم: (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) أي: عضّوا أناملهم، أي: غيظاً عليهم؛ مثل قوله في المنافقين: (وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ) [آل عمران: 119].

---

(1) زيادة من معاني الفراء للإيضاح. وانظر مختلف وجوه تأويل هذه العبارة في معاني القرآن للفراء، ج 2 ص 69 - 70 فقد بيّنها بتفصيل.

﴿ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾.

قوله: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ ﴾ أي: قالت لهم رسلهم ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: خالق السماوات والأرض أنه لا إلـه غيره. وهو على الاستفهام. أي: إنه ليس فيه شك أنه خالق السماوات والأرض وأنه لا إلـه غيره. فأنتم تقرون أنه خالق السموات والأرض فكيف تعبدون غيره؟.

قوله: ﴿ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ أي: إن آمنتم. ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: إلى آجالهم بغير عذاب إن آمنوا، فلا يكون موتهم بالعذاب.

﴿ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ أي: لا يوحى إليكم ﴿ تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا ﴾ يعنون الأوثان ﴿ فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بحجة بينة.

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ أي: بالنبوة فيوحي إليه. ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ ﴾ أي: بحجة ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أي: إلا بأمر الله ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُومِنُونَ ﴾.

﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا ﴾ أي: سبل الهدى ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا ءَاذَيْتُمُونَا ﴾ يعنون قولهم للأنبياء: إنكم سحرة، وإنكم كاذبون.

قال الله: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ ﴾ أي: الذين أرسلوا إليهم ﴿ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّن أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ وهذا حيث أذن الله للرسل فدعوا عليهم فاستجاب لهم.

﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ أي: من بعد إهلاكهم. قال [بعضهم](1) وعدهم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة.

﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾. والمقام في تفسير الحسن المقام

(1) زيادة يقتضيها سياق الكلام

بين يدي الله للحساب. وفي تفسير مجاهد: من خاف الله أنه قائم عليه بعمله. قال: . مثل قوله: (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) [الرعد: 33]

قوله: ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا ﴾ يعني الرسل كلهم في تفسير مجاهد؛ دعوا على قومهم فاستجاب لهم.

وفي تفسير الكلبي: لما دعا عليهم الرسل قال قومهم: اللهم إن كان رسلنا صادقين فيما يقولون فأهلكنا، وإن كانوا كاذبين فأهلكهم.

قال بعضهم: استنصرت الرسل على قومها حين استيقنوا أنهم لا يؤمنون.

قال الله: ﴿ وَخَابَ ﴾ أي: وخسر ﴿ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ وهو المشرك. قال مجاهد: معاند للحق مجتنبه.

قوله: ﴿ مِن وَّرَائِهِ ﴾ أي: من بعد هذا العذاب الذي كان في الدنيا[1] ﴿ جَهَنَّمُ ﴾ أي عذاب جهنم. ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴾ والصديد غسالة أهل النار، أي: ما يسيل من جلودهم من القيح والدم. وقال بعضهم: هو ما يسيل من بين جلده ولحمه.

﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ أي: من كراهيته له؛ وهو يسيغه، لا بد له منه، فتتقطع أمعاؤه. ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ وهي النار لشدة ما هم فيه، ولكن الله عزّ وجلّ قضى عليهم ألا يموتوا. هذا تفسير الحسن. وبعضهم يقول: حيات وعقارب تنهشه من كل ناحية. ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَّرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ كقوله: (فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُم إِلَّا عَذَاباً). [النبأ: 56].

ذكروا أن رجلاً من أصحاب النبي عليه السلام قال: لما ذكر الله النار قلت: ابن

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 1 ص 337: «(من ورائه جهنم) مجازه: قدامه وأمامه، يقال: إن الموت من ورائك، أي: قدامك. وقال:

أَتُـوعِـدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِيَـاحٍ كَـذبتَ لَتقْصُـرَنَّ يَـدَاكَ دُونِي

أي: قدام بني رياح وأمامهم.

آدم ضعيف، فإنما تكفيه لذعة من النار حتى يقضي[1]. ثم أنزل الله: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ﴾ و ﴿لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا﴾ [سورة طه: 74] فقلت: الآن حين أخذ الله نقمته من أعدائـه.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: غلظ جلد الكافر سبعون ذراعاً، وضرسه مثل أُحُد، وفخذه مسيرة يومين، وزاد فيه بعضهم عن ابن مسعود: وإني لأظنه يشغل من جهنم مثل ما بيني وبين المدينة. وبلغنا عن بعضهم قال: أهل النار يعظمون لها ولولا ذلك لألهبتهم كما تلهب الذبّان.

قوله: ﴿ مَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيـحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ يعني شدة الريح ﴿ لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ﴾ أي: مما عملوا من خير على شيء في الآخرة، أي: قد جوزوا به في الدنيا، مثل الرماد الذي اشتدت به الرياح في يوم عاصف فأطارته، فلم يقدر منه على شيء، فكذلك أعمال الكفار. قال: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَٰلُ البَعِيدُ ﴾ أي: من الهدى.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: يصير الأمر إلى البعث والحساب والجنة والنار. كقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَٰلِكَ ظَنُّ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: ألا بعث ولا حساب، ولا جنة ولا نار. ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [سورة صۤ: 27].

قوله: ﴿ إِن يَّشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ أي: يهلككم بعذاب فيستأصلكم ﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ أي: آخرين. ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [أي: لا يشق عليه][2].

قوله: ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ ﴾ وهم السفلة والأتباع ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ وهم الرؤساء والكبار والدعاة إلى الكفر ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً ﴾ أي:

(1) في المخطوطات: «تكفيه لديغة من النار حتى تطفي» وهو خطأ، وفيه تصحيف صوابه ما أثبت، «لذعة... حتى يقضي» أي: حتى يهلك ويموت.

(2) زيادة من ز، ورقة 164.

بدعائكم إيانا إلى الشرك. ﴿ فَهَلْ أَنْتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَيٰنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ أي: من مهرب ولا من معدل من عذاب الله.

وقال بعضهم: إنهم يقولون إذا اشتد عليهم العذاب وجزعوا تعالوا نصبر، فيصبرون فلا ينفعهم شيئاً، فيقولون: (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ) أي: من منجاة.

﴿ وقال الشَّيْطَـٰنُ﴾ يعني إبليس ﴿ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ ﴾ أي: لما حكم وفصل بين العباد، وقضي بينهم بالقسط، فأبان الله أهل الجنة من أهل النار، قام إبليس خطيباً بإذن الله، وبئس الخطيب، يريد الله بذلك توبيخ أهل النار، فيسمع الخلق كلهم فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ ﴾ أي: وعدكم الجنة على التّمسك بدينه، والحفظ لحدوده ﴿ وَوَعَدتُّكُمْ ﴾ أنا ﴿ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَـٰنٍ﴾ أستكرهكم به ﴿ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ ﴾ أي: بالوسوسة ﴿ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ أي: ما أنا بمغيثكم من عذاب الله ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ﴾ أي: بمغيثي من عذاب الله[1] ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: في الدنيا أي: عصيت الله قبلكم.

وقال بعضهم: (بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ) أي: مع الله في الطاعة لي في الشرك به.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إذا جمع الله الأولين والآخرين فقضى بينهم وفرغ من القضاء قال المؤمنون: قد قضى بيننا ربنا، فمن يشفع لنا إلى ربنا. قالوا: فانطلقوا إلى آدم عليه السلام، فإنه أبونا، وخلقه الله بيده وكلمه. فيأتونه ويكلمونه أن يشفع لهم، فيقول آدم: عليكم بنوح. فيأتون نوحاً، فيدلّهم على إبراهيم عليه السلام. ثم يأتون إبراهيم فيدلّهم على موسى عليه السلام، ثم يأتون موسى فيدلّهم على عيسى،

(1) جاء في مجاز أبي عبيدة، ج 1 ص 339 ما يلي: «(مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ)، أي: بمغيثكم، ويقال: استصرخني فأصرخته، أي: استعانني فأعنته، واستغاثني فأغثته».

صلى الله عليه، ثم يأتون عيسى فيقول: أدلكم على النبي الأمّيّ محمد صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء والرسل، فيأذن الله لي أن أقوم. فأثني عليه، وأقوم فيفور من مجلسي أطيب ريح شمّها أحد، حتى أقوم المقام المحمود الذي وعدني ربي أن أقومه، وأسأل ربي الشفاعة للمؤمنين فيشفّعني، ويجعل لي نوراً من شعر رأسي إلى ظفر قدمي، ثم يقول الكافرون عند هذا: قد وجد المؤمنون من يشفع لهم، فقم أنت فاشفع لنا، فإنك أنت أضللتنا. فيقوم فيفور من مجلسه أنتن ريح شمّها أحد ثم يعظهم بجهنم[1]، ويقول عند ذلك (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّآ أَنْ دَعَوْتُكُمْ. .) إلى آخر الآية[2].

قوله: ﴿ إِنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: المشركين والمنافقين ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾أي: موجع.

قوله: ﴿ وَأُدْخِلَ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: بأمر ربهم ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ أي: تحيّيهم الملائكة عن الله بالسلام، فتستأذن عليهم حتى تدخل عليهم بالتحيّة من عند الله والكرامة والهدية، وبأن الله عنهم راضٍ، ويسلّم أهل الجنة بعضهم على بعض بالسلام، وهو تحيّة أهل الجنة.

وذكر بعضهم أن طوبى شجرة في الجنة، وقد وصفناها قبل هذا الموضع[3].

(1) في ج ود، وفي ز ورقة 165، وفي تفسير الطبري ج 16 ص 563: «يعظم لجهنم» وفي مخطوطتي ق وع «يعظهم بجهنم»، ولكل من اللفظين وجه في التأويل. ويظن الأستاذ الشيخ محمود محمد شاكر «أنها يقطّم لجهنم» من قولهم قطم الشارب إذا ذاق الشراب فكرهه». وأنا أميل إلى ما ورد في ق وع وأقول: بئس الواعظ هو، وبئس ما يعظهم به، ولات ساعة موعظة.

(2) أخرج الطبري هذا الحديث في تفسيره ج 16 ص 562 مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ برواية عقبة بن عامر، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور، ج 4 ص 740، ونسبه إلى ابن المبارك وابن أبي حاتم والطبراني وغيرهم. ولكنه حديث ضعيف واهي السند. ونقله ابن كثير في تفسيره ج 4 ص 120 بدون إشارة إلى ضعفه.

(3) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 307.

وهي مجلس من مجالس أهل الجنة ومتحدثهم فيما بينهم. فبينما هم في ظلها ذات يوم يتحدّثون إذ أتتهم الملائكة بنوق بُخْتٍ[1]، مزمومة[2] بسلاسل الذهب، كأنما وجوهها المصابيح من حسنها، ذلّلن من غير مهانة، نُجُبٍ من غير رياضة، عليها رحائل الذهب، وكسوتها سندس وإستبرق، حتى تدفع إليهم، ثم يسلّمون عليهم ويقولون: إن ربكم بعث إليكم بهذه الرواحل لتركبوها وتتفسحوا في الجنة، وتنظروا إلى ما أعدّ الله لكم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب أحد مثله. قال: ويتحوّل كل رجل منهم على راحلته، ثم يسيرون صفّاً في الجنة؛ الرجل منهم إلى جنب أخيه، لا تجاوز أذنُ ناقة منها أذنَ صاحبتها، ولا ركبة ناقة منها ركبةَ صاحبتها. وإنهم ليمرّون بالشجرة من شجر الجنة فتتأخر من مكانها، فيرسل إليهم ربهم الملائكة بالسلام؛ فيقولون: ربنا أنت السلام، ومن عندك السلام، ولك حق الجلال والإكرام، فيقول لهم: وعليكم السلام مني، وعليكم رحمتي ومحبّتي. مرحباً بعبادي الذين أطاعوني بالغيب، وحفظوا وصيتي. فيقولون: لا وعزّتك، ما قدرناك حقّ قدرك، وما أدّينا إليك كلّ حقك، إيذن لنا يا ربّنا أن نسجد لك. فيقول: وعزتي وجلالي إني وضعت عنكم مؤونة العبادة، وقد أفضيتم إلى كرامتي، وبلغ الموعد الذي وعدتكم، تمنّوا، فإن لكل إنسان منكم ما تمنّى... وقد بقي من هذا الحديث شيء كثير، وهو في أحاديث الجنّة.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ وهي لا إلـه إلا الله ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وهي النخلة، وهي مثل المؤمن ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ أي: في الأرض ﴿ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ يعني طولها، وفرعها هو رأسها الذي تكون فيه الثمرة ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ أي: بأمر ربها.

قال بعضهم: كل ستة أشهر. وقال بعضهم: هي النخلة تؤتي أكلها كل حين. والحين ما بين السنة إلى السنة. وهي تؤكل شتاءً وصيفاً؛ يعني الطلع والبلح والبسر

(1) هي الإبل الخراسانية، طويلة الأعناق، واحدها بختي، ومؤنثه بختية. وانظر اللسان: (بخت).
(2) زممت البعير إذا علقت عليه الزمام لقيادته، فهو مزموم.

والرطب والتمر، وهي مثل عمل المؤمن، هو في الأرض وعمله يصعد إلى السماء، وهو ثابت يُجازَى به.

وقال الحسن: إن المؤمن لا يزال من كلام طيّب وعمل صالح، كما تؤتي هذه الشجرة أكلها، أي: ثمرتها، كلَّ حين.

﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي يذّكروا.

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: الحين غدوة والحين عشية، وقرأ هذه الآية: (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ) [الروم: 17]. وقال مجاهد: (كُلَّ حِينٍ): كل سنة[1].

ذكروا عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المؤمن، فأي شجرة هي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة. وكنت غلاماً أصغر القوم؛ فسكتّ. فقال رسول الله: هي النخلة[2].

قوله: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ أي: الشرك والنفاق ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ أي: مُرّة، يعني الحنظلة ﴿ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ﴾ [أي: قطعت من أعلى الأرض][3] ﴿ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ أي: ليس لأصلها ثبات في الأرض. فالريح تصرفها؛ كذلك مثل عمل الكافر، ليس لعمله الحسن أصل ثابت يجزى به في الآخرة.

---

(1) اختلف المفسرون اختلافاً كثيراً في المقصود بالحين هنا. فذهب بعضهم إلى أن الحين هو كل وقت، وذهب أبو عبيدة وغيره أنه ستة أشهر. ورجح ابن جرير الطبري قول من قال: «عنى بالحين، في هذا الموضع غدوة وعشية وكل ساعة» ويبدو لي. والله أعلم. أن قول من قال: (إن كُلَّ حِينٍ) في هذه الآية يعني كل سنة، أقرب إلى الصواب؛ فإن من النخيل ما لا يؤتي أكله كل سنة. فإذا كانت النخلة تؤتي أكلها كل سنة بانتظام فهي من خيار النخل.

(2) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب قول المحدث حدثنا أو أخبرنا. وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن كمثل النخلة (رقم 2164) وأخرجه أحمد والترمذي وغيرهم.

(3) زيادة من ز، 165.

ذكر أبو موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجّة طعمها طيب وريحها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا رائحة لها. ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر. ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح له[1].

قال بعض السلف: مثل الجليس الصالح مثل حامل المسك، تجد منه ريحه، ومثل الجليس السوء مثل صاحب الكير، إن لم يحرق ثوبك يؤذك دخانه[2].

قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الذِينَ ءَامَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الأخِرَةِ﴾.

بلغنا عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: إن المؤمن إذا وضع في قبره ورجع عنه أصحابه أتاه ملك فأجلسه، ثم يقول له: من ربك؟ فيقول: الله ربي. ثم يقول له: وما دينك؟ فيقول: الإسلام. ثم يقول له فمن نبيك؟ فيقول: محمد ﷺ. فيقال له: صدقت. ثم يفتح له باب إلى النار، ثم يقال له: انظر إلى هذه النار التي لو أنك كذبت صرت إليها، وقد أعاذك الله منها. ثم يفتح له باب إلى الجنة، ثم يقال له: هذه الجنة، ثم يرى منزله فيها فلا يزال يأتيه من ريح الجنة وبردها، حتى تأتيه الساعة.

وإن الكافر إذا وضع في قبره، ورجع عنه أصحابه أتاه مَلَك فأجلسه، ثم قال له: من ربك؟ فيقول: لا أدري، ثم يقول له: من نبيّك؟ فيقول له: لا أدري، فيقال

(1) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب فضل القرآن على سائر الكلام، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن (رقم 797)، وأخرجه أحمد في مسنده وغيرهم، كلهم يرويه من حديث أبي موسى الأشعري، كما أخرجه أيضاً ابن ماجه في المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه (رقم 214).

(2) هذه ألفاظ من حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، وأخرجه مسلم في كتاب البرّ والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، (رقم 2628).

له: لا دريت، ثم يفتح له باب إلى الجنة فينظر إليها: ثم يقال له: هذه الجنة التي لو أنك آمنت بالله، وصدقت رسوله، وعملت بفرائضه صرت إليها، لن تراها أبداً، ثم يفتح له باب إلى النار، فيقال له: هذه النار التي أنت صائر إليها، ثم يضيق عليه قبره، ثم يضرب ضربة لو أصابت جبلاً ارفض ما أصابت منه، قال: فيصيح عند ذلك صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين. قال: فهو قوله: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة[1].

قال: ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّـٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾.

ذكر جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها. إذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاءه ملك شديد الانتهار فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: إنه رسول الله وعبده. فيقول: انظر إلى مقعدك الذي كان لك من النار، قد أعاذك الله منه، وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة، فيراهما كليهما، فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي، فيقال له: اسكن.

وأما المنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت، هذا مقعدك الذي كان لك من الجنة قد أبدلت مكانه مقعدك من النار.

قال جابر: سمعت النبي ﷺ يقول: يبعث كل عبد في القبر على ما مات عليه؛ المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه[2].

---

(1) هذا خلاصة للحديثين الصحيحين الآتيين.

(2) أخرجه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط والبيهقي عن جابر بن عبد الله. وأحاديث عذاب القبر وابتلاء المؤمن والكافر فيه صابتة صحيحة. وقد رويت من طرق متعددة رواها جمع من الصحابة. انظر في هذا الموضوع الدر المنثور للسيوطي ج 4 ص 78 - 84 تجد أغلب ما روى عن النبي ﷺ مرفوعاً وموقوفاً. أعاذنا الله وإياك من عذاب القبر ومن سوء المصير.

ذكر البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ تبع جنازة رجل من الأنصار، فلما انتهى إلى قبره وجده لم يلحد. فجلس وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، وبيده عود ينكث به الأرض، ثم رفع رأسه فقال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر[1]. قالها ثلاثاً.

إن المؤمن إذا كان في قِبَل من الآخرة وانقطاع من الدنيا أتته ملائكة وجوههم كالشمس بحنوطه وكفنه، فجلسوا منه بالمكان الذي يراهم منه. فإذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماوات، وفتحت أبواب السماء، كل باب منها يعجبه أن تصعد روحه منه. فينتهي الملك إلى ربه فيقول: يا ربّ، هذا روح عبدك. فيصلي الله عليه وملائكته ويقول: ارجعوا بعبدي وأرُوه ما أعددت له من الكرامة، فإني عهدت إلى عبادي أني ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ﴾ [سورة طَهَ: 55] فيرد إليه روحه حتى يوضع في قبره. وإنه ليسمع قرع نعالهم حين ينطلقون عنه، فيقال: من ربّك، وما دينك، ومن نبيّك؟ فيقول: الله ربّي، والإسلام ديني، ومحمد نبيّي، فنادى منادٍ: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الذِينَ ءَامَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾.

ويأتيه عمله في صورة حسنة وريح طيبة فيقول: أبشر بحياة فيها نعيم مقيم، فقد كنت سريعاً في طاعة الله، بطيئاً عن معصية الله، فيقول: وأنت فبشّرك الله بخير، فمثل وجهك يبشّر بالخير، فمن أنت؟ فيقول: أنا عملك الحسن. فيفتح له باب من أبواب النار فيقال له: هذا منزلك، فأبدلك الله خيراً منه. ثم يفتح له منزله من الجنة، فينظر ماذا أعد الله له من الكرامة فيقول: يا رب متى تقوم الساعة كي ارجع إلى أهلي ومالي، فيوسّع له في قبره ويرقد.

(1) هذا جزء من حديث صحيح متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الدعاء قبل السلام، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، عن عائشة (رقم 589) وعن أبي هريرة (رقم 588). وجاءت رواية أبي هريرة بهذا اللفظ: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وعذاب النار، وفتنة المحيا والممات، وشر المسيح الدجّال».

وأما الكافر فإذا كان في قِبَل من الآخرة وانقطاع من الدنيا أتته الملائكة بسرابيل من قطران، ومقطعات من نار. فجلسوا منه بالمكان الذي يراهم. وينتزع روحه كما ينتزع السّفود الكثير شعبه من الصوف المبتل من عروقه وقلبه. فإذا خرج روحه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماوات، وغلقت أبواب السماء دونه، كل باب يكره أن يصعد روحه منه. فينتهي لملك إلى ربه فيقول: يا ربّ هذا روح عبدك فلان لا تقبله أرض ولا سماء، فيلعنه الله وملائكته فيقول: ارجعوا بعبدي فأروه ما أعددت له من الهوان، فإني عهدت إلى عبادي أني منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم. فيردّ إليه روحه حتى يوضع في قبره، وإنه ليسمع قرع نعالهم حين ينصرفون عنه. فيقال له: ما دينك ومن ربك؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: لا دريت.

فيأتيه عمله في صورة قبيحة وريح منتنة فيقول: أبشر بعذاب مقيم، فيقول: وأنت فبشّرك الله بشرّ، فمثل وجهك يبشّر بالشر، فمن أنت؟ فيقول: أنا عملك الخبيث. ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له: هذا منزلك لو أطعت الله. ثم يفتح له منزله من النار فينظر إلى ما أعدّ الله له من الهوان، ويُقيَّض له أصم أعمى بيده مرزبة لو توضع على جبل لصار رفاتاً، فيضربه ضربة فيصير رفاتاً. ثم يعاد فيضربه بين عينيه ضربة يصيح بها صيحة يسمعها من على الأرض إلا الثقلين، وينادي منادٍ أن أفرشوه لوحين من النار، فيفرش لوحين من نار، فيضيّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه[1].

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً ﴾ أي: نعمة الله التي أنعمها عليهم جعلوا مكانها كفراً. كقوله: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) [الواقعة: 82]

---

(1) حديث البراء بن عازب هذا حديث معروف في كتب الحديث صحيح الإسناد؛ أخرجه البخاري مختصراً في كتاب التفسير من سورة إبراهيم، وأخرجه أحمد وعبد بن حميد وأبو داود والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم مطولاً بزيادة ونقصان. أخرجه أبو داود مثلاً في كتاب السنّة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر. (رقم 4753) وأخرجه الربيع بن حبيب في الجزء الرابع في مراسيل جابر بن زيد (رقم 982).

أي: تجعلون مكان شكر النعمة تكذيباً وكفراً. فكان كفر المشركين تكذيباً، وكان كفر المنافقين كفراً لأنعم الله، لم يشكروها. وإذا لم تشكر النعم فقد كفرت.

قوله: ﴿ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ [هم المشركون من أهل بدر][(1)] أخرجوا قومهم إلى قتال النبي ﷺ ببدر؛ يعني أخرج بعضهم بعضاً فقتلهم الله ببدر فحلوا في النار.

وقوله: (دَارَ الْبَوَارِ)، أي: دار الفساد، أي: أفسدت أجسادهم في النار. وقال الحسن: دار البوار شرهم، قوله: (وبِئْسَ الْقَرَارُ)، أي: وبيس المأوى والمنزل الذي استقروا فيه فصار قرارهم.

قوله: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً ﴾ أي: آلهتهم التي يعبدون، عدلوها بالله فجعلوها آلهة مثله. ﴿ لِّيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ أي: عن سبيل الهدى. ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ كقوله: (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الذِينَ كَفَرُوا فِي البِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَيٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِيسَ الْمِهَادُ) [آل عمران: 196 - 197].

قوله: ﴿قُل لِعِبَادِيَ الذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ أي: الصلوات الخمس، يحافظون على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ﴿ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَّةً ﴾ أي: الزكاة الواجبة ﴿ مِّنْ قَبْلِ أَن يَّأتِيَ يَوْمٌ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ لَّا بَيْعٌ فِيهِ ﴾ أي: لا يتبايعون فيه ﴿ وَلَا خِلَلٌ ﴾ أي: تنقطع كل خلّة إلا خلّة المتقين. كقوله: (الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) [الزخرف: 67]، وكقوله: (لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ) [البقرة: 254].

قوله: ﴿ اللَّهُ الذِي خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِن الثَّمَرٰتِ رِزْقاً لَّكُمْ ﴾ إنما الرزق من المطر. ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَٰرَ﴾ قال مجاهد: في كل بلد فجرت. ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴾ أي: يجريان إلى يوم القيامة ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ يختلفان

(1) زيادة من ز، ورقة 166.

عليكم ﴿وَءَاتَيكُمْ﴾ أي: وأعطاكم ﴿ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ أي: وما لم تسألوه، في تفسير الحسن. وليس كل ما سألوا. وبعضهم يقرأها: (مِنْ كُلٍّ) أي: من كل شيء، (مَا سَأَلْتُمُوهُ) يقول: أعطاكم ما لم تسألوه[1].

قال: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ [روى الحسن عن أبي الدرداء قال: من لم يرَ نِعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قلّ عمله وحضر عذابه][2]. ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ أي: ظلوم لنفسه، كفار بنعم ربه [حين أشرك][2] وقد أجرى عليه هذه النعم.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا الْبَلَدَ ءَامِناً﴾ يعني مكة ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ يعني المؤمنين منهم، كقوله: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ) [البقرة: 128] ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ ﴾ يعني الأصنام أضللن ﴿ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ ﴾ يقول: ضل المشركون بعبادتها من غير أن تكون هي التي دعت إلى عبادة أنفسها. ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي ﴾ فعبد الأوثان ثم تاب إليك بعد ذلك ﴿ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ يعني إسماعيل ﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّـلَوٰةَ ﴾ أي: إنما أسكنتم مكة ليعبدونك ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً ﴾ أي: قلوباً ﴿ مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ أي: تنزع إليهم ﴿ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَـرٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ أي: لكي يشكروا نعمك.

ذكر عن ابن عباس أنه قال: لو كان قال: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم لَحَجَّه اليهود والنصارى وكل أحد. ولكنه قال: (أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ).

قوله: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ﴾. تفسير ابن عباس أن إبراهيم جاء

(1) إقرأ ملخصاً جميلاً أورده الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 88 - 78 في قراءة «كلّ» من قوله: (كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) وتعليله وترجيحه لقراءة من قرأ بالإضافة.

(2) زيادة من ز، ورقة 166.

بهاجر وإسماعيل حتى وضعهما بمكة، ثم رجع. فلما قفا نادته هاجر: يا إبراهيم، إنما أسألك؛ فالتفت، فقالت له: من أمرك أن تضَعَني بأرض ليس بها زرع ولا ضرع ولا أنيس؟ قال: ربي. قالت: إذاً لا يضيّعنا. فلما وَلَّى إبراهيم قال: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ﴾ أي: من الحزن. ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾.

قوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ وقد دعا في هذه الآية الأخرى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات: 100].

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ أي: واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة. ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ يعني دعائي لمحمد وأمته. قال الحسن: هو كقوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة: 128].

قوله: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾. قال الحسن: إن إبراهيم دعا لأبيه أن يُحوِّله الله من الكفر إلى الإيمان، ثم يغفر له، وهو يرجو أن يُسلم. فلما مات كافراً تبرأ منه وعرف أنه قد هلك، وهو كقوله: ﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ [الشعراء: 86]. قال هذا قبل أن يموت.

قوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ أي: المشركون والمنافقون ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ أي: إلى إجابة الداعي حين يدعوهم من قبورهم.

﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ أي: منطلقين مسرعين إلى إجابة الداعي إلى بيت المقدس في تفسير بعضهم حين يدعوهم من الصخرة من بيت المقدس.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: يقوم ملك بين السماء والأرض بالصور فينفخ فيه، والصور قرن، فيذهب كل روح إلى جسده حتى يدخل فيه، فيقومون من قبورهم، فيجيبون بإجابة رجل واحد.

بلغنا عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال: تجعل الأرواح في الصور مثل النحل، ثم ينفخ فيه صاحب الصور، فيذهب كل روح إلى جسده[1].

وقال في آية أخرى: (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ) أي: من القبور سِرَاعاً [المعارج: 43] أي: إلى المنادي إلى بيت المقدس.

﴿ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ ﴾ قال بعضهم: رافعي رؤوسهم شاخصة أبصارهم. ﴿ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ أي: يديمون النظر. ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ قال: انتزعت القلوب فغصّت بها الحناجر، فلا هي تخرج من أفواههم ولا تعود إلى مكانها.

وذكروا عن أبي هريرة قال: يحشر الناس ثلاث أمم: أمة على الإبل، وأمة على أقدامهم، وأمة على وجوههم. قال: قيل يا رسول الله: كيف يمشي على وجهه؟ قال: إن الذي أمشاه على قدميه قادر أن يمشيه على وجهه[2].

قوله: ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذَابُ ﴾ أي: أنذرهم اليوم ذلك اليوم ﴿ فَيَقُولُ الذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: الذين أشركوا والذين نافقوا ﴿ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ﴾. سألوا الرجعة إلى الدنيا حتى يؤمنوا ويجيبوا الدعوة ويتّبعوا الرسل ويكملوا الفرائض. قال الله:

﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّنْ قَبْلُ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴾ أي: من الدنيا إلى الآخرة، يعني المشركين خاصة. ثم انقطع الكلام.

ثم قال للذين بعث فيهم محمد ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَٰكِنِ الذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾

(1) وهذه الأقوال من قبيل الإسرائيليات. فنحن نؤمن بأن النفخ في الصور حق، نفخة أولى هي نفخة الصعق، ونفخة أخرى هي نفخة القيام. أما كيف تعود الأرواح إلى أجسادها فذلك من الغيب. فما لم يثبت في ذلك حديث صحيح عن المعصوم ﷺ فليس لنا أن نتكلّف، أو نقفو ما ليس لنا به علم.

(2) حديث متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف الحشر. وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. باب يحشر الكافر على وجهه (رقم 2806)، كلاهما يرويه عن أنس بن مالك.

أي: بشركهم، يعني من أهلك من الأمم السالفة، فخلفتموهم بعدهم في مساكنهم ﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ أي: كيف أهلكناهم. أي: إنكم لتمرون بمنازلهم ومساكنهم وترون آثارهم. ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾. قال مجاهد: الأشباه. وقال الحسن: يعني أنكم إن كفرتم أهلكناكم كما أهلكناهم؛ يُخوِّفهم بذلك.

قال: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾ أي: محفوظ لهم حتى يجازيهم به. ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ ﴾.

قال الكلبي: إن نمروذ الذي بنى الصرح ببابل أراد أن يعلم علم السماء، فعمد إلى تابوت فجعل فيه غلاماً. ثم عمد إلى نسور أربعة فأجاعهن، ثم ربط كل نسر بقائمة من قوائم التابوت، ثم رفع لهم لحماً في أعلى التابوت، فجعل الغلام يفتح الباب الأعلى فينظر إلى السماء فيراها كهيئتها. ثم يفتح الباب الأسفل فينظر إلى الأرض فيراها مثل اللجة. فلم يزل كذلك حتى جعل ينظر فلا يرى الأرض، وإنما هو الهواء، وينظر فوق فيرى السماء كهيئتها. فلما رأى ذلك صوّب اللحم، فتصوّبت النسور. فيقال، والله أعلم، إنه مرّ بجبل فخاف الجبل أن يكون أمر من الله، فكاد الجبل أن يزول من مكانه. فذلك قوله: (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ).

وذكر بعضهم أن نمروذ كان في التابوت ومعه صاحبه. فهو الذي جعل يأمره أن ينظر. فلما هاله ذلك أمره، فنكس اللحم، فانحدرت النسور. فبعث الله عليه أضعف خلقه: بعوضة، فدخلت في منخره حتى وصلت إلى دماغه فمات.

وقال بعضهم: في قراءة عبد الله بن مسعود: (وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبَالُ). وذلك تفسيرها عندهم.

قال بعضهم: ذلك المكر ما عمل بالنسور، فلا أعلمه إلا قوله: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً لَقَد جِئْتُمْ شَيْئاً إِداً) أي: عظيماً (يَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ) أي: يتشقّقن منه (وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَيَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً أَنْ دَعَوْا) أي: بأن دعوا (لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً) [سورة مريم: 88 - 91].

وتفسير الحسن في هذا الحرف: (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ) يقول: ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، أي: هم أهون على الله من ذلك[1].

قوله: ﴿ فَلَا تَحسَبَنَّ اللَّهُ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ أي: ما وعدهم من النصر في الدنيا والجنة في الآخرة ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ أي: عزيز في نقمته، ذو انتقام من أعدائه بعذابه.

قوله: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمْوٰتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الوٰحِدِ القَهَّارِ ﴾ أي: قهر العباد بالموت وبما شاء من أمره. ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: تبدّل الأرض بيضاء كأنها فضة لم يعمل عليها خطيئة، ولم يسفك عليها محجمة من دم حرام. وبرزوا حفاة عراة كما خلقوا حتى يلجهم العرق، و(لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [هود: 105].

ذكروا عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله: (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتِ) وقوله: (وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَاتٌ بِيَمِينِهِ) [الزمر: 67]، فأين يكون الناس يومئذٍ؟؛ قال: هم يومئذٍ على جسر جهنم[2].

قوله: ﴿ وَتَرَى المُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين والمنافقين ﴿ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴾ أي: في السلاسل؛ كل إنسان وشيطانه الذي كان قرينه في الدنيا في سلسلة واحدة. ﴿ سَرَابِيلُهُمْ [أي: قمصهم][3] مِّنْ قَطِرَانٍ ﴾. قال الحسن. القَطِرَان

---

(1) هذه هي قراءة الجمهور، وهذا هو التأويل الذي رجحه الطبري في تفسيره ج 13. ص 246، 247 ط. الحلبي. انظر ابن خالويه، الحجة، ص 179، وابن جني، المحتسب، ج 1 ص 365، وابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج 2 ص 61 - 62.

(2) أخرجه الطبري من طرق في تفسيره، ج 13 ص 253 بهذا اللفظ، وأخرجه أحمد ومسلم والترمذي بلفظ: «على الصراط».

(3) زيادة من ز، ورقة 168، وهو لفظ أبي عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 345، وزاد: «وواحدها: سربال».

الذي تُطلى به الإبل. قال: (قُطِّعَتْ لَهُم ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ) [سورة الحج: 19]. وهي نار. وقال مجاهد: (من قِطْرٍ آنٍ)، يقول: من صفر حارّ قد انتهى حرّه[1]. ﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾. وقال في آية أخرى: (أَفَمنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ العَذَابِ) [الزمر: 24] أي: يُجَر على وجهه في النار. ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ أي: ما عملت. ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾. قال بعضهم: يقضي بين الخلق يوم القيامة في قدر نصف يوم من أيام الدنيا. وقال في آية أخرى: (وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ) [الأنعام: 62].

قوله: ﴿ هَـٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاس ﴾ أي: القرآن بلاغ للمؤمنين، والناس ها هنا المؤمنون، بلاغ، أي: يبلغهم إلى الجنة[2]. ﴿وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾ أي: بالقرآن ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ ليس له شريك، وقد علموا ذلك وتيقّنوه ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الأَلْبَـٰبِ﴾ أي: أولو العقول، وهم المؤمنون.

(1) وهو قول ابن عباس، وقرأه كذلك: (قِطرٍ آنٍ) كما رواه الفراء في المعاني ج 2 ص 82.
(2) وقيل معناه: كفاية في الموعظة والإذّكار والاعتبار.

تفسير سورة الحِجر، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ألٓرٰ تِلْكَ ءَايَـٰتُ الكِتَـٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ قد فسّرناه في غير هذا الموضع(1).

قوله: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ الذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾(2) هو كقوله: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ) [المؤمنون: 99 - 100] وكقوله: (يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ المُومِنِينَ) [الأنعام: 27] وكقوله: (يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ) [الأحزاب: 66]. وذلك لما رأوا من

---

(1) يشير إلى تفسير الحروف المقطّعة في أوائل بعض السور. انظر ما سلف، ج 1 ص 78، وج 2 ص 180.

(2) قال أبو البركات ابن الأنباري في كتابه: البيان في غريب إعراب القرآن ج 2 ص 63: «قرىء (رُبَّمَا) و (رُبَمَا) بالتشديد والتخفيف. فالتّشديد على الأصل، والتخفيف لكثرة الاستعمال. وهما لغتان جيّدتان». وقد قرأ نافع وعاصم بتخفيف الباء كما ذكره الداني في التيسير، ص 135. وقال ابن عصفور في كتابه: الممتع في التصريف، ج 2 ص 626 في باب حذف الباء: «حذفت من رُبّ، فقالوا: (رُبَ) في معناها. قال الشاعر:

أَزُهَيْـرُ إِنْ يَشِبِ القَـذَالُ فَـإِنَّـهُ رُبَ هَيْضَلٍ لَجِبٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَلِ ».

والبيت لأبي كبير عامر بن الحليس الهُذَليّ، من قصيدته الرائعة التي مطلعها:

أَزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِّن مَعْـدِلِ أَمْ لاَ سَبِيـلَ إِلَى الشَّبَـابِ الأَوَّلِ

أَمْ لاَ سَبِيلَ إِلَى الشَّبَابِ، وَذِكْـرُهُ أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الـرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

انظر السّكّري، شرح أشعار الهُذليين، ج 3 ص 1069 - 1070.

كرامة الله للمؤمنين وثوابه إياهم، فتمنّوا أن لو كانوا مسلمين ومؤمنين لينالوا ما نال المسلمون من ثواب الله وجزيل عطائه.

وقد تأوّلت الفرقة الشاكّة هذه الآية على غير تأويلها، وردّت على الله تنزيله، فقالوا: هم قوم من أهل التوحيد يدخلون النار، فيعيّرهم أهل النار، ويقولون: قد كان هؤلاء مسلمين فما أغنى عنهم؛ قالوا: فيغضب لهم ربهم فيخرجهم - زعموا - من النار ويدخلهم الجنة. قالوا: فعند ذلك ﴿ يَوَدُّ الذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾. فزعموا أن الله مخرج أقواماً من النار قد احترقوا وصاروا حمماً، فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة هؤلاء الجهنّميون. قالوا: فيدعون ربّهم فيمحي ذلك الاسم عنهم، فيسمّون عتقاءَ ربّ العالمين، افتراء على الله، وكذباً عليه، وجحوداً بتنزيله إذ يقول:

﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ يعني الشرك ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَاتُهُ ﴾ يعني الكبائر الموبقة ﴿ فَأُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: 81] وقال: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَّخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة: 37]. وقال: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَّاصِبٌ ﴾ [الصافات: 90] أي: دائم لا ينقطع. وقال: ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف: 75] أي: يائسون. وقال: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَّخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج: 22]. وقال: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر: 36] وقال: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ [الزخرف: 77] وقال: ﴿ وَقَالَ الذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ قالت لهم الخزنة: ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُم رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَما دُعَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ أي: أهل النار ﴿ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر: 49 - 50].

فكيف بعد هذا من تنزيل الله ومحكم كتابه تزعم الفرقة الشاكة أن أهل جهنم يخرجون منها ويدخلون الجنة؟ يتّبعون الروايات الكاذبة التي ليس لها أصل في كتاب الله، وينبذون كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون فالله الحاكم بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين[1].

(1) هذا كله من كلام الشيخ هود الهواري، وانفردت به كل من ق، وج، ود. وقد نقل الشيخ هود =

قوله: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ﴾ يعني المشركين، يأكلوا ويتمتعوا في الدنيا ﴿ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ ﴾ الذي يأملون من الدنيا ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: يوم القيامة وهذا وعيد هوله شديد. وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم، ثم أمر بقتالهم، ولا يدعهم حتى يسلموا أو يقتلوا، يعني مشركي العرب.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: المؤمن يأكل في مِعًى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء(1).

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر(2).

قوله: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ يعني الوقت الذي يهلكون فيه، يعني من أهلك من الأم السالفة بتكذيبهم رسلهم. ﴿ مَا تَسْبِقُ مِن أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ أي: وقت العذاب ﴿ وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ عنه.

قوله: ﴿ وَقَالُوا يَـٰأَيُّهَـا الذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ يعني القرآن فيما تدَّعي ﴿ إِنَّكَ

= فيه بعض العبارات التي وردت في ز، ورقة 168. وفي مخطوطة تفسير ابن سلام، القطعة 177 من قطع مخطوطات القيروان كلام طويل في حوالي ورقة، تناول تفسير هذه الآية. وقد روى فيه ابن سلام أحاديث حول من سموا بالجهنميين وحول الشفاعة. وقد حذفها الشيخ هود لأنها لم تثبت عنده. واكتفى بالردّ عليها بالآيات البيّنات الدالة على خلود المشركين والكفار الذين يموتون من غير توبة في نار جهنم. ومسألة الخلود، كما تعلم، من مسائل الخلاف بين الإباضية وبين بعض الفرق الإسلامية.

(1) حديث متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، وأخرجه مسلم في كتاب الأشربة (رقم 2060) (2061 - 2062) كلاهما يرويه في باب المؤمن يأكل في معى واحد. . . من طرق، عن جابر، وابن عمر، وأبي هريرة وأبي موسى. ورواه الواقدي في كتابه المغازي ج 3 ص 1018 في أخبار غزوة تبوك عن رجل من بني سعد بن هُذَيم.

(2) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب في الزهد في الدنيا وهو أنها على الله عزّ وجلّ رقم 2956). وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب مثل الدنيا (رقم 4113) كلاهما يرويه عن أبي هريرة. وأخرجه الحاكم والطبراني عن سلمان. وأخرجه البزار عن ابن عمر.

لَمَجْنُونٌ ﴾ يعنون محمداً ﷺ. ﴿ لَوْ مَا تَأتِينَا ﴾ أي: لولا، فلوما ولولا واحد. ﴿بِالْمَلٰئِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ﴾ أي: حتى تشهد لنا أنك رسول الله، فنصدقك حينئذٍ.

قال الله: ﴿ مَا تَنَزَّلُ المَلٰئِكَةِ ﴾ حتى تعاينوهم ﴿ إلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بعذابهم واستئصالهم ﴿ وَمَا كَانُوا إذاً مُّنْظَرِينَ ﴾ طرفة عين، أي: بعد نزول الملائكة.

وقال مجاهد: ﴿ مَا تَنَزَّلُ المَلاَئِكَةُ إلاَّ بِالحَقِّ ﴾ أي: بالرسالة والعذاب.

قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ﴾ أي: حفظه الله من إبليس أن يزيد فيه شيئاً أو ينقص منه شيئاً. كقوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ ﴾والباطل هو إبليس ﴿ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ فينقص منه ﴿وَلاَ مِن خَلْفِهِ﴾ [فصّلت: 41 - 42] فيزيد فيه شيئاً. حفظه الله من ذلك[1].

وقال مجاهد: ﴿ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ أي: عندنا.

قوله: ﴿ وَلَقَد أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ ﴾ أي: أرسلنا الرسل في فرق الأولين، أي: أمم الأولين، أمة بعد أمة. ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم ﴾ يعني تلك الأمم ﴿ مِّن رَّسُولٍ إلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ ﴾ أي: نسلك التكذيب[2] ﴿ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين ﴿ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ﴾ يعني ما أهلك به الأمم السالفة بتكذيبهم، يخوّف المشركين بذلك.

قوله: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ ﴾ أي: فصاروا فيه

(1) الباطل هنا أعمّ من أن يُحصر في إبليس، ومظاهر حفظ الله لكتابه من التحريف والزيادة والنقصان ومن كل شيء، أكثر من أن تحصى. اقرأ خبراً طريفاً رواه القرطبي في تفسير الآية في الجامع الأحكام القرآن، ج 10 ص 5 - 6. وقيل: إن الضمير في قوله: ﴿ لَهُ لَحافِظُونَ ﴾ راجع إلى محمد ﷺ، ولكن روح العربية تأبى هذا التأويل، فالضمير يرجع إلى أقرب مذكور.

(2) وقيل الضمير في قوله ﴿ نَسْلُكُهُ ﴾ راجع إلى الذكر المنزل، وهو ما ذهب إليه الزمخشري في تفسيره، ج 2 ص 573، أما جمهور المفسرين فأرجعوا الضمير إلى التكذيب والاستهزاء، انظر مثلاً معاني القرآن للفراء، ج 2 ص 85، وتفسير الطبري، ج 14 ص 9.

﴿ يَعْرُجُونَ ﴾ أي: الملائكة ﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَت أَبْصَارُنَا ﴾ أي: سدّت أبصارنا ﴿ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾.

وقال بعضهم: (فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) أي: يختلفون فيه بين السماء والأرض. وقال ابن عباس: الملائكة تختلف فيه، يبصرونهم عياناً، لقال من يكذّب بهذا الحديث: (إِنَّمَا سُكِّرَت أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ).

وقال الحسن: فاختلف فيه بنو آدم لقال من يكذب بهذا الحديث: (إِنَّمَا سُكِّرَت أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ).

وقال بعضهم: إن المشركين قالوا للنبي ﷺ: (أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً) [الإسراء: 92] أي: عياناً، معاينة، فتخبرنا الملائكة أنك رسول الله، فنؤمن بك. فهو قول الله: (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَت أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ). جواباً لذلك.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً ﴾ قال ابن عباس: أي: نجوماً(1) ﴿وَزَيَّنَّـهَا لِلنَّـظِرِينَ﴾ أي: زينا السماء بالنجوم للناظرين. كقوله: (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ). [الصافات: 6].

قال: ﴿وَحَفِظْنَـهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ والرجيم الملعون. قال الحسن: رجمه الله باللعنة.

﴿ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ﴾ أي: فإنها لم تحفظ منه، أي: يسمع الخبر من أخبار السماء، ولا يسمع من الوحي شيئاً. وهو قوله: (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ)

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز 169، نسب هذا القول في تفسير البروج بالنجوم إلى ابن عباس. ويبدو أنه سهو من الناسخ الأول، فإن الذين فسّروها كذلك هم الحسن وقتادة ومجاهد، أما ابن عباس فقال: إن البروج هنا هي المنازل، كما في تفسير القرطبي ج 10 ص 11. وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن، ج 1 ص 348. (بُـرُوجاً: أي: منازل للمشس والقمر). وبذلك أيضاً فسرها الشيخ الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، ج 14 ص 82 - 30، وأتى بتفاصيل مفيدة في الموضوع.

[الشعراء: 212]. أي: عن سمع القول. وقال في آية أخرى: (وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا) أي: من السماء (مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَّستَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً) [الجن: 9].

وقال في هذه الآية: ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: أي: مضيء. وقال في آية أخرى: (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) [الصافات: ١٠]. وثقوبه ضوءه.

ذكروا أن أبا رجاء العطاردي قال: كنا قبل أن يبعث النبي ﷺ ما نرى نجماً يرمى به، فبينما نحن ذات يوم إذا النجوم قد رمي بها؛ فقلنا ما هذا إلا أمر قد حدث. فجاءنا أن النبي ﷺ قد بُعث. فأنزل الله هذه الآية في سورة الجن: 9: (وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَّسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً).

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: إذا رأيتم الكوكب قد رمي به فتواروا فإنه يحرق ولا يقتل.

وفي تفسير الكلبي: إنهم سُراة إبليس يَسْرون بأنفسهم ليأتوا إبليس بخبر السماء. قال: فإذا قذفوا خبلوا فذهبت قوتهم، فلم يستطيعوا أن يصعدوا إلى السماء.

وفي تفسير الحسن أنه يحرقه فيقتله في أسرع من الطرف. ويقول: إن أحدهم يسترق السمع وقد علم أنه سيحرق وأن له عذاب السعير. وهو قوله: (وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينَ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ). [الملك: 5].

قوله: ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَـهَا﴾ أي: بسطناها ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوٰسِيَ﴾ وهي الجبال، وقد فسّرناه قبل هذا الموضع. وقال في آية أخرى: (والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) [النازعات: 30] قال لها انبسطي أنت كذا، وانبسطي أنت كذا. وقد فسرناه قبل هذا[1].

قوله: ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾. قال الحسن: من كل شيء يوزن، مثل الزعفران والعُصْفُر[2] وكل ما ينبت مما يوزن من النبات.

---

(1) انظر ما سلف في هذا الجزء، ص: 293.

(2) العُصْفُر: نبات ينبت بأرض العرب يصبغ به باللون الأحمر. يقال: عصفرت الثوب فتعصفر، =

وتفسير الكلبي: أنبت الله في الجبال الذهب والفضة والصفر والرصاص والحديد والجوهر وكل شيء لا يباع إلا وزناً.

وقال بعضهم: كل شيء موزون، أي: معلوم مقسوم. وقال مجاهد: من كل شيء موزون: أي معدود يعد، أي: يقدر[1].

قال الحسن: ثم ذكر الأرض فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾ أي: مما أخرج الله لهم فيها، ومما عمله بنو آدم.

قوله: ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَٰزِقِينَ ﴾[2] أي: جعلنا لكم ومن لستم له برازقين معايش قال مجاهد: يعني الأنعام والدوابّ، وقال الحسن: البهائم وغيرها من الخلق. وقال الكلبي: يعني من لا تمونونه، أي: ليس عليكم من مئونته شيء من الوحوش والطيور وكل شيء لا يمونه بنو آدم.

قوله: ﴿ وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُ ﴾ يعني المطر. وهذه الأشياء كلها إنما تعيش بالمطر. ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾.

ذكروا أن علياً قال: إن هذا الرزق ينزل من السماء كقطر المطر[3]، كل نفس بما كتب الله لها. وذكروا عن ابن عباس أنه قال: ما من عام بأكثر من عام مطراً، أو

= وزعم الأزهري أن الكلمة معربة، ولكن الجواليقي لم يذكرها في معجمه المعرّب.

(1) هذا هو القول الراجح عند كثير من المفسّرين. وهو الصحيح الذي أثبته العلم الحديث، فكل ما في الكون، علويّه وسفليّه، موزون مقدّر من عند الله بقدر معلوم، محدود لا يزاد فيه ولا ينقص منه. وجاءت العبارة في تفسير مجاهد ص 340: «مقدر مقدور»، وفي تفسير الطبري وفي ز ورقة 169: «مقدور بقدر».

(2) هذا وجه من وجوه التأويل، ومن المفسرين من جعل (مَنْ) في قوله: (وَمَن لَّسْتُم لَهُ بِرَازِقِينَ) في محل نصب معطوفاً على (مَعَايِشَ) لا على الضمير المجرور في (لَكُمْ): «يقول جعلنا لكم فيها المعايش والعبيد والإماء» انظر هذا المعنى مفصلاً معللاً في معاني الفراء ج 2 ص 86، وفي كشاف الزمخشري ج 2 ص 574.

(3) كذا في ق وع: «كقطر المطر»، وفي ج ود: «كقدر المطر» والأول أصح.

قال: ماء، ولكن الله يصرفه في الأرض حيث يشاء، ثم تلا هذه الآية: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا) [الفرقان: 50].

قوله: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ أي: للسحاب. قال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ ﴾ ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: إن الله يرسل السحاب فتحمل الماء بين السماء، ثم يرسل الرياح فتمري السحاب كما تُمرَى اللقحة حتى تدرّ بمطر. وقال في آية أخرى: (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً) [نوح: 11] أي: تدرّ بالمطر.

قوله: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَـٰزِنِينَ ﴾ أي: بحافظين.

وفي تفسير الحسن أن الله ينزل الماء من السماء فيسكنه السحاب، ثم يصرفه حيث يشاء، وللماء خزّان من الملائكة. وقال في آية أخرى: (إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ) [الحاقة: 11] أي: على خزانه يوم غرق قوم نوح؛ كان يجري بقدر فطغى يومئذٍ على خزانه.

قوله: (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ﴾ أي: نخلق ونميت الخلق ﴿ وَنَحْنُ الْوَٰرِثُـونَ ﴾ أي: [يموت الخلق][1] والله الوارث الباقي بعد خلقه، وإليه ترجعون. أي: فكما أحيـى هذه الأرض بعد موتها بهذا الماء كذلك يحيـي الموتى. قال: (وَنَحْنُ الوَارِثُونَ).

قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ﴾ يعني آدم ومن مضى من ذريته. ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ أي: [من بقي][2] في أصلبة الرجال.

وقال بعضهم: المستقدمين الأموات، والمستأخرين الأحياء بعد الأموات[3].

(1) و (2) زيادة من ز، ورقة 169.

(3) وقال بعضهم: إن سبب نزول الآية تسابق بعض المؤمنين إلى الصف الأول في الصلاة وتزاحمهم عليه، حتى عزم بعضهم على بيع داره النائية فيشتري أخرى قريبة من المسجد حتى يبتدر الصف الأول، فلا يفوته فضله. فأنزل الله هذه الآية، فقرّ الناس في مساكنهم. انظر في هذا المعنى ما رواه الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 88، وما رواه الواحدي في أسباب النزول ص 280 - 281.

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُم ﴾ أي: هو يحشر الخلق يوم القيامة ﴿ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: حكيم في أمره، عليم بخلقه.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَـٰنَ مِنْ صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ الصلصال التراب اليابس الذي تجمّع، يسمع له صلصلة. وقال في آية أخرى: (خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالفَخَّارِ) [الرَّحمٰن: 14]. يعني الذي يجف من الطين المنتن. وقال مجاهد: الصالّ، يعني المنتن، أي: قد صلَّ[1]، مثل قوله: (مِنْ حَمإٍ مَّسْنُونٍ) أي: الطين المنتن. ذكروا عن ابن عباس قال: المنتن. قال الحسن: نشأ ذريته على صورته.

قوله: (وَالجَانَّ خَلَقْنَـٰهُ مِنْ قَبْلُ) الجان، يعني إبليس في تفسير بعضهم. خلقناه من قبل، قال الحسن: أي: من قبل آدم. ﴿ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ أي: سموم جهنم.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰئِكَةِ إِنِّي خَـٰلِقٌ بَشَراً مِّنْ صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَـٰجِدِينَ فَسَجَدَ المَلَـٰئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ فكانت الطاعة لله، والسجدة لآدم.

قال الحسن: إن إبليس أمره الله بالسجود كما أمر الملائكة، وإنه ليس من الملائكة، وإن الملائكة خلقوا من نور، وخلق إبليس من النار [وقال ابن عباس: لو لم يكن إبليس من الملائكة لم يؤمر بالسجود][2].

قال: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّـٰجِدِينَ ﴾ قال الحسن: أبى أن يسجد معهم. وكان لإبليس اسم قبل أن يعصي الله، فسمّاه حين عصى إبليسَ. وأبلس من الإبلاس، والإبلاس هو الإياس من رحمة الله. كقوله: (أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُم

(1) صلّ اللحم إذا أنتن وتغيّر. وأدقّ تعريف في رأيي ما قاله: أبو عبيدة في المجاز ص 350: الصلصال: الطين اليابس الذي لم تصبه نار، فإذا نقرته صل فسمعت له صلصلة، فإذا طبخ بالنار فهو فخار وكل شيء له صلصلة، صوت، فهو صلصال. . .

(2) زيادة من ز، ورقة 169.

مُّبْلِسُونَ) [الأنعام: 44] أي: آيسون من رحمة الله. وكقوله: (لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) [الزخرف: 57] أي: آيسون من رحمة الله.

قوله: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَالَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّـٰجِدِينَ قَالَ لَم أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا ﴾ أي: من السماء ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ أي: ملعون ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي: إلى يوم الحساب؛ أي: إلى يوم القيامة، وعليك اللعنة أبداً.

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي ﴾ أي: أخّرني ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ ﴾ أي: إلى النفخة الأولى التي يموت بها كل حيّ. وأراد عدوّ الله أن يؤخره إلى النفخة الآخرة التي يبعث بها الخلق.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: بين النفختين أربعون؛ الأولى يميت الله بها كل حيّ؛ والآخرة يحيـي الله بها كل ميّت(1). ذكر بعضهم قال: النفخة الأولى من الدنيا والثانية من الآخرة.

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ قال الحسن: يريد قوله في أول الكلام (فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّين. قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي) أي: لعنتني ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: يزين لهم الدنيا فيأمرهم بها ويخبرهم أنه لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار، يوسوس ذلك إليهم.

قال: ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ أي: الذين أخلصوا القول والعمل فوفوا لله بهما(2).

(1) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، في سورة الزمر، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين (رقم 2955) كلاهما يرويه عن أبي هريرة.

(2) كذا قرأ المؤلف «المخلِصيـن» بكسر اللام وفسرها بالإخلاص في العبارة، وقراءة ورش عندنا بفتح اللام (المخلَصين) أي: أخلصتهم لطاعتك، وهي قراءة مشهورة قرأ بها أهل المدينة =

هو كقوله: (لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً) [الإسراء: 62] وكقوله: (وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) [الأعراف: 17] أي: مؤمنين. وكان الحسن يقرأها: (وَلَقَدْ صَدَقَ عليهم إبليسَ ظنُّه) [سبإ: 20] يرفع الظن وينصب إبليسَ. يقول صدق عليهم ظنه ولم يقل ذلك بعلم. وكان مجاهد يقرأها مثقلة: (وَلَقد صَدَّقَ عَلَيْهُم إِبْلِيسُ ظَنَّه فاتَّبَعُوهُ) يرفع إبليس وينصب الظنّ.

قوله: ﴿ قَالَ هَـٰذَا صِـرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ مثل قوله: (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ) [الّيل: 12] ومثل قوله: (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) [النحل: 9]أي: الهدى.

وقال مجاهد: الصراط الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه [لا يعرّج على شيء][1]، يعني أن الله هو الهادي لمن يشاء إلى صراط مستقيم، أي: إلى الجنة.

وبعضهم يقرأها: (صِراط عَلِيٌّ مستقيم)، يرفعها، يقول: صـراط رفيعٌ مستقيم.

قوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ مثل قوله: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [النحل: 99] أي: لا يستطيع أن يضل من هدى الله. قال: (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) أي: يتولون إبليس قال: (وَالذِينَ هُمْ بِهِ) أي: بالله (مُشْرِكُونَ) [النحل: 100].

قوله: ﴿ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ ﴾ وهم من كل ألـف تسعمائة وتسع وتسعون.

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي: لهؤلاء الغاوين ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْـوٰبٍ ﴾ بعضها تحت بعض مطبقة، الباب الأعلى جهنم، ثم سقر، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الجحيم، ثم الهاوية؛ وجهنم والنار يجمعان الأسماء.

= والكوفة. قال الطبري في تفسيره ج 14 ص 33: «(إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُم المُخْلَصِينَ) يقول: إلا من أخلصته بتوفيقك فهديته، فإن ذلك ممن لا سلطان لي عليه ولا طاقة لي به».

(1) زيادة من تفسير مجاهد، ص 341.

وكان الحسن يقول: (وَالجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ) أي: اسم من أسماء جهنم، ويدع بعض هذه الأسماء، ولا أدري أي اسم هو.

﴿ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ بلغنا ـ والله أعلم ـ أن الباب الأعلى لمشركي العرب، والباب الثاني للنصارى، والثالث للصابئين، والباب الرابع لليهود، والخامس للمجوس، والسادس لعبدة الأوثان، والسابع للمنافقين. فقال في آية أخرى: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) [النساء: 145] أي: الباب الأسفل.

وتفسير مجاهد في قول الله: (وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ) [فصلت: 29] يعني: إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه.

قوله: ﴿ إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ والعيون هي الأنهار، وقوله: (إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ) [القمر: 54] يعني به جميع الأنهار.

قوله: ﴿ أَدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ وذلك حين تتلقّاهم الملائكة تقول لهم: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)]الزمر: 73]. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[1]. وقوله: (آمنين) أي: آمنين من الموت، أي: خالدين فيها لا يموتون، وهو كقوله: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إِلَّا المَوْتَةَ الأُولَىٰ) [الدخان: 56].

قوله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ أي: من غلّ الدنيا الذي كان يكون بينهم في الدنيا، والضغائن التي كانت بينهم.

وبلغنا أنهم إذا توجَّهوا إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من أصلها عينان، فيشربون من إحداهما فتجري عليهم نضرة النعيم، فلا تشعث رؤوسهم، ويغتسلون في الأخرى فيخرج ما في بطونهم من أذى أو قذى أو غلّ أو غش. ثم يتوَجّهون إلى منازلهم، فتتلقاهم الملائكة فتقول لهم: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ. فقال الله: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ).

(1) انظر ما سلف في هذا الجزء، ص 305 - 306.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: يخلُص المؤمنون من النار فيحبسون عند قنطرة بين الجنة والنار، فَيُقتصُّ بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذّبوا ونقّوا قيل لهم: ادخلوا الجنة؛ فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى إلى منزله في الجنة منه إلى منزله كان في الدنيا[1]. وذلك قوله: ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [سورة محمد: 6] أي: عرفوها حين دخلوها، كأنهم كانوا قبل ذلك فيها. قال بعضهم: ما شبهوا إلا بأهل جمعة انصرفوا من جمعتهم.

قوله: ﴿ إِخْـوٰناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ قال بعضهم: ذلك في الزيارة إذا زار بعضهم بعضاً. وقال بعضهم: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض.

قوله: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ أي: تعب، والنصب والتعب واحد. ﴿ وَمَا هُمْ مِّنْهَا ﴾ أي: من الجنة ﴿ بِمُخْرَجِينَ ﴾.

قوله: ﴿ نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ أي: لا أغفرَ منه ولا أرحمَ، يغفر للمؤمنين ويرحمهم، فيدخلهم الجنة. ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي ﴾ يعني النار ﴿ هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ أي: الموجع.

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْـرٰهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلٰماً قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾ أي: خائفون. مثل قوله: ﴿ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾ [سورة هود: 70] وقال ها هنا: ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ ﴾ أي: لا تخف، والخوف والوجل واحد. ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ فعرف أنهم ملائكة.

فـ ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِـي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونِ ﴾. قال مجاهد: عجب من كِبَره وكِبَر امرأته.

---

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة من طريق قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ، ورواه الطبري بسند يرفعه من هذا الطريق إلى رسول الله ﷺ في تفسيره ج 14 ص 37 - 38، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ج 4 ص 101، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

﴿ قَالُوا بَشَّرْنَـٰكَ بِالحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ القَـٰنِطِينَ﴾ أي: من الآيسين. ﴿ قَالَ وَمَن يَّقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾.

﴿ قال فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾ [أي: ما أمركم][1] ﴿ أَيُّهَا المُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ أي: مشركين، وهذا جرم شرك، يعني قوم لوط لِنعذبهم. ﴿ إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ ﴾ يعني أهله المؤمنين ﴿ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الغَـٰبِرِينَ﴾ أي: الباقين في عذاب الله، في تفسير بعضهم. وقال الحسن: لمن الهالكين.

قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ المُرْسَلُونَ ﴾ أي: الملائكة ﴿ قَالَ ﴾ لوط ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾. قال مجاهد: أنكرهم نبي الله لوط.

﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ يعني جئناك بعذاب قوم لوط، في تفسير مجاهد، وقوله: (بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ) أي: يشكّون، ويقولون لا نعذب، لأنه كان يخوفهم بالعذاب إن لم يؤمنوا.

﴿وَأَتَيْنَـٰكَ بِالحَقِّ ﴾ يعني: وجئناك بعذابهم ﴿ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ ﴾ أي: بطائفة من الليل، والسُّرَى لا يكون إلا ليلاً ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ﴾ أي: كن آخرهم. ﴿ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾ أي: لا ينظر وراءه إلى المدينة. ﴿ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾.

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ ﴾ أي: أعلمناه ذلك الأمر. والقضاء ها هنا إعلام. ﴿ أَنَّ دَابِرَ هَـٰؤُلاَءِ ﴾ أي: أصل هؤلاء ﴿ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ وهو كقوله: (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ). [هود: 81].

قوله: ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ المَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ أي: قوم لوط يستبشرون بضيف لوط،

(1) زيادة من ز، ورقة 170.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 1 ص 353: «(أَنَّ دَابِرَ هَـٰؤُلاَءِ مَقْطُوعٌ) أي: آخرهم مجتثٌ مقطوع مستأصل».

أي: لما يريدون من عمل السوء، إتيان الرجال في أدبارهم.

﴿ قَالَ إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾. وكانوا إنما يفعلون ذلك بالغرباء، ولا يفعله بعضهم ببعض.

﴿ قَالُوا أَوَلَـمْ نَنْهَكَ عَنِ العَـٰلَمِينَ﴾ أي: أن تضيف أحداً. وكان لا يأوون[1] ضيفاً بليل، فكانوا يعترضون من مر بالطريق بالفاحشة.

﴿ قَالَ هَـٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾ أمرهم بتزويج النساء. وقد فسّرناه في غير هذا الموضع[2]. وقوله: (إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) أي: إن كنتم متزوّجين.

قوله: ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ وهذا قسم ﴿ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي: لفي ضلالتهم يلعبون، في تفسير بعضهم. وفي تفسير الحسن: يتمادون.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ ﴾ أي: بالعـذاب ﴿ مُشْرِقِينَ ﴾ أي: حين أشـرقت الشمس. ﴿ فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾. رفعها جبريل حتى سمع أهل السماء الدنيا ضواغي[3] كلابهم ثم قلبها. ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ ﴾ أي: أرسل الله عليهم بعد ما قلبها حجارة فاتبعت سفّارهم[4] ومن كان خارجاً من المدينة، وقوله: (مِنْ سِجِّيلٍ) هي بالفارسية سند وكل: أولها حجر وآخرها طين.

قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأيَةً لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ أي: للمتفرسين. وقال بعضهم: للمعتبرين[5]. يقول: فيما أهلك الله به الأمم السالفة.

---

(1) كذا في المخطوطات؛ يقال: أويته وآويته، إذا أنزلته، والجيّد منهما آويته.

(2) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 238.

(3) في مخطوطتي د وج «صواعر»، وفي ق: طوغي، وفيهما تصحيف. والصحيح ما أثبته: «ضواغي» جمع ضاغية. يقال: ضغا الذئب والسنور والكلب، يضغو إذا صوّت وصاح. والضُغاء: صوت كل ذليل مقهور. انظر اللسان: (ضغو).

(4) كذا جاءت الكلمة في المخطوطات: «سفّارهم». وهو جمع صحيح في العربية لِسَافر، كراكب، ركاب ومثله قوم سافِرة، وسَفْر، وأسْفار، لجماعة المسافرين.

(5) وقال أبو عبيدة في المجاز، ص 354: «(لِلْمُتَوَسِّمِينَ) أي: المتبصّرين المتثبّتين.

قوله: ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾، يعني قرية قوم لوط؛ يقول: إنها لبطريق واضح. وقال مجاهد: لبطريق معلم.

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال في آية أخرى: (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [الصافات: 137 - 138].

قوله: ﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴾ يعني الذين بعث إليهم شعيب ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ والأيكة الغيضة[1].

كانوا أصحاب غيضة. كان عامة شجرهم المقل، وهو الدوم، فسلّط الله عليهم الحرّ سبعة أيام، فكان لا يكنهم منه شيء. فبعث الله عليهم سحابة فلجأوا تحتها يلتسمون الروح[2] فجعلها الله عليهم ناراً، فاضطرمت عليهم فماتوا فيها. وهو قوله: (فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [الشعراء: 189].

قوله: ﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ يقول: إن منزل قوم لوط وأصحاب الأيكة (لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ) يعني بطريق[3] واضح، أي: بيّن.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ يعني ثمودَ، قومَ صالح. ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً ءَامِنِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ ﴾ أي: العذاب ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ حين طلع الفجر. ﴿ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي: للبعث

(1) الغيضة موضع يغيض فيه الماء ويتجمع فينبت فيه شجر كثير ملتف. (انظر اللسان (غيض).

(2) في المخطوطات «الرواح» وهو خطأ صوابه ما أثبته: «رَوْح» وهو نسيم الريح كما جاءت الكلمة في ز.

(3) في المخطوطات: «يعني بموضع» وأثبت ما هو أصح: «طريق». كما جاءت الكلمة في ز، ورقة 171. وزاد ابن أبي زمنين: «قيل للطريق إمام لأنه مُؤتَمٌّ به أي: يهتدى به». كأنه نقله من مجاز أبي عبيدة ج 2 ص 354 حيث قال: «الإمام كل ما ائتممت واهتديت به».

﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ ﴾ أي: القيامة ﴿لأتِيَةٌ﴾ أي: لجائية ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ ﴾ والصفح ها هنا منسوخ بالقتال. وهو كقوله: (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ) يعني المشركين (وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) [الزخرف: 89]. ثم أمره بقتالهم في سورة براءة فقال: (فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 5].

قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلَّـٰقُ العَلِيمُ ﴾ أي: لا خالق غيره ولا أعلم منه.

قوله: ﴿ وَلَقَـدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعـاً مِّنَ المَثَانِي وَالقُـرْآنَ العَظِيمَ ﴾. ذكـروا أن رسول الله ﷺ قال: السبع المثاني فاتحة الكتاب[1]. قال بعضهم: إنما سميت المثاني لأنهن يثنين في كل ركعة[2].

قوله: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَٰجـاً مِّنْهُمْ ﴾ [أي: أصنافاً منهم][3] قال مجاهد: يعني الأغنياء.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً: من نظر إلى من فوقه في الدين ومن دونه في الدنيا فاقتدى بهما كتبه الله شاكراً وصابراً[4].

قوله: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على المشركين إن لم يؤمنوا. ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: [ألنه لمن آمن بك][5] أي: ارأف بهم. وهو مثل قوله:

(1) انظر تخريجه فيما مضى، ج 1 ص 74، وانظر ما أورده أبو عبيدة في مجازه، ج 2 ص 354 في المراد بالسبع المثاني في رأيه. واقرأ ما ذكره الطبري في تفسيره ج 14 ص 51 - 60 حول اختلاف المفسرين في المراد بالسبع المثاني وهل هي فاتحة الكتاب أو السبع الطوال.

(2) أما أبو عبيدة فقال في المجاز، ص 354: «وإنما سمّيت آيات القرآن مثاني لأنها تتلو بعضها بعضاً، فثنيت الأخيرة على الأولى، ولها مقاطع تفصل الآية بعد الآية حتى تنقضي السورة وهي كذا وكذا آية...».

(3) زيادة من ز، ورقة 171.

(4) أخرجه الترمذي في صفة القيامة، باب النظر في الدين لمن هو أعلى، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند ضعيف. وقال عنه الترمذي: حديث غريب.

(5) زيادة من ز، ورقة 171.

﴿ بِالْمُومِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: 128]. ومثل قوله: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: 159].

قوله: ﴿ وَقُلِ إِنِّيَ أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ أي: أنذر الناس النار.

قوله: ﴿ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾.

تفسير الحسن: يقول [الله]: إنا أنزلنا عليك القرآن كما أنزلنا على المقتسمين. والمقتسمون أهل الكتابين الذين اقتسموه فجعلوه كتباً بعد إذ كان كتاباً واحداً، فجعلوه كالأعضاء، وحرّفوه عن مواضعه، ثم قالوا: هذا من عند الله. وكتب الله كلها قرآن[1]. وقال في آية أخرى: ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾. [المؤمنون: 53]. وهي تقرأ على وجهين: زُبَراً وزُبُراً؛ فمن قرأها زُبَراً فهو يقول: قِطَعاً، ومن قرأها زبُراً فهو يقول: كتباً.

ذكروا عن ابن عباس قال: هم اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض.

وذكر بعضهم قال: هم رهط خمسة من قريش عضهوا[2] كتاب الله، فزعم بعضهم أنه سحر، وزعم بعضهم أنه شعر، وزعم بعضهم أنه كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين، وزعم بعضهم أن محمداً مجنون، وزعم بعضهم أنه كاذب.

قال: أما أحدهم فالأسود بن عبد يغوث، أتى على نبي الله وهو عند البيت، فقال له المَلَك: كيف تجد هذا؟ فقال: بئس عبد الله. قال: قد كفيتكه. ثم أتى عليه الوليد بن المغيرة، فقال له: كيف تجد هذا؟ فقال: بئس عبد الله. قال: كفيتكه، ثم أتى عليه الأسود بن المطلب، فقال المَلَك: كيف تجد هذا؟ قال: بئس عبد الله.

(1) كذا في المخطوطات: «وكتب الله كلها قرآن». وهو الصحيح. ومعناه أن كتب الله كلها مجموع أجزاؤها، مضموم بعضها إلى بعض، ومن معاني لفظ القرآن لغةً الجمع والضم. انظر اللسان: (قرأ).

(2) كذا في ق «عضهوا»، وفي د وج «عضّوا» ولكل معنى. فأما عضّى، تعضية، فمعناه فرّق وجزّأ وهذا المعنى هو الأنسب هنا. وأما عضه، يعضه عَضْهاً فمعناه قذفه ورماه ببهتان وقال في الشي أو الشخص ما ليس فيه زوراً وبهتاناً.

قال: كفيتكه. ثم أتى عليه العاص بن وائل، فقال له الملَك: كيف تجد هذا؟ قال: بئس عبد الله. قال: كفيتكه.

فأما الأسود فأتى بغصن من شوك فضرب به على رأسه ووجهه حتى سالت حدقتاه، فكان يقول بعد ذلك: دعا عليّ محمد بدعوة، ودعوت عليه بأخرى، فاستجاب الله له فيّ، واستجاب لي فيه: دعا علي أن أُثكَل وأن أَعمى[1] فكان كذلك. ودعوت عليه أن يصير طريداً شريداً وحيداً مع يهود يثرب وسراق الحج، فكان كذلك[2]. وأما الوليد بن المغيرة فذهب يرتدي فتعلق بردائه سهم لا يدرى راميه فأصاب أكحله فمات. وأما العاص بن وائل فوطىء على شوكة فأوتى في ذلك حتى تساقط لحمه عضواً عضواً فمات وهو كذلك. وأما الأسود بن المطلب وعدي بن قيس فلا أدري ما أصابها، وهم المستهزؤون، استهزأوا بكتاب الله وبنبيه[3].

وقال بعضهم: هم خمسة نفر من قريش اقتسموا القرآن خمسة أجزاء، كل رجل منهم جزءاً نقضاً على محمد ورداً عليه.

وفي تفسير الكلبي: إنهم سبعة عشر رجلاً قسموا على عِقَاب[4] مكة لمن قدم مكة من الناس، يسألونهم عن محمد؛ فقالت طائفة: هو كاهن، إنما قوله كهانة، وقالت طائفة: إنما هو شاعر، وقالت طائفة: إنما هو مجنون يهذي من أم رأسه، وقالت طائفة منهم: إنما هو ساحر فعضهوا القرآن.

قال: ﴿ فَوَرَبِّـكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

---

(1) قيل إن رسول الله ﷺ دعا عليه فقال: اللهم اعم بصره وأثكله ولده. كذا رواه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق، ج 1 ص 409، وابن جرير الطبري في تفسيره، ج 14 ص 71.

(2) لا والله لم يكن طريداً ولا شريداً ولا وحيداً، بل كان مكرّماً مبجّلاً، عزيزاً بين السابقين الأولين الذين هاجروا معه، وفي منعة من الأنصار الذين آووا ونصروا؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ورضي الله عنهم أجمعين.

(3) اقرأ بتفصيل: «كفاية الله أمر المستهزئين في سيرة ابن هشام ج 1 ص 408 - 410.

(4) جمع عَقَبَة، وهي الطريق الصاعد في الجبل.

قوله: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤمَرُ ﴾ قال الكلبي: أظهر ما أمرت به، وهذا بعد ما اكتتم سنتين بمكة، ثم أمره أن يظهر ما أمره الله به.

وقال مجاهد: اجهر بالقرآن في الصلاة.

قوله: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾. نسخها القتال.

قوله: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ قال بعضهم: هم المقتسمون الخمسة.

وقال الكلبي: إن المقتسمين السبعة عشر. والمستهزءون خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والحارث بن قيس، وهو عم عبد الله بن الزبعرى، والأسود بن المطلب، وهو أبو زمعة بن أسد، والأسود بن عبد يغوث الزهري، [ابن][1] خال رسول الله ﷺ، أخي أمه. قال: ﴿ الذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ أي: إنك ساحر، وإنك كاهن، وإنك مجنون، وإنك شاعر، وإنك كذاب. ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ أي: المصلين.

﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾. يعني الموت. وهو تفسير مجاهد.

وقال بعضهم: عند الموت يأتيك يقين، أي: من الخير أو الشر. وكان الحسن يقول: ابن آدم عند الموت يأتيك اليقين.

(1) سقطت هذه الكلمة من جميع المخطوطات، والصواب إثباتها، لأنه الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف، وأم الرسول ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف.

تفسير سورة النّحل.
وهي من أولها إلى صدر هذه الآية: (والذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا) [الآية: 41] مكية وسائرها مدني[1]

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾. قال الحسن: هذا جواب من الله لقول المشركين للنبي عليه السلام: (اِيتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأنفال: 32]، ولقولهم: (عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا) [سورة صٓ: 16]. فقال: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ) [العنكبوت: 54]. وقال: (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) أي: إن العذاب قريب. وبعضهم يقول: يستعجلونك بعذاب الآخرة، وذلك منهم تكذيب واستهزاء. فأنزل الله: (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ).

قوله: ﴿سُبْحَـٰنَهُ﴾ أي: ينزّه نفسه عما يقول المشركون. ﴿ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ من العلو، أي: ارتفع عما يشركون به.

قوله: ﴿ يُنَزِّلُ المَلَـٰئِكَةَ بِالرُّوحِ ﴾ أي: بالرحمة والوحي ﴿ مِنَ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾.

ذكروا عن كعب قال: إن أقرب الملائكة إلى الله إسرافيل. وإذا أراد الله أمراً أن يوحيه جاء اللوح حتى يصفق جبهة إسرافيل، فيرفع رأسه، فينظر، فإذا الأمر مكتوب، فينادي جبريل فيلبّيه، فيقول: أمرت بكذا، أمرت بكذا، فلا يهبط جبريل من سماء

(1) ورد هذا التفصيل بين ما هو مكي وما هو مدني من هذه السورة في كل من ج، ود، وز، ورقة 171، وسقط من ق.

إلى سماء إلا فزع أهله مخافة الساعة، حتى يقول جبريل: الحق من عند الحق، فيهبط على النبي عليه السلام، فيوحي إليه.

قوله: ﴿ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ أي: لا تعبدوا معي إلـهاً آخر.

قوله: ﴿ خَلَقَ الإِنْسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ يعني بالإنسان ها هنا المشرك[1] ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ وهو كقوله: (أَوَ لَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) [يٓس: 77 - 78].

قوله: ﴿ وَالأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ﴾ يعني الإبل والبقر والغنم ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ أي: ما يصنع من الكسوة من أصوافها وأوبارها وأشعارها. ﴿ وَمَنَافِعُ ﴾ في ظهورها. هذه الإبل والبقر، وألبانها في جماعتها. قال: ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ أي: من جماعتها، أي: لحومها. ويؤكل من البقر والغنم السمن.

وقال بعضهم: (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ) أي: لباس. وقال مجاهد: لباس ينسج. وقال مجاهد في قوله: (وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) قال: منها مركب ولحم ولبن.

قوله: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ ﴾ أي: حين تروح عليكم راجعة من الرعي. ﴿ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ أي: تسرحونها إلى الرعي.

وقال بعضهم: (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ) يعني الإبل. وهي أعجب ما تكون إذا راحت عظاماً ضروعُها، طوالاً أسنمتُها، (وَحِينَ تَسْرَحُونَ) إذا سَرَحت لرعيها.

قوله: ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَـٰلِغِيهِ ﴾ أي: البلد الذي تريدونه. وفي تفسير الحسن أنها الإبل والبقر. ﴿ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ ﴾ أي: لولا أنها تحمل أثقالكم لم تكونوا بالغي ذلك البلد إلا بمشقة على أنفسكم. وقال بعضهم: إلا بجهد الأنفس. ومن فسّرها بجهد الأنفس فهو يقرأها بشق الأنفس.

(1) وقيل الإنسان هنا اسم جنس، ويقصد به جميع الناس ولا يُخص به المشرك من غيره.

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ يقول: فبرأفة الله وبرحمته سخّر لكم هذه الأنعام، وهي للكافر رحمة الدنيا ليرزقه فيها من النعم.

قوله: ﴿ وَالخَيْلَ ﴾ يقول: وخلق الخيل ﴿ وَالبِغَالَ وَالحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ أي: في ركوبها. وذكر بعضهم أن الله خلقها للركوب وللزينة.

ذكروا عن جابر بن عبد الله أنهم أكلوا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير، فنهى رسول الله ﷺ عن لحوم الحمير والبغال ولم ينه عن الخيل.

ذكر عطاء عن جابر بن عبد الله أنهم كانوا يأكلون لحم الخيل على عهد رسول الله ﷺ.

وذكر عن الحسن قال: نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية وعن ألبانها.

ذكر الحكم الغفاري مثل ذلك. قال: وأَبَى البحر[1] ذلك. قيل: من البحر؟ قال: ابن عباس. قال: (قُل لَّا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ. . .) إلى آخر الآية. [الأنعام: 145].

قال: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: من الأشياء كلها مما لم يذكر لكم.

قوله: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ أي: قصد الطريق، أي: طريق الهدى إلى الجنة، كقوله: (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ) [الّيل: 12]. وكقوله: (هَـٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) [الحجر: 41].

وقال بعضهم: قصد السبيل: بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته.

قوله: ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ أي: وعنها، أي: عن السبيل جائر، وهو الكافر جار عن

(1) في المخطوطات: «وأبى البحر من ذلك». أي: أن ابن عباس أبى أكل لحوم الخيل. والمروّي في المسألة أن ابن عباس سئل عن أكل لحوم الخيل فكرهها. انظر اختلاف العلماء في أكل لحوم الخيل في تفسير القرطبي، ج 101 ص 75 - 78.

سبيل الهدى. وجار عنها وجار منها واحد، وهي في قراءة ابن مسعود: ومنكم جائر. قال بعضهم: جائر من السبيل، أي: عن سبيل الهدى، ناكب عنها. وذلك تفسيرها[1].

قال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾. مثل قوله: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً) [يونس: 99]. وكقوله: (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً) [الرعد: 31].

قال: ﴿ هُوَ الذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ أي: ترعون أنعامكم، أي: تسرحونها فيه. وقال مجاهد: (تُسِيمُونَ) أي: تُرْعون.

قوله: ﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ ﴾ أي: بذلك الماء ﴿ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَـٰبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَـٰرَٰتِ﴾ ذكر بعضهم قال: إن الله أهبط إلى الأرض من الجنة ثلاثين ثمرة؛ عشر يؤكل داخلها ولا يؤكل خارجها، وعشر يؤكل خارجها ولا يؤكل داخلها، وعشر يؤكل داخلها وخارجها[2].

قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وهم المؤمنون. قال: فالذي ينبت من ذلك الماء الواحد هذه الألوان المختلفة قادر على أن يحيـي الموتى.

قوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ يختلفان عليكم ﴿ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّـرَٰتٍ بِأَمْرِهِ ﴾ يذكر عباده نعمته عليهم، وينبههم بها على لسان نبيه مما لم ينتبهوا له إلا بالمنبهين، وهم الأنبياء. ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: وما خلق لكم في الأرض ﴿ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ﴾ قال الحسن: من النبات. وقال بعضهم: من الدواب والشجر والثمار. قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

---

(1) قال الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 97: «(وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ)، يقال: هداية الطريق، ويقال: السبيل: الإسلام. (وَمِنْهَا جَائِرٌ)؛ يقال: الجائر: اليهودية والنصرانية».

(2) هذا نوع من التكرار الذي لاحظه ابن أبي زمنين على تفسير ابن اسلام، والذي لا لزوم له، فقد مر هذا القول في هذا الجزء قريباً في صفحة 293.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي سَخَّرَ البَحْرَ ﴾ أي: خلق البحر ﴿ لِتَأكُلُوا مِنْهُ لَحماً طَرِيّاً ﴾ أي: الحيتان ﴿ وَتَسْتَخرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ أي: اللؤلؤ. ﴿ وَتَرَى الفُلْكَ ﴾ أي: السفن ﴿ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ يعني شقها الماء في وقت جريها[1].

وقال بعضهم: (مَواخِرَ فِيهِ) أي: سفن البحر مقبلة مدبرة تجري فيه بريح واحدة. وقال مجاهد: ولا تُجري الريح من السفن إلا العظام ﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ يعني طلب التجارة في البحر. ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: لكي تشكروا. وهو مثل قوله: (لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) [النحل: 81].

قوله: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾ وهي الجبال ﴿ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ أي: لئلا تتحرك بكم. وقال مجاهد: أن تكفأ بكم. وقد فسّرناه في غير هذا الموضع[2]. ﴿ وَأَنْهَاراً ﴾ أي: جعل فيها أنهاراً ﴿ وَسُبُلاً ﴾ أي: طرقاً ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي: لكي تهتدوا الطرق.

﴿ وَعَلَٰمَـٰتٍ ﴾ أي: جعلها في الطرق تعرفونها بها. ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ والنجم جماعة النجوم التي يهتدون بها[3].

قوله: ﴿ أَفَمَن يَّخْلُقُ ﴾ يعني نفسه ﴿ كَمَنْ لَّا يَخْلُقُ ﴾ يعني الأوثان، على الاستفهام، هل يستويان. أي: لا يستوي الذي يخلق والأوثان التي لا تخلق والتي تعبدون من دون الله، التي لا تملك ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، والنشور البعث.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز: «(وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) من مخرت الماء، أي: شقّته بجآجئها، والفلك ها هنا في موضع جميع، فقال فواعل، وهو موضع واحدٍ، كقوله: (الفُلْكِ المَشْحُونِ)...» [الشعراء: 119].

(2) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 293.

(3) روى الطبري في تفسيره ج 14 ص 91 - 92 بسند عن قتادة قال: «قوله (وَعَلَامَاتٍ وبِالنَّجْمِ يَهْتَدُونَ) والعلامات النجوم. وإن الله تبارك وتعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات: جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدى بها، وجعلها رجوماً للشياطين. فمن تعاطى فيها غير ذلك فقدَ رأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبَه، وتكلّف ما لا علم له به».

﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ يقوله للمشركين. والمؤمنون هم المتذكرون. يقول: أفمن يخلق كمن لا يخلق. والله هو الخالق، وهذه الأوثان التي تعبدون من دون الله تُخلَق ولا تَخلق شيئاً.

قوله: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ ﴾ أي: ما يسر المشركون من نجواهم في أمر النبي، أي: ما يتشاورون في أمره، مثل قوله: (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الذِينَ ظَلَمُوا) أي: الذين أشركوا (هَلْ هَـٰذَا) يعنون محمداً (إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) [الأنبياء: 3] أي: أنه سحر. يعنون القرآن. قال الله ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ أي: من شركهم وجحودهم.

﴿ وَالذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يعني الأوثان ﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ أي: يصنعون بأيديهم. قال إبراهيم: (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [الصافات: 95 - 96] أي: بأيديكم.

قوله: ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ أي: الأوثان أموات لا أرواح فيها ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾.

قال بعضهم: تحشر الأوثان بأعيانها فتخاصم عابديها عند الله بأنها لم تدعهم إلى عبادتها، وإنما كان دعاهم إلى عبادتها الشيطان. قال الله: (إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً) أي: أمواتاً لا أرواح فيها (وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَّرِيداً) [النساء: 117].

قوله: ﴿ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَالذِينَ لَا يُومِنُونَ بِالأَخِرَةِ ﴾ أي: لا يصدّقون بالآخرة ﴿ قُلُوبُهُم مُّنْكِرَةٌ ﴾ أي: لهذا القرآن. وبعضهم يقول منكرة لا إلـه إلا الله ﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن عبادة الله وعما جاء به رسول الله. وقال بعضهم: عن القرآن، وهو واحد.

ثم قال: ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ وهي كلمة وعيد[1]. ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا

(1) أصلها لا بد ولا محالة، ثم صار لها أحياناً معنى القسم. وقال المفسرون: معناها: حقاً. انظر ما قاله الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 58 في أصل معنى لا جرم واستعمالها ومعناها الذي لها بعد =

يَعْلِنُونَ ﴾. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع. ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ﴾ أي: إذا قال المؤمنون للمشركين ماذا أنزل ربكم ﴿ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾. وإنما ارتفعت لأنهم قالوا: إنه أساطير الأولين، وهذه حكاية[1]، أي: كذب الأولين وباطلهم. فليس يقرون أن الله أنزل كتاباً، ويقولون: إن النبي افتراه من عنده. وإنما قال ذلك ناس من المشركين، مشركي العرب، كانوا يرصدون بطريق مكة من أتى النبي؛ فإذا مرّ بهم من المؤمنين من يريد النبي قالوا: إنما هو أساطير الأولين.

وفي تفسير الكلبي: إن المقتسمين الذين تفرقوا على عقاب مكة أربعة نفر على كل طريق؛ أمرهم بذلك الوليد بن المغيرة فقال: إن الناس سائلوكم عن محمد غداً بعد الموسم؛ فمن سألكم عنه فليقل بعضكم إنه ساحر، وليقل الآخر: كاهن، وليقل الآخر شاعر، وليقل الآخر مجنون يهذي من أمّ رأسه؛ فإن رجعوا ورضوا بقولكم فذاك، وإلا لقوني عند البيت. فإذا سألوني صدّقتكم كلّكم.

فسمع ذلك رسول الله ﷺ فشقّ عليه، فبعث مع كل الأربعة أربعة من أصحابه وقال لهم: إذا سألوا عني فكذبوا عني فحدّثوا الناس بما أقول. فكان إذا سئل المشركون ما صاحبكم، فقالوا: ساحر قال الأربعة الذين هم من أصحاب رسول الله ﷺ: انطلقوا حتى تسمعوه، بل هو رسول الله حقاً، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويأمر بصلة ذي القربى، وبأن يُقرَى الضيف، وبأن يُعبد الله، في كلام حسن جميل؛ فيقول الناس للمسلمين: والله لما تقولون أنتم أحسن مما يقول هؤلاء، والله لا نرجع حتى نلقاه، فهو قوله: (وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ).

قال: ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ ﴾ أي: آثامهم في تفسير الحسن. وقال بعضهم:

= ذلك. وانظر اللسان (جرم) فإن ابن منظور يفصل مختلف معانيها واستعمالها. وانظر ما سلف في هذا الجزء ص 221.

(1) قلّما يتعرض المؤلف إلى مسائل الإعراب في تفسيره هذا، وإذا فعل فبإيجاز.

ذنوبهم، وهو واحد. ﴿ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ ﴾ يعني الذين قالوا أساطير الأولين ﴿ وَمِنَ أَوْزَارِ الذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ أي: بئس ما يحملون. أي: يحملون آثام أنفسهم ومثل آثام الذين دعوهم إلى الضلالة فاتّبعوهم عليها. وهو كقوله (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ) [العنكبوت: 13] أي: يحملون آثامهم ومثل آثام الذين دعوهم إلى الضلالة فاتبعوهم عليها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزار الذين اتبعوهم شيء. هذا في القادة والأتباع.

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: أيما داع دعا إلى هدى فاتّبع عليه كان له مثل أجر من اتبعه من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. وأيما داعٍ دعا إلى ضلالة فاتبع عليها كان عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً[1].

قوله: ﴿ قَدْ مَكَرَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ يعني الذين أهلك بالرجفة من الأمم السالفة، رجفت بهم الأرض. ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ أي: سقطت سقوف بيوتهم ومنازلهم عليهم. ﴿وَأَتَـٰهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: أتاها أمر الله من أصلها، فخر عليهم السقف من فوقهم. والسقف أعلى البيوت، فانتقضت[2] بيوتهم بهم.

قال مجاهد: يعني [مكر] نمروذ [بن كنعان، وهو الذي حاج إبراهيم في ربه][3].

قال: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ ﴾ أي: في النار بعد عذاب الدنيا ﴿ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ﴾ أي: الذين زعمتم أنهم شركائي ﴿ الذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰقُّونَ فِيهِمْ ﴾ أي:

---

(1) راوه ابن ماجه في المقدمة، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، عن أنس بن مالك (رقم 205) وعن أبي هريرة (رقم 206) وانظر ما سلف في الجزء الأول ص 465.

(2) في مخطوطة ق: «فانتصبت»، وفي ج ود: «ما نتصبت» (كذا) غير مضبوطة. وأثبت ما بدا لي قريباً من الكلمة المصحفة. وفي تفسير الطبري ج 14 ص 98: «فأتفكت بهم بيوتهم» والقول لقتادة.

(3) ما بين المعقوفين زيادة من تفسير مجاهد، ص346.

تفارقون فيهم، يعني المحاربة والعداوة، أي: عادوا الله في الأوثان يعبدونها من دونه.

﴿ قَالَ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ﴾ وهم المؤمنون ﴿ إِنَّ الخِزْيَ اليَوْمَ ﴾ أي: الهوان ﴿ وَالسُّوءَ ﴾ أي: العذاب ﴿ عَلَى الْكَـٰفِرِينَ﴾ وهذا الكلام يوم القيامة.

قوله: ﴿ الذِينَ تَتَوَفَّيٰهُمُ المَلَـٰئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ قال بعضهم: توفتهم عند الموت. وقال الحسن: هي وفاة إلى النار، أي: حشر إلى النار.

﴿ فَأَلْقَوُا السَّلَـمَ ﴾ قال بعضهم: استسلموا. وقال الحسن: أعطوا السلم أي: أسلموا فلم يقبل منهم؛ وقال: إن في القيامة مواطن، فمنها موطن يقرّون فيه بأعمالهم الخبيثة، وهو كقوله: (وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمُ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِين) [الأنعام: 130] أي: في الدنيا. وموطن يجحدون فيه فقالوا: ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ فقيل لهم: ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: في الدنيا إذ أنتم مشركون. وموطن آخر (قَالُوا: وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) فقال الله: (انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ) [الأنعام: 23 - 24] (وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) أي: من عبادتهم الأوثان، فلم تغن عنهم شيئاً، وموطن آخر، وهو آخرها، أن يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم (وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [سورة يٰس: 65].

قوله: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: عن عبادة الله عزّ وجلّ.

﴿ وَقِيلَ لِلذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً ﴾ أي: أنزل خيراً. ثم انقطع الكلام. ثم قال: ﴿ لِلذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ أي: آمنوا ﴿ فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الأَخِرَةِ خَيْرٌ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْمُؤمن حسنة؛ يثاب عليها بالرزق في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة(1).

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا. عن أنس بن مالك (رقم 2808) وزاد في =

وقال الحسن: (لِلذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ): تكون لهم حسنتهم في الآخرة الجنة. قال: (وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ) أي: الجنة خير من الدنيا. ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾.

قوله: ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ﴾. وقد فسَّرناه قبل هذا الموضع. وعدن أشرف الجنان، نسبت الجنان كلها إليها.

قال: ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الذِينَ تَتَوَفَّيٰهُمُ الْمَلَٰئِكَةُ ﴾ [أي: تقبض أرواحهم][1] ﴿ طَيِّبِينَ ﴾. قال مجاهد: طيبين أحياء وأمواتاً أينما كانوا بالعمل الصالح ﴿ يَقُولُونَ ﴾ لهم ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

ذكروا أن الملائكة تأتي ولي الله عند الموت فيقولون: السلام عليك يا ولي الله، الله يقرئك السلام وتبشره الملائكة بالجنة. ذكروا أن الله يقول لهم: ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض. وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له برق يكاد يخطف البصر، فيقول: ما هذا؟ فيقال له: هذا نور أخيك فلان. فيقول أخي فلان! كنا نعمل في الدنيا جميعاً، وقد فضل عليّ هكذا؟ فيقال: إنه كان أحسن منك عملاً. قال: ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى[2].

قوله: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ أي: ما ينظرون ﴿ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَٰئِكَةُ﴾ أي: بالموت ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ أي: القيامة في تفسير بعضهم. وقال الحسن: هل

= آخره: «وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها». وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده عن أنس.

(1) زيادة من ز ورقة 173.

(2) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 329.

ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة، أي: بعذابهم، يعني مشركي العرب، أو يأتي أمر ربك، يعني النفخة الأولى التي يهلك بها آخر كفار هذه الأمة الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه قبل عذاب الآخرة.

قال: ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: كذلك كذب الذين من قبل مشركي العرب، فأهلكناهم بالعذاب. قال: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَـٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ أي: يضرون، وقال الحسن: ينقصون.

قوله: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ أي: ثواب ما عملوا ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: بآيات الله والرسل.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أي: ما حرّموا على أنفسهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام والزرع. وهو قوله: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا: هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَائِنَا. .) إلى آخر الآية. [الأنعام: 136]. وقالوا لو كره الذي نحن عليه لحوّلنا عنه. فقال الله جواباً لقولهم: (كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا) أي: عذابنا. وقد ذكر عنهم في سورة الأنعام قبل هذا القول فقال: (قُلْ هَلْ عِنْدَكُم مِّنْ عِلم فَتُخْرِجُوهُ لَنَا) أي: هل عندكم من حجة أنه لا يكره ما أنتم عليه (إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) [الأنعام: 148] وقال في هذه الآية: ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَىٰ الرُّسُلِ إِلَّا البَلٰغُ المُبِينُ ﴾ أي: ليس على الرسل إلا أن تبلغ أممها ما أرسلها به ربها إليهم، ليس عليهم أكثر من ذلك.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً ﴾ يعني ممن أهلك بالعذاب ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّـٰغُوتَ ﴾ والطاغوت الشيطان، هو دعاهم إلى عبادة الأوثان وهو مثل قوله: (إِن يَّدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً وَإِن يَّدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَّرِيداً) [النساء: 117]. قال: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَٰلَةُ ﴾ كقوله: (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) [هود: 105]. والذين حقّت عليهم الضلالة والذين شقوا إنما ضلوا وشقوا بأعمالهم.

قال: ﴿ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ أي: الرسل. كان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

قوله: ﴿ إِنْ تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَيٰـهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُهْدَىٰ مَن يُّضِلُّ ﴾ كقوله: (مَن يُّضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ) [الأعراف: 186]. وهي تقرأ على وجه آخر: لا يَهدِي من يُضِل): أي: من أضله الله، وقد حقت عليه الضلالة بفعله، فإن الله لا يهديه[1]. وقوله: (إِنْ تَحْرِصْ) كقوله: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَّشَاءُ) [القصص: 56] ﴿ وَمَا لَهُم مِّنْ نَاصِرِينَ ﴾ أي: إذا جاءهم العذاب.

قوله: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَّمُوتُ ﴾ قال: ﴿ بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ ﴾ ليبعثنهم. ثم قال ﴿ حَقّاً ﴾ فأقسم بقوله حقاً[2]. ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قال: ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾أي: ما يختلفون فيه في الدنيا، أي: ما اختلف فيه المؤمنون والكافرون. ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَـٰذِبِينَ﴾ أي: في قولهم في الدنيا: (لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَّمُوتُ).

قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُ﴾ [قبل أن يكون] ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾.

قوله: ﴿ وَالَّـذِينَ هَاجَـرُوا فِي اللَّهِ ﴾ أي: إلى المدينـة ﴿ مِن بَعْدِ مَـا ظُلِمُوا ﴾أي: من بعد ما ظلمهم المشركون وأخرجوهم من ديارهم، أي: من مكة، وهو قوله: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا) [الحج: 39] ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا

(1) قال الفراء في معاني القرآن ج 2 ص 99: «وقرأها أهل الحجاز (لا يُهدَىٰ من يُضِلّ)، وهو وجه جيّد، لأنها في قراءة أبي (لا هادي لمن أضلّ الله). ومن في الوجهين جميعاً في موضع رفع، ومن قال: (يُهدَىٰ) كانت رفعاً إذ لم يسم فاعلها. ومن قال (لا يَهدِي) يريد: يهتدي يكون الفعل لمَن».

(2) كذا في ق وفي ج ود. «فأقسم بقوله حقّاً» ولم أجد في كتب التفسير أو إعراب القرآن من قال: إن كلمة (حَقّاً) هنا قسم. والصواب أنها صفة لـ (وَعْداً) أفادت توكيد الإثبات الذي دلت عليه كلمة (بَلَىٰ) واقرأ ما كتبه الفراء في المعاني ج 2 ص 100: «وقوله: (بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً) بلى ليبعثنهم وعداً عليه حقّاً. ولو كان رفعاً على قوله: بلى ذلك وعد عليه حق كان صواباً».

حَسَنَةً ﴾ أي: المدينة منزلاً في تفسير مجاهد(1). قال الحسن: لنعطينهم في الدنيا النصر. ﴿ وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ من الدنيا ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ لعلموا أن الجنة خير من الدنيا. أي: إن الله يعطي المؤمنين في الآخرة أفضل مما يعطي في الدنيا.

ذكر بعضهم قال: هؤلاء أصحاب نبي الله؛ ظلمهم أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم، حتى لحق طوائف منهم بالحبشة، ثم بوأهـم الله بعد ذلك المدينة.

قوله: ﴿ الذِينَ صَبَرَوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ قال الحسن: هم الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا.

وقال الكلبي: هم صهيب وخبّاب بن الأرت، وبلال، وعمار بن ياسر، وفلان مولى أبي بن خلف الجمحي(2)، أخذوا بعد ما خرج رسول الله ﷺ من مكة، فعذبهم المشركون على أن يكفروا بمحمد رسول الله ﷺ فعذبوا حتى بلغ مجهودهم.

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ يقوله للمشركين، يعني أهل الكتابين. وقال بعضهم: يعني أهل التوراة. [وقال بعضهم: أهل الذكر عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا](3). مثل قوله: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) [الأنبياء: 7 - 8] أي: لا يموتون.

قوله: ﴿ بِالْبَيِّنَـٰتِ وَالزُّبُرِ ﴾ فيها تقديم، وتقديمها: وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالاً يوحى إليهم. والزبر الكتب. قال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ أي:

(1) ليس هذا قولاً لمجاهد. فإنه لم يرد في تفسيره ولا في تفسير الطبري نسبته إليه، وإنما هو قول لابن عباس كما جاء في بعض التفاسير للشعبي. وجاء في تفسير مجاهد ص 347 ما يلي: «(لَنُبَوِّئَنَّهُـمْ في الدنيا) لنرزقنهم في الدنيا رزقاً حسناً». ولتفسير الآية أوجه أخرى أوردها ابن الجوزي في زاد المسير، ج 4 ص 448.

(2) لم أجد فيما بين يدي من مصادر التفسير والتاريخ والسيرة مولى كان يعذبه أبي بن خلف حتى أتحقق من اسمه.

(3) زيادة من ز، ورقة 174 والقول للسدي.

القرآن ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي: ولكي يتفكروا في القرآن.

قوله: ﴿ أَفَأَمِنَ الذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ أي: عملوا السيئات، والسيئات ها هنا الشرك ﴿ أَن يَّخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ قال: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ ﴾ في البلاد، أي: في أسفارهم في غير قرار ﴿ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي: بسابقين ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ أي: يهلك القرية، يخيف بهلاكها القرية الأخرى لعلهم يرجعون، أي: لعل من بقي منهم على دينهم، دين الشرك، أن يرجع إلى الإيمان[1].

وقال الكلبي: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) في البلاد بالليل والنهار. (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ) أي: على تنقص[2]: أي: يبتليهم بالجهد حتى يرقوا ويقلّ عددهم. فإن تابوا وأصلحوا كشف عنهم. فذلك قوله: (فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) أي: إذ جعل لكم متاباً ومرجعاً.

قوله: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ ﴾، أي: يرجع ظل كل شيء، من الفيء ﴿ عَنِ اليَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ والفيء الظل. وقال الحسن: ربما كان الفيء عن اليمين، وربما كان عن الشمال. وقال الكلبي: هذا يكون قبل طلوع الشمس وبعد غروبها. وقال بعضهم: (عَنِ اليَمِينِ والشَّمَائِلِ). أما اليمين فأول النهار، وأما الشمائل فآخر النهار.

قوله: ﴿ سُجَّداً لِّلَّهِ ﴾ فظل كل شيء سجوده. ﴿ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ أي: وهم

---

(1) من هنا أضيف إلى مخطوطاتي السابقة ق، ع، ج، د، وز للتحقيق مخطوطة أخرى من تفسير ابن سلام اقتنيتها مصورة من المكتبة الوطنية بتونس بسعي مشكور من أحد الأساتذة الفضلاء هو الدكتور سعد غراب، جازاه الله عنا وعن الإسلام كل خير، وهي المخطوطة التي تحمل رقم 7447 (عبدلية)، والتي أرمز لها بحرفي س وع هكذا: «سع».

(2) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن: «أي: على تنقّص، ومثله التخوّن. يقال تخوّفته الدهور وتخوّنته إذا نقصته وأخذت من ماله أو جسمه».

صاغرون فيسجد ظل الكافر كارهاً. أي: يسجد ظله والكافر كاره.

قوله: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالمَلٰئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي: عن عبادة الله. يعني الملائكة. قال بعضهم [في قوله: (وَالمَلاَئِكَةُ) أي: تسجد ملائكة الأرض][1] ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلَـٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ أي: لا تعبدوا مع الله إلـهاً غيره ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّـٰيَ فَارْهَبُونِ ﴾ أي: فخافون.

قوله: ﴿ وَلَـهُ مَا فِي السَّمٰـوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً ﴾ أي: دائماً[2] ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ يعني المشركين. على الاستفهام، أي: قد فعلتم، فعبدتم الأوثان من دونه.

قوله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ ﴾ أي: المرض وذهاب الأموال والشدائد ﴿ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ أي: [تصرخون][3]، أي: تدعونه ولا تدعون الأوثان. وقال مجاهد: (تَجْأَرُونَ) أي: تضرّعون.

قال: ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ يعني بالفريق المشركين. ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وهذا وعيد هوله شديد.

قوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ﴾ يعني آلهتهم. أي:

---

(1) ما بين المعقوفين زيادة من ز، ورقة 174، والقول لمحمد بن أبي زمنين.

(2) أصل معنى «واصباً» أي: دائماً كما ذكره أبو عبيدة وأكده الفراء وغيرهم. وزاد الفراء في المعاني، ج 2 ص 104: «ويقال: «خالصاً»». وفي تفسير مجاهد: «قال: الإخلاص، واصباً، أي: دائماً». وقال ابن قتيبة مبيّناً: «(وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً) أي: دائماً. والدين: الطاعة. يريد أنه ليس من أحد يُدان له ويُطاع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلكة، غير الله، فإن الطاعة تدوم له»..

(3) زيادة من ز ورقة 174 ومن سع. وقال ابن قتيبة: أي: تضجون بالدعاء وبالمسألة. يقال: جأر الثور يجأر» إذا رفع صوته.

يجعلون لما لا يعلمون أنه خلق مع الله شيئاً ولا أمات ولا أحيى ولا رزق معه شيئاً، ﴿ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَـاهُمْ ﴾. يعني قوله: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾ [الأنعام: 136]. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[1]. [وقال بعضهم: هم مشركو العرب جعلوا لأوثانهم وشياطينهم نصيباً مما رزقهم الله][2].

قال: ﴿ تَاللَّهِ ﴾ وهو قسم، أقسم الله بنفسه ﴿ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ يقوله لهم، لما يقولون إن الأوثان تقربهم إلى الله زلفىٰ، وإن الله أمرهم بعبادتها.

قوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَـٰتِ ﴾ كان مشركو العرب يقولون إن الملائكة بنات الله. قال الله ﴿سُبْحَـٰنَهُ﴾ ينزّه نفسه عما قالوا ﴿ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ أي: ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون، أي: الغلمان.

قال: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنْثَىٰ ﴾ التي جعلها الله ـ زعم ـ حيث جعلوا لله البنات، يعنون الملائكة ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً ﴾ أي: مغبّراً ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ أي: قد كظم على الغيظ والحزن.

قال: ﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ ﴾ يقول: يتفكّر كيف يصنع بما بشّر به، أيُمسكه، أي: يُمسك الذي بشّر به، أي: الابنة ﴿ عَلَىٰ هُونٍ ﴾ أي: على هوان ﴿ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ أي: فيقتل ابنته، يدفنها حية حتى تموت مخافة الفاقة.

كان أحدهم يقتل ابنته مخافة الفاقة ويغذو كلبه، وكانوا يقولون الملائكة بنات الله، فالله صاحب بنات. جلّ ربنا عن اتخاذ الولد وعمّا وصفه به أهل الجاهلية، فألحقوا البنات به.

(1) انظر ما سلف في هذا التفسير، ج 1 ص 562.
(2) زيادة من سع.
(3) قال أبو عبيدة في المجاز ج 1 ص 361: (وهو كظيم) أي: يكظم شدة حزنه ووجده ولا يظهره، وهو في موضع كاظم، خرج مخرج عليم وعالم.

قال الله: ﴿ أَلَا سَاءَ ﴾ أي: بئس ﴿ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ إذ جعلوا لله ما لم يرضوا أن يخصّوه لأنفسهم. وهذا مثل ضربه الله لهم.

ثم قال: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ﴾ أي: إنه (لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ) [الإسراء: 111] ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

قال بعضهم في قوله: (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ) قال: الإخلاص والتوحيد.

قوله: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ أي: لحبس المطر فأهلك حيوان الأرض. ﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ ﴾ أي: يؤخر المشركين والمنافقين ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: إلى الساعة لأن آخر كفار هذه الأمة أخر عذابها بالاستئصال إلى النفخة الأولى. ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ أي: بعذاب الله ﴿ لَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ أي: عن العذاب[1] ﴿ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ أي: يجعلون لله البنات ويكرهونها لأنفسهم ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ ﴾ أي: يتكلمون به ويعلنون به ﴿ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ﴾ أي: الغلمان. وفي تفسير الحسن: (أن لهم الجنة)، إن كانت جنة؛ كقول الكافر: (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ) [فصلت: 50] أي: إن رجعت، وكانت ثمّ جنة.

قال الله: ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ وهي كلمة وعيد ﴿ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾. أي: معجّلون إلى النار. وبعضهم يقرأها (مفرَطون) أي: منسيون فيها مضيَّعون وبعضهم يقرأها (مفرِّطون) يعني أنهم مفرِّطون؛ كقوله تعالى: (يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا) [الأنعام: 31][2].

(1) هذا شرح للجار والمجرور «عنه» الذي زادته خطأ كل المخطوطات، حتى سع. والصحيح هنا في النحل وفي الأعراف: 34، وفي يونس: 49: (لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً). وجاء (عَنْهُ) في سورة سبإ: 30 (قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ). وهذا ـ ولا شك ـ خطأ من النساخ الأوائل تبعهم فيه من بعدهم.

(2) ذكر المؤلف هنا قراءتين: (مفرَطون)، ولها معنيان، ومفرِّطون، بتشديد الراء المكسورة. ولم =

قوله: ﴿ تَاللَّهِ ﴾ قسم، أقسم الله بنفسه ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ يعني من أهلك بالعذاب من الأمم السالفة. ﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَـٰنُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ ﴾ وإلى يوم القيامة ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: في الآخرة.

قوله: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَـٰبَ ﴾ أي: القرآن ﴿ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي: الأرض اليابسة التي ليس فيها نبات فيحييها بالمطر فتنبت بعد إذ لم يكن فيها نبات. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ فيعلمون أن الذي أحيا هذه الأرض الميتة حتى أنبتت قادر على أن يحيي الموتى، لأن المشركين لا يقرون بالبعث.

قوله: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ يقول: في هذا اللبن الذي أخرجه الله من بين فرث ودم آية لقوم يعقلون، فيعلمون أن الذي أخرجه من بين فرث ودم قادر على أن يحيي الموتى.

قوله: ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ أي: وجعل لكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: السكر ما حرم الله من ثمراتها، والرزق الحسن ما أحل الله من ثمراتها.

قال بعضهم: نزلت قبل تحريم الخمر؛ قال: أما الرزق الحسن فهو ما أحل الله

= يشر إلى القراءة الثالثة: (مُفْرِطون) بتخفيف الراء المكسورة، وهي قراءتنا في المغرب الإسلامي، عن نافع، وهي بمعنى الإسراف في الشيء ومجاوزة الحدّ فيه. وقد أشار إلى هذه القراءة الأخيرة الطبري في تفسيره ج 14 ص 129 وقال: «بتأويل أنهم مفْرِطون في الذنوب والمعاصي مسرفون فيها». وانظر التيسير للداني، ص 138، والحجة لابن خالويه. ص 187. وفي مخطوطة ز ورقة 175: «قال محمد: وقراءة نافع (مفرِطون) بتسكين الفاء وكسر الراء، وهو من الإفراط في معصية الله».

من ثمراتها مما تأكلون وما تعصرون وتنتبذون وتخللون. وأما السكر فهو خمور الأعاجم.

ذكروا عن أبي موسى الأشعري أنه قال: إن لكل قوم خمراً، وإن خمر فارس العنب، وخمر المدينة البسر والتمر، وخمر اليمن البتع، يعني العسل، وإن خمر الحبشة السكركة، يعني الذرة[1].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال الخمر من هاتين الشجرتين: النخلة والعنبة[2].

وذكروا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن هذه الأنبذة تُنبَذُ[3] من خمسة أشياء، من التمر والزبيب والبر والشعير والعسل، فما خمّرتم منه فعتّقتم فهو خمر.

قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ وهذا وحي إلهام. ﴿ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ أي: ومما يبنون.

﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَـٰرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً ﴾ يعني طرق ربك التي جعل الله لك ذللاً، أي: مطيعة. وقال مجاهد: (اسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً) أي: ذلّلت لها السبل لا يتوعّر عليها مكان [سلكته][4].

﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ ﴾ يعني العسل ﴿ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ أي: دواء.

---

(1) جاء في سع: «الاسكركة، قال حماد، يعني الأرز» وأثبت الذرة، وهي الكلمة التي جاءت في اللسان لوصف خمر الحبشة، انظر اللسان (سكر). وفي المخطوطات الأرز.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، باب بيان أن جميع ما ينبذ مما يتخذ من النخل والعنب يسمى خمراً (رقم 1985) من حديث أبي هريرة.

(3) يقال نبذ وانتبذ التمر أو الزبيب إذا تركه في الماء حتى يشتد ويفور فيسكر.

4) زيادة من تفسير مجاهد، ص 349.

ذكروا أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّ أخي يشتكي بطنه. قال: اذهب فاسقه عسلاً. فذهب فسقاه فلم ينفعه شيئاً. فأتى النبي عليه السلام فقال: يا رسول الله سقيته فلم ينفعه شيئاً. قال: فاذهب فاسقه عسلاً. فذهب فسقاه فلم ينفعه شيئاً. فأتى النبي فقال: يا رسول الله سقيته فلم ينفعه شيئاً. قال: فاذهب فاسقه عسلاً. فذهب فسقاه فلم يغن عنه شيئاً. فأتى النبي فأخبره؛ فقال رسول الله ﷺ في الثالثة أو الرابعة: صدق الله وكذب بطن أخيك، اذهب فاسقه عسلاً. فذهب فسقاه فبرَأ بإذن الله(1).

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ أي: يميتكم. ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ أي: إلى الهرم ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ أي: يصير بمنزلة الطفل الذي لا يعقل شيئاً. ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾. يقول: هل منكم من أحد يكون هو ومملوكه في أهله وماله سواء؛ أي: إنكم لا تفعلون ذلك بمملوكيكم حتى تكونوا في ذلك سواء، فالله أحق أن لا يُشرك به أحد من خلقه. وهو كقوله: (ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ) [الروم: 28] أي: كخيفة بعضكم بعضاً. قال: فهذا مثل ضربه الله. يقول: فهل أحد منكم يشارك مملوكه في زوجته وفراشه وماله، أفتعدلون بالله خلقه؟.

قال: ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ على الاستفهام، أي: قد جحدوا نعمة الله.

(1) حديث متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الدواء بالعسل وقول الله تعالى: (فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ)، وأخرجه مسلم في كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل (رقم 2217) كلاهما يرويه من حديث أبي سعيد الخدري. وفي لفظ مسلم: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلَق بطنُه، فقال رسول الله ﷺ: اسقه عسلاً...».

قوله: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنَ أَنفُسِكُم أَزْوٰجاً ﴾ يعني النساء، والنساء من الرجال. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ أَزْوٰجِكُمْ بَنِينَ وحفدة ﴾ والحفدة الخدم، يعني ولداً يخدمونه وولد ولده.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: الحفدة الأختان[1].

قوله: ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُومِنُونَ ﴾ على الاستفهام، أي: قد آمنوا بالباطل، والباطل إبليس. ﴿ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ وهو كقوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً) [إبراهيم: 28] وكقوله: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) [الواقعة: 82] يقول: تجعلون مكان الشكر التكذيب.

قوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ شَيْئاً ﴾ يعني آلهتهم التي يعبدون من دون الله ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ مثل قوله: (وَلَا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً) [الفرقان: 3] أي: ولا بعثاً.

قال: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ ﴾ أي: الأشباه، فتشبهوا هذه الأوثان الميتة التي لا تحيي ولا تميت ولا ترزق بالله الذي يحيي ويميت ويرزق ويفعل ما يريد. ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ يعني الوثن ﴿ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَناً ﴾ يعني المؤمن ﴿ فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً ﴾ قال: ﴿ هَلْ يَسْتَوُونَ ﴾ يعني هل يستوي هذا الذي يعبد الوثن الذي لا يقدر على شيء، والذي

(1) الخَتَن: كل من كان من قِبَل المرأة مثل الأب والأخ، وقيل هو زوج بنت الرجل خاصة. وقد وردت معان كثيرة للحفدة، وأصلها راجع إلى الخدمة والسرعة في العمل. وجاء في دعاء القنوت: «وإليك نسعى ونحفد» أي: نسرع إلى العمل بطاعتك. انظر هذه المعاني المختلفة التي أوردها الطبري في تفسيره، ج 14 ص 143 - 147، وانظر ما قاله الفراء في المعاني، ج 2 ص 110، وانظر اللسان (حفد).

يعبد الله الذي يرزقه الرزق الحسن، أي: إنهما لا يستويان. ثم قال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أي: الشكر لله ﴿ بَلَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

قال بعضهم: هذا مثل ضربه الله للكافر؛ رزقه الله مـالاً فلم يقدم فيه خيراً، ولم يعمل فيه بطاعة الله. قال الله (وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فهو ينفق مِنْهُ) فهذا المؤمن؛ أعطاه الله رزقاً حلالاً طيباً، فعمل فيه بطاعة الله، وأنفق منه في سبيل الله، وأخذه بشكر. قال الله: هل يستويان مثلاً، أي: إنهما لا يستويان.

قال: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْن أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ ﴾، أي: لا يتكلم، يعني الوثن ﴿ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَيٰهُ ﴾ أي: على وليه الذي يتولاه ويعبده، أي: إنه عمله بيده وينفق عليه كسبه ويعبده ويتولاه ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ ﴾ هذه العابد له، يعني دعاءه إياه ﴿ لا يَاتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ ﴾ أي: هذا الوثن ﴿ وَمَن يَّأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ وهو الله ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [وهو الله][1].

قوله: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: يعلم غيب السماوات ويعلم غيب الأرض ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ أي: بل هو أقرب من لمح البصر، ولمح البصر يعني أنه يلمح مسيرة خمسمائة عام إلى السماء، يعني سرعة البصر. ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: لكي تشكروا هذه النعم.

قوله: ﴿ أَلَمْ يَرَوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ﴾ أي: متحلقات في جو السماء، فيما بين السماء والأرض، وهي كلمة عربية، كقوله: (وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)

(1) زيادة من سع. وجاء بعده. «قال يحيى هي مثل قوله: (إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ). وبعد أن ذكر المؤلف تفسيراً لقتادة بنفس هذا التأويل أورد قولاً للحسن جاء فيه: «وفي تفسير الحسن: إنه المؤمن الذي ضرب الله مثلاً في هذه الآية: (وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) يعني المؤمن. قال يحيى: سمعت غير واحد يذكر أن هذا المثل نزل في عثمان بن عفان».

[إبراهيم: 24] يعني بذلك طولها. أي: ما ارتفع فقد سما. كذلك الطير متحلقة في السماء، أي: قد سمت، والسمو من الارتفاع[1]. ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ ﴾. يبيّن قدرته للمشركين. يقول: هل تصنع آلهتكم شيئاً من هذا. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤمِنُونَ ﴾ أي: يصدّقون، وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً ﴾ تسكنون فيه[2] ﴿ وَجعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الأَنْعَـٰمِ بُيُوتاً ﴾ يعني من الشعر والصوف ﴿ تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ﴾ يعني في سفركم ﴿ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾[3] يعني في قراركم في غير سفر ﴿ وَمِنْ أَصْوافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَـا أَثَـٰثـاً ﴾ والأثاث المتاع في تفسير الحسن، وقال مجاهـد: الأثاث الغنى[4]. وقال بعضهم: الأثاث المال، وهو واحد. ﴿وَمَتَـٰعاً﴾ أي: تستمتعون به ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أي: إلى الموت.

قوله: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَلاً﴾ يعني من المنازل، تظلكم من الشمس والمطر، وجعل لكم أيضاً ظلالاً من الشجر. ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الجِبَالِ أَكْنَاناً ﴾ أي: غيرانا تكنّكم أيضاً من الحرّ والبرد والريح والأمطار، يعني الغيران التي تكون في الجبال. ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَـرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ ﴾ أي: من القطن والكتان والصوف. وقد قال في أول السورة: (لَكُمْ فيهَا دِفْـءٌ) [النحل: 5] أي: من البرد. قال: ﴿ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ يعني دروع الحديد تقيكم القتال. ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ أي: لكي تُسلِموا. يقول: إن أسلمتم تمّت عليكم النعمة بالجنة، وإن لم تسلموا لم تتمّ نعمته عليكم إذا صرتم إلى عذابه.

(1) هذه الجمل الأخيرة أمثلة من التكرار المملّ أحياناً، وهي غير موجودة في مخطوطتي سع وز. فهل هي من زيادات بعض الشراح أو النساخ.

(2) في المخطوطات الثلاث: «تسكنونها» وأثبت ما في سع وز، وهو أصح.

(3) قال الزمخشري في الكشاف، ج 2 ص 625: «(تَسْتَخِفُّونَهَا) ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل».

(4) كذا في ق وج ود، وفي سع، ولم أجد في تفسير مجاهد، ولا في تفسير الطبري الأثاث بمعنى الغنى. بل جاء في تفسير مجاهد ص 350: «الأثاث: المتاع».

وبلغنا عن ابن عباس أنه كان يقرأها: لعلّكم تسلَمون أي: من الجراح في لبس الدروع.

قوله: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلْغُ المُبِينُ ﴾. وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم. يقول: ليس عليك أن تهديهم؛ كقوله: (لَّيْسَ عَلَيْكَ هُـدَيٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَّشَاءُ) [البقرة: 272].

قوله: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ أي: يعرفون ويقرّون أن الله هو الذي خلقهم وخلق السماوات والأرض، وأنه هو الرزاق، ثم ينكرونها، أي: بتكذيبهم. قال مجاهد: يعني نعمة الله التي قصّ في هذه السورة. قال: ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ يعني جماعتهم كلهم. كقوله: (يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ) [الشعراء: 223] أي: كلهم.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ﴾ أي: نبيّها يشهد عليهم أنه قد بلغهم. ﴿ ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلذِينَ كَفَرُوا وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ هي مثل قوله: (هَـٰذَا يَوْمُ لاَ يَنْطِقُونَ وَلاَ يُؤذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) أي: بحجة. وهي مواطن، لا يؤذن لهم في موطن في الكلام، ويؤذن لهم في موطن.

قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَى الذِينَ ظَلَمُوا العَذَابَ ﴾ يعني المشركين ﴿ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ أي: سألوا الله أن يؤخرهم ويردهم إلى الدنيا حتى يتوبوا فلم ينظرهم، أي: لم يؤخرهم.

﴿ وَإِذَا رَأَى الذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ ﴾ أي: إذا رأوا الشياطين الذين كانوا يضلونهم في الدنيا، أي: يعرف كل إنسان شيطانه ﴿ قَالُوا رَبَّنَا ﴾ أي: يقول بنو آدم ربنا ﴿ هَـٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا ﴾ يعني بني إبليس ﴿ الذِينَ كُنَّا نَدْعُوامِنْ دُونِكَ ﴾ لأنهم هم الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان. قال الله: (وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً) [النساء: 117] ﴿ فَأَلْقَوا إِلَيْهِمُ القَوْلَ ﴾ أي: فألقى بنو آدم إلى بني إبليس القول فقالوا لهم: ﴿ إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ أي: إنكم كذبتمونا في الدنيا وغررتمونا[1] ﴿ وَأَلْقَوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ

(1) كذا في المخطوطات وفي ز وسع، وهو وجه من وجوه التأويل. وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص =

السَّلَمَ ﴾ أي: أعطوا الإسلام يومئذٍ واستسلموا له، أي: آمنوا بالله وكفروا بالشياطين والأوثان ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أي: عبادتهم إياهم في الدنيا افتراء على الله، وهو الكذب. وهو كقوله: (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا) [غافر: 73 - 74].

قوله: ﴿ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَاباً فَوْقَ العَذَابِ ﴾ بلغنا عن ابن مسعود أنه قال: حيّات وعقارب، لها أنياب مثل النخل الطوال تنهشهم. وقال الحسن: هو كقوله: (فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً) [النبأ: 30] قوله: ﴿ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ يعني الشرك، وهو أعظم المعاصي.

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِنَ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني نبيّهم. وهو شاهد عليهم ﴿ وَجِئْنَا بِكَ ﴾ يا محمد ﴿ شَهِيداً عَلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ ﴾ يعني أمته ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَـٰناً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: ما بيّن فيه من الحلال والحرام والكفر والإيمان والأمر والنهي وكل ما أنزل فيه.

ذكروا عن أبي الدرداء قال: أنزل القرآن على ست آيات: آية مُبَشِّرة، وآية منذرة وآية فريضة، وآية تأمرك وآية تنهاك، وآية قصص وأخبار. قال: ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَـٰنِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَىٰ ﴾ أي: حق القرابة. ذكروا عن الحسن قال: حق الرحم ألا تحرمها ولا تهجرها. قال بعضهم: إن لم يكن لك مال تعطيه فامشِ إليه برجلك.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن الرحم معلقة بالعرش، وليس الواصل بالمكافىء، ولكن الذي إذا انقطعت رحمه وصلها(1).

= 112: «(فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ القَوْلَ) آلهتهم رُدت عليهم قولهم: (إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ) أي: لم ندعكم إلى عبادتنا».

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافىء عن عبد الله بن عمرو، وأخرجه =

قوله: ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ ﴾ أي: عن المعاصي ﴿ وَالمُنْكَرِ ﴾ أي: الكذب ﴿ وَالبَغْيِ ﴾ أي: أن يبغي بعضهم على بعض. وكل هذا من المعاصي. ﴿ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ذكر مجاهد عن ابن عباس قال: لو أن جبلاً بغى على جبل لَدُكَّ الباغي منهما.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ما من ذنب أجدر أن يعجّل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدّخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم[1].

بلغنا أنه لما نزلت هذه الآية قال بعض المشركين: إن هذا الرجل، يعنون محمداً، ليأمر بمحاسن الأخلاق.

قوله: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ ﴾ يعني المؤمنين، على السمع والطاعة. ﴿ وَلَا تَنْقُضُوا الأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ أي: بعد توكيد العهد، يقول: بعد تشديدها وتغليظها ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾. قال الحسن: عهد الأنبياء، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، يقول: وقد تكفّل الله لكم بالجنة إن تمسّكتم بدينه.

قوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَـٰثاً ﴾ أي: تنكثون العهد، يعني المؤمنين، ينهاهم عن ذلك. قال: فيكون مثلكم، إن نكثتم العهد، كالتي نقضت غزلها من بعد قوة، أي: من بعد ما أبرمته، فنقضته بعد ما كان غزلاً

= أحمد في مسنده وأخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في صلة الرحم عن عبد الله بن عمرو، وأخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم. (رقم 1697) عن عبد الله بن عمرو أيضاً.

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وأخرجه أحمد والترمذي، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب النهي عن البغي (رقم 4902)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب البغي (رقم 4211) وأخرجه ابن حبان والحاكم كلهم عن أبي بكرة مرفوعاً، وأخرجه الطبراني عن أبي بكرة بزيادة: «وإن أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا».

قوياً، (أَنْكاثاً) أي: عن العهد. قال: (وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) وهو تقديم، وفيه إضمار.

قال: ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾ أي: عهدكم ﴿ دَخَلاً بَيْنَكُمْ ﴾ أي: خيانة وغدراً، كما صنع المنافقون الذين خانوا الله إذ نقضوا الأيمان فقالوا ولم يعملوا، وتركوا الوفاء بما أقروا لله به. والدخل هو الخيانة[1]. ﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِن أُمَّةٍ ﴾ أي: أكثر من أمة. يقول فتنقضوا عهد الله لقوم هم أكثر من قوم. وقال بعضهم (أَرْبَىٰ مِن أُمَّةٍ) أي: [أن يكون قوم][2] أعز من قوم.

وقال بعضهم: يقول: العهد بين الناس فيما وافق الحق[3].

والمرأة التي ضربت مثلاً في غزلها كانت حمقاء تغزل الشعر، فإذا غزلته نقضته، ثم عادت فغزلته.

وتفسير مجاهد قال: هذا في الحلفاء؛ كانوا يحالفون الحلفاء، ثم يجدون أكثر منهم وأعزَّ، فينقضون حلف هؤلاء، ويحالفون الذين هم أعز؛ فنهوا عن ذلك.

قوله: ﴿ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ﴾ أي: بالكثرة، يبتليكم، يختبركم. ﴿ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ أي: من الكفر والإيمان.

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ أي: على الإيمان. وهو كقوله: (وَلَوْ

---

(1) كذا في المخطوطات ق وج ود، وجاء في سع ما يلي: «قال الحسن: كما صنع المنافقون، فلا تصنعوا كما صنع المنافقون، فتظهروا الإيمان وتسروا الشرك، والدخل إظهار الإيمان وإسرار الشرك».

(2) زيادة من سع، ومن تفسير الطبري ج 14 ص 167 للإيضاح، والقول لقتادة.

(3) وردت في سع بعد هذا القول آثار حسنة رأيت من الفائدة إثباتها هنا: «عن مكحول قال قال رسول الله ﷺ: إن الله يوصيكم بأمهاتكم فالأقرب الأقرب. الدَّيْن مقضيّ والأمانة مؤداة، وأحق ما وفى به العبد عهد الله... عن ميمون بن مهران قال قال ابن مسعود: ما نزلت بعبد شدة إلا قد عاهد الله عندها، فإن لم يتكلم بلسانه فقد أضمر ذلك في قلبه، فاتقوا الله وأوفوا بما عاهدتم له. الحسن بن دينار عن الحسن أن ابن مسعود قال: يا أهل المواثيق، انظروا ما تعاهدون عليه ربكم، كم من مريض قال: إن الله شفاني فعلت كذا، فعلت كذا...».

شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَيٰهَا ﴾[1] [السجدة: 13]. وكقوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ﴾ [يونس: 99] ﴿ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَّشَاءُ ﴾ أي: بفعله ﴿ وَيَهْدِي مَن يَّشَاءُ وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ ﴾ أي: فتخونوا الله ولا تكملوا فرائضه[2]. ﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ أي: تزل إلى الكفر والنفاق بعد ما كانت على الإيمان، فتزل إلى النار ﴿ وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وإذا عظّم الله شيئاً فهو عظيم. والسوء عذاب الدنيا، وهو القتل بالسيف. يقول: إن أنتم نافقتم فباينتم بنفاقكم قتلتم في الدنيا[3] ولكم في الآخرة عذاب عظيم.

قوله: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ أي: من الدنيا.

ذكروا أنه قدم وفد من كندة وحضرموت على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام ولم يهاجروا، وأقروا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. ثم إن رجلاً من حضرموت قام فتعلق برجل من كندة يقال له امرأ القيس[4]، فقال يا رسول الله، إن هذا جاورني في أرض لي فقطع طائفة منها فأدخلها في أرضه. فقال له رسول الله ﷺ هل لك بينة على ما تزعم؟ فقال: القوم كلهم يعلمون أني صادق وأنه كاذب، ولكنه أكرم عندهم مني. فقال رسول الله ﷺ: يا امرأ القيس، ما يقول هذا؟ قال: ما يقول إلا الباطل.

---

(1) من هنا تعود مخطوطة ع ببعض أوراق بعد عدة أوراق ضاعت، فيها سورة الحجر وسورة النحل إلى هذه الآية.

(2) كذا في المخطوطات الأربع ق وع ود وج، وهذا مما غيّره الشيخ هود ولا شك؛ وجاء في سع مكان هذه الجملة: «تفسير الحسن: أن تسروا الشرك فترتدوا عن الإسلام».

(3) كذا في المخطوطات الأربع، وجاء في سع مكان هذا التفسير الذي هو للشيخ هود: «يقول إن ارتددتم عن الإسلام قتلتم في الدنيا».

(4) هو امرؤ القيس بن عابس الشاعر، انظر ترجمته مختصرة في الاستيعاب لابن عبد البرّ، ج 1، وفيها إشارة إلى هذه القصة. أما خصمه فهو ربيعة بن عبدان أو ابن عمران الحضرمي، وقيل ربيعة بن لهيعة أو لهاعة.

قال: فقم فاحلف بالله الذي لا إلـه إلا هو ما له قِبَلك من شيء مما يقول، وإنه لكاذب فيما يقول. قال: نعم. قال الحضرمي، إنا لله، أتجعلها يا رسول الله إليه، إنه رجل فاجر لا يبالي بما حلف عليه. فقال رسول الله ﷺ: إنه من اقتطع مال رجل مسلم بيمين كاذبة لقي الله وهو عليه ساخط. فقام امرؤ القيس ليحلف، فنزلت هاتان الآيتان: (وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً) أي: عرضاً من الدنيا يسيراً ﴿ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْر لَّكُمُ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. قال: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَيَجْزِيَنَّ الذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

فقام الأشعث بن قيس فأخذ بمنكبي امرىء القيس فقال: ويلك يا امرأ القيس إنه قد نزلت آيتان فيك وفي صاحبك، خيرتهما له، والأخرى لك، وقد قال رسول الله ﷺ: من اقتطع مال رجل مسلم بيمين كاذبة لقي الله وهو عليه ساخط. فأقبل امرؤ القيس فقال: يا رسول الله، ما أنزل فيّ؟ فتلا عليه الآيتين، فقال امرؤ القيس: أما ما عندي فينفد، وأما صاحبي فيجازى بأحسن ما كان يعمل؛ اللهم إنه صادق، وإني أشهد الله إنه صادق، ولكن والله ما أدري ما بلغ ما يدّعي من أرضه في أرضي، فقد أصبتها منذ زمان، فله ما ادّعى في أرضي ومثلها معها. فنزلت هذه الآية[1].

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فقال امرؤ القيس: إليَّ هذه الآية يا رسول الله؟ قال: نعم، فكبّر امرؤ القيس، وحمد الله وشكره.

ذكر بعضهم في قوله: (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال: هي القناعة. وقال بعضهم: هي الجنة.

(1) روى هذا الحديث وسبب وروده يحيى بن سلام بدون سند، على غير عادته. والحديث صحيح أخرجه أحمد في سنده، وأخرجه مسلم عن وائل بن حجر في كتاب الأيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، ولفظ مسلم مختصر، (رقم 139) وفيه: «فانطلق ليحلف فقال رسول الله ﷺ لما أدبر: «أما إنه لو حلف على ماله ليأكله ظلماً ليلقيَنّ الله تعالى وهو عنه معرض».

قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَٰنِ الرَّجِيمِ ﴾. والرجيم الملعون، رجمه الله باللعنة.

قال الحسن: نزلت في الصلاة، ثم صارت سنة في غير الصلاة إذا أراد أن يقرأ، وليس بمفروض.

قوله: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَٰنٌ عَلَى الذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ وهو كقوله: (إِنَّ عِبَادِي) يعني المؤمنين (لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) [الحجر: 42] أي: لا تستطيع أن تضلّهم؛ وكقوله: (وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُضِلٍّ) [الزمر: 37].

قال: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُ عَلَى الذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ﴾ أي: الشيطان، أي: يعبدونه ويطيعونه، قال الحسن من غير أن يستطيع أن يكرههم هو عليه. وهو مثل قوله: (مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) أي: بِمُضِلِّينَ (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) [الصافات: 162 - 163] أي: لا تضلوا إلا من هو صالى الجحيم. وكقوله: (وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [الأعراف: 178] أي: لا يضل إلا خاسراً.

قوله: ﴿ وَالذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ أي: والذين هم بالله مشركون. فيها تقديم. وتقديمها فاستعذ بالله، ثم قال: (وَالذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ)، أي: بالله؛ رجع إلى الكلام الأول. قال الحسن: أشركوا الشيطان بعبادة الله.

قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهذا في الناسخ والمنسوخ في تفسير بعضهم.

قال الحسن: كانت الآية إذا نزلت فعُمِل بها وفيها شدّة، ثم نزلت بعدها آية فيها لين قالوا: إنما يأمر محمد أصحابه بالأمر، فإذا اشتد عليهم صرفهم إلى غيره، ولو كان هذا الأمر من عند الله لكان أمراً واحداً وما اختلف، ولكنه من قِبَل محمد.

قال الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ والقدس الله، وروحه جبريل. فأخبر أنه نزل به جبريل من عند الله، وأن محمداً لم يغيّر منه شيئاً. قال: ﴿ لِيُثَبِّتَ الذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ يعنون عبداً لابن الحضرمي[1] في قول الحسن وغيره. وبعضهم يقول: عداس، غلام عتبة. وكان الكلبي يجمعهما جميعاً ويقول: كان عداس يهودياً فأسلم. وكانا يقرآن كتابهما بالعبرانية، وكانا أعجميي اللسان.

قال: ﴿ لِسَانُ الذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ﴾ أي: يميلون إليه في تفسير الكلبي. وقال الحسن: الذي يذهبون إليه أنه يعلّم محمداً أعجمي، أي: كيف يعلّم صاحب اللسان الأعجمي صاحب اللسان العربي، والعربي لا يفهم اللسان الأعجمي ولا يعلم ما يقول: ألا تراه يقول: ﴿ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي: بيّن.

وفي قول الحسن: هو عبد لابن الحضرمي، وكان كاهناً في الجاهلية.

وقال مجاهد: هو عبد لابن الحضرمي، رومي وصاحب كتاب. قال: يقول الله: (لِسَانُ الذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ) أي: يتكلم بالرومية، وهذا لسان عربي مبين. فكيف ينقل اللسان العجميُّ [ذو][2] اللسان العربي بما لا يفهمه عنه من لسانه.

قوله ﴿ إِنَّ الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِئَايَـٰتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ ﴾ هؤلاء الذين لا يريد الله أن يهديهم يلقونه بكفرهم. وهو كقوله: (أُولَـٰئِكَ الذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ) [المائدة: 41] أي: بكفرهم. ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع.

قوله: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِئَايَـٰتِ اللَّهِ ﴾ يعني المشركين ﴿ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الكَـٰذِبُونَ ﴾[3].

قوله: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَـٰنِ ﴾ نزلت

---

(1) قيل كان يسمى جبراً، وقال آخرون: اسمه يعيش. وانظر تفسير الطبري ج 14 ص 177 - 179.

(2) في ق وع: «فكيف يلقن»، وفي ج ود: «فكيف ينقل» وفي العبارة فساد، أثبت ما بدا لي صواباً إن شاء الله بزيادة «ذو» حتى يتضح المعنى.

(3) في ق وع وج ود اضطراب وخلط بين آخر الآيتين، وأسقط النساخ هذه الآية الأخيرة فأثبت صحتها من سع ومن ز ورقة 178.

في عمار بن ياسر وأصحابه. أخذهم المشركون فوقفوهم على الكفر بالله وبرسوله، فخافوا منهم، فأعطوهم ذلك بأفواههم.

ذكروا أن عمار بن ياسر قال: أخذني المشركون فلم يتركوني حتى شتمت رسول الله وذكرت آلهتهم بخير. قال: [فأتيت رسول الله ﷺ][1] فقال لي: ما وراءك؟ قلت: شرٌّ يا رسول الله، والله ما تُركتُ حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير. قال فقال لي رسول الله: كيف تجد قلبك؟ قلت: أجد قلبي مطمئناً بالإيمان. قال: فإن عادوا فعد. فبلغنا أن هذه الآية نزلت عند ذلك: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ أي: راضٍ بالإيمان[2].

قال: ﴿ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً ﴾ قال بعضهم: يعني عبد الله بن أبي سرح، ﴿ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: في الآخرة.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾ أي: اختاروا الحياة الدنيا على الآخرة ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَـٰفِرِينَ ﴾ يقول: لا يكونون بالكفر مهتدين عند الله، يعني الذين يلقون الله بكفرهم.

﴿ أُولَـٰئِكَ ﴾ أي: الذين هذه صفتهم ﴿ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ أي: بكفرهم ﴿ وَأُولَـٰئِكَ ﴾ أهل هذه الصفة ﴿ هُمُ الْغَـٰفِلُونَ ﴾.

﴿ لَا جَرَمَ ﴾ وهي كلمة وعيد ﴿ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ ﴾ أي: خسروا أنفسهم أن يغنموها فصاروا في النار، وخسروا أهليهم من الحور العين، فهو الخسران المبين. وتفسيره في سورة الزمر[3].

---

(1) زيادة لا بد منها يقتضيها سياق الكلام.

(2) أورد ابن سلام بعد هذه الرواية رواية أخرى أكثر تفصيلاً لقصة عمار بن ياسر، انظر مخطوطة سع ورقة 4 وانظر الواحدي أسباب النزول، ص 288، وانظر الدر المنثور للسيوطي، ج 4 ص 132 - 133.

(3) يشير إلى قوله تعالى في سورة الزمر: 15: (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ).

قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ﴾ أي: من بعد ما عذّبوا ﴿ ثُمَّ جَـٰهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال الحسن: إنهم قوم كانوا بمكة، فعرضت لهم فتنة، فارتدّوا عن الإسلام، وشكوا في نبي الله، ثم إنهم أسلموا وهاجروا إلى رسول الله بالمدينة، ثم جاهدوا معه وصبروا، فنزلت فيهم هذه الآية.

وقال بعضهم: ذكر لنا أنه لما أنزل الله إن أهل مكة لا يقبل منهم إسلام حتى يهاجروا، كتب بذلك المؤمنون إلى أصحاب لهم بمكة، وخرجوا فأدركهم المشركون فردوهم، فأنزل الله: (أَلَمَ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) [العنكبوت: 201]، والآية الأخرى التي بعدها. فكتب بها أهل المدينة إلى أهل مكة. فلما جاءهم ذلك تبايعوا أن يخرجوا، فإن لحق بهم المشركون أن يقاتلوهم، حتى يلحقوا بالله أو ينجوا، فأنزل الله: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا). . . إلى آخر الآية.

قوله: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ قال الحسن: إن كل نفس توقف بين يدي الله للحساب، ليس يسألها عن عملها إلا الله.

قال: ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ من خير أو شر ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾. أما الكافر فليس له من حسناته في الآخرة شيء، قد استوفاها في الدنيا. وأما سيئاته، فيُوفّاها في الآخرة، يجازى بها النار. وأما المؤمن فهو الذي يوفّى الحسنات في الآخرة، وأما سيئاته فإنّ منهم من لم يخرج من الدنيا حتى ذهبت سيئاته بالبلايا والعقوبة؛ كقوله: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) [الشورى: 30]. ومنهم من تبقى عليه من سيئاته فيفعل الله فيه ما يشاء. وقد بلغنا[1] أن منهم من تبقى عليه عند الموت فيشدّد عليه في خروج نفسه. ومنهم من تبقى عليه فيشدد عليه في القبر، ومنهم من تبقى عليه فيشدد عليه في الموقف. ومنهم من تبقى

(1) هذه الكلمة يُوحي ظاهرها أن الخبر بلغَ الشيخ هوداً، والصحيح أنها من يحيى بن سلام. ففي سع ما يلي: «قال يحيى وبلغني أن منهم. . .».

عليه منها فيشدد عليه عند الصراط حتى يلقى الله وقد غفر له ذنوبه كلها[1].

قوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾.

فالقرية مكة، والرسول محمد ﷺ، كفروا بأنعم الله فكذبوا رسوله ولم يشكروا وهم (الذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) [إبراهيم: 28]. وأما قوله: (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) فإنه الجوع الذي عذبوا به بمكة قبل عذابهم يوم بدر، ثم عذبهم بالسيف قوم بدر. وأما الخوف فبعدما خرج النبي عنهم.

قوله: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَـٰلاً طَيِّباً ﴾ يعني المؤمنين؛ ما أحلّ الله لهم من الرزق ومن الغنيمة وغيرها. ﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُم إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

قال: ﴿ إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ أي: ذبائح المشركين، ثُمَّ أحلّ ذبائح أهل الكتاب من المشركين.

قوله: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وقد فسّرنا ذلك في سورة البقرة وسورة الأنعام[2].

قوله: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ ﴾ نزلت هذه الآية في المشركين لما حرموا من الأنعام والحرث وما استحلّوا من أكل الميتة، ثم صارت للناس عامة. تقدّم إليهم ألا يستحلوا التَّقَوُّلَ على الله، ولا يفتروا الكذب فيحلّوا ما حرّم الله، ويحرّموا ما أحلّ الله بالادّعاء على الله والكذب عليه فقال:

---

(1) هذه الجلمة الأخيرة: حتى يلقى الله..» من الشيخ الهواري بدلاً مما جاء في مخطوطة مع: «ومنهم من يبقى عليه منها فيدخل النار فينتقم منه ثم يخرجه الله منها إلى الجنة».

(2) انظر ما سلف من هذا التفسير ج 1 ص 165 وص .563 - 570.

﴿ إِنَّ الذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ ﴾ من المشركين فيما حرّموا من الأنعام والحرث وما استحلوا من أكل الميتة، وممن[1] ادعى من أهل القبلة على الله الكذب، ودان بالأباطيل، واستحلّ وحرّم ما لم يحلّ الله ولم يحرّمه ﴿ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ جميعاً. وهو كقوله: (قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) [يونس: 59].

قوله: ﴿ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ﴾ أي: إن الذي هم فيه من الدنيا متاع قليل ذاهب. ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة.

قوله: ﴿ وَعَلَى الذِينَ هَادُوا ﴾ يعني اليهود؛ سمّوا أنفسهم اليهود وتركوا الإسلام ﴿ حَرَّمْنَا ﴾ عليهم بكفرهم ﴿ مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴾ في سورة الأنعام وهي مكية، وهذا الموضع من هذه السورة مدني؛ يعني قوله: (وَعَلَى الذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ البَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الحَوَايَا) والحوايا المبعر (أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ) [الأنعام: 146].

قال ﴿ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ وإنما حرّم ذلك عليهم بظلمهم. وقد بيّن ذلك في سورة النساء فقال: (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ. . .) إلى آخر الآية [النساء: 160].

قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا ﴾ أي: من بعد تلك الجهالة[2] إذا تابوا منها ﴿ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. وكل ذنب عمله العبد فهو بجهالة، وذلك منه جهل[3].

---

(1) في المخطوطات ق وج ود: «فيمن» والصواب ما أثبته «ممن» عطف على «من المشركين» وهذه الجملة من زيادة الشيخ الهواري.

(2) أعاد المؤلف الضمير هنا إلى الجهالة، وأصح منه أن يعود الضمير إلى التوبة كما ذكره الطبري في تفسيره ج 14 a 190 إذ قال: «يقول: إِنَّ رَبَّكَ يا محمد من بعد توبتهم له (لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)». وكما أورده الزمخشري في الكشاف، ج 2 ص 641.

(3) وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 114: «كل من عمل سوءاً فهو جاهل إذا عمله».

قوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ والأمّة السيد[1] في الخير؛ يعلّم الخير ويفقه الناس ويبصّرهم معالم دينهم وسبل رشادهم، أي: إنه كان في الخير إماماً. ﴿ قَانِتاً ﴾ أي: مطيعاً لله. كان إمام هدى يقتدي به، ويؤخذ عنه.

وقال مجاهد: (كَانَ أُمَّةً) أي: كان وحده مؤمناً والناس كفاراً. (قَانِتاً) أي: مطيعاً لله.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: إن معاذ بن جبل كان أمة. وقال ابن مسعود: إن معاذاً كان يعلّم الخير؛ وكل من يعلّم الخير فهو أمة، وهو إمام، وهو القائد[2] الذي يُقتَدى به.

﴿ حَنِيفاً ﴾ أي: مخلصاً ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

﴿ شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ ﴾ أي: للنبوة، اختاره لها واصطفاه، واجتبى واصطفى واختار واحد. ﴿ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: إلى الجنة.

قوله: ﴿وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ وهو كقوله: (وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) [العنكبوت: 27]. ذكر بعضهم قال: ليس من أهل دين إلا وهم يَتَوَلَّونه أي: يرتضونه. قال: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ) [الصافات: 108] أي: وأبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين. قال: ﴿ وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ والصالحون أهل الجنة، وأفضلهم الأنبياء.

قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَىٰ الذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ قال بعضهم [استحلّه بعضهم

---

(1) في ق وج ود، وفي سع «السنة في الخير» وأثبت ما جاء في ز ورقة 179 «السيد في الخير» وهو أصح، ولكلٍّ وجه.

(2) في ق وع وج ود: «وهو القادة» (كذا) وهو خطأ. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 114: «مَعْلَماً للخير» وقال أبو عبيدة في المجاز ص 1 ص 369: «أي: إماماً مطيعاً لله». وقال: «(حَنِيفاً) مسلماً؛ ومن كان في الجاهلية يختتن ويحج البيت فهو حنيف».

وحرّمه بعضهم][1] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ وحكمه فيهم أن يدخل المؤمنين منهم الجنة ويدخل الكافرين النار.

وقال الكلبي: إن موسى أمر قومه أن يتفرّغوا إلى الله في كل سبعة أيام يوماً يعبدونه ولا يعملون فيه من صنعتهم شيئاً، والستة أيام لصنعتهم؛ فأمرهم بالجمعة فاختاروا هم السبت وأبوا إلا السبت. فاختلافهم أنهم أبوا الجمعة واختاروا السبت.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: نحن الآخرون ونحن السابقون، ذلك بأنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم. وهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له، فاليوم لنا [يعني الجمعة][2] وغدا لليهود [يعني السبت]، وبعد غد للنصارى [يعني الأحد][3].

قوله: ﴿ أُدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ أي: إلى الهدى وهو الطريق إلى الجنة. ﴿ بِالْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ وَجَـٰدِلْهُمْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ يأمرهم بما أمرهم الله به وينهاهم عما نهاهم الله عنه ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ أي: عن طريق الهدى ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ أي: أنهم مشركون ضالّون وأن محمداً وأصحابه مؤمنون مهتدون.

قوله: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمَ خَيْـرٌ لِلصَّـٰبِرِينَ ﴾.

ذكر ابن عباس قال: مثل المشركون بحمزة يوم أحد، وقطعوا مذاكيره [فلما رآه النبي عليه السلام جزع جزعاً شديداً فأمر به فغطى ببردة كانت عليه، فمدّها على

(1) زيادة من سع.

(2) ما بين المعقوفين زيادة من سع، ورقة: 5.

(3) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة. (رقم 855) وأخرجه أحمد في مسنده والنسائي وغيرهم. كلهم يرويه من حديث أبي هريرة.

وجهه ورأسه، وجُعِل على رجليه إذ خر[1] ثم قال رسول الله ﷺ: لا مثّلن بثلاثين من قريش[2] فأنزل الله: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ).

قوله: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ فصبر رسول الله ﷺ ولم يمثّل. ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن المثلة[3].

قوله: ﴿ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على المشركين إن لم يؤمنوا ﴿ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ أي: لا يضيق صدرك بمكرهم وكذبهم عليك فإن الله معك.

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الذِينَ اتَّقَوْا ﴾ أي: في العون والنصر والتأييد ﴿ وَّالذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾.

(1) زيادة من سع، ورقة 5.

(2) انظر هذا الخبر في أسباب النزول للواحدي، ص 290 فقد رواه عن ابن عباس بتفصيل أكثر.

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك عن عمران، ورواه الطبراني عن ابن عمر وعن المغيرة.

تفسير سورة بني إسرائيل[1]

وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿سُبْحَـٰنَ﴾ يعني نفسه وينزّهُها ﴿ الذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ ﴾ يعني بيت المقدس. ﴿ الذِي بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيهُ مِنَ ءَايَٰتِنَا ﴾ يعني ما أراه الله ليلة أُسرِيَ به.

ذكروا أن نبي الله ﷺ قال[2]: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين. فأُتِيتُ، فَانْطُلِقَ بِي. فأُتِيت بطست من ذهب، فيها من ماء زمزم، فشُرِح صدري إلى مكان كذا وكذا. [قال قتادة: فقلت للذي معي: ما يعني][3] قال: يعني إلى أسفل بطني. فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم، ثم كنز أو قال حشي إيماناً وحكمة، ثم أعيد مكانه.

ثم أُتيت بدابة أبيض[4] يقال له البراق، فوق الحمار ودون البغل، يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحُملت عليه.

(1) كذا في ق وع ود وج: «سورة بني إسرائيل. وفي سع، وفي ز ورقة 179: «تفسير سورة سبحان».

(2) في سع ورقة 5 ظ وردت هذه الرواية من طريق سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة. وقد أورد ابن كثير هذه الرواية في تفسيره، ج 4 ص 248 عن الإمام أحمد.

(3) زيادة من سع.

(4) كذا في المخطوطات: «بدابة أبيض» وهو صحيح، لأن لفظ الدّابة يطلق على المذكر والمؤنث، انظر اللسان: (دبب).

ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا[1]. فاستفتح جبريل؛ فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد عليه السلام. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم. ففتح لنا، فقالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء. قال: فأتيت على آدم، فقلت لجبريل: من هذا؟ قال أبوك آدم. فسلّمت عليه فقال: مرحباً بالابن الصالح والنبيّ الصالح. ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثانية، فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل؛ قيل: ومن معك؟ قال: محمد عليه السلام. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم. ففتح لنا، وقالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء. فأتيت على يحيى وعيسى، فقلت: يا جبريل، من هٰذان؟ قال: هذان يحيى وعيسى، وأحسب أنه قال: ابنا الخالة. فسلّمت عليهما فقالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثالثة، فكان نحو هذا من كلام جبريل وكلامهم. فأتيت على يوسف، فقلت: يا جبريل: من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف، فسلّمت عليه، فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الرابعة. فأتينا على إدريس فقلت: من هذا يا جبريل، فقال: هذا أخوك إدريس، فسلّمت عليه، فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. وعندها قال: [قتادة][2] قال الله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَاناً عَلِياً﴾ [مريم: 57] فانطلقنا حتى أتينا السماء الخامسة، فأتينا على هارون، فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك هارون. فسلّمت عليه، فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم انطلقنا حتى أتينا السماء السادسة، فأتيت على موسى فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى، فسلّمت عليه فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. فلما جاوزته بكى؛ فقيل له: وما يبكيك؟ قال: ربِّ، هذا غلام بعثته بعدي

---

(1) لم تشر هذه الرواية إلى بيت المقدس حيث أسرى برسول الله ﷺ أولاً، وهو أمر صحيح ثابت بنص القرآن. أما دخوله ﷺ المسجد الأقصى، وصلاته به إماماً بالأنبياء فمسألة خلافية أثبتها بعض الصحابة ونفاها آخرون. وممن نفاها الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان. انظر تفسير الطبري ج 15 ص 15. وانظر في تفسير ابن كثير ج 4 ص 254 - 255 حواراً بين الصحابي حذيفة ابن اليمان والتابعي زرّ بن حبيش، وتعليق ابن كثير في آخر الرواية.

(2) زيادة من سع، ورقة 5 ظ لا بد من إثباتها ليستقيم التعبير.

يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخل من أمتي. ثم انطلقنا حتى أتينا السماء السابعة فأتينا على إبراهيم، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أبوك إبراهيم. فسلّمت عليه فقال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. ثم رفع لنا البيت المعمور بحيال الكعبة فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لا يعودون فيه أخر ما عليهم[1]. ثم رفعت لنا سدرة المنتهى؛ فحدّثَ نبيُّ الله أن ورقها مثل آذان الفِيَلة، وأن نبقها مثل قلال هجر[2].

وحدّث نبيّ الله أنه رأى أربعة أنهار يخرجن من تحتها: نهران باطنان ونهران ظاهران. فقلت يا جبريل ما هذه الأنهار؟ فقال: أما النهران الباطنان فنهران بالجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات. وأُتِيت بإناءين أحدهما لبن والآخر خمر، فعُرِضا عليّ فأخذت اللبن؛ فقيل لي: أصبت، أصاب الله بك أمتك على الفطرة. وفُرِضت عليّ خمسون صلاة، أو قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم. فجئت بهن، حتى أتيت على موسى فقال لي: بِم أمرت؟ فقلت: بخمسين صلاة كل يوم. فقال: إن أمتك لا يطيقون ذلك؛ إني قد بلوت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، ارجع إلى ربك وسله التخفيف لأمتك. فما زلت أسأل ربي ويقول لي موسى مثل مقالته هذه حتى رجعت بخمس صلوات كل يوم. فلما أتيت عليه قال لي: بم أمرت. قال: فقلت بخمس صلوات كل يوم. فقال: إن أمتك لا يطيقون ذلك. إني قد بلوت الناس من قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، راجع ربّك واسأله التخفيف لأمتك. فقلت: لقد راجعت ربي حتى لقد استحييت، ولكني أرضى وأسلّم. قال: فنوديت، أو نادى منادٍ: إني قد أمضيت فريضتي وخفّفت عن عبادي وجعلت الحسنة بعشر أمثالها. فانتهى هذا الحديث إلى ها هنا[3].

---

(1) كذا في سع، وفي المخطوطات الأربع: لم يعودوا إليه.

(2) هي قرية قرب المدينة، كانت تعمل بها القلال الكبيرة. قال أحمد بن حنبل: قدر كل قلة قربتان، انظر اللسان قلل، وانظر معجم البلدان لياقوت الحموي، (هجر).

(3) حديث الإسراء والمعراج هذا أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب المعراج، بعد باب حديث الإسراء عن هدبة بن خالد عن همام بن يحيى عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن =

ذكروا أن رسول الله ﷺ لما أُتِي بالبراق ليركبه استصعب، فقال له جبريل: اسكن، فوالذي نفس محمد بيده ما ركبك مخلوق أكرم على الله منه. قال: فارفضّ عرقاً وقرّ.

وذكروا أن رسول الله قال: مررت ليلة أسري بي على رجال تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالخير والبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: بينما أنا في الجنة إذ أنا بنهر حافاته قباب اللؤلؤ المجوّف، فضربت بيدي إلى مجرى الماء فإذا مسك أذفر. فقلت: ما هذا يا جبريل؟ فقال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله(1).

وذكر بعض أصحاب النبي عن النبي عليه السلام هذا الحديث غير أنه أغزر منه وأطول، فيه ما ليس في الحديث الأول(2).

قال: بينما أنا في البيت إذ أتيت، فشق النحر، فاستخرج القلب، فغسل بماء زمزم، ثم أعيد مكانه. ثم أتيت بدابة أبيض(3) يقال له البراق، فوق الحمار ودون البغل، مضطرب الأذنين، يقع خطوه عند منتهى طرفه. فحملت عليه فسار بي نحو بيت المقدس؛ فإذا منادٍ ينادي عن يمين الطريق: يا محمد، على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك. فمضيت ولم أعرج عليه. ثم إذا أنا بمنادٍ ينادي عن يسار الطريق: يا محمد، على رسلك أسألك، يا محمد

= صعصعة. وهذا أصح أحاديث الباب، وله طرق أخرى عن أنس. وقد أخرج حديث الإسراء والمعراج أئمة الحديث عن جمع من الصحابة، منهم من رواه مطولاً، ومنهم من روى طرفاً منه، فارجع إليه في مظانه، وانظره في كتب التفسير مثل تفسير الطبري ج 15 ص 2 - 17، وتفسير ابن كثير، ج 4 ص 239 - 280، والدر المنثور ج 4 ص 136 - 158.

(1) أخرجه البخاري من حديث أنس في كتاب التفسير، تفسير (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ).

(2) هذا الحديث ساقط من د وج، وهو موجود في ق وع، وفي سع. وهو الذي رواه ابن سلام مرفوعاً عن أبي سعيد الخدري. ورواه الطبري في تفسيره، والسيوطي في الدر المنثور.

(3) كذا في ج ود، وفي ق وع: «بدابة بيضاء»، وكلاهما صحيح.

على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك، ولم أعرج عليه.

ثم إذا بامرأة على قارعة الطريق، أحسبه قال: حسناء جملاء[1]، عليها من كل الحليّ والزينة، ناشرة شعرها، رافعة يديها تقول: يا محمد، على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك. فمضيت ولم أعرج عليها حتى انتهيت إلى بيت المقدس، فأوثقت الدابة بالحلقة التي يوثق بها الأنبياء. ثم دخلت المسجد فصلّيت فيه ركعتين ثم خرجت.

فأتاني جبريل بإناءين: إناء من لبن وإناء من خمر. فتناولت اللبن فقال: أصبت الفطرة.

ثم قال لي جبريل: يا محمد، ما رأيت في وجهتك[2] هذه؟ قلت: سمعت منادياً ينادي عن يمين الطريق: يا محمد على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك. قال: فما صنعت؟ قلت: مضيت ولم أعرّج عليه. قال: ذلك داعية اليهود. أما إنك لو عرّجت عليه لتهوّدت أمتك. قلت: ثم ماذا؟ قلت: ثم إذا أنا بمنادٍ ينادي عن يسار الطريق: يا محمد على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك، قال: فما صنعت؟ قلت: مضيت ولم أعرج عليه. قال: ذلك داعية النصارى. أما إنك لو عرّجت عليه لتنصّرت أمتك. قلت: ثم إذا أنا بامرأة على قارعة الطريق، أحسبه قال: حسناء جملاء عليها من كل الحليّ والزينة، ناشرة شَعرَها، رافعة يديها، تقول: يا محمد على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك، يا محمد على رسلك أسألك. قال: فما صنعت؟ قلت: مضيت ولم أعرّج عليها. قال: تلك الدنيا؛ أما إنك لو عرجت عليها لمِلت إلى الدنيا.

ثم أتينا بالمعراج فإذا أحسن ما خلق الله، ألم ترَ إلى الميّت حيث يشقّ بصره،

(1) امرأة جملاء، أي جميلة مليحة، ولا يوجد «أفعل» لهذه الصفة من فعلها. انظر اللسان (جمل).

(2) في سع ب: «ما رأيت في وجهك هذا؟» وهو صحيح والمعنى واحد.

فإنما يتبعه المعراج عجباً به. ثم تلا هذه الآية: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَـٰئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾. [المعارج: 4] فقعدنا فيه، فعرج بنا حتى انتهينا إلى باب السماء الدنيا[1]، وعليها ملك يقال له: إسماعيل، جنده سبعون ألف ملك، جند كل ملك سبعون ألف ملك، وتلا هذه الآية: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: 31] فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال جبريل؛ قيل: ومن معك؟ قال محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا مرحباً به، ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا. فأتيت على آدم، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أبوك آدم. فرحّب بي ودعا لي بخير. قال: وإذا الأرواح تعرض عليه. فإذا مرّ به روح مؤمن، قال: روح طيّب ورائحة طيّبة، وإذا مرّ به روح كافر قال روح خبيث ورائحة خبيثة.

قال: ثم مضيت فإذا أنا بأخاوين[2] عليها لحوم منتنة وأخاوين عليها لحوم طيبة وإذا رجال ينهسون[3] اللحوم المنتنة ويدَعون اللحوم الطيّبة، فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الزناة يَدَعُون الحلال ويبتغون الحرام.

قال: ثم مضيت فإذا أنا برجال تُفَكُّ أَلْحِيهم[4] وآخرين يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم. قال: قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً. ثم تلا هذه الآية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾ [النساء: 10].

قال: ثم مضيت فإذا أنا بقوم يقطع من لحومهم بدمائهم فيُضْفَزُونها[5] ولهم جؤار؛

---

(1) كذا في سع ورقة 6 ب، وفي ز، ورقة 180، وفي ق وع: «حتى انتهينا إلى باب الحفظة».

(2) أخاوين، جمع خِوان: المائدة إذا كان عليها طعام، وتجمع أيضاً على أخوِنة وخُون، والكلمة معربة، انظر الجواليقي: المعرب ص 177، واللسان (خون).

(3) في ق وع: «ينتهشون» وأصح منه وأفصح ما جاء في سع ورقة 6 ب «ينهسون». والنهس القبض على اللحم بالأسنان والأضراس ونتفه.

(4) جمع لَحْي؛ واللَّحيان: العظمان اللذان عليهما الأسنان من داخل الفم، ومنبت اللحية من الإنسان.

(5) يُضفزونها، أي: يُلقمونها على كره منهم. ومن معاني الضفز: الدفع.

فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الهمّازون اللّمّازون، ثم تلا هذه الآية: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات: 12] قال: وإذا أنا بنسوة معلقات بثُدِيهن، وأحسبه قال: وإذا حيّات وعقارب ينهشنهن؛ فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الظؤورة[1] اللاتي يقتلن أولادهن[2].

قال: ثم أتيت على سابلة آل فرعون حيث ينطلق بهم إلى النار يعرضون عليها غدواً وعشياً؛ فإذا رأوها قالوا ربنا لا تقومن الساعة لما يرون من عذاب الله، وإذا أنا برجال بطونهم كالبيوت يقومون فيقعون لظهورهم ولبطونهم فيأتي عليهم آل فرعون فيثردونهم بأرجلهم ثرداً. فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا. ثم تلا هذه الآية: ﴿ الذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَـٰنُ مِنَ المَسِّ ﴾. [البقرة: 275].

ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى. فرحبا بي، ودعوا لي بخير. ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطى نصف الحسن[3]، قال: فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل. فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال نعم. قالوا: مرحباً به ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا فإذا أنا بإدريس. فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى

(1) الظؤورة، والظؤرة والأظؤر جموع لظئر، وهي المرضعة غير ولدها والمعطوفة عليه من النساء والنوق.

(2) كذا في ق وع وسع، وفي تفسير ابن كثير من رواية أبي سعيد الخدري: «هن اللاتي يزنين ويقتلن أولادهن». وهو أصح.

(3) كذا في ق وع. وفي ز ورقة 1 وفي سع 6 ب: «شطر الحسن».

السماء الخامسة، فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا. فإذا أنا بهارون. وإذا لحيته شطران: شطر أبيض وشطر أسود. فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا المحبب في قومه وأكثر من رأيت تبعاً. فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل. فقيل من؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل أوقد بعث إليه؟ قال نعم. قالوا: مرحباً به ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا فإذا أنا بموسى، وإذا هو رجل أشعر، لو لبس قميصين لنفذهما الشعر. فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى. فرحب بي ودعا لي بخير. قال: فمضيت، ثم سمعت موسى يقول: يزعم بنو إسرائيل أني أكرم الخلق على الله[1]، وهذا أكرم على الله مني. ولو كان النبي وحده لهان عليّ، ولكن النبي ومن تبعه من أمته. ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، فقيل له: من هذا قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا. فأتيت على إبراهيم فإذا هو مستند إلى البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة. فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم. فسلمت عليه، فرحب بي ودعا لي بخير. فإذا أمتي عنده شطران: شطر عليهم ثياب بيض، وشطر عليهم ثياب رمد؛ فدخل أصحاب الثياب البيض واحتبس الآخرون. فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً. وكل إلى خير. ثم قيل لي: هذه منزلتك ومنزلة أمتك. ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا النَّبِيُّ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 68].

قال: ثم انتهينا إلى سدرة المنتهى فإذا أحسن ما خلق الله، وإذا الورقة من ورقها لو غطّيت بها هذه الأمة لغطّتها. ثم انفجر من تحتها السلسبيل، ثم انفجر من

(1) كذا في ز، وسع ورقة 6 ظ وفي ق وع: «يزعم» يزعم بنو إسرائيل أن أحرم الخلق على الله أنا». والعبارة التي أثبتها أنسب وأفصح.

السلسبيل نهران: نهر الرحمة ونهر الكوثر؛ فاغتسلت من الرحمة فغُفِر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر. ثم أعطيت الكوثر فسلكته حتى انفجر بي في الجنة، فإذا طيرها كالبخت[1]، وإذا الرّمانة من رمانها كجلد البعير المقتّب. قال: ونظرت إلى جارية فقلت: لمن أنت يا جارية؟ فقالت: ليزيد بن حارثة. قال: فبشّرت بها زيداً. قال: ثمّ نظرت إلى النار، فإذا إنَّ عذاب ربي لشديد، لا تقوم له الحجارة ولا الحديد. قال: ثم إني رُفِعت إلى سدرة المنتهى فغشّاها من أمر الله ما غشّى. ووقع على كل ورقة منها ملك، وأيّدها الله بأيده، وأوحى لي ما أوحى، وفرض عليّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة. فرجعت إلى موسى فقال: ما فرض عليك ربك؟ فقلت: فرض عليّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة. قال ارجع إلى ربك واسأله التخفيف لأمتك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي، فقلت: أي ربّ حُطَّ عن أمتي، فإن أمتي لا تطيق ذلك. فحطّ عني خمساً. فرجعت إلى موسى عليه السلام فقال: ما فرض عليك ربك؟ قال: قلت: حطّ عني خمساً. فقال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك. قال: فرجعت إلى ربي فحطّ عني خمساً. قال: فلم أزل أختلف ما بين ربي وبين موسى[2] حتى قال: يا محمد: لا تبديل، إنه لا يُبَدَّل القولُ لدَيَّ؛ هي خمس صلوات في كل يوم وليلة، كل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة. ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن عملها كتبت له عشراً. ومن همَّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه، ومن عملها كتبت عليه سيئة واحدة. قال: فرجعت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف. فقلت: قد راجعته حتى لقد استحييت[3].

---

(1) قيل: لفظ «البخت» من الدخيل في العربية، وقيل إن اللفظ عربي، وهو جمع بختية، وهي الإبل الخراسانية الطويلة الأعناق. ولم يورد الجواليقي هذه الكلمة في معجمه (المعرب من الكلام الأعجمي).

(2) كذا في سع ورقة 6 ظ، وفي ز، ورقة 182، وفي ق وع: «فلم تزل تلك حالتي فيما بيني وبين ربي وموسى».

(3) تعيد المخطوطتان ق وع، دون د، ذكر الخبرين الواردين في الفقرتين الأولى والثانية من الصفحة =

وذكروا أن رسول الله ﷺ قال: مررت ليلة أسري بي على سرير وعليه ملك قائم بيده حربة. فقلت: من هذا يا جبريل؟ فقال: إن نبياً أسري به قبلك فمر على هذا وهو قاعد، فظن أنه ربه، فأهوى له ساجداً، فأقامه الله منـذ يومئذٍ ليعلم أنه عبد[1].

قوله تعالى: ﴿ لِنُرِيَهُ مِن ءَايَٰتِنَا ﴾ أي: ما أراه الله من الآيات والعبر في طريق بيت المقدس. قال: ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ يعني نفسه، لا أسمع منه ولا أبصر.

قال الكلبي: لما أخبر النبي عليه السلام بذلك المشركين قال المشركون: تحدثنا أنك صليت الليلة في بيت المقدس ورجعت من ليلتك، وهو مسيرة شهر للذاهب وشهر للمقبل.

وقال بعضهم: رويدك يا محمد نسألك عن عيرنا، هل رأيتها في الطريق؟ قال: نعم. قالوا أين؟ قال: مررت على عير بني فلان بالروحاء، وقد أضلّوا ناقة، وهم في طلبها، فمررت على رحالهم وليس بها منهم أحد [فوجدت في إناء من آنيتهم ماء فشربته، فسلوهم إذا رجعوا هل وجدوا الماء في الإناء][2]. قالوا هذه والله آية بينة. قال: فمررت على عير بني فلان فنفرت مني الإبل ساعة كذا وكذا. ووصف جملاً منها؛ قال: كان عليه أجير بني فلان، عليه جُوالق أسود مخطط ببياض. قالوا: هذه والله آية وقد عرفنا الجُوالق. قال: ثم مررت على عير بني فلان بالتنعيم. قالوا فإن كنت صادقاً فإنها تقدم الآن. قال: أجل. قالوا: فأخبرنا بعدتها وأحمالها ومن فيها. قال: كنت مشغولاً عن ذلك. قال: فبينما هو يحدثهم إذ مثل له عدتها وأحمالها في الحَدور[3] يقدمها جمل أورق. فقال رسول الله ﷺ: ها هي ذي منحدرة من ثنية كذا

= 400 التي سلفت قريباً حول البراق الذي استصعب وحول رجال تقرض شفاههم بمقاريض من نار، وهما في سع ورقة 6 ظ، بعد حديث أبي سعيد الخدري هذا الذي انتهى، لذا لم أرَ بأساً من حذفهما هنا تلافياً للتكرار.

(1) لم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من مصادر الحديث والتاريخ والتفسير.

(2) زيادة من سع، ورقة 7 ب.

(3) قال الجوهري في الصحاح، (حدر): «الحَدُور: الهَبوط، وهو المكان تنحدر منه، والحُدور، بالضم: فعلك».

وكذا مع طلوع الشمس، يقدمها جمل أورق، وعدتها كذا وكذا، وأحمالها كذا وكذا، وفيها فلان وفلان وفلان، وسمّي الرهط الذين فيها بأسمائهم لم يغادر منهم أحداً. فخرج رهط من قريش يسعون، قِبَل الثنية فإذا هم بها حين انحدرت من الثنية يقدمها جمل أورق كما قال. وفيها الرهط الذين سمّي مع طلوع الشمس؛ فرموه بالسحر، وقالوا: صدق الوليد بن المغيرة فيما قال: إنه ساحر.

وجاء أبو بكر فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، حدثني ما رأيت عن يمينك حين دخلت بيت المقدس، وما رأيت عن يسارك. فحدثه رسول الله ﷺ فصدّقه أبو بكر وقال: أشهد أنك صادق فيومئذٍ سمّي الصديق، فقال رسول الله: وأنت الصديق يا أبا بكر[1].

قوله: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـٰبَ ﴾ أي: التوراة ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُ هدىً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أي: لمن آمن منهم. ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴾ أي: ألا تتخذوا من دوني شريكاً. وقال بعضهم: ربّا.

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ أي: في السفينة، أي: يا ذرية من حملنا مع نوح، ولذلك انتصب[2]. وقال بعضهم: (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَامَعَ نُوحٍ) أي: الناس كلهم ذرية من أنجى الله في تلك السفينة. وذكر لنا أنه نجّى فيها نوحاً وثلاثة بنين له: سام وحام ويافث وامرأته ونساءهم، فجميعهم ثمانية.

قال: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً). قال بعضهم: ذكر لنا أنه كان إذا استجد ثوباً

(1) من حديث الحسن عن مسراه ﷺ حسبما رواه ابن إسحاق. انظر سيرة ابن هشام، ج 1 ص 398.

(2) انظر بحثاً لغوياً قيماً في أصل كلمة «ذرية»، وهل هي من (ذرأ)، أو (ذرر)، أو (ذرو)، أو (ذرى) فقد تتبع ابن جني في كتابه المحتسب وجوه اشتقاق الكلمة وفصّل القول فيها في ج 1 ص 156-160. أما عن وجوه نصبها فالوجه المشهور لدى المفسرين أنها منصوبة على النداء في قراءة من قرأ: «لا تتخذوا» بالتاء. وقد تكون منصوبة على البدل من قوله (وكيلا)، أو على أنها مفعول أول لـ (تتخذوا) و (وكيلا) المفعول الثاني. وانظر أوجهاً أخرى من الإعراب في كشاف الزمخشري ج 2 ص 648، وفي بيان ابن الأنباري ج 2 ص 86.

حمد الله. والعامة على أن الشكور المؤمن، وهو حقيقة التفسير.

قوله: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَٰبِ ﴾ قال الحسن: يقول: أعلمناهم. كقوله: (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ) [الحجر: 66] أي: أعلمناه: ذكروا أن مجاهداً قال: (وَقَضَيْنَا) أي: كتبنا. ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ [يعني لتهلكن في الأرض مرّتين] ﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً ﴾ [يعني لتقهرن قهراً شديداً][1].

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَيْهُمَا ﴾ أي: أولى العقوبتين ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ تفسير مجاهد: إنهم فارس. ﴿ فَجَاسُوا خِلَٰلَ الدِّيَارِ ﴾ فقتلوهم في الدّيار وهدموا بيت المقدس وألقوا فيه الجيف والعذرة ﴿ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً ﴾ أي: إنه كائن.

ذكر بعضهم قال: عوقب القوم على علوّهم وفسادهم، فبعث الله عليهم في الأولى جالوت الجزري[2]، فسبى وقتل وجاسوا خلال الدّيار كما قال الله. ثم رجع القوم على دخن فيهم كثير.

قال: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴾ أي: أكثر عدداً. قوله: (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ) ففعل ذلك بهم في زمان داود يوم طالوت.

قال: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ أي: فلأنفسكم. ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْأَخِرَةِ ﴾ أي: من العقوبتين ﴿ لِيَسُئُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: (لِيَسوءَ) مخففة، أي ليسوءَ اللهُ وجوهَكم، والوجه الآخر (لِيسُوُا) مثقلة، يعني القوم وجوهَكم. ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ ﴾ يعني بيت المقدس ﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي: كما دخله عدوّهم قبل ذلك.

---

(1) ما بين المعقوفين زيادة من سع ورقة 7 ب.

(2) في المخطوطات الأربع: «الحورى»، وفي سع، ورقة 7 ب، وفي ز ورقة 182 جاءت الكلمة هكذا: «الخزري» ولم أرَ للكلمة وجهاً صحيحاً. ويبدو أن الصواب كما أثبته: «الجزري» كما جاء في تفسير الطبري ج 15 ص 28: «الجزري» وقال: «كان الذي بعث الله عليهم في المرة الأولى: جالوت، وهو من أهل الجزيرة».

قال: ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ﴾ أي: وليفسدوا ما غلبوا[1] عليه فساداً. فبعث الله في الآخرة بختنصر البابلي المجوسي فقتل وسبى وخرب بيت المقدس، وقذف فيها الجيف والعذرة. ويقال إن فسادهم الثاني قتل يحيى بن زكرياء، فبعث الله بختنصر عقوبة عليهم بقتلهم يحيى، فقتل منهم سبعين ألفاً.

وذكر بعضهم قال: كان يحيى بن زكرياء في زمان لم يكن للرجل منهم أن يتزوج امرأة أخيه بعده. فإذا كذب متعمداً لم يُوَلَّ الملك. فمات الملك، وولي أخوه، فأراد أن يتزوج امرأة أخيه [الملك الذي مات][2]. فسألهم فرخصوا له. وسأل يحيى بن زكرياء فأبى أن يرخص له. فحقدت عليه امرأة أخيه. وجاءت بابنة أخي الملك الأول إليه، فقال لها: سليني اليوم حكمك. فقالت: حتى انطلق إلى أمي. فلقيت أمها فقالت: قولي له: إن أردت أن تفي لنا بشيء فأعطني رأس يحيى بن زكرياء، فقالت: أقول له خيراً من هذا. فقالت هذا خير لك منه[3]. فأتت إليه فسألته. فكره أن يُخلِفها ولا يُوَلَّى الملك. فدفع إليها يحيى بن زكرياء. فلما وضعت الشفرة على حلقه قال: [قولي][4] بسم الله هذا ما بايع عليه يحيى بن زكرياء عيسى بن مريم على أن لا يزني ولا يسرق ولا يلبس إيمانه بسوء. فلما أَمَرَّت الشفرة على أوداجه فذبحته ناداها منادٍ من فوقها فقال: يا ربة البيت الخاطئة الغاوية. قالت: إنها كذلك فماذا تريد منها؟ فقال: لِتَبْشِر، فإنها أول من تدخل النار. قال فخسف بابنتها. فجاءوا بالمعاول فجعلوا يحفرون عنها وتدخل في الأرض حتى ذهبت ولم يُقدر عليها.

---

(1) كذا في سع، ورقة 7 ب، وفي ز ورقة 182: «ما غلبوا عليه» وفي المخطوطات» ما علوا عليه».

(2) زيادة من سع، ورقة 7 ب.

(3) كذا في المخطوطات، جرى الحوار بين الام وابنتها. أما في سع فالحوار كان بين الملك والابنة هكذا: «فأعطني رأس يحيى بن زكرياء فقال: قولي لها غير هذا خير لك. قال فأبت وتكرّه أن يخلفها فلا يول الملك (كذا)...» وما جاء في المخطوطات أصح. وانظر تفاصيل هذا في روايات طويلة في تفسير الطبري ج 15 ص 29 فما بعدها.

(4) كذا في سع ورقة 7 ظ، وفي المخطوطات: د وق وج وع: «وتالله وتالله، وبالله».

قوله: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمُ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾. قال بعضهم: فعاد الله عليهم بعائدته. قال: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ عليكم بالعقوبة. كان أعلمهم أن هذا كله كائن.

قوله: (وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا) قال الحسن: إن الله عاد عليهم بمحمد ﷺ فأذلّهم بالجزية. [قال بعضهم: هو كـ](1) ـقوله: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ) أي: وإذ قال ربك في تفسير بعضهم. وقال الحسن: أشعر ربك (لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) [الأعراف: 167]. قال بعضهم: إنهم عادوا فبعث الله عليهم ما شاء من نقمته. ثم كان كتب أن يبعث عليهم العرب فهم منهم في عذاب إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيراً ﴾ أي: سجناً، أي: يحصرهم فيها(2).

قوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي ﴾أي: يدعو ﴿ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾(3) وقال في المزمل: [6] (وَأَقْوَمُ قِيلاً) أي: أصوب. ﴿ وَيُبَشِّرُ الْمُؤمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ أي: الجنة. ﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ أي: موجعاً.

قوله: ﴿ وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ﴾ أي: يدعو بالشر على نفسه وعلى ولده وماله كما يدعو بالخير. وقال في آية أخرى: (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) [يونس: 11] أي: لأمات الذي يدعو عليه.

قال: ﴿ وَكَانَ الإِنْسَٰانُ عَجُولاً ﴾ وقد فسّرناه قبل هذا الموضع(4). وقال

(1) زيادة لا بد منها لتستقيم العبارة.

(2) هذا قول نسب إلى ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وابن زيد. وذهب الحسن أن قوله (حصيراً) يعني مهاداً وفراشاً وانتزع بقوله تعالى: (لَهُم مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ) [الأعراف: 41]. ومن معاني الحصير البساط الصغير. وقد رجح الطبري في تفسيره ج 15 ص 45 - 46 هذا التأويل الأخير وقال عنه: «هو وجه حسن وتأويل صحيح».

(3) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 117: «(للتي هي أقوم) يقول: لشهادة ألا إله إلا الله». وقال الطبري في تفسيره ج 15 ص 46: «يقول: للسبيل التي هي أقوم السبل».

(4) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 184.

بعضهم: يدعو على ماله فيلعن ماله وولده، ولو استجاب الله له لأهلكه.

قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا الَّيْـلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَا ءَايَةَ الَّيْـلَ ﴾ وهي السواد الذي في القمر. ويقال مُحِيَ من ضوء القمر من مائة جزء تسعة وتسعون جزءاً وبقي منها جزء واحد. قال: ﴿ وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ أي: منيرة، يعني به ضوء النهار. ﴿ لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ يعني بالنهار. ﴿ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ ﴾ بالليل والنهار.

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فصَّلْنَهُ تَفْصِيلاً ﴾ أي: بيّنّاه تبييناً، وقال الحسن: فصّلنا الليل من النهار وفضلنا النهار من الليل، والشمس من القمر والقمر من الشمس.

قوله: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ قال الحسن: طائره: عمله[1]. قوله: ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ كِتَـٰباً يَلْقَيٰهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ قال بعضهم: سيقرأ يومئذٍ من لم يكن قارئاً في الدنيا.

ذكروا عن أبي بن كعب قال: يُدعى الخلائق يوم القيامة للحساب؛ فإذا كان الرجل في الخير رأساً، يدعو إليه ويأمر به، ويكثر عليه تبعه، دعِيَ باسمه واسم أبيه، فيقوم، حتى إذا دنا أخرج له كتاب أبيض بخط أبيض في باطنه السيئات، وفي ظاهره الحسنات، فيبدأ بالسيئات فيقرأها فيشفق ويتغير لونه. فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه سيئاتك وقد غفرت لك فيفرح. ثم يقلب كتابه فيقرأ حسناته، فلا يزداد إلا فرحاً. ثم إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه حسناتك وقد ضوعفت لك، فيبيض وجهه، ويؤتى بتاج فيوضع على رأسه ويكسى حلتين، ويحل كل مفصل منه ويطول ستين ذراعاً، وهي قامة آدم. ويعطى كتابه بيمينه، فيقال له: انطلق إلى أصحابك فبشرهم وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا. فإذا أدبر قال: (هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَه إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَه) يقول الله: (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ)

(1) هذا هو التأويل الذي ذهب إليه الجمهور من المفسرين. قال مجاهد في ص 359: (طائره في عنقه) قال: عمله، خيره وشره». وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 1 ص 372: «(أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ) أي: حظه.

[الحاقة: 19 - 23] فيقول لأصحابه: هل تعرفونني؟ فيقولون: قد غيرتك كرامة الله، من أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا.

وإذا كان في الشر رأساً يدعو إليه، ويأمر به، ويكثر عليه تبعه، نودي باسمه واسم أبيه فيقدم إلى حسابه فيخرج له كتاب أسود بخط أسود، في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات. فيبدأ بالحسنات فيقرأها، فيفرح ويظن أنه سينجو. فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه حسناتك وقد ردت عليك، فيسود وجهه ويعلوه الحزن ويقنط من الخير. ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته فلا يزداد إلا حزناً، ولا يزداد وجهه إلا سواداً. فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه سيئاتك وقد ضوعفت لك، فيعظم للنار حتى إن فخذه لتكون مسيرة ثلاثة أيام وجلده مقدار أربعين ذراعاً؛ وتَزْرَقُّ عيناه، ويسودّ لونه، ويكسى سرابيل القطران. ثم تخلع كفه[2] اليسرى فتجعل وراء ظهره، ثم يعطى كتابه بشماله ويقال له: انطلق إلى أصحابك وخَبِّرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا. فينطلق به وهو يقول: ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَه وَلَم أَدْرِ مَا حِسَابِيَه يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَه هَّلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه ﴾ قال الله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ ﴾ [الحاقة: 25 - 32] فيسلك فيها سبعين ذراعاً كما قال الله؛ يسلك فيها سلكاً تدخل من فيه حتى تخرج من دبره. فينادي أصحابه فيقول: هل تعرفونني؟ فيقولون: لا ندري. ولكن نرى ما بك من الحزن، فمن أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، ولكل إنسان منكم مثل هذا. ثم يُنصب للناس فتبدو فضائحه حتى [يُعيِّر[1] و] يتمنى أن لو انطلق به إلى النار استحياء مما يبدو منه.

قوله: ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ أي: شاهداً.

قوله: ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ أي: على نفسه. ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي: لا يحمل أحد ذنب آخر.

---

(1) زيادة من سع، ورقة 8 ب.

(2) كذا في بعض المخطوطات: «كفه»، وهو أصح، وفي بعضها وفي سع، ورقة 8 ب: «كتفه».

قوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ قال الحسن: لا يعذب قوماً بالاستئصال حتى يحتجّ عليهم بالرسل. كقوله: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَىٰ حَتَّى يَبْعثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً) [القصص: 59]. وكقوله: (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ) [فاطر: 24] يعني الأمم التي أهلك الله بالعذاب.

قوله: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ أي: أَكْثَرْنَا جبابرتَها. قال الحسن: جبابرة المشركين فاتّبعهم السفلة ﴿ فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَ عَلَيْهَا القَوْلُ ﴾ أي: الغضب ﴿ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾.

وكان ابن عباس يقرأها: (أَمَّرْنَا مُتْرَفِيهَا)، مثقلة، من قبل الإمارة. كقوله: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا) [الأنعام: 123]. وكان الحسن يقرأها: (آمرنا)، وهي أيضاً من الكثرة. وبعضهم يقرأها: (أمرنا) أي: أمرناهـم بالإيمان ففسقوا فيها، أي: أشركوا ولم يؤمنوا.

قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ القُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾ وهو كقوله: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَـٰتِ) إلى آخر الآية. [إبراهيم: 9].

قوله: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ ﴾ [وهو المشرك الذي لا يريد إلا الدنيا، لا يؤمن بالآخرة][1] ﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَـٰهَا مَذْمُوماً ﴾ أي: في نقمة الله ﴿ مَّدْحُوراً ﴾ مطروداً مباعداً عن الجنة في النار.

قوله: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ أي: عمل لها عملها ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أي: وهو مُوفٍّ بالقول والعمل[2] ﴿ فَأُولَـٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ ﴾ أي: عملهم

(1) زيادة من سع ورقة 8 ب، ومن ز، ورقة 183.

(2) كذا في المخطوطات الأربع: «وهو موف بالقول والعمل». وهذا تأويل من الشيخ هود الهواري بدلاً مما جاء في سع ورقة 8 و: (وَهُو مُؤمنٌ): «مخلص بالإيمان». وقد حذف الشيخ هود هنا =

﴿ مَّشْكُوراً ﴾ أي: يثيبهم الله به الجنة.

قوله: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰؤُلَاءِ وَهَـٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾ يعني المؤمنين والمشركين في رزق الله في الدنيا. ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ أي: مقبوضاً[1]. وقال بعضهم: ممنوعاً. يقول: يستكملون أرزاقهم التي كتب الله لهم.

قوله: ﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ أي: في الدنيا، في الرزق والسعة وخوَّل بعضهم بعضاً، يعني وملك بعضهم بعضاً. ﴿ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾.

قوله: ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً ﴾ أي: في نقمة الله ﴿ مَّخْذُولاً ﴾ في عذاب الله.

قوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾[2] أي: وأمر ربك ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَـٰناً ﴾ يقول: وأمر ربك بالوالدين إحساناً، أي: براً. ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾ أي: إن بلغا عندك الكبر أو أحدهما، فوليتَ منهما ما وَلِيَا منك في صغرك، فوجدت منهما ريحاً يؤذيك، فلا تقل لهما أُفٍّ. وقال الحسن: (وَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ) أي: ولا تؤذهما. قوله: ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ يعني الانتهار. وقال مجاهد: لا تغلظ لهما. قوله: ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾ أي: قولاً ليّناً سهلاً.

= حديثاً لم يصح عنده ذكره ابن سلام هكذا: «خالد عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: لا يقبل الله عمل عبد حتى يرضى قوله». وقد بحثت عن هذا الحديث في عدة مصادر من الحديث والتفسير فلم أعثر له على أثر. فهل هو مما انفرد به تفسير ابن سلام؟..

(1) كذا في المخطوطات الأربع «مقبوضاً»، وفي سع 8 و «منقوصاً».

(2) هذه هي القراءة الصحيحة المشهورة: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ) أي: أمر ربك كما ذكره أبو عبيدة في المجاز ج 1 ص 374. ونسبت قراءة إلى أبي بن كعب وابن مسعود بلفظ: (وَوَصَّى رَبُّكَ) وهي قراءة بالمعنى. والصحيح ما عليه جمهور القراء والمفسّرين. وقد أورد ابن سلاّم في كتابه التصاريف ص 340 - 343 عشرة أوجه لتفسير (قَضَىٰ) واستوفى القرطبي في تفسيره ج 10 ص 237 معاني لفظ (قَضَى) موجزاً القول في ذلك. وانظر اللسان (قضى).

قوله: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ أي: لا تمتنع من شيء أحبّاه.

ذكروا أن رسول الله ﷺ أوصى بعض أهل بيته فكان فيما أوصاه: أطع والديك وإن أمراك أن تخرج من مالك كله فافعل[1].

قوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ هذا إذا كانا مسلمين، وإذا كانا مشركين فلا يقل رب ارحمهما. هذا الحرف منسوخ نسخه (مَا كَانَ لِلنَّبِي وَالذِينَ ءَامَنُوا أَن يَّسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبىٰ) [التوبة: 113].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من أصبح باراً بوالديه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، [ومن أمسى مثل ذلك][2]، وإن واحد فواحد، ومن أصبح عاقاً لوالديه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار، وإن واحد فواحد، وإن ظلماه وإن ظلماه وإن ظلماه[3].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: رضا الرب مع رضا الوالد، وسخط الرب مع سخط الوالد[4].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن فوق كل بِرّ بِرّاً حتى إن الرجل يهريق دمه في سبيل الله، وإن فوق كل فجور فجوراً حتى إن الرجل ليعق والديه[5].

قوله: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾ أي: من برّ الوالدين ﴿ إِنْ تَكُونُوا صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّٰبِيـنَ غَفُوراً ﴾ الأوّاب التائب الراجع عن ذنبه.

(1) أخرجه يحيى بن سلام عن مكحول مرسلاً. ولم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من كتب الحديث إلا ضمن حديث روي عن ابن عباس بسند ضعيف.

(2) زيادة من سع ورقة 8 ظ.

(3) أخرجه يحيى بن سلام بسند عن ابن عباس في ورقة 8 ظ، وأخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي عن ابن عباس مرفوعاً كما في الدر المنثور ج 4 ص 174.

(4) أخرجه يحيى بن سلام بسند عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو في ورقة 8 ظ، وأخرجه الترمذي في أبواب البرّ والصلة، باب الفضل في رضا الوالدين عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً.

(5) أخرجه يحيى عن الحسن مرسلاً، ولم أجده في مصادر أخرى.

قوله: ﴿وَءاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ يعني ما أمر الله به من صلة القرابة. يقال: إن كان لك مال فصله بمالك، وإن لم يكن لـك مال فامشِ إليه برجلك. قال الحسن: حقُّ الرحم ألا تحرمها ولا تهجرها.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إنّ الرّحم معلّقة بالعرش. وليس الواصل بالمكافىء، ولكن الذي إذا انقطعت رحمه وصلها[1].

قوله: ﴿ وَالمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ وهما صنفان من أهل الزكاة الواجبة. وكانت نزلت قبل أن يُسمّى أهل الزكاة.

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴾ أي: لا تنفق في غير حقّ.

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ما أنفقتم في سبيل الله فلكم، وما أنفقتم على أنفسكم فلكم، وما أنفقتم على عيالكم فلكم، وما تركتم فللوارث[2].

ذكروا عن علي قال: ما أنفقت على نفسك فلك، وما أنفقت على عيالك فلك، وما أنفقت رياء وسمعة فهو للشيطان.

قوله: ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْـوٰنَ الشَّيَـٰطِينِ ﴾ يعني المشركين[3] ينفقون في معاصي الله، فهو للشيطان. وما أنفق المومن لغير الله لا يقبله الله. وإنما هو للشيطان. قال: ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾.

قوله: ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا ﴾ أي ابتغاء الرزق ﴿ فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسوراً ﴾.

(1) انظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص 383.

(2) أخرجه يحيى بن سلام عن الحسن مرسلاً، في ورقة 8 ظ، ولم أعثر عليه بهذا اللفظ فيما لدي من المصادر.

(3) الآية أعم من أن تقصر على المشركين، بل هي عامة في كل المبذرين في كل زمان ومكان. وقد جدّت أنواع من التبذير في زماننا وتسابق الناس في مظاهر الإسراف وقلّدوا غيرهم في التباهي والتفاخر في موائد الأفراح مثلاً وفي الملبس والمشرب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ذكروا عن الحسن أن سائلاً قام فقال: يا رسول الله، لقد بتنا البارحة بغير عَشاء، وما أحسبنا الليلةَ نرجوه. فقال: يرزقنا الله وإياك من فضله، اجلس. فجلس. ثم قام آخر فقال: مثل ذلك. فردّ عليه رسول الله مثل ذلك. فأُتي رسول الله ﷺ بأربع أواق من ذهب، فقال: أين السائلان؟ فقام الرجلان فأعطى كل واحد منهما أوقية، ولم يسأله أحد، فرجع بأوقيتين، فجعلهما تحت فراشه. فسهر ليلته بين فراشه ومسجده، فقالت أم المومنين: يا رسول الله ما أسهرك؟ أَوَجَع أو أمر نزل؟ فقال: يا عائشة، أُتيت بأربع أواق فأمضيت وقيتين وبقيت وقيتان، فخشيت أن يحدث بي حدث ولم أوجّههما.

قال بعضهم: بلغنا أن قوله: (فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً ﴾ أن يقول لهم: يرزقنا الله وإياك.

ذكر عن عائشة أنها قالت: لا تقولوا للسائل: بارك الله فيك، فإنه قد يسأل البَرُّ والفاجرُ، ولكن قولوا: يرزقنا الله وإياك.

وقوله (ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا) يعني انتظار رزق من ربك.

ذكر الحسن قال: كان السائل يسأل فيقول رسول الله ﷺ: والله ما أصبح في بيوت آل محمد صاع من طعام، وهي يومئذ تسعة أبيات. ولم يكن به شكوى، ولٰكن واللهِ اعتذار منه عليه السلام.

قوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ أي لا تدع النفقة في حق الله فيكون مثلك مثل الذي غُلَّتْ يده إلى عنقه فلا يستطيع أن يبسطها.

قال: ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ أي: فتنفق في غير حق الله ﴿ فَتَقْعُدَ مَلُوماً ﴾ في عباد الله لا تستطيع أن تُوسِع الناس ﴿ مَّحْسُوراً ﴾ أي: قد ذهب ما في يديك. يقول: قد حسر[1].

وقال بعضهم: يقول: لا تمسكها عن طاعة الله ولا عن حقه، ولا تبسطها كل

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 1 ص 375: «(مَلُوماً مَّحْسُوراً) أي: منضىً قد أعيا. يقال: حسرتُ البعيرَ، وحسرته بالمسئلة؛ والبصر أيضاً إذا رجع محسوراً».

البسط أي: لا تنفقها في معصية الله وفيما لا يصلح، وهو الإسراف. قال: (فَتَقْعُدَ مَلُوماً) في عباد الله (مَّحْسُوراً) أي: على ما سلف من أمره وفرط.

قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: ويقتر. وتقتيره على المؤمن نظرٌ له. ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾.

قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَـٰدَكُم ﴾ يعني الموءودة ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ﴾ أي: خشية الفاقة. كان أحدهم يقتل ابنته، يدفنها وهي حية حتى تموت مخافة الفاقة، ويغذو كلبه. ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً﴾ أي: ذنباً كبيراً. أي: قتل النفس التي حرّم الله من الكبائر.

قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ أي: وبئس الطريق.

قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي: إلا بالقَوَد؛ أن يقتل قتيلاً فيُقتل بمن قتل. قوله: ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَـٰناً﴾ أي: القَوَد، إلا أن يعفو الولي أو يرضى بالدية إن أُعطِيهَا. قوله: ﴿ فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ﴾ أي: لا يقتل غير قاتله. ﴿ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً ﴾ أي: ينصره السلطان حتى يُقيدَه منه[1].

وقال بعضهم: (إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً) أي: في الآخرة، يعني الذي يُعتَدى عليه فقُتِل، وليس هو قاتل الأول، أي: يُنصر على الذي اعتدى عليه فقتله.

قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ والتي هي أحسن أن يوفر عليه ماله ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾[2] أي: حتى إذا بلغ أشده دفع إليه ماله إنْ أُونس منه رشد[3].

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 123: «وقوله: (إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً) يقال: إن وليه كان منصوراً. ويقال: الهاء للدم. إن دم المقتول كان منصوراً، لأنه ظلم. وقد تكون الهاء للمقتول نفسه، وتكون للقتل لأنه فعل فيجري مجرى الدم، والله أعلم بصواب ذلك».

(2) روى عن ابن عباس أنه قال: «الأشد ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين».

(3) جاءت العبارة ناقصة في ق ود، فأثبت التصحيح من ز، ورقة 184، ومن سع، ورقة 9.

قال بعضهم: لما نزلت هذه الآية اشتدّت عليهم فكانوا لا يخالطونهم في المال ولا في المأكل فجهدهم ذلك فنسختها هذه الآية ﴿ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ [البقرة: 220].

قوله: ﴿ وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ ﴾ يعني ما عاهدتم عليه فيما وافق الحق. ﴿ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ أي: مطلوباً، يُسأل عنه أهله الذين أعطوه.

قوله: ﴿ وَأَوْفُوا الكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ ﴾ والقسطاطس العدل بالرومية ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ أي: إذا وفيتم الكيل وأقمتم الوزن. ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ أي: خير ثواباً وخير عاقبة.

قوله: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ أي: لا تقل رأيت ولم ترَ، أو سمعت ولم تسمع فإن الله سائلك عن ذلك كله[1].

قال الحسن: لا تقف أخاك المسلم من بعده إذا مرّ بك فتقول: إني رأيت هذا فعل كذا وكذا، ورأيت هذا يفعل كذا وكذا، وسمعته يقول كذا وكذا لما لم ترَ ولم تسمع. ﴿ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾. أي: لا تقل رأيت وسمعت فإن الله سائلك عن ذلك كله، أي: يسأل السمع على حِدَة عما سمع، ويسأل البصر على حِدة عما رأى، ويسأل القلب عما عزم عليه.

قوله: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً ﴾ أي: على الأرض. و (في) في هذا الموضع بمعنى على. (مَرَحاً) أي: كما يمشي المشركون، فتمرح في الأرض، وهي مثل قوله: ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾

(1) لا تقف من قفوت الأثر إذا تتبعته. قال أبو عبيدة في المجاز ج 1 ص 379: «مجازه: ولا تتبّع ما لا تعلمه ولا يعنيك. وذكر أن النبي ﷺ قال: «نحن بنو النضر بن كنانة لا نقذف أمّنا ولا نقفو أباءنا. وروى في الحديث ولا نقتفي من أبينا». وقال ابن قتيبة في غريب القرآن ص 254: «﴿ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ أي: لا تُتبعه الحدسَ والظنون ثم تقول: رأيتُ ولم ترَ، وسمعتُ ولم تسمع وعلمتُ ولم تعلم».

[غافر: 75] وكقوله: (وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) [الرعد: 26] يعني المشركين الذين لا يقرون[1] بالآخرة.

قال: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ أي: بقدميك إذا مشيت[2]. ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴾ في قراءة من قرأها بالرفع، يقول: سيء ذلك الفعل، ومن قرأها بالنصب يقول كل ذلك كان سيئةً توجب عند ربك مكروهاً.

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهاً آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً ﴾ أي: ملوماً في نقمة الله، مدحوراً في عذاب الله. والمدحور المطرود المبعد المقصى عن الجنة في النار.

قوله: ﴿ أَفَأَصْفَيكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَـٰئِكَةِ إِنَـٰثاً ﴾ على الاستفهام. أي: لم يفعل ذلك، لقولهم: إن الملائكة بنات الله. ﴿ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً ﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا﴾ أي: ضربنا في هذا القرآن الأمثال، فأخبرناهم أنا أهلكنا القرون الأولى ليذّكروا فيومنوا، لئلا ينزل بهم العذاب مثلما نزل بالأمم السالفة قبلهم من عذاب الله. ﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ ﴾ ذلك ﴿ إِلَّا نُفُوراً ﴾ أي: إلّا تَركاً لأمر الله، يعني أنهم كلّما نزل من القرآن شيء كفروا به ونفروا.

ذكروا عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لتدخلُنْ الجنة إلا أن تَشْرَدوا على الله كما يَشرُدُ البعيرُ على أهله، ثم تلا هذه الآية: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً)[3].

قوله: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ ﴾ وهي تقرأ على الياء والتاء. فمن

(1) كذا في د وع: «لا يقرون»، وفي ق: «لا يقولون»، وفي سع «لا يفرحون» وهذه الأخيرة أنسب.
(2) وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 380: «مجازه: لن تقطع الأرض... وقال آخرون: إنك لن تنقب الأرض، وليس بشيء».
(3) رواه يحيى بن سلام هكذا: «يحيى عن الحسن بن دينار، عن الجُريري عن يعلى بن عطاء قال: قال رسول الله ﷺ...، ولم أعثر عليه فيما بين يدي من المصادر.

قرأها بالياء فهو يقول: إنه قال للنبي: قل لهم: ﴿ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ ﴾، ثم أقبل على النبي فقال: كما يقولون. ومن قرأها بالتاء فهو يقول: إنه قال للنبي: قل لهم: ﴿ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ ﴾ كما تقولون؛ ﴿ إذاً لابْتَغوا ﴾ يعني الآلهة لو كانت آلهة ﴿ إِلَىٰ ذِي العَرْشِ سَبِيلاً ﴾ أي: إذاً لطلبوا إليه الوسيلة والقربة. وقال بعضهم: إذاً لعرفوا له فضله عليهم ولابتغوا ما يقرّبهم إليه.

قوله: ﴿ سُبْحَـٰنَـهُ ﴾ ينزّه نفسه ﴿ وَتَعالَىٰ ﴾ أي: ارتفع ﴿ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً ﴾ أي: ارتفاعاً عظيماً.

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّـمَـٰوٰتُ السَّبْعُ ﴾ أي: ومن فيهن ﴿ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ أي: من المؤمنين ومن يسبّح له من الخلق. ﴿ وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ لَـٰكِن لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾.

قال الحسن: إن الجبل يسبّح، فإذا قطع منه شيء لم يسبّح ذلك المقطوع ويسبّح الأصل. وكذلك الشجرة ما قطع منها لم يسبح وتُسبّح[1].

قال ﴿ وَلَـٰكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ كقوله: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ [النحل: 61] أي: إذاً لحبس عنهم القطر فأهلكهم. قال: ﴿ غَفُوراً ﴾ لهم أي: إن تابوا. وقال بعضهم: ﴿ حَلِيماً ﴾ أي: عن خلقه فلا يعجل كعجلة بعضهم على بعض، غفوراً لهم إذا تابوا وراجعوا الحق.

قوله: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الذِينَ لاَ يُؤمِنُونَ ﴾ أي: لا يصدّقون ﴿ بِالأَخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً ﴾ أي: جعل الله الكفر الذي كان منهم حجاباً لهم حجبهم به عن الإيمان.

---

(1) كذا في ع وق، وفي د: ويسبح الأصل؛ وما أثبته هو الصواب. وانظر في معاني الفراء ج 2ص 124 - 125 بياناً لغوياً شافياً في تذكير قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ ﴾ أو تأنيثه، وروى الفراء في آخر كلامه قولاً لسعيد بن جبير قال: «كل تسبيح في القرآن فهو صلاة، وكل سلطان حجة، هذا لقوله: ﴿ وإن مِّنْ شَيْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾».

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ أي: لئلا يفقهوه ﴿ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْراً ﴾ وهو مثل قوله: (وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾ [الجاثية: 23] وكل هذا إنما فعله الله بهم لفعلهم الكفر الذي كان منهم[1].

قال بعضهم: (حِجَاباً مَّسْتُوراً) وهو أكنة على قلوبهم بأن لا يفقهوه. أي: إنما جعل الله الكفر حِجَاباً على أهله لا يفقهون معه الحق ولا يقبلونه لتديّنهم بالكفر وتعلّقهم به[2].

قوله: ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ﴾ أي: إذا قلت لا إلـه إلا الله ﴿ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُوراً ﴾ أي: أعرضوا. وقال بعضهم: إن المسلمين لما قالوا لا إلـه إلا الله أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم وضاق بها إبليس وجنوده. وهو كقوله: (أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَـٰهاً وَاحِداً إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) [سورة صٓ: 5]. قوله: (وَلَّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً) أي: أعرضوا عنه ونفرت منه قلوبهم، وما برحت أبدانهم من أماكنها، وإنما نفروا بقلوبهم بالإعراض والتكذيب.

قوله: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ ﴾ أي: يتناجون في أمر النبي عليه السلام. ﴿ إِذْ يَقُولُ الظَّـٰلِمُونَ﴾ أي: المشركون ﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴾.

قال بعضهم: بلغنا أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة في رهط من قريش قاموا من المسجد إلى دار في أهل الصفا فيها نبي الله يصلي، فاستمعوا. فلما فرغ نبي الله من صلاته قال أبو سفيان لعتبة: يا أبا الوليد، أناشدك الله هل تعرف شيئاً مما يقول؟ فقال عتبة: اللهم أعرف بعضاً وأنكر بعضاً. فقال أبو جهل: وأنت يا أبا سفيان؟ قال أبو سفيان: اللهم نعم. فقال أبو سفيان لأبي جهل: يا

(1) هذه الجملة الأخيرة من كلام الشيخ هود الهواري، موجودة في المخطوطات الأربع دون سع، وز.

(2) وهذه الجملة أيضاً من قوله: إنما جعل الله الكفر...، وهي تأكيد للمعنى الأول، من زيادات الشيخ هود انفردت بها المخطوطات الأربع.

أبا الحكم هل تعرف شيئاً مما يقول؟ قال أبو جهل: لا والذي جعلها بَنِيّة، يعني الكعبة، ما أعرف مما يقول قليلاً ولا كثيراً وإن يتبعون إلا رجلاً مسحوراً، يعني المؤمنين اتبعوا رجلاً مسحوراً.

وقال بعضهم: [نجواهم أن زعموا أنه][1] مجنون وأنه ساحر، وقالوا أساطير الأولين.

قال الله: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ ﴾ أي: الأشباه[2] ﴿ فَضَلُّوا ﴾ بقولهم ذلك ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ قال مجاهد: مخرجاً [مما قالوا] يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه. وقال في قوله: (إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ): [هو مثل][3] قول الوليد بن المغيرة ومن معه في دار النَّدوة[4].

﴿ وَقَالُوا اءِذَا كُنَّا عِظَـماً وَرُفَـتاً﴾ أي: تراباً[5] في تفسير مجاهد. ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴾ على الاستفهام، أي: لا نبعث. وهو كقوله: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [سورة يٓس: 78]. كان أبيُّ بن خلف أتى النبي ﷺ بعظم نَخِر ففتَّه، ثم قال: يا محمد، أَيُحيي الله هذا؟ قال الله (قُلْ يُحْيِيهَا الذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ «مَرَّةٍ») [يٓس: 79].

---

(1) زيادة من سع لتستقيم العبارة.

(2) هذه الكلمة لم ترد في سع ولا في ز، ووردت في المخطوطات الأربع، وهي ليست من زيادات الشيخ هود، فهل معنى ذلك أن أهل المخطوطات الأربع لم تنقل من نفس المخطوطة التي بين أيدينا الآن من تفسير ابن سلاّم؟.

(3) زيادة من تفسير مجاهد، ص 396 - 363.

(4) إشارة إلى معنى قوله تعالى [في سورة الأنفال: 310] ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أو يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ المَـٰكِرِينَ ﴾ وقد أيّد الطبري تأويل مجاهد هذا فقال في تفسيره ج 10 ص 95: «وعني فيما ذكر بالنجوى الذين تشاوروا في أمر رسول الله ﷺ في دار الندوة».

(5) جاء في معاني القرآن للفراء ج 2 ص 125: «الرُّفات: التراب لا واحد له، بمنزلة الدُّقاق والحُطام».

قوله: ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً ﴾ لما قالوا: (أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً). قال الحسن: فقال الله: (قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً) ﴿ أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ أي: الموت، أي: إذاً لأماتكم ثم يبعثكم يوم القيامة ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ﴾ أي: خلقاً جديداً ﴿ قُلِ الذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ ﴾ أي: فسيحرّكون إليك رؤوسهم تكذيباً واستهزاءً. قال: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ﴾ يعنون البعث ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ عَسَىٰ أَن يَّكُونَ قَرِيباً ﴾. وعسى من الله واجبة؛ وكل ما هو آتٍ قريب.

قال: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾ أي: من قبوركم؛ ينادي صاحب الصُّور أن ينفخ فيه. ﴿ فَتَسْتَجِيبُونَ بحَمْدِهِ ﴾ أي: بمعرفته في تفسير الحسن. وقال بعضهم: بطاعته ومعرفته. والاستجابة خروجهم من قبورهم إلى الداعي صاحب الصور إلى بيت المقدس.

قال: ﴿ وَتَظُنُّونَ ﴾ أي: في الآخرة ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ وهو مثل قوله: (قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) [المؤمنون: 113] أي: تصاغرت الدنيا عندهم، ومثل قوله: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ) أي: المشركون (مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) قال الله: (كَذَٰلِكَ كَانُوا يُوفَكُونَ) أي: يصدّون عن الهدى. وقال: (وَقَالَ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَد لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ البَعْثِ) [الروم: 55-56]، وهي مقدّمة؛ يقول: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يوم البعث. وقال في الآية الأولى: (إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً) [المؤمنون: 114] أي: إن الذي كانوا فيه من الدنيا قليل في الآخرة لأنها لا تنقضي، فعلموا هنالك، أي: في الآخرة، أنه كذلك. وقال بعضهم: وذلك مما تحاقرت الدنيا في أنفسهم لمّا عاينوا يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا التِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي: يأمروهم بما أمرهم الله به وينهوهم عما نهاهم الله عنه. ﴿ إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: يفسد بينهم. ﴿ إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً ﴾ أي: بيّن العداوة.

قوله: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أي: بأعمالكم، يعني المشركين ﴿ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ أي: يتوب عليكم فيمنّ عليكم بالإيمان ﴿ أَو إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ أي: بإقامتكم على الشرك ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾ أي: حفيظاً لأعمالهم حتى تجازيهم بها.

قوله: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾. قال الحسن: كلّم بعضهم، واتخذ بعضهم خليلاً، وأعطى بعضهم إحياءَ الموتى. ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾. وهو اسم الكتاب الذي أعطاه الله. قال بعضهم: بلغنا أن الزبور دعاء علّمه الله داود، وهو تحميد وتمجيد لله، وليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا تخيّروا بين الأنبياء[1]. وذكر الحسن قال قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة[2].

قوله: ﴿ قُلِ ادْعُوا الذِينَ زَعَمْتُم مِّنْ دُونِهِ ﴾ يعني الأوثان ﴿ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُم ولا ﴾ يملكون ﴿ تَحْوِيلاً ﴾ أي: لما نزل بكم من الضر. أي: أن تحولوا ذلك الضر إلى غيره أهون منه.

قوله: ﴿ أُولَـٰئِكَ الذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ ﴾ أي: القربة ﴿ أَيُّهُمْ

(1) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الأعراف؛ باب ولما جاء موسى لميقاتنا عن أبي هريرة بلفظ: «لا تخيّروني من بين الأنبياء». وفي رواية له أخرى في كتاب الأنبياء بلفظ: «لا تخيروني على موسى». وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام (رقم 2373) عن أبي هريرة بلفظ: «لا تخيّروني على موسى»، وبلفظ: «لا تفضّلوا بين أنبياء الله»، وعن أبي سعيد الخدري (رقم 2374) «بلفظ لا تخيّروا بين الأنبياء» وانظر البغوي، شرح السنّة، ج 13 ص 204 - 207.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق عن أبي هريرة (رقم 2278) ولفظه: «أنا سيد ولد آدم وأول من ينشق عنه القبر وأنا أول شافع وأول مشفّع». وأخرجه بهذا اللفظ نفسه أبو داود في كتاب السنّة، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (رقم 4673).

أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ﴾ أي: الجنة ﴿ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ أي: النار ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾ أي: يحذره المؤمنون.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نَفَراً من الجن، فأسلم الجنيون ولم يعلم بذلك النفر من العرب. قال الله: (أُولَـٰئِكَ الذِينَ يَدْعُونَ) يعني الجنيين الذين يعبدهم هؤلاء (يَبْتَغُونَ إِلَى ربِّهِم الوَسِيلَةَ. . .) إلى آخر الآية.

وتفسير الحسن: أنهم الملائكة وعيسى. يقول: أولـئـك الذين يعبـدهم المشركون والصابئون والنصارى. لأن المشركين قد كانوا يعبدون الملائكة والصابئون يعبدونهم:

قال بعضهم: بلغنا أن آل بني مليكة(2) كانوا يعبدون الملائكة والنصارى تعبد عيسى. قال: فالملائكة وعيسى الذين يعبد هؤلاء (يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ).

قوله: ﴿ وَإِن مِّنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ القِيَـٰمَةِ﴾ أي: تموت بغير عذاب ﴿ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً ﴾ أي: يكون موتهم بالعذاب.

قال بعضهم: قضى الله إما أن يُهلكوا بموت أو بعذاب إذا تركوا أمرَه وكذبوا رسلَه، يعني إهلاك الأمم بتكذيبها الرسل.

﴿ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الكِتَـٰبِ مَسْطُوراً ﴾ أي: مكتوباً. وقال في آية أخرى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ) [آل عمران: 185].

قوله: ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالأَيَـٰتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ ﴾ أي: إن القوم كانوا إذا سألوا نبيَّهم الآيةَ فجاءتهم الآية، لم يؤمنوا فيُهلكهم الله. وهو كقوله:

(1) كذا في المخطوطات الأربع. «بلغنا أن آل بني مليكة كانوا يعبدون الملائكة» ولم أعثر على اسم هذه القبيلة فيما بين يدي من مصادر التاريخ، ولم ترد الكلمة في سع ولا في ز.

(قَالُوا) يعني مشركي العرب للنبي: (فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ) أي: موسى وعيسى والرسل التي جاءت قومها بالآيات. قال الله: (مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّنْ قَرْيَةٍ) أي: من أهل قرية (أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ) [الأنبياء: 5 - 6] أي: لا يؤمنون لو جاءتهم آية. وقد أخَّر الله عذاب كفار آخر هذه الأمة بالاستئصال إلى النفخة الأولى. قال: (وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ) إلى قومك يا محمد (إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ) وكنا إذا أرسلنا إلى قوم بآية فلم يؤمنوا أهلكناهم، فلذلك لم نرسل لهم بالآيات، لأن آخر كفار هذه الأمة أُخِّروا إلى النفخة الأولى.

قال بعضهم: قال أهل مكة للنبي عليه السلام: إن كان ما تقول حقّاً، ويَسُرُّك أن نؤمن لك فحوِّل لنا الصفا ذهباً، فأتاه جبريل فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكن إن هم لم يؤمنوا لم يُنظَروا، وإن شئت استأنيتَ بقومك. قال: لا، بل أستأني بقومي[1]. فأنزل الله [(وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ)][2] وأنزل: (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ).

قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودُ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ أي: بيّنة. [وقال مجاهد: آية][3] ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ أي: ظلموا أنفسهم بعقرها ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالأَيَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفاً ﴾. أي: يخوّفهم الله بالآيات فيخبرهم أنهم إذا لم يؤمنوا بعد مجيء الآية عذّبهم.

قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ ﴾ أي: أوحينا إليك ﴿ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ قال:

---

(1) رواه ابن سلام بهذا السند: سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران عن ابن عباس، وأخرجه أحمد في مسنده والنسائي وغيرهما عن ابن عباس. وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق آخر عن ابن عباس وعن سعيد بن جبير.

(2) سقطت هذه الآية من المخطوطات ومن سع كذا، وإيرادها هنا ضروري لأنها محل الشاهد في هذا الخبر، وهي مذكورة في تفسير الطبري ج 15 ص 108، وفي الدر المنثور ج 4 ص 190.

(3) زيادة من تفسير مجاهد، ص 364. وقال الفراء في المعاني ج 6 ص 126: «وقوله (النَّاقَةَ مُبْصِرَةً) جعل الفعل لها. ومن قرأ (مَبْصَرَة) أراد مثل قول عنترة: والكفر مَخْبَثَة لنفس المنعم. فإذا وضعت مَفعَلة في معنى فاعل كَفَت من الجمع والتأنيث، فكانت موحدة مفتوحة العين، لا يجوز كسرها. العرب تقول: هذا عشب مَلْبَنَة مَسْمَنَة، والولد مَبْخَلَة مَجْبَنَة...».

عصمك من الناس، أي: منعك منهم فلا يصلون إليك حتى تبلغ عن الله الرسالة. كقوله ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: 67] أي: أن يصلوا إليك حتى تبلغ عن الله الرسالة. وكقوله: ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مِنَ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ أي: من بين يدي ذلك الرسول ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ﴾ أي: رصداً من الملائكة ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ أي: ذلك الرسول ﴿ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ [الجن: 28] أي: أحاط الله بما لديهم حتى يبلغوا عن الله الرسالة.

ذكروا أن مجاهداً قال: أحاط بالناس، فهم في قبضته.

ذكروا عن الحسن أن النبي عليه السلام شكا إلى ربه أمر قومه فقال: يا ربّ، إن قومي قد خوّفوني، فأعطني من قِبَلِك آية أعلم ألا مخافة عليّ. فأوحى الله إليه أن يأتي وادي كذا وكذا فيه شجرة، فليدع غصناً منها يأته. فانطلق إلى الوادي فدعا غصناً منها، فجاء يخط في الأرض خطاً حتى انتصب بين يديه. فحبسه ما شاء الله أن يحبسه، ثم قال: ارجع كما جئت، فرجع. فقال رسول الله ﷺ: علمت يا رب ألا مخافة عليّ[1].

قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا التِي أَرَيْنَـٰكَ ﴾ يعني ما أراه الله ليلة أُسري به، وليس برؤيا المنام، ولكن بالمعاينة ﴿ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ يعني مشركي مكة.

إن النبي عليه السلام لما أخبرهم بمسيره إلى بيت المقدس ورجوعه من ليلته كذّب بذلك المشركون فافتتنوا بذلك.

وقال بعضهم: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا التِي أَرَيْنَاكَ ﴾ أي: ما أراه الله من الآيات والعبر في مسيره إلى بيت المقدس ﴿ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أي: إلا بلاء للناس. أي: المشركين.

وقال الحسن: إن نفراً كانوا أسلموا ثم ارتدوا عند ذلك.

---

(1) رواه يحيى بن سلام عن الحسن مرسلاً.

قال: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ﴾ يقول: وما جعلنا أيضاً الشجرة الملعونة في القرآن، يعني شجرة الزَّقُّوم، وهو تفسير مجاهد والحسن، إلا فتنة للناس، أي: للمشركين.

لما نزلت دعا أبو جهل بن هشام لعنه الله بتمر وزبد فقال: تعالوا تزقَّموا، فما نعلم الزقّوم إلا هذا. فأنزل الله: (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ) أي: للمشركين (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . . .) إلى آخر الآية [الصّافّات: 63 - 64] فوصفها ووصف كيف يأكلونها في النار. وقال الحسن: يعني بقوله: (الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) أي: إن أَكَلَتَها ملعونون في القرآن. كقوله: (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) [يوسف: 82]، وإنما يعني أهل القرية.

قال: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ أي: بشجرة الزَّقُّوم ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ أي: تخويفنا إياهم بها وبغيرها ﴿إِلَّا طُغْيَـٰناً كَبِيراً﴾.

قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ أي: من طين. كقوله: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّنْ طِينٍ) [الأنعام: 2] وقال إبليس: (خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) [سورة صٓ: 76]، وقول إبليس: (ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً) على الاستفهام، أي: لا أسجد له.

ثم قال: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ فأمرتني بالسجود له ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾. قال مجاهد: لأحتوينّهم. وقال الكلبي: لأستولِيَن على ذريّته، أي: فأضلّهم، إلا قليلاً. وقال الحسن: لاستأصلن ذريته، يعني يهلكهم، إلا قليلاً، يعني المؤمنين(1).

وهذا القول منه بعد ما أمر بالسجود، وذلك ظنٌّ منه حيث وسوس إلى آدم فلم

(1) وقد جمع أبو عبيدة هذه المعاني المتقاربة بتعبير أدق فقال في المجاز، ج 1 ص 384: «(لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً) مجازه: لأَستَمِيلَنَّهُمْ ولأستأصلنّهم». يقال: احتنك فلان ما عند فلان أجمع من مال أو علم أو حديث أو غيره. [أخذه كله واستقصاه]».

يجد له عزماً، أي: صبراً. فقال: بنو هذا في الضعف مثلُه. وذكروا أن إبليس كان يُطِيف بآدم قبل أن ينفخ فيه الروح، فلما رآه الخبيث أجوف عرف أنه لا يتمالك.

قوله: ﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُوراً ﴾ قال مجاهد: وافراً.

قوله: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ يعني بدعائك، أي: بوسوستك[1]. ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ ﴾.

قال مجاهد: كل فارس في معصية الله فهو من خيل إبليس، وكل راجل في معصية الله فهو من رَجل إبليس. وقال بعضهم: رجاله الكفار والضّلّال من الجنّ والإنس. وكان الحسن يقرأها: (وَرِجَالِكَ) وقال: وإن له خيلاً وإن له رجالاً.

قوله: ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَٰلِ وَالأَوْلَٰدِ ﴾ قال الحسن: شركته إياهم في الأموال أنه أمرهم، أي: وسوس إليهم، فأخذوها من حرام وأنفقوها في غير حقها. وشركته إياهم في الأولاد أن الله أعطاهم أولاداً على الفطرة فصبغوهم يهوداً ونصارى أو مجوساً أو عابدي وثن.

وقال الكلبي: شركته إياهم في الأموال ما كانوا يحرّمون مما أحلّ الله لهم، وكل ما أصابوا من غير حلّه ووضعوه في غير حقّه، وشركته إياهم في الأولاد ما ولد من الزنا.

قوله: ﴿ وَعِدْهُمْ ﴾ أي: بالأماني، أي: بأنه لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار. وهذا وعيد من الله للشيطان، كقول الرجل: اذهب فاجهد على جهدك، وليس على وجه الأمر له.

قال: ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُوراً ﴾.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز: (اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ) أي: استخفف، واستجهل. (بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ) جميع راجل، بمنزلة تاجر والجميع تجْر، وصاحب والجميع صَحْب».

قال: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ يعني المؤمنين، أي: من يلقى الله مؤمناً فليس له عليهم سلطان أن يضلهم. ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾ أي: حرزاً ومانعاً لعباده المؤمنين.

قوله: ﴿ رَبُّكُمُ الذِي يُزْجِي لَكُمُ الفُلْكَ فِي البَحْرِ﴾ أي: يجريها في البحر ﴿ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي: طلب التجارة في البحر ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ فبرأفته ورحمته سخر لكم ذلك. والرحمة على الكافر في هذا رحمة الدنيا.

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ ﴾ أي: الأهوال ﴿ فِي البَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ ﴾ أي: ما تدعون من دونه ضلّ عنكم. قال: ﴿ إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ تدعونه. كقوله: (بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ) [الأنعام: 41]، يعلمون أنه لا ينجيهم من الغرق إلا الله. قال: ﴿ فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى البَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾ عن الذي نجاكم ورجعتم إلى شرككم ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً ﴾ يعني المشرك.

قال: ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَن يَّخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ البَرِّ ﴾ كما خسف بقوم لوط وبقارون. ﴿ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ﴾ أي: حجارة من السماء يحصبكم بها كما فعل بقوم لوط، يعني الذين خرجوا من القرية فأرسل عليهم الحجارة وخسف بأهل القرية. ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً ﴾ قال بعضهم: منيعاً ولا نصيراً.

﴿ أَمْ آمِنْتُمْ أَن يُّعِيدَكُمْ فِيهِ ﴾ أي: في البحر ﴿ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ أي: مرة أخرى ﴿ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ الرِّيحِ ﴾ والقاصف من الريح الشديد ﴿ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً ﴾ أي: لا تجدوا أحداً تبيعاً بذلك لكم فينتصر لكم. وهو كقوله: (فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّيٰهَا) [الشمس: 14 - 15] أي: فسواها عليهم بالعذاب. (فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا) أي: التبعة، فينتصر لهم. وقال بعضهم: ولا يخاف أن يُتْبَع بشيء مما أصابكم. وقال مجاهد: (تَبِيعاً) أي: ثائراً[1].

---

(1) الثائر هنا هو الذي يطلب دم القاتل حتى يدركه. يقال: ثأر القتيل وبالقتيل إذا قتل قاتله. والثائر: =

قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا في سفر فأتوا على برك من ماء فكرعوا فيها[1] فقال لهم رسول الله ﷺ: اغسلوا أيديكم واشربوا منها[2] فنزلت هذه الآية عند ذلك.

وقال الحسن: فضل الله بني آدم على البهائم والسباع والهوام. وقال بعضهم: ﴿ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ هو جميع ما رزق بني آدم من الخبز واللحم والعسل والسمن وغيره من طيبات الطعام والشراب فجعل رزقهم أفضل من رزق الدواب والطير[3].

= الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره؛ وليس هو اسم فاعل من ثار يثور ثورة وثوَرَانا، إذا هاج وغضب، وإنما هو من ثأر يثأر، فالهمزة في الأول أصلية وفي الثاني منقلبة عن أصل واوي.

(1) كرع في الماء يكرع كروعاً وكَرَعاً: تناول الماء بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه أو بإناء. وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على رجل من الأنصار ومعه صاحب له فقال له النبي ﷺ: إن كان عندك ماء بات هذه الليلة في شنّة وإلا كرعنا. قال: والرجل يحول الماء في حائطه. . إلى آخر الحديث. أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب شَوْب اللبن بالماء. وترجم البخاري في كتاب الأشربة، باب الكرع في الحوض. وعبارة سع، ورقة 11، وجاءت هكذا: «فمروا ببرك فيها ماء فوضع بعضهم رؤوسهم يشربون منها فقال رسول الله ﷺ: «اغسلوا أيديكم. . .».

(2) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأشربة، باب الشرب بالأكف والكرع (رقم 3433) عن ابن عمر، وأخرجه البيهقي في الشعب عن ابن عمر أيضاً ولفظه: «لا تكرعوا، ولكن اغسلوا أيديكم، ثم اشربوا فيها، فإنه ليس إناء أطيب من اليد».

(3) تكريم الله لبني آدم وتفضيله إياهم أعم وأكثر من أن يحصرا في وجه من الوجوه، أو أن يخص بهما طيبات الرزق من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ومركب أو من خلق الإنسان في أحسن تقويم. فحذف المعمول يؤذن بالعموم. ثم إن نعمه علينا لا تعد ولا تحصى، وآلاؤه على العالمين أجل وأعظم من أن يحيط بها علم، أو يفي بحقها وصف. وإن فيما حققه العلم الحديث من معجزات، وما وفرته المدنية من وسائل الرفاهية ولين العيش لأكبر شاهد على إعجاز هذه الآية وتناولها لكل معاني التكريم والتفضيل. فلا وجه لتخصيص بعض المفسرين =

قوله: ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾. أي: بكتابهم، أي: ما نسخت عليهم الملائكة من أعمالهم. وقال بعضهم: (بِإِمَامِهِمْ) أي: بنبيّهم قال: (فَمَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَـٰئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَـٰبَهُمْ﴾ وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[1] ﴿ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ وقد فسّرناه في سورة النساء[2].

قوله: ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الأخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ قال بعضهم: من كان في هذه الدنيا أعمى، أي: عما عاين فيها من نعم الله وخلقه وعجائبه فيعلم أن له معاداً وأشباه هذا مما جعله الله تبصرة للعباد فيعلمون أن البعث حق، فهو فيما يغيب عنه من أمر الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، أي: وأضل طريقاً.

وقال الحسن: من كان في هذه الدنيا أعمى، وهو الكافر عمي عن الهدى، فهو في الآخرة أعمى في الحجة، أي: ليست له حجة. كقوله: (لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ) [طه: 125].

قوله: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ أي: ليضلونك. وقال بعضهم: ليصدونك ﴿ عَنِ الذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ أي: القرآن ﴿ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لأَتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴾ أي: لو فعلت.

وذلك أن المشركين خلوا بنبي الله عليه السلام بمكة ليلة حتى الصباح فقالوا: يا محمد، إن الذي جئت به لم يجيء به أحد من قومك، ورفقوا به، وقالوا له: كُفَّ عن شتم آلهتنا وذمّها وانظر في هذا الأمر، فإن هذا لو كان حقاً لكان فلان أَحَقَّ به منك، وفلان أحق به منك. فأنزل الله: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ. . .) الآية.

قوله: ﴿ وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَـٰكَ﴾ أي: بالنبوة، أي: عصمناك بها ﴿ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ

= لبعض منها دون بعض. فاللهم وفقنا إلى شكرك على ما أوليته إيانا من نعم، وعلى ما غمرتنا به من إحسان ومن مظاهر التكريم والتفصيل، يا منانّ يا كريم، يا وهّاب.

(1) انظر ما مضى قريباً في هذا الجزء ص 411، 412.

(2) انظر ما مضى في هذا التفسير ج 1 ص 388.

إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً إِذاً لَأَذَقْنَـٰكَ﴾ لو فعلت ﴿ ضِعْفَ الحَيَوٰةِ ﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿ وَضِعْفَ المَمَاتِ ﴾ أي: عذاب الآخرة ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴾ أي: فينتصر لك بعد عقوبتنا إياك.

قوله: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ ﴾ أي: قد كادوا يستفزونك من الأرض، يعني أرض مكة[1] ﴿ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ ﴾ أي: بعدك ﴿ إِلَّا قَلِيلاً سُنَّةَ مَنْ قَدَ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾.

قال بعضهم: همَّ أهل مكة بإخراجه من مكة، ولو فعلوا ذلك ما نوظروا؛ ولكن الله كفَّهم من إخراجه حتى أمره الله بالخروج. ولَقَلَّ مع ذلك ما لبثوا بعد خروجه حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر. وهي في هذا التفسير: [قوله في سورة الأنفال [آية: 30] (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ [2]، وقد فسرناه[3].

وقال الحسن: (لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ) أي: ليقتلوك، أي: ليخرجوك منها بالقتل. (وَإِذاً لَّا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ) أي: بعدك (إِلَّا قَلِيلاً) حتى نستأصلهم بالعذاب فنهلكهم أجمعين لو قتلوك. (سُنَّةَ مَنْ قَدَ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا) أي: إنهم إذا قتلوا نبيّهم أهلكهم الله بالعذاب. (وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً) أي: إن سنّة الرسل والأمم كانت قبلك كذلك؛ إذا كذّبوا رسلهم وأخرجوهم لم ينظروا أن يبعث الله عليهم عذاباً.

ذكروا أن عبد الله بن مسعود قال: أَشَد النّاسِ عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي أو مصوِّر[4].

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وفي ز ورقة 187: «مكة». وفي سع ورقة 11 ظ: «أرض المدينة». وإذا لم تكن هذه الأخيرة سهواً من النساخ فهي تأويل ضعيف أورده الطبري على أن الذين أرادوا أن يخرجوه هم اليهود. والذي عليه جمهور المفسرين أن الآية تعني أهل مكة، وأن الأرض هي مكة، وهو ما رجحه الطبري أيضاً في تفسيره ج 15 ص 133.

(2) زيادة من سع، ورقة 11 ظ. وجاءت العبارة في المخطوطات مضطربة.

(3) انظر ما سلف في هذا الجزء ص: 84 - 85.

(4) هذه بعض ألفاظ حديث أخرجه أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود يرفعه إلى رسول الله ﷺ =

قوله: ﴿ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ أي: لزوال الشمس عن كبد السماء، يعني صلاة الظهر والعصر بعدها. ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ ﴾ أي: بدو[1] الليل واجتماعه وظلمته؛ صلاة المغرب عند بدو الليل، وصلاة العشاء عند اجتماع الليل وظلمته إذا غاب الشفق.

ذكروا عن الحسن أنه قال: إن رسول الله حين جاء بالصلوات الخمس إلى قومه، خلّى عنهم حتى إذا زالت الشمس عن بطن السماء نودي فيهم: الصلاة جامعة، ففزعوا لذلك واجتمعوا، فصلّى بهم الظهر أربع ركعات لا يعلن فيهن القراءة، جبريل بين يدي نبي الله، ونبي الله بين أيدي الناس، يقتدي الناس بنبيّهم، ويقتدي نبيّ الله بجبريل. ثم خلّى عنهم حتى إذا تصوبت الشمس وهي بيضاء نقية نودي فيهم: الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصلى بهم العصر أربع ركعات دون صلاة الظهر، لا يعلن فيهن القراءة؛ جبريل بين يدي نبي الله، ونبي الله بين أيدي الناس، يقتدي الناس بنبيهم، ونبي الله يقتدي بجبريل. ثم خلى عنهم، حتى إذا غابت الشمس نودي فيهم: الصلاة جامعة. فاجتمعوا فصلى بهم المغرب ثلاث ركعات، يعلن في الركعتين الأوليين، ولا يعلن في الركعة الآخرة. جبريل بين يدي نبي الله، ونبي الله بين أيدي الناس. يقتدي الناس بنبيهم، ويقتدي نبي الله بجبريل. ثم خلى عنهم حتى غاب الشفق وانقضى[2] العَشاء نودي فيهم: الصلاة جامعة. فاجتمعوا؛

= ونصه: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبي، أو رجل يضل الناس بغير علم أو مصوِّر يصوِّر التماثيل». وانظر الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم 281) ج 1 ص 163-164.

(1) في المخطوطات: «بدء الليل»، وأصح منه ما أثبته من سع، ورقة 11 ظ: «بدو الليل» بمعنى ظهوره.

(2) كذا في المخطوطات: «انقضى العشاء». وجاء في سع ورقة 12 و: «أيتظأ العشاء». وكُتب على هامش الورقة: «أيتظأ أظلم» كأنه تفسير للكلمة. ولم أجد في كتب اللغة هذا الفعل: أيتظأ. لا بمعنى أظلم ولا بمعنى آخر. ولعل في الكلمة تصحيفاً لم أوفق إلى وجه الخطإ فيه وتصحيحه. وإذا لم يكن ذلك فإن المعنى الذي يتبادر إلى الذهن، وهو انقضاء العَشاء (بفتح العين) هو الصحيح إن شاء الله؛ لأن صلاة العِشاء تكون عند العَشاء أو بعده.

فصلى بهم العشاء أربع ركعات، يعلن في الركعتين الأوليين ولا يعلن في الآخرتين؛ جبريل بين يدي نبي الله، ونبي الله بين أيدي الناس. يقتدي الناس بنبيهم ويقتدي نبي الله بجبريل. ثم بات الناس ولا يدرون أيزدادون على ذلك أم لا. حتى إذا طلع الفجر نودي فيهم الصلاة جامعة. فاجتمعوا فصلى بهم الصبح ركعتين أطالهما وأعلن فيهما بالقراءة. جبريل بين يدي نبي الله، ونبي الله بين أيدي الناس. يقتدي الناس بنبيهم ويقتدي نبي الله بجبريل.

ذكروا أن عبد الله بن مسعود قال: والذي لا إلـه غيره إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة، يعني المغرب، ثم قال: (أَقِمِ الصَّلَـوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) يعني غروبها، أي: زوالها حين تغيب، في قول ابن مسعود. (إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ). أي: مجيء الليل، والصلاة فيما بينهما.

وتفسير ابن عباس: [دُلُوكُهَا][1]: زوالها وميلها. وهذا قول العامة، يعني وقت صلاة الظهر.

وقال بعضهم: لو كانت الصلاة من دلوكها إلى غسق الليل لكانت الصلاة من زوال الشمس إلى صلاة المغرب. وقول ابن عباس أعجب إلينا. وهو قول العامة[2].

قوله: ﴿ وَقُرْءَانُ الفَجْرِ ﴾ يعني صلاة الصبح ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ أي: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار. يجتمعون عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر.

(1) زيادة لإيضاح المعنى. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 1 ص 387: «ودلوك الشمس من عند زوالها إلى أن تغيب».

(2) أورد هذا الخبرَ ابنُ سلام عَن المسعودي، ثم قال: «قال المسعودي: قال السدي، وكان يعالج التفسير، لو كان دلوك الشمس زوالها لكانت الصلاة فيما بين زوالها إلى أن تغيب. وكان قول ابن عباس أعجب إلى المسعودي». فأنت ترى أن هذا الترجيح إنما هو للمسعودي رواه عنه ابن سلام، ولكن اختصار الشيخ هود الهواري للخبر، وحذفه للسند يجعلان المعنى عاماً. وربما وهم القارىء فظن أن ترجيح قول ابن عباس هو للشيخ هود الهواري أولاً. والحق أنه موافقة له وتأييد.

ذكروا أن عبد الله بن مسعود كان يقول: عند صلاة المغرب يجتمع الحرسان من ملائكة الليل وملائكة النهار.

قوله: ﴿ وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ أي: عطية من الله لك. وقال الكلبي: النافلة: الفضل. وقال بعضهم: إن صلاة الليل على النبي فريضة وهي للناس تطوّع. وقال الحسن: لم يقم النبي أقل من ثلث الليل.

ذكروا أن رسول الله ﷺ إذا شغله شيء عن صلاة الليل صلّى من النهار اثنتي عشرة ركعة. وقال بعضهم: النافلة لا تكون إلا للنبي(1).

قوله: ﴿ عَسَى أَن يَّبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾ وعسى من الله واجبة. يقول: سيبعثك ربك مقاماً محموداً؛ يعني الشفاعة للخلق في الحساب بعد طول قيام وحبس على أرجلهم.

قال حذيفة بن اليمان: يبعث الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد حفاة عراة كما خُلِقوا، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حتى يلجمهم العرق، ولا تكلّم نفس إلا بإذنه. قال: فأول من يدعى محمد ﷺ فيقول: لبّيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، عبدك بين يديك، وبك وإليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، وعلى عرشك استويت، سبحانك رب البيت. ثم يقال له: اشفع. قال: فذلك المقام المحمود الذي وعده الله.

قوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ يعني مدخله المدينة حين هاجر إليها. أمره الله بهذا الدعاء. ﴿ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ قال الحسن: مخرج صدق، أي: إلى قتال أهل بدر؛ وقد كان الله أعلمه أنه سيقاتل المشركين ببدر، ثم يظهره الله عليهم. وقال بعضهم: (أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ): الجنة (وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) أخرجه الله من مكة إلى الهجرة بالمدينة.

(1) وقد علّل الفراء ذلك فقال في معاني القرآن ج 2 ص 129: «وقوله: (نَافِلَةً لَّكَ) ليست لأحد نافلة إلا للنبي ﷺ؛ لأنه ليس من أحد إلا يخاف على نفسه، والنبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فعمله نافلة».

﴿ وَاجْعَلْنِي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَـٰناً نَّصِيراً ﴾ فأظهره الله عليهم يوم بدر فقتلهم.

وقال بعضهم: علم نبي الله ألا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطاناً نصيراً. أي: لكتاب الله ولحدوده ولفرائضه ولإقامة الدّين.

وقال مجاهد: (سُلْطَاناً نَّصِيراً) أي: حجّة بيّنة.

قوله: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ ﴾ أي: القرآن. ﴿ وَزَهَقَ البَاطِلُ ﴾ أي: إبليس ﴿ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ والزهوق: الداحض الذاهب.

قوله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْءَانِ ﴾ أي: ينزل الله من القرآن ﴿ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُومِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَاراً ﴾ أي: كلما جاء من القرآن شيء كذبوا به فازدادوا فيه خساراً إلى خسارهم.

قوله: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَـٰنِ ﴾ يعني المشرك، أعطيناه السعة والعافية. ﴿ أَعْرَضَ ﴾ عن الله وعن عبادته ﴿ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾ أي: تباعد عن الله مستغنياً عنه. وقال مجاهد: تباعد منا؛ وهو واحد. ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾ أي: الأمراض والشدائد. ﴿ كَانَ يَئُوساً ﴾. يقول: يئس أن يفرّج ذلك عنه لأنه ليست له نية ولا حسبة[1] ولا رجاء.

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾ أي: على ناحيته ونيّته؛ أي: المؤمن على إيمانه، والكافر على كفره ﴿ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ﴾ أي: فهو أعلم بأن المؤمن أهدى سبيلاً من الكافر.

قوله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ ذكر مجاهد أن ناساً من اليهود لقوا النبي عليه الصلاة والسلام وهو على بغلته فسألوه عن الروح فأنزل الله: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾.

وفي تفسير الكلبي أن المشركين بعثوا رسلاً إلى المدينة فقالوا لهم: سلوا اليهود عن محمد وصفوا لهم نعته وقوله، ثم ائتونا فأخبرونا.

(1) في ق وع، وفي ز ورقة 188: «ولا حسبة، وهو أصح، وفي د وج: «ولا خشية».

فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوا بها علماء اليهود من كل أرض قد اجتمعوا فيها لعيد لهم. فسألوهم عن محمد ووصفوا لهم نعته. فقال لهم حبر من أحبار اليهود: إن هذا لنعت النبي الذي نُحدَّث أن الله باعثه في هذه الأرض. فقالت له رسل قريش: إنه فقير عائل يتيم لم يتّبعه من قومه من أهل الرأي أحد ولا من ذوي الأسنان. فضحك الحبر وقال: كذلك نجده. فقالت رسل قريش: إنه يقول قولاً عظيماً: يدعو إلى الرحمٰن ويقول: إن الذي باليمامة الساحر الكذاب[1]، يعنون مسيلمة. فقالت لهم اليهود: لا تكثروا علينا. اذهبوا فاسألوا صاحبكم عن خلال ثلاث، فإن الذي باليمامة قد عجز عنهن. فأما اثنتان فإنهما لا يعلمهما إلا نبي، فإن أخبركم بهما فإنه صادق. وأما الثالثة فلا يجترىء عليها أحد. قالت لهم رسل قريش: أخبرونا بهن. فقالت لهم اليهود: سلوه عن أصحاب الكهف والرقيم، وقصوا عليهم قصتهم، واسألوه عن ذي القرنين، وحدثوهم بأمره، واسألوه عن الروح، فإن أخبركم فيه بشيء فهو كاذب.

فرجعت رسل قريش إليهم فأخبروهم بذلك. فأرسلوا إلى نبيّ الله فلقيهم فقالوا له: يا ابن عبد المطلب، إنا سائلوك عن خلال ثلاث، فإن أخبرتنا عنهن فأنت صادق، وإلا فلا تذكر آلهتنا بسوء[2]. فقال لهم رسول الله ﷺ: وما هن؟ قالوا: أخبرنا عن أصحاب الكهف، فإنا قد أخبرنا عنهم بآية بيّنة، وأخبرنا عن ذي القرنين، فإنا أخبرنا عنه بأمر بيّن. وأخبرنا عن الروح. فقال لهم رسول الله ﷺ: أنظروني حتى أنظر ما يُحدِث إليَّ فيه ربّي. قالوا: فإنا ناظروك فيه ثلاثة أيام. فمكث رسول الله ﷺ أياماً لا يأتيه جبريل. ثم أتاه جبريل. فاستبشر النبي ﷺ وقال: يا جبريل، قد رأيت ما

(1) كذا وردت العبارة: «يدعو إلى الرحمٰن ويقول: إن الذي باليمامة الساحر الكذاب» في د. وهي الصحيحة، وفي ق وع، وفي سع ورقة: 13 و، وفي ز ورقة 188: «يدعو إلى االرحمٰن الذي باليمامة الساحر الكذاب» وهو خطأ.

(2) كذا في المخطوطات الأربع: «فلا تذكر آلهتنا بسوء»، وهو أصح. وفي ز ورقة 187، وفي سع ورقة 13 و: «فلا تذكرن آلهتنا بشيء»، وله وجه.

سألني عنه قومي، ثم لم تأتني. فقال له جبريل: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴾ [مريم: 64]. فإذا شاء ربك أرسلني إليك. ثم قال له جبريل: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾. ثم قال: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنَ ءَايَاتِنَا عَجَباً ﴾ [الكهف: 9]، فذكر قصتهم. ثم قال: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي القَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً ﴾ [الكهف: 83]. فذكر قصته.

ثم لقي رسول الله ﷺ قريشاً في آخر اليوم الثالث فقالوا: ماذا أحدث لك ربك في الذي سألناك عنه، فقصّه عليهم. فعجبوا، فغلب عليهم الشيطان أن يصدقوه[1].

ذكروا أن ابن عباس فسّر الروح مرة واحدة ثم أمسك عن تفسيرها. وفسّرها بعض السلف مرة واحدة، ثم كفّ عن تفسيرها. وأما الحسن فقال الروح: القرآن. قال: ﴿ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ أي: القرآن من أمر ربي ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾.

وذكروا عن بعض التابعين أنه قال: الروح خلق من خلق الله لهم أيد وأرجل[2].

وقال بعضهم: لقيت اليهود نبيُّ الله فتعنّتوه[3] وسألوه عن الروح وعن أصحاب

(1) لم أجد فيما بين يدي من كتب التفسير رواية الكلبي هذه في سبب نزول الآية بهذا التفصيل. وفيها أن قريشاً هم الذين سألوا النبي ﷺ عن الأسئلة الثلاثة. وقد أورد الطبري في تفسيره ج 15 ص 191 - 192 هذه القصة من طريق عكرمة عن ابن عباس. أما البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم فقد رووا عن عبد الله بن مسعود أن نفراً من اليهود هم الذين سألوا رسول الله ﷺ عن الروح فنزلت هذه الآية. انظر مثلاً صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل. وانظر الواحدي، أسباب النزول ص 299.

(2) من العجيب أن يجرؤ ناس على رواية هذه الأقاويل ونسبتها إلى بعض السلف من الصحابة أو التابعين بعد أن نزل في أمر الروح ما نزل. وقد رواها ابن سلام بدون تمحيص. فنعوذ بالله من التكلف لما لا نعلم، وخاصة فيما استأثر الله بعلمه من أمور الغيب.

(3) كذا في المخطوطات، وفي سع ورقة 13 و: «فتَعنَّتوه»، وهو الصحيح، قال الجوهري في الصحاح: «جاءني فلان مُتَعَنِّتاً إذا جاء يطلب زلتك». وفي تفسير الطبري ج 15 ص 155: «فتغشوه». والقول لقتادة.

الكهف وعن ذي القرنين؛ فأنزل الله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنَ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي: اليهود.

قوله: ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ أي: القرآن، حتى لا يبقى منه شيء ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ أي: وليّاً يمنعك من ذلك.

﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ فيها إضمار. يقول: وإنما أنزلناه عليك رحمة من ربك ﴿ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً ﴾ يقول: أعطاك النبوة وأنزل عليك القرآن.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: ليُسْرَيَنَّ على القرآن ليلة فلا تبقى منه آية في قلب رجل ولا في مصحف إلا رفعت.

قوله: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَن يَّأْتُوا بِمِثْلِ هَـٰذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾. أي: عوينا.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ أي: ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل. ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ﴾ أي: لن نصدقك ﴿ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً ﴾ أي: عيوناً ببلدنا هذا.

﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا ﴾ أي: خلال تلك الجنة. ﴿ تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً ﴾ أي: قطعاً. وقال في آية أخرى: ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ [سبأ 9]. وقال: ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفاً ﴾ والكسف القطعة ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَّقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ [الطور: 44].

وقال الكلبي في قوله: ﴿ لَن نُّومِنَ لَكَ حَتَّىٰ تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً ﴾ قال: بلغنا ـ والله أعلم ـ أن عبد الله بن أبي أمية المخزومي[1] هو الذي قال ذلك حين

(1) هو ابن عمة رسول الله ﷺ؛ فإن أمه عاتكةُ بنت عبد المطلب بن هاشم، وهو أيضاً أخو أم سلمة، زوج النبي ﷺ لأبيها. وقد كان عبد الله بن أبي أمية هذا شديداً على المسلمين، ثم هداه الله للإسلام فأسلم قبيل فتح مكة على يد أخته أم سلمة، وحسن إسلامه، وشهد مع =

اجتمع الرهط من قريش بفناء الكعبة، فسألوا نبي الله أن يبعث لهم بعض موتاهم، أو يسخر لهم الريح، أو يسير لهم جبال مكة فلم يفعل شيئاً مما أرادوا، فقال عبد الله بن أبي أمية عند ذلك: ما تستطيع يا محمد أن تفعل لقومك بعض ما سألوك، فوالذي يحلف به عبد الله بن أبي أمية لا أؤمن لك، أي: لا أصدقك، (حَتَّىٰ تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً)، أي: عيوناً (أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ)... إلى قوله (كِسَفاً)، أي: قطعاً.

﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَٰئِكَةِ قَبِيلاً ﴾ أي: عياناً، نعاينهم معاينة[1]. وقال مجاهد: (قَبِيلاً) أي: على حدتها، أي: على قبيلة. وقال في آية أخرى: (أَوْ جَاءَ مَعَهُ المَلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) [الزخرف: 53].

﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ ﴾ والزخرف: الذهب فيما ذكروا عن ابن عباس[2] ﴿ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ ﴾ أي: تصعد في السماء ﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ أي: لصعودك ﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ ﴾ من الله إلى عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة أني أنا أرسلت محمداً، وتجيء بأربعة من الملائكة يشهدون أن الله هو الذي كتبه؛ ثم والله ما أدري بعد ذلك هل أؤمن لك، أي: هل أصدقك، أم لا.

فقال الله لنبيه عليه السلام ﴿ قُلْ سُبْحَٰنَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً ﴾.

= الرسول ﷺ حنيناً والطائف، ورُمِي بسهم يوم الطائف فقتله. أنظر ترجمته في كتب التراجم مثل الاستيعاب لابن عبد البرّ، ج 3 ص 868.

(1) قال أبو عبيدة في المجاز. ج 1 ص 390: «(والملائكة قبيلاً) مجازه: مقابلة، أي: معاينة وقال:

نُصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبُوؤُا بِمِثْلِهَا كَصَرْخَةِ حُبْلَى بَشَّرَتْهَا قَبِيلُهَا

أي: قابِلَتُهَا. فإذا وصفوا بتقدير فعيل من قولهم: قابلت ونحوها جعلوا لفظ صفة الإثنين والجميع من المذكر والمؤنث على لفظ واحد. نحو قولك: هي قبيلي، وهما قبيلي، وهم قبيلي، وكذلك هن قبيلي».

(2) وقال أبو عبيدة: «(بيت من زخرف)» وهو مصدر المُزَخرف وهو المزيّن.

وقال مجاهد: ﴿ حَىَّ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ ﴾ من رب العالمين، كل رجل منا تصبح عند رأسه صحيفة موضوعة يقرأها.

وقال بعضهم: ﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ ﴾ خاصة نؤمر فيه باتباعك. قال: ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ ﴾ أي: من ذهب. ﴿ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ أيضاً، فإن السحرة قد تفعل ذلك فتأخذ بأعين الناس. ﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ ﴾ إلى كل إنسان منا بعينه من الله إلى فلان بن فلان وفلان بن فلان أن آمن بمحمد فإنه رسولي. وأظنه تفسير الحسن. قال: وهو كقوله: ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ آمْرِىءٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفاً مُّنَشَّرَةً ﴾ [المدثر: 52] يعني كتاباً من الله. ﴿ قُلْ سُبْحَـٰنَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَّسُولاً ﴾ أي: هل كانت الرسل قبلي تأتي بهذا فيما مضى، أي: تأتي بكتاب من الله إلى كل إنسان بعينه. كلا: لأنتم أهون على الله من أن يفعل بكم هذا. فقالوا: لن نؤمن لك أي: لن نصدقك، حتى تأتينا بخصلة من هذه الخصال.

قوله: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ ﴾ يعني المشركين ﴿ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً ﴾ على الاستفهام. وهذا استفهام على إنكار منهم. أي: لم يبعث الله ملكاً رسولاً؛ فلو كان من الملائكة لآمنا به.

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَـٰئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ ﴾ أي: مقيمين قد اطمأنت بهم الدار، أي: هي مسكنهم ﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً ﴾. ولكن فيها بشر فأرسلنا إليهم بشراً مثلهم.

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [إني رسوله][1] ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾.

قوله: ﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ﴾ أي: لا يستطيع أحد أن يضلّه ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ﴾ أي: يمنعونهم من عذاب الله.

---

(1) زيادة من سع، ورقة 13 ظ.

قال: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً ﴾. قال بعضهم: هذا حشر إلى النار. قال الحسن: (عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً) عموا في النار حين دخلوها فلم يبصروا فيها شيئاً، وهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها. (وَبُكْماً) أي: خرساً انقطع كلامهم حين قال: [الله لهم][1] (إِخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108]. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[2]. (وَصُمّاً) أي: ذهب الزفير والشهيق بسمعهم فلا يسمعون شيئاً. وقال في آية أخرى: (وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ) [الأنبياء: 100].

قوله: ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيراً ﴾. وخبوّها أنها تأكل كل شيء: الجلد واللحم والعظم، والشعر والبشر والأحشاء حتى تهجم على الفؤاد، فلا يريد الله أن تأكل أفئدتهم، فإذا انتهت إلى الفؤاد خبت، أي: سكنت فلم تستعر بهم، وتركت فؤادهم ينضج، ثم يجدّد جلدهم فيعود، فتأكلهم، فلا يزالون كذلك. وهو قوله: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا). [النساء: 56]. وقال مجاهد: (كُلَّمَا خَبَتْ) أي: كلما طفئت أسعرت.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِئَايَـٰتِنَا وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰماً وَرُفَـٰتاً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴾ على الاستفهام. أي: إن هذا ليس بكائن؛ يكذّبون بالبعث.

قال الله: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوا أَنَّ اللَّهَ الذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضَ ﴾ وهم يقرّون أنه خلق السماوات والأرض. وهو قوله: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [الزمر: 38] فخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، والله خلقهما؛ فهو ﴿قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾، يعني البعث. وقال في آية أخرى: (أَوَلَيْسَ الذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ) [سورة يَسٓ: 81].

وقال: ﴿ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي: لا شك فيه، أي: يوم القيامة. ﴿ فَأَبَى الظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُوراً﴾ أي: بالقيامة.

(1) زيادة يقتضيها السياق.

(2) انظر ما مضى في هذا الجزء ص248 - 249.

قوله: ﴿ قُل لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيَ ﴾ يعني مفاتيح الرزق ﴿ إذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإنْفَاقِ ﴾ [أي: خشية الفاقة][1] ﴿ وَكَانَ الإنْسَانُ قَتُوراً ﴾ أي: بخيلاً يقتّر على نفسه وعلى غيره. يخبر أنهم بخلاء أشحاء، يعني المشركين. وقال بعضهم: (قَتُوراً) أي: مِسِّيكاً[2].

قوله: ﴿ وَلَقَدَ أَتَينَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايٰتٍ بَيِّنَٰتٍ ﴾ : يده، وعصاه، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، (وَلَقَد أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ، وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ). [الأعراف: 130].

قوله: ﴿ فَاسْئَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ ﴾. يقول للنبي عليه السلام: فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم موسى ﴿ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُوراً ﴾.

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَـٰؤُلَاءِ ﴾ أي: الآيات ﴿ إِلَّا رَبُّ السَّمـٰوٰتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ أي: حججاً. يقول: لقد علمتَ يا فرعون، وهذا مقرأ ابن عباس والعامة. وقال ابن عباس: مثل قوله: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً) [النمل: 14].

وقرأة عليّ بن أبي طالب: (لَقَدْ عَلِمْتُ)، موسى يقوله. أي: لقد علمتُ ما أنزل هؤلاء الآيات إلا ربّ السماوات والأرض بصائر[3].

قوله: ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً ﴾ أي: مسحوراً[4] في تفسير مجاهد

(1) زيادة من سع، ورقة 14 و، والقول لقتادة كما ذكره ابن سلام وكما أورده الطبري.
(2) في ق وع ود: «مسكيناً» وهو تصحيف صوابه ما أثبته: «مسّيكاً» أي: كثير الإمساك.
(3) انظر في معاني الفراء ج 2 ص 132 اختلاف القراء في فتح التاء أو ضمّها في قوله تعالى: (لَقَدْ عَلِمْتُ) قال الفراء: «والفتح أحب إليّ».
(4) كذا وردت الكلمة في المخطوطات الأربع «مسحوراً»، ولم أهتدِ لوجه صحيح لها، وفي سع ورقة 14 و: «محسوراً» ولعلها تصحيف لكلمة: «محسّر» بمعنى مؤذى، محتَقَر، مطرود كما جاء في اللسان: (حسر)، وفي ز، ورقة 190: «مهلكاً» وهذه أصح، وهي موافقة لما جاء في تفسير مجاهد، ص 371.

وغيره؛ أي: يدعو بالحسرة والثبور في النار. والثبور الدعاء بالويل والهلاك. وقال الكلبي: (مَثْبُوراً) أي: ملعوناً[1].

قوله: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم ﴾ أي: أن يخرجهم ﴿مِّنَ الأَرْضِ ﴾. أي: أرض مصر. وقال الحسن: يقتلهم، يخرجهم منها بالقتل.

قال: ﴿ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعاً وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ ﴾ أي: القيامة ﴿ جِئْنَا بِكُمْ ﴾ يعني بني إسرائيل وفرعون وقومه ﴿ لَفِيفاً ﴾ أي: جميعاً في تفسير مجاهد وغيره.

قوله: ﴿ وَبِالحَقِّ أَنْزَلْنَـٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿ وَبِالحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ إِلاَّ مُبَشِّراً ﴾ بالجنة ﴿ وَنَذِيراً ﴾ تنذر الناس.

قوله: ﴿ وَقُرْءَاناً فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ أنزله الله في ثلاث وعشرين سنة. ﴿ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنْزِيلاً ﴾.

فمن قرأها بالتخفيف، قال فرَقناه أي: فرَق فيه بين الحق والباطل والحلال والحرام[2]. وكان الحسن يقرأها مثقلة فيقول: وقرآناً فرَّقناه. قال: فرّقه الله، فأنزله يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وعاماً بعد عام، حتى بلغ به ما أراد.

وقال مجاهد: (عَلَىٰ مُكْثٍ) أي: على ترسل في قريش.

وذكر الكلبي عن ابن عباس قال: نزل القرآن إلى السماء الدنيا جملة واحدة ليلة القدر، ثم جعل ينزل نجوماً: ثلاث آيات وأربع آيات، أو أقل من ذلك أو أكثر. ثم تلا هذه الآية: (فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) [الواقعة: 75].

---

(1) وهنالك معنى آخر ذكره الفراء في المعاني ج 2 ص 132 حيث قال: «وقوله: (يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً): ممنوعاً من الخير. والعرب تقول: ما ثبرك عن ذا، أي: ما منعك منه وصرفك عنه». وأرى أن المعنى الصحيح المناسب هو معنى الهلاك؛ وبذلك فسّره أبو عبيدة وابن قتيبة فقد قالا: «(مَثْبُوراً) أي: مُهْلَكاً».

(2) أما الفراء في المعاني ج 2 ص 133 فقال: «وأما (فَرَقْنَاهُ) بالتخفيف فقد قرأه أصحاب عبد الله، والمعنى أحكمناه وفصّلناه؛ كما قال: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) [الدخان: 4] أي: يفصّل».

قوله: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ﴾ يعني القرآن. يقول: قل للمشركين آمنوا به ﴿ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾أي: من قبل هذا القرآن، يعني المؤمنين من أهل الكتاب ﴿ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: القرآن ﴿ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ ﴾ أي: للوجوه ﴿ سُجَّداً وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ أي: لقد كان وعد ربنا مفعولاً. ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ ﴾ أي: للوجوه ﴿ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ ﴾ أي: القرآن ﴿ خُشُوعاً ﴾. والخشوع الخوف الثابت في القلب.

قوله: ﴿ قُلُ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ﴾ وذلك أن المشركين قالوا: أما الله فنعرفه، وأما الرحمـٰن فلا نعرفه، فقال الله: (قُلُ ادْعُوا اللَّهَ أَوُ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ﴾ أي: إنه هو الله وهو الرحمـٰن.

﴿ أَيّاً مَّا تَدْعُوا ﴾ يقول أي الاسمين دعوتموه به ﴿ فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ ﴾ وقال: (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي) [الرعد: 30].

ذكروا عن الحسن أنه قال: الله والرحمـٰن اسمان ممنوعان لا يستطيع أحد من الخلق أن ينتحلهما.

قوله: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴾.

قال الكلبي: إن رسول الله ﷺ، وهو بمكة، كان يجتمع إليه أصحابه، فإذا صلّى بهم ورفع صوته سمع المشركون صوته فآذوه. وإن خفض صوته لم يُسمع من خلفه؛ فأمره الله أن يبتغي بين ذلك سبيلاً.

وقال مجاهد: حتى لا يسمعك المشركون فيسبوك.

وقال بعضهم: كان نبي الله، وهو بمكة، إذا سمع المشركون صوته رموه بكل خبث، فأمره الله أن يغض(1) من صوته وأن يقتصد في صلاته.

---

(1) في المخطوطات الأربع: «يخفض من صوته». وأثبت ما في سع، فهو أفصح لورود الكلمة في سورة لقمان، آية: 19، ولموافقته لما جاء في تفسير الطبري ج 15 ص 186. والقول لقتادة.

وكان يقال: ما أسمعتَ أذنيك فليس بتخافت[1].

وذكر بعضهم قال: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ أي: في الدعاء والمسألة.

وذكروا عن ابن عباس أنه قال: إن من الصلاة سرّاً، وإن منها جهراً، فلا تجهر فيما تسرّ فيه، ولا تسرَّ فيما تجهر فيه، وابتغ بين ذلك سبيلاً.

ذكروا أن رسول الله ﷺ سمع أبا بكر وهو يصلّي من الليل وهو يخفي صوته، وسمع عمر وهو يجهر بصوته، وسمع بلالاً وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة فقال لأبي بكر: لم تخفي صوتك؟ قال: إن الذي أناجي ليس ببعيد. قال: صدقت. فقال لعمر: لم تجهر بصوتك؟ قال: أرضي الرحمـٰن وأرغم الشيطان وأوقظ الوسنان. قال: صدقت. وقال لبلال: لم تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة؟ قال: أخلط طيباً بطيب. قال: صدقت. فأمر أبا بكر أن يرفع من صوته، وأمر عمر أن يخفض من صوته، وأمر بلالاً إذا أخذ في سورة أن يفرغ منها. فأنزل الله: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سبِيلاً ﴾[2].

قوله: ﴿ وَقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ الذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً ﴾ يتكثر به من القلة. ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ ﴾ أي: خلق معه شيئاً. ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ﴾ أي: يتعزز به ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ﴾ أي: وعظّمه تعظيماً.

---

(1) في ج ود: ما أسمعت أذنيك فلست بمخافت، وفي سع: «ما أسمعت أذنيك فليس تخافت» (كذا) والصحيح ما أثبته، وفي الطبري ج 15 ص 186: «ما سمعته أذنك فليس بمخافته» والعبارة من تمام قول قتادة.

(2) أورده يحيى بن سلام بسند مختصر هكذا: «عثمان عن زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ في سع ورقة 14 ظ. وأخرجه ابن جرير الطبري بسند إلى محمد بن سيرين قال: «نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته، وأن عمر كان يرفع صوته قال فقيل لأبي بكر لم تصنع هذا؟ فقال أناجي ربي.. الخ.. وانظر الواحدي، أسباب النزول ص 303 - 305 ففيه مختلف الأقوال في سبب نزول الآية.

ذكروا أن نبي الله عليه الصلاة والسلام كان يعلّمها الصغير والكبير من أهله.

وذكروا عن كعب قال: فتحت التوراة بـ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) [الأنعام: 1] وختمت بـ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْه تَكْبِيراً).

[ذكروا عن عائشة قالت: كان رسول الله عليه السلام إذا صلّى ركعتي الفجر قال: اللهم إنا نشهد أنك لست بإلـه استحدثناه، ولا برب يَبِيدُ ذكره، ولا مليك معه شركاء يقضون معه، ولا كان قبلك إلـه ندعوه ونتضرع إليه، ولا أعانك على خلقنا أحد فنشك فيك، لا إلـه إلا أنت، اغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت][1].

(1) زيادة من سع ورقة 14 ظ، رأيت من الفائدة إثباتها، وقد أورد ابن سلام الحديث بسند مختصر هكذا: الفرات بن سلمان قال: قالت عائشة. . ولم أجده فيما بين يدي من االمصادر.

تفسير سورة الكهف
وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ حمد نفسه وهو أهل للحمد. ﴿ الذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ أي: محمد عليه السلام ﴿ الكِتَابَ ﴾ أي: القرآن ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجاً قَيِّماً ﴾. فيها تقديم. يقول: أنزل على عبده الكتاب قيّماً ولم يجعل له عوجاً.

ذكروا أن مجاهداً قال: أنزله قيماً لا عوج فيه ولا اختلاف.

﴿لِّيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً﴾ أي: عذاباً شديداً. ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي: من عنده، من عند الله. ﴿وَيُبَشِّرَ المُومِنِينَ الذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾ أي: عند الله في الجنة. وقال في آية أخرى: (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا) [الأنعام: 132]. قوله: ﴿ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ ﴾ أي: في ذلك الثواب، وهو الجنة. ﴿ أَبَداً ﴾.

﴿ وَيُنْذِرَ الذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أن لله ولداً ﴿ وَلاَ لِأَبَائِهِمْ﴾ قبلهم الذين كانوا في الشرك.

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنَ أَفْوَٰهِهِـمْ﴾. هي على قراءة النصب عمل في باب كان[1]. وكان الحسن يقرأها بالرفع (كَبُرَتْ كَلِمَةٌ)، أي: كبُرت تلك الكلمة أن قالوا: إن لله ولداً. قال: ﴿ إِن يَّقُولُونَ إِلَّا كَذِباً ﴾.

(1) كذا في المخطوطات الأربع وفي سع ورقة 14 ظ. «عمل في باب كان». فإذا كانت هذه العبارة تعني أن قوله تعالى: (كَلمةً) جاءت منصوبة على أنها خبر كان، فلست أرى وجهاً لإعرابها كذلك. والصحيح أن الذين قرأوها بالنصب إنما اعتبروها تمييزاً لا غير. قال الفراء في =

قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ أي: قاتل نفسك في تفسير العامة ﴿ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ﴾ أي: آسفاً، أي: حزناً عليهم في تفسير مجاهد. ﴿ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَـٰذَا الْحَدِيثِ ﴾ أي: القرآن. ﴿ أَسَفاً ﴾. قال بعضهم: غضباً. وهي مثل قوله: (فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا) [الزخرف: 55] أي: أغضبونا. وقال مجاهد: أسفاً: أي: جزعاً[1].

قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾ أي: لأهلها. ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ ﴾ أي: لنختبرهم ﴿ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ أي: أيهم أطوع لله. وقد علم ما هم فاعلون.

قال: ﴿ وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا ﴾ أي: ما على الأرض ﴿ صَعِيداً جُرُزاً ﴾ والجُرُز ها هنا الخراب. وقال بعضهم: التي ليس فيها شجر ولا نبات. وقال مجاهد: بلقعاً. وقال في موضع آخر: (أَوَ لَمْ يَرَوا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ) أي: اليابسة التي ليس فيها نبات (فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً) [السجدة: 27].

قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِن ءَايَـٰتِنَا عَجَباً﴾ أي: قد كان في آياتنا ما هو أعجب منهم.

وقال مجاهد: هم عجب. [قال بعضهم] يقول: ليس هم أعجب آياتنا[2]. والكهف كهف الجبل. والرقيم الوادي الذي فيه الكهف[3].

= المعاني، ج 2 ص 134: «فمن نصب أضمر في (كَبُرَتْ): كبرت تلك الكلمة كلمةً. ومن رفع لم يضمر شيئاً، كما تقول: عظم قولك وكبر كلامك». وقال الزمخشري في الكشاف ج 2 ص 307: «قرىء كلمةً وكلمةٌ بالنصب على التمييز، وبالرفع على الفاعلية، والنصب أقوى وأبلغ، وفيه معنى التعجب، كأنه قيل: ما أكبرها كلمة». ومعنى التعجب هذا هو ما بينه الشيخ الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير، ج 15 ص 252 فقال: «ودل على قصد التعجيب منها انتصاب (كلمةً) على التمييز إذ لا يحتمل التمييز هنا معنى غير أنه تمييز نسبة التعجيب. . .».

(1) وقال أبو عيدة في المجاز: «(أسفاً) أي: ندماً وتلهفاً وأسى». انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ج 1 ص 393.

(2) جاءت العبارة مضطربة في بعض المخطوطات فأثبت التصحيح من سع، ورقة 14 ظ. والقول لقتادة.

(3) هذا وجه من وجوه تفسير الرقيم. وقيل هو اللوح المرقوم. جاء في صحيح البخاري في تفسير =

قوله: ﴿ إِذ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا﴾ أي: أعطنا ﴿ مِن لَّدُنْكَ ﴾ أي: من عندك ﴿ رَحْمَةً ﴾ أي: رزقاً ﴿ وَهَيِّءْ لَنَا مِنَ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾، كانوا قوماً قد آمنوا ففروا بدينهم من قومهم. وكان قومهم على الكفر وخشوا على أنفسهم القتل.

قال: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ ءَاذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً ﴾ أي: المنتهى الذي بعثوا فيه، أي: لم يكن لواحد من الفريقين علم، لا لمـؤمنهم ولا لكافرهم. وقال مجاهد: (أَمَداً) أي: عدداً، أي: لم يكن لهم علم بما لبثوا[1].

قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: خبرهم بالحق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴾ أي: إيماناً.

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: بالإيمان ﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّـمَٰوٰتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَـٰهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً ﴾ أي: جوراً وكذباً[2].

قوله: ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا﴾ أي: هلاّ ﴿ يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾ أي: بحجة بيّنة.

تفسير الحسن وابن عباس في هذا الحرف في القرآن كله: حجة بيّنة. وقال بعضهم: هذا الحرف حيث كان في القرآن كله: عذر بيّن. وقال الحسن: بيِّن بأن الله أمرهم بعبادتهم.

قال: ﴿ فَمَنَ أَظْلَمُ مِمَّن افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾ أي: لا أحد أظلم منه.

= سورة الكهف: «الرقيم الكتاب، مرقوم مكتوب، من الرقم». وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 134: «والرقيم لوح رصاص كتبت فيه أنسابهم ودينهم وممَّ هربوا».

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 136: «وقوله (أَيُّ الحِزْبَيْنِ) فيقال إن طائفتين من المسلمين في دهر أصحاب الكهف اختلفوا في عددهم. ويقال: اختلف الكفار والمسلمون. وأما (أَحْصَىٰ) فيقال: أصوب، أي: أيّهم قال بالصواب».

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 1 ص 394: «أي: جوراً وغلواً». وهو أنسب وأدق معنى.

قوله: ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ يقوله: بعضهم لبعض (وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ) أي: وما يعبدون من دون الله، أي: وما يعبدون سوى الله. وفي مصحف عبد الله بن مسعود: وما يعبدون من دون الله، وهذا تفسيرها. ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ [أي: فانتهوا إلى الكهف][1] ﴿ يَنْشُرْ لَكُم رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ﴾ أي: من زرقه ﴿ وَيُهَيِّءْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً ﴾.

قوله: ﴿ وَتَرى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَّاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ﴾ أي: تعدل عن كهفهم وقال بعضهم: تميل عن كهفهم ﴿ ذَاتَ اليَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت ﴾ أي: غابت ﴿ تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ أي: تتركهم ذات الشمال. وقال الحسن: لا تدخل الشمس كهفهم على كل حال.

﴿ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ أي: في فضاء من الكهف. وتلك آية. وقال بعضهم: (فِي فَجْوَة مِنه) أي: في عزلة منه.

﴿ ذَلِكَ مِنَ ءَايَـتِ اللَّهِ مَن يَّهْدِ اللَّهُ فَهُوَ المُهْتَدِ[2] وَمَن يُّضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً ﴾.

قال: ﴿ وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ أي: مفتّحة أعينهم وهم موتى. ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذات اليمين وذات الشمال ﴾ قال بعضهم: وذلك في رقدتهم الأولى قبل أن يموتوا. وقال بعضهم: لهم في كل عام تقليبتان.

﴿ وَكَلْبُهُمْ بَـسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِـالْوَصِيدِ ﴾ أي: بفناء الكهف[3] ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِّئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً ﴾ أي: لحالهم[4].

---

(1) زيادة من سع ورقة 15 و، وز ورقة 192.

(2) قال محمد بن أبي زمنين في ز، ورقة 192: (المهتدِ) وقعت في المصحف في هذا الموضع بغير ياء، ووقعت في الأعراف، آية 178 بالياء. وحذف الياء جائز في الأسماء ولا يجوز في الأفعال».

(3) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 1 ص 397: «(بِالوَصِيدِ) على الباب وبفناء الباب جميعاً. لأن الباب يوصد، أي: يغلق، والجميع وصائد ووُصد».

(4) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 137: «وهذا خوطب به محمد ﷺ».

﴿ وَكَذٰلِكَ ﴾ أي: بهيئاتهم ﴿ بَعَثْنَـٰهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾. وكانوا دخلوا الكهف في أول النهار. قال: فنظروا فإذا هو قد بقي من الشمس بقيّة، فقالوا: أو بعض يوم. ثم إنهم شكّوا، فردّوا علم ذلك إلى الله فـ﴿ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ يقوله بعضهم لبعض.

قال: ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِ ﴾ أي: بدراهمكم هذه ﴿ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ وكانت معهم دراهم ﴿ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَاماً ﴾ قال بعضهم: أحل طعاماً، وقد كان من طعام قومهم ما لا يستحلون أكله قط[1]. وقال بعضهم: أزكى أي: أطيب ﴿ فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ ﴾ أي: لا يعلمنّ ﴿ بِكُمْ أَحَداً إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ أي: يطلعوا عليكم ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ أي: يقتلوكم بالحجارة ﴿ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴾ أي: في الكفر ﴿ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً ﴾ أي: إن فعلتم ذلك.

قال: ﴿ وَكَذٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي: أطلعنا عليهم، أي: على أصحاب الكهف، أي: أطلعنا أهل ذلك الزمان الذي أحياهم الله فيه، وليس بحياة النشور.

قال: ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾.

وكانت تلك الأمة الذين هربوا منهم قد بادت، وخلفت من بعدهم أمة أخرى، وكانوا على الإسلام. ثم إنهم اختلفوا في البعث؛ فقال بعضهم: يُبعث الناس في أجسادهم، وهؤلاء المؤمنون، وكان الملك منهم، وقال بعضهم: تبعث الأرواح بغير أجساد، فكفروا. وهذا قول أهل الكتاب اليوم؛ فاختلفوا. فبعث الله أصحاب الكهف آية ليُعلِمهم أن الناس يُبعثون في أجسادهم، وقال في آية أخرى: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ) [النبأ: 38] أي: روح كل شيء في جسده، وهو قوله: (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [المطفّفين: 6].

فلما بعث أصحابُ الكهف صاحبَهم بالدراهم ليشتري بها طعاماً، وهم يرون

(1) وقال الفراء: «يقال أحل ذبيحة لأنهم كانوا مجوساً».

أنها تلك الأمّة المشركة الذين فرّوا منهم، أمروا صاحبهم أن يتلطّف ولا يشعرنّ بهم أحداً.

فلما دخل المدينة، وهي مدينة بالروم يقال لها فسوس[1]، وكان ملكهم يقال له دقيانوس، فأخرج الدراهم ليشتري بها الطعام اسْتُنْكِرت الدراهم، فأُخِذ وذُهِب به إلى ملك المدينة، فإذا الدراهم دراهم الملك الذي فرّوا منه، فقالوا: هذا رجل وجد كنزاً. فلما خاف على نفسه أن يعذّب أطلع على أصحابه. فقال لهم الملك: إن الله قد بيّن لكم ما اختلفتم فيه، فأعلمكم أن الناس يبعثون في أجسادهم.

فركب الملك والناس معه حتى انتهوا إلى الكهف. وتقدمهم الرجل. حتى إذا دخل على أصحابه فرآهم ورأوه ماتـوا، لأنهم قد كانت أتت عليهم آجالهم.

فقال القوم كيف نصنع بهؤلاء فـ ﴿فَقَالُوا ٱبْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَـٰناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ وهم رؤساؤهم وأشرافهم، وقال بعضهم: مؤمنوهم ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾.

ذكر عكرمة أنهم كانوا بني الأكفاء والرقباء ملوك الروم[2]، رزقهم الله الإسلام ففروا بدينهم، واعتزلوا قومهم حتى انتهوا إلى الكهف فضرب الله على أصمختهم[3]

(1) كذا في المخطوطات: «فسوس» وفي سع ورقة 16 ظ. وقيل هي: «أبسس» بفتح الهمزة وسكون الموحدة وضم السين بعدها سين أخرى مهملة، وكان بلداً من ثغور طرسوس بين حلب وبلاد أرمينية وأنطاكية» انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 15 ص 261. أما ياقوت الحموي فإنه لم يجزم في الأمر، فقد أورد في ج 1 ص 231 من معجم البلدان كلمة «أفسوس» قال: «بضم الهمزة وسكون الفاء والسينان مهملتان، والواو ساكنة: بلد بثغور طرسوس. يقال إنه بلد أصحاب الكهف».

(2) كذا في المخطوطات وفي سع ورقة 16 ط: «بنى الأكفاء والرقباء ملوك الروم». وفي الدر المنثور، ج 4 ص 214: «أبناء الملوك». وفيه عن مجاهد: «كان أصحاب الكهف أبناء عظماء أهل مدينتهم وأهل شرفهم.

(3) كذا في ق وع: «أصمختهم» ومفرده صماخ، وهو الخرق الباطن المفضي إلى الدماغ. وفي سع: «أسمختهم» وهو لغة في أصمختهم. وفي ج ود: «أسماعهم».

فلبثوا دهراً طويلاً حتى هلكت أمتهم، وجاءت أمة مسلمة. وكان ملكهم مسلماً، فاختلفوا في الروح والجسد. فقال قائلون: يبعث الروح والجسد معاً. وقال قائلون: تبعث الأرواح، أما الأجساد فتأكلها الأرض فلا تكون شيئاً.

فشق على ملكهم اختلافُهم؛ فانطلق فلبس المسوح، وقعد على الرماد. ثم دعا الله فقال: إنك ترى اختلاف هؤلاء، فابعث لهم آية تبيِّن لهم بها. فبعث الله لهم أصحاب الكهف. فبعثوا أحدهم ليشتري لهم من الطعام. فجعل ينكر الوجوه ويعرف الطرق، ورأى الإيمان في المدينة ظاهراً. فانطلق، وهو مستخف، حتى انتهى إلى رجل ليشتري من طعامه. فلما أبصر صاحب الطعام الورِق أنكرها. قال له الفتى[1] أليس ملككم فلاناً؟ قال الرجل: بل ملكنا فلان. فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك.

فأخبره صاحب الكهف بحديثه وأمره. فبعث الملك في الناس فجمعهم فقال: إنكم اختلفتم في الروح والجسد، وإن الله قد بعث لكم آية وبيّن لكم الذي اختلفتم فيه؛ فهذا رجل من قوم فلان، يعني ملكهم الذي مضى. فقال صاحب الكهف: انطلقوا إلى أصحابي. فركب الملك وركب الناس حتى انتهوا إلى الكهف. فقال الرجل: دعوني حتى أدخل إلى أصحابي. فلما أبصرهم وأبصروه ضرب الله على ٥
أصمختهم. [فلما استبطأوه][2] دخل الملك ودخل الناس معه، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً، غير أنه لا أرواح فيها. فقال الملك: هذه آية بعثها الله لكم. (قَالَ الذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ)، وهم ملوكهم وأشرافهم (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً).

قال الله: ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ أي: سيقول أهل الكتاب ﴿ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالغَيْبِ ﴾ أي: قذفاً بالغيب ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ

---

(1) في المخطوطات الأربع: «قال له الرجل: أليس ملككم فلاناً؟ قال بلى ملكنا فلان» وفيه خطأ. وفي سع ورقة 16 ظ: «قال له الرجل: أليس ملككم فلان؟ قال: لا، بل ملكنا فلان. وهو صحيح. وأولى بالصحة والصواب والإيضاح ما أثبته من الدر المنثور ج 4 ص 214.

(2) زيادة من الدر المنثور يقتضيها سياق الكلام.

وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أي: إلا قليل من الناس.

ذكروا أن ابن عباس كان يقول: أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله؛ كانوا سبعة وثامنهم كلبهم.

قال: ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً ﴾ يقول الله للنبي عليه السلام: لا تمار، أي: لا تجادل أهل الكتاب في أصحاب الكهف إلا مراءً ظاهراً أي: إلا بما أخبرتك. وحسبك ما قصصت عليك من أمرهم. ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ ﴾ أي: في أصحاب الكهف ﴿ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾ أي: من أهل اليهود. يقول: لا تسأل عنهم من اليهود أحداً، وهم الذين سألوه عنهم ليعنتوه بذلك(1).

قال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَّشَاءَ اللَّهُ﴾ يقول: إلا أن تستثنى. بلغنا أن اليهود لما سألت رسول الله ﷺ عن أصحاب الكهف قال لهم رسول الله: أخبركم عنهم غداً، ولم يستثن، فأنزل الله هذه الآية.

قال: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [أي: إذا نسيت الاستثناء](2) ﴿ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَّهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَداً ﴾. ومتى ما ذكر الذي حلف فليقل إن شاء الله، لأن الله أمره أن يقول: إن شاء الله.

ومن حلف على يمين فاستثنى قبل أن يتكلم بين اليمين وبين الاستثناء بشيء فله ثنياه، ولا كفارة عليه. وإن كان استثنى بعدما تكلم بعد اليمين قبل الاستثناء، أو

---

(1) في ج ود: «ليفتنوه بذلك» وفيه تصحيف صوابه ما أثبته من ق وع: «ليُعنتوه». يقال: «أعْنَته وتعَنّته تعنتاً أي: سأله عن شيء أراد اللبس عليه والمشقة». انظر اللسان (عنت).

(2) زيادة من سع ورقة 16 ظ، لا بد من إثباتها. وهذا على مذهب من رأى أن الذكر هنا خاص، أي: إذا نسيت الاستثناء فاستثن. وهذا ما ذهب إليه جلة من العلماء، منهم ابن عباس. ذكر ذلك الفراء في المعاني ج 2 ص 137 فقال: «قال ابن عباس: إذا حلفت فنسيت أن تستثني فاستثن متى ذكرت ما لم تحنث». ومنهم من قال: إن الذكر هنا عام؛ والمعنى أذكر ربك إذا نسيت ذكره، وهو ما اختاره الطبري في تفسيره، ج 15 ص 229. وانظر وجوهاً أخرى في تأويل الآية أوردها القرطبي في تفسيره، ج 10 ص 385 - 386.

متى ما استثنى، فالكفارة لازمة له، وسقط عنه المأثم حيث استثنى، لأنه كان قد ركب ما نهى عنه من تركه ما أمر به من الاستثناء. أي: لا يقول: إني أفعل حتى يقول إن شاء الله، ولا يقول: لا أفعل حتى يقول إن شاء الله.

ذكر ابن عمر أنه قال قال رسول الله ﷺ: إذا استثنى فله ثنياه[1].

وقال بعضهم: ليس الاستثناء بشيء حتى يجهر به كما يجهر باليمين. أي: إن الاستثناء في قلبه ليس بشيء حتى يتكلم به لسانه.

ذكروا عن الحسن أنه قال: من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأتِ الذي هو خير وليكفر عن يمينه إلا طلاق أو عتاق.

قوله: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِائَةٍ ﴾ ثم أخبر ما تلك الثلاثمائة فقال: ﴿ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ أي: تسع سنين.

قال بعضهم: هذا من قول أهل الكتاب. أي: إنه رجع إلى أول الكلام: (سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَّابِعُهُم كَلْبُهُمْ) وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ، ويقولون: (لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاَثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً). فردّ الله على نبيه فقال:

﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ يقول: ما أبصره وما أسمعه كقول الرجل للرجل: أَفْقِه به، وأشباه ذلك. فلا أحد أبصر من الله، ولا أسمع من الله[2].

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب الأيمان والنذور، باب الاستثناء في اليمين (رقم 3261) عن ابن عمر، ولفظه: من حلف على يمين فقال إن شاء الله فقد استثنى. وانظر ما سلف، ج 1 ص 495.

(2) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 139: «يريد الله سبحانه وتعالى كقولك في الكلام: أكرم بعبد الله ومعناه: ما أكرم عبد الله، وكذلك قوله: (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ): ما أسمعهم، ما أبصرهم. وكل ما كان فيه معنى من المدح أو الذم فإنك تقول فيه: أظرف به وأكرم به، ومن الياء والواو: أطيب به طعاماً، وأجود به ثوباً».

﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ﴾ أي: يمنعهم من عذاب الله ﴿ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً ﴾. وهي تقرأ بالياء والتاء. فمن قرأها بالتاء فهو يقول: ولا تشرك يا محمد في حكمه أحداً، أي: لا تجعل معه شريكاً في حكمه وقضائه وأموره. ومن قرأها بالياء فهو يقول: ولا يشرك الله في حكمه أحداً.

قوله: ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَـٰبِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِ ﴾ أي: لا يحكم في الآخرة بخلاف ما قال في الدنيا. وهو كقوله: (مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ) [سورة قٓ: 29].

قوله: ﴿ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً ﴾ أي: ولياً ولا موئلاً[1].

قوله: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ وهما الصلاتان: صلاة الصبح وصلاة العصر. وإنما فرضت الصلوات الخمس قبل خروج النبي عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة بسنة. ثم نزلت هذه الآية في سلمان الفارسي، وبلال، وصهيب، وخباب بن الأرتّ، وسالم، مولى أبي حذيفة.

قال المشركون للنبي: إن أردت أن نجالسك فاطرد عنا هؤلاء القوم، فأنزل الله: (وَلاَ تَطْرُدِ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ). [الأنعام: 52].

قال: ﴿ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ مَحْقَرَةً لهم إلى غيرهم[2] ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ [قال بعضهم: ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ: لَذِكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحّاً][3].

---

(1) كذا في ق وع ود: «ولياً ولا موئلاً». وفي تفسير الطبري، ج 15 ص 233 عن قتادة: «ملجأ ولا موئلاً». وقال أبو عبيدة في المجاز ج 1 ص 398: «أي: معدلاً، واللحد منه والإلحاد».

(2) أي: لا تنصرف عيناك عنهم» كما ذكره الفراء.

(3) زيادة من ز، ورقة 194، ومن سع ورقة 17 و حيث ورد الحديث بالسند التالي: «يحيى عن أشعث عن يعلى بن عطاء عن عمرو بن عاصم عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ. . . وقد أورد ابن سلام أحاديث في فضل الذكر ومجالسته الذاكرين الله. وانظر الدر المنثور ج 4 ص 219 - 220.

قوله: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا[1] وَاتَّبَعَ هَوَيٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ أي: ضياعاً. وهو مثل قوله: (يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا) [الأنعام: 31] أي: على ما ضيعنا فيها.

قال: ﴿ وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ يعني القرآن ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُومِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ وهذا وعيد هو له شديد، أي: من آمن دخل الجنة، ومن كفر دخل النار.

قال: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: للمشركين والمنافقين ﴿ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ أي: سورها، ولها عمد. فإذا مدّت تلك العمد أطبقت على أهلها، وذلك حين يقول: (اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108]. فإذا قال ذلك أطبقت عليهم؛ وهو قوله: (إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّوصَدَةٌ) أي: مطبقة (فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ) [الهمزة: 98].

قوله: ﴿ وَإِن يَّسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ﴾.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه أهديت له سقاية ذهب وفضة. فأمر بخدود فخدّت في الأرض. ثم قذف فيها من جزل الحطب. ثم قذف فيها تلك السقاية، حتى إذا أزبدت وماعت قال لغلامه: ادع من بحضرتنا من أهل الكوفة. فدعا رهطاً. فلما دخلوا عليه قال: أترون هذا؟ قالوا: نعم. قال: ما رأينا في الدنيا شبهاً للمهل أدنى من هذا الذهب وهذه الفضة حين أزبد وماع.

وقال بعضهم: المهل كعكر الزيت. وقال مجاهد: المهل: القيح والدم.

قوله: ﴿ يَشْوِى الوُجُوهَ ﴾ أي: يحرق الوجوه إذا أهوى ليشربه. ﴿ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾ أي: منزلاً ومأوى. وقال مجاهد: (وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً) أي:

---

(1) قيل معناه: من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا: وقيل معناه: وجدناه غافلاً كما قال عمرو بن معد يكرب لبني الحارث بن كعب: «والله لقد سألناكم فما أبخلناكم، وقاتلناكم فلما أجبنّاكم، وهاجيناكم فما أفحمناكم». أي: ما وجدناكم بخلاء ولا جبناء ولا مُفحَمين. انظر تفسير القرطبي ج 10 ص 392، وتفسيرالكشاف ج 2 ص 718.

مجتمعاً. وقوله: وساءت أي: بئس المنزل والمأوى هي جهنم. وهذا وعيد هـوله شديد لمن كفر.

ثم أخبر بوعده لمن آمن فقال: ﴿إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنَ أَحْسَنَ عَمَلاً أُولَـٰئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَـٰرُ﴾. قد فسّرناه في غير هذا الموضع[1].

قوله: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنَ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن الرجل من أهل الجنة لو بدا سواره لغلب على ضوء الشمس[2].

ذكروا أنه ليس من أهل الجنة أحد إلا وفي يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ. وهو قوله: (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنَ اَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً) [الحج: 23]، وقوله: (وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فضَّةٍ) [الإنسان: 21].

قوله: ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ قال بعضهم: أما لسندس فالخز الذي يقال له الرقيم. وأما الإستبرق فالديباج الغليظ. وبعض الكوفيين يقول: هي بالفارسية: استبره.

قوله ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ ﴾ أي: على السرر [في الحجال][3] ذكر ابن عباس في قوله: (عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ) [الواقعة: 14] قال: مرمولة بالذهب[4]. وقال الحسن: مرمولة بالدر والياقوت.

(1) انظر ما مضى في الجزء الأول ص 90.

(2) هذا حديث رواه ابن سلام عن ابن لهيعة، وهو ممن لا يحتج بهم، فقد ضعفه كثيرون، وإن وثقه البعض. ورواه السيوطي في الدر المنثور، ج 4 ص 221 بدون سند عن ابن مردويه عن سعد عن النبي ﷺ ولفظه: لو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدت أساوره لطمس ضوءه ضوء الشمس كما يطمس ضوء النجوم. وأصح منه ما رواه الشيخان عن أبي هريرة قال: سمعت خليلي يقول: تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوَضوء. واللفظ لمسلم، أخرجه في كتاب الطهارة. باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء، (رقم 250).

(3) زيادة من سع ورقة 17 ظ.

(4) مرمولة: أي نسجت نسجاً رقيقاً.

وقال بعضهم: يعانق الرجل زوجته قدر عمر الدنيا، لا تملّه ولا يملّها.

ذكروا عن معاذ بن جبل أنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الرجل من أهل الجنة ليتنعم في تكأة واحدة سبعين عاماً[1].

ذكر ابن عباس قال: إن الرجل من أهل الجنة ليتكىء على أحد شقيه فينظر إلى زوجته كذا وكذا سنة. ثم يتكىء على الشق الآخر، فينظر إليها مثل ذلك في قبة حمراء، من ياقوتة حمراء، ولها ألف باب، وله فيها سبعمائة امرأة.

قوله: ﴿ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ أي: منزلاً ومأوى، يعني الجنة.

قوله: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنَ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكْلَهَا﴾ أي: أطعمت ثمرتها ﴿ وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً ﴾ أي: ولم تنقص منه شيئاً ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَراً ﴾ أي: بينهما ﴿ وَكَانَ لَهُ ثُمُرٌ ﴾. وهي تقرأ على وجهين: ثُمُر، وهو الأصل. قال بعضهم: من كل المال. وثَمَر، وهي الثمَرَة[2]. وقال مجاهد: يعني ذهباً وفضة.

﴿ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِ﴾ بلغنا أنهما كانا أخوين من بني إسرائيل ورثا عن أبيهما مالاً فاقتسماه، فأخذ كل واحد منهما أربعة آلاف دينار. فأما أحدهما، فكان مؤمناً، فأنفقه في طاعة الله، وقدّمه لنفسه. وأما الآخر، فكان كافراً، فاتخذ بها الأرضين والجنان والدور والرقيق وتزوّج.

واحتاج المؤمن فلم يبقَ في يده شيء، فجاء إلى أخيه يزوره ويتعرّض لمعروفه. فقال له أخوه: فأين ما ورثت يا أخي؟ فقال له: أقرضته ربّي وقدّمته

(1) رواه يحيى بن سلام عن إبان بن أبي عياش عن شهر بن حوشب عن معاذ بلفظ بلغني... وذكر الحديث.

(2) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 144 «... عن مجاهد قال: ما كان في القرآن من ثُمُر، بالضم، فهو مال، وما كان من ثَمَر، مفتوح، فهو من الثمار. وانظر ابن خالويه، الحجة، ص 122 وص 198. وانظر اللسان: (ثمر).

لنفسي. فقال له أخوه: لكنني اتخذت به لنفسي ولولدي ما قد رأيت.

قال الله: (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ) ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ أي: يراجعه الكلام ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾ أي: أكثر رجالاً وناصراً.

قال الله: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ يعني بشركه ﴿ قَالَ: مَا أَظُنُّ ﴾ أي: ما أوقن ﴿ أَنْ تَبِيدَ هَـٰذِهِ أَبَداً ﴾ أي: أن تفنى هذه أبداً، أي: إنها لا تفنى فتذهب. ولكن ظن أن يعيش فيها حتى يأكلها حياتَه. كقوله: (يَحْسِبُ أَنَّ مَـالَهُ أَخْلَدَهُ) [الهُمَزة: 3] أي: يحسب أنه يخلد في ماله حتى يأكله.

﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ أي: وما أوقن أن الساعة قائمة. أي: يجحد البعث. ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهُمَا ﴾ أي: من جنتي ﴿ مُنْقَلَباً ﴾ أي: في الآخرة إن كانت آخرة. كقوله: (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيَ إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ) [فصلت: 50] أي: الجنة إن كانت جنة. أي: ولـكن ليس جنة ولا مردّ.

وهي تقرأ على وجه آخر: (لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهُمَا مُنْقَلَباً) يعني الجنتين؛ هي في موضع جنة، وفي موضع جنتان. قال: (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ) وقال: (جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنَ أَعْنَابٍ) كانت جنة فيها نهر، فصارت جنتين، فهي جنة وهي جنتان.

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ ﴾ المؤمن ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ﴾ يعني أول خلق الإنسان، يعني آدم. ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّيْكَ رَجُلاً لَـٰكِنَّا[1] هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴾.

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 144: «(لَـٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي) معناه: لكن أنا هو الله ربي. ترك همزة الألف من أنا، وكثر بها الكلام. فأدغمت النون من (أَنَا) مع النون من (لَـٰكِنْ). ومن العرب من يقول: أنا قلت ذاك، بتمام الألف، فقرئت لكنا على تلك اللغة، وأثبتوا الألف في اللغتين في المصحف... ومن العرب من يقول إذا وقف: أَنَهْ، وهي في لغة جيدة، وهي في عليا تميم وسفلى قيس. وأنشدني أبو ثروان:

وَتَرْمِينَنِي بِالطَّرْفِ أَيْ أَنْتَ مُذْنِبٌ وَتَـقْلِينَنِـي لَـٰكِنَّ إِيَّـاكِ لاَ أَقْـلِي

يريد: لـٰكنْ أنا إياك لا أقلي. فترك الهمز فصار كالحرف الواحد...».

﴿ ولولاَ ﴾ أي: فهلا ﴿ إذ دَّخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ ﴾ ثم قال: ﴿ إنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً فَعَسَىٰ رَبِّيَ أَن يُّوتِيَنِي ﴾ في الآخرة ﴿ خَيْراً مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ أي: ناراً من السماء، يقول: عذاباً من السماء، وهي النار ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً ﴾ أي: لا نبات فيها. والصعيد الزلق التراب اليابس الذي لا نبات فيه[1]. وقال بعضهم: قد حصد ما فيها فلم يترك فيها شيء. ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً ﴾ أي: ذاهباً قد غار في الأرض[2] ﴿ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً ﴾. وقال الكلبي: الغور: الذي لا تناله الدلاء.

قال الله: ﴿ وَأُحِيطَ بِثُمُرِهِ ﴾ أي: من الليل ﴿ فَأَصْبَحَ ﴾ من الغد قائماً عليها ﴿ يُقَلِّبَ كَفَّيهِ ﴾ أي: يصفق كفيه. قال الحسن: يضرب إحداهما على الأخرى ندامة. ﴿ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا ﴾ وقال بعضهم: تلهفاً على ما فاته منها. ﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ قال الحسن: عروشها: التراب، قد ذهب ما فيها من النبات[3]. [وبعضهم يقول: مقلوبة على رؤوسها][4]. ﴿ وَيَقُولُ ﴾ أي: في الآخرة ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي ﴾ أي: في الدنيا ﴿ أَحَداً ﴾.

قال الله: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ ﴾ أي: عشيرة ﴿ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً ﴾ أي: ممتنعاً في تفسير بعضهم.

قوله: ﴿ هُنَالِكَ الوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ الحَقِّ ﴾ أي: في الآخرة. هنالك يتولّى الله كلُّ عبد. أي: لا يبقى أحد يومئذٍ إلا تولى الله. ولا يقبل ذلك من المشرك.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 1 ص 403: «الصعيد وجه الأرض، والزلق الذي لا يثبت فيها القدم».

(2) وقال أبو عبيدة: «(أَوْ يُصْبِحُ مَاؤُهَا غَوْراً) أي: غائراً، والعرب قد تصف الفاعل بمصدره، وكذلك الإثنين والجميع على لفظ المصدر. قال عمرو بن كلثوم:

تَـظَلُّ جِـيَـادُهُ نَـوْحـاً عَـلَيْـهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونَا. أي: نائحات».

(3) كذا في المخطوطات وسع. وأصح من ذلك ما قاله أبو عبيدة: «خالية على بيوتها». «أو خراب على سقوفها».

(4) ما بين المعقوفين زيادة من سع، ورقة 18 و.

وهي تقرأ على وجهين: أحدهما برفع الحق والآخر بجرّه. فمن قرأها بالرفع يقول: هنالك الولاية الحقُّ، فيها تقديم؛ أي: هنالك الولاية الحقُّ لله. ومن قرأها بالجر فهو يقول: هنالك الولاية لله الحقِّ، والحق اسم من أسماء الله[1].

﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً ﴾ أي: خير من أثاب، وهو خير ثواباً للمؤمنين من الأوثان لمن عبدها. ﴿ وَخَيْرٌ عُقُباً ﴾ أي: خير عاقبة.

قوله: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَثَلَ الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَـٰهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ ﴾ وقد فسّرناه في غير هذا الموضع[2] ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾ أي: هشمته الريـاح فأذهبته. فأخبر أن الدنيا ذاهبة زائلة كما ذهب ذلك النبات بعد بهجته وحسنه. ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾.

قوله: ﴿ المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالبَـٰقِيَـٰتُ الصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً ﴾ قال الحسن: الفرائض.

ذكروا عن علي أنه قال: الباقيات الصالحات هن سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر. وكان ابن عباس يجمعهما جميعاً فيقول: الصلوات الخمس وسبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر. (خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً) أي: عاقبة. ﴿ وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ أي: وخير ما يأمل العباد في الدنيا أن يثابوه[3] في الآخرة.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبَالَ وَتَرى الأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ أي: مستوية ليس عليها بناء ولا شجر. [وقال مجاهد: ليس عليها خَمَر ولا غيابة][4]. ﴿وَحَشَرْنَـٰهُمْ﴾ أي:

(1) الوِلاَية بالكسر، الملك والسلطان. والوَلاية بالفتح: النصرة والموالاة. وقد قرىء بهما جميعاً. والقراءة بفتح الواو أنسب للمقام لما ذكر قبله من النصرة. أما الطبري فقد رجح في تفسيره ج 15 ص 201 القراءة بكسر الواو. وانظر تفسير القاسمي ج 11 ص 48.

(2) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 189.

(3) كذا في ج ود، وفي سع ورقة 18 و: «أن يثابوه»، وفي ق وع: «أن ينالوه».

(4) زيادة من سع ورقة 18 و، ومن تفسير مجاهد ص 377. والخَمَر، بالتحريك، ما واراك من الشجر والجبال أو غيرهما. والغَيَابة. بياءين، لا بياء وباء كما جاءت خطأً في سع وفي تفسير الطبري - =

وجمعناهم ﴿ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾ أي: أحضروا فلم يغب منهم أحد.

﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّاً ﴾ أي: صفوفاً.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: أيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أيسركم أن تكونوا شطر أهل الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: الناس يوم القيامة عشرون ومائة صف، وأنتم منهم ثمانون صفاً(1).

ذكروا عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً) [الانشقاق: 8] قال: ذلكم العرض ولكن من نوقش الحساب عُذّب(2).

قوله: ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي: حفاة عراة غرلاً ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ ﴾ يقول للمشركين ﴿ أَن لَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً ﴾ يعني أن لن تبعثوا.

وبلغنا عن الحسن أن عائشة قالت: يا رسول الله، أما يحتشم الناس يومئذٍ بعضهم من بعض؟ قال: هم أشغل من أن ينظر بعضهم إلى بعض(3) أي: إلى عورة بعض.

= هي كل ما أظلك من سحاب أو غَبَرة أو ظل. ومنه الحديث: «تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان».

(1) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد. باب صفة أمة محمد ﷺ من حديث أطول عن عبد الله (رقم 4283) وأخرجه آخر الحديث من حديث آخر في الباب عن سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ (رقم 4289) بلفظ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم».

(2) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الانشقاق، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، (رقم 2876) كلاهما يرويه من حديث عائشة. وفي بعض ألفاظه: «من نوقش الحساب هلك».

(3) أخرجه ابن أبي حاتم، وصححه الحاكم عن عائشة قالت: واسوأتاه! إن الرجال والنساء =

قال: ﴿ وَوُضِعَ الكِتَـٰبُ﴾ أي: ما كانت تكتب عليهم الملائكة في الدنيا من أعمالهم. ﴿ فَتَرَى المُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين والمنـافقين ﴿ مُشْفِقِينَ ﴾ أي: خائفين ﴿ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَـا مَالِ هَـٰذَا الكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَـٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ﴾ أي: في كتبهم ﴿ وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰئِكَةِ اسْجُدُوا لآِدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ ﴾. قال الحسن: هو أول الجن كما أن آدم من الإنس وهو أول الإنس.

وقال بعضهم: كان من الجن، وهم قبيل من الملائكة يقال لهم الجن. وكان ابن عباس يقول: لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود، وكان على خزانة السماء الدنيا في قول بعضهم؛ قال: جُن عن طاعة ربه. وكان الحسن يقول: ألجأه[1] الله إلى نسبه.

قال: ﴿ فَفَسَقَ عَنَ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ أي: عصى أمر ربه، أي: عن السجود لآدم، في تفسير مجاهد. ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ ﴾ يعني الشياطين الذين دعوهم إلى الشرك. ﴿ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِيسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلاً ﴾ أي: ما استبدلوا بعبادة ربهم إذ أطـاعوا إبليس. فبئس ذلك بدلاً لهم.

قوله: ﴿ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ وذلك أن المشركين قالوا: إن الملائكة بنات الله. وقال في آية أخرى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلاَئِكَةَ الذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ إناثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ﴾ [الزخرف: 19] أي: ما أشهدتهم شيئاً من ذلك، فمن أين ادَّعوا أن الملائكة بنات الله.

= سيحشرون جميعاً ينظر بعضهم إلى سوأة بعض؟ وفي رواية: واسوأتاه لك يا ابنة أبي بكر! فقال رسول الله ﷺ: ﴿ لِكُلِّ آمْرِىءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: 27]. لا ينظر الرجال إلى النساء، ولا النساء إلى الرجال، شُغِل بعضهم عن بعض.

(1) كذا في ق وع: «ألجأه الله إلى نسبه»، وهو موافق لما جاء في تفسير الطبري، ج 15 ص 260. وفي سع ورقة 18 ظ: أنجاه الله، وفي ج «أنجاه الله»، وكأن في العبارة تصحيفاً، ولم أهتدِ لمعنى مناسب أطمئن إليه.

قال: ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾ أي: أعواناً. وقال بعضهم: المضلين: الشياطين.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً ﴾. والموبق وادٍ في جهنم.

وبعضهم يقول: (مَّوْبِقاً) أي: مهلكاً. يقول: وجعلنا بينهم أي: وصلهم الذي كان في الدنيا مهلكاً. وقال بعضهم: هو وادٍ يفرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة. وقال بعضهم: يقول: أوبقناهم، أي: أدخلناهم في النار بفعلهم فأُوبِقوا فيها[1].

قوله: ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ ﴾ أي: المشركون والمنافقون ﴿ فَظَنُّوا ﴾ أي: فعلموا ﴿ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً ﴾ أي: معدلاً إلى غيرها.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ كقوله: (وَلَقَد ضَّرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) [الزمر: 27] ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ أي: الكافر يجادل في الله[2].

قوله: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُومِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ﴾ أي: من

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 1472: «(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً) يقال جعلنا تواصلهم في الدنيا (مَوْبِقاً) يقول مهلكاً لهم في الآخرة. . . » وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 269 «(موبقاً) أي: مهلكاً بينهم وبين آلهتهم في جهنم». وأصل الفعل وَبِق، يَبِقُ، وبْقاً ووبوقاً: هلك، وأوبقه أهلكه. ومنه الموبقات من الذنوب، أي: المهلكات. انظر اللسان (وبق).

(2) الحق أن هذه طبيعة ابن آدم، أياً كان، وليست خاصة بالكافر. فقد ترجم البخاري في كتاب التفسير، وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً، فروى حديثاً عن علي بن أبي طالب «أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة وقال ألا تصليان؟. . . وفي رواية لمسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روى فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح (رقم 775): «ألا تصلون؟ فقلت: يا رسول الله: إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك. ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول: (وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً).

شركهم ﴿ إِلَّا أَن تَأْتِيهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي: ما عذب الله به الأمم السالفة ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ أي: عياناً. وقال مجاهد: فجأة.

قوله: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ﴾ أي: بالجنة ﴿ وَمُنْذِرِينَ ﴾ أي: من النار. ويبشرونهم أيضاً بالرزق في الدنيا قبل دخول الجنة إن آمنوا. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[1]. وينذرونهم العذاب في الدنيا قبل عذاب الآخرة إن لم يؤمنوا.

قوله: ﴿ وَيُجَـٰدِلُ الذِينَ كَفَرُوا بِالبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا ﴾ أي: ليذهبوا ﴿ بِهِ الحَقَّ ﴾ فيما يظنون؛ ولا يقدرون على ذلك. قال: ﴿وَاتَّخَذُوا ءَايَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾.

قال: ﴿ وَمَنَ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِئَايَٰتِ رَبِّهِ ﴾ يقوله على الاستفهام. وهذا استفهام على معرفة ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ أي: لم يؤمن بها. ﴿ وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ أي: ما سلف منه. قال الحسن: عمله السوء. أي: لا أحد أظلم منه.

قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أي: غلفاً ﴿ أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ أي: لئلا يفقهوه. ﴿وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْراً﴾ وهو الصمم عن الهدى. ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً ﴾ يعني الذين يموتون على كفرهم.

﴿ وَرَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ أي: لمن آمن. ولا يغفر أن يشرك به ﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ أي: بما عملوا ﴿ لَعَجَّلَ لَهُمُ العَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً ﴾ قال الحسن: ملجأً[2].

قوله: ﴿ وَتِلْكَ القُرَىٰ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ أي: لما أشركوا وجحدوا رسلهم. ﴿ وَجَعَلْنَا لِمُهْلِكِهِم مَّوْعِداً ﴾ أي: الوقت الذي جاءهم فيه العذاب. وقال مجاهد: موعداً: أجلاً[3].

---

(1) انظر ما سلف، ج 1 ص 527.

(2) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 148: «(الموئل) المنجي، وهو الملجأ في المعنى واحد. والعرب تقول: إنه ليوائل إلى موضعه، يريدون: يذهب إلى موضعه وحرزه». وانظر اللسان: (وأل).

(3) اقرأ تحقيقاً عزيزاً في اللغة قلما تظفر بمثله حول وزن مفعل ووجوه صرفه قدّمه لنا الفراء في المعاني ج 2 ص 148 - 153.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَيٰهُ ﴾ وهو يوشع بن نون، وهو اليسع ﴿ لَآ أَبْرَحُ ﴾ أي: لا أزال أمضي قدماً ﴿ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ بحر فارس والروم حيث التقيا، وهما ميحطان بالخلق[1].

وبعضهم يقول: الرسّ والكرّ، وهما بالرومية[2]. والعامة على أنهما بحر فارس والروم. وبحر الروم نحو المغرب، وبحر فارس نحو المشرق.

﴿ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً ﴾ أي: سبعين سنة في تفسير مجاهد. وبعضهم يقول: الحقب ثمانون سنة.

وذلك أن موسى عليه السلام قام في بني إسرائيل مقاماً فقال: ما بقي اليوم أحد أعطاه الله مثل ما أعطاكم: أنجاكم من آل فرعون، وقطع بكم البحر، وأنزل عليكم التوراة. ورأى في نفسه حين فعل الله ذلك به وعلمه أنه لم يبقَ أحد أعلم منه. فأوحى الله إليه: إن لي عبداً أعلم منك يقال له الخضر، فاطلبه. فقال له موسى: رب كيف لي بلقائه. فأوحى الله إليه أن يجعل حوتاً في متاعه، ويمضي حتى يبلغ مجمع البحرين، بحر فارس والروم. وجعل العلم على لقائه أن يفتقد الحوت، فإذا فقدت الحوت فاطلب صاحبك عند ذلك.

فانطلق هو وفتاه، وهو يوشع بن نون. وحملا معهما مكتلاً فيه حوت مملوح. قال: فسايرا البحر زماناً، ثم أويا إلى صخرة على ساحل البحر الذي عند مجمع البحرين؛ عندها عين ماء، فباتا بها. وأكلا نصف الحوت، وبقي نصفه. فانسرب الحوت في العين. وقال بعضهم: أدنى فتاه المكتل من العين فأصابه الماء فعاش

(1) كذا في ق وع، وفي سع 19 و: «محيطان بالخلق»، وفي ج ود: «مختلطان بالحُلو». كذا ضبطت العبارة.

(2) كذا في ق وع ود، «وهما بالرومية». وفي تفسير القرطبي، ج 11 ص 9: «وقال السدي الكُر والرس بأرمينية». وهو أصح فقد قال ياقوت: الرس وادٍ بأذربيجان. والكر والرس نهران وليسا بحرين. انظر اختلاف المفسرين حول مجمع البحلين في تفسير القرطبي.

الحوت فدخل في البحر. [وذلك قوله: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً ﴾][1].

وارتحل موسى وفتاه فسايرا البحر حتى أصبحا. ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَيٰهُ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَباً ﴾ أي: شدة، يعني نصب السفر.

﴿ قَالَ ﴾ فتاه: ﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَـٰنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَـٰنُ أَنْ اَذْكُرَهُ ﴾ وفي بعض القراءات (أَن أُذْكِرَهُ).

وقال بعضهم: إن موسى لما قطع البحر، وأنجاه الله من آل فرعون جمع بني إسرائيل فخطبهم فقال: أنتم اليوم خير أهل الأرض وأعلمهم. قد أهلك الله عدوكم، وأقطعكم البحر، وأنزل عليكم التوراة. قال: فقيل له: إن ها هنا رجلاً هو أعلم منك. فانطلق هو وفتاه يوشع بن نون يطلبانه. وتزوّدا بحوت مملوح في مكتل لهما. وقيل لهما: إذا نسيتما بعض ما معكما لقيتما رجلاً عالماً يقال له: خضر. فلما أتيا ذلك المكـان ردّ الله إلى الحوت روحه فسرب لهما من المكتل[2] حتى أفضى إلى البحر، ثم سلك فيه. فجعل لا يسلك فيه طريقاً إلا صار الماء جامداً.

ومضى موسى وفتاه. فلما جاوزا قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة، يعني إذ انتهينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره. وفي مصحف عبد الله بن مسعود: أن أدركه. فرجعا عودهما على بدئهما فارتدا على آثارهما قصصاً. فلقيا الخضر.

وذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: إنما سمي الخضر خضراً لأنه جلس على قردد[3]

---

(1) زيادة لا بد منها لم ترد في المخطوطات.

(2) كذا في المخطوطات الأربع: «فسرب لهما من المكتل». وفي سع ورقة 19 و: «فسرب له من الجُدّ». وفي اللسان: «الجُد بالضم شاطىء النهر، والجُدّة أيضاً، وبه سمّيت المدينة التي عند مكة جُدة».

(3) وردت الكلمة هكذا: «قردد» في المخطوطات الأربع وفي سع ورقة 19 و، وهي المكان الغليظ المرتفع من الأرض كما شرحه صاحب اللسان (قرد)، وجاءت الكلمة في صحيح البخاري، =

بيضاء فاهتزّت به خضراء[1].

قال: ﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً ﴾. أي: موسى اتخذ سبيل الحوت في البحر عجباً[2]. وهو تفسير مجاهد.

﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ أي: قال: قيل لي: إذا فقدت الحوت فيحنئذٍ تلقى الخَضِر.

قال: ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصاً ﴾ أي: عودهما على بدئهما راجعين حتى أتيا الصخرة. فاتبعا أثر الحوت في البحر. وكان الحوت حيث مر ببدنه ييبس، فصار كهيئة الطريق في البحر. فاتبعا آثاره حتى خرجا إلى جزيرة، فإذا هما بالخضر في روضة يصلي. فأتياه من خلفه، فسلم عليه موسى. فأنكر الخضر السلام[3] في ذلك الموضع. فرفع رأسه فإذا بموسى، فعرفه فقال: وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل. فقال موسى: وما يدريك أني نبيّ بني إسرائيل؟ فقال: أدراني بك الذي أدراك بي.

قوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَهُ مِن

= وفي تفسير الطبري ج 15 ص 282، وفي تفسير ابن كثير ج 4 ص 417 هكذا: «فروة بيضاء». وقال ابن كثير: «والمراد بالفروة ها هنا الحشيش اليابس، وهو الهشيم من النبات، قاله عبد الرزاق. وقيل المراد بذلك وجه الأرض». فلفظ القردد إذاً يؤيد هذا المعنى. ففي اللسان: «القَردد كالقُردودة وهي المتن المشرف على الأرض». . . «لا ينبت إلا قليلاً». وهو ما دل عليه لفظ بيضاء، أي: لا تنبت، فلما قعد عليها الخضر اهتزت به خضراء.

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده وأخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، في حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، ولفظه: «إنما سمّي الخضِرَ أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء».

(2) كذا في المخطوطات، وفي سع: «موسى يعجب من أثر الحوت في البحر». وهذا على قراءة من جعل الكلام يتم عند قوله (عَجَباً)، وجعل هذه الكلمة الأخيرة مفعولاً ثانياً (اتَّخَذَ). ومن المفسّرين من جعل تمام الكلام عند قوله: (فِي البَحْرِ)، وما بعده استئنافاً، فتكون كلمة (عَجَباً) حكاية لقول يوشع. والوقف في قراءة ورش يدل على هذا التأويل الأخير. انظر تفصيل ذلك في تفسير القرطبي، ج 11 ص 14.

(3) كذا في المخطوطات الأربع: «السلام» وفي ز ورقة 197، وفي سع ورقة 19 ط: «أنكر الخضِرُ التّسليمَ».

لَّدُنَّا عِلْماً قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ اتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾ أي: أن ترشدني. ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرا فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ﴾ أي: أتيت شيئاً عظيماً. وقال مجاهد: منكراً[1].

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً ﴾ وكان موسى ينكر الظلم. ﴿ قَالَ ﴾ له موسى ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِن أَمْرِي عُسْراً ﴾.

قال: ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً ﴾ أي: لم تذنب[2] ﴿ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً ﴾ والنكر المنكر.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِي[3] عُذْراً ﴾. أي: قد أعذرت فيما بيني وبينك.

﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا ان يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ وزعموا أنها أنطاكية[4]. ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾ أي: رفعه بيده ﴿ قَالَ ﴾ له موسى ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾ أي: ما يكفينا اليوم.

﴿ قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ ﴾ أي: سأخبرك ﴿ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً ﴾[5].

---

(1) في مجاز القرآن لأبي عبيدة ج 1 ص 409: «أي: داهية نكراً عظيماً. وفي آية أخرى: (شَيْئاً إِدّاً). [مريم: 90] قال:

قَـد لَقِيَ الأَقْـرَانُ مِنِّي نُكْـراً ... دَاهِـيَـةً دَهْـيَـاءَ إِدّاً إِمْـرا»

(2) وقال أبو عبيدة في المجاز ج 1 ص 410: «أي: مطهّرة». .

(3) روى أبو داود في سننه، كتاب الحروف والقراءات (رقم 3985) «عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قرأها (قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً) وثقلها». وقراءة ورش عن نافع (مِن لَّدُنِي) بالتخفيف.

(4) وقيل هي أُبُلَّة، وقيل هي بجزيرة الأندلس. وقيل هي برقة، والله أعلم بها.

(5) روى أبو داود في سننه كتاب الحروف والقراءات (رقم 3984) عن أبي بن كعب قال: كان =

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ قال مجاهد: أن أخرقها. ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم ﴾ يقول: بين أيديهم[1] ﴿ مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾ وفي بعض القراءة: (وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْباً). قال بعضهم: ولعمري لو عمّ السفن ما انفلتت، ولكن كان يأخذ خيار السفن.

﴿ وَأَمَّا الغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُومِنَيْنِ ﴾ قال بعضهم: في بعض القراءة: كان أبواه مؤمنين وكان كافراً.

قوله: ﴿ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰناً وَكُفْراً ﴾. ذكر بعضهم قال: في مصحف عبد الله بن مسعود: فخاف ربك أن يرهقهما طغياناً وكفراً. وتأويل فخاف ربك: أي: فكره ربّك؛ وهو مثل قوله تعالى: (وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ) [التوبة: 46] وتفسير كره: لم يُرد[2]. ﴿ فَأَرَدْنَا أَن يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَوٰةً ﴾ أي: في التقوى ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْماً ﴾ أي: برّاً. وقال الحسن: (وَأَقْرَبَ رُحْماً) أي: أقرب خيراً[3].

﴿ وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ قال الحسن: مال، وقال مجاهد: صحف علم.

وقال الكلبي: بلغنا أنه كان لوحاً من ذهب فيه حكمة: ثلاث كلمات فقط:

= رسول الله إذا دعا بدأ بنفسه، وقال: رحمة الله علينا وعلى موسى، لو صبر لرأى من صاحبه العجب. . .» وروي عنه عليه السلام بلفظ آخر: يرحم الله موسى، لوددت أنه كان صبر حتى يقصّ علينا من أخبارهما».

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 1 ص 412: «(وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ) أي: بين أيديهم وأمامهم، قال:

أَتَرْجُو بُنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالفَلَاةُ وَرَائِيَا

أي: أمامي.

(2) هذا وجه من وجوه التأويل، وللفراء في المعاني ج 2 ص 157 رأى آخر. قال: «وقوله: (فَخَشِينَا): فعلمنا وهي في قراءة أبي: (فَخَافَ رَبُّكَ أَن يُرْهِقَهُمَا)، على معنى: علم ربك. وهو مثل قوله: (إِلَّا أَن يَخَافَا) [البقرة: 229] قال: إلا أن يعلما ويظنا. والخوف والظن يُذهَبُ بهما مذهب العلم».

(3) وقيل معناه: «أقرب أن يُرحما به، وهو مصدر رحمت».

عجباً لمن أيقن بالموت كيف يضحك، وعجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب، وعجباً لمن أيقن بالدنيا وتقلّبها كيف يطمئن إليها. ﴿ وكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحاً ﴾.

﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ لهما ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ ﴾ أي: وما فعلت ما فعلت ﴿ عَنْ أَمْرِي ﴾ أي: إنما فعلته عن أمر الله.

﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴾ قال الكلبي: بلغنا أنهم لم يفترقوا حتى بعث الله طائراً، فطار إلى المشرق، ثم طار إلى المغرب، ثم طار نحو السماء، ثم هبط إلى البحر، فتناول من ماء البحر بمنقاره، وهما ينظران، فقال الخضر لموسى: أتعلم ما يقول هذا الطير؟ قال موسى: وما يقول؟ قال: يقول: ورب المشرق، ورب المغرب، ورب السماء السابعة، ورب الأرض السابعة، ما علمك يا خضر وعلم موسى في علم الله إلا قدر هذا الماء الذي تناولته من البحر في البحر.

قوله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾ فإنما سألته اليهود. ﴿ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً ﴾ أي: خبراً.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾ أي: بلاغاً لحاجته. وقال بعضهم: علماً، وهو علمه الذي أُعْطِيَ. بلغنا أنه ملك مشارق الأرض ومغاربها.

﴿ فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾ أي: طرق الأرض ومنازلها. وقال بعضهم: منازل الأرض ومعالمها. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: حمئة وحامية.

ذكر عطاء قال: اختلف ابن عباس وعمرو بن العاص في عين حمئة؛ فقال عمرو: حامية، وقال ابن عباس حمئة. فجعلا بينهما كعباً[1] فقال كعب: نجدها في التوراة تغرب في ماء وطين كما قال ابن عباس. وإنما يعني بالحمأة الطين المنتن. ومن قرأها حامية يقول: حارّة.

---

(1) هو كعب الأحبار، كان على دين اليهود ومن علمائهم. وكان ينزل اليمن، وبها أسلم. ودخل المدينة على عهد عمر رضي الله عنه.

قال: ﴿ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ ﴾ قال الحسن: يعني القتل؛ وذلك حكم الله فيمن أظهر الشرك إلا من حكم عليه بالجزية من أهل الكتاب إذا لم يسلم وأقر بالجزية، ومن تقبل منه الجزية اليوم. ﴿ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً ﴾ يعني العفو. قال: فحكّموه، فحكَم بينهم، فوافق حكمُه حكمَ الله.

﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ يعني من أشرك ونافق[1] ﴿ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ﴾ يعني القتل ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً ﴾ أي: عظيماً في الآخرة.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ﴾ أي: الجنة، يقول: فله ثواب الجنة، والحسنىٰ هي الجنة[2]. ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنَ أَمْرِنَا ﴾ أي: ما صحبناه في الدنيا وصحبنا ﴿ يُسْراً ﴾ يعني المعارف. وقال مجاهد: (مِنَ أَمْرِنَا يُسْراً) أي: معروفاً. وهو واحد.

قال: ﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَباً ﴾ أي: طرق الأرض ومعالمها لحاجته على ما وصفت من تفسيرهم فيها. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِنْ دُونِهَا سِتْراً ﴾.

قال بعضهم: ذكر لنا أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه البناء، وأنهم يكونون في أسراب لهم، حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا في معايشهم وحروثهم. وقال الحسن: إذا طلعت الشمس انسربوا في البحر، فكانوا في البحر، فكانوا فيه حتى تغيب الشمس. فإذا غابت الشمس خرجوا وتسوّقوا[3] وتبايعوا في أسواقهم وقضوا حوائجهم بالليل.

---

(1) كلمة «ونافق» غير واردة في سع، وهي من زيادات الشيخ هود فيما يبدو. والمنافق لا يقتل لنفاقه.

(2) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 159: «وقوله: (فله جزاءً الحسنىٰ) نصبت الجزاءَ على التفسير... وقوله: (جزاءُ الحسنىٰ) مضاف. وقد تكون الحسنى حسناته فهو جزاؤها. وتكون الحسنى الجنة، تضيف الجزاء إليها، وهي هو. كما قال: (حَقُّ الْيَقِينِ) [الواقعة: 95]، و(دِينُ الْقَيِّمَةِ) [البينة: 5] و(لَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ) [يوسف: 109].

(3) قال الزمخشري في أساس البلاغة: «تسوّق القوم: اتخذوا سوقاً». وفي اللسان: تسوّق القوم إذا باعوا واشتروا.

قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً ﴾ أي: هكذا كان ما قص من أمر ذي القرنين.

قال: ﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَباً ﴾ أي: طرق الأرض ومعالمها لحاجته ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السُّدَّيْنِ ﴾[1] أي: بين الجبلين ﴿ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴾ أي: لا يفقهون كلام غيرهم. وهي تقرأ على وجه آخر: (لَا يَكَادُونَ يُفْقِهُونَ قَوْلاً) أي: لا يفقه أحد كلامهم.

﴿ قَالُوا يَـٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: قاتلون الناس في الأرض ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً ﴾ أي: جُعلا ﴿ عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سُدّاً ﴾.

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ أي: من جُعلكم ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ أي: بعدد، عدد من الرجال ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً ﴾[2].

﴿ءَاتُونِي﴾ أي: أعطوني ﴿ زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ أي: قطع الحديد في تفسير مجاهد ﴿ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ أي: رأس الجبلين، ساوى ما بينهما فسدّه. ﴿ قَالَ انْفُخُوا ﴾ أي: على الحديد ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَاراً ﴾ يعني أحماه بالنار ﴿ قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً ﴾ فيها تقديم؛ أي: أعطوني قطراً أفرغ عليه. والقِطر النحاس؛ فجعل أساسه الحديد، وجعل ملاطه[3] النحاس ليلزمه.

---

(1) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 1 ص 414: «(بين السُّدّين) مضموم إذا جعلوه مخلوقاً من فعل الله، وإن كان من فعل الآدميين فهو سَد، مفتوح». وقد أنكر الطبري هذا الفرق بينهما في تفسيره ج 16 ص 15.

(2) أصل الردم هو سد الثلمة أو المدخل أو نحوهما. «وقيل: الردم أكثر من السد لأن الردم ما جعل بعضه على بعض». انظر اللسان (ردم).

(3) يقال: ملط الحائط، أي: طلاه. والمِلاط: «الطين الذي يجعل بين سافي (أي: صفّي اللَّبن) في البناء، ويملط به الحائط». وفي بعض المخطوطات: «وجعل خلاطه النحاس». والمعنى قريب من الأول.

قال بعضهم: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا رسول الله، قد رأيت سدّ ياجوج وماجوج. قال: أنعته لي. قال: هو كالبُرد المُحَبَّر، طريقة سوداء وطريقة حمراء. قال: قد رأيته[1].

قال: ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ أي: أن يظهروا عليه من فوقه. ﴿ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ﴾ أي: من أسفله.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أن يأجوج ومأجوج يخرقونه كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدا. فيعيده الله كأشد ما كان. حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس. حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غداً إن شاء الله، فيغدون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيخرقونه، فيخرجون على الناس، فينشفون المياه، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون سهامهم[2] إلى السماء، فترجع وفيها كهيئة الدماء، فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء. فيبعث الله نغفاً[3] في أقفائهم فيقتلهم بها. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن وإنها لتشكر[4] من لحومهم شَكَرا[5].

---

(1) رواه ابن سلام عن قتادة مرسلاً. وكذلك أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 16 ص 23 عن قتادة مرسلاً أيضاً. وأورده البخاري في كتاب بدء الخلق، باب قصة ياجوج وماجوج، عن قتادة أيضاً ولفظه: «قال رجل للنبي ﷺ: رأيت السد مثل البرد المحبّر، قال: رأيته».

(2) في المخطوطات: «فيرمون بنشابهم إلى السماء» جمع نشابة، وهي السهام، وأثبت ما جاء في سع ورقة 20 و. والمعنى واحد.

(3) النَّغَف، واحدتها نَغَفَة: نوع من الدود يكون في أنوف الإبل والغنم. «وقيل هو أيضاً الدود الأبيض الذي يكون في النوى إذا أنقع». انظر الجوهري: الصحاح (نغف).

(4) شكِرت الحلوبة شَكراً إذا سمنت وامتلأ ضرعها لَبناً. وقيل الشُّكِرَة والمشكار من الحلوبات التي تغزر على قلة الحظ من المرعى.

(5) حديث صحيح رواه ابن سلام ورقة 20 و، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 16 ص 21 بنفس السند وأخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم من طريق سعيد عن قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

قوله: ﴿ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي إِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي ﴾ يعني خروجهم ﴿ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ أي: الجبلين، أي: السّدّ. وهي تقرأ على وجه آخر: (دَكَّاءَ) ممدودة، أي: أرضاً مستوية. ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾.

ذكروا عن عقبة بن عامر الجهني قال: كان يومي الذي كنت أخدم فيه النبي ﷺ، فخرجت من عنده فإذا أنا برجال من أهل الكتاب معهم مصاحف أو كتب. فقالوا: استأذن لنا على رسول الله. فانصرفت إليه، فأخبرته بمكانهم. فقال: مالي ولهم يسألونني عما لا أدري. وإنما أنا عبد لا أعلم إلا ما علمني الله. ثم قال: آيتوني وَضوءاً. فأتيته بوَضوء. فتوضأ، ثم قام إلى المسجد فركع ركعتين. فما انصرف حتى بدا لي السرور في وجهه. فقال: اذهب فأدخلهم وأدخل من وجدت بالباب من أصحابي.

فلما وقفوا عليه قال: إن شئتم أخبرتكم بما أردتم أن تسألوني عنه قبل أن تتكلموا. وإن شئتم سألتـم وأخبرتكم. قالوا: بل أخبرنا بما جئنا له قبل أن نتكلم. قال: جئتم تسألونني عن ذي القرنين. وسأخبركم عما تجدونه مكتوباً في كتبكم:

إن أول أمره أنه كان غلاماً من الروم، وأعطي ملكاً. فسار حتى انتهى إلى أرض مصر، فبنى عندها مدينة يقال لها الإسكندرية. فلما انتهى من بنائها أتاه ملك فعرج به حتى استقله فرفعه ثم قال له: انظر ما تحتك. فقال: أرى مدينتي وأرى مدائن أخرى. ثم عرج به فقال: انظر، فقال: قد اختلطت مدينتي مع المدائن. ثم زاد فقال: انظر، فقال: أرى مدينتي وحدها لا أرى غيرها. فقال له الملك: إنما تلك الأرض كلها، وهذا السواد البحر. وإنما أراد الله أن يريك الأرض، وقد جعل لك سلطاناً فيها. فسر في الأرض، فعلّم الجاهل، وثبّت العالم. فسار حتى بلغ مغرب الشمس، ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس، ثم أتى السّدّين، وهما جبلان ليّنان يزلق عنهما كل شيء، فبنى السد. فوجد ياجوج وماجوج يقاتلون قوماً وجوههم كوجوه الكلاب، ثم قطعهم فوجد أمة قصاراً يقاتلون الذين وجوههم كوجوه الكلاب. ثم مضى فوجد أمة من الغرانيق يقاتلون القوم القصار. ثم مضى فوجد أمة من الحيات

تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة. ثم أفضى إلى البحر المدير بالأرض.

فقالوا: نحن نشهد أن أمره كان هكذا، وإنا نجده في كتابنا هكذا(1).

ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال: إن خلف ياجوج وماجوج ثلاث أمم [لا يعلم عدتهم إلا الله](2): تارس وتاويل وميسك.

ذكروا عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن ذي القرنين فقال: لم يكن ملكاً ولا نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً، ناصحاً لله فنصحه(3). دعا قومه إلى الإيمان فلم يجيبوه. فضربوه على قرنه فقتلوه، فأحياه الله. ثم دعا قومه أيضاً فضربوه على قرنه فقتلوه فأحياه الله فسمِّيَ ذا القرنين.

ذكروا أن رجلاً سأل عبد الله بن عمرو عن ياجوج وماجوج: الأذرع هم أم الأشبار؟ فقال: ما أجد من ولد آدم بأعظم منهم ولا أطول. ولا يموت الميت منهم حتى يولد له ألف ولد فصاعداً. قال: قلت فما طعامهم؟ قال: هم في شجر ما هضموا، وفي ماء ما شربوا، وفي نساء ما نكحوا. ذكر بعضهم قال: إن هؤلاء الترك ممن سقط دون الردم من ولد يأجوج ومأجوج(4).

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: يخرج ياجوج وماجوج يموجون في الأرض فيفسدون فيها. ثم قرأ عبد الله: ﴿ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ [الأنبياء: 96] ثم يبعث عليهم دابة مثل النّغف، فتلج في أسماعهم ومناخرهم فيموتون منها. قال: فتنتن الأرض منهم، فتجأر إلى الله، فيرسل الله عليهم ماء فيطهر الأرض منهم.

(1) رواه يحيى بن سلام بسند في ورقة 20 و، وظ.
(2) زيادة من سع ورقة 20 ظ.
(3) كذا في المخطوطات، وفي سع ورقة 20 ظ: «ناصح الله فنصحه».
(4) مثل هذه الآثار لا يمكن أن يستسيغها عاقل، ولم يثبت في بعض تفاصيلها حديث يوثق بصحته، وفي بعضها أغراض شعوبية لا تمت إلى الدين ولا إلى الحقيقة التاريخية بصلة، وقد تناقلها المفسرون بدون تمحيص.

وذكروا عن كعب قال: إن ياجوج وماجوج ينقرون كل يوم بمناقرهم في السّدّ، فيسرعون فيه. فإذا أمسوا قالوا: نرجع غداً فنفرغ منه؛ فيصبحون وقد عاد كما كان. فإذا أراد الله خروجهم قذف على ألسن بعضهم الاستثناء، فيقولون نرجع غداً إن شاء الله فنفرغ منه، فيصبحون وهو كما تركوه فينقبونه، ويخرجون على الناس، فلا يأتون على شيء إلا أفسدوه. فيمر أولهم على البحيرة فيشربون ماءها، ويمر أوسطهم فيلحسون طينها، ويمر آخرهم عليها فيقولون: قد كان ها هنا مرة ماء، فيقهرون الناس، ويفر الناس منهم في البرّيّة والجبال، فيقولون: قهرنا أهل الأرض فهلمّوا إلى أهل السماء. فيرمون نشابهم[1] نحو السماء فترجع تقطر دماً، فيقولون: قد فرغنا من أهل الأرض وأهل السماء، فيبعث الله عليهم أضعف خلقه: النغف: دودّة تأخذهم في رقابهم فتقتلهم حتى تنتن الأرض من جيفهم، ويرسل الله الطير فتلقي جيفهم إلى البحر. ثم يرسل الله السماء فتطهر الأرض. وتخرج الأرض زهرتها وبركتها، ويتراجع الناس حتى إن الرمانة لتشبع أهل البيت. [وتكون سلوة من عيش. فبينما الناس كذلك إذ جاءهم خبر ان ذا السويقتين قد غزا البيت][2] فيبعث المسلمون جيشاً فلا يصلون إليهم، ولا يرجعون إلى أصحابهم، حتى يبعث الله ريحاً طيبة يمانية من تحت العرش، فتكفت روح كل مؤمن. ثم لا أجد مثل الساعة إلا كرجل أنتج مهراً له فهو ينتظر متى يركبه. فمن تكلّف من أمر الساعة ما وراء هذا فهو متكلّف.

ذكروا أن عيسى عليه السلام يقتل الدجال [بباب لد أو عندها][2] فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا ندين لاحد بقتالهم فحرّز عبادي في الطور. ويبعث الله ياجوج وماجوج، وهم كما قصّ ﴿ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾. [الأنبياء: 96]. فيمر أولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: قد كان ها هنا ماء مرة. فيسيرون حتى ينتهوا إلى الجبل الأحمر لا

---

(1) كذا في ج ود وق: «نشابهم»، وفي سع «نبالهم».

(2) زيادة من سع 20 ظ. و «لد» أو «اللّدّ»، بلدة بالشام من أرض فلسطين.

يعدونه. فيقول بعضهم لبعض: قد قتلنا من في الأرض [إلا من دان لنا][1] فهلمّوا فلنقتل من في السماء. فيرمون بسهامهم نحو السماء فيردها الله مخضوبة دماً. ويحصرون نبي الله عيسى وأصحابه. فبينما هم كذلك إذ رغبوا إلى الله، فأرسل الله عليهم نغفاً في رقابهم فيصبحون فرسي[2] كموت نفس واحدة. فيهبط نبي الله عيسى وأصحابه فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم ودماؤهم. فيرغب عيسى ومن معه إلى الله فيرسل الله عليهم كأعناق البخت فتلقيهم في البحر.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لَيُحَجَّنَّ البَيْتُ وَلَيُعْتَمَرَنَّ بعد خروج ياجوج وماجوج[3].

قوله: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ يعني يوم يخرجون من السد.

قال: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعاً ﴾ وقد فسّرنا الصور في غير هذا الموضع.

قوله: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضاً ﴾ أي: عرضها عليهم فأدخلوها خالدين.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ليس أحد من الخلق كان يعبد من دون الله شيئاً إلا وهو مرفوع له بنعته[4] فيقال لليهود: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد عزيراً. فيقال لهم: هل يسرّكم الماء؟ فيقولون: نعم. فيرون جهنم وهي كهيئة السراب. ثم قرأ: (وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضاً) ثم يلقى النصارى، فيقال لهم: من تعبدون؟ فيقولون: المسيح. فيقال لهم: هل يسرّكم الماء؟ فيقولون: نعم، فيرون

---

(1) زيادة من سع ورقة 21 و.

(2) «فرسيٍ» كذا وردت في المخطوطات وهي جمع فريس، ومنه فريسة الأسد. أي: قتلى، وزنا ومعنى.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه البخاري في كتاب الحج، باب جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ.

(4) كذا في المخطوطات: «وهو مرفوع له بنعته»، وفي سع ورقة 21 و: «إلا وهو مرفوع له يتبعه».

جهنم وهي كهيئة السراب، ثم كذلك بمن كان يعبد من دون الله شيئاً. ثم قرأ: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ) [الصافات: 24].

قوله: ﴿ الذِينَ كَانَتَ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾أي: كانت على أعينهم غشاوة الكفر. كقوله: (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) أي: غطاء الكفر (فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ) [سورة قٓ: 23] أي: أبصر حين لا ينفعه البصر. ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴾ أي: لا يسمعون الهدى بقلوبهم. وقال مجاهد: لا يعقلون.

قوله: ﴿ أَفَحَسِبَ الذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ﴾ يعني من عبد الملائكة؛ أي أفحسبوا أن تتولاهم الملائكة على ذلك، أي: لا يتولونهم. وليس بهذا أمرتهم؛ إنما أمرتهم أن يعبدوني ولا يشركوا بي شيئاً. ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا ﴾ أي: أعددنا ﴿ جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾.

قوله: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ وهم أهل الكتاب، ضَلَّ أوائلهم فاتَّبعهم أواخرهم على ضلالتهم، (وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً).

قوله: ﴿ أُولَـٰئِكَ الذِينَ كَفَرُوا بِئَايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتَ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ وَزْناً ﴾. وهي مثل قوله: (وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ) [المؤمنون: 103] قال: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتخَذُوا ءَايَـٰتِي وَرُسُلِي هُزُؤاً ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ ذكروا عن أبي هريرة قال: الفردوس جبل في الجنة تتفجر منه أنهار الجنة. ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ أي: مُتَحَوَّلاً في تفسير مجاهد.

قوله: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً ﴾ أي: مداداً للقلم يستمد منه للكتاب ﴿ لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ أي: آخر

مثله من باب المدد. وهي تقرأ على وجه آخر: (وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مِدَاداً) يُسْتَمَدُّ مِنْهُ لِلْقَلَمِ، لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي، أي: علمه الذي خلق الأشياء كلها.

قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ وذلك أن المشركين قالوا له: (مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا)[1] [الشعراء: 154] فقال الله له: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) ولكن يوحىٰ إليّ، وأنتم لا يوحى إليكم. ﴿ أَنَّمَا إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ وهو الله، لا إلـه إلا هو ولا معبود سواه. ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـٰلِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ أي: يخلص له العمل، فإنه لا يقبل إلا ما أُخلِص له.

ذكروا أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني أقف المواقف أريد وجه الله، وأحب أن يُرَى مكاني. فسكت النبي عليه السلام [ولم يردّ عنه شيئاً][2] فأنزل الله هذه الآية: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً).

(1) إذا كان قصد المؤلف أن هذه الجملة: (ما أنت إلا بشر مثلنا) نهى ما خاطَبَ به المشركون نبيَّنا محمداً ﷺ وبهذا اللفظ عينه، فإنه لا يوجد هذا في القرآن موجهاً إليه. وإنما ورد هذا في سورة الشعراء فيما حكاه الله عما قالته ثمود للنبي صالح وما قاله أصحاب ليكة للنبي شعيب عليهما السلام. أما بالنسبة لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام فقد ورد هذا المعنى بألفاظ أخرى، منها: (هَلْ هَـٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) فيما أسرّ المشركون من نجواهم وأخبر الله به في سورة الأنبياء: 3، أو بصفة أعمّ فيما خاطب به المشركون رسُلَهم بقولهم: (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا) كما قصه الله في سورة إبراهيم: 10.

(2) زيادة من سع ورقة 21 و.

. . . .

(1) هذا ما جاء في آخر ورقة من مخطوطة جربة التي رمزت لها بحرف ج، والتي هي محفوظة في خزانة الشيخ الوقور سالم بن يعقوب في غيزن، أمد الله في أنفاسه.

«تم والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. وقع الفراغ من نسخ هذا الكتاب يوم الثلاثة (كذا) عند صلاة الظهر، وهو اليوم الرابع من شهر الله المبارك من شهور سنة ستة (كذا) وثمانين وألف بعد هجرة سيدنا محمد المصطفى، على يد العبد الذليل الحقير الفقير المحتاج إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو حسبي ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير، وهو صالح بن قاسم بن محمد بن سعيد بن إبراهيم بن بونوح بن صالح البلاز. غفر الله له ولهم ولوالديهم ولمن نظر في هذا الكتاب، ولمن دعا لهم بالمغفرة ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات أجمعين والحمد لله رب العالمين».

(2) وهذا ما جاء في مخطوطة القرارة التي رمزت لها بحرف ق، والتي هي محفوظة في خزانة المرحوم الشيخ بالحاج:

«تم النصف الأول من تفسير القرآن العظيم بحمد الله وحسن عونه وتأييده ونصره على يد العبد الفقير الحقير الذليل الراجي عفو مولاه، الغني عن من سواه (كذا) أبي القاسم بن موسى ابن الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن يحيى. سألتك بالله العظيم يا من ينظر فيه أن تبسط لي عذراً لأني نسخته من نسخة ركيكة وفي زمان التشويش. وأنا لم آل فيه جهداً. نسأل الله العفو والعافية لنا ولكم معشر المسلمين. وكان الفراغ منه ضحوة يوم الأحد يوم الأخير (كذا) من شهر الله ربيع الأول عام الثامن عشر مائة (كذا) وألف من هجرة النبي ع م والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين والحمد لله رب العالمين».

(3) وهذا ما جاء في آخر مخطوطة العطف التي رمزت لها بحرف ع، والتي هي محفوظة بخزانة الشيخ المرحوم الحاج داود بن يوسف:

«كمل بحمد الله وحسن [عونه] والصلاة التامة الشاملة على من لا نبي بعده. والله يعين ناسخه بحوله وقوته إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين». (هكذا بدون ذكر لاسم الناسخ ولا تاريخ النسخ).

(4) وهذا ما جاء في آخر مخطوطة جربة التي رمزت لها بحرف د والتي هي محفوظة في خزانة آل الجادوي:

«تم وكمل النصف الأول من تفسير القرآن على يد كاتبه علي بن سليمان بن بيان للموصوف بأكمل الخصال الحسان: العلم والحلم والتقى والورع الجم والإحسان، من هو القدوة المرتضى في هذا الأوان، ذلك شيخنا وإمامنا أبو الربيع بن عبد الله بن أبي زيد سليمان. جازاه =

. . . .

= الله عن الإسلام خيراً وأسكنه فسيح الجنان مع الحور والولدان، متكئاً على رفرف خضر وعبقري حسان، مجاوراً للنبي المصطفى من آل عدنان. صلى الله عليه وعلى آله ما لمع برق ودام الجديدان، وأن يفعل ذلك بي وبجميع المسلمين، إنه هو العزيز الغفور، الفرد الصمد، الواحد الدّيّان، ولا سيما شيخنا وحيد الدهر وفريد العصر أبو عبد الله (كذا) محمد بن عمرو بن أبي ستة، أسكنه الله فراديس الجنة، وجمعنا في دار تبقى فيه الصحبة، وأظلنا في ظل عرشه، يوم لا يجد أحد ظلاً إلا ظله. ووقانا في دنيانا الشّرّ والحسد والفتنة، وأماتنا على منهاج صالحي أهل الدعوة، إنه هو الغفور ذو الرحمة. وقد أحضرت لكتابة هذه النسخة في الأول نسختين، وللثاني ثلاث نسخ، وأظن أنها كلها منسوخة من أصل واحد هو كثير الفساد. وفيه بياض في بعض المواضع، وفيه ما كتب طلسماً من غير بيان، فنقلته كما هو».

وفي الورقة الأخيرة من الورقات المكتوبة ما يلي: «الحمد لله رب العالمين. وبعد فقد وقع بيدي هذا الكتاب فيه تفسير النصف الأول من القرآن الشريف بيدي الفقيه شعبان بن يعقوب التندميرتي النفوسي بجامع بني لاكين عمره الله بقوات (كذا) العلم آمين والله أعلم بما تعلمون (كذا) خبير سبحانه وتعالى عما يشركون».

وهذه الجمل الأخيرة مكتوبة بخط مخالف لخط الناسخ الأول. ويبدو أنها زيادة من أحد الطلبة الذين كانوا يدرسون بالمسجد المذكور.

فهرس الجزء الثاني

تفسير
كتاب الله العزيز

للشيخ هود بن محكم الهواري
من علماء القرن الثالث الهجري

حققه وعلق عليه
بالحاج بن سعيد شريفي

الجزء الثالث



دار الغرب الإسلامي

الطبعة الأولى

1990



دار الغرب الإسلامي

ص. ب: 5787 - 113

بيروت - لبنان

تفسير

كتاب الله العزيز

الجزء الثالث

تفسير سورة مريم
وهي مكية كلها(1)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾. كان الكلبي يقول: كاف، هاد، عالم، صادق؛ ويقول كاف لخلقه، هاد لعباده، عالم بأمره، صادق في قوله. وكان الحسن يقول: لا أدري ما تفسيره، غير أن قوماً من أصحاب النبي عليه السلام كانوا يقولون: أسماء السور ومفاتيحها.

قال: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّاءَ ﴾ يقول: ذكره لزكرياء رحمة من الله له(2).

---

(1) لم أتمكن من الحصول في مخطوطة القرارة، ولا في مخطوطة جربة على الربع الثالث من هذا التفسير. وهذا الربع الثالث منه موجود في مخطوطة العطف ونقص من أوله نحو ورقة من القطع الكبير؛ وموجود أيضاً في مكتبة القطب ببني يسجن التي لا يوجد فيها من كامل الكتاب إلا هذا الربع. وأرمز له بحرف الباء هكذا: ب. وقد ضاع منه أيضاً نحو ورقة من القطع المتوسط. ورأيت من الأحسن، لاستكمال هذا النقص أن أرجع إلى مخطوطة تفسير ابن سلام نفسه، فنقلت منها تفسير الآيات الأولى من هذه السورة.

(2) هذا وجه من وجوه تأويل الآية، وللآية وجوه أخرى ذكرها المفسّرون تتّضح بإعرابها. فمنها ما أورده أبو الفتح ابن جني في كتابه المحتسب ج 2 ص 37 عندما أشار إلى قراءة الحسن: (ذَكَّرَ رحمةَ رَبِّك) قال: «فاعل ذكّر ضمير ما تقدّم، أي: هذا المتلوُّ من القرآن الذي هذه الحروف أوّله وفاتحته يُذَكِّر رحمةَ ربك. . . وعلى هذا أيضاً يرتفع قوله: (ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ)، أي هذا القرآن ذكر رحمة ربك. وإن شئت كان تقديره: مما يُقصُّ عليك، أو يُتلى عليك ذكرُ رحمة ربِّك عبدَه زكرياء».

﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً ﴾ أي: دعاء لا رياء فيه، في تفسير الحسن. وقال قتادة: خفياً: سرّاً.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي ﴾ أي: ضعفت العظام مني، في تفسير قتادة. وقال الحسن: ضعف. قال يحيى: ضعف العظم مني: رقّ.

قال: ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَم أَكُنْ بِدُعَائِكَ ﴾ أي: لم أكن بدعائي إياك ﴿ رَبِّ شَقِيّاً ﴾. يقول: لم أزل بدعائك سعيداً لم ترده عليّ. وقال الكلبي: لم يكن دعائي مما يخيب عندك.

قوله: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ المَـوْلِيَ ﴾ أي الورثة من بعدي، يعني العصبة وهو تفسير السدي، الذين يرثون ماله. فأراد أن يكون من صلبه من يرث نبوّته[1] في تفسير قتادة، ويرث ماله. وتفسير الحسن: يرث علمه ونبوّته.

سعيد قال قتادة: قال رسول الله ﷺ: رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثة[2]. وحدثنا المبارك بن فضالة والحسن بن دينار عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثة[2].

قوله: ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً ﴾ أي: لا تلد ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ ملكهم وسلطانهم[3]. كانت امرأة زكرياء من ولد يعقوب؛ ليس يعني يعقوب الأكبر، إنما يعني يعقوب دونه. ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً ﴾.

---

(1) جاء في سع، 21 ط: «يرث ماله في تفسير قتادة ويرث ماله». ولعله سهو من الناسخ لم يُصحَّح، فأثبت ما رأيته صواباً إن شاء الله تلافياً للتكرار.

(2) هكذا في سع ورقة 21 ط: «ما كان عليه من ورثته». وفي تفسير ابن كثير: «من وراثة ماله». وهما حديثان مرسلان أخرجهما ابن جرير وابن أبي حاتم، وقال عنهما ابن كثير: «وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح والله أعلم». والقول الراجح الذي عليه بعض المحققين أنه يقصد وراثة نبوّة وعلم وأخلاق.

(3) من هنا تبتدىء مخطوطة بن يسجـن، ب، أما مخطوطة العطف فلا تبتدىء إلا فيما يلي، عند تفسير قوله تعالى: (قَالَتِ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً) بعد حوالي صفحتين.

فأوحى الله إليه: ﴿ يَـٰزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ﴾ أي: أحياه الله بالإيمان.

قوله: ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً ﴾ أي: لم نسمّ به أحداً قبله يحيى. وقال ابن عباس: لم تلد العواقر مثله، يقول: سمياً يساميه، [أي] نظيراً له في ذلك.

قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ ﴾ أي: من أين يكون لي غلام ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً ﴾ لا تلد ﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عُتِيّاً ﴾. قال الحسن: أراد زكرياء أن يعلم كيف ذلك.

قوله: (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عُتِيّاً) قال مجاهد: قحول العظم[1]. وقال الكلبي: العتي: اليبس وهي في قراءة عبد الله بن مسعود: (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِـيّاً)[2]. قال بعضهم: يبس جلدي على عظمي. وقال بعضهم: (عُتِيّاً)، أي غاية ومنتهى.

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ الله يقوله. وهو كلام موصول؛ أخبره المَلَك عن الله أني أعطيك هذا الولد. ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ زكرياء ﴿ رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيّاً ﴾ أي صحيحاً. أي لا يمنعك من الكلام مَرَض.

قال بعضهم: إنما عوقب لأنه سأل الآية بعدما شافهته الملائكة مشافهة، فبشّرته بيحيى عليه السلام، فأُخِذَ عليه لسانه فجعل لا يفيض الكلام، أي لا يبين الكلام إلا

---

(1) في ب، وفي تفسير الطبري، وفي الدر المنثور: «نحول العظم»، بالنون، وأصحّ منه ما أثبته: «قحول العظم» بالقاف، وهو ما ورد في سع ورقة 21 ظ، وفي زاد المسير لابن الجوزي، ج 5 ص 211. وكان هذا تفسير لقوله: (إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي). يقال: قحل الشيخ: «إذا التزق جلده على عظمه من الهزال والبلى». انظر اللسان: (قحل).

(2) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 162: «وقرأ ابن عباس (عُسِيّاً) وأنت قائل للشيخ إذا كبر: قد عثا وعسا، كما يقال للعود إذا يبس.

ما أومأ إيماء، وهو قوله تعالى: ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً ﴾ [آل عمران: ٤١].

قوله: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ﴾ قال الحسن: من المسجد ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: أومأ إليهم. وقال مجاهد: أشار إليهم ﴿ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴾ قال الحسن: أي: صلوا لله بالغداة والعشي.

قوله: ﴿ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ أي: بجدّ. ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾ أي: الفهم والعقل. وبلغنا أنه كان في صغره يقول له الصبيان: يا يحيى تعال نلعب؛ فيقول: ليس للعب خُلِقنا.

قوله: ﴿ وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا ﴾. قال مجاهد: تعطُّفاً عليه من ربه. وقال الحسن وقتادة: الحنان الرحمة، وهو واحد.

قوله: ﴿وَزَكَـوٰةً﴾. قال: الزكاة العمل الصالح. وهو قوله في سورة طَهَ: ٧٦: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴾. وقال الحسن: زكاة لمن قُبِل عنه حتى يكونوا أزكياء. وقال الكلبي: الزكاة الصدقة.

قوله: ﴿ وَكَانَ تَقِيّاً ﴾ ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ما من آدمي إلا قد عمل خطيئة أو همّ بها غير يحيى بن زكرياء(1).

قوله: ﴿ وَبَرّاً بِوَٰلِـدَيْهِ﴾ [يعني مطيعاً لوالديه](2) ﴿ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً ﴾ أي مستكبراً عن عبادة الله وطاعته.

﴿ وَسَلَـٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً ﴾ ذكر الحسن أن يحيى وعيسى التقيا فقال له عيسى: استغفر لي، أنت خير مني، فقال له يحيى: استغفر

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 6 ص 377 (ط. دار المعارف)، وبزيادة ننزه مقام الأنبياء عنها. ورواه مرة أخرى في ج 16 ص 58 بدون زيادة، كما أخرجه ابن أبي حاتم، كلاهما يرويه من طريق سعيد بن المسيب عن ابن العاص مرفوعاً وموقوفاً. وانظر تفسير ابن كثير ج 4 ص 35.
(2) زيادة من سع، ورقة 21 ظ.

لي، أنت خير مني. فقال له عيسى: أنت خير منّي: سلّمتُ على نفسي، وسلّم الله عليك. قال الحسن: عرف واللّهِ فضلَه. وإنما يعني بقوله: سلّم الله عليك قوله تعالى في يحيى: (وَسَلَـٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً). وقال عيسى: (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وَجَعَلَنِي مُبَـٰرَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ. . .) إلى قوله: (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً) [مريم: ٣٣].

قوله: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَـٰبِ مَرْيَمَ ﴾ يقول للنبي عليه السلام: اقرأ عليهم أمر مريم ﴿ إِذِ انْتَبَذَتْ ﴾ يعني إذ انفردت ﴿ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ يعني جبريل ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾ أي سوي الخلق. أرسل إليها جبريل في صورة آدمي.

وقال الكلبي: كان زكرياء كفل مريم، وكانت أختها تحته[1]. وكانت تكون في المحراب. فلما أدركت كانت إذا حاضت أخرجها إلى منزله، إلى أختها. فإذا طهرت رجعت إلى المحراب. فطهرت مرة، فلما فرغت من غسلها قعدت في مشرقة[2] في ناحية الدار وعلّقت عليها ثوباً سترة. فجاء جبريل إليها في ذلك الموضع. فلما رأته ﴿ قَالَتْ ﴾ له: ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ﴾ أي: إن كنت للّه تقياً فاجتنبني. ﴿ قَالَ ﴾ يعني جبريل قال: ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰماً زَكِيّاً ﴾ أي: صالحاً.

---

(1) في ب و ع: «وكانت خالتها تحته»، وفي سع 22 و: «وكانت أختها تحته». وهذا راجع إلى اختلاف المؤرخين والمفسرين حول امرأة زكرياء هل كانت أختاً أو خالة لمريم. أما الطبري فيروي في تاريخه ج 1 ص 585 قائلاً: «. . . فلما ولدت مريم كفلها زكرياء بعد موت أمها، لأن خالتها، أخت أمها، كانت عنده. واسم أم مريم حنة بنت فاقود بن قبيل، واسم أختها أم يحيى الاشباع ابنة فاقود».

(2) كذا في ب وفي ز ورقة 201: «مشرقة» وفي سع مشرفة، وفي ع: شرقة، والصحيح ما جاء في ب وز وع: مشرقة أو شرقة. وفيما جاء في سع تصحيف. والمشرُقة هو موضع القعود للشمس، و «خصّ بعضهم به الشتاء». وقال الفراء: «يقال: في مشرُقة دار أهلها». انظر اللسان (شرق).

﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ ﴾ أي من أين يكون لي غلام. وقال بعضهم: كيف يكون لي غلام ﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً ﴾ أي: ولم أك زانية. ﴿ قَالَ: كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ أن أخلقه ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ أي: لمن قبل دينه. قال: ﴿ وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً ﴾ أي: كائناً. [قال بعضهم: يعني كان عيسى أمراً من الله مكتوباً في اللوح المحفوظ أنه يكون [1]. فأخذ جبريل جيبها بأصبعه فنفخ فيه فسار[2] إلى بطنها فحملت.

قال تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ ﴾ قال الحسن: تسعة أشهر في بطنها. وقال بعضهم في قوله: (فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً) أي: سترة من الأرض بينها وبينهم. ﴿ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ﴾ أي منتحياً. أي: انفردت به مكاناً شاسعاً منتحياً.

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ قال مجاهد: فألجأها المخاض[3] ﴿ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا ﴾ قال الحسن: مما خشيت من الفضيحة. ﴿ وَكُنْتُ نِسْياً ﴾ لا أذكر ﴿ مَّنْسِيّاً ﴾ أي: لم أذكر.

وقال بعضهم: شيئاً لا يعرف ولا يذكر. وذكر بعضهم فقال: حيضة نسيتها. وقال بعضهم: المرأة النسوء[4]. وقال الكلبي: (نِسْياً مَّنْسِيّاً) قال القوم ينزلون المنزل

(1) زيادة من سع ورقة 22 و، ومن ز ورقة 202.

(2) كذا في ب وع: «فسار»، وفي سع وز: «فصار».

(3) كذا في ب وفي تفسير مجاهد ص 385. وأصحّ منه اشتقاقاً وأدق تفسيراً ما أورده الفراء في المعاني ج 2 ص 164 قال: (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ) من جئت، كما تقول: فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة. فلما ألقيت الباء جعلت في الفعل ألفاً؛ كما تقول: آتيتك زيداً تريد: أتيتك بزيد. ومثله (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ) فلما ألقيت الباء زدت ألفاً، وإنما هو ائتوني بزبر الحديد». وقد نقل الطبري في تفسيره ج 16 ص 63 هذا الشرح اللغوي وذكر نفس الأمثلة والشواهد، ولكنه لم ينسب الشرح إلى صاحبه.

(4) في سع ورقة 22 و: «قال حماد: النسوء التي يُظَنّ بها حمل فلا يكون كذلك». وأصل الكلمة من نسأ، لا من نسي.

ثم يرحلون فينسون الشيء، فيسمّى ذلك الشيء النسيَ.

قوله: ﴿ فَنَادَيٰهَا مِنْ تَحْتِهَا ﴾ أي: الملَك، يعني جبريل. وقوله: تحتها، أي تحتها من الأرض. وقال بعضهم: (فَنَادَيٰهَا مَنْ تَحْتَهَا) يعني عيسى. ﴿ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ﴾.

ذكروا عن البراء بن عازب قال: هو الجدول. وقال بعضهم: السري هو الجدول، وهو النهر [الصغير]، وهو بالسريانية: سري[1].

قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ﴾ وهي تقرأ: تَساقط ويُساقط. فمن قرأها يساقط يقول: يساقط عليك الجذع. وكان جذع النخلة يابساً وكان آية. ومن قرأها تساقط بالتاء فهو يقول: تساقط عليك النخلة رطباً جنياً. [أي حين اجتني][2].

قوله: ﴿ فَكُلِي ﴾ أي من الرطب ﴿ وَاشْرَبِي ﴾ أي من الجدول ﴿ وَقَرِّي عَيْناً[3] فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْماً ﴾ قال بعضهم: كانت تقرأ في الحرف الأول: صمتاً. وذكروا عن أنس بن مالك أنه كان يقرأها صوماً صمتاً[4].

﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً ﴾ قال بعضهم: بلغني أنه أذن لها في هذا الكلام[5].

---

(1) تفسير السري بالجدول هو ما ذهب إليه الجمهور، وبعض المفسرين ذهب إلى أن السري يعني السيد الكريم المحمود الخصال.

(2) زيادة من سع ورقة 220 و ومن ز ورقة 202.

(3) في المخطوطات اضطرب في العبارة وتقديم وتأخير أرجعت كل كلمة إلى ما يناسبها من التفسير.

(4) كذا في سع و ب: «صوما صمتاً»، وفي ع: «صوما وصمتاً». وقد وردت الرواية بالواو وبدونه في بعض التفاسير، ونسبت هذه القراءة أيضاً إلى أبي بن كعب.

(5) كذا في سع و ز، وفي ع و ب: «لم يؤذن لها في الكلام، والصحيح ما أثبته كما جاء في سع و ز، كأنه يقول: لم يؤذن لها إلا في هذا الكلام».

وقال بعضهم: إنما كانت آية جعلها الله لها يومئذ. وإن شئت رأيت امرأة سفيهة تقول: أصوم صوم مريم ولا تتكلم في صومها[1].

قوله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ﴾ أي أتيت شيئاً عظيماً.

﴿ يَـٰأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ ﴾ أي: رجل سوء، يعني ما كان أبوك زانياً. ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ﴾ أي: ما كانت أمك زانية.

قال بعضهم: ليس بهـٰرون أخي موسى، ولـٰكنه هـٰرون آخر كان يسمى هـٰرون الصالح المحبّب في عشيرته[2]. ذكر لنا أنه اتبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم يسمى هرون من بني إسرائيل. أي: فقالوا لها: يا شبيهة هرون في عبادته وفضله ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً.

قوله: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ أي: بيدها. قال بعضهم: أي أمرتهم بكلامه. ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ ﴾ أي من هو ﴿ فِي المَهْدِ صَبِيّاً ﴾. قال بعضهم: المهد هو الحجر[3].

﴿ قَالَ ﴾ عيسى ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَيْـٰنِيَ الكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وَجَعَلَنِي مُبَـٰرَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾. قال بعضهم: جعلني معلماً ومؤدباً.

ولا أحد أيمن ولا أعظم بركة من المعلم المؤدب، الفقيه العالم؛ يعلّم الناس

(1) كذا وردت العبارة في سع، وفي ب وع: «وإذا رأيت امرأة سفيهة. . .»، وكلتا العبارتين لا تفيدان معنى واضحاً. وأوضح منهما ما جاء في تفسير الطبري ج 16 ص 75 منسوباً إلى قتادة في قوله: (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْماً) قال: «في بعض الحروف صمتاً. وذلك أنك لا تلقي امرأة جاهلة تقول: نذرت كما نذرت مريم ألّا تكلم يوماً إلى الليل. وإنما جعل الله تلك آية لمريم ولابنها. ولا يحل لأحد أن ينذر صمت يوم إلى الليل».

(2) كذا في سع، وفي ب وع: «المصلح المخبت في عشيرته».

(3) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 167: «ويقال: إن المهد حِجرها وحَجرها، ويقال: سريره، والحِجر أجود».

الحكمة ويؤدّبهم عليها، ويفقههم فيها. فمقامه مقام الأنبياء، وحقّه حق الأصفياء، وما يفضلهم الأنبياء إلا بالرسالة[1].

﴿ وَأَوْصَـٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيّاً وَبَرّاً بِوَٰلِـدَتِي ﴾ أي: وجعلني برّاً بوالدتي. ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً ﴾ أي: مستكبراً عن عبادة الله[2]، ولم يجعلني ﴿ شَقِيّاً وَالسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ﴾. ولم يتكلم بعد ذلك بشيء حتى بلغ مبلغ الرجال.

قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلُ الْحَقِّ ﴾ قال الحسن: الحق هو الله[3]؛ وهو قوله: (قَوْلُهُ الْحَقُّ) [الأنعام: ٧٣] ﴿ الذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾.

قال بعضهم: امترت فيه اليهود والنصارى؛ أما اليهود فزعموا أنه ساحر كذاب، وأما النصارى فزعموا أنه ابن الله، وثالث ثلاثة، وإلـه.

قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَّلَدٍ سُبْحَـٰنَهُ ﴾ ينزه نفسه عما يقولون. ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾. [يعني عيسى، كان في علمه أن يكون من غير أب][4].

قوله: ﴿وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِـرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ هذا قول عيسى لهم.

(1) هذه الفقرة من زيادات الشيخ هود الهواري؛ وهذا كلام عالم مجرّب عارف بمقام العلماء المتّقين المخلصين الذين هم بحق ورثة الأنبياء. فتأمل كلامه فإنه نفيس. عسى الله أن ينفعنا به وإياك، ويفقهنا في ديننا، ويوفقنا إلى العمل بما في كتابه، وسنة نبيه عليه السلام، لإعلاء كلمة الله، ونشر دينه، وتعليم الناس الخيرَ. وهذا يبيّن لنا جانباً من جوانب شخصية الشيخ هود العلمية، فهو يجلّ العلماء والعاملين المخلصين.

(2) كذا في المخطوطات وفي سع. وقال الفراء: «الجبّار الذي يقتل على الغضب ويضرب على الغضب».

(3) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 168: «والحق في هذا الموضع يراد به الله. ولو أريد به قول الحق، فيضاف القول إلى الحق، ومعناه القول الحق كان صواباً. كما قيل: (إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) [الواقعة: ٩٥]، فيضاف الشيء إلى مثله...»

(4) زيادة من سع، ورقة 22 ظ. والقول للسدي.

ذكر جماعة من العلماء في عيسى بن مريم أن مريم لم تلد من فرجها، وإنما كان خروجه من الخاصرة. وبعضهم يقول: من تحت إبطها، والله أعلم[1].

قوله: ﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

قال بعضهم: ذكر لنا أن عيسى لما رُفع انتخبت بنو إسرائيل أربعة من فقهائهم فقالوا للأول: ما تقول في عيسى؟ قال: هو الله، هبط إلى الأرض فخلق ما خلق، وأحيى ما أحيى، ثم صعد إلى السماء. فتابعه على ذلك أناس من الناس. فكانت اليعقوبية من النصارى. فقال الثلاثة الآخرون: نشهد أنك كاذب. فقالوا للثاني: ما تقول في عيسى؟ قال: هو ابن الله. فتابعه على ذلك أناس من الناس، فكانت النسطورية من النصارى. فقال الاثنان: نشهد أنك كاذب. فقالوا للثالث: ما تقول في عيسى؟ فقال: هو إله، وأمه إله، والله إله. فتابعه أناس من الناس، فكانت الإسرائيلية من النصارى. فقال الرابع: أشهد أنك كاذب، أشهد أنك كاذب، ولكنه عبد الله ورسوله، من كلمة الله وروحه. فاختصم القوم؛ فقال المسلم: أناشدكم الله، هل تعلمون أن عيسى كان يأكل الطعام وأن الله لا يطعم الطعام؟ فقالوا: اللهم نعم. فقال: هل تعلمون أن عيسى كان ينام، وأن الله لا ينام؟ قالوا: اللهم نعم، فخصمهم المسلم، فاقتتل القوم. فذكر لنا أن اليعقوبية ظهرت يومئذ وأصيب المسلمون، فأنزل الله تعالى: (إِنَّ الذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَـٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّـنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [آل عمران: ٢١]. قال تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ).

قوله: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ أي يوم القيامة، أي: ما أسمعهم يومئذ وما أبصرهم! أي: سمعوا حين لم ينفعهم السمع، وأبصروا حين لم ينفعهم

(1) هذا غير وارد في سع ولا في ز، ويبدو أنه من زيادة بعض النساخ المولعين برواية غرائب الإسرائيليات.

البصر[1]. قال تعالى: ﴿ لَـٰكِنِ الظَّـٰلِمُونَ ﴾ يعني المشركين والمنافقين ﴿ الْيَوْمَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

قوله: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ ﴾. ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه ذكر حديثاً في البعث فقال: فليس من نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة وبيت في النار، فيقال لصاحب النار: هذا منزلك لو أطعت الله[2]، فتأخذه الحسرة. ويقال لصاحب الجنة: هذا منزلك، لولا أن الله منّ عليك؛ فهو قوله: (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ).

وذكروا عن بعض أصحاب النبي عليه السلام أنه قال: يجاء بالموت في صورة كبش أملح أبلق ـ وهو الذي يخالط بياضَه شيءٌ من سواد[3] ـ حتى يجعل على سور بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة ويا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ هذا الموت[4]. فيقولون: نعم، فيذبح على السور وهم ينظرون. ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. فهو قوله عز وجل: (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ).

ذكروا عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ينادي مناد: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، وكل خالد فيما هو فيه[5].

---

(1) في ب وفي ع جاءت العبارة هكذا: «سمعوا حيث لا ينفعهم السمع وأبصروا حيث لا. . .» وأثبت ما جاء في سع 22 ط، وفي ز ورقة 203، فهو أصح وأبلغ.

(2) كذا في ب و ع، وفي سع ورقة 22 ظ: «فيرى أهل النار البيت الذي في الجنة، قال: ثم يقال: لو عملتم فتأخذهم الحسرة».

(3) هذا الشرح اللغوي لكلمة أبلق انفردت به مخطوطة ب، وكأنها زيادة من ناسخ.

(4) في ع: «هذا ملك الموت» وهو خطأ انفردت به هذه المخطوطة، ولم أجده في تفسير.

(5) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه البخاري عن ابن عمر في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء عن أبي سعيد (رقم 3849) وعن ابن عمر (رقم 2850)، وأخرجه الترمذي وابن ماجه بألفاظ أكثر تفصيلاً.

قوله: ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ أي في الدنيا. وهذا كلام مستقبل ﴿ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يعني المشركين.

قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ أي: نهلك الأرض ومن عليها ﴿ وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ أي يوم البعث.

قوله عز وجل: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أي: اذكر لأهل مكة أمر إبراهيم واقرأه عليهم. ﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ﴾ يعني الأصنام.

﴿ يَـٰأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴾ يعني النبوّة. ﴿ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَٰطاً سَوِيّاً ﴾ أي: عدلاً، وهو الإسلام، أي: طريقاً مستقيماً إلى الجنة.

﴿ يَـٰأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَـٰنَ إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيّاً ﴾ أي: إن عبادة الوثن عبادة الشيطان، لأن الوثن لم يدعه إلى عبادة نفسه، ولكن الشيطان دعاه إلى عبادته. كقوله: (إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَـٰثاً) إلا أمواتاً، شيئاً ليس فيه روح، (وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰناً مَّرِيداً ﴾ [النساء: ١١٧].

قوله: ﴿ يَـٰأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيّاً ﴾ أي: إذا نزل بك العذاب لم تقبل توبتك، وما لم ينزل بك العذاب فتوبتك مقبولة إن تبت. وقد كان إبراهيم يرجو أن يتوب أبوه. فلما مات على الكفر ذهب ذلك الرجاء.

قوله ﴿ قَالَ: أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰإِبْرَٰهِيمُ ﴾ أن تعبدها. ﴿ لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ ﴾ أي: عن شتمها وذمها ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ أي بالحجارة فأقتلنك بها ﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً ﴾ أي واهجرني سالماً. قال مجاهد: واهجرني حيناً. وقال الحسن: واهجرني طويلاً، أي: أطل هجراني.

﴿ قَالَ: سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ﴾. قال الحسن: وهذه كلمة حِلم. ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴾ أي: بدعائي فلا يرده عليّ. وفي تفسير الكلبي: إنه كان بي

رحيماً. وقال بعضهم: كان بي لطيفاً. وقال بعضهم: الحفي: ذو المنزلة[1]. وأما قوله: (سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيَ) فهو كقوله: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ) [التوبة: ١١٤].

قوله: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ يعني أصنامهم ﴿ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً ﴾ أي: عسى أن أسعد به.

قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيّـاً﴾ أي إبراهيم وإسحـٰق ويعقوب.

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّنْ رَحْمَتِنَا ﴾ أي: النبوة ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً ﴾ أي: سنة يَقتدي بها من بعدهم، ويثني عليهم من بعدهم. كقوله عز وجل: (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ) [الشعراء: ٨٤] أي: الثناء الحسن. وهو قوله: (وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) [العنكبوت: ٢٧] أي: أبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين.

قوله: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَـٰبِ مُوسَىٰ ﴾ [يقول اذْكُرْ لِأَهْلِ مَكَّةَ أَمْرَ مُوسَىٰ]، أي: اقرأه عليهم. ﴿ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً وَنَادَيْنَـٰهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ ﴾ أي: أيمن الجبل، وهو كقوله: (فَلَمَّا أَتَيٰهَا نُودِيَ يَـٰمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ) [سورة طَه: ١١ ـ ١٢] قوله: ﴿ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيّاً ﴾ أي: حين كلّمه الله. ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيّـاً ﴾ أي: جعله الله وزيراً وأشركه معه في الرسالة.

قوله عز وجل: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ﴾ أي: اقرأ عليهم أمر إسماعيل ابن إبراهيم ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّـاً﴾ ذكروا أن إسماعيل وعد رجلاً موعداً فجاء الموعد فلم يجد الرجل، فأقام في ذلك الموضع حولاً ينتظره[2].

(1) انفردت بهذا القول مخطوطتا ب و ع؛ ولم أفهم له وجهاً ولم أجد في كتب التفسير معنى يشبهه. والصحيح أن الحفي هو «المبالغ في البر والإلطاف».

(2) هذا قول ابن عباس. وقال الرقاشي: اثنين وعشرين يوماً. وقال مقاتل: ثلاثة أيام. وقال الطبري رواية عن سهل بن عقيل: يوماً وليلة.

قوله: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ ﴾ وأهله قومه. ﴿ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً ﴾ أي: قد رضي عنه.

قوله: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياً وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾، قال بعضهم: في السماء الرابعة. ذكروا عن مجاهد أنه قال: لم يمت، رفع كما رفع موسى[1].

قوله عز وجل: ﴿ أُولَـٰئِكَ الذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ ﴾ أي: أنعم الله عليهم بالنبوة، يعني من ذكر منهم من أول السورة إلى هذا الموضع. ﴿ مِنْ ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ أي: ذرّيّة من كان في السفينة مع نوح. كان إدريس من ولد آدم قبل نوح، وكان إبراهيم من ذرية نوح.

قال عز وجل: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰئِيلَ ﴾ وهو يعقوب، وهو من ذرية إبراهيم. وقد ذكر فيها من كان من ولد يعقوب. قال عز وجل: ﴿ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا ﴾ للإيمان ﴿ وَاجْتَبَيْنَا ﴾ بالنبوة. وتفسير اجتبينا: اخترنا، وهو أيضاً اصطفينا. ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ الرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً ﴾.

قوله: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خلْفٌ ﴾ يعني اليهود ﴿ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾ وقال في سورة النساء: (وَيُرِيدُ الذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً) [النساء: ٢٧] أي: تخطئوا خطأً كبيراً، يعني اليهود في نكاح بنات الأخ. وقال بعضهم: يعني المنافقين، أهل التضييع للصلاة[2].

(1) روى الفراء ـ على غير ما عهدنا منه ـ خبراً غريباً في ج 2 ص 170 من المعاني فقال في تفسير الآية: «ذكر أن إدريس كان حُبِّبَ إلى ملك الموت حتى استأذن ربّه في خُلّته. فسأل إدريس ملكَ الموت أن يريَه النار، فاستأذن ربَّه فأراها إياه، ثم استأذن ربّه في الجنة فأراها إياه فدخلها. فقال له ملك الموت: اخرج، فقال: والله لا أخرج منها أبداً. لأن الله قال: (وَإِن مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) فقد وردتها، يعني النار، وقال: (وَما هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ) فلست بخارج منها إلا بإذنه. فقال الله: بإذني دخلها فدعه، فذلك قوله: (وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً)». وهذا من نسيج خيال القصاص ومن قبيل الإسرائيليات التي كان لها سوق رائجة في ذلك العهد.

(2) هذا القول الأخير أقرب إلى حقيقة التأويل. وهو يصدُق على كثير ممّن ينتمي إلى الإسلام =

قال عز وجل: ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾. ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: هو واد في جهنم بعيد القعر، خبيث الطعم.

قوله: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَأُولَـٰئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً ﴾ أي: ولا ينقصون من حسناتهم شيئاً.

قال عز وجل: ﴿ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ﴾ ذكروا عن ابن عباس قال: عدن بطنان الجنة، وبلغنا أن الجنان تنسب إليها، وقال الحسن: عدن اسم من أسماء الجنة.

قوله: ﴿ التِي وَعَدَ الرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُ بِالغَيْبِ ﴾ أي: وعدهم في الدنيا الجنةَ في الآخرة، والغيب: الآخرة في قول الحسن. وقال بعضهم في قوله عز وجل: (يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ) [البقرة: ٣] أي: بالبعث وبالحساب. وبالجنة وبالنار. وهذا كله غيب.

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَاتِيّاً ﴾ أي: جائياً[1].

قوله: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا ﴾ أي في الجنة ﴿ لَغْواً ﴾ قال بعضهم: كذباً. وقال بعضهم: باطلاً، وقال بعضهم: معصية، وهو نحو واحد. وقال بعضهم: حَلِفاً، أي: إذا شربوا الخمر، كما يحلف أهل الدنيا إذا شربوا.

قوله عز وجل: ﴿ إِلَّا سَلَـٰماً ﴾ أي: إلا خيراً. وقال بعضهم: يسلم بعضهم على بعض.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴾ قال بعضهم: ولهم رزقهم فيها كل ساعة، والبكرة والعشي ساعتان من الساعات، وليس ثمَّ ليل، وإنما هو ضوء ونور.

= اليوم، الذين أضاعوا الصلاة إما بتأخيرها عن أوقاتها، كما ذهب إلى ذلك ابن مسعود في تأويل الآية، وإما بترك الصلاة. كما رجحه الطبري. وأغلب الذين يُضيعون الصلاة هم الذين يتّبعون الشهوات.

(1) كذا في المخطوطات، وقال الفراء: «ولم يقل: آتيا. وكل ما أتاك فأنت تأتيه؛ ألا ترى أنك تقول: أتيت على خمسين سنة، وأتت عليّ خمسون سنة، وكل ذلك صواب».

قال بعضهم: بلغنا أنه يعني ساعتِي الغداء والعشاء، وليس ثمّ بكرة ولا عشية، قال: وبلغنا أنه إذا مضى ثلاث ساعات أتوا بغدائهم، وإذا انقضت[1] ثلاث ساعات أتوا بعشائهم. ومقدار النهار اثنتا عشرة ساعة في عدد نهار الدنيا.

ذكروا عن سعيد بن المسيّب قال: قال رسول الله ﷺ: الجنة بيضاء تتلألأ، وأهلها بيض، لا ينام أهلها، وليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل يظلم ولا حر ولا برد يؤذيهم[2].

ذكر الحسن قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة آخرهم دخولاً، فيقال له: انظر ما أعطاك الله. فيفسح له في بصره، فينظر إلى مسيرة مائة سنة كله له. ليس فيه موضع شبر إلا وهو عامر قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ والياقوت. فيها أزواجه وخدمه، يغدى عليه كل يوم بسبعين ألف صحفة من ذهب، ويراح عليه بمثلها، في كل واحدة منها لون ليس في الأخرى؛ يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، لو نزل به الجن والإنس في غداء واحد، أو قال: في غداة واحدة، لأوسعهم، ولا ينقص ذلك مما عنده شيئاً.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده إن أسفل أهل الجنة منزلة الذي يسعى بين يديه سبعون ألف غلام، ما منهم غلام إلا وبيده صحفة من ذهب فيها لون من الطعام ليس في صاحبتها مثله، يجد طعم أولها كله وآخرها ويجد لذة آخرها كطعم أولها لا يشبه بعضها بعضاً. ثم قال: ألا تسألوني عن أرفع أهل الجنة درجة؟ قالوا: بلى. قال: والذي نفسي بيده إن أرفع أهل الجنة درجة للذي يسعى عليه مائة ألف غلام[3]، ما منهم غلام إلا وبيده صحفة من ذهب فيها لون من الطعام ليس في صاحبتها مثله، ويجد طعم أولها كما يجد طعم آخرها، لا يشبه بعضها بعضاً. وإن أدنى أهل الجنة منزلة للذي له مسيرة ألف سنة، ينظر إلى أقصاها كما ينظر إلى

(1) كذا في ع و ب: «وإذا انقضت» وهو الصحيح، وفي سع ورقة 23 ظ: «فإذا بقيت».
(2) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من المصادر.
(3) كذا في ع وفي ب، وفي سع: «سبعمائة ألف غلام».

أدناها، وقصوره درة بيضاء وياقوتة حمراء، مطردة فيها أنهارها، وفيها ثمارها متدلية[1].

قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الجَنَّةُ ﴾ أي التي وصف ﴿ التِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً ﴾. ذكر بعضهم قال: إن الله تبارك وتعالى قال: ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم.

قوله: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ قال بعضهم: هذا قول جبريل عليه السلام. احتبس عن النبي عليه السلام في بعض الوحي، فقال نبي الله عليه السلام: ما جئت حتى اشتقت إليك. فقال جبريل: (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ)[2].

﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ من أمر الآخرة. ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ أي من أمر الدنيا، أي: إذا كنا في الآخرة ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ من أمر الدنيا والآخرة. وقال الكلبي: هو البرزخ، يعني ما بين النفختين. قوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴾ ولكن الأمر إليه ليس إلينا[3].

﴿ رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِ ﴾ قال الحسن: أي: لما فرض عليك. قوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾ أي: هل تعلم له عدلاً، أي من قبل المساماة.

ذكروا عن الحسن قال: الله والرحمٰن اسمان ممنوعان لم يستطع أحد من

(1) أخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني، واللفظ له، عن أنس ابن مالك. وقال الحافظ المنذري: رواته ثقات.

(2) أورد عكرمة وقتادة والضحاك والكلبي هذا الخبر بلفظ: قال رسول الله ﷺ: أبطأت عليّ حتى ساء ظني وحتى اشتقت إليك. وأخرج البخاري في كتاب التوحيد، باب: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: يا جبريل، ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا، فنزلت: (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ) انظر السيوطي، الدر المنثور، ج 4 ص 278، وتفسير القرطبي ج 11 ص 128 - 129.

(3) وردت هذه العبارة في ب و ع دون سع و ز. وهذا يدل على أن المخطوطات ليست واحدة.

الخلق أن ينتحلها. وقوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾ على الاستفهام أي: إنك لا تعلمه. أي: لا سمي يخلق كخلقه، ويرزق كرزقه. وهو من باب المساماة.

قوله: ﴿ وَيَقُولُ الإِنْسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً ﴾ هذا المشرك يكذب بالبعث. وقد ذكروا أنه قول أُبَيّ بن خلف للنبي عليه السلام حيث جاءه بعظم نخر ففتّه بيده ثم قال: يا محمد، أيحيي الله هذا؟ وتفسيره في سورة يسٓ.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الإِنْسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً ﴾ أي: فالذي خلقه ولم يكن شيئاً قادر على أن يبعثه يوم القيامة. ثم أقسم بنفسه فقال:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ وَالشَّيَـٰطِينَ ﴾ الذين دعتهم إلى عبادة الأوثان. ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جُثِيّاً ﴾ أي على ركبهم[1]. وهذا قبل دخولهم النار. وقال بعضهم: جثياً، أي: جماعة جماعة. وقال الكلبي: جميعاً، كل أمة على حدتها.

قوله: ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ أي: من كل أمة. قال الحسن: يعني كفارها. ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَـٰنِ عُتِيّاً ﴾ أي: كفراً. وقال الحسن: شدة في المساءة. وقال الكلبي: أشد معصية.

ذكر بعضهم قال: إذا كان يوم القيامة قال الجبار: (لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ) فلا يجيبه أحد، فيرد على نفسه: (للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ اليَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ اليَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ) [غافر: ١٦ - ١٧]. ثم أتت عنق من النار تسمع وتبصر وتتكلم حتى إذا أشرفت على رؤوس الخلائق، نادت بصوتها[2]: ألا إني قد وكلت بثلاثة، ألا إني قد وكلت بثلاثة: بمن ادعى مع الله إلـٰهاً آخر، أو قال: بمن جعل مع الله إلـٰهاً آخر، وبمن ادعى لله ولداً، وبمن زعم أنه العزيز الحكيم. ثم

---

(1) هذا هو القول الراجح، وهو جمع جاث، كما أن «بُكِيّاً» جمع باك. قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 9: «خرّج مخرج فاعل، والجميع فعول، غير أنهم لا يدخلون الواو في المعتل».

(2) في ب و ع: «أشرفت على النار قالت بصوتها». والصحيح ما أثبته من سع ورقة 27 و.

صوبت رأسها وسط الخلائق فالتقطتهم كما يلتقط الحمام حب السمسم، ثم غاصت بهم فألقتهم في النار.

ثم عادت حتى إذا كانت مكانها نادت: إني قد وكلت بثلاثة، إني قد وكلت بثلاثة: بمن سبّ الله، وبمن كذب على الله، وبمن آذى الله. فأما الذي سبّ الله فالذي زعم أن الله اتّخذ صاحبة وولداً، وهو أحد صمد ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٣ ـ ٤]. وأما الذي كذب على الله فهم الذين قالوا: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَـٰذِبِينَ ﴾ [النحل: ٣٨، ٣٩]. وأما الذي آذى الله فالذي يصنع الصورة. فتلتقطهم كما يلتقط الطير الحب، حتى تغيض بهم في جهنم.

وقال بعضهم: تندلق عنق من النار[1] فتقول: أمرت بثلاثة: بالذين كَذَّبوا الله، وبالذين كَذَبُوا على الله، وبالذين آذوا الله. فأما الذين كذّبوا الله فالذين كذبوا رسله وكتبه، وأما الذين كَذَبوا على الله فالذين زعموا أن له ولداً، وأما الذين آذوا الله فالمصوّرون.

قوله: ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالذِينَ هُمُ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيّاً ﴾، يعني الذين يصلونها. وقال بعضهم: أشد عذاباً.

قوله: ﴿ وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴾ يعني قسماً كائناً[2].

ذكروا عن ابن مسعود أنه قال في تفسيرها: الصراط على جهنم مثل حد

---

(1) في ب و ع: «تنزل عنق من النار»، وفي الكلمة تصحيف صوابه ما أثبته: «تندلق» أي تخرج بسرعة والعُنُق من النار: القطعة منها.

(2) كذا في المخطوطتين وفي سع: «قسماً كائناً». وفي تفسير الطبري ج 16 ص 108: ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ ﴾ يا محمد إيرادهموها قضاء ﴿ مَقْضِيّاً ﴾ قد قضى ذلك وأوجبه في أم الكتاب».

السيف، والملائكة معهم كلاليب من حديد، كلما وقع رجل منهم اختطفوه. قال: فيمر الصنف الأول كالبرق، والثاني كالريح، والثالث كأجود الخيل، والرابع كأجود البهائم. والملائكة يقولون: اللهم سلّم سلّم.

ذكر مجاهد عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية وعنده نافع بن الأزرق وإياس ابن مضرّب[1] فقال نافع بن الأزرق: أما الكفار فيردونها، وأما المؤمنون فلا يردونها. فقال ابن عباس: أما أنا وإياس[2] فإنا سنردها وانظر هل نخرج منها أو لا.

ذكروا عن الحسن أنه قال: ﴿ وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ أي إلا داخلها، فيجعلها الله برداً وسلاماً على المؤمنين، كما جعلها على إبراهيم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا يدخل النار من شهد بدراً والحديبية؛ فقالت حفصة: بلى. فانتهرها رسول الله ﷺ فقالت: أليس يقول الله: ﴿ وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فقال النبي عليه السلام: أوليس قد قال: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الذِينَ اتَّقَوْا ﴾[3].

ذكر بعضهم قال: يضرب الصراط على جهنم كحدّ السيف، دحض[4] مزلّة،

---

(1) كذا في سع ورقة 24 و: «إياس بن مضرّب»، وفي ع وردت الكلمة مصحفة هكذا: أنس بن مصر، وفي ب جاء الاسم غير واضح، ولم أجد فيما بين يدي من المصادر اسم إياس بن مضرب، اللهم إلا أن يكون إياس بن مضارب العجلي الذي كان على الشرطة أيام فتنة ابن الزبير وقتل بالكوفة سنة ست وستين للهجرة، انظر أخباره في تاريخ الطبري، ج 6 ص 10 - 20.

(2) كذا في سع وفي ب: «أما أنا وإياس» وفي ع: أما أنا وإياك، وهو خطأ صوابه أما أنا وأنت. وفي تفسير الطبري ج 16 ص 111: «أما أنا وأنت يا أبا راشد». وهي كنية نافع بن الأزرق.

(3) أخرجه أحمد في مسنده بهذا اللفظ، وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة، أهل بيعة الرضوان، رضي الله عنهم، (رقم 2496) عن أم مبشر، وهي امرأة زيد بن حارثة «أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة...»، وأخرجه ابن جرير الطبري أيضاً عن جابر عن أم مبشر. ولفظه في تفسيره ج 16 ص 112: «إني لأرجو ألا يدخل النار أحد شهد بدراً والحديبية».

(4) يقال: مكان دحض، ومَدحض، أي: موضع تزلق فيه الرِّجل. واللفظ عند الطبري: «مَدحَضة مزلّة».

فيمرون عليه كالبرق وكالريح، وكانقضاض الطير، وكجواد الخيل، وكجواد الرجال والملائكة [بجنبي الصراط معهم خطاطيف][1] كشوك السعدان، فناج سالم، ومخدوش ناج، ومكدوس[2] في النار، والملائكة يقولون: ربّ سلّم سلّم.

ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: يضرب الصراط على جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم: أولهم كلمع البرق، وكمر الريح، وكمر الطير، ثم كأسرع البهائم، ثم يمر الرجل سعياً، ثم يمر الرجل مشياً، وتزل قدم وتستمسك أخرى. قال عبد الله بن مسعود: حتى يكون آخرهم رجل يتلبّط على بطنه فيقول: يا رب، لم أبطأت بي، فيقول: لم أبطىء بك، وإنما أبطأ بك عملك. وقال بعضهم: بلغنا أن الصراط ثلاث عواقب[3].

قوله: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جُثِيّاً ﴾ أي: جاثين على ركبهم. وقال بعضهم: جماعة جماعة.

قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمُ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلذِينَ ءَامَنُوا أيّ الفَرِيقَيْنِ ﴾ نحن وأنتم ﴿ خَيْرٌ مُّقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ﴾ المقام: المسكن، والندي: المجمع. وقال بعضهم الندي: المجلس.

وقال مجاهد: يقوله المشركون، مشركو قريش لهؤلاء، أصحاب محمد ﷺ. وقال بعضهم: رأوا أصحاب نبي الله في عيشهم خشونة.

قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَـٰثاً وَرِءْياً ﴾. أي أحسن

(1) زيادة من سع ورقة 24 و.

(2) كذا في ع: «مكدوس» وفي سع: «مكردس» وقد ورد اللفظان في بعض روايات الحديث. ومعنى الأولى: مدفوع؛ وفي اللسان: تكدس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط. ومعنى مكردس: الموثق الملقى في النار. وأكثر ألفاظ هذا الأثر وردت في حديث رواه مسلم في صحيحه: «قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك».

(3) كذا في ع و ب: «ثلاث عواقب» ولم ترد الجملة في سع. وإذا كانت الكلمة جمعاً لعَقَبة، فإن كتب اللغة لم تذكر هذا الجمع، ولست مطمئناً لصحة الكلمة فلعل فيها تصحيفاً.

منهم. والأثاث: المال؛ وقال بعضهم: المتاع. ﴿ وَرِءْياً ﴾: من قرأها مهموزة فيقول: منظراً. وقال بعضهم: ﴿ أَحْسَنُ أَثَـٰثاً وَرُءْياً ﴾ أي: أحسن أثاثاً وأحسن مرأى ومنظراً. ﴿ وَرِئْيًا ﴾ وصوراً. ومن قرأها بغير همزة فيقول: ﴿ وَرِيًّا ﴾ من قبل الرواء؛ وإنما يعيش الناس بالمطر، به تنبت زروعهم وتعيش ماشيتهم.

قوله: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَـٰلَةِ ﴾ أي: هذا الذي يموت على ضلالته ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَـٰنُ مَدّاً ﴾ [هذا دعاء][1] أي: مدّ له الرحمٰن مداً. أمر الله النبي عليه السلام أن يدعو بهذا. وقال مجاهد: فيدعه الرحمٰن في طغيانه.

قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ ﴾ في الدنيا قبل عذاب الآخرة ﴿ وَإِمَّا السَّاعَةَ ﴾ وإما عذابه في الآخرة، وهو العذاب الأكبر. ولم يبعث الله نبياً إلا وهو يحذر أمته عذاب الله في الدنيا وعذابه في الآخرة إن لم يؤمنوا. قال تعالى: ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنْداً ﴾ أي: في النصرة والمنعة. أي: ليس لهم أحد يمنعهم من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ أي: إيماناً ﴿ وَالْبَـٰقِيَـٰتُ الصَّـٰلِحَـٰتُ ﴾ قال الحسن: الفرائض.

وقال ابن عباس: الصلوات الخمس وسبحـٰن الله والحمد لله ولا إلَٰه إلا الله والله أكبر.

وقال علي بن أبي طالب: الباقيات الصالحات: سبحـٰن الله والحمد لله ولا إلَـٰه إلا الله والله أكبر.

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه يوماً: خذوا جُنَّتكم [قالوا: يا رسول الله، أمن عدوّ حضر؟ قال: خذوا جنتكم][2] من النار. قالوا: يا رسول الله، وما

---

(1) زيادة من سع ورقة 24 ظ.

(2) سقط ما بين المعقوفين في ب و ع، فأثبته من سع.

جُنّتنا؟ قال: سبحـٰن الله والحمد لله ولا إلـٰه إلا الله والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة مقدِّمات ومجنِّبات ومعقِّبات وهن الباقيات الصالحات[1].

قوله تعالى: ﴿ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً ﴾ أي: أجراً في الآخرة ﴿ وَخَيْرٌ مَّرَداً ﴾ أي: خير عاقبة من أعمال الكفار.

قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الذِي كَفَرَ بَآيَـٰتِنا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً ﴾ أي: في الآخرة. قال الله تعالى: ﴿ أَطَّلَعَ الغَيْبَ ﴾ على الاستفهام، فعلم ما فيه؟. أي: لم يطلع على الغيب. قال تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَـٰنِ عَهْداً ﴾ أي: لم يفعل. وسنفسّره في آخر هذه الآية.

ذكروا عن مسروق، عن خبّاب بن الأرتّ قال: كنت قيناً[2] في الجاهلية، فعملت للعاص بن وائل، حتى اجتمعت لي عنده دراهم فأتيته أتقاضاه. فقال: والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد. فقلت: والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث. قال: وإني لمبعوث؟ قلت: نعم. قال: فسيكون لي ثَمَّ مال وولد فأقضيك. فأتيت النبي عليه السلام، فأخبرته، فأنزل الله هذه الآية... إلى قوله: (وَيَأْتِينَا فَرْداً).

وقال بعضهم: ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب النبي عليه السلام أتى رجلاً من المشركين يتقاضاه ديناً له، فقال: أليس يزعم صاحبكم أن في الجنة حريراً وذهباً؟ قال: بلى. قال: فميعادكم الجنة، فوالله لا أؤمن بكتابكم الذي جئتم به، ولأوتين مالاً وولداً. قال الله عز جل: (أَطَّلَعَ الغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَـٰنِ عَهْداً).

ذكروا عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خمس صلوات كتبهن الله على عباده، من جاء بهن تامات فإن له عند الله عهداً أن يدخله الجنة، ومن

(1) حديث صحيح أخرجه النسائي والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة؛ والجُنة، بضم الجيم: كل ما واراك وسترك، وهي الوقاية. وفي الحديث الصحيح: الصيام جُنة من النار كجُنة أحدكم من القتال.

(2) القين هو الحدّاد، وكل عامل في الحديد يسمى قيناً عند العرب، وجمعه قيون.

لم يأت بهن تامات فليس له عند الله عهد، إن تاب غفر له، وإن لم يتب عذبه[1].

وقال بعضهم: ﴿ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَـٰنِ عَهْداً ﴾: بعمل صالح.

قوله عز وجل: ﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ العَذَابِ مَدّاً ﴾ هو كقوله عز وجل: ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُم إِلَّا عَذَاباً ﴾ [النبأ: ٣٠].

قوله عز وجل: ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً ﴾ قال مجاهد: نرثه ماله وولده، وهو العاص بن وائل.

قوله عز وجل: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً ﴾ كقوله: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ [سورة يـسٓ: ٧٤]. وإنما يرجون منفعة أوثانهم في الدنيا، لا يقرون بالآخرة.

قال الله: ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ ﴾ أي: في الآخرة ﴿ بِعِبَـادَتِهِمْ ﴾ في الدنيـا ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً ﴾ أي: في النار. وقال بعضهم: قرناء يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض. وبلغنا أنه يقرن هو وشيطانه في سلسلة واحدة.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَـٰطِينَ عَلَى الكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً ﴾ أي: تزعجم إزعاجاً في معاصي الله[2].

قوله عز وجل: ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴾ وهذا وعيد ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً ﴾ أي: الأنفاس، يعني الأجل. ذكروا عن سعيد بن جبير قال: أجل العبد مكتوب في أول الصحيفة، ثم يكتب أسفل من ذلك: مضى يوم كذا، ومضى يوم كذا حتى يأتي على أجله.

---

(1) حديث صحيح، أخرجه الربيع بن حبيب في كتاب الصلاة، رقم 189. وقد أورده الشيخ هود الهواري بهذه الألفاظ في ب و ع. وجاء في سع ورقة 24 ط: «ومن لم يأت بهن تامات فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له». وانظر ما سلف ج 1 ص 44.

(2) هذا قول ابن عباس، أي: تغريهم على المعاصي. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2، ص 11: (تؤزهم أزاً) أي تهيجهم وتغويهم».

قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْداً ﴾ أي: على الإبل.

ذكروا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْداً) يا رسول الله، هل يكون الوفد[1] إلا الرُّكْبُ. فقال: والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة، ولها رحائل الذهب، كل خطوة منها مدّ البصر.

قوله عز وجل: ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْداً ﴾ أي: عطاشاً. قال الحسن: والله عطاشاً. وقال بعضهم: يساقون إليها وهم ظِماء، وقد تقطعت أعناقهم من العطش.

قوله عز وجل: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْداً ﴾ وقد فسّرنا العهد في الآية الأولى[2].

قوله عز وجل: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَداً لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً ﴾ قال مجاهد: شيئاً عظيماً.

﴿ يَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَداً ﴾ أي: بأن دعوا للرحمٰن ولداً. ذكروا أن كعباً قال: غضبت الملائكة، وأسعرت جهنم حين قالوا ما قالوا.

(1) كذا في ع: الوفد. . . والركب، وفي سع ورقة 25 و: الوافد والراكب، وكلاهما صحيح إلا أن هذا جاء مفرداً وذاك جمعاً.

(2) انظر ماسلف قريباً في الصفحة الماضية في قوله تعالى: (أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْداً). وقد أورد ابن سلام في تفسير هذه الآية: (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْداً) خمسة أحاديث في شفاعة نبينا محمد ﷺ لأمته يوم القيامة رويت عن أبي هريرة وأنس ابن مالك، وهي موجودة في سع ورقة 25 و، ولكنها غير واردة في ب ولا في ع. وكأني بالشيخ هود الهواري حذفها قصداً، ولعلها لم تصحّ عنده، والله أعلم. من هذه الأحاديث ما رواه ابن سلّام بالسند التالي: «حدثني دُرُسْت (هكذا ضبطت) عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: لا أزال أشفع فأشفّع حتى أقول: رب شفعني فيمن قال لا إلٰه إلا الله فيقول يا محمد، إنها ليست لك ولكنها لي».

قال عز وجل: ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِـي الرَّحْمٰنِ عَبْداً ﴾. ثم قال عز وجل: ﴿ لَقَدْ أَحْصَـٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً وَكُلُّهُمْ آتِيـهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْداً ﴾، كقوله: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) [الأنعام: 94].

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدّاً ﴾ أي: في قلوب المؤمنين.

ذكروا أن كعباً كان يقول: إنما تأتي المحبة من السماء. إن الله إذا أحب عبداً قذف حبّه في قلوب الملائكة، وقذفته الملائكة في قلوب الناس. وإذا أبغض عبداً فمثل ذلك، لا يملكه بعضهم لبعض.

ذكروا عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن العبد ليلتمس مرضاة الله فلا يزال كذلك، فيقول الله لجبريل: إن عبـدي فلاناً يلتمس أن يرضيني، وإن رحمتي عليه. قال: فيقول جبريل: رحمة الله على فلان، وتقوله حملة العرش، ويقوله الذين حولهم، حتى يقوله أهل السماوات السبع، ثم يهبط به إلى الأرض. قال: فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: وهي الآية التي أنزل الله عليكم: (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدّاً). وإن العبد ليلتمس سخط الله، فلا يزال كذلك فيقول الله عز وجل: إن عبدي فلاناً يلتمس أن يسخطني، وإن غضبي عليه، فيقول جبريل: غضب الله على فلان، وتقوله حملة العرش، ويقوله الذين حولهم، ويقوله أهل السماوات السبع حتى يهبط به إلى الأرض[1].

ذكر بعضهم قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فيقول: إني أحب فلاناً فأحبه. قال: فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحِبُّوه. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض[2]، يقول: المودة.

(1) أخرجه ابن سلام في تفسيره كما جاء في ورقة 25 و من سع بالسند التالي: «حدثني خداش بن ميمون بن عجلان عن محمد بن عباد عن ثوبان. . .».

(2) حديث صحيح أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده في الأبواب الأولى: باب في الحب

قوله عز وجل: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ أي: بلسان محمد عليه السلام. قال الحسن: لولا أن الله يسّره بلسان محمد عليه السلام ما كانوا ليعرفوه ولا ليفقهوه.

قوله عز وجل: ﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ ﴾ أي بالقرآن ﴿ الْمُتَّقِينَ ﴾ أي يبشرهم بالجنة ﴿ وَتُنْذِرَ بِهِ ﴾ أي بالقرآن النار ﴿ قَوْماً لُّدّاً ﴾أي جُدُلاً بالباطل وذوي لَدَد وخصومة.

وقال مجاهد: (قَوْماً لُّدّاً) أي: لا يستقيمون.

قوله عز وجل: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم ﴾ أي: قبل قومك يا محمد ﴿ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنَ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً ﴾. أي: صوتاً. وهو على الاستفهام. أي: إنك لا ترى منهم أحداً ولا تسمع منهم صوتاً[1].

= (رقم 27). وأخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب المقة من الله. وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حبّبه إلى عباده (رقم 2637)، كلهم يرويه عن أبي هريرة.

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 14: «(الرِّكْزُ): الصوت الخفي والحركة كرِكز الكتيبة».

تفسير سورة طـٰه
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ طٰهٰ ﴾ قال الحسن: طٰهٰ: أي: يا رجل، وهي بالنبطية. ثم قال: ايطه، ايطه[1].

قوله عز وجل: ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ قال مجاهد: (لِتَشْقَىٰ) أي: في الصلاة؛ وهو قوله عز وجل: (فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) [المزمل: 20]. وكانوا يعلّقون الحبال بصدورهم في الصلاة.

وذكروا أن رسول الله ﷺ رأى حبلاً ممدوداً بين ساريتين في المسجد فقال: ما هذا؟ فقالوا: فلانة ابنة فلان تصلي، فإذا غلبت تعلقت به. فقال: لِتُصلِّ ما نشطت، أو عقلت، فإذا غلبت فلتنم[2].

---

(1) كذا وردت هذه الكلمة في ب و ع، وجاءت في سع ورقة 25 ظ منسوبة إلى الضحاك بن مزاحم. أما ما يتعلق بمعناها فإن أبا عبيدة يرد على من زعم أنها بمعنى يا رجل. قال في المجاز ج 2 ص 15: « (طَهَ) ساكن لأنه جرى مجرى فواتح السور اللواتي مجازهن مجاز حروف التهجي ومجاز موضعه في المعنى كمجاز ابتداء فواتح سائر السور. قال أبو طُفَيْلَة الحرمازي، فزعم أن (طه): يا رجل. ولا ينبغي أن يكون اسماً لأنه ساكن، ولو كان اسماً لدخله الإعراب». انظر بعض أوجه قراءة هذه الكلمة ومعانيها في معاني الفراء ج 2 ص 174، وفي تفسير القرطبي ج 11 ص 165 - 168.

(2) أخرجه ابن سلام في سع ورقة 25 ظ بالسند التالي: «حدثني خداش عن حميد الطويل عن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ... والحديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في أبواب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين =

وكان الحسن يقول: إن المشركين قالوا للنبي عليه السلام إنه شقى بهذا القرآن فأنزل الله هذه الآية.

قوله عز وجل: ﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ [يقول: وإنما أنزله الله تبارك وتعالى تذكرة لمن يخشى الله](1). وأما الكافر فلم يقبل التذكرة.

قوله: ﴿ تَنزِيلًا ﴾ أي القرآن أنزله الله تنزيلاً. قال عزّ وجلّ: ﴿ مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَـٰوَاتِ الْعُلَىٰ ﴾ يعني نفسه.

﴿ الرَّحْمَـٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ قال: استوى أمره في بريته فعلاهم فليس يخلو منه مكان(2).

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: بينكم وبين السماء مسيرة خمسمائة عام، حتى عد سبع سماوات هكذا. قال: وبين السماء السابعة وبين العرش كما بين سماءين. وغلظ هذه الأرض مسيرة خمسمائة عام، وبينها وبين الأرض الثانية مسيرة خمسمائة عام. حتى عد سبع أرضين هكذا.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه الأرض، وبين شحمة أذنيه إلى عاتقه خفقان الطير مسيرة سبعمائة عام يقول: سبحانك حيث كنت وأنت بكل مكان. وبلغنا أن اسمه زُرَوْفِيل(3).

= وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته... (رقم 784). كلاهما يرويه عن أنس. وقيل: إن الحبل كان لزينب بنت جحش، وانظر ابن حجر، فتح الباري ج 3 ص 36.

(1) زيادة من سع ورقة 25 ظ.

(2) لم يرد هذا التأويل في سع، ولعله من زيادة الشيخ هود التي انفردت به ب و ع. وقد ورد هذا التأويل في مسند الربيع بن حبيب ج 3 ص 48 - 49 منسوباً إلى ابن عمر: «إن الله أجلّ من أن يوصف بصفات المخلوقين، هذا كلام اليهود أعداء الله، إنما يقول: (الرَّحْمَـٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) أي استوى أمره وقدرته فوق بريّته».

(3) انظر تخريجه فيما سلف ج 1 ص 514.

قوله عز وجل: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴾ كان بعضهم يقول: إن الماء الذي تحت الأرض مستقر على ثرى، فهو يعلم ما تحت ذلك الثرى الذي يستقر عليه الماء، والثرى كل شيء مبتلّ.

قوله عز وجل: ﴿ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ قال بعضهم: السر ما حدثت به نفسك، وأخفى منه ما لم تحدث به نفسك مما هو كائن.

قوله عز وجل: ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾. ذكر بعضهم قال: لله تسعة وتسعون اسماً، مائة غير واحد، من أحصاها دخل الجنة، أي من المتقين.

قوله عز وجل: ﴿ وَهَلْ أَتَـٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ أي: قد أتاك حديث موسى ﴿ إِذْ رَأَىٰ نَاراً ﴾ أي: عند نفسه، وإنما كانت نوراً. ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَاراً ﴾ أي رأيت ناراً ﴿ لَعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾. وقال في آية أخرى: (سَآتِيكُم مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ أي: خبر الطريق (أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) [النمل: ٧] وكان شاتياً. وقال في هذه الآية: (لَعَلِّي آتِيكُـم مِّنْهَا بِقَبَسٍ) ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ أي: هداة يهدونني الطريق في تفسير الحسن.

وقال بعضهم: وكان يمشي على غير طريق. وكان يمشي متوكلاً على ربه متوجهاً بغير علم.

قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا أَتَـٰهَا ﴾ أي: النار التي ظن أنها نار ﴿ نُودِيَ يَـٰمُـوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ قال بعضهم: كانتا من جلد حمار ميت. فخلعهما ﴿ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾. قال الحسن: طوى بالبركة مرتين.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ ﴾ أي لرسالتي ولكلامي ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾ إليك. ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من نسي صلاة فليصلِّها إذا ذكرها، لا كفارة لها غير ذلك[1] [قال

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها ولا يعيد إلا تلك الصلاة. وأخرجه مسلم في =

قتادة][1] لأن الله يقول: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ﴾.

وقال مجاهد: إذا صلّى العبد ذكر الله.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾. ذكروا عن ابن عباس قال: أكاد أخفيها من نفسي. ذكروا أنها في قراءة أبيّ: أكاد أخفيها من نفسي.

قال بعضهم: قضى الله لا تأتيكم إلا بغتة. وقال بعضهم: ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ أي: لا أجعل عليها أدلّة ولا أعلاماً. وكل شيء أكاد فهو لم يفعله. وقد جعل الله عليها أدلة وأعلاماً.

قوله عز وجل: ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ أي: بما تعمل.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾ أي: عن الإيمان بالساعة ﴿ مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا ﴾ أي: من لا يصدّق بها ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ يعني شهوته ﴿ فَتَرْدَىٰ ﴾ أي في النار. والتردّي التباعد من الله. وقال بعضهم: ﴿ فَتَرْدَىٰ ﴾، أي: فتهلك.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ يسأله عن العصا التي في يده اليمنى، وهو أعلم بها. قال موسى:

﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ قال بعضهم: يهش بها على غنمه ورق الشجر، [أي يخبط بها ورق الشجر لغنمه][2]. ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾

= كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، عن أبي هريرة (رقم 680) بلفظ: «من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها، فإن الله قال: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾». وعن قتادة عن أنس بن مالك (رقم 684) بلفظ: أن رسول الله ﷺ قال: من نسي صلاة فليصلّها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك. قال قتادة: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾.

(1) زيادة من سع ورقة 26 و. كما وردت في بعض الروايات.

(2) زيادة من سع ورقة 26 و للإيضاح. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 177: «اضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقه فترعاه غنمه». وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 17: «أي اختبط بها فأضرب بها الأغصان ليسقط ورقها على غنمي فتأكله». قال:

أَهُشُّ بِـالـعَصَـا عَـلَى أَغْنَـامِـي مِـن نَـاعِـمِ الأَرَاكِ وَالـبَشَـامِ»

أي: حوائج أخرى. بلغنا أن من تلك الحوائج الأخرى أنه كان يستظل بها.

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ أي تزحف على بطنها مسرعة. وقال بعضهم: فإذا هي حيّة أشْعر ذكر.

قوله عز وجل: ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴾ يعني هيئتها الأولى، أي عصا كما كانت.

قوله تعالى: ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾. قال مجاهد: أمره أن يدخل يده تحت عضده ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ أي: من غير برص. قال الحسن: أخرجها والله كأنها مصباح[1].

قوله: ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ أي اليد بعد العصا. قال: ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَىٰ﴾ أي العصا واليد. وهو قوله: (فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَىٰ) [النازعات: 20] أي: اليد والعصا. وهو قوله: (وَمَا نُرِيهِم مِّنَ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) [الزخرف: 48] وكانت اليد أكبر من العصا.

قوله عز وجل: ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ أي: كفر[2]. ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ أي: وسّع لي صدري، دعا أن يشرح له صدره بالإيمان. ﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ ففعل الله ذلك به.

وكانت العقدة التي في لسانه أنه تناول لحية فرعون، وهو صغير، فهمّ بقتله، وقال: هذا عدوّ لي. فقالت له امرأته: إن هذا صغير لا يعقل، فإن أردت أن تعلم ذلك فادع بتمرة وجمرة فاعرضهما عليه. فأتي بتمرة وجمرة فعرضهما عليه؛ فتناول

---

(1) وقال أبو عبيدة في المجاز: «أي تخرج نقية شديدة البياض من غير برص، والسوء كل داء معضل من جذام أو برص، أو غير ذلك».

(2) كذا في ب و ع. وفي سع « (طغى) أي كفر». والصواب أن الطغيان هو مجاوزة الحد في العلو والعتو والاستكبار.

الجمرة فألقاها في فيّه، فمنها كانت العقدة التي في لسانه. قال الحسن: إنما قالت ذلك، ترد على موسى عقوبته[1].

قوله: ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيراً ﴾ أي عويناً ﴿ مِّنْ أَهْلِي هَـٰرُونَ أَخِي أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾ قال الحسن: قوتي، وقال بعضهم: ظهري.

﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾. وكان الحسن يقرأها بالرفع: (وأُشرِكُه). وهي تقرأ أيضاً بالنصب: وأشرِكه في أمري. دعا موسى ربه أن يشركه في أمره.

قوله: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ﴾. أي: نصلي لك كثيراً ﴿ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً ﴾ في سابق علمك[2].

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ فاستجاب الله له.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴾ فذكره النعمة الأولى، يعني قوله: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴾ وإنما هو شيء قذف به في قلبها ألهمته، وليس بوحي نبوة. ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ﴾ أي: اجعليه في التابوت ﴿ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ أي: فألقيه في البحر. فألقى التابوت في البحر.

﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ ﴾ أي البحر ﴿ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ﴾ يعني فرعون. ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾. قال بعضهم: ألقى الله عليه محبّة منه، قال: فأحبوه حين رأوه.

---

(1) أورد بعض المفسرين القدامى، ومنهم ابن جرير الطبري هذا التفسير للعقدة التي كانت في لسان موسى عليه السلام. ولم يثبت في الموضوع خبر صحيح عن رسول الله ﷺ. وقد نسب هذا التفسير إلى بعض التابعين. ويبدو لي، والله أعلم، أنه من قبيل الإسرائيليات، وأولى ما فسرت به العقدة ما ذكره أبو عبيدة في المجاز ج 12 ص 18 حيث قال: «مجاز العقدة في اللسان كل ما لم ينطلق بحرف أو كانت منه مُسكة من تمتمة أو فأفأة». وقال الفراء: «كانت في لسانه رُتّة» وانظر عيوب اللسان وما جاء فيها في الصفحات الأولى من كتاب الجاحظ: البيان والتبيين.

(2) كذا في ب، وفي ع: «في سائر عملنا». ويبدو أن صوابه هكذا: «ونذكرك كثيراً في سائر عملنا، إنك كنت بنا بصيراً في سابق علمك». والعبارة غير واردة في سع.

قوله عز وجل: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِيٓ ﴾ أي بأمري. وقال بعضهم: [ولتغذي علي عيني: أي بعيني][1].

قوله: ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَل أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ﴾ أي على من يضُمُّه.

قال الكلبي: فقالوا: نعم، فجاءت بأمه فقبل ثديها. وقال في سورة طَسَمَ القصص: (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ). فكان كلما جيء به إلى امرأة لم يقبل ثديها. (فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ) [القصص: 12 - 13].

وقال في هذه الآية: ﴿فَرَجَعْنَـٰكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً ﴾ يعني القبطي الذي كان قتله خطأ، ولم يكن يحل له ضربه ولا قتله.

﴿فَنَجَّيْنَـٰكَ مِنَ الغَمِّ ﴾ أي من الخوف. وقال الحسن: أي: من النفس التي قتلت فلم يصل إليك القوم، فغفرنا لك ذلك الذنب. ﴿وَفَتَنَّـٰكَ فُتُوناً ﴾ أي: وابتليناك ابتلاءً.

وقال الكلبي: هو البلاء في أثر البلاء. وقال بعضهم: ومحصناك تمحيصاً. وهو واحد.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ أي عشرين سنة. أقام عشراً آخر الأجلين، ثم أقام بعد ذلك عشراً. ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ أي: على موعد يا موسى، في تفسير مجاهد.

قوله عز وجل: ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِيَ ﴾ أي اخترتك لنفسي ولرسالتي. والاجتباء والاختيار والاصطفاء واحد.

قوله عز وجل: ﴿ اِذْهَب أَنْتَ وَأَخُوكَ بِئَايَـٰتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾. قال مجاهد:

(1) زيادة من سع ورقة 26 ظ.

أي ولا تضعفا في ذكري. وقال الحسن: في الدعاء إليّ والتبليغ عني رسالتي.

﴿ٱذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ أي: كفر ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً﴾ قال بعضهم: كَنِّياه. [فكنّياه][1] بأبي مصعب. ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ قال بعضهم الألف ها هنا صلة، يقول: لعله يتذكر ويخشى.

﴿قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ أي أن يعجل علينا بالعقوبة ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ فيقتلنا.

﴿قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ أي: فإنه ليس بالذي يصل إلى قتلكما حتى تبلغا عني الرسالة.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ﴾ وكان بنو إسرائيل عند القبط بمنزلة أهل الجزية فينا.

قوله: ﴿قَدْ جِئْنَـٰكَ بِئَايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ قال الحسن: العصا واليد ﴿وَالسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ كان إذا كتب إلى المشركين كتب: (السَّلاَمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَىٰ)[2].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾. أي: كذب بآيات الله وتولى عن طاعة الله.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ قال الحسن: صلاحه وقوته الذي يقوم به ويعيش به. ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ يقول: ثم هداه له حتى أخذه.

---

(1) في ب و ع: «كنياه بالمصحف» وهو تصحيف سخيف صوابه ما أثبته. فقد ذكر المفسرون أن لفرعون أربع كنى: أبو مصعب، وأبو الوليد، وأبو مرة، وأبو العباس. انظر ابن الجوزي، زاد المسير ج 5 ص 288. وما بين المعقوفين زيادة لتستقم العبارة، ويتضح المعنى.

(2) انظر أمثلة من ذلك في تاريخ الطبري ج ص 752 و ص 654. وقد كتب عليه السلام إلى مسيلمة الكذاب: «السلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ =

وقال مجاهد: سوى خلق كل دابة ثم هداها لما يصلحها وعلمها إياه. وقال الكلبي: أعطاه شكله من نحوه. أعطى الرجل المرأة، والجمل الناقة، والذكر الأنثى، ثم هدى، أي عرّفه كيف يأتيها.

ذكروا عن الحسن أنه قرأ: (صُنْعَ اللهِ الذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: 88] ثم قال: ألم تر إلى كل دابة كيف تتقي عن نفسها.

قوله عز وجل: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولَىٰ ﴾ إن موسى دعا فرعون إلى الإيمان بالبعث فقال له فرعون: فما بال القرون الأولى قد هلكت فلم تبعث.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَـٰبٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ ﴾ أي لا يضله فيذهب، ولا ينسى ما فيه. وقال بعضهم: (فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولَىٰ) أي: أعمال القرون الأولى (قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي) ذلك الكتاب (وَلَا يَنْسَىٰ) أي علم أعمالها وآجالها.

ذكروا أن فرعون قال: يا هامان، إن موسى يعرض عليَّ أن لي ملكي في حياتي، ولي الجنة إذا متّ. فقال له هامان: بينما أنت إلٰه تُعبَد إذ صرت عبداً يَعْبُد. فردّه عن رأيه.

قوله عز وجل: ﴿ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْـداً﴾ وهو مثل قوله تعالى: (جَعَلَ لَكُم الأَرْضَ بِسَاطاً) [نوح: 19] وفراشاً. قوله: ﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً ﴾ أي: وجعل لكم فيها طرقاً.

﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوٰجـاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ أي: مختلفة في لونه وطعمه. وكل ما ينبت في الأرض فالواحد منه زوج. قال: فالذي ينبت هذه الأزواج الشتى قادر على أن يبعثكم بعد الموت.

قوله تعالى: ﴿ كُلُوا وَارْعَوا أَنْعَـٰمَكُمْ﴾ أي من ذلك النبات ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

= وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ». انظر سيرة ابن هشام ج 4 ص 601.

لأَيَـٰتٍ لِّأُوْلِي النُّهَىٰ ﴾ أي: لأولي العقول، في تفسير الحسن. وقال بعضهم: لأولي الورع[1].

قوله: ﴿ مِنْهَا ﴾ أي من الأرض ﴿خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ يعني خلق آدم ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إن خلق أحدكم ليجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة أربعين يوماً ثم يكون مضغة أربعين يوماً. ثم يؤمر الملك أن يكتب أربعاً: رزقه وعمله وأثره وشقياً أو سعيداً. والذي لا إلَه إلا هو إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها[2].

وقال بعضهم: إنه يؤخذ من تربة الأرض التي يموت فيها فيخلط بخلقه، أو فتذرى على خلقه؛ وهو قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا ﴾ أي: التسع الآيات التي قال عنها في سورة بني إسرائيل: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ [الإسراء: 101] وهي يده وعصاه والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ [الأعراف: 130]. وبعضهم يحقّق أن السنين ونقصاً من الثمرات آية واحدة، وطريقاً في البحر يبساً تمام التسع الآيات.

---

(1) كذا في ب و ع، وفي سع ورقة 27 و. والقول لقتادة. وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 20 ما يلي: «(لِأُولِي النُّهَىٰ) مجازه لذوي الحجى. واحدتها نهية، أي أحلام وعقول، وانتُهي إلى عقول أمرهم ونهيهم. ومجاز قولهم لذي حِجًى أي: لذي عقل ولبّ».

(2) حديث متفق عليه مضى تخريجه فيما سلف ج 2 ص 248.

قوله عز وجل: ﴿ فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ أي: فكذّب بها كلّها وأبى أن يؤمن.

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَاناً سِوًى ﴾ قال مجاهد: مكاناً منصفاً بينهم. وقال بعضهم: مكاناً عدلاً(1).

﴿ قَالَ: مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ ﴾ أي: يوم واعدوه فيه. وقال الحسن: يوم عيد كان لهم، يجتمعون فيه ضحى. قال: ﴿ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ قال بعضهم: أي نهاراً.

قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ﴾ يعني ما جمع من سحرة. ﴿ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ ثم جاء. ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ﴾ قال الحسن: فيستأصلكم بعذاب ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ فَتَنَـٰزَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴾. قالت السحرة عند ذلك: إن كان هذا الرجل ساحراً فسنغلبه، وإن كان من السماء، كما زعم، فإن له الأمر.

قوله تعالى: ﴿ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَانِ(2) يُـرِيدَانِ أَن يُخْـرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ

(1) وقال أبو عبيدة في المجاز: «(مَكَاناً سُوىً) يُضم أوله ويُكسر، وهو منقوص يجري مجرى عُدًى وعِدًى والمعنى النّصف، والوسط فيما بين القريتين.

(2) جاء في مجاز أبي عبيدة ما يلي: «قال أبو عمرو وعيسى ويونس (إِنَّ هٰذَيْنِ لَسَاحِرَانِ) في اللفظ: وكتب (هٰذَانِ) كما يزيدون وينقصون في الكتاب واللفظُ صواب. وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوماً من بني كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب. قال بشر بن هلال: (إنَّ) بمعنى الابتداء والإيجاب، ألا ترى أنها تعمل فيما يليها ولا تعمل فيما بعد الذي بعدها، فترفع الخبر ولا تنصبه كما تنصب الاسم، فكان مجاز (إِنَّ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ) مجاز كلامين، مخرجه: إنه، أي: نعم، ثم قلت: هذان ساحران، ألا ترى أنهم يرفعون المُشرَك كقوله:

فَمَنْ يَـكُ أَمْسَى بِـالْمَدِينَـةِ رَحْلُهُ فَـإِنِّي وَقَيَّـارٌ بِهَـا لَغَـرِيبُ...»

وبعضهم خفف (إنَّ) فقرأ: (إِنْ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ) وجعل اللام في الخبر هي الفارقة بين إن =

بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾. قال بعضهم: كانت طريقتهم المثلى يومئذ [أن][1] بني إسرائيل كانوا أكثر القوم عدداً وأموالاً، فقال فرعون: إنما يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهما. وقال الحسن: ويذهبا بعيشكم الأمثل: يعني بني إسرائيل. وكان بنو إسرائيل في القبط بمنزلة أهل الجزية فينا يأخذون منهم الخراج ويستعبدونهم.

قوله عز وجل: ﴿ أَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ﴾ [يعني سحركم، يقوله بعضهم لبعض][2] ﴿ ثُمَّ ائْتُوا صَفّاً ﴾ أي تعالوا جميعاً. ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴾ قال بعضهم: من ظهر. وقال الكلبي: من غلب؛ وهو واحد.

قوله: ﴿ قَالُوا يَـٰمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ أي: أنها حيات تسعى.

قوله: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَىٰ ﴾ أي: الظاهر ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾ أي: عصاك ﴿ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ﴾ أي: تسترط حبالهم وعصيهم، تلقفهم بفيها. ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَـٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ أي حيث كان. وقال بعضهم: حيث جاء.

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ. قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ ﴾ فرعون يقول لهم على الاستفهام. أي أصدقتموه قبل أن آذن لكم في تصديقه. أي قد فعلتم.

﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ ﴾ أي اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ أي: على جذوع النخل. ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَىٰ ﴾ أي: أنا أو موسى.

= النافية وإن المخففة من الثقيلة. ولعلماء العربية كلام طويل ووجوه من التعليل والتأويل كثيرة في الموضوع. انظر تفاصيلها في مجاز أبي عبيدة ج 2 ص 21 - 23، وفي معاني الفراء ج 2 ص 183 وغيرهما.

(1) زيادة لا بد منها: في ع وفي سع ورقة 27 و: «كانت طريقتهم المثلى يومئذ بنو إسرائيل...».

(2) زيادة من سع.

﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَٰتِ وَالَّذِي فَطَرَنا ﴾ أي : ولا على الذي فطرنا أي خلقنا[1]. ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ أي : خير مما تدعونا إليه، وخير منك يا فرعون.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: كانوا أول النهار سحرة وآخره شهداء[2].

قوله: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً ﴾ أي: مشركاً ﴿ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّٰلِحَٰتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ قد فسّرنا الدّرجات في الجنة في غير هذا الموضع[3].

قوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ قد فسّرناه في سورة مريم[4] ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ وقد فسّرنا الأنهار أيضاً. ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ لا يموتون فيها ولا يخرجون منها. ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴾. أي من آمن. وقال بعضهم: من عمل صالحاً.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ أي: ليلاً ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً ﴾.

---

(1) ذكر المؤلف أحد وجهي التفسير في قوله تعالى: (وَالَّذِي فَطَرَنَا) واعتبر الواو حرف عطف. ولم يشر إلى الوجه الآخر من الإعراب وهو جعل الواو واو قسم، كان السحرة أقسموا بالله الذي فطرهم إنهم لن يوثروا فرعون على ما جاءهم من البينات. وهو وجه في التأويل ذكره مفسرون كثير، وله حظ من النظر كبير، فتأمل. انظر معاني الفراء ج 2 ص 187، وتفسير الطبري ج 16 ص 189، وتفسير ابن كثير ج 4 ص 529.

(2) كذا جاء في ب، وفي ع هذا الحديث مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ، وجاء في سع ورقة 27 ظ منسوباً إلى قتادة. ولم أجده فيما بين يدي من مصادر التفسير والحديث حتى أتحقق من سنده. وأكاد أجزم أنه ليس حديثاً عن رسول الله ﷺ. وقد نسبه ابن جرير الطبري إلى ابن عباس مرة، وإلى عبيد بن عمير مرة، وإلى قتادة وإلى مجاهد أيضاً. انظر تفسر الطبري ج 13 ص 36 (طبعة دار المعارف) وانظر الدر المنثور ج 3 ص 107.

(3) انظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص 20.

(4) انظر في هذا الجزء ص 19.

قال الحسن: أتاه جبريل على فرس فأمره، فضرب البحر بعصاه، فصار طريقاً يبساً. قال بعضهم: بلغنا أنه صار اثني عشر طريقاً، لكل سبط طريق.

قوله عز وجل: ﴿ لَا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ أي لا تخاف أن يدركك فرعون من بعدك، ولا يخشى الغرق أمامك.

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ﴾ وكان جميع جنوده أربعين ألف ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ فغرقوا. ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ أي: وما هداهم.

قوله عز وجل: ﴿يَـٰبَنِي إِسْرَٰئِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَـٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ﴾ أي: من فرعون وقومه ﴿وَوَٰعَـدْنَـٰكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ ﴾ أي أيمن الجبل. والطور الجبل. يعني مواعدته لموسى.

قوله عز وجل: ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُم الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾. قال بعضهم: المن كان ينزل عليهم في محلتهم[1] مثل العسل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. والسلوى هو هذا الطير الذي يقال له السُّمَانَىٰ.

قوله: ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾ قال بعضهم: كانوا لا يأخذون منه لغد، لأنه كان يفسد عندهم ولا يبقى، إلا يوم الجمعة فإنهم كانوا يأخذون ليوم الجمعة وليوم السبت، لأنهم كانوا يتفرغون في يوم السبت للعبادة ولا يعملون شيئاً[2].

ذكروا عن ابن عباس قال: لولا بنو إسرائيل ما خنز لحم ولا أنتن طعام؛ إنهم لما أمروا أن يأخذوا ليومهم ،دخروا من يومهم لغدهم.

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لولا بنو إسرائيل ما خنز لحم، ولولا حواء ما خانت أنثى زوجها[3].

---

(1) المحَلَّة: منزل القوم، من حلّ يحُل بالمكان إذا نزل فيه.

(2) وقع اضطراب وفساد في العبارة بمخطوطتي ب و ع فأثبت التصحيح من بعض كتب التفسير.

(3) حديث صحيح متفق عليه. أخرجه أحمد وأخرجه البخاري ومسلم. أخرجه مسلم في كتاب =

قوله عز وجل: ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ قال بعضهم: فيجب عليكم غضبي. وهي تقرأ على وجه آخر: (فيحُل عليكم غضبي) أي: فينزل عليكم غضبي. ﴿ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ أي في النار.

قوله عز وجل: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ ﴾ أي: من الشرك ﴿ وَءَامَنَ ﴾ أي: أخلص الإيمان لله. ﴿ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً ﴾ أي في إيمانه ﴿ ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾. ثم مضى بالعمل الصالح على إيمانه حتى يموت عليه. وقال بعضهم: (ثُمَّ اهْتَدَىٰ) ثم عرف الثواب.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ أي: هُمْ أولاء ينتظرونني من بعدي بالذي آتيهم به، وليس يعني أنهم يتبعونه. وقال بعضهم: يعني السبعة الذين اختارهم موسى ليذهبوا معه للميعاد.

قال عز وجل: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ ﴾ أي: ابتلينا قومك من بعدك ﴿ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ يقول إن السامري قد أضلهم ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً ﴾ أي: حزيناً مهموماً على ما صنع قومه من بعده. وقال الحسن: شديد الغضب.

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً ﴾ أي في الآخرة على التمسك بدينه. ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ ﴾ قال مجاهد: الوعد ﴿ أَمْ أَرَدتُّمْ أن يَّحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ وهو مثل الحرف الأول ﴿ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾.

﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ﴾ أي: بطاقتنا[1] ﴿ وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا ﴾[2] وهي

= الرضاع باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر. (رقم 1470) ولفظه: لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام، ولم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر، كلهم يرويه عن أبي هريرة.

(1) وقال مجاهد في تفسيره ص 399: أي: بأمر نملكه.

(2) قال الداني في كتاب التيسير ص 153: «الحرميان وابن عامر وحفص: (حُمِّلْنَا) بضم الحاء وكسر =

تقرأ أيضاً خفيفة (حَمَلنا) ﴿ أَوْزَاراً ﴾ أي آثاماً. وقال مجاهد: أثقالاً، وهو واحد. والثقل الاثم ﴿ مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾ يعني قوم فرعون. ﴿ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾.

وذلك أن موسى كان واعدهم أربعين ليلة، فعدّوا عشرين يوماً وعشرين ليلة فقالوا: هذه أربعون، فقد أخلف موسى الوعد.

وكانوا استعاروا حلياً لهم؛ كان نساء بني إسرائيل استعاروه من نساء آل فرعون ليوم الزينة، يعني يوم العيد الذي واعدهم موسى. وكان الله أمر موسى أن يسري بهم ليلاً، فكره القوم أن يردوا العواري على آل فرعون، فيفطن بهم آل فرعون. فأسروا من الليل والعواري معهم. فقال لهم السامري بعدما مضت عشرون يوماً وعشرون ليلة في غيبة موسى في تفسير الكلبي، وقال بعضهم: بعدما مضت الثلاثون: إنما ابتليتم بهذا الحلي فهاتوه، وألقى ما معه من الحليّ، وألقى القوم ما معهم. وهو قوله: (فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ) أي: ما معه كما ألقينا ما معنا. فصاغه عجلاً. ثم ألقى في فيه التراب الذي كان أخذه من تحت حافر فرس جبريل.

وقال بعضهم: قد كان الله وقّت لموسى ثلاثين ليلة وأتمّها بعشر. فلما مضت الثلاثون قال السامري: إنما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحلي الذي معكم. فهاتوه[1]. وكان حلياً استعاروه من آل فرعون، فساروا وهي معهم فقذفوها إليه، فصوروها صورة بقرة. وكان قد صرّ في عمامته قبضة من أثر فرس جبريل يوم جاز بنو إسرائيل البحر فقذفها فيه. (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ)، أي: جعل يخور خوار البقرة، (فَقَالَ) عدو الله: (هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ). وكان السامري من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة. ولكنه نافق بعدما قطع البحر مع موسى.

= الميم المشددة، والباقون بفتحها مع التخفيف».

(1) في ب و ع: فهلمّوه. وهو صحيح في العربية، وفي ز، ورقة 209: «فهاتوه»، وهو أصح وأوضح، وفي سع ورقة 28 و: فهابوه. وهو خطأ وفيه تصحيف.

قال الله: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ ﴾ أي كخوار البقرة. وقال مجاهد: له خوار، حفيف الريح فيه.

﴿ فَقَالُوا هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ أي فنسي موسى. يقول: إنما طلب هذا ولكنه نسيه، خالف في الطريق طريقا اخر[1].

قال الله تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً[2] وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونَ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبل أن يرجع إليهم موسى حين اتخذوا العجل: ﴿ يَـٰقَـوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ﴾ أي بالعجل ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ ﴾ أي لا نزول ﴿عَـٰكِفِينَ﴾ أي نعبده ﴿ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ موسى لهارون لما رجع ورأى أنهم اتخذوا العجل: ﴿ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي. قَالَ يَـٰبْنَؤُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي ﴾ وقد قال في آية أخرى: (وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) [الأعراف: 150].

﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ أي: ولم تنتظر أمري، يعني الميعاد برجوعه، ولقد تركتهم وجئت، وقد استخلفتك فيهم. يقول لو اتبعتك وتركتهم لخشيت أن تقول لي هذا القول. ثم أقبل موسى على السامري فـ ﴿ قَالَ ﴾ له:

﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِيُّ ﴾ أي: ما حاجتك[3]؟ ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾

(1) كذا وردت العبارة في ع، وفي سع ورقة 28 و: «ولكن نسيه وخالفه في طريق آخر»، وفي معاني الفراء ج 2 ص 190: «(فَنَسِيَ)، يعني أن موسى نسي، أخطأ الطريق فأبطأ عنهم فاتخذوا العجل فعيّرهم الله». وانظر اختلاف المفسرين في قوله تعالى: (فَنَسِيَ) في تفسير الطبري ج 16 ص 200 - 201.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 24: «مجازه أنه لا يرجع إليهم قولاً، ومن لم يضمر الهاء نصب ألا يرجعَ».

(3) كذا في المخطوطتين و ع: ما حاجتك، وفي سع ورقة 28 و: ما حجتك؟ وهو أصح. وفي تفسير =

يعني بني إسرائيل ﴿ فَنَبَذْتُهَا ﴾ أي: ألقيتها في العجل، أي حين صاغه، وكان صائغاً. فخار العجل، وهي في قراءة ابن مسعود: من أثرِ الفرس؛ كان أخذها من أثر فرس جبريل فَصَرَّها في عمامته يوم قطع البحر فكانت معه.

ذكر ابن عباس أن هارون أتى على السامري وهو يصنع. فقال: ما تصنع؟ قال: أصنع ما يضر ولا ينفع[1]. فقال هارون: اللهم اعطه ما سألك على ما في نفسه. فلما صنعه قال: اللهم إني أسألك أن يخور، فخار العجل، وذلك لدعوة هارون[2].

قوله عز وجل: ﴿ وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ أي: وكذلك زيّنت لي نفسي: أي: وقع في نفسي إذا ألقيتها في العجل خار.

﴿ قَالَ ﴾ له موسى: ﴿ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الحَيَوٰةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ أي: حياة الدنيا، أي: لا تماس الناس ولا يماسونك، فهذه عقوبتك في الدنيا ومن كان على دينك إلى يوم القيامة.

والسامرةصنف من اليهود؛ وبقايا السامرة حتى الآن بأرض الشام يقولون: لا مساس.

قال: ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ لَنْ تُخْلَفَهُ ﴾ أي: توافيه فيجزيك الله فيه بأسوأ عملك. وقال بعضهم: (لَنْ تُخْلَفَهُ) أي: لن تغيب عنه.

﴿ وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلٰهِكَ الذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً ﴾ أي: صرت عليه عاكفاً، أي: عابداً ﴿ لَنُحرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي اليَمِّ نَسْفاً ﴾.

= الطبري ج 16 ص 204: «ما أمرك؟» «وما شأنك؟» «وما لك». وهي أنسب.

(1) كذا في ب وفي سع، وفي تفسير مجاهد: «ما يضر ولا ينفع». وفي ع: ما لا يضر ولا ينفع. وفي تفسير القرطبي: «ما ينفع ولا يضر».

(2) في تفسير مجاهد جاءت العبارة أكثر وضوحاً: «فلما قفّى هارون قال السامري: اللهم إني أسألك أن يخور، فخار، فكان إذا خار سجدوا، وإذا خار رفعوا رؤوسهم، وإنما خار لدعوة هارون».

قال بعضهم: [لَنبرِدَنَّهُ ثم لننسفنّه في اليم نسفاً][1] وقال الكلبي: ذبحه موسى، ثم أحرقه بالنار، ثم ذَرّاه في البحر. وهذا في قول من قال: إنه تحوّل لحماً ودماً. وقوله: (لَنَنْسِفَنَّهُ) هو حين ذَرّاه في البحر.

قوله: ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ أي: ملأ كل شيء علماً، أي لا يكون شيء إلا بعلم الله.

قوله عز وجل: ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِن أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ أي: من أخبار ما قد مضى. ﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ﴾ أي: أعطيناك ﴿ مِن لَّدُنَّا ﴾ أي: من عندنا ﴿ ذِكْراً ﴾ يعني القرآن؛ ﴿ مَّن أَعْرَضَ عَنْهُ ﴾ أي عن القرآن ولم يؤمن به ﴿ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً ﴾ قال مجاهد: إثماً. ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ﴾ قال الحسن: في ثواب ذلك الوزر، وهو النار. ﴿ وَسَاءَ لَهُمْ ﴾ أي وبئس لهم ﴿ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ حِمْلاً ﴾ أي: ما يحملون على ظهورهم من الوزر. وهو قوله: (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمُ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) [الأنعام: 31].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال[2]: إذا كان يوم القيامة بعث الله مع كل امرىء عمله؛ بعث مع المؤمن عمله في أحسن صورة رآها قط، أحسنه حسناً، وأجمله جمالاً، وأطيبه ريحاً. لا يرى شيئاً يخافه، ولا شيئاً يروعه إلا قال: لا تخف وأبشر بالذي يسرّك، لا والله ما أنت الذي يُراد، ولا أنت الذي يُعنى. فإذا قال له ذلك مراراً قال له: من أنت، أصلحك الله؟ والله ما رأيت أحسن منك وجهاً، ولا أطيب منك ريحاً، ولا أحسن منك لفظاً. فيقول له: أتعجب من حسني؟ فيقول: نعم. فيقول: إني والله

---

(1) زيادة من سع ورقة 28 و. وهذا على قراءة من قرأها: «لنحرُقَنّه» بفتح النون وضم الراء مخففة. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 191: «(لَنَحرُقَنَّهُ) لنبردنه بالحديدة برداً. من حرقت «أحرُق وأحرِق لغتان. . .» وقال: حدثني حبان بن علي عن الكلبي عن أبي صالح أن علي بن أبي طالب قال: (لَنَحْرقَنّه) لنبرُدنه.

(2) أخرجه يحيى بن سلام في سع ورقة 28 ظ بالسند التالي: يحيى عن صاحب له عن إسماعيل ابن رافع عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول. . .

عملك. إن عملك والله كان حسناً. إنك كنت تحملني في الدنيا على ثقلي. وإني والله لأحملنَّك اليوم، فيحمله. وإنها التي يقول: ﴿ وَيُنَجِّي اللهُ الذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر: 61].

قال: ويبعث مع الكافر عمله في أقبح صورة رآها قط، أقبحه قبحاً، وأنتنه ريحاً، وأسوأه منظراً. لا يرى شيئاً يخافه ولا يروعه إلا قال له: يا خبيث، أبشر بالذي يسوءك. أنت والله الذي يُراد، والذي يُعنىٰ. فإذا قال له ذلك مراراً قال له: أعوذ بالله منك، والله ما رأيت أحداً أسوأ منك لفظاً، ولا أقبح منك وجهاً، ولا أنتن منك ريحاً. فيقول له: أتعجب مني؟ فيقول: نعم، فيقول: أنا والله عملك الخبيث، إن عملك والله كان قبيحاً. إنك كنت تركبني في الدنيا، وإني والله لأركبنّك اليوم. وإنها التي يقول الله: ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الأنعام: 31].

قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ والصور قرن ينفخ فيه صاحب الصور فينطلق كل روح إلى جسده. قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي المشركين، وهذا حشر إلى النار ﴿ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ﴾ أي: مسودّة وجوههم كالحة. ﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: يسارّ بعضهم بعضاً ﴿ إِنْ لَبِثْتُمْ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ إِلاَّ عَشْراً ﴾ أي: يقلّلون لبثهم في الدنيا، تصاغرت الدنيا عندهم.

قال الله عز وجل: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ وقال الله عز وجل في آية أخرى: ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾ [طَه: 63]. قال بعضهم: كانوا أكثر عدداً وأموالاً. وقال بعضهم: ﴿ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ أي أعدلهم طريقة. ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ ﴾ أي: ما لبثتم ﴿ إِلاَّ يَوْماً ﴾.

وهي مواطن. قالوا: إِلاَّ عَشْراً وَإِلاَّ يَوْماً و﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [المؤمنون: 113]. وقال عز وجل: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ [النازعات: 46] وقال عز وجل: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن

نَّهَارٍ) [الأحقاف: 35] وقال عز وجل: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) [الروم: 55] وذلك لتصاغر الدنيا عندهم وقلتها في طول الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ قال المشركون للنبي ﷺ: يا محمد، كيف هذه الجبال في ذلك اليوم الذي تذكر؟ فأنزل الله: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ).

﴿ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ﴾ أي: من أصولها. ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾ أي: فيذر الأرض ﴿ قَاعاً صَفْصَفاً ﴾ القاع الذي لا أثر عليه[1] وهي القرقرة. والصفصف الذي ليس عليه نبات، كلها مستوية في تفسير مجاهد.

﴿ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً ﴾ قال مجاهد: انخفاضاً ﴿ وَلَا أَمْتاً ﴾ ولا ارتفاعاً. وقال الحسن: فصار غُمار البحور ورؤوس الجبال سواء. وقال ابن عباس: العِوَج: الوادي. (وَلَا أَمْتاً) قال بعضهم: الأمت: الحدب[2].

قوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾ أي: يوم تكون الأرض والجبال كذلك، (يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ) أي صاحب الصور، فيسرعون إليه حين يخرجون من قبورهم إلى بيت المقدس. وقال عبد الله بن مسعود: يقوم ملك بين السماء والأرض بالصور فينفخ فيه. قال بعضهم: من الصخرة من بيت المقدس.

قوله عز وجل: ﴿ لَا عِوَجَ لَهُ ﴾ أي لا معدل عنه. لا يتعوَّجون، أي عن إجابته يميناً ولا شمالاً.

قوله: ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ أي: سكنت. كقوله: (لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ) [النبأ: 38].

(1) كذا في ز: «لا أثر عليه» وفي ب و ع و سع: «لا ثرى عليه» وأصل القاع: مستنقع الماء. وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 29: « (فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً) أي مستوياً أملس».

(2) وقال أبو عبيدة، وهو أدق تعبيراً وأكثر فائدة: «ولا أمتاً» مجازه: لا رُبى ولا وطئاً، أي: لا ارتفاع ولا هبوط. يقال: مدّ حبله حتى ما ترك فيه أمتاً، أي: استرخاء، وملأ سقاءه حتى ما ترك فيه أمتاً، أي: انثناء».

قال عزّ وجلّ: ﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً ﴾. قال الحسن: وطء الأقدام، وفي قراءة أبي بن كعب: لا ينطقون إلا همساً.

قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ أي: التوحيد والعمل بالفرائض. وهو كقوله عز وجل: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلاَئِكَةُ صَفّاً لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَاباً) [النازعات: 46] أي التوحيد. والكفار ليست لهم شفاعة، لا يشفع لهم، كقوله عز وجل: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ) [الأنبياء: 28].

قوله عز وجل: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: من أمر الآخرة ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي: من أمر الدنيا إذا صاروا في الآخرة. ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ أي: ويعلم ما لا يحيطون به علماً. وهو تبع للكلام الأول، أي: ويعلم ما لا يحيطون به علماً، أي: ما لا يعلمون[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ أي: وذلّت الوجوه للحيّ القيّوم وتفسير القيّوم: القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجزيها بعملها.

قوله عز وجل: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ﴾ أي: من مشرك ومن منافق؛ أي: خاب من حمل شركاً، وخاب من جمل نفاقاً. وهو ظلم دون ظلم وظلم فوق ظلم.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً ﴾ أى: لا يجزى بالعمل الصالح في الآخرة إلا المؤمن، ويجزى به الكافر في الدنيا.

(فَلَا يَخَافُ ظُلْماً) أي يزاد عليه في سيئاته في تفسير الحسن. وقال بعضهم: (فَلَا يَخَافُ ظُلْماً) أي: أن يحمل عليه من ذنب غيره. (وَلَا هَضْماً) أي: ولا ينقص من حسناته.

(1) كذا في المخطوطتين ب و ع وفي سع 29 و. وهو تكرار لا فائدة منه تذكر.

قوله عز وجل: ﴿ وَكَذلِكَ أَنْزَلْنَهُ قُرْءاناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ ﴾ أي: من يعمل كذا فله كذا، فذكره في هذه السورة، ثم في سورة أخرى: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِث لَهُمْ ذِكْراً ﴾ أي: القرآن. وهي تقرأ بالياء والتاء. فمن قرأها بالياء فهو يقول: (أَوْ يُحدِثُ لَهُمُ القُرْآن ذِكراً) أي: جدّاً وورعاً. ومن قرأها بالتاء فهو يقول: أو تحدث لهم يا محمد ذكراً[1].

قوله: ﴿ فَتَعَـٰلَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ ﴾. تعالى من باب العلو، أي: ارتفع الله الملك الحق، والحق اسم من أسماء الله.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي بيانه. وقال الحسن: (وَحْيُهُ) أي فرائضه وحدوده وأحكامه، وحلاله وحرامه.

وكان النبي عليه السلام إذا نزل عليه الوحي جعل يقرأه ويذيب فيه نفسه مخافة أن ينساه. فأنزل الله: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَل بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَـهُ) [القيامة: 16 - 17] أي: نحن نحفظه عليك فلا تنسى. قال الله: (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ) [الأعلى: 6 - 7] وهو قوله: (مَا نَنْسَـخْ مِنَ آيَـةٍ أَوْ نُنْسِهَا) [البقرة: 106] أي: ينسيها نبيَّه عليه السلام، قال تعالى: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) [القيامة: 18]. أي: فرائضه وحدوده والعمل به.

وقال مجاهد: (لَا تَعْجَلْ بِالْقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ) أي: لا تتله على أحد حتى نتمّه لك.

قال عز وجل: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني ما أمر به ألاَّ يأكل من

(1) وقد أورد بعض المفسرين وجهاً آخر للذكر. قال الفراء في المعاني ج 2 ص 193: (أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً): شرفاً. وهو مثل قول الله: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) [الزخرف: 44] أي شرف. ويقال: عذاباً، أي يتذكرون حلول العذاب الذي وُعِدُوه.

الشجرة. ﴿ فَنَسِيَ ﴾ يعني: فترك العهد، يقول: فترك ما أمر به. ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ أي: صبراً[1].

قال عز وجل: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾ أن يسجد ﴿ فَقُلْنَا يَـٰئَادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾ أي: إنكما إن عصيتما الله أخرجكما من الجنة، فتشقى، أي في الدنيا، بالكدح فيها. وقال بعضهم: (فَتَشْقَىٰ) أي تأكل من عمل يديك وعرق جبينك.

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ كانا كسيا الظفر. ﴿ وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا ﴾ أي: لا تعطش فيها ﴿ وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ أي: لا تصيبك الشمس[2]. أي: ما لم تعص.

قال عز وجل: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَـٰنُ قَالَ: يَـٰئَادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ أي إنك إن أكلت من الشجرة خلدت في الجنة، وهو كقوله عز وجل: (مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) [الأعراف: 23] يقول: إذا أكلتما من الشجرة تحوّلتما ملكين من ملائكة الله، أو كنتما من الخالدين الذين لا يموتون.

ذكر بعضهم قال: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلّها مائة عام ما يقطعها. قيل: أي شجرة هي؟ قال: شجرة الخلد.

قوله عز وجل: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا ﴾ فبدأت حواء قبل آدم في تفسير الكلبي. ﴿ فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾ ذكر الحسن عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ:

(1) هذا وجه من وجوه تأويل العزم. وهو الصبر. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 192: «صريمة ولا حزماً فيما فعل». وقال الطبري في تفسيره ج 16 ص 222: «يكون تأويله: ولم نجد له عزم قلب، على الوفاء لله بعهده، ولا على حفظ ما عهد إليه».

(2) قال ابن أبي زمنين في ز ورقة 210: «يقال ضحِيَ يضحَى إذا برز إلى الضحاء، وهو حر الشمس». وفي اللسان: «ضحا الرجل وضحِيَ يَضْحَى ضحواً وضحياً». وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 194: (لا تضحى): لا تصيبك شمس مؤذية».

كان آدم رجلاً طوالا كأنه نخلة سحوق، جعد الرأس. فلما وقع به ما وقع بدت له عورته، وكان لا يراها قبل ذلك. فانطلق هارباً في الجنة، فأخذت شجرة من شجر الجنة برأسه، فقال لها: أرسليني. فقالت: لست بمرسلتك. فناداه ربه: يا آدم، أمني تهرب؟ فقال: رب إني أستحييك[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَّرَقِ الجَنَّةِ ﴾ أي: وجعلا يخصفان، أي يرقعان من ورق الجنة كهيئة الثوب.

قال عز وجل: ﴿ وَعَصَىٰ ءَادَمُ رَبَّهُ فَغوىٰ ﴾ يعني المعصية، ولم يبلغ بالمعصية الضلال[2].

﴿ ثُمَّ اجْتَبَـٰهُ رَبُّهُ ﴾ وهو قوله: (فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ) [البقرة: 37] و(قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَـرْحَمْنَا لَنَكُـونَنَّ مِنَ الخَاسِـرِينَ) [الأعراف: 23]. قال عز وجل: ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ أي: من ذلك الذنب ﴿ وَهَدَىٰ ﴾ أي: مات على الهدى.

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾. وقد فسّرناه في سورة البقرة[3]. ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ [أي رسلي وكتبي][4] ﴿ فَلاَ يَضِلُّ ﴾ أي في الدنيا ﴿ وَلاَ يَشْقَىٰ ﴾ أي في الآخرة[5].

---

(1) انظر تخريجه فيما سلف ج 2 ص 10.

(2) كذا في ب و ع، وسع ورقة 30 ط. وفي ز ورقة 211: «ولم يبلغ بمعصيته الكفر».

(3) انظر ما سلف ج 1 ص 29.

(4) زيادة من ز، ورقة 211.

(5) روى مجاهد في تفسيره ص 404 أثراً عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَىٰ) «يقول: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه سوء الحساب، وذلك بأن الله عز وجل يقول: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَىٰ)». فاللّهم اهدنا صراطك المستقيم وانفعنا بكتابك الكريم، وقنا سوء حسابك. آمين.

﴿ ومَن أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ﴾ أي: فلم يتّبع هداي ولم يؤمن ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾ أي عذاب القبر[1].

وذكروا عن ابن مسعود قال: (مَعِيشَةً ضَنْكاً): عذاب القبر. قال: يلتئم على صاحبه حتى تختلف أضلاعه[2].

ذكروا أن الرجل المؤمن إذا وضع في قبره، فانصرف عنه الناس، أتاه صاحب القبر الذي وكل به، فأتاه من قبل جانبه الأيمن، فقالت له الزكاة التي كان يعطي: لا تفزعه من قِبَلي اليوم، ثم أتاه من قبل رأسه فقال له القرآن الذي كان يقرأ: لا تفزعه من قِبَلي اليوم. ثم جاءه من قبل رجليه فقالت الصلاة التي كان يصلّي: لا تفزعه من قِبَلي اليوم. ثم جاءه من جانبه الأيسر، فأيقظه إيقاظك الرجل الذي لا تحب أن تفزعه فقال له: من ربك؟ فقال: الله وحده لا شريك له. ثم قال له: من نبيّك؟ قال: محمد ﷺ. قال: فما دينك؟ قال: الإسلام، وعلى ذلك حييت، وعلى ذلك مت؟ قال: نعم، وعلى ذلك تبعث؟ قال: نعم. قال: صدقت. قال: فيفتح له في جنب قبره، فيريه منزله من الجنة وما أعد الله له من الكرامات، فيشرق وجهه، وتفرح نفسه، ثم يقال له: نم نوم العروس الذي لا يوقظه إلا أعز أهله عليه.

ويؤتى بالكافر فلا يجد شيئاً يحول دونه: لا صلاة ولا قراءة ولا زكاة، فيوقظه إيقاظك الرجل الذي تحبّ أن تفزعه، فيقول له: من ربّك؟ فيقول: أنت. فيقول: من نبيّك؟ فيقول: أنت. فيقول: وما كان دينك؟ فيقول: أنت. فيقول: صدقت، لو كان لك إلّه تعبده لاهتديت له اليوم، فيفتح له في جنب قبره فيريه منزله من النار وما أعد الله له من العذاب، ويضربه ضربة يتناصل منها كل عظم من مفصله، فيسمعه الخلق

(1) قال أبو عبيدة في المجاز: «(فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً) مجازه معيشة ضيّقة. والضنك توصف به الأنثى والمذكّر بغير الهاء، وكل عيش أو منزل أو مكان ضيق فهو ضنك».

(2) روى هذا الأثر في سع بسند عن أبي سعيد الخدري. ورواه مجاهد في تفسيره ص 404 حديثاً بسند صحيح يرفعه إلى رسول الله ﷺ من حديث أبي هريرة ولفظه: المعيشة الضنك عذاب القبر. وانظر ما سلف ج 2 ص 113 - 114.

إلا الثقلين: الإنس والجن، ثم يقذف به في مقلى ينفخه نافخان لا يميل إلى هذا إلا رده إلى هذا، ولا يميل إلى هذا إلا رده إلى هذا حتى ينفخ في الصور النفخة الأولى فيقال له: اخمد؛ فيخمد حتى ينفخ في الصور النفخة الثانية؛ فيبعث مع الخلق، فيقضى له كما يقضى لهم، لا راحة له إلا ما بين النفختين.

قوله عز وجل: ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ أي عن حجته. كقوله: (وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) [المؤمنون: 117] أي: لا حجة لديه.

﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ ﴾ أي: عن حجّتي ﴿ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ﴾ أي: عالماً بي حتى في الدنيا، وإنما علمه ذلك عند نفسه في الدنيا، كان يحاجّ في الدنيا. [جاحداً لما جاء من الله][1]. وقال بعضهم: أعمى عن الحق، أي: في الدنيا.

قال الله عز وجل: ﴿ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا﴾ أي: لأنه أتتك آياتنا في الدنيا ﴿ فَنَسِيتَهَا ﴾ أي: فتركتها ولم تؤمن بها. ﴿ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ ﴾ أي: تترك في النار. وقال بعضهم: نُسِي من الخير، أي ترك من الخير ولم ينس من الشر، أي: ولم يترك من الشر.

قال عز وجل: ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ ﴾ أي: من أشرك، أي أسرف على نفسه بالشرك ﴿ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِئَايَتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ ﴾ من عذاب الدنيا ﴿ وَأَبْقَىٰ ﴾ أي: لا ينقطع أبداً.

قوله عز وجل: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ ﴾ قال الحسن: أي: قد بيّنا لهم، مقرأه على النون[2]، كيف أهلكنا القرون الأولى، يحذرهم ويخوفهم العذاب إن لم يؤمنوا.

قال عز وجل: ﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَـٰكِنِهِمْ﴾ أي: تمشي هذه الأمة في مساكن من

(1) زيادة من ز ورقة 212.

(2) جاء في سع ورقة 31 ط: (أَفَلَمْ يَهْدِ) بالياء وكذلك جاءت في ب و سع، وهي عندنا قراءة ورش عن نافع. وقرأ الحسن بالنون: (أَفَلَمْ نَهْدِ).

مضى. أي: يمشون عليها وإن لم تكن الديار قائمة ولكن المواضع، كقوله عز وجل: (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ القُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) [هود: 100] أي منها قائم تراه، ومنها حصيد لا تراه.

قال عز وجل: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَـٰتٍ لأُولِي النُّهَىٰ ﴾ أي: لأهل العقول، وبعضهم يقول: لأهل الورع، وهم المؤمنون.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ قال الحسن: ألا يعذب هذه الأمة بعذاب الاستئصال إلا بالساعة، يعني النفخة الأولى ﴿ لَكَانَ لِزَاماً ﴾ أي: أخذاً بالعذاب، أي: يُلزَمون عقوبة كفرهم [فأهلكوا جميعاً لجحودهم ما جاء به النبي عليه السلام][1] وفي الآخرة [وَأَجَلٌ مُسَمًّى] أي: الساعة. وهذا من مقاديم الكلام. يقول: (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ) وأَجَلٌ مُسَمًّى لكان لزاماً.

قوله عز وجل: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ من قولهم إنك ساحر وإنك شاعر، وإنك مجنون، وإنك كاهن، وإنك كاذب ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴾ يعني صلاة الصبح ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ أي الظهر والعصر ﴿ وَمِنْ ءَانَاءِ اللَّيْلِ ﴾ يعني المغرب والعشاء ﴿ فَسَبِّحْ ﴾. وقال بعضهم: (وَمِنْ آنَـاءِ اللَّيْلِ) أي: ساعات الليل[2] ﴿ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ﴾ قال الحسن: يعني التطوّع.

وذكروا عن الحسن في قوله عز وجل: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) ما بين صلاة الصبح وصلاة العصر (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) [هود: 114] أي: المغرب والعشاء.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 212. وفي سع ورقة 31 ط: «أي: إذاً لأهلكناهم بجحودهم جميعاً».

(2) وهو الصواب. قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 33: «(ومن آناء الليل) أي: ساعات الليل، واحدها إني، تقديره حِسي والجميع أحساء. وقال المتنخل الهذلي وهو أبو أثيلة:

حُلْوٌ وَمُرٌّ كَعَطْفِ القِـدْحِ مِـرَّتُـهُ ... فِي كُلِّ إِنْيٍ قَضَاهُ اللَّيْـلُ يَنْتَعِلُ»

والبيت من قصيدته التي يرثي بها أُثَيْلَة ابنه ومطلعها:

مَا بَالُ عَيْنِك تَبْكِي دَمْعُهَا خَضِـلُ ... كَمَـا وَهَى سَرِبُ الأَخْـرَاتِ مُنْبَزِلُ

انظر السكري، شرح أشعار الهُذليين ج 3 ص 1280 - 1285.

قوله عز وجل: ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ أي ثواب عملك في الآخرة.

وقال الحسن: (لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ) أي: فإنك سترضىٰ ثواب عملك. وهي تقرأ على وجه آخر: (لَعَلَّكَ تُرْضَىٰ) أي: تُرضىٰ في الآخرة بثواب عملك. أي: يرضيك الله بالثواب.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ ﴾ [أصنافاً منهم][1] يعني الأغنياء. ﴿ زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ أي: زينة الحياة الدنيا. أمره الله أن يزهد في الدنيا ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ أي لنبتليهم فيه، لنختبرهم فيه.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: خصلتان من كانتا فيه كتبه الله صابراً وشاكراً، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً: من نظر إلى من فوقه في الدين ودونه في الدنيا فاقتدى بهما كتبه الله صابراً وشاكراً. ومن نظر إلى من فوقه في الدنيا ودونه في الدين فاقتدى بهما لم يكتبه الله صابراً ولا شاكراً[2].

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: خير الرزق الكفاف، اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً[3].

قوله عز وجل: ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ ﴾ أي: في الجنة ﴿ خَيْرٌ ﴾ من الدنيا ﴿ وَأَبْقَىٰ ﴾ أي: لا نفاد له.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 212.

(2) انظر مامضى ج 2 ص 251.

(3) هما حديثان. أخرج الأول منهما أحمد في الزهد عن زياد بن جبير مرسلاً ولفظه: خير الرزق الكفاف. ورواهما ابن سلام في سع ورقة 31 ظ عن الحسن مرسلين متصلين. والصواب أنهما حديثان. فقد أخرج الحديث الثاني الترمذي وابن ماجه ومسلم. أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة عن أبي هريرة (رقم 1054) ولفظه: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً» وفي لفظ له آخر: «كفافاً» كما في كتاب الزهد والرقائق. وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب القناعة، عن أبي هريرة (رقم 4139) ولفظه: «اللهم ارزق آل محمد قوتاً». وفي اللسان: «القوت ما يمسك الرمق من الرزق». وقيل: «هو ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام» كما عرفه الجوهري في الصحاح.

قال بعضهم: ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ مما متع به هؤلاء من زهرة الحياة الدنيا.

قوله عز وجل: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ ﴾ وأهله في هذا الموضع أمته. ﴿ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً ﴾ أي لا نسألك على ما أعطيناك من النبوة رزقاً. وتفسير الحسن في ذلك في التي في والذاريات: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ [الذاريات: 17] أي: أن يرزقوا أنفسهم. قال بعضهم: فإن كانت هذه عند الحسن مثلها فهو لا نسألك رزقاً أي: أنت ترزق نفسك. وهذا أعجب إليّ.

﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ أي: لأهل التقوى، والعاقبة الجنة. كقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: 35].

قوله عز وجل: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا ﴾ أي: هلا ﴿ يَأْتِينَا بِئَايَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ قال الله عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾ أي: في التوراة والإنجيل. كقوله عز وجل: ﴿ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ [الأعراف: 157].

قوله عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَـٰهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ ﴾ أي من قبل القرآن ﴿ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً ﴾ أي هلا أرسلت إلينا رسولاً ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِنْ قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ في العذاب.

قال الله عز وجل للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ ﴾ أي: نحن وأنتم. كان المشركون يتربّصون بالنبي عليه السلام الموت، وكان النبي عليه السلام يتربّص بهم أن يأتيهم العذاب.

قال الله عز وجل: ﴿ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ ﴾ أي الطريق السويّ، أي العدل المستقيم إلى الجنة، وهو الإسلام ﴿ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾ أي: فستعلمون أن النبي عليه السلام والمؤمنين كانوا على الصراط السوي وهو طريق الجنة، وأنهم ماتوا على الهدى.

تفسير سورة الأنبياء
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ أي: إن ذلك قريب. ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين[1] وجمع بين أصبعيه الوسطى والتي يقول لها الناس السبابة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: حين بعث إليّ بعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه، وقدم رجلاً وأخر أخرى، ينظر متى يومر فينفخ، ألا فاتقوا النفخة الأولى[2].

قوله عز وجل: ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ يعني المشركين في غفلة عن الآخرة، معرضون عن القرآن.

﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ أي: كلما نزل من القرآن شيء أعرضوا عنه. قال عز وجل: ﴿ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ أي: يسمعونه بآذانهم ولا تقبله عقولهم.

---

(1) حديث صحيح رواه أحمد والشيخان وغيرهم عن أنس بن مالك وعن سهل بن سعد وعن جابر ابن عبد الله. أخرجه البخاري مثلاً في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين. وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، (رقم 2950 و 2951) ولفظه عند مسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وفي رواية له: «بعثت أنا والساعة هكذا».

(2) أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مشابهة عن أبي سعيد الخدري، وفيه: «كيف أنعمُ وصاحب الصور قد التقمه...».

قال بعضهم: لما نزلت هذه الآية قال أناس من أهل الضلالة: زعم صاحبكم أن الساعة قد اقتربت؛ فتناهوا قليلاً؛ قال: ليس يعني عن شركهم، ثم قال أناس من أهل الضلالة: يزعم هذا الرجل أنه قد أتى أمر الله؛ فتناهوا قليلاً ثم عادوا، فأنزل الله في سورة هود: (وَلَئِن أَخَّرْنا عنهُمُ العَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ) [هود: 8] قال الله عز وجل: (أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ) يعني العذاب.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: غافلة قلوبهم عنه.

قوله عز وجل: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ الذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: الذين أشركوا، أسرّوا ذلك فيما بينهم، يقوله بعضهم لبعض[1]. ﴿ هَلْ هٰذَا ﴾ يعنون محمداً ﷺ، ﴿ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ ﴾ يعنون القرآن، أي: أفتصدّقون به ﴿ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ أنه سحر.

قال الله عز وجل للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ رَّبِّي يَعْلَمُ القَوْلَ ﴾ يعني السّرّ ﴿ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ أي: لا أسمع منه ولا أعلم منه.

ثم قال عز وجل: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ ﴾ أي كذب أحلام ﴿ بَلِ افْتَرَٰهُ ﴾ محمد ﴿ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ أي: محمد شاعر ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِئَايَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ﴾ أي: كما أرسل موسى وعيسى فيما يزعم محمد.

قال الله عز وجل: ﴿ مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي أن القوم إذا كذّبوا رسلَهم وسألوه الآية فجاءتهم الآيةُ ثمّ لم يؤمنوا بها أهلكهم الله؛ أفهم يؤمنون إن جاءتهم الآية؟ أي: لا يؤمنون، إن جاءتهم الآية.

قال عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً يُوحَىٰ إِلَيْهِم فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ وهم أهل الكتاب، عن ذلك. وهم أهل التوراة والانجيل في تفسير بعضهم، يعني من

(1) انظر إعراب هذه الجملة: (وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ الذِينَ ظَلَمُوا) في مجاز أبي عبيدة ج 2 ص 34. وقال أبو عبيدة: «(وأسرّوا) من حروف الأضداد، أي أظهروا».

آمن منهم: عبد الله بن سلام وأصحابه المؤمنين[1].

قوله عز وجل: ﴿ إِنْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وهم لا يعلمون. وهي كلمة عربية معقولة[2]. يقول: إن كنت لا تصدق فاسأل. وهو يعلم أنه قد كذب.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَمَا جَعَلْنَـٰهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ يعني النبيين. ولكن جعلناهم جسداً يأكلون الطعام. وقد قال المشركون: (مَا لِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ) [الفرقان: 7].

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانُوا خَـٰلِدِينَ ﴾ أي ما كانوا يخلدون في الدنيا لا يموتون.

قوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَـٰهُمُ الوَعْدَ ﴾ كانت الرسل تحذّر قومَها عذاب الله في الدنيا وعذابه في الآخرة إن لم يؤمنوا، فلما لم يؤمنوا صدَق اللهُ رسلَه الوعدَ فأنزل العذاب على قومهم.

قال: ﴿ فَأَنْجَيْنَـٰهُمْ وَمَن نَّشَاءُ ﴾ يعني النبي والمؤمنين ﴿ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ يعني المشركين.

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَـٰباً ﴾ أي القرآن ﴿ فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ أي: فيه شرفكم، يعني قريشاً، أي لمن آمن به ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يقوله للمشركين.

قوله عز وجل: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا ﴾ أي: أهلكنا ﴿ مِنْ قَرْيَةٍ كَانَت ظَالِمَةً ﴾ أي مشركة، يعني أهلها. ﴿ وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا ﴾ أي: وخلقنا بعدها ﴿ قَوْماً ءَاخَرِينَ ﴾.

قال عز وجل: ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا ﴾ أي عذابنا، يعني قبل أن يُهلكوا، رجع

---

(1) وقيل أهل الذكر هم أهل القرآن. وقد رُوي عن جابر الجعفي أنه قال: لما نزلت الآية قال الإمام علي: نحن أهل الذكر.

(2) كذا في ب و ع: «معقولة» ويبدو أن في الكلمة تصحيفاً، ولعلها «مقولة». وسقطت الكلمة من سع.

إلى قصة من أهلك ﴿ إِذَا هُم مِّنْهَا ﴾ أي: من القرية ﴿ يَرْكُضُونَ ﴾ أي: يفرون من العذاب حين جاءهم.

يقول الله عز وجل: ﴿ لَا تَرْكُضُوا ﴾ أي: لا تفروا ﴿ وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾ يعني نعيمهم الذي كانوا فيه ﴿ وَمَسَـٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴾ أي: من دنياكم شيئاً. أي: لا تقدرون على ذلك ولا يكون ذلك، يقال لهم هذا استهزاءً بهم[1].

﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا ﴾ وهذا حين جاءهم العذاب ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾.

قال الله عز وجل: ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ ﴾ [يعني قولهم يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ][2]، ﴿ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَـٰمِدِينَ﴾ يعني قد هلكوا[3].

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَـٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾ أي: إنما خلقناهما للبعث والحساب والجنة والنار.

قوله عز وجل: ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً ﴾ واللهو المرأة بلسان اليمن فيما قال الحسن[4]. وذلك أن المشركين قالوا: إن الملائكة بنات الله. وقد قال في سورة الأنعام: (بَدِيعُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ) [الأنعام: 101].

قال عز وجل: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَـٰطِلِ ﴾ بالحق، أي بالقرآن على

---

(1) وقع اضطراب في هذه الجمل الأخيرة في ب و ع فأثبت صحتها من ز ورقة 213.
(2) زيادة من سع ورقة 32 ظ.
(3) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 36: «والحصيد: مجازه مجاز المستأصل، وهو يوصف بلفظ الواحد والاثنين والجميع من الذكر والأنثى سواء، كأنه أجرى مجرى المصدر الذي يوصف به الذكر والأنثى والإثنان والجميع منه على لفظه، وفي آية أخرى: (كَانَتَا رَتْقاً) مثله».
(4) وفي معاني الفراء ج 2 ص 200 ما يلي: «حدثني حبّان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: اللهو: الولد بلغة حضرموت. وقوله: (إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ) جاء في التفسير: ما كنا فاعلين. و (إنْ) قد تكون في معنى (ما) كقوله: (إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ) وقد تكون (إن) التي في مذهب جزاء، فيكون: إن كنا فاعلين ولكنّا لا نفعل. وهو أشبه الوجهين بمذهب العربية، والله أعلم».

باطلهم، أي شركهم ﴿ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ أي ذاهب. قال تعالى: ﴿ وَلَكُمُ الوَيْلَ ﴾ أي: العذاب ﴿ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ أي: مما تكذبون، لقولهم إن الملائكة بنات الله.

قال تعالى: ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾ يعني الملائكة ﴿ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ ﴾[1] أي: ولا يُعيَوْن. ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ ﴾.

ذكروا عن ابن عباس في تفسيرها قال: انظر إلى بصرك هل يؤودك[2]، أي: هل يثقل عليك، وانظر إلى سمعك هل يؤودك، وانظر إلى نَفَسك[3] هل يؤودك، فكذلك الملائكة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أطّت السماء وحُقَّ لها أن تئط؛ ليس فيها موضع شبر إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد[3].

ذكروا عن عطاء قال: ليس في السماوات موضع شبر إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد.

قوله تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا ءَالِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴾ أي: هم يحيون الموتى، على الاستفهام. أي: قد اتخذوا آلهة لا ينشرون أي لا يحيون الموتى.

قال: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (لَوْ كَانَ فِيهِمَا) أي في السماوات

---

(1) «(لا يَسْتَحْسِرُونَ) أي: لا يفترون ولا يُعيَوْن ولا يملّون. ويقال: حسرتُ البعير». هذا ما جاء في مجاز أبي عبيدة ج 2 ص 36.

(2) في ب و ع: «يؤذيك»، وهو خطأ ولا شك صوابه ما أثبته.

(3) في ب و ع. وفي سع ورقة 32 ظ: «وانظر إلى نَفْسك هل تؤودك». والصواب ما أثبته: «إلى نَفَسك هل يؤودك» وهو أنسب وأبلغ.

(4) أخرجه يحيى بن سلام من طرق عن محمد بن المنكدر وعن قتادة مرسلاً. وانظر ما سلف ج 2 ص 47.

والأرض (آلِهَةٌ إلاَّ اللهُ) أي غير الله (لَفَسَدَتَا) أي: لهلكتا[1]. ﴿ فَسُبْحَـٰنَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ينزه نفسه عما يقولون، عما يصفون، أي: عما يكذبون.

قوله عز وجل: ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يَسْأَلُونَ ﴾ أي: لا يُسأل عما يَفعل بعباده، وهم يُسألون عن أعمالهم.

قوله عز وجل: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ﴾ وهذا وأشباهه استفهام على معرفة. ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ أي: بيّنتكم، في تفسير مجاهد. وقال الحسن: حجّتكم على ما تقولون إن الله أمركم أن تتخذوا من دونه آلهة. أي: ليس عندكم بذلك بيّنة ولا حجّة.

قوله عز وجل: ﴿ هَٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي ﴾ يعني القرآن، يعني ما فيه من الحلال والحرام ﴿ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي ﴾ من أخبار الأمم السالفة وأعمالهم، يعني من أهلك الله من الأمم ومن نجّى من المؤمنين، ليس فيه اتخاذ آلهة دون الله. ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الحَقَّ فَهم مُّعْرِضُونَ ﴾ يعني بقوله: (أَكْثَرُهُمْ) يعني جماعتهم، وقوله عز وجل: (فَهُم مُّعْرِضُونَ) أي: عن القرآن.

قال عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إلاَّ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ لاَ إِلَٰهَ إلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ أي: لا تعبدوا غيري، بذلك أرسل الرسل جميعاً.

قوله عز وجل: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَداً ﴾ قال بعضهم: قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجن فكانت من بينهم الملائكة.

قال الله عز وجل: ﴿ سُبْحَـٰنَهُ ﴾ ينزّه نفسه عما يقولون. ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ يعني الملائكة، هم كرام على الله[2]. ﴿ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ فيقولون شيئاً لم يقبلوه عن الله ﴿ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِم ﴾ من أمر الآخرة ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 200: « (إلاّ) في هذا الموضع بمنزلة سوى، كأنك قلت: لو كان فيهما آلهة سوى الله أو غير الله لفسد أهلهما (يعني أهل السماء والأرض) ».

(2) وقيل المعنى: أكرمهم الله بعبادته، كما رواه الطبري في تفسيره ج 17 ص 16 عن قتادة.

أي: من أمر الدنيا إذا كانت الأخرة. [وقال بعضهم: يعني يعلم ما كان قبل خلق الملائكة وما كان بعد خلقهم](1). ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ أي: لمن رضي عنه ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ أي: خائفون.

قوله: عز وجل: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ نزلت هذه الآية في إبليس خاصة، دعا إلى عبادة نفسه.

وقال الحسن: ومن يقل ذلك منهم، إن قالوه، ولا يقوله أحد منهم. وكان يقول: إن إبليس لم يكن منهم.

قوله عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ هذا على الخبر في تفسير الحسن ﴿ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ أي: كانتا ملتزقتين إحداهما على الأخرى في قول الحسن، فوضع الأرض ورفع السماء.

وقال الكلبي: إن السماء كانت رتقاً لا ينزل منها ماء ففتقها الله بالماء وفتق الأرض بالنبات(2).

وقال بعضهم: كانتا جميعاً ففصل الله بينهما بهذا الهواء فجعله بينهن.

وقال مجاهد: كن مطبقات ففتقهن، أحسبه قال بالمطر. وقال مجاهد: ولم تكن السماء والأرض متماسّتين.

قوله عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يعني المشركين. وكل شيء حيّ فإنما خلق من الماء.

ذكروا عن أبي هريرة قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إذا رأيتك طابت نفسي، وقرّت عيني، فأنبئني عن كل شيء، فقال: كل شيء حيّ خلق من

(1) زيادة من ز ورقة 214، والقول للسدي.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 37: «(كَانَتَا رَتْقاً) مجازه مجاز المصدر الذي يوصف بلفظه الواحد والاثنان والجميع من المذكر والمؤنث سواء. ومعنى الرتق الذي ليس فيه ثقب، ثم فتق الله السماء بالمطر، وفتق الأرض بالشجر».

الماء. فقلت: أنبئني بعمل إذا قمت به دخلت الجنة. قال: أفش السلام، وأطب الكلام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ يعني الجبال ﴿ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ أي لئلا تحرك بهم. ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً ﴾ أي: أعلاماً طرقاً ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ أي: لكي يهتدوا.

قوله عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً ﴾ [على من تحتها][2] محفوظاً من كل شيطان رجيم؛ كقوله: (وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ) [الحجر: 17] وإنما كانت ها هنا محفوظاً لأنه قال عز وجل: سقفاً محفوظاً، فوقع الحفظ فيها على السقف. وفي الآية الأخرى على السماء. قال بعضهم: سقف محفوظ، وموج مكفوف.

قوله عز وجل: ﴿ وَهُمْ عَنْ ءَايَاتِهَا ﴾ أي: الشمس والقمر والنجوم ﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ لا يتفكرون فيما يرون فيها فيعرفون أن لهم معاداً فيؤمنوا. وقد قال عز وجلّ في ءاية أخرى: (قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الذِي خَلَقَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾.

ذكروا أن السماء خلقت مثل القبّة، وأن الشمس والقمر والنجوم ليس منها شيء لازق بالسماء، وأنها تجري في فلك دون السماء، وأن أقرب الأرض إلى السماء بيت

(1) أخرجه ابن سلّام من طريق همام عن قتادة عن أبي هريرة، وأخرجه أحمد وابن حبان والحاكم، وأخرجه ابن ماجه من طريق آخر عن عبد الله بن سلام في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام الليل (رقم 1334) ولفظه: «يا أيها الناس، أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام». وانظر الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة: (رقم 569، و 571).

(2) زيادة من سع ورقة 33 و.

المقدس باثني عشر ميلاً، وأن أبعد الأرض من السماء الأبُلّة[1].

ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال: الشمس والقمر وجوههما إلى السماء واقفاؤهما إلى الأرض يضيئان في السماء كما يضيئان في الأرض. ثم تلا هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ طِبَاقاً وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾ [نوح: 15 - 16].

ذكروا أنه قيل لعبد الله بن عمرو: ما بال الشمس تصلانا أحياناً وتبرد أحياناً؟ قال: أما في الشتاء فهي في السماء الخامسة، وأما في الصيف فهي في السماء السابعة، قيل له: فما كنا نراها إلا في هذه السماء الدنيا، قال: لو كانت في هذه السماء الدنيا لم يقم لها شيء.

ذكر بعضهم قال: إن الشمس أدنيت من أهل الأرض في الشتاء لينتفعوا بها، ورفعت في الصيف لئلا يؤذيهم حرها[2].

قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ قال مجاهد: يدورون كما يدور فلك المغزل. وقال بعضهم: يجرون كهيئة حديد الرحى. وقال الحسن: إن الشمس والقمر والنجوم في طاحونة بين السماء والأرض كهيئة فلكة المغزل يدورون فيها؛ ولو كانت ملتزقة بالسماء لم تجر.

وقال الكلبي: ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: يجرون. وقال مجاهد في قوله عز وجل: ﴿الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: 5] قال: حسبان كحسبان الوحي، يعني قطب الرحى الذي تدور عليه الرحى[3].

---

(1) كذا في سع ورقة 33: «الأُبُلّة» وهو الصحيح، وهي مدينة قرب البصرة من جانبها البحري، انظر البكري، معجم ما استعجم ج 1 ص 98. وفي ب وع وردت الكلمة هكذا: «لايلة» و «لايلت»، وفيهما تصحيف.

(2) كذا وردت هذه الأخبار منسوبة إلى نوف البكالي، وإلى عبد الله بن عمرو، وهي لا تمت إلى العلم بصلة. ولم يثبت فيها عن المصطفى ﷺ حديث صحيح.

(3) الرحى. هكذا ترسم بألف مقصورة. والألف فيها منقلبة عن الياء، تقول: رحيان وتجمع على =

قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِنْ مِّتَّ فَهُمُ الخَـٰلِدُونَ﴾ على الاستفهام، أي: لا يخلدون.

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بالشَّرِّ وَالخَيْرِ ﴾ أي: بالشدّة والرّخاء ﴿ فِتْنَةً ﴾ أي: بلاء واختباراً. ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ أي يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿ وإِذَا رَءَاكَ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ يقوله للنبي عليه السلام ﴿ إن يَتَّخِذُونَكَ إلَّا هُزُؤاً أَهٰذَا الذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ يقولها بعضهم لبعض، أي: يعيبها ويشتمها. قال الله تعالى: ﴿ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾.

قوله: ﴿ خُلِقَ الإِنْسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ يعني آدم، خلق آخر ساعات النهار من يوم الجمعة بعدما خلق الخلق، فلما دخل الرّوح عينيه ورأسه ولم يبلغ أسفله قال: رب استعجل بخلقي قد غربت الشمس. هذا تفسير مجاهد. وقال بعضهم: (مِنْ عَجَلٍ) أي: خلق عجولاً[1].

قال الله تعالى: ﴿سَأُورِيكُمْ ءَايٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ وذلك لما كانوا يستعجلون به النبي عليه السلام من العذاب لما خوفهم به. وذلك منهم استهزاء وتكذيب. قال الحسن: يعني الموعد الذي وعده الله في الدنيا: القتل لهم والنُّصرة عليهم، والعذاب في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ هذا قول المشركين للنبي عليه السلام، متى هذا الوعد الذي تعدنا به من أمر القيامة.

قال الله تعالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ وفيها تقديم؛ أي: إن الوعد الذي كانوا يستعجلون به في الدنيا هو يوم لا يكفّون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون.

= أرحاء، والكلمة مؤنثة.

(1) وهذا القول أصح وأحسن تأويلاً، وما فسّر القرآن مثل القرآن، يقول الله: (وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً) [الإسراء: 11].

قوله: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً ﴾ يعني القيامة ﴿ فَتَبْهَتُهُمْ ﴾ مباهتة، أي تحيّرهم ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ أي: ولا هم يؤخّرون.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم ﴾ [أي: كذّبوهم واستهزأوا بهم](1) ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾. أي: العذاب الذي كانوا يكذبون به ويستهزءون بالرسل إذا خوّفوهم به.

قوله: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُمْ بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي: من يحفظكم ﴿ مِنَ الرَّحْمٰنِ ﴾ أي: هم ملائكة من الرحمٰن، كقوله: (يَحْفَظُونَهُ مِن أَمْرِ اللهِ) [الرعد: 11] أي: هم من أمر الله، وهم ملائكة الله، وهم حفظاء الله لبني آدم ولأعمالهم، يتعاقبون فيهم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فيجتمعون عند صلاة الصبح، وعند صلاة العصر(2). يحفظون العباد مما لم يقدر عليهم ويحفظون عليهم أعمالهم.

ذكروا عن مجاهد قال: ما من آدمي إلا ومعه ملكان يحفظانه في ليله ونهاره، ونومه ويقظته من الجن والإنس والدواب والسباع والهوام والطير، كلما أراده شيء قالا: إليك حتى يأتي القدر.

وذكر بعض أصحاب النبي ﷺ قال: ما من آدمي إلا ومعه ملكان أحدهما يكتب عمله والآخر يقيه ما لم يقدر له.

قال الحسن: هم أربعة أملاك يتعاقبونهم بالليل والنهار.

قوله عز وجل: ﴿ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ يعني المشركين، هم عن القرآن معرضون.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّنْ دُونِنَا ﴾ أي: قد اتخذوا آلهة لا

(1) زيادة من سع ورقة 33 ظ، ومن ز ورقة 215.

(2) هذه بعض ألفاظ حديث صحيح رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وتمامه. . . ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون.

تمنعهم من دوننا ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ أي: لا تستطيع الآلهة لأنفسه نصراً. ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ [أي: لا يصحبون من الله بخير في تفسير قتادة][1].

وقال الحسن: يعني لا تمنعهم من الله إن أراد عذابهم. وكان يقول: إنما تعذب الشياطين التي دعتهم إلى عبادة الأصنام ولا تعذب الأصنام. (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ) يقول: لا تستطيع تلك الأصنام نصر أنفسها إن أراد أن يعذبها. (وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ) قال الكلبي: يقول: ولا من عبدها منا يُجارون.

قوله: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ ﴾ يعني قريشاً ﴿ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴾ أي: لم يأتهم رسول حتى جاءهم محمد عليه السلام.

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾. قال ابن عباس: موت فقهائها وعلمائها. ذكر بعضهم قال: موت عالم أحب إلى إبليس من موت ألف عابد[2].

وقال الحسن: (نَنْقُصُهَا مِن أَطْرَافِهَا) بالفتوح على النبي ﷺ أرضاً فأرضاً. ألا تسمعه يقول: ﴿ أَفَهُمُ الْغَـٰلِبُونَ ﴾ أي: ليسوا بالغالبين، ولكن رسول الله ﷺ هو الغالب.

وقال الحسن: إن الله يبعث قبل يوم القيامة ناراً تطرد الناس من أطراف الأرض إلى الشام، تنزل معهم إذا نزلوا، وترحل معهم إذا رحلوا، فتقوم عليهم القيامة بالشام، وهو قوله: (نَنْقُصُهَا مِن أَطْرَافِهَا).

قوله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴾ أي: بالقرآن، أي أنذركم به عذاب الدنيا والآخرة، يعني المشركين. قوله عز وجل: ﴿ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ ﴾ الصمُّ ها هنا الكفار، صمّوا عن الهدى.

(1) في مخطوطتي ب و ع اضطراب ونقص في تفسير الآية، فأضفت هذه الزيادة من سع ورقة 33 ط للإيضاح، وأتممت التصحيح من ز.

(2) أورد المؤلف في تفسير الآية على نحو ما فسّرها به ابن عباس حديثاً مرسلاً عن الحسن. «قال: قال رسول الله ﷺ: موت عالم ثُلمة في الإسلام لا يسدّها شيء أبداً». ولم أجده فيما بين يدي من مصادر التفسير والحديث حتى أتحقق من صحته.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ ﴾ أي عقوبة ﴿ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾ يعني النفخة الأولى التي يهلك بها كفار آخر هذه الأمة بكفرهم وجحودهم ﴿ لَيَقُولُنَّ ﴾ أي إذا جاءهم العذاب: ﴿يَـٰوَيْلَنَـا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾. وهي مثل الآية الأولى التي في سورة الأعراف: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَيٰهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا ﴾ أي عذابنا (إِلَّآ أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) [الأعراف: 5].

قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوٰزِيـنَ الْقِسْطَ ﴾ أي العدل ﴿ لِيَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ﴾.

ذكر الحسن أن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، هل يذكر الرجل حميمه يوم القيامة؟ فقال: ثلاثة مواطن لا يذكر الرجل فيها حميمه: عند الميزان حتى ينظر أيثقل ميزانه أم يخف، وعند الصراط حتى ينظر أيجوز أم لا يجوز، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ صحيفته أم بشماله[1].

قوله عز وجل: ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ﴾ أي: لا ينقص المؤمن من حسناته ولا يزاد عليه من سيئات غيره، ولا يزاد على الكافر سيئات غيره ولا يجازى في الآخرة بحسنة قد استوفاها في الدنيا.

قال: ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ أي: عالمين. وقال الحسن: لا يعلم مثقال الذرّ والخردل إلّا الله، ولا يحاسب العبدَ إلا هو.

ذكروا أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانوا يأكلون طعاماً فنزلت هذه الآية: (فَمَن يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) [الزلزلة: 8 - 7]. فأمسك أبو بكر وقال: يا رسول الله، ما من خير عملته إلا رأيته، ولا شراً عملت إلا رأيته؟ فقال: يا أبا بكر، أما ما رأيت مما تكره في الدنيا فمثاقيل الشر، وأما مثاقيل الخير فتلقاك يوم القيامة، ولن يهتك الله ستر عبد فيه مثقال ذرة من خير[2].

(1) انظر ما سلف ج 2 ص 196.

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 30 ص 268 عن أنس بن مالك، وأخرجه المروزي بمعناه =

وقال بعضهم: وبلغني في الكافر أنه ما عمل من مثقال ذرة خيراً يره في الدنيا، وما عمل من مثقال ذرة شرّاً يره في الآخرة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: يا أيها الناس لا تغترّوا بالله، فإن الله لو كان مغفلاً شيئاً لأغفل الذرة والبعوضة والخردلة(1).

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَد ءاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهٰرُونَ الفُرْقَانَ ﴾ يعني التوراة. وفرقانها أنه فرّق فيها حلالها وحرامها. ﴿ وَضِيَاءً ﴾ أي ونوراً ﴿ وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ أي يذكرون به الآخرة.

قوله عزّ وجل: ﴿ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ﴾ ذكروا عن مجاهد في قوله عز وجل: (هٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمٰن بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ) [سورة قٓ: 32 - 33] قال: أي يذكر الرجل منهم ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها، وَيَوْجل منها قلبه.

قوله عز وجل: ﴿ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ أي: خائفون وجلون من شر ذلك اليوم؛ وهم المؤمنون.

﴿ وَهٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَـٰهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ أَفَـأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِـرُونَ ﴾ يعني المشركين، على الاستفهام، أي: قد أنكرتموه.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَد ءَاتَيْنَـا إِبْرٰهِيـمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: هديناه صغيراً، في تفسير مجاهد. وقال الحسن: النبوة. ﴿ وَكُنَّا بِهِ عَـٰلِمِينَ﴾ أي: أنه سيبلّغ عن الله

= في مسند أبي بكر الصديق (رقم 20) ص 57، 59. وأورده ابن سلام عن النضر بن سعيد أو محمد بن سيرين (كذا) مرسلاً بلفظ: «بينا رسول الله ﷺ يأكل طعامه ومعه أبو بكر إذ نزلت. . .». ولم يرد ذكر لعمر معهما إلا في مخطوطتي ب و ع.

(1) أخرجه ابن سلام بالسند التالي: «أبو أمية بن يعلى الثقفي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً، وأخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة والديلمي عن أبي هريرة كما في الدر المنثور ج 1 ص 41 - 42.

الرسالة ويمضي لأمره. وهو كقوله: ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾ [الأنعام: 124].

قوله عزّ وجل: ﴿ إِذْ قَالَ ﴾ إبراهيم ﴿ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ ﴾ أي: الأصنام ﴿ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ أي: لها عابدون. ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾.

﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بيّن. ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّٰعِبِينَ ﴾ أي: أهزؤ هذا الذي جئتنا به أم حق منك؟.

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾ أي: خلقهن وليست هذه الآلهة التي تعبدونها ﴿ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّٰهِدِينَ ﴾ أي: أنه ربكم. ﴿ وَتَاللَّهِ ﴾ يمين، أقسم به ﴿ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾.

كانوا استدعوه ليوم عيد لهم يخرجون فيه من المدينة، فـ ﴿ قَالَ: إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات: 89] أي: اعتلّ لهم بذلك، ثم قال لما ولّوا: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾. فسمع وعيدَه لأصنامهم رجل منهم استأخر. وهو الذي قال: ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمَ ﴾.

قال عزّ وجل: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً ﴾ أي: قطعاً قطعاً؛ قطع أيديها وأرجلها، وفقأ أعينها، ونجر وجوهها. ﴿ إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ ﴾ أي أكبر الآلهة وأعظمها في نفوسهم؛ ثم أوثق الفأس في يد كبير تلك الآلهة. ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: كادهم بذلك لعلّهم يبصرون فيؤمنوا.

فلما رجعوا ورأوا ما صُنع بأصنامهم ﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّٰلِمِينَ ﴾ قال الذي استأخر منهم وسمع وعيد إبراهيم للأصنام ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ ﴾ [أي: يعيبهم][1] ﴿ يُقَالُ لَهُ إِبْرَٰهِيمَ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ

---

(1) زيادة من ز ورقة 216. قال الفراء في المعاني ج 2 ص 203: «(قوله سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ..) أي

﴿يَشْهَدُونَ﴾ أي: أنه كسرها، فتكون لكم الحجة عليه[1]؛ كأنهم كرهوا أن يأخذوه إلا ببيّنة. فجاءوا به.

فـ ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذَا بِئَالِهَتِنَا يَـٰإِبْرٰهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾.

قال الحسن: إن كذِبَه في مكيدته إياهم موضوع عنه.

ذكروا أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث الشفاعة حين يأتون آدم، ثم نوحاً، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمداً ﷺ، فذكر ما يقول كل نبيّ منهم. فذكر في قول إبراهيم حين سألوه أن يشفع لهم: إني لست هناكم. ويذكر ثلاث كذبات. قوله: (إني سقيم)، وقوله: (فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا)، وقوله لامرأته سارّة إن سألوك فقولي: إنه أخي.

وهذا ليس من قول المسلمين، وهذه رواية ليس بالمجتمع عليها. والكذب منفي عن خليل الرحمٰن. وأما قوله: (إِنِّي سَقِيمٌ) فممّا يعملون من المعاصي، وقد أمرهم بغير ذلك، مثل ما يقول القائل: أسقمني هذا الكلام إذا فعل خلاف ما أمره به. وأما قوله لامرأته سارّة: إن سألوك فقولي إنه أخي، فهي أخته في الدين، وهي أيضاً أخته لأنها ابنة آدم، وهو ابن آدم. وأما قوله: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا)، فتوبيخ، ولا يقع الكذب في التوبيخ. فهذا أولى التأويل بالنبي عليه السلام مما أوردت الرواة إنه كذب ثلاث كذبات[2].

= يعيبهم وأنت قائل للرجل: لئن ذكرتني لتندمَنّ، وأنت تريد: بسوء. قال عنترة:

لَا تَـذْكُـرِي مُهْـرِي وَمَـا أَطْعَمْتُـهُ فَيَكُـونَ جِلْدُكِ مِثْلَ جِلْدِ الأَشْهَبِ

أي: لا تعيبيني بأثرة مهري، فجعل الذكر عيباً».

(1) ويقال: لعلّهم يشهدون أمره وما يُفعل به.

(2) هذه الفقرة كلها غير واردة في سع ولا ز، فهي ولا شك زيادة من زيادات الشيخ الهواري في تأويل هذه الكذبات. أما الطبري فيتأول الكذبات على ظاهرها، ويرد على «من لا يصدّق بالآثار» قائلاً: «وهذا قول خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أن إبراهيم لم يكذب =

قوله عزّ وجل: ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ ﴾ أي: خزايا[1]، قد حجَّهم، أي: غلبهم في المحاجة. وقال بعضهم: أصاب القومَ خزية سوء[2].

﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ يعني أصنامهم. ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: إنها لا تنفعكم.

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ ﴾ بالنار ﴿ وَانْصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴾.

قالوا: فجمعوا الحطب زماناً، حتى أن الشيخ الكبير الفاني الذي لم يخرج من بيته قبل ذلك زماناً كان يجيء بالحطب فيلقيه، يتقرّب به إلى آلهتهم، فيما يزعم. ثم جاءوا بإبراهيم فألقوه في تلك النار. فبلغنا أنهم رموا به في المنجنيق، فكان ذلك أول ما وضع المنجنيق.

فقال الله عزّ وجل: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً ﴾ فكادت أن تقتله من البرد. فقال عزّ وجل: ﴿ وَسَلَاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ أي: لا تضرّ.

وذكر بعضهم قال: ما انتفع بها يومئذ أحد من الناس شرقاً ولا غرباً، ولا أحرقت منه يومئذ إلا وَثَاقه. وبلغنا في حديث آخر أنه لم يطبخ بالنار يومئذ في الأرض كلها.

قال بعضهم: وذكر لنا أنه لم يبق في الأرض دابة إلا كانت تطفىء عن إبراهيم

= إلا ثلاث كذبات كلها في الله». وعددها الطبري فقال: «وغير مستحيل أن يكون الله تعالى ذكره أذن لخليله في ذلك ليقرّع قومه به، ويحتجّ به عليهم، ويعرّفهم موضع خطئهم، وسوء نظرهم لأنفسهم، كما قال مؤذن يوسف لإخوته: (أَيَّتُهَا العِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) [يوسف: 70] ولم يكونوا سرقوا شيئاً». انظر تفسير الطبري ج 17 ص 41.

(1) في ب و ع: «حيارى» وأثبت ما جاء في سع ورقة 34 ظ، وفي ز ورقة 216: «خزايا» فهو أنسب وأبلغ.

(2) كذا في المخطوطات وفي سع: «خزية سوء». وفي تفسير الطبري ج 17 ص 42: «حيرة سوء». وقد سقطت من كل المخطوطات الآية 64 من هذه السورة، وهي قوله عز وجل: ﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.

النار، إلا الوزغة فإنها كانت تنفخ عليه، فأمر رسول الله ﷺ بقتلها[1].

قال الله عز وجل: ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً ﴾ أي بحرقهم إياه ﴿ فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴾ أي: في النار، خسروا أنفسهم، وخسروا الجنة.

قوله عز وجل: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [يعني الأرض المقدّسة][2]، أي: هاجر من أرض العراق إلى أرض الشام.

قوله عز وجل: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ النافلة: ابن الابن. وقال الحسن: (نَافِلَةً): عطية. قال عز وجل: ﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ أي: يدعون بأمرنا أي: يُقْتَدَىٰ بهم في أمر الله. قوله عزّ وجل: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴾ أي: الأعمال الصالحة ﴿وَإِقَامَ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَوٰةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ أي: مقرّبين بعبادتهم.

قوله عز وجل: ﴿ وَلُوطاً ءَاتَيْنَهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾ أي: النبوة. ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَـٰئِثَ ﴾ يعني أن أهلها كانوا يعملون الخبائث. وكان مما يعملون إتيان الرجال في أدبارهم. قال عزّ وجل: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ﴾ أي: مشركين. والشرك أعظم الفسق.

قال عز وجل: ﴿ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِي رَحْمَتِنَا ﴾ أي في الجنة، يعني لوطاً. ﴿ إِنَّهُ مِنَ الصَّـٰلِحِينَ﴾ والصالحون أهل الجنة.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَنُوحاً إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ وهذا حيث أمر بالدعاء على قومه ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ أي من الغرق والعذاب. وقال بعضهم: نجّى مع نوح في السفينة امرأته وثلاثة بنين له، ونساءهم، فجميعهم ثمانية.

(1) روى ابن سلام هذا الخبر بسند يرفعه إلى النبي عليه السلام من طريق عائشة رضي الله عنها.
(2) زيادة من سع، ورقة 34 ظ.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ الْقَوْمِ ﴾ أي: على القوم ﴿ الذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ كقوله عز وجل: (رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ) [المؤمنون: 26] ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فاغرقهم الله.

قال عز وجل: ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ ﴾ أي: وقعت فيه غنم القوم ليلاً فأفسدته. قال بعضهم: النفش بالليل والهمل بالنهار[1].

وذكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلاً، فرفع ذلك إلى داود فقضى بالغنم لصاحب الزرع. فقال سليمان: [ليس كذلك ولكن][2] له نسلها ورِسلها[3] وعوارضها[4] وجزازها، ويُزرع له مثل ذلك الزرع، حتى إذا كان من العام القابل كهيئته يوم أُكِل دُفِعت الغنم إلى صاحبها وقبض صاحب الزرع زرعه، فقال الله عز وجل: (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ).

وتفسير الكلبي أن أصحاب الحرث استعدوا[5] على أصحاب الغنم، فنظر داود ثمن الحرث فإذا هو قريب من ثمن الغنم فقضى بالغنم لأهل الحرث. فمرّوا بسليمان فقال: كيف قضى بينكم نبيُّ الله؟ فأخبروه. فقال: نِعمَ ما قضى، وغيره كان أرفق بالفريقين كليهما. فدخل أصحاب الغنم على داود فأخبروه. فأرسل إلى سليمان فدخل عليه، فعزم عليه داود بحق النبوة وبحق الملك وبحق الوالد لَمَا حدثتني كيف رأيتَ فيما قضيتُ. قال سليمان: قد عدل النبي وأحسن، وغيره كان أرفق. قال: ما هو؟ قال: تدفع الغنم إلى أهل الحرث فينتفعون بسمنها ولبنها وأصوافها وأولادها عامهم، وعلى أهل الغنم أن يزرعوا لأهل الحرث مثل الذي أفسدت غنمهم. فإذا كان

(1) قال أبو عبيدة: «النفش أن تدخل في زرع ليلاً فتأكله».
(2) زيادة من سع ورقة 35 و.
(3) الرِّسْل: اللبن، يقال: «أرسل القوم إذا كان لهم اللبن من مواشيهم».
(4) العوارض، جمع عريض، قيل: هو الذي أتى عليه من المعز سنة. انظر اللسان: (عرض).
(5) أي: استنصروا القاضي واستعانوه لينصفهم من أصحاب الغنم.

مثله يوم أفسد قبضوا غنمهم. فقال له داود: نِعمَ ما قضيته. قال الكلبي: وكان الحرث عِنَباً.

وقال مجاهد: إن داود أعطى أصحاب الحرث الغنم بأكلها الحرث، وحكم سليمان بجز الغنم وألبانها لأهل الحرث. وعلى أهل الحرث رِعيتُها، ويحرث لهم أهل الغنم حتى يكون كهيئته يوم أكل، ثم يدفعونه إلى أهله ويأخذون غنمهم.

قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴾ يعني داود وسليمان، أي لقضائهم شاهدين، ﴿ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾ أي: عدل القضية.

وكان هذا القضاء يومئذ. وقد تكون لأمة شريعة، ولأمة أخرى شريعة أخرى وقضاء غير قضاء الأمة الأخرى.

وقد ذكروا عن سعيد بن المسيب أن ناقة البراء بن عازب وقعت في حائط رجل من الأنصار فأفسدت فيه، فرفع ذلك إلى النبي عليه السلام فقال: ما أجد لكم إلا قضاء سليمان بن داوود[1]. وقضى بحفظ أهل المواشي على أهلها بالليل، وقضى على أهل الحوائط بحفظ حوائطهم بالنهار.

قال بعضهم: فإنما يكون في هذا الحديث أن يضمن ما كان من الماشية بالليل، وليس فيه كيف القضاء في ذلك. وإنما القضاء في ذلك الفساد ما بلغ الفساد من النقصان.

ذكروا عن شريح قال في شاة دخلت بيت حائط نهاراً فأفسدت عمله فاختصما إليه فقال: (وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ)

(1) هذا حديث رواه أغلب الرواة مرسلاً، ورفعه قلة منهم، إلا أنه على إرساله حديث مشهور، حدث به الثقات وجرى العمل به في المدينة. انظر تفصيل هذا في تفسير القرطبي ج 11 ص 314. وانظر في كتاب الجامع للشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد بن بركة البهلوي، ج 2 ص 443، 445، مسألة في مضار الدواب.

والنفش لا يكون إلا بالليل، [إن كان ليلاً ضمن وإن كان نهاراً لم يضمن][1]، ولم يجعل فيه شيئاً.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الدابة العجماء جبار، والبئر جبار، والمعدن جبار، وفي الركاز الخمس[2]. قال بعضهم: وهذا عندنا في حديث النبي عليه السلام في ناقة البراء بن عازب أنه بالنهار، وأما إن أفسدت بالليل فصاحبها ضامن والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا ﴾ أي: أعطينا ﴿ حُكْماً وَعِلْماً ﴾ أي فهماً وعقلاً، يعني داوود وسليمان.

قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾. كانت جميع الجبال وجميع الطير تسبح مع داوود بالغداة والعشي، أي: يصلين، ويفقه ذلك داوود[3]. قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ أي قد فعلنا ذلك بداوود.

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾ يعني دروع الحديد ﴿ لِيُحْصِنَكُم ﴾ أي: لِيَجُنَّكم ﴿ مِّن بَـأْسِكُمْ ﴾ والبأس القتال ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴾، فكان داوود أول من عمل الدروع، وكانت قبل ذلك صفائح[4].

قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ أي: وسخّرنا لسليمان الريح عاصفة، أي لا تؤذيه. ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ ﴾ أي: مسخّرة تجري بأمره. ﴿ إِلَى الأَرْضِ

(1) زيادة من سع ورقة 35 و.

(2) حديث صحيح أخرجه مالك وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب في الركاز الخمس. وأخرجه مسلم في كتاب الحدود، باب جرح العجماء والمعدن والبئر جبار عن أبي هريرة (رقم 1710) وأوله: العجماء جَرحها جبار، والبئر جبار... وانظر أبو عبيد القاسم بن سلام كتاب الأموال ص 420.

(3) كذا في ب و ع، وفي سع: «ويفقه تسبيحها».

(4) وجاء في ز، ورقة 217: «قال قتادة: كانت قبل داود صفائح وأول من صنع هذه الحَلَق وسمَّرَها داود».

التِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ وهي أرض الشام، وأفضلها فلسطين ﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴾.

قال بعضهم: ما ينقص من الأرض تراه بالشام، وما ينقص بالشام تراه في فلسطين. [وذلك أنه يقال: إنها أرض المحشر والمنشر، وبها يجتمع الناس][1].

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ ﴾ وهذا على الجماعة ﴿ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: عملاً دون الغوص، وكانوا يغوصون في البحر ويخرجون اللؤلؤ. وقال في آية أخرى: (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ) [سورة صٓ: 37][2].

قال بعضهم: ورث سليمان داوود نبوته وملكه، وزاد سليمان على ذلك أن سخر له الريح والشياطين.

قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ﴾ أي: حفظهم الله لا يذهبون ويتركونه، وكانوا مسخّرين له[3].

وقال الحسن: لم يسخر له في هذه الأعمال وفيما يصفد، يجعلهم في السلاسل، من الجن إلا الكفار منهم. واسم الشيطان لا يقع إلا على الكافر من الجن.

وذكر بعضهم قال: أمر سليمان ببناء بيت المقدس فقالوا له: زوبعة الشيطان له عين في جزيرة في البحر، يَرِدها في كل سبعة أيام يوماً. فنزحوها، ثم صبوا فيها خمراً، فجاء لورده. فلما أبصر الخمر قال في كلام له: ما علمت، إنك إذا شربك

(1) زيادة من سع ورقة 35 و.

(2) انظر هذه القصة بألفاظ وروايات أخرى في كتب التاريخ والأدب. انظر مثلاً: النويري، نهاية الأرب، ج 14 ص 108.

(3) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 209: «وقوله: (وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ) للشياطين. وذلك أنهم كانوا يُحفَظون من إفساد ما يعملون. فكان سليمان إذا فرغ بعض الشياطين من عمله وَكَله بالعمل الآخر، لأنه كان إذا فرغ مما يعمل فلم يكن له شغل كرَّ على تهديم ما بنى، فذلك قوله: (وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ) ».

صاحبك لَمَماً يظهر عليه عدُوُّه، في أساجع له [لا أذوقك اليوم][(1)]. فذهب ثم رجع لظِمء آخر[(2)]. فلما رآها قال كما قال أول مرة، ثم ذهب فلم يشرب حتى جاء لظمء آخر. [قال: ما علمت إنك لتذهبين الهمَّ في سجع له][(1)] فشرب منها فسكر. فجاءوا إليه، فأروه خاتم السخرة، فانطلق معهم إلى سليمان. فأمرهم بالبناء، فقال زوبعة: دُلّوني على عُشّ الهدهد. فدُلَّ على عُشّه. فأكبّ عليه جمجمة، يعني زجاجة. فجاء الهدهد، فجعل لا يصل إليه. فانطلق فجاء بالماس الذي يثقب به الياقوت، فوضعه عليها فَقَطَّ الزجاجة نصفين. ثم ذهب ليأخذه فأزعجوه، فجاءوا بالماس إلى سليمان. فجعلوا يستعرضون به الجبال كأنما يخطّون في نواحيها في الطين.

قوله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾ أي: المرض. وقال الحسن: هو كقوله: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) [سورة صٓ: 41].

قال الحسن: إن إبليس قال: يا ربّ، هل من عبيدك عبد إن سلطتني عليه امتنع مني؟ قال: نعم، عبدي أيوب. قال: فسلّطني عليه. قال: فسلّطه عليه ليجهد جهده ويضلّه بخباله وغروره، فامتنع منه. قال إبليس: يا ربّ، إنه قد امتنع مني، فسلّطني على ماله. فسلّطه على ماله فجعل يُهلك ماله صنفاً صنفاً، ويأتيه فيقول له: يا أيوب، هلك مالك في كذا وكذا، فيقول: الحمد لله، اللّهم أنت الذي أعطيتني، وأنت الذي أخذته منّي، إن تبق لي نفسي أحمدك على بلائك. فقال إبليس: يا ربّ، إن أيوب لا يبالي بماله، فسلّطني على ولده، [فسلطه الله عليهم][(3)] فجعل يهلكهم واحداً واحداً حتى هلكوا جميعاً. فقال إبليس: يا رب، إن أيوب لم يبال بولده، فسلّطني على جسده، فسلّطه الله عليه. فمكث سبع سنين وأشهراً حتى وقعت الأكلة في جسده. وبلغنا أن الدودة كانت تقع من جسده فيردّها في مكانها فيقول: كُلِي مما رزقك الله من

(1) زيادة من سع ورقة 35 ظ.

(2) الظِّمْء، بكسر الظاء: ما بين الشربتين والوردين، وذلك في ورد الإبل وغيرها، والجمع أظماء. وأسماؤها تكون مكسورة الأول دائماً: الرِّبع والخِمس والسِّدس... إلى العِشر.

(3) زيادة يقتضيها السياق.

لحمي. قال الحسن: فدعا ربه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [سورة صٓ: 41] وقال في هذه الآية: إنّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

فأوحى الله إليه أن اركض برجلك. فركض برجله ركضة فإذا هو يستطيع القيام، وإذا عين فاغتسل منها، فأذهب الله تبارك وتعالى ظاهر دائه. ثم مشى على رجليه أربعين ذراعاً، ثم قيل له: اركض برجلك أيضاً ركضة، فركض ركضة أخرى [فإذا عين فشرب منها][1]، فأذهب الله تبارك وتعالى باطن دائه، وردّ عليه أهله وأولاده وأمواله من البقر والغنم والحيوان وكل شيء أهلك بعينه. ثم أبقاه الله فيها حتى وهب الله له من نسولها أمثالها. فهو قوله: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾.

وقال الحسن: إن الله أحيى أولاد أيوب بأعيانهم، وكانوا ماتوا قبل آجالهم، وإن الله أبقاهم حتى أعطاه من نسولهم مثلهم. ثم إن إبليس قال: يا أيوب، وهو يأتيه عياناً، اذبح لي سخلة من غنمك، قال: لا، ولا كفّاً من تراب.

ذكروا عن ابن مسعود أنه كان يقول: لا يبلغ العبد الكفر والإشراك بالله حتى يصلي لغير الله، أو يدعو غير الله، أو يذبح لغير الله.

ذكروا عن الحسن أنه قال: إن الله تبارك وتعالى يحتج على الناس يوم القيامة بثلاثة من الأنبياء، فيجيء العبد فيقول: رب أعطيتني في الدنيا جمالاً فأعجبت به، ولولا ذلك لعملت بطاعتك، فيقول الله: الجمال الذي أعطيتك في الدنيا أفضل أم الجمال الذي أعطي يوسف؟ فيقول العبد: بل الجمال الذي أعطي يوسف. فيقول الله: إن يوسف كان يعمل بطاعتي فيحتج عليه بذلك. ويأتي العبد فيقول: يا رب، ابتليتني في الدنيا، ولولا ذلك لعملت بطاعتك، فيقول البلاء: ألبلاء الذي ابتليت به في الدنيا أشد أم البلاء الذي ابتلي به أيوب؟ فيقول العبد: بل البلاء الذي ابتلي به أيوب. فيقول الله: قد كان أيوب يعمل بطاعتي، فيحتج عليه بذلك. ويجيء العبد

(1) زيادة من سع، ورقة 35 ظ.

فيقول: يا رب، أعطيتني ملكاً في الدنيا فأعجبت به، ولولا ذلك لعملت بطاعتك، فيقول الله تبارك وتعالى: أالملك الذي أعطيتك في الدنيا أفضل أم الملك الذي أعطي سليمان بن داوود؟ فيقول العبد: بل الملك الذي أعطي سليمان بن داوود. فيقول الله: قد كان سليمان يعمل بطاعتي، فيحتج عليه بذلك.

ذكر الحسن أن أيوب لم يبلغه شيء يقوله الناس كان أشد عليه من قولهم: لو كان نبيّاً ما ابتلي بالذي ابتلي به. فدعا الله فقال: اللهمّ إنك تعلم[1] أني لم أعمل حسنة في العلانيـة إلا عملت مثلها في السرّ، فاكشف ما بي من الضر، وأنت أرحم الراحمين. فاستجاب الله له، فوقع ساجداً، وأمطر عليه فراش الذهب، فجعل يلتقطه ويجمعه.

قوله عز وجل: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ﴾ أي أن الذي كان ابتلي به أيوب لم يكن من هوانه على الله، ولكن أراد الله كرامته بذلك. وجعل ذلك عزاء للعابدين بعده فيما يبتلون به. وهو قوله عزّ وجل: (وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ).

قوله عز وجل: ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّـٰبِرِينَ﴾ ذكروا أن ذا الكفل لم يكن نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً تكفّل بعمل رجل صالح عند موته، كان يصلّي لله كل يوم مائة صلاة، فأحسن الله عليه الثناء[2].

وذكروا عن مجاهد أنه قال: ذو الكفل كان رجلاً صالحاً، وليس بنبي. تكفل لنبي بأن يكفل له[3] أمر قومه ويقيمه لهم، ويقضي بينهم بالعدل.

(1) كذا في ب وع: «إنك تعلم»، وفي سع ورقة 36 و: «إن كنت تعلم».

(2) وذهب بعض المفسّرين كالحسن وعطاء إلى أنه كان نبيّاً. ومال الحافظ ابن كثير في تفسيره ج 4 ص 583 إلى هذا القول وقال: «إنه ما قُرن مع الأنبياء إلا وهو نبي». والله أعلم. وصرح الإمام ابن عاشور أنه نبي وإن اختلف في تعيينه؛ هل هو إلياس، أو هو خليفة اليسع في نبوءة بني إسرائيل. وعلى كل فهو نبي من أنبياء بني إسرائيل. انظر ابن عاشور التحرير والتنوير ج 17 ص 129.

(3) كذا في ب و ع و سع: «بأن يكفل». وفي تفسير الطبري ج 17 ص 74: «بأن يكفيه أمر قومه».

قوله عز وجل: ﴿ وَأَدْخَلْنَـٰهُم فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّـٰلِحِينَ﴾ والصالحون هم أهل الجنة.

قوله عز وجل: ﴿ وَذَا النُّونِ ﴾ يعني يونس. وقال عزّ وجل في آية أخرى: (وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ) [سورة نٓ: 48]. والحوت هو النون. ﴿ إذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِباً﴾ أي: لقومه[1] ﴿ فَظَنَّ أن لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ أي: أن لن نعاقبه[2].

وبلغنا والله أعلم أن يونس دعا قومه زماناً إلى الله عز وجل. فلما طال ذلك وأبوا أوحى الله إليه أن العذاب يأتيهم يوم كذا وكذا. فلما دنا الوقت تنحّى عنهم. فلما كان قبل الوقت بيوم جاء فجعل يطوف بالمدينة وهو يبكي ويقول: يأتيكم العذاب غداً. فسمعه رجل منهم فانطلق إلى الملك، فأخبره أنه سمع يونس يبكي ويقول: يأتيكم العذاب غداً.

فلما سمع الملك ذلك دعا قومه فأخبرهم بذلك وقال: إن كان هذا حقاً فسيأتيكم العذاب غداً، فاجتمِعوا حتى ننظر في أمرنا، فاجتمعوا، فخرجوا من المدينة من الغد، فنظروا فإذا بظلمة سوداء وريح شديدة قد أقبلت نحوهم، فعلموا أنه الحق. ففرّقوا بين الصبيان وبين أمهاتهم، وبين البهائم وبين أمّهاتها، ولبسوا الشعر، وجعلوا التراب والرماد على رؤوسهم تواضعاً لله، وتضرّعوا إليه وبكوا وآمنوا. فصرف الله عليهم العذاب. فاشترط بعضهم على بعض ألا يكذب أحد كذبة إلا قطعوا لسانه.

---

(1) كذا في المخطوطات، وهو وجه صحيح من التأويل ذكره بعض المفسّرين مثل ابن عباس والضحاك. وقال بعضهم: ذهب مغاضباً لربّه، وهو ما ذهب إليه الحسن وسعيد بن جبير. أي: مغاضباً من أجل ربهِ. واقرأ ما ذهب إليه ابن قتيبة في تأويل هذه المغاضبة في كتابه تأويل مشكل القرآن، ص 402 - 408. وانظر كذلك تفسير الطبري ج 17 ص 76 - 78.

(2) وقيل في تفسيره أي: أن لن نضيق عليه من باب قوله تعالى: (وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) أي: ضيّق عليه واقرأ في هذا الموضوع واختلاف المفسرين في عصمة الأنبياء تنبيهاً مهماً كتبه الشيخ محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره محاسن التأويل ج 7 ص 284 - 287. وانظر تفسير الطبري ج 17 ص 78.

فجاء يونس من الغد، فنظر فإذا المدينة على حالها، وإذا الناس داخلون وخارجون، فقال: سبحان الله، أمرني ربي أن أخبر قومي أن العذاب يأتيهم فلم يأتهم، فكيف ألقاهم. فانطلق حتى انتهى إلى ساحل البحر، فإذا سفينة في البحر، فأشار إليها، فأتوه فحملوه، وهم لا يَعْرِفونه. فانطلق إلى ناحية من السفينة فتقنّع فرقد. فما مضوا إلا قليلاً حتى جاءتهم ريح فكادت السفينة أن تغرق. فاجتمع أهل السفينة فدعوا الله، ثم قالوا: أيقظوا الرجل يدعو الله معنا، ففعلوا. فدعا الله معهم، فرفع الله عنهم تلك الريح. ثم انطلق إلى مكانه فرقد. فجاءت ريح، فكادت السفينة أن تغرق، فأيقظوه، فدعوا الله ودعا معهم، فرفع الله تبارك وتعالى عنهم الريح.

فتفكر العبد الصالح يونس فقال: هذا من أجل خطيئتي، أو قال: من ذنبي، أو كما قال. فقال لأهل السفينة: شدّوني وثاقاً وألقوني في البحر، فقالوا: ما كنا لنفعل هذا بك وحالك حالك. ولكنا نقترع، فمن أصابته القرعة ألقيناه في البحر. فاقترعوا فأصابته القرعة. فقال: قد أخبرتكم، فقالوا: ما كنا لنفعل. ولكن اقترعوا الثانية، فاقترعوا فأصابته القرعة؛ وهو قول الله عز وجل: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ [الصافات: 141] أي: من المقروعين، ويقال: من المسهومين. فانطلق إلى صدر السفينة ليلقي نفسه في البحر، فإذا هو بحوت فاتح فاه. ثم انطلق إلى ذنب السفينة، فإذا هو بحوت فاتح فاه، ثم جاء إلى جانب السفينة فإذا هو بحوت فاتح فاه[1]. فلما رأى ذلك ﷺ ألقى نفسه في البحر، فالتقمه الحوت. فأوحى الله تبارك وتعالى إلى الحوت إني لم أجعله لك رزقاً، ولكن جعلت بطنك له سجناً؛ فلا تكسِرَنّ له عظماً، ولا تقطعَنّ له شعراً. فمكث في بطن الحوت أربعين ليلة ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ كما قال الله: ﴿ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾. قال الله: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فأوحى الله إلى الحوت أن يلقيه إلى

---

(1) كذا في ب وع. وفي سع: «بالحوت فاتح فاه» والصواب: «بالحوت فاتحاً فاه»، وهو أصح وأدق تعبيراً حتى يفيد أن ذلك الحوت نفسه هو الذي كان يتنقل من صدر السفينة إلى مؤخرها ثم إلى جانبها.

البرّ. قال الله: (فَنَبَذْنَاهُ بِالعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ) [الصافات: 145] أي: وهو ضعيف مثل الصبي الرضيع. فأصابته حرارة الشمس، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين، وهي القرعة، فأظلته فنام، فاستيقظ وقد يبست. فحزن عليها، فأوحى الله إليه: أحزنت على هذه الشجرة وأردت أن تهلك مائة ألف أو يزيدون من خلقي؟ فعلم عند ذلك أنه ابتُلِيَ. فانطلق فإذا هو بذود من غنم[1]، فقال للراعي: اسقني لبناً. فقال: ما ها هنا شاة لها لبن. فأخذ شاة منها فمسح بيده على ظهرها[2]، فدرّت، فشرب من لبنها. فقال له الراعي: من أنت يا عبد الله، لَتُخْبِرَنِّي. فقال: أنا يونس، فانطلق الراعي إلى قومه، فبَشّرهم به، فأخذوه وجاءوا معه إلى موضع الغنم، فلم يجدوا يونس. فقالوا: إنا شرطنا لربّنا ألا يكذب منا أحد إلا قطعنا لسانه. فتكلمت الشاة بإذن الله فقالت: قد شرب من لبني، فقالت الشجرة التي استظل بها: قد استظل بي. فطلبوه فأصابوه، فرجع إليهم، فكان فيهم حتى قبضه الله، وهي مدينة يقال لها نينوى[3] من أرض الموصل، وهي على دجلة.

وبلغنا أنه إنما عوقب لأنه إنما خرج من قومه من غير أن يؤذن له بالخروج منهم. وإنما خرج رجاء أن يخافوا فيؤمنوا.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: في دجلة ركب السفينة، وفيها التقمه الحوت، ثم أفضى به إلى البحر، ودار في البحر، ثم رجع في دجلة، فثمَّ نبذه الله بالعراء، وهو البَر.

قوله عز وجل: ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَـٰتِ﴾ أي: ظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة بطن الحوت. ﴿أَن لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّـٰلِمِينَ﴾.

---

(1) الذود: ما بين الثلاث إلى العشر.
(2) كذا في المخطوطات: على ظهرها، ولعل صوابها «على ضرعها» وهذا أنسب، كما فعل نبينا محمد ﷺ بشاة أم معبد الخزاعية في قصته معها وهو ﷺ في طريق هجرته إلى المدينة.
(3) انظر ياقوت، معجم البلدان ج 5 ص 339.

قال الله عز وجل: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ الغَمِّ ﴾ أي من ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي المُومِنِينَ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: دعوة ذي النون التي دعا بها وهو في بطن الحوت لا إلّه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها مسلم ربه قط في شيء إلا استجاب الله له[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَزَكَرِيَّـا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَٰرِثِيـنَ﴾ فاستجاب الله له.

قال الله عز وجل: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ قال بعضهم: كانت عاقراً فجعلها الله ولوداً. وقال بعضهم: كان في لسانها طول. ووهب له منها يحيـى.

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْـرَٰتِ﴾ أي: في الأعمال الصالحات ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً ﴾ أي: طمعاً ﴿ وَرَهَباً ﴾ أي: خوفاً ﴿ وَكَانُوا لَنَـا خَـٰشِعِينَ﴾ [قال مجاهد: متواضعين][2].

قوله عز وجل: ﴿ وَالتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ أي: أحصنت جيب درعها أي: عن الفواحش ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾. وذلك أن جبريل عليه السلام تناول بأصبعه جيبها فنفخ فيه فصار[3] إلى بطنها فحملت. قال عزّ وجل: ﴿ وَجَعَلْنَـٰهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي: أنها ولدته من غير رجل.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ أي: ملتكم ملة واحدة، أي: دين واحد، وهو الإسلام. ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾.

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه الترمذي في أبواب الدعوات، وأخرجه النسائي، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في الشعب عن سعد.

(2) زيادة من سع ورقة 36 ظ، ومن تفسير مجاهد ص 415.

(3) كذا في ب و ع وفي سع: «فصار» وفي ز ورقة 217: «فسار».

قال عز وجل: ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾ يعني أهل الكتاب.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: افترقت بنو إسرائيل على سبعين فرقة، واحدة في الجنة وسائرها في النار، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسائرها في النار[1].

قوله عز وجل: ﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ يعني البعث.

قوله: ﴿ فَمَن يَعْمَل مِنَ الصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾ أي: لعمله ﴿ وَإِنَّا لَهُ كَـٰتِبُونَ﴾ أي: نكتب حسناته حتى نجازيه بها الجنة.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَحَـرَٰمٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي: لا يتوبون. قال ابن عباس: إنهم لا يرجعون إلى الدنيا.

قوله: ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ قد فسَّرناه في سورة الكهف[2]. قال عزّ وجل: ﴿ وَهُم مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ قال بعضهم: من كل أكمة ومن كل نجو[3] يخرجون.

ذكروا أن عبد الله بن عمرو قال: إن الله عَزّ وجلّ خلق الملائكة والجن والإنس فجزأهم عشرة أجزاء، تسعة أجزاء منهم الملائكة، وجزء واحد الجن والإنس، وجزأ الملائكة عشرة أجزاء؛ تسعة أجزاء منهم الكروبيون الذين يسبّحون الليل والنهار لا يفترون، وجزء واحد منهم لرسالته وما يشاء من أمره. وجزّأ الجن والإنس عشرة أجزاء، تسعة أجزاء منهم الجن، وجزء واحد الإنس؛ فلا يولد من الإنس مولود إلا

(1) انظر ما مضى ج 1 ص 303.

(2) انظر ما مضى ج 2 ص 477 - 478.

(3) كذا في ب، وسقطت الكلمة من ع، وفي سع ورقة 37 و: «نجو» ولعل صوابه «نجوة» وهي المكان المرتفع من الأرض أو الجبل الذي تظن أنه نجاؤك أي نجاتك لأن السيل لا يصل إليه. وهو مناسب للحدَب، وهو كل مكان مرتفع. أو لعل في الكلمة تصحيفاً صوابها: نحو، أي: من كل طريق وناحية.

ولد من الجن تسعة. وجزأ الإنس عشرة أجزاء؛ تسعة منهم ياجوج وماجوج، وسائرهم بنو آدم، يعني ما سوى ياجوج وماجوج من ولد آدم.

وكان الحسن يقول: الإنس كلهم من عند آخرهم ولد آدم. والجن كلهم من عند آخرهم ولد إبليس.

قوله عز وجل: ﴿ وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ ﴾ أي: النفخة الآخرة ﴿ فَإِذَا هِيَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: إلى إجابة الداعي إلى بيت المقدس. ﴿ يَـٰوَيْلَنَا ﴾ أي يقولون: يا ويلنا ﴿ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ﴾ يعني تكذيبهم بالساعة ﴿ بَلْ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾ أي: لأنفسنا.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ أي: يُحصَب بهم فيها ﴿ أَنْتُمْ لَهَا وٰرِدُونَ﴾ أي: داخلون في تفسير الحسن. يعني الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان، لأنهم بعبادتهم الأوثان عابدون للشياطين، وهو قوله عزّ وجل: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءَادَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) [يسۤ: 60].

قال الكلبي: إن رسول الله ﷺ قام مقابل باب الكعبة ثم قرأ هذه الآية، فوجد منها أهل مكة وجداً شديداً. فقال ابن الزّبعرى: أرأيت هذه الآية التي قرأت آنفاً، أفينا وفي آلهتنا خاصة أم في الأمم وفي آلهتهم معنا؟ قال: لا، بل فيكم وفي آلهتكم، وفي الأمم وآلهتهم(1). فقال: خصمتك وربِّ الكعبة. قد علمت أن النصارى يعبدون عيسى وأمّه، وأن طائفة من الناس يعبدون الملائكة. أفليس هؤلاء مع آلهتنا في النار؟ فسكت رسول الله ﷺ وضحكت قريش وضجّوا. فذلك قول الله عزّ وجل: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) أي: يضحكون (وَقَالُوا) يعني قريشاً: (ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) [الزخرف:

(1) أخرج الطبري عن ابن عباس هذا الخبر مختصراً، جاء عن ابن إسحاق مطولاً في سبب نزول هذه الآية، كما أورده السيوطي والواحدي بألفاظ متقاربة. انظر تفسير الطبري، ج 17 ص 96، 97، والدر المنثور ج 4 ص 338، وأسباب النزول ص 315 - 316.

57 - 58]. وقال ها هنا في هذه الآية وفي جواب قولهم: ﴿ إِنَّ الذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ يعني عيسى والملائكة.

وقال بعضهم: إن اليهود قالت: ألستم تزعمون أن عزيراً في الجنة وأن عيسى في الجنة؟ وقد عُبِدا من دون الله. فأنزل الله: ﴿ إِنَّ الذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾. فعيسى وعزير ممن سبقت لهم الحسنى، وما عبدوا من الحجارة والخشب والجن وعبادة بعضهم بعضاً وكل ما عبدوا، حصب جهنم.

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال: الشمس والقمر ثوران عقيران في النار[1].

وقال بعضهم: ألستم تقرأون: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ قال: أظنهم يمثلان لمن عبدهما في النار، يوبَّخون بذلك.

وفي كتاب الله عز وجل: إن الشمس والقمر يسجدان لله، وهو قوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ ﴾ [الحج: 18].

ذكروا عن عبد الله بن عمر قال: إن الشمس تطلع من حيث يطلع الفجر، وتغرب من حيث يغرب الفجر. فإذا أرادت أن تطلع تقاعست حتى تضرب بالعمد، وتقول: يا رب إني إذا طلعت عُبِدت دونك، فتطلع على ولد آدم كلهم، فتجري إلى المغرب، فتسلّم، ويرد عليها، وتسجد فينظر إليها، ثم تستأذن فيؤذن لها حتى تأتي بالمشرق، والقمر كذلك، حتى يأتي عليها يوم تغرب فيه، فتسلّم فلا يُرَدّ عليها،

(1) في ب: «نوران عفيران» وفيه تصحيف في الكلمتين، والصواب ما أثبته ثوران عقيران. أي: معقوران، وأصل العقر قطع قوائم الفرس أو البعير، ثم اتسع المعنى فاستعمل للنحر والقتل والإهلاك. وقد أورد صاحب اللسان هذا الحديث من «حديث كعب». والحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده عن أنس. وقد ضعّف الحديث لوجود يزيد الرقاشي في سنده. وأخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بلفظ: «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة». وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار بلفظ: «الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة».

فتسجد فلا ينظر إليها، ثم تستأذن فلا يؤذن لها. فتقول: يا ربّ إن المشرق بعيد ولا أبلغه إلا بجهد، فتحبس فلا يؤذن له، ثم يقال لهما: ارجعا من حيث جئتما، فيطلعان من المغرب كالبعيرين المقرونين، وهو قوله عز وجل: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ) أي بالموت (أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ) أي بأمره (أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً) [الأنعام: 158] وهو طلوع الشمس من المغرب.

قوله عز وجل: ﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾ يعني جهنم، أي: ما دخلوها، أي: لامتنعوا بآلهتهم. قال عز وجل: ﴿ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: العابدون والمعبودون.

قوله عز وجل: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ﴾ قال الحسن: الزفير: اللهب[1]. ترفعهم بلهبها حتى إذا كانوا بأعلاها ضربوا بمقامع من حديد فهووا إلى أسفلها سبعين خريفاً.

قال بعضهم: إن أهل النار يدعون مالكاً فيذرهم مقدار أربعين عاماً لا يجيبهم ثم يقول: (إِنَّكُم مَّاكِثُونَ) [الزخرف: 77]. ثم يدعون ربهم فيذرهم مقدار عمر الدنيا مرتين ثم يجيبهم: (اِخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108] قال: فما نبسوا بعدها بكلمة، ولا كان إلا الزفير والشهيق في نار جهنم، فشبّه أصواتهم بأصوات الحمير أوله زفير وآخره شهيق.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾. ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: إن أهل النار خلود، جعلوا في توابيت من نار، ثم سمّر عليها بمسامير من نار، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى، تلك التوابيت في توابيت أخرى، فلا يرون أن أحداً يعذّب في النار غيرهم، ثم تلا هذه الآية: (لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا

(1)كذا وردت الكلمة في ب و ع، وفي سع ورقة 37 ظ: «الزفير اللهب». وهو خطأ ولا شك، والزفير «اغتراق النَّفَس للشدة» كما عرّفه الجوهري في الصحاح، وهو صوت يخرج من أقصى الحلق. وهو «أول صوت الحمار وآخره الشهيق». وانظر ما سلف ج 2 ص 249، تعليق: 2 .

يَسْمَعُونَ). قال الحسن: ذهب الزفير بسمعهم فلا يسمعون معه شيئاً.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ أي: صوتها في قول الحسن. وقال ابن عباس: حسيسها: حسّها. قال: ولا صوتاً. وإنها تلظّى على أهلها.

قوله عز وجل: ﴿ وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَت أَنْفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ﴾.

قال بعضهم: بلغنا أن أهل الجنة يكون في في أحدهم الطعام فيخطر على قلبه طعام آخر، فيتحوّل في فيه ذلك الطعام الذي اشتهى. وقال في آية أخرى: (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [الزخرف: 71].

قوله تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ ﴾ أي: النفخة الآخرة. قال بعضهم: إذا أيقن أهل النار بالخلود، فعند ذلك يقولون: (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا) أي من النار (فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰالِمُونَ). فيقـول الله: (اِخْسَأُوا فِيهَـا وَلَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنـون: 107 - 108]. فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلم يخرج منهم أحد، فذلك قوله: (الفَزَعُ الأَكْبَرُ).

قوله: ﴿ وَتَتَلَقَّـٰهُمُ المَلَـٰئِكَةُ ﴾ قال الحسن: تتلقاهم بالبشارة حين يخرجون من قبورهم، وتقول لهم: ﴿ هَذَا يَوْمُكُمُ الذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾.

قوله: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُـبِ ﴾ يعني كطيّ الصحيفة التي فيها الكتاب[1].

ذكروا عن الحسن قال: إن السماء تطوى من أعلاها كما يطوي الكاتب الصحيفة من أعلاها إذا كتبت.

(1) هذا هوالصواب الصحيح إن شاء الله، والكتاب بمعنى: ما كُتِب. قال الفرّاء في المعاني ج 2 ص 213: «السجلّ: الصحيفة». وكذلك قاله مجاهد في تفسيره ص 214. وقال ابن جرير الطبري في تفسيره ج 17 ص 100: «واللام التي في قوله: (لِلْكِتَابِ) بمعنى على». وقال في ص 101: «كطيّ السجلّ على ما فيه مكتوب».

قوله عزّ وجل: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ﴾ أي: كذلك نعيده.

وقال الكلبي إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يبعث الموتى أعاد الناس كُلَّهم نطفاً [ثم علقاً ثم مضغاً][1] ثم عظاماً ثم لحماً، ثم ينفخ فيه أرواحهم. كذلك كان بدؤهم.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ينزل الله مطراً كمني الرجال فتنبت به جسمانهم ولحمانهم كما تنبت الأرض الندى[2]، ثم تلا هذه الآية: (والله الذي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ) [فاطر: 9] أي: كذلك البعث.

قوله تعالى: ﴿ وَعْداً عَلَيْنَا ﴾ أي: وعداً كائناً، أي: البعث ﴿ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ أي: إنا نحن فاعلون.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ﴾ أي: الكتب التوراة والإنجيل والفرقان ﴿ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ أي: الكتاب الذي عند الله في السماء، وهو أم الكتاب. هذا تفسير مجاهد[3]. ﴿ أَنَّ الأَرْضَ ﴾ يعني أرض الجنة ﴿ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّـٰلِحُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

وقال ابن عباس: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ) أي: زبور داوود (مِن بَعْدِ الذِّكْرِ) أي: التوراة. (أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) أي: أمة محمد ﷺ

قوله: ﴿ إِنَّ فِي هَـٰذَا ﴾ أي: القرآن ﴿ لَبَلَـٰغاً ﴾ أي: إلى الجنة ﴿ لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴾ أي: الذين يصلون الصلوات الخمس[4].

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ قال بعضهم: من آمن بالله ورسوله تمّت عليه الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر بالله ورسوله عوفي مما عذبت به الأمم

(1) زيادة من سع ورقة 38 و.
(2) كذا في ع، وفي سع و ز: «كما تنبت الأرض من الثرى».
(3) وقع بعض الاضطراب والفساد في المخطوطة ب و ع، أثبت تصحيحه من سع ورقة 38 و.
(4) كذا في ع، وفي سع: «عن قتادة»، (لقوم عابدين) أي: عاملين.

السالفة، وله في الآخرة النار؛ قال: لأن الله أخّر عذاب كفار هذه الأمة بالاستئصال إلى النفخة الأولى، بها يكون هلاكهم.

قوله: ﴿قُل إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ وكذلك جاءت الرسل قبل محمد عليه السلام؛ وهو قوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: 25] أي: لا تعبدوا غيري.

قوله: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أي: كفروا ﴿ فَقُل ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ قال بعضهم: على مهل.

قال الحسن: من كذب بي فهو عندي سواء، يعني أن جهادهم كلهم سواء عندي[1]. وهو كقوله: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ) [الأنفال: 58]، أي: ليكون حكمك فيهم سواء: الجهاد والقتل لهم أو يؤمنوا. وهؤلاء مشركو العرب. وأما أهل الكتاب فإنه يقاتلهم حتى يُسلموا أو يُقروا بالجزية. وجميع المشركين ما خلا العرب بتلك المنزلة. وأما نصارى العرب فقد فسّرنا أمرهم في غير هذه السورة[2].

وقال بعضهم: (عَلَىٰ سَوَاءٍ): على أمر بيّن.

قوله: ﴿ وَإِن أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ يعني به الساعة.

قال: ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الجَهْرَ مِنَ القَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ أي: ما تسرّون.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 43: «(آذنتكم على سواء) إذا أنذرت عدوك وأعلمته ذلك ونبذت إليه الحرب حتى تكون أنت وهو على سواء وحذر، فقد آذنته على سواء». وهذا غاية في الإيضاح مع الإيجاز، وهو أولى بالتأويل.

(2) انظر ما سلف ج 2 ص 125 وج 1 ص 240. وانظر في معاملة نصارى العرب ما كتبه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الأموال ص 34 - 39. وانظر أبو يوسف، كتاب الخراج ص 249 - 251.

قوله: ﴿ وَإِن أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ ﴾. قال الحسن: أي: لعل ما أنتم فيه من الدنيا، أي: من السعة والرخاء، وهو منقطع زائل، فتنة لكم، أي: بلية لكم ﴿وَمَتَـٰعٌ﴾ أي: تستمتعون به، يعني المشركين ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أي: إلى يوم القيامة. وقال بعضهم: (إِلَىٰ حِينٍ) أي: إلى الموت.

قوله: ﴿ قُل رَّبِّ احْكُمْ بِالحَقِّ ﴾ قال بعضهم: كان النبي عليه السلام إذا دعا على قومه أن يحكم بينه وبين قومه بالحق هلكوا. وقال الحسن: أمره الله أن يدعـو أن ينصر أولياءه على أعدائه فنصره الله عليهم.

قوله: ﴿ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ المُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ أي: على ما تكذبون، يعني المشركين.

تفسير سورة الحج
وهي كلها مدنية إلا أربع آيات مكيات(1)

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ ﴾ أي: تعرض(2) ﴿ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴾ وهذه النفخة الآخرة.

ذكروا عن الحسن قال: بينما رسول الله ﷺ في مسير له، قد فرّق بين أصحاب له السير، إذ نزلت هذه الآية. فرفع رسول الله ﷺ بها صوته فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) حتى انتهى إلى قوله: (وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴾.

فلما سمعوا صوت نبيّهم اعصوصبوا به(3)، فتلاها عليهم، ثم قال: هل تدرون أي يوم ذلكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذلكم يوم يقول الله لآدم: يا آدم قم

---

(1) في بعض المخطوطات وفي ز ورقة 219 إشارة إلى هذه الآيات المكيّات، وهي من قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ . . .) إلى قوله: (أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ) الآيات: 52 - 55.

(2) كذا في المخطوطات وفي سع وفي ز: « (تذهل) أي: تعرض». وأصح منه وأحسن تأويلاً ما قاله أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 44: «أي: تسلو وتنسى». وما أكده ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 290 إذ قال: «تسلو عن ولدها وتتركه».

(3) اعصوصبوا، أي: اشتدوا إليه وتجمّعوا حوله. وانظر اللسان: (عصب).

ابعث بعث النار. قال: ربّ، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إنساناً إلى النار، وواحد إلى الجنة.

فلما سمعوا ما قال نبيّهم أبلسوا[1] حتى ما يُجلى أحدهم عن واضحة[2] فلما رأى ما بهم قال: اعملوا وأبشروا [فوالذي نفسي بيده][3] ما أنتم في الناس إلا كالرقمة في ذراع الدّابة، أو كالشامة في جنب البعير، وإنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء إلا كثرتاه: ياجوج وماجوج ومن هلك [يعني من كفر] من بني إبليس[4]، وتكمل العدّة من المنافقين. فهنالك يهرم الكبير ويشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها. . . إلى آخر الآية[5].

قال بعضهم: وبلغني أن الكبّير يحط يوم القيامة إلى ثلاث وثلاثين [سنة، ويرفع الصغير إلى ثلاث وثلاثين سنة][6].

قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ يعني المشرك، يلحد في الله، فيجعل معه آلهة بغير علم أتاه من الله. ﴿ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾ أي: اجترأ بالمعصية على الله، والشياطين هي التي أمرتهم بعبادة الأوثان.

---

(1) أُبْلِسوا: سكتوا من كثرة الحيرة وشدّة الحزن. ومن معاني الإبلاس: اليأس.

(2) كذا في ب و ع، وفي سع وفي ز: «ما يجلى أحدهم بواضحة». وفي بعض التفاسير: «حتى ما أوضحوا بضاحكة» ومعنى العبارات: حتى ما يُبين ولا يكشف عن سنّ ضاحكة، وهي كناية عن الوجوم وعدم التبسم أو الضحك يقال: «فلان ضحوك السّنّ». وفي الدعاء: «أضحك الله سنّك». انظر اللسان: (وضح) و (ضحك).

(3)زيادة من ز، ورقة 219.

(4)في ب و ع: «من بني إسرائيل» وهو خطأ، صوابه ما أثبته: «من بني إبليس». والتصحيح من سع 38 ظ، ومن ز ورقة 219، ومن تفسيري الطبري والقرطبي.

(5)حديث صحيح أخرجه البخاري مختصراً في كتاب التفسير، سورة الحج، عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وغيرهم من طرق مختلفة عن عمران بن حصين، وأنس، وابن عباس، بألفاظ متقاربة.

(6)زيادة من سع، ورقة 38 ظ.

قوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ ﴾ تـولى إبليس أي: اتبعه ﴿ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ ﴾ تفسير الكلبي: الله يضله[1]. ﴿ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ والسعير اسم من أسماء جهنم.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُم فِي رَيْبٍ ﴾ أي: في شكّ ﴿ مِّنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّنْ تُرَابٍ ﴾ وهذا خلق آدم ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ أي: نسل آدم ﴿ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ[2] وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ يعني (بغير مُخَلَّقَةٍ) السقط. وقال مجاهد: هما السقط جميعاً؛ مخلَّق وغير مخلّق. (وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ) إلى التّمام.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوماً، ثم يكون علقة أربعين يوماً، ثم يكون مضغة أربعين يوماً، ثم يؤمر المَلَك، أو قال: يأتي الملك، فيؤمر أن يكتب أربعاً: رزقه وعمله وأثره[3]، وشقياً أو سعيداً.

ذكروا عن أبي ذرّ أن المني إذا مكث في الرحم أربعين ليلة أتاه ملك النفوس فعرج به إلى الربّ تبارك وتعالى في راحته، فيقول: يا ربّ، عبدك، أذكر أم أنثى، فيقضي الله فيه ما هو قاض، أشقي أم سعيد، فيكتب ما هو لاق بين عينيه، ثم قرأ أبو ذر من فاتحة سورة التغابن خمس آيات.

قوله: ﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ أي: بدو خلقكم ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ ﴾ أي: أرحام

---

(1) هذا وجه من وجوه التأويل، وللفراء وجه آخر لعلّه أقرب إلى الصواب. قال في المعاني ج 2 ص 215: «وقوله: (كُتِبَ عَلَيْهِ) الهاء للشيطان المريد في (عَلَيْهِ) وفي (أَنَّهُ يُضِلُّهُ) ومعناه: قُضِي عليه أنه يُضِل من اتّبعه». وهو ما ذهب إليه أيضاً الطبري في تفسيره ج 17 ص 116 حيث قال: «وتأويل الكلام: قُضِي على الشيطان أنه يُضِل أتباعَه، ولا يهديهم إلى الحق».

(2) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 44: «(مخلّقة) أي: مخلوقة». وقال الفراء: (مُخَلَّقَة وغَيرِ مُخَلَّقَةٍ): تَماماً وسَقطاً».

(3) كذا في ب و ع وفي سع و ز: «وأثره» وفي صحيح البخاري «وأجله». وانظر تخريج الحديث فيما سلف ج 2 ص 248.

النساء ﴿ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: الوقت الذي يولد فيه[1]. ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ يعني الاحتلام ﴿ وَمِنْكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ يعني الهرم[2]. وفيها إضمار، أي: يُتوفّى من قبل أن يردّ إلى أرذل العمر، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ أي: يصير بمنزلة الصبي الذي لا يعقل.

قوله: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ أي: غبراء متهشمة ميتة يابسة. ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ وفيها تقديم، أي: ربت بالنبات وانتفخت، واهتزت بالنبات إذا أنبتت.

قال: ﴿ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ أي: حسن. وكل ما ينبت في الأرض فالواحد منه زوج. وحسن ذلك النبات أنها تنبت ألواناً من صفرة وحمرة وخضرة وغير ذلك من الألوان.

قال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ والحق اسم من أسماء الله. ﴿ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي: أن الذي أخرج من هذه الأرض الهامدة الميّتة ما أخرج من النبات قادر على أن يحيي الموتى.

قال عز وجل: ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ أي: لا شك فيها ﴿ وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾.

قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي: المشرك يلحد في الله، فيجعل معه الآلهة يعبدها بغير علم أتاه من الله ﴿ وَلَا هُدًى ﴾ أتاه منه. ﴿ وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ أي: قضى بعبادة الأوثان.

---

(1)كذا في سع، وفي ز: «إلى منتهى الولادة»، وفي ب و ع: «أي الوقت الذي يوقّته».

(2)كذا في المخطوطات. وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 45: « (أرْذَلِ العُمُرِ) مجازه أن يذهب العقل ويخرف». وهذا أقرب إلى الصواب وأحسن تأويلاً.

﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ ﴾ أي: ثاني رقبته[1]. تفسير مجاهد، يقول: هو معرض عن الله وعن رسوله ودينه. ﴿ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ أي: القتل ﴿ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ عَذَابَ الحَرِيقِ ﴾ أي: عذاب جهنم، أي: يحترق بالنار. وقال الكلبي: إنها نزلت في النضر بن الحارث فقتل، أحسبه قال: يوم بدر.

﴿ قَالَ: ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾.

قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَّعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ أي: على شك[2] ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾ [يقول رضي به][3] ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ هذا المنافق إذا رأى في الإسلام رخاء وطمأنينة طابت نفسه لما يصيبه من ذلك الرخاء، وقال: أنا منكم ومعكم، وإذا رأى في الإسلام شدة أو بلية لم يصبر على بليتها، ولم يَرْجُ عاقبتها، (انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ) أي: كافراً. قال الله: ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا ﴾ أي: ذهبت عنه وزالت ﴿ وَالأَخِرَةَ ﴾ أي: وخسر الآخرة فلم يكن له فيها نصيب[4]. قال الله: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ ﴾.

قوله: ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ﴾ يعني الوثن ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَـٰلُ البَعِيدُ ﴾.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 45: «يقال: جاءني فلان ثاني عطفه، أي: يتبختر من التكبر».

قال الشماخ:

نُبِّئْتُ أَنَّ رُبَيْعـاً أَنْ رَعَىٰ إِبِلِي ... يُهْـدِي إِلَيَّ خَنَـاهُ ثَـانِيَ الجِيـدِ»

(2) وقال أبو عبيدة في المجاز ص 46: « (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَّعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ): كل شاك في شيء فهو على حرف لا يثبت ولا يدوم. وتقول: إنما أنت لي على حرف، أي: لا أثق بك».

(3) زيادة من ز ورقة 220 ومن سع ورقة 39 و.

(4) جاء في سع ورقة39 و ما يلي: «وقال قتادة: يقول: إن أصاب خصباً ورفاهة في العيش وما يشتهي اطمأن إليه وقال: أنا على حق، وأنا أعرف الذي أنا عليه، (وإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ) أي: ترك ما كان عليه من الحق وأنكر معرفته..».

قال: ﴿ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ﴾ يعني الوثن، ينفق عليه وهو كلٌّ عليه. يقول الله: ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ ﴾ أي: الولي ﴿ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ أي: الصاحب، يعني الوثن.

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾. قد فسّرناه قبل هذا الموضع[1].

قوله: ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾. يعني المنافق. أي: إنه يئس من أن ينصر الله محمداً عليه السلام، أي: لا يصدق بما وعد الله رسوله من نصره في الدنيا والآخرة، ونصره في الآخرة الجنة.

قال عزّ وجلّ: ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ﴾ أي: بحبل إلى السماء، أي: سماء البيت، أي: سقف البيت، أي: فليعلّق حبلاً من سقف البيت فليختنق حتى يموت. يعني بقوله عز وجل: (ثُمَّ لِيَقْطَعْ) فليختنق. قال: فلينظر هل يذهبن ذلك غيظه، أي: إن ذلك لا يذهب غيظه.

وقال مجاهد: (أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللهُ) أي: أن لن يرزقه الله[2].

قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَـٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ﴾ أي: الحلال والحرام والفرائض والأحكام ﴿ وَأَنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴾.

---

(1) انظر مثلاً وصف الجنة فيما سلف ج 2 ص 312.

(2) هذا أولى بالتأويل وأحق بالصواب. وهذا ما ذهب إليه أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 46. قال: «(مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنْصُرَهُ اللهُ) مجازه أن لن يرزقه الله وأن لن يعطيه الله. قال وقف علينا سائل من بني بكر على حلقة في المسجد الجامع فقال: من ينصرني نصره الله. أي: من يعطيني أعطاه الله. ويقال: نصر المطر أرض كذا. أي: جادها وأحياها.

وقال الراعي:

أَبُـوكَ الذِي أَجْـدَىٰ عَلَيَّ بِنَصْـرِهِ فَـأَنْصَتَ عَنِّي بَعْـدَهُ كـلُّ قَـائِـلِ

أي: بعطيته».

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَالذِينَ هَادُوا ﴾ أي: اليهود تهوّدوا ﴿وَالصَّـٰبِئِينَ﴾ هم قوم كانوا يعبدون الملائكة، ويقرأون الزبور ﴿وَالنَّصَـٰرَىٰ﴾ أي: تنصرّوا. وإنما يقال لهم نصارى لأنهم كانوا بقرية يقال لها ناصرة. ﴿ وَالمَجُوسَ ﴾ وهم عبدة الشمس والقمر والنار ﴿ وَالذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ أي: عبدة الأوثان ﴿ إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ﴾ أي: فيما اختلفوا فيه في الدنيا، فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل جميع هؤلاء النار، على ما أعد لكل قوم، وقد ذكرنا ذلك في سورة الحجر في قوله تعالى: (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ) [الحجر: 44].

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي: شاهد على كل شيء، وشاهد كل شيء.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَـٰوٰتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ﴾ يعني أن جميع من في السماوات يسجدون له، وبعض أهل الأرض، يعني الذين يسجدون له وكان الحسن لا يعدّ السجود إلا من المسلمين، ولا يعدّ ذلك من المشركين. وقال مجاهد: يسجد المؤمن طائعاً ويسجد كل كافر كارهاً[1]. ﴿ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ ﴾ كلها ﴿ وَالجِبَالُ ﴾ كلها ﴿ وَالشَّجَرُ ﴾ كلها ﴿ وَالدَّوَابُّ ﴾ كلها. ثم رجع إلى صفة الإنسان فاستثنى فيه فقال:

﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ﴾ يعني المؤمنين ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ ﴾ يعني من لم يؤمن. قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُّهِنِ اللهُ ﴾ فيدخله النار ﴿ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ فيدخله الجنة ﴿ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾.

قوله: ﴿ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾. قال بعضهم: اختصم المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب: نبيُّنا قبل نبيّكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن خير منكم. وقال المسلمون: كتابنا يقضي على الكتب كلها، ونبينا خاتم

(1) انظر ما سلف ج 2 ص 301.

النبيين، ونحن أولى بالله منكم، فأفلج[1] الله أهل الإسلام فقال: ﴿ هٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِن نَّارٍ... ﴾ إلى آخر الآية، وقال: ﴿ إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً... ﴾ إلى آخر الآية.

ذكروا عن الحسن في قوله: ﴿ هٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا ﴾ قال: أهل الكتاب خصم والمؤمنون خصم؛ اختصموا، يعني جماعتهم، كل مؤمن وكافر إلى يوم القيامة قد اختصموا في الله وإن لم يلتقوا في الدنيا قط لاختلاف الملتين. أما المؤمن فوحد الله وعمل بفرائضه فأخبر الله بثوابه، وأما الكافر فألحد في الله وعبد غيره، فأخبر الله بعقابه.

وقال بعضهم: نزلت في ثلاثة من المؤمنين وثلاثة من المشركين الذين تبارزوا يوم بدر. فأما الثلاثة من المؤمنين فعبيدة بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهم. وأما الثلاثة من المشركين فعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.

قوله: ﴿ فَالذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾. وقال في آية أخرى: ﴿ سَرَابِيلُهُم ﴾ أي: قمصهم ﴿ مِّن قَطِرَانٍ ﴾ [إبراهيم: 50] قال الحسن: القطران الذي يطلى به الإبل. وقال مجاهد من صفر. قال الحسن: وهي من نار.

قوله: ﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الحَمِيمُ ﴾ وهو الحار الشديد الحر. ﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالجُلُودُ ﴾ أي: ويحرق به الجلود. وقال الحسن: أي: يقطع به. وقال مجاهد: يذاب به. وقال الكلبي: ينضج به. وهو كله نحو واحد. قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ ﴾ [النساء: 56] وقال: ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ ﴾ [آل عمران: 181].

---

(1) يقال: فلج الرجل على خصمه يفلُج، ظفر وانتصر، والفَلْج: الظفر والفوز. وفي المثل: من يأت الحكَمَ وحده يفلُج. وأفلجه الله عليه: غلبه عليه وأظفره. انظر اللسان: (فلج).

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ أي: من نار. يقمع رأسه بالمِقمعة فتخرق رأسه فيُصبُّ فيه الحميم حتى يبلغ جوفه[1].

ذكر أن أبا العوام سادن بيت المقدس قرأ هذه الآية: (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) [المدثر: 30] فقال [للقوم: ما تقولون؟][2] تسعة عشر ملكاً أو تسعة عشر ألف ملك. فقالوا: الله أعلم. فقال: هم تسعة عشر ملكاً، بيد كل ملك مرزبة من حديد لها شعبتان، فيضرب بها الضربة فيهوى بها سبعين ألف عام في النار[3].

قوله: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ قال الحسن: ترفعهم بلهبها فإذا كانوا في أعلاها قمعتهم الملائكة بمقامع من حديد من نار، فيهوون فيها سبعين خريفاً. قال الله: ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾.

وقوله: ﴿ إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنَ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً ﴾. ذكروا عن سعيد بن المسيب أنه قال: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ؛ وهو قوله: (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً) وقال في آية أخرى: (وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ) [الإنسان: 21].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إنّ الرجل من أهل الجنة إذا بدا سواره يغلب ضوءه على ضوء الشمس[4].

قوله: ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ وقال في آية أخرى: (وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) [الكهف: 31].

قوله: ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ أي: إلى لا إله إلا الله، في تفسير

---

(1) كذا في ب وفي سع ورقة 39 ظ، وفي ع: «حتى يغلي حتى يبلغ جوفه».
(2) زيادة من سع، ورقة 39 ظ.
(3) كذا في ب و ع، وفي سع: «فيهوى بها سبعون ألفاً، أي من أهل النار».
(4) انظر تخريجه فيما سلف ج 2 ص 461.

الكلبي. وقال الحسن: إلى الإيمان في الدنيا، وهو واحد. قال: ﴿ وَهُدُوا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطِ الْحَمِيدِ ﴾ وهو الله. وهو كقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: إلى الجنة (صِرَاطِ اللهِ) [الشورى: 52 - 53] أي: طريق الله الذي هدى به عباده المؤمنين إلى الجنة.

قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾ أي: الهدى، يعني المشركين ﴿ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ أي: ويصدّون عن المسجد الحرام ﴿ الَّذِي جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ ﴾ أي: قِبلة ونسكاً. وقوله: ﴿ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ ﴾ أي: الساكن فيه ﴿ وَالْبَادِ ﴾.

قال بعضهم: العاكف فيه أهل مكة، والبادي من يقصده، أي: ينتابه من الناس للحج والعمرة، وهما سواء في حرمه ومناسكه وحقوقه.

قوله: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ أي: بشرك ﴿ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

قال بعضهم: من لجأ إلى حرم الله ليعبد فيه غير الله عذّبه الله. تفسير الكلبي: الإلحاد: الميل عن عبادة الله إلى الشرك(1).

قوله: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ ذكروا عن ابن عباس أنه قال: موضع البيت [ربوة بيضاء حولها](2) حجارة موسومة حولها حرجة(3) من سَمُر نابت. فهو قوله: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ) أي: أعلمناه (مَكَانَ الْبَيْتِ).

قوله: ﴿ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾ أي: من عبادة الأوثان وقول الزور والمعاصي.

---

(1) وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 48: «(وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ) مجازه ومن يرد فيه إلحاداً. والباء من حرف الزوائد، وهو الزيغ والجور والعدل عن الحق...».

(2) بادة من سع، ورقة 39 ظ.

(3) حرَجَة، بفتح الراء والجيم موضع شجر ملتف كالغيضة. وقيل: هو مجتمع الشجر من السَّمُر والطَّلح والسَّلَم والسِّدر وغير ذلك من الشجر.

ذكروا أن عائشة قالت: كسوة البيت على الأمراء، ولكن طيِّبوا البيت فإن ذلك من تطهيره.

قوله: ﴿ لِلطَّائِفِينَ وَالقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (لِلطَّائِفِينَ) يعني أهل الطواف، (والقَائِمِينَ) يعني أهل مكة، (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) يعني أهل الصلاة يصلّون إليه.

وقوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾[1] ذكروا أن إبراهيم نادى: يا أيها الناس، إن لله بيتاً فحُجوه، فأسمع ما بين الخافقين أو المشرقين، فأقبل الناس يقولون: لبّيك لبّيك؛ وبلغنا أنه أجابه يومئذ من كان حاجاً إلى يوم القيامة.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: قام إبراهيم عند البيت فأذّن في الناس بالحج، فسمعه أهل المشرق والمغرب.

وذكروا عن ابن عباس قال: إن إبراهيم وإسماعيل بنَيَا البيت. فلما أقبل أذّن في الناس بالحج، فجعل لا يمر بأحد إلا قال: يا أيها الناس بني لكم بيت فحجّوه، فجعل لا يسمعه حجر ولا شجر إلا أجابه: لبّيك اللهم لبّيك.

وذكروا عن ابن عباس قال: لما أمر إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج خفضت الجبال رؤوسها، ورفعت له القرى، فأذّن في الناس بالحج.

قوله: ﴿ يَأْتُوكَ رِجالاً ﴾ أي: مشاة ﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾. قال بعضهم: أو يأتوك على كل ضامر، أي: الإبل. قال بعضهم: أي لا تبلغه المطي حتى تَضمُر.

قوله: ﴿ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ أي: من كل فج بعيد[2]. قال بعضهم: (عَمِيقٍ) ما بين تهامة والعراق، ويؤتى من أبعد من ذلك.

---

(1) الحَج، بفتح الحاء وكسرها لغتان فصيحتان قرأ بهما القراء. قال ابن خالويه في الحجة ص 88: الحجة لمن كسر أنه أراد الاسم، والحجة لمن فتح أنه أراد المصدر، ومعناهما في اللغة القصد.

(2) الفج هو المسلك والناحية، وجمعه فجاج.

قوله: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾ قال مجاهد: الأجر في الآخرة والتجارة في الدنيا. وذلك أنهم كانوا يتبايعون في الموسم، فكانت لهم في ذلك منفعة. وقال في آية أخرى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ) [البقرة: 198] أي: التجارة في الموسم.

قوله: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ﴾ وهي عشر ذي الحجة، آخرها يوم النحر. ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَـٰمِ﴾ أي: يسمّي إذا ذبح أو نحر. والأضحى ثلاثة أيام: يوم النحر ويومان بعده. ويوم النحر أفضلها.

وقال بعضهم: هذا بمكّة؛ الأضحى ثلاثة أيام، سعةً لمن لم يجد البُدن في يوم النحر، فوسّع لهم، فجعل الأضحى ثمَّ ثلاثة أيام. فأما بغير مكة، فالأضحى يوم النحر، وهو يوم واحد لا غير[1].

قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ قال مجاهد: الضعيف الفقير. وقال بعضهم: الفقير الذي به زمانة.

وذكروا عن جعفر بن محمد عن أبيه[2] قال: أُطعِمُ البائس الفقير ثلثاً، والقانع والمعتر ثلثاً، وأهلي ثلثاً.

وذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه بعث بهديه مع علقمة فأمره أن يأكل هو وأصحابه ثلثاً، وأن يبعث إلى أهل عتبة بن مسعود ثلثاً، وأن يطعم المساكين ثلثاً.

وذكروا عن سعيد بن المسيب قال: ليس لصاحب البدنة إلا ربعها، وذكروا عن الحسن أنه قال: لا يطعم من الضحية إلا ربعها[3].

---

(1) هذه الفقرة غير واردة في سع ولا في ز، ولعلها من زيادات الشيخ هود الهواري. وقد جاءت العبارة في ب و ع هكذا: «فالأضحى يوم وحد» والصواب ما أثبته إن شاء الله.

(2) هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولد سنة 80 للهجرة وتوفي بالمدينة سنة 148 هـ.

(3) كذا في ع، وفي سع ورقة 40 و: «لا يطعم من الأضحية أقل من الربع».

ذكروا عن ابن عمر أنه كان يقول: فكلوا منها وأطعموا منها، وأطعموا منها وكلوا منها سواء؛ لا بأس أن يطعم منها قبل أن يأكل.

ذكروا عن الحسن قال: هذه مقدمة مؤخرة: فكلوا منها وأطعموا منها، وأطعموا منها فكلوا؛ لا بأس أن يطعم قبل أن يأكل [وإن شاء لم يأكل][1].

ذكروا عن عائشة، ابنة سعد بن مالك، أن أباها كان يأكل من بدنته قبل أن يطعم.

ذكروا عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ أمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت في قِدر، فطبخت. فأكل هو وعلي من لحمها وحسوا من مرقها.

قوله: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالبَيْتِ العَتِيقِ ﴾ قال بعضهم: التفث حلق الرأس. وقال عطاء: التفث حلق الشعر وقطع الأظفار. وقال مجاهد: التفث حلق الرأس وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط وحلق العانة، ورمي الجمار. ذكر بعضهم قال: التفث دلك الشعث ودلك القشف[2].

وفي تفسير عمرو عن الحسن: [إزالة][3] قشف الإحرام، برميهم الجمار يوم النحر فقد حل لهم كل شيء غير النساء والطيب.

ذكروا عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب كان يقول: من رمى الجمار يوم النحر فقد حلّ له كل شيء إلا النساء والطيب.

قوله: ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ قال بعضهم: أيام عظّمها الله، تحلـو فيها الأشعار، ويوفى فيها بالنذر، وتذبح فيها الذبائح.

---

(1) زيادة من سع، ورقة 40 و.

(2) في المخطوطات وفي سع تصحيف وفساد في الكلمات؛ ففي بعضها: «ذا الشعب»، و «التقشف» والصواب ما أثبته إن شاء الله. وهو «دلك الشعث، ودلك القشف». والقشف: «قذر الجلد» كما جاء في اللسان. فيكون المعنى: إزالة ذلك بالدّلك. انظر اللسان: (تفث) و (قشف).

(3) زيادة من تفسير القرطبي، لا بد منها ليتضح المعنى.

ذكروا أن مجاهد قال: نذر الحج والهدي، وما نذر الإنسان على نفسه من شيء يكون في الحج.

قوله: ﴿ وَلْيَطَّوَّفوا بِالبَيْتِ العَتِيقِ ﴾. قال بعضهم: أعتقه الله من الجبابرة. وقال بعضهم: كم من جبّار مترف قد صال[1] إليه يريد أن يهدمه، فحال الله بينه وبينه.

ذكر الحسن بن مسلم قال: قلت لمجاهد: لم سمّى البيت العتيق؟ قال: لم يُرِده أحد بسوء إلا هلك. قال الحسن: البيت العتيق أول بيت وضع للناس.

قال بعضهم في قوله: (وَلْيَطَّوَّفوا بِالبَيْتِ العَتِيقِ). قال: هو الطواف الواجب. ذكروا عن عطاء أنه كان لا يرى بأساً أن يطاف الطواف الواجب بالليل.

وقال مجاهد: هو طواف يوم النحر. قال مجاهد: إن رسول الله ﷺ أمر أصحابه فأفاضوا نهاراً يوم النحر، وأفاض هو ليلاً لحال نساء كن معه. فما أفاض منا أحد حتى كان النفر الآخر[2].

قوله: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ قال مجاهد: الحرمات: مكة والحج والعمرة، وما يخفى الله عنه من معاصيه كلها.

قوله: ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ في سورة المائدة، أي: من (المَيْتَةِ وَالدَّم وَلَحْم الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالمُنْخَنِقَةِ وَالمَوْقُوذَة وَالمُتَرَدِّيَة والنَّطِيحَة وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) [المائدة: 3] وقد فسّرنا ذلك في سورة المائدة[3].

قوله: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَـٰنِ ﴾ يقول: اجتنبوا الأوثان فإنها رجس.

(1) في ع: «طال» وفي ز: «صار»، وفي سع ورقة 40 ظ صال. ولكل كلمة وجه، ولكن ما أثبته أنسب وأبلغ.

(2) أي: بعد أيام التشريق الثلاثة. وهو الإفاضة من منى.

(3) انظر ما سلف، ج 1 ص 443 - 444.

﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ الكذب على الله، يعني الشرك[1].

قال: ﴿ حُنَفَاءَ للهِ ﴾ أي: مخلصين لله، وقال بعضهم: حجّاجاً لله مخلصين. ﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ أي: سقط من السماء، أي: من البعد من الله ﴿ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ أي: في مكان بعيد.

قال الحسن: شبه الله أعمال المشركين بالشيء يخر من السماء فتخطفه الطير فلا يصل إلى الأرض، أو تهوي به الريح في مكان سحيق، أي: بعيد، فيذهب فلا يوجد له أصل، ولا يرى له أثر. يعني أنه ليس[2] لأعمال المشركين عند الله قرار لهم به عنده خير في الآخرة.

قوله: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰئِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ تفسير مجاهد: استعظام البدن واستسمانها واستحسانها.

ذكروا أن رجلاً سأل ابن عمر عن أعظم الشعائر فقال: أوفي شك أنت منها، هذا أعظم الشعائر، يعني البيت. وتفسير الحسن (شَعَائِرَ اللهِ) يعني دين الله كله.

قوله: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ذكر عطاء عن ابن عباس قال: الأجل المسمى إلى أن تُقلَّد وتُشْعَر، وهي البُدْن ينتفع بظهرها ويستعان بها.

﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا ﴾ أي: إذا قلدت وأشعرت ﴿ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾. وقال مجاهد أيضاً: هي البدن ينتفع بها حتى تقلد.

---

(1) ليسا شيئاً واحداً. وقد روى ابن جرير الطبري في تفسيره ج 17 ص 154 بسند: «عن أيمن بن خريم أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال: أيها الناس عُدِلَت شهادة الزور بالشرك بالله، مرتين، ثم قرأ رسول الله ﷺ: (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)».

(2) كذا وردت هذه الجملة في كل من ب، وع، وز ورقة 222 وسع: «ليست لأعمال المشركين»والصحيح ما أثبته: «ليس».

ذكروا أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال: اركبها، قال: إنها بدنة، قال: اركبها، قال: إنها بدنة، قال: اركبها ويحك[1].

ذكر عطاء قال: كان رسول الله ﷺ يحمل على بدنته العقب.

ذكروا أن جابر بن عبد الله سئل عن ركوب البدنة فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اركبها بالمعروف حتى تجد ظهراً[2].

ذكروا عن هشام بن عروة عن أبيه قال: البدنة إن احتاج سائقها فإنه يركبها غير فادح، ويشرب من فضل فصيلها.

ذكروا عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أشعر بدنته من جانب السنام الأيمن، ثم سلت عنها الدم، ثم قلّدها نعلين[3].

ذكروا عن ابن عمر أنه أشعر الهدي من جانب السنام الأيسر، إلا القلوصين الصعبين فإنه كان يطعنهما بالحربة، هذا من الأيمن وهذا من الأيسر.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾. ذكروا عن عطاء قال: كل هدي دخل الحرم ثم عطب فقد بلغ مَحِلّه إلا هدي المتعة فإنه لا بد أن يهرق دماً يوم النحر. وروى بعضهم عن عطاء قال: إلا هدي المتعة وهدي المحصر بالحج.

---

(1)حديث صحيح متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب ركوب البدن، عن أبي هريرة وعن أنس. وفيه: «اركبها ويلك أو ويحك!» وأخرجه مسلم في كتاب الحج أيضاً، باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها، (رقم 1322 - 1323) عن أبي هريرة وعن أنس.

(2)حديث صحيح أخرجه مسلم في نفس الباب (رقم 1324) من طريقين عن جابر، وفي أحدهما: «اركبها بالمعروف إذا ألجئت إليها حتى تجد ظهراً».

(3)رواه مسلم في كتاب الحج، باب تقليد الهدي وإشعاره عند الإحرام عن ابن عباس (رقم 1243) والإشعار هو جرح البدنة المهداة حتى يُعلم أن تلك البدنة هَدْيٌ، فإذا ضلت رُدت ولا تمس بسوء وإذا اختلطت بالإبل تميّزت فَرُدت. وأخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب في الإشعار عن ابن عباس (رقم 1752).

ذكروا عن عائشة أنها قالت: إذا عطب الهدي فكلوه، ولا تدعوه للكلاب والسباع؛ فإن كان واجباً فاهدوا مكانه هدياً آخر، وإن لم يكن واجباً فإن شئتم فاهدوا، وإن شئتم فلا تهدوا.

ذكروا عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بالبدن مع رجل، وأمره فيها بأمره. فلما قفّى[1] رجع فقال: ما أصنع بما أزحف[2] منها؟ قال: انحرها واصبغ أخفافها في دمها، ثم اضرب به صفحتها؛ وربما قال اليمنى، وربما لم يقل، ثم لا تأكل منها أنت ولا رفقتك، وخلٍّ بينها وبين الناس يأكلونها[3]. وهذا في التطوع.

وذكر ذلك غير واحد عن ابن عباس إلا أن بعض رواة ابن عباس قال في البدنة التطوع إذا أصيبت: ينحرها ويجعل أخفافها في دمها ولا يأكل منها. وذكر مجاهد عن ابن عباس قال: إذا أكلت من التطوع فأبدل[4].

قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً﴾ أي: حجاً وذبحاً ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَـٰمِ﴾. وقد فسّرناه في الآية الأولى[5].

قوله: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ يقوله للمشركين. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ تفسير الحسن أن المخبتين هم الخاشعون. والخشوع المخافة الثابتة في

---

(1) في ب: «أقفى»، وفي سع ورقة 41 و: «قفا» والصحيح ما أثبته من اللسان: «قفّى» أي ذهب مولياً.

(2) أزحف البعير وزحف إذا أعيا ووقف من الكلال.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه أبو داود في كتاب المناسك من طريقين باب في الهدي إذا عطب قبل أن يبلغ (رقم 1762) وأخرجه مسلم في الحج، باب ما يفعل بالهدي إذا عطب في الطريق عن ابن عباس (رقم 1325 و1326) ولفظه: «إن عطب منها شيء فخشيت عليه موتاً، فانحرها ثم اغمس نعلها في دمها، ثم اضرب به صفحتها، ولا تطعمها أنت ولا أحد من أهل رفقتك». وانظر ترجمة ذؤيب، والد قبيصة، في الاستيعاب لابن عبد البر ج 2 ص 464، وكان ذؤيب هذا صاحب بدن رسول الله ﷺ، كان يبعث معه الهدي.

(4) كذا في ب و ع، وفي سع ورقة 41 و نسب هذا القول إلى عمر بن الخطاب.

(5) انظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص 110.

القلب. وقال بعضهم: المخبتون المطمئنون بالإيمان كقوله: (فَتُخْبِت لَهُ قُلُوبهُمْ) [الحج: 45] أي: خافت قلوبهم، أي: فتطمئن قلوبهم. وقال: (الذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ) [الرعد: 28].

قوله: ﴿ الذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: خافت قلوبهم. ﴿ وَالصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالمُقِيمِي الصَّلَوٰةِ ﴾ أي: المفروضة، وهي الصلوات الخمس يحافظون على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ أي: الزكاة المفروضة.

قوله: ﴿ وَالبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ أي: أجر في نحرها والصدقة منها، تتقربون إلى الله.

قوله: ﴿ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ﴾ ذكروا عن الحسن قال: مخلصين لله؛ فهي على هذا المقرإ [غير][1] مثقلة على هذا التفسير. وكان مقرأ الحسن ـ فيما ذكروا عنه ـ: صوافِيَ، أي: صافية لله تعالى.

ذكروا عن مجاهد قال: (صَوَافَّ): معلقة قياماً.

ذكروا عن ابن عمر أنه كان ينحرها وهي قائمة، تصف بين أيديها بالقيود؛ ويتلو هذه الآية: (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ). وهي على هذا التفسير [غير][2] مخففة: صوافّ، أي: مصفوفة بالحبال، معقولة يدها اليمنى، وهي قائمة على ثلاث، كذلك ينحرها من نحرها في دار المنحر بمنى.

وهي قراءة ابن مسعود: (صوافن)[3]. يعني مثل قوله تعالى: (الصَّافِنَاتُ

---

(1) سقطت هذه الكلمة في ب و ع و سع. فأثبتها ليصح معنى الإخلاص، فإنها جمع «صَوَافٍ».

(2) وسقطت هذه الكلمة أيضاً من المخطوطات، والصواب إثباتها. انظر معاني الفراء ج 2 ص 226، وابن جني، المحتسب ج 2 ص 81 - 82، واللسان: (صفف).

(3) نسبت هذه القراءة أيضاً إلى ابن عباس وابن عمرو وآخرين. وفي مخطوطة ز، أوضح ابن أبي زمنين في ورقة 222 هذه القراءات فقال: «من قرأ «صوافّ» مشددة فالمعنى صفت قوائمها، =

الجِيَاد) [سورة صٓ: 31]؛ يعني الفرس إذا صفن، أي: رفع إحدى رجليه فقام على طرف الحافر.

ذكروا عن عمرو بن دينار قال: رأيت عبد الله بن الزبير على برذون له أشعر أوجرها الحربة[1] وهي قائمة. قال: ورأيت ابن عمر ينحر البدن وهي باركة، ورجل يعينه.

ذكروا عن عائشة بنت سعد [بن مالك][2] أن أباها كان ينحرها وهي باركة.

ذكروا عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ نحر من بدنه بيده ثلاثاً وستين، ثم أعطى علياً الحربة فنحر ما بقي.

ذكروا عن ابن عمر أنه كان إذا أراد أن ينحرها استقبل بها القبلة ونزع عنها جلالها لكي لا تخضب بالدم، وكان يحب أن يلي نحرها بنفسه.

قوله: ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾ أي: إذا نحرت فسقطت جنوبها على الأرض من قيام أو بروك.

ذكروا عن القاسم بن محمد[3] أنه كان إذا أراد أن ينحرها يصف بين أيديها وهي قائمة، ويمسك رجل بخطامها ورجل بذنبها، ثم يطعنها بالحربة، ثم يجبذانها حتى يصرعاها، وكان يكره أن تعرقب.

= والنصب فيها على الحال ولا تنوّن لأنها لا تنصرف. ومن قرأ «صوافن» فالصافن الذي يقوم على ثلاث، يقال: صفن الفرسُ، إذا رفع إحدى رجليه فقام على طرف الحافر، والبعير إذا أرادوا نحره تعقل إحدى يديه، فهو الصافن، والجمع صوافن. وقرئت صوافِيَ بالياء والفتح بغير تنوين. وتفسيره خوالص، أي: خالصة لله لا يشرك بالله جل وعز في التسمية على نحرها أحد. وقد ذكر يحيى هذه القراءات ولم يلخصها هذا التلخيص».

(1) أي: طعنها بها، والضمير راجع إلى البدن.

(2) زيادة من سع ورقة 41 و، ولعلها بنت أبي سعيد الخدري فإن اسمه سعد بن مالك بن سنان.

(3) هو أبو محمد أو أبو عبد الرحمن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق المدني. قال عنه يحيى ابن سعيد: ما أدركنا بالمدينة أحداً نفضله على القاسم. قيل: توفي سنة إحدى أو اثنين ومائة وقيل: بعد ذلك.

قوله: ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا القَانِعَ وَالمُعْتَرَّ ﴾. قال بعضهم: القانع: القاعد في بيته لا يسأل الناس، والمعتر الذي يتعرض لك يسألك؛ ولكل عليك حق.

وقال مجاهد: القانع: السائل الذي يقنع بما أعطى، والمعتر: القاعد في بيته لم يشعر بما اعتراه[1]. وقد فسّرنا إطعامهم في الآية الأولى[2].

قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: لكي تشكروا.

قوله: ﴿ لَن يَّنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا ﴾ وقد كان المشركون يذبحون لأصنامهم، ثم ينضحون دماءها حول البيت.

قال: ﴿ وَلَكِن يَّنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ ﴾ يعني من آمن بالله. ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ﴾ أي: الأنعام ﴿ لِتُكَبِّرُوا اللهَ ﴾ أي: لتعظموا الله ﴿ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ وقال في الآية الأخرى: (لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ) [الحج: 28] أي: إذا ذبحوا.

والسنّة إذا ذبح أو نحر أن يقول: باسم الله وبالله والله أكبر.

ذكروا أن رسول الله ﷺ كان يضحي بكبشين أملحين أقرنين عظيمين، يذبحهما بيده، ويطأ على صفاحهما، ويسمّي ويُكبّر[3].

ذكروا عن الحسن أنه كان إذا ذبح الضحية قال: بسم الله والله أكبر، اللهم منك وإليك.

قال: ﴿ وَبَشِّرِ المُحْسِنِينَ ﴾ أي: بالجنة.

---

(1) في ع: «لم يشعر باعتراه». وفي سع ورقة 41 ظ: «لم يشعر به اعتراه»؛ وصواب العبارة ما أثبته: لم يشعر بما اعتراه، أي لا يعلم حاله وما ينتابه من فقر.

(2) انظر ما مضى قريباً في هذا الجزء ص 110 - 111.

(3) روى ابن سلام في سع ورقة 41 ظ خبر هذا نصـه: «عن أنس بن مالك قال: أهدى للنبي عليه السلام كبشان أملحان أقرنان فضحى بهما فذبحهما بيده فوضع رجله اليمنى على كتف الكبش اليمنى ثم قال: بسم الله والله أكبر، منك ولك عني وعن أمتي».

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ يُدَفِعُ عَنِ الذِينَ ءَامَنُوا ﴾ قال الحسن يدافع عنهم فيعصمهم من الشيطان في دينهم. قال بعضهم: والله ما ضيّع الله رجلاً قط حفظ له دينه.

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ ذكروا عن الحسن في قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَىٰ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَّحْمِلْنَهَـا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَها الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً لِّيُعَذِّبَ اللهُ المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ وَالمُشْرِكِينَ وَالمُشْرِكَاتِ) [الأحزاب: 72 - 73] قال: والله إن اللذين ظلماها، والله إن اللذين خاناها المنافق والمشرك[1]. وهي خيانة دون خيانة.

قوله: ﴿ أُذِنَ لِلذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾ أي: ظلمهم المشركون فأخرجوهم من ديارهم، أي: من مكة في تفسير الحسن[2]. على هذا خرجوا من مكة إلى المدينة مهاجرين. وكانوا يمنعون من الخروج إلى المدينة، فأدركهم المشركون، فأذن للمؤمنين بقتالهم فقاتلوهم.

[قال بعضهم][3]: وكان من كان يومئذ بمكة من المسلمين قد وضع عنهم القتال. فهو قوله: (أُذِنَ لِلذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا) أي: أذن لهم بالقتال بعدما أخرجهم المشركون وشرّدوا حتى لحق طوائف منهم بالحبشة.

قال الله: ﴿ وَإِنَّ اللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[4].

---

(1) جاءت العبارة في ب و ع هكذا: «ظلما أنفسهما. . . خاناهما المنافق والمشرك». وأثبت ما جاء في سع ورقة 41 ظ: «ظلماها. . . خاناها» حتى يعود الضمير إلى الأمانة. وهذا أحسن تأويلاً وأصح تعبيراً.

(2) كذا في ب و ع، وفي سع ورقة 42 و: «في تفسير مجاهد. وبالمقارنة مع ما أورده الطبري في تفسيره ج 17 ص 173 وما جاء في تفسير مجاهد ص 426 تبين أن الجملة الأولى من هذه الفقرة للحسن والأخيرة لمجاهد.

(3) زيادة لا بد منها لأن هذه الفقرة من رواية يحيى بن سلام لكلام قتادة، كما جاء في سع ورقة 42 و.

(4) سقطت هذه الجملة من كل المخطوطات، ومن سع أيضاً. وكأن الناسخ الأول لم يثبتها سهواً فتبعه من جاء بعده. وجاء في ز ورقة 223 قول لقتادة في تفسير هذه الآية آخره: «وقيل إنها أول =

قوله: ﴿ الذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَـٰرِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَّقُولُوا رَبُّنَا اللهُ ﴾ يقول: لما قال المسلمون لا إلـه إلا الله أنكرها المشركون وضاق بها إبليس وجنوده.

قال الحسن: والله ما سفكوا لهم من دم، ولا أخذوا لهم من مال، ولا قطعوا لهم من رحم، وإنما أخرجوهم لأنهم قالوا ربنا الله. كقوله: (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُّومِنُوا بِاللهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ) [البروج: 8].

قوله: ﴿ وَلَوْلَا دَفْـعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ أي: يدفع عن المؤمنين بدينهم، ويدفع عن الكافرين بالمؤمنين. وقال بعضهم: يبتلي المؤمن بالكافر، ويعافي الكافر بالمؤمن(1).

قوله: ﴿ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ ﴾ قال مجاهد: صوامع الرهبان، وقال بعضهم: الصوامع للصابين، قوله: ﴿ وَبِيَعٌ ﴾ أي: وكنائس النصارى، ﴿ وَصَلَوَاتٌ ﴾ أي: صلوات اليهود، أي: كنائسهم. ﴿ وَمَسَاجِدُ ﴾ يعني مساجد المسلمين ﴿ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً ﴾ يعني في المساجد.

قوله: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَن يَّنْصُرُهُ ﴾ أي: ولينصرن الله من ينصر دينه، يعني النصر في الدنيا، والحجة في الآخرة. ﴿ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ أي: قوي في سلطانه، عزيز في نقمته.

قوله: ﴿ الذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ يعني أصحاب النبي عليه السلام. ﴿ أَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ﴾ أي: بعبادة الله ﴿ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ أي: عن عبادة الأوثان ﴿ وَللهِ عَـٰقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ أي: إليه تصير الأمور. كقوله: (إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) [مريم: 40].

= آية نزلت في القتال» وانظر تفسير الطبري ج 17 ص 173.

(1) انظر اختلاف المفسرين في هذه الآية، في تأويل دفع الله الناس، وفي معنى الصوامع والبيع والصلوات في تفسير الطبري، ج 17 ص 174 - 178. وقد رجح الطبري أخيراً ما جاء في هذا التفسير تقريباً.

قوله: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ﴾ يعني الذين بعث الله إليهم شعيباً. قال: ﴿ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ﴾ أي: كذّبه فرعون وقومه ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ والذين كفروا، يعني جميع هؤلاء لم أهلكهم عند تكذيبهم رُسُلهم، حتى جاء الوقت الذي أردت أن أهلكهم فيه. ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾ أي: بالعذاب حين جاء الوقت ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: عقابي، أي: كان شديداً. يحذّر بذلك المشركين.

قوله: ﴿فَكَأَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ ﴾ أي: فكم من قرية ﴿ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ يعني أهلكنا أهلها. ﴿ فَهِيَ خَاوِيَةٌ ﴾ أي: فالقرية خاوية ليس فيها أحد. قد هلك أهلها. فهي خاوية ﴿ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ أي: على بنيانها. وبعضهم يقول: العروش السقوف، صار أعلاها أسفلها ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾ أي: باد أهلها فعطّلت ﴿ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ أي: مبني معطّل. [معطوف][1] على قوله معطّلة. وقال الكلبي: المشيد الحصين[2].

قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني المشركين ﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ أي: لو ساروا وتفكروا لعاينوا ما نزل بإخوانهم من الكفار فيتوبون لو كانت لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها. ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَـٰرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ أي: إنما أوتوا من قِبَل قلوبهم. ولو أن رجلاً كان أعمى بعد أن يكون مؤمناً لم يضرّه شيء وكان قلبه بصيراً.

وقال بعضهم: إنما هذه الأبصار التي في الرؤوس جعلها الله منفعة وبلغة، وأما

---

(1) زيادة لا بد منها للإيضاح.

(2) كذا قال الكلبي. وما ذكره أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 53. أوفى شرحاً وأدقّ تعبيراً. قال: «(وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ) مجازه مجاز مفعول من «شِدت تَشِيد» أي: زينته بالشِّيد، وهو الجصّ والجَيّار والمِلاط. الجيّار الصاروج، وهو الكلس. وقال عدي بن زيد العِبادي:

شَادَهُ مَرْمَراً وَجَلَّلَهُ كِلْـ سًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ

وهو الكلس. وقال:

كَحَيَّةِ المَاءِ بَيْنَ الطَّيِّ وَالشِّيدِ»

وانظر اللسان: (شيد) فقد أورد فيه ابن منظور تحقيقاً لغوياً مفيداً.

البصر النافع فهو في القلب. وذكر لنا أنها نزلت في عبد الله بـن زائدة[1].

ذكروا عن مجاهد قال: لكل عين، يعني نفساً، أربعة عيون: عينان في رأسه لدنياه، وعينان في قلبه لآخرته. فإن عميت عينا رأسه وأبصرت عينا قلبه لم يضره عماه شيئاً. وإن أبصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه لم ينفعه [بصره][2] شيئاً إذا عميت عينا قلبه. قال الله: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ).

قوله: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾ وذلك منهم استهزاء وتكذيب، أي: فإنه لا يكون. ﴿ وَلَن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ ﴾ قال الحسن: يعني هلاكهم بالساعة قبل عذاب الآخرة.

قال: ﴿ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ أي: إن يوماً من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا.

قوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ قَرْيَةٍ ﴾ أي: وكم من قرية ﴿ أَمْلَيْتُ لَهَا ﴾ إلى الوقت الذي أخذتها فيه ﴿ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ أي: وهي مشركة، يعني أهلها ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهَا ﴾ أي: بالعذاب ﴿ وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ أي: وإلى الله المصير في الآخرة.

قوله: ﴿ قُلْ يَـٰأَيُّهَـا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ أي: لذنوبهم ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ أي: الجنة.

قوله: ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ ﴾ أي: كذبوا بآياتنا معاجزين أي: يظنون أنهم يعجزوننا فيسبقوننا في الأرض حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم، هذا تفسير

(1) في ب و ع جاء الاسم هكذا: «عبد الله بن سعيد»، وفي سع ورقة 42 و: «عبد الله بن زيد» وكلاهما خطأ؛ والصواب ما أثبته إن شاء الله. فقد جاء في الدر المنثور ج 4 ص 365 ما يلي: «عبد الله بن زائدة، يعني ابن أم مكتوم». والقول لقتادة. وأنا أستبعد نزول الآية في الصحابي الجليل ابن أم مكتوم الذي شهد الله له بالخشية في سورة عبس [الآية: 9]، والآية هنا في معرض الذم، اللهم إلا قوله تعالى: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ)، والله أعلم.

(2) زيادة يقتضيها سياق الكلام. والعبارة: «إذا عميت عينا قلبه» تكرار لا لزوم له ورد في ب و ع دون سع.

الحسن. وتفسير مجاهد: معاجزين، أي: مبطئين عن الإيمان[1]. ﴿ أُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ الْجَحِيمِ ﴾ والجحيم اسم من أسماء جهنم.

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ ﴾ أي: إذا قرأ، في تفسير بعضهم. وقال مجاهد: إذا قال. وقال الكلبي: إذا حدّث نفسه.

وقال بعضهم: كان النبي قائماً في المسجد الحرام يصلّي وهو يقرأ سورة النجم؛ فلما أتى على هذه الآيات: (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ) [النجم: 19 - 20] ألقى الشيطان على لسانه: إنهن من الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لتُرتجىٰ. فأعجب ذلك المشركين؛ فقرأ السورة حتى ختمها، فسجد وسجد أهل مكة؛ المؤمنون والمشركون، والجن والإنس؛ فأنزل الله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ).

قال الله: ﴿ أَلْقَىٰ الشَّيْطَـٰنُ فِي أُمْنِيَتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ ءَايَـٰتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ يعني المشركين. قال: ﴿ وَإِنَّ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ يعني المشركين ﴿ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: لفي فراق بعيد أي: إلى يوم القيامة، يعني فراقهم عن الحق[2].

(1) كذا في ب و ع و سع. وفي ز ورقة 223: «مبطئين للناس عن الإيمان». وفي تفسير مجاهد، ص 427: «يقول: يبطئون الناس عن اتباع محمد ﷺ».

(2) روى ابن سلام في مخطوطة سع ورقة 42 و مـا بعدها حديث الغرانيق هذا بسند واه عن أبي العالية الرياحي، وعن قتادة، وعن الكلبي. وهي روايات كلها مرسلة، وأورد الطبري كذلك في تفسيره روايات مماثلة عن محمد بن كعب القرظي، ومحمد بن قيس، وعن سعيد بن جبير وغيرهم؛ مما يدل دلالة واضحة على أن الحديث موضوع، لا أصل له، ولا يُعتَدُّ به، ولا يجب التصديق به، لأنه يقدح في عصمة الصادق المصدوق ﷺ. وقد نقد المحققون من علماء التفسير قديماً وحديثاً قصة الغرانيق هذه وبيّنوا علل ضعفها وأثبتوا وضعها، مما لا يدع مجالاً للشك في أنها من كيد الدساسين أو من روايات الجهلة المغفلين، ولا يوهمنّك كثرة الرواة لها في كتب التفسير فإن أغلبهم نَقَلَة لما قال غيرهم بدون نقد أو تمحيص. وممن جمع هذه الردود المتينة وأوضحها بجلاء العلاّمة محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره محاسن التأويل، ج 12 ص 38 - 57. فاقرأها هناك يتبين له وجه الحق والصواب إن شاء الله.

قوله: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ﴾ يعني المؤمنين ﴿ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي: القرآن ﴿ فَيُؤمِنُوا بِهِ ﴾ أي: فيصدّقوا به ﴿ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: فتطمئن له قلوبهم، في قول الكلبي. وقال الحسن: فتخشع له قلوبهم. قوله: ﴿ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: الجنة.

قوله: ﴿ وَلَا يَزَالُ الذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ أي: في شك من القرآن ﴿ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ أي: فجأة. قال الحسن: يعني الذين تقوم عليهم الساعة الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه.

قوله: ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ أي: يوم بدر، قبل قيام الساعة. وقال بعضهم: (يَوْمٍ عَقِيمٍ) أي: قوم لا غد له، أي: يهلكون فيه. وقال الحسن: (عَقِيم) أي: شديد.

قوله: ﴿ المُلْكُ يَوْمَئِذٍ للهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: يوم القيامة؛ (يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) أي: بين المؤمنين والكافرين.

قال: ﴿ فَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَالذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ أي: من الهوان.

﴿ وَالذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا ﴾ أي: بعد الهجرة ﴿ أَوْ مَاتُوا ﴾ على فرشهم بعد الهجرة ﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقاً حَسَناً ﴾ أي: الجنة ﴿ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً[1] يَرْضَوْنَهُ ﴾ في الجنة. ﴿ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ ﴾ يعني مشركي العرب، إنهم عوقبوا فقتلهم الله بجحودهم النبي عليه السلام، وبظلمهم إياه وأصحابه، وبغيهم عليهم. قال: ﴿ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ النصر في الدنيا: الظهور على المشركين، والحجة عليهم في الآخرة؛ هو كقوله: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا

(1) قال أبو عبيدة في المجاز: «(لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً) الميم مضمومة لأنها من (أَدخلت). والخاء مفتوحة: وإذا كانت من دخلت فالميم والخاء مفتوحتان».

وَالذِينَ ءَامَنُوا فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ) [غافر: 51] أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ الَّيْـلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ وهو أخذ كل واحد منهما من صاحبه ﴿ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ ﴾ والحق اسم من أسماء الله. قوله: ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ ﴾. قال الحسن: الأوثان. وقال بعضهم: إبليس ﴿ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ ﴾ أي: الرفيع فلا أعلى منه ولاأرفع. ﴿ الكَبِيرُ ﴾ أي: لا شيء أكبر منه.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ يعني نباتها، ليس يعني من ليلتها، ولكن إذا أنبتت. ﴿ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ ﴾ أي: بخلقه فيما رزقهم. ﴿ خَبِيرٌ ﴾ بأعمالهم.

قوله: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللهَ لَهُو الغَنِيُّ ﴾ أي: عن خلقه ﴿ الحَمِيدُ ﴾ أي: المستحمد إلى خلقه، استحمد إليهم، أي: استوجب عليهم أن يحمدوه.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ ﴾ كقوله: (هُوَ الذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً) [البقرة: 29]، ﴿ وَالفُلْكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ ﴾ أي: لئلا تقع على الأرض ﴿ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي أَحْيَاكُمْ ﴾ أي: من نطفة ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ يعني البعث. وهو كقوله: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) [البقرة: 28]، ﴿ إِنَّ الإِنْسَـٰنَ لَكَفُورٌ ﴾ يعني الكافر.

قوله: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسكاً ﴾ أي: حجّاً وذبحاً، في تفسير بعضهم[1].

(1) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 230: «وقوله: (منسَكاً، ومنسِكاً) قد قرىء بهما جميعاً. والمنسِك لأهل الحجاز، والمنسَك لبني أسد. والمنسَك في كلام العرب: الموضع الذي تعتاده وتألفه. ويقال: إن لفلان منسكاً يعتاده، في خير كان أو غيره. والمناسك بذلك سمّيت ـ والله أعلم ـ لترداد الناس عليها بالحج والعمرة.

قوله: ﴿ هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ قال مجاهد: يعني إهراق الدماء، [دماء الهدي][1] وقال بعضهم: يعني النسك.

قوله: ﴿ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ﴾ أي: لا يحوِّلَنَّك المشركون عن هذا الدين الذي أنت عليه، يقوله للنبي عليه السلام. ﴿ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي: إلى الإخلاص له قوله: ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: على دين مستقيم، وهو الإسلام، يستقيم بك حتى يهجمُ[2] بك على الجنة.

قوله: ﴿ وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ يقوله للمشركين، يعني ما اختلف فيه المؤمنون والكافرون، فيكون حكمه فيهم أن يدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: قد علمت أن الله يعلم ما في السماء والأرض. ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَـٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ [أي: هيِّن حين كتبه][3].

قوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـٰنًا ﴾ أي: حجة بعبادتهم ﴿ وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ أي: إن الأوثان ما خلقت مع الله شيئاً ولا رزقت شيئاً ﴿ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين ﴿ مِن نَّصِيرٍ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ﴾ أي: القرآن ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ﴾ أي: يكادون يقعون بهم، أي: بأنبيائهم فيقتلونهم، في تفسير الحسن. قال: وهو كقوله: (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) [غافر: 5] أي: ليقتلوه. وقال مجاهد: يعني كفار قريش.

---

(1) زيادة من تفسير مجاهد، ص 428.

(2) كذا في ب و ع، وفي سع ورقة 43 و: «حتى يهجم بك» ولست مطمئناً للكلمة، وإن كان المعنى واضحاً.

(3) زيادة من ز، ورقة 224.

قوله: ﴿ قُل أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكُمْ ﴾ يعني بشرٌّ من قتل أنبيائهم ﴿ النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الذِين كَفَرُوا وَبِئْسَ المَصِيرُ ﴾ أي: النار.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ يعني المشركين ﴿ إِنَّ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ يعني الأوثان ﴿ لَن يَّخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَو اجْتَمَعُوا لَهُ وإِن يَّسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ أي: أن الذّباب يقع على تلك الأوثان، فينقر أعينها ووجوهها، فيسلبها ما أخذ من وجوهها وأعينها. وقال بعضهم: إنهم كانوا يطلونها بخَلُوق.

قال الله: ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ ﴾ يعني الوثن ﴿ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ أي: الذباب.

قوله: ﴿ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ أي: ما عظّموا الله حقّ عظمته بأن عبدوا الأوثان من دونه التي إن سلبها الذباب الضعيف شيئاً لم تستطع أن تمتنع منه. ﴿ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ أي: بقوته وعزته ذل من دونه.

قوله: ﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلَـٰئِكَةِ رُسُلاً ﴾ أي: يختار من الملائكة رسلاً[1] ﴿ وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾.

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: من أمر الآخرة ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي: من أمر الدنيا [إذا كانا في الآخرة][2] ﴿ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾ يعني الصلاة المكتوبة[3] ﴿ وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ أي: لا تعبدوا غيره ﴿ وَافْعَلُوا الخَيْرَ ﴾ أي: في وجهتكم ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي: لكي تفلحوا.

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 230: «(اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلاَئِكَةِ رُسُلًا) اصطفى منهم جبريل وميكائيل وملك الموت وأشباههم. ويصطفي من الناس الأنبياء».

(2) زيادة من ز ورقة 224، ومن سع ورقة 43 و.

(3) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 231: «(يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُـوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا): كان الناس يسجدون بلا ركوع، فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع قبل السجود».

قوله: ﴿ وَجَـٰهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ وهو مثل قوله: (اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) [آل عمران: 102]. وهما منسوختان؛ نسختهما الآية التي في التغابن: (فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) [التغابن: 16].

قوله: ﴿ هُوَ اجْتَبَـٰكُمْ ﴾ أي: هو اصطفاكم. ويقال: هو اختاركم لدينه، وهو واحد.

قوله: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ أي: من ضيق.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: خير دينكم أيسره(1).

وقال [قتادة](2): إن كتاب الله قد جاءكم بذلك ورب الكعبة: (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ) [البقرة: 185].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما اجتمع أمران في الإسلام إلا كان أحبُّهما إلى الله أيسرَهما(3).

ذكروا عن عروةبن الزبير عن عائشة قالت: ما عرض لرسول الله أمران إلا أخذ بأيسرهما ما لم يكن إثماً، وكان أبعد الناس من المآثم.

قوله: ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّـٰكُمُ المُسْلِمِينَ ﴾ أي: الله هو سمّاكم المسلمين(4) ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبل هذا القرآن، أي: في الكتب الأولى وفي الذكر. ﴿ وَفِي هَـٰذَا ﴾ القرآن.

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه البخاري في الأدب، والطبراني عن محجن بن الأدرع الأسلمي. ورواه الطبراني أيضاً من طريق عمران بن حصين.

(2) زيادة لا بد من إثباتها كما جاءت في سع ورقة 43. حتى لا يتوهم القارىء أن ما يلي من تمام الحديث.

(3) أخرجه يحيى بن سلام هكذا: «أبو أمية عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ. ..» ولم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من المصادر.

(4) هذا هو ما ذهب إليه جمهور المفسرين. وقد ذهب آخرون إلى أن الضمير (هو) يعود على =

قوله: ﴿ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ ﴾ أي: بأنه قد بلّغ ﴿ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ أي: على الأمم بأن الرسل قد بلغت قومها.

ذكروا أن كعباً قال: إن الله أعطى هذه الأمة ثلاثاً لم يعطهن قبلهم إلا نبياً مرسلاً؛ كان يبعث النبي فيقول: أنت شاهدي على أمتك، وإن الله جعلكم شهداء على الناس. ويبعث النبي فيقول: ادعني أستجب لك. وقال: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر: 60]. ويبعث النبي فيقول: ليس عليك في الدين من حرج، وقال الله: (مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ).

قوله: ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ﴾ إنهما فريضتان واجبتان؛ أما الصلاة فالصلوات الخمس يقيمونها على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. وأما الزكاة فقد فسّرناها في أحاديث الزكاة على ما سنّ رسول الله ﷺ فيها[1].

قوله: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ ﴾ أي: بدين الله، فهو اعتصامكم بالله في قول الحسن. وقال الكلبي: بتوحيد الله وبفرائضه، وهو واحد.

قوله: ﴿ هُوَ مَوْلَيكُمْ ﴾ أي: وليّكم ﴿ فَنِعْمَ المَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ وعدهم النصر على أعدائهم من المشركين.

= (إبراهيم) ونزع بقوله تعالى من سورة البقرة [آية: 128]: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَّكَ). وقد ردَّ الطبري على هذا الرأي الأخير، واحتج لما ذهب إليه الجمهور بحجة قوية. انظر تفسير الطبري ج 17 ص 208.

(1) لعله يشير إلى كتابه «الجامع» الذي هو كتاب في الحديث لم نعرف عنه إلا عنوانه، ولم يتحدث عنه من ترجموا لابن سلام، ولعلهم لم يطلعوا عليه.

تفسير سورة المؤمنون[1]
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: قد سَعِد المؤمنون، والسعداء أهل الجنة.

ذكروا أن كعباً قال: [لم يخلق الله بيده إلا ثلاثة؛ خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الجنة بيده][2] ثم قال لها تكلمي، فقالت: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُومِنُونَ).

وذكر بعضهم أن الله خلق الجنة فجعل لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها، يعني أرضها[3]، مسكاً. ثم جعل فيها ما جعل، ثم نظر إليها ثم قال: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُومِنُونَ)، ثم أغلق بابها، فليس يعلم ما فيها مَلَك مقرَّب ولا نبيّ مرسَل، فالذي تجد من برد السَّحَر وطيبه فهو ما يخرج من خلل الباب.

قوله: ﴿ الذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ﴾ . والخشوع هو الخوف الثابت في القلب.

وذكر لنا أن أحدهم كان يرفع بصره إلى السماء، فلما نزلت هذه الآية غضّوا أبصارهم، فكان أحدهم ينظر إلى موضع سجوده.

(1) في ب و ع: «سورة قد أفلح»، وفي سع و ز: «سورة المؤمنين» وأثبت ما جاء في مصاحفنا المطبوعة على الرسم العثماني.
(2) زيادة من سع ورقة 44 ظ.
(3) هذا الشرح للملاط غير وارد في سع، ويبدو أنه من زيادات بعض النساخ. والصحيح أن الملاط هو الطين الذي يجعل بين اللبن أو يملط، أي يطلى، به الحائط.

قوله: ﴿ وَالذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾. واللغو هو الباطل، ويقال: الكذب، وهو واحد.

قوله: ﴿ وَالذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ﴾ أي: يؤدون الزكاة المفروضة.

قوله: ﴿ وَالذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ﴾ أي: من الزنا ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَٰجِهِـمْ﴾ أي: إن شاء تزوّج واحدة، وإن شاء اثنتين، وإن شاء ثلاثاً، وإن شاء أربعاً، ولا يحل له ما فوق ذلك.

قوله: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ ﴾ أي: يطأ بملك يمينه كم شاء. قال: ﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ أي: في أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، لا لوم عليهم في ذلك، أي: لا إثم عليهم في ذلك.

قوله: ﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: وراء أزواجه أو ما ملكت يمينه ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ العَادُونَ ﴾ أي: الزناة، تعدّوا الحلال إلى الحرام.

قوله: ﴿ وَالذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُـونَ﴾ أي: يؤدون الأمانة ويوفون بالعهد.

قوله: ﴿ وَالذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَـوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ أي: يحافظون على الصلوات الخمس على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها.

قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الوَٰرِثُـونَ﴾ أي: إنه ليس من أحد إلا وقد أعدّ الله له منزلاً وأهلاً في الجنة، فإن أطاع الله صار إلى ما أعد الله له، وإن عصاه صرف ذلك المنزل عنه إلى غيره، فأعطاه الله المؤمن مع ما أعد الله للمؤمنين، فورث المؤمن تلك المنازل والأزواج، وهو قوله: (أُولَٰئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ).

قوله: ﴿ الذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ والفردوس اسم من أسماء الجنة، في تفسير الحسن. قال بعضهم: وبلغنا أنها بالرومية[1].

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 231: «وقوله (الفِرْدَوْسُ) قال الكلبي: هو البستان بلغة الروم. =

ذكر بعضهم [عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ][1] قال: هي ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها[2]. وقال بعضهم: الفردوس جبل في الجنة تتفجّر منه أنهار الجنة.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَـٰنَ مِنْ سُلَٰلَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴾ والسلالة النطفة تسلّ من الرجل، وكان بدء ذلك من طين. خلق الله آدم من طين، ثم جعل نسله بعد من ماء مهين، أي: ماء ضعيف، يعني النطفة.

قوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ أي: في الرحم.

قوله: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ [يكون في بطن أمه نطفة أربعين ليلة، ثم يكون علقة أربعين ليلة، ثم يكون مضغة أربعين ليلة][3].

قال: ﴿ فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَـٰماً ﴾ وبعضهم يقرأها (عَظْماً) يعني جماعة العظام. ﴿ فَكَسَوْنَا العِظَـٰمَ لَحْماً ﴾ وبعضهم يقرأها: (فَكَسَوْنَا العَظْمَ لَحْماً). وهي مثل الأولى. قال: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَـٰهُ خَلْقاً آخَـرَ ﴾ قال بعضهم: أنشأ عليه الشعَر. وقال الحسن: الروح. وقال بعضهم: ذكراً أو أنثى. وقال الكلبي: الروح، وهو في بطن أمه.

قال: ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ ﴾. هو من باب البركة كقوله: (فَتَعَـٰلَى اللهُ) [الأعراف: 190] ﴿ أَحْسَنُ الخَـٰلِقِينَ ﴾، أي: أن العباد قد يعملون ما يشبهون بخلق

= قال الفراء: وهو عربي أيضاً. العرب تسمّى البستان الفردوس». وانظر الجواليقي: المعرب ص 288 - 299 ففيه تفصيل واف في أصل الكلمة ومعانيها.

(1) زيادة لا بد منها لأن ما يلي حديث أورده ابن سلام بسند كما جاء في سع ورقة 44 ظ.

(2) حديث صحيح أخرجه الطبراني عن سمرة بلفظ: «الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها». وأخرجه ابن جرير الطبري أيضاً عن سمرة بن جندب. وشرح به حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال للربيع ابنة النضر: «يا أم حارثة، إنها جنان، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى». انظر تفسير الطبري، ج 16 ص 38، وانظر صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب صفة الجنة والنار.

(3) زيادة من ز ورقة 225، ومن سع ورقة 45 و.

الله[1]، ولا يستطيعون أن ينفخوا فيه الروح.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: قال الله: من أظلم ممن يخلق كخلقي، فليخلقوا ذباباً أو ذرة أو بعوضة[2].

ذكروا أن النبي ﷺ قال: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله[3].

ذكروا أن عمر بن الخطاب قال: وافقني ربي، أو وافقت ربي في أربع: قلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلًى، فأنزل الله: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: 125]. ولما نزلت هذه الآية: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾ قلت: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لقد ختمها الله بما قلت[4]. [وقلت: يا رسول الله، لو حجبت نساءك، فإنه يدخل عليهن الصالح وغيره، فأنزل الله آية الحجاب. وكان بين نبي الله وبين نسائه شيء، فقلت لتنتهن أو ليبدلنّه

---

(1) كذا في ب و ع، وفي ز ورقة 225 و سع ورقة 45 و: «إن العباد قد يخلقون ويشبهون بخلق الله...».

(2) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب نقض الصور، وأخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان... (رقم 2111) كلاهما يرويه عن أبي هريرة. ولفظه عند مسلم: «قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة».

(3) أخرجه أحمد والشيخان والنسائي وغيرهم عن عائشة، أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، (رقم 2107) ولفظه: يا عائشة، أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله».

(4) أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن صالح أبي الخليل أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إنها ختمت بالذي تكلمت يا عمر» كما ورد في الدر المنثور ج 5 ص 6.

الله أزواجاً خيراً منكن، فأنزل الله: (عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ) [التحريم: 5] [1].

قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: بعدما ينفخ فيه الروح ﴿ لَمَيِّتُونَ ﴾ أي: إذا جاء أجلكم. قال: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ أي: سبع سماوات، طبقة طبقة، بعضها فوق بعض، كقوله: (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقاً) [نوح: 15] أي: طبقاً طبقاً، بعضها فوق بعض. قوله: ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَـٰفِلِينَ﴾ أي: إذ ننزل عليهم ما يحييهم ويصلحهم من هذا المطر.

قوله: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ﴾. ذكروا عن ابن عباس أنه قال: ما من عام بأكثر من عام مطراً، ولكن الله يصرفه في الأرض حيث يشاء، ثم تلا هذه الآية: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ﴾ [الفرقان: 50].

ذكروا أن علياً قال: إن هذا الرزق يتنزّل من السماء كقطر المطر إلى كل نفس بما كتب الله لها.

وبلغنا عن ابن مسعود أنه قال: كل النخل ينبت في مستنقع الماء الأول إلا العجوة فإنها من الجنة.

قال: ﴿ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِي الأَرْضِ ﴾. قال الكلبي: يعني الأنهار والعيون والركي[2]، يعني الآبار. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ ﴾ أي: على أن نذهب بذلك الماء ﴿لَقَـٰدِرُونَ﴾.

قوله: ﴿ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ ﴾ أي: فجعلنا لكم بذلك الماء ﴿ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا ﴾ أي: في تلك الجنات ﴿ فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾.

(1) ما بين المعقوفين زيادة من سع ورقة 45 و، إتماماً لقول عمر، فإن مخطوطتي ب و ع لم تذكرا إلا مسألتين من مسائل عمر الأربع.

(2) الركيّ، جمع ركيّة، وهي «البئر تحفر» كما في اللسان، وتجمع أيضاً على ركايا.

قوله: ﴿وَشَجَرَةً﴾ أي: وأنبتنا لكم بذلك الماء شجرة ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾ وهي الزيتونة. والطور الجبل، وسيناء: الحسن، كقوله: (وَطُورِ سِينِينَ) [التين: 6] الجبل الحسن. وبعضهم يقول: سيناء: المبارك، أي: الجبل المبارك[1]، يعني جبل بيت المقدس.

قوله: ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [قال مجاهد: تثمر بالدهن][2] ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ أي: هو دهن يدهن به، وهو صبغ يصبغ به الآكلون. [أي: يأتدمون به][3].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الزيت من شجرة مباركة فائتدموا به وادهنوا به[4].

قوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ أي: لآية ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ يعني اللبن. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ أي: في ألبانها وظهورها، وكل ما ينتفع به منها. قوله: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني لحومها.

قوله: ﴿وَعَلَيْهَا﴾ أي: وعلى الإبل ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ أي: السفن ﴿تُحْمَلُونَ﴾ وقد يقال: إنها سفن البرّ. وقال في آية أخرى: (وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا

(1) أورد ابن جرير الطبري في تفسيره ج 18 ص 14 هذين التأويلين لكلمة سيناء بأنها الحسن والمبارك، فلم يرتضهما، ورد على ذلك بما يلي: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سيناء اسم أضيف إلى الطور، يُعرف به. كما قيل: جبلا طيء، فأضيفا إلى طيء. ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه: جبل مبارك، أو كما قال من قال: معناه: حسن، لكان الطور منوّناً، وكان قوله: (سِينَاءَ) من نعته، على أن سيناء بمعنى مبارك وحسن غير معروف في كلام العرب، فيجعل ذلك من نعت الجبل، ولكن القول في ذلك إن شاء الله، كما قال ابن عباس، من أنه جبل عرف بذلك، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى ﷺ، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء معنى مبارك».

(2) زيادة من ز ورقة 226، ومن تفسير مجاهد.

(3) زيادة من ز، ورقة 226. وفي اللسان: «صبغ اللقمة يصبُغها صبغاً، دهنها وغمسها... وكل ما غمس فقد صبغ».

(4) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب الزيت (رقم 3319) «عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ائتدموا بالزيت وادّهنوا به فإنه من شجرة مباركة». وأخرجه الترمذي في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في أكل الزيت ولفظه: «كلوا الزيت وادّهنوا به فإنه من شجرة مباركة».

ذُرِّيَّاتِهِمْ فِي الفُلْكِ المَشْحُونِ) أي: الموقر، (وَخلَقنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) [سورة يٓس: 41 - 42] يعني الإبل. عدلت بالسفن. وقال في آية أخرى: (وَجَعَل لَّكُم مِّنَ الفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ) [الزخرف: 12].

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَـٰقَـوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّن إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَقَالَ المَلَأُ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ يقوله بعضهم لبعض: ﴿ يُرِيدُ أَن يَّتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: بالرسالة، وما له عليكم من فضل.

قال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ﴾ ولو أنزل ملائكة لآمنا بهم. ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾ أي: أن رجلاً ادّعى النبوّة.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ أي: جنون ﴿ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ قال بعضهم: حتى يموت، وقال بعضهم: حتى يستبين جنونه[1].

﴿ قَالَ ﴾ أي: نوح ﴿ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ وقال في آية أخرى: (إِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ) [القمر: 10].

قال: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا ﴾ أي: فاحمل فيها ﴿ مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ وقد فسّرنا ذلك في سورة هود[2].

قوله: ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ أي: واحمل فيها أهلك ﴿ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ مِنْهُمْ ﴾ أي: ابنه الذي غرق. والقول: الغضب ﴿ وَلَا تُخَـٰطِبْنِي فِي الذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: [ولا تراجعني في الذين ظلموا][3] ﴿ إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾.

قوله: ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الفُلْكِ ﴾ وكان معه امرأته، وثلاثة

(1) كذا في ب وسع ورقة 25 ظ. وفي ع: «حتى يشتهر جنونه».
(2) انظر ما سلف ج 2 ص 222 - 231.
(3) زيادة من ز، ورقة 226، ومن سع، ورقة 45 و.

بنين له: سام وحام ويافث، ونساؤهم، فجميع من كان في السفينة ثمانية. ﴿ فَقُلِ الحَمْدُ للهِ الَّذِي نَجَّـٰنَا مِنَ القَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: المشركين. وقال في آية أخرى: (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مُجْرَيٰها وَمُرْسَيٰهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [هود: 41].

قال بعضهم: قد بَيَّن الله لكم ما تقولون إذا ركبتم في البر، وما تقولون إذا ركبتم في البحر، إذا ركبتم في البرّ قلتم: (سُبْحَانَ الذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) [الزخرف: 13 - 14] وإذا ركبتم في البحر قلتم: (بِسْمِ اللهِ مُجْرَيٰهَا وَمُرْسَيٰهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ).

قوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنْزِلْنِي مَنْزِلاً مُّبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾. قال مجاهد: [يقول الرب عز وجل][1] لنوح عليه السلام حين نزل من السفينة. وقال بعضهم: سمعت الناس إذا نزلوا منزلاً قالوا هذا القول.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ أي: من أمر قوم نوح وغرقهم ﴿ لأَيَـٰتٍ ﴾ لمن بعدهم. قال: ﴿ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ أي: بالدين، يعني ما أرسل به الرسل من عبادته، وهو تفسير الحسن.

قوله: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ ﴾ أي: من بعد الهالكين من قوم نوح. ﴿ قَرْناً ءَاخَرِينَ ﴾ يعني عاداً. ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُم ﴾ يعني هوداً ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّن إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ أي: الله، أي: فاتقوا الله.

﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ أي: وسّعنا عليهم في الرّزق. ﴿ مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ. وَلَئِنَ اَطَعْتُم بَشَراً مِّثْلَكُمْ ﴾ أي: فيما يدعوكم إليه ﴿ إِنكُمْ إِذاً لَخَـٰسِرُونَ﴾ أي: لعجزة.

---

(1) زيادة من تفسير مجاهد، ص 430. وقد جاءت العبارة في ب و ع مضطربة فأثبت صحتها من سع ورقة 45 ظ. وفيه: «قال: منزلاً مباركاً لنوح حين نزل من السفينة. قال يحيى: وسمعت الناس إذا نزلوا. . .».

﴿ أَيَعِدُكُمْ ﴾ يقوله بعضهم لبعض على الاستفهام ﴿ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَـٰماً أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ ﴾ أي: مبعوثون، أي: قد وعدكم ذلك، تكذبون بالبعث. ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ [أي: تباعد البعث في أنفس القوم][1] أي: لا تبعثون، يقوله بعضهم لبعض.

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ أي: نموت ونولد ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ﴾ يعنون هوداً ﴿ اِفْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً ﴾ أي: يزعم أن الله أرسله ﴿ وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: بمصدّقين.

﴿ قال رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ ﴿ قَالَ ﴾ الله ﴿ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالحَقِّ ﴾ أي: العذاب ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَاءً ﴾ أي: كالشيء البالي المتهشّم في تفسير مجاهد[2]. وقال بعضهم: مثل النبات إذا صار غثاء فتهشّم بعد أن كان أخضر. قال: ﴿ فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ ﴾.

قوله: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ ﴾ أي: من بعد الهالكين ﴿ قُرُوناً ءَاخَرِينَ ﴾.

﴿ مَا تَسْبِقُ مِن أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ يعني الوقت الذي يهلكها فيه ﴿ وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ أي: عن الوقت ساعة ولا يستقدمون ساعة قبل الوقت.

قوله: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ ﴾ أي: تِباعاً، بعضهم على أثر بعض. ﴿ كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً ﴾ يعني العذاب الذي أهلكهم به، أمة بعد

---

(1) زيادة من سع ورقة 46 و.

(2) وقال الفراء في المعاني: ج 2 ص 236: «وقوله: (فَجَعَلْنَاهُم غُثَاءً) كغثاء الوادي: يُبَّساً بالعذاب. وتعبير أبي عبيدة في المجاز ج 2 ص 59 أدق وأوفى. قال: « (فَجَعَلْنَاهُم غُثَاءً) وهو ما أشبه الزبد وما ارتفع على السيل وما أشبه ذلك مما لا ينتفع به في شيء».

أمة حين كذّبوا رسلهم ﴿ فَجعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ أي: لمن بعدهم[1]. ﴿ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾.

قال الله: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِئَايَٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: وحجّة بينة. ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ ﴾ يعني قومه ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا ﴾ أي: عن عبادة الله ﴿ وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ ﴾ أي: مشركين. وقال الحسن: مستكبرين في الأرض على الناس.

﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴾ كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل ووضعوا عليهم الجزية، [وليس يعني أنهم يعبدوننا][2].

قال الله. ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾ أي: فأهلكهم الله بالغرق.

قوله: ﴿ وَلَقَد ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَـٰبَ ﴾ أي: التوراة ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ أي: لكي يهتدوا.

قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً ﴾ يقول: خُلِقَ لا والد له، فهو آية. ووالدته ولدته من غير رجل، فهي آية[3].

قال: ﴿ وَءَاوَيْنَـٰهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ قال بعضهم: الرّبوة بيت المقدس. وقال بعضهم: بلغنا أن كعباً قال: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ص 59: «(فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) أي: يتمثل بهم في الشر، ولا يقال في الخير: جعلته حديثاً».

(2) وقع اضطراب في تفسير هذه الآيات في ب و ع وسع فأثبت التصحيح والزيادة من ز، ورقة 226.

(3) جاء في كتاب الفاخر لأبي طالب المفضّل بن سلمة ص 242 - 243 ما يلي: «الآية العلامة التي تدل على الشيء... والآية أيضاً المَثل. فيراد به أنه يُتَمثّل به في الشيء الذي يُنسب إليه من خير أو شر. وقال الله تعالى: (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً) فيكون المعنى ـ والله أعلم ـ أنهما مَثَلٌ في كل ما يُتعجَّب منه. وتكون أيضاً بمعنى العلامة، أي: هما علامة تدل على قدرة الله جلّ وعزّ».

وقال مجاهد: الربوة بقعة في مكان مرتفع يستقر فيه الماء. وقال الحسن: الربوة: دمشق. قال: (ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ): (قَرَارٍ) يعني المنازل، و(مَعِينٍ) يعني الماء الذي أصله من العيون، الظاهر الجاري. وقال عكرمة: المعين: الظاهر. وقال الكلبي: المعين: الجاري، وغير الجاري الذي نالته الدلاء[1].

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَـٰتِ ﴾ أي: الحلال من الرزق ﴿ وَاعْمَلُوا صَـٰلِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ أي: هكذا أمر الله الرسل[2].

قوله: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ قال بعضهم: ملة واحدة. وقال بعضهم: أي: دينكم دين واحد؛ يعني الإسلام، وإن كانت الشرائع مختلفة. قال الله: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً) [المائدة: 48] قال: ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ أي: لا تعبدوا غيري[3].

قوله: ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً ﴾ هم أهل الكتاب، تقطّعوا كتاب الله بينهم وحرّفوه، وبدّلوا كتاباً كتبوه على ما حرّفوا. وهي تقرأ على وجهين: زبَراً وزبُراً. فمن قرأها زبَراً: [بفتح الباء] قال: قطعاً. ومن قرأها زبُراً [بضم الباء] قال: كتباً. وهي كقوله: (إِنَّ الذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً) [الأنعام: 159].

﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ أي: بما عندهم مما اختلفوا فيه ﴿ فَرِحُونَ ﴾ أي: راضون.

---

(1) وقال أبو عبيدة في المجاز: «أي تلك الربوة لها ساحة وسَعَةٌ أسفل منها، وذات معين أي ماء جار ظاهر بينهم».

(2) هذا وجه من التأويل. وللفراء في المعاني ج 2 ص 237 وجه آخر إذ قال: «أراد النبي، فجمع، كما يقال في الكلام للرجل الواحد: أيها القوم كفّوا عنّا أذاكم. ومثله: (الذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ) [آل عمران: 173] الناس واحد معروف، كان رجلاً من أشجع يقال له نُعيم بن مسعود». وقد نقل الطبري في تفسيره، ج 16 ص 28 هذا الكلام نقلاً يكاد يكون حرفياً، ولكنه جعل الكلام موجهاً لعيسى بن مريم.

(3) كذا في ب و ع: «أي لا تعبدوا غيري»، وفي سع ورقة 46 و: «أن تعبدوا غيري». أي: فاتقوا أن تعبدوا غيري.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: افترقت بنو إسرائيل على سبعين فرقة، واحدة في الجنة وسائرها في النار، ولتفترقن هذه الأمة على إحدى وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسائرها في النار(1).

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لتتبعن سنن من كان قبلكم ذراعاً بذراع وشبراً بشبر، حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه. قيل: يا رسول الله، أهم اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذاً(2).

قوله: ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾ أي: في غفلتهم، يعني ضلالهم [﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ يعني إلى آجالهم](3)، وهي منسوخة، نسخها القتال.

قوله: ﴿ أَيَحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ ﴾ أي: ما نزيدهم ونعطيهم ﴿ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَٰتِ﴾ أي: ليس لذلك نمدهم بالمال والولد، يعني المشركين ﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ أنا لا نعطيهم ذلك مسارعة لهم في الخيرات وأنهم يصيرون إلى النار، إن ذلك شر لهم(4).

قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ أي: خائفون وجلون. ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: القرآن، يصدقون به. ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾.

---

(1) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. انظر ما سلف ج 1 ص 303، واقرأ تحقيقاً قيّماً في تخريج هذا الحديث كتبه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، (الحديث رقم 203).

(2) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وابن ماجه عن أبي سعيد، وأخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة، وانظر ما سلف ج 1 ص 306.

(3) سقط ما بين المعقوفين في ب و ع وأثبته من سع ورقة 46 ظ.

(4) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 238: «وقوله: (نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ) يقول: أيحسبون أن ما نعطيهم في هذه الدنيا من الأموال والبنين أنا جعلناه ثواباً لهم. ثم قال: (بَل لَّا يَشْعُرُونَ) إنما هو استدراج منا لهم.

قال: ﴿ وَالذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا ﴾ [ممدودة][1] ﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أي: خائفة [﴿ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُـونَ﴾ .

تفسير الحسن قال: كانوا يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون ألا يُنجيهم ذلك من عذاب ربهم. وقال مجاهد: يعملون ما عملوا من الخير وهم يخافون ألا يقبل منهم.

ذكر عن ابن عباس وعائشة أنهما كانا يقرآن هذا الحرف (وَالذِينَ يَأْتُونَ مَا أَتَوا) خفيفة بغير مدّ. أي: يعملون ما عملوا مما نهوا عنه وقلوبهم وجلة خائفة][2] أن يؤخذوا به.

قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِي الخَيْـرَٰتِ﴾ أي: في الأعمال الصالحة. قال الحسن: أي: فيما افترض الله عليهم، وهو واحد. قال: ﴿ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾ أي: وهم للخيرات مدركون في تفسير الحسن. وقال بعضهم: (وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ) أي: سابقون بالخيرات[3].

قوله: ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي: لا يكلف الله نفساً إلا طاقتها؛ لا يكلّف الله المريض القيام، ولا الفقير الزكاة ولا الحج.

قوله: ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنْطِقُ بِالحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ أي: لا يظلم عندنا أحد.

قوله: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ أي: في غفلة من هذا، أي: مما ذكر من أعمال المؤمنين في الآية الأولى. ﴿ وَلَهُم ﴾ يعني المشركين ﴿ أَعْمَـٰلٌ مِّنْ دُونِ

(1) زيادة من ز، ورقة 227 للإيضاح، أي: الهمزة ممدودة في قوله: (ءَاتَوا).

(2) ما بين المعقوفين كله ساقط من ب و ع لتكرار كلمة خائفة، وأثبته باختصار من سع ورقة 46 ط، ومن ز.

(3) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 238: «وقوله: (أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ) يبادرون بالأعمال، (وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) يقول: إليها سابقون، وقد يقال: (وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) أي: سبقت لهم السعادة». وهذا اللفظ الأخير هو تفسير ابن عباس كما جاء في صحيح البخاري، كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله.

ذَٰلِكَ ﴾ [أي: دون أعمال المؤمنين، أي: شرّ من أعمال المؤمنين ﴿ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ أي: لتلك الأعمال.

وتفسير مجاهد: (فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا) يعني القرآن (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ)[(1)] أي: خطايا من دون الحق. وقال بعضهم: أعمال لم يعملوها سيعملونها.

ذكر سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب أنه قال: يا رسول الله، أنعمل لما قد فرغ منه، أو لما يستأنف[(2)]؟ قال: بل لما قد فرغ منه. فقال: ففيم العمل إذاً؟ قال: اعملوا، فكل لا ينال إلا بالعمل[(3)]. قال هذا حين نجتهد.

ذكر بعض السلف قال: لم تُوكَلُوا إلى القدر وإليه تصيرون.

قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ ﴾ يعني أبا جهل وأصحابه الذين قتلوا يوم بدر. نزلت هذه الآية قبل ذلك بمكة. قال: ﴿ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴾ قال بعضهم: إذا هم يجزعون[(4)].

﴿ لَا تَجْـَٔرُوا الْيَوْمَ ﴾ أي: لا تجزعوا اليوم، وهو يوم بدر ﴿ إِنَّكُم مِّنَّا لَا

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ب و ع، فأثبته من سع ورقة 46 ظ.

(2) كذا في ب و ع: «يستأنف»، وفي سع ورقة 46 ط: «لما نأتنف». وكلاهما بمعنى: أخذ أوله وابتداأه. كما في اللسان (أنف).

(3) لم أجده بهذا اللفظ وبهذا السند. وقد رواه ابن سلام هكذا: «بحر السقاء عن الزهري عن سعيد ابن المسيب أن عمر قال. . .» والحديث صحيح أوردته كتب السنة بألفاظ متشابهة. أشهرها: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له». أخرجه البخاري ومسلم في كتاب القدر، عن عمران بن حصين قال: قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم. قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: كل يعمل لما خلق له، أو لما يسّر له. واللفظ للبخاري في كتاب القدر، باب: جفّ القلم على علم الله. وأخرجه الطبراني في الكبير عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أنعمل على أمر قد فرغ منه أم على أمر مؤتنف؟ قال: بل على أمر قد فرغ منه. فقلت: ففيم العمل يا رسول الله، قال: كل ميسر لما خلق له.

(4) قال أبوعبيدة في المجاز، ج 2 ص 60: « (إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ) أي: يرفعون أصواتهم كما يجأر الثور».

تَنْصَرُونَ ﴾ أي: لا يمنعكم منا أحد. قال الحسن: (إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ) أي: إذا هم يصرخون إلى الله بالتوبة فلا تُقبَل منهم.

﴿ قَدْ كَانَت ءَايَـٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ يعني القرآن ﴿ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَـٰبِكُـمْ تَنكِصُونَ ﴾ أي: تستأخرون عن الإيمان(1).

﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ﴾ أي: بالحرم. ﴿سَـٰمِراً تَهْجُرُونَ ﴾ أي: تتكلمون بهجر القول ومنكره. قال الحسن: مستكبرين بحرمي (سَامِراً تَهْجُرُونَ) أي: تهجُرون رسولي وكتابي.

وتفسير الكلبي: (سَامِراً تُهْجِرُون) أي: سمَّراً حول البيت، وكذلك يقرأها الكلبي: سُمَّراً(2).

[وقال قتادة: يعني بهذا أهل مكة. كان سامرهم لا يخشى شيئاً؛ كانوا يقولون: نحن أهل الحرم فلا نُقْرَب، لما أعطاهم الله من الأمن، وهم مع ذلك يتكلّمون بالشرك والبهتان، والقراءة على تفسير قتادة بضم التاء وكسر الجيم](3).

قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ يعني القرآن ﴿ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي: لم يأتهم إلا ما أتى آباءهم الأولين.

قوله: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ ﴾ أي: الذين أرسل إليهم، يعني محمداً ﷺ. ﴿ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ أي: بل يعرفونه ويعرفون نسبه. ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ أي: بمحمد جنون، أي قد قالوا ذلك.

---

(1) كذا في ز، وسع ورقة 47 و: تستأخرون عن الإيمان، وفي ب و ع: تستأخرون عن الأعمال.

(2) السَّمَر هو الحديث بالليل خاصة. والسَّامر: الجماعة من الحي يَسْمُرون. وهو اسم للجمع، والواحد سامر وهم سُمّار، وسُمَّر، وسَمَرَة، يقال قوم سامر وسُمَّر. وقد يطلق السامر لمجلس السمّار، وللموضع الذي يجتمعون فيه للسمر. انظر اللسان (سمر).

(3) ما بين المعقوفين زيادة من ز، ورقة 227، وقد جاءت جملة منه مضطربة في ب و ع.

قال الله: ﴿ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ ﴾ أي: القرآن. ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾ يعني جماعة من لم يؤمنوا منهم.

قوله: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ أي: أهواء المشركين ﴿ لَفَسَدَتِ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضُ ﴾ أي: لهلكت السماوات والأرض ﴿ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ يقول: لو كان الحق في أهوائهم لوقعت أهواؤهم على هلاك السماوات والأرض ومن فيهن. قال بعضهم: الحق ها هنا الله.

قال الله: ﴿ بَلِ أَتَيْنَـٰهُمْ بِذِكْرِهِمْ ﴾ أي: بشرفهم، أي: بشرف من آمن منهم به. قال الحسن: يعني القرآن، أنزلنا عليهم فيه ما يأتون وما يذرون، وما يُحِلُّون وما يُحرِّمون. ﴿ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ أي: عما بيّنّا لهم معرضون. وقال في آية أخرى: (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ) [الأنبياء: 10] أي: فيه شرفكم، أي: من آمن به منهم.

قوله: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً ﴾ أي: جُعْلاً على ما تدعوهم إليه، أي: إنك لا تسألهم عليه أجراً. ﴿ فَخَرَاجُ رَبِّكَ ﴾ أي: ثوابه في الآخرة ﴿ خَيْرٌ ﴾ من أجرهم لو أعطوك في الدنيا أجراً. قال: ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾.

وقد جعل الله رزق العباد بعضهم من بعض، يرزق الله إياهم، فقسم رزق هذا على يد هذا.

ذكر عن أم الدرداء[1] قالت: ما بال أحدكم يقول: اللهم ارزقني وقد علم أن الله لا يمطر عليه من السماء دنانير ولا دراهم، وإنما يرزق بعضهم من بعض. فمن أتاه الله برزق فليقبله، وإن لم يكن إليه محتاجاً فليعطه أهل الحاجة من إخوانه، وإن

(1) هي أم الدرداء الكبرى، زوجة أبي الدرداء، واسمها خيرة بنت أبي حدرد الأسلمي. وقد حفظت عن النبي ﷺ ومن زوجها أبي الدرداء، عويمر الأنصاري، وكانت من الصحابيات الفضليات، ذات رأي وعقل وكثرة عبادة. وقد توفيت بالشام في خلافة عثمان. انظر ابن عبد البر، الاستيعاب، ج 4 ص 1934.

كان محتاجاً استعان به على حاجته، ولا يـرد على الله رزقه الذي رزقه[1].

ذكروا عن عمران القصير[2] قال: لقيت مكحولاً بمكة فأعطاني شيئاً فانقبضت عنه. فقال: خذه فإني سأحدثك فيه بحديث، فقلت: حدثني به، فما شيء أحب إليّ منه. قال:

أعـطى رسول الله ﷺ عمـر شيئاً، فكـأنه انقبض عن أخـذه، فقـال لـه رسول الله ﷺ: إذا أتاك الله بشيء لم تطلبه ولم تعرض له فخذه؛ فإن كنت محتاجاً إليه فأنفقه، وإن لم تكن محتاجاً إليه فضعه في أهل الحاجة[3].

قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِـرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: إلى دين مستقيم، وهو الطريق المستقيم إلى الجنة. قوله: ﴿ وَإِنَّ الذِينَ لَا يُومِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَـٰكِبُونَ﴾ أي: لجائرون، وقال بعضهم: لتاركون، أي: لتاركون له. وقال الكلبي: معرضون عنه؛ وهو واحد.

قوله: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّنْ ضُرٍّ ﴾ يعني أهل مكة، وذلك حين أخذوا بالجوع، فقال الله: (وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّنْ ضُرٍّ)، ﴿ لَلَجُّوا فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي: في ضلالتهم يتمادون في تفسير الحسن. وبعضهم يقول: يلعبون.

(1)وقع اضطراب ونقص في هذا الخبر في مخطوطتي ب و ع، فأثبت تصحيحه من سع ورقة 47 و.

(2)في ب و ع: «عمران بن حصين»، وهو خطأ محض. والصواب ما أثبته من سع ورقة 47 ظ: «عمران القصير». ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال، ج 3 ص 245، وذكره ابن حبان في كتاب المجروحين، ج 2 ص 123، وهو أبو بكر عمران بن مسلم القصير المنقُري. أما عمران بن حصين فهو الصحابي العالم الذي بعثه عمر ليفقه أهل البصرة، وتولى القضاء بها. وتوفي سنة اثنتين وخمسين للهجرة. ولا يمكن أن يروي عن مكحول، إمام أهل الشام، المتوفى سنة ثلاث عشرة بعد المائة للهجرة.

(3)حديث صحيح، أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب من أعطاه الله شيئاً من غير مسألة ولا إشراف نفس «عن ابن عمر قال: سمعت عمر يقول: كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أعطه من هو أفقر إليه مني فقال: خذه، إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك».

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَـهُمْ بِالْعَذَابِ ﴾ يعني ذلك الجوع في سبع سنين. ﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ يقول: لم يؤمنوا، وقد سألوا أن يرفع ذلك عنهم فيؤمنوا. فقالوا: (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ) [الدخان: 10] وهو ذلك الجوع (إِنَّا مُومِنُونَ). فكشف الله عنهم فلم يؤمنوا.

قال: ﴿ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ يعني يوم بدر؛ أي: القتل بالسيف، نزلت بمكة قبل الهجرة، فقتلهم الله يوم بدر. قال: ﴿ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ أي: يئسون [يئسوا من كل خير][1].

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَـرَ وَالأَفْئِدَةَ ﴾ يعني سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم ﴿ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: أقلّكم من يشكر، أي: من يؤمن.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي ذَرَأَكُمْ ﴾ أي: خلقكم ﴿ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَفُ الَيْـلِ وَالنَّهَارِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ يقوله للمشركين، يذكّرهم نعمته عليهم؛ يقول: فالذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة، والذي يحيي ويميت، والذي له اختلاف الليل والنهار قادر على أن يحيي الموتى.

قال: ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ ﴾. ثم أخبر بذلك القول فقال: ﴿ قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَماً اءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ ﴾ أي: وعدنا أن نبعث نحن وآباؤنا فلم نبعث، كقوله: (فَأْتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الدخان: 36]. قوله: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَـطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي: كذب الأولين وباطلهم. فأمر الله نبيّه أن يقول لهم:

﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وقال: ﴿ سَيَقُولُونَ للهِ فَقُل ﴾

---

(1) زيادة من ز، ورقة 228.

أي: وإذا قالوا ذلك فقل ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ فتؤمنوا وأنتم تُقِرّون أن الأرض ومن فيها لله.

ثم قال: ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد ﴿ مَن رَّبُّ السَّمَـٰوَٰتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ قال: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ فإذا قالوا ذلك ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ وأنتم تقرون أن الله خالق هذه الأشياء، وهو ربها. وقد كان مشركو العرب يقرّون بهذا كله.

ثم قال: ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد ﴿ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ (مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) أي: ملك كل شيء وخزائنه. (وَهُوَ يُجِيرُ) من يشاء، فيمنعه فلا يوصل إليه (وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ) أي: من أراد أن يعذّبه لم يستطع أحد منعه ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

ثم قال: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ فإذا قالوا ذلك ﴿ فَقُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ أي: عقولكم، يشبّههم بقوم مسحورين، ذاهبة عقولهم[1].

ثم قال: ﴿ بَلْ أَتَيْنَـٰهُمْ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالقرآن، أنزله الله على النبي عليه السلام ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾.

﴿ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَّلَدٍ ﴾ وذلك لقول المشركين: الملائكة بنات الله. قال: ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إِلَـٰهٍ ﴾. وذلك لما عبدوا من الأوثان واتخذوا مع الله الآلهة قال: ﴿ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ [يقول: لو كان معه آلهة إذاً لذهب كل إله بما خلق][2] ﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي: لطلب بعضهم هلاك ملك بعض، حتى يعلو عليه كما يفعل ملوك الدنيا.

﴿ سُبْحَـٰنَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ينزّه نفسه عما يكـذبون. ﴿ عَـٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ قال الحسن: الغيب ها هنا ما لم يجىء من غيب الآخرة، والشهادة ما

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 241: «وقوله: (فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ): تُصرفون، ومثله توفكون. أُفِك وسُحِر وصُرِف، سواء».

(2) زيادة من سع، ورقة 47 ظ للإيضاح.

أعلم العباد. ﴿ فَتَعَـٰلَىٰ﴾ أي: ارتفع الله ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ رفع نفسه عما قالوا.

قوله: ﴿ قُل ﴾ يا محمد ﴿ رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴾ أي: من العذاب ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: لا تهلكني معهم إن أريتني ما يوعدون.

قال: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ ﴾ أي: من العذاب ﴿ لَقَـٰدِرُونَ﴾.

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾ [يقول: ادفع بالعفو والصفح القول القبيح والأذى][1]. وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم. ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ أي: بما يكذبون.

قوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَـٰزَٰتِ الشَّيَـٰطِينِ ﴾ وهو الجنون[2] ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ أي: فأطيع الشياطين فأهلك. أمره الله أن يدعو بهذا.

قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾. قال الحسن: ليس أحد من خلق الله ليس لله بولي إلا وهو يسأل الله الرجعة إلى الدنيا عند الموت بكلام يتكلّم به، وإن كان أخرسَ لم يتكلّم في الدنيا بحرف قط، وذلك إذا استبان له أنه من أهل النار سأل الله الرجعة إلى الدنيا ولا يسمعه من يليه.

قوله: ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَـٰلِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ أي: فيما صنعت.

قال الله: ﴿ كَلَّا ﴾ أي: لست براجع إلى الدنيا. وهو مثل قوله: (وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ) [المنافقون: 10].

---

(1) زيادة من سع ورقة 48 و.

(2) هذا وجه من وجوه تأويل همز الشيطان، ولم أجد فيما بين يدي من المصادر من فسره بالجنون، كأنه أراد صاحبه ما يُؤدِّي إليه هَمز الشيطان من المس والجنون أحياناً. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 61: «وهمز الشيطان غمزه الإنسانَ وقمعه فيه». وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 300: «وهمزات الشياطين نخسها وطعنها. ومنه قيل للعائب هُمَزة كأنه يطعن وينخس إذا عاب».

قال: (كَلَّا) ﴿ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ أي: هذه الكلمة: (رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ).

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إذا احتضر الإنسان جمع كل شيء كان له يمنعه من الحق فيجعل بين عينيه، فيقول عند ذلك: (رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ)[1].

قال: ﴿ وَمِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾. قال مجاهد: البرزخ ما بين الموت إلى البعث[2]. وقال بعضهم: أهل القبور في البرزخ، وهو الحاجز بين الدنيا والآخرة. وقال بعضهم: البرزخ ما بين النفختين.

قوله: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾. والصور قرن. وقد فسّرناه قبل هذا الموضع.

قوله: ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾. ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة مواطن لا يسأل فيهن أحد أحداً: إذا وضعت الموازين حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف، وإذا تطايرت الصحف حتى يعلم أيأخذ كتابه بيمينه أم بشماله، وعند الصراط حتى يعلم أيجوز الصراط أم لا يجوز[3].

وفي تفسير عمرو عن الحسن أن أنسابهم يومئذ قائمة معروفة. قال: يقول الله: (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ) [عبس: 34 - 36]. وقال بعض

---

(1) رواه يحيى بن سلام عن خالد وإبراهيم بن محمد عن صفوان بن سليم عن سليمان بن عطاء عن رجل من بني حارثة قال: قال رسول الله ﷺ. . . ورواه السيوطي عن الديلمي بدون سند في الدر المنثور، ج 5 ص 15. من حديث جابر بن عبد الله.

(2) وهو ما ذهب إليه الفراء في المعاني ج 2 ص 242 حيث قال: «البرزخ من يوم يموت إلى يوم يبعث». وقال أبو عبيدة المجاز، ج 2 ص 62: «(وَمِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ) أي: أمامهم وقدامهم. قال الشاعر:

أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي		وقومي تميم والفلاة ورائيا

وما بين كل شيئين برزخ، وما بين الدنيا والآخرة برزخ».

(3) انظر تخريجه فيما سلف ج 2 ص 196.

الكوفيين في قوله تعالى: (يُبَصَّرُونَهُمْ) [المعارج: 11]. أي: يرونهم، يقول: يعرفونهم في مواطن ولا يعرفونهم في مواطن.

وقال الحسن: (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ) يتعاطفون عليها كما كانوا يتعاطفون عليها في الدنيا، (وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) عليها أي: أن يحمل بعضهم عن بعض كما كانوا يتساءلون في الدنيا بأنسابهم، كما يقول الرجل: أسألك بالله وبالرحم.

قوله: ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أي: السعداء. وهم أهل الجنة ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ أي: أن يغنموها فصاروا في النار. وقال: ﴿ فِي جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾ أي: لا يخرجون منها ولا يموتون.

قال: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ﴾. ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: مثل الرأس المشيط.

ذكر أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: شفته السفلى ساقطة على صدره، والعليا قالصة قد غطت وجهه(1).

قوله: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونِ ﴾ يقال لهم ذلك في النار. ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ قال مجاهد: أي: التي كتبت علينا ﴿ وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ ﴾.

قوله: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ﴾ أي: من النار ﴿ فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ﴾.

ذكروا عن عبد الله بن عمرو أن أهل جهنم يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يدعونه فيردّ عليهم: (إِنَّكُم مَّاكِثُونَ) [الزخرف: 77] ثم ينادون ربهم:

---

(1) أخرجه ابن سلام هكذا: «وأخبرني صاحب لي عن يحيى بن عبد الله المدني عن أبيه عن أبي هريرة. وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير في سورة المؤمنين، وأخرجه الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ: «تشويه النار فتقلّص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سُرّته».

﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ﴾ أي: من النار ﴿ فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ فيمسك عنهم قدر عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم:

﴿ قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾. قال: فوالله ما ينبس القوم بعدها بكلمة، وما هو إلا الزفير والشهيق، فشبه أصواتهم بأصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق.

ذكر بعضهم أنهم يدعون ـ قبل أن يدعوا مالكاً ـ خزنة جهنم عشرين عاماً فلا تجيبهم. ثم تجيبهم: ﴿ أَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر: 50]، ثم يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يجيبهم: ﴿ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾. ثم يدعون ربهم فيذرهم قدر عمر الدنيا مرّتين ثم يجيبهم: ﴿ اِخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ أي: اصغروا فيها. والخاسىء الصاغر. وقال بعضهم: الخاسىء الذي لا يتكلم بشيء، ليس إلا الزفير والشهيق.

قوله: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي ﴾ يعني المؤمنين ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ أي: أفضل من رحم. وقد يجعل الله الرحمة في قلوب من يشاء، وذلك من رحمة الله، وهو أرحم الراحمين.

ذكروا عن سلمان الفارسي قال: خلق الله مائة رحمة، كل رحمة منها طباقها السماوات والأرض. فأنزل الله منها رحمة واحدة؛ فبها يتراحم الخلائق حتى ترحم الوالدة ولدها والبهيمة بهيمتها. فإذا كان يوم القيامة جاء بتلك التسع والتسعين رحمة فكملها مائة رحمة، ثم نصبها بينه وبين خلقه. فالمحروم من حرم تلك الرحمة[1].

قوله: ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيّاً ﴾ يقوله لأهل النار ﴿ حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ

(1) هذا نص حديث رواه أحمد ومسلم عن سلمان الفارسي، ورُوِي عن أبي هريرة أيضاً، ورواه ابن ماجه وأحمد عن أبي سعيد. ولفظ مسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تبارك وتعالى. . . (رقم 2752): «عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوامّ، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون. وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخّر الله تسعاً وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة».

مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ أي: كانوا يسخرون بأصحاب[1] الأنبياء ويضحكون منهم. ﴿ حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي ﴾ ليس يعني أن أصحاب الأنبياء أنسوهم ذكر الله فأمروهم ألا يذكروه، ولكن جحودهم واستهزاؤهم وضحكهم هو الذي أنساهم ذكر الله، فأضاف ذلك إلى أصحاب النبي فقال: ﴿ حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي ﴾ أي: هم كانوا أسباب نسيانكم لذكري. كقوله: ﴿ فَأَمَّا الذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ [التوبة: 124 - 125] فأضاف رجسهم إلى السورة لأنها كانت سبب كفرهم. وهذا من المضاف، كقول القائل: أنساني فلان كل شيء، وفلان غائب عنه، بلغه عنه أمر، فشغل ذلك قلبه. وهي كلمة عربية معروفة في اللغة.

قوله: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ [أي: بأنهم][2] ﴿ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ أي: الناجون من النار إلى الجنة.

قوله: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُم فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ يقوله لهم في الآخرة. أي: كم عدد السنين التي لبثتم في الأرض. يريد بذلك أن يعلمهم قلة بقائهم كان في الدنيا. فتصاغرت الدنيا عندهم. ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ وذلك لتصاغر الدنيا عندهم. ﴿ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾ تفسير مجاهد: الملائكة. وقال قتادة: الحُسَّاب الذين كانوا يحسبون آجالنا][3].

﴿ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ أي: إن لبثكم في الدنيا في طول ما أنتم لابثون في النار كان قليلاً. وهو كقوله: ﴿ وَتَظُنُّونَ ﴾ أي: في الآخرة ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: 52].

(1) كذا في المخطوطات: «يسخرون بأصحاب الأنبياء»، يقال سخر به وسخر منه. وقال الفراء: سخرت منه ولا يقال سخرت به، وأجازه الأخفش. ولا شك أن أفصح اللغتين هي سخر منه لأنها العبارة التي وردت في القرآن في آيات كثيرة، كقوله تعالى في سورة هود: 38: ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾.

(2) زيادة من ز، ورقة 229، قراءة الجمهور بفتح همزة (أَنَّهُمْ) وكسر الهمزةَ حمزة والكسائي على الاستئناف.

(3) زيادة من سع، ورقة 48 ظ.

قوله: ﴿ لَو أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: لو أنكم كنتم علماء لم تدخلوا النار، والمشركون والمنافقون هم الذين لا يعلمون. كقوله: (كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [الروم: 95] وأشباه ذلك.

قوله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثاً ﴾ أي: لغير بعث ولا حساب. ﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ وهو على الاستفهام، أي: قد حسبتم ذلك. ولم نخلقكم عبثاً، إنما خلقناكم للبعث والحساب.

قوله: ﴿ فَتَعَـٰلَىٰ اللهُ المَلِكُ الحَقُّ ﴾ وهما اسمان من أسماء الله ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ ﴾ على الله. وبعضهم يقرأها: (الكَرِيمُ) بالرفع، يقول: اللهُ الكريمُ رب العرش. وهو مثل هذا الحرف: (ذُو العَرْشِ المَجِيدِ) [البروج: 15] أي: الكريم على الله، على مقرأ من قرأها بالجر، ومن قرأها بالرفع يقول: اللهُ المجيدُ أي: الكريم.

قوله: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُ بِهِ ﴾ أي: لا حجة له به. وقال بعضهم: لا بَيِّنَةَ له به، أي: بأن الله أمره أن يعبد إلٰهاً من دونه. ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ أي: حساب ذلك الذي يدعو مع الله إلٰهاً آخر. ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَـٰفِرُونَ ﴾ أي: ذلك حساب الكافرين عند الله: أنهم لا يؤمنون، وأنهم أهل النار. [وهي تقرأ على وجه آخر (فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ) أن يدخله النار. ثم قال: (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ)، كلام مستقبل] [1].

قوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِمِينَ ﴾ أي: أفضل من رحم. أمر الله النبي عليه السلام بهذا الدعاء.

(1) زيادة من سع، ورقة 49 و.

تفسير سورة النور
وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَـٰهَا﴾ أي: هذه سورة أنزلناها ﴿ وَفَرَضْنَـٰهَا﴾ أي: ما فرض في هذه السورة من فرائضه، وحدَّ فيها من حدوده، وسنَّ فيها من سننه وأحكامه، وهي تقرأ على وجهين: على التخفيف والتثقيل: فرَضناها وفرّضناها. يعني ما فرض الله فيها وسنّ فيها[1]. ﴿وَأَنْـزَلْنَـا فِيهَا ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي تذكروا.

قوله: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ وهذا في الأحرار إذا لم يكونا محصنين. فإن كانا محصنين رُجِما، وأما المملوكان فيجلدان خمسين خمسين إذا أحصنا، وليس عليهما رجم.

ولا يقام حدّ الزنا على أحد حتى يشهد عليه أربعة أحرار عدول يأتون جميعاً غير متفرقين. حراً كان الزاني أو مملوكاً. فإن شهد أربعة على امرأة، أحدهم زوجها، ففي ذلك اختلاف؛ فبعضهم يقول: الزوج أجوزهم شهادة، إذا جاءوا معاً رجمت بشهادتهم، وبعضهم يقول: لا ترجم، ويلاعنها زوجها، ويجلد الثلاثة ثمانين جلدة.

(1) في ب و ع اضطراب في هذه الجمل أثبت صوابها من ز ورقة 230 وفيه: «وتُقرأ (فَرَّضْنَاهَا) بالتثقيل يعني بيّناها. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 63: (فَرَّضْنَاهَا) أي: حدّدنا فيها الحلال والحرام. ومن خففه جعل معناه من الفريضة».

فأما الرجل الزاني فتوضع عنه ثيابه إذا جلد، وأما المرأة فيترك عليها من الثياب ما يصل إليها الجلد.

وإن أقر الرجل على نفسه بالزنا وكان حراً أقيم عليه الحد[1]. والجلد في الزنا بالسوط.

قال بعضهم: بلغنا أن رجلاً أقرّ عند رسول الله بالزنا فدعا بسوط، فأتي بسوط مكسور فقال: فوق هذا، فأتى بسوط [جديد][2] لم تقطع ثمرته فقال: دون هذا. فأتي بسوط قد رُكِبَ به ولان، فأمر به، فجلد جلداً بين الجلدين[3]. وكان بعضهم يقول: الحد في الزنا [المتح][4] الشديد.

وقال: ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ ﴾ أي: الجلد الشديد. [سعيد عن الحسن وعطاء قالا: أي: حتى لا تعطل الحدود][5].

ذكر عكرمة عن ابن عباس قال: لا يقام الحد حتى يشهدوا أنهم رأوه يدخل كما يدخل المـرود في المكحلة.

قال بعضهم: وأما الرجم فهو في مصحف أبي بن كعب. وهو في مصحفنا أيضاً في سورة المائدة في قوله: (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيئُونَ الذِينَ

---

(1) كذا جاءت العبارة في ب و ع. وفي سع ورقة 49 و جاءت العبارة هكذا: «وإن أقر الزاني على نفسه بالزنا، حراً كان أو ملوكاً، لم يقم عليه الحد حتى يقرّ على نفسه أربع مرات».

(2) زيادة من موطأ الإمام مالك. كتاب الحدود، ما جاء فيمن اعترف على نفسه بالزنا، ص 715.

(3) رواه مالك في الموطأ، كتاب الحدود، ما جاء في الرجم، ص 715، عن زيد بن أسلم مرسلاً. وانظر تخريج الحديث في نيل الأوطار، ج 7 ص 171، وفيه: «قوله: لم تقطع ثَمَرَته، أي عذبته وهي طرفه». وقوله «رُكِبَ به أي رَكِبَ به الراكب على الدّابة وضربها به حتى لان» وفي اللسان: «ثمر السياط: عقد أطرافها»، وأورد صاحب اللسان هذه الجملة من الحديث.

(4) سقطت التكملة من ب و ع، وفي سع «المتج» وفيها تصحيف، والصواب ما أثبته إن شاء الله: «المتح» أي الضرب، ففي اللسان: «متحه عشرين سوطاً، عن ابن الأعرابي، ضربه».

(5) ما بين المعقوفين زيادة من سع، ورقة 49 و

أَسْلَمُوا لِلذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ) [المائدة: 44] حيث رجم رسول الله ﷺ اليهوديين حين ارتفعوا إليه.

ذكروا عن [زرّ بن حبيش قال: قال لي] أبيّ بن كعب: كم تقرأون سورة الأحزاب؟ قلت: ثلاثاً وسبعين آية. قال: قط؟ قلت: قط. قال: فوالله لتوازي[(1)] سورة البقرة، وإن فيها لآية الرجم. قلت: وما آية الرجم، يا أبا المنذر؟ قال: إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم[(2)]. وقد رجم رسول الله ﷺ غير واحد.

قال بعضهم: كان عمر يقول: نزل الرجم في كتاب الله، ورجم عمر ورجم عثمان ورجم علي[(3)].

وكان علي يقول: إذا قامت البينة رجمت البيّنة[(4)]. ثم الإمام ثم الناس. فإذا أقر

---

(1) في ع: «لتقارب»، وأثبت ما جاء في ز وسع: «لتوازي».
(2) ورد هذا الخبر مضطرباً ناقصاً في ب و ع، وأثبت تصحيحه من سع ورقة 49 ظ.
(3) أورد ابن سلام في الموضوع خبراً هذا نصه: «المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن أن عمر ابن الخطاب حمد الله ثم قال: أما بعد، فإن هذا القرآن نزل على رسول الله عليه السلام فكنا نقرأ: ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر، وآية الرجم. وإني قد خفت أن يقرأ القرآن قوم يقولون: لا رجم. وإن رسول الله قد رجم ورجمنا، والله لولا أن يقول الناس، إن عمر زاد في كتاب الله لكتبتها ولقد نزلت وكتبناها».
وقد كتب بعض من لم يطّلع على مؤلفات الإباضية زاعماً أن الإباضية أسقطوا حد الرجم وأنهم لا يقولون به، وهذا زعم باطل. والحق أنهم يقولون به. وقد ثبت عندهم ـ كما ثبت عند بعض الفرق الإسلامية ـ بالسنة لا بالقرآن. انظر مثلاً: نور الدين السالمي، جوهر النظام، ج 2 ص 137 - 142.
(4) البيّنة هنا هم الأربعة الشهداء الذين ورد ذكرهم في سورة النور. وجاء في الحديث: «سأل رسول الله ﷺ زبيباً فقال: من بَيِّنتك؟ قلت: سَمُرة، رجل من بني العنبر ورجل آخر سماه له». انظر الشوكاني، نيل الأوطار ج 8 ص 213 - 215 في حديث القضاء بالشاهد واليمين. وجاء في مسند الربيع بن حبيب في أول باب النكاح، الحديث رقم 510: «لا نكاح إلا بولي وصداق وبيّنة» أي: وشهود. وروى أبو يوسف في كتاب الخراج، ص 244: «أن عمر بن الخطاب كتب =

عند الإمام إقراراً من غير أن يقوم عليه بينة رجم الإمام ثم الناس.

قال بعضهم: لا تحصن الأَمَةُ ولا اليهوديةَ ولا النصرانيةَ، ولا يحصن المملوكُ الحرةَ. ولا يُحصَن الحر إذا كانت له امرأة لم يدخُل بها. ولا تُحصَن المرأة إذا كان لها زوج لم يدخُل بها.

وإذا أحصن الرجل أو المرأة بوطء مرة واحدة، ثم زنى بعد ذلك وليس له امرأة يوم زنى، أو زنت امرأة ليس لها زوج يوم زنت فهما محصنان يرجمان. وهو قول جابر ابن زيد.

وإذا زنى أحد الزوجين وقد أُحصِن أحدهما ولم يُحصن الآخر رُجِم الذي أُحصِن منهما وحُدَّ الذي لم يُحصَن مائة جلدة.

ولا تُحصِن أمُّ الولد وإن ولدت له أولاداً.

فإذا زنى الغلام أو الجارية وقد تزوّجا. ودخل الغلام بامرأته، ودخل على الجارية زوجُها، ولم يكن الغلام احتلم، ولم تكن الجارية حاضت فلا حدّ عليهما؛ لا رجم ولا جلد حتى يحتلم وتحيض، ويغشى امرأتَه بعدما احتلم، ويغشى الجاريةَ زوجُها بعدما حاضت، فحينئذ يكونان محصنين.

وإذا كانت لرجل أم ولد قد ولدت منه فأعتقها فتزوّجها. ثم زنى قبل أن يغشاها بعدما أعتقت فلا رجم عليه، ولا هي إن زنت حتى يغشاها بعد ما أعتقت، وإن كان مملوك تحته حرّة قد دخل بها فعتق فزنى قبل أن يغشاها بعدما أعتق فلا رجم عليه.

وإن كان الزوجان يهوديين أو نصرانيين فأسلما جميعاً، ثم زنى أحدهما أيهما كان قبل أن يغشاها[1] بعدما أسلما فلا رجم عليه حتى يغشاها في الإسلام. وإنما

= إلى أبي عبيدة بن الجراح وهو بالشام: إذا حضرك الخصمان فعليك بالبيّنات العدول [أي: الشهود العدول] والأيْمان القاطعة».

(1) كذا في سع ورقة 49 ظ: «قبل أن يغشاها»، وفي ب: «حتى يغشاها»، وفي ع: «قبل أن يغشى» والصواب ما أثبته إن شاء الله.

رجم النبي ﷺ اليهوديين لأنهم تحاكموا إليه[1].

وإحصان أهل الشرك في شركهم ليس بإحصان حتى يغشى في الإسلام.

قوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ أي: رحمة ﴿فِي دِينِ اللهِ﴾ أي: في حكم الله ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ أي: إن كنتم تصدّقون ﴿بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أي: تصدّقون باليوم الآخر الذي فيه جزاء الأعمال. فلا توافوا بالزانية والزاني اللذين نزع الله منهما الرأفة، أي: فلا ترجموهما.

وفي هذا دليل على أنهما ليسا بمؤمنين إذ نزع الله الرأفة التي جعل للمؤمنين منها [نصيباً][2] قال الله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب: 43] ووصف نبيّه فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]. فلو كانا مؤمنين لم ينزع الرأفة التي جعلها للمؤمنين.

قوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ليشهد جلدهما طائفة من المؤمنين. قال بعضهم: الطائفة رجل فصاعداً. وقال بعضهم: الطائفة من ثلاثة فصاعداً.

وهذه الآية تشدُّ الأولى، إذ أمر الله المؤمنين أن يحضروا عذاب الزاني، أي: جلده، وهم غير الزاني. فيجوز أن يحضر عذابهما طائفة من الزناة، تحضر الزناة عذاب الزناة[3]..............................

(1) يشير إلى قصة اليهودي الذي زنى وهو محصن، فرفع أحبار اليهود أمره إلى رسول الله ﷺ آملين أن يجدوا عنده رخصة، فحكم رسول الله ﷺ بما جاء في التوراة وهو الرجم. فنزلت في ذلك آيات المائدة: 42 - 48. انظر تفصيل ذلك فيما سلف ج 1 ص 471.

(2) زيادة لا بد منها لتستقيم العبارة. وقد جاءت مضطربة في المخطوطات.

(3) كذا وردت هاتان الجملتان بالإثبات: «يجوز أن يحضر... تحضر الزناة» وفي العبارة شيء من الغموض؛ ويبدو أن كلمات سقطت أثناء النسخ، ولكن المعنى الإجمالي واضح. فالمؤلف ـ وهو هنا الشيخ هود ـ يريد أن يثبت أن الزاني لا يمكن أن يكون مؤمناً، إذ لو كان كذلك لجاز، بمقتضى الآية، أن يحضر الزاني عذاب الزاني، وهذا أمر مناف للحكمة الإلٰهية. ويزيد المؤلف هذا المعنى تأكيداً بما يأتي.

ففي هاتين الآيتين دليل لكلّ ذي حجى أو لجى[1] أن الزاني ليس بمؤمن.

وفيها ذكر الحسن عن النبي عليه السلام أنه قال: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن. ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يقتل النفس التي حرّم الله وهو مؤمن. فإذا فعل ذلك خلع ربقة الإسلام من عنقه[2].

قوله: ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إلا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وذلك أن النبي عليه السلام قدم المدينة، وبها نساء من أهل الكتاب وإماء مشركات من إماء مشركي العرب مؤاجرات مجاهرات[3] بالزنا، لهن رايات مثل رايات البياطرة[4].

قال بعضهم: لا يحل من نساء أهل الكتاب إلا العفائف الحرائر، ولا نساء المشركين من غير أهل الكتاب. وإماء المشركين حرام على المسلمين.

وقال بعضهم في قوله: (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً)؛ يعني من كان يزني بتلك المؤاجرات من نساء أهل الكتاب وإماء المشركين وإن كانت حرة من المشركات، لا ينكحها إلا زان من أهل الكتاب أو من مشركي العرب. قال: (وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُومِنِينَ)، أي: تزويجهن.

ثم حرم النساء المشركات من غير أهل الكتاب، زوانِيَ كنَّ أو عفائفَ، فقال:

---

(1) كذا في ق و ب، ولم أجد في معاجم اللغة هذا اللفظ.

(2) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 374.

(3) في ب و ع، وحتى في سع: «مهاجرات» وفيها تصحيف، والصواب ما أثبته بمعنى أنهن يجاهرن بالزنا ويُعلنّه. وقد أورد الطبري في تفسيره ج 18 ص 73 عن عكرمة أسماء تسع إماء من صواحب الرايات وعرّفهن.

(4) «راية البيطار» مما يضرب به المثل في الشهرة فيقال: أشهر من راية بيطار. انظر الثعالبي: ثمار القلوب، رقم 316، ص 240.

(وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُومِنَّ)... وقال: (وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُومِنُوا) [البقرة: 221].

هذا كله فيمن تأول الآية على أن النكاح الذي ذكر هو نكاح التزويج.

وقال الآخرون مِمّن تأوّل الآية على أن هذا نكاح الوطء لا نكاح التزويج، قال: (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) أي: لا يفعل هذا الفعل إلا زان، أي: من أهل التوحيد، أو مشرك من أهل الكتاب، وحُرِّم ذلك، أي: ذلك الفعل على المؤمنين. أي: أنه لم يفعلوه. وهذا حقيقة التأويل. وهذا ما يشدُّ(1) الآيتين اللتين قبل هذه.

قوله: ﴿ وَالذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَـٰتِ﴾ أي: الذين يقذفون المحصنات بالزنا. والمحصنات الحرائر المسلمات، وكذلك الرجل الحر المسلم إذا قذف؛ وإن لم يأت ذكره في الكتاب، فالذكر والأنثى في هذا سواء. ﴿ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ يجيئون جميعاً يشهدون عليها بالزنا.

﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً ﴾ أي: يجلدون بالسوط ضرباً بين الضربين لا توضع عنه ثيابه، ولا يرفع الجلاد يده حتى يُرى بياض إبطه. ويجلد في ثيابه التي قذف فيها؛ [إلا أن يكون](2) الثوب فَرْوا أو قباء محشواً أو جبة محشوّة.

وليس على قاذف المملوك، ولا المكاتب، ولا أمّ الولد، ولا المدبّر(3)، ولا الذّميّ، ولا الذّميّة حدٌّ. وكذلك المملوك إذا قذف الحرَّ لا حدَّ عليه، كما لا حدّ على من قذفه.

فإن قذف اليهودي أو النصراني المسلم جلد ثمانين.

---

(1) في ب و ع: «يشدد»، والمعنى واحد، أي يؤيد ويؤكد.

(2) زيادة من سع ورقة 50 و، وقد جاءت العبارة مضطربة فاسدة في ع و ب.

(3) المُدَبَّر هو العبد المملوك الذي يُعتَق عن دُبُر؛ يوصى سيّده ويقول: هو حرٌّ بعد موتي، فيعتق العبد بعد موت سيّده.

ولا يجلد الوالد إذا قذف ولده، ويجلد الولد إذا قذف والده. ولا يجلد المملوكون إذا قذف بعضهم بعضاً.

وإذا أقيم على الرجل أو المرأة الحدّ على الزنا، ثم افترى عليه أحد بعد ذلك فلا حدّ عليه.

وإذا جلد القاذف ثم عاد لقذفه الذي كان قذفه فلا حدٌّ عليه إلا حد القذف الأول.

ذكر عكرمة عن ابن عباس أنه قال: لو افترى أبو بكرة على المغيرة بن شعبة مائة مرّة لم يكن عليه إلا الحدّ الأول(1).

قوله: ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَداً وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الفَـٰسِقُونَ﴾ أي: العاصون وليس بفسق الشرك، ولكن فسق النفاق. وهي كبيرة من الكبائر الموبقات.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: قذف المحصنات من الكبائر(2).

(1) هو أبو بكرة الثقفي الطائفي، واسمه نفيع بن الحارث. وإنما لقِّب بذلك لأنه تدلّى في حصار الطائف ببَكرة فاراً إلى رسول الله ﷺ فأسلم على يديه. ولما أخبره أنه عبد أعتقه رسول الله ﷺ. فكان أبو بكرة يقول: أنا مولى رسول الله ﷺ. وأمه سميّة، فهو أخو زياد بن أبيه لأمه. كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم. سكن البصرة زمن الأمويين. وكان له معهم مواقف تشهد بقوة إيمانه وصلابة دينه. وقصته في قذف المغيرة بن شعبة وجلد عمر إياه وأخاه نفيعاً وشبل بن معبد قصة مشهورة. فقد شهد الثلاثة على المغيرة ونكل زياد بن أبيه فجلد عمرُ الثلاثةَ حدّ القذف، ولم يُقِم الحدّ على المغيرة. ثم إن عمر استتابهم فتاب الإثنان، وثبت أبو بكرة على شهادته، وأبى أن يتوب. انظر ترجمته ونبذة عن حياته وأخباره في الاستيعاب، لابن عبد البر، ج 4 ص 1614، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ج 3 ص 5 - 8 وانظر محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقر عمر ص 552 - 553. وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج 5 ص 256.

(2) أخرجه يحيى بن سلام هكذا: «وحدثني أبو أميمة عن يحيى بن كثير أن رسول الله ﷺ قال. . . ولم أعثر عليه بهذا اللفظ. ولكن قذف المحصنات ورد في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة في كتاب المحاربين من أهل الكفر والرقـة، باب: رمي المحصنات، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، وأوله: اجتنبوا السبع الموبقات. . .»، وفي آخره: «وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

قال: ﴿ إِلَّا الذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قال الحسن وسعيد بن المسيَّب: توبته فيما بينه وبين الله تنفعه، ولا شهادة له. أي: إنهما رجعا إلى أول الآية: (وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً).

ذكر سعيد بن المسيّب أن عمر بن الخطاب قال للذين شهدوا على المغيرة بن شعبة حين جلدهم: من رجع عنكم عن شهادته أجزنا شهادته، ثم تلا هذه الآية: (إِلَّا الذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) يعني أن رجوعهم عن الشهادة هي توبتهم. وقال بعضهم: يقوم على رؤوس الناس فيُكذِّب نفسَه.

وذكر عكرمة عن ابن عباس قال: لم تقبل لأبي بكرة شهادة لأنه لم يرجع عن شهادته؛ ولو رجع عن شهادته لقبلت شهادته. ويقول ابن عباس بهذا نأخذ، وعليه نعتمد. وهو قول أبي عبيدة والعامة من فقهائنا. قال أبو عبيدة: شهادة كل من أقيم عليه الحد جائزة إذا تاب وأصلح(1).

قوله: ﴿ وَالذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ. وَالخَامِسَةُ أَنَّ عَلَيْهِ لَعْنَتَ اللهِ إِنْ كَانَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾.

﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا العَذَابَ﴾ أي: عن المرأة، والعذاب: الحدّ، يعني الرجم إن كان دخل بها، أو أحصنت قبله، والجلد إن لم تكن مُحصَنة ﴿ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الكَاذِبِينَ وَالخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ ﴾ أي: زوجها ﴿ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: في قذفه إياها. [وذلك إذا ارتفعا إلى الإمام، وإن لم يرتفعا إلى الإمام فهي امرأته](2).

وإن ارتفعا إلى الإمام فثبت على قذفها قال أربع مرات عند الإمام: أشهد بالله

---

(1) نسب مثل هذا القول في سع ورقة 50 و إلى الحسن، لكن جاء في آخره: «إذا تاب غير القاذف».

((2) يادة من سع ورقة 50 و.

إني لصادق، أشهد بالله إني لصادق، أشهد بالله إني لصادق، أشهد بالله إني لصادق، ثم يقول الخامسة: إن لعنة الله عليّ إن كنت من الكاذبين. وتقول هي أربع مرات: أشهد بالله إنه لكاذب، أشهد بالله إنه لكاذب، أشهد بالله إنه لكاذب، أشهد بالله إنه لكاذب، تعني زوجها، ثم تقول الخامسة: إن غضب الله عليها إن كان من الصادقين. ثم يفرّق بينهما فلا يجتمعان أبداً.

فإن أكذب نفسه قبل أن يفرغا من الملاعنة جلد حدّ القذف، ثمانين، وهي امرأته.

وإن لاعنها في إنكار ولدها ألحق الولد بها إذا لم تكن حبلى قبل أن يلاعنها ولم يعرف أنه دخل بها، وهي عصبته، وعصبتها بعدها[1].

فإن أكذب نفسه وقد بقي من الملاعنة شيء في ذلك قولان: أحدهما أنه يجلد حد القاذف ويفرّق بينهما ولا يجتمعان أبداً، وهو قول أبي عبيدة والعامة من فقهائنا. وقال ابن عبد العزيز[2]: يجلد حدّ القاذف وهي امرأته، وعامة الناس كلهم على هذا القول، والولد ولده في قولهم جميعاً.

وإن أكذب نفسه بعد اللعان جلد ولا سبيل له عليها في قولهم جميعاً. وقال بعضهم: ويلحق الولد بها. وقال بعضهم: بل يردّ إليه ولده وهو قول العامة.

ولا يلاعن الرجل امرأته الأمة ولا اليهودية ولا النصرانية. وإن أنكر الرجل ولده من اليهودية أو النصرانية لزمه الولد. وإن أنكر ولده من الأمة بعدما أقرّ به مرة واحدة لزمه الولد.

---

(1) أي: وعصبة أمه يعصبون الولد الملحق بالأم بعدها إذا لم يكن ذو سهم من النسب. وانظر مزيداً من التفصيل في أجوبة ابن خلفون، ص 28 - 29.

(2) هو من علماء القرن الثاني الهجري ومن تلاميذ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة. وأبي نوح صالح ابن نوح الدهّان. واسمه عبد الله بن عبد العزيز البصري. كان فقيهاً مفتياً من فقهاء الإباضية الأوائل واشتهر بميله إلى القياس في آرائه الفقهية.

وإذا قذف الرجل امرأته الحرّة قبل أن يدخل بها ثم ارتفعا إلى السلطان تلاعنا.

وإذا طلق الرجل امرأته الحرّة مرة واحدة أو اثنتين، ثم قذفها، تلاعنا ما كانت في العدّة إن ارتفعا إلى السلطان، وهذا قول ابن عمر.

وقال ابن عباس: لا يلاعنها لأنها ليست بامرأته حتى يشهد على مراجعتها. قال: ألا ترى أنه لا يدخل عليها إلا بإذن.

وقول ابن عمر أعدل لأنها امرأته ما كانت في العدّة؛ ألا ترى أنه إن مات ورثته، وإن ماتت ورثها. ألا ترى أنه إن أردفها طلاقاً في العدة وقع عليها؟ وكذلك إن آلى منها أو ظاهر منها؟ فكذلك أيضاً إذا قذفها لاعنها. كل هذه الأحكام لا تلزم الرجل في غير امرأته[1].

قوله: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ قال بعضهم في قوله تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) [يونس: 58] قال: فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن.

وقال بعضهم: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ) يعني ولولا منّ الله (عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) رحمته ها هنا: نعمته، أي: لأهلك الكاذب من المتلاعنين.

﴿ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ ﴾ على من تاب من ذنبه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أي: في أمره، إذ جعل للمتلاعنين متاباً ومرجعاً.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ﴾ أي: جماعة منكم[2].

(1) نسبة القولين إلى ابن عمر وابن عباس وترجيح قول ابن عباس وتعليل هذا الترجيح، كل هذا غير موجود في سع ولا في ز، وهو من رواية الشيخ هود وزيادته، وهذا يدل على فقه الرجل وعلمه.

(2) حديث الإفك هذا حديث مشهور، وفيه من المواعظ والعبر ما يستطيع كل قارىء أن يستفيد منه حسب مستواه وإدراكه. اقرأه بتفصيل في كتب السيرة والحديث. انظر مثلاً سيرة ابن هشام ج 3 ص 297 - 307، ومغازي الواقدي ج 2 ص 426 - 440، وتفسير الطبري ج 18 ص 86 - 95، وفتح الباري ج 8 ص 452 - 489.

قال بعضهم: هذا كان في شأن عائشة وما أذيع عليها أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر، فأخذ الناس في الرحيل، فانقطعت قلادة لها، فطلبتها في المنزل ومضى الناس. وقد كان صفوان بن المعطل تخلّف عن المنزل قبل ذلك. ثم أقبل فوجد الناس قد ارتحلوا، وهو على بعيره. فإذا هو بعائشة، فجاءها ببعيره وولّاها ظهره حتى ركبت. ثم قاد بها، فجاء بها وقد نزل الناس. فتكلّم بذلك قوم واتّهموها.

بلغنا أن عبد الله بن أُبَي بن سلول وحسّان بن ثابت ومسطحاً وحمنة بنت جحش هم الذين تكلّموا في ذلك ثم شاع ذلك في الناس. فزعموا أن رسول الله ﷺ لما أنزل الله عذرها جلد كل واحد منهم الحد. وقوله: (إِنَّ الذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ) يعني هؤلاء.

ثم قال تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُمْ ﴾ يعني عائشة وصفوان، يعني ما قيل فيهما ﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي: من الذين قالوا ما قالوا ﴿ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ ﴾ أي: ما اقترف من الذنب على قدر ما أشاع.

﴿ وَالذِينَ تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ﴾ أي: الذي بدأ به[1] ﴿ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ قال بعضهم: هو مسطح، فذهب بصره وهو العذاب العظيم. وقال بعضهم: هو عبد الله ابن أبيّ بن سلول المنافق، له عذاب عظيم، أي: جهنم، فلا أعظم من ذلك.

قوله: ﴿ لَوْلَا ﴾ أي: هلّا ﴿ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً ﴾ أي: بإخوانهم خيراً كما كانوا يظنّون بأنفسهم. أي: لو كانوا مكان صفوان ما كان منهم إلا خير. أي: فليظنّ المسلم بأخيه ما يظنّ بنفسه.

فهذا عظة وأدب للمؤمنين قائمان إلى يوم القيامة، إن اتّعظوا بعظة الله، وتأدّبوا بأدب الله الذي أمرهم به، وتقدّم إليهم فيه[2].

(1) وقال أبو عبيدة في المجاز: «(تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ) أي: تحمّل مُعظمَه، وهو مصدر الكبير من الأشياء، والأمور وفرّقوا بينه وبين مصدر الكبير السن فضموا هذا فقالوا هو كُبر قومه..».

(2) هذه الجمل الأخيرة في النصيحة والإرشاد من زيادات الشيخ الهواري، وهي غير واردة في سع ولا في ز.

قال: ﴿ وَقَالُوا هٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: كذب بيّن. أي: هلّا ظنّوا بأنفسهم خيراً، وهلّا قالوا: هذا إفك مبين، أي: ما خاض فيه القوم.

ثم قال: ﴿ لَوْلَا ﴾ أي: هلّا ﴿ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ أي: إن كانوا صادقين، وليسوا بصادقين. ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الكَٰذِبُونَ﴾.

قوله: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ فضل الله الإسلام ورحمته القرآن. ﴿ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ في الدنيا والآخرة. والإفاضة فيه ما كان يلقى الرجل أخاه[1] فيقول: أما بلغك من أمر عائشة وصفوان.

قوله: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ أي: يرويه بعضكم عن بعض[2] ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ ﴾.

ذكروا عن الحسن أنه قال: القذف قذفان: أحدهما أن تقول: إن فلانة زانية، فهذا فيه الحدّ. والآخر أن تقول: قال الناس إن فلانة زانية، فليس في هذا حد[3].

قوله: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا ﴾ [أي: لا ينبغي لنا][4] ﴿ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: كذب عظيم. وإذا عظّم الله شيئاً فهو عظيم.

ثم قال: ﴿ يَعِظُكُمُ اللهُ ﴾ [أي: ينهاكم الله][4] ﴿ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُم

(1) كذا في ب، وفي ع وفي سع ورقة 51: «يلقى الرجلُ الرجلَ».

(2) قال أبو عبيدة: «مجازه: تقبلونه ويأخذه بعضكم عن بعض...» وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 248: «وقرأت عائشة (إِذْ تَلِقُونَهُ) وهو الوَلْق، أي: تردّدونه. والوَلْق في السير والوَلَق في الكذب بمنزلته إذا استمر في السير والكذب فقد وَلَق».

(3) نسب هذا القول في ب و ع إلى رسول الله ﷺ هكذا: «ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ... على اضطراب ونقص في ألفاظه في ع، ونسب في سع ورقة 51 و إلى الحسن. وظاهر لفظه يؤيد ما جاء في سع من أنه من كلام الحسن وليس من كلام النبي عليه السلام.

(4) زيادة من سع ورقة 51 و.

مُّؤْمِنِينَ﴾ فاتّعظوا بعظة الله فيما وعظكم، وتأدّبوا بأدب الله فيما أدّبكم. ﴿وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَـٰتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بخلقه، حكيم في أمره.

قوله: ﴿إِنَّ الذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَـٰحِشَةُ فِي الذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: أن يظهر الزنا في تفسير قتادة][1] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ وهم المنافقون. كانوا يحبون ذلك ليعيبوا به النبي عليه السلام ويغيظوه. قال تعالى: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وعذاب الله في الدنيا للمنافقين أن تؤخذ منهم الزكاة كرهاً، وما ينفقون في الغزو كرهاً. قال الله تعالى في براءة: (وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ) [التوبة: 54].

قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ وهو مثل قوله الأول. أي: لأهلككم واستأصلكم، يعني الذين قالوا ما قالوا. وليس يعني بالفضل والرحمة عبد الله بن أبي ابن سلول فيهم، وقد ذكره بعد هذه الآية أنه في النار. قوله: ﴿وَأَنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: بالمؤمنين. وقد نفى الرحمة على الزاني والزانية في أول السورة لأنهم ليسوا بمؤمنين.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُـوٰتِ الشَّيْطَـٰنِ﴾ أي: خطايا الشيطان؛ وبعضهم يقول: أمر الشيطان. قال: ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوٰتِ الشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُ﴾ أي: فإن الشيطان ﴿يَأْمُرُ﴾ بالخطيئة ويأمر ﴿بِالْفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ﴾[2] قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ وهي مثل الأولى ﴿مَا زَكَا مِنكُم مِّنَ أَحَدٍ﴾ أي: ما صلح منكم من أحد ﴿أَبَداً وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي﴾ أي: يصلح ﴿مَن يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ أي: ولا يحلف ﴿أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ يعني

---

(1) زيادة من سع ورقة 51.

(2) كذا في ب وع، وفي سع ورقة 51 و: ولعل صوابه: (يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ) أي: بالخطيئة ويأمر (بِالمُنْكَرِ).

الغنى ﴿ أَن يُؤتُوا أُولِي القُرْبَىٰ وَالمَسَٰكِينَ وَالمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق ومسطح. وكان بين مسطح وبين أبي بكرة قرابة، وكان يتيماً في حجره، وكان ممن أذاع على عائشة ما أذيع. فلما أنزل الله براءتها وعذرها ائتلى أبو بكر، أي: حلف، ألا يرزأه[1] خيراً أبداً. فأنزل الله هذه الآية، [أي: فكما تحبّون أن يغفر الله لكم فاعفوا واصفحوا][2].

ذكروا أن النبي عليه السلام دعا أبا بكر فتلاها عليه ثم قال: يا أبا بكر، ألا تحبُّ أن يعفو الله عنك؟ قال: بلىٰ، قال: فاعف وتجاوز[3]. فقال أبو بكر: لا جرم والله لا أمنعه معروفاً كنت أوليه إياه قبل اليوم.

ذكروا عن عائشة قالت: كفَّر أبو بكر يمينه لذلك[4].

قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَٰتِ الغَٰفِلَٰتِ ﴾ أي: العفائف ﴿ المُؤْمِنَٰتِ ﴾ أي: المصدِّقات بالله العاملات بفرائضه ﴿ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وإذا عظّم الله شيئاً فهو عظيم.

ثم قال: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ قال بعضهم: بلغني أنه يعني عبد الله بن أبي بن سلول في أمر عائشة.

قولهم: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقَّ ﴾ أي: عملهم الحق، أي: يدانون بعملهم ﴿ وَيَعْلَمُونَ ﴾ يومئذ ﴿ أَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ ﴾ والحق اسم من أسماء الله.

---

(1) يقال: «رزأ فلان فلاناً إذا برّه» كما في اللسان. وجاء في صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة النور: قالت [عائشة]: «فحلف أبو بكر ألا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً».

(2) زيادة من سع ورقة 51 و.

(3) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من كتب الحديث، ولكن معناه ثابت في كتب السنة والتفسير، وقد أورده ابن سلام بدون سند.

(4) روى يحيى بن سلام هذا الخبر بالسند التالي: «وحدثني يحيى بن أيوب عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة». انظر سع ورقة 51 و.

قوله: ﴿ الْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ وَالطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ﴾ أي: الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الرجال والنساء، والخبيثون من الرجال والنساء للخبيثات من القول والعمل، والطيّبات من القول والعمل للطيّبين من الرجال والنساء، والطيّبون من الرجال والنساء للطيّبات من القول والعمل. وهذا في قصة عائشة. قال: ﴿ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ أي: لذنوبهم ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ أي: في الجنة.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا ﴾ [سعيد عن قتادة قال: وهو الاستئذان][1]. ﴿ وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾.

ذكروا عن مجاهد قال: (حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا) أي: حتى تتنحنحوا أو تنخّموا[2]. وقال بعضهم: حتى تسلّموا، وهي مقدمة ومؤخرة، أي: حتى تسلّموا وتستأذنوا[3].

ذكروا أن رجلًا استأذن على النبي عليه السلام فقال لرجل عنده: قم فعلم هذا كيف يستأذن، فإنه لم يحسن يستأذن. فخرج إليه الرجل، فسلّم ثم استأذن[4].

---

(1) زيادة من سع، ورقة 51 ظ.

(2) نسب هذا القول في ب و ع إلى ابن عباس، والصحيح أنه لمجاهد كما ورد في تفسير مجاهد ص 439، وفي سع.

(3) نسب هذا القول في التقديم والتأخير إلى ابن عباس، ونسب إليه أيضاً أنه قال: «إنما هي خطأ من الكاتب»، كما أورده الطبري في تفسيره ج 18 ص 109 - 110. والحق أنه لا يمكن أن ينسب مثل هذا إلى ابن عباس انظر الرد على هذا في تفسير القرطبي ج 12 ص 214.

(4) كذا في ع، وفي سع ورقة 51 ظ: «فسمعها الرجل فسلّم ثم استأذن. والحديث أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري في الأدب، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان. (رقم 5177) ولفظه: «حدثنا رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ وهوفي بيت. . . وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 18 ص 110 «عن عمرو بن سعيد الثقفي أن رجلًا استأذن على النبي ﷺ فقال: ألج أو أنلج؟ فقال النبي ﷺ لأمة له يقال لها روضة: قومي إلى هذا فكلميه، فإنه لا يحسن يستأذن، فقولي له يقول: السلام عليكم، أدخل؟ فسمعها الرجل فقالها، فقال: ادخل».

ذكروا عن زيد بن أسلم قال: جئت ابن عمر في داره فقلت: أَلج، فأذن لي، فدخلت، فقال: يا ابن أخي، إذا استأذنت فلا تقل: ألج، وقل: السلام عليكم، فإذا قالوا: وعليك فقل: آدخل. فإذا قالوا: ادخل فادخل.

ذكروا عن الحسن قال: استأذن الأشعري على باب عمر ثلاث مرات، فلم يؤذن له، فرجع. فأرسل إليه عمر فقال له: ما ردّك عن بابنا؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من استأذن ثلاث مرات فلم يؤذن له فليرجع. فقال له: لَتأتِيَنّي على ذلك بيّنة وإلا عاقبتك[1]. فجاء بطلحة فشهد له.

وفي حديث عمرو عن الحسن في هذا الحديث: الأولى إذن، والثانية مؤامرة، والثالثة عزيمة إن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردّوا.

ذكر بعضهم قال[2]: كنا ونحن نطلب الحديث إذا جئنا إلى باب الفقيه استأذن منا رجل مرّتين، فإن لم يؤذن له تقدّم آخر فاستأذن مرّتين، مخافة أن يستأذن الرجل منا ثلاثاً فلا يؤذن له، ثم يؤذن بعد، فلا يستطيع أن يدخل لأنه لم يؤذن له وقد أذن لغيره.

(1) كذا في ب وع، «وإلا عاقبتك»، وفي سع ورقة 51 ظ: «أو لأجعلنك نكالاً». والحديث صحيح أخرجه أصحاب السنن: أخرجه مثلاً البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، عن أبي سعيد الخدري. وفيه أن الذي قام من المجلس ليشهد لأبي موسى الأشعري عند عمر إنما هو أبو سعيد الخدري، وكان أصغر القوم، وكان ذلك بإشارة من أبي بن كعب، ورواه أبو داود أيضاً في كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان عن أبي سعيد الخدري (رقم 5180) وفيه أن الشاهد هو أبو سعيد، وفي حديث آخر لأبي داود (رقم 5181): «قال اِيتني ببينة على هذا، فذهب ثم رجع، فقال: هذا أبيّ، فقال أبيّ: يا عمر لا تكن عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ...» ولم أجد فيما بين يدي من كتب الحديث أن طلحة هو الذي شهد لأبي موسى كما ذكره المؤلف هنا.

(2) هو المؤلف نفسه يحيى بن سلام كما جاء في سع ورقة 51 ظ. وقلّما يتحدث ابن سلام عن نفسه أو عن حياته العلمية، وهذه إشارة عابرة إلى ذلك. وهذا لعمري غاية في آداب التعلّم وتلطُّف حَسَن في طلب الحديث. وليت طلاب اليوم يفقهون هذا فيلتزمون بهذه الآداب حسبما تمليه ظروف العصر الحاضر وتسمح به.

ذكروا عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: لا تأذن المرأة في بيت زوجها وهو شاهد إلا بإذنه(1).

ذكروا عن عطاء بن يسار قال: إن رجلاً قال: يا رسول الله، استأذن على أمي؟ [قال: نعم، قال: إني أخدمها، فقال: استأذن عليها](2) فسكت رسول الله ﷺ ثم أعادها عليه. فقال: أتحب أن تراها عريانة؟ قال الرجل: لا. قال: استأذن عليها.

ذكروا عن عطاء قال: كان لي أخوات فسألت ابن عباس: أستأذن عليهن؟ فقال: نعم.

وذكروا أن علياً قال: يستأذن الرجل على كل امرأة إلا على امرأته.

ذكروا أن عمر استأذن على قوم فأُذن له، فقال: ومن معي؟ فقيل له: ومن معك، فدخلوا.

ذكروا عن الحسن أنه قال: ليس في الدور إذن. يعني الدّور المشتركة. التي فيها حُجَر. وليس في الحوانيت إذن. قال بعضهم: إذا وضعوا أمتعتهم، وفتحوا أبوابها، وقالوا للناس هلمّوا.

ذكروا عن ابن عمر أنه كان إذا استأذن ليدخل في بيوت التجار فقالوا: ادخل بسلام، لم يدخل، لقولهم ادخل بسلام(3).

قوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي تذكّروا.

(1) أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس، وقد ضعّف هذا الحديث.

(2) زيادة من سع، ورقة 51 ظ. أخرج الحديث ابنُ جرير الطبري في تفسيره ج 18 ص 112. وأخرجه أيضاً مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ سأله رجل... في الموطأ، كتاب الجامع، باب الاستئذان.

(3) لأن لفظ الإذن هنا يحتمل معنى: ادخل بسلامك لا بشخصك. وقد روى هذا الخبر في واقعة بعينها «أن ابن عمر آذته الرمضاء يوماً فأتى فسطاطاً لامرأة من قريش فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فقالت المرأة: ادخل بسلام، فأعاد، فأعادت. فقال لها: قولي: ادخل. فقالت ذلك، فدخل». انظر تفسير القرطبي ج 12 ص 215.

قوله : ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً ﴾ يعني البيوت المسكونة ﴿ فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُم ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ﴾. قال بعضهم: أي: لا تقف على باب قوم ردّوك عن بيتهم، فإن للناس حاجات، ولهم أشغال. قال: ﴿ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾ أي: خير لكم ﴿ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ أي: حرج، أي: إثم. ﴿ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ يعني الخانات، وهي الفنادق ﴿ فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ ﴾ أي: ينزلها الرّجلُ في سفره فيجعل فيها متاعَه، فليس عليه أن يستأذن في ذلك البيت لأنه ليس له أهل يسكنونه. [وقال السّديّ: (فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ): منافع لكم من الحرّ والبرد][1]. ﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ أي: ما تعلنون ﴿ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ أي: ما تسِرّون في قلوبكم.

قوله: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ [يعني يغضوا أبصارهم عن جميع المعاصي. (مِنْ) ها هنا صلة][2]. وقال بعضهم: أي: عما لا يحل لهم من النظر.

ذكروا عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير البجلي عن أبيه قال: سألت رسول الله ﷺ عن النظرة فجأة فقال: غُضَّ بصرك[3].

قوله: ﴿ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ أي: عما لا يحل لهم. وهذه الآية في الأحرار والمملوكين. ﴿ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ أي: بما يفعلون.

قوله: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ أي: يغضضن أبصارهن عما لا يحل لهنّ من النظر. وهذه في الحرائر والإماء.

(1) كذا في ع: «يعني الدور المشتركة. . .» وجاء في سع ورقة 51 ظ ما يلي: «ليس في الدور إذن. قال يحيى: أظنه يعني الدار المشتركة التي فيها حُجَر». وهذه العبارة أوثق رواية وأوضح معنى.

(2) زيادة من سع ورقة 52 و، ومن ز ورقة 232.

(3) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه مسلم في كتب الآداب، باب نظر الفجأة (رقم 2159) وأخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر (رقم 2148) ولفظه: سألت رسول الله ﷺ عن نَظْرَةِ الفَجْأَةِ فقال: اصرف بصرك». كلهم يرويه عن أبي زرعة عن جرير بن عبد الله.

قوله: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾. قال بعضهم: (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا): الثياب. وكذلك قال الحسن. ذكروا عن مجاهد عن ابن عباس قال: ما ظهر منها: الكحل والخاتَم.

ذكروا عن عائشة أنها سئلت عن الزينة الظاهرة فقالت: القُلْب، تعني السِّوار، والفَتَخة، تعني الخاتَم الذي لا فصّ له. وقالت بثوبها على كوعها فسترته[1].

قالت العلماء: هذه الآية في الحرائر؛ وأما الإماء فإن عمر بن الخطاب رأى أمة عليها قِناع فعلاها بالدِّرّة وقال: اكشفي عن رأسك لا تتشبّهي بالحرائر.

ذكروا عن أنس بن مالك قال: كُنّ جواري عمر[2] يخدمننا كاشفاتٍ رؤوسهن تضطرب ثديّهن، بادية خِدامهن[3].

قوله: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ أي: تسدل الخمار على جيبها، وهو نحرها. ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ وهذه الزينة الباطنة؛ وهما زينتان، زينة ظاهرة، وقد فسّرناها، وزينة باطنة وسنفسرها إن شاء الله. ﴿ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ أي: أزواجهن ﴿ أَوْ ءَابَاءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾ أي: آباء أزواجهن. ﴿ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوِ اخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ ﴾ المسلمات اللاتي يرين منها ما يراه ذو المحرم؛ ولا ترى ذلك منها اليهودية ولا النصرانية. ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴾.

---

(1) في ب و ع: «فسترته»، وفي سع ورقة 52 و: «فشدّته». و«الكوع: مفصل اليد». وهذا الشرح للكوع زيادة من أحد النساخ وردت في ب و ع.

(2) كذا وردت هذه العبارة: «كن جواري عمر يخدمننا» في ب و ع، وفي سع. وهي عبارة صحيحة في العربية. فمثلها ورد في صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدىء (رقم 2029) وفيه من حديث أنس قال: «قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، ومات وأنا ابن عشرين، وكن أمهاتي يحثثنني على خدمته. .» وباللفظ نفسه أخرجه الحميدي في مسنده، ج 2 ص 499، في أحاديث أنس بن مالك (رقم 1182).

(3) خدام: جمع خَدَمة، وهي هنا الخلخال، وتجمع أيضاً على خِدَم.

فهذه ثلاث حرم بعضها أعظم من بعض. منهن الزوج الذي يحلُّ له كل شيء منها؛ فهذه حرمة ليست لغيره.

ومنهم الأب والابن، والأخ والعم والخال وابن الأخ وابن الأخت، والرضاع في هذا بمنزلة النسب. فلا يحل لهؤلاء في تفسير الحسن أن ينظروا إلى الشعَر والصدر والساق وأشباه ذلك.

[وقال الحسن: لا تضع المرأة خمارها عند أبيها ولا ابنها ولا أخيها](1) وقال ابن عباس: ينظرون إلى موضع القرطين والقلادة والسوارين والخلخالين. فهذه الزينة الباطنة.

وحرمة أخرى، وهي الثالثة؛ منهم أبو الزوج وابن الزوج والتابع الذي قال الله: ﴿ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴾ أي: غير أولي الحاجة إلى النساء. وهم قوم كانوا في المدينة فقراء، طُبِعُوا على غير شهوة النساء. وقال بعضهم: هو الرجل الأحمق الذي لا تشتهيه المرأة ولا يغار عليه الرجل. وقال الحسن: هو الرجل يتبع الرجل يخدمه بطعام بطنه.

ومملوك المرأة، لا بأس أن تقوم بين يدي هؤلاء في درع صفيق، وخمار صفيق(2) بغير جلباب.

ذكروا أن عمر بن الخطاب قال: لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم منها.

ذكروا أن عمر بن الخطاب قال: لا تخلو المرأة مع الرجل إلا أن يكون محرماً، وإن قيل حموها، إنما حموها الموت(3).

---

(1) زيادة من سع، ورقة 52 ظ.

(2) كذا في ز: «درع صفيق، وخمار صفيق» وهو الصحيح، وفي ب وع: «درع صفيق وخمار جديد»، وفي سع ورقة 52 ط: «في درع ضيق وخمار ضيق» والصحيح ما أثبته. ودرع المرأة قميصها. وقيل: «هو درع تجوب المرأة وسطه، وتجعل له يدين وتخيط فرجيه». والصفيق من الثياب ما كان كثيفاً جَيِّد النسج.

(3) وردت هذه الجملة مضطربة فأثبت صحتها من سع.

وقال بعضهم: لا تضع المرأة خمارها عند مملوكها، فإن فاجاءها فلا بأس. وبعضهم يقول: (أَوْ مَا مَلَكَت أَيْمَانُهُنَّ) يعني الإماء وليس العبيد.

[ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: لا تضع المرأة خمارها عند عبد سيدها][1].

قوله: ﴿ أَوِ الطِّفْلِ الذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ أي: الذين لم يبلغوا الحلم أو النكاح.

قوله: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَم مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ وكانت المرأة تضرب برجلها إذا مرت بالمجلس لتسمع قعقعة خلخالها. وقال بعضهم: تضرب إحدى رجليها بالأخرى حتى تسمع صوت الخلخالين؛ فنهين عن ذلك.

قوله: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُومِنُونَ ﴾ من ذنوبكم هذه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي: لكي تفلحوا فتدخلوا الجنة.

قوله: ﴿ وَأَنْكِحُوا الأَيَـٰمَىٰ مِنْكُمْ ﴾ يعني كل امرأة ليس لها زوج[2]. قال الحسن: هذه فريضة.

[عثمان عن محمد بن المنكدر عن سليمان بن يسار أن قوماً نزلوا منزلاً، ثم ارتحلوا، وبغت امرأة منهم، فرفعت إلى عمر بن الخطاب فجلدها عمر الحدّ، وقال: استوصوا بها خيراً وزوّجوها فإنها من الأيامى][3].

---

(1) زيادة من سع، ورقة 52 ظ: ويعني بعبد سيدها عبد زوجها. وقد ورد في القرآن لفظ السيد وأريد به الزوج في قوله تعالى: (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البَابِ) [يوسف: 25].

(2) وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 251: (وأنكحوا الأيَامىٰ منكم) يعني الحرائر. والأيامى، القرابات، نحو البنت والأخت وأشباههما. وما قاله أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 65 أولى بالصواب وأحق بالتأويل، قال: «(الأيَامىٰ) من الرجال والنساء الذين لا أزواج لهم ولهن، ويقال: رجل أيم، وامرأة أيمة وأيم أيضاً. قال الشاعر:

فَإِنْ تَنْكَحِي أَنْكِحْ وَإِن تَتَأَيَّمِي ... وَإِنْ كُنْتُ أَفْتَىٰ مِنْكُمْ أَتَأَيَّمِ»

(3) أثبتُ هذا الخبر زيادة من سع ورقة 52 ظ لما فيه من العبرة والعظة البالغة، ولما يبيّن من سيرة =

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن التبتل. [والتبتل فعل] التي تقيم من النساء بلا زوج، والذي يقيم من الرجال بلا امرأة[1].

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال: من تزوج فقد استكمل نصف دينه فليتق الله في النصف الباقي[2].

قوله: ﴿ وَالصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ﴾ يعني المملوكين المسلمين ﴿ وَإِمَائِكُمْ ﴾ أي: وانكحوا من إمائكم المسلمات، وهذه رخصة، وليس على الرجل بواجب أن يزوج أمته وعبده.

قوله: ﴿ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: اطلبوا الغنى في هذه الآية: أن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله[3].

ذكروا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ما رأيت مثل رجل لم يلتمس الغنى في الباءة، أي: النكاح، والله يقول: (إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ).

= عمر الحميدة. فقد كان قوياً في الحق حين أقام عليها الحد، لطيفاً رحيماً بها حين أوصى بها خيراً، متفقّهاً في الدين خبيراً بأحوال الأمة حين اعتبرها أيّماً تُزَوَّج، لا بَغِيّـاً تُنبَذ. ولا أدري كيف أسقط الشيخ هود هذه الفقرة المفيدة، فعهدي به يلتقط هذه الدرر والنفائس من بالغ الحكمة والموعظة.

(1) زيادة يقتضيها السياق، وكأن العبارة من زيادة ناسخ شرح بها معنى التبتل، وعبارة ابن سلام في سع ورقة 52 ظ أوفى. قال: «. . . عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ ينهى عن التبتل نهياً شديداً ويقول: تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم البشر يوم القيامة».

(2) أخرجه الطبراني في الأوسط عن أنس، وأخرجه أيضاً يحيـى بن سلام هكذا: حدثني خالد عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ.

(3) رواه يحيـى بن سلام عن عبد العزيز بن أبي داود مرسلاً، ولم أجده فيما بين يدي من كتب الحديث بهذا اللفظ إلا ما أخرجه الديلمي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: التمسوا الرزق بالنكاح، كما جاء في الدر المنثور، ج 5، ص 45، وفي تفسير الطبري ج 18 ص 126: «عن عبد الله بن مسعود قال: التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله: (إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ)».

قال: ﴿ واللهُ وَٰسِعٌ ﴾ بخلقه ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأمرهم.

قوله: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكاحاً حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي: حتى يجدوا ما يتزوّجون به.

قوله: ﴿ وَالذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَت أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً ﴾ أي: إن علمتم عندهم مالاً. وليس بفريضة إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكاتبه.

وقال بعضهم: إن علمتم منهم صدقاً ووفاءً وأمانة. وقال ابن عباس: إن علمتم عندهم حرفة أو عملاً. ويكره أن يكاتبه وليست له حرفة ولا عمل إلا على مسألة الناس. فإن كان له حرفة أو عمل ثم تصدّق عليه من الفريضة أو التطوّع فلا بأس على سيّده، لأنه من ذوي فريضتها، قد وجبت له الزكاة، وصار حُرّاً قد استوجب سهماً من سهام الصدقة؛ فلا بأس أن يأخذ منه ما قد ملّكه الله وأحلّه له.

قوله: ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللهِ الذِي ءَاتَـٰكُمْ ﴾ [قال بعضهم: أي: أن يترك له طائفة من مكاتبته][1].

وقال بعضهم: أي: أعطوهم مما أوجب الله لهم من سهمهم في الصدقة؛ يقول: إنهم أحرار، وإنهم قد وجبت لهم الصدقة بفرض الله لهم منها سهماً فيها. وهي عنده كقوله: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ) [التوبة: 60] لهؤلاء الذين سماهم الله في الصدقات، فكذلك قوله: (وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللهِ الذِي ءَاتَاكُمْ) أي: أعطوهم فرضهم الذي فرض الله لهم في كتابه[2].

(1) زيادة من سع ورقة 53 و، وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 251: «حدثنا حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن عليّ بن أبي طالب قال: يعطيه ثلث مكاتبته، يعني المولى يهب له ثلث مكاتبته».

(2) أورد ابن سلام في تفسير هذه الآية صوراً كثيرة من المكاتبة وأقوالاً للصحابة وللتابعين وأحكاماً مفصّلة مفيدة للمتفقّه. فهذه الأحكام، وإن لم تكن الحاجة إليها أكيدة في عصرنا هذا. توسّع آفاق معرفة الطالب، ولو تباينت آراء الفقهاء من الصحابة وغيرهم في الموضوع. روى ابن سلاّم قال: «حدّثني بحر بن كُنَيز عن الزهري قال: قضى عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وزيد بن =

قوله: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ إِن أَرَدْنَ تَحَصُّناً ﴾ أي: تعفّفاً ﴿ لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾.

قال بعضهم: كان الرجل يكره مملوكته على البغاء ليكثر ولدها.

وقال بعضهم: نزلت في أمة لعبد الله بن أبي بن سلول كان يكرهها على رجل من قريش رجاء أن تلد منه، فيفدي ولده. فذلك العرض الذي كان ابن أبي يبتغي.

قوله: ﴿ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ ﴾ لهن ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [وليست لهم][1] وكذلك هي قراءة ابن مسعود.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ﴾ أي: قد أنزلنا إليكم كتاباً فيه آيات مبيّنات، أي: الحلال والحرام والأمر والنهي والفرائض والأحكام ﴿ وَمَثَلاً مِّنَ الذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أي: أخبار الأمم السالفة ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

ذكروا عن أبي الدرداء قال: نزل القرآن على ست آيات: آية مبشّرة وآية منذرة، وآية فريضة، وآية تأمرك، وآية تنهاك، وآية قصص وأخبار.

قوله تعالى: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

= ثابت وعائشة وابن عمر وعمر بن عبد العزيز أنه عبدٌ قِن ما بقي عليه درهم حياته وموته، قال: ولو ترك مالاً فهو عبد أبداً حتى يؤدي. . .»، وروى «أن ابن مسعود قال: إذا أدّى الثلث أوقف رقبته فهو غريم. . .» وقال: «وحدثنا المسعودي عن الحكم بن عتيبة قال: المكاتب تجري فيه العتاقة في أول نجم يؤدّى».

(1) زيادة من سع ورقة 53 ظ. أي أن مغفرة الله ورحمته للفتيات المكرَهات على البغاء لا لسادتهن. قال الفراء في المعاني ج 2 ص 251: «كان أهل الجاهلية يكرهون الإماء ويلتمسون منهن الغَلّة فيفْجُرْن، فنهى أهل الإسلام عن ذلك (وَمن يُكْرِههنَّ فَإِنَّ اللهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ) لهن (غَفُورٌ رَّحِيمٌ) وانظر تفسير الطبري ج 18 ص 133. وروى مسلم في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ) (رقم 3029) عن جابر «أن جارية لعبد الله بن أبي بن سلول يقال لها: مُسَيلَة، وأخرى يقال لها: أُميمة، فكان يكرههما على الزنى، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله: (وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ. . .) إلى قوله: (غَفُورٌ رَّحِيمٌ)».

المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَّشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

أما قوله: ﴿ مَثَل نُورِهِ ﴾ أي: فمثل نوره الذي أعطى المؤمن في قلبه ﴿ كَمِشْكَاةٍ ﴾ والمشكاة: الكوّة في البيت التي ليست بنافذة، وهي بلسان الحبشة. وهي مثل صدر المؤمن.

﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ وهو النور الذي في قلب المؤمن. قال: ﴿ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ صافية، والزجاجة القنديل، وهو مثل قلب المؤمن، قلبه صاف.

﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ أي: عظيم مضيء[1] ﴿ يُوقَدُ ﴾ يقرأ على وجهين: يوقد وتوقد، فمن قرأها بالياء فهو يعني المصباح، ومن قرأها بالتاء فهو يعني الزجاجة بما فيها، فكذلك قلب المؤمن يتوقّد نوراً.

﴿ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ وهي مثل قلب المؤمن. ﴿ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ أي: لا شرقية تصيبها الشمس إذا أشرقت ولا تصيبها إذا غربت. ولا غربية تصيبها الشمس إذا غربت ولا تصيبها إذا أشرقت؛ أي: ليس يغلب عليها الشرق دون الغرب، ولا الغرب دون الشرق، ولكن يصيبها الشرق والغرب. وقال بعضهم: لا يفيء عليها ظل شرقي ولا غربي؛ هي ضاحية للشمس، وهي أصفى الزيت وأعذبه وأطيبه[2].

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 252 بعد أن ذكر القراءتين: ﴿ كوكب دُرِّيءٌ، ودُرِّيٌّ ﴾: «فالقراءة إذا ضممت أوله بترك الهمز، وإذا همزته كسرت أوله. وهو من قولك درأ الكوكب إذا انحط، كأنه رجم به الشيطان فدمغه. ويقال في التفسير: إنه واحد من الخمسة: المشترى وزحل، وعطارد، والزَهرة، والمريخ. والعرب قد تسمى الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها الدراريّ بغير همز.

(2) جاءت هذه الجملة الأخيرة مضطربة ناقصة في ب وع، فأثبت صحتها من سع وز. والقول لقتادة.

وقال بعضهم: لا يصيبها فيء شرق ولا فيء غرب، هي في سفح جبل، وهي شديدة الخضرة. وهي مثل المؤمن. (لَّا شَرْقِيَّةٍ) أي: لا نصرانية تصلّي إلى الشرق، (وَلَا غَرْبِيَّةٍ) أي: ولا يهودية تصلّى إلى المغرب، أي: إلى بيت المقدس. الموضع الذي نزل فيه القرآن غربيّه بيت المقدس[1].

(يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ) أي: يكاد زيت الزجاجة يضيء (وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) وهو مثل قلب المؤمن يكاد أن يعرف الحق من قبل أن يُبَيَّنَ لَهُ فيما يذهب إليه قلبه من موافقة الحق فيما أمر به، وفيما يذهب إليه من كراهية ما نهى عنه؛ وهو مثل لقوله: (وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ).

قال: (نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ) أي: نور النار على الزيت في المصباح. فكذلك قلب المؤمن إذا تبيّن له الحق صار نوراً على نور، كما صار المصباح حين جعلت فيه النار نوراً على نور: نور الزجاجة، ونور الزيت، ونور المصباح.

قال: (يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ) أي: لدينه (وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

قوله: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ وهي المساجد.

ذكروا عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من بنى لله مسجداً ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة[2]. ذكروا عن علي بن أبي طالب رضي الله

---

(1) الواقع أن بيت المقدس يقع شمال مكة، مع ميل قليل إلى الغرب.

(2) الحديث صحيح متفق عليه، أخرجه أصحاب السنن عن جملة من الصحابة بألفاظ متشابهة، فأخرجه البخاري مثلاً في كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة عن عثمان بن عفان في باب فضل بناء المساجد والحث عليها (رقم 533) ورواه ابن ماجه في كتاب المساجد والجماعات، باب من بنى لله مسجداً (رقم 735) عن عمر بن الخطاب وعن عثمان بن عفان (رقم 736) وعن جابر بن عبد الله (رقم 738) ورواه النسائي في المساجد عن عمرو بن عبسة من حديث أوله: من بنى مسجداً ليذكر اسم الله فيه. . .

عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: من بنى مسجداً من ماله بنى الله له بيتاً في الجنة، وإنما يتقبّل الله من المتقين[1].

ذكروا أن كعباً قال: في التوراة مكتوب: إن بيوتي في الأرض المساجد؛ فمن توضأ فأحسن وضوءه، وزارني في بيتي أكرمته، وحق على المزور أن يكرم زائره.

قوله: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ الغدو صلاة الصبح، والآصال: العشي، أي: الظهر والعصر. وقد ذكر في غير هذا الموضع المغرب والعشاء وجميع الصلوات الخمس.

قال: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ ﴾ التجارة الجالب، والبيع الذي يبيع على يديه[2]، قال: ﴿ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ ﴾.

كانوا إذا سمعوا المؤذن تركوا بيعهم وقاموا إلى الصلاة. و(ذِكْرُ اللهِ) في هذا الموضع الأذان. (وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ) يعني الصلوات الخمس، (وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ) الزكاة المفروضة[3].

---

(1) رواه يحيى بن سلام بالسند التالي: ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير عن علي، وبهذا السند أخرجه ابن ماجه (رقم 737) وإسناده ضعيف.

(2) كذا في ب و ع وفي سع ورقة 54 و، وفي ز ورقة 234، وعبارة الفراء في المعاني ج 2 ص 253 أصح وأوضح: قال: «فالتجارة لأهل الجلْب، والبيع ما باعه الرجل على يديه».

(3) أورد ابن سلام بعد هذا أحاديث وأقوالاً عن الصحابة في كراهية صلاة المرأة في المسجد، ولم ترد في ب ولا في ع منها: «إبراهيم بن محمد عن صفوان بن سليم أن رسول الله ﷺ رأى امرأة في المسجد فقال: يا أيها الناس كفوا عليكم نساءكم فإنما عُذِّبت بنو إسرائيل حين أرسلوا نساءهم إلى المساجد والأسواق». . . . «وعن ابن مسعود قال: ما صلت امرأة في مكان خير من قعر بيتها إلا أن يكون المسجد الحرام أو مسجد النبي إلا أن تخرج في مَنْقَلَيْها. قال حماد: المَنقلان الخُفان».

والحق أنه وردت أحاديث صحيحة تنهي المسلمين أن يمنعوا النساء من الذهاب إلى المسجد، منها ما رواه ابن عمر مرفوعاً: لا تَمْنَعُوا إماء الله مساجد الله، وزاد أبو هريرة، ولكن ليخرجن وهن تفلات.

وهذا الحرف يقرأ على وجهين: ﴿ يُسَبِّح لَهُ فِيهَا ﴾ أي: في المساجد ﴿ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ ﴾، والحرف الآخر: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾. ثم قال: ﴿ رِجَالٌ ﴾، أي: فهم الذين يسبحون له فيها بالغدو والآصال[1].

قوله: ﴿ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَـٰرُ ﴾ أي: قلوب الكفار وأبصارهم. وتقلُّبُ القلوب أن القلوب انتزعت من أماكنها فغصّت بها الحناجر، فلا هي ترجع إلى أماكنها ولا هي تخرج. وهو قوله: ﴿ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ﴾ [غافر: 18]. وأما تقلب الأبصار فقد قال في آية أخرى: ﴿ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الأنبياء: 97] أي: لإجابة الداعي. وهو كقوله: ﴿ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ [إبراهيم: 43].

وقال الحسن في قوله: (تَتَقَلَّبُ فِيهِ الأَبْصَارُ) أي: بالزُّرَقِ[2] بعد الكَحَل، والعمى بعد النظر.

قوله: ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ أي: ثواب ما عملوا، [يجزيهم به الجنة][3] ﴿ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ ﴾ فأهل الجنة أبداً في مزيد.

ذكروا عن كعب قال: وجدت في التوراة أن بيوتي في الأرض المساجد، فمن توضأ في بيته ثم زارني في بيتي أكرمته، وحق على المزور أن يكرم زائره، ووجدت في القرآن: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ

---

(1) كذا في ب و ع و سع. وعبارة ابن خالويه في الحجة ص 238 أوضح. قال: «قوله تعالى: (يُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا) يقرأ بفتح الباء وكسرها. فالحجة لمن فتح: إنه جعله فعلاً لما لم يسم فاعله ورفع (الرجال) بالابتداء، والخبر (لاَ تُلْهِيهِمْ). والحجة لمن كسر: أنه جعله فعلاً للرجال فرفعهم به، وجعل ما بعده وصفاً لحالهم».

(2) في ع: «بالرزق» وفيه تصحيف صوابه ما أثبته: «الزرَق». يقال زرقت عينه زَرَقاً إذا تغشى سوَادَها بياض، وقيل: الزرقة: خضرة في سواد العين. انظر اللسان: (زرق).

(3) زيادة من سع لإتمام المعنى.

يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمْ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ).

قال: ﴿ وَاللهُ يُرْزُقُ مَن يَّشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [تفسير بعضهم يقول: لا أحد يحاسبهم بما أعطاهم الله][1].

ذكروا عن أسماء بنت يزيد بن السَّكن الأنصارية قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا جمع الله الناس يوم القيامة: الأولين والآخرين جاء مناد فينادي: سيعلم الجمع من أولى بالكرم، أين الذين (لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ)؟ فيقومون، وهم قليل، إلى الجنة بغير حساب. ثم ينادي المنادى بصوت له رفيع يسمع الخلائق كلهم: سيعلم الجمع من أولى بالكرم؟ أين الذين (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)؟ فيقومون وهم أكثر من الصنف الأول إلى الجنة. ثم يرجع المنادي فينادي: سيعلم الجمع اليوم من أولى بالكرم، أين الحامدون الله في السراء والضراء الذين يحمدون الله على كل حال، فيقوسون وهم أكثر من الصنف الأول إلى الجنة، فيحاسب من بقي من الناس[2].

قال: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾ وهذا مثل المنافق. والقيعة القاع، وهو القرقر. ﴿ يَحْسِبُهُ الظَّمْئَانُ ﴾ أي: العطشان ﴿ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ﴾ يقول:

إن المنافق أقرّ بالله ربّاً، وبمحمد نبيّاً، وبما جاء به حقّاً، ولم يعمل لله شيئاً بما أقرّ له به، واعتمد على الإقرار دون الوفاء بالأعمال، حتى إذا صار إلى الآخرة لم يجد ثواب عمله إذ لم يكمل لله فرائضه، وحسب أن الله يُثيبه على الإقرار دون الوفاء بالأعمال؛ فكان مثله مثل العطشان الذي رأى السراب فظنَّ أنه ماء، حتى إذا جاءه لم

(1) زيادة من سع، ورقة 54 و.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم بسند عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد النهشلية الأنصارية، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عقبة بن عامر بألفاظ مختلفة.

يجده شيئاً. وهو كقوله: ﴿ مَثَلُ الذينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِم أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيَاحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: 18]. والعطشان مثل المنافق والسراب مثل إقراره يحسب أنه أغنى عنه شيئاً، حتى يأتيه الموت، فإذا جاءه الموت لم يجد إقراره أغنى عنه شيئاً إلا كما ينفع السَّرابُ العطشانَ[1].

قوله: ﴿ وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾ أي: ثواب عمله السيء وهو النار. ﴿ وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾.

ثم ضرب الله مثل المشرك فقال: ﴿ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ ﴾ فهذا مثل آخر للكافر المشرك، أي: مثل قلب المشرك في بحر لجي [أي: عميق قعير أي: غمر][2] ﴿ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ ﴾ ثم وصف ذلك الموج فقال: موج ﴿ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَـٰتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ أي: ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب وظلمة الليل، فكذلك قلب المشرك مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم. قال: ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَيٰهَا ﴾ أي: من شدة الظلمة ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾.

فهذه ثلاثة أمثال مثلها الله في هذه السورة: مثل المؤمن، ومثل المنافق، ومثل المشرك، بيّنة واضحة معقولة. قال: ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 43].

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَـٰفَّـٰتٍ ﴾ أي: بأجنحتها ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ قال مجاهد: الصلاة للإنسان، يعني المؤمن، والتسبيح لما سوى ذلك من خلقه. ﴿ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾.

(1) تفسير هذه الآية للشيخ هود الهواري ولا شك. وقد خالف فيه تفسير ابن سلام الذي جعل الآيتين هذه والتي تليها تعني الكافر مطلقاً، بينما فصل الشيخ هود فجعل الأولى للمنافق والثانية للمشرك. انظر سع ورقة 54 ظ.

(2) زيادة من سع ورقة 54 ظ؛ والقول لقتادة.

قوله: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ أي: البعث.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ﴾ أي: ينشىء سحاباً[1]. ﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ﴾ أي: يجمع بعضه إلى بعض ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً ﴾ [أي: بعضه على بعض][2] ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ ﴾ أي: المطر ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِ ﴾ أي: من خلال السحاب.

قال: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ ﴾ أي: ينزل من تلك الجبال التي هي من برد، والتي هي في السماء ﴿ فَيُصِيبُ بِهِ ﴾ أي: بذلك البرد ﴿ مَن يَّشَاءُ ﴾ فيهلك الزرع. كقوله: (رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ) أي: برد (أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ) [آل عمران: 117].

وما أصاب العباد من مصيبة فبذنوبهم، وما يعفو الله عنه أكثر. كقوله: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَت أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) [الشورى: 30].

ذكروا أن رجلاً قال لابن عباس: بتنا الليلة نمطر الضفادع. قال ابن عباس: صدقت، إن في السماء بحاراً.

قوله: ﴿ وَيَصْرِفُهُ عَمَّن يَّشَاءُ ﴾ أي: يصرف ذلك البرد عمن يشاء. ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ ﴾ أي: ضوء برقه ﴿ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَـٰرِ ﴾.

ذكروا عن عروة بن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: إذا رأى أحدكم البرق أو الودق فليسبحن الله ولينعت[3].

---

(1) كذا في المخطوطات وفي سع وفي ز: «ينشىء السحاب» وأصل الإزجاء هو الدفع والسوق برفق. قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 67: (يُزْجِي سَحَاباً) أي: يسوق، وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 256: «وقوله: (يُزْجِي سَحَاباً) يسوقه حيث يريد، والعرب تقول: نحن نزجي المطيَّ أي: نسوقه. اللهم إلا أن أراد المؤلف الإشارة إلى قوله تعالى في سورة الرعد: (وَيُنْشِىءُ السَّحَابَ الثِّقَالَ) الآية: 12.

(2) زيادة من ز، ورقة 54 ظ.

(3) كذا ورد هذا الحديث مرسلاً بلفظ: «فليسبحن الله وليبعث» في ب و ع وبلفظ: «فلا يشر إليه ولينعت» في سع ورقة 54 ظ. وفي الدر المنثور للسيوطي ج 4 ص 50 ما يلي: وأخرج الشافعي =

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: اطلبوا إجابة الدعاء عند ثلاثة مواضع: عند إقامة الصلاة، وعند نزول الغيث، وعند التقاء الجيوش[1].

قوله: ﴿ يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [هو أخذ كل واحد منهما من صاحبه كقوله: (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) [فاطر: 13] قال][2]: ﴿ إن فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ أي: لذوي الأبصار، وهم المؤمنون الذين أبصروا الهدى.

قوله: ﴿ وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: كل شيء خلق من ماء[2].

قوله: ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ ﴾ أي: الحيّة ونحوها ﴿ وَمِنهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ﴾ أي: ومنهم من يمشي على أكثر من ذلك. وإنما قال: (فَمِنْهُم مَّنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي) على كذا، ومنهم من يمشي على كذا، خلق الله كثير. قال: (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: 8].

قال: ﴿ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ يعني المنافقين ﴿ ءَامَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ أي: من بعد أن يقولوا (ءَامَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا) ﴿ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: لأنهم تولوا عن العمل بما أقروا لله وللرسول به.

قوله: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ أي: عن الإجابة إلى حكم الله وحكم رسوله وكتابه، يعني المنافقين الذين يقرّون ولا يعملون.

= عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: إذا رأى أحدكم البرق أو الودق فلا يشير إليه وليصف ولينعت.

(1) أخرجه ابن سلام هكذا: «وحدثني إبراهيم عن عبد العزيز بن عمر عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ. . . وأخرجه البيهقي في المعرفة كذلك عن مكحول مرسلاً.

(2) أخرجه ابن سلام بسند هكذا: «وحدثنا همام عن قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ»؛ ولم أجده فيما بين يدي من كتب الحديث.

قال: ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ قال مجاهد: مذعنين سزاعاً.

ذكروا عن الحسن قال: كان الرجل منهم يكون بينه وبين الرجل من المؤمنين خصومة، فيدعوه إلى النبي عليه السلام، فإن علم أن الحق له جاء معه إلى النبي عليه السلام، وإن علم أنه عليه لم يجيء معه إلى النبي، فأنزل الله: (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُم إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ).

قال: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ على الاستفهام، أي: في قلوبهم مرض النفاق وكفر النفاق ﴿ أَمِ ارْتَابُوا ﴾ فشكّوا في الله وفي رسوله، على الاستفهام، أي: قد فعلوا. ﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ﴾ والحيف الجور، أي: قد خافوا ذلك. ﴿ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ أي: ظلم النفاق [1].

عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: من دعي إلى حكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم لا حق له[2].

قوله: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ المُومِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾. فهذا قول المؤمنين، وذلك القول الأول قول المنافقين. قال: ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ فيكمل فرضه فيما تعبّده به من القول والعمل ﴿ وَيَخْشَ اللهَ ﴾ أي: فيما مضى من ذنوبه ﴿ وَيَتَّقِهِ ﴾ أي: فيما بقي ﴿ فَأُولَئِكَ ﴾ أي: الذين هذه صفتهم ﴿ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ أي: الناجون من النار إلى الجنة.

---

(1) ورد تفسير هذه الآية في ب و ع مضطرباً مع بعض التكرار فأثبت تصحيحه من سع ورقة 55 و ومن ز ورقة 235. وجاء في ب و ع في تفسير قوله: (أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ) ما يلي: «أي: لم يخافوا أن يحيف الله عليهم ورسوله، وإنما خافوا عدلهما عليهم».

(2) كذا ورد هذا الحديث في ب و ع، وفي سع ورقة 55 و، جاء في أوله: «من كان بينه وبين آخر خصومة فدعاه إلى حكم. . .» ورواه السيوطي في الدر المنثور ج 5 ص 54 بلفظ: «من كان بينه وبين أخيه شيء فدعاه. . .» وذكره ابن كثير في تفسير ج 5 ص 116 وقال عنه: وهذا حديث غريب وهو مرسل.

قوله: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ يعني المنافقين ﴿ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾ أي: إلى الجهاد معه، أي: اقسموا ولم يستثنوا، وفيهم الضعيف والمريض، ومن يوضع عنه الخروج ممن له العذر.

قال الله: ﴿ قُل لَّا تُقْسِمُوا ﴾ أي: لا تحلفوا. ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ أي: خير. وهذا إضمار، أي: طاعة معروفة خير مما تُضمِرون من النّفاق. ﴿ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ قُل أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ أي: في كل ما تعبّدكم به فأكمِلوه، وأوفوا به أجمع. ثم قال: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أي: عن الوفاء بما أقرّوا لك به[1] ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ ﴾ يعني الرسول ﴿ مَا حُمِّلَ ﴾ أي: من البلاغ ﴿ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾ أي: من طاعته في جميع ما كلّفكم منها.

ذكروا أن يزيد بن سلمة[2] قام للرسول ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إذا كان علينا أمراء، أخذونا بالحق ومنعوناه، كيف نصنع؟ فأخذ الأشعث بثوبه فأجلسه، [ثم قام فعاد أيضاً، فأخذ الأشعث بثوبه][3] فقال: لا أزال أسأله حتى يجيبني أو تغيب الشمس، فقال رسول الله ﷺ: اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حمّلوا وعليكم ما حمّلتم[4].

---

(1) كذا في ب و ع، ويبدو أن هذا سهو من ناسخ، والأصح أن تكون العبارة هكذا: «عما أقررتم له به»، ففي سع ورقة 55 ط وفي ز: «فإن أعرضتم عنها» على تقدير: فإن تتولوا. وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين. انظر معاني الفراء ج 2 ص 258، فقد بيّن المعنى أحسن بيان وفصل فيه القول بما لا مزيد عليه، وانظر كذلك تفسير الطبري ج 18 ص 158.

(2) كذا في المخطوطات «يزيد بن سلمة»، وفي صحيح مسلم «سلمة بن يزيد». وقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب ج 2 ص 644 اختلاف الرواة في اسمه هل هو سلمة بن يزيد أو يزيد بن سلمة، وأورد اسمه في موضعين: في باب سلمة، وفي باب يزيد. وهو يزيد بن سلمة بن مشجعة، كوفي، روى عنه علقمة بن قيس.

(3) زيادة من سع ورقة 55 و.

(4) الحديث صحيح. أخرجه مسلم والترمذي، أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق عن وائل الحضرمي (رقم 1846).

قوله: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ وإن تطيعوه، يعني النبي عليه السلام ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴾ كقوله: (وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً) [الأنعام: 107] أي: تحفظ عليهم أعمالهم حتى تجازيهم بها.

قوله: ﴿ وَعَدَ اللهُ الذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ من الأنبياء والمؤمنين ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ أي: لينصرنّهم بالإسلام حتى يظهرهم على الدّين كلّه فيكونوا الحكامَ على أهل الأديان.

ذكروا عن ميمون بن مهران الجزري أن عمر بن عبد العزيز قال: الله أجل وأعظم من أن يتخذ في الأرض خليفة واحداً، والله يقول: (وَعَدَ اللهُ الذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ)، ولكني أثقلكم حملاً][1].

قال: ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾ كقوله: (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَّتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ)، فارس والروم، (فَآوَيٰكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) [الأنفال: 26].

قال: ﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الفَٰسِقُونَ ﴾. يقول: من أقام على كفره بعد هذا الذي أنزلت فأولئك هم الفاسقون، أي: فسق الشرك.

قوله: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ﴾ أي: الصلوات الخمس. وإقامتها أن يُحافظ على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. ﴿ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ﴾ يعني الزكاة المفروضة ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ أي: فيما أمركم ودعاكم إليه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أي: فإنكم ترحمون إذا فعلتم ذلك[2].

قوله: ﴿ لَا تَحْسِبَنَّ الذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَيٰهُمُ النَّارُ ﴾ أي: لا

(1) زيادة من سع ورقة 55 و.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 69: « (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ): واجبة من الله».

تحسبنّهم يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنحاسبهم، وحسابهم أن يكون مأواهم النار ﴿ وَلَبِئْسَ المَصِيرُ ﴾ أي: المرجع والمأوى، أي: المنزل.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَئْذِنْكُمُ الذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَالذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَٰتٍ مِّنْ قَبْلِ صَلَوٰةِ الفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ ﴾ وهو نصف النهار عند القائلة ﴿ وَمِنْ بَعْدِ صَلَوٰةِ العِشَاءِ ثَلَـٰثُ عَـوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ ﴾ أي: حرج وهو الإثم ﴿ بَعْدَهُنَّ طَـوَّٰفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ الأَيَـٰتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ وهن الساعات التي يخلو فيهن الرجل بأهله لحاجته منها.

فأما قوله: (لِيَسْتَأذِنْكُمُ الذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) فهم المملوكون: الرجال والنساء الذين يخدمون الرجل في بيته، ومن كان من الأطفال المملوكين الذين لم يبلغوا الحلم.

قال: (وَالذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ) يعني الأطفال الذين يحسنون الوصف إذا رأوا شيئاً، وكذلك من كان مثلهم من المملوكين، إلا الصغار الذين لا يحسنون الوصف إذا رأوا شيئاً من الأحرار والمملوكين، فلا ينبغي لهؤلاء الكبار والذين لا يحسنون الوصف أن يدخلوا في هذه الثلاث ساعات إلا بإذن، إلا أن لا يكون للرجل إلى أهله حاجة[1]. ولا ينبغي له إذا كانت له إلى أهله حاجة أن يطأ أهله ومعه في البيت من هؤلاء أحد. فلذلك لا يدخلون في هذه الثلاث ساعات إلا بإذن.

قال: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ) أي: حرج (بَعْدَهُنَّ) أي: بعد هذه الثلاث ساعات، أن يدخلوا بغير إذن. (طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ) أي: يدخلون بغير إذن، (بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَـٰتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

ذكروا عن عبيد الله بن أبي يزيد قال: دخلت على ابن عباس فأراني وصيفة له خماسية فقال: ما تدخل عليّ هذه في هذه الثلاث ساعات إلا بإذن.

(1) وردت هذه العبارة فاسدة وناقصة في ب و ع، فأثبت التصحيح من سع و ز.

ذكروا عن الحسن عن رجل قال له: إنا قوم تجار، نسافر هذه الأسفار، وتكون مع أحدنا الجواري، ويكون معه خباء، وهن معه في الخباء، فهل يطأ واحدة منهن وهن معه في الخباء[1] فغضب، وقال: لا.

قوله: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ يعني من احتلم. ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: هكذا ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في أمره.

قوله: ﴿وَالقَوَٰعِـدُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ أي: التي قعدت عن المحيض والولد ﴿ الَّـٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً ﴾ أي: اللاتي لا يردن نكاحاً، قد كبُرن عن ذلك ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَّضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍ بِزِينَةٍ ﴾ أي: غير متزيّنة ولا متشوّفة. [قال قتادة: رخص للتي لا تحيض ولا تحدث نفسها بالأزواج أن تضع جلبابها][2] وأما التي قعدت عن المحيض ولم تبلغ هذا الحدّ فلا. والجلباب الرداء الذي يكون فوق الثياب، وإن كان كساء أو ساجاً[3] أو ما كان من ثوب.

قال: ﴿ وَأَن يَّسْتَعْفِفْنَ ﴾ يعني اللاتي لا يرجون نكاحاً عن ترك الجلباب ﴿ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ قال الكلبي: إن أهل المدينة قبل أن يسلموا كانوا يعتزلون الأعمى والأعرج والمريض ولا يواكلونهم. وكانت الأنصار فيهم تنزّه وتكرّم، فقالوا: إن الأعمى لا يبصر طيّب الطعام، والأعرج لا يستطيع الزحام عند الطعام، والمريض لا يأكل كما يأكل الصحيح، فاعزلوا لهم طعامهم على ناحية، وكانوا يرون أن عليهم في مواكلتهم

(1) كذا في ع و ب، وفي سع ورقة 55 ظ: «إنا قوم تجار نسافر ونشتري الجواري فننزل في الخباء فيكن جميعاً أفيغشى الرجل منا جارية من جواريه في الخباء وهن فيه؟...»

(2) زيادة من ز ورقة 33، وقد سقطت في ب و ع وسع أيضاً، ولا بد من إثباتها حتى يكون لشرح معنى الجلباب الآتي معنى.

(3) الساج هو الطيلسان الكثيف. انظر اللسان: (سوج).

جناحاً. وكان الأعمى والأعرج والمريض يقولون: لعلّنا نؤذيهم إذا أكلنا معهم، فاعتزلوا مواكلتهم، فأنزل الله: ﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ أي: ليس عليكم حرج في ذلك ولا على الذين تأثموا من أمرهم، ليس عليهم في ذلك حرج.

وبعضهم يقول: كان قوم من أصحاب النبي عليه السلام يغزون ويخلفون على منازلهم من يحفظها، فكانوا يتأثّمون أن يأكلوا منها شيئاً. فرخّص لهم أن يأكلوا منها.

وقال بعضهم: كانوا يخلفون عليها الأعمى والأعرج والمريض والزمني الذين لا يخرجون في الغزو فرخّص لهم أن يأكلوا منها.

وقال بعضهم: مُنِعت البيوت زماناً؛ كان الرجل لا يتضيّف[1] أحداً ولا يأكل في بيت أحد تأثماً من ذلك[2].

[قال يحيى بلغني أن][3] ذلك كان حين نزلت هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ [النساء: 29] فكان أول من رخّص الله له الأعمى والأعرج والمريض، ثم رخص الله لعامّة المؤمنين؛ فقال:

﴿ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ فلا بأس أن يأكلوا من بيوت هؤلاء بغير إذن.

قوله: ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ ﴾ قال بعضهم: هم الذين خُلِّفوا على تلك المنازل وجعلت مفاتحها بأيديهم. وقال بعضهم: هم المملوكون الذين هم خزنة على بيوت

---

(1) يقال أضفتُ الرجلَ وضَيَّفتُه إذا أنزلتَه بك ضيفاء وقَرَيْتَه. وضِفتُ الرجلَ ضِيافة إذا نزلتَ عليه ضيفاً. وكذلك تضيّفتُه.

(2) انظر في أسباب نزول الآية روايات عددها الواحدي في أسباب النزول ص 343 - 344.

(3) زيادة من سع ورقة 56 و حتى ينسب كل قول إلى صاحبه.

مواليهم. قال الحسن: ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ ﴾ أي: خزائنه، أي: مما كنتم عليه أمناء.

قوله: ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ [قال قتادة: فلو أكلت من بيت صديقك عن غير مؤامرته لكان الله قد أحل لك ذلك][1].

ذكروا عن الحسن أنه سئل عن الرجل يدخل بيت أخيه، يعني صديقه، فيخرج صاحب البيت، فيرى صديقه الشيء من الطعام في البيت، أيأكله بغير إذنه؟ فقال: كُلْ من طعام أخيك.

قال الحسن [بن دينار]: كنا في بيت قتادة[2] ونحن جماعة فأُتينا ببُسر، فتناول رجل من القوم بسرات فأمسكهن، ثم قال: يا أبا الخطاب، إني قد أخذت من هذا البسر. فقال: هو لك حلال وإن لم تذكره لي، لأنك مؤاخيّ.

قال بعضهم[3]: لم يذكر الله في هذه الآية بيوت الابن، فرأيت أن النبي عليه السلام إنما قال للابن: أنت ومالك لأبيك[4] من هذه الآية؛ لأنه قال: ﴿ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ ولم يقل: أو بيوت أبنائكم. ثم ذكر ما بعد ذلك من القرابة حتى ذكر الصديق ولم يذكر الابن.

قوله: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً ﴾ قال بعضهم: كان بنو

(1) زيادة من سع ورقة 56 و.

(2) في ب و ع: جاءت الرواية هكذا: «قال الحسن كنا عند رجل من الصحابة في بيته»، وهو خطأ محض، فإن قتادة، وهو الذي يكنى أبا الخطاب، لم يكن صحابياً، فأثبت التصحيح من سع كما وردت في ورقة 56 و. وهذا نموذج من الاضطراب والخلط في الروايات كما تكررت في ب و ع.

(3) هو يحيى بن سلام كما ورد ذكر اسمه في ز وفي سع. وهذا دليل على تفقهه في الدين وقوة استنباطه ونفاذه إلى أسرار القرآن.

(4) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب التجارات، باب ما للرجل من مال ولده (رقم 2291) عن جابر بن عبد الله، وفي الباب حديث آخر (رقم 2290) ترويه عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم.

كنانة بن خزيمة يرى أحدهم أنّ محرّماً عليه أن يأكل وحده في الجاهلية، حتى أن الرجل لَيَسوق الذَّوْدَ الحُفَّل[1] وهو جائع فلا يأكل أو يشرب حتى يجد من يؤاكله ويشاربه، فأنزل الله هذه الآية.

قوله: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً كَـذَٰلِـكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الأَيَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: لكي تعقلوا. أي: إن دخل على قوم سلّم عليهم، وإن كان رجل واحد سلّم عليه.

قوله: (فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ) أي: على إخوانكم، أي: يسلّم بعضكم على بعض.

وإذا دخل الرجل بيته سلَّم عليهم. [وقال قتادة: إذا دخلت فسلّم على أهلك فهم أحق من سلّمت عليه، فإذا دخلت بيتاً لا أحد فيه فقل: سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنه كان يؤمر بذلك، حدثنا أن الملائكة ترد عليه][2].

وإذا دخل الرجل المسجد قال: بسم الله، سلام على رسول الله ﷺ، اللهم اغفر لي ذنبي وافتح لي أبواب رحمتك. فإن كان مسجداً كثير الأهل سلَّم عليهم، يُسمع نفسَه، وإن كان قليل الأهل سلّم عليهم، يُسمعهم التسليمَ، وإن لم يكن فيه أحد قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام علينا من ربّنا.

وإذا دخل بيتاً غير مسكون مما قال الله: (فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ) وهي الفنادق ينزلها الرجل المسافر ويجعل فيها متاعه، فإذا دخل البيت قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام علينا من ربنا.

[خالد عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: يسلّم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير.

---

(1) الذَّوْدُ هي الإبل ما بين الثلاث إلى العشر. والحُفَّل منها: الممتلئة ضروعها لبناً.

(2) ما بين المعقوفين زيادة من سع ورقة 56 و لتمام الفائدة.

وقال أيضاً: يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير[1].

[قال يحيى: يعني][2] ويسلم راكب الدابة على راكب البعير، ويسلم الفارس على صاحب الحمار والبغل.

وقال بعضهم: إذا سلّم رجل على القوم فردّ رجل منهم أجزأ عنهم، وإذا كانوا ناساً فسلم رجل منهم على المجلس أجزأ عنهم[3].

وكان الحسن يقول: كان النساء يسلّمن على الرجال ولا يسلم الرجال على النساء. وكان ابن عمر يسلّم على النساء، وغير واحد من السلف أنهم كانوا يسلّمون على النساء.

قال بعضهم: إذا كان النساء على الطريق فلقيهن الرجل جلس النساء ويسلم الرجل، وإن كانت فيهم امرأة فدخلت ردّت السلام على الرجال من بينهن، وكان ردها السلام عمن بقي منهن[4].

ذكروا أن رسول الله ﷺ مرّ بغلمان فسلّم عليهم[5].

---

(1) وردت ألفاظ هذين الحديثين بتقديم وتأخير في ب و ع، غير مرفوعين إلى رسول الله ﷺ، والصواب أنهما صحيحان متفق عليهما، أخرجهما البخاري في كتاب الأدب، أخرج الأول منهما البخاري في باب تسليم الراكب على الماشي، وأخرج الثاني في باب تسليم القليل على الكثير، وأخرجهما مسلم في كتاب السلام، باب يسلم الراكب على الماشي، والقليل على الكثير (رقم 2160) وكلا الحديثين من رواية أبي هريرة عندهما.

(2) زيادة من سع ورقة 56 ظ.

(3) وردت هذه الجمل ناقصة في ب و ع فأثبتها من سع ورقة 56 ظ حيث جاءت حديثاً لرسول الله ﷺ رواه زيد بن أسلم مرسلاً ولم أجده مرفوعاً فيما بين يدي من كتب الحديث.

(4) هذه الفقرة غير واردة في سع ولا في ز، وهي مما انفردت بروايتها ب و ع على ما فيها من غموض فكيف تجلس النساء على الطريق ويسلم الرجل؟.

(5) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب استحباب السلام على الصبيان عن أنس بن مالك (رقم 2168) وكذلك فعل ثابت البناني اتباعاً لفعل أنس، وفعله أنس اقتداء بالنبي ﷺ.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: السلام اسم من أسماء الله[1]

ذكروا عن ابن مسعود قال: السلام اسم من أسماء الله، وضعه الله في الأرض، فأفشوه بينكم، فإن المرء إذا مر بالقوم، فسلم عليهم، فردوا عليه كانت له عليهم فضيلة ودرجة بأنه ذكرهم السلام، فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منه وأطيب، وهم الملائكة عليهم السلام[2].

ذكروا أن رجلاً كان يمشي مع أبي هريرة قال: فمررنا بقوم فسلّمنا عليهم، قال: فلا أدري أشغلهم الحديث أو ما منعهم أن يردّوا السلام، فقال أبو هريرة: سلام ربي والملائكة أحبّ إليّ.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: للمسلم على المسلم من المعروف ست خصال: يسلم عليه إذا لقيه، ويشمّته إذا عطس، ويجيبه إذا دعاه، ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب أو شهد، ويشهد جنازته إذا مات[3].

قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُومِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ ﴾ أي: الجمعة والعيدين والاستسقاء وكل شيء تكون فيه الخطبة ﴿ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ أي: يستأذنوا الرسول عليه السلام. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُومِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي: مصدّقين بالله ورسوله، عاملين بجميع فرائضه، غير منافقين ولا منتقصين لشيء من فرائض الله التي فرضها عليهم.

﴿ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ﴾ يريد الغائط والبول[4]، ولكن الله كنّى عن

(1) انظر تخريجه فيما سلف ج 1 ص 458 تعليق: 1.

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود، وأول الحديث الذي نسب إلى ابن مسعود هنا موقوفاً هو حديث صحيح، رواه البزار والبيهقي مرفوعاً، كما رواه البخاري في الأدب المفرد.

(3) أخرجه النسائي في كتاب الجنائز عن أبي هريرة بتقديم وتأخير في ترتيب الخصال الست، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجنائز أيضاً، باب ما جاء في عيادة المريض، (رقم 1433) عن علي، وأخرجه مسلم في كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم ردّ السلام، عن أبي هريرة.

(4) الصحيح أنها الحاجات أياً كانت، فقد تعرض لهم حاجات من أمور دنياهم يستأذنون الرسول لقضائها.

ذلك ﴿ فَأْذَن لِّمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ وقد أوجب الله على النبي والإمام بعده أن يأذن لهم، ولكن الله أراد بذلك إكرام النبي عليه السلام وإعظام منزلته. فإذا كانت لرجل حاجة قام حيال الإمام، وأمسك بأنفه وأشار بيده.

قال: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال بعضهم: إنها نسخت الآية في براءة: (عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ) [التوبة: 44]. وهي عنده في الجهاد، لأن المنافقين كانوا يستأذنونه في المقام عن الغزو بالعلل الكاذبة، فرخّص الله للمؤمنين أن يستأذنوه إذا كان لهم عذر.

وبعضهم يقول: (إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ) أمر طاعة.

قوله: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ﴾ أي: لا تقولوا: يا محمد، ولكن قولوا: يا رسول الله، ويا نبي الله، في لين وتواضع وتودّد.

أمرهم الله أن يعظّموا الرسول، ويعظّموا حرمته ولا يستخفوا بحقه[1]، وأمرهم أن يجيبوه لما دعاهم إليه من الجهاد والدين.

قوله: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً ﴾ أي: فراراً من الجهاد في سبيل الله، يعني المنافقين، يلوذ بعضهم ببعض استتاراً من النبي عليه السلام حتى يذهبوا.

قال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ أي: عن أمر الله، يعني المنافقين ﴿ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي: بلية ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: وجيع. أي: أن يستخرج الله ما في قلوبهم من النفاق حتى يظهروه ويتباينوا به، فيصيبهم بذلك العذاب الأليم، أي: القتل.

هو كقوله: (لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ المُنَافِقُونَ وَالذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالمُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ) وكل هؤلاء منافقون، لئن لم ينتهوا ويكفوا عن إظهار نفاقهم وإرجافهم

(1) كذا في ب، وفي ع: «ولا يستخفوا به».

(لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) يا محمد (ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا) أي: في المدينة (إِلَّا قَلِيلاً) ثم قال: (مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً) قال: (سُنَّةَ اللهِ فِي الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) [الأحزاب: 60 - 62] أي: من قبلك يا محمد من الأنبياء، يقول: هكذا كانت سنة الله في منافقي أمتك: القتل إن لم ينتهوا ويكفوا؛ فانتهوا وكفّوا، فكفّ رسول الله ﷺ عن قتالهم[1].

قوله: ﴿ أَلَا إِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: من النفاق، يعني المنافقين ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ يقول للنبي: ويوم يرجعون إليه، أي: يوم القيامة ﴿ فَيُنَبِّئُهُمْ ﴾ أي: فيخبرهم ﴿ بِمَا عَمِلُوا ﴾ أي: من النفاق والكفر ﴿ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أي: فلا أعلم منه سبحانه.

(1) هذه الفقرة كلها غير واردة في سع ولا في ز، فهي من زيادات الشيخ هود الهواري ولا شك.

تفسير سورة الفرقان
وهي مكية كلها

قوله: ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ تَبَارَكَ ﴾ وهو من باب البركة[1] كقوله: (تَعَالَىٰ) أي: ارتفع. قوله: (الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ) أي: القرآن. وفُرقانه حلاله وحرامه، وفرائضه وأحكامه.

﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ أي: ينذرهم النار وعذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة إن لم يؤمنوا.

قال: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾.

ذكر بعضهم قال: كل شيء بقدر حتى هذه، ووضع طرف أصبعه السبابة على طرف لسانه ثم وضعها على ظفر إبهامه اليسرى.

قوله: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ﴾ أي: من دون الله ﴿ ءَالِهَةً ﴾ يعني الأوثان ﴿ لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ أي: لا يصنعون شيئاً، أي: إنهم يصنعونها بأيديهم.

ذكر بعضهم في قوله: (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) يعني أصنامهم التي عملوها بأيديهم (وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [الصافات: 95 - 96] أي: بأيديكم. قوله:

(1) في ز، ورقة 237 ما يلي: «ومعنى البركة عند أهل اللغة الكثرة في كل ذي خير». والقول لابن أبي زمنين. وهو مروى أيضاً عن ابن عباس، وانظر مختلف معاني الكلمة في اللسان: (برك) وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 262: «وهو من البركة، وهو في العربية كقولك تقدس ربنا. والبركة والتقدس: العظمة، وهما بعد سواء».

﴿ وَلاَ يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ﴾ يعني الأوثان ﴿ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلاَ حَيَوٰةً ﴾ أي: لا يميتون أحداً ولا يحيون أحداً ﴿ وَلاَ نُشُوراً ﴾ أي: ولا بعثاً، لا يملكون شيئاً من ذلك.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا ﴾ يعنون القرآن ﴿ إِلاَّ إِفْكٌ ﴾ أي: كذب ﴿ افْتَرَيٰهُ ﴾ يعنون محمداً عليه السلام ﴿ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ أي: اليهود في تفسير مجاهد. وقال الحسن: يعنون عبد ابن الحضرمي. وقال الكلبي: عبد ابن الحضرمي، وعداس غلام عتبة.

قال الله: ﴿ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً ﴾ أي: أتوا شركاً وكذباً. والظلم ها هنا الشرك، والزور الكذب.

﴿ وَقَالُوا أَسَـٰطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي: كذب الأولين وباطلهم؛ أي: أحاديث الأولين ﴿ اكْتَتَبَهَا ﴾ يعنون محمداً عليه السلام اكتتب أساطير الأولين من عبد[1] ابن الحضرمي. وقال الكلبي من عبد ابن الحضرمي وعداس غلام عتبة بن ربيعة. ﴿ فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ والأصيل العشي.

قال الله: ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ ﴾ أي: القرآن ﴿ الذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالُوا مَا لِ هٰذَا الرَّسُولِ ﴾ [فيما يدعى أنه رسول][2] ﴿ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ ﴾ أي: هلا ﴿ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً ﴾ أي: فيصدقه بمقالته. ﴿ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ ﴾ فإنه فقير ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾. وبعض الكوفيين يقرأها: نأكل منها. ﴿ وَقَالَ الظَّـٰلِمُونَ ﴾ أي: المشركين يعنيهم ﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴾.

---

(1) في المخطوطات: «عند» والصواب ما أثبته إن شاء الله لأنه كان «مولى» أي: عبداً «لبني الحضرمي» كما ذكرته بعض كتب التفسير.

(2) زيادة من سع 58 ظ، ومن ز ورقة 238.

قال الكلبي: بلغني أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام بن عتبة بن ربيعة في رهط من قريش قاموا من المسجد إلى دار في أصل الصفا، فيها نبي الله يصلي، فاستمعوا. فلما فرغ نبي الله من صلاته قال أبو سفيان: يا أبا الوليد، لعتبة، أناشدك الله، هل تعرف شيئاً مما يقول؟ فقال عتبة: اللهم إني أعرف بعضاً وأنكر بعضاً. [فقال أبو جهل: فأنت يا أبا سفيان، هل تعرف شيئاً مما يقول؟ فقال: اللهم نعم، فقال أبو سفيـان لأبي جهل: يا أبا الحكم، هل تعرف مما يقول شيئاً][1] فقال أبو جهل: لا والذي جعلها بنية، يعني الكعبة، ما أعرف ما يقول قليلاً ولا كثيراً، و(إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً).

قوله: ﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَـلَ ﴾ يعني قولهم: (إِنْ هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرٰهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ) وقولهم: (أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا)، وقولهم: مَا لِ هٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ) وقولهم: ساحر وشاعر وكاهن ومجنون، و(لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا). قال الله: (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ).

قال: ﴿ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ أي: مخرجاً من الأمثال التي ضربوا لك، في تفسير مجاهد[2].

قوله: ﴿ تَبَارَكَ الذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّنْ ذَلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ ﴾ فإنما قالوا هم: جنة واحدة ﴿ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً ﴾ أي: في الدنيا إن شاء، وهذا على مقرأ من قرأها ولم يرفعها، ومن قرأها بالرفع: ويجعلُ لك قصوراً، أي: في الآخرة.

قال: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾ أي: بالقيامة ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ

(1) زيادة من سع 58 ظ لا بد من إثباتها حتى يستقيم المعنى بمشاركتهم كلهم في السؤال والجواب، وقد سقط ما بين المعقوفين كله من ب و ع.

(2) زيادة من ز ورقة 238، وقد جاء في تفسير مجاهد ص 447: «يقول: لا يستطيعون مخرجاً يخرجهم من الأمثال التي ضربوا لك».

سَعِيراً ﴾ والسعير اسم من أسماء جهنم.

قوله: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [قيل][1]: مسيرة خمسمائة سنة ﴿ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً ﴾ أي: عليهم ﴿ وَزَفِيراً ﴾ أي: صوتها.

قوله: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا ﴾ أي: في النار ﴿ مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ ﴾ ذكروا عن عبد الله بن عمر أنه كان يقول: إن جهنم لتضيق على الكافر كضيق الزّجّ على الرمح، وقوله: (مُقَرَّنِينَ)، أي: هو وشيطانه الذي كان يدعوه إلى الضلالة في سلسلة واحدة، يلعن كل منهما صاحبه، ويتبرَّأ كل واحد منهما من صاحبه.

قوله: ﴿ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴾ أي: ويلاً وهلاكاً. ﴿ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً ﴾ ويلاً وهلاكاً واحداً ﴿ وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً ﴾ [أي: ويلاً كثيراً وهلاكاً طويلاً][2].

ثم قال على الاستفهام: ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ ﴾ أي: إن جنة الخلد خير من ذلك ﴿ التِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً ﴾ أي: بقدر أعمالهم ﴿ وَمَصِيراً ﴾ أي: يصيرون إليها وتكون لهم منزلاً ومثوى.

﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ﴾ أي: لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَّسْئُولاً ﴾ أي: سأل المؤمنون الله الجنة فأعطاهم إياها. وقال بعضهم: سألت الملائكة الله للمؤمنين الجنة، وسؤالهم ذلك كان في سورة حمٓ المؤمن إذ قالوا: (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ التِي وَعَدتَّهُمْ. . .) إلى آخر الآية [غافر: 8].

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ ﴾. وهذا على الاستفهام، وقد علم أنهم لم يضلّوهم، يقوله للملائكة في

(1) زيادة يقتضيها سياق المعنى، فإنه لم يرد في ذلك نصٌّ قطعيٌّ.

(2) زيادة من سع ورقة 59 و. وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 71: «(دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً) أي هلكة، وهو مصدر، ثُبر الرجلُ، أي: هلك. قال [ابن الزّبعرى]:

إِذْ أُجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الغَـ ... ـيِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ»

تفسير الحسن. وقال مجاهد: يقوله للملائكة وعيسى وعزير. ونظير قول الحسن في هذه الآية: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهْؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ) أي: الشياطين من الجن. [سبأ: 40 - 41] ﴿ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾.

﴿ قَالُوا ﴾ قالت الملائكة في تفسير الحسن. وقال مجاهد: قالت الملائكة وعيسى وعزير: ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ يُنزِّهون الله عن ذلك ﴿ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي: لم نكن نواليهم على عبادتهم إيانا. وبعضهم يقرأها: (أَن نُتَّخَذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَعْبُدُونَنَا مِنْ دُونِكَ).

﴿ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ ﴾ في عيشهم في الدنيا بغير عذاب ﴿ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ ﴾ أي: حتى تركوا الذكر لما جاءهم في الدنيا. ﴿ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً ﴾. أي: فاسدين فساد الشرك. وقال مجاهد: هالكين.

قال الله لهم في الآخرة: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ﴾. قال الحسن: يقول للمشركين: (فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ) أي: إنهم آلهة.

وفي تفسير مجاهد قال: يكذبون المشركين بقولهم، إذ جعلوهم آلهة، فانتفوا من ذلك ونزّهوا الله عنه. وبعضهم يقرأها: (بِمَا يَقُولُونَ) يعني قول الملائكة في قول الحسن، وفي قول مجاهد: الملائكة وعيسى وعزير.

قال: ﴿ فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلاَ نَصْراً ﴾ قال الحسن: فما يستطيع الذين عبدوهم لهم (صَرْفاً)، أي: أن يصرفوا عنهم العذاب، (وَلاَ نَصْراً) أي: ولا ينصرونهم.

قوله: ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنْكُمْ ﴾ أي: ومن يشرك منكم وينافق ﴿ نُذِقْهُ ﴾ أي: نعذّبه ﴿ عَذَاباً كَبِيراً ﴾ كقوله: (إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللهُ العَذَابَ الأَكْبَرَ) [الغاشية: 23 - 24].

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ المُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ [أي: إلا

إنهم كانوا يأكلون الطعام][1]، كقوله: (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) [الأنبياء: 8] أي: ولكن جعلناهم جسداً يأكلون الطعام. قال: ﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ فهذا جواب للمشركين حيث قالوا: (مَا لِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ).

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ويل للمالك من المملوك، وويل للمملوك من المالك، وويل للغني من الفقير، وويل للفقير من الغني، وويل للعالم من الجاهل، وويل للجاهل من العالم، وويل للشديد من الضعيف، وويل للضعيف من الشديد[2].

قال الحسن: ويل لهذا المالك إذ رزقه الله هذا المملوك، كيف لم يحسن إليه ويصبر، وويل لهذا المملوك الذي ابتلاه الله فجعله لهذا المالك كيف لم يصبر ويحسن. وويل لهذا الغني الذي رزقه الله ما لم يكرّم[3] هذا الفقير، كيف لم يحسن ولم يصبر، وويل لهذا الفقير الذي ابتلاه الله بالفقر ولم يعطه ما أعطى هذا الغني، كيف لم يصبر. وبقية الحديث على هذا النحو.

ذكروا عن أبي الدرداء قال: ويل لمن لا يعلم مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات[4].

---

(1) زيادة من سع 59 و. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 264: «(لَيَأكُلُونَ) صلة لاسم متروك اكتفى بمن المرسلين منه، كقيلك في الكلام: ما بعثت إليك من الناس إلا من إنه ليطيعك».

(2) أورد ابن سلام هذا الحديث مرسلاً هكذا: «أبو الأشهب عن الحسن والمبارك عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ...»، ولم أعثر عليه فيما بين يدي من كتب التفسير والحديث. وروى السيوطي في الدر المنثور ج 5 ص 66 قال: «وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن عن النبي ﷺ قال: لو شاء الله لجعلكم أغنياء كلكم لا فقير فيكم، ولو شاء لجعلكم فقراء كلكم لا غنى فيكم ولكن ابتلى بعضكم ببعض».

(3) كذا في ع، «يكرم»، وفي سع: «ما لم يرزق».

(4) ما نسب إلى الدرداء هنا ألفاظ شبيهة بحديث رواه أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك =

وقال بعضهم: (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ) يعني الأنبياء وقومهم[1]. قال: (وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً).

ذكروا عن الحسن قال: لما عرض على آدم ذريته فرأى فضل بعضهم على بعض قال: يا رب، ألا سوّيت بينهم. قال: يا آدم إني أحبّ أن أُشكَر ليرى ذو الفضل فضلَه فيحمدني ويشكرني.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ وهم المشركون لا يقرون بالبعث[2]. ﴿ لَوْلاَ ﴾ أي: هلاّ ﴿ أُنْزِلَ عَلَيْنَا المَلاَئِكَةُ ﴾ [فيشهدوا أنك رسول الله يا محمد ﴿ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾ معاينة، فيخبرنا أنك رسول الله.

قال الله: ﴿ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً ﴾ أي: وعصوا عصياناً كبيراً.

قال: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ المَلاَئِكَةَ ﴾ وهذا عند الموت ﴿ لاَ بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: للمشركين، وهذا جرم الشرك، أي: لا بشرى لهم يومئذ بالجنة. وذلك أن المؤمنين تبشرهم الملائكة عند الموت بالجنة. قال الله: (إِنَّ الذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلاَئِكَةُ) عند الموت (أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ التِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) [فصلت: 30]. وتفسير مجاهد: (يَوْمَ يَرَوْنَ المَلاَئِكَةِ) يوم القيامة.

قال: ﴿ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً ﴾ أي: وتقول الملائكة: حرام محرم أن

= عن النبي ﷺ قال: ويل لمن لم يعلم مرة، وويل لمن يعلم ولم يعمل مرتين. انظر مسند الربيع ابن حبيب باب في طلب العلم لغير الله عز وجل وعلماء السوء، (رقم 32) ج 1 ص 14.

(1) كذا في ع، وفي سع ورقة 59 ط: «يعني الرسل، على ما يقول لهم قومهم» وهو أوضح معنى.

(2) ولأبي عبيدة والفراء تأويل آخر. قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 73 : «(وَقَالَ الذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) مجازه: لا يخافون ولا يخشون، وقال أبو ذؤيب:

إذَا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَامِلِ»

تكون لهم الجنة. وقال مجاهد: ﴿ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً ﴾ [يعني عوذاً معاذاً][1] أي: معاذ الله أن تكون لهم البشرى بالجنة.

قوله: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾ أي: وعمدنا. وفي تفسير مجاهد: ﴿ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾ أي: حسن، يعني المشركين ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ ﴾ أي: في الآخرة ﴿ هَبَاءً مَّنْثُوراً ﴾ وهو الذي يتناثر من الغبار الذي يكون من أثر حوافر الدوابّ إذا سارت. وفي الآية: ﴿ هَبَاءً مُّنْبَثّاً ﴾ [الواقعة: 6] وهو الذي يدخل من الكوّة من ضوء الشمس. وتفسير مجاهد: ﴿ هَبَاءً مَّنْثُوراً ﴾ هو عنده هذا.

قوله: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً ﴾ أي: من مستقرّ المشركين ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ أي: مأوى ومنزلاً.

ذكر بعضهم قال: يجاء يوم القيامة برجلين كان أحدهما ملكاً في الدنيا إلى الحمرة والبياض[2] فيُحاسَب فإذا هو عبد لم يعمل خيراً فيؤمر به إلى النار، والآخر كان مسكيناً في الدنيا، أو كما قال، فيحاسب، فيقول: يا رب، ما أعطيتني من شيء فتحاسبني به، فيقول: صدق عبدي فأرسلوه، فيؤمر به إلى الجنة. ثم يُتركان ما شاء الله، ثم يدعى صاحب النار، فإذا هو الحُممة السوداء، فيقال له: كيف وجدت مقيلك؟ فيقول: شرّ مقيل، فيقال له: عد. ثم يدعى صاحب الجنة فإذا هو مثل القمر ليلة البدر، فيقال له: كيف وجدت مقيلك؟ فيقول: ربّ، خير مقيل، فيقال له: عد.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: من لم يَقِل في الجنة يومئذ فليس هو من أهلها.

قال بعضهم: وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: إني لأعلم أي ساعة يدخل أهل الجنة الجنة، قبل نصف النهار حين يشتهون الغَداء.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ﴾ أي: عن الغمام. هذا بعد البعث،

(1) وردت الجملة فاسدة في ع و ب فأثبتها كما جاءت في تفسير مجاهد ص 449.

(2) في ع: «مَلَك في الدنيا» وأثبت ما في سع. وكأن قوله: «إلى الحمرة والبياض» يعني به أثر النعيم الذي كان يُرى عليه في الدنيا.

تشقّق فتراها واهية متشققة، كقوله: (وَفُتِّحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً) [النبأ: 19]. ويكون الغمام شرايين السماء والأرض. قال: ﴿ وَنُزِّلَ المَلاَئِكَةُ تَنْزِيلاً ﴾ هو مثل قوله: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمْ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ وَالمَلاَئِكَةُ) [البقرة: 210]، ومثل قوله: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفّاً صَفّاً) [الفجر: 22].

قال: ﴿ المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ ﴾ يخضع الملوك يومئذ لملك الله، والجبابرة لجبروت الله. ﴿ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الكَافِرِينَ عَسِيراً ﴾ أي: شديداً.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾، وهو أبيّ بن خلف، يأكلها ندامة يوم القيامة. ﴿ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي اتَّخَذتُّ مَعَ الرَّسُولِ ﴾ أي: محمد ﴿ سَبِيلاً ﴾ إلى الله باتباعه بالإيمان.

﴿ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَم أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً ﴾ أي: عقبة بن أبي معيط ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ ﴾ أي: عن القرآن ﴿ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾.

ذكروا عن مجاهد قال: كان أبيّ بن خلف يأتي النبي فزجره عقبة بن أبي معيط عن ذلك، فهو قول أبيّ بن خلف في الآخرة: (يَا لَيْتَنِي اتَّخَذتُّ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً).

وقال مجاهد في قوله: (يَـٰوَيْلَتَـا لَيْتَنِي لَم أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً) يعني به الشيطان.

قوله: ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَـٰنُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً ﴾ أي: يأمره بمعصية الله، ثم يخذله في الآخرة. كقوله: (وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) [إبراهيم: 22].

قوله: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ ﴾ يعني محمداً ﷺ: ﴿ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِيَ ﴾ يعني من لم يؤمن به ﴿ اتَّخَذُوا هٰذَا القُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ أي: هجروه فلم يؤمنوا به. وقال مجاهد: يُهجِرون بالقول فيه[1]، ويقولون: هو كذب. وقال بعضهم: إنما قال هذا محمد يشتكي قومه إلى ربه.

(1) جاء في ز ورقة 239 ما يلي: «قال محمد: معنى قول مجاهد: جعلوه بمنزلة الهُجر، والهجر: =

قال الله يعزي نبيّه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: من المشركين ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً ﴾ إلى دينه ﴿ وَنَصِيراً ﴾ أي: للمؤمنين على أعدائهم.

قوله: ﴿وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ أي: هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ أي: كما أنزل على موسى وعلى عيسى. قال الله: ﴿ كَذَٰلِكَ[1] لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾. [قال قتادة: وَبَيَّنَّاهُ تَبْيِيناً][2] نزل في ثلاث وعشرين سنة. ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ يعني المشركين مما كانوا يحاجونه به. قال: ﴿ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾ أي: بياناً. وقال بعضهم: أحسن تفضيلاً.

قوله: ﴿ الذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً ﴾ أي: من أهل الجنة ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ أي: طريقاً في الدنيا، لأن طريقهم إلى النار وطريق المؤمنين إلى الجنة.

قوله: ﴿ وَلَقَد ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الكِتَـٰبَ﴾ أي: التوراة ﴿ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيراً ﴾ أي: عويناً. وقال بعضهم: عضداً. وقال الحسن: شريكاً في الرسالة؛ وهو واحد، وذلك قبل أن تنزّل عليهما التوراة، ثم نزلت عليهما قبل، فقال: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الفُرْقَانَ وَضِيَاءً) [الأنبياء: 48] أي: التوراة، وفرقانها حلالها وحرامها وفرائضها وأحكامها.

قال: ﴿ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى القَوْمِ الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا﴾ يعني فرعون وقومه ﴿ فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيراً ﴾ أي: فكذبوهما فدمّرناهم تدميراً، يعني الغرق الذي أهلكهم

= الهذيان وما لا ينتفع به من القول. يقال: فلان يهجر في منامه، أي: يهذي».

(1) قوله (كذلك) من كلام الله. وقد جعله بعض المفسرين من كلام المشركين. وقد أورد الفراء في المعاني ج 2 ص 267 - 268 التأويلين معاً ولم يرجح أحدهما. وأرى أن ما ذهب إليه المؤلف هنا هو أصح التأويلين حتى يكون الرد على قول الكافرين أبلغ. أي: كذلك أنزلناه إليك يا محمد منجّماً متفرقاً لنثبت به فؤادك.

(2) زيادة من سع ورقة 60 ظ.

به، كقوله: ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾ [المؤمنون: 48] أي: من المعذبين بالغرق في الدنيا ولهم النار في الآخرة.

قوله: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ ﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح أيضاً بالغرق لما كذبوا الرسل بتكذيبهم نوحاً. قال: ﴿أَغْرَقْنَـٰهُمْ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ﴾ أي: لمن بعدهم ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: للمشركين، يعنيهم[1]، ﴿ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ أي: موجعاً في الآخرة.

قوله: ﴿ وَعَاداً وَثَمُوداً ﴾ أي: وأهلكنا عاداً وثموداً، تبعاً للكلام الأول ﴿ وَأَصْحَـٰبَ الرَّسِّ ﴾ أي: وأهلكنا أصحاب الرس، وهو بئر في قول كعب. وقال الحسن: واد. وقال قتادة[2]: أهل فلح باليمامة وآبار[3].

قال بعضهم: وإن الذي أرسل إليهم شعيب، وإنه أرسل إلى أهل مدين وإلى أصحاب الرس جميعاً. ولم يبعث الله نبياً إلى أمتين غيره فيما مضى، وبعث الله نبينا محمداً ﷺ إلى الجن والإنس كلهم.

قوله: ﴿ وَقُرُوناً ﴾ أي: وأهلكنا قروناً، أي: أمة بعد أمة ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيراً ﴾. قال بعضهم: القرن سبعون سنة[4].

---

(1) في ب و ع وردت الكلمة هكذا: «بعينهم» وهو تصحيف صوابه ما في سع: «يعنيهم» أي: يعني مشركي قريش.

(2) في ب و ع: «وقال الحسن». وأثبت ما جاء في سع: «قال قتادة»، وهو ما جاء في تفسير الطبري أيضاً.

(3) كذا في ب و ع: «أهل فلح» بحاء مهملة، أي: أصحاب فلاحة وزراعة، وهو مصدر فلح الأرض إذا شقها للحرث. وفي سع ورقة 60 ظ: أهل فلج، ومن معاني الفلج النهر الصغير أو الماء الجاري من العيون، وجمعه أفلاج. وذكر في بعض التفاسير أن فلج مدينة كبيرة باليمامة. وذكر ياقوت في معجم البلدان (فلج) أنها فلج الأفلاج، ولعل الصواب ما ورد في سع فلج بمعنى المدينة وبها أفلاج كثيرة.

(4) جاء في ب: «القرن تسعون سنة» فأثبت ما جاء في سع ورقة 60 ظ: «سبعون سنة». وهو قول لقتادة. وقال آخرون: القرن أربعون سنة.

قال: ﴿ وَكُلًّا ﴾ يعني من ذكر ممن مضى ﴿ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَلَ ﴾ أي: خوفناهم واحتججنا عليهم وبيّنا لهم ﴿ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيراً ﴾ أي: أفسدنا فساداً. وقال بعضهم: وكلا أهلكنا هلاكاً، يعني إهلاكه الأمم السالفة بتكذيبهم رسلها.

قوله: ﴿ وَلَقَدَ اتَوْا ﴾ يعني مشركي العرب أتوا ﴿ عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾ يعني قرية لوط. ومطر السوء الحجارة التي رمى بها من كان خارجاً من المدينة وأهل السفر منهم. قال: ﴿ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ﴾ أي: فيتفكروا ويحذروا أن ينزل عليهم ما نزل بهم. أي: بلى، قد أتوا عليها ورأوها. مثل قوله: (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [الصافات: 137 - 138] قال: ﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُوراً ﴾ أي: لا يخافون بعثاً ولا حساباً.

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ ﴾ يعني الذين كفروا ﴿ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُـزُؤاً أَهَذَا الذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً ﴾ أي: فيما يزعم، يقوله بعضهم لبعض ﴿ إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا ﴾ يعنون أوثانهم ﴿ لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ أي: على عبادتها. قال الله: ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ العَذَابَ ﴾ في الآخرة ﴿ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ أي: إنهم كانوا أضل سبيلاً من محمد.

قوله: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَيهُ ﴾ ذكروا عن الحسن قال: [هو المنافق يصيب هواه، كلما هويَ شيئاً فعله][1]. قوله: اتخذ هواه إلّهاً، يعني المشرك. قوله: ﴿ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ أي: حفيظاً تحفظ عليه عمله حتى تجازيه به، أي: إنك لست بربّ، إنما أنت نذير.

قوله: ﴿ أَمْ تَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ يعني المشركين ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَـمِ بَلْ هُمْ ﴾ أي: فيما يعبدونه ﴿ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ من الأنعام.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ قال الحسن: (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ

(1) زيادة من سع ورقة 60 ظ. وهذا هو قول الحسن، لا ما ذكر بعدُ ونسب إليه في ب و ع.

كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ﴾ أي: لا يزول. قال: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ ﴾ أي: على الظل ﴿ دَلِيلاً ﴾ أي: تتبعه وتقبضه[1].

قال: ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً ﴾ أي: يسيراً علينا. كقوله: (إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ) [العنكبوت: 19][2]. وقال مجاهد: (سَاكِناً) لا تصيبه الشمس ولا يزول. (ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) أي: تحويه. (ثُم قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً) أي: حَوَى[3] الشمس إياه. وقال بعضهم: وذلك حين يقوم العمود نصف النهار حين لا يكون ظل؛ فإذا زالت الشمس رجع الظل فازداد حتى تغيب الشمس.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الَّيْـلَ لِبَاساً ﴾ يعني سكناً يسكن فيه الخلق ﴿ وَالنَّوْمَ سُبَاتاً ﴾ أي: يسبت فيه النائم حتى لا يعقل[4]. ﴿ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً ﴾ أي: ينتشر فيه الخلق لمعايشهم ولحوائجهم ولتصرّفهم.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي أَرْسَلَ الرِّيَـٰحَ بُشْراً ﴾ أي: تلقح السحاب ﴿ بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِهِ ﴾ أي: بين يدي المطر. [قال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ يعني المطر، ﴿ طَهُوراً ﴾ للمؤمنين يتطهرون به من الأحداث والجنابة.

قال: ﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ ﴾ أي: بالمطر ﴿ بَلْدَةً مَّيْتاً ﴾ اليابسة التي ليس فيها نبات.

---

(1) كذا في ب و ع: «تتبعه وتقبضه»، وفي ز ورقة 240: «تتلوه وتتّبعه حتى تأتي عليه». وهذه العبارة أوضح. وجاء في سع ورقة61 و، بدلاً من العبارتين، «فظللت الشمس كل شيء».

(2) هذا وجه من وجوه التأويل. وقد ذهب آخرون إلى تأويل آخر؛ وهو أن الله يقبض إليه الظل بعد غروب الشمس قبضاً يسيراً. أي: قبضاً خفياً، شيئاً بعد شيء. وقد فصّل ابن قتيبة هذا التأويل الأخير تفصيلاً حسناً وقال عنه: هو «أجمع للمعاني وأشبه بما أراد». انظر ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص 314 - 315.

(3) لم أجد هذا المصدر في كتب اللغة وإن كان القياس الصرفي لا يمنعه. بل ذكرت المعاجم: «حوى الشيء يحويه حيّاً وحَوَاية واحتواء». كما في اللسان.

(4) أصل معنى السبت الاستراحة والسكون. وقيل معناه: قطع الحركة، فكأن النوم قطع للأعمال. وانظر اللسان: (سبت).

﴿ وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَـٰماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ ﴾ يعني المطر ﴿ لِيَذَّكَّرُوا ﴾.

ذكروا عن ابن عباس قال: ما عام بأكثر مطراً من عام، أو قال: ماء، ولكن الله يصرفه حيث يشاء][1] ثم تلا هذه الآية: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا)[2] قال الحسن: فيكونوا متذكرين بهذا المطر فيعلمون أن الذي أنزل هذا المطر الذي يعيش به الخلق وينبت به النبات في الأرض اليابسة قادر على أن يحيـي الموتى.

قوله: ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً ﴾ يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، مطرنا بنوء كذا.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لو حبس الله المطر عن أمتي عشر سنين، ثم صبه عليهم لأصبحت طائفة من أمتي يقولون: مطرنا بنوء مذحِج[3].

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لا يدعهن الناس: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالأنواء[4].

(1) ما بين المعقوفين كله ساقط من ب و ع، وأثبته من سع ورقة 61 و، و ز ورقة 240.

(2) انظر بعض معاني هذا التصريف في تفسير القرطبي ج 13 ص 57.

(3) لم أجده فيما بين يدي من كتب الحديث، وقد أخرجه ابن سلام، بهذا السند: «وحدثنا حماد عن عمرو بن دينار عن عساب بن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ. . .» الحديث، ويؤيد معنى الحديث ما أخرجه مالك في الموطأ والبخاري في صحيحه من أبواب الاستسقاء عن زيد بن خالد الجهني من حديث قدسي جاء فيه: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، ومن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب. ومذحج هو مالك بن أدد، وولده من رجال سعد العشيرة، انظر ابن دريد، الاشتقاق، ص 397. والنوء هو سقوط نجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر في المشرق يقابله، ويعتقد العرب أن المطر ينزل بفعلها، فينسبون إليها الأمطار، وبذلك كفروا. وهذا من اعتقاد أهل الجاهلية، وجاء الإسلام فحرّم كل هذا. انظر بعض التفاصيل في ذلك في اللسان: (نوأ).

(4) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الجنائز: باب التشديد في النياحة (رقم 934) عن أبي =

قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً ﴾ أي: رسولاً ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَٰفِرِينَ﴾ أي: فيما ينهونك عنه من طاعة الله. ﴿وَجَٰهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن ﴿ جِهَاداً كَبِيراً ﴾ أي: شديداً. وهذا الجهاد إنما هو باللسان يومئذ بمكة قبل أن يؤمر بقتالهم.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ أفاض أحدهما على الآخر في تفسير مجاهد، يعني العذب والمالح[1]. ﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ أي: حلو ﴿ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ أي: مر. ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً ﴾ أي: حاجزاً لا يغلب المالح على العذب ولا العذب على المالح في تفسير مجاهد. قوله: ﴿ وَحِجْراً مَّحْجُوراً ﴾ أي: حراماً محرماً أن يغلب أحدهما على الآخر. وقال الحسن: فصلاً مفصّلاً.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً ﴾ أي: خلق الله آدم من الطين، والطين كان من الماء[2] ﴿ فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً ﴾ قال بعضهم ذكر الله الصهر مع النسب، وحرّم الله من النسب سبع نسوة وحرّم من الصهر سبع نسوة. قال: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ) فلا يتزوّج الرجل أمّه ولا أمّ امرأته، ولا يجمع بينهما ولا يتزوّجها بعدها، ولا ابنته ولا ابنة امرأته، إلا أن يكون دخل بأمها، فإنه يتزوّجها بعدها، ولا يجمع بينهما. قال: (وَأَخَوَاتُكُمْ) فلا يتزوّج أخته ولا أخت امرأته، ولا يجمع بين الأختين. قال: (وَعَمَّاتُكُمْ) فلا يتزوّج عمّته ولا عمّة امرأته، لا يجمع بين امرأته وعمّتها. قال: (وَخَالَاتُكُمْ) فلا يتزوج خالته ولا خالة امرأته، لا يجمع بين امرأته وخالتها. قال: (وَبَنَاتُ الْأَخِ) فلا يتزوّج الرجل ابنة أخيه ولا ابنة أخي امرأته،

= مالك الأشعري ولفظه: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم والنياحة».

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 77: « (وَهُوَ الذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) إذا تركت الشيء وخليته فقد مرجته، ومنه قولهم: مرج الأمير الناس، أي: خلاهم بعضهم على بعض. . . وفي الحديث: مرجت عهودهم وأماناتهم أي: اختلطت وفسدت».

(2) هذا وجه من التأويل، ولأبي عبيدة وجه آخر أقرب إلى الصواب، قال: «مجازه خلق من النطف البشر، وفي آية أخرى: (مِن مَّاءٍ دَافِقٍ) أي: نطفة».

لا يجمع بين امرأته وابنة أخيها. قال: ﴿ وَبَنَاتُ الأُخْتِ ﴾ [النساء: 23] فلا يتزوّج الرجل ابنة أخته ولا ابنة أخت امرأته، لا يجمع بين امرأته وبين بنت أختها. فهذه أربع عشرة نسوة حرّمهن الله، سبع من النسب، وسبع من الصهر.

قال: ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴾ أي: قادراً على كل شيء.

قوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُهُمْ وَلاَ يَضُرُّهُمْ ﴾ يعني الأوثان ﴿ وَكَانَ الكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيراً ﴾ أي: عويناً. ظاهر الشيطان على ترك ما أمر به في تفسير الحسن. وقال بعضهم: هو أبو جهل بن هشام أعان الشيطان على النبي عليه السلام.

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ مبشّراً بالجنة ونذيراً من النار ومن عذاب الله في الدنيا إن لم يؤمنوا.

قوله: ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على القرآن ﴿ مِنَ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾ أي: إنما جئتكم بالقرآن ليتخذ به من آمن إلى ربه سبيلاً بطاعته. أي: يتقرّب به إلى الله (1).

قوله: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾ قال الحسن: بمعرفته وقال بعضهم: تأويل الحي: الفعّال. ﴿ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً الذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [أي: ملك الرحمٰن العرش. وقال بعضهم: الاستواء هو الملك، والقدرة قدر الله، قدر على التمكن](2). هو الحي الذي لا يموت، هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش. قال: ﴿ الرَّحْمٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾ أي: خبيراً بالعباد.

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾ يعني المشركين ﴿ اسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ على الاستفهام، أي: لا نفعل. وهي تقرأ بالتاء والياء. فمن قرأها

(1) انظر معنى الاستثناء في الآية حسبما بيّنه أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 78.

(2) العبارات التي بين المعقوفين مما انفردت به مخطوطة ب، وكأني بها من زيادات بعض النساخ.

بالتاء: تأمرنا، فهم يقولونه للنبي، ومن قرأها بالياء فيقول: يقوله بعضهم لبعض: أنسجد لما يأمرنا محمد. ﴿ وَزَادَهُمْ ﴾ أي: قولهم لهم اسجدوا للرحمٰن ﴿ نُفُوراً ﴾ أي: عن القرآن.

قوله: ﴿ تَبَارَكَ الذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً ﴾ والبروج النجوم[1] ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرٰجاً﴾ يعني الشمس ﴿ وَقَمَراً مُّنِيراً ﴾ أي: مضيئا. وهي تجري في فلك دون السماء. قوله: (الذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ)، والسماء كل ما ارتفع. وقال في آية أخرى: (أَلَمْ يَرَوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ) [النحل: 89] أي: مرتفعات متحلّقات.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً ﴾. ذكروا عن الحسن قال: من عجز في الليل كان له في النهار مستعتَب، ومن عجز في النهار كان له في الليل مستعتَب[2]. وقال مجاهد: يعني سواد الليل وبياض النهار.

قوله: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً ﴾ قال الحسن ومجاهد: بالسكينة والوقار.

وقال بعضهم: إن الله مدح المؤمنين وذمّ المشركين فقال: (وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً) أي: حلماء، وأنتم أيها المشركون، لستم بحلماء.

قوله: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَـٰهِلُونَ قَالُوا سَلٰماً﴾ ذكروا عن الحسن قال: حلماء، إن جُهِل عليهم لم يجهلوا[3].

(1)هذا قول قتادة والحسن. وقال ابن عباس: إن البروج هي منازل الشمس والقمر، ويبدو لي أن هذا التفسير أنسب في هذه الآية وفي أول سورة البروج.

(2)أي: وقت استعتاب، أي: طلب العُتبى بالطاعة والذكر والاستغفار. يقال: استعتبته فأعتبني، أي: استرضيته فأرضاني. وانظر اللسان: (عتب).

(3) وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 272 في تفسير الآية: «كان أهل مكة إذا سبّوا المسلمين =

قوله: ﴿ وَالذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَـاماً﴾ أي: يصلّون، وأنتم أيها المشركون لا تصلون.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أصيبوا من الليل ولو ركعتين، ولو أربعاً[1].

[وقال بعضهم][2]: بلغنا أنه من صلّى من الليل ركعتين فهو من الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً.

قال: ﴿ وَالذِينَ يَقُولُونَ: رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ﴾ قال الحسن: قد علموا أن كل غريم مفارق غريمه إلا غريم جهنم.

وبعضهم يقول: (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً) أي: لزاماً، وهو مثل قول الحسن، إلا أنه شبهه بالغريم يلزم غريمه. وبعضهم يقول: (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً) أي: انتقاماً.

قال: ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً ﴾ أي: بئس المستقر هي. وقال الحسن: إن أهلها لا يستقرّون فيها، كقوله: (عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ) [الغاشية: 3]، أعملها الله وأنصبها في النار. وقال: (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ) [الرحمٰن: 44] فهم في ترداد وعناء. قال: ﴿ وَمُقَاماً ﴾ أي: ومنزلاً.

قوله: ﴿ وَالذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتِرُوا ﴾ لم يسرفوا أي: لم ينفقوا في معصية الله، ولم يقتروا على النفقة في طاعة الله. ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً ﴾ هذه النفقة نفقة الرجل على أهله[3].

= ردّوا عليهم ردّاً جميلاً قبل أن يؤمروا بقتالهم». والصحيح أن الآية أعم معنى من ذلك لأنها من صفات المؤمنين في كل زمان ومكان.

(1) رواه ابن سلام كما في سع ورقة 61 ط هكذا: «وحدثني همام عن قتادة أن رسول الله ﷺ قال: صلوا من الليل ولو ركعتين ولو أربعاً»، ولم أعثر على هذا الحديث في كتب السنة.

(2) زيادة لا بد منها: والقول لابن سلام.

(3) القَوام هو الوسط والعدل بين طرفين، وهما هنا الإسراف والإقتار. قال الفراء في المعاني ج 2 =

ذكروا أن هذه أنزلت في أصحاب النبي عليه السلام، وصفهم الله بهذه الصفة. [كانوا لا يأكلون طعاماً يريدون به نعيماً، ولا يلبسون ثوباً يريدون به جمالاً، وكانت قلوبهم على قلب واحد][1].

قوله: ﴿ وَالذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ ﴾. وأنتم أيها المشركون تدعون مع الله آلهة. قال: ﴿ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ ﴾.

ذكروا عن الحسن قال: لما نزل في قاتل المؤمن وفي الزاني وأشباه ذلك ما نزل قال أصحاب النبي: أينا لم يزن، أينا لم يفعل، وتخوّفوا أن يُؤخذوا بما كان منهم في الجاهلية. فأنزل الله: (وَالذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ) أي: بعد إسلامهم، (وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ)، أي: بعد إسلامهم، (وَلاَ يَزْنُونَ) أي: بعد إسلامهم. وأنزل قوله: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ) أي: بالشرك والكبائر الموبقة (لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ) إن تبتم إليه (إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ) لمن تاب إليه، الرحيم به إذ جعل له متاباً، أي: مرجعاً ومخرجاً. (وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ) [الزمر: 53 - 54] يغفر لكم ما كان منكم في الجاهلية. وأنزل الله في هذه الآية: (وَالذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ).

قوله: ﴿ وَمَن يَّفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴾ قال بعضهم: نكالاً. وقال بعضهم: كنا نُحدَّث أنه واد في جهنم.

قال: ﴿ يُضَـٰعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً إِلاَّ مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَـٰلِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾.

ذكر الحسن في قوله في سورة [طه: 82: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ) أي: من الشرك، (وَءَامَنَ) أي: أخلص الإيمان لله (وَعَمِلَ صَالِحاً) أي: في إيمانه. وقال

= ص 273: «والقَوام قَوَام الشيء بين الشيئين. ويقال للمرأة: إنها لحسنة القَوَام في اعتدالها. ويقال: أنت قِوام أهلك، أي: بك يقوم أمرهم وشأنهم، وقِيَام، وقِيَم، وقيِّم، في معنى قِوَام».

(1) زيادة من سع ورقة 61 ط.

بعضهم: إلا من تاب من ذنبه، وآمن: أي بربه، وعمل عملاً صالحاً، أي: فيما بينه وبين الله. قوله: (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) أي: يبدّل الله مكان الشرك الإيمان، ومكان العمل السيء العمل الصالح.

[وقال بعضهم: فأما التبديل في الدنيا فطاعة الله بعد عصيانه، وذكر الله بعد نسيانه، والخير يعمله بعد الشر][1].

قوله: ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً ﴾ أي: يقبل الله توبته إذا تاب قبل الموت. كقوله في سورة النساء: (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ: إِنِّي تُبْتُ الآنَ) [النساء: 18]. ويقال: تقبل التوبة من العبد ما لم يغرغر.

قوله: ﴿ وَالذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ والزور الشرك والنفاق والعمل السيء [وقال بعضهم: (لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ): أي: لا يحضرون مجالس الكذب والباطل][2] قوله: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ ﴾ أي: بالباطل ﴿ مَرُّوا كِرَاماً ﴾ أي: ليسوا من أهله. [وقال بعضهم: (لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً) أي: لا يشهدون أهل الباطل على باطلهم ولا يمالئونهم فيه][1].

قوله: ﴿ وَالذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِئَايَـٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً ﴾ أي: لم يصمُّوا عنها ولم يعمُوا عنها.

قوله: ﴿ وَالذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَـا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ ذكروا عن ابن عباس قال: أعواناً على طاعة الله. وتفسير الحسن: أن يروهم مطيعين لله.

قوله: ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾ أي: قادة في الخير ودعاة هدى يؤتم بنا.

قال: ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ) كقوله: (وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ) [سبأ: 37]

---

(1) زيادة من سع ورقة 62 و، وهو من قول قتادة.

(2) زيادة من سع أيضاً. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 273: «يقول: لا يحضرون مجالس الكذب والمعاصي ويقال: أعياد المشركين لا يشهدونها لأنها زور وكذب».

﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾ أي: على طاعة الله وعن معصية الله. ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ تَحِيَّةً وَسَلٰماً﴾ التحية: السلام، والسلام: الخير الكثير كقوله: (سَلاَمٌ هِيَ) [القدر: 5] قال مجاهد: (سَلاَمٌ هِيَ) أي: خيرٌ هي كلها (حَتَّىٰ مَطْلَعِ الفَجْرِ) يعني ليلة القدر.

قوله: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي: لا يموتون فيها ولا يخرجون منها ﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً ﴾ أي: قرارهم فيها. ﴿ وَمُقاماً ﴾ أي: ومنزلاً.

قوله: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي) أي: ما يفعل بكم ربي ﴿ لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ ﴾ أي: لولا عبادتكم وتوحيدكم وإخلاصكم[1]. كقوله: (فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [الزمر: 14] قال: ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً ﴾ أي: أخذاً بالعذاب، يعذبهم يوم بدر، فألزمهم الله يوم بدر عقوبة كفرهم وجحودهم، يعذبهم بالسيف.

ذكر بعضهم قال: بلغنا عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول: قد مضت البطشة الكبرى: يوم بدر، واللزام، والدّخان، وهو الجوع الذي كان أصابهم بمكة، والروم، والقمر، يعني قوله: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ) [القمر: 1]. وأما الروم فإنهم غلبوا فارساً، وغلب المسلمون المشركين في يوم واحد. وقوله: (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) [القمر: 45] أي: يوم بدر. وقوله: (حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ) [المؤمنون: 77] يوم بدر، وقوله: (العَذَابِ الأَدْنَىٰ) [السجدة: 21] يوم بدر، وقوله: (وَإِنَّ لِلذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ) [الطور: 47] يوم بدر. وقوله: (قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ لاَ يَنْفَعُ الذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ) [السجدة: 29]. وقال الحسن: هي النفخة الأولى بها يهلك كفار آخر هذه الأمة، أعاذنا الله من الهلاك.

---

(1) هذا من إضافة المصدر إلى مفعوله، أي: «لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام» كما أورده الفراء في المعاني ج 2 ص 275، أي: إلى عبادته وتوحيده وإخلاص الدين له. وهذا وجه حسن من أوجه التأويل اختاره المؤلف. وفي تفسير مجاهد ص 457: «يقول: مَا يَفْعَلُ بِكُمْ رَبِّي (لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ) إياه، وأن تعبدوه وتطيعوه». وفي تفسير الطبري ج 19 ص 55: «لتعبدوه وتطيعوه». وانظر أوجهاً أخرى لتأويل الآية في تفسير القرطبي ج 13 ص 84.

تفسير سورة الشعراء
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ طَسٓمٓ ﴾ قال بعضهم: هو اسم من أسماء الكتاب، يعني القرآن. وقال الحسن: لا أدري، غير أن قوماً من السلف كانوا يقولون فيها وأشباهها: أسماء السور ومفاتحها. وقال بعضهم: اسم من أسماء القرآن، أقسم به ربك.

قوله: ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ الكِتَـٰبِ﴾ أي: هذه آيات القرآن ﴿ المُبِينِ ﴾ أي: البيّن.

قوله: ﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ أي: قاتل نفسك ﴿ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لعلك قاتل نفسك إن لم يكونوا مؤمنين، فلا تفعل.

قوله: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتَ ﴾ أي: فصارت ﴿ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا ﴾ أي: للآية ﴿ خَـٰضِعِينَ﴾ أي: فظلوا خاضعين لها أعناقهم. وهذا تفسير مجاهد[1]. وذلك أنهم كانوا يسألون النبي عليه السلام أن يأتيهم بآية، فهذا جواب لقولهم.

---

(1) كذا في ب وع، وفي سع، وهو الصحيح إن شاء الله. وقد أشار الفراء في المعاني ج 2 ص 276 - 277 إلى قول مجاهد هذا عندما ذكر وجوه العربية في هذه الجملة فقال: «أولها أن مجاهداً جعل الأعناق: الرجال الكبراء، فكانت الأعناق ها هنا بمنزلة قولك: ظلت رؤوسهم، رؤوس القوم وكبراؤهم لها خاضعين، للآية». وقال الفراء: بعد أن ذكر وجهاً آخر: «وأحب إليّ من هذين الوجهين من العربية أن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون، فجعلت الفعل أولاً للأعناق، ثم جعلت (خَاضِعِينَ) للرجال». وانظر تفسير الطبري ج 19 ص 59 - 62، ومجاز أبي عبيدة ج 2، ص 81 - 82.

قوله: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ أي: كلما نزل من القرآن شيء جحدوا به.

قال: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ ﴾ أي: في الآخرة ﴿ أَنْبَـاءُ ﴾ أي: أخبار ﴿ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: في الدنيا. وهو عذاب النار، أي: فسيأتيهم تحقيق ذلك الخبر بدخولهم النار.

قوله: ﴿ أَوَلَـمْ يَرَوا إِلَى الأَرْضِ كَم أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ أي: من كل صنف حسن. وكل ما ينبت في الأرض فالواحد منه زوج. وهذا على الاستفهام. أي: قد رأوا كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم، أي: مما رأوا.

قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً ﴾ لمعرفة بأن الذي أنبت هذه الأزواج قادر على أن يحيـي الموتى. قال: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ يعني من مضى من الأمم.

قوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو العَزِيزُ الرَّحِيمِ ﴾[1] أي: العزيز في نقمته، الرحيم بخلقه، فأما المؤمن فيتم عليه الرحمة في الآخرة، وأما الكافر فهو ما أعطاه في الدنيا، فليس له إلا رحمة الدنيا، وهي زائلة عنه، وليس له في الآخرة نصيب.

قوله: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائتِ القَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ أي: فليتّقوا الله.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي ﴾ فلا ينشرح، أي: فلا يتّسع لتبليغ الرسالة ﴿ وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾ أي: للعقدة التي كانت في لسانه. ﴿ فَأَرْسِلْ إِلَى هَـٰرُونَ ﴾ كقوله: (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّن أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) [طه: 25 - 32] ففعل الله ذلك به، وأشركه معه في الرسالة.

(1)من هذه الآية الكريمة أبدأ مقارنة ما لدي من مخطوطتي ب و ع ومصورة سع، بمصورة مخطوطة ابن سلام من مكتبة حسن حسني عبد الوهاب التي تحمل رقم 18653 في المكتبة الوطنية بتونس، وأرمز لها بحرفي السين والحاء هكذا: سح.

وهي تقرأ على وجهين: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾ بالرفع، ووجه آخر بالنصب: ﴿ وَيَضِيقَ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقَ لِسَانِي ﴾ أي: إني أخاف أن يكذّبون وأخاف أن يضيقَ صدري ولا ينطلقَ لساني.

قوله: ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ ﴾ يعني القبطي[1] الذي قتله خطأً حيث وكزه فمات. قال: ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾.

قال الله: ﴿ كَلَّا ﴾ ليسوا بالذين يصلون إليك[2] حتى تبلّغ عن الله الرسالة.

ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ فَاذْهَبَا بِئَايَٰتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ كقوله: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: 46]. ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا ﴾ يقول لموسى وهارون ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴾ وهي كلمة من كلام العرب؛ يقول الرجل للرجل: من كان رسولك إلى فلان، فيقول: فلان وفلان وفلان.

قوله: ﴿ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ولا تمنعهم من الإيمان ولا تأخذ منهما الجزية. وكان بنو إسرائيل في القبط بمنزلة أهل الجزية فينا. وهو كقوله: ﴿ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ ﴾ [الدخان: 18] يعني بني إسرائيل.

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً ﴾ أي: عندنا صغيراً. ذكر بعضهم قال: بلغنا عن ابن عباس أن موسى لما دخل على فرعون عرفه عدوُّ الله فقال: ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً ﴾ ﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ أي: لم تدّع هذه النبوّة التي تدعيها اليوم.

وقال: بلغنا أنه لما دخل على فرعون قال له: من أنت؟ قال: أنا رسول الله. قال: ليس عن هذا أسألك، ولكن من أنت؟ وابن من أنت. قال له: أنا موسى بن عمران. فقال له: ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾.

(1) كذا في سع ورقة 63 و، وفي ز 242: «يعني القبطي»، وفي سح ورقة 2: «وقال قتادة: يعني النفس التي قتل، يعني القبطي الذي قتله خطأ». وفي ب و ع: «يعني القتيل، وكلها بمعنى واحد، مما يدل على اختلاف النسخ الأصلية التي نسخت منها المخطوطات الموجودة بين أيدينا الآن.

(2) كذا في ب و ع، وفي سع، و ز، و سح: «يصلون إلى قتلك حتى تبلغ عني الرسالة».

قوله: ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ التِي فَعلْتَ ﴾ أي: وقتلت النفس التي قتلت. ﴿ وَأَنْتَ مِنَ الْكَـٰفِرِينَ﴾ أي: لنعمتنا، أي: إنا ربّيناك وأحسنّا إليك. وقال الحسن: وأنت من الكافرين بأني إلـه.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ أي: من الجاهلين، أي: لم أتعمّد قتله. ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ يعني حيث توجّه تلقاء مدين. ﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً ﴾ يعني النبوّة ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

ثم قال: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ﴾ لقول فرعون له وأنت من الكافرين لنعمتنا. ﴿ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَٰءِيـلَ﴾ موسى يقوله لفرعون، أراد ألا يسوّغ، أي: ألا يجوز، عدو الله ما امتنّ به عليه، فقال: (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) واتخذت قومي عبيداً وكانوا أحراراً، وأخذت أموالهم فأنفقت عليّ من أموالهم وربّيتني بها، فأنا أحقّ بأموال قومي منك.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَـٰلَمِينَ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ رَبُّ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُم مُّوقِنِينَ ﴾ ﴿ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ أي: إلى ما يقول.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾ جواباً لقوله في أول الكلام: (وَمَا رَبُّ الْعَـٰلَمِينَ). ﴿ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾. وهذا تبع للكلام الأول: (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ).

﴿ قَالَ ﴾ فرعون: ﴿ لَئِنِ اتَّخَذتَّ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ ﴾ أي: من المخلدين في السجن[1].

---

(1) كذا في ب و ع، وفي سع. سح: «لأخلدنك في السجن».

﴿ قَالَ ﴾ له موسى: ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بيّن. ﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: حيّة أشعر ذكر، تكاد تسترط فرعون عدو الله؛ اغرزت ذنبها في الأرض ورفعت صدرها ورأسها، وأهوت إلى عدوّ الله لتأخذه؛ فجعل يميل ويقول: خذها يا موسى، خذها. فأخذها موسى.

قال: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ ﴾ أي: أدخل يده في جيب قميصه، ثم أخرجها فهو قوله: (وَنَزَعَ يَدَهُ) أي: أخرج يده. ﴿ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾ تعشى البصر من بياضها. قال الحسن: أخرجها والله كأنها مصباح.

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ ﴾ فرعون يقوله: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: بالسحر. ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾.

فأراد قتله؛ فقال له أصحابه: لا تقتله فإنما هو ساحر، ومتى ما تقتله أدخلت على الناس في أمره شبهة. ولكن ﴿ قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ ﴾ أي: أخّره وأخاه في تفسير الحسن. وقال بعضهم: احبسه وأخاه. ﴿ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَـٰشِرِينَ ﴾ أي: يحشرون عليك السَّحَرة ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ أي: بالسحر.

قال الله: ﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ وهو قوله: (مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ) [طه: 59] يوم عيد لهم كان يجتمع فيه أهل القرى والناس، فأراد موسى عليه السلام أن يفضحه على رؤوس الناس.

قال: ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ ﴾ أي: قاله بعضهم لبعض: ﴿ هَلْ أَنْتُم مُّجْتَمِعُونَ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَـٰلِبُونَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَبِن لَنَا لأجراً ﴾ على الاستفهام. ﴿ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَـٰلِبِينَ قَالَ ﴾ فرعون: ﴿ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ أي: في العطية والقربة والمنزلة، في تفسير الحسن، وقال بعضهم: في العطية والفضيلة.

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُم مُّلْقُونَ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَـٰلِبِينَ ﴾.

﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ أي: تسترط حبالهم وعصيّهم.

لما ألقوا حبالهم وعصيَّهم خُيِّل إلى موسى أن حبالهم وعصيّهم حيات كما كانت عصا موسى. فألقى موسى عصاه فإذا هي أعظم من حياتهم. ثم رَقَوا فازدادت حبالهم وعصيهم عِظماً في أعين الناس. فجعلت عصا موسى تعظم وهم يرقون، حتى أنفدوا سحرهم فلم يبق منه شيء؛ وعظمت عصا موسى حتى سدّت الأفق. ثم فتحت فاهاً فابتلعت ما ألقوا. ثم أخذ موسى عصاه بيده فإذا حبالهم وعصيهم قد ذهبت. فهو قوله: (فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ).

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ قَالَ ءَآمَنتُمْ لَهُ ﴾ أي: أصدقتموه ﴿ قَبْلَ أَن ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ أي: كبيركم في السِّحر ورأسُكم ﴿ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَّغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا ﴾ أي: بأن كنا ﴿ أَوَّلَ الْمُومِنِينَ ﴾ من السحرة. [قال بعضهم: أول المؤمنين من بني إسرائيل لما جاء به موسى][1].

قال بعضهم: كانوا أول النهار سَحَرة وآخره شهداء.

قوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اسْرِ بِعِبَادِي ﴾ أي: ليلاً. وقد قال في آية أخرى: (فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً) [الدخان: 23]. قال مجاهد: إن موسى وبني إسرائيل لما خرجوا تلك الليلة كسف القمر، وأظلمت الأرض. قال: ﴿ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ أي: يتبعكم فرعون وقومه.

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَٰشِرِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾.

(1) زيادة من سح ورقة 5.

قال بعضهم: ذكر لنا أن بني إسرائيل الذين قطع بهم موسى البحر كانوا ستمائة ألف مقاتل، بني عشرين سنة فصاعداً. وقال الحسن: سوى الحشم.

وقال بعضهم: كان مقدمة فرعون على ألف ألف حصان ومائتي ألف حصان. وقال بعضهم: ذكر لنا أن جميع جنوده كانوا أربعين ألف ألف[1].

قال: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾ أي: متسلّحون. وبعضهم يقرأها: (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ). يقول: معِدّون[2]. وبعضهم يقول: حذرون، أي: في القوة والعدّة والسلاح.

قال: ﴿ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ ﴾ أي: وأموال ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ أي: منزل حسن. قال: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: كذلك كان الخبر، في تفسير الحسن.

وقال بعضهم: (كَذَٰلِكَ) أي: هكذا، ثم انقطع الكلام. ثم قال: ﴿ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِي إِسْرَٰءِيلَ﴾ أي: رجعوا إلى مصر بعدما أهلك الله فرعون وقومه في تفسير الحسن.

---

(1) كذا وردت هذه الأعداد في المخطوطات الأربع ب و ع و سح و سع، ينقلها الرواة وينتسخها النساخ بدون تمحيص أو تحقيق. وقد لاحظ ابن خلدون هذا في أول باب من مقدمته: فضل علم التاريخ، فقال: «وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالطات في الحكايات والوقائع... فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط، ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر...». انظر ابن خلدون كتاب العبر ج 1 ص 13. ولولا أمانة النقل ما أجرينا بمثل هذه الأخبار قلماً ولا سوّدنا بها بيضاء. وحسبنا أن نذكر أننا ننكر مثل هذه الأخبار ولا نصدقها.

(2) كذا في ع: «معِدون» وله وجه من التأويل: أي معِدون العدة. وفي سع ورقة 63 ط، وفي سح: «مقوون». ويبدو أن في الكلمة تصحيفاً صوابه: «مؤْدون» فقد قال الفراء في المعاني ج 2 ص 280: «إن ابن مسعود قرأ (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ) يقولون: مؤْدون في السلاح، يقول: ذوو أداة من السلاح. (وَحَذِرُونَ) وكأن الحاذر الذي يحذرك الآن. وكأن الحذِر: المخلوق حذِراً لا تلقاه إلا حذِراً». وإذا صح ما جاء في سع وفي سح: «مقوون» فيكون المعنى مقوّون بالعدّة التي نعدها. انظر اللسان: (حذر) و (أدا) وفيه: «آدى الرجل: أي: قوِي، فهو مؤد، بالهمز، أي: شاك السلاح». وانظر تفسير الطبري، ج 19 ص 77 - 78.

﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾ أي: اتبع فرعون وجنوده موسى حين أشرقت الشمس. رجع إلى أول القصة: (فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) أي: حيث اتّبعوا بني إسرائيل صباح الليلة التي سَرَوا فيها حين أشرقت الشمس.

قوله: ﴿ فَلَمَّا تَرَآءَا الجَمْعَانِ ﴾ أي: جمع موسى وجمع فرعون ﴿ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾، ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ أي: الطريق.

قال بعضهم: ذكر لنا أن مؤمناً من آل فرعون كان بين يدي نبي الله موسى يسير ويقول: أين أمرت يا رسول الله؟ فيقول له موسى: أمامك، فيقول له المؤمن: وهل أمامي إلا البحر، فيقول: والله ما كَذِبت ولا كُذبت. ثم يسير ساعة ثم يلتفت. فيقول: أين أمرت يا رسول الله؟ فيقول: أمامك. فيقول: وهل أمامي إلا البحر، فيقول: والله ما كذبت ولا كذبت، حتى دخلوا البحر.

قوله: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ البَحْرَ ﴾ جاءه جبريل عليه السلام على فرس فأمره أن يضرب البحر بعصاه، فضربه موسى بعصاه ﴿ فَانْفَلَقَ ﴾ البحر ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ ﴾ أي: كالجبل العظيم. [صار اثني عشر طريقاً، لكل سبط طريق، وصار ما بين كل طريقين منه مثل القناطر][1]. ينظر بعضهم إلى بعض.

قال: ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الأَخَرِينَ﴾ أي: أدنينا فرعون وقومه إلى البحر[2]. قال: ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الأَخَرِينَ﴾ . أي: لما خرج آخر

(1) زيادة من ز ورقة 243، ومن سع ورقة 63 ظ.

(2) كذا في جميع المخطوطات: «وأزلفنا» أي: «وأدنينا»، والتأويل صحيح لأن من معاني «أزلف» قرّب. ومنه قوله: (وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) أي: قربت وأدنيت. قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 87: « (وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخِرِينَ) أي: وجمعنا، ومنه ليلة المزدلفة، والحجة فيها أنها ليلة جمع. وقال بعضهم وأهلكنا».

أصحاب موسى ودخل آخر أصحاب فرعون البحر أمر الله البحر فالتأم[1] عليهم فغرقوا.

قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ أي: لعبرة لمن اعتبر وحذر أن ينزل به ما نزل بهم. قال: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ[2] وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: واقرأ عليهم ﴿ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أي: خبر إبراهيم ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا ﴾ أي: فنقيم لها ﴿ عَٰكِفِينَ ﴾ أي: عابدين.

﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ أي: هل يسمعون دعاءكم إذا دعوتموهم لرغبة يعطونكموها أو لضر يكشفونه عنكم. أي: إنها لا تسمع ولا تنفع ولا تضر. ﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ فلم تكن لهم حجة إلا هذا القول، وليس بحجة.

﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَٰلَمِينَ ﴾ يقول: أنتم وآباؤكم الأقدمون عدو لي إلا من عبد رب العالمين من آبائكم الأولين فإنه ليس لي بعدو. وهذا في تفسير الحسن. وقال الكلبي: يعني ما خلطوا بعبادتهم رب العالمين فإنهم عدو لي[3].

---

(1) كذا في ب وع: «التأم» وفي سع ورقة 63 ظ، وسح ورقة 7: «تغطمط البحر عليهم» أي: اضطربت أمواجه بشدة. «والغطمطة: صوت السيل في الوادي» كما جاء في اللسان: (غطمط).

(2) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 278: «وقوله في كل هذه السورة: (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) في علم الله، يقول: لهم في القرآن وتنزيله آية ولكن أكثرهم في علم الله لن يؤمنوا».

(3) وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 281: « قوله: (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ) أي: كل آلهة لكم فلا أعبدها إلا ربّ العالمين فإني أعبده. ونصبه بالاستثناء، كأنه قال: هم عدوّ غير معبود إلا ربّ العالمين فإني أعبده، وإنما قالوا: (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي) أي: لو عبدتهم كانوا لي يوم القيامة ضداً وعدوّاً».

قال: ﴿ الذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ أي: الذي خلقني وهداني هو الذي يطعمني ويسقيني. ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾، ﴿ وَالذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ يعني البعث.

﴿ وَالذِي أَطْمَعُ ﴾ وهذا طمع اليقين ﴿ أَن يَّغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أي: يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم في تفسير بعضهم. وقال مجاهد: يوم الحساب، وهو واحد. وقوله: (خَطِيئَتِي) يعني قوله: (إِنِّي سَقِيمٌ) [الصافات: 89] وقوله: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا) [الأنبياء: 63]، وقوله لسارّة: إن سألوك فقولي إنك أختي. ذكروه بإسناد عن النبي عليه السلام[1].

قوله: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً ﴾ أي: ثبتني على النبوّة ﴿ وَأَلْحِقْنِي بِالصَّـٰلِحِينَ ﴾ أي: أهل الجنة. ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾. فليس من أهل دين إلا وهم يتولّونه ويحبّونه، وهي مثل قوله: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخَرِينَ) [الصافات: 108] أي: أبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين.

قوله: ﴿ وَاجْعَلْنِي مِن وَّرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ وهو اسم من أسماء الجنة. ﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ قال إبراهيم هذا في حياة أبيه، وكان طمع أن يؤمن، فلما تبيّن له أنه من أهل النار لم يدع له.

قوله: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ ذكر الحسن قال: إن أبا إبراهيم يأخذ بحجزة إبراهيم يوم القيامة فيقول إبراهيم: يا رب، وعدتني ألا تخزني. فبينما هو كذلك أفلتت يده فلم يره إلا وهو يهوي في النار كأنه ضِبْعان أمدر[2]، فأعرض بوجهه، وأمسك بأنفه فقال: ربّ، ليس بأبي.

(1) وسنده كما جاء في سع ورقة 64 و، وفي سح ورقة 8: «قال يحيى: وحدّثنيه همّام عن قتادة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ».

(2) لضِّبعان، بكسر أوله وسكون ثانيه، الذكر من الضباع. والأمدر العظيم البطن، المنتفخ الجنبين. وقيل: «الأمدر من الضباع: الذي في جسده لمع من سلحه، ويقال: لون له». انظر اللسان، والصحاح: (مدر).

ذكروا عن قيس بن عبادة قال: بينما الناس على باب الجسر، يعني جسر جهنم، إذ جاء رجل، وهو أحد عباد الله الصالحين ـ وذكر الحسن أن رسول الله ﷺ قال: هو أبو إبراهيم ـ قال قيس بن عباد: وهذا آخذ بيد أبيه فيقول: رب أبي، وقد وعدتني ألا تخزني. قال: فلا يزال كذلك حتى يحوّله في صورة ضِبعان أمدر، فيرسله فيقول: ربِّ، ليس بأبي.

قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي: من الشرك.

قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: وأدنيت الجنة للمتقين ﴿وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ أي: أظهرت الجحيم، أي: النار، للغاوين، أي: الضالين، والغاوون ها هنا الضالّون المشركون.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي: الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة ما عبدوا من دون الله. ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾ أي: هل يمنعونكم من عذاب الله. ﴿أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ أي: أو يمتنعون من عذاب الله.

قال: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾ أي: فقذفوا فيها[1]، يعني المشركين ﴿هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ أي: الشياطين قال: ﴿وَجُنودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ أي: من المشركين والمنافقين، وهم جميع جنود إبليس.

﴿قَالُوا﴾ يعني المشركين خاصة للشياطين ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ أي: المشركون والشياطين. وخصومتهم تَبَرُّؤُ بعضهم من بعض وَلَعْن بعضهم بعضاً:

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 87: «(فَكُبْكِبُوا فِيهَا) أي: طرح بعضهم على بعض جماعة جماعة». وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 318: «أي: أُلقوا على رؤوسهم، وأصل الحرف: كُبِبُوا من قولك: كببت الإناء، فأبدل من الباء الوسطى كافاً استثقالاً لاجتماع ثلاث باءات...»، وقال الراغب الأصفهاني: «الكبّ: إسقاط الشيء على وجهه... والكبكبة تدهور الشيء على وجهه».

﴿ تَاللهِ ﴾، قسم. يقسمون بالله ﴿ إِنْ كُنَّا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ لَفِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بَيِّن ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: نتّخذكم آلهة.

قوله: ﴿ وَمَا أَضَلَّنَا إِلا الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: إلا الشياطين، أي: هم أضلونا، أي: لِمَا دعوهم إليه من عبادة الأوثان. ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَـٰفِعِينَ ﴾ أي: يشفعون لنا اليوم عند الله، أي: حتى لا يعذّبنا ﴿ وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ أي: شفيق، في تفسير مجاهد، يحمل عنا من ذنوبنا كما كان يحمل ذو القرابة عن قرابته والصديق عن صديقه. كقوله: (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) [المدثر: 48] ﴿ فَلَو أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ أي: رجعة إلى الدنيا ﴿ فَنَكُونَ مِنَ الْمُومِنِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّومِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ يعني نوحاً ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ ﴾ أخوهم في النسب وليس بأخيهم في الدين ﴿ أَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ يأمرهم أن يتّقوا الله ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ أي: على ما جئتكم به من الهدى ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على ما جئتكم به ﴿ مِنَ أَجْرٍ إِن أَجْرِيَ ﴾ أي: إن ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَى رَبِّ العَـٰلَمِينَ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ﴾.

﴿ قَالُوا أَنُوْمِنُ لَكَ ﴾ أي: أنصدّقك ﴿ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴾ أي: سفلة الناس وسقاطهم. ﴿ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: بما يعملون. أي: إنما أقبل منهم الظاهر، وليس لي بباطن أمرهم علم. ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ ﴾ [يعني ما جزاؤهم][(1)] ﴿ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يعنيهم][(1)] ﴿ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَـٰنُـوحُ﴾ أي: عما تدعونا إليه وعن ذمّ آلهتنا وشتمها ﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ أي: لنرجمنك بالحجارة فلنقتلنك بها.

(1) زيادة من سع ورقة 64 ط، ومن سح ورقة 10.

﴿ قَالَ ﴾ نوح: ﴿ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً ﴾ أي: اقض بيني وبينهم، وإذا قضى الله بين النبي وبين قومه هلكوا. ﴿ وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُومِنِينَ ﴾ وهذا حيث أمر بالدعاء عليهم، فاستجيب لـه، فأهلكهم الله ونجاه ومن معه من المؤمنين.

قال: ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ والمشحون: الموقر بحمله مما حمل نوح في السفينة من كل زوج اثنين ومن معه من المؤمنين. كان معه امرأته وثلاث بنين له: سام وحام ويافث ونساؤهم؛ فجميعهم ثمانية.

قال: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ﴾ أي: بعد من أنجى في السفينة ﴿ الْبَاقِينَ ﴾ وهم قوم نوح. وفيها تقديم: ثم أغرقنا الباقين بعدُ.

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴾ يعني هوداً. ومن كذّب رسولاً واحداً فقد كذّب المرسلين كلهم. ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ ﴾ أي: أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الدين ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ أي: الله؛ يأمرهم أن يتقوا الله ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ أي: على ما جئتكم به ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على ما جئتكم به ﴿ مِنَ أَجْرٍ إِنَ اَجْرِيَ ﴾ أي: ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾.

﴿ أَتَبْنُونَ ﴾، على الاستفهام، أي: قد فعلتم ﴿ بِكُلِّ رِيعٍ ﴾ أي: بكل طريق في تفسير بعضهم، قال مجاهد: بكل فج، أي: طريق[1] بين جبلين ﴿ ءايَةً ﴾ أي:

(1) لفظ طريق غير موجود في تفسير مجاهد ولا في سع ولا في سح. ولعلها من زيادة بعض نساخ ب وع. ففي الدر المنثور «عن مجاهد: «بكل فج بين جبلين. وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 88: « (بكل ريع) وهو الارتفاع من الأرض والطريق، والجميع أرياع وريعة». وهو ما قاله أيضاً ابن أبي زمنين في ز، ورقة 244، قال: «الريع الارتفاع من الأرض. قال الشماخ:

سَقَى دَارَ سُعْدَى حَيْثُ شَطَّ بِهَا النَّوَى   فَـأَنْعَمَ مِنْهَا كُـلَّ رِيعٍ وَفَـدْفَـدِ»

علماً ﴿ تَعْبَثُونَ ﴾ أي: تلعبون. قال: ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾ أي: البناء، في تفسير الحسن. وقال الكلبي: القصور، ويقال: مصانع للماء[1] ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ أي: في الدنيا، أي: لا تخلدون فيها. وقال بعضهم في بعض القراءة: وتتّخذون مصانع كأنكم تخلدون.

قوله: ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ ﴾ أي: بالمؤمنين ﴿ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ أي: قتّالين[2]، تعْدُون عليهم. هود يقوله لهم؛ أي: أسرفتم في العقوبة.

﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَاتَّقُوا الذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ ثم أخبرهم بالذي أمدّهم به فقال: ﴿ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَـمٍ وَبَنِينَ وَجَنَّـتٍ وَعُيُونٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوعَظتَّ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الوَعِظِيـنَ ﴾ أي: أو لم تعظنا ﴿ إِنْ هَذَا ﴾ أي: الذي جئتنا به ﴿ إِلَّا خُلُقُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي: تخلّقهم للكذب[3].

وقال بعضهم: إن هذا إلا خَلق الأولين، أي: هكذا كان الناس قبلنا، يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث عليهم ولا حساب. يعني هكذا كان الخَلق قبلنا ونحن مثلهم.

وبعضهم يقول: خلق الأولين: دين الأولين، يعنون ما هم عليه من الشرك. ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ أي: لا نبعث ولا نعذّب.

---

(1) كذا في ب.و ع. وفي سع و سح: «مصانع للماء». وفي تفسير الطبري ج 19 ص 95: «مآخذ للماء»، والقول لقتادة. وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 88: «وكل بناء مصنعة».

(2) كذا في ب و ع وسع و سح، وفي ز ورقة 244: «قتالين بغير حق».

(3) يقال: تَخَلّق الكذبَ واخْتَلَقه أي: افتراه وابتدعه. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 281: «قوله: (خُلُق الأولين) وقراءة الكسائي: (خَلْق الأولين). قال الفراء: وقراءتي: (خُلُق الأولين) فمن قرأ: (خَلق: يقول: اختلاقهم وكذبهم. ومن قرأ: (خُلُق الأولِينَ) يقول: عادة الأولين، أي: وراثة أبيك عن أول. والعرب تقول: حدثنا بأحاديث الخَلق، وهي الخرافات المفتعلة وأشباهها، فلذلك اخترت الخُلُق».

قال الله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّومِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ كَذَّبَت ثَّمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ يعني صالحاً ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴾ أي: أخوهم في النسب وليس بأخيهم في الدين ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ أي: ألا تتقون الله، يأمرهم أن يتّقواالله ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ أي: على ما جئتكم به ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ ﴾ أي: إن ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

قوله: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا ءَامِنِينَ ﴾ على الاستفهام. أي: لا تتركون فيه. ﴿ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ أي: هشيم، أي: يتهشم إذا مُسّ، في تفسير مجاهد. وقال الحسن: رِخو. وقال بعضهم: ليّن، وقال الكلبي: لطيف، وهو الطلع ما لم ينشقّ[1].

قوله: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَرِهِينَ ﴾ أي: شرهين في تفسير مجاهد. من قِبل شره النفس. وقال الحسن: آمنين. وقال الكلبي: حذقين بصنعتها[2].

﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ. قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ أي: أنت من المخلوقين. قال الحسن ومجاهد: من المسحورين. وقال الكلبي: المسحّر الذي ليس له ملك ولا شيء.

---

(1) في ب و ع: «ومن النخل ما ينشق» وهو خطأ، والتصحيح من سع و سح. وقال أبو عبيدة: «(وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) أي: قد ضمّ بعضه بعضاً، وهي النخل، وهو النخل، يذكر ويؤنث، وفي آية أخرى: (أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ)» [القمر: 20].

(2) وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 88: «فارهيـن أي: حذقين، وقال آخرون: فارهين أي: مرحين. وقال عدي بن وَداع العُقَوى من العقاة بن عمرو بن مالك بن فهم من الأزد:

لا أستكين إذا مـا أزمـة أزمت   وإن تـراني بخيـر فـاره اللبب

أي: مرح اللبب. ويجوز (فَرِهِينَ) في معنى فارهين». وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 282: «(فَارِهِينَ): حاذقين، و(فَرِهِينَ) أشرين».

﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ﴾ أي: بما جئتنا به. قالوا له: إن كنت صادقاً فأخرج لنا من هذه الصخرة ناقة، وكانت صخرة يصبون عليها اللبن في سنّتهم. فدعا الله فتصدّعت الصخرة، فخرجت منها ناقة عُشَرَاء[1] فنُتِجت فصيلاً.

﴿ قَالَ هَـٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ فكانت تشرب الماء يوماً ويشربونه يوماً.

قال بعضهم: كان إذا كان يوم شربها أضرت بمواشيهم وزروعهم، ولم تضرّ بشفاههم[2]، في قول الحسن؛ وإذا كان يوم شربهم كان لأنفسهم ولمواشيهم وأرضهم. وبعضهم يقول: كانوا يحلبونها يوم شربها، فإذا كان يوم شربهم كان اللبن لفصيلها. وقال بعضهم: ما ذُكِرَ لها لبن. وقال بعضهم: بلغنا أنها كانت تأتي الماء من فج وترجع من آخر، يضيق عليها الفج الأول إذا شربت.

قوله: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ﴾ أي: لا تعقروها ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَـٰدِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾.

وكان أول سبب عقرهم إياها أنها كانت تضر بمواشيهم وأرضهم. كانت مواشيهم لا تقر مع الناقة؛ كانت المواشي إذا رأتها هربت منها. فإذا كان الصيف صافت الناقة بظهر الوادي في برده وخصبه وطيبه، ومضت مواشيهم إلى بطن الوادي في جدبه وحره. وإذا كان الشتاء شتت الناقة في بطن الوادي في دفئه وخصبه، وصعدت مواشيهم إلى ظهر الوادي في جدبه وبرده، حتى أضرّ ذلك بمواشيهم، للأمر الذي أراد الله بهم.

(1) ناقة عُشَراء، ونوق عشار وعشراوات، هي الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر. ثم لا يزال اسمها كذلك حتى تضع، وبعدما تضع أيضاً. ونُتِجَت الناقة: إذا ولدت.

(2) كذا وردت هذه العبارة في ب و ع وسع: «ولم تضر بشفاههم» ولست مطمئناً لها فلعل بها تصحيفاً. اللهم إلا إن كان معناها لم تضرّ بهم، فلم يعطشوا هم.

فبينا قوم منهم جلوس يشربون الخمر فَنِي الماء الذي يمزجون به، فبعثوا رجلاً يأتيهم بالماء، وكان يوم شرب الناقة، فرجع إليهم بغير ماء، وقال: حالت الناقة بيني وبين الماء. ثم بعثوا آخر فقال مثل ذلك. فقال بعضهم لبعض: ما تنتظرون، قد منعتنا الماء ومنعت مواشينا الرّعي، وأضرت بأرضنا. فانبعث أشقاها فعقروها وقتلوها فتذامروا[1] وقالوا: عليكم بالفصيل. وصعد الفصيل القارَة؛ والقارَة: الجبل[2]. قال الحسن: وكان ذلك عن رضى منهم.

فقال لهم صالح: (تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ) [هود: 65] قال بعضهم: ذكر لنا أن صالحاً حين أخبرهم أن العذاب يأتيهم لبسوا الأنصاع والأكسية وأطلوا فقال لهم: آية ذلك أن تصفر وجوهكم في اليوم الأول، وتحمَرُّ في اليوم الثاني، وتسوَدُّ في اليوم الثالث. فلما كان اليوم الثالث استقبل الفصيل القبلة. وقال: يا رب أمي، يا رب أمي، فأرسل الله عليهم العذاب عند ذلك.

قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ يعني لوطاً ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ ﴾ أي: أخوهم في النسب وليس بأخيهم في الدين ﴿ أَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ أي: ألا تتقون الله، يأمرهم أن يتّقوا الله ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ أي: على ما جئتكم به ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِن أَجْرِيَ ﴾ أي: إن ثوابي ﴿ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾.

قوله: ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَـٰلَمِيـنَ وَتَذَرُونَ مَـا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ

---

(1) في ب و ع: «فتوامروا» وأصله التآمر بمعنى التشاور، وفي سع ورقة 65 و، وسح ورقة 14: «فتذامروا» وتذامر القوم: تلاوموا وحض بعضهم بعضاً. وفي ز، ورقة 245: «وتصايحوا» والراجح عندي ما أثبته: تذامروا.

(2) كذا في ب و ع وسع وسح القارَة، وجمعها قارّ وقُور، وهي الأكمة، وفي ز: وصعد الفصيل

أَزْوَٰجِكُم ﴾ أي: أقبال النساء. وهذا على الاستفهام، أي: قد فعلتم. ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾.

﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ أي: من قريتنا، أي: نقتلك ونخرجك منها قتيلاً. ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴾ أي: من المبغضين. ثم قال: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ وأهله أمته المؤمنون.

قال الله: ﴿ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَـٰبِرِينَ﴾ أي: غبرت، أي: بقيت في عذاب الله، لم ينجها. ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْأَخَرِينَ ﴾ أي: قوم لوط وامرأته معهم. وكانت منافقة [تظهر للوط الإيمان وهي على الشرك][1].

قوله: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً ﴾ قال بعضهم: أمطر الله على قرية قوم لوط حجارة ﴿ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي: فبئس مطر المنذرين، أي: أنذرهم لوط فلم يقبلوا فأصاب قريتَهم الخسفُ وأصابت الحجارةُ من كان خارجاً من القرية وأهل السفر منهم، وأصاب العجوزَ حجرٌ فقتلها.

قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّومِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ يعني شعيباً. وكان شعيب ﷺ بعث إلى أمتين[2]. والأيكة: الغيضة[3].

---

(1) زيادة من سع ورقة 65 و.

(2) أخرج الطبري عن ابن زيد أن الله «بعث شعيباً إلى قومه من أهل مدين، وإلى أهل البادية». وقد رد ابن كثير هذا القول ولم يرتضه. انظر تفسير الطبري ج 19 ص 107. وانظر تفسير ابن كثير ج 5 ص 202 حيث يقول: إن مدين وأصحاب الأيكة أمة واحدة. قال: والصحيح أنهم أمة واحدة وصفوا في كل مقام بشيء». وانظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج 6 ص 141، ففيه ذكر لاختلاف المفسرين في الموضوع. والله أعلم.

(3) الأيكة أو الغيضة هو ملتف الشجر. قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 90: « (أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) وجمعها أيك، وهي جماع من الشجر».

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يأمرهم أن يتقوا الله ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ أي: على ما جئتكم به. ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ ﴾ أي: ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ﴾.

﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ أي: من المنتقصين الذين ينقصون الناس حقوقهم. ﴿ وَزِنُوا بِالْقُسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ أي: العدل، بالرومية. ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ أي: الذي لهم من العدل، وكانوا أهل تطفيف ونقصان في الميزان. ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَاتَّقُوا الذِين خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي: والخليقة الأولين[1].

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ وهي مثل الأولى ﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَـٰذِبِينَ﴾ أي: فيما تدّعي من الرسالة ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ﴾ والكِسف القِطعة. (إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) أي: بما جئتنا به. ﴿ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

قال الله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

ذكروا أنهم كانوا أصحاب غيضة. والغيضة هي الغابة والشجر متكاوس[2]. وكان عامة شجرهم الدّوم، هذا المقل[3]. فسلط الله عليهم الحر سبعة أيام، فكان لا يكنهم شيء. فبعث الله سحابة فلجأوا[4] تحتها يلتمسون الرَّوْحَ، فجعلها الله عليهم عذاباً؛ جعل تلك السحابة ناراً عليهم، فاضطرمت عليهم فهلكوا؛ فذلك قوله: (فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) يعني تلك السحابة.

(1) قال أبو عبيدة في المجاز: يقال: عثيتَ تعثى عثواً، وهي أشد الفساد والخراب. (وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ) أي: الخلق، وجاء خبرها على المعنى الجماع؛ وإذا نزعت الهاء من آخرها ضممت أوله كما هو في آية أخرى: (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جُبلاً) [يس: 62].

(2) تكاوس الشجر، أي: كثر والتفّ.

(3) كذا في سع و سح: «هذا المقل»، وفي ع و ب: «وهو المقل». وفي اللسان: الدوم شجر يشبه النخل، إلا أنه يثمر المقل، وله ليف وخوص مثل ليف النخل. وواحد الدوم دومة.

(4) كذا في سح ورقة 16: «فلجأوا» وهو أصح، وفي سع، و ب، و ع: لجّوا.

قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَـٰلَمِينَ﴾ يعني القرآن، ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ أي: جبريل، وهي تقرأ على وجهين: بالرفع وبالنصب. فمن قرأها بالرفع قال: نَزَل به، خفيفة، الروحُ الأمين، أي: جبريل نزل به. ومن قرأها بالنصب يقول: نزّل به، مثقلة، الله نزّل به الروحَ الأمين، أي: الله نزل جبريل بالقرآن[1]. ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ يا محمد ﴿ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذَرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ أي: بيّن.

﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ ﴾ أي: وإن[2]القرآن لفي كتب الأولين، أي: التوراة والإنجيل. قال: ﴿ أَوَلَم يَكُنْ لَّهُمْ آيَةً أَن يَّعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَٰءِيـلَ﴾ وهي تقرأ على وجهين: بالياء والتاء. فمن قرأها بالتاء يقول: قد كانت لهم آية. ومن قرأها بالياء فهو يجعلها عملاً في باب كان: يقول: قد كان لكم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل، يعني من آمن منهم؛ فقد كان لهم في إيمانهم به آية. وقال بعضهم: يعني اليهود والنصارى، إنهم يجدون محمداً في التوراة والإنجيل أنه رسول الله.

قال: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ الأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: محمد ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ مُومِنِينَ ﴾ يقول: لو أنزلناه بلسان أعجمي لم تؤمن به العرب، كقوله عزّ وجل: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) [إبراهيم: 4]. قال بعضهم: إذاً لكانوا شرّ الناس فيه، لما فهموه وما دروا ما هو[3].

(1) في ب و ع تقديم وتأخير في وجهي القراءة أثبت التصحيح من سح.

(2) كذا في ب و ع و سع: وإنه أي: وإن القرآن لفي زبر الأولين. وفي سح ورقة 16: (وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ) «يقول: وبعث محمد وأمته في كتب الأولين»، صحته ما جاء في ز ورقة 245: «ونعت محمد وأمته في كتبهم، يعني التوراة والإنجيل». ونسب هذا القول إلى مقاتل. والذي عليه الجمهور أن الضمير في قوله: (وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ) كناية عن القرآن، وهو الصحيح إن شاء الله.

(3) يبدو أن المؤلف وهم في تأويل قوله تعالى: (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ) حين تحدث عن إنزال القرآن بلسان أعجمي. وقد ذهب أبو عبيدة والفراء والطبري وغيرهم غير هذا =

قوله عز وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ ﴾ [أي: سلكنا التكذيب][1] ﴿ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين. وهذا جرم الشرك. ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ أي: الموجع ﴿ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ﴾ أي: فجأة ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَيَقُولُوا ﴾ يومئذ عند ذلك ﴿ هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴾ أي: مؤخَّرون، أي: مُرَدّون إلى الدنيا فنؤمن.

قال الله: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ أي: على الاستفهام. أي: قد استعجلوا به لقولهم: (اِيتِنـا بِعَذَابِ اللهِ) [العنكبوت: 29]، وذلك منهم استهزاء وتكذيب بأنه لا يأتيهم العذاب.

قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ أي: العذاب ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾ أي: في الدنيا.

قوله: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴾ أي: إلا لها رسل، أي: إنه لم يهلك قرية إلا من بعد قيام الحجة عليهم والرسل والبينة والعذر.

قال: ﴿ ذِكْرَىٰ ﴾ أي: يذكرهم ويبيّن لهم ويحتج عليهم. ﴿ وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾ أي: لم نكن لنعذّبهم حتى نحتجّ عليهم ونبيّن لهم ونقطع عذرهم. كقوله: (وَمَا كُنَّا

= المذهب، ففرقوا بين العجم والأعجم. قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 91 في تفسير الآية: «يقال: رجل أعجم إذا كانت في لسانه عجمة، ورجل عجمي أي من العجم وليس من اللسان. والدواب عجم لأنها لا تتكلم، وجاء في الحديث: العجماء جبار لا تؤدى، أي لا دية فيه. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 283: «الأعجم في لسانه، والأعجمي المنسوب إلى أصله إلى العجم وإن كان فصيحاً. ومن قال: أعجم قال للمرأة: عجماء، إذا لم تحسن العربية، ويجوز أن تقول عجمي تريد أعجمي تنسبه إلى أهله. وقد أكد ابن جرير الطبري في تفسيره ج 19 ص 115 ما ذهب إليه أبو عبيدة والفراء ورد على ما جاء في تأويل الآية في هذا التفسير رداً محكماً بحجة لغوية لا تقبل جـدلاً. وانظر كذلك تفسير القرطبي ج 13 ص 139 تجد أقوالاً قريبة مما ذكروه. وأنا أميل إلى ما ذهب إليه هؤلاء فهو الصحيح إن شاء الله لأن القرآن نزل بلغة العرب.

(1) زيادة من ز ورقة 246، ومن معاني الفراء ج 2 ص 283.

مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) [القصص: 59] أي: مشركون، رادون على الرسل ما دعوهم إليه.

قوله: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَـٰطِينُ﴾ قال بعضهم: [وما تنزلت بكتاب الله](1) يعني القرآن ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ ﴾ أن ينزلوا به ﴿ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ذلك.

قال: ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾. وكانوا قبل أن يبعث النبي عليه السلام يستمعون أخباراً من أخبار السماء، وأما الوحي فلم يكونوا يقدرون على أن يسمعوه. فلما بعث النبي عليه السلام منعوا من تلك المقاعد التي كانوا يستمعون فيها إلا ما يسترق أحدهم فيرمى بالشهاب.

ذكروا عن أبي رجاء العطاردي أنه كان يقول: كنا قبل أن يبعث النبي عليه السلام ما نرى نجماً يُرمى به. فلما كان ذات ليلة إذا النجوم قد رُمِيَ بها، فقلنا: ما هذا الذي نرى؛ إنْ هذا إلا أمر حدث؛ فجاءنا أن النبي عليه السلام قد بُعث؛ فأنزل الله في سورة الجن: (وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً) [الجن: 9].

قوله: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَـٰهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ وقد عصمه الله من ذلك.

قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال الكلبي: إن رسول الله ﷺ خرج حتى قام على الصفا، وقريش في المسجد، ثم نادى: يا صباحاه، ففزع الناس فخرجوا فقالوا: ما لك يا ابن عبد المطلب؟ فقال: يا آل غالب، فقالوا: هذه غالب عندك. ثم نادى: يا آل لؤي، ثم نادى: يا آل كعب، ثم نادى: يا آل مرة، ثم نادى: يا آل كلاب، ثم نادى: يا آل قصي. فقالت قريش: أنذر الرجل عشيرته الأقربين. انظروا الرجل ماذا يريد. فقال

(1) زيادة من سح ورقة 17.

أبو لهب: هذه عشيرتك قد حضروا، فماذا تريد؟ فقال رسول الله ﷺ: أرأيتم لو أنذرتكم جيشاً يصبّحكم أتصدقونني؟ قالوا: نعم. قال: فإني أنذركم النار، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا: لا إلَه إلا الله[1] فقال أبو لهب: تبّت يداك، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) [المسد: 1]. فتفرّقت قريش عنه وقالوا: مجنون يهذي من أم رأسه. فأنزل الله: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

ذكروا عن الحسن أن هذه الآية لما نزلت دعا رسول الله ﷺ عشيرته بطناً بطناً، ثم انتهى إلى بني عبد المطلب فقال: يا بني عبد المطلب، إني رسول الله إليكم، لي عملي ولكم عملكم. إني لا أملك لكم من الله شيئاً، إنما أوليائي منكم المتقون. ألا لا أعرفنكم تأتونني تحملون الدنيا على رقابكم ويأتي الناس يحملون الآخرة[2].

قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال بعضهم. الذي يراك قائماً وجالساً وفي حالاتك. ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ أي: في الصلاة. وقال بعضهم: الذي يراك حين تقوم في الصلاة وحدك. (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) في صلاة الجميع. وقال بعضهم: كان رسول الله ﷺ يرى في الصلاة من خلفه كما يرى من بين يديه.

ذكروا عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: أحسنوا الركوع إذا ركعتم، وأحسنوا السجود إذا سجدتم، والذي نفسي بيده إني لأراكم من خلف ظهري كما أراكم من بين يدي في الرّكوع والسجود[3].

(1) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي من طرق مختلفة أخرجه البخاري مثلاً في كتاب التفسير، سورة الشعراء، عن ابن عباس.

(2) أخرجه البخاري بمعناه في كتاب التفسير، سورة الشعراء عن أبي هريرة، وأخرجه الترمذي أيضاً في التفسير سورة الشعراء، عن عائشة، وفيهما خص بالنداء بني عبد مناف، وصفية بنت عبد المطلب، وفاطمة بنت محمد، وبني عبد المطلب. وانظر السيوطي الدر المنثور ج 5 ص 96 فقد ورد فيه الحديث مستوفى.

(3) حديث صحيح، أخرجه مالك في الموطأ، باب العمل، في جامع الصلاة (رقم 246) وأخرجه =

وقال بعضهم: ﴿ الذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ أي: حيث كنت.

قوله: ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ أي: فلا أسمع منه ولا أعلم منه.

قوله: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَـٰطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴾ قال بعضهم: الأفاك الكذّاب.

وقال بعضهم: هم الكهنة: ذكروا أن الشياطين كانت تصعد إلى السماء فتستمع، ثم تنزل إلى الكهنة فتخبرهم، فتحدث الكهنة بما نزلت به الشياطين من السمع، وتخلط الكهنة به كذباً كثيراً فيحدّثون به الناس. فأما ما كان من سمع السماء فيكون حقاً، وما ما خلطوا به فيكون كذباً. وأما قولهم: ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ أي: وجماعتهم كاذبون.

قوله: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ﴾ والغاوون الشياطين الذين يلقون الشعر على الشعراء الذي لا يجوز في الدين.

قال الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ أي: يذهبون في كل واد من أودية الكلام. ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ يمدحون قوماً بباطل، ويذمّون قوماً بباطل.

ثم استثنى الله فقال: ﴿ إِلَّا الذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ وهذه ثنيا الله في الشعراء وغيرهم. والشعراء من المؤمنين الذين استثنى الله: حسّان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك[1].

= البخاري في كتاب الصلاة، باب الخشوع في الصلاة، وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها، من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك (رقم 424 - 425).

(1) اقرأ بعض أشعارهم في مدح الرسول ﷺ ووصف المسلمين في غزواتهم مع رسول الله عليه السلام وكيف كانوا يردون على بعض شعراء المشركين، اقرأ ذلك في سيرة ابن هشام فقصائدهم مبثوثة فيها وفي ديوان حسان بن ثابت.

قال: ﴿ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً ﴾ أي: في غير وقت. ﴿ وَانْتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ أي: من بعد ما ظلمهم المشركون. أي: انتصروا بالكلام، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم. ﴿ وَسَيَعْلَمُ الذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: الذين أشركوا من الشعراء وغيرهم. ﴿ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ أي: من بين يدي الله إذا وقفوا بين يديه يوم القيامة. أي: إنهم سيعلمون حينئذ أنهم سينقلبون من بين يدي الله إلى النار في يوم لا تنفعهم الندامة. نسأل الله العصمة.

تفسير سورة النمل
وهي مكية كلها(1)

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ طَسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْقُرْآنِ وَكِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾. قد فسّرناه في السورة الأولى. قوله: ﴿ هُدًى ﴾ أي: يهتدون به، أي: بالقرآن إلى الجنة ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُومِنِينَ ﴾ أي: بالجنة.

﴿ الذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ ﴾ يعني الصلوات الخمس يحافظون على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. قوله: ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ يعني الزكاة المفروضة، ﴿ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ أي: يصدّقون ولا يشكّون أنها كائنة.

﴿ إِنَّ الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالأَخِرَةِ ﴾ أي: لا يصدقون بالآخرة أنها كائنة. ﴿ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي: فهم في ضلالتهم يلعبون.

قال: ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ الذين هذه صفتهم ﴿ الذِينَ لَهُم سُوءُ العَذَابِ ﴾ أي: شدة العذاب ﴿وَهُمْ فِي الأَخِرَةِ هُمْ الأَخْسَرُونَ﴾ أي: خسروا أنفسهم أن يغنموها فصاروا في النار وخسروا الجنة.

قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القُرْءانَ مِن لَّدُنْ﴾ أي: من عند ﴿ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ يعني نفسه، أي: حكيم في أمره، عليم بخلقه.

---

(1) كذا في سع: سورة النمل، وفي سح: «سورة طس التي يذكر فيها النمل». وفي ب و ع: «سورة سليمان».

قوله: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي ءَانَسْتُ نَاراً ﴾ قال بعضهم: إني أحسست ناراً[1]. وقال في آية أخرى: (إِذْ رَأَى نَاراً) [طه: 10] أي: رآها ناراً عند نفسه، وإنما كانت نوراً.

﴿سَئَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ أي: بخبر الطريق، وكان على غير الطريق. وقال في آية أخرى: (أَو أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) أي: هداة يهدونني إلى الطريق. ﴿ أَوءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾[2] وقال في آية أخرى: (أَوْ جِذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ) [القصص: 29]، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ لكي تصطلوا، وكان شاتياً.

قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا ﴾ أي: جاء النار عند نفسه ﴿ نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ أي: إنها عند موسى نار ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ أي: الملائكة. وهي في مصحف أبي بن كعب: نودي أن بوركت النار ومن حولها ﴿ وَسُبْحَـٰنَ اللهِ رَبِّ العَـٰلَمِينَ﴾.

﴿ يَـٰمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾ فألقاها ﴿ فَلَمَّا رَءاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ أي: كأنها حيّة، وقال في آية أخرى: (فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [طه: 20]، ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِراً ﴾ أي: من الفَرَق ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ أي: ولم يلتفت. وقال مجاهد: ولم يرجع.

﴿ يَـٰمُوسَـىٰ لَا تَخَف إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ ﴾ قال الحسن: (لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) أي: في الآخرة والدنيا لأنهم أهل الولاية وأهل المحبة ﴿ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. أي: فإنه لا يخاف عندي. وكان موسى ممن ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فغفر الله له. وهو قتل ذلك القبطي؛ لم يتعمّد قتله ولكنه تعمد وكزه.

(1) كذا في سع وفي سح: أحسست ناراً، وفي ز: «أبصرت»، وفي ب و ع: «إني رأيت ناراً».
(2) قال أبو عبيدة في المجاز: « (بِشِهَابٍ قَبَسٍ) أي: بشعلة نار. ومجـاز (قَبَس) ما اقتبست منها من الجمر».
(3) وكذلك قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 92: «أي: «ولم يرجع»، يقال عقب عليه فأخذه».

قوله: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ أي: في جيب قميصك ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ أي: من غير برص. قال الحسن: أخرجها والله كأنها مصباح، فعلِم موسى أنه قد لقي ربه[1].

قوله: ﴿ فِي تِسْعِ ءَايَـٰتٍ﴾ أي: مع تسع آيات[2]. ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَـٰسِقِينَ﴾ والتسع الآيات: يده وعصاه والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، (وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ) [الأعراف: 130].

قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي: بيّنة ﴿ قَالُوا: هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: بيّن. ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا ﴾ أي: بآياتنا ﴿ وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾ أي: أنها من عند الله، ﴿ ظُلْماً ﴾ أي: ظلماً لأنفسهم. وقال في آية أخرى: (وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [البقرة: 57] قال: ﴿ وَعُلُوّاً ﴾ أي: من باب العلو. ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ أي: المشركين. كان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْماً وَقَالاَ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُومِنِينَ ﴾ يعنيان أهل زمانهم من المؤمنين.

قوله: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ أي: نبوّته وملكه[3] ﴿ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يعني كل شيء أوتي منه. ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ أي: البين.

قوله: ﴿ وَحُشِرَ ﴾ أي: وجمع ﴿ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ

(1) كذا في سع، وفي سح، وفي ب: «لقي ربّه»، وفي ع: «ألقى أمر ربّه»، ولعلّه: لُقِّيَ أَمْرَ رَبِّهِ أي: قبله وأخذه.

(2) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 288: معناه: افعل هذا، فهي آية في تسع.

(3) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 288: «كان لداود ـ فيما ذكروا ـ تسعة عشر ولداً ذكراً، وإنما خص سليمان بالوراثة لأنها وراثة ملك».

يُوزَعُونَ ﴾ أي: على كل صنف منهم وزعة[1] ترد أولاهم على أخراهم. هذا تفسير بعضهم. وقال الحسن: (فَهُمْ يُوزَعُونَ)، أي: فهم يُدفعون لا يتقدّمه منهم أحد.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾ وهو واد بالشام ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: والنمل لا يشعرون أن سليمان يفهم كلامهم[2].

قال: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي ﴾ أي: ألهمني ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِـدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحاً تَرْضَـٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: أهل الجنة.

قوله: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ ﴾ أي: أحاضر هو فلا أراه ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ أي: أم هو غائب.

قال بعضهم: ذكر لنا أن سليمان أراد أن يأخذ مفازة فدعا الهدهد، وكان سيد الهداهد، ليعلم له مسافة الماء، وكان قد أعطى من البصر بذلك شيئاً لم يعطه غيره من الطير[3].

وقال الكلبي: كان يدله على الماء إذا نزل الناس. كان ينقر بمنقاره في

---

(1) وَزَعَة: جمع وازع، وهو في أصله اللغوي: «الحابس العسكر، الموكل بالصفوف، يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر». كما جاء في اللسان: (وزع). وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 92: « (فَهُمْ يُوزَعُونَ) أي: يدفعون فيستحث آخرهم ويحبس أولهم».

(2) كذا في المخطوطات الأربع: «والنمل لا يشعرون أن سليمان يفهم كلامهم». ويبدو هذا التأويل للجملة الحالية غريباً. وإذا كانت العبارة تحتمله فبتكلّف شديد. وفيه بعد، ولم أجد فيما بحثت من أوّل هذه الجملة هذا التأويل، وجمهور المفسّرين على أن الجملة «حال من مجموع المتعاطفين، أي سليمان وجنوده، والضمير لهما». وهذا المعنى هو أول ما يتبادر إلى الذهن لمن تدبّر الآية، فهو أولى بالاعتبار وسياق الكلام يؤكده. وهنالك وجه آخر ذكره بعض المفسرين وهو أن يرجع الضمير إلى جنود سليمان أي أنهم لم يشعروا بكلام النملة. وهو تأويل فيه شيء من التكلف أيضاً. وانظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج 6 ص 162.

(3) كذا في سع وسح. وفي ب و ع: «وكان قد أعطى من النظر في ذلك ما لم يعطه غيره من الطير».

الأرض، فيخبر سليمان كم بينه وبين الماء من قامة.

ذكروا أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس لِمَ تفقّد سليمان الهدهد قال ابن عباس: إنهم كانوا إذا سافروا نقر لهم الهدهد عن أقرب الماء في الأرض. فقال نافع ابن الأزرق: وكيف يعلم أقرب الماء في الأرض ولا يعلم بالفخّ حتى يأخذ بعنقه. فقال ابن عباس: أما علمت أن الحذر لا يغني من القدر شيئاً.

قال الحسن: كان سليمان إذا أراد أن يركب جاءته الريح فوضع سرير مملكته عليها ووضعت الكراسي والمجالس على الريح وجلس سليمان على سريره، وجلس وجوه أصحابه على منازلهم في الدين عنده من الجن والإنس. والجن يومئذ ظاهرة[1] للإنس، رجال أمثال الإنس إلا أنهم أُدم يحجون جميعاً، ويصلون جميعاً، ويعتمرون جميعاً، والطير ترفرف على رأسه ورؤوسهم، والشياطين حَرَسَة لا يدعون أحداً يتقدم بين يديه. وهو قوله: (فَهُمْ يُوزَعُونَ).

قوله: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُ﴾ وعذابه أن ينتف ريشه وأن يدعه في المنزل حتى يأكله الذرّ والنمل. قوله: ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بعذر بيّن، وقال ابن عباس: بحجة بيّنة.

قوله: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ أي: رجع من ساعته ﴿ فَقَالَ: أَحَطتُّ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ أي: بلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك، وقال بعضهم: علمت ما لم تعلم. ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ أي: بخبر يقين.

وسبأ في تفسير بعضهم أرض باليمن يقال لها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن سبأ أرجل هو أم امرأة أم أرض. فقال: بل هو رجل ولد عشرة، فباليمن منهم ستة وبالشام أربعة[2]. فأما الذين

(1) في ب وسع وسح: «ظاهرة»، وهو الصحيح، وفي ع: «قاهرة».
(2) أخرجه ابن سلام بهذا السند، قال: «وحدثني ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن علقمة بن =

باليمن، فمذحج، وكندة، وحمير، وأنمار، والأزد، والأشعريون؛ وأما الشاميون: فلخم، وجذام، وعاملة، وغسان.

قوله: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: من كل شيء أوتيت منه[1]. ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾. وعرشها سريرها، وكان سريرها حسناً؛ كان من ذهب، وقوائمه لؤلؤ وجوهر. وكان مُسَتّراً بالديباج والحرير. وكانت عليه سبعة مغاليق، وكانت دونه سبعة أبيات بالبيت الذي هو فيه مغلقة مقفلة.

قوله: ﴿ وَجَدتُّها وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾. قال الحسن: كانوا مجوساً. ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا للهِ ﴾. وفيها تقديم، أي: وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل ألا يسجدوا لله. فصدّهم عن السبيل أي: بتركهم السجود فهم لا يهتدون. وفي بعض كلام العرب: (أَلَّا تَسْجُدُوا) أي: فاسجدوا. قوله: ﴿ الذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي: يعلم السرّ في السموات والأرض. والخِبء من الخبيئة. وقال مجاهد: الخبء: الغيب؛ وهو واحد. قال: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ. اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ﴾ ذكروا عن ابن عباس أنه قال: لا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أذن لي أن أحدّث عن ملك في حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنه إلى عاتقه خفقان الطير مسيرة سبعمائة سنة يقول: سبحانك اللهم وبحمدك لم يخل منك مكان[3].

= وعلة أنه سمع ابن عباس يقول: سئل رسول الله. . . الحديث».

(1) جاءت العبارة في ب هكذا: «أوتيته أقسمته»، وفي ع: «أوتيت أقسمته»، ولم أر للكلمة الأخيرة وجهاً فأثبت ما ورد في سع وسح وز.

(2) كذا جاء هذا القول موقوفاً على ابن عباس في ع وفي سع وفي سح. لكنه جاء في ب مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ. ويبدو أن هذا سهو من ناسخ مخطوطة ب. فإني لم أجده حديثاً مرفوعاً فيما بين يدي من مصادر الحديث والتفسير.

(3) كذا وردت الجملة الأخيرة في ب وفي ع: «سبحانك لم يخل منك مكان»، وفي سع 67 ظ، =

قوله: ﴿ قال سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكَـٰذِبِينَ ﴾ قال الحسن: فابتلى، أي: فاختبر منه ذلك فوجده صادقاً.

قوله: ﴿ اذْهَب بِكِتَـٰبِي هَـٰذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِم ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُم ﴾ يقول انصرف عنهم ﴿ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾.

قال بعضهم: ذكر لنا أنها امرأة من أهل اليمن كانت في بيت مملكة يقال لها بلقيس بنت شرحبيل فهلك ملك قومها فمُلِّكت.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لن يفلح قوم تملكهم امرأة[1].

قال: وكانت إذا رقدت غلّقت الأبواب وأخذت المفاتيح ووضعتها تحت رأسها. فلما غلّقت الأبواب وأوت إلى فراشها أتاها الهدهد حتى دخل من كوة بيتها، فقذف الصحيفة على بطنها أو بين ثدييها، فأخذت الصحيفة فقرأتها فقالت:

﴿ يَـٰأَيُّهَا المَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴾ [أي: حسَن، حسن ما فيه][2] ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ ﴾ أي: لا تمتنعوا عليّ. وقال بعضهم: لا تخلفوا عليّ [وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ]. وكذلك كانت تكتب الأنبياء جملاً، لا يطيلون، ولا يكثرون.

قوله: ﴿ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ يعني الإسلام. وقال الكلبي: (وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) أي: وأتوني مقرّين بالطاعة مستسلمين، ليس يعني الإسلام.

= وفي سح ورقة 25: سبحانك حيث كنت. والحديث صحيح تقدمت الإشارة إليه فيما سلف ج 1 ص 514.

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، وفي كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر عن أبي بكرة، ولفظه: لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال: لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة.

(2) زيادة من سع و سح. وقال الفراء في المعاني: «جعلته كريماً لأنه كان مختوماً، كذلك حُدِّثت. ويقال: وصفت الكتاب بالكرم لقومها لأنها رأت كتاب ملِك عندها فجعلته كريماً لكرم صاحبه.

﴿ قَالَتْ يَـٰأَيُّهَا المَلؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ﴾ أي: إنها استشارتهم[1] ﴿ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾.

قال بعضهم: ذكر لنا أنه كان لها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً هم أهل مشورتها، كل رجل منهم على عشرة آلاف فجميعهم ثلاثة آلاف ألف ومائة ألف وثلاثون ألفاً.

﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ أي: خرّبوها ﴿ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ قال الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ أي: رسلي[2]، أي: إن قبل هديتنا فهو من الملوك وليس من أهل النبوّة كما ينتحل.

وقال بعضهم: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) فَمُصَانِعَتُهم بها عن مُلكي إن كانوا أهل دنيا. فبعثت إليهم بلبنة من ذهب في حريرة وديباج. فبلغ ذلك سليمان، فأمر بلبنة من ذهب فصيغت، ثم قذفت تحت أرجل الدواب على طريقهم تبول عليها وتروث عليها. فلما جاءت رسلها فرأوا اللبنة تحت أرجل الدواب صغُر في أعينهم الذي جاءوا به.

وقال مجاهد: بعثت إليهم بِجَوَارٍ قد ألبستهن لباس الغلمان، وغلمان قد ألبستهم لباس الجواري، فخلّص سليمان بعضهم من بعض، ولم يقبل هديتها.

قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَـٰنِيَ اللهُ ﴾ أي: ما أعطاني الله ﴿ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَـٰكُم ﴾ أي: خير مما أعطاكم ﴿ بَلْ أَنْتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾.

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 292: «(يَا أَيُّهَا المَلأُ افْتُونِي) جعلت المشورة فتيا، وذلك جائز لِسَعة العربية».

(2) يذكر بعض الرواة أن الرسول كان واحداً، وقيل كان امرأة. ويستدل الذين يقولون إن الرسول كان واحداً بقوله تعالى فيما بعد: (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ) أي: فلما جاء الرسولُ سليمانَ. وبقوله: (ارجِعْ إِلَيْهِمْ). انظر معاني الفراء ج 2 ص 293.

﴿ ارْجِع إِلَيْهِمْ ﴾ يعني الرسل ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا ﴾ أي: لا طاقة لهم بها ﴿ وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا المَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ أي: بسريرها ﴿ قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾. وذلك أنه لما بلغ سليمان أنها جائية، وكان قد ذكر له سريرها فأعجبه. [وكان عرشها من ذهب، وقوائمه لؤلؤاً وجوهراً. وكان مُستَّراً بالديباج والحرير، وكانت عليه سبعة مغاليق، فكره أن يأخذه بعد إسلامها][1] وقد علم أنهم متى أسلموا تحرم أموالهم مع دمائهم، فأحب أن يؤتى به قبل أن يكون ذلك من أمرهم. فقال: (يَا أَيُّهَا المَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ). قال الكلبي: (قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) قبل أن يأتوني مقرّين بالطاعة.

﴿ قَال عِفْرِيتٌ مِنَ الجِنِّ ﴾ أي: مارد من الجن، والعفريت لا يكون إلا الكافر: ﴿ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ ﴾ أي: بالسرير. ﴿ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾، ومقامه مجلسه الذي يقضي فيه. أي: لا يفرغ من قضيته حتى يؤتى به، فأراد ﷺ ما هو أعجل من ذلك. ﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾[2].

فـ ﴿ قَالَ الذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ وكان رجلاً من بني إسرائيل يقال له: أصف بن برخيا[3]، يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب: يا ذا الجلال والإكرام، والمنن العظام والعز الذي لا يرام. هذا تفسير اسمه الأعظم، والله أعلم.

﴿ قَالَ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ وطرفه أن يبعث رسولاً إلى منتهى طرفه فلا يرجع حتى يؤتى به[4].

(1) زيادة من سع ومن سح، وقد جاءت بعض الجمل فاسدة مضطربة فأثبت التصحيح من سع وسح.

(2) لم ترد هذه الجملة الأخيرة من الآية في كل المخطوطات.

(3) لم يرد اسم برخيا إلا في مخطوطة ع.

(4) هذا وجه من أوجه تأويل ارتداد الطرف، وهنالك أوجه أخرى ذكرها المفسّرون: منها: «أن يبلغ =

فدعا الرجل باسم الله: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ يعني رأى سليمان السرير ﴿ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُونِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ). أي: أشكر نعمة الله أم أكفرها. ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾.

ذكر ابن عباس قال: إن صاحب سليمان الذي عنده علم من الكتاب كان يحسن الاسم الأكبر؛ فدعا به؛ وكان بينه وبين السرير مسيرة شهرين، فلما أتى به ورآه سليمان مستقرّاً عنده كأنه وقع في نفسه مثل الحسد له. ثم فكّر فقال: أليس هذا الذي قدر على ما لم أقدر عليه مسخّراً لي. (هَٰذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ امَ اَكْفُرُ).

وقال بعضهم: هو جبريل الذي قال: أنا آتيك به.

قوله: ﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا ﴾ قال مجاهد: غيروا لها عرشها. وقال بعضهم: وتغييره أن يزاد فيه وينقص منه. ﴿ نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي ﴾ أي: أتعرفه ﴿ أَمْ تَكُونُ مِنَ الذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ أي: أم لا تعرفه.

قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ: أَهَكَذَا عَرْشُكِ ﴾ على الاستفهام. ﴿ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ أي: شبّهته. قال سليمان: ﴿ وَأُوتِينَا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا ﴾ يعني النبوة. ﴿ وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ أي: كفرها بالله الذي صدّها عن الهدى، ليس الوثن[1]. ﴿ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ﴾.

= طرفك مداه وغايته». انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج 6 ص 175، وتفسير الطبري، ج 16 ص 164.

(1) كذا في ب و ع. وجاءت العبارة في سع ورقة 68 و، وفي سح 28 هكذا: «كفرها بقضاء الله، غير الوثن ـ وذلك من قضاء الله ـ صدها أن تهتدي إلى الحق». وهو تفسير مجاهد. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 295 في تفسير الآية: «يقول: هي عاقلة، وإنما صدها عن عبادة الله عبادة الشمس والقمر، وكان عادة من دين آبائها». وانظر وجوه إعراب (ما) وكسر همزة إن أو فتحها كما يراها الفراء في الآية».

﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ﴾ تفسير الحسن أن سليمان أمر الشياطين أن تصنع صرحاً، أي: مجلساً من قوارير.

وقال الكلبي: إن الجن استأذنوا سليمان فقالوا: ذرنا فَلْنَبْنِ صرحاً من قوارير، والصرح قصر، فننظر كيف عقلها. وخافت الجن أن يتزوّجها فتطلع سليمان على أشياء كانت الجن تخفيها من سليمان. وذلك أن أحد أبويهـا كان جنياً، فلذلك تخوّفوا ذلك منها.

قال الكلبي: فأذن لهم. فعمدوا إلى الماء ففجّروه في أرض فضاء، ثم أكثروا فيه من الحيتان والضفادع، ثم بنوا عليه سترة من زجاج، ثم بنوا من حوله صرحاً، أي: قصراً، ممرّداً من قوارير؛ الممرّد: الأملس. ثم أدخلوا عرش سليمان، أي: سريره، وعرشها وكراسي عظماء الملوك. ثم دخل الملك سليمان ﷺ ودخل معه عظماء جنده. ثم قيل لها: ادخلي الصرح، وفتح الباب. فلما أرادت الدخول إذا هي بالحيتان والضفادع، فظنّت أنه مُكِرَ بها لتغرق. ثم نظرت فإذا هي بالملك سليمان على سريره، والناس حوله على الكراسي، فظنت أنها مخاضة[1]، فكشفت عن ساقيها. وكان لها شَعَر، فلما رآها سليمان كرهها. فعرفت الجن أن سليمان قد رأى منها ما كانت تكتم. قالت لها الجن: لا تكشفي عن ساقيك ولا عن قدميك فإنه صرح ممرّد، أي مملس، من قوارير.

وقال بعضهم: كان الصرح بني من قوارير على الماء. فلما رأت اختلاف السمك من ورائه لم يشتبه عليها أنه لجّة، وكشفت عن ساقيها. وكان أحد أبويها جنّيّاً. وقال مجاهد: كانت أمها جنيّة. قال: وكان مؤخر رجليها كحافر الدّابة، فكانت إذا وضعته على الصرح هشمته. قال مجاهد: كان الصرح بركة ماء ضرب عليها سليمان قوارير ألبسها إياه.

وقال بعضهم: إنها لما أقبلت إلى سليمان خافت الشياطين من أن يتزوّجها

(1) هي الأرض التي بها ماء يخاض فيه لاجتيازها تسمى مخاضة ومخاض.

سليمان، وقالوا: قد كنّا نلقى من سليمان من السخرة ما نلقي، فكيف إذا اجتمع عقل هذه وتدبيرها مع ملك سليمان ونبوته، مع أن أمّها كانت من الجن، فالآن هلكتم. فقال بعضهم: أنا أصرف سليمان عنها حتى لا يتزوّجها. فأتاه فقال له: إنه لم تلد قط جنية من إنسي إلا كان رجلها رجل حمار، فوقع ذلك في نفس سليمان. وكان رجل من الجن يحب كل ما وافق سليمان، فقال: يا نبي الله أنا أعمل لك شيئاً ترى ذلك منها، فعمل الصرح.

﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ﴾ فرأى سليمان قدميها قدم إنسان، ورأى على ساقها شعراً كثيراً فساءه ذلك. فقال الجن الذي يحبّ كل ما وافق سليمان: أنا أعمل لك ما يذهب ذلك الشعر الذي ساءك، فعمل له النورة[1] والحمّام. وكان أول من عمل النورة والحمّام، وتزوّجها سليمان في قول بعضهم.

﴿ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ أي: أضررت نفسي. وبعضهم يقول: نقصت نفسي، يعني بما كنت عليه من الكفر. ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ للهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحاً ﴾ أي: أخوهم في النسب وليس بأخيهم في الدين. ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾. قال بعضهم: يقول: إذا القوم بين مصدّق ومكذّب، أي: مصدّق بالحق، ونازل عنده، ومكذّب بالحق وتارك، في ذلك كانت خصومة القوم.

﴿ قَالَ يَـٰقَـوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ ﴾ والسيئة العذاب، لقولهم: (ائِتِنَـا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الأعراف: 70] أي: المرسلين. والحسنة: الرحمة. ﴿ لَوْلَا ﴾ أي: هلا ﴿ تَسْتَغْفِـرُونَ اللهَ ﴾ أي: من شرككم ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أي: لكي تُرْحَمُوا.

---

(1) النورة: هِنَاءٌ يُتَّخَذ من حجر محرق يُدقّ فيوضع على البشرة ويطلى به الموضع الذي يراد إزالة الشعَرِ منه.

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ قالوا: ما أصابنا من سوء فهو من قِبَلك ومن قِبَل من معك في تفسير بعضهم. وقال الحسن: قد كانوا أصابهم جوع فقالوا: لشؤمك ولشؤم الذين معك أصابنا هذا، وهي الطيرة. ﴿قَالَ طَـٰئِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ﴾ أي: عملكم عند الله[1].

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ أي: تبتلون، أي: تختبرون بطاعة الله ومعصيته في تفسير بعضهم. وقال الحسن: (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) أي: عن دينكم، أي: تصرفون عن دينكم الذي أمركم الله به، يعني الإسلام.

قوله: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾. [قال بعضهم: تسعة رهط من قوم صالح][2]. ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ﴾ أي: تحالفوا بالله. أي: يقوله بعضهم لبعض: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ قال الحسن: أهله: أمته الذين على دينه. وقال بعضهم: تواثقوا على أن يأخذوه ليلاً فيقتلوه. وقال بعضهم: ذكر لنا أنهم بينما هم معانيق[3] إلى صالح ليفتكوا به إذ بعث الله عليهم صخرة فأهمدتهم[4].

قوله: ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ أي: لرهطه ﴿مَا شَهِدْنَا مُهْلَكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾.

قال الله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً﴾ أي: الذي أرادوا بصالح ﴿وَمَكَرْنَا مَكْراً﴾ أي: رماهم الله بالصخرة فأهمدتهم. قال: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قال: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ إِنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ﴾ أي: بالصخرة ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: دمّرنا قومهم بعدهم بالصيحة.

(1) كذا في المخطوطات الأربع: ب و ع وسع وسح: «عملكم عند الله». وفي تفسير الطبري ج 19 ص 171: «علمكم عند الله». ونسب هذا القول فيه إلى قتادة. وقال أبو عبيدة في المجاز في تفسير الآية: 131 من سورة الأعراف: (أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ): «ومجاز (طَائِرُهُمْ) أي: حظهم ونصيبهم».

(2) زيادة من سع 68 ط، ومن ز ورقة 250.

(3) معانيق جمع مُعنِق. من أعنق إذا سارع وأسرع.

(4) أي: تركتهم هامدين، أي: أهلكتهم فماتوا.

قال: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ ﴾ يعني بالحجر ﴿ خَاوِيَةً ﴾ أي: ليس فيها أحد ﴿ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ أي: بما أشركوا ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾. قال: ﴿ وَأَنْجَيْنَا الذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي: صالحاً والذين آمنوا معه. ﴿ وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذَّبين، يعني أصحاب الحجر، إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم ما أصابهم. أي: لا يصيبكم مثل ما أصابهم(1).

ذكروا أن رسول الله ﷺ مرّ في غزوة تبوك بوادي ثمود على فرس شقراء فقال: اسرعوا السير فإنكم بواد ملعون(2).

قوله: ﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ أنها فاحشة. ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَل أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ وقد فسَّرنا أمرهم في غير هذا الموضع(3).

قوله: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ﴾ أي: قاله بعضهم لبعض ﴿ أَخْرِجُوا ءَالَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي: عن الفاحشة في تفسير الحسن. وقال مجاهد: من أدبار الرجال وأدبار النساء، ويتطهّرون أي: يتنزّهون.

قال الله: ﴿ فَأَنْجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ الغَـٰبِرِينَ﴾ أي: غبرت، أي: بقيت في عذاب الله. ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً ﴾ وهي الحجارة التي رمي بها أهل السفر منهم ومن كان خارجاً من المدينة، وخسف بهم، وهي في تفسير بعضهم: ثلاث مدائن. وهو قوله: (وَالمُؤْتَفِكَاتِ) [التوبة: 70] وتأويل المؤتفكات:

---

(1) حديث صحيح متفق عليه أخرجه أحمد والبخاري ومسلم. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب، وأخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين (رقم 2980).

(2) رواه أبو الأشهب عن أبي نضرة كما في تفسير القرطبي ج 20 ص 48.

(3) انظر ما مضى في هذا الجزء ص 236 - 237.

المنقلبات. ائتفكت بأهلها، أي: انقلبت بهم فصار عاليها سافلها. قال: ﴿ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ أي: بئس مطر المنذرين. يعنيهم. أي: أنذرهم لوط فلم ينتذروا.

قوله: ﴿ قُلِ الحَمْدُ للهِ وَسَلَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الذِينَ اصْطَفَى ﴾ أي: الذين اختار، يعني الأنبياء والمؤمنين. قوله: ﴿ءَآللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1] على الاستفهام، أي: إن الله خير من أوثانهم التي يعبدون من دون الله.

قوله: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوٰتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ ﴾ أي: بذلك الماء ﴿ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ أي: ذات حسن، أي: حسنة. قال الحسن: الحدائق: النخل. وقال الكلبي: الحديقة: الحائط من الشجر والنخل[2].

﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ أي: إن الله أنبتها. يقول: أم من خلق هذا خير، وهو تبع للكلام، لقوله: (اللهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ). وهو على الاستفهام. يقول: أم من خلق هذا أم أوثانهم. أي: إن الله خير منهم.

قال: ﴿ أَءِلَهٌ مَّعَ اللهِ ﴾ أي: ليس معه إله. وهذا استفهام على إنكار. ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ أي: يعدلون بالله، فيعبدون الأوثان من دونه، يعدلونهم بالله.

قوله: ﴿ أم مَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَا أَنْهَاراً وَّجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ ﴾ أي: الجبال ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزاً ﴾ أي: لا يبغي أحدهما على الآخر، لا يبغي المالح على العذب، ولا العذب على المالح. وقال بعضهم: وجعل بينهما برزخاً أي: حاجزاً من الأرض، أي: بين البحرين المالحين: بحر فارس والروم.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 95: «(أَمَّا يُشْرِكُونَ) مجازه أم ما تشركون، أي: أم الذي تشركون به فأدغمت الميم في الميم فثقلت. و(ما) قد يوضع في موضع (من) و(الذي). وكذلك هي في آية أخرى: (والسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا) [الشمس: 5] ومن بناها (وَالأَرْضِ وَمَا طَحَّاهَا) ومن طحاها.

(2) وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 297: «وإنما يقال حديقة لكل بستان عليه حائط. فما لم يكن عليه حائط لم يقل له: حديقة».

وقال مجاهد: حاجزاً لا يرى. وقال الكلبي: البرزخ: [الحَلْق][1] الذي بينهما. يعني بحر فارس والروم.

وقال الحسن يقول: أم من خلق هذا خير أم أوثانهم. وهذا تبع لقوله: (اللهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ). وهو على الاستفهام، أي: إن الله خير من أوثانهم.

قال: ﴿أَءِلَهٌ مَّعَ اللهِ﴾ أي: ليس معه إله ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ المضطر: المكروب والمظلوم والمريض. ﴿ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾ أي: خلفاً بعد خلف. وهو على الاستفهام يقول: أم من يفعل هذا خير أم أوثانهم. وهذا تبع لقوله: (اللهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ) أي: إن الله خير من أوثانهم. قال: ﴿ أَءِلَهٌ مَّعَ اللهِ ﴾ على الاستفهام أي: ليس معه إله. ﴿ قَلِيلًا مَا تَذَّكَّرُونَ ﴾ أي: أقلّهم المتذكر، يعني أقلّهم من يؤمن.

قوله: ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [أي: من شدائد البر والبحر][2] ﴿ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً ﴾ أي: ملقحات للسحاب ﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ أي: بين يدي المطر. وهو على الاستفهام. يقول: أم من يفعل هذا خير أم أوثانهم. وهذا تبع لقوله: (اللهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ) أي: إن الله خير من أوثانهم. قال: ﴿ أَءِلَهٌ مَّعَ اللهِ ﴾ على الاستفهام. أي: ليس معه إله. ﴿ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ينزّه نفسه عمّا يشركون به.

قوله: ﴿ أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ يعني البعث ﴿ وَمَن يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ وهو على الاستفهام، يقول أم من يفعل هذا خير أم أوثانهم؛ وهذا تبع لقوله: (اللهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ) أي: إن الله خير من أوثانهم قال الله: ﴿ أَءِلَهٌ مَّعَ اللهِ ﴾ على الاستفهام، أي: ليس معه إله. ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ يقول للنبي عليه السلام أن يقول للمشركين: هاتوا برهانكم أي: حجتكم في تفسير الحسن. وفي تفسير

(1) زيادة من سع ورقة 69 و، ومن سح ورقة 33.

(2) زيادة من سع ومن سح.

بعضهم: بيّنتكم. ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ أي: هذه الأوثان خلقت شيئاً أو صنعت شيئاً من هذا.

قوله: ﴿ قُلْ لَّا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّـمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ ﴾ الغيب ها هنا القيامة. أي: لا يعلم مجيئها إلا الله ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: وما يشعر جميع الخلق ﴿ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ متى يموتون ومتى يبعثون[1].

قوله: ﴿ بَلِ ادٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الأَخِرَةِ ﴾ أي: علموا في الآخرة أن الأمر كما قال الله، فآمنوا حين لم ينفعهم علمهم ولا إيمانهم.

وقال الحسن: (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ) على الاستفهام، أي: تبعاً للاستفهام الأول، أي: لم يبلغ علمهم في الآخرة، أي: لو بلغ علمهم أن الآخرة كائنة لآمنوا بها في الدنيا كما آمن بها المؤمنون. وقال بعضهم: إن علمهم بذلك لم يبلغ في الدنيا؛ يسفّههم بذلك.

وقال مجاهد: معناه عندي: (أَمْ أَدْرَكَ) أي: لم يدرك؛ وهو مجامع[2] للقول الأول الذي ذكرنا قبله.

قال: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ﴾ أي: من الآخرة ﴿ بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ أي: عموا عن الآخرة. وقال الكلبي: (بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ) أي: لا يدرون ما الحساب فيها وما العذاب.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَاباً وَءَابَاؤُنَا ﴾ على الاستفهام[3] ﴿ أَيِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ أي: لمبعوثون. كقوله: (أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً) [مريم: 66] أي: لا نبعث. وهذا على الاستفهام، استفهام منهم على إنكار.

(1) كذا في المخطوطات: «متى... ومتى» وفي ع: «أين يموتون ومتى يبعثون».
(2) كذا في ب و ع: «مجامع» أي: شبيه. ولم ترد هذه الكلمة في سع ولا في سح. وانظر تفسير الطبري ج 20 ص 6.
(3) هذا على قراءة من قرأها: (أيذَا). باختلاس الياء، وهي قراءة عاصم وغيره، وقد قرأها نافع (إذَا) على الخبر لا على الاستفهام.

قوله: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: فلم نبعث. فهذا قول مشركي العرب، أي: قد وعدت آباؤنا من قبل بالبعث كما وعَدَنا محمد، فلم نرها بعثت. يعني من كان من العرب على عهد موسى. وقد كان موسى يومئذ حجة على العرب، وهو قوله: (وَقَالُوا لَوْلَآ) أي: هلاّ (أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ) يعنون محمداً. يقولون: هلاّ أعطي محمد مثل ما أعطي موسى من قبل. قال الله: (أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ) [القصص: 48] يعنون موسى ومحمداً. أي: كفروا بهم جميعاً. وقال بعضهم: يعنون موسى وهارون. قوله: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي: كذب الأولين وباطلهم.

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين. كان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار، أي: فاحذروا أن ينزل بكم من عذاب الله ما نزل بهم، يعني المشركين.

قوله: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: إن لم يؤمنوا. كقوله: (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) [فاطر: 8] ﴿ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ أي: لا يضيق عليك أمرك مما يمكرون بك وبدينك فإن الله سينصرك عليهم ويذلّهم لك.

قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ ﴾ الذي تعدنا به من عذاب الله ﴿ إِنْ كُـنْتُـم صَـٰدِقِينَ ﴾.

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ﴾ أي: اقترب لكم في تفسير مجاهد. وقال بعضهم: اقترب منكم، أي: دنا منكم ﴿ بَعْضُ الذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ قال الحسن: بعض الذي تستعجلون من عذاب الله. يعني قيام الساعة التي يهلك الله بها آخر كفار هذه الأمة.

قوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ فبفضل الله خلق الكافر، وبفضله يتقلّب في الدنيا، يأكل ويشرب ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ أي: من لا يؤمن؛ ومنهم من يشكر، وهو المؤمن.

قوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾ من عداوة رسول الله والمؤمنين ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ أي: من الكفر.

قوله: ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ تفسير الحسن: الغائبة: القيامة[1].

قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ﴾ يعني الذين أدركوا النبي عليه السلام ﴿ أَكْثَرَ الذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ يعني ما اختلف فيه أوائلهم، وما حرّفوا من كتاب الله، وما كتبوا بأيديهم، ثم قالوا: هذا من عند الله.

قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هدى يهتدون به إلى الجنة.

قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ﴾ أي: بين المؤمنين والكافرين في الآخرة، فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل الكافرين النار. ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ أي: لا أعز منه ولا أعلم منه.

قوله: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ أي: البيّن.

قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ ﴾ يعني الكفار الذين يلقون الله بكفرهم، إنما مثلهم فيما تدعوهم إليه مثل الأموات الذين لا يسمعون. قال: ﴿ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ يعيبهم. وهي تقرأ على وجه آخر: (وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ) يقول: إن الأصمّ لا يسمع الدعاء إذا ولّى مدبراً. وهذا مثل الكافر، أي: لا يسمع الهدى إذا ولّى مدبراً، أي: مدبراً عن الهدى جاحداً له أي: مثل الأصم الذي لا يسمع. وكان الحسن يقرأ هذا الحرف: (وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ).

---

(1) كذا في المخطوطات الأربع: ب و ع و سع و سح: «الغائبة: القيامة». ولا أرى وجهاً لتخصيص القيامة هنا دون سائر المغيّبات. فالغائبة تشمل كل سرّ مكتوم أو أمر خفي يغيب عن الأبصار أو الأفهام في سماء أو أرض. وحَمْلُ اللفظ على العموم أصحّ معنى وأحسن تأويـلاً.

قوله: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَـٰلَتِهِمْ ﴾ يعني الذين يموتون على كفرهم ﴿ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِئَايَتِنَا﴾ أي: من أراد الله أن يؤمن منهم ﴿ فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ وهذا سمع القبول(1). وأما الكافر فتسمع أذناه ولا يقبله قلبه.

قوله: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: حق القول عليهم، والقول: الغضب. ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ [وفي بعض القراءة: تُحدِّثهم](2) ﴿ إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِئَايَتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾.

ذكروا عن ابن عباس أنه كان يقول: إنها دابة ذات زغب وريش لها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة.

ذكروا عن ابن عمرو أنه قال: تخرج الدابة من مكة من صخرة بشعب أجياد. قال: فإذا خرجت الدابة فزع الناس إلى الصلاة؛ فتأتي الرجل وهو يصلي فتقول له: طوِّل ما أنت مُطوِّل، فوالله لأخطِمَنَّكَ(3). قال: فيومئذ يعرف المنافق من المؤمن. قال عبد الله بن عمرو: لو أشاء أن أضع قدمي على مكانها الذي تخرج منه لفعلت.

ذكر الحسن أن موسى عليه السلام سأل ربه أن يريه الدابة، دابة الأرض، فخرجت إليه ثلاثة أيام ولياليها لا يرى أطرافها، أو لا يرى واحداً من طرفيها، فرأى منظراً كريهاً، فقال: ربِّ، رُدَّها فرجعت.

ذكروا عن أبي الطفيل(4) قال: كنا جلوساً عند حذيفة فذكروا الدابة فقال

(1) كذا في ب وع: «سمع القبول»، وفي سع وسح: «سمع القلوب».
(2) زيادة من سح، ورقة 38، ومن ز ورقة 251.
(3) خطمه، أي: ضرب خَطمَه، وهو مقدم الأنف؛ والمخاطم: الأنوف.
(4) هو أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني، ولد عام أُحُد، فأدرك من حياة النبي ﷺ ثمانية أعوام. وروى عنه أنه قال: «ما بقي على وجه الأرض عين تطرف ممن رأى النبي ﷺ غيري»، ولذلك يعد آخر من مات ممن رأى النبي ﷺ. وكان متشيّعاً. وقد ذكره ابن قتيبة في أسماء الغالية من الرافضة. انظر ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر ج 4 ص 1696، وفي المعارف لابن قتيبة ص 624.

حذيفة: إنها تخرج ثلاث خَرْجات: مرّة في بطن الوادي، ثم تكمن. ثم تخرج في بعض القرى حتى تذكر، ويهريق فيها الأمراء الدماء. فبينما الناس على أعظم المساجد وأفضلها وأشرفها، يعني المسجد الحرام، إذ ترفع الأرض ويهرب الناس، وتبقى عصابة من المؤمنين يقولون: لن ينجينا من أمر الله شيء، فتخرج فتجلو وجه المؤمن، وتخطم وجه الكافر، لا يدركها طالب، ولا ينجو منها هارب. قالوا: وما الناس يومئذ يا حذيفة؟ قال: جيران في الرِّبَاع، شركاء في الأموال، أصحاب في الأسفار.

ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال: يبيت الناس يسيرون إلى جمع وتبيت الدابة تسري إليهم فيصبحون قد جعلتهم بين رأسها وذنبها، فما تمرّ بمؤمن إلا تمسحه، ولا بكافر ولا منافق إلا تخطمه، وإن التوبة اليوم[1] لمفتوحة.

ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال: لا تقوم الساعة حتى يجتمع أهل البيت على الإناء الواحد يعرفون مؤمنيهم من كافريهم. قال: تخرج دابة الأرض فتمسح كل إنسان على مسجَده[2]؛ فأما المؤمن فتكون نكتة بيضاء فتفشو في وجهه حتى يبيضّ لها وجهه، وأما الكافر فتكون نكتة سوداء حتى يسودّ وجهه؛ حتى أنهم ليتبايعون في أسواقهم فيقول هذا: كيف تبيع هذا يا مؤمن، ويقول هذا: كيف تأخذ هذا يا كافر. فما يرد بعضهم على بعض.

قوله: ﴿ تُكَلِّمُهُمْ إِنَّ النَّاسَ ﴾ أي: المشركين ﴿ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ وبعضهم يقرأها: ﴿ تَكْلِمُهم ﴾ أي: تجرحهم[3]. وبعضهم يقول: تَسِمُهم.

(1) كذا في ب و ع: «وإن التوبة اليوم لمفتوحة». أي: يومئذ؛ ولم ترد كلمة اليوم في سع ولا في سح.

(2) المسجَد، بفتح الجيم، جبهة الرجل حيث يصيبه أثر السجود.

(3) هذا الشرح لكلمة: «تَكْلِمهم» مما انفردت به ب و ع. وفي سع 70 و: «تكْلِمُهم، أي: تَسِمهم». وما ورد في ب و ع أصح، وكأن الفراء لم يستسغ هذه القراءة حين قال في المعاني ج 2 ص 300: «واجتمع القراء على تشديد (تُكَلِّمُهُمْ)، وهو من الكلام. وحدثني بعض المحدِّثين أنه قال: (تُكَلِّمُهُمْ) وَ (تَكْلِمُهُمْ).

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً ﴾ يعني كفار كل أمة ﴿ مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِئَايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ لهم وَزَعةٌ ترد أولاهم على أخراهم.

قال: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا ﴾ أي: حتى إذا قُدِم بهم على الله ﴿ قَالَ ﴾ الله: ﴿ أَكَذَّبْتُمْ بِئَايَٰتِي ﴾ أي: بحجتي[1] ﴿ وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً ﴾ أي: بأن ما عبدتم من دوني ما خلقوا معي شيئاً ولا رزقوا معي شيئاً، وإن عبادتكم إياهم لم تكن بإحاطة علم علمتموه، إنما كان ذلك منكم على الظّنّ. ﴿ أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يستفهمهم بذلك وهو أعلم بذلك منهم؛ أي: يحتجّ عليهم.

قال: ﴿ وَوَقَعَ القَوْلُ ﴾ أي: الغضب ﴿ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا ﴾ أي: بما أشركوا ﴿ فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴾.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ﴾ أي: منيراً[2] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤمِنُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ والصور قرن. وقال مجاهد: كهيئة البوق[3]. ﴿ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ﴾. وهذه النفخة الأولى.

وقال الحسن في قوله: (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ): استثنى الله طوائف من أهل السماء يموتون بين النفختين.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ) يعني الشهداء، فإنهم قالوا:

---

(1) كذا في ب و ع: «أي بحجتي». وهو تأويل انفردت به ب و ع. والحقُّ أن آيات الله أعمّ من حجته وإن كان له وحده الحجة البالغة.

(2) وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 96: «(وَالنَّهَارَ مُبْصِراً) مجازه مجاز ما كان العمل والفعل فيه لغيره؛ أي: يُبصَر فيه؛ ألا ترى أن البصر إنما هو في النهار والنهار لا يبصر، كما أن النوم في الليل ولا ينام الليل؛ فإذا نيم فيه قالوا: ليله قائم ونهاره صائم. قال جرير:

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى ... وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ المَطِيِّ بِنَائِمِ»

(3) في ب و ع: «كقرن البوق» وهو خطأ وأثبت التصحيح من سع ورقة 70 و، ومن سح.

ما أحسن هذا الصوت كأنه الآذان في الدنيا، فلم يفزعوا ولم يموتوا(1).

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشقّ عنه الأرض، فأجد موسى متعلّقاً بالعرش، فلا أدري أَصُعِق فيمن صعق، أم أَجْزَته الصعقة الأولى. وذكروا عن الحسن عن رسول الله ﷺ قال: فأجد موسى متعلّقاً بالعرش فلا أدري أحوسب بالصعقة الأولى، أم خرج قبلي(2).

قوله: ﴿ وَكُلٌّ ءَاتُوهُ دَٰخِرِينَ ﴾ يعني صاغرين. يعني النفخة الآخرة.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: بين النفختين أربعون؛ الأولى يميت الله بها كل حي، والأخرى يحيـي الله كل ميّت(3).

ذكروا عن عكرمة قال: النفخة الأولى من الدنيا والأخرى من الآخرة. ذكروا عن عبد الله بن عمرو أنه قال: النافخان في السماء الثانية، رأس أحدهما بالمشرق ورجلاه بالمغرب، ورأس أحدهما بالمغرب ورجلاه بالمشرق.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: يقوم ملك بين السماء والأرض بالصور فينفخ فيه. وذكر بعضهم أن المنادي، وهو صاحب الصور ينادي من الصخرة من بيت المقدس.

قوله: ﴿ وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً ﴾ أي: ساكنة ﴿ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ وتكون الجبال كالعهن، أي: كالصوف المنفوش، وتكون كثيباً مهيلاً، وتُبَس بَسّاً كما يُبسُّ السويق، وتكون سَراباً، ثم تكون هباءً منبثّاً؛ فذلك حين تذهب من أصولها فلا يرى منها شيء، فتصير الأرض كلها مستوية.

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 20 ص 19 وفي ص 20 من طريقين عن أبي هريرة. ولفظه: «هم الشهداء». وليس فيه بقية الحديث.
(2) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 425.
(3) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 348.

قوله: ﴿ صُنعَ اللهِ الذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ أي: أحكم كل شيء ﴿ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ ﴾[1].

قوله: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ﴾ أي: بالإيمان، وهو شهادة لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن ما جاء به حق من الله، وعمل صالحاً وعمل جميع الفرائض[2]. ﴿ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ أي: فله منها خير، وهو الجنة. وفي الآية تقديم، أي: فله منها خير.

قال: ﴿ وَهُم مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾. قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة على رجل يشهد ألا إله إلا الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[3].

ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال: تنفخ النفخة الأولى وما يعبد الله يومئذ في الأرض.

قوله: ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ أي: ألقوا في النار على وجوههم. ذكروا عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: من مات لا يشرك بالله شيئاً وعمل بفرائض الله دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله دخل النار[4]. قوله: ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: في الدنيا، يقال لهم ذلك في الآخرة.

قوله: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتَ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هٰذِهِ البَلْدَةِ ﴾ يعني مكة ﴿ الذِي حَرَّمَهَا ﴾ أي: إنما أمرت أن أعبد ربها الذي حرّمها ﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ

(1) قال الأخفش في معاني القرآن، ج 1 ص 422: «. . . و(صُنعَ اللهِ) و(كِتَابَ اللهِ) إنما هو مِنْ صَنَعَ اللهُ ذلك صُنعاً. فهذا تفسير كل شيء في القرآن من نحو هذا، وهو كثير».

(2) هذا تعريف الحسنة في مذهب الشيخ هود الهواري، لا يحيد عن تعريف الإيمان بما شرحه. أما ابن سلام فاكتفى بقوله: «(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ)؛ بلا إله إلا الله مخلصاً». كما جاء في سع ورقة 70 ظ.

(3) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب ذهاب الإيمان آخر الزمان (رقم 148) عن أنس؛ ولفظه: لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله.

(4) انظر ما سلف ج 1 ص 388؛ فقد مضى التعليق عليه هناك.

المُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ القُرْآنَ ﴾ أي : وأمرت أن أتلو القرآن ﴿ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ المُنْذِرِينَ ﴾ أي : لا أستطيع أن أكرهكم عليه، أي : ليس عليّ إلا أن أنذركم.

قوله : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لله سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ أي : في الآخرة على ما قال في الدنيا، أي : من وعده ووعيده. وقال مجاهد : على ما يرون من الآيات في السماء والأرض والرزق.

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُـونَ ﴾ وهي تقرأ على وجهين : على التاء والياء ؛ فمن قرأها بالياء يقول : وما ربّك، يا محمد، بغافل عما يعملون، يعني جميع الناس. ومن قرأها بالتاء : (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) يقوله لهم.

تفسير سورة القصص
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿طسٓمٓ تِلْكَ ءَايَـٰتُ الكِتَابِ المُبِينِ ﴾ قد فسّرناه في طسم الشعراء.

قوله: ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لقوم يصدّقون.

قوله: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: بغى في الأرض[1]، [يعني أرض مصر][2] ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً ﴾ أي: فِرقاً. ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِـي نِسَاءَهُمْ ﴾ أي: فيذبح طائفة ويعذّب طائفة ويستعبد طائفة، يعني بني إسرائيل الذين كانوا بمصر في يد فرعون. والطائفة التي كان يذبح: الأبناء، والطائفة التي كان يستحيي: النساء، فلا يقتلهن. ﴿ إِنَّهُ كَانَ مِنَ المُفْسِدِينَ ﴾ أي: في الأرض بشركه وعمله السوء.

قوله: ﴿ وَنُرِيدُ ﴾ أي: كان يفعل هذا فرعون يومئذ ونحن نريد ﴿ أَن نَّمُنَّ عَلَى الذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ﴾ يعني بني إسرائيل ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: يقتدى بهم، أي: أئمة في الدين[3]. ﴿ وَنَجْعَلَهُمُ الوَرِثِيـنَ﴾ أي: يرثون الأرض بعد فرعون وقومه؛ ففعل الله ذلك بهم.

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 97: «أي عظُمَ وشرُفَ وغلب عليها وطغى».
(2) زيادة من سع ورقة 72 ظ، ومن سح ورقة 44. والقول للسدي.
(3) كذا في ب و ع: «أئمة في الدين»، وفي سع وسح و ز: «(وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) أي ولاة الأمر». وروى عن ابن عباس في تأويل هذه الكلمة: (أَئِمَّةً) أي: «قادة يُقتدى بهم في الخير».

قال: ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ وهو تبع للكلام الأول: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ) قال: ﴿ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿ مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾. وذلك أنه قيل لفرعون إنه يولد في هذا العام غلام يسلبك ملكك؛ فتتبع أبناءهم يقتلهم ويستحيي نساءهم فلا يقتلهن حذراً مما قيل له[1].

قوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾ وحي إلهام، أي: قذف في قلبها، وليس بوحي نبوّة. ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ ﴾ الطلب ﴿ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ أي: البحر ﴿ وَلَا تَخَافِي ﴾ أي: الضّيعة ﴿ وَلَا تَحْزَنِي ﴾ أن يُقتل ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ فجعلته في تابوت، ثم قذفته في البحر.

﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ ﴾ قال بعضهم، لا أعلم، إلا أنه بلغني أن الغسالات على النيل التقطته. قال: ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً ﴾ أي: ليكون لهم عدوّاً في دينهم وحزناً، أي: ليحزنهم به. قال: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ أي: مشركين.

قوله: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ تقوله لفرعون، تعني بذلك موسى؛ أُلقيت عليه رحمتها حين أبصرته. ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾. قال الله: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: أن هلاكهم على يده وفي زمانه.

قوله: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغاً ﴾ أي: من كل شيء إلا من ذكر موسى، أي: لا تذكر غيره. ﴿ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾ أي: لتُبَيِّنُ لهم أنه ابنها من شدة وجدها ﴿ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا ﴾ أي: بالإيمان ﴿ لِتَكُونَ ﴾ أي: لكي تكون ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ أي: قالت أم موسى لأخت موسى: (قُصِّيهِ) أي: قُصّي أثره. قال الله: ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ ﴾ أي: عن ناحية من بعيد ﴿ وَهُمْ

(1) زيادة من سع، ورقة 72 ظ، ومن ز ورقة 253.

لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أنها أخته. ثم جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده. وقال مجاهد: (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ) أي: من بعيد.

قوله: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾ جعل لا يؤتى بامرأة إلا لم يأخذ ثديها حتى ردّه الله إلى أمّه. ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ ﴾ أي: الا أدلكم ﴿ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ﴾ أي: يضمّونه[1] لكم فيرضعونه ﴿ وَهُمْ لَهُ نَـٰصِحُونَ ﴾.

قال الله: ﴿ فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ﴾ أي: الذي قذف في قلبها: (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) قال: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: جماعتهم لا يعلمون.

قوله: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ﴾ قال مجاهد: (بَلَغَ أَشُدَّهُ): يعني ثلاثاً وثلاثين سنة[2]، (وَاسْتَوَىٰ) يعني أربعين سنة. ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾ أي: أعطيناه فهماً وعقلاً ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾. ذكر ابن عباس قال: دخل وسط النهار. وقال الحسن: يوم عيد لهم، فهم في لهوهم ولعبهم. ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ ﴾ أي: من بني إسرائيل. ﴿ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ أي: قبطي [من قوم فرعون][3] ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ ﴾ أي: من جنسه ﴿ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾. وكان القبطي سخّر الإسرائيلي ليحمل حطباً لمطبخ فرعون فأبى فقاتله.

قال: ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ ﴾ بعصاه[4]، ولم يتعمّد قتله ﴿ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾. قال

---

(1) في ب و ع: «يضمنونه»، وفي الكلمة تصحيف. وأثبت التصحيح من سع وسح ومن ز ومن مجاز أبي عبيدة: «يضمّونه».

(2) في المخطوطات الأربع: «بلغ أشده: عشرين سنة» وهو خطأ. أثبت صوابه: «ثلاثاً وثلاثين سنة» من تفسير مجاهد ص 281 - 282، ومن تفسير الطبري، ج 20 ص 42.

(3) زيادة من سع ورقة 72 ظ، ومن سح ورقة 46.

(4) كذا وردت الكلمة في ب و ع: «بعصاه». وفي سح ورقة 46: «قال قتادة: بعصا» ولعلها زيادة خاطئة من بعض النساخ. فكلمة العصا لم ترد في سع ولا في ز. ثم إن الوكز لغة الدفع =

الحسن: ولم يكن يحلّ له قتل الكفار يومئذ في تلك الحال. كانت حال كف عن القتال.

وقال الكلبي: كان فرعون وقومه يستعبدون بني إسرائيل، ويأخذونهم بالعمل ويتسخّرونهم. فمرّ موسى على رجل من بني إسرائيل قد تسخره رجل من أهل مصر، فاستغاث بموسى، فوكزه موسى فقضى عليه ولم يكن أمر بالقتال.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي: بين العداوة.

ثم ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ يعني قتله القبطي، ولم يتعمّد قتله، ولكنه تعمد وكزه فمات ﴿ فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً ﴾ أي: عويناً ﴿ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: للمشركين. وقال بعضهم: أي: فلن أعين بعدها على فجْرَةٍ؛ وقلَّ ما قالها رجل قط إلا ابتُلِي.

قوله: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي المَدِينَةِ خَائِفاً ﴾ أي: من قتله النفس ﴿ يَتَرَقَّبُ ﴾ أي: أن يؤخذ.

ذكر عن الحسن عن علي رضي الله عنه أنه قال: البلاء موكّل بالنطق(1).

قوله: ﴿ فَإِذَا الذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ أي: يستغيثه، ويستنصره ويستصرخه واحد. ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ ﴾ أي: للإسرائيلي ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي: بيّن الغواية.

= والضرب والطعن «بجُمْعِ الكفّ» كما جاء في مفردات الراغب الأصفهاني وفي اللسان. وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 99: «(فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ) بمنزلة لهزه في صدره بجمع كفه، فهو اللكز واللهز». وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 304: (فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ) يريد: فلكزه، وفي قراءة عبد الله (فَنَكَزَهُ) ووهزه أيضاً لغة. كل سواء».

(1) كذا في ب و ع: «بالنطق» وفي سع و سح: «موكل بالقول».

ثم أدركت موسى الرقةُ عليه ﴿ فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ﴾ أي: بالقبطي ﴿ قَالَ ﴾ الإسرائيلي. [قال بعضهم][1]: وبلغنا أنه السامري، فخلى السامري عن القبطي وقال: ﴿ يَا مُوسَىٰ ﴾ الإسرائيلي يقوله: ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ ﴾ يعني قتالاً في الأرض ﴿ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾[2].

قوله: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّن أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجِ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّـٰصِحِينَ ﴾ وذلك أن القبطي الآخر لما سمع قول الإسرائيلي لموسى: ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ ﴾ أفشى عليه. فأتمر الملأ من قوم فرعون أن يقتلوه. فبلغ ذلك مؤمنَ آل فرعون، فجاء من أقصى المدينة يسعى. وهو الذي قال الله: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّـٰصِحِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ ﴾ أي: من المدينة خائفاً من قتله النفس، يترقّب الطلب ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾ أي: نحو مدين[3] ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن

---

(1) زيادة من سع لا بد من إثباتها، والقول ليحيى بن سلام.

(2) جاءت عبارة الفراء في المعاني ج 2 ص 304 أوضح وأدلّ على المعنى المقصود. قال: «... وذلك أن الذي من شيعته لقيه رجل بعد قتلِه الأوّلَ فتسخّر الذي من شيعته موسى، فمرّ به موسى على تلك الحال فاستصرخه ـ يعني استغاثه ـ فقال له موسى: ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي: قد قتلتُ بالأمس رجلاً فتدعوني إلى آخر. وأقبل إليهما، فظن الذي من شيعته أنه يريده. فقال: ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ ﴾ ولم يكن فرعون علم من قتل القبطيّ الأول. فترك القبطي الثاني صاحب موسى من يده وأخبر بأن موسى القاتلُ. فذلك قول ابن عباس: فابتُلِي بأن صاحبه الذي دلّ عليه».

(3) «بلد بالشام تلقاء غزة». وقيل: «مدينة على بحر القلزم محاذية لتبوك». وهو أيضاً اسم لقبيلة قوم شعيب، انظر ياقوت، معجم البلدان ج 5 ص 77 - 78، وانظر البكري: معجم ما استعجم ج 2 ص 1201.

﴿يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: أن يرشدني سواء السبيل، أي: قصد الطريق. وكان خرج لا يدري أين يذهب، ولا يهتدي طريق مدين، فقال: (عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) أي: الطريق إلى مدين.

قوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ﴾ أي: جماعة من الناس ﴿يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ أي: الناس عن شائهما؛ وفي بعض القراءة: (تَذُودَانِ النَّاسَ عَنْ شَائِهِمَا)، أي: حابستين شاءهما تذودان الناس عنهما. وقال بعضهم: تمنعان غنمهما أن تختلط بأغنام الناس[1].

﴿قَالَ﴾ لهما موسى: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: ما أمركما ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ أي: حتى يسقي الناس ثم نبتغي فضالتهم في تفسير الحسن ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ فلم يلبث أن أروى غنمها ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ﴾ أي: انصرف ﴿إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ يعني الطعام. وكان بجهد. وقال سعيد بن جبير: كان فقيراً إلى شق تمرة.

قوله: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ واضعة يديها على وجهها[2]. قال الحسن: بعيدة والله عن البذاء[3].

---

(1) أصل معنى الذود، أو الذياد، هو الطرد والدفع، وقد عبّر كل من أبي عبيدة والفراء عن المعنيين اللذين أشار إليهما المؤلف هنا. قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 101: «(تذودان) مجازه: تمنعان وتردان وتطردان». وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 305: «تحبسان غنمهما. ولا يجوز أن تقول: ذدت الرجل: حبسته. وإنما كان الذياد حبساً للغنم لأن الغنم والإبل إذا أراد شيء منها أن يشذ ويذهب فرددته فذلك ذود، وهو الحبس». وفي قراءة عبد الله: (وَدُونَهُمُ امْرَأَتَانِ حَابِسَتَانِ).

(2) كذا في المخطوطات الأربع: «واضعة يديها»، وفي تفسير مجاهد ص 483: «واضعة ثوبها على وجهها». ولم يثبت ـ فيما أعلم ـ خبر موثوق بصحته عن رسول الله ﷺ في علامة استحيائها. وقد نسب هذا القول إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإلى غيره كما أورده الطبري في تفسيره ج 2 ص 60.

(3) تقول: بذأتُ الرجل بذءاً، وبذأته عيني تبذؤه بكذا، وبذاءة: إذا رأيت منه حالة كرهتها فازدريت =

قال: ويقولون شعيب وليس بشعيب، ولكنه سيد أهل الماء يومئذ؛ ذكروا عن ابن عباس قال: اسم ختن موسى يترى[1].

﴿ قَالَتِ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ﴾ أي: خبره ﴿ قَالَ ﴾ الشيخ: ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ ﴾.

﴿ قَالَتِ إِحْدَٰهُمَا ﴾ أي: إحدى المرأتين ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ أي: القوي في الصنعة، الأمين فيما ولي.

قال مجاهد: الأمين؛ غضّ طرفه عنهما حين سقى لهما. وكان الذي رأت من قوته أنه لم تلبث ماشيتها أن سقاها وأرواها. وأن الأمانة التي رأت منه أنها حين جاءت تدعوه قال لها: كوني ورائي وكره أن يستدبرها.

وبعضهم يقول في قوله: (الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) أنه كان على تلك البئر التي سقى منها صخرة لا يرفعها إلا أربعون رجلاً، فرفعهما موسى وحده، وذلك أنه سألهما هل ها هنا بئر غير هذه فقالتا نعم، ولكن عليها صخرة لا يرفعها إلا أربعون رجلاً[2].

قال الشيخ لموسى: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ﴾ أي: تؤاجرني في نفسك ﴿ ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّـٰلِحِينَ ﴾ أي: في الرفق بك. وقال لموسى في آخر ذلك: كل سخلة تخرج على غير شبه أمها في هذا البطن فهي لك. فأوحى الله إلى موسى: إذا ملأت الحياض وقرّبْتها لتشرب فألقِ عصاك في الحياض ففعل؛ فولدن كلهن خلاف شبه أُمّهاتهن، فذهب بأولاد غنمه تلك السنة. وقال بعضهم: كُلُّ بلقاء تولد فهي لك، فولدن بُلقاً كلهن.

= واحتقرته. وتقول: بذأت الشيء: إذا ذممته. والمعنى أنه ليس في مشيتها وهيئتها ما يذم أو يستهجن. (اللسان: بذأ).

(1) انظر أقوال المفسرين في اسم ختن موسى واسم المرأتين في تفسير الطبري ج 20 ص 62. والحق ما ذهب إليه الطبري أن «هذا مما لا يدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته».

(2) في تفسير مجاهد ص 483: «عشرة رجال». على أن هذا كله مما لم يثبت فيه نص قطعي.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ﴾ [قال بعضهم][1] وهي بلسان كلب. ﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ﴾ [أي: فلا سبيل عليّ][2] ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ أي: شهيد.

قال: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ ذكر ابن عباس قال: قضى أوفاهما وأبرهما: العشر[3]. قوله: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ قال مجاهد: (فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ أي: قضى العشر السنين ثم أقام بعد ذلك عشر سنين فخرج بعد عشرين سنة. ﴿ ءَانَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً ﴾ أي: حسب أنها نار، وإنما كانت ناراً عند موسى، وهي نور وليست بنار. ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ أي: بخبر الطريق، وكان على غير الطريق ﴿ أَوْ جِذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ ﴾ وهي أصل شجرة[4] ﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ أي: لكي تصطلوا، وكان شاتياً.

قال الله: ﴿ فَلَمَّا أَتَيٰهَا ﴾ أي: أتى موسى النار عند نفسه ﴿ نُودِيَ مِنْ شَاطِىءِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَٰرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ أي: نودي عن يمين الشجرة، أي: الأيمن من الشجرة. وفيها تقديم؛ وتقديمها: من شاطىء الوادي الأيمن من الشجرة في البقعة المباركة. ﴿ أَن يَٰمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ فألقاها.

---

(1) زيادة لا بد منها، والقول لقتادة كما جاء في سح ورقة 50.

(2) جاء في ز ورقة 254 ما يلي: (أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ) يعني أي: الأجلين قضيت، وما زائدة (فَلَا عُدْوَانَ عَلَي) أي فلا سبيل (عَلَيَّ).

(3) هذا قول ابن عباس؛ وقد رويت أحاديث يعضد بعضها بعضاً في معناه تبين أن رسول الله ﷺ سئل: أيّ الأجلين قضى موسى؟ فقال عليه السلام: أبرّهما وأوفاهما. انظر تفسير الطبري ج 20 ص 68، وتفسير ابن كثير ج 5 ص 275 - 277. والحديث صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك وأبو يعلى في المسند عن ابن عباس ولفظه: «سألت جبريل: أي الأجلين قضى موسى؟ قال: أكملهما وأتمّهما».

(4) كذا في المخطوطات الأربع: «أصل شجرة»، و«أصل الشجرة». ولكن لا بد من إضافة عبارة: «فيها نار» حتى يتضح المعنى؛ لأن الجذوة هي «الشعلة من النار» أو «العود من الحطب الذي فيه النار».

﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ أي: كأنّها حيّة ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِراً ﴾ أي: هارباً ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ أي: ولم يلتفت، أي: من الفرَق. وقال مجاهد: ولم يرجع. ﴿ يَـٰمُوسَىٰ أَقْبِلْ ﴾ الله يقوله: يَـٰمُوسَىٰ أقبل ﴿ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الأَمِنِينَ ﴾.

﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ أي: أدخل يدك في جيبك. أي: في جيب قميصك ﴿ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ أي: من غير برص. قال الحسن: أخرجها والله كأنها مصباح. ﴿وَاضْمُم إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾ أي: يدك[1] ﴿ مِنَ الرَّهَبِ ﴾ أي: من الرعب.

قال بعضهم: أي: واضمم يدك إلى صدرك فيذهب ما في صدرك من الرعب، وكان قد دخله رعب وفَرَق من آل فرعون فأذهب الله ذلك عنه.

قوله: ﴿ فَذَٰنِـكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي: بيانان من ربك، يعني العصا واليد وقال بعضهم: برهانان، أي بيّنتان من ربّك. والبرهان في قول الحسن: الحجّة. أي: حجتان من ربك. ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ﴾ أي: وقومه ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَـٰسِقِينَ﴾ أي: مشركين.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً ﴾ أي: القبطي ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾.

﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً ﴾ يعني العقدة التي كانت في لسانه. ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدءاً﴾ أي: عوناً، في تفسير الحسن[2]. ﴿ يُصَدِّقُنِي﴾. وقال

---

(1) كذا في المخطوطات الأربع: «يدك» و«يديك». وكذلك فسّره أبو عبيدة وابن قتيبة. ولكن الفراء أول اللفظ تأويلاً آخر فقال في المعاني ج 2 ص 306: «وقوله: (واضمم إليك جَنَاحَكَ) يريد عصاه في هذا الموضع. والجناح في الموضع الآخر: ما بين أسفل العضد إلى الرُّفغ، وهو الإبط».

(2) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 104: «(رِدْءاً) أي: معيناً. ويقال: قد أردأت فلاناً على عدوّه وعلى ضيعته. أي: أكنفته وأعنته، أي: صرت له كَنَفاً».

الكلبي: (مَعِي رِداً يُصَدِّقْنِي) أي: كيما[1] يصدقني، أي: كي يكون معي في الرسالة. ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ الله تعالى: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً ﴾ أي: حجة ﴿ فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِئَايَتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَـلِبُونَ ﴾.

فانطلق موسى إلى فرعون، وأوحى الله إلى هارون أن يستقبل أخاه فاستقبله. فأتيا باب فرعون، فقالا للبواب: اذهب فأخبر فرعون أن بالباب رسولَ ربّ العالمين. فدخل عليه البوّاب فقال: إن بالباب رجلًا مجنوناً يزعم أنه رسول ربّ العالمين. فقال له فرعون: أتعرفه فقال له: لا، ولكن معه هارون. وكان هارون عندهم معروفاً. وكان موسى قد غاب عنهم زماناً من الدهر. قال فرعون: اذهب فأدخله. فدخل عليه، فعرفه، في تفسير الحسن. وقال بعضهم: كأنه عرف وجهه ولم يثبته. فقال: من أنت؟ فقال: أنا رسول ربّ العالمين. فقال: ليس عن هذا أسألك، ولكن من أنت وابن من أنت؟ فقال: أنا موسى بن عمران. وكان قد ربّاه في حجره حتى صار رجلًا؛ فقال له فرعون: (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ) أي: وأنت لا تدّعي شيئاً من هذه النبوّة (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ التِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ) [الشعراء: 18 - 19] أي: لنعمتنا، أي: فيما ربّيناك.

قال الله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِئَايَتِنَا ﴾ أي: بحجتنا ﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾ أي: واضحات ﴿ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ أي: إنني أنا جئت بالهدى من عنده ﴿ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَـٰقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّـٰلِمُـونَ﴾ أي: المشركون، أي: لا يَدْخُلون الجنة، والمفلحون هم أهل الجنة.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰأَيُّهَـا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ أي: تعمداً منه

(1) كذا في ع، وفي سح ورقة 51: «كيما» وهو الصحيح، وفي ب: «قيما يصدقني». وفيه تصحيف.

للكذب. ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى الطِّينِ ﴾ أي: فاطبخ لي آجُرّاً، فكان أول من طبخ الآجرّ. ﴿ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً ﴾ أي: فابن لي صرحاً ﴿ لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَـٰذِبِينَ﴾ فبنى له صرحاً عالياً، وقد علم فرعون أن موسى رسول الله، وهذا منه كذب. قال الله: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً) [النمل: ١٤].

قال الله: ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجِعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

قال: ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ وقد فسّرنا ذلك في غير هذه السورة[1]. قال: ﴿فَانْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الظَّـٰلِمِينَ﴾ فكان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

قال: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ أي: يتبعهم مِن بعدهم مَن بعدهم من الكفار ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ لَا يُنْصَرُونَ ﴾.

قال: ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي: العذاب الذي عذبهم به، [أي: الغرق][2] ﴿وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: في النار. وأهل النار مقبوحون مشوَّهون، سود زُرق كأن رؤوسهم آجام القصب كالحون؛ شفة أحدهم السفلى ساقطة على صدره، وشفته العليا قالصة قد غطّت وجهه؛ رأس أحدهم مثل الجبل العظيم، وضرسه مثل أحد، وأنيابه كالصياصى، وهي الجبال؛ وغلظ جلده أربعون ذراعاً، وبعضهم يقول: أربعون سنة، تسير الدوابّ فيما بين جلده ولحمه كما تسير الوحوش في البرّيّة، وفخذه مسيرة يومين. وقال عبد الله بن مسعود: إني أراه يشغل من جهنم مثل ما بيني وبين المدينة؛ وهو بالكوفة[3].

---

(1) انظر ما سلف قريباً: ص 225 - 228 من هذا الجزء.

(2) زيادة من ز ورقة 255 ومن سح ورقة 53.

(3) ذهب المؤلف هنا في تفسير المقبوحين إلى معنى قبحهم الجسماني وقبح صورتهم. وذهب أبو=

قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الكِتَـٰبَ ﴾ يعني التوراة ﴿ مِن بَعْدِمَا أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولَى بَصَـائِـرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي يتذكروا. فكانت التوراة أول كتاب نزل فيه الفرائض والحدود والأحكام. قوله: (مِن بَعْدِمَا أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولَى) أي: قرناً بعد قرن، كقوله: على مقرأ هذا الحرف: (وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ) [هود: 102].

قوله: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الغَرْبِيِّ ﴾ [أي: غربي] الجبل ﴿ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ ﴾ أي: الرسالة. ﴿ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّـٰهِدِينَ ﴾ أي: لم تكن شاهداً يومئذ لذلك[1].

قال: ﴿ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ العُمُرُ ﴾ كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة سنة. وبعضهم يقول: ستمائة سنة. ﴿ وَمَا كُنْتَ ثَاوِياً ﴾ أي: ساكناً ﴿ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمُ ءَايَٰتِنَا ﴾ [قال بعضهم: أي: لم تكن يا محمد مقيماً بمدين فتعلم كيف كان أمرهم فتخبر أهل مكة بشأنهم وأمرهم][2]. ﴿ وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾. كقوله: (أَمْراً مِّن عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) [الدخان: 5].

قال: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ أي: نودي: يا أمة محمد، أجبتكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني. قال: ﴿وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ﴾ يعني قريشاً ﴿ مَّا أَتَيٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي يتذكروا.

قوله: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ ﴾ يعني المشركين ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: بالذي هم عليه من الشرك. والمصيبة في هذا الموضع العذاب. يقول: ولو

= عبيدة والطبري إلى معنى الإهلاك في جهنم، وذهب آخرون إلى معنى الإبعاد عن كل خير؛ يقال: قَبَحَ الله فلاناً قَبْحاً وقُبوحاً أقصاه وباعده من كل خير. وهو معنى وجيه في هذا المقام.

(1) كذا في ب و ع وفي سح ورقة 53: «لم تكن شاهداً يومئذ لذلك»، وفي سح زيادة: «قال السدي: لم تكن من الحاضرين». وفي ز ورقة 255: «لم تشاهد ذلك». والمعاني متقاربة.

(2) زيادة من ز ومن سح.

عذّبناهم لاحتجّوا وقالوا: ﴿ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. فقطع الله عذرهم بمحمد فكذّبوه.

قال الله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا ﴾ أي: القرآن ﴿ قَالُوا لَوْلَآ أُوتِيَ ﴾ يعنون النبي محمداً عليه السلام ﴿ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾ أي: هلا أعطي مثل ما أعطي موسى ؛ أي: هلاّ أنزل عليه القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة.

قال الله: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ وقد كان كتاب موسى عليهم حجّة، في تفسير الحسن. ﴿ قَالُوا سَـٰحِرَانِ تَظَـٰهَرَا ﴾ أي: موسى ومحمد، في تفسير الحسن؛ وهذا قول مشركي العرب. ﴿ وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ﴾ أي: بالتوراة والقرآن.

وقال بعضهم: (سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا) أي: موسى وهارون. وقال مجاهد: (قَالُوا لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ) هذا قول اليهود؛ أمروا قريشاً أن يسألوا محمداً مثل ما أوتي موسى ؛ يقول الله يا محمد، قل لقريش يقولوا لهم: (أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا ﴾ قول يهود لموسى وهارون (وَقَالُوا) أي: اليهود (إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ) أي: نكفر أيضاً بما أوتي محمد[1].

قال الله: [﴿ قُلْ فَاتُوا بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا ﴾ أي: من التوراة والقرآن ﴿ أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾][2].

قال: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ ﴾ فيأتوا به، ولا يأتون به، ولكنها حجّة عليهم، ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَـعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ ﴾ جاءه، أي: لا أحد أظلم منه ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: المشركين الذين يموتون على شركهم.

---

(1) جاء قول مجاهد هذا في ب و ع مضطرب العبارة ناقصاً أحياناً فأثبت التصحيح من سح ورقة 55.
(2) سقطت هذه الآية وتفسيرها من ب ومن ع فأثبتها من ز و سع.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾ أي: أخبرناهم بما أهلكنا به الأمم السالفة قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، أي: أهلكناهم بتكذيبهم رسلهم[1]. قال: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي يتذكّروا فيحذروا ألا ينزل بهم ما نزل فيهم فيؤمنوا.

قوله: ﴿الذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ الكِتَـٰبَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: من قبل هذا القرآن ﴿ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: هم بالقرآن يؤمنون؛ يعني من آمن من أهل الكتاب، يعني من كان متمسّكاً بدين موسى وعيسى ثم آمن بمحمد.

قوله: ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: القرآن ﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: من قبل القرآن ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ أُولَئِكَ يُؤتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ أي: على دينهم. ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ أي: يعفون عن السيئة ويأخذون بالحسنة. والسيئة ها هنا الجهل، والعفو: الحلم. وإذا حلُم فعفا عن السيئة فهو حسنة. [وقال السّدي: يقول: ويدفعون بالقول المعروف والعفوِ الأذى والأمرَ القبيح][2] قال: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ أي: الزكاة الواجبة.

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ ﴾ أي: الباطل، أي: الشرك والنفاق، والقول السيء. وقال بعضهم: الشتم والأذى [من كفار قومهم][3]. ﴿ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ أي: لم يردّوا عليهم. ﴿ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ كلمة حلم عن المشركين وتحية بين المؤمنين ﴿ لَا نَبْتَغِي الجَـٰهِلِينَ﴾ أي: لا نكون من الجاهلين.

وقال بعضهم: هم مسلمو أهل الانجيل.

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 307: «(وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ القَوْلَ): أنزلنا عليهم القرآن يتبع بعضه بعضاً».

(2) ما بين المعقوفين زيادة من سح ورقة 56 ومن ز ورقة 256. ففيها شرح لكلمة يدرأون، بمعنى يدفعون ويردون، ومنه الحديث: ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم.

(3) زيادة من سح و ز.

وقال الكلبي: هم أناس من أهل الكتاب لم يكونوا هوداً ولا نصارى، وكانوا على دين أنبياء الله ورسله، وكرهوا ما عليه اليهود والنصارى، وأخذوا بأمر الله، فكانوا ينتظرون النبي عليه السلام، فلمّا سمعوا به وهو بمكة أتوه. فلما رأوه عرفوه بنعته، وسألوه أن يقرأ عليهم القرآن. فلمّا سمعوه (قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ)، أي: بالقرآن، (إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ). قال الله: (أُولَئِكَ يُوتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا). يقول: بأخذهم بالكتاب الأول وإيمانهم بالكتاب الآخر.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: من آمن بالكتاب الأول والكتاب الآخر، والعبد إذا أطاع الله وأطاع سيّده، والرجل إذا أعتق أمته ثم تزوّجها[1].

قال الكلبي: (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ). قال أبو جهل لهؤلاء الرهط الذين أسلموا من أهل الكتاب: أفٍّ لكم من قوم منظور إليكم، اتبعتم غلاماً قد كرهه قومه، وهم أعلم به منكم. فقالوا لهم: (سَلَامٌ عَلَيْكُم لَا نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ).

قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَّشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾. نزلت في أبي طالب حين راوده النبي عليه السلام على أن يقول: لا إله إلا الله فأبى.

وقال مجاهد: قال له النبي عليه السلام: [قل كلمة الإخلاص، وهي التوحيد][2] أُجادِلْ بها عنك يوم القيامة[3]. فقال له: يا ابن أخي، قد علمت أنك

(1) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله. وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا ﷺ إلى جميع الناس... (رقم: 154). كلاهما يرويه من حديث أبي بردة عن أبيه أبي موسى الأشعري عن النبي عليه السلام. واللفظ عند مسلم أكثر تفصيلاً وأتمّ رواية.

(2) سقطت هذه الجملة من ب و ع، ولا بد من إثباتها ليستقيم المعنى، وهي موجودة في تفسير مجاهد، ص 488، وفي سح ورقة 57.

(3) حديث صحيح متّفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة القصص، وأخرجه مسلم =

صادق، وأنك لن تدعو إلا إلى خير، ولولا أن تكون عليك وعلى بنيك سبّة لأقررت بما عندك عند الفراق، ولكن سوف أموت على ملة الأشياخ.

قال: ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ أي: من قدر عليه الهدى، ممن يقبل الهدى أو يجيب له[1].

قوله: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِن أَرْضِنَا ﴾ أي: لقِلَّتِنا في كثرة العرب، ولكن ينفي الحربَ عنا أنا على دينهم، فإذا آمنا بك واتّبعناك خشينا أن يتخطّفنا الناس.

قال الله: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً ءَامِناً تُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا ﴾ أي: من عندنا ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: قد كانوا في حَرَمِي يأكلون رزقي، ويعبدون غيري، وهم آمنون، أفيخافون، إن آمنوا، أن أُسلِّط عليهم من يقتلهم ويسبيهم؟ ما كنت لأفعل.

قوله: ﴿ تُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ كقوله: ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ [النحل: 12].

ذكر بعضهم قال: إن سيلاً أتى على المقام واقتلعه فإذا في أسفله كتاب. فدعوا له رجلاً من حمير فزبره لهم في جريدة، ثم قرأه عليهم فإذا فيه: هذا بيت الله المحرّم، جعل رزق من يعمره يأتيهم من ثلاث سبل، مبارك لأهله في الماء واللحم، وأول من يحلّه أهله.

ذكر مجاهد قال: وجد عند المقام كتاب الله فيه: إني أنا الله ذو بَكّة، صنعتها[2]

= في كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضرة الموت (رقم 24)، كلاهما يرويه من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه. ولفظ البخاري: «أي عمِّ قل لا إلٰه إلا الله كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله». ولفظ مسلم: «يا عمّ، قل لا إلٰه إلا الله كلمةً أشهد لك بها عند الله».

(1) كذا في ب وع، وفي سح ورقة 57.

(2) كذا في ب وع: «صنعتها»، وفي سع وسح: «صغتها».

يوم خلقت السماوات والأرض والشمس والقمر، وحرّمتها يوم خلقت السماوات والأرض، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء يأتيها رزقها من ثلاث سبل، مبارك لأهلها في الماء واللّحم، وأول من يحلّها أهلها.

قال: (رِزْقاً مِّن لَّدُنَّا) أي: من عندنا (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أي: جماعتهم لا يعلمون، يعني من لا يؤمن منهم.

قوله: ﴿ وَكَم أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ كقوله: (فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ) [النحل: 112] أي: فأهلكناهم، يعني من أهلك من القرون الأولى. ﴿ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَٰرِثِينَ﴾ كقوله: (إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا) [مريم: 40].

قال: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ ﴾ أي: معذبهم، يعني هذه الأمة ﴿ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ وأمها: مكة، هي أم القرى. والرسول: محمد ﷺ، قال: ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ وقال في آية أخرى مدنية في النحل[1] بعد هذه الآية: (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَت ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً)، والرغد ألا يحاسبها أحد بما رزقها الله (مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ) أي: كفر أهلها، وهي مكة(فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ) محمد ﷺ (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) أي: وهم مشركون.

قوله: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ أي: الجنة. ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يقوله للمشركين.

ثم قال على الاستفهام: ﴿ أَفَمَن وَّعَدْنَٰهُ وَعْداً حَسَناً ﴾ أي: الجنة ﴿ فَهُوَ لَٰقِيهِ ﴾ أي: داخل الجنة ﴿ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ أي: في النار، أي: إنهما لا يستويان، أي: لا يستوي من يدخل الجنة

(1) الحق أن سورة النحل كلها مكية إلا الآيات الثلاث الأخيرة منها.

ومن يدخل النار. وبعضهم يقول: نزلت في النبي عليه السلام وأبي جهل[1].

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ أي: في الآخرة، يعني المشركين ﴿ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أي: في الدنيا أنهم شركائي، فأشركتموهم في عبادتي.

﴿ قَالَ الذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ ﴾ أي: الغضب[2]، يعني الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَـٰهُمْ ﴾ أي: أضللناهم ﴿ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ أي: كما ضللنا ﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ أي: لا سلطان كان لنا عليهم استكرهناهم به، وإنما دعوهم بالوسوسة كقول إبليس: (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّنْ سُلطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي) [إبراهيم: 22]، وكقوله في قولهم: (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَانٍ) [الصافات: 30]، وكقول الله: (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّنْ سُلْطَانٍ) [سبأ: 21]. . . إلى آخر الآية. وكقوله: (مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) أي: بمضلّين (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ) [الصافات: 162 - 163].

قال: ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ﴾ يعني الأوثان ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا العَذَابَ ﴾ أي: ودخلوا العذاب ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ [أي: لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا ما دخلوا العذاب. وبعضهم يقول: لَو أَنَّهُمْ كَانُوا مُهْتَدِينَ][3] أي: في الدنيا كما أبصروا الهدى في الآخرة ما دخلوا العذاب، وإيمانهم في الآخرة لا يقبل منهم.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ يستفهمهم، فيحتجّ عليهم، وهو أعلم بذلك، ولا يسأل العبادَ عن أعمالهم إلا الله وحده.

---

(1) انظر اختلاف المفسرين فيمن نزلت فيهم هذه الآية عند الواحدي، أسباب النزول ص 353، وتفسير الطبري، ج 2 ص 97.

(2) وقال ابن قتيبة: «أي: وجبت عليهم الحجة فوجب العذاب».

(3) زيادة من ز ورقة 256، ومن سح وسع.

قال: ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ ﴾ أي: الحج ﴿ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ أي: أن يحمل بعضهم عن بعض من ذنوبه شيئاً، في تفسير الحسن.

وقال مجاهد: (لَا يَتَسَاءَلُونَ) أي: بالأنساب، وفي تفسير بعضهم أنه لا يسأل قريب قريبه أن يحمل من ذنوبه شيئاً، كقوله: (وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) [فاطر: 18].

قوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ ﴾ أي: من شركه ﴿ وَءَامَنَ ﴾ أي: أخلص الإيمان لله، ﴿ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً ﴾ أي: في إيمانه ﴿ فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ وعسى من الله واجبة. والمفلحون السعداء، وهم أهل الجنة.

قوله: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ أي: من يشاء من خلقه، أي: للنبوّة. ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ ﴾ أي: ما كان لهم أن يختاروا هم الأنبياء فيبعثوهم[1]. بل الله هو الذي اختار، وهو (أَعْلَمُ حيث يَجْعلُ رِسَـٰلته) [الأنعام: ١٢٤] ﴿سُبْحَانَ اللهِ﴾ ينزّه نفسه ﴿وَتَعَالَىٰ﴾ أي: ارتفع ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قال: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾ أي: ما يسرّون ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾.

﴿ وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ وَلَهُ الحُكْمُ ﴾ أي: القضاء ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿ قُل أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً ﴾ [أي: دائماً لا ينقطع][2] ﴿ إِلَى يَوْمِ القِيَـٰمَةِ مَن إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ ﴾ وهذا على الاستفهام ﴿ يَأتِيكُمْ بِضِيَاءٍ ﴾ أي: بنهار ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ أمره، يقوله للمشركين.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً ﴾ أي: دائماً ﴿ إِلَى يَوْمِ القِيَـٰمَةِ مَن إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ﴾ كقوله: (وَجَـٰاعِلُ اللَّيْـلِ سَكَناً) [الأنعام: 96] أي: يسكن فيه الخلق ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ أمره. يقوله للمشركين.

(1) كذا في سح وسع: فيبعثوهم، وفي ز ورقة 257، وفي ع: فيتّبعوهم.

(2) زيادة من ز، ومن سح وسع.

قال الله: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْـلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾ أي: في الليل ﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي: بالنهار. وهذا رحمة من الله للمؤمن والكافر فأما المؤمن فتتمّ عليه رحمة الله في الدنيا والآخرة، وأما الكافر فهي رحمة له في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب. قال: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: ولكي تشكروا.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قال: ﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ﴾ أي: جئنا برسولهم، كقوله: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً) [النساء: 41]، وكقوله: (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) [الإسراء: 71] أي: بنبيّهم، وقال بعضهم: بكتابهم قال: ﴿ فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ أي: حُجّتكم، في تفسير الحسن، أي: بأن الله أمركم بما كنتم عليه من الشرك. وقال بعضهم: (هَاتُوا بُرْهَـانَكُمْ) أي: بيّنتكم. قال: ﴿ فَعَلِمُوا ﴾ أي: يومئذ ﴿ أَنَّ الْحَقَّ للهِ ﴾ أي: التوحيد ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ يعني أوثانهم التي كانوا يعبدون.

قوله: ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾، كان ابن عمه، أخي أبيه ﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ كان عاملاً لفرعون فتعدّى عليهم وظلمهم ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ﴾ يعني قارون أعطيناه ﴿ مِنَ الْكُنُوزِ ﴾ أي: من الأموال ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ ﴾ قال بعضهم: خزائنه، يعني أمواله، وقال بعضهم: مفاتح خزائنه ﴿ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ أي: لتثقل العصبة ﴿ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ أي: من الرجال، والعصبة الجماعة، وهم ها هنا أربعون رجلاً[1].

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ ﴾ إذ قال له موسى والمؤمنون من بني إسرائيل ﴿ لَا تَفْرَحْ ﴾ أي: لا تبطر ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ أي: المرحين المشركين الذين يفرحون بالدنيا ولا يفرحون بالآخرة، أي: لا يؤمنون بها، لا يرجونها. وقال في آية أخرى: (وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا)، وهم المشركون.

(1) وقال مجاهد في تفسيره ص 489: «العصبة ما بين العشرة إلى خمسة عشر».

وقال مجاهد: ﴿ لَا يُحِبُّ الفَرِحِينَ ﴾ [المُتَبَذِّخِينَ][1] الأَشِرين البَطِرين الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم، وهو واحد.

﴿ وَابْتَغِ فِيمَاءَاتَىٰكَ اللهُ ﴾ أي: من هذه النعم والخزائن ﴿ الدَّارَ الآخِرَةَ ﴾ أي: الجنة ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ أي: اعمل في دنياك لآخرتك، في تفسير بعضهم. ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾، أي: طاعة الله وعبادته[3].

﴿ وَأَحْسِنْ ﴾ أي: فيما افترض الله عليك ﴿ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ ﴾ أي: المشركين في هذا الموضع[3].

﴿ قَالَ ﴾ قارون ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِيَ ﴾ أي: إنما أعطيته، يعني ما أعطي من الدنيا، على علم عندي، أي: بقوتي وعلمي، وهي مثل قوله: ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ قال الله: ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾ أي: بليّة ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: 49].

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ ﴾ قارون، أي: بلى قد علم، وهذا على الاستفهام ﴿ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ من قبل قارون ﴿ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً ﴾ أي: من الجنود والرجال.

قال الله: ﴿ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ المُجْرِمُونَ ﴾ أي: المشركون والمنافقون، أي: ليعلم ذنوبهم منهم، أي: يُعرَفون بسواد وجوههم وزرقة عيونهم، كقوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمٰن: 39]، وكقوله: ﴿ يُعْرَفُ

---

(1) زيادة من ز ورقة 257، ومن تفسير مجاهد ص 490.

(2) وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 111: «مجازه: لا تدع حظك وطلب الرزق الحلال منها». وهذا الوجه أقرب إلى حقيقة التأويل.

(3) اللفظ يشمل كل مفسد في الأرض، من مشرك، وباغ، وظالم، ومفسد بين الناس وغيرهم من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

المُجْرِمُونَ بِسِيمَيٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ) الرحمٰن: 41] أي: يجمع بين ناصيته وقدمه.

قوله: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ يعني قارون ﴿ فِي زِينَتِهِ ﴾ قال الكلبي: خرج وعليه ثياب حمر مصبوغة بالأرجوان على بغلة بيضاء. وقال الحسن: خرج في صنوف ماله من درّ وذهب وفضة، وقيل: خرج في الحمرة والصفرة.

﴿ قَالَ الذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴾ أي: المشركون الذين لا يُقِرُّونَ بالآخرة: ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ أي: لذو نصيب واف.

﴿ وَقَالَ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ﴾ وهم المؤمنون للمشركين ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ ﴾ أي: جزاء الله، أي: الجنة ﴿ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً﴾ مما أوتي قارون، ﴿ وَلاَ يُلَقَّيٰهَا ﴾ [أي: يعطاها، أي: الجنة][1] ﴿ إِلاَّ الصَّـٰبِرُونَ﴾ أي: العاملون بطاعة الله، وهم المؤمنون[2].

قال الله: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ ﴾ أي: بقارون ﴿ وَبِدَارِهِ ﴾ أي: وبمسكنه ﴿ الأَرْضَ ﴾ فهو يخسف به كل يوم قامة إلى أن تقوم الساعة. ﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنْتَصِرِينَ ﴾ أي: من الممتنعين من عذاب الله.

قوله: ﴿ وَأَصْبَحَ الذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ ﴾ [أي: إن الله][3] ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخُسِفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَـٰفِرُونَ﴾ [أي: وإنه لا يفلح الكافرون][3].

بلغنا أن رسول الله ﷺ قال لرجل يكلمه في شيء: وَيْكَأَنَّكَ لم تكن لتفعله.

(1) زيادة من سح، ورقة 62، ومن ز ورقة 257.

(2) هذا وجه من وجوه تأويل قوله تعالى: (وَلاَ يلَقَّاهَا) أي: الجنة. وأورد الفراء في المعاني ج 2 ص 311 وجهاً آخر له قيمته فقال: «يقول: ولا يلقى أن يقول ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً إلا الصابرون. ولو كانت: ولا يلقاه لكان صواباً؛ لأنه كلام، والكلام يذهب به إلى التأنيث والتذكير».

(3) زيادة من سح ومن ز.

وقال بعضهم: ﴿ وَيْكَأَنَّ اللهَ ﴾ أي: ولكن الله، ﴿ وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَـٰفِرُونَ ﴾ أي: ولكنه لا يفلح الكافرون[1].

قوله: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الأخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ ﴾ يعني الشرك ﴿ وَلاَ فَسَاداً ﴾ أي: قتل الأنبياء والمؤمنين وانتهاك حرمتهم[2]. ﴿ والعَـٰقِبَةُ ﴾ أي: الثواب ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وهي الجنة.

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ﴾ وهي الإيمان، أي: إكمال الفرائض ﴿ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ أي: فله منها خير، وفيها تقديم: فله منها خير، وهي الجنة. ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ﴾ أي: بالشرك والنفاق وكل كبيرة موبقة. ﴿ فَلاَ يُجْزَى الذِينَ عَمِلُوا السَّيِّـَٔـٰتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: إلا ثواب ما عملوا.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءانَ ﴾ أي: نزل عليك القرآن. وقال مجاهد: الذي أعطاكه ﴿ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ قال مجاهد: لرادّك إلى مولدك، إلى مكة.

ذكر بعضهم قال: إن النبي عليه السلام، وهو مهاجر متوجّه إلى المدينة حين هاجر، نزل عليه جبريل عليه السلام، وهو بالجحفة، فقال: أتشتاق يا محمد إلى بلادك التي ولدت بها. قال: نعم. فقال: ﴿ إِنَّ الذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ أي: إلى مولدك الذي خرجت منه ظاهراً على أهله. وقال ابن عباس: ﴿ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ أي: إلى الجنة التي إليها معادك.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 112: «(وَيْكَأَنَّ اللهَ) مجازه: ألم تر أن الله. وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 312: «وقوله: (وَيْكَأَنَّ اللهَ) في كلام العرب تقرير، كقول الرجل: أما ترى إلى صنع الله». وقد أورد الفراء بعض معاني ويكأن ووجوه استعمالها مفصلة في ص 212 - 213، وانظر ابن الأنباري، البيان في إعراب غريب القرآن، ج 2 ص 237. وانظر ابن جني، المحتسب، ج 2 ص 155 - 156.

(2) هذا قول رواه القرطبي في تفسيره ج 13 ص 320 ونسبه إلى يحيى بن سلام. وهذا دليل آخر على أن تفسير ابن سلام كان متداولاً في إفريقية والأندلس، وكان من مصادر المفسّرين.

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿ قُل ﴾ يا محمد ﴿ رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ ﴾ أي: إن محمداً جاء بالهدى، وإنه على الهدى. ﴿ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: المشركون والمنافقون.

قوله: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا﴾ يقول للنبي ﷺ ﴿ أَن يُلْقَىٰ ﴾ أي: أن ينزل ﴿ إِلَيْكَ الكِتَابُ ﴾ أي: القرآن ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ أي: ولكن أنزل إليك الكتاب رحمة من ربك[1] ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ أي: عويناً للكافرين.

﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ اللهِ﴾ أي: عن حجج الله ﴿ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَت إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي: إلى عبادة ربك ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ يعني إلا هو، كقوله: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَّيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ) [الرحمٰن: 26 - 27] ﴿ لَهُ الحُكْمُ ﴾ أي: له القضاء ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: إليه يرجع الخلق يوم القيامة.

---

(1) هذا ما يسميه النحاة بالاستثناء المنقطع.

تفسير سورة العنكبوت
وهي مكية كلها إلا عشر آيات مدنية
من أولها إلى قوله: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾

﴿ بِسْمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيم ﴾ قوله: ﴿ أَلَمٓ ﴾ قد فسرناه في أول سورة البقرة ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا ﴾ أي: صدقنا ﴿ وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ أي: بالجهاد في سبيل الله، وبالفرائض التي أمرهم الله بها وابتلاهم بها.

وهم قوم كانوا بمكة ممن أسلم وأجاب النبي عليه السلام إلى دينه؛ كان قد وضع عنهم النبي عليه السلام الجهاد، والنبي بالمدينة بعدما افترض عليه الجهاد، وقبل منهم أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ولا يجاهدوا. ثم افترض عليهم الجهاد، وأمرهم به، وأذن لهم فيه، وذلك حين أخرجهم أهل مكة فقال: (أُذِنَ لِلذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [الحج: 39]. فلما أمروا بالجهاد كره قوم القتال فقال الله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ) أي: فلما فرض عليهم القتال ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القِتَالَ) أي: لم فرضت علينا القتال (لَوْلَا) أي: هلاَّ (أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ) [النساء: 77]، وأنزل الله في هذه الآية في أول السورة: (أَلَمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا) أي: صدقنا فقط (وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) أي: وهم لا يبتلون بالجهاد في سبيل الله.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: ولقد ابتلينا الذين من قبلهم، أي: بعد تصديقهم وإقرارهم ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا ﴾ أي: أهل الوفاء والاستكمال

لما ابتلاهم الله به من الأعمال[1]، ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَـٰذِبِينَ﴾ أي: أهل الخيانة والكذب فيما ابتلوا به من الأعمال وهم المنافقون. وهذا علـم الفَعال[2].

قوله: (وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا) أي: الذين آمنوا فاعلين الجهاد ولِكلٍّ ما تعبّدهم به من طاعته، وليعلَمَنَّ المنافقين التاركين للجهاد ولكثير مما تعبّدهم به. وقد علم الله ذلك قبل أن يفترض عليهم ما افترض أنهم سيفعلون وسيتركون، ولكنه قال: وليعلمنّكم كاذبين فاعلين وتاركين[3].

قوله: ﴿ أَمْ حَسِبَ الذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: الشرك والنفاق والعمل السيء ﴿ أَن يَّسْبِقُونَا ﴾ أي: حتى لا نقدر عليهم فنعذّبهم، أي: قد حسبوا ذلك، وليس كما حسبوا وظنّوا.

قال: ﴿ سَاءَ ﴾: أي بئس ﴿ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ أي: أن الله خلقهم وتعبّدهم بطاعته ثم لا يبعثهم فيجزيهم بأعمالهم.

إنهما ظنّان: ظنّ المشركون أن لن يُبعثوا ولن يعذَّبوا، وظنَّ المنافقون ألا يعذَّبوا

---

(1) كذا في ب و ع، وجاء في سح ورقة 65، وفي ز ورقة 258 ما يلي: « (فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا) بما أظهروا من الإيمان (وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ) الذين يظهرون الإيمان وقلوبهم على الكفر، وهم المنافقون». وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 112: « (فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا) مجازه: فليُميِّزَن الله، لأن الله قد علم ذلك من قبل».

(2) جاء في ز ورقة 258 ما يلي: «قال محمد: معنى علم الفعال العلم الذي تقوم به الحجة وعليه يكون الجزاء فقد علم الله الصادق والكاذب قبل خلقهما». وفي اللسان: «الفَعال، بفتح الفاء فعل الواحد خاصة في الخير والشر، يقال: فلان كريم الفَعال، وفلان لئيم الفعال. . . وقال المبرّد: الفَعْال يكون في المدح والذم، قال: وهو مخلّص لفاعل واحد، فإذا كان من فاعِلَيْن فهو فِعال، قال: وهذا هو الجيّد».

(3) هذه الفقرة الأخيرة في تأويل قوله تعالى: (فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ) لم ترد إلا في مخطوطة ب و ع، وهي زيادة من الشيخ هود ولا شك ومن رأيه. وجاء في سع وفي سح قول رواه الحسن بن دينار عن الحسن قال: «والله ما قال عبد في هذا الدين من قول إلا وعلى قوله دليل من عمله يصدّقه أو يكذّبه». وصدق الحسن.

بعد التصديق والإقرار إذا ضيَّعوا الأحكام والفرائض، فقال الله: ألا ساء ما يحكمون، أي: بئس ما يحكمون.

قوله: ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللهِ ﴾ أي: من كان يخشى البعث، وهذا المؤمن، ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لأتٍ ﴾ أي: كائن بعد الموت ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ أي: لا أسمع منه ولا أعلم منه.

قال: ﴿ وَمَنْ جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴾ أي: يعطيه الله ثواب ذلك في الجنة ﴿ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَـٰلَمِينَ﴾ أي: عن عبادتهم.

قوله: ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَـٰتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: يجزيهم به الجنة.

قوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَـٰنَ ﴾ يعني جميع الناس ﴿ بِوَٰلِـدَيْهِ حُسْناً ﴾ أي: برّاً كقوله: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) [النساء: 36]، قال: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي) أي: إن أراداك على أن تشرك بي ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا ﴾ أي: إنك لا تعلم أن معي شريكاً، يعني المؤمنين. ﴿ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: في أهل الجنة.

قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَّقُولُ ءَامَنَّا بِاللهِ ﴾ أي: صدّقنا بالله وأقررنا بالله ﴿ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ ﴾ ببعض ما يدخل عليه في إيمانه بالله وبمحمّد ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ ﴾. رجعت القصّة إلى الكلام الأول: (أَلَمَ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُّتْرَكُوا أَن يَّقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)؛ فوصف المنافق في هذه الآية الآخرة فقال: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَّقُولُ ءَامَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ) أي: إذا أُمِر بالجهاد في سبيل الله فدخل عليه أذى رفض ما أُمِر به، يعني المنافق، واجترأ على عذاب الله، أي:

وأقام عن الجهاد، فتبيّن نفاقه، أي: جعل فتنة الناس، يعني ما يدخل عليه من البلية في القتال، إذا كانت بلية، كعذاب الله في الآخرة، [فترك القتال في سبيل الله واجترأ على عذاب الله][1] لأن الله قد خوّفه عذاب الآخرة، وهو لا يُقِرّ بِهِ.

[وقال مجاهد: هم أناس آمنوا بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم أو في أموالهم افتتنوا فجعلوا ما أصابهم في الدنيا كعذاب الله في الآخرة][2].

قوله: ﴿ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ أي: نصر على المشركين، فجاءت غنيمة ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ يعني جماعتهم ﴿ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ﴾ أي: يطلبون الغنيمة. قال الله: ﴿ أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ العَـٰلَمِينَ﴾ أي: إنه يعلم ما في صدور العالمين، ويعلم ما في صدور المنافقين من التضييع للفرائض وترك الوفاء بما أقرّوا له به[3].

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَـٰفِقِينَ﴾ وهي مثل قوله: (وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ). وقد فسّرنا ذلك في الآية الأولى. وهذا كله علم الفعال.

وما بعد هذه العشر الآيات مكية كلها، وهذه العشر مدنية، نزلت بعد ما بعدها من هذه السورة، وهي قبل ما بعدها في التأليف.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا ﴾ الذي نحن عليه ﴿ وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ﴾ أي: فيما اتبعتمونا فيه، أي: ما كان فيه من إثم فهو علينا، وهذا منهم إنكار للبعث والحساب. قال الله: ﴿ وَمَا هُمْ بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم﴾ أي:

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ب و ع فأثبته من سع ومن سح. وفي الفقرة اضطراب وتكرار أصلحته حسبما يقتضيه المعنى.

(2) قول مجاهد هذا من أحسن ما أُوِّلت به الآية الكريمة، لذا رأيت من المناسب ومن الفائدة إثباته هنا من تفسير مجاهد ص 493، ومن سح و سع، ومن تفسير الطبري، ج 20 ص 132.

(3) كذا في ب و ع. وفي سع، و ز، و سح جاءت العبارة هكذا: «والعالمون الخلق كلهم، أي: إنه يعلم أن هؤلاء المنافقين في صدورهم التكذيب بالله وبرسوله وهم يظهرون الإيمان».

من خطايا المؤمنين ﴿ مِّنْ شَيْءٍ ﴾ لو اتبعوهم ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ أي: لا يحملون خطاياهم.

قال: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ ﴾ يعني آثامهم، أي آثام أنفسهم ﴿ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ أي: يحملون مثل ذنوب من اتبعهم على الضلالة، ولا ينقص ذلك من ذنوب من اتبعوهم شيئاً.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه كان له مثل أجر من اتبعه ولا ينقص من أجورهم شيئاً. وأيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع عليها كان عليه وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئاً[1].

ذكروا عن ابن مسعود في قوله: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) [الانفطار: 5] مثل حديث الحسن عن النبي عليه السلام.

قال: ﴿ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [أي: يكذبون ويخترعون][2].

قوله: ﴿ وَلَقَد أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمُ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً ﴾ يقول: ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم، أي: من يوم بعث إلى يوم مات ألف سنة إلا خمسين عاماً. وبلغنا عن كعب أنه قال: لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم، وبقي بعدهم بعد الطوفان ستمائة سنة. قوله: ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ ﴾ أي: الماء، فأغرقهم الله ﴿ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾. أي: وهم مشركون ظالمون لأنفسهم؛ وظلموا أنفسهم، أي: ضروا أنفسهم.

قوله: ﴿ فَأَنْجَيْنَـٰهُ﴾ يعني نوحاً ﴿ وَأَصْحَـٰبَ السَّفِينَةِ ﴾ يعني من كان معه في السفينة ﴿ وَجَعَلْنَاهَا ﴾ يعني السفينة ﴿ ءَايَةً ﴾ أي: عبرة ﴿ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾.

(1) حديث رواه ابن ماجه في مقدمة سننه، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، عن أنس بن مالك وعن أبي هريرة بألفاظ متقاربة، (رقم 205 - 206) وأخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة (رقم 4609) عن أبي هريرة.

(2) زيادة من مجاز أبي عبيدة، ج 2 ص 114.

قال بعضهم: أبقاها الله بباقردى[1] من أرض الجزيرة حتى أدركها أوائل هذه الأمة؛ وكم من سفينة كانت بعدها فصارت رماداً. قال بعضهم: بلغنا أنهم كانوا يجدون من مساميرها بعدما بعث النبي عليه السلام.

قوله: ﴿ وَإِبْرٰهِيمَ ﴾ أي: وأرسلنا إبراهيم إلى قومه، وهذا تبع للكلام الأول في نوح: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ) قال: ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ ﴾ أي: وحدوه ﴿ وَاتَّقُوهُ ﴾ أي: واخشوه ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَـٰناً وَتَخْلُقُونَ ﴾ أي: وتصنعون ﴿ إِفْكاً ﴾ أي: كذباً. قال: ﴿ إِنَّ الذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾ أي: فابتغوا عند الله الرزق بأن تعبدوه وتشكروه يرزقكم. قال: ﴿ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ﴾ أي: فأهلكهم الله، يحذّرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم إن لم يؤمنوا.

قال: ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلَـٰغُ الْمُبِينُ ﴾ أي: ليس عليه أن يكره الناس على الإيمان. كقوله: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ) يقوله على الاستفهام، (حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤمِنِينَ) [يونس: 99] أي: إنك لا تستطيع أن تكرههم، فإنما يؤمن من أراد الله أن يؤمن. وكقوله: (إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَّشَاءُ) [القصص: 56].

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِىءُ اللهُ الْخَلْقَ ﴾ أي: بلى، قد رأوا أن الله خلق الخلق، قال: ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ يعني يوم البعث[2]، يخبر أنه يبعث العباد، والمشركون لا يقرّون بالبعث. قال: ﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ أي: خلقهم وبعثهم.

(1) كذا وردت هذه الكلمة: بافردا، وفي سع و سح: «باقردى» وضبطها محقق تاريخ الطبري، ج 1 ص 189: بقردى، معتمداً على ما أورده ياقوت. وهي قرية بأرض الموصل، وجبل الجودي كذلك بأرض الموصل.

(2) يادة من سح ورقة 70.

ثم قال للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ ﴾ لهم: ﴿ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ أي: حيثما ساروا رأوا خلق الله الذي خلق. قوله: ﴿ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ ﴾ أي: الخلق الآخر، يعني البعث، أي: إن الله خلقهم وإنه يبعثهم. ﴿ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَّشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَّشَاءُ ﴾ أي: يعذب الكافر بالنار، ويرحم المؤمن فيدخله الجنة. قال: ﴿ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ أي: ترجعون يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ ﴾ فتسبقونا حتى لا نقدر عليكم فنعذّبكم. يقول ذلك للمشركين. قال: ﴿ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللهِ مِن وَّلِيٍّ ﴾ أي: من قريب يمنعكم من عذابه ﴿ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾.

قوله: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا بِئَايَتِ اللهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي ﴾ [أي: من جنتي][1] ﴿ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع، يعني عذاب الجحيم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: خمس من لقي الله بهن مستيقناً عاملاً دخل الجنة: من شهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأيقن بالموت والبعث والحساب، وعمل بما أيقن من ذلك[2].

قوله: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾ أي: قوم إبراهيم ﴿ إِلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾ يقوله بعضهم لبعض ﴿ فَأَنْجَيْهُ اللهُ مِنَ النَّارِ ﴾. وقد فسّرنا ذلك في سورة

---

(1) جاء في مجاز أبي عبيدة ما يلي: «(أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الخَلْقَ) مجازه: كيف استأنف الخلق الأول. (ثُمَّ يُعِيدُهُ) بعد؛ يقال: رجع عودُه على بدئه، أي: آخرُه على أوّله؛ وفيه لغتان: يقال: أبدأ وأعاد، وكان ذلك مبدئاً ومعيداً، وبدأ وعاد، وكان ذلك بادئاً وعائداً».

(2) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من المصادر، وقد رواه ابن سلام هكذا: عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر عن أبي سلّام الشامي قال: قال رسول الله ﷺ.... وليس فيه الجملة الأخيرة: «وعمل بما أيقن من ذلك» فإنها لم ترد إلا في ب و ع. وجاء في سح ورقة 70 بعد هذا الحديث حديثان آخران في الموضوع، أولهما عن ثوبان: «خمس من أثقل شيء في الميزان...»، وثانيهما عن علي: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع...».

الأنبياء[1] قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَ ﴾ إبراهيم ﴿ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّنْ دُونِ اللهِ أَوْثَـٰناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ أي: يوادّ بعضكم بعضاً، أي: يحبّ بعضكم بعضاً على عبادة الأوثان في الحياة الدنيا. ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ﴾ أي: بولاية بعضكم بعضاً وقال بعضهم: يتبرّأ بعضكم من بعض ﴿ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً وَمَأْوَيٰكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾.

قال: ﴿ فَئَامَنَ لَهُ لُوطٌ ﴾ أي: فصدّقه لوط ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ يقوله إبراهيم ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ هاجر من أرض العراق إلى أرض الشام.

قال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوءَةَ وَالْكِتَـٰبَ ﴾ فكان أول كتاب أنزل بعد كتاب موسى وما بعده من الكتب. قال: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ﴾ أي: أعطيناه[2] ﴿ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ﴾ فليس من أهل دين إلا وهم يتولّونه ويحبونه. وهو مثل قوله: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ) [يٓس: 108]. قال: ﴿ وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: لمن أهل الجنة.

قوله: ﴿ وَلُوطاً ﴾ أي: وأرسلنا لوطاً ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَـٰحِشَةَ﴾ أي: المعصية، وهي إتيان الرجال في أدبارهم. ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَـٰلَمِينَ﴾ أي: من عالم أهل زمانهم.

﴿ أَءِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ﴾ في أدبارهم، وهذا على الاستفهام، أي: إنكم تفعلون ذلك[3]. قال: ﴿ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ ﴾ أي: على الغرباء، فتأتونهم في أدبارهم، وكانوا لا يفعلون ذلك إلا بالغرباء. وكانوا يتعرّضون الطريق ويأخذون

(1) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 78 - 79.

(2) في ب و ع: اصطفيناه، وهو خطأ، وأثبت ماجاء في سع و سح وهو الصحيح.

(3) جاء في ز ورقة 359 ما يلي: «قال محمد: (أَئِنَّكُمْ) لفظه لفظ الاستفهام، والمعنى معنى التقرير والتوبيخ.

الغرباء ولا يفعله بعضهم ببعض[1]. قال: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ أي: الفاحشة، يعني فعلهم ذلك[2].

قال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وذلك لما كان يعدهم به من العذاب.

﴿قَالَ﴾ أي: قال لوط: ﴿رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: المشركين، وهو أعظم الفساد، والمعاصي كلها من الفساد، وأعظمها الشرك، وكانوا على الشرك جاحدين لنبيّهم.

قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ يعني الملائكة ﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ أي: بإسحاق وذلك أن الملائكة لما بعثت إلى قوم لوط بعذابهم مرّوا بإبراهيم فسألوه الضيافة، فلما أخبروه أنهم أرسلوا بعذاب قوم لوط بعدما بشّروه بإسحاق ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يعنون قرية قوم لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أي: مشركين.

﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

قال: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ يعني الملائكة ﴿سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ يعني سيء بقومه الظن، أي: بما كانوا يأتون الرجال في أدبارهم، تخوفهم على أضيافه، وهو يظن أنهم آدميون. قال: (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً) أي: ضاق بأضيافه الذرع، لما تخوّف عليهم [من عمل قومه][3]. ﴿وَقَالُوا﴾ أي: الملائكة قالت للوط:

---

(1) وفي معاني الفراء ج 2 ص 316: «ويقال: (وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ): تقطعون سبيل الولد بتعطيلكم النساء».

(2) وقال الفراء: وقوله: (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُم الْمُنْكَرَ) في مجالسكم، والمنكر منه الخذف، والصّفير، ومضغ العِلك، وحلّ أزرار الأقبية والقمُص، والرمي بالبُندُق، ويقال: هي ثمانيَ عشرة خصلة من قول الكلبي لا أحفظها، وقال غيره: هي عشر».

(3) زيادة من ز ورقة 259 للإيضاح، وفي ع وسح: يتخوف عليهم منهم.

﴿ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَـٰبِرِينَ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَـٰذِهِ الْقَرْيَةِ ﴾ يعني قرية قوم لوط ﴿ رِجْزاً ﴾ أي: عذاباً ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ أي: يشركون.

قال: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً ﴾ أي: عبرة بينة ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾. وهم المؤمنون؛ عقلوا عن الله ما أنزل إليهم، فأخبرهم أنه جعل عاليها سافلها أي: خسف بهم، وأمطر عليهم الحجارة.

وذكر جماعة من العلماء أن مدائن قوم لوط خمسة: عمورة وصغيرة، ودادونا، وصابورا، وسدوم، خسف بها كلها.

قوله: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ ﴾ أي: وأرسلنا إلى مدين ﴿ أَخَاهُمْ شُعَيْباً ﴾ أي: أخاهم في النسب وليس بأخيهم في الدين ﴿ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ أي: صدّقوا باليوم الآخر[1] ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ أي: ولا تسيروا في الأرض مفسدين، في تفسير بعضهم. وتفسير الحسن: ولا تكفروا في الأرض مفسدين.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ والرجفة ها هنا عند الحسن مثل الصيحة؛ وهما عنده العذاب. قال الله: ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ أي: موتى قد هلكوا.

﴿ وَعَاداً وَثَمُوداً[2] وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ﴾ يعني ما رأوا من آثارهم. قال:

---

(1) كذا في المخطوطات الأربع، وهو قول له وجه من التأويل. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 115: «(وَارْجُو الْيَوْمَ الآخِرَ) مجازه: واخشوا اليوم الآخر. قال أبو ذؤيب:

إذا لسعته الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا   وَحَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَامِلِ

أي: لم يخف». انظر السّكّري، شرح أشعار الهذليين، ج 1 ص 144. وفيه: «لم يَرْجُ لسعها: لم يخف ولم يبالها».

(2) قال ابن الأنباري في البيان في إعراب غريب القرآن، ج 2 ص 244: «قوله: (وَعَاداً وَثَمُوداً) منصوب من ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون معطوفاً بالعطف على الهاء والميم في قوله تعالى: =

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ أي: عن سبيل الهدى ﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ أي: في الضلالة.

قال: ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ﴾ أي: وأهلكنا قارون وفرعون وهامان ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَـٰتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَـٰبِقِينَ ﴾ أي: ما كانوا يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم.

قال الله: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾ يعني من أهلك من الأمم الذين قصّ في هذه السورة إلى هذا الموضع.

قال الله: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً ﴾ يعني قوم لوط، يعني الحجارة التي رمَى بها من كان خارجاً من المدينة وأهل السفر منهم وخسف بمدينتهم قال: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ أَخَـذَتْـهُ الصَّيْحَةُ ﴾ يعني ثمود ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ﴾ يعني مدينة قوم لوط وقارون ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾ يعني قوم نوح وفرعون وقومه. قال الله: ﴿ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ أي: يضرون. وقال الحسن: ينقضون بشركهم وجحودِهم رسلَهم.

قوله: ﴿ مَثَلُ الذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ يعني أوثانهم التي عبدوها. ﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ ﴾ أي: أضعف البيوت ﴿ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ أي: إن أوثانهم لا تغني عنهم شيئاً كما لا يكن بيت العنكبوت من حرّ ولا برد ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لعلموا أن أوثانهم لا تغني عنهم شيئاً كبيت العنكبوت.

ثم قال: ﴿ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ يقوله للمشركين يعني ما تعبدون من دونه ﴿ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ أي: العزيز في نقمته الحكيم في أمره.

= (أخذتهم الرجفة). والثاني أن يكون منصوباً بالعطف على (الذِينَ) في قوله تعالى: (وَلَقَد فَتَنَّا الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)، والثالث أن يكون منصوباً بفعل مقدر، وأهلكنا عاداً وثموداً». وهذا الوجه الأخير من أوجه الإعراب هو الذي اختاره المؤلف هنا كما جاء في ز ورقة 260 وفي سح.

قوله: ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَـٰلِمُـونَ ﴾ أي: المؤمنون.

قوله: ﴿ خَلَقَ اللهُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: للبعث والحساب، كقوله: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا) أي: خلقناهما للبعث والحساب. قال: (ذَٰلِكَ ظَنُّ الذِينَ كَفَرُوا) [سورة صٓ: 27] أي: أن لن يبعثوا ولا يحاسبوا.

قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: في خلق السموات والأرض، يعلمون أن الذي خلق السموات والأرض يبعث الخلق يوم القيامة.

قوله: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَـٰبِ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ﴾. قال الكلبي: إن العبد ما دام في صلاته لا يأتي فحشاء ولا منكراً. ﴿ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ﴾ قال الحسن في تفسير قول الله: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) [البقرة: 152] قال: فإذا ذكرَ العبدُ اللهَ ذكره الله، فذكرُ اللهِ العبدَ أكبرُ من ذكرِ العبدِ إياه(1).

ذكروا عن محارب بن دثار(2) قال: قال لي ابن عمر: كيف كان تفسير ابن عباس في هذه الآية: (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ)، فقلت: كان يقول: إن ذكرَ اللهِ العبدُ عند المعصية فيَكُفُّ أكبر من ذكره إياه باللسان. فقال ابن عمر: إن العبدَ إذا ذكر الله ذكره الله، فذكرُ اللهِ العبدَ أكبرُ من ذكر العبد إياه.

قال الحسن: الذكر ذكران، أحدهما أفضل من الآخر: ذكر الله باللسان حسن،

(1) في ب و ع اضطراب في التعبير ونقص أثبت تصحيحه من ز ورقة 260، ومن سح و سع.
(2) في ب و ع: «محارب بن دينار» وهو خطأ صوابه ما أثبته: «بن دثار» فقد أورد اسمه ابن قتيبة في المعارف، ص 490. وهو أبو مطرِّف محارب بن دثار، من بني سدوس بن شيبان». ولي قضاء الكوفة لخالد بن عبد الله القسري، وتوفي في ولاية خالد بالكوفة». وذكره ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب، ج 1 ص 152 في أحداث سنة ست وعشرة ومائة. وانظر في سع و سح هذا القول مفصّلاً.

وأفضل منه ذكرك الله عند ما نهاك[1] الله عنه. والصبر صبران: أحدهما أفضل من الآخر؛ الصبر عند المصيبة حسن، وأفضل منه الصبر عما نهاك الله[2].

قال: ﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ قال بعضهم: أي: بكتاب الله. وقال: نهى الله عن مجادلتهم في هذه السورة ولم يكن يومئذ أمر بقتالهم، ونسخ ذلك فأمر بقتالهم، ولا مجادلة هي أشد من السيف، فقال في سورة براءة: (قَاتِلُوا الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [التوبة: 29]. أمر بقتالهم حتى يُسلِموا أو يُقِرّوا بالجزية.

قوله: ﴿ إِلَّا الذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾. قال بعضهم: من قاتلك ولم يعطك الجزية فقاتله إذاً، يعني إذ أمر بجهادهم، وإنما أمر بجهادهم بالمدينة، وهذه الآية مكية[3]، وقال مجاهد: من أقام على شركه منهم ولم يؤمن.

قال: ﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ وتفسير مجاهد: يقوله لمن آمن من أهل الكتاب.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَـٰبَ فَالذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ الْكِتَـٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يعني من آمن منهم ﴿ وَمِنْ هَؤُلَاءِ ﴾ يعني مشركي العرب ﴿ مَن يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِئَايَـٰتِنَا إِلَّا الْكَـٰفِرُونَ﴾.

(1) كذا في ع و ب وفي سح، «عند ما نهاك الله عنه»، وفي سع: «عما نهاك الله عنه».
(2) أورد ابن سلام في سح ورقة 74 حديثين عن الحسن عن النبي ﷺ يحسن إيرادهما، قال عليه السلام: «كل صلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر فإن صاحبها لا يزداد من الله إلا بعداً». وقال عليه السلام: «من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر فإنها لا تزيده عند الله إلا مقتاً».
(3) وفي ز، ورقة 260 زيادة لم ترد في ب و ع ولا في سح و سع: «وهذا مما نزل بمكة ليعملوا به في المدينة».

قوله: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: من قبل القرآن ﴿ مِنْ كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ أي: لو كنت تقرأ وتكتب. والمبطلون في تفسير مجاهد مشركو قريش. وقال بعضهم: من لم يؤمن من أهل الكتاب[1].

﴿ بَلْ هُوَ ﴾ يعني القرآن ﴿ءَايَـٰتٌ بَيِّنَـٰتٌ فِي صُدُورِ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ﴾ يعني النبي والمؤمنين.

قال بعضهم: أعطيت هذه الأمة الحفظ، وكان من قبلهم لا يقرأون كتابهم إلا نظراً، فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه إلا النبيّون.

وقال بعضهم: بلغنا أن كعباً قال في صفة هذه الأمة: حلماء علماء كأنهم من الفقه أنبياء.

قال: ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِئَايَـٰتِنَا إِلَّا الظَّـٰلِمُونَ﴾ أي: المشركون.

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا ﴾ أي: هلاّ ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِ قُل إِنَّمَا الأَيَـٰتُ عِنْدَ اللهِ ﴾ كانوا يسألون النبي أن يأتيهم بالآيات كقولهم: (فَلْيَأتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ) [الأنبياء: 5]، وما أشبه ذلك. قال الله: (قُل إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ) إذا شاء أنزلها ﴿ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: ليس عليّ أكثر من أن أنذركم كما أمرت.

قال الله: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ ﴾ أي: من الآيات ﴿ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: تتلوه، أي: تقرأه عليهم، وأنت لا تقرأ ولا تكتب، فكفاهم ذلك لو عقلوا. قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

ثم قال: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً ﴾ أنّي رسوله، وأن هذا الكتاب من عنده، وأنكم على الكفر.

---

(1) وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 317: «ولو كنت كذلك (لَّارْتَابَ المُبْطِلُونَ) يعني النصارى الذين وجدوا صفته، ويكون (لَّارْتَابَ المُبْطِلُونَ) أي: لكان أشدَّ لريبة من كذَّب من أهل مكة وغيرهم».

قال: ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَـٰطِلِ ﴾ [أي: بإبليس][1] ﴿ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ﴾ أي: في الآخرة، أي: خسروا أنفسهم أن يغنموها فصاروا في النار.

قوله: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ ﴾. كان النبي عليه السلام يخوّفهم العذاب إن لم يؤمنوا، فكانوا يستعجلون به استهزاءً وتكذيباً. قال الله: (وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى)[2] أي: النفخة الأولى (لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ) أي: إن الله أخّر عذاب كفار آخر هذه الأمة بالاستئصال، الدائنين بدين أبي جهل بن هشام وأصحابه، إلى النفخة الأولى، بها يكون هلاكهم.

قال الله: ﴿ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.

ذكروا عن رسول الله ﷺ قال: تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعان، فما يطويانه حتى تقوم الساعة، وتقوم الساعة والرجل يخفض ميزانه ويرفعه، وتقوم الساعة والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم الساعة[3].

قوله: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَـٰفِرِينَ﴾ كقوله: (أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) [الكهف: 29]، قال الله: ﴿ يَوْمَ يَغْشَيٰهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ وهذا عذاب جهنم. كقوله: (لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) [الأعراف: 41] أي: يغشاهم. وكقوله: (لَهُمْ ظُلَـلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَـلٌ) [الزمر: 16] قال: ﴿ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: ثواب ما كنتم تعملون في الدنيا.

---

(1) زيادة من سح ورقة 76، ومن ز ورقة 260.

(2) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 318: «وقوله: (وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى) يقول: لولا أن الله جعل عذاب هذه الأمة مؤخراً إلى يوم القيامة ـ وهو الأجل ـ (لَجَاءَهُمُ العَذَابُ) ثم قال: (وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً) يعني القيامة، فذكر لأنه يريد عذاب القيامة. وإن شئت ذكرته على تذكير الأجل. ولو كانت (وَلَتَأْتِيَنَّهُمْ) كان صواباً، يريد القيامة والساعة».

(3) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 63. يقال: لاط الحوض يلوطه، ولاطه يليطه إذا طيّنه وملّسه وأصلحه.

قوله: ﴿ يَـٰعِبَادِيَ الذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ﴾ [قال بعضهم: إن أرضي واسعة قال: إذا عُمِل فيها بالمعاصي فاخرجوا منها. وقال مجاهد: فهاجروا وجاهدوا][1].

وقال بعضهم: أمرهم بالهجرة وأن يجاهدوا في سبيل الله، يهاجروا إلى المدينة ثم يجاهدوا إذا أمروا بالجهاد.

قوله: ﴿ فَإِيَّـٰيَ فَاعْبُدُونِ ﴾ أي: في تلك الأرض التي أمرتكم أن تهاجروا إليها، يعني المدينة، نزلت هذه الآية بمكة قبل الهجرة.

قوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ كقوله: (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ) [المؤمنون: 15] قال الله: ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ﴾ أي: لنسكننهم ﴿ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿ نِعْمَ أَجْرُ الْعَـٰمِلِينَ ﴾ أي: نعم ثواب العاملين في الدنيا، يعني الجنة.

قال: ﴿ الذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ أي: وكم ﴿ مِّنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ أي: تأكل بأفواهها ولا تحمل شيئاً لغد. قال مجاهد: يعني البهائم والطير والوحوش والسباع ﴿ اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ أي: لا أسمع منه ولا أعلم.

قوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم ﴾ يعني المشركين ﴿ مَّنْ خَلَقَ السَّـٰمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ يجريان ﴿ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ أي: فكيف تُصرَفون عقولكم بعد إقراركم[2] بأن الله واحد، وأنه خالق هذه الأشياء.

قوله: ﴿ اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ أي: يوسع الرزق لمن يشاء من

---

(1) زيادة من سح ورقة 77 والقول الأول لسعيد بن جبير.

(2) كذا في ب وع. وفي سح ورقة 77 وفي سع: فكيف يصرفون بعد إقرارهم، وهو أصح.

عباده ﴿ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ أي: ويقتر عليه نظراً له، يعني المؤمنين ﴿ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾. كقوله: (وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَّاحِدَةً) أي: ولولا أن يجتمعوا على الكفر (لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّنْ فِضَّةٍ. . .) إلى آخر الآية [الزخرف: 33].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح ذبابة أو بعوضة ما أعطى الكافر منها شيئاً(1). ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن، وهي جنة الكافر(2).

قوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم ﴾ يعني المشركين ﴿ مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ يعني المطر ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي: فأخرج به النبات بعد أن كانت تلك الأرض ميتة، أي: يابسة ليس فيها نبات ﴿ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أي: فيؤمنون. أي: إنهم قد أقروا أن الله خالق هذه الأشياء، ثم عبدوا الأوثان من دونه.

قوله: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَّلَعِبٌ ﴾ أي: أهل الدنيا أهل لهو ولعب، يعني المشركين والمنافقين هم أهل الدنيا الذين لا يريدون غيرها، أي: لا يقرّون بالآخرة. ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْأَخِرَةَ ﴾ أي: الجنة ﴿ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾(3) أي: يبقى أهلها لا

(1) حديث صحيح أخرجه الترمذي عن سهل بن سعد مرفوعاً، وأخرجه ابن ماجه أيضاً عنه في كتاب الزهد، باب مثل الدنيا (رقم 4110) وأخرجه الحسن مرسلاً. ولفظه: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها قطرة ماء».

(2) حديث صحيح أخرجه مسلم وغيره عن أبي هريرة، وانظر ما سلف، ج 1 ص 552.

(3) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 117: «ومجاز الحيوان والحياة واحد. ومنه قولهم: نهر الحيوان، أي: نهر الحياة ويقال: حييت حيّاً، على تقدير: عييت عيّاً. فهو مصدر، والحيوان والحياة اسمان منه فيما تقول العرب، قال العجاج:

وقد ترى إذ الحياة حيُّ

أي: الحياة».

وقال الزمخشري في الكشاف، ج 3 ص 493: «. . . وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في =

يموتون. قال الله: ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: المشركون، لعلموا أن الآخرة خير من الدنيا.

قوله: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ أي: إذا خافوا الغرق ﴿ فَلَمَّا نَجَّـٰهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَـٰهُمْ ﴾. وقال في آية أخرى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْراً) [إبراهيم: 28] قال: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ أي: في الدنيا ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: إذا صاروا إلى النار. وهذا وعيد.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ءَامِناً﴾ أي: بلى قد رأوا ذلك ﴿ وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾، يعني أهل الحرم، إنهم آمنون، والعرب حولهم يَقتُل بعضهم بعضاً ويَسْبِي بعضهم بعضاً. قال الله: ﴿ أَفَبِالْبَـٰطِلِ يُومِنُونَ ﴾ أفبإبليس يؤمنون، أي: يصدّقون، أي: يعبدونه بما وسوس إليهم من عبادة الأوثان، وهي عبادته. قال في آية أخرى: (أَلَمْ أَعْهَد إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءَادَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) [يس: 60 - 61] قال: ﴿ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ ﴾ وهذا على الاستفهام، أي: قد فعلوا. قوله: (وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ) يعني ما جاء به النبي عليه السلام من الهدى.

قال: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً ﴾ فعبد الأوثان دونه ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ لَمَّا جَاءَهُ ﴾ أي: لا أحد أظلم منه، ثم قال: ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ وهو على الاستفهام، أي: بلى فيها مثوى للكافرين.

قوله: ﴿ وَالذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾ [يعني عملوا لنا][1] ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ أي: سبيل الهدى، أي: الطريق إلى الجنة. نزلت قبل أن يؤمر بالجهاد، ثم أُمِر بالجهاد بعدُ بالمدينة. قال الله: ﴿ وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: المؤمنين.

= بناء الحياة، وهي ما في بناء فَعَلان من معنى الحركة والاضطراب.. مجيئه على بناء دالّ على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة، ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة».

(1) زيادة من سح ورقة 111.

تفسير سورة الروم
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ الٓمٓ ﴾ قد فسَّرناه في أول سورة البقرة.

قوله: ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ أي: قد غلبتهم فارسُ ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ أي: في أدنى الروم، بأذرعات من الشام، بها كانت الوقعة. فلما بلغ ذلك أهلَ مكة شَمِتوا أن غلب إخوانُهم أهلَ الكتاب. وكان المسلمون يعجبهم أن يظهر الروم على فارس، لأن الروم أهلُ كتاب. وكان مشركو العرب يعجبهم أن يظهر المجوس على أهل الكتاب.

قال الله: ﴿ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ يعني الروم، من بعد ما غلبتهم فارسُ سيغلبون فارسَ. ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ ﴾ أن يهزم الروم ﴿ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ ما هزمت. ﴿ وَيَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يغلب الرومُ فارسَ ﴿ يَفْرَحُ الْمُومِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَن يَّشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾.

قال أبو بكر للمشركين: لِمَ تَشْمَتون، فوالله ليظهرن الروم على فارس إلى ثلاث سنين فقال أبي بن خلف: أنا أبايعك ألا تظهر الروم على فارس إلى ثلاث سنين. فتبايعا على خَطَر[1] سبع من الإبل. ثم رجع أبو بكر إلى النبي عليه السلام فأخبره. فقال له رسول الله ﷺ: اذهب فبايعهم إلى سبع سنين، مُدَّ في الأجل وزِدْ في الخَطَر.

(1) أي: تعاقدا وتعاهدا على خَطَر، وهو المقدار من المال أو أي شيء آخر يجعل بين المتراهنين فمن غلب وسبق فهو له دون صاحبه، ويسمى أيضاً السَّبَق (بفتح السين والباء معاً).

ولم يكن حرم ذلك يومئذ؛ وإنما حرم القمار، وهو الميسر، والخمر بعد غزوة الأحزاب. فرجع أبو بكر إليهم فقال: اجعلوا الوقت إلى سبع سنين وأزيدكم في الخَطَر. ففعلوا، فزاد في الخطر ثلاثاً فصارت عشراً من الإبل، وفي السنين أربعاً، فكانت السنون سبعاً، ووقع الخطر على يدي أبي بكر[1].

فلما مضت ثلاث سنين قال المشركون: قد مضى الوقت، وقال المسلمون: هذا قولُ ربّنا، وتبليغُ نبيّنا، والبِضْع ما بين الثلاث إلى التسع[2] ما لم يبلغ العشر، والموعود كائن.

فلما كان تمام سبع سنين ظهرت الروم على فارس، وكان الله وعد المؤمنين إذا غلبت الروم فارس أظهرهم الله على المشركين، فظهرت الروم على فارس والمؤمنون على المشركين في يوم واحد، وهو يوم بدر، وفرح المسلمون بذلك وصدق الله قولهم وقول رسوله، وهو قوله: (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُومِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَن يَّشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ). قال: ﴿ وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إذا مات كسرى فلا كسرى بعده وإذا مات قيصر فلا قيصر بعده[3]. يعني ملك الروم بالشام[3].

ذكروا عن عقبة بن نافع أن رسول الله ﷺ قال: تقاتلون جزيرة العرب فيفتح الله عليكم وتقاتلون الدجال فيفتح الله عليكم[4] فكان عقبة بن نافع يحلف بالله لا يخرج الدجال حتى تفتح الروم.

(1) قصة أبي بكر رضي الله عنه مع المشركين أوردها ابن جرير الطبري في تفسيره، ج 21 ص 16 - 19 عن ابن عباس وأوردها الترمذي وغيره عن نيار بن مكرم الأسلمي بألفاظ متقاربة، وفي بعض ألفاظ الحديث: «... إنما البِضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايِدْه في الخطر، ومادِّه في الأجل».

(2) في ب و ع: «البضع ما بين الثلاث إلى السبع» والصواب ما جاء في سع و سح: «إلى التسع».

(3) حديث متفق عليه، انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص273. والجملة الأخيرة من يحيى بن سلام كما في سح.

(4) كذا في ب و ق، وفي سح ورقة 81 ورد الحديث أوفى بالسند التالي: «وحدثني شريك بن عبد =

قال: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِراً مِّنَ الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ أي: حين نتاجهم وحين زروعهم وحصادهم[1] وتجارتهم. بعض هذا تفسير الحسن وبعضه تفسير الكلبي.

ذكروا عن موسى بن علي عن أبيه قال: كنت عند عمرو بن العاص بالإسكندرية إذ قال رجل من القوم: زعم جسطال[2] هذه المدينة أن القمر يخسف به الليلةَ، فقال رجل: كذب هذا، يعلمون ما في الأرض فكيف يعلمون ما في السماء؟ فقال عمرو: بلى (إنَّ اللهَ عِنْدَه عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) [لقمان: 34] وما سوى ذلك يعلمه قوم ويجهله آخرون.

ذكروا عن الحسن أنه قال: أضلّ رجل من المسلمين ناقته فذهب في طلبها. فلقى به رجلاً من المشركين فأنشدها إياه[3] فقال: ألست مع هذا الذي يزعم أنه نبي، أفلا تأتيه فيخبرْك بمكان راحلتك. فمضى الرجل قليلاً فردّ الله عليه راحلته. فجاء إلى النبي عليه السلام فأخبره فقال: فما قلت له؟ فقال الرجل: وما عسيت أن أقول لرجل من المشركين مكذّب بالله. قال: أفلا قلت له: إن الغيب لا يعلمه إلا الله، وأن الشمس لا تطلع إلا بزيادة أو نقصان[4].

= الله عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة عن عقبة بن نافع قال: قال رسول الله ﷺ: تقاتلون فارس فيفتح الله عليكم، وتقاتلون جزيرة العرب فيفتح الله عليكم، وتقاتلون الروم فيفتح الله عليكم وتقاتلون الدجال فيفتح الله عليكم..».

(1) في ب و ع: «وصناعتهم» بل: «وحصادهم»، وأثبت ما رأيته مناسباً كما وردت الكلمة في سع وسح.

(2) وردت هذه اللفظة في ع هكذا: «جسطلل»، وفي سح: «جسطال»، وعلى الهامش: «الحاسب» كأنه شرح لها. ولم أجد الكلمة في معرب الجواليقي ولا في المعاجم التي بين يدي حتى أتحقق من أصلها ومن معناها. وهي معربة ولا شك.

(3) في سح ورقة 81 وفي ع: «فأنشدها إياه»، وفي سع: «فأنشده إياها»، يقال نشد ضالته نِشدة ونِشداناً، أي: طلبها، وأنشدها إياه، أي عرفها إياه ناشداً لها.

(4) لم أعثر على هذه القصة فيما بحثت من مصادر التفسير والحديث.

قوله: ﴿ وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ يعني المشركين. أي: لا يقرون بها؛ إنما هم عنها في غفلة، كقوله: (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) أي: غطاء الكفر (فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ) [سورة قٓ: 22]. أبصر حين لم ينفعه البصر.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللهُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي: للبعث والحساب. أي: لو تفكّروا في خلق السماوات والأرض لعلموا أن الذي خلقهما يبعث الخلق يوم القيامة. قال: ﴿ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ يعني يوم القيامة. أي: خلق الله السماوات والأرض للقيامة، ليجزي الناس بأعمالهم. والقيامة اسم جامع يجمع النفختين جميعاً: الأولى والآخرة. قال: ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ ﴾ يعني المشركين، وهم أكثر الناس ﴿ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَـٰفِرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [يعني بطشاً](1)، ﴿ وَأَثَارُوا الأَرْضَ ﴾ أي: حرثوها ﴿ وَعَمَرُوهَا أَكْثَـرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ أي: أكثر مما عمرها هؤلاء ﴿ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ [يعني كفار الأمم الخالية الذين كذّبوا في الدنيا. يقول: لم يظلمهم فيعذبهم على غير ذنب](2) ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ أي: يضرّون بكفرهم وتكذيبهم. وقال بعضهم: ينقصون. أي: قد ساروا في الأرض ورأوا آثار الذين من قبلهم؛ يخوّفهم أن ينزل بهم ما نزل بهم إن لم يؤمنوا.

قال: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَـةُ ﴾ أي: جـزاء ﴿ الذِينَ أَسَـٰءُوا ﴾ أي: أشركـوا ﴿ السُّوأَىٰ ﴾ أي: جهنم ﴿ أَنْ كَذَّبُوا ﴾ أي: بأن كذبوا ﴿ بِئَايَـٰتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾. قال الحسن: يعني بالسوأى: العذاب، أي: في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿ اللهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ يعني البعث ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

(1) زيادة من ز، ورقة 262، ومن سح ورقة 28.
(2) زيادة من ز ورقة 263، ومن سح ورقة 28.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: ييأس المشركون[1]، أي: من الجنة. قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّنْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ أي: الذين عبدوا من دون الله ﴿ شُفَعَاءُ ﴾ حتى لا يعذبوا. ﴿ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ ﴾ يعني ما عبدوا، بعبادتهم إياهم ﴿كَـٰفِرِينَ﴾.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ أي: فريق في الجنة وفريق في السعير.

قال: ﴿ فَأَمَّا الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُم فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ كقوله: (فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ) [الشورى: 22]، والروضة الخضرة، أي: يكرمون، في تفسير الحسن، وفي تفسير الكلبي: (يُحْبَرُونَ) أي: يفرحون[2].

قال: ﴿ وَأَمَّا الذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي العَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ أي: مُدخلون.

قوله: ﴿ فَسُبْحَـٰنَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾.

ذكروا أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس: هل تجد الصَلواتِ الخمسَ مُسَمَّياتٍ في كتاب الله؟ قال: نعم (فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تَمْسُونَ) فهذه صلاة المغرب (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) هذه صلاة الصبح (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيّاً) هذه صلاة العصر، (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) هذه صلاة الظهر. وقال في آية أخرى: (وَمِنْ بَعْدِ صَلاَةِ العِشَاءِ) [النور: 58] فهذه خمس صلوات.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 120: «(يُبْلِسُ المُجْرِمُونَ) أي: يتندمون ويكتئبون وييأسون». وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 322: «ييأسون من كل خير، وينقطع كلامهم وحججهم».

(2) كذا في ب و ع: «يكرمون في تفسير الحسن، وهو موافق لما ذهب إليه ابن عباس»، وفي سح وسع: «يكرمون» في تفسير الكلبي، وفي تفسير الحسن «يحبرون أي: يفرحون». وقال بعضهم: «الحَبْرة: اللذة والسماع». وقال ابن قتيبة: (يُحبَرُون) أي: يُسَرّون. والحَبرة: السرور. ومنه يقال: «كل حَبرة تتبعها عَبرة».

وتفسير الحسن أن الصلوات الخمس كلَّها في هذه الآية؛ يقول: (فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ) المغرب والعشاء[1].

وقال بعضهم: كل صلاة ذكرت في المكّيّ من القرآن قبل الهجرة بسنة فهي ركعتان غدوة وركعتان عشية، وذلك قبل أن تفرض الصلوات الخمس؛ وإنما افترضت الصلوات الخمس قبل أن يهاجر النبي عليه السلام بسنة ليلة أسرِيَ به. وما كان من ذكر صلاة بعد ليلةِ أسريَ به فهي الصلوات الخمس. وهذه الآية نزلت بعدما أسري بالنبي عليه السلام، وفرضت عليه الصلوات الخمس.

قوله: ﴿ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ ﴾ وهي النطفة، يخرج من النطفة الميتة الخلقَ الحيّ، ويخرج من الخلق الحي النطفةَ الميتةَ، ويخرج من الحبة اليابسة النبات الحيَّ، ويخرج من النبات الحيّ الحبة اليابسة. وكذلك تفسير مجاهد.

وتفسير الحسن: يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن.

قال: ﴿ وَيُحْيِـي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي: يحييها بالنبات بعد إذ كانت ميتة، أي: يابسة لا نبات فيها. قال: ﴿ وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ يعني البعث. يرسل الله مطراً منيّاً كمني الرجال فتنبت به لحمانهم وجسمانهم كما ينبت الأرض الثرى.

قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ﴾ تفسير السدّي: ومن علامات الربّ أنه واحد ﴿ أَنْ خَلَقَكُم مِّنْ تُرَابٍ ﴾ يعني الخلق الأول، خلق آدم ﴿ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ أي: في الأرض. وقال السدّي: (تَنْتَشِرُونَ) أي: تنبسطون.

قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّن أَنْفُسِكُمْ أَزْوٰجـاً﴾ يعني أزواجكم، أي:

---

(1) وهو ما ذهب إليه الفراء في المعاني، ج 2 ص 323 حيث قال: «يقول: فَصَلّوا لله (حِين تُمْسُونَ) وهي المغرب والعشاء (وحِينَ تُصْبِحُونَ) صلاة الفجر، (وَعَشِيّاً) صلاة العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) صلاة الظهر.

المرأة من الرجل ﴿ لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ أي: لتستأنسوا إليها[1] ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً ﴾ يعني محبة ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ يعني الولد ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي: فيؤمنون، وإنما يتفكّر المؤمن.

قال: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ خَلْقُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُـمْ﴾ قال بعضهم: (اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ): النغمة، (وَأَلْوَانِكُمْ) أي: لا ترى اثنين على صورة واحدة.

ذكر بعضهم عن الضحاك بن مزاحم قال: يشبه الرجل الرجل وليس بينهما قرابة إلا من قبل الأب الأكبر: آدم. وتفسير الكلبي: (اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ) أي: للعرب كلام، ولفارس كلام، وللروم كلام، ولسائرهم من الناس كذلك. قال: (وَأَلْوَانِكُمْ) أي: أبيض وأحمر وأسود. ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾.

[قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ مَنَامُكُمْ بِالَّيْـلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّنْ فَضْلِهِ ﴾ أي: من رزقه. كقوله: (وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ) أي: في الليل، (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) [القصص: 73] أي: في النهار. قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ وهم المؤمنون، سمعوا من الله ما أنزل عليهم][2].

قال: ﴿وَمِن ءَايَـٰتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾ أي: خوفاً للمسافر [يخاف أذاه ومعرّته][3]، وطمعاً للمقيم، أي: يطمع في رزق الله. وبعضهم يقول: خوفاً من البَرَد أن يهلك الزرع، وطمعاً في المطر. قال: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي: يحييها بالنبات بعد إذ كانت يابسة ليس فيها نبات. ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وهم المؤمنون، عقلوا عن الله ما أنزل إليهم.

---

(1) كذا في ب و ع و سح و سع: «لتستأنسوا إليها»، وفي ز: «لتستأنسوا بها». وهو خطأ ولا شك. وتعدية الفعل بإلى أبلغ وأروع.

(2) سقطت هذه الآية كلها وتفسيرها من ب و ع فأثبتهـا من سع و سح ومن ز.

(3) زيادة من سح ورقة 85 ومن سع.

قال: ﴿وَمِن ءَايَـٰتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾. [يعني بغير عمد تفسير [فاطر: 2] قال: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ يعني النفخة الآخرة. وفيها تقديم: إذا دعاكم دعوة إذا أنتم من الأرض تخرجون. كقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي: من القبور ﴿إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يٓس: 51] أي: يخرجون، وهو نفخ صاحب الصور. وهو كقوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَّاحِدَةٌ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: 13-14] أي: فإذا هم على الأرض. وهو قوله: ﴿يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي﴾ [سورة قٓ: 41].

قوله: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَـٰنِتُونَ﴾ تفسير الحسن: كل له قائم بالشهادة، أي: إنه عبد له[2]. وتفسير الكلبي: كل له مطيعون، أي: في الآخرة، ولا يقبل ذلك من الكفار.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: بعد الموت، أي: يبعثهم بعد الموت، ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي: أيسر عليه[3]. أي: إنه بدأ الخلق خلقاً بعد خلق، ثم يبعثهم مرة واحدة.

قوله: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾

---

(1) زيادة من سح ورقة 85، ول مترد في سع ولا في ز.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ص 121: «(كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ) أي: مطيعون. و(كُلٌّ) لفظه لفظ الواحد، ويقع معناه على الجميع، وهو ها هنا جميع، وفي الكلام: كل له مطيع أيضاً».

(3) وقال أبو عبيدة: «(وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) مجازه: وذلك هيّن عليه، لأن أفعل يوضع موضع الفاعل. قال:

لَعَمْـرُكَ مَـا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَـلُ عَلَى أَيِّنَـا تَـأْتِي المَنِيَّـةُ أَوَّلُ

أي: وإني لواجل، أي: لوَجِل. وقال:

فَتِلْكَ سَبِيـلٌ لَسْتُ فِيهَا بِـأَوْحَـدِ

أي: بواحد، وفي الأذان: الله أكبر، أي: الله كبير...».

وانظر: الفراء المعاني، ج 2 ص 323 — 324 في تفسير الآية.

أي: ليس له نِدّ ولا شبيه. قال: ﴿ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ العزيز في نقمته، الحكيم في أمره. ينزّه نفسه عما قال المشركون أن جعلوا له الأنداد فعبدوهم دونه.

قوله: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِن أَنْفُسِكُمْ ﴾ ثم ذكر ذلك المثل فقال: ﴿ هَل لَّكُم مِّمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾ أي: هل يشارك أحدكم مملوكه في زوجته وماله؟ ﴿ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ ﴾ أي: تخافون لائمتهم ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي: كخيفة بعضكم بعضاً، أي: إنه ليس أحد منكم هكذا، فأنا أحق ألا يُشرَك بعبادتي غيري، فكيف تعبدون غيري دوني، تشركونه في ألوهيتي وربوبيتي؟ وهو مثل قوله: (وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ) [النحل: 71] قال: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ ﴾ يعني نبيّن الآيات ﴿ لِقَوْمٍ يَّعْقِلُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

قال: ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أتاهم من الله بعبادة الأوثان ﴿ فَمَن يَّهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ ﴾ أي: لا أحد يهديه ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾.

قال: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ﴾ أي: مخلصاً، في تفسير الحسن. وقال الكلبي: مسلماً ﴿ فِطْرَتَ اللهِ التِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ أي: خلق الله الذي خلق الناس عليه[1]، وهو قوله: (وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ) [الأعراف: 172].

قال بعضهم: إن أوّل ما خلق الله القلم فقال: اكتب. فقال: ربّ، وما أكتب؟ قال: ما هو كائن. فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة؛ قال: فأعمال العباد تعرض كل يوم اثنين وخميس فيجدونه على ما في الكتاب الأول. ثم أخرج الله من

(1) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 324: «وقوله: (فطرة الله) يريد: دين الله، منصوب على الفعل. كقوله: (صِبْغَةَ اللهِ). وقوله: (التِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيهَا) يقول: المولود على الفطرة حتى يكون أبواه اللذان ينصرانه أو يهودانه. ويقال: فطرة الله أن الله فطر العباد على هذا: على أن يعرفوا أن لهم ربّاً ومدبّراً».

ظهر آدم كل نسمة هو خالقها، فأخرجهم مثل الذر، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى﴾ ثم أعادهم في صلب آدم، ثم يكتب بعد ذلك العبد في بطن أمه شقياً أو سعيداً على الكتاب الأول. فمن كان في الكتاب الأول شقياً عُمِّر حتى يجري عليه القلم فينقض الميثاق الذي أُخذ عليه في صلب آدم فيكون شقياً. ومن كان في الكتاب الأول سعيداً عُمِّر حتى يجري عليه القلم فيؤمن فيصير سعيداً. ومن مات صغيراً من أولاد المؤمنين قبل أن يجري عليه القلم فهو مع آبائه في الجنة من ملوك أهل الجنة، لأن الله يقول: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [الطور: 21].

ذكروا عن الحسن قال: توفي ابن رجل من الأنصار فقعد في بيته. فافتقده رسول الله ﷺ، فسأل عنه، فقال سعد: يا رسول الله، توفي ابنه فقعد في بيته. ثم لقي الرجلَ سعدٌ فقال: إن رسول الله، قد ذكرك اليومَ. فأتى الرجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، تُوفّي ابني فقعدت في بيتي. فقال رسول الله: أما ترضى أن تكفى مؤونته في الدنيا وألا تأتي على باب من أبواب الجنة إلا وجدته بإزائه ينتظرك[1]؟.

قال بعضهم: ومن كان من أولاد المشركين ثم مات قبل أن يجري عليه القلم فليس يكونون مع آبائهم في النار، لأنهم ماتوا على الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم ولم ينقضوا الميثاق، قال: وهم خدم أهل الجنة.

ذكروا عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: لم تكن لهم حسنات [فيجزوا بها][2] فيكونوا من ملوك أهل الجنة، ولم تكن لهم سيئات فيكونوا من أهل النار؛ فهم خدم أهل الجنة[3].

(1) لم أجده فيما بين يدي من المصادر، وقد رواه ابن سلام هكذا في سح ورقة 87: «وحدثني قرة ابن خالد عن الحسن قال. . . وفيه: «فقال سعد بن عبادة، يا نبي الله، توفي بُنَيُّهُ فذبّخ في بيته، ثم لقيه فقال. . .».

(2) زيادة من سح ورقة 88.

(3) رواه ابن سلام بالسند التالي: «حدثني الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله ﷺ. . .

ذكروا عن سلمان الفارسي أنه قال: أطفال المشركين خدم لأهل الجنة. وذكر ذلك قوم للحسن فقال: وما تنكرون؟ قوم أكرمهم الله، وأكرَمَ بهم، يعني أهلَ الجنة.

ذكروا عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين فقال لـم: تكن لهم حسنات فيكونوا من ملوك أهل الجنة، ولم تكن لهم سيئات فيكونوا من أهل النار[1].

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه. فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه. قيل: يا رسول الله، فالذي يموت صغيراً؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين[2].

ذكروا عن الحسن قال: سئل رسول الله ﷺ: من في الجنة؟ فقال: النبيّون[3] في الجنة، والمولود في الجنة، والشهيد في الجنة، والموءودة في الجنة.

ذكروا عن الحسن قال: أربعة يرجون العذر يوم القيامة: من مات قبل الإسلام، ومن أدركه الإسلام وهو هرم قد ذهب عقله، ومن ولدته أمه لا يسمع الصوت، والذي يتخبّطه الشيطان من المس. فكل هؤلاء يرجون العذر يوم القيامة. قال: فيرسل الله إليهم رسولاً، فيوقد لهم ناراً، فيأمرهم أن يقعوا فيها، فمن بين واقع ومن بين هارب. قال بعضهم: وبلغنا أن من واقعها نجا، ومن لم يواقعها دخل النار.

---

(1) اقرأ في هذا الموضوع تحقيقاً مهماً وتلخيصاً لأقوال العلماء في هذا الموضوع أوردهما البغوي في شرح السنة ج 1 ص 153 - 162، باب أطفال المشركين.

(2) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلّى عليه، وفي باب ما قيل في أولاد المشركين، وأخرجه مسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، عن أبي هريرة (رقم 2658).

(3) كذا في ب وع: «النبيّون في الجنة»، وفي سح وسع جاء اللفظ بالإفراد: «النبي» وهو الصحيح. والحديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة (رقم 2521) عن حسناء بنت معاوية الصريمية عن عمّها أسلم بن سليم قال: قلت للنبي ﷺ من في الجنة؟ قال: النبي ﷺ في الجنة».

وقال بعضهم: نرى أن الذين ينجون من ولدته أمه لا يسمع الصوت، والذي يتخبّطه الشيطان من المسّ لهما عذر، والاثنان الآخران ليس لهما عذر: الذي مات قبل الإسلام، ومن أدرك الإسلام وقد ذهب عقله لأنهما قد لقيا الحجّة من الأنبياء؛ من عيسى أو من غيره من قبله. قال الله: (إِنَّهُمْ أَلْفَوا ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى ءَاثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ) [الصافات: 69 - 70]. وقول الحسن في هذا متروك لا يؤخذ به ولا يذهب إليه المسلمون[1].

قوله: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ﴾ أي: لدين الله، كقوله: (إِنَّ عِبَادِي) أي: المؤمنين (لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) [الإسراء: 65]، وكقوله: (مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى) [الكهف: 17] أي: لا يستطيع أحد أن يضلّه. وكقوله: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الذِينَ ءَامَنُوا) [النحل: 55].

قال: ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهم المشركون.

قال: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ أي: مقبلين إليه بالإخلاص، أي: مخلصين له[2]. وهذا تبع للكلام الأول: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّين حَنِيفاً) قال: ﴿ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ أي: المفروضة ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً ﴾ أي: فرقاً، يعني أهل الكتاب ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ أي: بما عليهم ﴿ فَرِحُونَ ﴾ [أي: راضون].

قوله: ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾[3] أي: مخلصين في الدعاء ﴿ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً ﴾ أي: كشف ذلك عنهم ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾.

قوله: ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾ أي: فكفروا بما آتيناهم من النعم حيث أشركوا

(1) هذه الجملة الأخيرة لم ترد إلا في ب و ع، وهي من كلام الشيخ هود ولا شك.
(2) وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 122: «(مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) أي: راجعين تائبين.
(3) زيادة من سح ورقة 89. وقال أبو عبيدة: «أي كل شيعة وفرقة بما عندهم» (فَرِحُونَ).

﴿ فَتَمَتَّعُوا ﴾ أي: إلى موتكم ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وهذا وعيد هوله شديد. وهي تقرأ أيضاً على الياء: (فَيَتَمَتَّعُوا)، يخبر عنهم (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) وعيداً لهم.

قال الله عزّ وجل: ﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰناً ﴾ أي: حجّة ﴿ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ ﴾ أي: فذلك السلطان يتكلّم، وهي الحجّة ﴿ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴾ وهذا استفهام، أي: لم ينزل عليهم حجّة بذلك، أي: لم يأمرهم أن يشركوا.

قوله: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً ﴾ أي: عافية وسعة ﴿ فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي: شدة وعقوبة ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ أي: ييأسون من أن يصيبهم رخاء بعد تلك الشدة: يعني المشركين.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَّشَاءُ ﴾ أي: يوسّعه عليهم ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: ويقتر عليه ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُونَ ﴾.

قوله: ﴿فئاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ قال الحسن: بعض هذه الآية تطوّع، وبعضها مفروض؛ فأما قوله: (فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ فَهُوَ تَطَوُّعٌ)، وهو ما أمر الله به من صلة القرابة، وأما قوله: (وَالمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) فيعني الزكاة.

قال بعضهم: حدثونا أن الزكاة فرضت بمكة، ولكن لم تكن شيئاً معلوماً.

وقال الكلبي في تفسير هذه الآية: أن يصل ذا القربى، ويطعم المسكين، ويحسن إلى ابن السبيل، وهو الضيف.

قال: ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّباً لِتَرْبُوا فِي أَمْـوٰلِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُوا عِنْدَ اللهِ﴾ ذكروا عن الضحاك بن مزاحم قال: تلك الهديّة تهديها لِيُهدَىٰ إليك خير منها، ليس لك فيها أجر، وليس عليك فيها وزر، وقد نهى عنها النبي عليه السلام، فقال: (وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ) [المدثر: 6].

ذكر عبد الرحمن الأعرج أنه سمع ابن عباس يقرأها: لتُربوا، وبعضهم يقرأها: ليربوَ، أي: ليربوَ ذلك الربا الذي يُربون، والربا: الزيادة، أي: تُهدون إلى الناس ليُهدوا لكم أكثر منه.

وذكروا أن النبي عليه السلام قال: الهديّة رزق الله، فمن أهدى إليه شيء فليقبله، وليُعط خيراً منه[1].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: لا يردّن أحدكم على أخيه هديتَه وَلْيُهْدِ له كما أهدى له[2].

ذكروا عن أبي عبيدة أنه قال: ترك المكافأة من التطفيف؛ يعني مكافأة من أهدى.

قال بعضهم: هذا ملاطفة تجري بين الإخوان والأخوات والجيران. وقد رأينا الناس يلاطفون فقهاءهم وعلماءهم ويهدون لهم، يرجون بذلك مودتهم وتعظيمهم وتشريفهم، ولا يطلبون بذلك منهم مكافأة، ويقبل منهم علماؤهم وفقهاؤهم، ويرون ذلك من مكارم الأخلاق، ومن سَنِيِّ الفِعال، ويرون ردّ ذلك على إخوانهم الذين طلبوا ملاطفتهم، وإدخال الرفق عليهم كسراً لهم، وإزراء بهم، وعيباً عليهم. وإنما يكره قبول الهدايا للأمراء والوزراء، والقضاة والعمال، لأن قبول الهدايا لهؤلاء رشىً

(1) لم أجده بهذا اللفظ، ولكن صحت أحاديث عن النبي ﷺ في قبول الهدية إذا كانت من غير مسألة، فقد روي عن خالد بن علي الجهني رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من بلغه عن أخيه معروف من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرده، فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه.

(2) أخرج الترمذي في أبواب الأشربة، باب ما جاء في قبول الهدية والمكافأة عليها عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها. وأخرج أبو داود في كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله (رقم 1672) عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه».

في الأحكام؛ فأما من سواهم ممن ليس بأمير ولا وزير، ولا قاض ولا عامل، فلا بأس بقبول الهدية لهم، بل هو حسن جميل، يثبت المودّة، ويذهب الضغائن والغلّ[1].

قوله: ﴿ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ ﴾ أي: تريدون بها الله ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾أي: الذين تضاعف لهم الحسنات[2].

قوله: ﴿ اللهُ الذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ يعني البعث ﴿ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُم ﴾ يعني ما تعبدون من دون الله ﴿ مَّن يَّفْعَلُ مِنْ ذَلِكُم مِّنْ شَيْءٍ ﴾ أي: يخلق أو يرزق أو يحيي أو يميت ﴿سُبْحَـٰنَهُ﴾ ينزّه نفسه ﴿ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي: ارتفع عما يقول المشركون.

قوله: ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَت أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾. والفساد: الهلاك، يعني من أهلك من الأمم السالفة بتكذيبهم رسلهم، كقوله: (وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيراً) [الفرقان: 39]، أي: أفسدنا إفساداً أي: أهلكنا إهلاكاً. (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) أي: لعل من بعدهم يرجعون عن شركهم إلى الإيمان ويتّعظون بهم.

---

(1) هذا الخبر المنسوب إلى أبي عبيدة وإلى بعضهم هو، ولا شك، من زيادات الشيخ هود الهواري، ولم يرد في المخطوطتين سع و سح، ولا في ز. وأبو عبيدة هذا هو أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة التميمي، الذي أرسى قواعد المذهب الإباضي بعد شيخه الإمام جابر بن زيد التابعي الجليل. وقد توفي أبو عبيدة سنة 158 هـ حسبما ذكره بعض المحققين، وقيل سنة 150 هـ. وليت الشيخ هوداً ذكر لنا سند هذا الخبر حتى نتعرف على شيوخه وعلى نسبه في الدين، ولكنه ـ كعادته ـ يحذف أكثر الأسانيد ويكتفي برواية الحديث أو الخبر، فحرمنا من كثير من وسائل تحقيق هذه الروايات تحقيقاً علمياً، وعلى كل فإيراده لهذا الخبر هنا وما يتضمنه من تفريق بين من يجوز لهم قبول الهدايا وبين من لا يجوز دليل على فقه الرجل وعلمه.

(2) جاء في ز ورقة 264 ما يلي: «قال محمد: يقال رجل مُضعِف، أي: ذو إضعاف من الحسنات، كما يقال: رجل موسر، أي: ذو يسار. وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 325: «وقوله: (هُمُ الْمُضْعِفُونَ) أهل للمضاعفة، كما تقول العرب: أصبحتم مُسْمِنين مُعْطِشين إذا عطشت إبلهم أو سمنت».

وقوله: (فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ) قال الحسن: أهلكهم الله بذنوبهم في بر الأرض وبحرها بأعمالهم الخبيثة. كقوله: (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً) يعني قوم لوط الذين كانوا خارجين من المدينة وأهل السفر منهم (وَمِنهُم مَّن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) يعني ثموداً (وَمِنْهُم مَّن خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ) يعني قوم لوط، أصاب مدينتهم الخسف، وقارون، (وَمِنْهُم مَّن أَغْرَقْنَا) [العنكبوت: 40] يعني قوم نوح وفرعون وقومه(1).

قوله: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الذِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم ثم صيرهم إلى النار ﴿ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ أي: فأهلكناهم بشركهم.

قوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ القَيِّمِ ﴾ أي: الإسلام ﴿ مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ أي: يتفرّقون، فريق في الجنة وفريق في السعير.

قوله: ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾ أي: يُثاب عليه النار ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ أي: يوطئون في الدنيا القرارَ في الآخرة بالعمل الصالح(2).

ذكروا أن الله يقول للمؤمنين يوم القيامة: ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم.

قوله: ﴿ لِيَجْزِيَ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي: بفضله

---

(1) أما الفراء فأول الآية في المعاني، ج 2 ص 325 هكذا: «وقوله: (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الذِي عَمِلُوا) يقول: أجدب البرّ وانقطعت مادة البحر بذنوبهم، وكان ذلك ليُذاقوا الشدةَ بذنوبهم في العاجل».

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 124: «(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) من يقع على الواحد والاثنين والجميع من المذكر والمؤنث، ومجازها ها هنا مجاز الجميع. و (يَمْهَدُ) أي: يكتسب ويعمل ويستعدّ. قال سليمان بن يزيد العدوي:

امْهَدْ لِنَفْسِكَ حَانَ السُّقْمُ وَالتَّلَفُ   وَلاَ تُضِيعَنَّ نَفْساً مَا لَهَا خَلَفُ

يدخلهم الجنة. قال: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي: لا يثيب الكافرين بالجنة.

قوله: ﴿وَمِن ءَايَـٰتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّـرَٰتٍ﴾ أي: بالمطر ﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ﴾ يعني بالمطر ﴿ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي: طلب التجارة في البحر. وهذا تبع للكلام الأول في هذه الآية: (وَمِن ءَايَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ) وما ذكر من المطر والسفن وطلب الفضل. قال: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: لتشكروا هذه النعم.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ يا محمد ﴿ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ ﴾ أي: جاءتهم تلك الرسل ﴿بِالْبَيِّنَـٰتِ﴾ أي: بالبينات والنور والهدى فكذبوهم ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الذِينَ أَجْرَمُوا ﴾ أي: من الذين أشركوا ﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُومِنِينَ ﴾ أي: إجابة دعاء الأنبياء على قومهم بالهلاك حين كذّبوهم، فأمروا بالدعاء عليهم، ثم استجيب لهم فأهلكهم الله.

قوله: ﴿ اللهُ الذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً ﴾ أي: قطعاً بعضه على بعض ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ ﴾ أي: المطر ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ أي: من خلال السحاب، وقال بعضهم: (مِنْ خَلَلِهِ) أي: من خلل السحاب. قال: ﴿ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ أي: بالمطر.

قوله: ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِم ﴾ المطر ﴿ مِّنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾ أي: لآيسين من المطر قانطين. كقوله: (وَهُوَ الذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا) [الشورى: 28].

وقوله: (وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ) هو كلام من كلام العرب مثنى[1]. مثل قوله: (وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) [النمل: 3] وكقوله: (وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) [الروم: 7].

(1) مثنى: أي: مكرر. قال ابن أبي زمنين في ز ورقة 365: «تكرير قيل على جهة التوكيد».

قال: ﴿ فَانْظُر إِلَى أَثَرِ رَحْمَتِ اللهِ ﴾ يعني المطر ﴿ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ يعني النبات الذي أنبته الله بذلك المطر. قال: ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي المَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي: فالذي أنبت هذا النبات بهذا المطر قادر على أن يبعث الخلق يوم القيامة.

قال: ﴿ وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحاً ﴾ فأهلكنا به ذلك الزرع ﴿ فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَظَلُّوا ﴾ أي: لصاروا ﴿ مِن بَعْدِهِ ﴾ أي: من بعد ذلك المطر ﴿ يَكْفُرُونَ ﴾.

قال: ﴿ فَإِنكَ لَا تُسْمِعُ المَوْتَىٰ ﴾ يعني الكفار الذين يموتون على كفرهم، ﴿ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾. يقول: إن الصمّ لا يسمعون الدعاء إذا ولوا مدبرين. وهذا مثل الكفار، أي: إنهم إذا تولوا عن الهدى لم يسمعوه سمع قبول.

قال: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ العُمْيِ عَنْ ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ يعني الكفار العمي عن الهدى ﴿ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُّؤمِنُ بِئَايَٰتِنَا ﴾ وهذا سمع قبول. يقول: لن يقبل منك إلا من يؤمن بآياتنا ﴿ فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

قوله: ﴿ اللهُ الذِي خَلَقَكُم مِّن ضُعْفٍ ﴾ يعني ضعف نطفة الرجل ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضُعْفٍ قُوَّةً ﴾ يعني شبابه ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفاً وَشَيْبَةً يَّخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ العَلِيمُ القَدِيرُ ﴾.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمُونَ ﴾ أي: يحلف المشركون ﴿ مَا لَبِثُوا ﴾ أي: في الدنيا وفي قبورهم ﴿ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾. قال الله: ﴿ كَذَلِكَ كَانُوا يُوفَكُونَ ﴾ أي: يُصدّون في الدنيا عن الإيمان والبعث.

قال: ﴿ وَقَالَ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَالإِيْمَانَ لَقَد لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ البَعْثِ ﴾ [وهذا من مقاديم الكلام، يقول: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يوم القيامة][1] أي: لبثهم الذي كان في الدنيا وفي قبورهم إلى

(1) زيادة من سح ورقة 94 ون ز ورقة 365. وهذا وجه من وجوه تأويل الآية. وقيل: ليس في الآية =

أن بعثوا. قال: ﴿ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: لا تعلمون أن البعث حق.

قال: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا تَنْفَعُ الذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُم ﴾ أي: وإن اعتذروا ﴿ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ أي: ولا يردون إلى الدنيا ليعتبوا، أي: ليؤمنوا. وذلك أنهم يسألون الرجعة إلى الدنيا ليؤمنوا فلا يردون إلى الدنيا.

قال: ﴿ وَلَقَد ضَّرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ أي: ليذكروا ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِئَايَةٍ لَّيَقُولَنَّ الذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ﴾. وذلك أنهم كانوا يسألون النبي أن يأتيهم بآية. قال: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ يعني الذين يلقون الله بشركهم يطبع على قلوبهم بشركهم.

قال: ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ يا محمد ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ﴾ أي: الذي وعدك أنه سينصرك على المشركين ويظهر دينك ﴿ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَكَ ﴾ أي: ولا يستفزنك ﴿ الذِينَ لاَ يُوقِنُونَ ﴾ يعني المشركين، أي: لا تتابع المشركين إلى ما يدعونك من ترك دينك، وهو يعلم أنه لا يتابعهم على شيء من ذلك، وأنهم لا يستخفونه.

= تقديم وتأخير، ومعنى كتاب الله: «أي: في اللوح، أو في علم الله وقضائه، أو فيما كتبه: أي: أو جاء به بحكمته».

(1) قال الزمخشري في الكشاف، ج 3 ص 417: «يُسْتَعْتَبُونَ» من قولك: استعتبني فلان فأعتبته، أي: استرضاني فأرضيته، وذلك إذا كنت جانياً عليه. وحقيقة أعتبته: أزلت عتبه.

والمعنى لا يقال لهم: ارضوا ربكم بتوبة وطاعة. وقال الراغب الأصبهاني: «والاستعتاب أن يطلب من الإنسان أن يذكر عتبه ليُعتب».

تفسير سورة لقمان
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ آلَـمّ ﴾ قد فسّرناه في أول سورة البقرة. قوله: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ الكِتَـٰبِ الحَكِيمِ ﴾ أي: المحكم، أحكمت آياته بالحلال والحرام والأحكام والأمر والنهي.

قوله: ﴿ هُدًى ﴾ يهتدون به إلى الجنة ﴿ وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: للمؤمنين ﴿ الذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ أي: الصلاة المفروضة ﴿ وَيُوتُـونَ الزَّكَـوٰةَ ﴾ أي: المفروضة ﴿ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ أي: لا يشكون أنها كائنة. ﴿أُوْلَـٰئِكَ﴾ الذين هذه صفتهم ﴿ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ أي: على بيان من ربهم ﴿ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ أي: السعداء.

قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَّشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثُ ﴾ يعني الشرك، وهو قوله: (اِشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَىٰ) [البقرة: 16] أي: اختاروا الضلالة على الهدى في تفسير الحسن. وقال بعضهم: استحبوا الضلالة على الهدى. [وقال بعضهم: يختار باطل الحديث على القرآن][1]. قال: ﴿ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ أي: عن سبيل الهدى وهو سبيل الله ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أتاه من الله بما هو عليه من الشرك. ﴿ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً ﴾ أي: ويتخذ آيات الله، أي: القرآن هزؤاً.

وتفسير الكلبي أنها نزلت في النضر بن الحارث من بني عبد الدار، وكان رجلاً

(1) زيادة من سح ورقة 95، ومن سع ومن ز.

راوية لأحاديث الجاهلية وأشعارهم[1]. قال: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ أي: من الهوان، يعني جهنم.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِراً﴾ أي: عن عبادة الله جاحداً لآيات الله ﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ أي: قد سمعها بأذنيه ولم يقبلها قلبه. قال: ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: موجع.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ النَّعِيمِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ لا يموتون ولا يخرجون منها. ﴿ وَعْدَ اللهِ حَقّاً ﴾ أي: بأن لهم الجنة ﴿ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ أي: العزيز في ملكه ونقمته، الحكيم في أمره.

قوله: ﴿ خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾. وفيها تقديم في تفسير الحسن، وتقديمها: خلق السماوات ترونها بغير عمد. ذكروا عن ابن عباس أنه قال: لها عمد ولكن لا ترونها.

قال الله ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾ يعني الجبال أثبت بها الأرض ﴿ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ أي: لكي لا تتحرك بكم.

ذكروا عن الحسن أنه قال: لما خلق الله الأرض جعلت تميد[2]. فلما رأت ذلك

(1) هذا هو القول الذي ذهب إليه كثير من المفسّرين القدامى والمعاصرين، ومن هؤلاء الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، ج 21 ص 142. وفي تفسير مجاهد، ص 503 ما نصه: «هو اشتراء المغني والمغنية بالمال الكثير والاستماع إليهم، وإلى مثله من الباطل». وقد فسر ابن مسعود لهو الحديث بالغناء. وقال ابن عباس: الغناء وأشباهه. وقد روي في هذا المعنى خبر عن رسول الله ﷺ رواه الترمذي في كتاب التفسير، سورة لقمان عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال: لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، وثمنهن حرام. وانظر: مختلف الأقوال التي وردت في تأويل الآية في تفسير الطبري ج 21 ص 60 - 63، وفي تفسير القرطبي، ج 14 ص 51 - 57، وانظر: محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عبد الله بن عمر، ص 208.

(2) كذا في ع، «تَمِيدُ» وهو الصحيح، وفي ب: «تَمِيعُ»، وفي سح و سع: «تَمَيَّع» وما أثبته من ع هو الصواب لأنه بمعنى الحركة والاضطراب، أما الميع والتميع فهما بمعنى السيلان والذوبان.

ملائكة الله قالوا: يا ربنا، هذه لا يقر لك على ظهرها خلق، إلهاماً من الله لهم، فأصبحت وقد وتدها[1] بالجبال، فلما رأت ملائكة الله ما أرسيت به الأرض قالوا: يا ربنا هل خلقت خلقاً هو أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد. قالوا: ربنا، هل خلقت خلقاً هو أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار. قالوا: ربنا، هل خلقت خلقاً هو أشد من النار؟ قال: نعم، الماء. قالوا: يا ربنا، هل خلقت خلقاً هو أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح. قالوا: ربنا هل خلقت خلقاً هو أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم.

قوله: ﴿ وَبَثَّ فِيهَا ﴾ أي: خلق فيها، في الأرض ﴿ مِن كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ قال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا ﴾ أي: في الأرض ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ ﴾ أي: من كل لون ﴿ كَرِيمٍ ﴾ أي: حسن.

ثم قال: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يعني الأوثان التي يعبدونها، فلم تكن لهم حجة. قال: ﴿ بَلِ الظَّـٰلِمُونَ﴾ أي: المشركون ﴿ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بيّن.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ ﴾ أي: الفقه والعقل. كان لقمان فقيهاً عالماً ولم يكن نبيّاً.

ذكروا أن لقمان الحكيم كان عبداً حبشياً نجاراً[2] فأمره سيده أن يذبح له شاة؛ فذبح له شاة، فقال له سيّده: إيتنا بأطيبها مضغتين، فجاءه باللسان والقلب. ثم أمره أن يذبح له شاة أخرى وأمره فقال: القِ أخبثها مضغتين، فألقى اللسان والقلب. فقال له سيّده: أمرتك بأن تأتيني بأطيبها مضغتين، فأتيتني باللسان والقلب، ثم أمرتك أن

---

(1) في ع و ب: «وثطها»، وفي سح: «وتطها»، وفي كلتا الكلمتين تصحيف صوابه: ما «وطدها» أي: أثبتها وثقلها، وأما «وتدها» أي: جعل لها الجبال أوتاداً، وأثبت هذه الأخيرة لموافقتها لما جاء في الآية الكريمة: ﴿ وَالجِبَالَ أَوْتَاداً ﴾ [النبأ: 7].

(2) وقيل كان خياطاً، وقيل كان راعياً.

تلقي أخبثها مضغتين فألقيت اللسان والقلب، فقال له لقمان: إنه ليس شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا. قال: وكان ذلك أول ما عرف به من حكمته(1).

وقال مجاهد: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ) أي: الفقه والعقل [والإصابة في القول في غير نبوّة](2).

قوله: ﴿ أَنْ اشْكُرْ للهِ ﴾ النعمة. قال: ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ أي: لنفسه نفع ذلك، والشكور هو المؤمن. ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ أي: ولم يشكر النعمة ﴿ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ أي: غني عن خلقه، حميد، أي: استحمد إلى خلقه، أي: استوجب عليهم أن يحمدوه.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَـٰبُنَيِّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: يظلم به المشرك نفسه، أي: يضرّ به نفسه. قال الحسن: ينقص به نفسه.

قوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَـٰنَ بِوَٰلِـدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ ﴾ أي: ضعفاً على ضعف في تفسير الحسن. وقال ابن مجاهد عن أبيه: هي المرأة وضعفها. وقال بعضهم: جهداً على جهد. وقال بعضهم عن مجاهد: وهن الولد على وهن الوالدة(3)؛ والوهن: الضعف.

قال: ﴿ وَفِصَـٰلُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ أي: وفطامه في عامين. ذكر عمرو عن الحسن

---

(1) وردت هذه الجملة مضطربة فاسدة في ب و ع فصححتها حسبما يقتضيه المعنى. ولم ترد في سح ولا في ز.

(2) زيادة من سح ورقة 96 ومن ز ورقة 266، وهي نفس العبارة التي جاءت في تفسير مجاهد ورقة 504.

(3) في ع و ب وفي سح: «على وهن الوالد»، وأثبت التصحيح من تفسير الطبري، ج 21 ص 69. وفي مخطوطة سح ورقة 79 عبارة أخرى لابن مجاهد عن أبيه: «الولد وهن الوالدة وضعفها».

قال: قال رسول الله ﷺ: لا رضاع بعد الفطام[1]. ذكر عن ابن عمر وابن عباس أنهما كانا لا يريان الرضاع بعد الحولين شيئاً.

قوله: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْـكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ أي: البعث.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن رضى الرب مع رضى الوالد، وسخط الرب مع سخط الوالد[2].

ذكروا عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: من أصبح باراً بوالديه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، وإن كان واحداً فواحد، وإن ظلماه وإن ظلماه وإن ظلماه[3].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إن فوق كل برّ براً حتى إن الرجل ليهريق دمَـه لله، وإن فوق كل فجور فجوراً حتى إن الرجل ليعقّ والديه[4].

قوله: ﴿ وَإِنْ جَـٰهَـدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ أي: إنك تعلم أني ليس لي شريك، يعني المؤمن. قال: ﴿ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ أي: طريق من أناب إليّ، أي: أقبل إليّ بقلبه مخلصاً، يعني النبي عليه السلام والمؤمنين. ثم قال: ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ فَأُنَبِّئُكُمْ ﴾ أي: فأخبركم ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: في الدنيا.

قوله: ﴿ يَـٰبُنَـيَّ ﴾ رجع إلى كلام لقمان، تبعاً للكلام الأول حيث قال: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ) قال: ﴿ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ﴾ أي:

(1) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن جابر بن عبد الله ولفظه: لا رضاع بعد فصال ولا يُتم بعد احتلام.

(2) رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً، وأخرجه موقوفاً. وقال الترمذي: وهذا أصح، أي: الموقوف أصح من المرفوع، وأخرجه ابن حبان أيضاً عن عبد الله بن عمرو موقوفاً.

(3) انظر ما سلف، ج 2 ص 415.

(4) أخرجه يحيى بن سلام عن خالد عن الحسن مرسلاً، ولم أجده في مصادر أخرى.

وزن حبة ﴿ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ ﴾ بلغنا أن الصخرة التي عليها الحوت الذي عليه قرار الأرض[1]. قال: ﴿ أَوْ فِي السَّمَـٰوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ ﴾ أي: احذر يا بني فإنه سيحصي عليك عملك ويعلمه كما علم هذه الحبة من الخردل. لقمان يقوله لابنه. قال: ﴿ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ أي: لطيف باستخراجها، خبير بمكانها.

قوله: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾. ذكر بعضهم عن أصحاب النبي عليه السلام قال: من أمر بعبادة الله، ونهى عن عبادة الأوثان فقد أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

قال الله: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ والعزم أن تصبر.

قال: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ أي: لا تعرض عنهم وجهك استكباراً ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً ﴾ أي: بالعظمة [﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ ﴾ أي: متكبِّر ﴿ فَخُورٍ ﴾ يعني يُزهى بما أُعطِيَ ولا يشكر الله][2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر. فقال رجل من القوم: يا رسول الله، إن الرجل منا ليكون نقيَّ الثوب، جديد الشراك فيعجبه ذلك، فقال: ليس ذلك الكبر، ولكن الكبر أن تسفّه الحق وتغمط الناس[3].

ذكروا عن بعضهم قال: من وضع جبهته ساجداً لله فقد برىء من الكبر.

(1) وهذه هي الأخبار والأساطير التي لا أصل لها من كتاب أو سنة صحيحة.

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ب و ع وأثبته من ز ورقة 266. وفي سح جاءت العبارة هكذا: «يعد ما أعطى زهواً ولا يشكره لله». وفي تفسير مجاهد ص 505: «هو الذي يعدد ما أعطاه، وهو لا يشكر الله».

(3) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (رقم 91) عن عبد الله ابن مسعود، وجاء في آخر الحديث: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بَطَر الحق وغمط الناس».

ذكروا أن علياً قال: قال رسول الله ﷺ: من صنع شيئاً فخراً لقي الله يوم القيامة أسود. قال: فقال القوم: إنا لله وإنا إليه راجعون، هلكنا وربِّ الكعبة، فوالله إن الرجل منا ليعجبه حسن ثوبه وحسن مركبه، ثم ينظر في شعره ونعله. فقال علي: قد شكونا الذي تشكون إلى النبي عليه السلام فقال: ليس ذلك بالفخر، ولكن الفخر بَطَرُ[1] الحق وغمط الناس والاستطالة عليهم[2].

قال: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ وقال في آية أخرى: (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً) [الإسراء: 37].

قال: ﴿ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ ﴾ يعني أقبح الأصوات ﴿ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ وإنما كانت (لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) ولم تكن لأصوات الحمير لأنه عنى صوتها الذي هو صوتها[3].

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَوا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَـٰوَاتِ ﴾ يعني شمسها وقمرها ونجومها وما ينزل من السماء من ماء وما فيها من جبال البرد ﴿ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: وسخر لكم ما في الأرض أي: من شجرها وجبالها وأنهارها وثمارها [وبحارها وبهائمها][4] ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ أي: في باطن أمركم وظاهره. [وبعضهم يقول][5]: الظاهرة الإسلام والقرآن، والباطنة ما ستر من العيوب والذنوب.

قال: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ ﴾ فيعبد الأوثان دونه ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أتاه من الله ﴿ وَلَا هُدًى ﴾ أتاه من الله ﴿ وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ أي: مضيء. أي: بيِّن لما هو

(1) في ب و سع: «إبطال الحق»، وفي سح: «بطل الحق»، وكلاهما تصحيف، صوابه ما أثبت بَطَر الحق، وهو أن يتكبر الإنسان فينكر الحق ولا يقبله.

(2) هو تتمة الحديث السابق بزيادة: «والاستطالة عليهم» ولم تأت هذه العبارة في حديث مسلم، ولم أجدها عند غيره، ولعلها من زيادة بعض النساخ تفسيراً لما سبق.

(3) جاءت هذه الجملة مضطربة فاسدة في ب و ع، فأثبت تصحيحها من سح ورقة 99.

(4) زيادة من سح ومن ز.

(5) زيادة يقتضيها سياق الكلام.

عليه من الشرك. وتفسير الكلبي أنها نزلت في النضر بن الحارث، أخي[1] بني عبد الدار.

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ﴾ يعنون عبادة الأوثان. قال الله: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُم إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ أي: أيتّبعون ماوجدوا عليه آباءهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير؟ أي: قد فعلوا ذلك. ودعاؤه إياهم إلى عذاب السعير دعاؤه إياهم إلى عبادة الأوثان بالوسوسة.

قوله: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ ﴾ يعني وجهته في الدين ﴿ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي: وهو مؤمن ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ وهي الإيمان بالله، وهي لا إلَه إلا الله والتوجه إلى الله بكل ما تعبّدهم به من قول وعمل. قال: ﴿ وَإِلَى اللهِ عَـٰقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ أي: مصيرها في الآخرة.

قوله: ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يُحْزِنْكَ كُفْرُهُ ﴾ كقوله: (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) [النحل: 127] ﴿ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي: ما يسرّون في صدورهم.

قال: ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ﴾ أي: في الدنيا إلى موتهم ﴿ ثُمَّ نَضْطَرُّهُم إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ يعني جهنم.

قال: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَـٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: أنهم مبعوثون.

قوله: ﴿ للهِ مَا فِي السَّمَـٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ أي: عن خلقه ﴿ الْحَمِيدُ ﴾ أي: المستحمِد إلى خلقه، أي: استوجب عليهم أن يحمدوه.

قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ

(1) في ب و ع: أحد، وأثبت ما جاء في سح فهو أنسب وأفصح.

أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ اللهِ ﴾ يقول: ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ليكتب بها علم الله، أي: علمه بما خلق، والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر يستمد منه للأقلام ليكتب بها علم ذلك، ما نفدت كلمات الله، لانكسرت الأقلام ونفد ماء البحار، ولمات الكُتَّاب وما نفدت كلمات الله، أي: علمه بما خلق(1).

ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال: إن تحت بحركم هذا بحراً من نار، وتحته بحر من ماء، وتحته بحر من نار، وتحته بحر من ماء، حتى عدّ سبعة أبحر من ماء، وسبعة أبحر من نار. قال: ﴿ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد، خلقنا الله أطواراً: نطفاً، ثم علقاً، ثم مضغاً، ثم عظاماً، ثم أنشأنا خلقاً آخر، كما تزعم، وتزعم أنا نبعث في ساعة واحدة. فأنزل الله جواباً لقولهم: (مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَّاحِدَةٍ)، أي: إنما نقول له: كن فيكون. ﴿ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُولِجُ الَّيْـلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّـيْلِ ﴾ أي: يدخل الليل في النهار ويدخل النهار في الليل، وهو أخذ كل واحد منهما من صاحبه. قال: ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ دائبين، أي: يجريان ﴿ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ لا يُقصّر دونه ولا يزيد عليه، أي: إلى الوقت الذي يكون فيه، فيذهب ضوءه. قال: ﴿ وَأَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

قال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ والحق اسم من أسماء الله ﴿ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ

(1) ورد تفسير هذه الآية مضطرباً مبتوراً فأثبت تصحيحه من سح ورقة 100 ومن ز ورقة 266. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 128: «مجاز البحر ها هنا الماء العذب، يقال: ركبنا هذا البحر، وكنا في ناحية هذا البحر، أي: في الريف، لأن الملح في البحر لا ينبت الأقلام...»، وكأني بأبي عبيدة أغرق في النَّزْع بتأويله هذا. فالبحر كناية عن المداد فقط، يؤيد هذا قوله تعالى: (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً) [الكهف: 109] وما فسّر القرآنَ مثل القرآن.

مِنْ دُونِهِ البَـٰطِلُ﴾ يعني أوثانهم ﴿وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ أي: الأعلى ولا أعلى منه ﴿الكَبِيرُ﴾ أي: لا أكبر منه.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللهِ﴾ أي: أنعم الله بها على خلقه ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَاتِهِ﴾ أي: جريُ السفن من آياته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، وهو المؤمن.

قوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَـلِ﴾ أي: كالجبال[1]. وقال في آية أخرى: (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ) [هود: 42]. وقال في آية أخرى: (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ) [الأعراف: 171]. قال: ﴿دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [يعني التوحيد][2] ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُـمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ وهذا المؤمن. وأما الكافر فعاد في غدره. قال: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ﴾ أي: غدّار[3] ﴿كَفُورٍ﴾. يقول: أخلص لله في البحر للمخافة من الغرق، ثم غدر فأشرك. كقوله: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْبَحْرِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُـمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) [العنكبوت: 65].

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَـا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً﴾ أي: واتقوا يوماً، يعني العقاب فيه ﴿لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَّلَدِهِ﴾ أي: لا يفديه من عذاب الله ﴿وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وٰلِـدِهِ شَيْئاً﴾ أي: لا يفتديه من عذاب الله ﴿إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ يعني البعث والحساب، والجنة والنار. ﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ﴾ وهي تقرأ على وجهين: الغَرور والغُرور. فمن قرأها الغَرور فهو يريد الشيطان، ومن قرأها

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 128: «واحدها ظُلَّة، ومجازه: من شدة سواد كثرة الماء ومعظمه». وقال الفرّاء في المعاني، ج 2 ص 330: «وقوله: (مَوْجٌ كَالظُّلَلِ) فشبّهه بالظلل والموج واحد، لأن الموج يركب بعضه بعضاً، ويأتي شيء بعد شيء فقال: (كَالظُّلَلِ)، يعني السحاب».

(2) زيادة من سح، ورقة 101.

(3) قال أبو عبيدة: «الختر أقبحُ الغدر».

الغُرور فهو يريد غُرور الدنيا، [وهو أباطيلها][1]، كقوله: ﴿ وَمَا الحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ ﴾ [الحديد: 20].

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ أي: مجيئها ﴿ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾ أي: المطر ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ﴾ أي: من ذكر وأنثى وكيف صورته[2]. ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدَاً وَّمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ أي: عليم بخلقه خبير بأعمالهم.

ذكروا عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: خمس لا يعلمهن إلا الله، لم يشرك فيهن أحداً من خلقه، لا ملك مقرّب ولا نبيّ مصطفى: ﴿ إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[3].

---

(1) زيادة من ز، ورقة 267.

(2) كذا في ع و ب: «كيف صورته»، وفي سح ورقة 102: «كيف صُوَرُه»، وفي ز: «كيف صَوَّرَه».

(3) انظر تخريجه فيما مضى ج 1 ص 343. ورواه يحيى بن سلام هنا بهذا السند: حدثنا مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ... الحديث، كما جاء في سح ورقة 102.

تفسير سورة السجدة(1)
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ آلَـمّ ﴾ قد فسرناه في أول سورة البقرة. قوله: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي: لا شك فيه أنه ﴿ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيٰهُ﴾ يعني المشركين يقولون إن محمداً افترى القرآن، أي: افتعل هذا القرآن(2)، أي: قد قالوه، وهو على الاستفهام. قال الله: ﴿ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ يقوله للنبي عليه السلام ﴿ لِتُنْذِرَ قَوْماً ﴾ يعني قريشاً ﴿ مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ ﴾ أي: منهم، ينذرهم العذاب ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ أي: لكي يهتدوا.

قوله: ﴿ اللهُ الذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ومقدار اليوم منها ألف سنة. ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ أي: ملك العرش وغيره. وإنما الاستواء من طريق الملك، لا على التمكن، تعالى الله علواً كبيراً(3).

قوله: ﴿ مَا لَكُم مِّنْ دُونِهِ مِن وَّلِيٍّ ﴾ أي: يمنعكم من عذابه إن أراد عذابكم ﴿ وَّلَا شَفِيعٍ ﴾ أي: يشفع لكم عنده حتى لا يعذبكم. قال: ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ يقوله للمشركين.

---

(1) كذا في ع: «سورة السجدة»، وفي ب و ز: «سورة آلَمّ السجدة». وفي سح، ورقة 102: «تفسير سورة ألم تنزيل السجدة».

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 130: « (افْتَرَاهُ) أي: تكذّبه واخْتَرَقَه وَتَخَلَّقَهُ مِن قِبَلِ نفسه».

(3) هذا التفسير للاستواء على العرش مما انفردت به ب و ع، فهو من الشيخ هود ولا شك.

قوله: ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ﴾ والأمر هو الوحي، أي: ينزله مع جبريل من السماء إلى الأرض ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ أي: يصعد، يعني جبريل إلى السماء ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ يقول: ينزل ويصعد في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون.

قال بعضهم: إن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، فينزل مسيرة خمسمائة سنة، ويصعد مسيرة خمسمائة سنة في يوم، وفي أقل من يوم. وربما يسأل[1] النبي عليه السلام عن الأمر يحضره فينزل في أسرع من الطرف.

قال: ﴿ ذَلِكَ عَـٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ ﴾ وهذا تبع للكلام الأول: (لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) ثم أخبر بقدرته فقال: (عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ﴿ العَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾. يعني نفسه. والغيب: السرّ، والشهادة: العلانية. والعزيز أي: في نقمته، الرحيم، أي: بخلقه.

ذكروا عن سلمان الفارسي قال: إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة منها طباقها السماء والأرض، فأنزل الله منها رحمة واحدة، فبها تتراحم الخليقة، حتى ترحم البهيمة بهيمتها، والوالدة ولدها، حتى إذا كان يوم القيامة جاء بتلك التسع والتسعين رحمة، ونزع تلك الرحمة من قلوب الخليقة، فأكملها مائة رحمة، ثم نصبها[2] بينه وبين خلقه. فالخائب من خيب من تلك الرحمة.

قوله: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ[3] وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ يعني

(1) كذا في سح: «يسأل»، وفي ع: «سأل»، وفي ز: «سئل»، ولكل وجه، والمعنى واضح.
(2) في ب وع: «ثم يصبّها» والصواب ما أثبته: «نصبها» من سح، ورقة 104.
(3) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 130: «(أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) مجازه: أحسن خلق كل شيء. والعرب تفعل هذا، يقدّمون ويؤخرون». وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 330: «قوله: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) يقول: أحسنه فجعله حَسَناً. ويقرأ: (أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَه) قرأها أبو جعفر المدني، كأنه قال: ألهم خلْقَه كل ما يحتاجون إليه، فالخلق منصوبون بالفعل الذي وقع على (كُلَّ). كأنك قلت: أعلمهم كل شيء وأحسنهم...».

آدم ﷺ خلقه الله من طينة قبضها من جميع الأرض: بيضاء وحمراء وسوداء. فجاء بنو آدم على قدر الأرض؛ فمنهم الأبيض والأحمر والأسود، والسهل والحزن، والخبيث والطيب.

ثم قال: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ ﴾ أي: نسل آدم ﴿ مِنْ سُلَٰلَةٍ مِّن مَّاءٍ مُّهِينٍ ﴾ أي: ضعيف، يعني النطفة.

قال: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ ﴾ أي: سوّى خلقه كيف شاء ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾ أي: أحدث فيه الروح. قال: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: أقلكم المؤمنون، وهم الشاكرون.

قوله: ﴿ وَقَالُوا ﴾ يعني المشركين ﴿ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: إذا كنا تراباً وعظاماً ﴿ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾. وهذا استفهام على إنكار، أي: إنا لا نبعث بعد الموت. وبعضهم يقرأها أءذا صللنا في الأرض، أإذا نتنّا في الأرض (إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ). قال الله: ﴿ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّيٰكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ يقال إنه [حويت له الأرض][1] فجعلت له مثل الطست، يقبض أرواحهم كما يلتقط الطير الحب. وبلغنا أنه يقبض روح كل شيء في البر والبحر. قال: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: المشركون والمنافقون ﴿ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: خزايا نادمين ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ أي: يقولون: أبصرنا وسمعنا، أي: سمعوا حين لم ينفعهم السمع وأبصروا حين لم ينفعهم البصر. ﴿ فَارْجِعْنَا ﴾ أي: إلى الدنيا ﴿ نَعْمَلْ صَٰلِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ أي: بالذي أتانا به محمد أنه حق.

---

(1) زيادة من تفسير مجاهد، ص 510. والقول له. وفي ب و ع: «جعلت الأرواح لملك الأرض مثل الطست»، وهو خطأ صوابه ما أثبته من سح ومن تفسير مجاهد.

قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَيٰهَا ﴾ كقوله: (أَفَلَمْ يَاْئَسِ الذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً). قال: ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾.

ذكروا عن أبي هريرة قال: اختصمت الجنة والنار، فقالت النار: يا ربّ، أوثرت بالجبّارين والمتكبّرين. وقالت الجنة: يا ربّ، ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسُقّاطهم. فقال للنار: أنتِ عذابي أصيب بكِ من أشاء، وقال للجنة: أنت رحمتي أصيب بكِ من أشاء، ولكل منكما ملؤها بأهلها. أما الجنة فإن الله لا يظلم الناس شيئاً، وينشىء لها ما شاء من خلقه، وأما النار فيقذف فيها فتقول: هل من مزيد، ويقذف فيها فتقول: هل من مزيد[1].

قال: ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ أي: بما تركتم الإيمان بلقاء يومكم هذا ﴿ إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ ﴾ أي: تركناكم، أي: في النار، تركوا من الخير ولم يتركوا من الشر. ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ﴾ أي: الدائم الذي لا ينقطع. ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: في الدنيا.

قوله: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِئَايَٰتِنَا الذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: في سجودهم ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي: عن عبادة الله.

قوله: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾. ذكروا عن الحسن قال: هو قيام الليل. ذكر القوم ذنوبهم فتيقظوا من نومهم وتجافوا عن مضاجعهم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ أوصى معاذ بن جبل بأشياء فقال في آخر ذلك: والقيام من الليل[2]، ثم تلا هذه الآية: (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ).

---

(1) كذا في ب و ع: «فتقول هل من مزيد» مرتين، وفي سح ورقة 105: «وأما النار فيلقى فيها وتقول هل من مزيد، فيضع قدمه فيها فحينئذ يمتلىء وينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط».

(2) كذا في ب و ع، وفي سح: «والصلاة من الليل» واللفظ من حديث طويل رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر. . . إلى آخر الحديث =

ذكروا عن أنس بن مالك قال: كانوا يتنفّلون ما بين المغرب والعشاء، يصلّون ما بينهما.

قال: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾ أي: خوفاً من عذاب الله وطمعاً في رحمته، يعني الجنة. ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ أي: الزكاة المفروضة.

قوله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: على قدر أعمالهم. ذكروا أن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم.

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. اقرأوا إن شئتم قول الله: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). وإن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها، اقرأوا إن شئتم: (وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ)، ولقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع سوطه خير من الدنيا وما فيها. اقرأوا إن شئتم: (فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)[1].

ذكروا عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إن العبد ليعطى على باب الجنة ما يكاد فؤاده أن يطير لولا أن الله يبعث ملكاً فيشد قلبه[2].

= وفيه: «ألا أدلك على أبواب الخير»، الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء النارَ الماءُ، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ: (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ). انظر مثلاً سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب كفّ اللسان في الفتنة (رقم 3973).

(1) حديث حسن صحيح أخرجه الترمذي بتمامه في كتاب التفسير، سورة الواقعة، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة السجدة، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها في أول الكتاب (رقم 2824) كلهم يرويه من حديث أبي هريرة؛ كما أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه بألفاظ مشابهة.

(2) رواه يحيى بن سلام بالسند التالي: حدثنا أبان العطار عن أبي هلال عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ... الحديث.

قال: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً ﴾ أي: مشركاً أو منافقاً، وهذا على الاستفهام. قال: ﴿ لَا يَسْتَوُونَ ﴾.

﴿ أَمَّا الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ الْمَأْوَىٰ ﴾ أي: يأوي إليها أهل الجنة، وجنة المأوى اسم من أسماء الجنة. ﴿ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

قال: ﴿ وَأَمَّا الذِينَ فَسَقُوا ﴾ أي: أشركوا أو نافقوا ﴿ فَمَأْوَيٰهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَّخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ أي: إنهم إذا كانوا في أسفلها رفعتهم بلهبها حتى إذا كانوا في أعلاها وأرادوا أن يخرجوا منها ضربوا بمقامع من حديد فهووا إلى أسفلها. ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي: في الدنيا. العذاب مذكر، والنار مؤنثة، وإنما عنى هنا العذاب، ولذلك قال: (الذِي كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ).

قوله: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ ﴾ أي: السيف يوم بدر ﴿ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ ﴾ أي: جهنم، والأكبر الأشد ﴿ لَعَلَّهُمْ يُرْجِعُونَ ﴾ لعل من بقي منهم يرجع من الشرك إلى الإيمان؛ فعذبهم بالسيف يوم بدر، ومَنَّ بعدهم على من شاء بالإيمان. وهذا تأويل من تأول الآية على المشركين، ومن تأولها على المنـافقين قال: (وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى) يعني إقامة الحدود في الدنيا، وأكثر من كان يصيب الحدود المنافقون؛ والسورة مكية، والنفاق إنما كان بالمدينة بعدما فرض الجهاد والحدود والأحكام.

قوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِئَايٰتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين ﴿ مُنْتَقِمُونَ ﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـٰبَ ﴾ يعني التوراة ﴿ فَلَا تَكُن فِي مَرِيَّةٍ مِّن لِّقَائِهِ ﴾ تفسير الكلبي: يعني ليلةَ أُسرِيَ به، فلقيه النبي عليه السلام في السماء السادسة ليلةَ أُسريَ به. وقد فسّرنا ذلك في حديث المعراج(1).

(1) انظر ما سلف، ج 2 ص 397 فما بعدها.

وتفسير الحسن: ﴿ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ﴾ أي: من أنك تلقى من أمتك من الأذى ما لقي موسى من قومه من الأذى.

قال: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَٰءِيلَ﴾ تفسير الحسن: وجعلنا موسى هدى لبني إسرائيل. [وقال السّدي: ﴿ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ يعني التوراة][1]، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُم أَئِمَّةً ﴾ أي: أنبياء يُقتدى بهم ﴿ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ أي: يدعون بأمرنا ﴿ لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِئَايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ أي: يفصل بين المؤمنين والمشركين فيما اختلفوا فيه من الإيمان والكفر، فيُدخل المؤمنين الجنة، ويدخل المشركين النار.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ نَهْدِ لَهُمْ ﴾ أي: أولم نبيّن لهم. وهي تقرأ على وجه آخر: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ أي: أي أولم يبيّن لهم الله ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ ﴾ يعني ما قصّ ممّا أهلك به الأمم السالفة حين كذّبوا رسلهم. قال: ﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَـٰكِنِهِمْ﴾ التي كانوا فيها؛ منها ما يُرى ومنها ما لا يُرى، كقوله: ﴿ مِنْهَا قَائِمٌ ﴾ تراه ﴿ وَمِنْهَا حَصِيدٌ ﴾ [هود: 100] أي: لا تراه. قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ ﴾ أي: للمؤمنين ﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ يعني المشركين.

قال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ ﴾ يعني المطر، أي: يُساق السحاب الذي فيه الماء ﴿ إِلَى الأَرْضِ الجُرُزِ ﴾ أي: التي ليس فيها نبات ﴿ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ يعني المشركين، أي: فالذي أحيَـى هذه الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الموتى ويحييهم بعد موتهم.

قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي: المشركون ﴿ مَتَىٰ هَـٰذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أي: متى القضاء بعذابهم، قالوا ذلك استهزاء وتكذيباً بأنه لا يكون. وقال بعضهم:

(1) زيادة من سح ورقة 108.

يوم بدر. وقال بعضهم: يوم القيامة. ولم يبعث الله نبيّاً إلا وهو يحذّر قومه عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

قال: ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ ﴾ يعني يوم القضاء ﴿ لَا يَنْفَعُ الذِينَ كَفَرُوا إِيْمَـنُهُـمْ ﴾ أي: ليس أحد من المشركين يرى العذاب إلا آمن، فلا يُقبَلُ منه عند ذلك، قال الله: ﴿ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ أي: يؤخّرون بالعذاب، إذا جاء الوقت، قال الله: ﴿ فَأَعْرِض عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ ﴾ بهم العذاب ﴿ إِنَّهُم مُّنْتَظِرُونَ ﴾. نزلت هذه الآية قبل أن يؤمر بقتالهم في سورة براءة في قوله: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 5] وأمر بمحاربتهم.

تفسير سورة الأحزاب
وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عزّ وجلّ: ﴿يَـٰأَيُّهَـا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَـٰفِرِينَ﴾ أي: في الشرك بالله ﴿وَالْمُنَـٰفِقِينَ﴾ أي: ولا تطع المنافقين حتى تكون وليجة في الدين. والوليجة أن يدخل في دين الله ما يقارب به المنافقين. قال: ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾.

قوله: ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ يعني العامّة(1).

قوله: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلاً ﴾ أي: وكفى به مُتَوَكَّلاً عليه. وقال في آية أخرى: (وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [آل عمران: 173] أي: ونعم المتوكَّل عليه.

قوله: ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ تفسير مجاهد أن رجلاً من المشركين من بني فهر قال: إن في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد [وكذب](2).

وتفسير الكلبي أن رجلاً من قريش يقال له جميل كان حافظاً لما يسمع؛ فقالت

(1) في ع: «يعني القيامة»، وفي ب: «يعني القيمة». وفي كل منهما تصحيف صوابه ما أثبته من سح: يعني العامة. يقصد المؤلف تغيير الخطاب في الآية من المفرد إلى الجماعة، أي: عامة الناس.

(2) زيادة من سح، ورقة 109، ومن تفسير مجاهد، ص 513.

قريش: ما يحفظ جميل ما يحفظ بقلب واحد، إن له لقلبين[1].

قوله: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تَظَّهَّرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾. وهو إذا قال الرجل لأمه: أنتِ عليّ كظهر أمي لم تكن عليه كأمه في التحريم فتحرم عليه أبداً، ولكن عليه الكفّارة. وكفّارة الظّهار في أول سورة المجادلة: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّنْ قَبْلِ أَن يَّتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَن يَّتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً) [المجادلة: 3 - 4]، وكان الظهار عندهم في الجاهلية طلاقاً فجعل الله فيه الكفّارة.

قال: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ كان الرجل في الجاهلية يكون ذليلاً فيأتي الرجلَ ذا القوّة والشرفِ فيقول: أنا ابنك، فيقول: نعم، فإذا قَبِله واتّخذه ابناً أصبح أعزَّ أهلها.

وكان زيد بن حارثة منهم. كان رسول الله ﷺ تبنّاه يومئذ على ما كان يُصنَع في الجاهلية، وكان مولىً لرسول الله ﷺ. فلما جاء الإسلام أمرهم الله أن يُلحِقوهم بآبائهم فقال: (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ).

﴿ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَهِكُـمْ ﴾ يعني ادّعاءَهُمْ[2] هؤلاء، وقول الرجل لامرأته أنت عليّ كظهر أمّي. قال: ﴿ وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ أي: يهدي إلى

---

(1) أورد الفراء في المعاني، ج 2 ص 334 سبباً لنزول الآية فقال: «إنما جرى ذكر هذا الرجل كان يقال له جميل بن أوس يكنى أبا معمر. وكان حافظاً للحديث كثيره؛ فكان أهل مكة يقولون: له قلبان وعقلان من حفظه، فانهزم يوم بدر، فمرّ بأبي سفيان وهو في العير، فقال: ما حال الناس يا أبا معمر؟ قال: بين مقتول وهارب. قال: فما بال إحدى نعليك في رجلك والأخرى في يدك؟ قال: لقد ظننت أنهما جميعاً في رجلَيَّ. فعُلِم كذبهم في قولهم: له قلبان». وقال الأخفش في معاني القرآن، ج 2 ص 660 «قال: (مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) إنما هو: ما جعل الله لرجل قلبين في جوفه، وجاءت (مِنْ) توكيداً، كما تقول: رأيت زيداً نفسه، فأدخل (مِنْ) توكيداً».

(2) كذا في ع: «يعني ادعاءهم هؤلاء» وهو الصحيح، وفي ب وسح: «أدعياءهم هؤلاء» وهو خطأ.

الهدى. وقوله: الحقُّ في هذا الموضع أنه أمر هؤلاء المُدَّعِينَ أن يُلحِقوا هؤلاء المُدَّعَيْنَ بآبائهم.

قال: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي: هو أعدل عند الله ﴿ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾ أي: قولوا ولِيُّنا فلان، وأخونا فلان. ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ أي: حرج، أي: إثم ﴿ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ ﴾ أي: إن أخطأ الرجل بعد النهي فنسبه إلى الذي تبنّاه ناسياً فليس عليه في ذلك إثم. ﴿ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ أي: أن تدعوهم إلى غير آبائهم الذين ألحقهم الله بهم متعمّدين لذلك. وهو تفسير الحسن.

وقال مجاهد: (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ) أي: ما كان قبل النهي في هذا وغيره [(وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) أي: بعد النهي في هذا وغيره][(1)] ﴿ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾.

قوله: ﴿ النَّبِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾. قال مجاهد: هو أبوهم ﴿ وَأَزْوَٰجُهُ أُمَّهَـٰتُهُمْ ﴾ [أي: في التحريم مثل أمهاتهم: ذكروا عن مسروق عن عائشة أن امرأة قالت لها: يا أُمَّهْ. فقالت: لست لك بأم، إنما أنا أُمُّ رجالكم][(2)].

قال: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَـٰبِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَـٰجِرِينَ ﴾. وقد كان نزل قبل هذه الآية في سورة الأنفال: (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَّلَايَتِهِم مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا) [الأنفال: 72] فتوارث المسلمون بالهجرة. وكان الأعرابي المسلم لا يرث من قريبه المهاجر المسلم شيئاً فنسختها هذه الآية: (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُومِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ)، فخلط الله المؤمنين بعضهم ببعض فصارت المواريث بالملل.

---

(1) زيادة من سح لا بد من إثباتها، وهي موافقة لما جاء في تفسير مجاهد، ص 513، وفيه: «قال: العمد ما أتى بعد البيان والنهي».

(2) زيادة من سح ورقة 111 أثبتها للفائدة، وهذا من فقه عائشة وفهمها لكلام الله.

ذكروا عن أبي أمامة الباهلي قال: لا يتوارث أهل ملتين شتى.

ذكروا عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: لا يرث الكافر المسلم، ولا المسلم الكافر[1].

ذكروا عن الزهري أن أبا طالب مات وترك طالباً وجعفراً وعليّاً وعقيلاً فورثه طالب وعقيل، ولم يرثه جعفر ولا علي[2].

قال: ﴿ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ ﴾ أي: إلى قراباتكم من أهل الشرك ﴿ مَعْرُوفاً ﴾ يعني بالمعروف الوصية. قال بعضهم: جازت لهم الوصيّة ولا ميراث لهم.

ثم رجع إلى قوله: (وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) فقال: ﴿ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ﴾ أي: مكتوباً، أي: لا يرث كافر مسلماً. وقد قال عليه السلام: لا يرث المسلم الكافر.

قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ أي: في صلب آدم في تفسير الكلبي، أي: أن يبلّغوا الرسالة. قال: ﴿ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقاً غَلِيظاً ﴾ أي: بتبليغ الرسالة.

وبعضهم يقول: وأن تعلموا أن محمداً رسول الله، وتصديق ذلك عنده في قوله: (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا) [الزخرف: 45] أي: جبريل فإنه كان يأتيهم بالرسالة، أي: هل أرسلنا من رسول إلا بشهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

(1) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 107.

(2) كيف يكون هذا وقد مات أبو طالب قبل الهجرة بإجماع المؤرخين، قال الطبري: بثلاث سنوات قبل الهجرة، والآية مدنية. نعم قد يكون جعفر غائباً في هجرته إلى الحبشة، أما علي فهو مقيم بمكة فكيف لا يرثه حسب الأعراف الجاهلية؟ فالخبر بحاجة إلى تثبت وتحقيق. وقد رواه ابن سلام بهذا السند: حدثنا بحر السقا عن الزهري، كما في سح، ورقة 112. وروى الخبر أيضاً عن جابر بن زيد، انظر السالمي، شرح الجامع الصحيح، ج 3 ص 450.

وتفسير الحسن في هذه الآية في آل عمران مثل هذه الآية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيئِينَ لَمَا ءَاتَيْنَاكُم مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُومِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ [آل عمران: 81] قال: أخذ الله على النبيّين أن يعلموا أمر محمد، ما خلا محمداً من النبيّين فإنه لا نبيّ بعده، ولكنه قد أخذ عليه أن يصدّق بالأنبياء كلّهم، ففعله ﷺ.

ذكروا عن بعض أهل التفسير أنه كان إذا تلا هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيئِينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: كنت أوّل النبيين في الخلق وآخرهم في البعث[1].

ذكروا عن مطرّف بن عبد الله أن رجلاً قال: يا رسول الله، متى كتبت نبوّتك؟ قال: بين الطين وبين الروح من خلق آدم[2].

قوله: ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّـٰدِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴾ يعني النبيّين كقوله: ﴿ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: 6]. ثم قال في آية أخرى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾ [المائدة: 109] قال: ﴿ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً ﴾.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه، وهم الأحزاب تحازبوا[3] على الله ورسوله. جاء عيينة بن حصن الفزاري، وطليحة بن خويلد الأسدي [من فوق الوادي، وجاء أبو الأعور السلمي من أسفل الوادي ونصب أبو سفيان قِبَل][4] الخندق الذي فيه رسول الله ﷺ.

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، ج 21 ص 125 عن قتادة مرسلاً، وأخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه مرفوعاً من طريق قتادة عن الحسن عن أبي هريرة كما في الدر المنثور، ج 5 ص 184.

(2) أخرجه ابن سعد عن مطرّف بن عبد الله بن الشّخّير بهذا اللفظ، وأخرجه أيضاً عن أبي الجدعاء قال: قلت: يا رسول الله، متى جعلت نبيّاً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد.

(3) أي: مالأ بعضهم بعضاً فصاروا أحزاباً.

(4) ما بين المعقوفين ساقط من ب و ع فأثبته من سح، ورقة 113.

قال الله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً ﴾ يعني ريح الصبا تكبهم على وجوههم وتقطع فساطيطهم[1]. وهذا تفسير مجاهد.

ذكروا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: نُصرت بالصَّبا وأهلكت عاد بالدَّبور[2].

قال: ﴿ وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ يعني الملائكة. قال: ﴿ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾.

قال: ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ جاءوا من وجهين: من أسفل المدينة ومن أعلاها في تفسير الحسن. وقال الكلبي: جاءوا من أعلى الوادي ومن أسفله؛ جاء من أعلى الوادي عيينة بن حصن، وجاء من أسفله أبو الأعور السلمي، ونصب أبو سفيان قِبَل الخندق.

قال: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَرُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ أي: من شدة الخوف[3]. ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ﴾ يعني المنافقين، يظنون أن محمداً سيقتل، وأنهم سيهلكون[4].

قال الله: ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُومِنُونَ ﴾ أي: مُحِّصوا. قال: ﴿ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾ وكان الله قد أنزل في سورة البقرة: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَاتِكُم

(1) كذا وردت العبارة في ب وع، وفي سح: «وهي الصبا تكب القدور على أفواهها وتنزع الفساطيط حتى أظعنتهم». وهذه العبارة الأخيرة أقرب إلى ما جاء في تفسير مجاهد ص 515.

(2) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم: أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب قول النبي ﷺ: نصرت بالصبا، وأخرجه كذلك مسلم في كتاب الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدبور، (رقم 900) كلاهما يرويه عن ابن عباس.

(3) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 336: «ذكر أن الرجل منهم كانت تنتفخ رئته حتى ترفع قلبه إلى حنجرته من الفزع».

(4) قال الأخفش في معاني القرآن، ج 2 ص 660: «وقال: (الظُّنُونَا) والعرب تلحق الواو والياء والألف في آخر القوافي، فشبّهوا رؤوس الآي بذلك».

مَّثَلُ الذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولُ الرَّسُولُ وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ) [البقرة: 214]. فلما نزلت هذه الآية قال أصحاب النبي ﷺ: ما أصابنا هذا بعدُ. فلما كان يوم الأحزاب قالوا: (هٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُوهُمْ إِلَّآ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً) [الأحزاب: 22]. وأنزل الله: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِن أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ) أي: محِّصوا (وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً) أي: حرِّكوا بالخوف وأصابتهم الشدّة.

قال الله: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَـٰفِقُونَ وَالذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ وهم المنافقون، وهم المرضىٰ، والمرجفون في المدينة، وكل هؤلاء منافقون. وصنّف كل صنف منهم بعَلَمه، وهم منافقون جميعاً، وهو كلام مثنى: ﴿ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴾.

وذلك أنه لما أنزل الله في سورة البقرة: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ) [البقرة: 214]. فوعد الله المؤمنين أن ينصرهم كما نصر من قبلهم بعد أن يُزَلْزَلوا، وهي الشدّة، وأن يحرَّكوا بالخوف، كما قال النبيُّون، حيث يقول الله: (حَتَّىٰ يَقُولُ الرَّسُولُ وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللهِ) قَالَ اللهُ: (أَلَآ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ)؛ فقال المنافقون: وعدنا الله النصر [فلَا ترانا ننصَر][1] وأرانَا نُقتَل ونُهزَم.

ولم يكن فيما وعدهم الله ألا يقتل منهم أحد، ولا يهزموا في بعض الأحايين. قال في آية أخرى: (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) [آل عمران: 140] وإنما وعدهم الله النصر في العاقبة وطوى عنهم القتل والهزيمة، فذلك معنى قولهم: (مَا

(1) زيادة من سح، ورقة 115.

وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً)[1]. وتأويل الغرور ها هنا هو الخديعة، يقولون: خدعنا الله، أي: أعلمنا بالعاقبة أنه سينصرنا وطوى عنا ما قبل ذلك مما يصيبنا من الشدائد والقتل والهزيمة. والغرور عند العرب هو الخديعة. قالوا: خدعنا الله، وقد وصفوا الله بالخديعة لهم، ولعمري قد خدعهم، وهو قوله: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) [النساء: 142]. وتفسير مخادعة الله إياهم في سورة الحديد. وسنفسّره إن شاء الله.

قوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي: من المنافقين ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾ يقوله المنافقون بعضهم لبعض.

قال الكلبي: لما رأى المنافقون الأحزاب جَبُنوا، وقال بعضهم لبعض: لا مقام لكم مع هؤلاء، فارجعوا إلى قومكم، يعنون المشركين، فاستأمنوهم.

قال: ﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ أي: خالية نخاف عليها السّرق، في تفسير الكلبي، وفي تفسير الحسن: ضائعة، وهو واحد[2]. يقولون: إن خليناها ضاعت.

قال الله: ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴾ يقول: ﴿ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً ﴾.

---

(1) أورد الفراء في المعاني، ج 2 ص 336 في سبب نزول الآية ما يلي: «وقوله: (مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً) وهذا قول معتّب بن قُشير الأنصاري وحده. ذكروا أن رسول الله ﷺ أخذ مِعولاً من سَلمانَ في صخرة اشتدّت عليهم، فضرب ثلاث ضربات، مع كل واحدة كلمع البرق. فقال سلمان: والله يا رسول الله لقد رأيت فيهنّ عجباً. قال: فقال النبي عليه السلام: لقد رأيت في الضربة الأولى أبيض المدائن، وفي الثانية قصور اليمن، وفي الثالثة بلاد فارس والروم. وليفتحنَّ الله على أمتي مبلغ مداهنّ. فقال معتّب حين رأى الأحزاب: أيعدنا محمد أن يفتح لنا فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يضرب الخلاء فَرَقاً؟ (مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً)».

(2) قال الفراء في المعاني: «. . . والعرب تقول: قد أعور منزلك إذا بدت منه عورة، وأعور الفارس إذا كان فيه موضع خَلَل للضرب. . . وإنما أرادوا بقولهم: (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) أي: ممكنة للسراق لخلوتها من الرجال، فأكذبهم الله. فقال: ليست بعورة.

قال: ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِنَ أَقْطَارِهَا﴾ أي: [لو دخل عليهم أبو سفيان ومن معه][1] من أقطارها، أي: من نواحيها، يعني المدينة. ﴿ ثُمَّ سُئِلُوا ﴾ أي: طلبت منهم ﴿ الفِتْنَةَ ﴾ أي: الشرك ﴿ لأَتَوْهَا ﴾أي: لجاءوها. رجع [الضمير][2] إلى الفتنة، وهي الشرك على تفسير من قرأها خفيفة؛ ومن قرأها مثقلة ممدودة (لآتوها) أي: لاعطوها، يعني الفتنة، وهي الشرك، لأعطوها إياهم. ﴿ وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيراً ﴾.

وهذه الآية تقضي بين المختلفين، تنفي عن المنافقين الشرك، إن أبقى[3] الله أهل الفراق ولم يكابروا عقولهم؛ إذ يقول: (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّن أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لأَتَوْهَا)، يعني المنافقين، والفتنة تعني الشرك، (لأَتَوْهَا) أي: لجاءوها ولأعطوها. فكيف يُسألُون الشركَ وهم عليه، وكيف يجيئون إلى الشرك ويعطونه من طلبه منهم وهم عليه، فليتّق اللهَ أهلُ الفراق لنا وليعلموا أن المنافقين ليسوا بمشركين، وقد برّأهم الله من الشرك في هذه الآية وأخبر أنهم لو دخل عليهم من أقطارها، يعني من نواحيها، ثم سئلوا الفتنة أي: الشرك لأتوها، أي: لأعطوها ولأتوه. ما أبين هذا بنعمة الله وبحمده.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَـرَ﴾ ذكروا أن جابر بن عبد الله قال: بايعنا رسول الله ﷺ أن لا نفرّ ولم نبايعه على الموت. ﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً ﴾ أي: يسألهم الله عن ذلك العهد الذي لم يُوفِّ به المنافقون.

قال: ﴿ قُل لَّن يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لاَّ تُمَتَّعُونَ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ أي: إلى آجالكم.

---

(1) زيادة من سح، ورقة 115، ومن ز ورقة 269.

(2) زيادة لا بد منها للإيضاح.

(3) كذا وردت هذه الكلمة: «إن أبقى» في ب و ع، ولم أوفق إلى تصحيح ما فيها من تصحيف أو خطأ. وهذه الفقرة كلها في الرد على «أهل الفراق» من كلام الشيخ هود بن محكم فقد انفردت به مخطوطتا ب و ع.

قال: ﴿ قُلْ مَنْ ذَا الذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللهِ ﴾ أي: يمنعكم من الله ﴿ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً ﴾ أي: عذاباً. [وقال بعضهم: القتل أو الهزيمة](1) ﴿ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ أي: توبة، يعني المنافقين. كقوله: (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ) أي: الذين يموتون على نفاقهم فيعذبهم (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمُ) [الأحزاب: 24] أي: أو يمن عليهم بالرجعة فيرجعون عن نفاقهم. [وقال بعضهم: النصر والفتح](1) قال: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً ﴾ أي: يتولاهم فيدفع العذاب عنهم ﴿ وَلَا نَصِيراً ﴾ أي: ينصرهم مما ينزل بهم من العذاب.

قوله: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ﴾ أي: يعوّق بعضهم بعضاً، أي: إذ يأمر بعضهم بعضاً بالفرار ﴿ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ أي: يأمر بعضهم بعضاً بالفرار(2). ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ ﴾ أي: القتال ﴿ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ وإنما قل لأنه إنما كان لغير الله، أي: إنما فعلوه رياء وسمعة، ولم تكن لهم فيه حسبة(3) ولا نية. وهو كقوله: (وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً) [النساء: 82] إلا التوحيد الذي كان منهم، وهو قليل إذ لم يكملوه بالعمل الصالح. [قال: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ أي: لا يتركون لكم من حقوقهم من الغنيمة شيئاً](4).

رجع الكلام إلى أول القتال قبل أن تكون الغنيمة قال: ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ ﴾ يعني القتال ﴿ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ أي: خوفاً من القتال. ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ ﴾ أي: فإذا ذهب القتال ﴿ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ أي: صاحوا عليكم. والسلق: الصّياح(5) ﴿ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾ أي: على الغنيمة.

---

(1) زيادة من سح، ورقة 116، ومن ز، ورقة 270.

(2) كذا وقع تكرار هذه الجملة في ب و ع وفي سح.

(3) في ب و ع: «خشية ولا نية»، وفي سح: «بغير حسبة ولا إخلاص»، وفي ز: «بغير حسبة»، وأثبت ما رأيته صواباً: «حسبة»، أي: احتساب أجر العمل عند الله.

(4) قوله تعالى: (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) وتفسيره ساقطان من ب و ع، فأثبتهما من سح و ز.

(5) كذا في المخطوطات كلها: «السلق: الصّياح»، وفي مفردات الراغب الأصفهاني: «السلق بسطٌ =

قال الله: ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾ أي: لم يؤمنوا فيكملوا الإيمان بالتقوى؛ كقوله: (مِنَ الذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ) [المائدة: 41]، أي: أقروا بألسنتهم ولم تكن قلوبهم تصبر على العمل بما أقروا به بألسنتهم.

قال: ﴿ فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أي: أبطل حسناتهم لأنهم فعلوا ما فعلوا رياء وسمعة بغير نيّة ولا حسبة.

وقال بعضهم: (أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) أي: على القتال، أي: لا يقاتلون فيرغبون في الجهاد، ويحتسبون فيه ما يحتسب المؤمن.

وتفسير الكلبي أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ لما مسّهم الحصر والبلاء في الخندق رجع إلى أهله ليُصيب طعاماً أو إداماً، فوجد أخاه يتغدّى تمراً. فدعاه، فقال أخوه المؤمن: قد بخِلت عليّ وعلى رسول الله ﷺ بنفسك، فلا حاجة لي في طعامك.

قال: ﴿ يَحْسِبُونَ ﴾ أي: المنافقون ﴿ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَّأتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا ﴾ أي: يودّ المنافقون ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ ﴾ يعني في البادية مع الأعراب، أي: يودُّون من الخوف لو أنهم في البدو ﴿ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ﴾ وهو كلام موصول؛ وليس بهم في ذلك إلا الخوف على أنفسهم وعيالهم وأموالهم، لأنهم مع المسلمين قد أقرُّوا بدينهم، وادَّعوا ملّتهم، وجاهدوا معهم أعداءهم، وهم يتمَنَّوْن أن يظفر المشركون على المسلمين من غير أن تدخل عليهم في ذلك مضرة.

قال: ﴿ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً ﴾ وذلك القليل إنما يقاتل رياء وسمعة بلا حسبة ولا نيّة.

= بقهر، إما باليد أو باللسان». وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 135: «أي: بالغوا في عيبكم ولائمتكم، ومنه قولهم: خطيب مِسلق...»، وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 339: «آذوكم بالكلام عند الأمن». وفي اللسان: «السلق: شدة الصوت... وسلقه يسلقه سلقاً إذا أسمعه ما يكره فأكثر».

قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الأَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾. وهذا الذكر تطوّع ليس فيه وقت.

قال: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُومِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ يعنون الآية التي في سورة البقرة، وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[1]. ﴿وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾. قال الله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَـٰناً وَتَسْلِيماً﴾ (إِلَّا إِيمَاناً)، أي: تصديقاً (وَتَسْلِيماً) أي: لأمر الله.

وتفسير الكلبي أن الأحزاب لما خرجوا من مكة أمر رسول الله ﷺ بالخندق أن يحفر، فقالوا: يا رسول الله، وهل أتاك من خبر؟ فقال: نعم. فلما حُفِر الخندق وفُرِغ منه أتاهم الأحزاب. فلما رآهم المؤمنون قالوا: (هٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ. . .) إلى آخر الآية.

قوله: ﴿مِنَ الْمُومِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَـٰهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ حيث بايعوه على أن لا يفروا، وصدقوا في لقائهم العدو، وذلك يوم أحد. ﴿فَمِنْهُم مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ تفسير مجاهد: (فَمِنْهُم مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) أي: عهده فقتل أو عاش[2] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَّنْتَظِرُ﴾ يوماً فيه قتال فيقضي عهده ويقاتل [فيقتل أو يصدق في لقائه][3]. وبعضهم يقول: (فَمِنْهُم مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) أي: أجله، يعني من قتل يومئذ: حمزة وأصحابه (وَمِنْهُم مَّن يَّنْتَظِرُ) أي: أجله. قال: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ كما بَدَّلَ المنافقون.

قال: ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّـٰدِقِينَ﴾ أي: المؤمنين الذين صدقوا في قولهم وفعلهم. ﴿بِصِدْقِهِمْ﴾ أي: بإكمالهم فرض الله ووفائهم بما عاهدوا الله عليه، أي: يجزيهم بذلك الجنة.

---

(1) يشير إلى الآية الكريمة: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ. . .) إلى قوله: (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ) الآية 214 من سورة البقرة. وانظر ما سلف قريباً في هذا الجزء، ص 356 - 357.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 135: «(فَمِنْهُم مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) أي: نذره الذي كان نحب، أي: نذر. والنحب أيضاً النفس، أي: الموت. . .».

(3) زيادة من سح، ورقة 118.

قال: ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَـٰفِقِينَ إِنْ شَاءَ ﴾ فيموتوا على نفاقهم فيعذبهم، فإنه قد شاء عذابهم إذا ماتوا على نفاقهم فيعذبهم. ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: يمن عليهم بالتوبة فيرجعوا عن نفاقهم ويتوبوا منه. ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً ﴾ أي: لمن تاب منهم من نفاقه وكفره ﴿ رَّحِيماً ﴾ أي: رحيماً له إذ جعل له من نفاقه متاباً ومرجعاً.

قال: ﴿ وَرَدَّ اللهُ الذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً ﴾ أي: لم ينالوا من المسلمين غنيمة ولا ظفراً؛ وظفرهم بالمسلمين عندهم ـ لو ظفروا ـ خيرٌ[1] ﴿ وَكَفَى اللهُ الْمُومِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ أي: بالريح والجنود التي أرسلها الله عليهم ﴿ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً ﴾.

قال: ﴿ وَأَنْزَلَ الذِينَ ظَـٰهَرُوهُمْ﴾ أي: عاونوهم ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ ﴾ يعني قريظة والنضير ﴿ مِنْ صَيَاصِيهِمْ ﴾ أي: من حصونهم ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَاسِرُونَ فَرِيقاً وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُـمْ﴾. ذكـروا أن رسول الله ﷺ لما حصر قريظة نزل عليه: انزلوا على حكم سعد بن معاذ في قول بعضهم.

ذكروا عن عبد الرحمٰن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبيه أن سعداً لم يحكم فيهم، ولكن النبي عليه السلام أرسل إليه فجاء على حمار، فقال: أشر عليّ فيهم[2]. فقال: قد علمت أن الله أمرك فيهم بأمر فأنت فاعل ما أمرك به، فقال: أشر عليّ فيهم. فقال: لو وليت أمرهم لقتلت مقاتلتهم ولسبيت ذراريهم ونساءهم ولقسمت

---

(1) كذا في ب و ع، وفي سح، وعبارة ز: «وكان ذلك عندهم خيراً لو نالوه».

(2) أخرجه البخاري في المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم. عن عائشة من حديث روته ولفظه: «فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه فرد الحكم إلى سعد». انظر تفاصيل ذلك في كتب السير والمغازي. انظر مثلاً مغازي الواقدي، ج 2 ص 510 - 512. ولفظ ابن إسحاق حسبما رواه ابن هشام في السيرة، ج 3 ص 240، والطبري في تفسيره، ج 1 ص 153: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة».

أموالهم. فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده لقد أشرت عليّ فيهم بالذي أمرني الله به[1].

ذكروا عن عطية العوفي قال: كنت فيمن عرض على النبي عليه السلام يوم قريظة، فمن نبتت عانته قتل، ومن لم تنبت عانته ترك. فنظروا إليّ فإذا عانتي لم تنبت فتركت.

وأما النضير فإنه لما حصرهم رسول الله ﷺ وقطع نخلهم، فرأوا أنه قد ذهب بعيشهم صالحوه على أن يجليهم إلى الشام.

ذكروا عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرّق نخل بني النضير [وهي البويرة][1] وترك العجوة، وهي التي قال فيها الشاعر:

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

وذكروا عن عكرمة أنه قال: ما دون العجوة فهو لينة.

قال: ﴿وَأَرْضاً لَّمْ تطَئُوهَا﴾ أي: خيبر[2].

ذكروا عن أنس بن مالك قال: كنت رديفَ أبي طلحة يوم فتحنا خيبر؛ وإن ساقي لتصيب ساق النبي عليه السلام، وفخذي فخذَه. فلما أشرفنا عليها قال النبي ﷺ: الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين[3]. فأخذناها عنوة.

---

(1) زيادة من سح، ورقة 119. وسيأتي خبر إجلاء بني النضير مفصلاً في تفسير سورة الحشر إن شاء الله.

(2) اختلف المفسّرون في هذه الأرض التي أشارت إليها الآية، فقال بعضهم: إنها خيبر، وقيل: إنها مكة، وقيل: إنها أرض فارس والروم. ورجّح الطبري أن الآية عامة في كل أرض يفتحها المسلمون ويورثهم الله إياها بعد أن أورثهم أرض بني قريظة والنضير وديارهم وأموالهم.

(3) حديث متّفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء، وفي باب غزوة خيبر، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر (رقم 1365) كلاهما يرويه عن أنس.

ذكروا عن أنس بن مالك قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ غداة صبّحنا خيبر، فقرأ بنا أقصر سورتين في القرآن، ثم ركب. فلما أشرفنا عليها قالت اليهود: محمد والله والخميس. قال: والخميس: الجيش. فأخذناها عنوة. قال: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾.

قوله تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَا النَّبِي قُل لِأَزْوَٰجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾ يعني الجنة.

ذكر مسروق عن عائشة قالت: خَيَّرَنا رسول الله ﷺ فاخترناه، فلم يكن ذلك طلاقاً[1]. وقال بعض المفسّرين: إنما خيّرهن بين الدنيا والآخرة ولم يخيّرهن الطلاق.

وكان علي بن أبي طالب يجعل الخيار إذا اختارت المرأة نفسَها إذا خيّرها الرجلُ تطليقةً بائنة. وقال بعضهم: أحسبه قال ذلك من هذه الآية في قوله: (أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً). وقال في هذه السورة بعد هذا الموضع: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُومِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً) [الأحزاب: 49]. فإذا طلّقها قبل أن يدخل بها تطليقة فإنها تبين منه بها، وهي أملك بنفسها، وهو خاطب، وإن تزوّجها كانت عنده على تطليقتين.

وقال في سورة البقرة: (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) [البقرة: 231]، وهذا عند انقضاء العدة قبل أن تنقضي ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة إذا كانت ممن تحيض، فإن كانت ممن لا تحيض وليست بحامل فما لم تنقض ثلاثة أشهر، وإن كانت حاملاً فما لم تضع حملها، فإن كان في بطنها اثنان أو ثلاثة

(1) كذا في ع و ب، وفي سح: «فلم يعدّه طلاقاً». وقد أخرج هذا الحديث البخاري في كتاب التفسير، سورة الأحزاب باب (قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَها). من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة. انظر ابن حجر، فتح الباري، ج 8 ص 519 - 523.

فما لم تضع الآخِر، فهو يراجعها قبل ذلك إن شاء. فإن انقضت العدة ولم يراجعها فهي تطليقة بائنة. قال: (أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) [البقرة: 231]. والتسريح في كتاب الله واحدة بائنة.

وكان زيد بن ثابت يقول: إن اختارت نفسها فثلاث.

وكان ابن عمر وعبد الله بن مسعود يقولان: واحدة، وهو أحقُّ بها. فإن اختارته فلا شيء لها؛ فكأنهما يقولان: إنما الخيار في طلاق السنة على الواحدة، ولا ينبغي أن يطلق ثلاثاً ثلاثاً جميعاً، فإنما خيّرها على وجه ما ينبغي أن يطلقها. وأما إذا قال: أمرك بيدك، ففي قولهما إنها إذا طلقت نفسها ثلاثاً فهي واحدة على هذا الكلام الأول.

وكان علي ورجال معه من أصحاب النبي ﷺ يقولون: القول ما قالت. غير أن ابن عمر قال: إلا أن يقول: إنما ملّكتها في واحدة، فيحلف على ذلك، ويكون قضاؤها في واحدة. وبه نأخذ، وعليه نعتمد.

قوله عزّ وجل: ﴿يَـٰنِسَـاءَ النَّبِي مَن يَّاتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي: الزنا ﴿يُضَـٰعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾ أي: هيناً[1].

﴿ وَمَن يَّقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي: ومن يطع منكن الله ورسوله، فيما ذكر

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 136: «(يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) أي: يجعل لها العذاب ثلاثة أعذبة لأن ضعف الشيء مثله، وضعفي الشيء مِثْلاَ الشيء. ومجاز (يضاعف) أي: يجعل الشيء شيئين حتى يكون ثلاثة. فأما قوله: يضعف أي: يجعل الشيء شيئين». وقد روى ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 350 قول أبي عبيدة هذا فقال: «ولا أراه كذلك، لأنه يقول بعدُ: (وَمَن يَّقْنُت مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ) أي: يطعهما. (وَتَعْمَل صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) فهذا يدل على أن الضعفين ثَمَّ أيضاً مثلان. . . » وأنا أرجح ما ذهب إليه ابن قتيبة، فإن المضاعفة جعل الشيء نفسه شيئين لا إضافة مثلين إلى المثل. فقد روى أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه توضأ مرة فقال: هذا وضوء لا تقبل الصلاة إلا به. ثم توضأ اثنتين اثنتين فقال: من ضاعف ضاعف الله له، ثم توضأ ثلاثاً ثلاثاً فقال: هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي. انظر مسند الربيع بن حبيب، ج 1 ص 39 - 30 (رقم 89).

عكرمة عن ابن عباس، وليس فيه اختلاف. قال: ﴿ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحاً﴾ يعني التي تقنت منهن لله ورسوله ﴿نُّؤتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾. قال بعضهم: بلغنا أن رجلاً سأل الحسن: أين يضاعف لها العذاب ضعفين؟ قال: حيث تؤتى أجرها مرتين، يعني في الآخرة. قال: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا ﴾ أي: وأعددنا لها ﴿ رِزْقاً كَرِيماً ﴾ أي: الجنة.

قوله: ﴿يَـٰنِسَـاءَ النَّبِي لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾ قال الكلبي: هو الكلام الذي فيه ما يهوى المريب. وقال الحسن: فلا تكلّمن بالرفث. وكان أكثر ما يصيب الحدودَ في زمن النبي ﷺ المنافقون.

قال: ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ قال بعضهم: المرض ها هنا الزنا. وقال بعضهم: النفاق. ﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾. وهذا تبع الكلام الأول: (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ).

قال: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: وقِرن وقَرن. فمن قرأها: (وَقَرْنَ) بالفتح، فهو من القرار، ومن قرأها (وقِرْنَ) بالكسر فمن قِبَل الوقار. قال: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾ أي: قبلكم، في تفسير الحسن. وليس يعني أنها كانت جاهلية قبلها، كقوله: (عَاداً الأُولَىٰ) [النجم: 50] أي: قبلكم. وبعضهم يقول: الجاهلية التي ولد فيها إبراهيم من قبل الجاهلية التي ولد فيها محمد ﷺ.

ذكروا عن الحسن أنه قال في تفسيرها: تكون جاهلية أخرى. ذكروا عن محمد ابن سيرين قال: لا تقوم الساعة حتى يُعبَد ذو الخَلَصة[1]، فإنه كان كبير الأوثان في الجاهلية[2]. وذكروا عن عبد الله بن عمر قال: تنفخ النفخة الأولى وما يعبد الله يومئذ في الأرض.

(1) كان ذو الخَلَصة صنماً من أصنام الجاهلية بتبالة، بين مكة واليمن. انظر ما قاله عنه أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي في كتاب الأصنام، ص 34 - 36. وانظر البكري، معجم ما استعجم، ج 1 ص 508.

(2) هذا معنى حديث متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب تغيير الزمان حتى تعبد=

قال: ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ﴾ أي: المفروضة، أي: الصلوات الخمس على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. ﴿وَءاتِينَ الزَّكَوٰةَ﴾ أي: المفروضة. ﴿ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي: في كل ما تعبَّدكن به من قول أو عمل.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ أي: الشيطان الذي يدعوكم إلى المعاصي. وبعضهم يقول: الرجس، يعني الإثم الذي ذُكر في هذه الآيات. ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ أي: من الذنوب.

ذكروا عن أنس بن مالك قال: إن رسول الله ﷺ كان إذا طلع الفجر يقوم على باب علي وفاطمة ستة أشهر فيقول: الصلاة يا أهل البيت، (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)[1] قال بعضهم: بلغنا أن هذه الآية نزلت على النبي ﷺ في بيت أم سلمة.

قوله: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَـٰتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ وهو واحد، هو كلام مثنى مكرر، أي[2]: الصالحات. وقد قال في آية أخرى: (فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ) [الذاريات: 35 - 36]. والإسلام هو اسم الدين. قال تعالى: (وَمَن يَّبْتَغِ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُّقْبَلَ مِنْهُ) [آل عمران: 85] والإسلام هو الإيمان بالله وما أنزل.

= الأوثان، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخَلَصة. (رقم 2906) عن أبي هريرة ولفظه: لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخَلَصة.

(1) رواه أحمد في مسنده، ورواه الترمذي في التفسير، سورة الأحزاب، وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وانظر الدر المنثور، ج 5 ص 199.

(2) وردت هذه العبارة في ع و ب هكذا: «مكرراً يكر الصالحات» ولم أوفق للتصحيف الذي بها حتى أصححها.

قال: ﴿وَالْقَـٰنِتِينَ وَالقَـٰنِتَـٰتِ﴾ والقنوت هو الطاعة لله. وقد قال في آية أخرى: (وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ) أي: وقوموا لله في صلاتكم مطيعين خاشعين.

قوله: ﴿وَالصَّـٰدِقِيـنَ وَالصَّـٰدِقَـٰتِ﴾ أي: الصادقين في القول والعمل المستكملين لجميع فرائض الله.

﴿وَالصَّـٰبِرِينَ وَالـصَّـٰبِرَٰتِ﴾ أي: على ما أمرهم الله به وعما نهاهم عنه.

﴿وَالخَـٰشِعِينَ وَالخَـٰشِعَـٰتِ﴾ أي: والمتواضعين والمتواضعات. والخشوع هو الخوف الثابت في القلب.

﴿ وَالمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ ﴾ يعني الزكاة المفروضة.

﴿وَالصَّـٰئِمِينَ وَالصَّـٰئِمَـٰتِ﴾. قال بعضهم: بلغنا أنه من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر فهو من الصائمين والصائمات.

﴿وَالْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَـٰفِظَـٰتِ﴾ أي: مما لا يحلّ لهم.

﴿وَالذَّٰكِـرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالـذَّٰكِـرَٰتِ﴾ وليس في هذا الذكر وقت.

قال: ﴿ أَعَدَّ اللهُ لَهُم ﴾ أي: لأهل هذه الصفات التي ذكر ﴿ مَّغْفِرَةً ﴾ أي: لذنوبهم ﴿ وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ أي: الجنة.

ذكروا عن مجاهد أن أم سلمة قالت: يا رسول الله، ما بال النساء لا يذكرن مع الرجال في العمل الصالح، فأنزل الله: ﴿ إن المسلمين والمسلمات... ﴾ إلى آخر الآية[1].

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِن أَمْرِهِمْ ﴾. وذلك أن رسول الله ﷺ أراد أن يزوّج زينبَ بنتَ جحش زيدَ بن

(1) وقيل: إن القائلة هي أسماء بنت عميس عندما رجعت مع زوجها جعفر بن أبي طالب من الحبشة. وقيل: إنها أُمُّ عَمَارَةَ الأنصاريّةُ وهي التي قالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت هذه الآية، كما رواه الترمذي.

حارثة فأبت وقالت: أزوج نفسي رجــلاً كان عبدَك بالأمس؟ وكانت ذاتَ شرَف. فلما نزلت هذه الآية جعلت أمرها لرسول الله ﷺ، فزوَّجها إياه، ثم صارت بعدُ سنة في جميع الدين، ليس لأحد خيار على قضاء رسول الله ﷺ وحكمه. قال: ﴿ وَمَن يَّعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي: فيما حكما عليه وأمراه به ﴿ فَقَد ضَّلَّ ضَلَـٰلاً مُّبِيناً ﴾ أي: بيّناً.

قوله: ﴿ وَإِذ تَّقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ يعني زيداً[1] ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ ﴾ قال الله للنبي ﷺ: ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ ﴾ أي: مظهره ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَـٰهُ﴾ وكان رسول الله ﷺ يعجبه أن يطلّقها زيد من غير أن يأمره بطلاقها، فيتزوّجها رسول الله ﷺ.

وقال الكلبي: إن رسول الله ﷺ أتى زيداً فأبصرها قائمة فأعجبته، فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله مقلِّب القلوب[2]. فرأى زيد أن رسول الله ﷺ قد هَوِيَها، فقال: يا رسول الله، ائذن لِي في طلاقها، فإن فيها كبراً، وإنها لتؤذيني بلسانها، فقال له رسول الله ﷺ: اتَّق الله وأمسك عليك زوجك[3]. فأمسكها زيد ما شاء الله، ثم طلّقها. فلما انقضت عدتها أنزل الله نكاحَها رسولَ الله ﷺ من السماء، فقال: (وَإِذْ تَقُولُ لِّلذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ. . .) إلى قوله: (فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا). فدعا رسول الله ﷺ عند ذلك زيداً فقال: ائتِ زينبَ وأخبرها أن الله زوّجنيها[4].

---

(1) قال بعض المفسّرين: (أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ) بالإسلام، (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) بالعتق فأعتقته.

(2) هذه من الأخبار التي قال عنها ابن كثير في تفسيره، ج 5 ص 466: «ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ها هنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها». وصدق ابن كثير. فقد رُويت في قصّة زينب هذه إسرائيليات كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان.

(3) كذا رواه ابن أبي حاتم عن الحسن في تفسير قوله تعالى: (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ) بتقديم الأمر بتقوى الله على الأمر بالإمساك. وأرى أن الصواب إثبات نسق الآية كما جاءت في النص القرآني: (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ).

(4) اقرأ قصّة تزويج الله رسـولَه ﷺ زينبَ مفصّلةً في كتب التفسير والحديث والسيرة، ففيها، على =

فانطلق زيد فاستفتح الباب، فقيل: من هذا؟ قال: زيد. فقالت: وما حاجة زيد إليّ وقد طلّقني. فقال: إن رسول الله ﷺ أرسلني. فقالت: مرحباً برسول رسول الله، ففُتح له، فدخل عليها وهي تبكي. فقال زيد: لا تبكي، لا يُبك الله عينيك، قد كنتِ نعمت المرأة، أو قال: نعمت الزوجة، إن كنت لَتَبَرِّينَ قَسَمي، وتطيعين أمري، وتبتغين مسرّتي، فقدِ أبدلكِ الله خيراً منّي. فقالت: من؟ لا أبالك. فقال: رسول الله ﷺ. فخرّت ساجدةً.

قوله: (وَتَخْشَى النَّاسَ) أي: وتخشى عيب الناس، أي: يعيبوا ما صنعت.

قوله: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً ﴾ والوطر: الحاجة ﴿ زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُومِنِينَ حَرَجٌ ﴾ أي: إثم ﴿ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمُ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً ﴾. فقال المشركون للنبي ﷺ: يا محمد، زعمت أن حليلة الابن لا تحلّ للأب، وقد تزوّجت حليلة ابنك زيد. فقال الله: (لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُومِنِينَ حَرَجٌ) أي: إثم، في أزواج أدعيائهم، أي: إن زيداً كان دعياً، ولم يكن بابن محمد. قال الله: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ) [الأحزاب: 40].

قال: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً ﴾.

قوله: ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ ﴾ أي: من إثم ﴿ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ ﴾ أي: فيما أحلّ الله له. قال بعضهم: هي زينب. وقال الحسن: هي التي وهبت نفسها إذ زوجه الله إياها بغير صداق، ولكن النبي ﷺ قد تطوّع عليها فأعطاها الصداق[1].

قال: ﴿ سُنَّةَ اللهِ فِي الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: مضوا من قبل. أي: إنه ليس على الأنبياء من حرج فيما أحلّ الله لهم، وقد أحلّ لداوود مائة امرأة، ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرّية. قال: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَّقْدُوراً ﴾.

= اختلاف أسانيدها وألفاظها، عِبر وذكرى لمن اعتبر، انظر مثلاً، الدر المنثور، ج 5 ص 201 - 203.

(1) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 344 في تفسير الآية: «من هذا ومن تسع النسوة، ولم تحل لغيره».

قال: ﴿ الذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحداً إِلَّا اللهَ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيباً ﴾ أي: حفيظاً لأعمالهم.

قوله: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ يقول: إن محمداً لم يكن بأبي زيد، ولكن كان زيد دعيّاً له. قال: ﴿ وَلَكِن رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ[1] النَّبِيِّـنَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾[1]

قوله تعالى: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴾ وهذا ذكر ليس فيه وقت، وهو تطوع[2]. ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً ﴾ أي: صلاة الغداة ﴿ وَأَصِيلاً ﴾ أي: صلاة الظهر والعصر.

قال: ﴿ هُوَ الذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ تفسير ابن عباس أن صلاة الله الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار[3].

قال: ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي: من الضلالة إلى الهدى ﴿ وَكَانَ بِالْمُومِنِينَ رَحِيماً ﴾ أي: فلا أرحم منه بهم.

قوله: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَـٰمٌ ﴾ أي: تُحَيِّيهم الملائكة عن الله بالسلام، في تفسير الحسن. ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً ﴾ أي: ثواباً كريماً، يعني الجنة.

---

(1) قراءة الجمهور بكسر التاء من (خاتِم). وقرأ عاصم والحسن: (خاتَم) بفتح التاء، والمعنى واحد كما ذكره الفراء في المعاني، ج 2 ص 344: «ومن قال خاتَم أراد هو آخر النبيين كما قرأ علقمة فيما ذكر عنه (خاتَمه مسك) أي: آخره مسك... ويقول: أما سمعت المرأة تقول للعطّار: اجعل لي خاتَمه مِسكاً، أي: آخره».

(2) سقط ذكر هذه الآية وبعض تفسيرها من سح بين ورقتي 126 و 127. وقد ورد في ز في هذا الموضع ما يلي: «يحيى عن خداش عن ميمون بن عجلان عن ميمون بن سباء عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله عليه السلام: ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء: قوموا مغفوراً لكم، قد بُدّلت سيئاتكم حسنات، من حديث يحيى بن محمد». ولم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ فيما بين يدي من مصادر الحديث.

في سح ورقة 127: (هُوَ الذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ)... «يعني هو الذي يصلي عليكم يغفر لكم وتستغفر لكم الملائكة». وهي نفس العبارة التي وردت في معاني الفراء، ج 2 ص 245.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِداً﴾ أي: على أمتك، تشهد عليهم في الآخرة أنك قد بلغتهم. ﴿ وَمُبَشِّراً ﴾ أي: في الدنيا بالجنة ﴿ وَنَذِيراً ﴾ أي: ونذيراً من النار. وتفسير الحسن: أي: من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

قال: ﴿ وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ ﴾ أي: بالقرآن، أي: بالوحي الذي جاء من عند الله. ﴿ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾ أي: مضيئاً.

ذكروا عن الضحاك بن مزاحم قال: قال رسول الله ﷺ: مثل أصحابي مثل الملح لا يصلح الطعام إلا به، ومثل أصحابي مثل النجوم يهتدى بها؛ فبأي قول أصحابي أخذتم اهتديتم[1].

ذكر الحسن عن أبي مسلم الخولاني قال: مثل العلماء في الأرض مثل النجوم يهتدي بها الناس ما بدت، فإذا خفيت تحيَّروا.

قال: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُومِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴾ يعني الجنة.

قوله: ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَـٰفِرِينَ وَالْمُنَـٰفِقِينَ﴾ قد فسَّرناه في أول السورة[2] ﴿ وَدَعْ أَذَيٰهُمْ ﴾ أي: واعرض عن أذاهم إياك واصبر عليه. ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلاً ﴾.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴾.

أي: إذا طلق الرجل امرأته، من قبل أن يدخل بها، واحدة فقد بانت منه بتلك

(1) هما حديثان أوردهما ابن سلام في نسق واحد. وقد روى الأول بهذا السند: «حدثنا مندل بن علي وغيره عن جُوَيبر عن الضحاك قال: قال رسول الله ﷺ. . . وقد روى الحديث الأول عن أنس بن مالك ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، ولكنه أعله بأحد رواته: إسماعيل بن مسلم المكي، وهو ضعيف. والحديث الثاني كذلك صعيف، وإن حسنه البعض. انظر الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة (رقم: 52).

(2) انظر ما سلف قريباً ص 351.

الواحدة، وهي أملك لنفسها، ويخطبها مع الخطاب، وليس عليها عدّة منه ولا من غيره. وتتزوج إن شاءت من يومها الذي طلقها فيه، لأنه لم يمسّها فتعتدّ من مائه مخافة أن تكون حُبلى؛ ولها نصف الصداق. فإن أغلق عليها باباً، وأرخى عليها ستراً، فقد وجب عليها الصداق كاملاً، ووجبت عليها العدّة.

وإن طلّقها ثلاثاً من قبل أن يدخل بها فهي بمنزلة تطليقة واحدة، لأنه ليس في يده من طلاق التي لم يدخل بها إلا واحدة، وهي واحدة، فإن زاد عليها لم تعتد بزيادته التي زاد، وهو قول أبي عبيدة، وهو قول جابر وابن عباس. وكان إبراهيم يقول: إن طلقها ثلاثاً قبل أن يدخل بها لم يتزوجها حتى تنكح زوجاً غيره، إلا أن يفرّق الطلاق فيقول: أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق، فإنها تبين بالأولى، وليس ما طلق بعدها بشيء، وهو خاطب. فإن تزوّجها كانت عنده على تطليقتين. والقول الأول قول أصحابنا: قول ابن عباس وجابر بن زيد، وأبي عبيدة، فبه أخذوا، وعليه اعتمدوا.

وأما قوله: ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ ﴾ فهو منسوخ إذا كان قد سمَّى لها صداقاً، إلا أن يكون لم يسمِّ لها صداقاً، فتكون لها المتعة ولا صداق لها. فإن كان سمّى لها صداقاً ثم طلّقها قبل أن يدخل بها كان لها نصف الصداق، ولا متعة لها. نسختها الآية التي في سورة البقرة: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ. . . ﴾ إلى آخر الآية [البقرة: 236-237]. ولا متعة لها. وكان الحسن يقول: لها المتعة، وليست بمنسوخة.

قوله. ﴿ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴾ أي: إلى أهليهن، أي: لا يكون الرجل والمرأة في بيت وليس بينهما حرمة.

وإذا مات الرجل قبل أن يدخل بامرأته توارثا، ولها الصداق كاملاً. وإنما يكون لها نصف الصداق إذا طلّقها ولم يدخل بها.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِي إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوٰجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أُجُورهُنَّ ﴾ أي: صداقهن ﴿ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ ﴾ أي: وأحللنا لك بنات عمك ﴿ وَبَنَـاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَـالِكَ وَبَنَـاتِ خَـٰلَـٰتِكَ الَّـٰتِي هَاجَـرْنَ مَعَكَ ﴾. . . إلى قوله: (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) أي: من بعد هؤلاء اللاتي ذكر من أزواجه ومن بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، فيما ذكر أبي بن كعب.

وذكر [علي بن زيد] عن الحسن قال: (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) يعني من بعد أزواجه التسع [(وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ) قال: قصره الله على أزواجه اللاتي مات عنهن، فأخبرتُ به علي بن الحسن فقال: لو شاء لتزوج عليهن][1]. وقال علي بن زيد: قد أمر رسول الله ﷺ [جريراً][2] أن يخطب عليه [جميلة] بنت فلان بعد التسع.

وقال مجاهد: (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) أي: لا نصرانيات ولا يهوديات، ولا كوافر[3].

قوله: ﴿ وَامْرَأَةً مُّوْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيُّ إِنْ أَرَادَ النَّبِي أَن يُّسْتَنْكِحَها خَالِصَةً لَّكَ ﴾ يقوله للنبي ﷺ: ﴿ مِّنْ دُونِ الْمُوْمِنِينَ ﴾ مقرأ العامة على (أَنْ) وهبت نفسها للنبي، كانت امرأة واحدة، و(أَنْ) مفتوحة لما قد كان. وبعضهم يقرأها (إِنْ وَهَبَتْ

(1) جاءت هذه الفقرة مضطربة ناقصة في ب و ع فأثبتها كما جاءت في سح ورقة 130 وجعلت الزيادة بين القوسين المعقوفين حتى يتضح معنى قول علي بن زيد.

(2) لم تذكر مخطوطة سح شيئاً عن جرير هذا الذي أمره الرسول عليه السلام أن يخطب عليه، ولعله جرير بن عبد الله البجلي، فقد كان كريماً سيّداً في قومه. ولم أجد هذا الخبر فيما بين يدي من المصادر والمراجع حتى أبينه.

(3) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره، ج 5 ص 487: «واختار ابن جرير، رحمه الله، أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء، وفي النساء اللواتي في عصمته، وكنّ تِسعاً. وهذا الذي قاله جيّد، ولعله مراد كثير ممن حكينا عنه من السلف، فإن كثيراً منهم روى عنه هذا وهذا، ولا منافاة، والله أعلم».

نَفْسَها لِلنَّبِي) يقولون: إنما ذلك في المستقبل على تلك الوجوه من قول أبيّ بن كعب، وقول الحسن وقول مجاهد.

قوله: (خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُومِنِينَ) أي: لا تكون الهبة بغير صداق إلا للنبي ﷺ خاصة.

ذكروا عن سعيد بن المسيّب أنه سئل عن رجل وهبت نفسَها له امرأةٌ فقال: الهبة لا تكون إلا للنبي ﷺ، ولكن لو كان سمّى سوطاً لكان صداقاً.

وفي تفسير الحسن أن النبي ﷺ قد تطوّع على تلك المرأة التي وهبت نفسَها له فأعطاها الصداق، ثم نزل أمر التي وهبت نفسها للنبي عليه السلام في تفسير الحسن قبل أن ينزل (مَا كَانَ عَلَى النَّبِي مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ) وهي بعدها في التأليف.

وفي تفسير الكلبي في قوله: (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِن أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ) أن رسول الله ﷺ لما تزوّج أسماء بنت النعمان الكندية(1)، وكانت من أحسن البشر، قال نساء النبي: لئن تزوج علينا رسول الله ﷺ الغرائب ما له فينا حاجة، فحبس الله نبيه على أزواجه اللائي عنده، وأحل له من بنات العم والعمة والخال والخالة ما شاء. قال بعضهم: وهذا موافق لتفسير أبي بن كعب.

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَٰجِهِمْ﴾ يعني الأربع. يقول: يتزوج أربعاً إن شاء. ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: ويطأ بملك يمينه كم شاء.

---

(1) هي أسماء بنت النعمان الكندية، من بني الجون. وقد أجمع أصحاب السير أن رسول الله ﷺ تزوّجها. واختلفوا في سبب طلاقها. وقد ذكر بعضهم أن بعض نساء النبي عليه السلام لما رأين جمالها قلن لها: إن الرسول ﷺ يحب إذا دنا منك أن تقولي: إني أعوذ بالله منك، ففعلت. فقال لها الرسول ﷺ : قد عذت بمعاذ. فطلّقها، وردّها إلى أهلها، فكانت تُسَمِّي نفسَها الشقيّةَ. والله أعلم. انظر اختلاف الرواة في شأنها في كتاب الاستيعاب، لابن عبد البر، ج 4 ص 1785، وفي سير أعلام النبلاء، ج 2 ص 184.

وقال بعضهم: (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ) أي: لا نكاح إلا بولي وشاهدين عدلين وصداق معلوم.

قال: وقال بعضهم في قوله: (وَءاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً) [النساء: 4] أي: فريضة. فإن تزوّج الرجل امرأة ولم يسمّ لها صداقاً، أو وهبها له الولي فرضيت، أو كانت بكراً فزوّجها أبوها، فإن ذلك جائز عليها، ولها ما اتفقوا عليه من الصداق، فإن اختلفوا فلها صداق مثلها، والنكاح ثابت.

قوله: ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ رجع إلى قصة النبي عليه السلام. ﴿ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾.

قوله: ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُئْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ تفسير الحسن: (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) أي: أن النبي ﷺ كان يذكر المرأة للتزويج ثم يرجيها، أي: يتركها فلا يتزوّجها. قال: (وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) أي: يتزوّج من يشاء. وكان النبي ﷺ إذا ذكر امرأة ليتزوّجها لم يكن لأحد أن يعرّض بذكرها حتى يتزوّجها رسول الله أو يتركها. قوله: (وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ) يقول: ليس عليك لهن قسمة، ومن ابتغيت من نسائك للحاجة ممن عزلت ولم تُرِد منها الحاجة (فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ)[1].

قال: ﴿ ذَلِكَ أَدْنَىٰ ﴾ أي: أجدر ﴿ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ ﴾ أي: إذا علمن أنه من قبل الله ﴿ وَلَا يَحْزَنَّ ﴾ على أن تخص واحدة منهن دون الأخرى ﴿ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴾ أي: من الخاصة التي تخصّ منهن لحاجتك. وهذا تفسير الحسن.

وتفسير الكلبي: (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) يعني من اللائي أحلّ له، إن شاء لم يتزوّج منهن (وَتُئْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) أي: تتزوّج منهن من تشاء، (وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ

(1) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 346 في تفسير الآية: «هذا أيضاً مما خصّ به النبيّ ﷺ: أن يجعل لمن أحبّ منهن يوماً أو أكثر أو أقل، ويعطّل من شاء منهن فلا يأتيه. وقد كان قبل ذلك لكلّ امرأة من نسائه يوم وليلة».

عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ) يعني نساءه اللائي عنده يومئذ، يعني التسع، (وَلَا يَحْزَنَّ) أي: إذا عرفن أنه لا ينكح عليهن[1].

قال: ﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَلِيماً ﴾.

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ﴾ وقد فسّرناه قبل هذا. ﴿ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ أي: حسن النساء غير أزواجه وما أحلّ الله له مما سُمّي في قول أبي بن كعب ومجاهد والكلبي على وجه ما قالوا، وفي قول الحسن: غير نسائه خاصة؛ هذا في أزواجه اللائي عنده خاصة، لا يتزوّج مكانهن ولا يطلقهن. قال: ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ أي: يطأ بملك يمينه ما شاء. ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً ﴾ أي: حفيظاً.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَيٰهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا وَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ﴾ أي: فتفرقوا. ﴿ وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ بعد أن تأكلوا ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَّرَاءِ حِجَابٍ ﴾.

ذكروا عن أنس بن مالك قال: لما تَزَوَّج رسول الله ﷺ لم يُولِم على أحد من نسائه ما أولم على زينب بنت جحش. قال أنس: كنت أدعو الناس على الخبز واللحم، فيأكلون حتى يشبعوا. فجاء رجلان فقعدا مع زينب في جوف البيت ينتظران، أظنه يعني الطعام. فخرج النبي ﷺ إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم يا أهل البيت[2]. فقالت عائشة: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، كيف وجدت

---

(1) وقد لخّص الفراء وجوه التأويل الثلاثة بعبارة وجيزة فقال: «وقوله: (ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ) يقول: إذا لم تجعل لواحدة منهن يوماً وكنّ في ذلك سواء، كان أحرى أن تطيب أنفسهن ولا يحزن. ويقال: إذا علمن أن الله قد أباح لك ذلك رضين، إذ كان من عند الله. ويقال: إنه أدنى أن تقرّ أعينهن إذا لم يحلّ لك غيرهن من النساء. وكلٌّ حسن».

(2) أخرجه البخاري في كتاب التفسير من سورة الأحزاب عن أنس بن مالك. وفيه: «وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت. . .».

أهلك؟ بارك الله لك فيهم. قال: فاستقرى نساءه كلهن فقلن بمقالتها. ثم جاء فوجد الرجلين في البيت، فاستحيى فرجع، فأنزل الله آية الحجاب، فقرأها عليهم فخرجا. ودخل النبي ﷺ وأرخى الستر.

ذكروا عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب قال: قلت: يا رسول الله، إنه يدخل عليك البَرُّ والفاجر، فلو أمرت نساءك يحتجبن. فأنزل الله آية الحجاب(1).

قوله: (غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَيٰهُ) أي: صنعته(2). وقال مجاهد: متحيّنين حينه(3).
قوله: (وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) أي: أن يخبركم أن هذا يؤذي النبي.

قوله: (ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) أي: من الريبة والدنس، أن يكون ذلك من وراء حجاب.

قال: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُوذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيماً ﴾.

قال ناس من المنافقين: لو قد مات محمد تزوّجنا نساءه، فأنزل الله هذه الآية.
وقال: (إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ يعني ما قالوا: لو قد مات محمد تزوّجنا نساءه.
﴿ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾(4).

ثم استثنى من يدخل على أزواج النبي ﷺ في الحجاب فقال: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوٰنِهِـنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوٰنِهِـنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوٰتِهِـنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ ﴾ المسلمات

---

(1) أخرجه كذلك البخاري في تفسير سورة الأحزاب بلفظ: «فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب». . .

(2) كذا في ب و ع وفي سح أيضاً: «صنعته». ولم أجد هذا اللفظ فيما بين يدي من كتب اللغة والتفسير، وإن كان معناه ليس بعيداً عن المراد.

(3) في تفسير مجاهد، ص 520: «غير متحيّنين نضجه». وفي اللسان: «(إناه) أي: نضجه وإدراكه وغايته». والإنى بكسر الهمزة والقصر النضج. وأصله: أني الشيء يأني أَنْياً وإِنىً: حان وأدرك.

(4) انظر تلخيصاً موجزاً وافياً بالمقصود لمعنى الآية وسبب نزولها في معاني الفراء، ج 2 ص 348 - 349.

﴿ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾ وكذلك الرضاع بمنزلة الذي ذكر ممن يدخل على أزواج النبي عليه السلام في الحجاب. قال: ﴿ وَاتَّقِينَ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً ﴾ أي: شاهد لكل شيء وشاهداً على كل شيء.

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي ﴾ [يعني أن الله يغفر للنبي ﷺ وتستغفر له الملائكة][1]. ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾ [يعني استغفروا له][1] ﴿ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾.

ذكروا عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قال: جاءني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال رجل: يا رسول الله، هذا السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد[2] كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. [اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد][3].

ذكروا عن أنس بن مالك عن أبي طلحة قال: دفعت ذات يوم إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي ما أدري متى ما رأيتك أطيب نفساً ولا أشرق وجهاً ولا أحسن بشراً منك الآن. قال: وما يمنعني يا أبا طلحة، وإنما صدر جبريل من عندي الآن، فبشرني بما أعطيت أمتي، فقال: يا محمد، من صلى عليك صلاة كتب الله بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورد الله عليه مثل الذي صلّى به عليك[4].

---

(1) زيادة من سح، ورقة 134، ومن ز، ورقة 273.

(2) في ع: «وعلى من صلح من آل محمد» ولا شك أن اللفظة من زيادة بعض النساخ، ونعوذ بالله من الجهل.

(3) سقطت هذه الجمل الأخيرة من ب، فأثبتها كما وردت في سح و ز. والحديث صحيح أخرجه أصحاب السنن، أخرجه البخاري مثلاً في كتاب التفسير، سورة الأحزاب، باب إن الله وملائكته يصلون على النبي.

(4) ورد هذا الحديث ناقصاًمضطرباً في ع و ب فأثبته بتمامه من سح. والحديث صحيح أخرجه ابن=

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: إن ملكاً موكل بالعبد، فإذا قال العبد صلى الله على محمد قال الملك: وأنت فصلى الله عليك.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: أكثروا عليّ الصلاة يوم الجمعة[1].

ذكروا عن النبي ﷺ أنه قيل له: يا رسول الله كيف تبلغك صلاتنا إذا تضمنتك الأرض؟ قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل من أجساد الأنبياء شيئاً[2].

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً ﴾. هؤلاء المنافقون كانوا يؤذون رسول الله ويستخفّون بحقه، ويرفعون أصواتهم عنده استخفافاً ويكذبون عليه ويبهتونه.

قال: ﴿ وَالذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴾ أي: بغير ما جنوا، هم المنافقون ﴿ فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَـٰناً ﴾ أي: كذباً ﴿ وَإِثْماً مُّبِيناً ﴾ أي: بَيِّناً.

ذكروا عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فنادى بصوت أسمع العواتق في الخدور: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه، ألا لا تؤذوا المؤمنين ولا تعيبوهم ولا تتّبعوا عوراتهم، فإنه من تتَبَّعَ عورة أخيه المسلم يُظهر الله عورتَه فيفضحه في ملائه[3].

= سلام بسند يرفعه، وذكره السيوطي في الدر المنثور، ج 5 ص 218 بسند عن مجاهد عن أبي طلحة، ورواه أحمد أيضاً في مسنده من طريق إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبي طلحة الأنصاري.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي مسعود الأنصاري، وأخرجه البيهقي في السنن عن أنس، وفيه زيادة: «فمن صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشراً».

(2) أخرجه الإمام أحمد وأبو نعيم عن أوس بن أبي أوس الثقفي.

(3) حديث صحيح أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الغيبة (رقم 4880) عن أبي برزة الأسلمي وأخرجه الترمذي عن ابن عمر. وأخرجه ابن سلام عن النضر بن بلال عن أبان بن أبي عياش عن أنس بن مالك. . . وفي آخره: «ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»، كما في سح ورقة 136، وفي ز ورقة 274.

ذكروا عن الحسن قال: بلغنا أنه من استحمد إلى الناس في الدنيا بشيء لم يستحمد فيه إلى الله نادى مناد يوم القيامة: ألا إن فلاناً قد استحمد إلى الناس بشيء لم يستحمد فيه إلى الله. ومن استذَمَّ إلى الناس في الدنيا بشيء لم يستذم فيه إلى الله نادى مناد يوم القيامة: ألا إن فلاناً قد استذم إلى الناس في الدنيا بشيء لم يستذم فيه إلى الله.

قوله عز وجل: ﴿يَـٰأَيُّهَا النَّبِي قُل لِأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُومِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾. والجلباب: الرّداء تقَنَّعُ به وتغطّى به شِقّ وجهها الأيمن، تغطّي عينها اليمنى وأنفها[1]. ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ﴾ أي: أجدر. ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ أنهن حرائر مسلمات عفيفات ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ أي: فلا يعرض لهن أحد بالأذى. وكان المنافقون هم الذين كانوا يتعرّضون النساء.

قال الكلبي: كانوا يلتمسون الإماء، ولم تكن تعرف الحرة من الأمة بالليل، فتلقي نساء المؤمنين منهم أذى شديداً. فذكرن ذلك لأزواجهن، فرفع ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت هذه الآية.

وقال الحسن: كان أكثر من يصيب الحدود يومئذ المنافقون.

[ذكروا عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب رأى أمة عليها قناع فعلاها بالدّرّة وقال: اكشفي رأسك ولا تتشبّهي بالحرائر][2]. قال الله: ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾.

ثم قال: ﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَـٰفِقُونَ وَالذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني الزنى[3]

(1) قال الزمخشري في الكشاف، ج 3 ص 559: «الجلباب ثوب واسع، أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل». وقيل: الجلباب هو ما تغطي به المرأة الثياب من فوق كالملحفة.

(2) زيادة من سح ورقة 137، ومن ز ورقة 274.

(3) كذا في ب و ع و سح: «الزنا» ولعل صوابه: «الزناة» وصفاً للذين لا للمرض.

﴿ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ يعني المنافقون، يرجفون بالنبي وأصحابه؛ يقولون: يهلك محمد وأصحابه. وقال الكلبي: (لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ) أي: لئن لم ينتهوا عن أذى نساء المؤمنين[1]. ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ أي: لنسلطنَّك عليهم ﴿ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا ﴾ أي: في المدينة ﴿ إِلَّا قَلِيلاً مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴾.

قال: ﴿ سُنَّةَ اللهِ فِي الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: كذلك كانت سنة الله في منافقي كل أمة إذا أظهروا نفاقهم. وهذا إذا أمر النبي بالجهاد.

وقال بعضهم: (سُنَّةَ اللهِ فِي الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) أي: من قبل قتل المنافقين، أي: إن أظهروا نفاقهم وباينوا به، وكذلك سنته في منافقي أمتك كسنته في منافقي الأمم التي مضت قبلك. ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾ أي: لا تبديل لسنته في الأولين والآخرين.

قوله: ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ ﴾ أي: علم مجيئها عند الله، أي: لا يعلم مجيئها إلا الله ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً ﴾[2] أي: إنها قريب.

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً خَـٰلِدِينَ فِيهَا أَبَداً ﴾ أي: لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّاً ﴾ أي: يمنعهم من العذاب ﴿ وَلَا نَصِيراً ﴾ أي: ينصرهم.

قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ أي: يُجَرّون على وجوههم،

---

(1) أورد الفراء في المعاني، ج 2 ص 349 قولاً في المرجفين هذا نصه: «المرجفون كانوا من المسلمين. وكان المؤلفة قلوبهم يرجفون بأهل الصفة. كانوا يشنعون على أهل الصفة أنهم هم الذين يتناولون النساء لأنهم عزاب».

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 141: «(لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً) مجازه مجاز الظرف ها هنا ولو كان وصفاً للساعة لكان قريبة. وإذا كان ظرفاً فإن لفظها في الواحد والاثنين والجميع من المذكر والمؤنث واحد بغير الهاء، وبغير تثنية وبغير جمع».

تجرّهم الملائكة ﴿ يَقُولُونَ ﴾ أي: في النار ﴿يَـٰلَيْتَنَـا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ ﴾ وإنما صارت (الرَّسُولاَ) و (السَّبِيلاَ) لأنها مخاطبة[1]. وهذا جائز في كلام العرب إذا كانت مخاطبة.

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا ﴾ وهي تقرأ على وجه آخر: (سَادَاتِنَا) والسادة جماعة واحدة، والسادات جماعة الجماعة. (وَكُبَرَاءَنَا) أي: في الضلالة ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ ﴾.

﴿ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَثِيراً ﴾. وكل شيء في القرآن يذكر فيه شيء من كلام أهل النار فهو قبل أن يقول الله لهم: (اِخْسَأُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108]. وقد فسّرنا متى يقال لهم ذلك في غير هذا الموضع[2].

قوله تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالذِينَ ءَاذَوْا مُوسَـىٰ فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً ﴾.

ذكروا عن أنس بن مالك أنه قال: كانت بنو إسرائيل تقول: إن النبي موسى كان آدر[3]. قال: وكان موسى إذا دخل الماء ليغتسل وضع ثوبه على صخرة. قال: فدخل يوماً الماء فوضع ثوبه على صخرة فتدهدهت[4]، فخرج يتبعها ويقول: ثوبي، ثوبي. فمر بملأ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً فبرأه الله مما قالوا[5].

(1) كذا في المخطوطات الأربع: «مخاطبة». ولم أجد هذه الكلمة فيما بين يدي من كتب التفسير واللغة. والمراد هو ما ذكره المفسرون في تعليل مد الحرف الأخير من (السبيلا) و (الرسولا) وغيرهما: «إن زيادة الألف لإطلاق الصوت؛ جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر. وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعد مستأنف». انظر الزمخشري، الكشاف، ج 3 ص 562.

(2) انظر ما سلف في هذا الجزء، ص 151 - 152.

(3) أي: منتفخ الخصيتين.

(4) يقال: دهدهت الحجر فتدهده، أي: دحرجته فتدحرج.

(5) هذا معنى حديث رواه البخاري في كتاب الاغتسال، باب من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً ﴾ أي: بالرسالة والطاعة. وقد قال بعض أهل التأويل في قوله: ﴿ آذَوْا مُوسَىٰ ﴾ إنما آذوه بالتكذيب والجحود لما جاء به. وهذا أحب الأقاويل إلى الفقهاء[1].

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ أي: عدلاً، وهو لا إله إلا الله ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ أي: لا يقبل العمل إلا ممن قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه، ولا يقبل القول إلا ممن عمل صالحاً، أي: لا يقبل ممن ينقص الإيمان، لأن الإيمان قول وعمل.

قال: ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي: بالقول والعمل ﴿ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ وهي النجاة العظيمة من النار إلى الجنة.

قوله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾. قال بعضهم: عرض عليهن الطاعة والمعصية، والثواب والعقاب.

وقال الكلبي: إنه عرض العبادة على السموات والأرض والجبال ليأخذنها بما فيها. قلن: وما فيها؟ قيل: إن أحسنتن جوزيتن، وإن أسأتن عوقبتن. فأبين أن يحملنها، وعرضها على الإنسان، والإنسان آدم، فقبلها.

ذكر إبراهيم بن محمد عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس قال: الأمانة التي حملها ابن آدم: الصلاة والصوم والغسل من الجنابة.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله: ثلاث من حفظهن فهو عبدي حقاً، ومن ضيعهن فهو عدوي حقاً: الصلاة والصوم والغسل من الجنابة .

ذكروا عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: ائتمن ابن آدم على ثلاثة: على الصلاة، ولو شاء قال: صليت [ولم يصل]، وعلى الصيام، ولو شاء قال: صمت

(1) وصدقوا، وهو الصواب إن شاء الله.

(2) أخرجه ابن سلام مرسلاً بهذا السند: «وحدثني أبو الأشهب والمبارك والحسن بن دينار عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ. . .».

[ولم يصم]، وعلى الغسل من الجنابة، ولو شاء قال: قد اغتسلت [ولم يغتسل][1] قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ [الطارق: 9].

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً ﴾ أي: لنفسه ﴿ جَهُولاً ﴾ بدينه؛ وهذا المشرك.

قوله: ﴿ لِّيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَـٰفِقِينَ وَالْمُنَـٰفِقَـٰتِ ﴾ أهل الإقرار بالله والنبي من أهل التضييع للأعمال والخيانة للأمانة، وهي الدين. ﴿ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَـٰتِ ﴾ أهل المساواة والإنكار والجحود.

ذكروا عن الحسن أنه قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ... ﴾ إلى قوله: ﴿ وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً لِّيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ﴾ فقال: هما والله اللذان ظلماها، وهما اللذان خاناها: المنافق والمشرك.

قال تعالى: ﴿ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُومِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ أهل الصدق والوفاء في الأعمال. ﴿ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً ﴾ أي: لمن تاب إليه من شركه ونفاقه ﴿ رَّحِيماً ﴾ أي: بالمؤمنين؛ فبرحمته يدخلهم الجنة.

---

(1) ما بين المعقوفين زيادة من سح، ورقة 139. والحديث أخرجه ابن سلام هكذا: «وحدثني خالد وعثمان عن زيد بن أسلم... وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد عن زيد بن أسلم مرسلاً كما في الدر المنثور، ج 5 ص 255. وانظر تفسير القرطبي، ج 14 ص 253 - 254.

تفسير سورة سبأ
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ الْحَمْدُ للهِ ﴾ حمد نفسه، وهو أهل الحمد. ﴿ الذِي لَهُ مَا فِي السَّمَـٰوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الأخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ أي: في أمره، أحكم كل شيء ﴿ الخَبِيرُ ﴾ بخلقه.

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ ﴾ أي: ما يدخل ﴿ فِي الأَرْضِ ﴾ من المطر ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ أي: من النبات ﴿ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ أي: من المطر وغير ذلك ﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ أي: وما يصعد فيها، أي: ما تصعد به الملائكة ﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ ﴾ أي: بخلقه ﴿ الغَفُورُ ﴾ أي: لمن تاب وآمن.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأْتِينَـا السَّاعَةُ ﴾ أي: القيامة. ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمُ الْغَيْبِ ﴾ من قرأها بالرفع رجع إلى قوله: وهو الرحيم الغفور عالمُ الغيب. ومن قرأها بالجر (عَالِمِ الغَيْبِ) فهو يقول: قل بلى وربي عالم الغيب. وفيها تقديم. وهي تقرأ على وجه آخر: علّام الغيب، وإنما هو كقولك فاعل وفعّال. والغيب، في تفسير الحسن في هذا الموضع: ما لم يكن. قال: لتأتينّكم الساعة.

قال: ﴿ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ أي: وزن ذرة، أي: لا يغيب عنه علم ذلك، أي: ليعلم ابن آدم أن عمله الذي عليه الثواب والعقاب لا يغيب عن الله منه مثقال ذرة. ﴿ فِي السَّمَـٰوٰتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ وقد فسّرنا ذلك في حديث ابن عباس: إن أول ما خلق الله القلم فقال:

اكتب. قال: ربّ، وما أكتب؟ قال: ما هو كائن، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة. فأعمال العباد تعرض كل يوم اثنين وخميس، فيجدونه على ما في الكتاب الأول[1].

قال: ﴿ لِيَجْزِيَ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ أي: ليجزيهم الجنة ﴿ أُولَـٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ أي: لذنوبهم ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.

قال: ﴿ وَالذِينَ سَعَوْا ﴾ أي: عملوا ﴿ فِي ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ﴾ تفسير الحسن: يظنون أنهم يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنبعثهم فنعذبهم كقوله: (وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ) [العنكبوت: 39].

وتفسير الكلبي: (مُعَاجِزِينَ) مبطئين، أي: يثبطون الناس عن الإيمان ولا يؤمنون بها.

قال: ﴿ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ ﴾ والرجز: العذاب ﴿ أَلِيمٍ ﴾ أي: موجع. أي: لهم عذاب من عذاب موجع.

قوله: ﴿ وَيَرَى الذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ يعني المؤمنين ﴿ الذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ ﴾ أي: يعلمون أنه هو الحق ﴿ وَيَهْدِي ﴾ أي: ويعلمون أن القرآن يهدي ﴿ إِلَىٰ صِـرَٰطِ ﴾ أي: إلى طريق ﴿ العَزِيزِ﴾ الذي ذل له كل شيء ﴿ الحَمِيدِ ﴾ المستحمد إلى خلقه، أي: استوجب عليهم أن يحمدوه. والطريق إلى الجنة.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ يقوله بعضهم لبعض ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ ﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿ يُنَبِّئُكُمْ ﴾ أي: يخبركم ﴿ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ أي: إذا متم وتفرقت عظامكم وكانت رفاتاً إنكم مبعوثون خلقاً جديداً، إنكاراً للبعث.

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن، وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس مرفوعاً مختصراً، وأخرجه الترمذي بلفظ مختلف، عن عبادة بن الصامت.

﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾[1] أي: جنون. قال الله: ﴿ بَلِ الذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالأخِرَةِ فِي الْعَذَابِ ﴾ أي: في الآخرة ﴿ وَالضَّلْلِ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ الْبَعِيدِ ﴾ الذي لا يصيبون منه خيراً في الدنيا ولا في الآخرة. وقال بعضهم: البعيد من الهدى. وقال بعضهم: (الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ) أي: الشقاء الطويل.

قال الله: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي: حيثما قام الإنسان فإن بين يديه من السماء والأرض مثل ما خلفه منها[2]. ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ والكسف: القطعة. والكسف مذكر؛ والقطعة مؤنثة، والمعنى على القطعة. قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لأيَةً﴾ أي: لعبرة ﴿ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾. وهو المقبل إلى الله بالإخلاص له.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً ﴾ يعني النبوة ﴿يَـٰجِبَـالُ أَوِّبِي مَعَهُ ﴾ أي: سبّحي معه[3] ﴿ وَالطَّيْرَ ﴾. وهو قوله: (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ) [الأنبياء: 79].

قال: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ ألانه الله له، فكان يعمل بلا نار ولا مطرقة بأصابعه الثلاث كهيئة الطين بيده ﴿ أَنِ اعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ﴾ وهي الدروع ﴿ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾

---

(1) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 254: «(أَفْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً) هذه الألف استفهام، فهي مقطوعة في القطع والوصل».

(2) كذا في ب و ع وفي سح ورقة 141، وعبارة الفراء في المعاني، ج 2 ص 254 أبلغ وأكثر وضوحاً؛ قال: «يقول: أما يعلمون أنهم حيثما كانوا، فهم يرون بين أيديهم من الأرض والسماء مثل الذي خلفهم، وأنهم لا يخرجون منهم، فكيف يأمنون أن نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم من السماء عذاباً».

(3) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 353: «(يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ) أي: سبّحي. وأصله: التأويب في السير، وهو: أن تسير النهار كله وتنزل ليلاً... كأنه أراد أوبي النهار كله بالتسبيح إلى الليل». وقال الفراء، ج 2 ص 355: وقرأ بعضهم: (أُوبِي معه) من آب يؤوب، أي: «تَصَرَّفِي مَعَهُ». وقال الزمخشري في الكشاف، ج 3، ص 571 مفسِّراً هذه القراءة الأخيرة: «أي: ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه».

أي: لا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فتنقسم الحلقة، ولا تعظّم الحلقة وتصغّر المسمار فينكسر المسمار[1].

وبلغنا أن لقمان حضر داوود عند أول درع عملها، فجعل يتفكر فيما يريد بها ولا يدري ما يريد بها. فلم يسأله؛ حتى إذا فرغ منها داوود قام فلبسها فقال لقمان: الصمت حكمة، وقليل فاعله.

قال: ﴿ وَاعْمَلُوا صَـٰلِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي: لا يغيب عن الله من أعمالهم شيء.

قوله: ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ الرِّيحَ ﴾ أي: وسخرنا لسليمان الريح ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾. ذكر الحسن أنه كان يغدو من بيت المقدس فيقيل بإصطخر، فيروح منها فتكون روحته إلى كابل.

وفي تفسير عمرو عن الحسن قال: كان سليمان إذا أراد أن يركب جاءته الريح وجلس على سريره، وجلس وجوه الناس من أصحابه على منازلهم في الدين عنده من الجن والإنس. والجن يومئذ ظاهرة للإنس، رجال أمثال الإنس إلا أنهم أدم[2]، يحجون جميعاً ويعتمرون جميعاً ويصلون جميعاً، والطير ترفرف على رأسه ورؤوسهم، والشياطين حرسة[3]، لا يتركون أحداً يتقدم بين يديه. وهو قوله: (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) [النمل: 17] أي: فهم

(1) كذا في ب و ع، وفي سح ورقة 141 و ز ورقة 275: «لا تصغِّر المسمار وتعظم الحلقة فيسلس، ولا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فتفصم الحلقة». وقال الفراء، ج 2 ص 351: «لا تجعل مسمار الدرع دقيقاً فيقلق ولا غليظاً فيفصم الحلق».

(2) كذا في سح: «أدم»، وفي ع: «إلا أن بهم أدومة»، وصوابها: «أدمة». والأدمة في الناس سمرة يشوبها سواد، وفي الإبل والظباء بياض.

(3) كذا في ع وسح و ز: حَرَسَةٌ، جمع حارس، ولم أجد هذا الجمع في اللسان ولا في الصحاح، وورد في بعض المعاجم قياساً لا سماعاً، فكثيراً ما يجمع فاعِل على فَعَلة. وقد ورد في القرآن منه مثل: (بَرَزة)، (كَفَرَة)، (فَجَرَة)؛ ولو أسقطت النقطتان من الهاء في آخر الكلمة، فكان اللفظ: «حَرَسُهُ» لكان صواباً.

يدفعون، أي: لا يتقدمه منهم أحد. وقال بعضهم: وزعهم، أي: يرد أولهم على آخرهم، وهو واحد.

قوله: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ يعني الصفر[1]، سالت له مثل الماء. قال: ﴿ وَمِنَ الجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ أي: بأمر ربه، أي: بالسخرة التي سخرها الله تعالى له. قال: ﴿ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا ﴾ أي: عن طاعة الله وعبادته ﴿ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ أي: في الآخرة. ولم يكن يسخّر منهم ويستعمل في هذه الأعمال كلّها ولا يُصفّد في الأصفاد، أي: ولا يسلسل في السلاسل منهم، إلا الكفّار. فإذا تابوا وآمنوا حلّهم من تلك الأصفاد.

وقال بعضهم: (نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) أي: جعل معه ملك بيده سوط من عذاب السعير، فإذا خالف سليمانَ منهم أحدٌ ضربه الملك بذلك السوط.

قال: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ ﴾ والمحاريب في تفسير الحسن المساجد، وفي تفسير مجاهد: [بنيان دون][2] القصور. وفي تفسير الكلبي: المساجد والقصور. (وَتَماثِيلَ)، وهي الصور. وفي تفسير الحسن: إنها لم تكن يومئذ محرّمة. وتفسير مجاهد: إنها تماثيل من نحاس.

قال: ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ ﴾ أي: كالحياض[3] في تفسير الحسن. ﴿ وَقُدُورٍ رَّسِيَـٰتٍ ﴾ أي: ثابتات في الأرض عظام تنقر من الجبال بأثافيها فلا تحول عن أماكنها.

ذكروا أن سليمان أمر ببناء بيت المقدس فقالوا له: زوبعة الشيطان له عين في جزيرة في البحر يردها في كل سبعة أيام يوماً. فأتوها فنزحوها، ثم صبّوا فيها خمراً. فجاء لورده، فلما أبصر الخمر قال في كلام له: ما علمت أنك إذا شربك صاحبك

(1) الصفر: هو النحاس الجيّد.
(2) زيادة من تفسير مجاهد، ص 524، ومن الدر المنثور، ج 5 ص 228.
(3) أصل الجابية: الحوض الذي يجبى، أي: يجمع فيه الماء للإبل.

يظهر عليه عدوُّه، في أساجيع له؛ لا أذوقك اليوم، فذهب. ثم رجع لِظِمْءٍ آخر، فلما رآها كما كانت قال كما قال أول مرة. ثم ذهب فلم يشرب، حتى جاء لظمء آخر لإحدى وعشرين ليلة، فقال: ما علمت إنك لتُذهِبين الهَمَّ، في سجع له، فشرب منها فسكر. فجاءوا إليه فأروه خاتم السُّخرة. فانطلق معهم إلى سليمان، فأمرهم بالبناء فقال زوبعة: دُلوني على بيض الهدهد. فدُلَّ على عُشّه. فانطلق فجاء بالماس الذي يثقب به الياقوت، فوضعه عليه فقَطَّ الزجاجة نصفين، ثم انطلق ليأخذه فأزعجوه، فجاءوا بالماس إلى سليمان، فجعلوا يستعرضون الجبال العظيمة كأنما يخطون في نواحيها، أي: في نواحي الجبال، في طين.

قال تعالى: ﴿اِعْمَلُوا ءَالَ دَاوُودَ شُكْراً﴾ أي: إيماناً[1]. قال بعضهم: لما نزلت لم يزل إنسان منهم قائماً يصلّي.

قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ أي: أقل الناس المؤمن.

قال: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ أي: فلما أنزلنا عليه الموت ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرْضِ﴾ وهي الأرضة ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ والمنساة: العصا، وهي بالحبشية[2].

قال بعضهم: مكث سليمان حولاً وهو متكىء على عصاه، لا يرى الإنس والجن إلا أنه حي على حاله الأولى لتعظم الآية، بمنزلة ما أذهب الله من علمهم تلك الأربعين الليلة التي غاب فيها سليمان عن ملكه حيث خلفه ذلك الشيطان في ملكه. فكان موته فجأة وهو متكىء على عصاه حولاً لا يعلمون أنه مات. وذلك أن الشياطين كانت تزعم للإنس أنهم يعلمون الغيب فكانوا يعملون له حولاً لا يعلمون أنه مات.

---

(1) كذا في ب و ع: «إيماناً»، وفي سح و ز: «أي: توحيداً».

(2) ذكر الطبري عن السدي أن أصل الكلمة حبشي، والحق أن الكلمة عربية صريحة مشتقة من نسأت الغنم أي: سقته. قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 356: «وهي العصا العظيمة التي تكون مع الراعي، أخذت من نسأت البعير، زجرته ليزداد سيره». وانظر مجاز أبي عبيدة، ج 2 ص 145، تجد تحقيقاً وافياً للكلمة وشواهد عليها.

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا خَرَّ ﴾ سليمان ﴿ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ ﴾ للإنس ﴿ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينَ ﴾ [في تلك السخرة، في تلك الأعمال في السلاسل، تبيّن للإنس أن الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين][1] أي: العذاب الذي لهم فيه الهوان.

قوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ ءَايَةٌ ﴾ كانوا باليمن. وفي تفسير الحسن وغيره: هي أرض. وقال الحسن: لقد تبيّن لأهل سبأ كقوله: (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ) [يوسف: 82] أي: أهل القرية.

ذكروا عن علقمة أنه سمع ابن عباس يقول: سئل رسول الله ﷺ عن سبأ، أرض هي أم امرأة أم رجل فقال: بل هو رجل ولد عشرة فباليمن منهم ستة، وبالشام أربعة. فأما اليمانيون فمذحج وحمير وكندة وأنمار والأزد والأشعريون. وأما الشاميون فلخم وجذام وعاملة وغسان[2].

قال: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِم ءَايَةٌ) ثم أخبر بتلك الآية فقال: ﴿ جَنَّتَانِ ﴾. وتفسير الحسن: أن فيها تقديماً. وتقديمها: لقد كان لسبأ في مساكنهم جنتان، فوصفهما، ثم قال: آية. قوله: ﴿ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ أي: جنة عن يمين، وجنة عن شمال.

قال: ﴿ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ أي: هذه بلدة طيبة ﴿ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ أي: لمن تاب وآمن وعمل.

قوله: ﴿ فَأَعْرَضُوا ﴾ عما جاءت به الرسل ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ قال بعضهم: العرم: المسنّاة، يعني الجسر الذي يحبس به الماء؛ وكان سداً قد جعل في

(1) ما بين المعقوفين زيادة من سح، ورقة 144 للإيضاح.

(2) أخرجه أحمد وعبد بن حميد والطبراني، وابن أبي حاتم وابن عدي والحاكم وصححه عن ابن عباس كما في الدر المنثور، ج 5 ص 231. وأخرجه الطبري في تفسيره، ج 22 ص 77 عن فروة ابن مسيك. وقال عنه ابن عبد البر في الاستيعاب، ج 3 ص 1261: «حديثه في سبأ حديث حسن».

موضع من الوادي تجتمع فيه المياه[1]. وذكروا أنه إنما نقبه دابة يقال له الخُلد، ليس له عينان وله نابان يحفر بهما الأرض.

وفي تفسير مجاهد: إن ذلك السيل الذي أرسله الله عليهم من العرم كان ماء أحمر أتى الله به من حيث شاء. وهو الذي شق السد وهدمه، وحفر بطن الوادي عن الجنتين[2] فارتفعتا، وغار عنهما الماء فيبستا[3].

وقال بعضهم: إنهم كان لهم واد يجتمع فيه الماء كل عام يسقي جناتهم وأرضهم؛ فبعث الله عليهم دابة يقال لها الجرذ، فحفر السد، فسال الماء فغرّق جناتهم وأرضيهم.

قوله: ﴿ وَبَدَّلْنَـٰهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُـلٍ ﴾ أي: ثمرة ﴿ خَمْطٍ ﴾ الخمط: الأراك، وأكله البرير. ﴿ وَأَثْلٍ[4] وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾.

قال: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴾ أي: وهل يعاقب إلا الكفور. وهو مقرأ أهل الكوفة: أي: إنهم لما أعرضوا عما جاءت به الرسل ابتلاهم الله فغيَّر ما بهم، ثم أهلكهم بعد ذلك.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 146: «(سيل العرم) واحدها عرمة، وهو بناء مثل المشار يحبس به الماء ببناء فيشرف به على الماء في وسط الأرض، ويترك فيه سبيل للسفينة، فتلك العرمات، واحدتها عرمة، والمشار بلسان العجم...».

(2) كذا جاءت العبارة في ز، ورقة 276، وهي أصح، وفي ب و ع و سح: «وحفر بطن الوادي عن الجسر».

(3) «وقوله: (سَيْلَ العرِم) كانت مسنّاة كانت تحبس الماء على ثلاثة أبواب منها، فيسقون من ذلك الماء من الباب الأول، ثم الثاني ثم الآخر، فلا ينفد حتى يثوبَ الماء من السنة المقبلة، وكانوا أنعم قوم عيشاً. فلما أعرضوا وجحدوا الرسل بثق الله عليهم المسنّاة، فغرَقت أرضهم ودفن بيوتَهم الرملُ، ومُزِّقُوا كلَّ ممزَّق، حتى صاروا مثلاً عند العرب، والعرب تقول: تفرَّقوا أيادي سبَا وأيدي سبَا». انظر معاني الفراء، ج 2 ص 358.

(4) قال الفراء: «وأما الأثل فهو الذي يعرف، شبيه بالطرفاء إلا أنه أعظم طولاً».

قال: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ رجع إلى قصة ما كانوا فيه من حسن عيشهم قبل أن يهلكهم فقال: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ) أي: كنا جعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها، يعني الشام ﴿ قُرًى ظَاهِرَةً ﴾ أي: متَّصلة ينظر بعضها إلى بعض ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ﴾ أي: يصبحون في منزل وقرية وماء ويمسون في منزل وقرية وماء، في تفسير الحسن. وتفسير الكلبي: (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ)، يعني المقيل والمبيت.

﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ ﴾ كانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرّك بعضهم بعضاً، ولو لقي الرجل قاتل أبيه لم يحرّكه، وكانت المرأة تمشي ومكتلها على رأسها، وهي تغزل بيدها، وإن مكتلها ليمتلىء من الثّمار من غير أن تجنيها[1].

قال: ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ تفسير الحسن: أنهم ملُّوا النعمة كما ملَّتْ بنو إسرائيل المنَّ والسَّلْوىٰ.

وتفسير الكلبي: إنهم قالوا لرسلهم حين ابتلوا، أي: حين كذبوهم: كنا نأبى عليكم[2] وأرضنا عامرة خير أرض، فكيف اليوم وأرضنا خراب.

وبعضهم يقرأها: ربنا (باعِد)، وبعضهم يقرأها: (بَعِّدْ)، وبعضهم: (بَعُدَ) قال الله: ﴿ وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ أي: بشركهم ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ [أي: لمن بعدهم][3] ﴿ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ أي: بددنا عظامهم وأوصالهم فأكلهم التراب. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ أي: في إهلاك القرية ومن فيها ﴿ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ ﴾ أي: على أمر الله ﴿ شَكُورٍ ﴾ لنعمة الله، وهو المؤمن.

---

(1) في ب وع: «من غير أن تجنيه»، والصواب ما أثبته. وفي سح: «وإن مكتلها على رأسها فيمتلىء من الثمار وما تعالج منه شيئاً».

(2) كذا في ب وع: «نأبى عليكم»، وفي سح، نأتي عليكم، وما أثبته أصح.

(3) زيادة من سح، ورقة 146، ومن ز ورقة 277.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾ يعني جميع المشركين ﴿ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُومِنِينَ ﴾ وذلك أنه كان يطيف بجسد آدم قبل أن ينفخ فيه الروح، فلما رآه أجوف عرف أنه لا يتمالك، ثم وسوس بعد لآدم فأكل من الشجرة، فقال في نفسه: إن نسل هذا سيكونون مثله في الضعف فلذلك قال: (لَأَحتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) [الإسراء: 62]. وقال: (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة ص: 82] وقال: (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: 17]، وأشباه ذلك.

وبعضهم يقول: إن إبليس قال: خلقت من نار وخلق آدم من طين، والنار تأكل الطين، فلذلك ظن أنه سيضل عامتهم.

وكان الحسن يقرأ هذا الحرف: (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) يقول: لقد صدّق عليهم ظنّ إبليس، فيها تقديم، ثم قال: ظَنٌّ ظَنَّهُ، ولم يقل ذلك بعلم، يقول: فصدَّق ظنَّه فيهم. ومجاهد يقرأها: (وَلَقَدْ صُدِّقَ عَلَيْهِم إبليسُ ظَنُّه). يقول: صُدِّقَ إِبْلِيس ظنُّه فيهم حيث جاء أمرهم على ما ظنَّ[1].

قال: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّنْ سُلْطَـٰنٍ ﴾ كقوله: (فَإِنَّكُمْ) يا بني إبليس (وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) أي: ليس له عليكم سلطان (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) [الصافات: 161 - 163]. أي: لستم بمضلي أحد إلا من هو صال الجحيم. قال: ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤمِنَ بِالآخِرَةِ ﴾ وهذا علم الفعال. ﴿ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا ﴾ أي: من الآخرة ﴿ فِي شَكٍّ ﴾ منها. وإنما جحد المشركون الآخرة ظناً منهم، وذلك منهم على الشك. قال: ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ أي: حتى يجازيهم في الآخرة.

قوله: ﴿ قُلِ ادْعُوا الذِين زَعَمْتُم مِّنْ دُونِ اللهِ ﴾ يعني أوثانهم، أي: زعمتم أنهم

(1) جاء بعض الاضطراب في ب وع، فأثبت ما بدا لي أولى بالصواب من سح. انظر بعض أوجه القراءات في تفسير الطبري، ج 22 ص 87، وفي تفسير القرطبي، ج 14 ص 292، وفي معاني الفراء، ج 2 ص 360، وانظر ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 311.

آلهة ﴿ لَا يَمْلِكُونَ ﴾ أي: لا تملك تلك الآلهة ﴿ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ أي: وزن ذرة ﴿ فِي السَّمَٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا ﴾ أي: في السموات والأرض ﴿ مِنْ شِرْكٍ ﴾ ﴿ وَمَا لَهُ ﴾ أي: لله ﴿ مِنْهُم ﴾ أي: من أوثانهم ﴿ مِّنْ ظَهِيرٍ ﴾ أي: من عوين.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَٰعَةُ عِنْدَهُ ﴾ أي: عند الله ﴿ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ أي: لا يشفع الشافعون، إلا للمؤمنين، أي: تشفع الملائكة والنبيُّون، والمؤمنون، ليس يعني أنهم يشفعون للمشركين فلا يشفَّعون.

[وحديث الحسن بن دينار عن الحسن قال: أهل الكبائر لا شفاعة لهم][1]. قال: (لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ) [الأنبياء: 28] وقال في آية أخرى: (وَلَا يَمْلِكُ الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [الزخرف: 86] أي: شهد بلا إلَه إلا الله وهم يعلمون، أي: وقلوبهم مخلصة بشهادة ألا إلَه إلا الله، يعلمون أنها الحق ويعملون بما يعلمون[2]، وليس الشفاعة لهم من معنى قد وجب عليهم، فلا، لا، إلا لتخفيف بعض أهوال الموقف. قال: (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) [المدثر: 48] من الملائكة والنبيين، أي: إن المنافقين لا يشفعون لهم، إنما يشفعون لمن ارتضى الله لهم، وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾. قال بعضهم: إن أهل السماوات لم يسمعوا الوحي فيما بين عيسى وبين محمد إلى أن بعث محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء. فلما بعث الله جبريلَ إلى محمد بالوحي سمع أهل السماوات الوحي كجرّ السلاسل على الصخور، فصعق أهل السماوات مخافة أن تقوم الساعة. فلما فرغ من الوحي وانحدر جبريل جعل كلما مرّ

(1) زيادة من سح، ورقة 147.

(2) هذه الجملة الأخيرة: «ويعملون بما يعلمون» زيادة من الشيخ هود بن محكم ليؤكد بها مبدأً من مبادئه، ولينفي كل شبهة من شبه الأرجاء التي قد تفهم من عبارة ابن سلام. وكذلك الجملة التي تأتي بعدها إلى قوله: «لتخفيف بعض أهوال الموقف».

بأهل سماء فزِّع عن قلوبهم، أي: جلِّيَ عن قلوبهم[1]. وقالوا: ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ فيقولون: الحق من عند الحق، يعنون الوحي، ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ ﴾ أي: لا أعلى منه ﴿ الكَبِيرُ ﴾ أي: فلا أكبر منه.

ذكروا عن كعب قال: إن أقرب الملائكة إلى الله إسرافيل. فإذا أراد الله أمراً أن يوحيه جاء اللوح حتى يصفق جبهة إسرافيل، فيرفع رأسه وينظر، فإذا الأمر مكتوب، فينادي جبريل، فيأتيه فيقول: أمرت بكذا، أمرت بكذا. فلا يهبط جبريل من سماء إلى سماء إلا فزع أهله مخافة الساعة، حتى يقول جبريل: الحق من عند الحق، فيهبط على النبي ﷺ فيوحيه إليه.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَّرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ يقول للنبي ﷺ: قل للمشركين. ثم قال: ﴿ قُلِ اللهُ وَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [أي: إن الفريقين نحن وأنتم لعلى هدى أو في ضلال مبين][2] وهي كلمة مقولة عربية. هي كقول الرجل لصاحبه: إن أحدنا لصادق، يعني نفسه، وكقوله: إنَّ أحدنا لكاذب، يعني صاحبه[3]، وكان هذا بمكة وأمر المسلمين يومئذ ضعيف.

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ هو كقوله: ﴿ قُلِ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ [هود: 35] وكقوله: ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: 41].

قوله: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴾ أي:

---

(1) جاء في معاني الفراء، ج2 ص 361 ما يلي: «وقراءة مجاهد: (حتى إذا فَزَّع) يجعل الفعل لله، وأما قراءة الحسن فمعناه: حتى إذا كُشِف الفزع عن قلوبهم وفُرِّغت منه».

(2) زيادة من سح ورقة 148.

(3) اقرأ ما قاله أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 148، إذ يجعل (أَوْ) في هذه الآية بمعنى «واو الموالاة». ثم اقرأ ما قاله الفراء في المعاني، ج 2 ص 362، وكأنه يرد على أبي عبيدة في تأويله هذا، ثم يفصل القول بالأدلة من كلام العرب، وصدق.

يقضي بيننا بالحق ﴿ وَهُوَ الْفَتَّاحُ ﴾ أي: القاضي ﴿ العَلِيمُ ﴾ فلا أعلم منه.

قوله: ﴿ قُلْ أَرُونِي الذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكاءُ ﴾ أي: جعلتموهم شركاء، يعني أوثانهم يقول: أروني ما نفعوكم وأجابوكم به. ﴿ كَلَّا ﴾ أي: لستم بالذين تأتون بما نفعوكم وأجابوكم به إذ كنتم تدعونهم، أي: إنهم لم ينفعوكم ولم يجيبوكم، ولا ينفعونكم ولا أنفسهم. ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ بَلْ هُوَ اللهُ ﴾ الذي لاشريك له، ولا ينفع ولا يضر إلا هو. ﴿ العَزِيزُ ﴾ الذي ذلت له الخلائق ﴿ الحَكِيمُ ﴾ الذي أحكم كل شيء في تفسير الحسن. وقال غيره: (الحكيم) في أمره، وهو واحد.

قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَـكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ أي: إلى جماعة الإنس وإلى جماعة الجن[1]. ﴿ بَشِيراً ﴾ أي: بالجنة ﴿ وَنَذِيراً ﴾ أي: من النار ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم مبعوثون ومجازون.

قال: ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ يعني المشركين ﴿ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ قال الله: ﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾. كانوا يسألون

---

(1) اختلف العلماء في معنى عموم رسالة نبيّنا محمد ﷺ؛ فمنهم من يرى أنه بعث للإنس والجن أجمعين. وهذا ما ذهب إليه المؤلف هنا، وهو قول نسب إلى ابن عباس وإلى مجاهد أيضاً. ومنهم من يرى أنه أرسل للناس أجمعين، أي: عربهم وعجمهم، أحمرهم وأسودهم، إلى أن تقوم الساعة كما صحّت بذلك بعض الأحاديث. وليس في هذه الآية من سورة فاطر ما يدل على أنه بعث للجن كما بعث للناس كافة. والآيات تشير إلى عموم رسالته ﷺ وردت في القرآن بلفظ: «الناس» إلا آية الفرقان الأولى: (تَبَارَكَ الذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) فقد وردت بلفظ النِّذارة لا بلفظ الرسالة. ويمكن أن يشمل لفظ العالمين عالمي الإنس والجن معاً. والقول بعموم رسالته ﷺ للناس بمعنى الإنس دون الجن لا يتنافى أبداً مع ما بينته آيات سورة الأحقاف [29 - 32] من أن نفراً من الجن صرفهم الله إلى النبي عليه السلام يستمعون القرآن، ومع ما فصّلته آيات سورة الجن الأولى من استماع نفر من الجن للقرآن وقولهم فيه إنه عجب يهدي إلى الرشد وإيمانهم به، فهذا حق لا ريب فيه.

ويعجبني ما قاله الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره، ج 14 ص 26 إذ يقول: «والتحقيق في معنى عموم إرساله وشمول بعثته هو مجيئه بشرع ينطبق على مصالح الناس وحاجاتهم أينما كانوا، وأي زمان وجدوا، مما لم يتفق في شرع قبله قط، ولهذا ختمت النبوّات بنبوّته ﷺ».

النبي ﷺ متى هذا العذاب الذي تعدنا به، وذلك منهم استهزاء وتكذيب؛ فهذا جواب لقولهم.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لَن نُّومِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ ﴾ أي: لن نصدّق بهذا القرآن ﴿ وَلَا بِالذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يعنون التوراة والإنجيل لأن الله أمر المؤمنين أن يصدّقوا بالقرآن وبالتوراة والإنجيل أنها من عند الله ولا يُعمَل بما فيهما إلا ما وافق القرآن.

قال بعضهم: وبلغنا أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل في القرآن شيء مما ذكر في التوراة والإنجيل عَمِل به، فإذا نزل في القرآن ما ينسخه تركه. وقد نزل في القرآن شيء مما في التوراة والإنجيل ولم ينسخ في القرآن، مثل قوله: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا) أي: في التوراة (أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ . . .) إلى آخر الآية [المائدة: 45] فنحن نعمل بها لأنها لم تنسخ. فجحد مشركو العرب القرآن والتوراة والإنجيل في قوله: (وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لَن نُّومِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالذِي بَيْنَ يَدَيْهِ).

وقال الحسن: قد كان كتاب موسى حجة على مشركي العرب فقالوا: (لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ). قال الله: (أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا) يعنون موسى ومحمداً؛ وقال سعيد بن جبير: يعنون موسى وهارون. (وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ) قال الله: (قُلْ) يا محمد (فَاتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [القصص: 48 - 49].

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّٰلِمُونَ ﴾ أي: المشركون ﴿ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الذِينَ اسْتُضْعِفُوا ﴾ وهم السفلة ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ وهم الرؤساء والقادة في الشرك ﴿ لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُومِنِينَ ﴾.

﴿ قَالَ الذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلذِينَ اسْتُضْعِفُوا ﴾ وهم الأتباع ﴿ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ ﴾ على الاستفهام ﴿ عَنِ الْهُدَىٰ ﴾ أي: عن الإيمان ﴿ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ أي: مشركين.

﴿ وَقَالَ الذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الَّيْـلِ وَالنَّهارِ ﴾ أي: بل مكركم بالليل والنهار، أي: كيدكم وكفركم في تفسير الحسن. وتفسير الكلبي: (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) أي: بل قولكم لنا بالليل والنهار[1] ﴿ إِذْ تَأمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً ﴾ أي: أعدالاً، يعني أوثانهم، عدلوها بالله فعبدوها من دونه.

قال الله: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ ﴾ في أنفسهم يوم القيامة ﴿ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلَلَ فِي أَعْنَاقِ الذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ ﴾ على الاستفهام ﴿ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: إنهم لا يجزون إلا ما كانوا يعملون.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ ﴾ أي: من نبيٍّ ينذرهم عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ﴿ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴾ أي: جبابرتها وعظماؤها، في تفسير بعضهم. والمترفون أهل السّعة والنّعمة ﴿ إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَـٰفِرُونَ﴾ فاتّبَعَهم على ذلك السفلة فجحدوا كلهم.

﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْـوَلاً وَأَوْلَداً﴾ قالوا ذلك للأنبياء والمؤمنين، أي: يعيّرونهم بالفقر وبقلّة المال ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمن يَّشَاءُ ﴾ أي: يوسّع الرزق لمن يشاء ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: ويقتّر عليه الرزق. فأما المؤمن فذلك نظر من الله له. قال: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني جماعة المشركين لا يعلمون.

قال: ﴿ وَمَا أَمْوَلُكُـمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ﴾ يقوله للمشركين ﴿ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ ﴾ والزلفى القربة، لقولهم للأنبياء والمؤمنين: نحن أكثر أموالاً وأولاداً منكم.

(1) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 363: «وقوله: (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) المكر ليس لليل ولا للنهار. إنما المعنى: بل مكركم بالليل والنهار. وقد يجوز أن نضيف الفعل إلى الليل والنهار، ويكونا كالفاعلين، لأن العرب تقول: نهارك صائم، وليلك نائم، ثم نضيف الفعل إلى الليل والنهار، وهو في المعنى للآدميين، كما تقول: نام ليلك، وعزم الأمر، إنما عزمه القوم. فهذا مما يعرف معناه، فتوسّع به العرب».

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وإلى أعمالكم[1].

قال: ﴿ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ ﴾ في إيمانه ﴿ صَـٰلِحاً ﴾ [أي: ليس القربة عندنا إلا لمن آمن وعمل صالحاً][2]. قال: ﴿ فَأُولَئِكَ ﴾ أي: الذين هذه صفتهم ﴿ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ ﴾ أي: تضعيف الحسنات. كقوله: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) [الأنعام: 160] ثم أنزل بعد ذلك في المدينة: (مَثَلُ الذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مَائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ) [البقرة: 261] ثم صارت بعد في الأعمال الصالحة كلها، الواحدة بسبعمائة.

ذكروا عن الحسن وغيره عن عبد الله بن مسعود أنه قال: لأن أعلم أنه تُقُبِّلَت مني تسبيحة واحدة أحب إليّ من الدنيا وما فيها.

قال بعضهم: بلغني عن سعيد بن جبير أنه قال: من كتب الله له حسنة دخل الجنة، و(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) [المائدة: 27].

قال تعالى: ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَـٰتِ ﴾ أي: في غرفات الجنة ﴿ ءَامِنُونَ ﴾ أي: آمنون من النار ومن الموت ومن الخروج منها ومن الأحزان ومن الأسقام والأمراض.

قال: ﴿ وَالذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ ﴾ تفسير الحسن: يظنون أنهم يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم. وتفسير الكلبي: (مُعَاجِزِينَ) أي: يثبّطون الناس عن آياتنا، أي: عن الإيمان بها، أي: يجحدونها. قال: ﴿ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ أي: مدخَلون، في تفسير الكلبي. وقال بعضهم: محضرون في العذاب، وهو واحد.

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره... (رقم 2564) وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب القناعة (رقم 4143)، كلاهما يرويه من حديث أبي هريرة.

(2) زيادة من سح ورقة 151، ومن ز ورقة 278.

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ وهي مثل الأولى وقد فسّرناها. ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُم مِّن شَيْءٍ ﴾ أي: في طاعة الله ﴿ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ ﴾. ليس يعني أنه إذا أنفق شيئاً أخلف له مثله، ولكن يقول: الخلف كله من الله أكثر مما أنفق وأقلّ، أي: ليس يخلف النفقةَ ويرزق العبادَ إلا الله. وقال بعضهم: يُخلفه خيراً في الآخرة، أي: يعوّضكم منه الجنّة.

وبلغنا عن مجاهد أنه قال: لا ينفقن أحدكم كل ما في يده فيتأول هذه الآية: (وَمَا أَنْفَقْتُم مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ).

ذكروا عن خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده أنه لما تِيبَ عليه جاء بماله كله إلى النبي ﷺ صدقة، فقال له رسول الله ﷺ: أمسك عليك شطره فهو خير لك[1].

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ﴾ يعني المشركين وما عبدوا ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَٰئِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ على الاستفهام، وهو أعلم بذلك منهم ﴿ قَالُوا ﴾ أي: قالت الملائكة ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ ينزهون الله عمّا يقول المشركون ﴿ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ ﴾ أي: إنا لم نكن نواليهم على عبادتهم إيانا. ﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ﴾ أي: الشياطين من الجن هي التي دعتهم إلى عبادتنا ولم ندعهم إلى عبادتنا، فهم بطاعتهم الشياطين عابدون لهم. كقوله: (أَلَمْ أَعْهَدِ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءَادَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) [يٓس: 60]، وكقوله: (إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً) أي: شيئاً ليس فيه روح، يعني أوثانهم (وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَّرِيداً) [النساء: 117]. قال: ﴿ أَكْثَرُهُمْ ﴾ يعني جماعة المشركين ﴿ بِهِمْ ﴾ أي: بالشياطين ﴿ مُّومِنُونَ ﴾ أي: مصدّقون بما وسوسوا إليهم من عبادة من عبدوا فعبدوهم.

قال الله: ﴿ فَالْيَوْمَ ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلَا

(1) حديث متفق عليه، أخرجه الشيخان بلفظ: أمسك بعض مالك فهو خير لك، وانظر ما سلف، ج 2 ص 174.

ضَرّاً ﴾ أي: الشياطين والكفار ﴿ وَنَقُولُ لِلذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: أشركوا ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ وهم جميعاً قرناء في النار: الشياطين ومن أضلوا يلعن بعضهم بعضاً ويبرأ بعضهم من بعض.

قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمُ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ﴾ أي: القرآن ﴿ قَالُوا مَا هٰذَا ﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هٰذَا ﴾ أي: القرآن ﴿ إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ﴾ أي: إلا كذب افتراه محمد. قال الله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ ﴾ أي: للقرآن ﴿ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

قال الله: ﴿ وَمَا ءَاتَيْنَـٰهُم مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾ أي: يقرأونها، أي: بما هم عليه من الشرك. ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ كقوله: (لِتُنْذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ) [القصص: 46] أي: من نذير من أنفسهم، يعني قريشاً.

قال الحسن: كان موسى حجة عليهم.

قال: ﴿ وَكَذَّبَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: من قبل قومك يا محمد. ﴿ وَمَا بَلَغُوا ﴾ أي: وما بلغ هؤلاء ﴿ مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَـٰهُمْ ﴾ أي: عشر ما آتيناهم من الدنيا، يعني الأمم السالفة. وقال في آية أخرى: (كَالذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً). [ذكروا عن الحسن قال: (وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ) قال: ما عملوا معشار ما أمروا به][1].

قال: ﴿ فَكَذَّبُوا رُسُلِي ﴾ فأهلكتهم ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: فكيف كان عقابي؛ على الاستفهام. أي: كان شديداً. يحذّرهم أن ينزل بهم مثل ما نزل بهم.

قال الله: ﴿ قُل ﴾ يا محمد ﴿ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَٰحِدَةٍ ﴾ أي: بلا إلٰه إلا الله. يقوله للمشركين ﴿ أَنْ تَقُومُوا لِلهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ يقول: أن تقوموا واحداً واحداً أو اثنين اثنين ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم ﴾ أي: بمحمد ﷺ ﴿ مِّنْ جِنَّةٍ ﴾ أي: من جنون[2] ﴿ إِنْ

(1) زيادة من سح ورقة 154.

(2) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 364: وقوله: (قُل إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ) أي: يكفيني منكم أن=

هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُمْ ﴾ أي: من العذاب ﴿ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ يعني عذاب جهنم. أي: أرسل محمداً بين يدي عذاب شديد.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين، فما فضل إحداهما على الأخرى، فجمع بين أصبعه السبّابة والوسطى[1].

قوله: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم ﴾ أي: على القرآن ﴿ مِّن أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ﴾ كقوله: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) [سورة صٓ: 86] وأشباه ذلك. ﴿ إِن أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي: شاهد على كل شيء.

قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ ﴾ أي: ينزل الوحي ﴿عَلَّـٰمُ الْغُيُوبِ ﴾ أي: غيب السماوات والأرض؛ غيب السماء ما ينزل منها من المطرَ وغيره، وغيب الأرض ما يخرج منها من النبات وغيره.

قوله: ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ ﴾ أي: القرآن ﴿ وَمَا يُبْدِىءُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾. قال بعضهم: الباطل إبليس، أي: وما يخلق إبليس أحداً ولا يبعثه.

قوله: ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّيَ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ أي: فأنتم الضالون وأنا على الهدى. وهو كقوله: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [سبأ: 24]. وقد فسّرناه قبل هذا[2].

قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ ﴾ تفسير عمرو عن الحسن: (إِذْ فَزِعُوا) يعني النفخة الأولى التي يميت الله بها كفار هذه الأمة (فَلَا فَوْتَ) أي: لا يفوت أحد منهم دون أن يهلك بالعذاب. ﴿ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ أي: النفخة الآخرة. قال الحسن: وأي شيء أقرب من أن كانوا في بطن الأرض فإذا هم على ظهرها.

= يقوم الرجل منكم وحده، أو هو وغيره، ثم تتفكّروا هل جرّبتم على محمد كذباً، أو رأيتم به جنوناً. ففي ذلك ما تتيقنون أنه نبي».

(1) انظر التعليق عليه فيما سلف من هذا الجزء، ص 62.

(2) انظر ما سلف قريباً، ص 368 من هذا الجزء.

وبعضهم يقول: (وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ) أي: من تحت أرجلهم.

﴿ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ﴾ أي: بالقرآن. قال الله: ﴿ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ ﴾ أي: وكيف لهم تناول التوبة. ﴿ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: قد فاتهم ذلك.

ذكروا عن أبي إسحاق الهمذاني عن رجل من بني تميم عن ابن عباس في قوله: (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) أي: أنّى لهم الردّ وليس بحين الرّدّ.

ذكروا عن الحسن قال: أي: إذا خرجوا من قبورهم بعد النفخة الآخرة وأخذوا من مكان قريب.

قال: ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: كذّبوا بالبعث، وهو اليوم عندهم بعيد لأنهم لا يقرّون به.

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ وهو تبع للكلام الأول: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ) يعني الرد (مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) أي: من الآخرة إلى الدنيا.

وفي تفسير مجاهد: (التَّنَاوُشُ) التناول. كقوله: وقد كفروا به من قبل، فكيف لهم بالتوبة، وليس بالحين الذي تقبل فيه التوبة. (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال مجاهد: أي: من مال أو ولد أو زهرة.

وقال بعضهم: (مَا يَشْتَهُونَ) أي: الإيمان. أي: حيل بينهم وبين الإيمان أي: بإقامتهم على الكفر في الدنيا. فلما رأوا العذاب آمنوا، فلم يقبل منهم إيمانهم عند نزول العذاب.

قال: ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّنْ قَبْلُ ﴾ أي: كما لم تقبل من أشياعهم، أي: ممن كان على منهاجهم ودينهم: الشرك، لما كذبوا رسلهم جاءهم العذاب، فآمنوا عند ذلك، فلم يقبل منهم[1].

(1) وقع في تفسير هذه الآية اضطراب ونقص في مخطوطتي ب و ع فأثبت التصحيح والصواب من سح.

وهو قوله: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ أي: عذابنا ﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾. قال الله: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ أي: عذابنا ﴿ سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾ [غافر: 84 - 85] أي: مضت في عباده المشركين، أي: إنهم إذا كذبوا المرسلين أهلكهم الله بعذاب الاستئصال.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا ﴾ أي: قبل أن يأتيهم العذاب ﴿ فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴾ أي: من الريبة. وذلك أن جحودهم بالقيامة وبأن العذاب يأتيهم إنما ذلك ظن منهم، فهم منه في شك، ليس عندهم بذلك علم يقين.

تفسير سورة المَلاَئِكَة(1)
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ للهِ ﴾ حمد نفسه، وهو أهل الحمد. ﴿ فَاطِرِ ﴾ أي: خالق ﴿ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَـٰئِكَةِ رُسُلاً ﴾ أي: جعل من شاء منهم لرسالته إلى الأنبياء، وهو قوله: (اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ) [الحج: 75] قال: ﴿ أُولِي أَجْنِحَةٍ ﴾ أي: ذوي أجنحة ﴿ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ﴾. قال بعضهم: منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة أجنحة.

ذكروا عن كعب أنه قال: إن أقرب الملائكة إلى الله إسرافيل، وله أربعة أجنحة، جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، وقد تسرول بالثالث، والرابع بينه وبين اللوح المحفوظ؛ فإذا أراد الله أمراً أن يوحيه جاء اللوح المحفوظ حتى يصفق جبهة إسرافيل، فيرفع رأسه فينظر، فإذا الأمر مكتوب؛ فينادي جبريل، فيلبّيه، فيقول: أمرت بكذا، أمرت بكذا. فلا يهبط جبريل من سماء إلى سماء إلا فزع أهلها مخافة الساعة، حتى يقول جبريل: الحق من عند الحق، فيهبط على النبي فيوحي إليه.

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن لله نهراً في الجنة يغتمس فيه جبريل كل

(1) كذا ورد اسم السورة في ب، وع، وسح، وز: «سورة الملٰئكة» وكذلك جاء في مجاز أبي عبيدة. وجاء في معاني الفراء، وفي تفسير غريب القرآن لابن قتيبة باسم (فاطر) كما هو في مصاحفنا اليوم.

يوم، ثم ينتفض، فما من قطرة تقطر من ريشه إلا خلق الله منها ملكاً[1].

ذكروا عن مجاهد أنه قال: يدخل جبريل نهر النور سبعين مرة كل يوم فيغتسل فيه، ثم يخرج فينتفض فتسقط منه سبعون ألف قطرة، تعود كل قطرة ملكاً يسبح الله إلى يوم القيامة.

ذكروا عن عبد الله[2] بن عمر قال: بلغني أن في السماء ملكاً قد عظّمه الله وشرّفه، فيه ثلاثمائة وستون عيناً، بعضها مثل الشمس، وبعضها مثل القمر، وبعضها مثل الزهرة، يسبّح الله منذ خلق، كل تسبيحة تخرج من فيه ملكاً. قال: وبلغنا أن لله ديكاً براثنه في الأرض السفلى، وعنقه مثنية تحت العرش، إذا بقي الثلث الآخر من الليل خفق بجناحيه ثم قال: سبّوح قدّوس، ربّ الملائكة والرّوح، فتسمعه الديكة فتصرخ لصراخه، أو قال لصوته.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أذن لي أن أحدّث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى، وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنه إلى عاتقه خفقان الطير مسيرة سبعمائة سنة يقول سبحانك[3]. وبلغنا أن اسمه روزفيل.

وذكر بعض أهل العلم أن ملكاً نصفه من نور، أو قال: من نار، ونصفه من ثلج، يقول: يا مؤلفاً بين الثلج والنار، أو قال: النور، ألِّف بين قلوب عبادك الصالحين.

ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال: إن الله خلق الملائكة والجنّ والإنس فجزأهم عشرة أجزاء، تسعة أجزاء منهم الملائكة وجزء واحد منهم الجن والإنس. وجزأ

(1) أخرجه ابن سلام بهذا السند: «وأخبرني أبو الجارود عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ... وفي هذه الأخبار التي ترفع أحياناً إلى رسول الله ﷺ كثير من الإسرائيليات. وعالَم الملائكة من عوالم الغيب، فما جاء فيه آية بيّنة أو سنّة صحيحة قبِلناه، وفوضنا أمر تفاصيله إلى الله، وما ليس كذلك رفضناه ولا كرامة.

(2) كذا في ب و ع: «عبد الله»، وفي سح: «عبيد الله».

(3) انظر ما سلف، ج 1 ص 514.

الملائكة عشرة أجزاء تسعة منهم الكروبيون الذين يسبّحون الليل والنهار لا يفترون، وجزء منهم لرسالاته ولخزائنه ولما شاء من أمره. وجزأ الجن والإنس عشرة أجزاء، تسعة أجزاء منهم الجن، والإنس جزء واحد، فلا يولد من الإنس واحد إلا وله من الجن تسعة. وجزأ الإنس عشرة أجزاء، تسعة أجزاء منهم ياجوج وماجوج وجزء واحد سائر بني آدم.

قوله تعالى: ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ تفسير الحسن: يزيد في أجنحة الملائكة ما يشاء[1]. ﴿ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ ﴾ أي: ما يقسم الله من رحمة، أي: من الخير والرزق ﴿ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ أي: لا أحد يستطيع أن يمسك ما يقسم من رحمة ﴿ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ﴾ أي: من بعد الله، أي: لا يستطيع أحد أن يرسل ما أمسكه الله من رحمة[2] ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: إنه خلقكم ورزقكم ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: ما ينزل من السماء من المطر، وما ينبت في الأرض من النبات ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ يقوله للمشركين، يحتج به عليهم، وهو استفهام؛ أي: لا خالق ولا رازق غيره. يقول: أنتم تقرون بأن الله هو الذي خلقكم ورزقكم وأنتم تعبدون من دونه الآلهة. ﴿ فَأَنَّىٰ تُوفَكُونَ ﴾ أي: فكيف تصرفون عقولكم فتعبدون غير الله.

(1) وقال ابن عباس وغيره: «هو حسن الصوت». وقال قتادة: «الملاحة في العيون». ويعجبني ما قاله الزمخشري في الكشاف، ج 3 ص 596 بعد ذكر هذه الأقوال: «والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة... وحصافة في العقل، وجزالة في الرأي... وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم... وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف».

(2) جاء في ع و ب، وفي سح ورقة 159 بعد قوله تعالى: (وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) ما يلي: «من بعد الله، لا يستطيع أحد أن يمسك ما يقسمه». وهذا تكرار لتفسير قوله تعالى: (فَلَا مُمْسِكَ لَهَا)، وهو خطأ، ولعله سهو من الناسخ الأول تبعه فيه من بعده. وقد أثبت الصواب حسبما يقتضيه المعنى الواضح من سياق الآية.

قال: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ ﴾ يعزّيه بذلك ويأمره بالصبر.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما أصاب أحداً من هذه الأمة من الجهد في الله ما أصابني[1]. قال: ﴿ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ أي: إليه مصيرها يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ﴾ أي: ما وعد الله من الثواب والعقاب ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ ﴾ وهو الشيطان.

﴿ إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ يدعوكم إلى معصية الله ﴿ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ ﴾ أي: أصحابه الذين أضل ﴿ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَـٰبِ السَّعِيرِ ﴾ أي: يوسوس إليهم بعبادة الأوثان ليكونوا من أصحاب السعير، فأطاعوه. والسعير اسم من أسماء جهنم، وهو الرابع.

قال: ﴿ الذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ أي: جهنم، قال: ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ أي: لذنوبهم ﴿ وَأَجْرٌ ﴾ أي: ثواب ﴿ كَبِيرٌ ﴾ أي: الجنة.

قال: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَناً ﴾ أي: كمن آمن وعمل صالحاً. أي: لا يستويان. وهذا على الاستفهام، وفيه إضمار. قال: ﴿ فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَّشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَّشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على المشركين ﴿ حَسَـٰرَٰتٍ ﴾ أي: لا تتحسر عليهم إذا لم يؤمنوا؛ كقوله: (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) [النحل: 127] قال: ﴿ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَاللهُ الذِي أَرْسَلَ الرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَـٰهُ﴾ أي: فسقنا الماء في السحاب ﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ أي: ليس فيه نبات، أي: إلى أرض ميتة ليس فيها

(1) أخرجه ابن سلام بهذا اللفظ: حدثنا أبو أمية عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده ما أحد من هذه الأمة أصابه من الجهد في الله مثل الذي أصابني، كما جاء في سح ورقة 159.

نبات. لما قال: ﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ ﴾ قال: ﴿ مَيِّتٍ ﴾ لأن البلد مذكر، والمعنى على الأرض، وهي مؤنثة. قال: ﴿ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ﴾ أي: بالمطر ﴿ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي: بعد أن كانت يابسة ليس فيها نبات. ﴿كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾[1] أي: هكذا يحيون بعد الموت بالماء يوم القيامة؛ أي: يرسل الله المطر فيها كمني الرجال فتنبت به جسمانهم ولحمانهم كما تنبت الأرض من الثرى. ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه، فينطلق كل روح إلى جسده حتى يدخل فيه، ثم يقومون فيجيبون إجابة رجل واحد قياماً لرب العالمين. ذكر بعضهم قال: إن الحساب يكون عند الصخرة إلى بيت المقدس.

قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً ﴾ قال بعضهم: من كان يريد العزّة فليتعزّز بطاعة الله.

وتفسير الحسن: أن المشركين عبدوا الأوثان لتعزّهم، كقوله: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً ﴾ [مريم: 81]. قال: من كان يريد العزة فليعبد الله حتى يعزّه.

قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ هو التوحيد ﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ أي: يرفعه التوحيد. أي: لا يرتفع العمل الصالح إلا بالتوحيد، ولا التوحيد إلا بالعمل الصالح؛ كقوله: ﴿ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُومِنٌ ﴾ والإيمان قول وعمل، لا ينفع القول دون العمل[2]. ﴿ فَأُولَٰئِكَ ﴾ أي: الذين هذه صفتهم ﴿ كَانَ سَعْيُهُم

---

(1) في ب و ع اضطراب في تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾، فأثبت ما رأيت أنه الصواب من سح و ز، وهذه من أمور الغيب التي لا يعلم حقيقتها، إلا الله، ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾.

(2) وفي تفسير مجاهد، ص 531: «﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يقول: العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب». وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 367: «وقوله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ أي: يرفع الكلمَ الطيّبَ، يقول: يُتَقَبَّلُ الكلام الطيب إذا كـان معه عمل صالح».

مَشْكُوراً) [الإسراء: 19] أي: كانوا عملهم مقبولاً، يعني من وحد الله وعمل بفرائضه.

قال: ﴿ وَالذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَـٰتِ ﴾ أي: يعملون الشرك والنفاق ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ أي: عذاب جهنم. ﴿ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هوَ يَبُورُ ﴾ أي: وعمل أولئك هو يبور؛ أي: هو يفسد عند الله، أي: لا يقبل الله الشرك والنفاق، ولا يقبل العمل من المشرك والمنافق، أي: لا يقبل العمل إلا من المؤمنين، وقال في آية أخرى: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) [المائدة: 27].

قوله: ﴿ وَاللهُ خَلَقَكُم مِّنْ تُرَابٍ ﴾ يعني آدم خلقه من تراب ﴿ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ﴾ أي: من نسل آدم ﴿ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَجاً ﴾ يعني ذكراً وأنثى، والواحد زوج. قال: (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثَىٰ) [النجم: 45].

قال: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَـٰبٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ أي: هيِّن عليه.

ذكروا عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير أنه قال عن عمر العبد: كتب في أول الصحيفة أجله، ثم يكتب أسفل من ذلك: مضى يوم كذا وكذا، ومضى يوم كذا وكذا، حتى يأتي إلى أجله. وقال عكرمة: (وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ) آخَرَ يعني أن يكون عمره دون عمر الآخر.

وتفسير الحسن: (وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ) أي: حتى يبلغ أرذل العمر (وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ) أي: ولا ينقص من آخر عمر المعمَّر فيموت قبل أن يبلغ عمر ذلك المعمّر الذي بلغ أرذل العمر (إِلاَّ فِي كِتَابٍ)[1]. وبعضهم يقول: العمر ها هنا ستّون سنة.

---

(1) جاءت عبارة ب و ع مضطربة فاسدة في تفسير الحسن للآية، فأثبت التصحيح من سح ورقة 161 - 162. وجاءت العبارة في ز، ورقة 280 مختصرة واضحة هكذا: «وتفسير الحسن وما يعمّر من معمّر حتى يبلغ أرذل العمر ولا ينقص من آخر عمر المعمّر فيموت قبل أن يبلغ أرذل العمر (إِلاَّ فِي كِتَابٍ)».

قوله: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ أي: حلو ﴿ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ أي: مالح مر[1]. ﴿ وَمِنْ كُلٍّ ﴾ أي: من العذب والمالح ﴿ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً ﴾ يعني الحيتان ﴿ وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ يعني اللؤلؤ ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ ﴾ أي: مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ يعني طلب التجارة في البحر[2] ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: ولكي تشكروا هذه النعم.

قوله تعالى: ﴿ يُولِجُ الَّيْـلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْـلِ ﴾ وهو أخذ كل واحد منهما من صاحبه ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ لا يعدوه. ﴿ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ وَالذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يقوله للمشركين، يعني أوثانهم. ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ وهي القشرة، السحاءة، البيضاء التي تكون على النواة[3].

﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ أي: بعبادتكم إياهم ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾. وهو الله.

قال: ﴿يَـٰأَيُّهَـا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ أي: المستحمد إلى خلقه، استوجب عليهم أن يحمدوه. ﴿ إِن يَّشَأْ يُذْهِبْكُمْ أي: يهلككم بعذاب الاستئصال ﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ هو أطوع له منكم. كقوله: (إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ) [المعارج: 40 - 41]. قال: ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ ﴾ أي: أن يفعل ذلك بكم.

قوله: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي: لا يحمل أحد ذنب أحد. ﴿ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ ﴾ أي: من الذنوب ﴿ إِلَىٰ حِمْلِهَا ﴾ ليحمل عنها ﴿ لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ

(1) كذا في ز ورقة 280: «مالح مرّ»، وفي سح ورقة 162: «مر»، وفي ب: «مزعق»، وفي ع: «مزعوق» وهي كلها ألفاظ متقاربة المعنى، يقال: «مرٌّ زُعَاق» أي: «لا يطاق شربه من أجوجته» كما جاء في اللسان.

(2) كذا في ب وع، وفي سح وز: «طلب التجارة في السفن».

(3) «السحا، والسحاءة، والسحاءة، والسحاية ما انقشر من الشيء كسحاءة النواة». كذا ذكره صاحب اللسان. وقال مجاهد: القطمير: لفافة النواة.

ذَا قُرْبَىٰ ﴾ أي: لا يحمل القريب عن قريبه شيئاً من ذنوبه ﴿ إِنَّمَا تُنْذِرُ ﴾ أي: إنما يقبل نِذارتك ﴿ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ﴾ أي: في السّر حيث لا يطّلع عليهم أحد ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ ﴾ أي: المفروضة ﴿ وَمَنْ تَزَكَّىٰ ﴾ أي: عمل صالحاً ﴿ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ﴾ أي: يجد ثوابه[1]، ﴿ وَإِلَىٰ اللهِ الْمَصِيرُ ﴾ أي: المرجع.

قوله: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ وهذا تبع للكلام الأول: (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ)، (وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ)، ﴿ وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْـوٰتُ ﴾ وهذا كله مثل للمؤمن والكافر؛ كما لا يستوي البحران العذب والمالح وكما لا يستوي الأعمى والبصير وكما لا تستوي الظلمات والنور فكذلك لا يستوي المؤمن والكافر[2].

قوله: (وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ) يعني ظلّ الجنة، والحرور، يعني النار. وقوله: (وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ) الأحياء هم المؤمنون، أي: الأحياء في الدين كقوله: (أَوَمَنْ كَانَ مَيِّتاً) أي: كافراً (فَأَحْيَيْنَاهُ) أي: بالإيمان [الأنعام: 123] والأموات هم الكفار، أي: أموات في الدين.

﴿ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَن يَّشَاءُ ﴾ أي: يهديه للإيمان ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ أي: وما أنت بمسمع الكفار، أي: هم بمنزلة الأموات من أهل القبور لا يسمعون منك الهدى سمع قبول، أي: لا يقبلون منك ما تدعوهم إليه كما أن الذين في القبور لا يسمعون.

قال: ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلاَّ نَذِيرٌ ﴾ أي: تنذر الناس، ليس عليك غير ذلك، والله يهدي من يشاء، أي: يمنّ عليه بالقبول لما يدعوه إليه من دين الله فيقبله.

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَـٰكَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ بَشِيراً وَّنَذِيراً ﴾ أي: بشيراً بالجنة

(1) كذا في ب و ع: «يجد ثوابه» وهو الصحيح، وفي سح و ز: «يجزون به».
(2) في ع و ب غموض في المعنى بسبب حذف بعض الكلمات فأثبت التصحيح من سح.

ونذيراً من النار ﴿ وَإِن مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [يعني الأمم الخالية كلها قد خلت فيهم النذر][1]. وقال بعضهم: [أي: وإن من أمة ممن أهلكنا إلا خلا فيها نذير][1]. يحذّر المشركين أن ينزل بهم ما نزل بهم إن كذبوا النبي ﷺ كما كذّبت الأُمَمُ رسلَها.

قال: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَـٰتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَـٰبِ الْمُنِيرِ ﴾. و(الزُّبُر): الكتب على الجماعة. و(البَيِّنَاتُ) في تفسير الحسن: ما يأتي به الأنبياء. (وَبِالكِتَابِ المُنِيرِ) أي: البيّن. والكتاب الذي كان يجيء به النبي منهم إلى قومه.

وتفسير الكلبي: (البَيِّنَاتِ): الحلال والحرام والفرائض والأحكام.

قال: ﴿ ثُمَّ أَخَذتُّ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني إهلاكه إياهم بالعذاب ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيـرِ ﴾ أي: عقابي، على الاستفهام، أي: كان شديداً.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ﴾ أي: فأنبتنا به، أي: بذلك الماء ﴿ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَنُهَـا ﴾، وطعمها في الإضمار ﴿ وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ ﴾ أي: طرائق[2] ﴿ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَـا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ والغربيب: الشديد السواد[3]. قال: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: كما اختلفت ألوان ما ذكر من الثمار والجبال.

ثم انقطع الكلام ثم استأنف فقال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ﴾ وهم المؤمنون. وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: يعلمون أن الله على كل شيء قدير. وفي الآية تقديم؛ يقول: العلماء بالله هم الذين يخشون الله.

---

(1) زيادة من سح ورقة 164، ومن ز ورقة 280.

(2) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 369: «وقوله: (جدد بيض) الخطط والطرق تكون في الجبال كالعرق، بيض وسود وحمر، واحدها جُدّة.

(3) وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 154: « (وَغَرَابِيبُ سُودٌ) مقدم ومؤخر لأنه يقال: أسود غربيب.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ليس العلم رواية الحديث، ولكن العلم الخشية؛ يقول: من خشي الله فهو عالم. ﴿ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ ﴾ المفروضة ﴿ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً ﴾ السرّ التطوّع، والعلانية الزكاة المفروضة. يستحب أن تعطي الزكاة علانية، والتطوّع سراً، ويقال: صدقة السرّ تطوّعاً[1] أفضل من صدقة العلانية. قال: ﴿ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴾ أي: لن تفسد[2]، وهي تجارة الجنة، يعملون للجنة.

قال: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ ﴾ أي: ثوابهم الجنة ﴿ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ ﴾ أي: يضاعف لهم الثواب. وقال الحسن: تضاعف لهم الحسنات، أي: يثابون عليها في الجنة. ﴿ إِنَّهُ غَفُورٌ ﴾ أي: لمن تاب ﴿ شَكُورٌ ﴾ أي: يشكر اليسير ويثيب بالكثير، أي: يقبل العمل اليسير من المؤمن ويثيبه الجنة.

قال: ﴿ وَالذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَـٰبِ ﴾ يعني القرآن ﴿ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: من التوراة والإنجيل. ﴿ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَـٰبَ الذِينَ اصْطَفَيْنَا ﴾ أي: اخترنا ﴿ مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْـرَٰتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾.

ذكروا عن جعفر بن زيد[3] أن رجلاً بلغه أنه من أتى بيت المقدس، لم يشخصه

---

(1) كذا في ب و ع وفي سح ورقة 165. أي: صدقة التطوع سراً أفضل...

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 155: «(تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ) أي: لن تكسد وتهلك. ويقال: نعوذ بالله من بوار الأيّم، ويقال: بار الطعام وبارت السوق».

(3) روى ابن سلام هذا الخبر من طريقين. فقد جاء في سح ورقة 166 ما يلي: «حدثنا الخليل بن مرة وإسرائيل بن يونس عن جعفر بن زيد العبدي. وحدثنيه النضر بن بلال عن أبان بن عياش عن جعفر بن زيد أن رجلاً بلغه، قال الخليل: لا أدري يعني نفسه، وقد كان كبيراً، أو يعني غيره، أن رجلاً بلغه أنه من أتى...».

إلا الصلاة فيه، فصلّى فيه ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه. قال: فأتيت بيت المقدس، فدخلت المسجد فصلّيت فيه ركعتين، ثم قلت: اللهم صُن وحدتي، وآنس وحشتي، وارحم غربتي، وسق إليّ جليساً صالحاً تنفعني به. [فبينا أنا كذلك إذ دخل شيخ موسوم فيه الخير][1]، فقام عند سارية فصلّى ركعتين، ثم جلس. فقمت إليه، ثم سلّمت عليه، ثم جلست فقلت: من أنت، يرحمك الله، فقال: أنا أبو الدرداء، فقلت: الله أكبر! قال: ما لك يا عبد الله، أذعورة[2] أنا؟ قلت: لا والله، ولكن بلغني أن من أتى هذا المسجد لم يشخصه إلا الصلاة فيه، فصلّى فيه ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. قال: الحديث كما بلغك. قلت: فجئت إلى هذا المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم قلت: اللهم صل وحدتي، وآنس وحشتي، وارحم غربتي، وسق إليّ جليساً صالحاً ينفعني. قال: فأنا أحق بالحمد منك إذ أشركني الله في دعوتك، وجعلني ذلك الجليس الصالح. لا جرم لأحدثنك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لم أحدث به أحداً قبلك ولا أحدث به أحداً بعدك.

سمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتِ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا. . .) إلى آخر الآية. قال: فيجيء هذا السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب، ويجيء هذا المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً، ثم يدخل الجنة، ويجي هذا الظالم لنفسه فيوقف ويعيّر ويوبّخ[3] ويعرّف ذنوبه ثم يتجاوز الله عنه فيدخله الجنة بفضل رحمته، فهم الذين قالوا: (الْحَمْدُ للهِ الذِي

(1) كذا في سح ورقة 166، وهو أتموأوضح، وفي ع: «. . . تنفعني به إذ دخل رجل فقام عند سارية. . .».

(2) كذا في ب و ع، وفي سح أيضاً: «أذعورة أنا». وفي لوحة من قطع مخطوطات القيروان المصورة بدار الكتب بالقاهرة: «يا عبد الله، أذُعَرَة أنا. قلت: لست بذعرة». وفي اللسان: «رجل ذاعر، وذُعَرَة، وذُعْرَة: ذو عيب». وكأني باللفظ هنا يفيد معنى هل أنا أوحى لك بالذعر؟ هل أخيفك؟.

(3) كذا في ز ورقة 282: «يعيّر ويوبخ»، وفي ع: «يعيّر ويحزن»، وفي سح: «يعيّر ويخزي».

أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ). غفر الذنب الكبير وشكر العمل اليسير، سبحانه وتعالى[1].

ذكروا عن أبي قلابة أنه تلا هذه الآية إلى قوله: (جَنَّاتِ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) فقال: دخلوها كلهم.

ذكروا عن أبي المتوكل الناجي أن حبراً من الأحبار لقي كعباً فقال: يا كعب، تركت دين موسى واتبعت دين محمد؟ فقال: بل أنا على دين موسى واتبعت دين محمد، فقال: فما حملك على ذلك؟ فقال: إني وجدت أمة محمد يقسمون يوم القيامة ثلاثة أثلاث: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، وثلث يقول الله تبارك وتعالى لملائكته: قلبوا عبادي فانظروا ما كانوا يعملون. فيقلبونهم فيقولون: ربنا نرى ذنوباً كثيرة وخطايا عظيمة. فيقول: قلبوا عبادي فانظروا ما كانوا يعملون فيقلبونهم إلى ثلاث مرات، فيقول في الرابعة: قلبوا ألسنتهم فانظروا ما كانوا يعملون، فيقلبون ألسنتهم، وهو العالم بقولهم، فيقولون: ربنا، نراهم يخلصون لك ولا يشركون بك شيئاً. فيقول: عبادي اخلصوا لي ولم يشركوا بي شيئاً اشهدوا يا ملائكتي إني قد غفرت لعبادي وقد [2] رحمتي بالغفران لعبادي بما أخلصوا لي ولم يشركوا بي شيئاً.

ذكروا عن عقبة بن صهبان قال: سألت عائشة عن هذه الآية، فقالت: نعم، يا بنيّ، كلُّهم إلى الجنة؛ السابق من مضى على عهد رسول الله ﷺ، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالحياة والرزق، والمقتصد من اتّبع أثره من أصحابه حتى لحق به، والظالم لنفسه مثلي ومثلك. فألحقت نفسَها بنا من أجل الحدَث الذي أصابت.

---

(1) الحديث صحيح، أخرجه أحمد، وابن جرير الطبري في تفسيره، ج 22 ص 137 مختصراً، وفيه أن الرجل الذي لقي أبا الدرداء يسمى أبا ثابت. ولم أجد فيما بين يدي من مصادر التفسير والحديث من روى هذا الحديث مفصلاً كما رواه ابن سلام.

(2) كلمة مطموسة في ب لم أوفق لفهمها، وهي ساقطة من ع وسح وز.

ذكروا عن عمر بن الخطاب قال: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له بعد توبته.

ذكروا عن الحسن قال: السابقون أصحاب محمد ﷺ، والمقتصد رجل سأل عن آثار أصحاب محمد ﷺ فاتّبعهم، والظالم لنفسه منافق قُطِعَ به دونهم.

ذكروا عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ هذا الحرف: ﴿وَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ فقال: سقط هذا، يعني ما قال الحسن: إنه المنافق.

وتفسير مجاهد: إنه منافق[1]. وقال: هي التي في سورة الواقعة، السابقون هم السابقون، يعني قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: 10] فوصف صفتهم في أول السورة، والمقتصد أصحاب اليمين؛ وهم المنزل الآخِر في سورة الواقعة: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 27] فوصف صفتهم. والظالم لنفسه أصحاب المشأمة.

وقال بعضهم: إن أصحاب اليمين هم الذين يحاسبون حساباً يسيراً، وهو المقتصد في حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ، وهم أصحاب المنزل الآخِر في سورة الرحمٰن حيث يقول: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: 62] فوصفهما. ومنزل السابقين المنزل الأول في سورة الرحمٰن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: 46].

قوله: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ قد فسّرنا ذلك في غير هذه الآية.

قوله: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً﴾. وقال في آية أخرى: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: 21].

قوله: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ذكروا عن أبي هريرة قال: دار المؤمن من درة

(1) كذا في ع و ب. وفي سح ورقة 168 إنه الجاحد والمنافق. ولم يرد في تفسير مجاهد، ص 532 لفظ الجاحد ولا المنافق. وانظر تفسير الطبري، ج 22 ص 133 - 137.

معجوّفة، في وسطها شجرة تنبت الحلل، ويأخذ بأصبعيه حلّة منظمة[1] باللؤلؤ والمرجان.

ذكروا عن عمرو بن ميمون الأزدي قال: إن المرأة من نساء أهل الجنة من الحور العين لَيَكون عليها سبعون حلّة، وإنه ليُرى مخُّ ساقها من وراء ذلك كما يبدو الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء.

قوله: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[2]. وقال بعضهم: كانوا في الدنيا محزونين، كقوله: (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ) [الطور: 26] أي: خائفين. وقال بعضهم: الموت، ومنه تحزن القلوب.

قوله: ﴿ الذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ أي: إعياء.

ذكروا أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما راحة أهل الجنة فيها؟ فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله، وهل فيها من لغوب، كل أمرها إلى راحة[3]. فأنزل الله هذه الآية: (لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا) أي: في الجنة، (نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ).

قوله: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ وقال في آية أخرى: (فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً) [النبأ: 30].

---

(1) جاءت الكلمة هكذا في ع: «مبطنة»، وفي سح: «منطّقة» ولها وجه؛ أي: عليها نطاق، وأثبت ما جاء في ز، ورقة 281: «منظمة»، أي: عليها نظم من اللؤلؤ والمرجان.

(2) انظر ما سلف قريباً، ص 418 من هذا الجزء، وهو يشير إلى ما ذكر في حديث أبي الدرداء عن الصنف الثالث.

(3) رواه ابن سلام بالسند التالي كما جاء في سح ورقة 169، 170: حدثنا خالد عن نفيع، مولى أم سلمة، زوج النبي ﷺ عن عبد الله بن أبي أوفى أن رجلاً. . . ولفظه: مه مه أوَهل فيها من لغوب، كل أمرهم راحة. وأخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن عبد الله بن أبي أوفى كما في الدر المنثور، ج 5 ص 254.

ذكروا عن ابن عمر قال: ما نزل في أهل النار آية هي أشد من هذه.

قال: ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ أي: بربّه. وهو كفر دون كفر وكفر فوق كفر.

قوله: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ أي: في النار ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحاً غَيْرَ الذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ أي: أخرجنا فردنا إلى الدنيا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل. قال الله: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾ يعني النبي ﷺ. ذكر بعضهم قال: نزلت هذه الآية فيها ابن ثمان عشرة سنة. وكل شيء ذُكِر من كلام أهل النار فهو قبل أن يقول الله لهم: (اِخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108].

قوله: ﴿ فَذُوقُوا ﴾ أي: العذاب ﴿ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ وهذا ظلم الشرك وهو ظلم فوق ظلم، وظلم دون ظلم.

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ غيب السماوات هو ما ينزل من السماء من المطر وما فيها، وغيب الأرض ما يخرج منها من النبات وما فيها. ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾. وهو كقوله: (أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَم بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ) [العنكبوت: 10] وكقوله: (وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) [التغابن: 4] وأشباه ذلك.

قوله: ﴿ هُوَ الذِي جَعَلَكُمْ خَلَـٰئِفَ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: خلفاً من بعد خلف. ﴿ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾ أي: إنه يثاب عليه النار ﴿ وَلَا يَزِيدُ الْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلَا يَزِيدُ الْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَاراً ﴾.

قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَـٰوٰتِ ﴾ أي: في خلق السماوات، على الاستفهام، أي: إنهم لم يخلقوا مع الله منها شيئاً. ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰباً ﴾ [فيما هم عليه من الشرك][1]. ﴿ فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَـٰتٍ مِّنْهُ ﴾ أي: لم يفعل ذلك. كقوله: (أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ) أي: فيما هم عليه من الشرك، (فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ) [الزخرف: 21]

(1) زيادة من سح ورقة 170، وفي ز ورقة 282: «بما هم عليه من الشرك».

قال: ﴿ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّـٰلِمُونَ﴾ أي: المشركون. كل هذا ظلم الشرك، وهو ظلم دون ظلم، وظلم فوق ظلم ﴿ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلاَّ غُرُوراً ﴾ يعني الشياطين الذين دعتهم إلى عبادة الأوثان والمشركين الذين دعا بعضهم بعضاً إلى ذلك.

قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ ﴾ أي: لئلا تزولا. ﴿ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ ﴾. وهذه صفة. يقول: إن زالتا ولن تزولا[1].

ذكروا عن[2] عن الأعمش عمّن حدّثه عن عبد الله بن مسعود أن رجلاً جاء إليه، فرأى عبدُ الله بن مسعود عليه أثرَ السفر، فقال له: من أين قدمت؟ قال: من الشام. قال: فمن لقيت؟ قال: لقيت فلاناً وفلاناً، ولقيت كعبَ الأحبار. قال: فما حدّثك به؟ قال: حدّثني أن السماوات تدور على منكبي مَلك. فقال عبد الله بن مسعود: ليتك افتديت من لُقيّك إياه براحلتك ورَحلك؛ كذب كعب، إن الله يقول: (إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ). قال الله: ﴿ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ أي: حليماً لا يعجِّل بالعقوبة، غفوراً لمن تاب وآمن.

قوله: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ ﴾ كقوله: (وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْراً مِّنَ الأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ المُخْلَصِينَ) [الصافات: 168 - 169]. قال الله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿ مَا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً ﴾ أي: الإيمان.

﴿ اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ ﴾ أي: عن عبادة الله ﴿ وَمَكْرَ السَّيِّىءِ ﴾ يعني الشرك وما يمكرون برسول الله وبدينه. وقال في آية أخرى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِـكَ الذِينَ كَفَرُوا. . .) إلى آخر الآية [الأنفال: 30].

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 156: «. . . ثم جاء (وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ) مجازه: لا يمسكهما أحد. و (إِنْ) في موضع آخر معناه (مَا) (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) معناه: (مَا كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ)».

(2) روى ابن سلام هذا الخبر بقوله: «أخبرني صاحب لي عن الأعمش».

قال: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّـىءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ وهذا وعيد لهم. قال: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ[1] إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سنة الله في الأولين. كقوله: (سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) [غافر: 85] المشركين، أي: إنهم كانوا إذا كذّبوا رسلهم أهلكهم، فيؤمنون عند نزول العذاب فلا يقبل ذلك منهم.

قال: ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾ أي: لا يبدّل بها غيرها ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً ﴾ أي: لا تحول. وأخّر عذاب كفار آخر هذه الأمّة إلى النفخة الأولى بالاستئصال، بها يكون هلاكهم. وقد عذّب أوائل مشركي هذه الأمّة بالسيف يوم بدر.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: بلى، قد ساروا، وليتفكروا فيما أهلك الله به الأمم فليحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم. وكان عاقبة الذين من قبلهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

قال: ﴿ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ ﴾ أي: ليسبقه ﴿ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَـٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: حتى لا يقدر عليه ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً ﴾.

قوله: ﴿ وَلَوْ يُوَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ﴾ أي: بما عملوا ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ يقول: يحبس عنهم المطر، فهلك ما في الأرض من دابّة[3]. ﴿ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ أي: الساعة التي يكون بها هلاك آخر كفّار هذه الأمة ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ أي: الساعة ﴿ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً ﴾ لا تخفى عنه منهم خافية، أي: لا يكذب صادقاً، ولا يصدّق كاذباً ولا يقضي بباطل، سبحانه وتعالى.

(1) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 362: «(فَهَلْ يَنْظُرُونَ) أي: ينتظرون، (إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ) أي: سنتنا في أمثالهم الذين كفروا كفرهم».

(2) كذا في ب و ع، وفي سح ورقة 172: «فلو تفكروا فيما أهلك الله به الأمم فيحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم».

(3) في ع: «يحبس عنهم المطر فتهلك كل دابة». وما أثبته من سح ومن ز أصح عبارة وأنسب.

تفسير سورة يسٓ
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ يسٓ ﴾ يقول: يا إنسان، والسين حرف من حروف الإنسان. يقول للنبي ﷺ: يا إنسان[1]. ﴿ وَالْقُرْآنِ الحَكِيمِ ﴾ أي: المحكم بالحلال والحرام. ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [أقسم للنبي عليه السلام بالقرآن الحكيم إنه لمن المرسلين على صراط مستقيم، أي: على دين مستقيم][2]. والصراط هو الطريق المستقيم، أي: إلى الجنة.

﴿ تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ يعني القرآن هو تنزيل العزيز الرحيم، نزّله مع جبريل على محمد عليهما السلام.

قوله: ﴿ لِتُنْذِرَ قَوْماً ﴾ يعني قريشاً ﴿ مَّا أُنْذِرَ ءَابَاؤُهُمْ ﴾ قال بعضهم: لتنذر قوماً لم ينذر آباؤهم. وقال جماعة من أهل العلم: أي: بالذي أنذر آباؤهم. فمن قال: لم ينذر آباؤهم فهو يعني مثل قوله: (مَا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ) [السجدة: 3] يعني قريشاً. ومن قال: مثل الذي أنذر آباؤهم فهو يأخذها من هذه الآية: (أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ) [المؤمنون: 68] يعني من كان قبل قريش[3]. قال: ﴿ فَهُمْ

(1) هذا قول ابن عباس: وقال سعيد بن جبير: هو اسم من أسماء محمد ﷺ. وهنالك أقوال أخرى ذكرها المفسّرون في تأويل كلمة (يسٓ) قالوا معناها: يا سيّد، يا إنسان، يا رجل، يا محمد. وقال أبو عبيدة: «مجازه مجاز ابتداء أوائل السور».

(2) زيادة من سح ورقة 172، ومن ز ورقة 282.

(3) أورد الفراء في المعاني، ج 2 ص 272 الوجهين معاً في تأويل (مَا)، الوجه الأول أن تكون نافية، =

غَـٰفِلُونَ ﴾ أي: عما جاءهم به النبي عليه السلام، أي: في غفلة من البعث.

قال: ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ ﴾. يعني لقد سبق القول على أكثرهم، أي: من لا يؤمن منهم. ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾ أي: فهم فيما تدعوهم إليه من الهدى بمنزلة الذي في عنقه الغل، فهو لا يستطيع أن يبسط يده، أي: أنهم لا يقبلون الهدى، والمقمح، فيما ذكروا عن عبد الله بن مسعود، الذي غُلَّت يده إلى عنقه. وقال بعضهم: الأذقان: الوجوه، أي: غلّت يده فهي عند وجهه. وتفسير الحسن: المقمح: الطامح ببصره الذي لا يبصر موطىء قدمه، أي: حيث يطأ؛ أي: لا يبصر الهدى. وقال مجاهد: رافعو رؤوسهـم وأيديهم موضوعة على أفواههم.

قال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَينِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً ﴾ ذكروا عن عكرمة قال: [(مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً) قال: ما صنع الله فهو سَد، وما صنع ابن آدم فهو سُد][(1)]. وقد قالوا: (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) [فصّلت: 5] أي: فلا نبصر ما تقول.

قال: ﴿ فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ أي: الهدى. وهذا كلّه كقوله: (وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً) فلا يبصر الهدى بالكفر الذي عليه. قال: (فَمَن يَّهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ) [الجاثية: 23] أي: لا أحد يهديه بعد أن يضلّه الله بفعله[(2)].

= والوجه الثاني أن تكون اسم موصول. وقال عن هذا الوجه الأخير: «ويقال: لتنذرهم بما أنذر آباؤهم، ثم تلقي الباء فيكون (ما) في موضع نصب كما قال: (أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) [فصلت: 13]».

(1) زيادة من سح ورقة 173.

(2) ذكر الفراء سبباً لنزول هذه الآية فقال في المعاني، ج 2 ص 273: «ونزلت هذه الآية في قوم أرادوا قتل النبي ﷺ من بني مخزوم، فأتوه في مصلاه ليلاً، فأعمى الله أبصارهم عنه، فجعلوا =

وبعضهم يقول: ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً ﴾ أي: ما كان عليه آباؤهم ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أي: من خلف آبائهم ﴿ سَدّاً﴾ يعنيهم؛ وهو تكذيبهم بالبعث. ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ ﴾ يعني ظلمة الكفر بكفرهم، ﴿ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ أي: لا يبصرون الهدى.

قوله: ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يعني الذين لا يؤمنون. ﴿ إِنَّمَا تُنْذِرُ ﴾ أي: إنما يقبل نِذارتك فينتذر، أي: فيتّعظ ﴿ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ﴾ كقوله: ﴿ إِنَّمَا تُنْذِرُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ﴾ [فاطر: 18] وقوله: ﴿ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ﴾ أي: في السّرّ، فأخلص لله القول والعمل. قال: ﴿ فَبَشِّرْهُ ﴾ أي: فبشر هذا ﴿ بِمَغْفِرَةٍ ﴾ أي: لذنبه ﴿ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ أي: وثواب كريم، وهو الجنة.

قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ يعني البعث ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَـٰرَهُمْ ﴾ وهو قوله: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ [الانفطار: 5] ﴿ مَا قَدَّمُوا ﴾ أي: ما عملوا من خير أو شر. ﴿ وَآثَارَهُمْ ﴾ أي: ما أخّروا من سنة حسنة فعمل بها من بعدهم، فإن لهم أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، أو سنة سيئة يعمل بها من بعدهم، فإن عليهم مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: أيّما داع دعا إلى هدى فاتّبع عليه فإن له مثل أجر من اتّبعه ولا ينقص لهم من أجورهم شيء وأيما داع دعا إلى ضلالة فاتّبع عليها كان عليه مثل وزر من اتّبعه ولا ينقص من أوزارهم شيء[1].

ذكروا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: ﴿ وَآثَارَهُمْ ﴾ أي: خطوهم[2].

= يسمعون صوته بالقرآن ولا يرونه. فذلك قوله: (فَأَغْشَيْنَاهُمْ وتقرأ: (فَأَعْشَيْنَاهُمْ) بالعين، أعشيناهم عنه».

(1) انظر ما مضى في هذا الجزء، ص 299.

(2) روى الواحدي في أسباب النزول، ص 384 ما يلي: «قال أبو سعيد الخدري: كان بنو سلمة في ناحية من المدينة، فأرادوا ان ينتقلوا إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَارَهُمْ) فقال لهم النبي ﷺ: إن آثاركم تكتب، فلم تنتقلون». وعن =

وقال بعضهم: أي: ذكرهم. وقال بعض العلماء: لو أن الله مغفل شيئاً، أي: تارك شيئاً، من شأنك يا ابن آدم لأغفل هذه الآثار التي تعفوها الرياح.

قال: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: في كتاب بيِّن، وهو اللوح المحفوظ.

قوله: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾ وهي أنطاكية ﴿ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذَا أَرْسَلْنَـا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ تفسير مجاهد فشدّدنا بثالث[1]. قال: إنه أُرسِل إليهم اثنان قبل الثالث فقتلوهما، ثم أرسل الثالث. ﴿ فَقَالُوا ﴾ يعني الأولين قبل الثالث، والثالث بعدهما. ﴿ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ. قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ وجحدوا أنهم رسل ﴿ وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾.

﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴾.

قوله: ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ أي: تشاءَمْنا بكم. قال بعضهم: قالوا: إن أصابنا سوء[2] فهو من قِبَلكم. ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾ أي: لنقتلنكم، في تفسير الحسن. غير أن الحسن قال: لنرجمنّكم بالحجارة حتى نقتلكم. ﴿ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع، قبل أن نقتلكم.

= ابن عباس وسعيد بن جبير أنها الخطى إلى المساجد خاصة، وقد صَحَّتْ في هذا المعنى أحاديث عن النبي عليه السلام. انظر تفسير القرطبي، ج 5 ص 12.

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 158: «فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ» أي: قوّينا وشدّدنا. قال النمر بن تولب:

كَأَنَّ جَمْرَةَ أَوْعَـزَّتْ لَهَـا شَبَهـاً ... بِـالجِذْعِ يَـوْمَ تَـلاَقَيْنَـا بِـإِرْمَـامَ

أو عزّتها: أو غلبتها. يقال في المثل: من عَزَّ بَزَّ: من قهر سلب. وتفسير «بزّ» انتزع»...

(2) في ع و ب: «شؤم»، وفي تفسير الطبري، ج 22 ص 157: «شرّ». وأثبت ما جاء في سح ورقة 175: «سوء». والمعنى واحد.

﴿ قَالُوا طَـٰئِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ أي: عملكم معكم[1] ﴿ أَئِن ذُكِّرْتُم ﴾ أي: ائن ذكّرناكم بالله تطيّرتم بنا، على الاستفهام. ومقرأ العامة بالتشديد: (أَئِنْ ذُكِّرتم) ﴿ بَل أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ أي: مشركون.

قوله: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَىٰ الْمَدِينَةِ ﴾ يعني أنطاكية ﴿ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ أي: يسرع؛ وهو حبيب النجار. ﴿ قَالَ يَـٰقَـوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُّهْتَدُونَ وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الذِي فَطَرَنِي ﴾ أي: خلقني ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة. ﴿ ءَأَتَّخِـذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ﴾ على الاستفهام ﴿ إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ ﴾ يعني الآلهة ﴿ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ ﴾ من ضرر ﴿ إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ يعني في خسران بيّن ﴿ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾[2].

وتفسير مجاهد غير هذا. قال مجاهد: كان رجلاً من قوم يونس وكان به جذام. فكان يطيف بآلهتهم يدعوها فلم تغن عنه شيئاً. فبينما هو يوماً كذلك إذ مرّ بجماعة فدنا منهم، فإذا نبيّ الله يدعوهم إلى الهدى؛ وقد قتلوا قبله اثنين فدنا منه. فلما سمعَ كلام النبي قال له: يا عبد الله، إن معي ذهباً فهل لك أن تأخذه مني وأتّبعك فتدعو الله أن يشفيني. قال له: اتّبعني ولا حاجة لي في ذهبك، وأنا أدعو الله لك فيشفيك. قال: فدعا الله، فبرأ. فقال: (يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً) لما كان عرض عليه من الذهب فلم يقبله منه، (وَهُم مُّهْتَدُونَ) وما لي لا أعبد الذي فطرني، أي: خلقني (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونِ) أي: بعد الموت (ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً) أي: لما كان يدعو آلهتهم لما به من الجذام فلم تغن عنه شيئاً (وَلاَ يُنقِذُونِ) أي: من ضر. يعني الجذام الذي كان به.

(1) قال أبو عبيدة: «(طَائِرُكُم مَّعَكُمْ) أي: حظكم من الخير والشر». وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 374: «يريد طائركم معكم حيثما كنتم، والطائر ها هنا الأعمال والرزق، يقول: هو في أعناقكم».

(2) قال أبو عبيدة: «مجازها اسمعوني، اسمعوا مني»، وقال الفراء: «أي: فاشهدوا لي بذلك يقوله جبيب للرسل الثلاثة».

﴿ إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ أي: فاسمعوا قولي، أي: فاقبلوه. ودعاهم إلى الإيمان. وليس هذا الحرف من تفسير مجاهد. فأخذه قومه فقتلوه.

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴾ أي: وجبت لك الجنة. ﴿ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ فنصحهم حيّاً وميّتاً.

قال الله: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ أي: من رسالة في تفسير مجاهد. ﴿ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾. والجند في تفسير الحسن: الملائكة الذين يجيئون بالوحي إلى الأنبياء، فانقطع عنهم الوحي، واستوجبوا العذاب فجاءهم العذاب.

قال الله: ﴿ إِنْ كَانَت إِلَّا صَيْحَةً وَّاحِدَةً ﴾ والصيحة عند الحسن: العذاب ﴿ فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴾ أي: قد هلكوا.

قوله: ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ﴾ في أنفسهم ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: فيا لك حسرة عليهم؛ مثل قوله: (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنْبِ اللهِ) [الزمر: 56] أي: في أمر الله. إذا كان القول من العباد قال العبد: يا حسرتا، وقال القوم: يا حسرتنا. وإنما أخبر الله أن تكذيبهم للرسل حسرة عليهم[1].

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي: لا يرجعون إلى الدنيا. يعني من أهلك من الأمم السالفة حين كذّبوا رسلهم. يقول هذا لمشركي العرب. يقول: (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ)،

(1) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 375: «وقوله: (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ) المعنى: يا لها حسرة على العباد. وقرأ بعضهم: (يا حسرةَ العبادِ) والمعنى في العربية واحد؛ والله أعلم. والعرب إذا دعت نكرة موصولة بشيء آثرت النصب يقولون: يا رجلاً كريماً أقبل، ويا راكباً على البعير أقبل. وإذا أفردوا رفعوا أكثر مما ينصبون».

يحذّرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم. قال: ﴿ وَإِنْ كُلٌّ لَّمَا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[1] أي: يوم القيامة، يعني: الماضين والباقين.

قال: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ المَيْتَةُ ﴾ أي: المجدبة ﴿ أَحْيَيْنَـٰهَا ﴾ أي: بالنبات يعني بالميتة الأرض اليابسة التي ليس فيها نبات. فالذي أحياها بعد موتها قادر على أن يحيي الموتى. قال: ﴿ وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: ولم تعمله أيديهم، ونحن أنبتنا ما فيها وفجّرنا فيها من العيون[2]. ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ سُبْحَـٰنَ الذِي خَلَقَ الأَزْوَٰجَ كُلَّهَـا ﴾ يعني الأصناف كلها ﴿ مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ أي: الذكر والأنثى ﴿ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: مما خلق في البر والبحر من صغير وكبير. وهو كقوله: (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: 8].

قال: ﴿ وءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْـلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ أي: نذهب منه النهار ﴿ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾.

قال: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ أي: لا تجاوزه. وهذا أبعد منازلها، ثم ترجع إلى أدنى منازلها، في تفسير الحسن، إلى يوم القيامة، ثم تكوّر فيذهب ضوءها. ذكروا عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأها: والشمس تجري لا مستقرّ

(1) وقال الفراء في ص 376 - 377: «وقوله: (وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ) شدّدها الأعمش وعاصم. وقد خففها قوم كثير منهم من قراء أهل المدينة، وبلغني أن علياً خفّفها. وهو الوجه؛ لأنها (ما) أُدخِلت عليها لام تكون جواباً لأن، كأنك قلت: وإنْ كُلٌّ لَجميع لدينا محضرون، ولم يثقلها من ثقلها إلا عن صواب. ...».

(2) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 365: «أي: وليأكلوا مما عملته أيديهم». وزاد الطبري وجهاً آخر لإعراب (ما) فقال في تفسيره، ج 23 ص 4: «ولو قيل: (ما) بمعنى المصدر كان مذهباً، فيكون معنى الكلام: ومِنْ عَمَلِ أيديهم. ولو قيل: إنها بمعنى الجحد، ولا موضع لها، كان أيضاً مذهباً، فيكون معنى الكلام: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم». وهذا الوجه الأخير هو الذي أورده المؤلف هنا، وهو أولى بالاعتبار حتى يستشعر الإنسان سبوغ نعم الله عليه فيقابل ذلك بالشكر والحمد.

لها، وهو كقوله: (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ) [إبراهيم: 33] قال: ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾.

﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ ﴾ أي: يزيد وينقص، وفي تفسير الكلبي: يجري في منازله(1). قال الحسن: لا يطلع ولا يغيب إلا في زيادة ونقصان. ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ أي: كعذق النخلة اليابس، يعني إذا كان هلالاً(2).

قوله: ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ﴾ أي: لا يجتمع ضوءهما، في قول مجاهد، يقول: ضوء الشمس بالنهار، وضوء القمر بالليل لا ينبغي لهما أن يجتمع ضوءهما.

وفي تفسير الكلبي: لا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل فتكون مع القمر في سلطانه. وقال الحسن: لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ليلةالهلال خاصة؛ لا يجتمعان في السماء، وقد يُرَيان جميعاً ويجتمعان في غير ليلة الهلال؛ وهو كقوله: (وَالقَمَرِ إِذَا تَلَٰيهَا) [الشمس: 2] أي: إذا تبعها ليلة الهلال.

ذكروا عن بعض أهل التفسير قال: (وَالقَمَرِ إِذَا تَلَٰيهَا) أي: يتلوها صبيحة الهلال. وبعضهم يقول: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) أي: صبيحة ليلة البدر، أي: يبادر فيغيب قبل طلوعها.

---

(1) جاءت العبارة ناقصة في ع، ومضطربة مطموسة في سح، وهي أوضح في زورقة 284: «أي: يجري على منازله، لا يزيد ولا ينقص».

(2) كذا في المخطوطات كلها، وهو الصحيح، فإن لفظ الهلال يطلق أحياناً أيضاً على القمر إذا كان في أواخر منازله ليلة سبع وثمان وعشرين، قبل أن يستسرّ، وهو المراد باللفظ هنا، يدلّ على ذلك لفظ: (عَادَ). وحقيقة العرجون ما ذكره اللغويون: (عُود الكِبَاسَة) أي: العود من الموضع النابت في النخلة إلى موضع الشماريخ». قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن، ص 317: «والعرجون، إذا يبس دقّ واستقوس حتى صار كالقوس انحناءً، فشُبِّه القمر به ليلة ثمانية وعشرين». وانظر تفسير الطبري، ج 23 ص 6. أما أبو عبيدة فشرح العرجون بقوله: «هو الإهان، إهان العذق الذي في أعلاه العثاكيل، وهي المشاريخ». والمعنى واحد.

قال: ﴿ وَلَا الَّيْـلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ أي: يأتي عليه النهار فيذهبه. كقوله: (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً) [الأعراف: 54][1].

ذكروا أن أناساً من اليهود قالوا لعمر بن الخطاب: تقولون: جنة عرضها السمٰوات والأرض، فأين تكون النار؟ فقال: أرأيت إذا جاء النهار أين يكون الليل، وإذا جاء الليل أين يكون النهار. يفعل الله ما يشاء.

قوله تعالى: ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ أي: الشمس والقمر، بالليل والنهار يَسبَحون، أي: يدورون، في تفسير مجاهد، كما يدور فلك المغزل.

وقال الحسن: الفلك طاحونة مستديرة كفلكة المغزل بين السماء والأرض، تجري فيها الشمس والقمر والنجوم، وليست بملتصقة بالسماء، ولو كانت ملتصقة ما جرت.

وقال الكلبي: (يَسْبَحُونَ) أي: يجرون. وذكر بعضهم فقال: إن السماء خلقت مثل القبّة، وإن الشمس والقمر والنجوم ليس منها شيء ملتزق بالسماء، وإنما تجري في فلك دون السماء.

قوله: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتِهِمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ يعني نوحاً وبنيه الثلاثة: سام وحام ويافث؛ منهم ذرية الخلق بعدما غرق قوم نوح. والمشحون: الموقَر بحمله مما حمل نوح معه في السفينة. قال: ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ ﴾ أي: من مثل الفلك ﴿ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ يعني الإبل. ويقال: إنها سُفُن البَرّ. وقال في آية أخرى: (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ) [الزخرف: 12].

قال: ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ ﴾ أي: فلا مغيث لهم[2] ﴿ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴾ أي: من العذاب ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَـٰعاً إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أي: إلى يوم القيامة،

(1) في رواية هذه الأقوال بعض التكرار وبعض الاضطراب في ب و ع؛ والتصحيح من سح ومن ز.
(2) كذا في المخطوطات، وهو ما ذكره أبو عبيدة أيضاً: «لا مغيث لهم». وقال الفراء: «الصريخ: الإغاثة». وانظر اللسان: (صرخ).

ولم نهلكهم بعذاب الاستئصال، وسيهلك كفار آخر هذه الأمة بالنفخة الأولى.

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ ﴾ أي: (مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) من وقائع الله بالكفّار، أي: لا ينزل بكم ما نزل بهم. (وَمَا خَلْفَكُمْ) عذاب الآخرة بعد عذاب الدنيا. يقوله النبي عليه السلام للمشركين. وهذا تفسير الحسن.

وقال الكلبي: (مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ): من أمر الآخرة، اتّقوها واعملوا لها، (وَمَا خَلْفَكُمْ) الدنيا إذا كنتم في الآخرة، فلا تغترّوا بها، أي: بالدنيا، فإنكم لتأتون الآخرة.

وقال مجاهد: اتّقوا ما بين أيديكم وما خلفكم من الذنوب.

قال: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أي: لكي ترحموا.

قوله: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنَ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ تفسير الحسن: ما يأتيهم من رسول.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللهُ ﴾ وهذا تطوّع ﴿ قَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ ﴾ فإذا لم يشأ الله أن يطعمه لم نطعمه ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ يقوله المشركون للمؤمنين.

قال: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ ﴾ أي: هذا العذاب ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ أي: يكذّبون به.

قال الله: ﴿ مَا يَنْظُرُونَ ﴾ أي: ما ينتظر[1] كفار آخر هذه الأمة الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه ﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَّاحِدَةً ﴾ أي: النفخة الأولى، بها يكون هلاكهم ﴿ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخَصِّمُـونَ ﴾ [أي: يختصمون][2] في أسواقهم يتبايعون، يذرعون

(1) في ع وسح: ما ينظر. وأثبت ما جاء في ز ورقة 284 وهو الصحيح لأن النظر هنا بمعنى الانتظار.

(2) زيادة من ز، ورقة 284.

الثياب، ويخفض أحدهم ميزانه ويرفعه، ويحلبون اللّقاح، وغير ذلك من حوائجهم.

ذكر أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه، فما يطويانه حتى تقوم الساعة، وتقوم الساعة والرجل يخفض ميزانه ويرفعه، وتقوم الساعة والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم الساعة، وتقوم الساعة والرجل قد رفع لقمة إلى فيه فما تصل إلى فيه حتى تقوم الساعة[1].

قال بعض أهل العلم: قضى الله ألا تأتيكم الساعة إلا بغتة، يعني قوله تعالى: (لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً) [الأعراف: 187].

قوله: ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ أي: أن يوصوا ﴿ وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: من أسواقهم وحيث كانوا، أخذتهم فلا يرجعون.

قوله: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ فهذه النفخة الآخرة، والصور قرن ينفخ فيه.

ذكروا عن سليمان التيمي عن أسلم العجلي عمن حدّثه عن رجل من أصحاب النبي عليه السلام قال: سئل رسول الله ﷺ عن الصور فقال: هو قرن ينفخ فيه[2]. وذكر بعضهم قال: ونفخ في الصور، أي: في الخلق.

ذكروا عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال: تجعل الأرواح في الصور ثم ينفخ فيه صاحب الصور فيذهب كل روح إلى جسده مثل النحل، فتدخل الأرواح في أجسادها، ويقومون.

قال: ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ أي: فإذا هم من القبور إلى ربهم يخرجون، يعني جميع الخلق.

---

(1) رواه ابن سلام عن عثمان عن نعيم بن عبد الله عن أبي هريرة، وأخرجه البخاري في كتاب الرقاق، ومسلم في كتاب الفتن، وانظر ما سلف، ج 2 ص 63.

(2) أخرجه ابن سلام بهذا السند هكذا: «عاصم بن حكيم عن سليمان التيمي عن أسلم العجلي عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فسأله عن الصور. . . كما جاء في سح ورقة 180.

﴿ قَالُوا يَـٰوَيْلَنَـا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ [قال بعضهم: تكلّم بأول هذه الآية أهل الضلالة وبآخرها أهل الإيمان. قال أهل الضلالة: (يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا)][1]. قال المؤمنون: ﴿ هٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾. ذكروا عن الحسن عن أبي بن كعب مثل ذلك.

ذكروا عن زيد بن أسلم قال: قال الكافر: (مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا). قالت الملائكة: (هٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ).

وقال بعضهم يقول: هم الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد.

قولهم: (مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا) هو ما بين النفختين لا يعذّبون في قبورهم ما بين النفختين. ويقال: إنها أربعون سنة؛ فلذلك قالوا: (يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا). وذلك أنه إذا نفخ في الصور النفخة الأولى قيل له: اخمد، فيخمد إلى النفخة الآخرة.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: بين النفختين أربعون الأولى يميت الله بها كل شيء، والآخرة يحيي الله بها كل ميت[2]. وبلغنا عن عكرمة قال: النفخة الأولى من الدنيا، والنفخة الثانية من الآخرة. وقال الحسن: القيامة اسم جامع يجمع النفختين جميعاً.

قوله تعالى: ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَّاحِدَةً ﴾ يعني ما كانت إلا صيحة واحدة. ﴿ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ ﴾ أي: المؤمنون والكافرون جميعاً ﴿ لَّـدَيْنَا ﴾ أي: عندنا ﴿ مُّحْضَرُونَ ﴾.

قال: ﴿ فَالْيَوْمَ ﴾ يقوله يومئذ ﴿ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

---

(1) سقط ما بين المعقوفين من ب و ع فأثبته من ز ورقة 284 ومن سح ورقة 181.

(2) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 348.

فأخبر بمصير أهل الإيمان وأهل الكفر فقال: ﴿ إِنَّ أَصْحَـٰبَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ ﴾ يعني في الآخرة ﴿ فِي شُغْلٍ فَـٰكِهُونَ ﴾ قال بعضهم: (فِي شُغْلٍ) في افتضاض العذارى. قال: (فَاكِهُونَ) أي: مسرورون في تفسير الحسن. وبعضهم يقول: معجبون.

قوله: ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُـمْ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ أي: على السرر في الحجال ﴿ مُتَّكِئُونَ ﴾ بلغنا أن أحدهم يعطى قوة مائة رجل شاب في الشهوة والجماع، وأنه يفتض في مقدار ليلة من ليالي الدنيا مائة عذراء بذكر لا يملّ ولا ينثني، وفرج لا يحفى، ولا يُمنى في شهوة أربعين عاماً.

ذكر الحسن قال: قال رسول الله ﷺ[1]: إن أهل الجنة يدخلونها كلهم نساؤهم ورجالهم من عند آخرهم أبناء ثلاث وثلاثين سنة على طول آدم، طوله ستون ذراعاً، الله أعلم بأي ذراع هو [جُرداً مُرداً مكحّلين][2] يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون، والنساء عرباً أتراباً لا يحضن ولا يبلن ولا يقضين حاجة فيها قذر.

قال: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ أي: ما يشتهون. يكون في في أحدهم الطعام فيخطر على باله طعام آخر فيتحول ذلك الطعام في فيه على ما اشتهى. ويأكل من ناحية من البسرة بسراً، ثم يأكل من ناحية أخرى عنباً إلى عشرة ألوان أو ما شاء الله من ذلك. ويصف الطير بين يديه، فإذا اشتهى الطائر منها اضطرب ثم صار بين يديه نضيجاً، نصفه شواء ونصفه قدير، وكل ما اشتهت أنفسهم وجدوه، كقوله: (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ) [الزخرف: 71][3].

---

(1) رواه ابن سلام هكذا: خالد عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ. . .

(2) زيادة من سح، ورقة 182.

(3) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 164: «(ما يَدَّعُونَ) أي: ما يتمنون. تقول العرب: ادَّعِ عليَّ ما شئت. أي: تَمَنَّ عليَّ ما شئت».

قوله عز وجل: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ قال بعضهم: يأتي الملك من عند الله إلى أحدهم فلا يدخل عليه حتى يستأذن عليه، يطلب الإذن من البواب الأول فيذكره للبوّاب الثاني، ثم كذلك حتى ينتهي إلى البواب الذي يليه، فيقول له البواب: ملك على الباب يستأذن، فيقول: ائذن له؛ فيدخل بثلاثة أشياء: بالسلام من الله، وبالتحفة والهدية، وبأن الله عنه راض. وهو قوله: (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً) [الإنسان: 20].

قوله: ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: المشركون والمنافقون، أي: تمايزوا عن أهل الجنة إلى النار. وقال بعضهم: عزلوا عن كل خير.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدِ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِي ءَادَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَـٰنَ ﴾ أي: إنهم عبدوا الأوثان بما وسوس إليهم الشيطان، فأمرهم بعبادتهم، فإنما عبدوا الشيطان. قال: ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

قال: ﴿ وَأَنِ اعْبُدُونِي ﴾ أي: لا تشركوا بي شيئاً ﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أي: هذا دين مستقيم. والصراط الطريق السهل إلى الجنة.

قال: ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً ﴾ أي: خلقاً كثيراً، أضل من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. قال: ﴿ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾. وأخبر عنهم فقال في آية أخرى: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) أي: لو كنا نسمع أو نعقل لآمنا في الدنيا فلم نكن من أصحاب السعير. قال الله: (فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) [الملك: 10 - 11].

قوله: ﴿ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ أي: في الدنيا إذا لم تؤمنوا ﴿ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ أي: في الدنيا.

﴿ الْيَوْمَ ﴾ يعني في الآخرة ﴿ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي: يعملون.

ذكروا عن أبي موسى الأشعري قال: قالوا والله ما كنا مشركين، فختم الله على

أفواههم، ثم قال للجوارح: انطقي، قال: إن أوّلَ ما يتكلم من أحدهم فخذه. قال الحسن [بن دينار: نسيت][1] اليسرى قال أم اليمنى. وتفسير الحسن: إن هذا آخر مواطن يوم القيامة، فإذا ختمت أفواههم لم يكن بعد ذلك إلا دخول النار.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ ﴾[2] يعني المشركين ﴿ فَاسْتَبَقُوا الصِّرٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ أي: لو نشاء لأعميناهم فاستبقوا الصراط، أي: الطريق، (فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ) أي: فكيف يُبْصِرون إذا أعميناهم.

قال: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَـٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾ أي: لو نشاء لأقعدناهم على أرجلهم[3]. ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي: إذا فعلنا ذلك بهم لم يستطيعوا أن يتقدّموا ولا يتأخّروا.

قال: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ ﴾ أي: إلى أرذل العمر. ﴿ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ فيكون بمنزلة الصبيّ الذي لا يعقل. وهو كقوله: (وَمِنْكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً) [الحج: 5] قال: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يقوله للمشركين. أي: فالذي خلقكم، ثم جعلكم شبّاناً، ثم جعلكم شيوخاً، ثم نكسكم في الخلق فردّكم بمنزلة الطفل الذي لا يعقل قادر على أن يبعثكم يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ الشِّعْرَ ﴾ يعني النبي عليه السلام ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ أي: أن يكون شاعراً ولا يروي الشعر.

ذكروا عن عائشة أنها قالت: لم يتكلم رسول الله ﷺ ببيت شعر قط؛ غير أنه

---

(1) زيادة من سح ورقة 184 لتستقيم العبارة. وقد ورد الخبر بهذا السند: حدثنا الحسن بن دينار عن حميد بن هلال عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال. . .

(2) قال أبو عبيدة في تفسير الآية: «يقال أعمى طَمِس ومطموس، وهو أن لا يكون بين جفني العين غَرّ، وهو الشقّ بين الجفنين، والريح تطمس الأثر فلا يُرى، والرجل يطمِس الكتاب».

(3) كذا ورد في المخطوطات ب و ع و ز و سح، وهو قول للحسن وقتادة، وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 165: «على مكانتهم: المكان والمكانة واحد».

أراد أن يتمثّل ببيت شاعر بني فلان فلم يُقِمه. قال بعضهم: أظنّه الأعشى، وبعضهم يقول: طرفة بن العبد.

ذكروا عن أبان العطار أو غيره أن رسول الله ﷺ قال: قاتل الله طرفة حيث يقول:

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَـأْتِيكَ من لم تـزوّد بـالأخبـار

فقيل له: إنه قال: وَيأتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَن لَّمْ تُزَوِّدِ فقال: هذا وذاك سواء[1].

وقال بعضهم: هو شعر لعباس بن مرداس[2] تمثل ببيت منه فلم يُقِمه. وهو قوله:

أَتَـجْـعَـلَ نَـهْـبِي وَنَـهْـبَ الـعُـبَـيْـ ـدِ بَـيْـنَ عُـيَـيْـنَـةَ وَالأَقْـرَعِ

فقال النبي عليه السلام: أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة. فقال له أبو بكر: بين عيينة والأقرع. فقال النبي عليه السلام: هذا وذاك سواء. فلم ينطق لسانه بالشعر. وأداره مراراً فلم ينطق به. فأنزل الله: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ أي: أن يكون شاعراً.

---

(1) روى أحمد في مسنده هذا الخبر عن عائشة رضي الله عنها، وزاد السيوطي في الدر المنثور، ج 2 ص 268 روايته من طريق ابن أبي شيبة عن عائشة أيضاً «قالت: كان رسول الله ﷺ إذا استراب الخبر تمثل ببيت طرفة. ولم أجد في هذا الخبر عبارة «قاتل الله طرفة» إلا عند ابن سلام في سح ورقة 185. وجاء في بعض كتب التفسير والحديث أن رسول الله ﷺ قال: إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي. أما بيت طرفة فهو من معلقته الشهيرة، البيت 118 من رواية أبي زيد القرشي في جمهرة أشعار العرب، ج 1 ص 423.

(2) هو أبو الفضل عباس بن مرداس السلمي، من المؤلفة قلوبهم، وقد مدح الرسول ﷺ بقصائد جياد بعدما أسلم وحسن إسلامه. انظر قصّة عطاء الرسول ﷺ إياه من غنائم حُنين، ولما استقله عباس أنشد أبياتاً أرضاه الرسول ﷺ بعدها، انظر تفصيل ذلك في سيرة ابن هشام، ج 4 ص 494.

قال: ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ يعني ما هو ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ يذكرون به الجنة[1]. وقال بعضهم: إن هو إلا تفكر[2] في ذات الله. ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: بيّن.

﴿ لِّتُنْذِرَ ﴾ أي: من النار. وتقرأ بالتاء والياء. فمن قرأها بالياء فهو يعني لينذر القرآن، ومن قرأها بالتاء فهو يعني لتنذر يا محمد ﴿ مَنْ كَانَ حَيّاً ﴾ أي: مؤمناً، وهو الذي يقبل نذارتك. ﴿ وَيَحِقُّ الْقَوْلُ ﴾ أي: الغضب ﴿ عَلَى الْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي: بكفرهم.

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ أي: بقوتنا في تفسير الحسن. كقوله: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ) [الذاريات: 47] أي: بقوة ﴿ أَنْعَـٰماً فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴾ أي: ضابطون ﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ ﴾ يعني الإبل والبقر والغنم والدواب والخيل والبغال والحمير. ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ ﴾ أي: من الإبل والخيل والبغال والحمير. ﴿ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ أي من الإبل والبقر والغنم، وقد يرخّص في الخيل.

ذكروا عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله أنهم أكلوا يوم خيبر الحمير والبغال والخيل، فنهى رسول الله ﷺ عن الحمير والبغال ولم ينه عن الخيل. وذكروا عن عطاء عن جابر بن عبد الله أنهم كانوا يأكلون لحوم الخيل على عهد رسول الله ﷺ[3].

قال: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ ﴾ أي: في أصوافها وأوبارها وأشعارها ولحومها ﴿ وَمَشَارِبُ ﴾ أي: يشربون من ألبانها. ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ أي: فليشكروا هذه النعم.

قوله: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ أي: يمنعون كقوله:

---

(1) قال الطبري في تفسيره، ج 23 ص 27: «ما هو إلا ذكر، يعني بقوله: (إِنْ هُوَ) أي: إن محمد إلا ذكر لكم أيها الناس، ذكّركم الله بإرساله إياه إليكم ونبّهكم به على حظّكم. (وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ) يقول: وهذا الذي جاءكم به محمد قرآن مبين...».

(2) كذا في ب وفي ز ورقة 285: «تفكر»، وفي سح: «تذكر»، والأول أنسب.

(3) رواه ابن سلّام بهذا السند في سح ورقة 185: «حدثنا الفرات بن سلمان عن عبد الكريم عن عطاء عن جابر بن عبد الله أنهم كانوا...».

(وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً) [مريم: 81] قال: ﴿ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ﴾ أي: لا تستطيع آلهتهم نصرهم ﴿ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ أي: معهم في النار.

قوله: ﴿ فَلاَ يُحْزِنْكَ قَوْلُهُمْ ﴾ أي: إنك شاعر وإنك ساحر وإنك كاهن وإنك مجنون وإنك كاذب ﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾ أي: من عداوتهم لك ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ من كفرهم بما جئتهم به، فنعصمك منهم ونذلّهم لك. ففعل الله ذلك بهم.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ أي: وقد علم أنا خلقناه، أي: فكما خلقناه فكذلك نعيده. ﴿ قَالَ: مَن يُّحْيِي الْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ أي: وهي رفات.

ذكروا عن مجاهد قال: أتى أبيّ بن خلف إلى النبي ﷺ بعظم نخر ففتّه بيده فقال: يا محمد، أيحيي الله هذا وهو رميم؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم ويحييك الله بعد موتك ثم يدخلك النار(1). فأنزل الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ يُحْيِيهَا الذِي أَنْشَأَهَا ﴾ أي: خلقها ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ وهو كقوله: (أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) [الملك: 14] أي: بلى.

قال: ﴿ الذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾. فكل عود يُزنَد منه النار فهو من شجرة خضراء.

قال: ﴿ أَوَلَيْسَ الذِي خَلَقَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَى أَن يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الخَلَّـٰقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾.

قال: ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ﴾ ينزّه نفسه ﴿ الذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ تفسير الحسن: ملك كل شيء، وبعضهم يقول: خزائن كل شيء. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يوم القيامة.

(1) رواه ابن سلام عن المعلى عن أبي يحيى عن مجاهد، وأخرجه ابن جرير الطبري عن مجاهد وعن قتادة مرسلاً. ورواه الواحدي في أسباب النزول ص 385 عن أبي مالك، وأخرجه أيضاً سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي عن أبي مالك أيضاً. وانظر الدر المنثور، ج 5 ص 269.

تفسير سورة الصَّافَّات
وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ وَالصَّـٰفَّـٰتِ صَفّاً ﴾ يعني صفوف الملائكة[1] ذكروا عن عطاء قال: ليس في السماوات موضع شبر إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد.

ذكروا عن محمد بن المنكدر قال: قال رسول الله ﷺ: أطّت السماء، أي: صوّتت، وحقّ لها أن تئط، ليس فيها موضع شبر إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد[2].

قال: ﴿ فَالـزَّٰجِـرَٰتِ زَجْراً ﴾ أي: الملائكة تزجر السحاب، منهم صاحب الصور. قال في آية أخرى: (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَّاحِدَةٌ) [النازعات: 13] قال:

﴿ فَالتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْراً ﴾ يعني الملائكة تتلو الوحي الذي تأتي به الأنبياء. أقسم بهذا كله. ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِـدٌ رَبُّ السَّـمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَـٰرِقِ ﴾. ذكر بعضهم فقال: لها ثلاثمائة وستون مشرقاً وثلاثمائة وستون مغرباً. وقال بعضهم: هي

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 166: «والصافات»، كل شيء بين السماء والأرض لم يضم قتريه [أي: قطريه] فهو صاف».

(2) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 70.

(3) المعنى أعم من ذلك. قال ابن عاشور في التحرير والتنوير، ج 23 ص 84: والمراد به: تسخير الملائكة المخلوقات التي أمرهم الله بتسخيرها خلقاً أو فعلاً، كتكوين العناصر، وتصريف الرياح، وإزجاء السحاب إلى الآفاق».

ثمانون ومائة منزلة، تطلع كل يوم في منزلة، حتى تنتهي إلى آخرها، ثم ترجع في تلك الثمانين ومائة، فتكون ثلاثمائة وستين، فهي كل يوم في منزلة.

وقال بعضهم في قوله: (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبَيْنِ) [الرحمٰن: 17] قال: لها مشرق في الشتاء ومشرق في الصيف، ومغرب في الشتاء ومغرب في الصيف. وقوله: (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) [المزمل: 9] أي: ربّ المشرق كله وربّ المغرب كله.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظاً ﴾ أي: وجعلناها، أي: الكواكب، حفظاً للسماء. ﴿ مِّنْ كُلِّ شَيْطَـٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ أي: مرد على المعصية، أي: اجترأ على المعصية، وهم سراة إبليس.

﴿ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ أي: لئلا يسمعوا ﴿ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَىٰ ﴾ يعني الملائكة في السماء، وكانوا يسمعون قبل أن يبعث النبي ﷺ أخباراً من أخبار السماء. أما الوحي فلم يكونوا يقدرون على أن يسمعوه، وكانوا يقعدون منها مقاعد للسمع، فلما بعث النبي عليه السلام مُنِعوا من تلك المقاعد. قال: (لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَىٰ) ﴿ وَيُقْذَفُونَ ﴾ أي: ويرمون ﴿ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾ أي: من كل مكان ﴿ دُحُوراً ﴾ أي: طرداً، يطردون عن السماء.

ذكروا عن أبي رجاء العطاردي قال: كنا قبل أن يبعث النبي ﷺ ما نرى نجماً يُرمى به، فبينما نحن ذات ليلة إذا النجوم قد رُمي بها، فقلنا: ما هذا إلا أمر حدث؛ فجاءنا أن النبي ﷺ قد بعث، فأنزل الله في سورة الجن: (وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَّسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً) [الجن: 9].

قوله: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَّاصِبٌ ﴾ أي: دائم. ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ رجع إلى الكلام الأول: (لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَىٰ) إلا من خطف الخطفة، أي: استمع الاستماعة كقوله: (إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ) [الحجر: 18] قال: (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) أي: مضى.

ذكروا عن بعضهم قال: ثقوبه ضوءه. ذكروا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

قال: إذا رأيتم الكوكب قد رمي به فتواروا فإنه لا يخطىء، وهو يحرق ما أصاب ولا يقتل. وتفسير الحسن: إنه يقتله في أسرع من الطرف.

ذكروا عن محمد بن سيرين عن رجل قال: كنا مع أبي قتادة على سطح فانقض كوكب فنهانا أبو قتادة أن نتبعه أبصارنا.

ذكروا عن عمرو قال: سأل حفص الحسن: أأتبع بصري الكوكبَ فقال: قال الله: ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ ﴾ [الملك: 5] وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف: 185] كيف نعلم إذا لم ننظر إليه. لأتبعنّه بصري.

قوله عز وجل: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ أَهُم أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَا ﴾ يعني السماء في تفسير مجاهد. وقال الحسن: أم السماء والأرض. وقال في آية أخرى: ﴿ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَيٰهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّيٰهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَيٰهَا ﴾ [النازعات: 27 - 30] وقال: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر: 57] يقول: فاسألهم، على الاستفهام، أي: فحاجّهم بذلك، ﴿ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ ﴾؛ في قول مجاهد. وفي قول الحسن: أم السماء والأرض. أي: إنهما أشد خلقاً منهم.

قوله: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ واللازب: الذي يلصق باليد، في تفسير بعضهم. واللاصق واللازق واحد. وهي لغة. وقال مجاهد: لازب أي: لازم، وهو واحد. وهو الطين الحرّ في تفسير بعضهم، يعني خلق آدم. وكان أول خلقه تراباً، ثم كان طيناً. قال: ﴿ هُوَ الذِي خَلَقَكُم مِّنْ تُرَابٍ ﴾ [غافر: 67]، وقال: ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمٰن: 14]، وهو التراب اليابس الذي يسمع له صلصلة. وقال: ﴿ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ وقال: ﴿ مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: 26، و 28، و 33] يعني الطين المنتن.

قوله: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ يا محمد أن أعطيت هذا القرآن ﴿ وَيَسْخَرُونَ ﴾ هم، يعني المشركين[1]. ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا ﴾ أي: بالقرآن ﴿ لَا يَذْكُرُونَ ﴾ قال: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا

(1) (بَلْ عَجِبْتَ) بالنصب، وهي قراءتنا، كما أثبتها المؤلف هنا، وقال الفراء في المعاني، ج 2 =

ءايَةً ﴾ أي: وإذا تليت عليهم آية ﴿ يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ أي: من السخرية.

﴿ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا ﴾ يعنون القرآن ﴿ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: بيّن أنه سحر. ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَءَابَاؤُنَا الأَوَّلُونَ ﴾ قالوا هذا على الاستفهام. وهذا استفهام على إنكار، أي: لا نبعث ولا آباؤنا الأولون.

قال الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ نَعَمْ ﴾ تبعثون جميعاً ﴿ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ أي: صاغرون. قوله: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ أي: النفخة الآخرة ﴿ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ أي: قد خرجوا من قبورهم ينظرون.

﴿ وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ أي: يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم. ﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي: يوم القضاء، يقضي فيه بين المؤمنين والمشركين، فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار.

قوله: ﴿ احْشُرُوا الذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ أي: سوقوا الذين أشركوا وأزواجهم، أي: وأشكالهم. [وقال بعضهم: (وَأَزْوَاجَهُمْ) أي: وقرناءهم من الشياطين][1] ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ الْجَحِيمِ ﴾.

ذكروا عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب في قوله: (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) [التكوير: 7] قال: يزوّج كل إنسان نظيره من النار، ثم تلا هذه الآية: (احْشُرُوا الذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ) أي: فادعوهم (إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ).

تفسير الحسن: أن كل قوم يلحقون بصنفهم. (وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) في تفسير الحسن، بمعنى الشياطين التي دعتهم إلى عبادة الأوثان، وإنما عبدوا الشياطين.

= ص 384: إن القراءة بالرفع أحبّ إليه لأن علياً وابن مسعود وابن عباس قرأوا برفع التاء، وشرح الفراء وجه هذه القراءة.

(1) زيادة من سح، ورقة 192.

وقال الكلبي: (احْشُرُوا الذِين ظَلَمُوا) أي: اشركوا، (وَأَزْوَاجَهُمْ) أي: ومن عمل بأعمالهم من بني آدم.

قوله: (فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الجَحِيمِ) أي: إلى طريق الجحيم. والجحيم اسم من أسماء جهنم، وهو الباب الخامس، وإنما أبوابها سبعة: جهنم، وهو الباب الأعلى، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الجحيم، ثم سقر، ثم الهاوية، وهي الدرك الأسفل من النار، وجهنم اسم جامع لتلك الأبواب. قال: (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ) [النحل: 29] وكل باب منها هو النار، الأعلى جهنم، ثم لظى، والنار كلها لظى. قال: (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّىٰ) [الليل: 14] أي: تأجج. ثم الحطمة، والنار كلها حطمة، أي: تحطم عظامهم وتأكل كل شيء منهم إلا الفؤاد. قال: (كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) [الهمزة: 4] ثم السعير، والنار كلها سعير، تسعر عليهم، قال: (وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً) [النساء: 10] ثم الجحيم، والنار كلها جحيم، قال: (قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الجَحِيمِ) [الصافات: 97] أي: في النار. ثم سقر، والنار كلها سقر. قال (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرَ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ) [المدثر: 26 - 28] فكذلك تفعل تلك الأبواب كلها بهم، لا تبقي أجسادهم حين يدخلونها ولا تذر، أي: حين يجدّد خلقهم حتى تأكل أجسادهم، وهو قوله: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) [النساء:56]، ثم الهاوية، والنار كلها هاوية، يهوون فيها. قال: (فَأُمُّهُ هَاوِيَة) [القارعة:9]، غير أن هذه الأنواع التي وصف بها النار لكل باب من أبوابها اسم من تلك الأنواع سمّيت به، ولكل قوم من أهل النار منزل من تلك الأبواب التي سمّيت بهذه الأسماء.

قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ ﴾ أي: احبسوهم، وهذا قبل أن يدخلوا النار. ﴿ إِنَّهُم مَسْئُولونَ ﴾ أي: عن لا إله إلا الله. ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ أي: لا ينصر بعضكم بعضاً.

قال الله: ﴿ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ أي: استسلموا.

قال: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ أي: الإنس والشياطين ﴿ قَالُوا ﴾ أي: قالت الإنس: ﴿ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾. قال مجاهد: أي: من قبل الدين، فصددتمونا عنه، وزيّنتم لنا الضلالة في تفسير الكلبي. وقال بعضهم: (عَنِ اليَمِينِ) أي: من قبل الخير فتثبطوننا عنه، وهو واحد[1].

﴿ قَالُوا ﴾ أي: قالت الشياطين للمشركين من الإنس: ﴿ بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَٰنٍ ﴾ كقوله: (فَإِنَّكُمْ) يا بني إبليس، (وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِين) أي: لستم بمضلي أحد (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) [الصافّات: 161 - 163] [وقال بعضهم: (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَانٍ) أي: من ملك فنقهركم به على الشرك][2] ﴿ بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طَٰغِينَ ﴾ تقوله الشياطين للمشركين. ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴾ أي: العذاب، ﴿ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ ﴾ أي: فأضللناكم، يقوله الشياطين للمشركين. ﴿ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴾ أي: إنا كنا ضالّين.

قال الله: ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ أي: يقرن كل واحد منهم هو وشيطانه في سلسلة واحدة. قال: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: بالمشركين.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي[3]: عنها ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ يعني المشركين ﴿ أَئِنَّا لَتَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ يعنون النبي عليه السلام. أي: لا نفعل.

قال الله: ﴿ بَلْ جَاءَ ﴾ يعني محمداً ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالتوحيد ﴿ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ قبله. ﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾ أي: الموجع، يقوله للمشركين، يعني عذاب جهنم. قال: ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

(1) وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 384 في تفسير الآية: «يقول: كنتم تأتوننا من قبل الدين، أي: تأتوننا تخدعوننا بأقوى الوجوه. واليمين: القدرة والقوة».

(2) زيادة من سح، ورقة 193 - 194.

(3) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 168: «مجازها: إذا قيل لهم قولوا لا إله إلا الله».

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ استثنى المؤمنين، وهم من كل ألف واحد. ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ أي: الجنة؛ ﴿ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴾ أي: يكرمون فيها. ﴿ فِي جَنَّـٰتِ النَّعِيمِ ﴾ الناعمة. ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ والسرر مرمولة[1] بالذهب وبقضبان اللؤلؤ الرطب. (مُتَقَابِلِينَ) أي: لا ينظر بعضهم إلى بعض. قال بعضهم: ذلك في الزيادة إذا تزاوروا.

قال: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ ﴾ وهي الخمر ﴿ مِّن مَّعِينٍ ﴾ والمعين الجاري الظاهر. ﴿ بَيْضَاءَ ﴾ يعني الخمر ﴿ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ أي: ليس فيها وجع بطن[2] ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ أي: إذا شربوها لا تذهب عقولهم، أي: لا يسكرون[3].

قال: ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ ﴾ قصرن طرفهن على أزواجهن لا يردن غيرهم ﴿ عِينٌ ﴾ أي: عظام العيون. الواحدة منها عيناء، والعِين: جماعتهن، نسبن إلى عظم العيون. قال: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ أي: لم يمرث ولم تمسّه الأيدي. وبعضهم يقول: هي القشرة الداخلة، وبعضهم يقول: يعني بالبَيض اللؤلؤ، كقوله: (وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) [الواقعة: 22 - 23] أي: في أصدافه.

قوله: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ يعني أهل الجنة.

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ أي: صاحب في الدنيا ﴿ يَقُولُ أَءِنَّكَ

---

(1) في ب و ع: «مزينة». وأثبت ما جاء في سح ورقة 194: «مرمولة» وهي أفصح. يقال: رمل السرير والحصير يرمله رملًا: زينه بالجوهر ونحوه». انظر اللسان: (رمل).

(2) في ع: «وجع يضر»، وفي ب وسح: «وجع بطن»، وهو قول مجاهد كما جاء في تفسيره، ص 451. وقال الفراء: «ليس فيها غيلة وغائلة وغُول وغَول». وقال أبو عبيدة: «والغول أن تغتال عقولهم. قال الشاعر:

وما زالت الكأس تغتالنا وتذهب بالأول الأول»

(3) وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 370: « (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ) أي: لا تذهب خمرهم وتنقطع، ولا تذهب عقولهم. يقال: نُزِفَ الرجلُ: إذا ذهب عقله، وإذا نفد شرابه».

لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴾ على الاستفهام ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً إِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ أي: أإنا لمحاسبون قال بعضهم: هما اللذان في سورة الكهف في قوله: (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِن أَعْنَابٍ. . .) إلى آخر قصتهما [الكهف: 31 - 42]. قال المؤمن منهما في الجنة، الذي قال: (إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ).

[﴿ قَالَ هَلْ أَنْتُم مُّطَّلِعُونَ فَاطَّلَعَ فَرَءاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ أي: في وسط الجحيم.

قال بعضهم: فوالله لولا أن الله عرّفه إياه ما كان ليعرفه؛ لقد تغيّر حِبره وسِبره[1]. وقال مجاهد: (إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ)][2] أي: شيطان.

ذكروا أن كعباً قال: إن بين الجنة والنار كُوًى، فإذا أراد الرجل من أهل الجنة أن ينظر إلى عدوّ له من أهل النار اطّلع فرآه، وهو قوله: (إِنَّ الذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَاكِهِينَ) يعني المشركين. (وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ). قال الله: (وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ) (فَالْيَومَ) يعني في الآخرة (الذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ) أي: على السرر (يَنْظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) قال الحسن: هذه والله الدُّولة.

قوله عز وجل: ﴿ قَالَ تَاللهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾ أي: لتباعدني من الله. يقول: تالله لقد كدت تغويني. يقوله المؤمن لصاحبه. وقال مجاهد: يقوله المؤمن لشيطانه. ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي ﴾ أي: الإسلام ﴿ لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ أي: معك في النار.

---

(1) «حِبره وسِبره» بكسر الحاء والسين وفتحهما، أي: جماله وحسن هيئته. وقيل في الحِبر: حُسن البَشَرة. وفي السبر: «ما عرف من هيئة الإنسان وشارته» وانظر اللسان (حبر) و(سبر)، وانظر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج 1 ص 251 (حبر).

(2) سقط ما بين المعقوفين كله من ب و ع، فأثبته من سح ورقة 195، ومن ز ورقة 287. وهذا من فساد النساخ وعدم تثبتهم.

ثم قال: ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ ﴾ وليس هي إلا موتة واحدة، التي كانت في الدنيا. كقوله: (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَىٰ) [النجم: 50] أي: لم تكن عاد قبلها. ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ قاله على الاستفهام، وهذا الاستفهام على تقرير، أي: قد أمِن ذلك.

ثم قال: ﴿ إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ أي: النجاة العظيمة من النار إلى الجنة.

قال الله عز وجل: ﴿ لِمِثْلِ هٰذَا ﴾ [يعني ما وصف مما فيه أهل الجنة][1] ﴿ فَلْيَعْمَلِ الْعَـٰمِلُونَ ﴾.

ثم قال: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴾ أي: إنه خير نزلاً من شجرة الزقوم. ﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: للمشركين.

وكلُّ ما يذكر في السور المكّيّة من ظلم أو جرم أو فسق أو ضلال فهو فسق الشرك وظلمه وجرمه وضلاله خاصة. وما كان من السور المدنية فقد يذكر فيها ظلم النفاق وجرمه وفسقه وضلاله، ويذكر فيها ظلم الشرك وجرمه وفسقه وضلاله[2].

ذكروا عن بعضهم قال: لما نزلت هذه الآية دعا أبو جهل بتمر وزبد فقال تزقّموا. فما نعلم الزقّوم إلا هذا؛ فأنزل الله: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْـرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . . .) إلى قوله: (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ).

ذكروا عن السدي قال: لما نزلت: (أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ) قالوا: ما نعرف هذه الشجرة، فقال عبد الله بن الزبعري: لكني والله أعرفها، هي شجرة تكون بإفريقية. فلما نزل: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤوسُ الشَّيَاطِينِ) قالوا: ما يشبه هذه التي يصف محمد ما يقول ابن الزبعرى.

(1) زيادة من سح، ورقة 196.
(2) هذه الفقرة كلها من زيادات الشيخ هود الهواري، وهي غير موجودة في سح ولا في ز.

قوله: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ قال بعضهم: بلغنا أنها في الباب السادس، وأنها لتحيَا بلهيب النار كما يحيا شجركم ببرد الماء. قال: فلا بد لأهل النار من أن ينحدروا إليها، يعني من كان فوقها، فيأكلوا منها.

قوله: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَـٰطِينِ ﴾ أي: ثمرتها كأنها رؤوس الشياطين؛ يقبّحها بذلك. وقال بعضهم: رؤوس الثعابين، يعني الحيات[1].

قال: ﴿ فَإِنَّهُمْ لأكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ قال: ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ أي: لمزاجاً من حميم[2]، وهو الماء الحار، فيقطع أمعاءهم. كقوله: (وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) [محمد عليه السلام: 15]. والحميم الحار الذي لا يستطاع من حره. قال: ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ كقوله: (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) [الرحمن: 42] أي: قد انتهى حرّه.

قال: ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُـمْ ضَالِّينَ ﴾ أي: وجدوا، أدركوا آباءهم ضالّين ﴿ فَهُمْ عَلَىٰ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ أي: يسعون، والإهراع الإسراع. قال مجاهد: كهيئة لهرولة.

قوله: ﴿ وَلَقَد ضَلَّ قَبْلَهُمْ ﴾ أي: قبل مشركي العرب ﴿ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ ﴾ كقوله: (كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ) [الروم: 42]. قال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنْذِرِينَ ﴾ أي: في الذين مضوا قبلهم، منذرين، يعني الرسل، أي: فكذبوهم. ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ أي: الذين أنذرتهم الرسل فكذّبوهم، أي: كانت عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيَّرهم إلى النار.

---

(1) وقيل: أريد برؤوس الشياطين ثمر الأَسْتَن. والأستن (بفتح الهمزة وسكون السين وفتح التاء) شجرة في بادية اليمن يشبّه شخوص الناس ويسمى ثمره رؤوس الشياطين، وإنما سمّوه كذلك لبشاعة مرآه، ثم صار معروفاً، فشبّه به في الآية... انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 23 ص 124.

(2) قال ابن أبي زمنين: «الشوب: المصدر، والشوب: الاسم، المعنى أن لهم على أكلها لَخِلطاً ومزاجاً من حميم».

قوله: ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ استثنى من آمن وصدق الرسل[1].

قوله: ﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحٌ ﴾ يعني حيث دعا على قومه ﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ أي: فلنعم المجيبون نحن له، أي: أنجيناه وأهلكناهم. ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ أي: من الغرق. ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ فالناس كلهم ولد سام وحام ويافث[2].

قال: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ أي: أبقينا عليه في الآخرين الثناء الحسن. ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَـٰلَمِينَ ﴾ [يعني ما كان بعد نوح][3] ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ يعني من سوى الذين كانوا معه في السفينة.

قال: ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْـٰرَٰهِيمَ ﴾ أي: على منهاجه وسنته ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ أي: من الشرك. ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَئِفْكًا ﴾ أي: كذباً ﴿ ءَالِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ ﴾ على الاستفهام. أي: قد فعلتم ذلك فعبدتموهم دونه. ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: إنه معذّبكم.

قال: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾ تفسير الكلبي: إنهم كانوا بقرية بين البصرة والكوفة يقال لها: هـرمزخرد[4]، وكانوا ينظرون في النجوم. فنظر نظرة في النجوم

---

(1) كأن المؤلف أوّل الآية هنا على قراءة من قرأ بكسر اللام من (الْمُخْلِصِين) وقراءة نافع وعاصم وحمزة والكسائي وغيرهم بفتح اللام، وهي قراءتنا، أي: الذين أخلصهم الله لعبادته ولولايته.

(2) أخرج الطبري في تفسيره ج 23 ص 67، وفي تاريخه، ج 1 ص 192 بسند عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ في قوله: (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) قال: سام وحام ويافث.

(3) زيادة من سح ورقة 197، ومن ز ورقة 288.

(4) وردت الكلمة في ب هكذا: «مومرحرد»، وفي ع: «من مرحرد»، وأثبت ما في سح ورقة 198 حيث جاءت مضبوطة هكذا: «هُرْمُزْخُرَّد» بالخاء، وفي تاريخ الطبري، ج 1 ص 310، وج 3 ص 368: «هُرْمُزْجِرَّد» بالجيم المكسورة، ولم يضبطها ياقوت في معجمه ضبطاً وافياً. وهي من قرى الأهواز، فتحها خالد بن الوليد صلحا سنة اثنتي عشرة للهجرة.

﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ أي: مطعون(1).

﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ أي: إلى عيدهم. وذلك أنهم استدعوه(2) لعيدهم فعصب رأسه وقال: إني رأيت الليلة في النجوم أني سأطعن غداً، كراهية الذّهاب معهم، ولِمَا أراد أن يفعل بآلهتهم، كادهم بذلك. وهي إحدى الخطايا الثلاث التي قال عنها: (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) [الشعراء: 82]؛ قوله: (إِنِّي سَقِيمٌ)، وقوله: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) [الأنبياء: 63]، وقوله لسارة: إن سألوك فقولي: إنه أخي.

قال الله: [﴿ فَرَاغَ إِلَى ءَالِهَتِهِم فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴾](3) ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: فمال على آلهتهم ﴿ ضَرْباً بِالْيَمِينِ ﴾ فكسرها إلا كبيرهم وقد فسّرنا ذلك في سورة الأنبياء.

قال: ﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ ﴾ أي: إلى إبراهيم ﴿ يَزِفُّونَ ﴾ تفيسر الحسن: أي: يبتدرونه. وقال بعضهم: (يَزِفُّونَ) أي: يُرعدون إليه غضباً، وفي تفسير مجاهد: يعني النسلان [في المشي](4).

﴿ قَالَ ﴾ لهم إبراهيم ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ يعني أصنامهم ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: وما تعملون بأيديكم، أي: خلقكم وخلق الذين تنحتون.

﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً ﴾ يقوله بعضهم لبعض ﴿ فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ وقد فسّرنا هذا كله في سورة الأنبياء(5).

(1) جاء في معاني الفراء، ج 2 ص 388: «وقوله: (إِنِّي سَقِيمٌ) أي: مطعون، من الطاعون. ويقال: إنها كلمة فيها معراض [أي تورية] أي: إنه في كل من كان في عنقه الموت فهو سقيم، وإن لم يكن به حين قالها سقم ظاهر». وهو وجه حسن.

(2) كذا في ع: «استدعوه». وفي سح و ز: «استتبعوه» أي: طلبوا منه أن يتبعهم.

(3) سقطت هاتان الآيتان مع تفسيرهما من المخطوطات الأربع. ويبدو أن الناسخ الأول تخطاها ناسياً فتبعه في ذلك من جاء بعده.

(4) زيادة من تفسير مجاهد، ص 543.

(5) انظر ما سلف في هذا الجزء، ص 76 - 78.

قال: ﴿ فأرَادُوا بِهِ كَيْداً ﴾ أي: بحرقهم إياه ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمُ الأَسْفَلِينَ ﴾ أي: في النار.

﴿ وَقَـالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ أي: متوجـه إلى ربي بعبادتي ووجهي ﴿ سَيَهْدِينِ ﴾ أي: الطريق، يعني الهجرة؛ هاجر من أرض العراق إلى أرض الشام.

ذكروا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستكون هجرة لخيار أهل الأرض إلى مُهاجَر إبراهيم حتى لا يبقى على ظهرها إلا شرار خلقها، فتلفِظهم أرضوهم ويقذَرهم الله وتحشرهم النارُ مع القردة والخنازير(1).

قوله ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن الصَّـٰلِحِينَ ﴾ قال الله: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ تفسير مجاهد: أدرك سعيه سعي إبراهيم في الشّدّ. وتفسير الحسن: بلغ معه سعي العمل، يعني قيام الحجة. وقال بعضهم: سعي المشي.

﴿ قَالَ يَـٰبُنَـيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَـٰأَبَـتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّـٰبِرِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ [أي: استسلما لأمر الله](2): أسلم إبراهيمُ نفسَه لله ليذبح ابنَه، وأسلم ابنُه وجهه لله ليذبحه أبوه. ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ قال بعضهم: وكبّه للقبلة ليذبحه. وتفسير الحسن: أضجعه ليذبحه وأخذ الشفرة.

ذكروا عن أبي الطفيل عن ابن عباس قال: عند الجمرة الوسطى تَلّه للجبين؛ وعلى إسماعيل قميص أبيض فقال: يا أبت، إنه ليس لي ثوب تكفّنني فيه غير هذا، فاخلعه عني حتى تكفنني فيه.

(1) كذا في ب و ع، وفي سح ورقة 200: «حتى لا يبقى على ظهرها إلا شرار أهلها تلفِظهم أرضوهم وتقذرهم نفس الله . . .». والحديث صحيح، وإن كان في سنده شهر بن حوشب، فقد ضعّف، أخرجه ابن سلام وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب سكنى الشام، (رقم 2842) عن عبد الله بن عمرو.

(2) زيادة من ز ورقة 288.

قال: ﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ وهذا وحي مشافهة من الملك. ناداه الملك من عند الله أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين[1].

﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ أي: النعمة البيّنة عليك من الله إذ لم تذبح ابنك[2].

قوله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ أي: بكبش عظيم. وذكر عن مجاهد قال: متقبّل.

وذكـر أبو الطفيل عن ابن عباس قال: فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أبيض أقرن أعْيَن، فذبحه.

ذكر بعضهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: الذي فدي به إسحاق[3]. ذكروا عن الأحنف بن قيس قال: حدّثني العبّاس بن عبد المطلب أن الذي فدي إسحاقُ. ذكر الخليل بن مرة، يرفع الحديث إلى النبي عليه السلام أنه إسحاقُ.

وقال الحسن: بشر إبراهيم بإسحاق مرّتين: مرّة بولادته، ومرّة بأنه نبي. ذكر كيف أُرِيَ في المنام أن يذبحه، وكيف كان أراد ذبحه وكيف فُدِيَ فقصّ قصّته، ثم قال: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً) أي: بأنه نبيّ.

(1) جاء في معاني الفراء، ج 2 ص 390: «ويقال: أين جواب قوله: (فَلَمَّا أَسْلَمَا)، وجوابها في قوله: (وَنَادَيْنَاهُ) والعرب تدخل الواو في جواب (فَلَمَّا) و (حَتَّى إِذَا) وتلقيها، فمن ذلك قول الله: (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِّحَتْ) وفي موضع آخر: (وَفُتِّحَت) وكل صواب. . .».

(2) هذا وجه من وجوه تأويل الآية نسب إلى ابن السائب ومقاتل. وقيل: إن البلاء هنا بمعنى الاختبار، وهو قول نسب إلى ابن قتيبة وغيره. انظر ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 469. وتفسير غريب القرآن، ص 373.

(3) كذا في ع و ب و سح و ز، والذي في تفسير الطبري روايات عن ابن عباس، ونسب إليه قولان. فعكرمة يروي عن ابن عباس أن الذبيح إسحاق، ويروي كل من الشعبي وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء وغيرهم أن المَفدِيّ إسماعيل.

فمن جعل القصة كلَّها لإسحاق فهو يقول: هو الذي أُمِر إبراهيم بذبحه وبشّره مرتين على هذا التأويل. ومن جعل القصة لإسماعيل فيقول: هو الذي أمر إبراهيم بذبحه. ويجعل القصة كلها له. ثم قال من بعد، أي: من بعد ما أرى في المنام ذبحه، وكيف أراه ذبحه، وكيف فدي، فقصّ قصته كلها، حتى انقضت قال: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ) كل هذا قالته العلماء، وقد فسّروه على ما وصفنا.

وأحقهم أن يكون إسماعيل هو الذي أمر إبراهيم بذبحه، وهو أوفق لما في القرآن[1].

قوله: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴾ أي: وأبقينا عليه الثناء الحسن. قال الحسن: وسنةً يُقتدى بها إلى يوم القيامة.

قال: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّٰلِحِينَ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ ﴾ أي: مؤمن ﴿ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ أي: مشرك ومنافق[2].

قوله: ﴿ وَلَقَد مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ أي: بالنبوة ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ أي: من فرعون وقومه ﴿ وَنَصَرْنَٰهُمْ ﴾ أي: على آل فرعون

(1) اختلاف المفسرين في الذبيح من هو اختلاف قديم بين الصحابة والتابعين ومن بعدهم ولكل حجته. وقد رجح الطبري أن الذبيح إسحاق بعد أن روى أقوال من سبقه. وقد استوفى ابن كثير في تفسيره، ج 6 ص 28 - 31 الآثار المرويـة والحجج المعتمدة لكل فريق، فرجح أن الذبيح إسماعيل. ويبدو لي أن الصواب مع القائلين بأن الذبيح هو إسماعيل لتضافر الروايات بذلك وقوة الحجج له. وهذا ما ذهب إليه الشيخ هود بن محكّم أيضاً، فالجمل الأخيرة في الموضوع له لا لابن سلام، لأنها لم ترد في سح ولا في ز. فهي من زيادات الشيخ هود ولا شك. وممن ذهب من المتأخرين إلى أن الذبيح إسماعيل العالم المحقق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، ج 23 ص 165 - 160 مدعّماً رأيه بعشرة أدلة شافية مقنعة فارجع إليه تقرأ كلاماً ممتعاً نفيساً. والله أعلم.

(1) كلمة «منافق» غير واردة في سح و ز، فهي من زيادات الشيخ الهواري.

﴿ فَكَانُوا هُمُ الْغَـٰلِبِينَ ﴾ وكانا شريكين في الرسالة، وكان موسى أفضلَهما ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُمَا الْكِتَـٰبَ الْمُسْتَبِينَ ﴾ أي: التوراة ﴿ وَهَدَيْنَـٰهُمَا الصِّرَٰطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي: الإسلام، وهو الطريق إلى الجنة. ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الأَخِرِينَ ﴾ أي: وأبقينا عليهما في الآخرين الثناء الحسن ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ أي: أتدعون ربّاً غير الله. وتفسير الحسن: كان اسم صنمهم بعلاً ﴿ وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَـٰلِقِينَ اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَائِكُمْ الأَوَّلِينِ) وهي تقرأ بالنصب والرفع. فمن قرأها بالنصب فهو يقول: (وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ اللهَ رَبَّكُمْ ورَبَّ ءَابَائِكُم الأَوَّلِينَ) [فلا تعبدونه][1]؛ ومن قرأها بالرفع فهو كلام مستقبل؛ يقول: (اللهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ).

قال: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ أي: في النار ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ استثنى من آمن منهم. قال: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الأَخِرِينَ ﴾ أي: وأبقينا عليه، أي: على إلياس، الثناء الحسن في الآخرين.

قال: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ ءَالِ يَاسِينَ﴾ قال الحسن: يعنيه ومن آمن من أمته. فمن قرأها بهذا فهو يريد هذا الذي فسّرنا، [ومن قرأها موصولة (إِلْيَاسِينَ) يقول: هو اسمه إلياسين وإلياس][2] ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَإِنَّ لُوطاً لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَـٰبِرِينَ ﴾ أي: غبرت، أي: بقيت في عذاب الله ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ ﴾ وقد فسَّرنا كيف كان هلاكهم في غير هذا الموضع[3]. قال: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على منازلهم

(1) زيادة من سح، ورقة 201 للإيضاح.
(2) زيادة لا بد منها. وانظر في وجوه قراءات إلياس ما فصّله الفراء في المعاني، ج 2 ص 392.
(3) انظر ما سلف، ج 2 ص 240 - 243.

﴿ مُّصْبِحِينَ ﴾ أي: نهاراً ﴿ وَبِالَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ يقوله للمشركين، يحذره أن ينزل بهم ما نزل بهم.

قال: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونَ ﴾ أي: الموقر بأهله، فرّ من قومه إلى الفلك. وكان فيما عهد يونس إلى قومه أنهم إن لم يؤمنوا أتاهم العذاب، وجعل العَلَم بينه وبينهم أن يخرج من بين أظهرهم وأن يفقدوه. فخرج مغاضباً لقومه، مكايداً لدين ربه، ولم يجز له ذلك عند الله، في تفسير الحسن. فخرج حتى ركب في السفينة. فلما ركبها فلم تسر قال أهل السفينة: إن فيكم لمذنباً. قال: فتساهموا فقُرِع يونس، وهو قوله: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ أي: من المقروعين. وقال مجاهد: من المسهومين. فأوحى الله إلى الحوت فالتقمه. وهو قوله: ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ وهذا تفسير الحسن.

[قال بعضهم][1]: وبلغنا والله أعلم أن يونس دعا قومه زماناً إلى الله، فلما طال ذلك وأبوا أوحى الله إليه أن العذاب يأتيهم يوم كذا وكذا، فلما دنا الوقت تنحّى عنهم. فلما كان قبل الوقت بيوم جاء فجعل يطوف بالمدينة وهو يبكي ويقول: يأتيكم العذاب غداً. [فسمعه رجل منهم، فانطلق إلى الملك، فأخبره أنه سمع يونس يبكي ويقول: غداً يأتيكم العذاب][2] فلما سمع ذلك الملكُ دعا قومه، فأخبرهم بذلك، وقال: إن كان هذا حقاً فسيأتيكم العذاب غداً، فاجتمِعوا حتى ننظر في أمرنا؛ فاجتمعوا.

فخرجوا من المدينة من الغد؛ فنظروا فإذا بظلمة وريح شديدة قد أقبلت نحوهم، فعلموا أنه الحق. ففرّقوا بين الصبيان وبين أمهاتهم، وبين البهائم وبين أمهاتها، ولبسوا الشعر، وجعلوا التراب والرماد على رؤوسهم تواضعاً لله، وتضرّعوا

---

(1) فيما يأتي رواية ابن سلام بدون سند، وقد جاءت في سح و ز مبدوءة هكذا: «قال يحيى: وبلغنا. . .».

(2) سقط ما بين المعقوفين من ب و ع، وسياق القصة يقتضيه، وهو موجود في سح وفي ز.

إليه وبكواوآمنوا. فصرف الله عنهم العذاب. فاشترط بعضهم على بعض أن لا يكذب أحدهم كَذبة إلا قطعوا لسانه.

وذكر بعضهم أنهم لمّا رأوا الأمر غشيهم قامت فيهم الخطباء فقال الأول: اللهم إنك أمرتنا ألا نردَّ سؤَّالنا[1]، ونحن اليوم سؤّالك فلا تردّنا. ثم قام الثاني فقال: اللهم إنك أمرتنا أن نعتق رقابنا، ونحن اليوم رقابك فأعتقنا. ثم قام الثالث فقال: اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا، وقد أخطأنا وظلمنا أنفسنا فاعف عنا. فصرف الله عنهم.

فجاء يونس من الغد، فنظر فإذا المدينة على حالها، وإذا الناس داخلون وخارجون؛ فقال: أمرني ربي أن أخبر قومي أن العذاب يأتيهم فلم يأتهم، فكيف ألقاهم؟ فانطلق حتى أتى إلى ساحل البحر فإذا بسفينة في البحر، فأشار إليهم فأتوا، فحملوه وهم لا يعرفونه. فانطلق إلى ناحية من السفينة فتقنّع ورقد.

فما مضوا إلا قليلاً حتى جاءتهم الريح وكادت السفينة تغرق، فاجتمع أهل السفينة ودعوا الله. ثم قالوا: أيقظوا هذا الرجل يدعو الله معنا. ففعلوا، فرفع الله عنهم تلك الريح. ثم انطلق إلى مكانه فرقد. فجاءت ريح كادت السفينة تغرق، فأيقظوه، فدعوا الله فارتفعت الريح.

٥

فتفكّر العبد الصالح وقال: هذا من خطيئتي، أو قال: هذا من ذنوبي أو كما قال فقال لأهل السفينة: شُدُّوني وثاقاً وألقُوني في البحر. فقالوا: ما كنا لنفعل وحالك حالك، ولكنا نقترع فمن أصابته القرعة ألقيناه في البحر. [فاقترعوا فأصابته القرعة. فقال: قد أخبرتكم. فقالوا: ما كنا لنفعل، ولكن اقترعوا. فاقترعوا الثانية فأصابته القرعة، ثم اقترعوا الثالثة فأصابته القرعة][2]. وهو قول الله تعالى: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ أي: من المقروعين. ويقال: من المسهومين، أي: وقع السهم عليه.

(1) جمع سائل على وزن رُمّان، وهو السائل الفقير.

(2) زيادة لا بد منها، وقد سقطت من ب و ع، فأثبتها من سح.

فانطلق إلى صدر السفينة ليلقي نفسه في البحر فإذا هو بحوت فاتح فاه، ثم جاء إلى ذنب السفينة فإذا بالحوت فاتحاً فاه، ثم جاء إلى جنب السفينة فإذا هو بالحوت فاتحاً فاه، ثم جاء إلى الجانب الآخر فإذا بالحوت فاغراً فاه. فلما رأى ذلك ألقى بنفسه، فالتقمه الحوت. فأوحى الله إلى الحوت: أن لا تأكل عليه ولا تشرب عليه، وقال: إني لم أجعله لك رزقاً، ولكن جعلت بطنك له سجناً، فلا تقطع له شعراً ولا تكسر له عظماً.

فمكث في بطن الحوت أربعين ليلة فنادى في الظلمات كما قال الله: (أن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) قال الله: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) [الأنبياء: 87 - 88]. والظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت. قال الله: (وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) وأوحى الله إلى الحوت أن يلقيه إلى البحر.

قال الله: (فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ) أي: وهو مريض مثل الصبي. فأصابته حرارة الشمس فأنبت الله عليه شجرة من يقطين، وهي القرعة(1)، فأظلّته؛ فنام. فاستيقظ، وقد يبست. فحزن عليها. فأوحى الله إليه: أحزنت على هذه الشجرة وأردت أن أهلك مائة ألف من خلقي أو يزيدون، أي: بل يزيدون. وبلغنا أنهم كانوا عشرين ومائة ألف. فعلم عند ذلك أنه ابتُلِي.

فانطلق فإذا هو بذَوْدِ غنم، فقال للراعي: اسقني لبناً، فقال: ما ها هنا شاة لها لبن. فأخذ شاة منها فمسح على ضرعها بيده، فدرّت بإذن الله. فشرب من لبنها. فقال له الراعي: من أنت يا عبد الله، لَتُخبِرَنِّي. قال: أنا يونس. فانطلق الراعي إلى قومه فبشّرهم به. فأخذوه وجاءوا معه إلى موضع الغنم فلم يجدوا يونس. فقالوا: إنا قد اشترطنا لربّنا ألا يكذب أحد منا إلا قطعنا لسانه. فتكلّمت الشاة بإذن الله وقالت: قد شرب من لبني. وقالت شجرة كان قد استظل بظلّها: قد استظل بظلّي. فطلبوه

(1) وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 175: «كل شجرة لا تقوم على ساق فهي يقطين نحو الدّبّاء والحنظل والبطيخ».

فأصابوه. فرجع إليهم. فكان فيهم حتى قبضه الله. وكانوا بمدينة يقال لها نينوى من أرض الموصل، وهي على دجلة.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: في دجلة ركب السفينة، وفيها التقمه الحوت، ثم أفضى به إلى البحر، فدار في البحر ثم رجع إلى دجلة، فثم نبذ بالعراء، فأرسل إليهم بعد ذلك. قال الله: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ).

قال الحسن: فأعاد الله له الرسالة فآمنوا عن آخرهم، ولم يشذّ منهم أحد. وقال مجاهد: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) قبل أن يلتقمه الحوت. قوله: (وَهُوَ مُلِيمٌ) أي: مذنب في تفسير مجاهد[1].

قال الله: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ قال: فلولا أنه كان من المصلّين في الرخاء قبل ذلك. ويقال: إن العمل الصالح يقي الرجلَ مصارعَ السوء.

وقال الحسن: [أما والله ما هو بالمسبح قبل ذلك، ولكنه لما التقمه الحوت أنشأ يقول: سبحان الله، سبحان الله][2]، وقوله: (لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أي: لكان بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿ فَنَبَذْنَـٰهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ وقد فسّرناه قبل هذا الموضع. ﴿ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ أي: بل يزيدون.

قوله: ﴿ فَـَٔامَنُوا ﴾ قد فسّرنا كيف كان إيمانهم في أول حديثهم. قال الله: ﴿ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ إلى الموت، أي: إلى آجالهم، ولم يهلكهم بالعذاب.

(1) يقال: ألَامَ الرجلُ إلامة، فهو مُلِيم: إذا أتى ما يلام عليه. وقال الفراء في المعاني، ج 2 ص 393: «(وَهُوَ مُلِيمٌ) وهو الذي قد اكتسب اللَّوْمَ وإن لم يُلَمْ. والمَلُوم الذي قد لِيمَ باللسان. وهو مثل قول العرب: أصبحتَ مُحمِقاً مُعطِشاً، أي: عندك الحمق والعطش. وهو كثير في الكلام».

(2) زيادة وتفصيل من سح ورقة 205، ففي ب و ع جاءت العبارة هكذا: «وقال الحسن: كان يسبح في بطنه».

قوله: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ ﴾ أي: فاسألهم، يعني المشركين ﴿ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ وذلك لقولهم إن الملائكة بنات الله. قال: (وَيَجْعَلُونَ لِلهِ مَا يَكْرَهُونَ) أي: البنات (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ) أي: الغلمان (لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ) [النحل: 62].

قوله: ﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَٰئِكَةَ إِنَٰثاً وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴾ أي: لخلقهم، أي: لم نفعل، ولم يشهدوا خلقهم، وهو كقوله: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ) [الزخرف: 19] أي: لم يشهدوا خلقهم.

قال الله: ﴿ أَلَا إِنَّهُم مِّن إِفْكِهِمْ ﴾ أي: من كذبهم ﴿ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللهُ ﴾ أي: ولد البنات، يعنون الملائكة. قال: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾.

﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ ﴾ أي: أختار البنات ﴿ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ أي: لم يفعل ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: حجة بيّنة، على الاستفهام ﴿ فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ ﴾ أي: الذي فيه حجّتكم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أي: إن الملائكة بنات الله، أي: ليس لكم بذالك حجة.

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً ﴾. ذكروا أن اليهود قالت: إن الله صاهر الجن فكانت من بينهم الملائكة. قال الله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ أي: مدخلون في النار ﴿ سُبْحَٰنَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ينزّه نفسه عما يكذبون.

وقال بعضهم: قال مشركو العرب: إنه صاهر الجن. وقال الجنُّ صِنف من الملائكة فكانت لـه منهم بنات.

قوله: ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ أي: المؤمنين. وهذا من مقاديم الكلام يقول: (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ) يعني الذين جعلوا بينه وبين الجنة نسباً.

قوله: ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾

[قال الحسن: ما أنتم عليّ بفاتنين، يا بني إبليس، إنه ليس لكم سلطان إلا على من هو صال الجحيم][1].

وبعضهم يقول: ﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴾ أي: ما أنتم بمضلّين أحداً يا بني إبليس، إلا من هو صال الجحيم بفعله.

وبعضهم يقول: فإنكم، يعني المشركين، وما تعبدون، يعني وما عبدوا. ما أنتم عليه، أي: على ما تعبدونه، بمضلّين أحداً إلا من قدّر له أن يصلى الجحيم بفعله[2].

قوله: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ هذا قول الملائكة، ينزّهون الله عما قالت اليهود حيث جعلوا بينه وبين الجنة نسباً، ويخبرون بمكانهم في السماوات في صفوفهم وتسبيحهم، وهو قوله في أول السورة ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفّاً ﴾ أي: ليس في السماوات موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو قائم أو ساجد.

قوله: ﴿ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴾ يعني قريشاً ﴿ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْراً مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي: في كتاب مثل كتاب موسى وعيسى عليهما السلام ﴿ لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ أي: المؤمنين.

قال الله: ﴿ فَكَفَرُوا بِهِ ﴾ أي: بالقرآن. يقول: قد جاءهم كتاب من عند الله، يعني القرآن فكفروا به. ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وهذا وعيد هوله شديد.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴾ أي: في الدنيا، وبالحجة في الآخرة. ﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَـٰلِبُونَ ﴾ تفسير الحسن: إنه لم يُقتل من الرسل أصحاب الشرائع أحد قط.

---

(1) زيادة من سح، ورقة 207. وانظر في معاني الفراء، ج 2 ص 394 مختلف وجوه قراءة قوله: (إلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيم).

(2) هذه الكلمة الأخيرة «بفعله» من زيادات الشيخ هود، لا يفوته أن يسجل هذه اللطائف كعادته.

قوله: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾. نسختها آية القتال في سورة براءة: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 51] قال: ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ أي: فسوف يرون العذاب.

قال: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ ﴾ أي: فبئس ﴿ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ تفسير الحسن: إنه يعني النفخة الأولى، بها يهلك كفار آخر هذه الأمة الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه.

ذكروا عن أنس بن مالك قال: إني لرديف أبي طلحة يوم فتحنا خيبر، وإن ساقي لتصيب ساق النبي ﷺ، وفخذي فخذه. فلما أشرفنا على خيبر قال رسول الله ﷺ: الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين[1].

قال بعضهم في هذا الموضع من السورة: أظنه رجع إلى قصة اليهود في قوله: (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً).

ذكروا عن أنس بن مالك قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الفجر بغلس، فقرأ بأقصر سورتين في القرآن؛ ثم ركب وركبنا معه، وأنا رديف أبي طلحة والريح تكشف عن ساق النبي ﷺ فتصيب ساقي ساقه وفخذي فخذه. فلما أتينا خيبر قالت اليهود: محمد والله والخميس، والخميس: الجيش، فقال النبي عليه السلام: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، فأصبناها عنوة.

قوله عز وجل: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [يعني إلى حين آجالهم][2] نسخها القتال، فهي مثل الأولى. ﴿ وَأَبْصِرْ ﴾ أي: انتظر ﴿ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ أي: فسوف يرون العذاب.

---

(1) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب ما يحقن بالأذان من الدماء، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر (رقم 1365) وأخرجه يحيى بن سلام مكرراً هنا لاختلاف طرقه فقد أخرجه مرة هكذا: حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك، ومرّة هكذا: حدثنا أشعث عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك...

(2) زيادة من سح، ورقة 208.

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ ﴾ ينزّه نفسه ﴿ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ أي: عما يكذبون ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ [يعني الثناء الحسن][1] ﴿ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾.

ذكروا عن أبي هارون العبدي قال: سألت أبا سعيد الخدري: بِمَ كان رسول الله ﷺ يختم صلاته، فقال بهذه الآية: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ).

ذكروا عن علي بن أبي طالب قال: من سرّه أن يكتال بالمكيال الأوْفى فليقل في دبر صلاته: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[2] و[3].

---

(1) زيادة من سح، ورقة 209.

(2) جاء في آخر المخطوطة الموجودة في مكتبة القطب ببني يسجن، والتي رمزنا لها بحرف الباء: ب ما يلي: «تمّ الربع الثالث من تفسير كتاب الله العزيز المضاف إلى الشيخ الأستاذ هود بن محكم رحمه الله على يد العبد الفقير إلى رحمة مولاه الغنيّ به عمن سواه سليمان بن أبي القاسم بن سليمان النفوسي لطف الله به، لعمنا أبي القاسم بن الناصر الغرداوي، ووافق الفراغ منه نهار يوم الجمعة الثالث عشر من شهر الله المبارك رمضان من عام الثاني (كذا) بعد ألف من هجرة النبي عليه السلام من مكة المكرمة، والحمد لله رب العالمين».

(3) وجاء في آخر مخطوطة العطف التي رمزنا لها بالحرف ع ما يلي: «كمل الربع الثالث من كتاب الله العزيز تفسير الأستاذ هود بن محكم رحمه الله».

فهرس الجزء الثالث

تفسير

كتاب الله العزيز

للشيخ هود بن محكم الهواري

من علماء القرن الثالث الهجري

حققه وعلق عليه

بالحاج بن سعيد شريفي

الجزء الرابع



الطبعة الأولى

1990



دار الغرب الإسلامي

ص. ب: 5787 - 113

بيروت - لبنان

تفسير

كتاب الله العزيز

الجزء الرابع

تفسير سورة صٓ، وهي مكية كلها[1]

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾. قوله: ﴿ صٓ ﴾. قال بعضهم: يعني صادق كقوله: (كٓهيعٓصٓ) [مريم: 1] أي: كاف، هاد، عالم، صادق. ﴿ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ أي: الذكر فيه، والذكر: البيان.

﴿ بَلِ الذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾. وهذا قسم. أي: (وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) أي: في تعزّز وفراق للنبي عليه السلام وما جاء به. وقال بعضهم: (وَشِقَاقٍ) أي: اختلاف.

قال: ﴿ كَمَ اهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِم ﴾ أي: من قبل قومك يا محمد ﴿ مِّنْ قَرْنٍ ﴾ أي: من أمة ﴿ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ أي: فكذّبوا رسلهم فجاءهم العذاب، فنادوا بالتوبة وبأن (قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) [الأنبياء: 14] وفرّوا من قريتهم.

وهو كقوله: (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ) قال الله: (فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) [غافر: 84] أي عذابنا. وكقوله: (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَت ظَالِمَةً) أي: مشركة (وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ فَلَمَّا

(1) يبتدىء من هذه السورة الربع الأخير من تفسير القرآن الكريم المنسوب للشيخ هود بن محكم الهواري. وأنا أحققه في هذه الأوراق الأولى من مخطوطة واحدة، هي مخطوطة ع، لأن مخطوطة ق لا تبتدىء في هذا الربع إلا من قوله تعالى في سورة الزمر، الآية 50 : (قَدْ قَالَهَا الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ). وأقابل هاتين المخطوطتين بمصوّرة مخطوطة ابن أبي زمنين، وفيها مختصر تفسير ابن سلام.

أَحسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ) أي: يفرّون. (لَا تَرْكُضُوا) يقول: لا تفرّوا (وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ) أي: من دنياكم. يستهزىء بهم، أي: لا يكون ذلك. يقول: (قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) [الأنبياء: 11-14].

قال: (فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) أي: ليس حين فرار ولا حين تقبل التوبة [فيه][1]. ذكروا عن أبي إسحاق الهمداني عن رجل من بني تميم قال: سألت ابن عباس عن قوله: (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) قال: الحين ليس بنَزْوٍ ولا فرار[2].

قال: ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُم مُّنْذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ رجع الكلام إلى قوله: (كَمَ اهْلَكْنَا مِنْ قبلهم من قرن) أخبر كيف أهلكهم. قال: وعجبوا أن جاءهم منذر منهم أي: محمد ﷺ لينذر من النار ومن عذاب [الله في][3] الدنيا.

﴿ وَقَالَ الْكَـٰفِرُونَ ﴾ أي: الجاحدون ﴿ هَذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ يعنون محمداً ﷺ. ﴿ أَجَعَلَ الأَلِهَةَ إِلَهاً وَٰحِداً﴾ على الاستفهام منهم، أي: قد فعل حين دعاهم إلى عبادة الله وحده. ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ أي: عَجَبٌ، وعُجْب، وعُجَاب، كله واحد[4].

﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى ءالِهَتِكُمْ ﴾ أي: على عبادتها ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾.

وذلك أن رهطاً من أشراف قريش مشوا إلى أبي طالب فقالوا: أنت شيخنا

---

(1) زيادة من ز، ورقة 291.

(2) جاءت العبارة في ع هكذا غير واضحة: «الحين ليس نوراً ولا فرار»، وفي زاد المسير لابن الجوزي جاءت العبارة هكذا: «ليس حين يروه فرار»، وفي كلتيهما خطأ وفساد. وأثبت ما جاء في تفسير القرطبي وفي تفسير الطبري: «ليس بحين نزو ولا فرار». ولست مطمئناً للكلمة: «نزو» وإن قيل: إن معناها «نوع من العدو»، ومن معانيها أيضاً الوثب.

(3) زيادة من ز، ورقة 291.

(4) وزاد الفراء في معاني القرآن، ج 2 ص 299: «عُجَّاب» وقال. . . كل نعت نعتَّ به اسماً ذكراً أو أنثى أتاك على فُعَال مشدّداً ومخففاً فهو صواب».

وكبيرنا وسيّدنا في أنفسنا، وقد رأيت ما فعلت هذه السَّفَهَةُ، يعنون المؤمنين. وقد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك. فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ فجاءه فقال: هؤلاء قومك وذوو أسنانهم وأشرافهم يسألونك السواء[1]، فلا تمل على قومك كل الميل. فقال رسول الله ﷺ: وماذا يسألونني؟ فقالوا له: ارفضنا من ذكرك وارفض آلهتنا وندعك وإلهك. فقال لهم رسول الله ﷺ: أتعطونني أنتم كلمة واحدة تدين لكم بها العرب وتملكون بها العرب والعجم. فقال أبو جهل: لله أبوك، نعم، وعشرَ أمثالها. فقال لهم رسول الله ﷺ: قولوا: لا إله إلا الله[2]. فنفروا منها وقاموا وقالوا: (أَجَعَلَ الأَلِهَةَ إِلَهاً وَّاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ).

﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الأخِرَةِ ﴾.

تفسير الكلبي: النصرانية[3]. وقال الحسن: يقولون ما كان عندنا من هذا من علم، إن هذا لشيء خرج في زماننا هذا، يعنون بالملة الآخرة: في آخر زماننا. وقال مجاهد: (المِلَّة الآخِرَة) [ملة][4] قريش. ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَقٌ ﴾ أي: كذب اختلقه محمد. ﴿ أَءُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ يعنون القرآن، وهو على الاستفهام، ﴿ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ أي: لم ينزل عليه، إنما هو اختلاق اختلقه محمد فافتعله.

قال الله تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي ﴾ أي: من القرآن الذي جئتهم به. ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾ أي: لم يأتهم عذابي بعدُ. كقوله: (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُّومِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ) من الشرك (إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) [الكهف: 55] أي: بالعذاب. وقد أخّر عذاب كفار آخر هذه الأمة الدائنين بدين أبي جهل

---

(1) في ع: «يسألونك السؤال» وهو خطأ صوابه ما أثبته: «السَّواء» أي: العدل والنَّصَف.

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ج 23 ص 125 عن ابن عباس كما أخرجه الترمذي والبيهقي في الدلائل، وانظر الدر المنثور ج 5 ص 295، والواحدي، أسباب النزول ص 286-287.

(3) وهو قول نسب أيضاً إلى قتادة ومجاهد، كما في الدر المنثور ج 5 ص 299.

(4) زيادة من تفسير مجاهد، ص 547.

وأصحابه إلى النفخة الأولى بها يكون هلاكهم. وقد أهلك أوائلهم أبا جهل وأصحابه بالسيف يوم بدر.

قال: ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾ أي: فيعطوا النبوّة من شاءوا ويمنعوها من شاءوا، أي: ليس ذلك عندهم.

قال: ﴿ أَمْ لَهُمْ مُّلْكُ السَّمَٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ على الاستفهام، أي: ليس لهم من ملكها وما بينهما شيء. قال: ﴿ فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَٰبِ ﴾، أي: في طريق السماء، في تفسير مجاهد وبعضهم يقول: في أبواب السماء إن كانوا يقدرون على ذلك، أي: لا يقدرون على ذلك(1).

قوله: ﴿ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ ﴾ أي: جند هنالك، وهي كلمة عربية: ما هنالك، [وما صلة زائدة](2). ﴿ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ ﴾. أي: تحازبوا على الله ورسوله يحاربون محمداً ﷺ فهزمهم يوم بدر. كقوله: (نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنْتَصِرٌ سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) [القمر: 44-45] أي: يوم بدر. [يخبر بأن محمداً عليه السلام سيهزمهم يوم بدر](2). نزل هذا بمكة قبل أن يهاجر النبي عليه السلام إلى المدينة.

قوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ ﴾. قال بعضهم: كان إذا غضب على أحد أَوْتَدَ أربعة أوتاد على يديه ورجليه. قال: ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لَيْكَةِ ﴾ يعني قوم شعيب. والأيكة الغيضة. وقد فسّرنا أمرهم في سورة الشعراء(3). ﴿ أُولَٰئِكَ الأَحْزَابُ ﴾. يعني به كفار من ذكر تحزّبوا على أنبيائهم.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 177-178: «(فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ) تقول العرب للرجل الفاضل في الدين: قد ارتقى فلان في الأسباب؛ والسبب الحبل أيضاً، والسبب أيضاً ما تسببت به من رَحِمٍ أو يد أو دين. وقال النبي ﷺ: كل سبب ونسب يوم القيامة منقطع إلا سببي ونسبي، والمسلم إذا تقرب إلى رجل ليس بينهما نسب قال: إن الإسلام أقوى سبب وأقرب نسب».

(2) زيادة من ز، ورقة 292.

(3) انظر ما سلف، ج 3 ص 166.

﴿ إِنْ كُلٌّ ﴾ يعني من أهلك ممن مضى من الأمم السالفة ﴿ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ يعني عقوبته إياهم بالعذاب.

قال: ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَاءِ ﴾ يعني كفار آخر هذه الأمة ﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ يعني النفخة الأولى بها يكون هلاكهم ﴿ مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ أي: رجوع إلى الدنيا، أي: ما لها من انقطاع، أي: دون أن تكون. وقال مجاهد: مالها من رجوع. وقال الحسن: من رجعة. وقال الكلبي: ما لها من نَظِرَة، أي: من تأخير[1].

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ ﴾ وذلك منهم استهزاء وتكذيب، لا يقرون بيوم الحساب، ولا بأن العذاب يأتيهم في الدنيا.

تفسير الحسن ومجاهد: (عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا) أي: عجّل لنا عذابنا. وقال الحسن هو قوله: (اِيتِنَـا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [العنكبوت: 29] وكقولهم: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأنفال: 32].

وتفسير الكلبي: قالوا ذلك حين ذكر الله في كتابه: (فَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ... وَأَمَّا مَنْ اوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ) [الحاقة: 19 و 25] والقِطّ: الصحيفة التي فيها الكتاب[2]. أي عجّل لنا كتابنا الذي يقول محمد حتى نعلم أبيميننا نأخذ كتابنا أم بشمالنا، أي: إنكاراً لذلك واستهزاء.

قال الله: ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ ﴾ أي: ذا القوة في أمر الله في تفسير بعضهم. وقال الحسن: ذا قوة في العبادة. ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ أي:

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 400: «وقوله: (مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) من راحة ولا إفاقة. وأصله من الافاقة في الرضاع إذا ارتضعت البهم أمها ثم تركتها حتى تنزل شيئاً من اللبن، فتلك الإفاقة والفُواق بغير همز. وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: العيادة قدر فواق ناقة. وقرأها الحسن وأهل المدينة وعاصم بن أبي النجود (فَوَاقٍ) بالفتح وهي لغة جيدة عالية...».

(2) كذا في ع وهو صحيح، قال الفراء: «القِطّ: الصحيفة المكتوبة»، وهو واحد. يقال: كتب كتباً وكتاباً وكتابة.

مسبّح في تفسير مجاهد. وقال الكلبي: راجع منيب، أي: راجع تائب.

قال: ﴿ إِنَّا سَخَّرنا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴾ أي: حين تشرق الشمس.

ذكروا عن أيوب بن صفوان أن ابن عباس دخل على أم هانيء، فأخبرته أن رسول الله ﷺ دخل عليها فصلّى في بيتها ثمان ركعات بعدما ارتفع النهار. فخرج ابن عباس من عندها وهو يقول: لقد قرأت ما بين اللوحين فما عرفت صلاة الضحى إلا الساعة: (يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ) وكنت أقول: أي صلاة صلاة الإشراق، ثم قال: هذه صلاة الإشراق.

وذكروا عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ دخل مسجد قباء فرآهم يصلّون حين إشراق الشمس فقال: إن الأوّابين كانوا يصلون إذا رمضت الفصال[1].

قال الحسن: كان والله قد سخّر مع داوود جميع ما خلق الله من الجبال يسبّحن معه، وكان يفقه تسبيحها وتسمعه جميع جبال الدنيا.

﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾ أي: تحشر بالغداة والعشيّ يسبحن معه. كقوله: (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنبياء: 79]. وقوله: (مَحْشُورَةً) أي مجموعة ﴿ كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ أي: مطيع.

قوله: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءاتَيْنَهُ ﴾ أي: أعطيناه ﴿ الْحِكْمَةَ ﴾ أي: النبوة ﴿ وَفَصْلَ الخِطَابِ ﴾ أي الفهم في القضاء وفصل الخطاب. قال الحسن: العدل في القضاء.

ذكر حميد الأعرج أن ابن عباس قال: (وَفَصْلَ الخِطَابِ) البيّنة على المدّعي واليمين على المدّعىٰ عليه.

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الأوابين حين ترمَض الفِصال. (رقم 748)، وأخرجه البغوي في شرح السنة، ج 4 ص 45، باب وقت صلاة الضحى بلفظ: صلاة الأوابين إذا رمِضت الفِصال من الضحى.

ذكروا عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: المدّعى عليه أولى باليمين إذا لم تكن بيّنة[1].

ذكروا عن عطاء بن السايب عن أبي يحيى عن ابن عباس أن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ فكلّف المدعِيَ البينةَ، فلم تكن له بينة، فاستحلف المدَّعَى عليه بالله الذي لا إله إلا هو ما عليه حق. فنزل عليه جبريل عليه السلام وقال: يُرَدّ على الرجل ماله وكفارته شهادته، أو قال: معرفته أن لا إله إلا الله.

وبعضهم يقول: فصل الخطاب: أما بعد.

ثم استأنف وقال: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ ﴾ أي: خبر الخصم، أي: إنك لم تعلمه حتى أعلمتك. ﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ أي: المسجد. ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ أي: ولا تَجُر ﴿ وَاهْدِنَا ﴾ أي: وأرشدنا ﴿ إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾. أي: إلى قصد الحق. وقال بعضهم: إلى سواء الصراط، أي: إلى عدل القضاء.

﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ أي: امرأة ﴿ وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ﴾ [أي انزل عنها لي وضُمَّها إليّ][2]. ﴿ وَعَزَّنِي ﴾ أي: وغلبني وقهرني.

(1) لم أجده بهذا اللفظ وبهذا السند. وأخرج الدارقطني في كتاب الأقضية والأحكام بسند «عن علي رضي الله عنه قال: المدَّعَى عليه أولى باليمين فإن نكل أحلف صاحب الحق وأخذ». ولكنه لم يرفعه. وقد ضُعِّف الحديث. وفي حديث آخر مرسل: «عن سالم بن غيلان التجيبي أن رسول الله ﷺ قال: من كانت له طَلِبَة عند أحد فعليه البيِّنة والمطلوب أولى باليمين، فإن نكل حلف الطالب وأخذ». وروى الدارقطني في الكتاب نفسه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: المدّعِي أولى بالبينة. والحديث الصحيح المحفوظ في الباب ما رواه أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: البيّنة على من ادعى واليمين على من أنكر. انظر مسند الربيع بن حبيب، كتاب الأحكام (رقم 592) وأخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب اليمين على المدّعى عليه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قضى باليمين على المدّعى عليه. (رقم 1711).

(2) زيادة من ز، ورقة 293.

وهي تقرأ على وجه آخر: وعازني ﴿ فِي الخِطَابِ ﴾ وتفسير ذلك بعد هذا الموضع.

﴿ قال لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ ﴾ أي: ابْتَلَيْنَاهُ ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً ﴾ والركوع هاهنا هو السجود ﴿ وَأَنَابَ ﴾ أي: وأقبل إلى الله بالتوبة والدعاء.

وتفسير الحسن أن داوود جمع عُبّاد بني إسرائيل فقال: أيكم كان يمتنع من الشيطان يوماً لو وكله الله إلى نفسه؟ فقالوا: لا أحد إلا أنبياء الله. قال: فكأنه خطر في الوهم شيء.

قال: فبينما هو في المحراب في يوم صلاته، والحرس حوله والجنود، فبينما هو يصلي، إذا هو بطير حسن قد وقع في شرفة من شرفات المحراب. قال بعضهم: حمامة من ذهب، وبعضهم يقول: طير جؤجؤه من ذهب، وجناحاه ديباج، ورأسه ياقوتة حمراء، فأعجبه. وكان له بُنيٌّ يحبه. فلما أعجبه حسنه وقع في نفسه أن يأخذه فيعطيه ابنه.

قال الحسن: فانصرف إليه فجعل يطير من شرفة إلى شرفة ولا يؤيسه[1] من نفسه حتى ظهر فوق المحراب. وخلف المحراب حائط[2] تغتسل فيه النساء الحُيَّض إذا طهرن، لا يشرف على ذلك الحائط إلا من صعد على المحراب، والمحراب لا يصعده أحد من الناس.

فصعد داوود خلف ذلك الطير ففاجأته امرأة جاره، لم يعرفها، تغتسل. فرآها فجأة، ثم غضّ بصره عنها، فأعجبته. فأتى بابها فسأل عنها وعن زوجها؛ فقالوا: إن

(1) وردت الكلمة غير واضحة في ع و ز، فأثبت صحتها من نهاية الأرب للنويري، ج 14 ص 61-62 حيث وردت هكذا: «من غير أن تؤيسه من نفسها»، و«لم تؤيسه من نفسها». والضمير في كلتا العبارتين راجع إلى الحمامة.

(2) من معاني الحائط: البستان من النخيل إذا كان محاطاً بالحائط، وهو الجدار، وجمعه حوائط.

زوجها في أجناد داوود. فلم يلبث إلا قليلاً حتى بعثه عامله بريداً إلى داوود. وأتى داوودَ بكتبه. ثم انطلق إلى أهله، فأُخبِر أن نبي الله داوود أتى إلى بابه فسأل عنه وعن أهله. فلم يصل الرجل إلى أهله حتى رجع إلى داوود، مخافة أن يكون حدث في أهله من الله أمر. فأتى داوودَ وقد فرغ من كتبه. وكتب إلى عامل ذلك الجند أن يجعله على مقدمة القوم. فأراد أن يقتل الرجل شهيداً ويتزوج امرأته حلالاً. إلا أن النية كانت مدخولة. فجعله على مقدمة القوم فقُتِل الرجل شهيداً.

قال: فبينما داوود في محرابه والحرس حوله إذ تسوّر عليه المحراب ملكان في صورة آدميين ففزع، فقالا: (لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا) أي وأرشدنا (إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ) أي: إلى قصد الطريق.

قال: قُصَّا قضيّتكما. فقال أحدهما. (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ: أَكْفِلْنِيهَا) أي: ضُمَّها إلي (وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ) أي: وقهرني في الخصومة. (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ)... إلى قوله: (وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) أي وعلم داوود أنما ابتليناه (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً) أي ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا للصلاة المكتوبة يقيمها، أو لحاجة لا بد منها، أو لطعام يَتَبَلَّغ به. فأتاه ملك من عند الله فقال: يا داوود، ارفع رأسك فقد غفر الله لك. فعلم أن الله قد غفر له. ثم أراد أن يعرف كيف غفر الله مثل ذلك الذنب، فقال: يا ربِّ، كيف تغفر لي وقد قتلتُه، يعني بالنية. فقال له ربه: أستوهبُه نَفْسَه فيهبها لي فاغفرها لك. فقال: أي ربِّ، قد علمت أنك قد غفرت لي.

قال الله: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ ﴾ أي: لقربى في المنزلة ﴿ وَحُسْنَ مَئَابٍ﴾ أي: حسن مرجع.

قال الكلبي: إن داوود قال: رب اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليماً، فوددت أنك أعطيتني من ذلك ما أعطيتهم. قال الله: إني ابتليتهما بما لم ابتلك به. قال: فإن شئت أبتليك بما ابتليتهما وأعطيك مثل ما أعطيتهما. قال: رب،

نعم. قال: اعمل عملك حتى يتبيّن بلاؤك. فمكث ما شاء الله بذلك؛ يصوم النهار ويقوم الليل. فكان على ذلك.

فبينما هو في المحراب ذات يوم، والزبور بين يديه، إذ جاء طائر فوقع قريباً منه. فتناوله داوود، فطار إلى الكوى، فقام ليأخذه قال بعضهم: فوقع في مضجعه فقام ليأخذه، فوقع الطير إلى البستان، فأشرف داوود فنظر، فإذا هو بامرأة تغتسل في البستان. فعجب من حسنها. فأبصرت ظله فنقضت شعرها فغطاها. فزاده ذلك عجباً بها. ثم أرسل غلاماً له فقال: اتبع هذه المرأة فاعلم من هي، أو ابنة من هي، وهل لها زوج. فاتبعها الغلام حتى عرفها فرجع فقال: هي ابنة فلان، وزوجها فلان، وكان يومئذ مع ابن أخت داوود في بعث. فكتب داوود إلى ابن أخته: أن ابعث فلاناً [واجعله بين يدي التابوت][1] فلا يرجع حتى يفتح المدينة أو يقتل. فبعثه فقتل. فلما انقضت عدة المرأة أرسل إليها فتزوجها، وهي أم سليمـان بن داوود.

فلما علم الله ما وقع في عبده[2] أحب أن يستنقذه فأرسل إليه ملكين فأتياه في المحراب، والحرس حول المحراب، وهم ثلاثة وثلاثون ألفاً. فرأى داوود الرجلين قد تسوّروا المحراب، ففزع منهما وقال: لقد ضعف سلطاني حتى إن الناس تسوّروا محرابي. فقال أحدهما: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. . . إلى قوله: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾. تفسير هذا المقرإ عند الكلبي: إن دعا دعوة يكون أكثر نداء مني، وإن بطش بطشه يكون أشد بطشاً مني. فقال له داوود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾. . . إلى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾. فنظر أحدهما لصاحبه فضحكا، وعلما أن داوود لم يفطن، فرجعا من حيث أقبلا.

قال الله: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾. . . إلى آخر الآية. فسجد داوود أربعين يوماً وأربعين ليلة لا يأكل ولا يشرب، ولا يرفع رأسه، ولا

(1) وردت الجملة مضطربة فاسدة في ع، فصححتها بهذه الزيادة من نهاية الأرب للنويري، ج 14 ص 61.

(2) وردت العبارة في ع هكذا: «فلما علم ذلك ما وقع في عبده» وهي عبارة فاسدة صححتها قدر الإمكان، ولست مطمئناً إليها، فعلم الله تعالى قبل كل شيء وبعد كل شيء.

يقوم، ولا يفتر من الدعاء. فتاب الله عليه. قال الله: (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ). وقد فسَّرناه قبل هذا الموضع[1].

قوله: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ [يعني فيستزلّك الهوى عن طاعة الله في الحكم، وذلك من غير كفر][2] إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ أي: أعرضوا عن يوم الحساب، لم يؤمنوا به.

قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ﴾ أي: ما خلقناهما إلا للبعث والحساب والجنة والنار. وذلك أن المشركين قالوا إن الله خلق هذه الأشياء لغير بعث، كقوله تعالى: (وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) [الأنعام: 29] فقال الله: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) [المؤمنون: 115].

قال الله: ﴿ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: أنهم لا يبعثون، وأن الله خلق هذه الأشياء باطلاً.

قال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ أي: كالمشركين في الآخرة. أي: لا نفعل.

(1) ما ذكره القصاص وأورده بعض المفسّرين في كتبهم كالثعلبي، ومؤلّفنا هذا أحياناً من غير تنبيه على فساده، إنما هو من قبيل الإسرائيليات، وننزه مقام الأنبياء أن ينسب إليهم مثل هذا. وقد بيّن المحققون من المفسّرين كذب هذه القصص ودحضوا أباطيلها بحجج دامغة لا تُبقي مجالاً للشك في أن هذه القصص من وضع الكائدين للإسلام ورواية الساذجين من المفسّرين. وواجبنا أن نقف عند حدود النص القرآني لا نتعداه، والسنة الصحيحة التي ثبتت عن الصادق الأمين، لا نزيد عليها، في مثل هذه المواضيع. أما تفاصيلها فنكل الأمر فيها إلى الله سبحانه وتعالى. انظر مثلاً: الزمخشري، الكشاف، ج 4 ص 81، والفخر الرازي، التفسير الكبير، ج 26 ص 189، ففيهما وفي غيرهما ما يكفي للرد على هذه المفتريات من الإسرائيليات.

(2) زيادة من ز، ورقة 293.

قوله: ﴿ كِتَـٰبٌ ﴾ أي: هذا كتاب، يعني القرآن ﴿ أَنْزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَٰتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ أي: أولو العقول، وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَـٰنَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ والأوّاب: المسبّح[1] ﴿ إِذْ عُـرِضَ عَلَيْهِ بِـالْعَشِيِّ الصَّـٰفِنَـٰتُ الجِيَـادُ ﴾. يعني الخيـل [السراع][2]. و (الصَّافِنُ) في تفسير مجاهد الفرس حين يرفع إحدى رجليه حتى تكون على طرف الحافر[3]، أي بسنبكه. (الجِيَادُ)، الواحد منها جواد، وجماعتها جياد. وكان ابن مسعود يقرأها صوافن أي معقوله يدها اليمنى قائمة على ثلاث قوائم، وهو قوله صوافن.

قال الحسن: عرضت على سليمان فجعلت تجري بين يديه فلا يستبين منها قليلاً ولا كثيراً من سرعتها، وجعل يقول: اللهم اغضض بصري إلي، وجعل يقول: ردُّوها علي، أي: ليستبين منها شيئاً[4].

قوله: ﴿ فَقَالَ: إِنِّيَ أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ ﴾ أي: حبّ المال، يعني الخيل، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود: (حبّ الخيل) ﴿ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ ﴾ أي غابت، يعني الشمس ﴿ بِالْحِجَابِ ﴾ ففاتته صلاة العصر.

ذكروا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الصلاة الوسطى فقال: هي صلاة العصر[5].

---

(1) كذا في ع، والصواب ما قاله أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 179: «الأوّاب الرّجّاع، وهو التوّاب، مخرجها من آب إلى أهله، أي: رجع...».

(2) زيادة من ز، ورقة 293.

(3) نسب هذا الشرح اللغوي إلى الحسن في ع، والصحيح أنه لمجاهد كما جاء في ز، وفي تفسير مجاهد ص 549.

(4) كذا وردت هاتان الجملتان في ع، ويبدو فيهما تكرار واضطراب. وفي ع تقديم وتأخير في تفسير بعض الآي هنا جعلت كل شيء في مكانه حسبما جاءت في المصحف بدون حذف.

(5) انظر ما سلف في هذا التفسير ج 1 ص 228.

ذكروا عن عبيدة السلماني عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم الأحزاب: ما لهم، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس[1]. قال الحسن: فقال سليمان ذلك.

قال: ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾. فضرب أعناقها وعراقيبها، وإنما هو شيء قَبِله عن الله[2]. قال بعضهم: فذهبت ولم يبق من أصلها شيء. وقال بعضهم: مسح أعناقها ووجوهها بثوبه، وقالوا: هو أعرف بالله من أن يضرب أعناقها وعراقيبها.

قال بعضهم: كانت ألف فرس فضرب أعناق تسعمائة وعراقيبها فترك مائة. فالخيل اليوم من نسولها.

روي عن رسول الله ﷺ قال: الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة[3].

---

(1) حديث صحيح متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب التفسير عن عبيدة عن علي باختلاف يسير في اللفظ. وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، (رقم 627) عن علي، وعن عبد الله بن مسعود (رقم 628) بلفظ: شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً». وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في وقت صلاة العصر (رقم 409) عن علي.

(2) هذا هو القول الراجح في تفسير مسح السوق والأعناق في الآية. وقد ورد لفظ مسح بمعنى قطع وضرب في الشعر. انظر مجاز أبي عبيدة، ج 2 ص 183، وانظر اللسان (مسح).

(3) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، عن عبد الله بن عمر وعن عروة بن أبي الجعد. وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، (رقم 1871). باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، و (رقم 1872) عن جرير بن عبد الله. وأخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجهاد، ما جاء في الخيل والمسابقة بينها والنفقة في الغزو عن عبد الله بن عمر، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب ارتباط الخيل في سبيل الله عن عروة البارقي (رقم 2786) وعن عبد الله بن عمر (رقم 2787) وعن أبي هريرة من حديث أطول (رقم 2788).

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَنَ ﴾ أي: ابتلينا سليمان ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ يعني الشيطان الذي خلفه في ملكه تلك الأربعين ليلة.

قال بعضهم: كان اسمه صخراً. وقال بعضهم: كان اسمه آصف، اسم وافق اسم الذي عنده علم من الكتاب، كان يحسن الاسم الأكبر. وتفسير قوله (جَسَداً) عند الحسن أن الشيطان لما أخذ خاتم سليمان صعد على كرسيه، وهو سرير المملكة لا يأكل ولا يشرب، ولا يأمر ولا ينهى. وهو قول الله (جَسَداً) كقول الرجل للرجل: ما أنت إلا جسد. وأذهب الله ذلك من أذهان الناس، أي أصابتهم غفلة، فلا يرون إلا أن سليمان في مكانه، يرون أنه يصلّي بهم، ويجمع ويقضي بينهم، ولا يرى الناس إلا أنه على منزلته الأولى فيما بينه وبينهم. فأذهب الله ذلك من أذهانهم كما أذهب من أذهانهم موته سنة، وهو متكىء على عصاه، لا يرون إلا أنه يصلي بهم ويجهز عذابهم[1] ويحكم بينهم. وهي في قراءة ابن مسعود: ولقد كانوا يعملون له حولاً.

قال الكلبي: إن سليمان أصاب ذنباً فأراد الله أن يجعل عقوبته في الدنيا. قال الحسن: كان قارب بعض نسائه في المحيض. قال الكلبي: كانت له امرأة من أكرم نسائه عليه وأحبّهن إليه، فقالت: إن بين أبي وبين رجل خصومة، فزيّنت حجة أبيها. فلما جاءا يختصمان جعل يحب أن تكون الحجة لختنه[2]. فابتلاه الله بما كان من أمر الشيطان الذي خلفه، وذهب ملك سليمان.

وذلك أنه كان إذا أراد أن يدخل الخلاء دفع خاتمه إلى امرأة من نسائه كان يثق بها، فدفعه إليها يوماً ثم دخل الخلاء. فجاءها ذلك الشيطان في صورة سليمان، فأخذ الخاتم منها. فلما خرج سليمان من الخلاء طلب الخاتم منها فقالت: قد أعطيتكه. فقال: أنشدك بالله أن تخونيني. وذهب الخبيث فقعد على كرسي سليمان، وألقى عليه شبهه وهيئته. فخرج سليمان فإذا هو بالشيطان قاعد على كرسيه. فذهب في الأرض وذهب ملكه. وجعل يستطعم إذا أصابه الجهد ويقول: أنا سليمان بن

(1) كذا وردت هذه الجملة في ع: «ويجهز عذابهم» ولست مطمئناً إليها.

(2) وردت هذه الجمل من قول الكلبي فاسدة في ع، فأثبت تصحيحها من ز ورقة 294.

داوود، فيكذبونه ويستخِفّون به ويطردونه حتى كاد أن يموت من الجوع.

وقال مجاهد: كان يقول: لو عرفتموني لأطعمتموني، أنا سليمان ويكذّبونه.

قال الكلبي: فلما انقضت المدة، ونزلت الرحمة عليه من الله، ألقى الله في أنفاس الناس استنكار الشيطان. فمشوا إلى آصف، أحد الثلاثة خزان بيت المقدس، فقالوا: يا آصف، إنا أنكرنا قضاء الملك وعمله، فلا ندري أنكرت مثل الذي أنكرنا أم لا. قال نعم، ولكن سوف أدخل على نسائه، فإن كن أنكرن مثل الذي أنكرنا فذلك أمر عام في الناس، فاصبروا حتى يكشف الله عنكم، فإن لم ينكرن منه مثل الذي أنكرنا فهو أمر خصصنا به، فادعوا الله لملككم بالصلاح. فانطلق آصف فدخل على نساء سليمان، فسألهن عنه، فقلن: إن كان هذا سليمان فقد هلكنا وهلكتم، وقال مجاهد فأنكرته أم سليمان.

قال الكلبي: فخرج آصف إلى الناس فأخبرهم، فدعوا الله ربهم أن يكشف عنهم. فلما رأى الشيطان الذي فيه الناس من الغفلة كتبوا سحراً كثيراً على لسان آصف، ثم دفنوه في مصلّى سليمان وبيت خزائنه وتحت كرسيه، ثم أضربوا عنه. وفشا الاستنكار من الناس للشيطان، وانقضت أيامه، ونزلت الرحمة من الله لسليمان.

فعمد الشيطان إلى الخاتم فألقاه في البحر؛ فأخذه حوت من حيتان البحر. وكان سليمان يؤاجر نفسه من أصحاب السفن بنقل السمك من السفن إلى البر على سمكتين كل يوم. فأخذ في حقه يوماً سمكتين، فباع إحداهما برغيفين؛ وأما الأخرى فشق بطنها وجعل يغسلها، فإذا هو بالخاتم، فأخذه، فالتفت إليه الملاحون فعرفوه، فأقبلوا إليه، فسجدوا له. وكذلك تحية من كان قبلكم، كانت تحيتهم السجود، وجعل الله تحية هذه الأمة السلام، وهي تحية أهل الجنة.

قال الكلبي: فقال سليمان: فما آخذكم الآن على السجود، ولا ألومكم على ما تفعلون؛ وذلك الفعل هو أنه كان إذا أصابه الجوع استطعم فقال: أنا سليمان بن داوود، لو عرفتموني لأطعمتموني، أنا سليمان، فيكذبونه ويستخفون به.

وقال مجاهد: إن سليمان قال لآصف، الشيطان الذي خلفه، وكان يقول: كان اسمه آصف، كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك. فلما أعطاه خاتمه نبذه في البحر، فساح سليمان وذهب ملكه، وقعد الشيطان على كرسيّه، ومُنِع أن يقرب نساء سليمان.

قال الكلبي: فأقبل سليمان إلى ملكه فعرفه الناس واستبشروا به، وأخبرهم أنه إنما فعله به الشيطان، فاستغفر سليمان ربه[1].

قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيَ إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ ﴾. فسخر الله له الريح والشياطين: وسخر له الشيطان الذي فعل به الفعل، واسم الشيطان صخر. فأخذه سليمان فجعله في تخت من رخام، ثم أطبق عليه، وسد عليه بالنحاس، ثم ألقاه في جوف البحر[2]. فمكث سليمان في ملكه راضياً مطمئناً حتى قبضه الله إليه.

قوله: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيَ إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ). فزاده الله ملكاً إلى ملكه الذي ورثه من داوود، فسخّر له الريح والشياطين.

قال الله: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾.

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا البارحة في مصلاي إذ عرض علي الشيطان، فأخذته بحلقه فخنقته، حتى إني لأجد برد لسانه على ظهر كفي، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً تنظرون إليه[3].

---

(1) نفس ما قلناه فيما روى من الإسرائيليات حول النبي داوود عليه السلام نقوله حول ما ورد منها في قصة سليمان عليه وعلى نبينا السلام، انظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص 15.

(2) كذا في ع، وفي ز ورقة 294: «في عُرض البحر».

(3) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد، وفي كتاب التفسير، سورة ص، عن أبي هريرة، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه، وجواز العمل القليل في =

قوله: (تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً) ذكروا عن الحسن قال: الرخاء التي ليست بالعاصف التي تؤذيه، ولا بالبطيئة التي تقصر به عن حاجته، رخاء بين ذلك. قوله: (حَيْثُ أَصَابَ) أي: حيث أراد، وهي بلسان هجر. وهو تفسير مجاهد. غير أنه قال: حيث شاء.

وتفسير الحسن: أن سليمان إذا أراد أن يركب جاءت الريح فوضع سرير مملكته عليها، ووضع الكراسي والمجالس على سريره، وجلس وجوه أصحابه على منازلهم في الدين عنده من الجن والإنس، والجن يومئذ ظاهرة للإنس، رجال أمثال الإنس إلا أنهم أُدْمٌ، يحجون ويصلون جميعاً ويعتمرون جميعاً، والطيور ترفرف على رأسه ورؤوسهم، والشياطين حَرَسَة لا يتركون أحداً يتقدم بين يديه، وهو قوله: (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) [النمل: 17] على كل صنف منهم وزعة يرد أولهم على آخرهم.

قوله: (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ) أي يغوصون في البحر ويستخرجون له اللؤلؤ. (وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ) أي: في السلاسل، ولم يكن يسخر منهم ويستعمل في هذه الأشياء ولا يصفد في السلاسل إلا الكفار منهم، فإذا تابوا وآمنوا حلهم من تلك الأصفاد. هذا تفسير الحسن.

قوله: ﴿ هٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوَ امْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [تفسير بعضهم: فامنن أي: فأعط من شئت أو أمسك عمن شئت][1] (بِغَيْرِ حِسَابٍ) أي: لا حساب عليك في ذلك. وتفسير مجاهد: (بِغَيْرِ حِسَابٍ) أي: بغير حرج.

قوله: ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ ﴾ أي: لقربة في المنزلة. ﴿ وَحُسْنَ مَئَابٍ﴾ أي: وحسن مرجع، أي: الجنة.

= الصلاة، عن أبي هريرة (رقم 541) وعن أبي الدرداء (رقم 542). وانظر السيوطي، الدر المنثور، ج 5 ص 313.

(1) زيادة من ز، ورقة 294.

قوله: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وعذاب ﴾ أي: ببلاء وشرّ. قال بعضهم: النصب: الضر في الجسد، والعذاب: ذهاب ماله. وتفسير الحسن بنصب وعذاب في جسده؛ وقد فسّرنا قصته وقصة امرأته في سورة الأنبياء وكيف ذهب ماله[1]..

فأوحى الله إليه أن ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾[2] فركض برجله ركضة وهو لا يستطيع القيام، فإذا عين فاغتسل منها فأذهب الله ظاهر دائه، ثم مشى على رجليه أربعين ذراعاً، ثم قيل له: اركض برجلك أيضاً، فركض ركضة أخرى فإذا عين فشرب منها فأذهب الله عنه باطن دائه.

وقال الكلبي: وكساه الله ثياباً جديدة حساناً. وجلس على شاطىء نهر، فجاءت امرأته بطعام قد أصابته، فنظرت فإذا الغار ليس فيه أحد؛ فلم تشك أن السبع قد أكله. فجعلت تستحيي من الرجل وهي ما تعرفه، فقالت: يا عبد الله، أرأيت الذي كان في هذا الغار أين هو؟ قال: أنا هو. قالت: يا عبد الله، لا تسخر مني، فقد كان أمره بخير. فقال: أنا صاحبك، ولم تصدّقه.

فقال: إن لم تصدقيني فاذهبي إلى بيتك ذلك، فإن الله قد أقامه لك، وردّ عليك ولدك، وقد كانوا ثلاثة عشر، وزاد الله لـه ثلاثة عشر أخرى، وأخرج له حيوانه كلها، وزاده مثلها معها، حتى صار مَلِك دمشق بعدُ.

قال الحسن: فردَّ الله عليه أهله وولده وأمواله من البقر والغنم والحيوان وكل شيء ملكه بعينه، ثم أبقاه الله فيها حتى وهب له من نسولها أمثالها. وهو قوله: (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ) فوفّاهم آجالهم. قال بعضهم: مثل السبعين الذين كانوا مع موسى فقال لهم الله: موتوا ثم أحياهم، ومثل (الذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ

(1) انظر ما سلف، ج 3 ص 84 - 85.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 185: (هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ): وَضُوء غَسُول، وهو ما اغتسلت به من الماء (وَشَرابٌ) أي: وتشرب منه. والموضع الذي يغتسل فيه يسمى مُغْتَسَلاً.

أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَيهُمْ﴾ [البقرة: 243] فاستوفوا بقية آجالهم.

وقال الحسن: إن الله أحيى أولاد أيوب بأعيانهم، وأن الله أبقاه فيهم حتى أعطاه الله من نسولهم. وإن إبليس يأتيه يومئذ عياناً، قال: يا أيوب، اذبح لي سخلة من غنمك؛ قال: لا، ولا كفاً من تراب.

ذكروا عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: لا يبلغ العبد الكفر بالله والإشراك به حتى يصلي لغير الله، أو يدعو غير الله، أو يذبح لغير الله.

ذكروا عن الحسن أن أيوب لم يبلغه شيء يقوله الناس كان أشد عليه من قولهم: لو كان نبياً ما ابتلي بمثل ما ابتلي به. فدعا الله فقال: اللهم إنك تعلم أني لم أعمل حسنة في العلانية إلا عملت في السر مثلها، فاكشف عني ما بي من ضر فأنت أرحم الراحمين. فاستجاب الله له فوقع ساجداً. وأمطر عليه جرادٌ من ذهب[1] فجعل يلتقطه ويجمعه، فأوحى الله إليه: يا أيوب، أما تشبع؟ قال: ومن يشبع من رحمتك [يا رب][2].

وقال الحسن: إن الله يحتج على الناس يوم القيامة بثلاثة من الأنبياء فيجيء العبد فيقول: أعطيتني جمالاً في الدنيا فأعجبت به، ولولا ذلك لعملت بطاعتك، فيقول الله له: الجمال الذي أعطيتك في الدنيا أفضل أم الجمال الذي أعطي يوسف، فيقول: بل الجمال الذي أعطي يوسف، فيقول: إن يوسف كان يعمل بطاعتي، فيحتجّ عليه بذلك. فيجيء العبد ويقول: يا ربِّ، ابتليتني في الدنيا، ولولا ذلك لعملت بطاعتك. فيقول الله له: البلاء الذي ابتُليت به في الدنيا أشد أم البلاء الذي

(1) في ع، وردت العبارة هكذا: «ومطر عليه فراش الذهب»، وفي العبارة فساد أثبت تصحيحه من بعض كتب التفسير. انظر الألوسي، روح المعاني ج 8 ص 207.
(2) زيادة لتستقيم العبارة.

ابتلى به أيوب، فيقول: بل الذي ابتلى به أيوب. فيقول: كان أيوب يعمل بطاعتي، فيحتج عليه بذلك. ويجيء العبد فيقول: أعطيتني ملكاً فأعجبت به، ولولا ذلك لعملت بطاعتك. فيقول: الملك الذي أعطيتك في الدنيا أفضل أم الملك الذي أعطى سليمان، فيقول: الملك الذي أعطى سليمان. فيقول: كان سليمان يعمل بطاعتي، فيحتج عليه بذلك.

قوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَٰبِ ﴾ وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ﴾.

قال الحسن: إن امرأة أيوب كانت قاربت[1] الشيطان في بعض الأمر، ودعت أيوب إلى مقاربته. وقال بعضهم: في قول الشيطان لأيوب: اذبح لي سخلة فوعدته أن تكلم أيوب في ذلك فأعلمته. فحلف أيوب بالله لئن عافاه الله أن يجلدها مائة جلدة، ولم تكن له نية بأي شيء يجلدها. فمكث في ذلك البلاء حتى عافاه الله، وأذن له في الدعاء، وتمت عليه النعمة من الله والأجر. فأتاه الوحي من الله وهو مطروح تختلف الروح في أضلاعه وجسده. قال الحسن: وكانت امرأته مسلمة قد أحسنت القيام عليه، وكانت لها عند الله منزلة. فأوحى الله إليه أن يأخذ بيده ضغثاً، مائة من الأسل. والضغث أن يأخذ قُبضة، قال بعضهم: من السنبل، وكانت مائة سنبلة. وقال بعضهم: من الأسل. [والأسل: السّمّار][2]، فيضربها به ضربة واحدة ففعل.

---

(1) في ع بياض قدر كلمة فأثبتها من ز: «قاربت» وكأنها مالت إلى ما طلبه خوفاً على أيوب.

(2) زيادة من ز، ورقة 295. وعرّفه صاحب اللسان بأنه «نبات له أغصان كثيرة دقاق بلا ورق... ومنبته الماء الراكد، ولا يكاد ينبت إلا في موضع ماء، أو قريب من ماء، واحدته: أَسَلَة... قال أبو حنيفة: الأسل عيدان تنبت طوالاً دقاقاً مستوية لا ورق لها يصنع منها الحصر». وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 185: «(وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً) وهو ملء الكف من الشجر أو الحشيش والشماريخ وما أشبه ذلك».

قال الله: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِراً نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ أي: إنه مسبّح.

قوله: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا ﴾ يقول للنبي عليه السلام: واذكر عبادنا ﴿ إِبْـرٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَـٰرِ ﴾ قال بعضهم: (أُولِي الأَيْدِي)، أولي القوة في أمر الله، (والأَبْصَارِ)، أي في كتاب الله. وقال الحسن: (أُولِي الأَيْدِي) أي: أولي القوة في عبادة الله.

قال الله: ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَـٰهُمْ بِخَـٰلِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ أي: الدار الآخرة. والذكرى الجنة. ﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ﴾ أي: المختارين؛ اختارهم الله للنبوّة، وقال الكلبي: اصطفاهم بذِكرِ الآخرة واختصّهم بها.

قوله: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَـٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ ﴾. ذكروا عن أبي موسى الأشعري أنه قال: إن ذا الكفل لم يكن نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً تكفّل بنبي عند موته كان يصلي لله مائة صلاة، فأحسن الله عليه الثناء. وقال مجاهد: إن ذا الكفل كان رجلاً صالحاً ليس بنبي، تكفل لنبي بأن يكفل له أمر قومه فيقيمه له ويقضي بينهم بالعدل.

قوله: ﴿ هَـٰذَا ذِكْرٌ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ أي: لحسن مرجع. ﴿ جَنَّـٰتِ عَدنٍ ﴾، وهي ريح الجنة سببه الخيار إليها[1]. ﴿ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْـوٰبُ ﴾ [أي: منها][2]. ذكر بعضهم: أن مصراعي الجنة ذهب، بين المصراعين أربعون عاماً.

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا ﴾ أي: على السرر، وفيها إضمار. ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾. أي: بفاكهة لا تنقطع عنهم ﴿ وَشَرَابٍ ﴾ أي: أنهار تجري بما اشتهوا.

---

(1) كذا وردت هذه الجملة في ع: «وهي ريح الجنة سببه الخيار إليها» وهو تعبير غامض المعنى لم أهتد إلى تصحيح ما به من فساد.

(2) زيادة من ز، وهي من شرح أثبته ابن أبي زمنين واختاره الزجاج. وقال الفراء في المعاني ج 2 =

﴿ وَعِنْدَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ ﴾ قصرن أطرافهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم. ﴿ أَتْرَابٌ ﴾ أي: على سن واحد؛ بنات ثلاث وثلاثين سنة. وتفسير مجاهد: (أَتْرَاب) أي: أمثال، وهو قوله: على سن واحد.

قال: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ ﴾ يعني ما وصف في الجنة ﴿ لِيَوْمِ الْحِسَابِ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾ أي: من انقطاع.

قوله: ﴿ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ ﴾ أي: للمشركين ﴿ لَشَرَّ مَئَابٍ ﴾ أي: لشر مرجع. ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِيسَ الْمِهَادُ ﴾ أي: بئس الفراش. كقوله: (لَهُم مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) [الأعراف: 41] أي: تغشاهم. وهو مثل قوله: (لَهُم مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) [الزمر: 16].

﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾. فيها تقديم: هذَا حَمِيمٌ وَغَسَاقٌ فَلْيَذُوقُوهُ. فالحميم الحار الذي لا يستطاع من حره، والغساق البارد الذي لا يستطاع من برده.

قال بعضهم الغساق القيح الغليظ، لو أن جرة[1] منه تهراق في المغرب لأنتنت أهل المشرق، أو تهراق في المشرق لأنتنت أهل المغرب. وقال بعضهم: الغساق: المنتن، بلسان خراسان. وكان الحسن لا يفسر الغساق فيما ذكروا عنه.

قال: ﴿وَءَاخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَٰجٌ﴾ . وكان الحسن يقرأ: وأُخَر من شكله. (وَآخَرُ) يعني الزمهرير (مِنْ شَكْلِهِ): من نحوه، أي: من نحو الحميم (أَزْوَاجٌ): ألوان[2].

قوله: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّار قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا

= ص 408: «ترفع (الأَبْوَابَ) لأن المعنى مفتّحة لهم أبوابها، والعرب تجعل الألف واللام خلفاً من الإضافة. . . ومنه قوله: (فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) فالمعنى ـ والله أعلم ـ مأواه».

(1) كذا في ع وفي ز ورقة 296. وفي تفسير الطبري ج 23 ص 177: «لو أن قطرة منه». وأخرج الطبري حديثاً مرفوعاً عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: لو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا.

(2) في ع اضطراب في تفسير الآية أثبت التصحيح من ز.

مَرْحَباً بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾. قالته الملائكة لبني إبليس. قال بعضهم: وهذا قبل أن يدخلوا بني آدَمَ الذِين أضلهم بنو إبليس؛ (هٰذَا فَوْجٌ) يعنون بني آدم (مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ) أي: في النار.

قال بنو إبليس: (لاَ مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ) قالوا، أي: قال بنو آدم لهم: بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبيس القرار.

وبعضهم يقول: جاءتهم الملائكة بفوج إلى النار، فقالت للفوج الأول الذين دخلوا قبلهم: هذا فوج مقتحم معكم. قال الفوج الأول: لا مرحباً بهم إنهم صالو النار، قال الفوج الآخر: بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبيس القرار.

قال الله: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هٰذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ ﴾ [قوله: (مَنْ قَدَّمَ لَنَا هٰذَا) أي: من سنّه وشرعه. وقوله: (فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً) أي: زده على عذابه عذاباً آخر][1]. وهو كقوله: (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُم مِّنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ امَّةٌ لَّعَنَتْ اخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّرَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ اخْرَاهُمْ لِأُولاَهُمْ رَبَّنَا هٰؤلاَءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ) [الأعراف: ٨٣].

﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لاَ نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ ﴾ أي: في الدنيا. كقوله: (إِنَّ الذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ...) إلى آخر الآية [المطففين: 29] فلما دخلوا النار لم يروهم فيها معهم، فقالوا: (مَا لَنَا لاَ نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ) ﴿ أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيّاً ﴾[2] أي: فأخطأنا ﴿ أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَـٰرُ ﴾ أي: أم هم فيها ولا نراهم. وهذا تفسير مجاهد. قال: ثم علموا بعد أنهم ليسوا معهم فيها. وقال الحسن: كل ذلك قد فعلوا: قد اتخذوهم سخرياً، وقد زاغت الأبصار في الدنيا محقرة لهم، كقول الرجل: قد نبا بصري عنهم.

(1) ما بين المعقوفين زيادة من ز، ورقة 296، والتفسير لابن أبي زمنين.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 187: «... ومن كسر (سِخريا) جعله من الهزء ويُسخرَ به، ومن ضمّ أولها جعله من السخرة يتسخرونهم ويستذلونهم».

قال الله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ يعني قول بعضهم بعضاً في الآية الأولى.

قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ﴾ لأهل النار، أي أنا منذر من الله ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ قهر العباد بالموت وبما شاء من أمره. ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ أي: لمن تاب وآمن.

قوله: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴾ يعني القرآن. ﴿ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ يعني المشركين.

قوله: ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ قال الحسن: اختصموا في خلق آدم. وفي تفسير عمرو عن الحسن: خصومتهم أن قالوا فيما بينهم: ما الله خالق خلقاً هو أكرم عليه منا. وهو قوله: (وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) [البقرة: 33].

وذكروا عن ابن عباس أن الله تعالى لما قال للملائكة (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة: 30] فكانت تلك خصومتهم.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني ربي الليلة في المنام فقال: يا محمد، فيم اختصم الملأ الأعلى. قلت: رب لا أدري[1]... قلت: رب في الكفارات والدرجات. قال: وما الكفارات؟ قلت: إسباغ الوضوء في السَّبَرات[2].

(1) وضعتُ هذه النقط هنا إشارة إلى أن في الحديث خرماً. وكأنّي بالشيخ هود أو أحد النساخ حذف قصداً بعض ألفاظ وجمل لم تصح عنده ولا توافق مذهبه. فقد جاء في بعض ألفاظه ما يلي: «... قلت: لا، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديَيَّ أو قال في نحري، فعلمت ما في السماوات وما في الأرض قال يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم في الكفارات...» والحديث صحيح أخرجه الترمذي في أبواب التفسير، سورة صٓ، من طرق عن ابن عباس وعن معاذ بن جبل، وأخرجه الطبراني وابن مردويه عن جابر بن سمرة وعن أبي هريرة بألفاظ متشابهة، وانظر السيوطي، الدر المنثور، ج 5، ص 319-321.

(2) السَّبْرَة، وتجمع على سَبَرات. الغداة الباردة.

والمشي على الأقدام إلى الجماعات، والتعقيب في المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام.

وقال بعضهم: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات، أي يا ربي. قال: وما الكفارات؟ قلت: المشي بالأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد خلاف الصلوات، وإسباغ الوضوء في المكاره. ومن يفعل ذلك يعش بخير، ويمت بخير، ويكن من خطيئاته كيوم ولدته أمه. والدرجات: إطعام الطعام، وبذل السلام، وأن يقوم بالليل والناس نيام. قال: قل: اللهم إني أسألك الطيبات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تقوّني علي، وإذا أردت اللهم فتنة فتَوَفَّني غير مفتون.

قوله: ﴿ إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ هو كقوله: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) [الرعد: 7]. أي نبي الله المنذر، والله الهادي.

قوله: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَٰجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ ﴾ وقد فسّرنا ذلك في سورة البقرة.

وقال الحسن: إن الله أمر الملائكة أن تسجد لآدم، وأمر إبليس بالسجود له، ولم يكن من الملائكة، فسجدت الملائكة ولم يسجد إبليس، واستكبر عن الله وكان من الكافرين. كان أول الكافرين، كما أن آدم من الإنس وهو أول الإنس. وقال بعضهم: إن كل عبد كان في أم الكتاب شقياً أو سعيداً، وكان إبليس ممن كان في أم الكتاب شقياً.

﴿ قَالَ يَٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ [يعني: تكبرت][1] ﴿ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا ﴾ [أي: من السماء] ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ أي: ملعون، رجم باللعنة. ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ يعني إلى

(1) زيادة من ز، ورقة 296.

يوم الحساب، وأبدأ في الإضمار. قال بعض العلماء: ثلاثة ليست لهم توبة: إبليس، وابن آدم الذي قتل أخاه، ومن قتل نبياً.

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي ﴾ أي: فأخرني ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ أي: من المؤخرين ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ يعني النفخة الأولى. وأراد عدو الله أن يؤخر إلى النفخة الآخرة.

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ أي: فبعظمتك ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي لأضلّنهم أجمعين ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾.

﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي: قال: إن الله حق ويقول الحق. وتفسير مجاهد (الحَقُّ) أي الحق منّي[1]. وتفسير الحسن: هذا قسم، يقول: حقاً حقاً لأملأن جهنم منك وممّن تبعك منهم أجمعين.

قوله: ﴿ قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على القرآن ﴿ مِنَ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ إِنْ هُوَ ﴾ أي القرآن ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ أي: إلا تفكر ﴿ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: لمن عقل عن الله. ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ أي: بعد الموت، يعني يوم القيامة.

---

(2) في تفسير مجاهد ص 553: «قال: يقول: الحق مني، والحق أقول».

تفسير سورة الزمر، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ يعني القرآن؛ أنزله مع جبريل على محمد ﷺ.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَٰبَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ ﴾ أي: لا تشرك به شيئاً. ﴿ أَلَا لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ أي الإسلام.

﴿ وَالذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي: يتخذونهم آلهة يعبدونهم من دون الله. ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ ﴾. يقول والذين اتخذوا من دون الله أولياء (مَا نَعْبُدُهُمْ) فيها إضمار؛ وإضمارها، قالوا ما نعبدهم، وهي قراءة الأعمش. ﴿ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلى اللهِ زُلْفَىٰ ﴾ والزلفى القربة. زعموا أنهم يتقرّبون إلى الله بعبادة الأوثان لكي يصلح لهم معايشهم في الدنيا، وليس يقرّون بالآخرة.

قال مجاهد: [هذا قول][1] قريش، تقوله لأوثانهم، وَمَن قبلهم يقولونه للملائكة ولعيسى بن مريم ولعزير.

قال: ﴿ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ أي: يحكم بين المؤمنين والشركين يوم القيامة، فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل المشركين النار. قال: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ يعني من مات على كفره.

(1) زيادة من تفسير مجاهد، ص 555.

قوله: ﴿ لَوْ أَرَادَ اللهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً لَّاصْطَفَىٰ ﴾ أي لاختار ﴿ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ ﴾ ينزّه نفسه أن يكون له ولد ﴿ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك. والقهار الذي قهر العباد بالموت وبما شاء من أمره.

﴿ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: للبعث والحساب والجنة والنار. ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الَّيْـلِ ﴾ أي: يختلفون. وبعضهم يقول: هو مثل قوله: (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) [الحديد: 6]، يعني أخذ كل واحد منهما من صاحبه. ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: إلى يوم القيامة. ﴿ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ العزيز في أمره، الغفار لمن تاب وآمن.

قال: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ ﴾ يعني آدم ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ يعني حواء، خلقت من ضلع من أضلاعه، وهي القصيرى من جنبه الأيسر.

ذكروا عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: إن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإنك إن ترد أن تقيمها تكسرها، فدارها تعش بها[1].

﴿ وَأَنْزَلَ لَكُم ﴾ أي: وخلق لكم ﴿ مِّنَ الأَنْعَـٰمِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ أي: أصناف الواحد منها زوج.

ذكروا عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: الأزواج الثمانية التي ذكرت في سورة الأنعام: (مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ) يعني الذكر والأنثى. (وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ)... (وَمِنَ الإِبلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ) [الأنعام: 143-144].

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقاً مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ [يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم يكسى العظم اللحم ثم الشعر ثم ينفخ فيه الروح][2] ﴿ فِي ظُلُمَـٰتٍ

(1) حديث متّفق على صحته، رواه الشيخان عن أبي هريرة. انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 1 ص 345.

(2) زيادة من ز، ورقة 297.

ثَلَـٰثٍ ﴾ أي: البطن والمشيمة والرحم[1].

قال: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ خالق هذه الأشياء التي وصفهن؛ من قوله: (خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) إلى هذا الموضع: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) ﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ أي: فكيف تصرفون عقولكم. أي: أين يذهب بكم فتعبدون غيره وأنتم تعلمون أنه خلقكم وخلق هذه الأشياء. وتصرفون عقولكم وتصدقون وتوفكون واحد.

قال: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ﴾ أي: عن عبادتكم ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا ﴾ وتؤمنوا ﴿ يَرْضَهُ لَكُمْ[2] وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي لا يحمل أحد ذنب غيره، والذنب الوزر، وهو الحمل. كقوله: (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ) [الأنعام: 31] ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي: بما في الصدور.

قوله: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ ﴾ أي: مرض ﴿ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ﴾ أي: دعاه بالإخلاص أن يكشف عنه ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ ﴾ أي: عافاه من ذلك المرض[3] ﴿ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ هو كقوله: (مَرَّ) أي: معرضاً (كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ) [يونس: 12]، يعني الكافر المشرك. قال: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً ﴾ يعني الأوثان، عدلوها بالله فعبدوها من دونه، والنّدّ العدل. ﴿ لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ أي: يتبعه على ذلك غيره ﴿ قُلْ ﴾ أي: قل يا محمد للمشرك ﴿ تَمَتَّعْ ﴾ في الدنيا ﴿ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً ﴾ أي: إن بقاءك في الدنيا قليل ﴿ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ النَّارِ ﴾.

---

(1) وقيل: «في أصلاب الرجال، ثم في الرحم، ثم في البطن» كما ذكره أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 188.

(2) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 415: «يقول: يرضى الشكر لكم. وهذا مثل قوله: (فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً) أي: فزادهم قول الناس إيماناً».

(3) كذا في ز، أي: «عافاه من ذلك المرض» وهو أوضح تعبيراً وأحسن. وفي ع: أي: «تحول ذلك المرض عافية». وانظر في مجاز أبي عبيدة ج 2 ص 188 تحقيقاً لغوياً في معنى التخويل في الآية. قال: «كل مَالَـكَ وكل شيء أعطِيتَه فقد خُوِّلْتَه».

قوله: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ﴾ أي: قائم في الصلاة ﴿ ءَانَاءَ الَّيْلِ ﴾ أي: ساعات الليل ﴿ سَاجِداً وَقَائِماً ﴾ قال بعضهم: هو الذي ﴿ يَحْذَرُ الآخِرَةَ ﴾ أي: يخاف عذابها ﴿ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ أي: الجنة. يقول: أمَن هو قانت كالذي جعل لله أنداداً يعبد الأوثان دونه، أي: ليس مثلَه(1).

قوله: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: هل يستوي هذا المؤمن، الذي علم أنه مُلاق ربه، الذي يقوم آناء الليل، وهذا المشرك الذي جعل لله أنداداً، أي: إنهما لا يستويان. [﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ ﴾ أي: إنما يقبل التذكرة ﴿ أُولُو الأَلْبَـٰبِ ﴾ أي: أصحاب العقول، وهم المؤمنون](2).

قوله: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ الذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُم ﴾ ثم قال: ﴿ لِلذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ أي آمنوا ﴿ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ أي: ما أعطاهم الله من الخير في الدنيا، يعني ما أعطاهم فيها من طاعة حسنة، وفي الآخرة من الجنة. ﴿ وَأَرْضُ اللهِ وَسِعَةٌ ﴾ هو كقوله: (يَا عِبَادِيَ الذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَايَ فَاعْبُدُونِ) [العنكبوت: 56] في الأرض التي أمرتكم أن تهاجروا إليها.

قال: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّـٰبِرُونَ ﴾ أي الذين صبروا على طاعة الله وعن معصيته(3). ﴿ أَجْرَهُمْ ﴾ يعني الجنة ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي: لا حساب عليهم في الجنة. كقوله: (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) [غافر: 40].

قوله: ﴿ قُلِ إِنِّي أُمِرْتُ أَنَ اعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنَ اكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أي: من هذه الأمة.

قوله: ﴿ قُلِ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي ﴾ [بمتابعتكم على ما تدعونني إليه من عبادة الأوثان](4) ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ أي جهنم.

(1) انظر وجوه قراءة قوله تعالى: (أَمَنْ هُوَ قانِتٌ) وتأويلها في معاني الفراء ج 2 ص 416-417.
(2) سقط ذكر هذه الجملة الأخيرة من الآية وتفسيرها من ع فأثبتهما كما وردا في ز ورقة 298.
(3) في ع: «الذين صبروا على فرائض الله وعن معصيته»، وأثبت ما في ز فهو أحسن تعبيراً وأنسب.
(4) زيادة من ز، ورقة 298.

﴿ قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّنْ دُونِهِ ﴾ وهذا وعيد هوله شديد، أي إنكم إن عبدتم من دونه عذبكم. ﴿ قُل إِنَّ الْخَسِرِينَ ﴾ أي: المغبونين، وقال في موضع آخر: (ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) [التغابن: 9] ﴿ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أي: غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ﴿ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ أي: الغبن البيّن. خسروا أنفسهم فصاروا في النار، وخسروا أزواجهم من الحور العين.

إن الله جعل لكل أحد منزلاً في الجنة وأهلاً، فمن عمل بطاعة الله كان له ذلك المنزل والأهل، ومن عمل بمعصية الله صيّره الله إلى النار، وكان ذلك المنزل والأهل ميراثاً لمن عمل بطاعة الله إلى منازلهم وأهليهم التي جعلها لهم، فصار جميع ذلك لهم.

قوله: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ كقوله: (لَهُم مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) [الأعراف: 41] ﴿ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ أي: لا تشركوا بي شيئاً ولا تعصون.

قوله: ﴿ وَالذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ ﴾ والطاغوت الشياطين ﴿ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾ وذلك أن الذين يعبدون الأوثان إنما يعبدون الشياطين لأنهم هم يدعونهم إلى عبادتها. قال: ﴿ وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ ﴾ أي: وأقبلوا مخلصين إلى الله ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى ﴾ أي: الجنة. قال: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ أي: بشرهم بالجنة. و(القول): كتاب الله، (فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) أي فيعملون بما أمرهم الله به فيه، وينتهون عما نهاهم الله عنه فيه. قال: ﴿ أُولَئِكَ الذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَبِ ﴾ أي: أولو العقول.

قال: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴾ أي: سبقت عليه كلمة العذاب ﴿ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ أي: تهدي من وجب عليه العذاب، أي لا تهديه.

قال: ﴿ لَكِنِ الذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَـٰرُ﴾ أي: أنهار الجنة. تجري في غير خدود، أي: في غير خنادق من الماء والعسل واللبن والخمر، وهو أبيض كله؛ فطينة النهر مسك أذفر، ورضراضه الدّرّ والياقوت، وحافاته قباب اللؤلؤ. ﴿وَعْدَ اللهِ﴾ الذي وعد المؤمنين، يعني الجنة. ﴿لَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ﴾[1].

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَـٰبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ والينابيع العيون[2]. ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَـٰماً﴾ كقوله: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ)... إلى آخر الآية [يونس: 24]. قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَـٰبِ﴾ أي: لذوي العقول، وهم المؤمنون، يتذكّرون فيعلمون أن ما في الدنيا ذاهب.

قال: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾ أي: وسّع. كقوله: (فَمَن يُّرِدِ اللهُ أَن يَّهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) [الأنعام: 125] قال: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي: ذلك النور في قلبه. ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي الغليظة ﴿مِّنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَـٰئِكَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: عن الهدى. أي: إن الذي شرح الله صدره للهدى فهو على نور من ربه، ليس كالقاسي قلبه، يعني المشرك، الذي هو في ضلال مبين، أي عن الهدى، أي بيّن الضلالة. وهذا على الاستفهام، يقول: هل يستويان، أي: إنهما لا يستويان.

قوله: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿كِتَـٰباً مُّتَشَـٰبِهاً﴾ أي: يشبه

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 189: «(وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ)» نصب، مجازه مجاز المصدر الذي ينصبه فعل من غير لفظه. والوعد والميعاد والوعيد واحد. قال أبو عبيدة: إذا قلت: وعدتُ الرجلَ، فالوجه الخير، ويكون الشر؛ قال الله: (النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) [الحج: 72] وإذا قلت: أوعدت فالوجه الشر ولا يكون الخير».

(2) قال أبو عبيدة: الينابيع «واحدها ينبوع وهو ما جاش من الأرض». أي: ما تدفق، ومنه: جاش الوادي: إذا زخر وامتد جدّاً.

بعضه بعضاً في نوره وعدله وصدقه ﴿ مَّثَانِيَ ﴾ أي يثني الله فيه القصص أي: يذكر الجنة في هذه الصورة، ثم يذكرها في غيرها من السور. وهذا تفسير الحسن. وقال بعضهم: يذكر الآية في هذه السورة ثم يذكرها في الأخرى[1].

﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ أي: إذا ذكروا وعيد الله وما أعدّ. قال: ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ ﴾ أي: إذا ذكروا أعمالهم الصالحات لانت جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، أي إلى وعد الله الذي وعدهم[2].

قال: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ أي: يهديه.

قال: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ أي: شدة العذاب ﴿ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ ﴾ أي: يُجَرُّ على وَجهه في النار. وأول ما تصيب منه النار إذا ألقي فيها وجهه لأنه يكبّ على وجهه، خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة، أي: أهو خير، أم هذا المؤمن الذي لان جلده وقلبه إلى ذكر الله، أي: إنهما لا يستويان. قال: ﴿ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: للمشركين ﴿ ذُوقُوا مَا كُنتُم تَكْسِبُونَ ﴾ أي: جزاء ما كنتم تعملون.

قوله: ﴿ كَذَّبَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: من قبل قومك يا محمد ﴿ فَأَتَيٰهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: جاءهم فجأة. قال: ﴿ فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الخِزْيَ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ أي: فأهلكهم بعذاب الخزي بتكذيبهم. ﴿ وَلَعَذَابُ الأخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ من عذاب الدنيا ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لعلموا أن عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا.

---

(1) قال الزمخشري في الكشاف، ج 4 ص 123: «... (كِتَاباً) بدل من أحسن الحديث، ويحتمل أن يكون حالاً منه. و(مُتَشَابِهاً) مطلق في مشابهة بعضه بعضاً... ويجوز أن يكون (مَثَانِيَ) بياناً لكونه متشابهاً، لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة. والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر. ولما ثنى من قصصه وأنبائه، وأحكامه، وأوامره ونواهيه، ووعده ووعيده ومواعظه. وقيل: لأنه يثنى في التلاوة، فلا يمل كما جاء في وصفه، لا يتْفه ولا يَتَشانُّ...».

(2) وقد أوجز الفراء هذا فقال في المعاني ج 2 ص 418: «تقشعر خوفاً من آية العذاب إذا نزلت، ثم تلين عند نزول آية رحمة».

قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: لكي يتذكّروا، فيحذروا أن ينزل بهم ما نزل بالذين من قبلهم. قال: ﴿قُرْءاناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: غير ذي لبس[1] ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: لكي يتّقوا.

قوله: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَّجُلاً﴾ أي: المشرك ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ أي: يعبد أوثاناً شتى. وهو مثل قول يوسف: ﴿ءَارْبابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: 39] ﴿وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ﴾ يعني المؤمن الذي يعبد الله وحده ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾ أي: إنهما لا يستويان. قال: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ بَلَ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهم الذين لا يؤمنون.

قوله: ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

ذكروا أنه لما نزلت هذه الآية جعل أصحاب النبي عليه السلام يقولون: وما خصومتنا فيما بيننا؟ فلما قتل عثمان بن عفان قالوا: هذه خصومتنا بيننا.

ذكروا أن علياً رضي الله عنه أي . . . . . والـى تحبو للخصومة يوم القيامة[2].

ذكروا عن عمار بن ياسر قال: ادفنوني في ثيابي فإني مخاصَم غداً.

ذكروا عن عمرو بن العاص أنه قال: كفنوني في ثياب خَلِقَة فإني مخاصم غداً، ثم قال: اللّهم لا بريئاً فأعتذر، ولا قوياً فأنتصر، غير أنك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87].

(1) وهذا قول مجاهد بلفظه كما جاء في تفسيره ص 557. وقال ابن عباس والضحاك: «غير مختلف». وقال الزمخشري في الكشاف ج 4 ص 125: «مستقيماً بريئاً من التناقض والاختلاف». وهو تفسير جامع.

(2) وردت هذه الجملة في ع مخرومة، وبها بياض قدر كلمتين ولم أهتد لاستكمالها. ولم أجد في كتب التفسير والحديث والتاريخ هذا القول الذي روي عن الإمام علي في الموضوع. فهل هو مما انفرد بروايته ابن سلام؟.

ذكروا عن أبي رجاء العطاردي وعقبة بن صهبان قالا: سمعنا الزبير بن العوّام يقول: لقد تأولت هذه الآية زماناً وما أحدّث نفسي أن أكون من أهلها، فإذا نحن المعنيّون بها: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) [الأنفال: 25].

وفي تفسير الحسن: (عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ): يتخاصم النبي والمؤمنون والمشركون[1].

قوله: ﴿ فَمَنَ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ ﴾ أي: افترى على الله كذباً وعبد الأوثان وزعم أن عبادتها تقرّب إلى الله. ﴿ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ﴾ يعني القرآن الذي جاء به محمد ﷺ، أي لا أحد أظلم منه[2]. ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي يثوون فيها أبداً. والمثوى المنزل، وهذا على الاستفهام، أي: بلى، فيها مثوى للكافرين.

قوله: ﴿ وَالذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ أي: محمد جاء بالقرآن ﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ يعني المؤمنين، صدقوا بما جاء به محمد[3]. ﴿ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾.

---

(1) كذا في ع، وفي ز: «يخاصم النبي والمؤمنون المشركين».

(2) في ع: «لا أحد أكذب منه» وأثبت ما جاء في ز ورقة 299، فهو أصح وأنسب: «لا أحد أظلم منه».

(3) هذا وجه من وجوه التأويل. وقيل: إن الذي صدّق به هو الرسول محمد ﷺ نفسُه. وقيل إنه أبو بكر. وهو قول نسب إلى علي كرّم الله وجهه. فقد قال في خطبته التي رثى بها أبا بكر ما يلي: «صدّقت رسول الله ﷺ حين كذّبه الناس، فسمّاك في تنزيله صدّيقاً؛ فقال: (وَالذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ)». انظر خطبته هذه فقد أوردها الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب في كتابه: إعجاز القرآن، ص 218-221، وهي من فصيح كلام العرب وبليغه.

وقد جمع الطبري كعادته بين الأقوال كلها فأحسن حين قال في تفسيره ج 24 ص 4: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره عنى بقوله: (وَالذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) كلَّ من دعا إلى توحيد الله وتصديق رسوله، والعمل بما ابتعث به رسوله ﷺ من بين رسول الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال: الصدق هو القرآن وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدِّق به المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله كائناً من كان من نبي الله وأتباعه».

قال: ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ ﴾ أي ثوابهم ﴿ بِأَحْسَنِ الذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: يجزيهم الجنة.

قوله: ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ يعني محمداً، يكفيه المشركين حتى لا يصلوا إليه، كقوله: (وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [المائدة: 67] حتى تبلّغ عن الله رسالته. ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يعني الأوثان ﴿ وَمَن يُّضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ أي: يهديه. ﴿ وَمَن يَّهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ ﴾ أي: لا يستطيع أحد أن يضله ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴾ أي: من أعدائه، وهذا على الاستفهام، أي: بلى، وهو شديد الانتقام، ذو انتقام.

قوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم ﴾ يعني المشركين ﴿ مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلَ افَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ يعني أوثانهم ﴿ إِنَ ارَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ ﴾ أي: بمرض ﴿ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِ أَوَ ارَادَنِي بِرَحْمَةٍ ﴾ أي بعافية ﴿ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِ ﴾ أي: لا يقدرن أن يكشفن ضراً ولا يمسكن رحمة. فكيف تعبدون الأوثان من دونه وأنتم تعلمون أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ أي: لا رجاء غيره للصالحين.

قوله: ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ أي: على ناحيتكم، أي: على شرككم ﴿ إِنِّي عَٰمِلٌ ﴾ على ما أنا عليه من الهدى ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾. وهذا وعيد هوله شديد. قوله: ﴿ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ يعني عذاب الاستئصال كما أهلك من كان قبلكم بتكذيبهم رسلهم[1]. ﴿ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ أي: في الآخرة.

قوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ الْكِتَٰبَ ﴾ أي القرآن ﴿ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ أي: على نفسه ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ أي بحفيظ لأعمالهم حتى تجازيهم بها، إن الله هو الذي يجازيهم بها.

(1) كذا في ع، وفي ز ورقة 299: «يعني النفخة الأولى التي يهلك بها كفار آخر هذه الأمة».

قوله: ﴿ اللهُ يَتوفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ أي ويتوفّى التي لم تمت في منامها ﴿ فَيُمْسِكُ التِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴾ أي: فيميتها ﴿ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي إلى الموت. أي: إن النائم إذا نام، في قول بعضهم، خرجت النفس، وهي الروح، فيكون بينهما مثل شعاع الشمس. وبلغنا أن الأحلام التي يراها النائم هي في تلك الحال. فإن كان ممن كتب الله عليه الموت في منامه خرج الروح أي النفس، وإن كان ممن لم يحضر أجله رجعت النفس أي الروح فاستيقظ[1].

وقال بعضهم: شبه [نوم][2] النائم بالوفاة، فيسمك التي قضى عليها الموت، أي التي يتوفاها وفاة الموت، ويرسل الأخرى التي لم يتوفها وفاة موت النائم، وهي النفس، إلى أجل مسمى، أي: إلى الموت الذي هو آخر أيامه[3].

قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ ﴾ أي: قد اتخذوهم ليشفعوا لهم ـ زعموا ـ وذلك لدنياهم ليصلحوها لهم، كقولهم: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ) [الزمر: 3] ليصلحوا لهم معايشهم ولا يقرّون بالآخرة.

---

(1) كذا ورد تأويل هذه الآية في ع. والتعبير على إيجازه، واضح المعنى، وفيه: «خرجت النفس، وهي الروح» وبعده: «رجعت النفس أي: الروح». وجاء في ز نفس الألفاظ ولكن جاء التعبير هكذا: «خرجت النفس وبقي الروح»، وبعده: «خرج الروح إلى النفس»، ولست مطمئناً إلى هذا التعبير الأخير، ويبدو أن ما جاء في ز خطأ من الناسخ، وأن عبارات ع هي الصحيحة وأقرب إلى الصواب؛ وانظر هذه المعاني في بعض كتب التفسير؛ انظر مثلاً تفسير القرطبي، ج15 ص 260، واقرأ كلاماً بيّناً واضح العبارة موجزاً للفخر الرازي في التفسير الكبيرج 26 ص 284.

(2) زيادة يقتضيها السياق.

(3) قال أبو عبيدة في تفسير الآية: «فجعل النائم مُتَوفّى أيضاً إلا أنه يردُّه إلى الدنيا». وقال الفراء: «والمعنى فيه: يتوفّى الأنفس حين موتها، ويتوفّى التي لم تمت في منامها عند انقضاء أجلها. ويقال: إن توفيها موتها، وهو أحبّ الوجهين إليّ، لقوله: (فَيُمْسِكُ التِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ) ولقوله: (وَهُوَ الذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ)...».

قال الله : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ أَوَ لَوْ كَانُوا ﴾ يعني أوثانهم ﴿ لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلاَ يَعْقِلُونَ ﴾ أي : إنهم لا يملكون شيئاً ولا يعقلون شيئاً.

﴿ قُل لِلهِ الشَّفَـٰعَةُ جَمِيعاً ﴾ أي لا يشفع أحد يوم القيامة إلا بإذنه، أي : يأذن لمن يشاء من الملائكة والأنبياء والمؤمنين أن يشْفَعوا للمؤمنين فيشفّعهم فيهم[1]، لا لمعنى قد وجب، فتعالى الله.

قوله : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّـمَٰوٰتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي يوم القيامة، أي : لا يملك في السماوات والأرض غيره، ثم ترجعون إليه في الآخرة.

قوله : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ ﴾ أي : انقبضت ﴿ قُلُوبُ الذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالأَخِرَةِ ﴾ وهم المشركون ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ الذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يعني أوثانهم ﴿ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾، حين قرأ عليهم بمكة سورة والنجم، وألقى الشيطان على لسانه حيث انتهى إلى قوله : (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ) [النجم : 19-20] لهن الغرانيق العلى وإن شفاعتهم لترتجى، ففرح المشركون بذلك ؛ وهو قوله : (وَإِذَا ذُكِرَ الذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ).

قوله : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّـمَٰوٰتِ وَالأَرْضِ عَـٰلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ ﴾ أي السر والعلانية ﴿ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ ﴾ يعني المؤمنين والمشركين ﴿ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ فيكون حكمه فيهم أن يدخل المؤمنين الجنة ويدخل المشركين النار[2].

---

(1) في ع: «فيشفّعهم بينهم» وأثبت ما جاء في ز، وهو أصحّ.

(2) هذا، وإن كان سياق الآيات يشير إلى الاختلاف الذي كان قائماً بين المؤمنين والمشركين، كما ذهب إليه جمهور المفسرين، إلا أن الآية تتناول أيضاً كل اختلاف وقع أو يقع بين المؤمنين أنفسهم في كل زمان ومكان، فكلّهم عباد الله. وقد اشتد في عصرنا هذا اختلاف المسلمين فيما بينهم، واستفحل أمره، فجرّ عليهم بلايا وفتناً فرّقت وحدتهم، ومزّقت صفوفهم، وأشعلت نيران الحروب بينهم، فصارت الأمة الإسلامية غرضاً لكل رام، وطعمة سائغة لكل معتد غاصب. ولو أن المسلمين اتقوا الله وأصلحوا ذات بينهم، ونبذوا الخلاف الذي احتدّ بينهم، فحكّموا كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام فيما شجر بينهم، لكانوا سادة الدنيا ولأفادوا العالم بالنور المبين =

قوله: ﴿ وَلَوَ اَنَّ لِلذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ أي: من الذهب والفضة ﴿ وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ ﴾ أي: من شدة العذاب ﴿يَوْمَ القِيَـمَةِ﴾ لم يقبل منهم ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ أي: لم يكونوا يحتسبون أنهم مبعوثون ومعذبون.

قال: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ أي: ما عملوا ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ ﴾ أي: وجب عليهم ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: يسخرون في دار الدنيا بالنبي والمؤمنين فحاق بهم، أي: فأخذهم جزاء ذلك الاستهزاء، وهي جهنم بعد عذاب الدنيا.

قوله: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ ﴾ أي: مرض. ﴿ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـهُ نِعْمَةً مِّنَّا ﴾[1] أي أعطيناه عافية. فهذا الكافر ﴿ قَالَ: إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [تفسير مجاهد: يقول: هذا بعملي][2] كقوله: (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي) [فصلت: 50] أي: أنا محقوق بهذا. قال الله: ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾ أي: بلية ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني جماعة الكافرين.

قال: ﴿ قَدْ قَالَهَا ﴾ يعني هذه الكلمة ﴿ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: من قبل مشركي العرب ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي: من أموالهم وجنودهم إذا نزل بهم عذاب الله، أي: إنهم لم تغن عنهم شيئاً.

قال: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ أي: نزل بهم جزاء أعمالهم، يعني الذين أهلك من الأمم. ﴿ وَالذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: أشركوا ﴿ مِنْ هَٰؤُلَاءِ ﴾ يعني من هذه الأمة

= الذي أنزل عليهم، ولعاشوا في أوطانهم آمنين. فاللهم اهدنا لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك، فإنك أنت الهادى، وإن هداك هو الهدى، وإنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

(1) من هنا تستأنف مخطوطة القرارة التي أرمز لها بحرف ق، تفسير الربع الأخير من القرآن، على ما فيها من خرم. وكل ما نسخته وحققته من أول سورة صٓ فاعتمادي فيه على نسخة العطف: ع، ومقابلتها بمصورة مختصر تفسير ابن سلام لابن أبي زمنين: ز.

(2) زيادة من ز، ورقة 300.

﴿ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ يعني الذين تقوم عليهم الساعة من كفار آخر هذه الأمة؛ وقد أهلك أوائلهم أبا جهل وأصحابه بالسيف يوم بدر. قال: ﴿ وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي: وما هم بالذين يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنبعثهم ثم نعذبهم.

قال: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: بلى، قد علموا ذلك، أي: إن الله هو الذي يخلقهم وهو الذي يرزقهم. قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُونَ ﴾.

قال: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ الذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴾ بالشرك والكبائر الموبقة. ﴿ لَا تَقْنَطُوا ﴾ أي: لا تيأسوا ﴿ مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾ على التوبة ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.

ذكروا عن الحسن أنه قال: لما نزل في قاتل المؤمن وفي السارق والزاني وغير ذلك ما نزل تخوّف قوم أن يؤاخذوا بما عملوا في الجاهلية فقالوا: أينا لم يفعل، فأنزل الله: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً) أي: لمن تاب وآمن وعمل صالحاً[1]، (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) وأنزل: (وَالذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ. . .) إلى قوله: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً) [الفرقان: 68-70] أي: لمن تاب إليه إذ جعل له بعد ذنوبه متاباً ومرجعاً[2].

---

(1) كذا في ع و ق: «أي: لمن تاب وآمن وعمل صالحاً»، وفي ز ورقة 300: «(إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً) التي كانت في الشرك». وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 421. «هي في قراءة عبد الله (الذُّنُوبَ جَمِيعاً لمن يشاء). قال الفراء: وحدثني أبو إسحاق التيمي عن أبي روق عن إبراهيم التيمي عن ابن عباس أنه قرأها كما هي في مصحف عبد الله: (يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً لمن يشاء). وإنما نزلت في وحشيّ، قاتل حمزة وذويه».

(2) في ق و ع: تقديم وتأخير في بعض الجمل أثبت كل جملة في سياق معناها حسبما جاءت في ز.

قال الله: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ أي: ارجعوا إليه، يقوله للكافرين[1] ﴿ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ يغفر لكم ما كان في الجاهلية بعد إسلامكم ﴿ مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً ﴾ أي: فجأة ﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ وهو أن يأخذوا بما أمرهم الله به، وينتهوا عما نهاهم الله عنه[2]. ﴿ مِّنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً ﴾ أي: فجأة ﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾.

قال: ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ ﴾ [معناه خوف أن تقول نفس][3] ﴿ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِي جَنْبِ اللهِ ﴾ تفسير مجاهد وغيره: في أمر الله. وتفسير الحسن: في ذات الله، أي: في الله[4]. ﴿ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّـٰخِرِينَ ﴾ أي: كنت أسخر في الدنيا بالنبي والمؤمنين. ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَىٰنِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾.

قال: ﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ ﴾ أي: حين تدخل العذاب ﴿ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً ﴾ أي إلى الدنيا ﴿ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾. أي: من المؤمنين.

قال الله: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ ءَايَـٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَـٰفِرِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وَجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ أي: بلى، لهم فيها مثوى يثوون فيها أبداً. والمثوى: المنزل.

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «(وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ) يقوله للمشركين، اقبلوا إلى ربكم بالإخلاص له».

(2) قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، ج 24 ص 44: و(أَحْسَنَ) اسم تفضيل مستعمل في معنى كامل الحسن، وليس في معنى تفضيل بعضه على بعض لأن جميع ما في القرآن حسن. . . ».

(3) زيادة من ز، والقول لابن أبي زمنين. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 421: «ألّا يقولَ أحدكم غداً».

(4) وقال الزمخشري في الكشاف، ج 4 ص 137: «. . . قالوا: فرّط في جنبه وفي جانبه، يريدون في حقه».

قوله: ﴿ وَيُنَجِّي اللهُ الذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ ﴾ أي: بمنجاتهم ﴿ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ ﴾ أي العذاب. ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. وتفسير الحسن: لا يمسّهم السوء، أي: النار.

قوله: ﴿ اللهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: لا خالق سواه ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ أي: حفيظ.

قوله: ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي: مفاتيح السماوات والأرض، في تفسير مجاهد، وهي لغة بالفارسية، وتفسير الحسن: المقاليد: المفاتيح والخزائن.

وذكروا عن أبي المتوكل الناجي قال: كان رسول الله ﷺ في مسير له فنزل منزلاً[1]. . . .

قال: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا بِئَايَـٰتِ اللهِ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ ﴾ أي: خسروا أنفسهم فصاروا إلى النار.

قوله: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَـٰهِلُونَ ﴾ يعني المشركين دعوه إلى عبادة الأوثان.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ من الأنبياء كما أوحينا إليك ﴿ لَئِنَ اشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّـٰكِرِينَ ﴾ والله يعلم أنه لا يشرك ولا يحبط عمله.

قوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ أي ما عظّموا الله حق عظمته [إذ عبدوا الأوثان من دونه][2] ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ أي: بقدرته ﴿ وَالسَّمَـٰوٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ أي: بملكه وسلطانه ﴿ سُبْحَـٰنَهُ ﴾ ينزّه نفسه ﴿ وَتَعَـٰلَىٰ ﴾ أي ارتفع

(1) كذا ورد هذا الخبر مبتوراً في ع و ق، وفي كل منهما بياض قدر ثلاث كلمات. وكأني بهذا الخبر قد مرّ من قبل في هذا التفسير بهذه العبارة في أوله، ولكنني لم أهتد لموضعه الآن.

(2) زيادة من ز، ورقة 301.

﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾. فإن زعم زاعم أن الله يقبض كما يقبض الخلق، أو له يمين أو شمال كما للخلق فقد كفر بالله[1].

حدث أبو عبد الرحمن عن أبي الفضل عن مروان عن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن عائشة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة قوماً يضاهون الربّ. قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، كيف يضاهون الرّب؟ قال: يشبّهون الله بأنفسهم يضاهون بذلك قول اليهود حيث زعموا أن الله على صورة آدم[2].

قوله: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ والصور قرن ينفخ فيه صاحب الصور. ﴿ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ ﴾ قال الحسن: استثنى الله طوائف من أهل السماء، ولم يكن يسمّيهم، يموتون بين النفختين.

قال بعضهم: بلغنا آخر من يبقى[3] منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، حتى يموت جبريل وميكائيل وإسرافيل، ثم يقول الله لملك الموت مت. فيموت.

ذكروا عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أول من تنشق عليه الأرض فأجد موسى متعلقاً بالعرش، فلا أدري أحوسب بالصعقة الأولى أم خرج قبلي[4].

(1) هذه الجملة الأخيرة وتفسير اليمين بالملك والسلطان من زيادات الشيخ هود ولا شك. وجاء بدلاً عنها في ز ما يلي: «يحيى عن عثمان البري قال: حدثني نافع قال حدثني عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله يقول: إن الرحمٰن يطوي السماوات يوم القيامة بيمينه والأرضين بالأخرى ثم يقول: أنا الملك أنا الملك أنا الملك».

(2) انظر الإشارة إليه فيما سلف ج 3 ص 133.

(3) كذا في ق، وفي ع: «آخر من يشاء منهم».

(4) حديث صحيح، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الزمر، عن أبي هريرة، وأخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه. وفي بعض ألفاظ الحديث: «فلا أدري أرفع رأسه قبلي أم كان ممن استثنى الله عز وجل».

ذكروا عن عمارة بن عرات[1] قال: قال رسول الله ﷺ: (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ) الشهداء. قالوا: ما أحسن هذا الصوت، كأنه الأذان في الدنيا فلم يفزعوا ولم يموتوا[2].

قال: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾. قال الحسن: بين النفختين أربعون؛ الأولى يميت الله بها كل حي، والأخيرة يحيـي الله بها كل ميت. ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: بين النفختين أربعون[3]. هكذا جاء في الحديث، وكان من أصحاب النبي من قال: إنها أربعون سنة.

قوله: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَـٰبُ ﴾ الذي كتبته الملائكة عليهم في دار الدنيا. ﴿ وَجَاىٓءَ بِالنَّبِيِّينَ ﴾ أي: الذين بعثوا إليهم والذين أقاموا الحجة عليهم ﴿ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ وهم الملائكة عليهم السلام[4] الحفظة الذين كتبوا عليهم. وهو قوله: (يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) [المطففين: 21] يشهدون نسخه في الدنيا ويشهدون على العبد يوم القيامة أنه عمله. وقال في سورة قٓ: (وَقَالَ قَرِينُهُ) أي الملك الذي يكتب عمله (هَٰذَا مَا لَدَيَّ) أي عندي، أي: ما كتبت عليه (عَتِيدٌ) [سورة قٓ: 23] أي حاضر. قال: ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالعدل. ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

ذكروا عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيهتمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا عسى أن يريحنا من مكاننا هذا، فينطلقون حتى يأتوا آدم عليه السلام، فيقولون: أنت أبونا، قد خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا

---

(1) كذا ورد هذا الاسم في ع وفي ق: «عمارة بن عرات»، وفي اسم الوالد تصحيف ولا شك، ولم أجد فيما بين يدي من كتب التراجم من يحمل هذا الاسم من الصحابة، ولعله عمارة بن حزم الأنصاري الخزرجي، أو عمارة بن زياد بن السكن الأنصاري الأشهلي.

(2) أخرجه الدارقطني وابن المنذر والحاكم وصححه عن أبي هريرة.

(3) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الزمر، عن أبي هريرة.

(4) تنقطع هنا مخطوطة القرارة، وسوف لا يستأنف التفسير بها إلا في سورة فصلت.

هذا، فيقول: لست هناك، ويذكر خطيئاته التي أصابها بدعواته ربَّه بغير علم، ولكن ايتوا إبراهيم، خليل الرحمن. فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناك، ويذكر خطيئته التي أصابها بثلاث كذبات: قوله: (إِنِّي سَقِيمٌ) [الصافات: 89]، وقوله: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا) [الأنبياء: 63]، وقوله لامرأته: إن سألوك فقولي: إني أخته، ولكن ايتوا موسى، عبداً كلّمه الله تكليماً، واصطفاه وأعطاه التوراة. فيأتون موسى فيقول: لست هناك، فيذكر خطيئته التي قتل فيها الرجل، ولكن ايتوا عيسى، عبد الله ورسولَه وكلمتَه وروحَه، فيأتون عيسى فيقول: لست هناك ولكن ايتوا محمداً ﷺ، عبداً غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فيأتوني، فأقوم بين يدي ربي، وأقع ساجداً له. فيدعني ما شاء أن يدعني فيقول: ارفع رأسك، فأحمد ربي ثلاثاً، ثم أشفع للمؤمنين والمؤمنات، فيحمدني أهل السماوات وأهل الأرض، فذلك قوله: (عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَّحْمُوداً)[1] [الإسراء: 79]. فطوبي لمن كان له في شفاعة محمد ﷺ يومئذ نصيب، وويل لمن لم يكن له يومئذ في شفاعته حظ ولا نصيب.

ذكروا عن عطاء بن يزيد قال: يجتمع الأنبياء بعضهم إلى بعض فيقولون: طال علينا الحشر، فهلمّ فلندع ربنا ليريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم عليه السلام، فيذكر من يأتون نبيّاً نبيّاً، حتى يأتوا عيسى بن مريم فيقول: ما أنا بصاحبها، إن صاحبها لمحمّد، فيأتونه فيقولون: أنت عبد الله ورسوله، ختم بك النبيين، وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، طال بنا الحشر، فادع لنا ربك ليريحنا من مكاننا هذا. فيقوم، فيأتي باب الجنة فيستفتح فيقال: من هذا؟ فيقول: محمد، فيُفتح له، فيخِرّ ساجداً ما شاء الله، فيقال له: ارفع رأسك، قد قُضِيت حاجتك. فيقول: ربِّ، عبادك، وأنت أعلم بهم، فتوضع موازين القسط، فيوتى بالنبيين والشهداء، (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ).

---

(1) حديث صحيح أخرجه أصحاب السنن. انظر مثلاً صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل في حديث طويل رواه أبو هريرة.

ذكروا عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس ليقومون لرب العالمين حتى إن أحدهم ليغيب في رشحه إلى أنصاف أذنيه[1].

وقال بعضهم: بلغنا أنهم يقومون مقدار ثلاثمائة سنة قبل أن يقضي بينهم.

ذكروا أن سلمان الفارسي قال: إن الشمس تدنو من الناس يوم القيامة حتى تكون قاب قوسين، وتعطي حرّ عشر سنين، وما على أحد منهم يومئذ مخرجه[2]. أي: ما يستره، وما يُضرّ مؤمن ولا مؤمنة، وأما الكافر فتطحنهم حتى إن أجوافهم لتقول: عق[3].

وذكر بعضهم قال: ويرشح أحدهم إلى الأرض سبع قيم[4].

ذكروا عن أبي وائل أو ابن حسس[5] عن حذيفة بن اليمان قال: المؤمنون جلوس على كراسي.

وذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ما طول يوم القيامة على المؤمن إلا كرجل دخل في صلاة مكتوبة فأتمها وأحسنها وأجملها[6].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة... عن ابن عمر (رقم 2862) وأخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ذكر البعث عن ابن عمر أيضاً.

(2) كذا وردت هذه الكلمة «مخرجه» في ع ولم أهتد لما بها من تصحيف، وإن فسّرت بعد.

(3) كذا وردت الكلمة «عق» في ع، ولعلها «عيق» من أصوات الزجر، والراجح أنها «غاق»، وهي حكاية صوت الغراب، ويقال: غاق غاق، أي: بعدا بعدا.

(4) وردت العبارة في ع غير واضحة، وخاصة الكلمة الأخيرة، فأثبتها «قيم» جمع قامة.

(5) كذا ورد هذا الاسم في ع: «ابن حسس» غير واضح، ولم أجده.

(6) لم أجده بهذا اللفظ. وقد جاء معناه في حديث مرفوع رواه الطبري في تفسيره، ج 29 ص 72، عن أبي سعيد الخدري لما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى من سورة المعارج: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فقيل له: ما أطول هذا، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إنه لَيُخفَّف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا. وانظر الدر المنثور، ج 6 ص 265. وأخرجه يحيى بن سلام بالسند التالي: «يحيى عن خداش عن عوف الكوفي عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ...» كما في ز، ورقة 388.

قوله: ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ أما المشركون فليس يعطون بأعمالهم الحسنة في الآخرة شيئاً، لأنهم قد جوزوا بها في الدنيا. وأما المؤمنون فيُوَفَّون حسناتهم في الآخرة، وأما سيئات المؤمن، فإنه يحاسب بالحسنات والسيئات؛ فإن فضلت حسناته سيئاته بحسنة واحدة ضاعفها الله، وهو قوله: (إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُوتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً) [النساء: 40]، وإن استوت حسناته وسيئاته فهو من أصحاب الأعراف يصير إلى الجنة، وإن فضلت سيئاته حسناته فقد فسّرنا ذلك في غير هذه السورة[1]، قال: ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَسِيقَ الذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً ﴾ أي: زمرة زمرة، أي: فوجاً فوجاً في تفسير الحسن. وفي تفسير الكلبي، زمراً: أمماً، وكذلك أهل الجنة. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِّحَت أَبْوٰبُهَـا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَاتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُم ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَـٰفِرِينَ ﴾.

﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي لا يخرجون منها أبداً ﴿ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ أي: عن عبادة الله.

﴿ وَسِيقَ الذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوٰبُهَـا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾.

ذكروا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إذا توجّهوا إلى الجنة مرّوا بشجرة تجري من ساقها عينان، فيشربون من إحداهما فتجري عليهم بنضرة النعيم، فلا تتغيّر أبشارهم، ولا تشعث أشعارهم بعدها أبداً، ثم يشربون من الأخرى، فيخرج ما في بطونهم من أذى وقذى، ثم تستقبلهم الملائكة خزنة الجنة، فيقولون لهم: (سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)، ثم تتلقاهم الولدان، فيعرف الولدان من قد جعلهم الله له[2]، يبشون لهم ويفرحون بهم كما يفرح الحبيب بالحبيب، أو كما يفعل

(1) انظر ما سلف، ج 1 ص 577.

(2) الصواب أن يكون «لهم» ولكن المؤلف يذكر أحياناً الولدان بالمفرد وأحياناً بالجمع ويقصد كل واحد من الولدان كما يذكر أزواج الرجل ويردّ الضمير إلى كل واحدة منهن.

الولدان بالحميم إذا جاءه من غيبة. لم يذهب أحدهم حتى يأتي أزواجَه، أزواجَ الرجل، فيبشرهن ويقول: قد جاء فلان فيسميه باسمه، فيقلن: أنت رأيته، فيقول: نعم، فيسبقها الفرح حتى تقوم على أسكفّة بابها تنتظره. فيجيء فيدخل بيتاً أسفله على جندل اللؤلؤ وجندل الحصا وحيطانه من كل لون، فينظر إلى سقفه، فلولا أن الله قدر له ألَّا يذهب بصره لذهب؛ فإذا (سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ وَنَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ) [الغاشية: 13-16] فيقول: (الْحَمْدُ لِلهِ الذِي هَدَيٰنَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَيٰنَا اللهُ) [الأعراف: 43]. . . إلى آخر الآية.

وتفسير الحسن في قوله: (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ). ويفاضل ما بينهم كمثل كوكب بالمشرق وكوكب بالمغرب. وقال بعضهم: يحبس أهل الجنة حتى يؤخذ بعضهم من بعض ضغائن كانت بينهم، ثم يدخلون الجنة.

وقال مجاهد: (طِبْتُمْ) أي: طبتم بطاعة الله.

قوله: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلهِ الذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾ أي: إن الله وعد المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار وأشباهها. ﴿ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ ﴾ يعني أرض الجنة ﴿ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ أي: ننزل حيث نشاء ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَـٰمِلِينَ ﴾ أي: في الدنيا، أي: إنعام أتاهم به الله إذ أثابهم بالجنة.

ذكروا عن الحسن قال: إن أدنى أهل الجنة منزلاً آخرهم دخولاً، فيعطى فيقال له: انظر ما أعطاك الله. ويفسح له في بصره فينظر إلى مسيرة مائة سنة ليس فيه شبر إلا وهو عامر بالقصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ والياقوت، فيها أزواجه وخدمه، يُغدى عليه كل يوم بسبعين صحفة من ذهب ويراح عليه بمثلها: في كل واحدة لون ليس في الأخرى، يأكل من أخراها كما يأكل من أولها، لو نزل به الجن والإنس في غَداء واحد لوَسِعهم، ولا ينقص ذلك مما عنده.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن أسفل أهل الجنة منزلة لمن يسعى عليه سبعون

ألف غلام، وإن أرفع أهل الجنة درجة الذي يسعى عليه سبعمائة ألف غلام[1]. وذكر في القصص نحو من حديث الحسن.

قوله: ﴿وَتَرَى الْمَلَٰئِكَةَ حَافِّينَ﴾ [أي محدقين][2] ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ذكر بعضهم قال: قال الله لآدم عليه السلام: يا آدم أهبط معك بيتي يطاف حوله كما يطاف حول عرشي، فطاف به آدم ومن بعده، حتى إذا كان الطوفان، زمان أغرق الله فيه قوم نوح، رفعه من أن يصيبه عقوبة، فبناه [إبراهيم][3] على أساس قديم كان قبله.

قوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي فصل بينهم ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ﴾ قاله المؤمنون؛ حمدوا الله على ما أعطاهم وعلى ما صيّرهم إليه من النعيم والسرور الذي لا انقطاع له. و(الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ).

---

(1) أخرجه الترمذي في صفة أهل الجنة، باب ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة عن أبي سعيد الخدري، وإسناده ضعيف.

(2) زيادة من ز، ورقة 301.

(3) زيادة لا بد منها، ولعلها سهو من الناسخ.

تفسير سورة المؤمن[1]، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ حمٓ ﴾ ذكروا أن علياً رضي الله عنه قال: (الٓر)، و (حمٓ) و (نٓ): الرحمن. وكان الحسن يقول: لا أدري ما تفسير (حمٓ) (وَطسٓمٓ) وأشباه ذلك، غير أن قوماً من السلف كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.

قال: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَـٰبِ ﴾ أي القرآن، ﴿ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ ﴾ في ملكه، الذي ذل من دونه لعزته. ﴿ الْعَلِيمِ ﴾ بخلقه.

﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ أي: التوبة ﴿ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ أي: إذا عاقب[2]. ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ أي: ذي الغنى[3]، أي: إنه الغني ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: لا معبود سواه، ولا ربّ إلا هو ﴿ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ أي: البعث.

قوله: ﴿ مَا يُجَـٰدِلُ فِي ءَايَـٰتِ اللهِ ﴾ فيجحدها ﴿ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ

---

(1) في ع: «سورة المؤمنين» وهو خطأ. صوابه: «المؤمن» كما جاءت في كتب التفسير الأولى مثل مجاز أبي عبيدة ومعاني الفراء، ومعاني الأخفش، وتفسير ابن قتيبة. وهي سورة غافر. وفي بعض المصاحف: «حم المؤمن».

(2) كذا في ع: «(شَدِيدُ الْعِقَابِ) أي: إذا عاقب»، وفي ز، ورقة 201: «(شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن لم يؤمن».

(3) وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 194: «(ذِي الطَّوْلِ) ذي التفضل، تقول العرب للرجل: إنه لذو طَول على قومه، أي: ذو فضل عليهم». وقال ابن قتيبة: «الطول التفضّل: يقال: طُلْ عليّ برحمتك، أي: تفضّل».

﴿ تَقَلُّبُهُمْ ﴾ أي: إقبالهم وإدبارهم ﴿ فِي الْبِلَدِ ﴾ يعني في الدنيا بغير عذاب، فإن الله معذّبهم.

قوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُم ﴾ أي قبل قومك يا محمد ﴿ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ ﴾، يعني عاداً وثموداً ومن بعدهم، الذين أخبر بهلاكهم لتكذيبهم رسلهم. ﴿ وَهَمَّتْ كُلّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ فيقتلوه ﴿وَجَادَلُوا﴾ أي: وخاصموا ﴿ بِالْبَاطِلِ ﴾ أي: بالشرك، جادلوا به الأنبياء والمؤمنين. ﴿ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ ﴾ أي: ليدفعوا به الحق؛ أي: الإيمان ﴿ فَأَخَذتُهُمْ ﴾ أي: بالعذاب ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ أي: كان شديداً.

قوله: ﴿ وَكَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أي: سبقت كلمات ربك ﴿ عَلَى الذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ أي: بكفرهم.

﴿ الذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ أي: ومن حول العرش ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾. ذكر بعضهم قال: قال الله لآدم: يا آدم أهبط بيتي معك يطاف حوله كما يطاف على العرش.

قال: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يقولون ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً ﴾ أي: ملأت كل شيء رحمة وعلماً ﴿ فَاغْفِرْ لِلذِينَ تَابُوا ﴾ من الشرك والنفاق وأعمال السيئات ﴿ وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾ أي: الهدى، يعني الإسلام، وهو السبيل، أي الطريق إلى الجنة. ﴿ وَقِهِمْ ﴾ أي: واصرف عنهم ﴿ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾.

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّتِ عَدْنٍ ﴾ وعدن أرفع الجنة وبطنانها، إليها تنسب الجنان. ﴿ التِي وَعَدتَّهُمْ ﴾ أي: إن الله وعد المؤمنين في كتابه الجنة فقال: (وَعَدَ اللهُ الْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) [التوبة: 72]. . . إلى آخر الآية، وغير ذلك مما وعدهم فيها أي: في الجنة.

قال: ﴿ وَمَنْ صَلَحَ مِنَ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ أي: ومن آمن وعمل

صالحاً منهم ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾. وقال في سورة الطور: (وَالذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ) [الطور: 21] أي: وما انتقصناهم من عملهم من شيء. إن الله يرفع إلى المؤمن ولده في الجنة وإن كان دونه في العمل ليُقِرَّ به عينَه، وكذلك الآباء يُرفعون إلى الأبناء في درجاتهم في الجنة إذا كانت الآباء دونهم في العمل. وولدان المسلمين الذين لم يبلغوا العمل أيضاً مع آبائهم من أهل الجنة.

ذكروا عن سعيد بن المسيب قال: سئل رسول الله ﷺ عن المرأة يكون لها الزوجان في الدنيا، امرأة من تكون في الجنة. قال: امرأة الآخر.

قال: ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَـتِ ﴾ أي: جهنم، وهذا جزاء الشرك والنفاق[1] ﴿ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ﴾ قال: ﴿ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ أي: هي النجاة العظيمة من النار إلى الجنة.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ ﴾ وهم في النار ﴿ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي: لمقت الله إياكم في معصيته أكبر من مقتكم أنفسكم في النار، وذلك أن أحدهم يمقت نفسه ويقول: مقتُكِ يا نفسي. قال: ﴿ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَـنِ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ فَتَكْفُرُونَ ﴾.

﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ وهو قوله في سورة البقرة، (كَيْفَ تَكْفُرونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) [البقرة: 28] يقول: (كُنْتُمْ أَمْوَاتاً) في أصلبة آبائكم نطفاً، (فَأَحْيَاكُمْ)، يعني هذه الحياة في الدنيا، (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) يعني بهذا موتكم (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) يعني البعث ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ ﴾.

تفسير الحسن: إن فيها إضماراً: قال الله: [لا، ثم قال][2]: ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّه إِذَا

(1) كذا في ع، وفي ز ورقة 302: «يعني جهنم، هي جزاء الشرك». وكلمة النفاق زيادة من الشيخ هود، ولا شك، وهي غير واردة في ز.

(2) زيادة سقطت من ع، وهي موجودة في ز، وإثباتها لا بد منه وإلا لما ظهر الإضمار الذي رآه =

دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ﴾ أي: تصدِّقوا بعبادة الأوثان.

وقال بعضهم: ليس فيها إضمار، ولكن قال: (إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمُ أَنْفُسَكُمْ) لأنكم كنتم (تُدْعَوْنَ) في الدنيا (إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ).

قال: ﴿ فَالْحُكْمُ لِلهِ العَلِيِّ ﴾ أي: لا أعلى منه ﴿ الْكَبِيرِ ﴾ أي لا أكبر منه. قوله: (فَالْحُكْمُ لِلهِ) أي حكمه على العباد بأن أدخل المؤمنين الجنة وأدخل المشركين النار.

قوله: ﴿ هُوَ الذِي يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِ ﴾ أي: ما يرى العباد من قدرته ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقاً ﴾ أي: مطراً؛ أي في المطر أرزاق العباد. ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ ﴾ أي: إلا من يرجع إلى الله فيخلص العبادة له، يعبده لا يشرك به شيئاً.

﴿ فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَـٰفِرُونَ ﴾ كان المشركون يكرهون أن يظهر دين الله، كقوله: (هُوَ الذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [التوبة: 33].

قوله: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَـٰتِ ﴾ أي: هو رفيع الدرجات، أي: درجات المؤمنين في الجنة ﴿ ذُو الْعَرْشِ ﴾ رب العرش ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ ﴾ أي: ينزل الوحي[1] ﴿ مِنَ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ أي: الأنبياء مع جبريل ﴿ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاَقِ ﴾ أي: يوم القيامة، يوم يلتقي فيه الخلائق من أهل السماء وأهل الأرض عند الله يوم القيامة.

﴿ يَوْمَ هُمْ بَـٰرِزُونَ لاَ يَخْفَىٰ عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ﴾ أي: لا يتوارى عنه شيء في الدنيا والآخرة. ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ يسأل الخلائق فلا يجيبه أحد، فيردّ على نفسه فيقول: ﴿ لِلهِ الْـوَٰحِدِ القَهَّارِ ﴾. قهر العباد بالموت وبما شاء من أمره.

= الحسن، والذي أشار إليه الطبري في تفسيره، ج 24 ص 48، وهو وجه من وجوه تأويل الآية؛ ويذكر المؤلف الوجه الآخر بعد هذا مباشرة.

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 6: «الروح في هذا الموضع النبوّة؛ لينذر من يلقي عليه الروحَ يومَ القيامة». والقول الأول قول قتادة. وقال بعضهم: الروح هنا هو جبريل.

قال بعضهم: هذا ما بين النفختين، حين لا يبقى أحد غيره، حيث تكون الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه. وقال بعضهم: هذا بعد البعث حين يجمع الخلائق، ولا أدري لعله في الموطنين جميعاً، والله أعلم.

قوله: ﴿ الْيَوْمَ ﴾ يعني في الآخرة ﴿ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾. قال بعضهم: يفرغ من حساب الخلائق في مقدار أقل من نصف يوم من أيام الدنيا.

قوله: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الأزِفَةِ ﴾ أي: يوم القيامة[1] ﴿ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ﴾ قال بعضهم: انتزعت القلوب فغصّت بها الحناجر، فلا هي ترجع إلى أماكنها ولا هي تخرج.

قال: ﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين ﴿ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ من قرابة. وقال مجاهد: الحميم: الشفيق. وقال الحسن: ما له من حميم، أي: يحمل عليهم من ذنوبهم شيئاً. ﴿ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ أي: لا يشفع لهم أحد، ليس يعني يشفع لهم فلا يطاع، وإنما الشفاعة للمؤمنين.

قال الله: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ ﴾ أي لحظ الأعين في تفسير الحسن. وقال بعضهم: هي الهمزة بعينه وإغماضه فيما لا يحب الله تعالى[2]. وقال مجاهد: هي مسارقة نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه[3]. قال: ﴿ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ أي: ويعلم ما تخفي صدوركم.

---

(1) قال ابن أبي زمنين في ز، ورقة 303: «إنما قيل للقيامة آزفة لأنها قريبة وإن استبعد الناس مداها. يقال: أزفت تأزف أزفاً، وقد أزف الأمر، إذا قرب».

(2) في ع: «إغماض العين بعينه». وفي العبارة فساد ونقص، فأثبت التصحيح من تفسير القرطبي، ج 15 ص 303، ومن تفسير الطبري، ج 24 ص 54. والقول فيهما لقتادة.

(3) في ع: «وقال مجاهد: نظره إلى ما يجمل له» كذا. لعل صوابه: إلى ما يحل له. وأثبت التصحيح من عبارة القرطبي في تفسيره، ومن تفسير مجاهد ص 564: «نظر الأعين إلى ما نهى عنه، وهي العبارة التي وردت في ز، ورقة 303. وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 7: «... يقال: إن للرجل نظرتين، فالأولى مباحة له، والثانية محرمة عليه. فقوله: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ) =

قال: ﴿ وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يعني أوثانهم ﴿ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ أي: لا أسمع منه ولا أبصر.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ ﴾ أي: من مشركي العرب ﴿ قُوَّةً ﴾ أي بطشاً ﴿ وَءَاثاراً فِي الأَرْضِ ﴾ يعني آثار من مضى مما عملوا من المدائن وغيرها من آثارهم ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ أي: بشركهم وتكذيبهم رسلهم فأهلكهم بالعذاب ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللهِ مِن وَّاقٍ ﴾ يقيهم من عذاب الله.

قال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا ﴾ بالله ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللهُ ﴾ بالعذاب ﴿ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ إذا عاقب[1].

قوله: ﴿ وَلَقَدَ ارْسَلْنَا مُوسَىٰ بِئَايَٰتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: وبحجة بينة ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ يعنون موسى.

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم ﴾ أي: موسى ﴿ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ أي: الذين صدقوه ﴿ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾ فلا تقتلوهن. قال الله: ﴿ وَمَا كَيْدُ الْكَـٰفِرِينَ ﴾ يعني المشركين ﴿ إِلاَّ فِي ضَلَـٰلٍ ﴾ أي: يذهب فلا يكون شيئاً، أي: في العاقبة.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنَ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾ يقوله لأصحابه؛ أي: [خلوا بيني وبينه فأقتله، ولم يخف أن يمنع منه][2] ﴿ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾ أي: وليستعن به، إن ربه لا يغني عنه شيئاً. فقالوا له: لا تقتله، فإنما هو ساحر، فإنك إن قتلته أدخلت على الناس الشبهة، ولكن أرجه، احبسه وأخاه.

= في النظرة الثانية، (وَمَا تُخْفِي الصُدُورُ) في النظرة الأولى. فإن كانت النظرة الأولى تعمداً كان فيها الإثم أيضاً، وإن لم يكن تعمدها فهي مغفورة».

(1) كذا في ع: «إذا عاقب»، وفي ز: «(شَدِيدُ العِقَابِ) للمشركين.

(2) زيادة من ز، ورقة 303.

قال: ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾. قال الحسن: كانوا عبدة أوثان. ﴿ وَأَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ ﴾ [يعني أرض مصر][1] ﴿ الفَسَادَ ﴾ فيظهر خلاف دينكم. وقال بعضهم: يقتل أبناءكم كما قتلتم أبناءهم.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ ﴾ أي بالله أتعوّذ ﴿ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ ﴾ أي عن عبادة الله ﴿ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي: من قوم فرعون ﴿ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُ ﴾ قال الحسن: قد كان مؤمناً قبل أن يأتيهم موسى ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُم ﴾ والبيّنات الآيات التي جاءهم بها موسى: يده وعصاه والطوفان والجراد والقمّل والضفـادع والدم (وَلَقد أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ) [الأعراف: 130]. قال: ﴿ وَإِن يَّكُ كَـٰذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَّكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الذِي يَعِدُكُمْ ﴾. كان موسى ﷺ يعدهم عذاب الله في الدنيا والآخرة. إن لم يؤمنوا، وقد كان مؤمن آل فرعون علم أن موسى على الحق. قال: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ ﴾ أي: مشرك ﴿ كَذَّابٌ ﴾.

﴿ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ يعني غالبين على أرض مصر. ﴿ فَمَن يَنْصُرُنَا مِن بَأْسِ اللهِ ﴾ أي: من عذاب الله ﴿ إِنْ جَاءَنَا ﴾ يقوله لقومه، على الاستفهام، أي: لا يمنعنا منه أحد.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ أي: ما أريكم إلا ما أرى لنفسي، والرأي الذي أريكم هو سبيل الرشاد، يعني جحود ما جاء به موسى، والتمسّك بما هم عليه.

ذكروا أن فرعون قال: يا هامان، إن موسى يعرض علي أن لي ملكي حيّاً ما بقيت، ولي الجنة إذا متّ. فقال له هامان: فما كنت إلهاً تُعْبَدُ إذا صرت عبداً، أو قال: عبداً لعبد؛ فردّه عن رأيه.

(1) زيادة من ز، ورقة 303.

﴿وَقَالَ الذِي ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ﴾ أي: مثل عذاب الأمم الخالية. [ثم أخبر عن يوم الأحزاب][1] فقال: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالذِينَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ فالدأب الفعل، أي: إني أخاف عليكم مثل عقوبة فعلهم، وهو ما أهلكهم الله به؛ يحذر قومه. قال: ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ﴾.

﴿وَيَـٰقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ قال بعضهم: يوم ينادي أهل الجنة أهل النار: (قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقّاً) [الأعراف: 44]، وينادي أهل النار أهل الجنة: (أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ) [الأعراف: 50].

وتفسير الكلبي: (يَوْمَ التَّنَادّ)، مشدّدة، أي: يوم الفرار يوم ينِدّون كما ينِدّ البعير. قال ألا تراه يقول: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ أي: يوم الفرار. وتفسير مجاهد: (يَوْمُ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ)، أي: فارّين غير معجزين. وقال بعضهم: (يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ) أي: يوم ينطلق بهم إلى النار.

﴿مَا لَكُم مِّنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي: يعصمكم، أي: من مانع يمنعكم من عذابه. ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ أي: يهديه.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾ [أي: من قبل موسى][2] ﴿بِالْبَيِّنَـٰتِ﴾ أي: بالهدى، والبينات: الحق. ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَّبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً﴾. أي: إنه لم يكن برسول، فلن يبعث الله من بعده رسولاً، كقول مشركي العرب للنبي عليه السلام: (يَا أَيُّهَا الذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) [الحجر: 6]، وكقول فرعون: (إِنَّ رَسُولَكُمُ الذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) [الشعراء: 27] أي: فيما يدّعي.

(1) زيادة للإيضاح، وقد وردت في ز، ورقة 303.
(2) زيادة من ز، ورقة 303.

قال: ﴿ كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ ﴾ أي: مشرك ﴿مُرْتَابٌ﴾ أي: في شك من البعث، أي: يضله الله بشركه وتكذيبه وشكّه.

قوله: ﴿ الذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِي ءَايَـٰتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَيٰهُمْ ﴾ أي: بغير حجة أتتهم من الله بعبادة الأوثان ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ[1] وَعِنْدَ الذِينَ ءَامَنُوا كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ ﴾ أي عن عبادة الله ﴿ جَبَّارٍ ﴾ أي: قتَّال في غير حقّ. وبعضهم يقرأها: (عَلَىٰ قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ)[2].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله[3].

قوله: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ابْنِ لِي صَرْحاً ﴾ أي: مجلساً في تفسير الحسن. وقال الكلبي: قصراً. وقد فسّرنا أمر الصرح في سورة القصص[4].

قال: ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَـٰبَ أَسْبَـٰبَ السَّمَـٰوٰتِ﴾ أي: طرق السماوات، وقال بعضهم: أبواب السماوات. ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ ﴾ الذي يزعم موسى إلهاً، ﴿ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً ﴾ أي: ما في السماء أحد، أي إنه تعمّد الكذب.

قال الله: ﴿ وَكَذٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ أي: عن طريق الهدى ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ ﴾ أي: إلا في خسار.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِي ءَامَنَ ﴾ من آل فرعون ﴿يَـٰقَـوْمِ ﴾ يقوله لقومه ﴿ اتَّبِعُونِ

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 8: «أي: كبر ذلك الجدال مقتاً. ومثله: (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) [الكهف: 5] أضمرت في (كَبُرَتْ) قولهم: (اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً)...».

(2) هي قراءة نسبت إلى عبد الله بن مسعود، وهي قراءة تفسيرية. وانظر في تنوين (قَلْب) وإضافته ما ذكره الفراء في المعاني ج 3 ص 8-9، وانظر ابن خالويه، الحجة، ص 288، والزمخشري، الكشاف ج 4 ص 167.

(3) كذا ورد هذا الحديث هنا ولم أتبين وجه المناسبة لذكره في هذا الموضع. ولعل النساخ أسقطوا كلاماً مناسباً لإيراده بعد هذه الآية. انظر تخريجه فيما سلف ج 2 ص 166.

(4) انظر ما سلف، ج 3 ص 281.

أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَـٰقَـوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا مَتَـٰعٌ ﴾ أي يستمتع به ثم يذهب، فيصير الأمر إلى الآخرة. ﴿ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ أي: لا تزول، والدنيا زائلة.

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً ﴾ والسيئة هاهنا الشرك ﴿ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ أي: النار. ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ أي: لا يقبل الله العمل الصالح إلا من المؤمن ﴿ فَأُولَـٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [قال السّدّي: بغير متابعة ولا منّ عليهم فيما يعطون][1].

﴿ وَيَـٰقَـوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ ﴾ أي: إلى الإيمان بالله ﴿ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ أي: الكفر الذي يدخل به صاحبه النار. ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾ أي: ليس عندي علم بأن مع الله شريكاً، ولكنه وحده لا شريك له. ﴿ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾ لمن تاب وآمن.

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ أن أعبده، يعني ما تعبدون من دونه ﴿ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ ﴾ أي: ليس له دعوة يجيب العابدين به في الدنيا، ولا دعوة في الآخرة يجيبهم بها، أي: لا ينفعهم[2]. قال: ﴿ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ أي: المشركين ﴿ هُمْ أَصْحَـٰبُ النَّارِ ﴾. وقال مجاهد: هم السافكون الدماء بغير حلّها.

قال: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ﴾ أي: إذا صرنا إلى الله[3]. ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيَ إِلَى اللهِ ﴾ أي: وأتوكّل عليه. ﴿ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ أي: بأعمال العباد ومصيرهم.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 304.

(2) كذا جاءت هذه الجملة مضطربة في ع، وإن كان المعنى العام واضحاً. وقد جاءت في ز مختصرة واضحة هكذا: «أي: لا يجيب من دعاه في الدنيا ولا ينفعه في الآخرة». وروى ابن كثير في تفسيره ج 6 ص 141 قول السدي هكذا: «لا يجيب داعيه لا في الدنيا ولا في الآخرة» وهذا كقوله تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ من لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ)...

(3) كذا في ع: «إذا صرنا إلى الله»، وفي ز: «إذا صرتم إلى النار».

قال: ﴿فَوَقَيٰهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ أي: ما عملوا، أي: الكفر، فعصمه من ذلك الكفر الذي دعوه إليه، وعصمه من القتل والهلاك الذي أهلكوا به. ﴿وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: وجب عليهم ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أي: أشد العذاب ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾. قال مجاهد: أي: ما كانت الدنيا.

ذكروا عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به أنه أتى على سابلة آل فرعون حين ينطلق بهم إلى النار يعرضون عليها غدواً وعشياً، فإذا رأوها قالوا: ربنا لا تقوم الساعة لما يرون من عذاب الله[1].

ذكروا عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن الجنة، وإن كان من أهل النار فمن النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة[2].

[قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني أهل ملته وفرعون معهم ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾][3].

وقال بعض أهل التأويل في قول الله: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً): هذا من مقاديم الكلام، «مجازه: ادخلوا آل فرعون أشد العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشياً»[4].

---

(1) انظر ما سلف، ج 2 ص 403، وقد أخرج الحديث ابن سلام، والبيهقي وغيرهما.

(2) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه... (رقم 2866).

(3) سقط ما بين المعقوفين من ع، فأثبته كما جاء في ز، ورقة 304.

(4) جاء في ع ما يلي: «هذا من مقاديم الكلام، فإنما عنى فيه (كذا) وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سوء العذاب». وهذا خطأ من الناسخ فيما يبدو ونقص في الكلام وفيه غموض؛ فأثبت شرح هذا التقديم كما أورده القرطبي بوضوح. وقد نسب القرطبي هذا القول بالتقديم والتأخير إلى الفراء، ولكني لم أجده في كتابه معاني القرآن حيث تعرَّض لكلمة (النَّار) من قوله تعالى (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدواً وَعَشِيّاً)، فذكر وجوه إعرابها، وكلمة (أدخلوا) من قوله تعالى: (ادْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ =

قال: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ ﴾ أي: السَّفَلة ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ يعني الرؤساء والقادة في الضلالة. وقال بعضهم: الضعفاء بنو آدم، يعني المشركين، والذين استكبروا الشياطين، وكلهم مستكبرون عن عبادة الله: ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبعاً ﴾ أي: دعوتمونا إلى الضلالة فأطعناكم ﴿ فَهَلَ أَنْتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً ﴾ أي: جزءاً ﴿ مِّنَ النَّارِ ﴾.

﴿ قَالَ الذِينَ اسْتَكَبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا ﴾ أي: في النارِ ﴿ إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العِبَادِ ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ ﴾ أي: سلوه ﴿ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ قَالُوا ﴾ أي: خزنة جهنم، وهم التسعة عشر الذين قال الله فيهم: (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) [المدثر: 30]: ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾.

ذكر بعضهم قال: إن أهل النار يدعون خزنة جهنم فلا تجيبهم مقدار عشرين عاماً، ثم تجيبهم: (أَوَلَمْ تَكُ تَأتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ. ثم ينادون مالكاً، فلا يجيبهم مقدار أربعين عاماً، ثم يجيبهم: (إِنَّكُم مَّاكِثُونَ) [الزخرف: 77]. ثم يدعون ربهم فلا يجيبهم مقدار عمر الدنيا مرتين، ثم يكون جوابه إياهم: (اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108].

ذكروا عن غير واحد من العلماء أن كل كلام في القرآن من كلامهم كله فهو قبل أن يقول لهم: (اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ). قال: فإذا قال ذلك انقطع كلامهم وصار الزفير والشهيق كأصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق.

= أَشَدَّ الْعَذَابِ) فذكر وجهي قراءتها، ولكنه لم يشر هنا لأي تقديم أو تأخير، ولعل الفراء ذكر هذا في مكان آخر من تفسيره أو في بعض مؤلفاته الأخرى، فخفي عني ذلك. وقد علق القرطبي على قول الفراء هذا فقال: «فجعل (أي: الفراء) العرض في الآخرة، وهو خلاف ما ذهب إليه الجمهور من انتظام الكلام على سياقه على ما تقدم». انظر تفصيل هذا في معاني الفراء، ج 3 ص 9-10، وفي تفسير القرطبي، ج 15 ص 320.

قوله: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالذِينَ ءَامَنُوا فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ يعني بالنصر والظفر على عدوّهم ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَـٰدُ ﴾ يعني يوم القيامة. وأما في الآخرة فبالحجة عليهم. والأشهاد في تفسير بعضهم: الملائكة الحفظة يشهدون للأنبياء بالبلاغ وعليهم[1] بالتكذيب.

قال: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين ﴿ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ أي: الدار الآخرة، وسوءها النار.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَد ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَٰءِيلَ الكِتَـٰبَ ﴾ بعد القرون الأولى ﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الأَلْبَـٰبِ ﴾ أي لأولي العقول، وهم المؤمنون.

قوله عز وجل: ﴿ فَاصْبِرِ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ﴾ يعني وعد الله الذي وعدك أن يعطيكه في الآخرة ويعطيه من آمن به. ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَـٰرِ ﴾، وهي صلاة مكّة قبل أن تفترض الصلوات الخمس حين كانت الصلاة ركعتين غدوة وركعتين عشية.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِي ءَايَـٰت اللهِ بغير سلطـٰن أَتَيٰهُم ﴾ أي: بغير حجة أتتهم [﴿ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ ﴾ أي: ليس في صدورهم ﴿ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴾ يعني أملهم][2] في محمد ﷺ وأهل دينه أن يهلك ويهلكوا، في تفسير الحسن. وتفسير مجاهد: يعني عظمة قريش المشركين. قال: ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ أي: لا أسمع ولا أبصر منه[3].

---

(1) كذا في ع و ز ورقة 304: «وعليهم»، وفي تفسير القرطبي، ج 15 ص 322: «وعلى الأمم». والقول لمجاهد والسدي. أما الأشهاد فهم كل شهيد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين كما ذكره الطبري في تفسيره ج 24 ص 75، وهو قول قتادة أيضاً. وقال مجاهد: هم الملائكة، وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 387: هم «الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم».

(2) سقط ما بين المعقوفين كله من ع، فأثبته من ز، فاستقام المعنى.

(3) من هنا تستأنف مخطوطة ق، وسأقابل بينها وبين ع، و ز، إلى آخر التفسير إن شاء الله.

قوله عز وجل: ﴿ لَخَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ أي: أشد من خلق الناس، يعني شدة خلقها وكثافتها وعرضها وطولها، أي: فأنتم أيها المشركون تقرون بأن الله هو الذي خلقها وتجحدون البعث. قال عز من قائل: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم مبعوثون.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ الأعمى: الكافر، عمي عن الهدى، والبصير: المؤمن، أبصر الهدى. ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ وَلاَ الْمُسِيءُ ﴾ أي: المشرك ﴿ قَلِيلاً مَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: أقلهم المتذكر، يعني أقلهم من يؤمن. ومن قرأها بالتاء فهو يقول: أقلكم المتذكر، أي: من يؤمن.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ﴾ أي: القيامة ﴿ لآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ أي: لا شك فيها ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: بالساعة.

قوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ كقوله: (فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين ﴾ [غافر: 14] ﴿ إِنَّ الذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [أي: صاغرين](1).

ذكروا عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسـول الله ﷺ عن أفضل العبادات، فقال: دعاء المرء لنفسه(2).

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: المسلم من دعائه على إحدى ثلاث: إما أن يعطى مسألته، وإما أن يعطى مثلها من الخير، وإما أن يصرف عنه مثلها من الشر ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل. [قالوا: يا رسول الله، إذاً نكثر، قال: الله أكثر.

الحسن بن دينار عن الحسن عن النبي ﷺ نحو ذلك قال](3) قالوا: يا

(1) زيادة من ز، ورقة 305.
(2) أخرجه البخاري في الأدب عن عائشة.
(3) ما بين المعقوفين زيادة من ز، ورقة 305.

رسول الله كيف يستعجل؟ قال: يقول: قد دعوت الله فما أجابني، ودعوته فما أعطاني[1].

ذكروا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن أبخل الناس من بخل بالسلام، وإن أعجز الناس من عجز في الدعاء، وقد قال الله عز وجل: ادعوني استجب لكم[2].

قوله عز وجل: ﴿ اللهُ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الَّيْـلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾ يعني لتستقرّوا فيه من النصب. ﴿ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ﴾ أي: مضيئاً. ﴿ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ أي: لا يؤمنون.

﴿ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ أي: فكيف تصرفون عن الهدى. قال: ﴿ كَذٰلِكَ يُوفَكُ ﴾ أي: يُصَد[3]، ﴿ الذِينَ كَانُوا بِئَايٰتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾.

قوله: ﴿ اللهُ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً ﴾ مثل قوله: (بِسَاطاً)، و (فِرَاشاً) و (مِهَاداً) ﴿ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ أي: جعل صوركم أحسن من صور البهائم والطيور. ﴿ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾. [قال السدي، يقول: جعل رِزقكم أطيب من رزق الدواب والطير والجن][4]. ﴿ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ تبارك من البركة، كقوله (تَعَالَىٰ) من العلوّ، أي: ارتفع.

(1) حديث صحيح رواه أحمد عن أبي سعيد مرفوعاً وأخرجه البزار وأخرجه الترمذي عن أبي سعيد وعن عبادة بن الصامت ولفظه: ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها.

(2) أخرجه أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة وأخرجه الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة بلفظ: أعجز الناس من عجز في الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام.

(3) كذا في ع و ع: «يصد»، وفي ز: «يصرف».

(4) زيادة من ز، ورقة 305.

قال: ﴿ هُوَ الحَيُّ ﴾ أي: الذي لا يموت ﴿ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ يعني أوثانهم ﴿ لَمَّا جَاءَنِي البَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾.

﴿ هُوَ الذِي خَلَقَكُم مِّنْ تُرَابٍ ﴾ يعني خلق آدم ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ يعني نسل آدم ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ أي: الاحتلام ﴿ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً ﴾ يعني من يبلغ حتى يكون شيخاً ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبل أن يكون شيخاً ﴿ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى ﴾ أي الموت ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: لكي تعقلوا.

قال: ﴿ هُوَ الذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾.

قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِيءَايَـٰتِ اللهِ ﴾ أي: يجحدون بها ﴿ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ أي: كيف يُصرفون عنها.

﴿ الذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَـٰبِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الأَغْلَـٰلُ فِي أَعْنَـٰقِهِمْ وَالسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ أي: تسحبهم الملائكة على وجوههم. ﴿ فِي الحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ أي: كسجر التَّنّور بالحطب. [أي: توقد بهم النار].

﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ كقوله: (أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون). [الشعراء: 92-93] ﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً ﴾ ينفعنا ولا يضرنا. قال الله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي بكفرهم.

ثم رجع إلى قصتهم فقال: ﴿ ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾. والمرح والفرح واحد[2]. وهو الأشر والبطر. أي بما كنتم

(1) زيادة من ز ورقة 305.

(2) كذا في ع وز، وهو أصح، وفي ق: «والمرح والبطر واحد».

أشرين بطرين. وهؤلاء المشركون. وقال في آية أخرى: (وَفَرِحُوا بِالحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) [الرعد: 26].

قال: ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي: لا تخرجون منها أبداً. ﴿ فَبِيسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ أي: منزل المتكبرين، يثوون فيها أبداً.

قوله عز وجل: ﴿ فَاصْبِرِ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الذِي نَعِدُهُمْ ﴾ أي: من العذاب ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ فيكون بعد وفاتك ﴿ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّنْ قَبْلِكَ مِنْهُم مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾. ذكر إبراهيم بن محمد بإسناد قال: قيل: يا رسول الله، كم كان المرسلون. قال: ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، جمٌّ غفير. قيل: يا رسول الله، أكان آدم نبياً مكلّماً؟ قال: كان نبيّاً مكلّماً[1].

قال: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَّأتِيَ بِئَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ أي: حتى يأذن الله له فيها، وذلك أنهم كانوا يسألون النبي عليه السلام أن يأتيهم بآية، وأن الآية إذا جاءت فلم يؤمن القوم أهلكهم الله. وقد أخر الله عذاب كفار هذه الأمة بالاستئصال إلى النفخة الأولى، بها يكون هلاكهم.

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ ﴾ أي: العذاب ﴿ قُضِيَ بِالْحَقِّ ﴾ وقضاء الله بالحق أن يهلكهم بتكذيبهم، يعني من نزل بهم العذاب ممن سألوا الآية فجاءتهم فلم يؤمنوا. قال: ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ﴾ أي حين جاءهم العذاب ﴿ الْمُبْطِلُونَ ﴾ أي: المشركون.

قوله: ﴿ اللهُ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ ﴾ أي ألبانها وما ينتفع به منها. ﴿ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ﴾ يعني الإبل، ويعني بالحاجة السفر، أي تسافرون عليها. قال: ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾.

(1) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 238.

﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِ ﴾ [يعني من السماء والأرض والخلائق وما في أنفسكم من الآيات وما سخر لكم من شيء][1] ﴿ فَأَيَّ ءَايَـٰتِ اللهِ تُنْكِرُونَ ﴾ أي: فأي ذلك تنكرون أنه ليس من خلقه.

قوله عز وجل: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾. كان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار ﴿ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثاراً فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: ما عملوا من المدائن وغيرها من آثارهم. كقوله: (ذَٰلِكَ مِنَ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ) تراه (وَمِنْهَا حَصِيدٌ) [هود: 100] لا تراه[2]. قال: ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي: من الدنيا حين جاءهم العذاب، أي: لم يغن عنهم كسبهم شيئاً.

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ يعني علمهم عند أنفسهم هو قولهم لن نبعث ولن نعذّب ﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾ أي: وجب عليهم ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: بالنبي عليه السلام والمؤمنين، أي: وجب عليهم عقاب ما كانوا به يستهزءون، أي: فأهلكهم الله.

قال: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ أي: عذابنا ﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ أي بما كنا به مصدّقين من الشرك.

قال الله عز وجل: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ أي: عذابنا ﴿ سُنَّتَ اللهِ التِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾ المشركين، أي أنهم إذا كذبوا رسلهم أهلكهم الله بالعذاب، ولا يقبل إيمانهم عند نزول العذاب. قال: ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَـٰفِرُونَ ﴾ ولا خسارة هي أعظم منها إذا صاروا إلى النار.

(1) زيادة من ز، ورقة 305.

(2) في ق وع: ألا تراه، والصواب ما أثبته.

تفسير سورة حمٓ السّجدة[1]، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عزّ وجلّ: ﴿ حمٓ ﴾ قد فسّرناه في حمٓ المؤمن. ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ يعني القرآن. ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَت ءَايَـٰتُهُ ﴾ أي: فسّرت آياته بالحلال والحرام والأمر والنهي. ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَّعْلَمُونَ ﴾ أي: يؤمنون. ﴿ بَشِيراً وَّنَذِيراً ﴾ أي: بشيراً بالجنة ونذيراً من النار ﴿ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ ﴾ أي عنه ﴿ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ أي: لا يسمعون الهدى سمعَ قبول.

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ أي: في غلف. وقال مجاهد: على قلوبنا أكنة كالجعبة للنبل ﴿ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ يا محمد، فلا نفعله[2] ﴿ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ أي: صمم عنه فلا نسمعه. ﴿ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ فلا نفقه ما تقوله. ﴿ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ﴾ أي: فاعمل على دينك، إننا عاملون على ديننا[3].

قال الله تعالى للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ أي: إنما أنا بشر مثلكم، غير أنه يوحى إلي ﴿ أَنَّمَا إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ ﴾ بالتوحيد والعمل الصالح ﴿ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ أي: من الشرك والنفاق والعمل السوء.

(1) جاء اسم السورة في ق هكذا: «سورة فصلت»، وفي ع سورة السجدة، كما في معاني الفراء، وفي ز وتفسير الطبري ومجاز أبي عبيدة ومخطوطة تفسير ابن قتيبة: «سورة حمٓ السجدة».

(2) كذا في ق وفي ع: فلا نفعله، وجاءت الكلمة مطموسة في ز، ويبدو أن صوابها: فلا نعقله.

(3) كذا في ق و ع: «اعمل على دينك»، وفي ز: «اعمل بدينك إنا عاملون على ديننا». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 12: «يقول: بيننا وبينك فرقة في ديننا، فاعمل في هلاكنا إنا عاملون في ذلك منك، ويقال: فاعمل بما تعلم من دينك فإننا عاملون بديننا.

﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: في النار ﴿ الذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ ﴾ أي: لا يوحّدون الله ولا يعملون الصالحات[1]. ﴿ وَهُمْ بِالأخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾. وهي مثل قوله: (إِنَّ الذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) [فصّلت: 30] أي: على التوحيد والفرائض ولم يشركوا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ ﴾ أي: ثواب، يعني الجنة ﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أي: غير محسوب في تفسير مجاهد؛ كقوله: (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) [غافر: 40]. وتفسير الحسن: غير ممنون عليهم مَنَّ أَذًى.

قوله عز وجل: ﴿ قُلْ أئنَّكم لَتَكْفُرُونَ بِالذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ يقوله على الاستفهام، أي: قد فعلتم، يقوله للمشركين ﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ﴾ أي: أعدالاً تعدلونهم بالله فتعبدونهم دونه. ﴿ ذٰلِكَ رَبُّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: الذي خلق الأرض في يومين.

قال: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِنْ فَوْقِهَا ﴾ يعني فوق الأرض. والرواسي الجبال أرساها حتى لا تتحرك بكم، وجعل فيها أنهارها وأشجارها.

ذكروا عن الحسن قال: لما خلق الله الأرض جعلت تميد [فأرساها بالجبال][2].

قال: ﴿ وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَٰتَهَـا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ فأما قوله: (وَبَارَكَ فِيهَا) فهو من باب البركة، يعني ما جعل فيها من الأرزاق والأقوات، أرزاق من فيها. والقوت الرزق. وقال مجاهد: الأقوات من المطر. وقال بعضهم: أقواتها: ما يحمل من هذا البلد إلى هذا البلد، ومن هذا إلى هذا. (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ): أي في تتمة أربعة أيام. ﴿ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾ أي: لمن كان سائلاً عن ذلك. وقال بعضهم: لمن يسأل

---

(1) كذا جاء تأويل هذه الآية في ق وع، وفي ز: «لا يوحدون الله». وقال الفراء في المعاني: «والزكاة في هذا الموضع: أن قريشاً كانت تطعم الحاج وتسقيهم، فحَرَموا ذلك من آمن بمحمد ﷺ؛ فنزل هذا فيهم، ثم قال: وفيهم أعظم من هذا كفرهم بالآخرة».

(2) زيادة لا بد منها ليتم المعنى.

الرزق. وهي تقرأ على وجه آخر: (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ لِّلسَّائِلِينَ) أي: مستويات، يعني الأيام[1]. واليوم منها ألف سنة، كقوله: (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) [الحج: 47]. أي: خلق الأرض في يومين، وقدر الأقوات في يومين، ثم جمع الأربعة الأيام فقال: (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ)[2].

قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ بدء[3] خلق الأرض إنما كانت طينة في موضع بيت المقدس قبل أن يبسطها الله، ثم استوى إلى السماء [يعني عمد لها وقصد][4] وهي ملتزقة بالأرض في تفسير الحسن؛ وهو قوله: (كَانَتَا رَتْقاً) أي ملتزقة (فَفَتَقْنَاهُمَا) [الأنبياء: 30] أي: فتق إحداهما عن الأخرى، فكان خلق الأرض قبل خلق السماء، أي: بسطها، فقال لهما: اذهبي أنت كذا واذهبي أنت كذا. ويقال: دُحِيت الأرض: أي بُسطت من مكة، وقدّر فيها أقواتها.

قال مجاهد: كان البيت قبل الأرض بألفي عام، ومدّت الأرض من تحته، وقدر فيها أقواتها. وهو قوله: (ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَيٰهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّيٰهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَيٰهَا وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَيٰهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَيٰهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَيٰهَا مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) [النازعات: 27-32] يعني أرزاقكم، فخلق الأرض في يومين وأقواتها في يومين.

قال: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾ على وجه السخرة والقدرة. قال هذا لهما قبل خلقه إياهما، وهو كلام فيه تقديم وتأخير. ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ يعني بما فيهما.

---

(1) قال ابن أبي زمنين في مخطوطة ز، ورقة 306: «من نصب (سواءً) فعلى المصدر: استوت سواءً، ومن جر (سواءٍ) فعلى أنها نعت (لأَرْبَعَةِ) أو (لأَيَّامٍ). وانظر مختلف وجوه الإعراب في تفسير القرطبي، ج 15 ص 343.

(2) في ع وق اضطراب في الجمل وتكرار أثبت التصحيح من ز، ورقة 306.

(3) كذا جاءت الكلمة في ع: «بذي» وفي العبارة فساد، وأنا غير مطمئن لما جاء فيها، وفي ق بياض قدر كلمة ولعل في الجملة خرما، والله أعلم.

(4) زيادة من ز، والقول لابن أبي زمنين.

قال: ﴿ فَقَضِيْهُنَّ ﴾ يعني خلقهن (سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ [قال مجاهد: يعني أمره][1] الذي جعل فيها مما أراد[2].

قال: ﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ يعني النجوم ﴿ وَحِفْظاً ﴾ أي: وجعلنا النجوم حفظاً للسماء من الشياطين، أي: لا يسمعون الوحي. وذلك منذ بعث محمد ﷺ: قال: ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾.

ذكروا عن أبي رجاء العطاردي قال: كنا قبل أن يبعث محمد ما نرى نجماً يُرمى به. فبينما نحن ذات ليلة إذ النجوم قد رُمي بها. فقلنا: ما هذا؟ إن هذا إلا أمر حدث. فجاءنا أن النبي ﷺ قد بعث. وأنزل الله هذه الآية في سورة الجن: (وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَّسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَاباً رَّصَداً) [الجن: 9].

قوله: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾ أي: المشركون ﴿ فَقَدَ انْذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَّثَمُودَ ﴾. والصاعقة العذاب؛ جاءتهم بفزع فماتوا.

ذكروا عن عطاء بن السايب أنه قال: سمعت أبا عبد الرحمان السلمي وإبراهيم يقرآن هذا الحرف: (أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةَ عَادٍ وَثَمُودَ) يعني فَزْعة مثل فزعة عاد وثمود. ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ) يحذرونهم وقائع الله في الكفار حين كذبوا رسلهم. ويعني بـ(مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) قوم نوح ومن أهلك بعدهم، وبـ(مِنْ خَلْفِهِمْ) عذاب الآخرة، أي أنذروهم عذاب الدنيا وعذاب الآخرة[3].

---

(1) زيادة من ز، ورقة 306.

(2) كذا في ع وق، وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 13: «يقول: جعل في كل سماء ملائكة، فذلك أمرها».

(3) هذا وجه من وجوه تأويل الآية. وقال الفراء: «أتت الرسل آباءهم، ومن كان قبلهم، (ومن خلفهم) يقول: وجاءتهم أنفسهم رسل من بعد أولئك الرسل، فتكون الهاء والميم في (خَلْفِهِمْ) للرسل، وتكون لهم، تجعل من خلفهم لما معهم».

﴿ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَـٰئِكَةً ﴾ كقولهم للنبي عليه السلام: (أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) [الزخرف: 53] أي: فيخبرون أنه رسول الله. ومثل قولهم: (لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الحجر: 7] أي: فتخبرنا أنك رسول الله؛ أي: يقوله كل قوم لرسولهم. ﴿ فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَـٰفِرُونَ ﴾.

قال الله: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْـرِ الحَقِّ ﴾ يعني كفرهم وتكذيبهم رسلهم. ﴿ وَقَالُوا مَنَ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ عجبوا من شدتهم وقوتهم. قال الله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّ اللهَ الذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِئَايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾.

قال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً ﴾ قال الحسن: الصرصر: شديدة البرد، [وهي الدبور][1].

ذكروا عن رسول الله ﷺ قال: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور[2].

قال: ﴿ فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ أي: مشؤومات، وهي الثمانية الأيام التي في الحاقة. قال الله: (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً) [الحاقة: 7] أي: تباعاً، ليس فيهن تفتّر؛ كان أولها يوم الأربعاء إلى الأربعاء الأخرى.

قال: ﴿ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أُخْزَىٰ ﴾ من عذاب الدنيا. ﴿ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴾.

قال: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ ﴾ أي: فبصّرناهم، وهو في تفسير العامة بيّنّا لهم سبيل الهدى وسبيل الضلالة ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ ﴾ أي: الضلالة ﴿ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ أي: اختاروا الضلالة على الهدى ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ ﴾ أي من الهوان ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي: بما كانوا يعملون.

قال: ﴿ وَنَجَّيْنَا الذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ وكذلك قضى الله أنه إذا أهلك قوماً

---

(1) زيادة من ز، ورقة 307. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 13: «باردة تحرق كما تحرق النار». وقال أبو عبيدة: «الشديدة الصوت العاصف».

(2) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 3 ص 356.

أنجى رسولهم والمؤمنين معه؛ كقوله: (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا) أي: عذابنا (نَجَّيْنَا هُوداً وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا) [هود: 58]، وقوله: (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا) [هود: 66]، وقوله: (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا) [هود: 94].

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ أَعْدَاءَ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾. قال بعضهم: وزعه إياهم أن يرد أولهم على آخرهم[1].

قال: ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ ﴾ أي: جوارحهم ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ كقوله: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [يس: 65]. لمّا قالوا: (وَاللهِ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) [الأنعام: 23] ختم الله على أفواههم وقال للجوارح: انطقن. فأوّل ما يتكلم من أحدهم فخذه. كقوله: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) النساء: 56]، تأكل النار منهم كل شيء حتى تنتهي إلى الفؤاد، ثم يجدد خلقهم، فثمّ هكذا أبداً.

قال: ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [انقطع][2] ذكر كلامهم هاهنا في هذا الموضع. قال الله عز وجل: ﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يقوله للأحياء][3] ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

قال: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾ أي: لم تكونوا تستترون من الله ﴿ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ﴾ أي: حتى لا يشهد عليكم سمعكم ﴿ وَلَا أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا

(1) وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 15: «هي من وزعتُ، ومعنى وزعتُه: حبسته وكففته، وجاء في التفسير: يحبس أولهم على آخرهم حتى يدخلوا النار. قال: وسمعت بعض العرب يقول: لأبعثن عليكم من يَزَعُكم ويحكِمُكم، من الحَكَمَة التي للدابة...».

(2) زيادة لا بد منها لتستقيم العبارة.

(3) زيادة من ز، ورقة 307.

جُلُودُكُمْ ﴾. وقال مجاهد: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ أي: تخفون[1]. ﴿ وَلَكِنْ ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

ذكروا عن الأعمش عمن حدثه[2] عن عبد الله بن مسعود قال: بينما أنا عند الكعبة إذ جاء ثلاثة نفر: قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فدخلوا في أستار الكعبة. فتحدثوا حديثاً لم أفقهه؛ فقال بعضهم لبعض: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ فقال أحدهم: لا يسمع شيئاً. فقال الآخر: أراكم إذا رفعتم أصواتكم يسمع، وإذا لم ترفعوا أصواتكم لم يسمع، وقال الثالث: لئن كان يسمع منه شيئاً إنه يسمعه كله. قال فأقبلت إلى النبي ﷺ فأخبرته، فأنزل الله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾. وقوله: ﴿ظَنَنتُمْ﴾ أي: حسبتم[3].

قال: ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَيكُمْ ﴾ أي: باعدكم من الله، في قول بعضهم. وقال بعضهم: أهلككم. ﴿ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَسِرِينَ﴾.

قال: ﴿ فَإِن يَّصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَّسْتَعْتِبُوا ﴾ أي: يطلبوا إلى الله أن

(1) كذا في ع وق: «تخفون». وفي ز: «أي: تتقون». وكذلك جاء في تفسير الطبري ج 24 ص 108: «قال بعضهم: معناه: وما كنتم تستخفون. . . وقال آخرون: معناه: وما كنتم تتقون». ثم زاد الطبري. . . «حدثنا سعيد عن قتادة (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ) يقول: وما كنتم تظنون (أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ) حتى بلغ (كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ) والله إن عليك يا ابن آدم لشهوداً غير متّهمة من بدنك، فراقبهم، واتق الله في سر أمرك وعلانيتك، فإنه لا يخفى عليه خافية، الظلمة عنده ضوء، والسر عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل، ولا قوة إلا بالله». وهذا كلام نفيس وفيه عظة وعبرة لمن اعتبر.

(2) روى الطبري في تفسيره ج 24 ص 109 هذا الخبر بسند من طريقين: . . . عن مجاهد عن أبي معمر الأزدي عن عبد الله بن مسعود، ورواه من طريق الأعمش عن عمارة بن عمير، عن وهب ابن ربيعة، عن عبد الله بن مسعود.

(3) وقع اضطراب وحذف لبعض الآية عند تفسير هاتين الآيتين في ق وع، فاستعنت بمخطوطة ز لجعل كل شيء في مكانه وإتمام ما نقص حتى يستقيم المعنى ويتضح.

يخرجهم من النار إلى الدنيا ليؤمنوا ﴿فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ كقوله: (فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ)[1] [الجاثية: 35].

قال: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ أي: نسبنا لهم قرناء[2]، يعني الشياطين. كقوله: (أَلَمْ تَرَانَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) [مريم: 83] أي: تزعجهم إزعاجاً في معاصي الله.

قال: ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ قال الحسن: (مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أي: حبّ ما كان عليه آباؤهم من الشرك وتكذيبهم الرسل. (وَمَا خَلْفَهُمْ) تكذيبهم بالبعث. وقال الكلبي: (مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ): من أمر الآخرة، فأخبروهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، (وَمَا خَلْفَهُمْ): زيّنوا لهم أمر الدنيا فلم يريدوا غيرها[3].

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: وجب عليهم القول. وتفسير القول: الغضب، في قول بعضهم. وقال الحسن: القول من الله أنهم من أهل النار؛ كقوله: (وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى الذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) [غافر: 6] أي: بكفرهم.

قال: ﴿فِي أُمَمٍ﴾ أي: مع أمم ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَـٰسِرِينَ﴾ والخاسرون: أهل النار، خسروا أنفسهم فصاروا في النار.

قوله: ﴿وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [قال السدي: نزلت في أبي جهل بن هشام، كان يقول لأصحابه: إذا سمعتم بقراءة

---

(1) (إِنْ يَسْتَعْتِبُوا) أي: إن يطلبوا العتبى، وهي الرضا، فإنهم لا يجابون إلى ما يطلبون. تقول: استعتبته فأعتبني: إذا طلبت منه أن يرضيك فأرضاك.

(2) كذا في ق: «نسبنا»، وفي ع: «سمينا» وفي تفسير الطبري: «سببنا». وكلها متقاربة المعنى. يقال: قيض الله فلاناً لفلان: إذا جاء به وأتاحه له.

(3) وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 17: «(مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمر الآخرة فقالوا: لا جنة ولا نار، ولا بعث ولا حساب، وما خلفهم من أمر الدنيا، فزيّنوا لهم اللذات، وجمع الأموال، وترك النفقات في وجوه البر، فهذا ما خلفهم. وبذلك جاء التفسير. وقد يكون (مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) ما هم فيه من أمر الدنيا، (وَمَا خَلْفَهُمْ) من أمر الآخرة».

محمد فارفعوا أصواتكم بالأشعار حتى تلتبس على محمد قراءته][1] وهو مثل قوله: (وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً) [الأنفال: 35]؛ المكاء: التصفير، والتصدية: التصفيق؛ يميلون خدودهم إلى الأرض يخلطون على النبي ﷺ بذلك صلاته. وقوله: (لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) أي: لعل دينكم أن يغلب دين محمد.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: لا يجازيهم في الآخرة بأحسن ما كانوا يعملون في الدنيا. ولكن: يبطله، وقد استوفوه في الدنيا. وهو مثل قوله: (نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) [هود: 15] أي: في الدنيا، ونجزيهم في الآخرة بأسوأ أعمالهم.

قال: ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِئَايَتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ في النار ﴿ رَبَّنَا أَرِنَا الَّـذَيْنِ أَضَلاَّنَا ﴾ وهي تقرأ على وجهين؛ فمن قرأها (أَرِنَـا) بكسر الـراء، فهي من الرؤيـة، ومن قرأهـا (أَرْنا)، بتسكين الراء، فهو يقول: أعطنا اللذين أضلانا. ﴿ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ ﴾ يعنون إبليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه. يقولون ذلك من شدّة الغيظ عليهما، وهما في الدرك الأسفل من النار.

وذكر بعضهم قال: لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم كفل من دمها لأنه سنّ القتل. وبلغنا أن ثلاثة لا تقبل منهم توبة: إبليس، وابن آدم الذي قتل أخاه، ومن قتل نبيّاً.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ﴾ مخلصين له ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ عليها وعلى العمل بالفرائض ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَـٰئِكَةُ ﴾ عند الموت ﴿ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ التي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ أي: إذ كنتم في الدنيا.

(1) زيادة من ز ورقة 307.

ذكروا أن أبا بكر الصديق قرأ هذه الآية فقالوا له: يا خليفة رسول الله ﷺ، ما الاستقامة؟ قال: ألا تشركوا به شيئاً[1].

ذكروا أن عمر بن الخطاب قال: ثم استقاموا على الفرائض ولم يروغوا روغان الثعالب، أي: لم ينتقصوا دين الله حتى أكملوا فرائضهم ووفوا بها.

قال: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: عند الموت في تفسير بعضهم.

وتفسير الحسن أن قول الملائكة لهم: ﴿لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ وأنتم آمنون، تستقبلهم بهذا إذا خرجوا من قبورهم إلى الموقف.

وفي تفسير بعضهم ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ أي أمامكم، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي: على ما خلّفتم، نحن نخلفكم فيه.

ذكروا عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: احضروا موتاكم وألزموهم قول لا إله إلا الله، فإنهم يسمعون أو يرون ما يقال لهم.

ذكروا عن الحسن أنه دخل على أبي الشعثاء جابر بن زيد وهو مدنَف[2] فقال له: يا أبا الشعثاء، فُرفع رأسه فقال له: قل لا إله إلا الله. فسكت أبو الشعثاء. فأعاد له القول فقال له: قل لا إله إلا الله، فسكت أبو الشعثاء، ثم أعاد الحسن فقال أبو الشعثاء في الثالثة، يا أبا سعيد، أنا من أهلها، ولكني أعوذ بالله من النار ومن سوء الحساب. فخرج الحسن من عنده وهو يقول: تالله ما رأيت كاليوم قط رجلاً أفقه حتى عند الموت[3].

ذكر بعضهم حديثاً عن عيسى بن مريم بإسناده أنه قال: عجبت للمؤمن كيف

---

(1) وقد نسب إلى أبي بكر قول آخر أيضاً في تفسير الاستقامة هو قوله: «استقاموا فعلاً كما استقاموا قولاً».

(2) أي: براه المرض ولازمه حتى أشفى على الموت.

(3) ليتني أعثر على أصل تفسير ابن سلام كاملاً حتى أحقق سند هذا الخبر، وهو خبر صحيح رواه كثير ممن ترجموا لجابر بن زيد. وأنا أميل إلى أنه من زيادات الشيخ هود الهواري.

يحفظ ولده من بعده، أي إنه يحفظ بعده[1].

قال: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الأخِرَةِ ﴾ أي: نحن كنا أولياءكم في الحياة الدنيا إذ كنتم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة. وبعضهم يقول: تقوله لهم الملائكة الذين كانوا يكتبون أعمالهم[2].

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ أي: تشتهون[3]. ﴿ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ أي: الجنة، نزلاً لكم أنزلكموها غفور رحيم[4].

قوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَٰلِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾. وهذا على الاستفهام، أي: لا أحد أحسن قولاً منه.

قوله: ﴿ وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ﴾ الحسنة في هذا الموضع العفو والصفح، والسيئة ما يكون بين الناس من الشتم والبغضاء والعداوة.

قوله: ﴿ اِدْفَعْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ يقول: ادفع بالعفو والصفح القول القبيح والأذى. كان ذلك فيما بينهم وبين المشركين قبل أن يؤمر بقتالهم. كقوله: (قُل لِّلذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) [الجاثية: 14] يعني المشركين، ثم نسخت، فأمر بقتالهم، فصارت بين المسلمين.

ذكر عن أبي الأحوص عن أبيه قال: قلت يا رسول الله، إن لي جاراً وإنه يسيء

(1) كذا ورد هذا الخبر في ع. وفي ق: «أي: «لم يحفظ بعده». والصحيح ما أثبته كما ورد في ع. أي: إن الله بعث إليه على لسان ملائكته ألا يحزن على أولاده من بعده، فالله حافظهم ورازقهم، والله أعلم.

(2) في ق و ع بعض التقديم والتأخير في تفسير الآية وبعض التكرار، فأثبت التصحيح من ز.

(3) كذا في ق و ع و ز: ما تدّعون. أي: ما تشتهون، وفيه تكرار لفظي. وفي تفسير القرطبي وغيره (تَدَّعُونَ) أي: تسألون وتتمنون.

(4) وفي تفسير الكشاف، ج 4 ص 199: والنُّزُل: رزق النَّزيل، وهو الضيف.

مجاورتي، أفأفعل به كما يفعل بي. قال: لا، إن اليد العليا خير من اليد السفلى[1].

ذكروا عن مجاهد في قوله: (ادْفَعْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ)، يعني السلام، يسلّم عليه إذا لقيه.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ألا لا تهاجروا، فإن كنتم ولا بد فاعلين فلا تهاجروا فوق ثلاثة أيام؛ ألا وإن ماتا وهما متهاجران لم يجتمعا في الجنة. الأول أفضلهم الذي يبدأ بصاحبه[2].

ذكروا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إن الأعمال ترفع كل يوم اثنين وخميس، فإذا مرّ بأعمال المتصارِمَين عزلت أعمالهما[3].

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال: إذا كان كل ليلة اثنين وخميس تاب الله على التائبين، وترحم على المتراحمين وترك أصحاب الغلّ.

قوله: ﴿ فَإِذَا الذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ أي: كأنه ولي قريب.

قوله: ﴿ وَمَا يُلَقَّيهَا إِلاَّ الذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّيهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ أي: لا يعفو العفو الذي يقبله الله إلا أهل الجنة، وهو الحظ العظيم[4].

---

(1) أخرجه ابن سلام بالسند التالي: «يحيى عن فطر عن أبي إسحاق الهمداني عن أبي الأحوص عن أبيه قال... وانظر ما سلف، ج 2 ص 305.

(2) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه أصحاب السنن من طرق وبألفاظ متقاربة. أخرجه البخاري مثلاً في كتاب الأدب، باب الهجرة وقول رسول الله ﷺ لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث، عن أنس بن مالك، وعن أبي أيوب الأنصاري، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، عن أبي أيوب الأنصاري، وعن ابن عمر (رقم 2560، 2561) وأخرجه أحمد بن حنبل، وفيه: «فإن ماتا على صرامهما لم يجتمعا في الجنة أبداً».

(3) حديث صحيح أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجامع، باب ما جاء في المهاجرة، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، (رقم 2565) وأخرجه أبو داود في كتاب الآداب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم (رقم 4916) وغيرهم، كلهم يرويه من حديث أبي هريرة.

(4) كذا في ق و ع، وفي ز ورقة 308 «وهي الحظ العظيم». وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 18: =

قوله: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ ﴾ قال الحسن: إن نزغه وسوسته، يقول للنبي عليه السلام: إن وسوس إليك الشيطان أن تدع ما أنت فيه من الإيمان ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ أي فلا أسمع منه ولا أعلم منه. وهي كقوله: (إِنَّ الذِينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ) [الأعراف: 201] أي: يطوف عليهم بوساوسه. وقال بعضهم: النزغ: الغضب.

قوله: ﴿ وَمِن ءَايَـٰتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلهِ الذِي خَلَقَهُنَّ ﴾ أي: خلق آياته؛ فرجع إلى قوله: (وَمِن آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)، فلذلك صارت (خَلَقَهُنَّ) [ولم يقل][1] خلقهم، ولولا أنه رجع إلى الآية لكانت الذي خلقهم، لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا غلب عليه المذكر. والليل والنهار مذكران، والشمس مؤنث، والقمر مذكر[2]. قال: ﴿ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

قال: ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا ﴾ يعني المشركين عن السجود لله ﴿ فَالذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ يعني الملائكة ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِالَّيْـلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ كقوله: (وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) [الأنبياء: 19-20].

قال مجاهد: سألت ابن عباس عن السجدة في حمٓ، فقال: اسجد بالآخرة من الآيتين. وكان الحسن يسجد بالآية الأولى.

= «يريد ما يلقّى دفع السيئة بالحسن إلا من هو صابر، أو ذو حظ عظيم، فأنثها لتأنيث الكلمة، ولو أراد الكلام فذكر كان صواباً».

(1) زيادة لا بد منها ليستقيم المعنى.

(2) وردت هذه الجملة: «والليل والنهار مذكران». . . في ع دون ق. وقلّما يتعرض المؤلف لمثل هذه الملاحظات اللغوية، فهل هي من أصل التفسير، أم من زيادات بعض الشراح والنساخ، وهي شبيهة بزيادات ابن أبي زمنين وتعليقاته اللغوية، لكنها غير واردة في ز، وإنما جاء فيه: «أي خلق آياته» فقط. على أن رجوع الضمير إلى الآيات غير متّفق عليه عند المفسرين، بل ذهب بعضهم إلى أن الضمير في (خَلَقَهُنَّ) يشمل الليل والنهار والشمس والقمر. انظر في هذا مثلاً معاني الفراء، ج 3 ص 18، وكشاف الزمخشري ج 4 ص 200، والألوسي، روح المعاني ج 24 ص 125.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: ليس في المفصّل سجود. والمفصّل من سورة محمد عليه السلام إلى (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ).

ذكروا عن مجاهد عن ابن عباس أنه كان يسجد في صٓ، [وفي حم السجدة][1] ولا يسجد في شيء من المفصل.

ذكروا عن الحارث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: عزائم القرآن أربع: ألٓمٓ السجدة، وحمٓ السجدة، والنجم، واقرأ باسم ربك.

قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾ أي هامدة متهشمة[2] وتفسير الحسن: ميّتة، وهو واحد. قال: ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ﴾ بالمطر ﴿ وَرَبَتْ ﴾ (اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ) فيها تقديم وتأخير. (وَرَبَتْ): انتفخت للنبات (وَاهْتَزَّتْ): أي بنباتها إذا أنبتت[3].

قال: ﴿ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وهذا مثل للبعث.

قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَٰتِنَا ﴾ والإلحاد الشرك، أي: يعبدون الأوثان من دون الله. وقال بعضهم: الإلحاد أن يصف الله بغير صفته.

وقال الكلبي: (يُلْحِدُونَ) يعني: يميلون إلى غير الحق. وهو أيضاً الشرك.

وقال: (لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) أي: نحن نعلم ما يعملون وما يلحدون وسنجزيهم بأعمالهم وإلحادهم.

قال: ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِناً يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ ﴾ أي: إن الذي يأتي آمنا خير. قال: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾. وهذا وعيد. كقوله في سورة الكهف: (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) وهذا وعيد أيضاً. وأخبر بما

(1) زيادة لا بد من إثباتها.

(2) كذا في ق وع، وفي ز، ورقة 308: «غبراء متهشمة».

(3) وقال الفراء: (اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ) زاد ريعها، أي: إنها تنتفخ، ثم تصدّع عن النبات.

للمؤمنين وما للكافرين فقال: (إِنَّا اعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا)... إلى آخر الآية. وقال: (إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ اَحْسَنَ عَمَلاً أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ) إلى آخر الآية. [الكهف: 29-30-31].

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ لاَ يَأْتِيهِ الْبَٰطِلُ ﴾ أي إبليس ﴿ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ﴾ أي: لا يأتي القرآن من بين يديه فينقص منه شيئاً (وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ) فيزيد فيه شيئاً. أي: حفظه الله من ذلك. وقال في آية أخرى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: 9].

وتفسير الكلبي: (لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ) أي: من قبل التوراة، ولا من قبل الإنجيل، ولا من قبل الزبور، وليس منها شيء يكذب القرآن ولا يبطله. (وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ) أي: لا يأتي من بعده كتاب يبطله[1].

قوله: ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ ﴾ أي: في أمره ﴿ حَمِيدٍ ﴾ أي: استحمد إلى خلقه، أي: استوجب عليهم أن يحمدوه.

قوله: ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ أي: ما قال لهم قومهم من الأذى؛ كانوا يقولون للرسول: إنك مجنون وإنك ساحر، وإنك كاذب[2]. قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ أي: لمن تاب وآمن. ﴿ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: لمن لم يتب ولم يؤمن.

---

(1) تفسير الباطل بإبليس وجه من وجوه تأويل الآية ذهب إليه قتادة ومجاهد. وأولى من ذلك أن يكون الباطل بمعنى التكذيب أو ما ليس بحق؛ وهذا ما ذهب إليه سعيد بن جبير والكلبي. وقال الطبري في تفسيره ج 24 ص 125: «وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: معناه: لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عما هو به...».

(2) وهذا أيضاً وجه من وجوه تأويل الآية إذ جعل المؤلف القول صادراً من المشركين. وهو تأويل ذهب إليه جمع من المفسرين. وقيل: إن القول هنا بمعنى ما يقوله الله للنبي عليه السلام وللأنبياء قبله، أي: ما يوحى إليهم من التوحيد والإيمان. وبناء الفعل للمجهول في الآية يوحي بالمعنيين معاً. انظر تفسير ابن عاشور، ج 24 ص 310.

قوله: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَهُ قُرْءاناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَت ءَايَـتُهُ ﴾ أي: هلا فسِّرت آياته وَبُيِّنَتْ ﴿ ءَآعْجَمِيٌّ وَّعَرَبِيٌّ ﴾ أي: بالعجمية والعربية، على مقرأ من قرأها بغير استفهام. ومن قرأها على الاستفهام يمدها: آعجمي وعربي؟ يقول: أكتاب أعجمي ونبي عربي. أي: يحتجون بذلك. أي: كيف يكون ذلك؟ والمقرأ الأول تفسيره عن الحسن، والمقرأ الأخير تفسيره عن ابن عباس.

قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ هُوَ لِلذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَّشِفَاءٌ ﴾ لما في صدورهم. أي: يشفيهم مما كانوا فيه من الشرك والنفاق(1). والشرك مرض. والنفاق مرض دون مرض الشرك. وهو مثل يَقول: فكما أن المريض ليس كالصحيح، كذلك الذي قلبه على الكفر ليس كالذي قلبه على الإيمان.

قال: ﴿ وَالذِينَ لَا يُومِنُونَ ﴾ أي: لا يصدقون ﴿فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ ﴾ أي: صمم عن الإيمان ﴿ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ أي: يزدادون عمى إلى عماهم ﴿ أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: هم بمنزلة الأصم الذي ينادى من مكان بعيد، فهو لا يسمع النداء، أي: سمع قبول. وقال بعضهم: (يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) من قلوبهم: أي: الإيمان بعيد من قلوبهم(2).

قوله: ﴿ وَلَقَدَ ءاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ﴾ يعني التوراة ﴿ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ﴾ يعني آمن به قوم وكفر به قوم ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي: ألا يحاسب بحساب الآخرة في الدنيا ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: لحاسبهم في الدنيا فأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار. وهذا تفسير الحسن.

وقال الكلبي: (وَلَوْلَا كَلِمَة سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ) لكفار هذه الأمة ألا يهلكهم بالعذاب قبل يوم القيامة، كما أهلك من كان قبلهم من الكفار، لقضي بينهم، أي:

(1) كذا في ق و ع: «من الشرك والنفاق»، وفي ز ورقة 308: «من الشك والشرك».
(2) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 20: «تقول للرجل الذي لا يفهم قولك: أنت تُنادَى من بعيد، وتقول للفَهِم: إنك لتأخذ الشيء من قريب. وجاء في التفسير: كأنما ينادون من السماء فلا يسمعون».

لعذبهم كما عذب الأمم الأولى حين كذّبوا رسلهم. قال: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ أي: من العقاب ﴿ مُرِيبٍ ﴾ أي: من الريبة.

قوله: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ أي: فعلى نفسه. ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾.

قوله: ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ أي: لا يعلم أحد متى قيام الساعة إلا هو. قوله: ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَـٰرَٰتٍ مِّنَ أَكْمَامِهَا ﴾ وهي تقرأ أيضاً من ثمرة من أكمامها. تفسير الحسن قال: هذا في النخل خاصة [حين يُطل][1]. والأكمام كقوله: (وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ) [الرحمن: 11] والأَكْمَامُ: الليف[2]. لا يعلم أحد كيف يخرجه الله.

قال: (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾. كقوله: (اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) [الرعد: 8] أي: ولا يعلم وقت قيام الساعة وما بخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا هو[لا إله إلا هو][3].

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِي ﴾ الذين زعمتم أنهم شركائي ﴿ قَالُوا ءَاذَنَّـٰكَ ﴾ أي: أعلمناك وأسمعناك ﴿ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴾ أي: يشهد اليوم أن معك إلهاً.

قال الله عز وجل: ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: في الدنيا، أي: ضلّت عنهم أوثانهم التي كانوا يعبدون من قبل فلم تنفعهم. كقوله: (وَقِيلَ ادْعُوا

---

(1) زيادة من ز، ورقة 309.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 198: «(مِن أَكْمَامِهَا) أي: أوعيتها، واحدها كُمَّة، وهو ما كانت فيه، وكُمّ وكُمّة واحد، وجمعها أكمام وأكمة». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 20: «قشر الكُفُرّاةِ كِمٌّ». والكُفَرّاة، بالضم وفتح الفاء وضمّها وتشد يد الراء هي وعاء الطلع وقشره الأعلى». وأصل معنى الكم هو وعاء الثمرة مطلقاً. وقال الطبري في تفسيره، ج 25 ص 1: «والأكمام جمع كمة، وهو كل ظرف لماء أو غيره؛ والعرب تدعو قشر الكفراة كِما». وانظر اللسان: (كمم) و (كفر).

(3) زيادة من ز ورقة 309.

شُرَكَاءَكُمْ) أي الذين أشركتموهم بالله (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) [القصص: 64] ﴿ وَظَنُّوا ﴾ [أي: علموا][1] ﴿ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ أي: من ملجأ من النار دون أن يدخلوها.

قوله: ﴿ لَا يَسْأَمُ ﴾ أي: لا يمل ﴿ الإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾. والخير عند المشرك الدنيا والصحة فيها والرخاء. (وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ) أي في ذهاب مال أو مرض لم تكن له حسبة[2] ولم يرج ثواباً وييئس من كل خير، أي: لا يرجو ثواباً في الآخرة، ولا أن يرجع إلى ما كان فيه من الرخاء.

قال الله عز وجل: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ أي: رخاء وعافية ﴿ مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ ﴾ أي شدة ﴿ مَسَّتْهُ ﴾ أي: في ذهاب مال أو مرض ﴿ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِي ﴾ [أي بعلمي][3] وأنا محقوق بهذا. إنما همته الدنيا، فإن أصابته رحمة، أي: رخاء وعافية قال: لا تذهب عني هذه أبداً.

قال: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ أي: ليست بقائمة ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ كما تقولون ﴿ إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ أي: الجنة، إن كانت جنة؛ كقوله تعالى: (وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي) كما يقول الرجل لصاحبه، وهما اللذان في سورة الكهف (لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهُمَا مُنقَلَباً) [الكهف: 36] ولكن ليس ثمة رجعة.

قال الله عزَّ وجل: ﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا ﴾ أي يوم القيامة ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ أي: شديد، يعني جهنم. وقوله: (وَلَنُذِيقَنَّهُم) أي: ولنعذبنهم.

قوله: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ ﴾ أي: عنا ﴿ وَنَئَا بِجَانِبِهِ ﴾ أي:

---

(1) زيادة من ز، ورقة 309.

(2) في ع و ق: خشية، وأثبت ما جاء في ز: حسبة، وهو أصح معنى. أي احتساب الأجر عند الله.

(3) زيادة من ز، ولعل صوابه: «هذا بعملي». بل أكاد أجزم أنه كذلك: «بعملي» كما رواه الطبري في تفسيره ج 25 ص 3، عن مجاهد. وإن جاء اللفظ في تفسير مجاهد ص 527: «بعلمي».

تباعد. وهو مثل قوله: (وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ) أي أعرض (كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ) [يونس: 12]. قال: ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ أي: كثير.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ يعني القرآن ﴿ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: في فراق للنبي عليه السلام وما جاء به، (بَعِيدٍ) إلى يوم القيامة. أي: من يموت على كفره. أي: لا أحد أضل منه. وقال بعضهم: بعيد عن الحق.

قوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِي الأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾. قال بعضهم: يعني أن النبي عليه السلام يظهر على الآفاق وعليهم.

وقال الحسن: يعني ما أهلك الله به الأمم السالفة في الآفاق، أي: في البلدان؛ أي: قد رأوا آثار ذلك[1]. (وَفِي أَنْفُسِهِمْ) أي: أخبرهم بأنهم يموتون وتصيبهم البلايا. فكان ذلك كما قال الله عز وجل، وأظهرهم الله عزّ وجل عليهم، وابتلاهم بما ابتلاهم به، يعني من الجوع بمكة والسيف يوم بدر.

قال: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي: شاهد على كفرهم وأعمالهم، أي: بلَى، كفى به شهيداً عليهم.

قال: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ ﴾ أي: في شك ﴿ مِّنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: يقولون: لا نبعث ولا نلقى الله. ﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ أي: أحاط علمه بكل شيء.

---

(1) يرى المؤلف هنا أن الضمير في قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ) راجع إلى الكفار في زمن الرسول عليه السلام، وهذا ما ذهب إليه الطبري ومفسّرون آخرون. ومن محققي المفسرين من يرجع الضمير إلى العباد وإلى الناس كافة، ويجعل آيات الله في الأكوان والأبدان أعم من أن تنحصر في قوم معينين أو في أزمان معينة. وهذا التأويل أنسب وأليق بعموم النص القرآني إذ يجعله صالحاً لكل زمان ومكان. اقرأ كلاماً ممتعاً مفيداً في هذا المعنى كتبه سيد قطب في ظلال القرآن ج 24 ص 143، وانظر تفسير ابن عاشور، ج 25 ص 18-20.

تفسير سورة حَمٓ عٓسٓقٓ، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ حَمٓ عٓسٓقٓ ﴾ كان بعضهم يقول في هذه الحروف وأشباهها: ذكر الحروف من الاسم من أسماء الله، ثم ذكر الحروف من الاسم في موضع آخر، ثم ذكر تمام ذلك الاسم من حرف آخر حتى صار اسماً، مثل قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (الٓرٓ)، وَ(حَمٓ)، وَ(نٓ): الرحمٰن.

وقال بعضهم: ذكر الحروف من الاسم فجعله اسماً، كقوله: (كٓهيعٓصٓ): كاف، هاد، عالم، صادق. وقوله: (يٓسٓ): يا إنسان، والسين حرف من اسم الإنسان.

وكان الحسن يقول في أشباه ذلك: ما أدري ما تفسيره، غير أن قوماً من السلف كانوا يقولون: أسماء السور ومفاتيحها.

قال: ﴿ كَذٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ أي: هكذا يوحي إليك كما أوحى إلى الذين من قبلك من الأنبياء؛ كقوله: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ) [النساء: 163] ﴿ اللهُ الْعَزِيزُ ﴾ في نفسه، ﴿ الحَكِيمُ ﴾ في أمره.

قوله: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ ﴾ أي: فلا أعلى منه ﴿ العَظِيمُ ﴾ فلا أعظم منه.

قوله: ﴿ تَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ أي: يتشقّقن، وهي تقرأ أيضاً: ينفطرن، أي: ينشققن ﴿ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾ أي: من مخافة من فوقهن، وهو الله تبارك وتعالى. وبلغنا أن ابن عباس كان يقرأها: يكاد السماوات ينفطرن مِمَّن فوقهن.

قال: ﴿ وَالْمَلَٰئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: من المؤمنين؛ كقوله في حمّ المؤمن: (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلذِينَ ءَامَنُوا) [غافر: 7] ﴿ أَلَا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.

قوله: ﴿ وَالذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ [يعني آلهة][1] يتولونهم، أي: يعبدونهم من دون الله، ﴿ اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: يحفظ عليهم أعمالهم حتى يجازيهم بها، فيدخلهم النار. ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ أي: بحفيظ تحاسبهم وتجازيهم بأعمالهم. أي: الله هو الذي يفعل ذلك بهم، إنما أنت منذر.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ ﴾ أي: مكة، ومنها دحيت الأرض ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ يعني الآفاق كلها. ﴿ وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ ﴾ أي: يوم القيامة[2]. يجتمع فيه الخلائق، أهل السماوات وأهل الأرض ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي: لا شك فيه أنه آت. ﴿ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ أي: في النار.

قوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَّاحِدَةً ﴾ أي: على الإيمان. كقوله: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً) [يونس: 99]. قال: ﴿ وَلَكِن يُّدْخِلُ مَن يَّشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ أي: في دينه الإسلام. ﴿ وَالظَّٰلِمُونَ ﴾ أي: المشركون ﴿ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ ﴾ أي: يمنعهم من عذاب الله ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ أي: ينتصر لهم.

قوله: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ يعني أوثانهم، على الاستفهام. يقول: قد اتخذوا من دونه آلهة فعبدوهم من دونه. ﴿ فَاللهُ هُوَ الوَلِيُّ ﴾ دون الأوثان ﴿ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ وأوثانهم لا تحيي الموتى ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، وأوثانهم لا تقدر على شيء.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 309.

(2) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 22: «وأم القرى: مكة، ومن حولها من العرب. (وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ) معناه: وتنذرهم يوم الجمع، ومثله قوله: (إِنَّما ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) [آل عمران: 175] معناه: يخوّفكم أولياءه».

قوله: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ﴾ يعني ما اختلفتم فيه من الكفر والإيمان، فحكمه إلى الله، أي: فهو يحكم بينهم فيه، يعني المؤمنين والمشركين، فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل المشركين النار[1]. ﴿ ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبِّي ﴾ يقوله النبي عليه السلام، أي: قل لهم: ذلكم الله ربي، أي: الذي الحكم إليه. ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ أي: إليه أرجع.

﴿ فَاطِرُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجاً﴾ يعني النساء، أي: تتوالدون فيكثر عددكم ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجاً ﴾ ذكوراً وإناثاً في تفسير الحسن؛ أي: جعل معايشكم فيها. وقال الكلبي: (وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً) أي: من الضأن اثنين ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، الواحد منها زوج. ﴿ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴾ أي: يخلقكم فيه نسلاً بعد نسل من الناس والأنعام. ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[2] وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ أي: فلا أسمع منه ﴿ الْبَصِيرُ ﴾ فلا أبصر منه.

﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: مفاتيح السماوات والأرض في تفسير مجاهد وغيره. وقال مجاهد: هي بالفارسية. وقال الحسن: المفاتيح والخزائن. وقال الكلبي: الخزائن؛ ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: ويقتر، نظراً منه للمؤمن، فيقتر عليه الرزق. ﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم ﴾ أي: فرض لكم، في تفسير الحسن. وقال بعضهم اختار لكم. ﴿ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً ﴾ أي: ما أمر به نوحاً ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا

(1) قصر المؤلف الاختلاف في الآية على الاختلاف بين الكفر والإيمان، ويبدو أنه أعمّ من ذلك وأشمل، وأنه يتناول كل أنواع الاختلاف. فالنكرة (شَيْءٍ)، وقد جاءت بعد (مِنْ) المبيّنة لما أبهمته (ما) من أقوى ألفاظ العموم. فتأمل!

(2) قال ابن أبي زمنين في ز، ورقة 310: «هذه الكاف مؤكدة، المعنى: ليس مثله شيء». وقال ابن عاشور في تفسيره ج 25 ص 46: «أقحمت كاف التشبيه على (مِثْلِ) وهي بمعناه لأن معنى المِثل هو النسبية، فتعين أن الكاف مفيدة تأكيداً لمعنى المثل، وهو من التأكيد اللفظي باللفظ المرادف من غير جنسه. . .».

وَصَّيْنَا به ﴾ أي: ما أمرنا به ﴿ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل. ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ أي: الإسلام ﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ وهذا ما فرض الله على جميع أنبيائه، وبعث به رسله إلى خلقه. وهو كقوله: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) الأنعام: 153] إلى آخر الآية. وقال في آية أخرى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: 25]. وقال في آيـة أخرى: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [آل عمران: 85].

قوله: ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ من عبادة الله وترك عبادة الأوثان. ﴿ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [أي: يختار لنفسه][1] يعني الأنبياء. قال مجاهد: يستخلص لنفسه من يشاء. والاستخلاص والاختيار والاصطفاء واحد. قال الحسن: هو كقوله: (اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ) [الحج: 75] وقال بعضهم: يجتبي إليه، أي: إلى دينه من يشاء. ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ أي: من يُخلص له.

قوله: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا ﴾ يعني أهل الكتاب ﴿ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾ [أي: حسداً فيما بينهم][2]؛ أرادوا الدنيا ورخاءها فغيّروا كتابهم فأحلّوا فيه ما شاءوا وحرّموا ما شاءوا، فترأّسوا على الناس يستأكلونهم، فاتبعوهم على ذلك؛ كقوله: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللهِ) [التوبة: 13] أي: يُحِلون لهم ما حرّم الله عليهم فيستحلّونه، ويُحرِّمون ما أحلّ الله لهم فيُحرّمونه.

قوله: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: إلى القيامة ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾. وقد فسّرناه في الآية الأولى قبلها[3]. قال: ﴿ وَإِنَّ الذِينَ أُورِثُوا الْكِتَٰبَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ يعني اليهود والنصارى من بعد أوائلهم ﴿ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ أي من القرآن ﴿ مُرِيبٍ ﴾ أي: من الريبة. وقال الكلبي: يعني مشركي العرب.

(1) و (2) زيادة من ز، ورقة 310.
(3) انظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص 87.

قوله: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ﴾ أي: إلى الله ﴿ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ أي: على الإسلام ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ أي: الشرك ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ﴾ أي: لا أظلم منكم أحداً﴿ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي: لا خصومة بيننا وبينكم، أي: في الدنيا ﴿ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ أي: المرجع. أي: نجتمع عنده فيجزينا ويجزيكم بها الثواب والعقاب.

قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ ﴾ يعني المشركين يحاجون المؤمنين في الله، أي: في عبادتهم الأوثان[1]. ﴿ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ ﴾ يعني من بعد ما استجاب له المؤمنون ﴿ حُجَّتُهُمْ ﴾ أي خصومتهم ﴿ دَاحِضَةٌ ﴾ أي ذاهبة باطلة ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾. وقال مجاهد: هم المشركون، طمعوا أن تعود الجاهلية. قال: ﴿ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ أي: في الآخرة.

قوله: ﴿ اللهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَٰبَ ﴾ أي: القرآن ﴿ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ أي: العدل ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[2].

قال: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾ أي: استهزاءً وتكذيباً لا يقرّون بها ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾ أي: خائفون ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾ أي: كائنة ﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ ﴾ أي: يكذبون بها. كقوله: (وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا

---

(1) ما ذهب إليه الشيخ ابن عاشور في معنى محاجة المشركين المؤمنين أحسن تأويلاً. قال في تفسيره، ج 25 ص 65: «يحاجون في شأن الله، وهو التوحيد... فمعنى محاجتهم في الله محاجتهم في دين الله. أي: إدخالهم على الناس الشك في صحة دين الإسلام، أو في كونه أفضل من اليهودية والنصرانية، ومحاجتهم هي ما يلبسوه (كذا) به على المسلمين لإدخال الشك عليهم في اتّباع الإسلام...».

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 199: «لم يجىء مجازها على صفة التأنيث فيقول: إن الساعة قريبة. والعرب إذا وصفوها بعينها كذلك يصنعون، وإذا أرادوا ظرفاً لها أو أرادوا بها الظرف جعلوها بغير الهاء، وجعلوا لفظها لفظاً واحداً في الواحد والاثنين والجميع من الذكر والأنثى. تقول هما قريب وهي قريب».

فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ) [القمر: 36] أي: كذّبوا الأنبياء. قال: ﴿ لَفِي ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: من الحق.

قال: ﴿ اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾ فبلطفه ورحمته خلق الكافر، ورُزق وعُوفِيَ وأقبل وأدبر. قال: ﴿ يَرْزُقُ مَن يَّشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ ﴾ أي: فلا أقوى منه ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ فلا أعزّ منه.

قوله: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الأَخِرَةِ ﴾ يعني العمل الصالح يرجو به ثواب الآخرة ﴿ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ وهو تضعيف الحسنات، في تفسير الحسن. ﴿ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ أي: من الدنيا. وليس كل ما أراد من الدنيا يُؤتى، كقوله: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ) [الإسراء: 18] [قال: ﴿ وَمَا لَهُ فِي الأَخِرَةِ ﴾ يعني في الجنة ﴿ مِن نَّصِيبٍ ﴾ وهو المشرك، لا يريد إلا الدنيا، لا يريد الآخرة][1].

ذكروا أن علياً قال: حرث الآخرة الأعمال الصالحات، وحرث الدنيا المال؛ وقد يجمعهما الله لمن يشاء من خلقه.

ذكروا أن عبد الله بن مسعود قال: [قال رسول الله ﷺ][2] إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم معايشكم، وإن الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، فإذا أحبه أعطاه الإيمان. فمن اشتد عليه الليل أن يكابده، وجبن عن العدو أن يجاهده، وضن بالمال أن ينفقه فليكثر من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

قوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأذَنْ بِهِ اللهُ ﴾ على الاستفهام، أي: نعم، لهم شركاء، يعني الشياطين، جعلوهم شركاء لله، فعبدوهم، لأنهم دعوهم إلى عبادة الأوثان. قال الله: (إِن يَّدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّآ إِنَاثًا) أي: إلا أمواتاً

(1) ما بين المعقوفين ساقط كله من ق وع، فأثبته من ز، ورقة 310.

(2) ورد هذا الحديث موقوفاً في ق وع، والصواب رفعه، فقد رواه أحمد في المسند، وروى الحاكم بعضه بمعناه وصححه، وانظر البغوي، شرح السنة، ج 8 ص 10.

ليس فيهم روح، (وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شيطاناً مَّرِيداً) [النساء: 117].

قوله: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الفَصْلِ ﴾ أي: ألا يعذّب بعذاب الآخرة في الدنيا ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ في الدنيا، فأدخل المؤمنين الجنة، وأدخل المشركين النار. قال: ﴿ وَإِنَّ الظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع.

قوله: ﴿ تَرَى الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين ﴿ مُشْفِقِينَ ﴾ أي: خائفين ﴿ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ أي: مما عملوا في الدنيا إذ أخرجته كتبهم ﴿ وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ أي: الذي خافوا منه من عذاب الله. ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوضَاتِ الجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: في الجنة ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الكَبِيرُ ﴾ قال: ﴿ ذَلِكَ الذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ يبشرهم في الدنيا بروضات الجنات، لهم ما يشاءون فيها، أي: في الجنة.

قوله: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾. ذكروا عن عكرمة قال: كان النبي عليه السلام واسطاً في قريش؛ ليس من بطون قريش بطن إلا وقد ولده؛ فقال: (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) أي: إلا أن تراعوا ما بيني وبينكم من القرابة [فتصدقوني][(2)].

وقال الحسن: (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) أي: إلا أن يتقرّبوا إلى الله بالعمل الصالح، وهو كقوله: (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنَ اجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَّتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً) [الفرقان: 57] أي: بطاعته.

(1) أورد الفراء في المعاني ج 3 ص 22 سبباً لنزول الآية فقال: «ذكر أن الأنصار جمعت للنبي ﷺ نفقة يستعين بها على ما ينوبه في أصحابه، فأتوا بها النبي ﷺ، فقالوا: إن الله عز وجل قد هدانا بك، وأنت ابن أختنا، فاستعن بهذه النفقة على ما ينوبك، فلم يقبلها، وأنزل الله في ذلك: قل لهم: لا أسألكم على الرسالة أجراً إلا المودة في قرابتي بكم. وقال ابن عباس: (لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدة في القُرْبَى) في قرابتي من قريش». وقد روى الواحدي في أسباب النزول، ص 395 هذا الخبر بتفصيل أكثر عن ابن عباس.

(2) زيادة من تفسير القرطبي ج 16 ص 21، حيث ورد القول منسوباً إلى ابن عباس وعكرمة ومجاهد.

قوله: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ﴾ أي: ومن يعمل ﴿حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾ أي: تضعيف الحسنات ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ أي: للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ أي: للعمل.

قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ يعني المشركين ﴿افْتَرَىٰ﴾ أي: محمد ﴿عَلَى اللهِ كَذِباً﴾ بما جاء، أي: قد قالوه ﴿فَإِن يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ فيذهب عنك النبوة التي أعطاكها، وهذا موضع القدرة، ولا تنزع منه النبوّة، كقوله: (لَوْ أَرَادَ اللهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ) [الزمر: 4].

قوله: ﴿وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ﴾ قال الحسن: فلا يجعل لأهله في عاقبته خيراً ولا ثواباً[1]، يعني ما عليه المشركون. ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِ﴾ فينصر النبي والمؤمنين. قال: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما في الصدور.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ أي: إذا تابوا ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فمن قرأها بالتاء فهو يقول للنبي عليه السلام: ويعلم ما تفعلون، ومن قرأها بالياء فهو يقول للناس: ويعلم ما يفعلون.

ذكروا عن بعضهم قال: التائب من الذنب كمن لا ذنب له. ثم تلا هذه الآية: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ) [البقرة: 222]. فإذا أحب الله عبداً لم يضرّه ذنبه.

قوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ أي: يستجيبون لربهم، أي: يؤمنون به، كقوله: (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ) أي: المشركون لا يستجيبون له (وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوَ انَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ)... إلى آخر الآية [الرعد: 18]. قال: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّنْ فَضْلِهِ﴾ يعني المؤمنين، أي: تضعيف الحسنات. ﴿وَالْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: جهنم.

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 23: «وقوله: (وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ) ليس بمردود على (يختم) فيكون مجزوماً، هو مستأنف في موضع رفع، وإن لم تكن فيه واو في الكتاب. ومثله مما حذفت فيه الواو وهو في موضع رفع قوله: (وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ) [الإسراء: 11]، وقوله: (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) [العلق: 18].

قوله: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾. ذكروا أن علياً رضي الله عنه قال: إن هذا الرزق ينزل من السماء كقطر المطر إلى كل نفس بما كتب الله لها.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إني لا أعلم شيئاً يقرّبكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به، ولا أعلم شيئاً يباعدكم من الجنة ويقرّبكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه. إن الروح الأمين نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يمنعنّكم استبطاءُ شيء من الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، فإن الله لا يُنال ما عنده بمعصيته[1].

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: إن هذا الرزق مقسوم فأجملوا في الطلب[2].

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾ أي: المطر ﴿ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ أي: من بعد ما يئسوا ﴿ وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾ أي: المطر ﴿ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ أي: المستحمد إلى خلقه، أي استوجب عليهم أن يحمدوه.

قال: ﴿ وَمِن ءَايَـٰتِهِ خَلْقُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ أي: وما خلق[3] فيهما، أي: في السماوات والأرض[4]. وتفسير مجاهد: أي: من الملائكة

(1) أخرجه ابن ماجه مختصراً من رواية جابر بن عبد الله في كتاب التجارة، باب الاقتصاد في طلب المعيشة (رقم 2144)، ورواه البغوي في شرح السنة، ج 14 ص 303-304 عن عبد الله بن مسعود من طرق مختلفة، وقد صحح ابن حبان هذا الحديث. وأغلب روايات الحديث مبدوءة بقوله عليه السلام: أيها الناس.

(2) رواه ابن ماجه في الباب بلفظ: «أجملوا في الطلب فإن كلّا ميسر لما خلق له» من حديث أبي حميد الساعدي.

(3) كذا في ق و ع: «وما خلق»، ويبدو أن صوابه «وما فرق»، وبهذا اللفظ ورد في تفسير الطبري، ج 25 ص 31.

(4) هذا وجه من التأويل صحيح، يؤيده قول مجاهد. وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 24: «أراد: وما بث في الأرض دون السماء، بذلك جاء في التفسير؛ ومثله مما ثنى ومعناه واحد قوله: =

والناس. قال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ يعني أنه يجمعهم يوم القيامة.

قوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: فبما عملتم[1] ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ وهو مثل قوله: (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا) [الحديد: 22] أي: من قبل أن نخلق تلك المصيبة.

في تفسير الحسن: إن الله كتب عنده كتاباً: إن ذنب كذا عقوبته كذا، فيعفو الله عن أكثر ذلك، ويعاقب من ذلك ما يشاء.

ذكروا عن علي بن أبي طالب قال: سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً حق على المسلمين أن يعوه، سمعته يقول: ما عاقب الله عليه في الدنيا ثم عفا عن صاحبه بعد التوبة فالله أحلم من أن يثني عقوبته في الآخرة، وما عفا عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يرجع في عفوه[2].

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه رأى بوجه رجل خدشاً فقال: ما هذا؟ قال يا رسول الله، كنت في طريق، فرأيت امرأة فجعلت انظر إليها حتى صدمت بوجهي الحائط ولم أشعر. فقال رسول الله ﷺ: إن أراد الله بعبد خيراً عجّل عقوبة ذنبه في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد شراً أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه يوم القيامة[3].

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تزال البلايا للمؤمن في جسده وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة[4].

= (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ) [الرحمٰن: 22] وإنما يخرج من الملح دون العذب».

(1) كذا في ع وق: «فبما عملتم»، وفي ز: «فبما عملت أيديكم».

(2) حديث صحيح أخرجه ابن أبي حاتم مرفوعاً وموقوفاً، ورواه أحمد والترمذي والحاكم عن علي ابن أبي طالب بلفظ أطول مما هو هنا.

(3) حديث صحيح، أخرجه أحمد والترمذي والحاكم عن عبد الله بن مغفل الأنصاري. وأخرجه الترمذي والحاكم أيضاً عن أنس بن مالك، وانظر ابن حمزة الحسيني الدمشقي، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث، ج 1 ص 123-124.

(4) حديث حسن صحيح، أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، كلاهما يرويه من حديث أبي هريرة.

قوله: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ﴾ يقوله للمشركين، أي: وما أنتم بالذين يسبقوننا حتى لا نبعثكم ثم نعذبكم ﴿وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللهِ مِن وَّلِيٍّ﴾ أي: يمنعكم من عذابه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: ينتصر لكم.

قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ الْجَوَارِ﴾ أي: السفن، كقوله: (وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ) [الحج: 65] قال: ﴿فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ﴾ أي: كالجبال، وهي كقوله: (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَئَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ) [الرحمن: 24]، وهي السفن إذا كان عليها قلوعها.

قوله: ﴿إِن يَّشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ﴾ يعني السفن ﴿رَوَاكِدَ﴾ أي: سواكن ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾ أي: على ظهر البحر. قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: لكل مؤمن.

قال: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ أي: يغرقهن[1]، يعني السفن، أي يغرق أهلها ﴿بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾.

قال: ﴿وَيَعْلَمُ الذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِي ءَايَـٰتِنَا﴾ يعني المشركين يجحدون بها ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ أي: من ملجأ يلجأون إليه من عذاب الله.

قوله: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّنْ شَيْءٍ﴾ يعني المشركين ﴿فَمَتَـٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ أي: ينفد ويذهب ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ﴾ في الآخرة، يعني الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ أي: يبقى، وما في الدنيا يذهب ﴿لِلذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

قوله: ﴿وَالذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰئِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ أي: ويجتنبون الفواحش، وقد فسّرنا ذلك في سورة النساء[2]. قال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾.

كان هذا بمكة قبل الهجرة يغفرون للمشركين، كقوله: (قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا

(1) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 393: «(أَوْ يُوبِقْهُنَّ): يُهلكهن يقال: فلان قد أوبقته ذنوبه، وأراد أهل السفن».

(2) انظر ما سلف، ج 1 ص373 - 374.

لِلذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) [الجاثية: 14]، وهو منسوخ، نسخه القتال، فصار ذلك العفو فيما بين المؤمنين.

قوله: ﴿وَالذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: آمنوا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ﴾ كانت الصلاة يوم نزلت هذه الآية ركعتين غدوة وركعتين عشية قبل أن تفرض الصلوات الخمس.

قوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ تفسير الحسن: يتشاورون في كتاب الله. وقال بعضهم: (وَأَمْرُهُمْ) يعني التوحيد[1]، (شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي: الزكاة، ولم تكن يومئذ شيئاً موقتاً.

قوله: ﴿وَالذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ أي: بغى عليهم المشركون، أي: ظلموهم ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ أي: بألسنتهم؛ أي إنهم لم يكونوا أمِروا بالقتال يومئذ. وقال بعضهم: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم.

قال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ أي: ما يسيء إليهم المشركون، أن يفعلوا بهم كما يفعلون بهم[2]. قال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ أي: فمن ترك مَظْلِمته، ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ أي: فثوابه على الله. ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: المشركين. قال: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ أي: من بعد ما ظُلِم ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّنْ سَبِيلٍ﴾. تفسير الحسن: ما عليهم من حجة.

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: بكفرهم وتكذيبهم، يعيبهم بذلك. ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موجع ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

(1) كذا في ق و ع: «يعني التوحيد» ولم أر لهذا التأويل معنى ولا وجهاً، ولم أجد من بين المفسرين من فسّر الأمر هنا بالتوحيد، فالشورى إنما تكون بين المسلمين في الأمور العامة من شؤون المسلمين كالحروب والخلافة، مثل موقف عمر حين حضرته الوفاة فجعل الأمر بعده شورى في نفر من الصحابة. وهذه الآية أصل من أصول ما يسمى الآن بالتشريع الدستوري في الإسلام.
(2) في ق: «أن يفعلوا بهم مثل ذلك»، وأثبت ما جاء في ز، ورقة 312 فهو أوضح تعبيراً.

وهذا كله منسوخ فيما بينهم وبين المشركين، نسخه القتال وصار العفو فيما بين المؤمنين. أمرنا بالعفو فقال: (وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) [آل عمران: 134]، وقال: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا) [النور: 22].

ذكروا عن أبي الأحوص عن أبيه قال: قلت يا رسول الله، إن لي جاراً يسيء مجاورتي، أفأفعل به كما يفعل بي. قال: لا، إن اليد العليا خير من اليد السفلى[1].

قوله: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِن بَعْدِهِ ﴾ أي: من بعد الله، أي: من ولي يمنعه من عذاب الله.

قوله: ﴿ وَترَى الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين ﴿ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَل إِلَىٰ مَرَدٍّ ﴾ أي: إلى الدنيا ﴿ مِّنْ سَبِيلٍ ﴾ أي: فنؤمن. تفسير الحسن: إنهم يقولون ذلك وهم في النار. قال: ﴿ وَتَـرٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ أي: على النار ﴿ خَـٰشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ ﴾ أي: أذلاء ﴿ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ أي يسارقون النظر.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَـٰسِرِينَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ خسروا أنفسهم أن يغنموها فصاروا في النار، وخسروا أهليهم، أي: من الحور العين. وقد فسّرناه في سورة الزمر[2]. قال: ﴿ أَلَا إِنَّ الظَّـٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ أي: دائم لا ينقطع.

قال: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنَ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ ﴾ أي: يمنعونهم ﴿ مِّنْ دُونِ اللهِ ﴾ أي: من عذابه. قال: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ أي: إلى الهدى.

قوله: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ ﴾ أي آمنوا بربكم ﴿ مِّنْ قَبْلِ أَن يَّأتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ ﴾ يعني يوم القيامة، أي لا يرده أحد من بعد ما حكم الله به[3] وجعله أجلاً ووقتاً. ﴿ مَا لَكُمْ مِّن مَّلْجَإٍ يَّوْمَئِذٍ ﴾ أي تلجأون إليه؛ يقوله للمشركين، أي: يمنعكم

(1) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 82 - 83 تعليق: 1

(2) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 35.

(3) هذا هو الصواب كما جاء في ز، وفي ق و ع: «من بعدما جاءكم الله به». وفيه تصحيف.

من عذاب الله ﴿ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّكِيرٍ ﴾ [أي: من نصير][1] قال الحسن: ليست لهم منعة، وقال مجاهد: نصرة.

قال: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾ أي: لم يؤمنوا ﴿ فَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ﴾ أي تحفظ عليهم أعمالهم حتى تجازيهم بها. ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَـٰغُ ﴾ وليس عليك أن تكرههم على الإيمان، كقوله: (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُومِنِينَ) [يونس: 99]. وقد أمر بقتالهم بعد، ولكن لم يكن عليه إلا القتال، والله يهدي من يشاء.

قوله: ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَـٰنَ ﴾ يعني المشرك ﴿ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ وهذه رحمة الدنيا، أي: ما فيها من الرخاء والعافية ﴿ فَرِحَ بِهَا ﴾ لأنه لا يهمه إلا الدنيا ولا يقر بالآخرة، كقوله: (وَفَرِحُوا بِالحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) [الرعد: 26].

﴿ وَإِنْ تُصِبْهُـمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي: شدة من ذهاب مال أو مرض ﴿ بِمَا قَدَّمَت أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ يعني المشرك. أي: ليس له صبر على المعصية ولا حسبة، لأنه لا يرجو ثواب الله في الآخرة ولا يؤمن بها.

قوله: ﴿ لِلهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ ما يَشَاءَ يَهَبُ لِمَن يَّشَاءُ إِنَـٰثاً﴾ يعني الجواري ﴿ وَيَهَبُ لِمَن يَّشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ أي: الغلمان.

ذكروا عن ابن عباس قال: وهب للوط بنات ليس فيهن ذكر، ووهب لإبراهيم ذكوراً ليس معهم بنات، ووهب لنبيكم ﷺ أربعة بنين: القاسم، وإبراهيم، وطاهراً، ومطهراً[2]، وأربع بنات[3]. ويجعل من يشاء عقيماً، يعني يحيـى بن زكريا، لا يشتهي النساء ولا يريدهن.

(1) زيادة من ز، ورقة 312، وفي تفسير مجاهد ص 577: «من ناصر ينصر لكم».
(2) كذا في ق و ع، وقيل إن طاهراً ومطهراً لقبان لابنه عبد الله الذي ولد في الإسلام، وأن الابن الآخر هو الطيّب، انظر ابن الجوزي، الوفا بأحوال المصطفى ص 656، وابن قتيبة، المعارف ص 141.
(3) هن زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وكل أولاده عليه السلام من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية.

قوله: ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً ﴾ [أي: يخلط بينهم][1] يعني من يشاء، فيهب له ذكراناً، أي غلماناً، وإناثاً، أي: جواري ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً ﴾ أي: لا يولد له ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [فكان موسى ممن كلمه الله من وراء حجاب][1].

ذكر جماعة من العلماء أن الحجاب بيّن، والوحي منه وحي بإرسال ووحي بإلهام؛ وذلك قول الله: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ) [القصص: 7] فهذا وحي إلهام، وكذلك: (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) [النحل: 68] أي: ألهم ربك النحل. والوحي بإرسال: الذي أوحى الله تبارك وتعالى إلى أنبيائه مع الروح الأمين؛ فربما ظهر للرسول جبريل، وربما جاء بالوحي يُسمعه إياه ولا يراه. وهو قوله: إلا وحياً إلهاماً، أو من وراء حجاب. جبريل احتجب عن محمد عليه السلام غير مرة، فربما ظهر له وربما ناداه فلم يره محمد فهو قوله: (أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ).

حدثنا أبو داود عن عطاء بن السايب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب أنه مرّ بالقصابين فسمع أحدهم يقول: والذي احتجب عن خلقه بسبع طبقات، فعلاه بالدرة وقال له: تب، إن الله أقرب إليه من حبل الوريد. قال القصّاب، أفلا أكفّر بشيء؟ قال: لا، لأنك حلفت بغير الله.

وحدثنا أبو عبد الرحمن البصري عن يوسف أبي الفضل عن إسحاق الهمداني عن الحارث، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنحو ذلك إلا أنه قال: أخطأت، ثكلتك أمك، إن رب العالمين ليس بينه وبين خلقه حجاب، لأنه معهم أين ما كانوا. فقال: ما كفارة ما قلت؟ قال: أن تعلم أنه معك أين ما كنت؛ فالمتكلم الله على لسان جبريل، والمحتجب جبريل.

(1) زيادة من ز، ورقة 312. وقال ابن أبي زمنين: «المعنى: يجعل بعضهم ذكوراً وبعضهم إناثاً. تقول العرب: زوجت إبلي إذا قرنت بعضه إلى بعض، وزوجت الصغار بالكبار إذا قرنت كبيراً بصغير، وهو الذي أراد مجاهد».

وقوله: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ تكرير في القول سبحانه. كقوله: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الحج: 77] وفعل الخير عبادته، وكرّر الكلام عز وجل.

قال: ﴿ فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ يعني جبريل، يرسله إلى من يشاء من رسله، فيوحي إليهم معه ما يشاء. ﴿ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنَ اَمْرِنَا ﴾ يعني القرآن ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي ﴾ من قبل أن يوحى إليك ﴿ مَا الْكِتَـٰبُ وَلاَ الإِيمَـٰنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَـٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿ نُوراً ﴾ [أي: ضياء من الظلمة][1] ﴿ نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي ﴾ أي: لتدعو ﴿ إِلَىٰ صِـرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي إلى الجنة.

﴿ صِـرَٰطِ اللهِ ﴾ أي طريق الله ﴿ الذِي لَهُ مَا فِي السَّمَٰوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴾ [يعني أمور الخلائق] أي يوم القيامة.

(1) زيادة من ز، ورقة 312.

تفسير سورة الزخرف، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ حٰمٓ ﴾ قد فسّرناه فيما مضى من الحواميم. ﴿ وَالكِتَـٰبِ المُبِينِ ﴾ أي القرآن البيّن، [وهذا قسم][1]. ﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ ﴾ يعني القرآن ﴿قُرْءاناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: لكي تعقلوا.

﴿ وَإِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ فِي أُمِّ الْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا ﴾ أي: عندنا ﴿ لَعَلِيٌّ ﴾ أي: رفيع ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أي: محكم.

وقوله: ﴿جَعَلْنَـٰهُ﴾ أي: خلقناه، كقوله: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً) [الأنبياء: 32]، وقوله: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ) [الإسراء: 12]، وقوله: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) [الأنبياء: 30] ونظيره في كتاب الله كثير.

وأمّ الكتاب اللوح المحفوظ. وتفسير أم الكتاب جملة الكتاب وأصله.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب، قال: رب وما أكتب؟ قال: ما هو كائن. فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة. قال: فأعمال العبد تعرض كل يوم الاثنين والخميس، فيجدونها على ما هي في الكتاب.

قوله: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ ﴾ أي القرآن ﴿ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ ﴾ فيها إضمار، أي حتى لا تفهموه ولا تفقهوه، أي: فقد فعلنا ذلك. أن كنتم قوماً مسرفين، أي مشركين. وهذا تفسير الحسن.

(1) زيادة من ز ورقة 312.

وقال الكلبي: (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفحاً) الذكر يعني القرآن (عَنْكُمْ) أي: من أجلكم (أَنْ كُنْتُمْ) أي: لأنكم[1] قوم مسرفون. أي: مشركون. أي: لا نذره[2].

قوله: ﴿ وَكَمَ ارْسَلْنَا مِن نَّبِي فِي الأَوَّلِينَ ﴾ أي: وكم أرسلنا منهم من الأنبياء. ذكروا عن أبي قلابة قال: قيل: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر، جم غفير[3]. قال: ﴿ وَمَا يَأتِيهِم مِّن نَّبِي إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ كقوله: (يَا حَسْرَةً عَلَى العِبَادِ مَا يَأتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) [يٓس: 30].

قال: ﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً ﴾ أي: أشد من مشركي العرب قوة. يعني من أهلك من الأمم السالفة؛ كقوله: (كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) [الروم: 9] ﴿ وَمَضَىٰ مَثَلُ الأَوَّلِينَ ﴾ يعني وقائعه في الأمم السالفة بتكذيبهم رسلهم.

قوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم ﴾ يعني المشركين ﴿ مَّنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ ثم قال: ﴿ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مِهَاداً ﴾ كقوله: (الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً) [البقرة: 22] ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً ﴾ أي: طرقاً ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي: لكي تهتدوا الطرق.

﴿ وَالذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ﴾ ذكروا عن ابن عباس قال: ما عام بأكثر من عام ماء، أو قال: مطراً، ولكن الله يصرفه في الأرض حيث يشاء؛ ثم تلا هذه الآية: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا) [الفرقان: 50] قال: ﴿ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً ﴾ يعني

---

(1) وهذا على قراءة من قرأ «أنكم» بفتح الهمزة، وهي قراءة عاصم والحسن، على العلة مفعولاً لأجله، وقرأ نافع وآخرون بالكسر، على الشرط. وانظر ابن خالويه: الحجة ص 293-294.

(2) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 28: «والعرب تقول: قد أضربت عنك وضربت عنك إذا أردت به: تركتك وأعرضت عنك». وقال ابن عاشور في تفسيره ج 25 ص 163: «والاستفهام إنكاري؛ أي لا يجوز أن نضرب عنكم الذكر صفحاً من جراء إسرافكم... لا نترك تذكيركم بسبب كونكم مسرفين بل لا نزال نعيد التذكير رحمة بكم».

(3) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي أمامة بإسناد ضعيف، وانظر ما سلف من هذا التفسير ج 1 ص 238.

فأحيينا به بلدة ﴿مَّيْتاً﴾ يعني الميتة اليابسة التي ليس فيها نبات. ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ يعني البعث. يرسل الله مطراً منياً كمني الرجال فتنبت جسمانهم ولحمانهم كما ينبت الأرض الثرى.

قال: ﴿وَالذِي خَلَقَ الأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ تفسير الحسن: الشتاء والصيف، والليل والنهار، والسماء والأرض، وكل اثنين منها زوج. قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم﴾ أي: وخلق لكم ﴿مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ أي: ظهور ما سخر لكم أن تركبوه ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ الذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ أي: مطيقين[1]. ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾.

ذكروا عن الحسن أنه كان يقول: الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعلّمنا القرآن، ومنّ علينا بمحمّد عليه السلام، ويقول: (سُبْحَانَ الذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) لولا أن الله سخّره لنا.

ذكروا عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا سافر ركب راحلته فكبر ثلاثاً ثم قال: (سُبْحَانَ الذِي سَخَّرَ لَنَا هذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) اللَّهمَّ إني أسألك في سفري هذا البرّ والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم اصحبنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا. اللهم هوّن علينا السفر، واطْوِ لنا بُعْدَ الأرض. اللهم أنت الصاحب في السفر والحضر، والخليفة في الأهل[2].

ذكروا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول أحياناً إذا قرب راحلته ليركب، وأحياناً إذا ركب راحلته: بسم الله، اللهم ازو لنا الأرض وهوّن علينا السفر. اللهم

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 202: «(وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) ضابطين، يقال: فلان مقرن لفلان أي: ضابط له مطيق».

(2) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره عن ابن عمر (رقم 1342) وجاء في آخر الحديث: «وإذا رجع قالهن، وزاد فيهن: آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون». وقد روى هذا الحديث أحمد وأبو داود والنسائي، ولم أجده فيما بين يدي من المصادر من رواية أبي هريرة، ولعل هذا مما انفرد بروايته ابن سلام من هذه الطريق.

أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل. اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والولد والمال.

وقال بعضهم: قد بيّن الله لكم ما تقولون إذا ركبتم في البرّ، وما تقولون إذا ركبتم في البحر. إذا ركبتم في البرّ قلتم: (سُبْحَانَ الذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ)، وإذا ركبتم في البحر قلتم: (بِسْمِ اللهِ مُجْرَيٰهَا وَمُرْسَيٰهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) [هود: 41].

قوله: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ ﴾ يعني المشركين ﴿ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً ﴾ يعني الملائكة جعلوهم بنات الله. قال: ﴿ إِنَّ الإِنْسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾.

قال: ﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾ على الاستفهام ﴿ وَأَصْفَيٰكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾ أي: لم يفعل ذلك.

قال: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلاً ﴾ أي: بالأنثى، لقولهم إن الملائكة بنات الله، وكانوا يقولون: إن الله صاحب بنات، فألحقوا البنات به، فيقتلون بناتهم ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً ﴾ أي: مغبراً ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ أي: قد كظم على الغيظ والحزن، أي: رضوا لله ما كرهوا لأنفسهم.

قال: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ ﴾ وهذا تبع للكلام الأول: (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ)، يقول: أو يتّخذ من ينشأ في الحلية، يعني النساء، بنات، لقولهم: الملائكة بنات الله. قال الله عز وجل: ﴿ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ أي: لا تبين عن نفسها من ضعفها، (وَأَصْفَيٰكُمْ بِالْبَنِينَ) أي: لم يفعل.

قال الكلبي في قوله: (أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ)، يقول: هؤلاء النساء اتخذهن منكم، جعلتم لله بنات مثلهن.

قوله: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلٰئِكَةَ الذِينَ هُمْ عِبَٰدُ الرَّحْمٰنِ إِنَاثاً ﴾ كقوله: (وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ) [الأنبياء: 19] يعني الملائكة. وقرأ ابن عباس (الذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِنَـٰثاً) كقوله: (سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ) [الأنبياء: 26].

قال: ﴿ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ﴾ أي: إنهم لم يشهدوا خلقهم ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ ﴾ أي: عنها يوم القيامة.

﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ﴾ أي: لو كره الله هذا [الدين][1] الذي نحن عليه لحوّلنا عنه إلى غيره. قال الله: ﴿ مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أي بأني أمرتهم أن يعبدوا غيري، إنما قالوا ذلك على الشك والظنّ ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ أي: يكذبون.

قال: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: من قبل هذا القرآن، فيه ما يدَّعون من أن الملائكة بنات الله، وقولهم: لو كره الله ما نحن عليه لحوّلنا عنه إلى غيره ﴿ فَهُمْ بِهِ ﴾. أي: بذلك الكتاب ﴿ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾ أي: يحاجّون به، أي: لم نؤتهم كتاباً فيه ما يقولون فهم به مستمسكون.

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾[2] أي: على ملّة، وهي ملة الشرك. ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ أي: إنهم كانوا على هدى، ونحن نتّبعهم على ذلك الهدى.

قال الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ ﴾ أي: من نبي ينذرهم العذاب ﴿ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴾ أي: جبابرتها وعظماؤها، أي: مشركوها، وهم أهل السعة[3] والقادة في الشرك، فاتبعهم من دونهم ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ أي: على ملة ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ أي إنهم كانوا مهتدين، فنحن مقتدون بهداهم.

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿ قُل ﴾ لهم يا محمد ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا

(1) زيادة من ز، ورقة 314.

(2) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 30: «قرأ القراء بضم الألف من ﴿أُمَّةٍ﴾، وكسرها مجاهد وعمر بن عبد العزيز. وكأن الأمة مثل السنة والمِلة. وكأن الإمة الطريقة، والمصدر من أممت القوم، فإن العرب تقول: ما أحسن إمته وعِمته وجِلسته إذا كان مصدراً. والإمة أيضاً المُلك والنعيم».

(3) في ع و ق «أهل السفه» وفي الكلمة تصحيف صوابه «السعة» كما جاء في ز.

وَجدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ ﴾. ثم رجع إلى قصة الأمم السالفة فأخبر بما قالوا لأنبيائهم: ﴿ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَـٰفِرُونَ ﴾.

قال: ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ يعني الذين كذّبوا رسلهم، أي: فأهلكناهم. ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ أي: كان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْـرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ[1] مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ أي لكن أعبد الذي فطرني، أي: الذي خلقني، كقوله: (فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلَٰكِنَ اعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّيكُمْ) [يونس: 104] قال: ﴿ فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ أي يثبتني على الإيمان.

﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ أي: في ذريته، والكلمة لا إله إلا الله. كقوله: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ) [البقرة: 128] وقوله: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ) [البقرة: 129] ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: لكي يرجعوا إلى الإيمان.

قوله: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ ﴾ يعني قريشاً، أي: لم أعذّبهم. كقوله: (بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ) [سورة صٓ: 8] قال: ﴿ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ أي: القرآن ﴿ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ أي محمد ﷺ.

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ أي القرآن ﴿ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَـٰفِرُونَ ﴾ أي: جاحدون.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ أي: هلّا ﴿نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ والقريتان مكة والطائف. أي: لو كان هذا القرآن حقاً لكان هذان الرجلان أحقّ به منك يا محمد، يعنون الوليد بن المغيرة المخزومي وأبا مسعود الثقفي.

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 30: «العرب تقول: نحن منك البراء والخلا، والواحد والاثنان والجميع من المؤنث والمذكر يقال فيه براء، لأنه مصدر، ولو قال: بريء لقيل في الاثنين: بريئان، وفي القوم: بريئون وبرءاء...».

قال الله: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ يعني النبوة، على الاستفهام، أي: ليس ذلك في أيديهم فيضعوا النبوة حيث شاءوا ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ ﴾ أي: في الرزق ﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً ﴾ [أي: يملك بعضهم بعضاً][1] من باب السخرة. قال: ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ أي: مما يجمع المشركون من الدنيا.

قال: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ ذكروا عن الحسن أنه قال: ولولا أن يجتمعوا على الكفر ﴿ لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ ﴾ أي: ودرجا ﴿ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ أي: عليها يرقون إلى ظهور بيوتهم.

﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ ﴾ أي: ولجعلنا لبيوتهم ﴿أَبْـوٰباً﴾ من فضة ﴿ وَسُرُراً ﴾ من فضة ﴿ عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفاً ﴾ والزخرف الذهب. ﴿ وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ أي: يُستمتَع به ثم يذهب ﴿ وَالآخِرَةُ ﴾ يعني الجنة ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

ذكروا عن الحسن قال: دخل عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وهو على سرير مرمول[2] بشريط من شرط المدينة، وتحته وسادة من أدم حشوها ليف، وقد أثّر في جسمه، وفي البيت أُهُب فيها إهاب قد عطن، أي: أنتن. فقال: يا رسول الله، أتجد ما أجد. قال: متاع البيت وما لا بد لهم منه. قال عمر: أما أنا فأشهد أنك رسول الله وأنك أكرم على الله من كسرى وقيصر، وهما متكئان على سرر الذهب. فقال: يا ابن الخطاب، أما ترضى بأن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة. قال: بلى. قال: كذلك[3].

(1) زيادة من ز، ورقة 314.

(2) أي: منسوج بشُرَط من سعف نخل المدينة. يقال: رملت الحصير وأرملته إذا نسجته. انظر ابن قتيبة، غريب الحديث، ج 1 ص 598، وانظر اللسان: (رمل).

(3) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة التحريم، وأخرجه مسلم مطولاً في كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى: وإن تظاهرا عليه (رقم 1479) كلاهما يرويه من حديث عمر، ولم أجد في كتب الحديث الجملة الأخيرة: «قال: كذلك».

ذكر الحسن قال قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[1].

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: لو كانت الدنيا عند الله تعدل جناح ذبابة، أو بعوضة، ما أعطى الكافر منها شيئاً[2].

ذكروا أن كعباً قال: يقول الله: لولا أن أحزن عبدي المؤمن لأعطيت الكافر منها كذا وكذا. قال صاحب الحديث: لجعلت على رأسه غطاء من حديد لا يصدع رأسه.

قوله: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ ﴾ أي: ومن يعمَ عن ذكر الرحمٰن، وهذا المشرك ﴿ نُقَيِّضْ ﴾ أي: نسبب[3] ﴿ لَهُ شَيْطَـٰناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ[4] عَنِ السَّبِيلِ ﴾ أي: عن سبيل الهدى ﴿ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَانَا﴾ أي: هو وقرينه، يعني شيطانه. وهي تقرأ على وجه آخر: (حَتَّى إِذَا جَاءَنَا) [أي: العاشي عن ذكر الرحمٰن]. ﴿ قَالَ ﴾: أي: لقرينه ﴿يَـٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾.

[قال بعضهم: إن الكافر إذا خرج من قبره وجد عند رأسه شيطانه فيأخذ بيده فيقول: أنا قرينك حتى أدخل أنا وأنت جهنم. قال محمد: عند ذلك يقول: (يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ فَبِيسَ القَرِينُ)][5].

قال الله عز وجل: ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ ﴾ أي: أشركتم ﴿ أَنَّكُمْ فِي

(1) انظر ما سلف، ج 3 ص 311، وج 1 ص 522.
(2) انظر ما سلف، ج 3 ص 311 أيضاً.
(3) في ع: «ننسب» وفيه تصحيف صوابه ما أثبته: «نسبب» كما أورده ابن الجوزي في زاد المسير، ج 7 ص 315. وانظر اللسان: (قيض).
(4) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 32: «يريد الشيطان وهو في مذهب جمع، وإن كان لفظ به واحداً، يقول: وإن الشياطين ليصدونهم عن السبيل ويحسبون هم أنهم مهتدون».
(5) وقع اضطراب ونقص في مخطوطة ج، فأثبت تصحيحه وإكماله من كتب التفسير. والزيادة من كتاب الحجة لابن خالويه، ص 295. وقد سقط ما بين المعقوفين كله فأثبته من ز، ورقة 315.

الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ أي: يقرن هو وشيطانه في سلسلة واحدة يتبرأ كل منهما من صاحبه [ويلعن كل منهما صاحبه][1].

قوله: ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ ﴾ يعني النبي عليه السلام (تُسْمِعُ الصُّمَّ) أي عن الهدى ﴿ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ ﴾ أي: عن الهدى ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾، يقوله على الاستفهام، أي: إنك لا تسمعهم ولا تهديهم، يعني من لا يؤمن.

قوله: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ ﴾ أي: نتوفَّينك ﴿ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنْتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾.

ذكروا عن الحسن قال: كانت بعده نقمة شديدة؛ أكرم الله نبيّه من أن يريه ما كان من النقمة في أمته بعده.

قال بعضهم: وقد أنزل الله آية في المشركين: (فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) [غافر: 77] وأشباه ذلك مما أوعدهم الله من العذاب، فكان بعض ذلك يوم بدر وبعده، وبعضه يكون مع قيام الساعة بالنفخة الأولى، بها يكون هلاك كفار آخر هذه الأمة.

قال: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾ أي القرآن ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ صِـرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وهو الإسلام، أي: الطريق إلى الجنة.

قال: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ يعني القرآن شرف لكي ولقومك، يعني قريشاً. تفسير الحسن: أن يذكروا به الحلال والحرام والأحكام فيعلمون ما يحلّون وما يحرّمون. ﴿ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ ﴾ يوم القيامة، أي: أستمسكتم بهذا الدين أم ضيّعتموه. وقال بعضهم: تسألون عن أداء شكره.

وقال بعضهم: عما وليتم من أمر هذه الأمة. ذكروا عن الحسن وعن سليمان ابن يسار أن عمر بن الخطاب قال: لو ضاع شيء بشاطىء الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه.

(1) زيادة من ز.

ذكروا عن الزهري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: قدِّموا قريشاً ولا تتقدّموها، وتعلَّموا منها ولا تُعَلِّموها[1].

ذكروا عن أبي هريرة قال قال: قال رسول الله ﷺ: الناس في هذا الأمر تبع لقريش[2].

قوله عز وجل: ﴿ وَسْئَلْ مَنَ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ أي: واسأل الناس عمن أرسلنا من قبلك من رسلنا، أي: واسأل جبريل، فإنه هو الذي كان يأتيهم بالرسالة. أي: هل أرسلنا من رسول إلا بشهادة ألا إله إلا الله وأنك رسول الله. كقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ يُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أنا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: 25].

وتفسير الكلبي: اسأل الذين أرسلنا إليهم الرسل قبلك، يعني أهل الكتاب، من آمن منهم.

﴿ أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ فلم يسأل ولم يشك. قال بعضهم: هو مثل قوله (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الذِينَ يَقْرَأُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ) [يونس: 94] فقال رسول الله ﷺ: لا أشك ولا أسأل[3]. وبعضهم يقول: كان هذا ليلة أُسرِي به وصلّى بالنبيين.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِئَايَتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ ﴾ يعني قومه ﴿ فَقَالَ إِنِّي

---

(1) حديث صحيح، أخرجه الطبراني عن عبد الله بن السايب، وأخرجه ابن عدي في الكامل عن أبي هريرة.

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري بأطول مما هو هنا في المناقب، باب قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ) وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش من حديث أبي الزناد وعن الأعرج عن أبي هريرة (رقم 818) ولفظه: الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم.

(3) أخرجه ابن جرير الطبري من طريقين عن قتادة مرسلاً. انظر تفسير الطبري ج 15 ص 202 ط دار المعارف.

رَسُولُ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِئَايَٰتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ أي استهزاءً وتكذيباً.

قال الله: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ كانت اليد أكبر من العصا في تفسير الحسن. وقال الكلبي: الآيات التي عذّبوا بها، يعني الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدّم. قال: ﴿ وَأَخَذْنَـٰهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: لعل من بعدهم ممن كان على دينهم من الكفار يرجعون إلى الإيمان.

قوله عز وجل: ﴿ وَقَالُوا يَـٰأَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴾ أي: فيما تدّعي ﴿ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ أي: لمؤمنون. أخذ الله آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون، فأجدبت أرضهم، وهلكت مواشيهم، ونقصت ثمارهم، فقالوا هذا ما سحرنا به هذا الرجل. قالوا يا موسى (مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤمِنِينَ) [الأعراف: 132] أي: بمصدّقين. فأرسل الله عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصّلات. وقد فسّرنا ذلك في سورة المّص[1].

قال الله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ [أي: ينقضون عهدهم][2].

قال: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ ﴾ أي: حين جاءه موسى يدعوه إلى الله؛ ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِيَ ﴾ أي: في ملكي ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ فيها إضمار، أفلا تبصرون [أم تبصرون][3].

ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾ أي: بل أنا خير[4] ﴿ مِّنْ هَـٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ﴾ أي: ضعيف ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ يعني العقدة التي كانت في لسانه من الجمرة التي ألقاها في فيه وهو صغير حين تناول لحية فرعون، فأراد أن يقتله فقالت له

---

(1) انظر تفصيل ذلك فيما سلف، ج 2 ص 38 - 41.

(2) زيادة من ز، ورقة 316.

(3) زيادة يقتضيها سياق الكلام من بعض الوجوه. انظر تفسير القرطبي، ج 16 ص 99.

(4) هذا هو التأويل الصحيح، وانظر وجوهاً أخرى من تأويل (أَمْ)، في معاني الفراء، ج 3 ص 35، وفي تفسير القرطبي، ج 16 ص 99-100، واختلاف القراء في موضع الوقف من الآيتين.

امرأته: هذا صغير لا يعقل، فإن أردت أن تعلم ذلك فادع بتمرة وجمرة فاعرضهما عليه؛ فأتي بتمرة وجمرة فعرضتا عليه فأخذ الجمرة فألقاها في فيه. فمنها كانت العقدة التي في لسانه. وقال الكلبي: كانت رتّة شديدة[1].

قال: ﴿ فَلَوْلَا ﴾ أي: فهلا، يقوله فرعون ﴿ أُلْقِيَ عَلَيْهِ ﴾ أي: على موسى ﴿أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ تفسير الحسن: كنز. أي مال من ذهب ﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَـٰئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ أي جماعة الملائكة يمشون جميعاً عياناً يصدّقونه بمقالته أنه رسول الله.

قال الله عز وجل: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَـٰسِقِينَ ﴾ أي: عاصين.

﴿ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا ﴾ أي: أغضبونا ﴿ انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلأَخَرِينَ﴾. قال مجاهد: يقول: فجعلنا كفارهم سلفاً لكفار أمة محمد عليه السلام (وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ) [أي: عبرة لمن بعدهم][2].

قوله عز وجل: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [أي: يضحكون في قراءة من قرأ بكسر الصاد؛ ومن قرأها برفعها فهو من الصدود؛ أي: يفرّون][3].

تفسير الكلبي قال: لما نزلت (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) [الأنبياء: 98] قام رسول الله ﷺ مقابل الكعبة فقرأ هذه الآية، فوجد منها أهل مكة وجداً شديداً. فدخل عليهم ابن الزبعرى الشاعر، وقريش يخوضون في ذكر هذه الآية فقال: أمحمد تكلم بهذا؟ قالوا: نعم. فقال والله لئن اعترف لي بهذا

---

(1) في ع و ق: «رثة» وفيه تصحيف صوابه ما أثبته. «رُتة» بضم الراء، وهي من عيوب الكلام، وقيل: «هي عجلة في الكلام وقلة أناة».

(2) زيادة من ز، ورقة 316.

(3) ما بين المعقوفين زيادة من ز. وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 205: «من كسر الصاد فمجازها يضجّون، ومن ضمها فمجازها يعدلون».

لأخصمنّه. فلقيه فقال: يا محمد، أرأيت الآية التي قرأت آنفاً، أفينا وفي آلهتنا نزلت خاصة، أم في الأمم وآلهتهم معنا؟ فقال: لا، بل فيكم وفي آلهتكم وفي الأمم وآلهتهم[1]. فقال: خصمتك والذي يحلف به. قال بعضهم: خصمتك ورب الكعبة. أليس تثني على عيسى ومريم والملائكة خيراً، وقد علمت أن النصارى يعبدون عيسى وأمه، وأن طائفة من النار يعبدون الملائكة، أفليس هؤلاء مع آلهتنا في النار. فسكت رسول الله ﷺ، وتضاحكت قريش وضجّوا. فذلك قول الله عز وجل: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ) أي: من الصدود.

﴿ وَقَالُوا ءَأَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾ قال الكلبي: يعنون عيسى. قال الله للنبي عليه السلام ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ يقول: ما ضربوه لك إلا ليجادلوك به، وهم أهل خصومة وجدال. فقال الله عز وجل جواباً لهم: (إِنَّ الذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحَسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) [الأنبياء: 101] إلى آخر الآيات[2].

وتفسير مجاهد في قوله: (إِنَّ الذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) يعني عيسى وعزير والملائكة.

وتفسير الحسن: (وَقَالُوا أَءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ) أي: محمد ﷺ. وذلك أن المشركين قالوا: إنما تريد يا محمد أن نتخذك رباً كما اتخذ النصارى عيسى بن مريم. فآلهتنا أحق بذلك منك. فقال الله عز وجل: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا) يعني ما هذا الذي قالوه إلا جدل (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) أي يخاصمونك في غير الحق.

قال الله عز وجل: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ أي: بالنبوّة، يعني عيسى ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْـرَٰءِيلَ ﴾ أي جعله الله مثلاً لهم، يعني عبرة لبني إسرائيل أي بما كان يصنع من تلك الآيات مما يحيـي الموتى، ويبرىء الأكمه والأبرص، ومما

(1) انظر ما سلف، ج 3 ص 92.

(2) وردت هنا في ع وق جملة لا صلة لها بتفسير الآية وهي هذه: «قال الله عز وجل: فلولا إذ سألتك أولاً قلت هذا. ولكن ادكرت إذ حلوت» (كذا) ولم أفهم لمناسبتها هنا معنى، ويبدو أن ذلك سهو من ناسخ لذلك حذفتها ونبهت عليها بالهامش.

علمه الله، وما كان يخبرهم به مما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ أي: ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يعمرون الأرض بدلاً منكم[1].

قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ رجع إلى قصة عيسى عليه السلام، يعني نزول عيسى. [قال محمد: قوله: (لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ) في قراءة من قرأ بكسر العين. المعنى: نزوله يُعلم به قرب الساعة][2] ﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ أي: فلا تشكّن فيها ﴿ وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أي: إلى الجنة، والطريق الإسلام. ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ أي: عن الطريق المستقيم ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي: بيّن العداوة.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ يعني تبديلهم التوراة في تفسير مجاهد[3].

وقال الحسن: كان من البينات إحياؤه الموتى بإذن الله، وإبراؤه الأكمة والأبرص، وما كان يخبرهم به مما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم. ومن البينات التي جاء بها أيضاً الإنجيل، فيه ما أمروا به وما نهوا عنه.

قال: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ يقوله عيسى لهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أي: إلى الجنة، يعني الإسلام.

قال: ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ ﴾ يعني النصارى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: اشركوا ﴿ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾[4].

(1) في ع وق: «لجعلنا خلفاء منكم يعمرون الأرض مكانكم». وفي العبارة اضطراب ونقص. فأثبت ما جاء في ز ورقة 316، وهو أصح عبارة وأوضح وأتم معنى. والقول لمجاهد كما ورد في تفسيره ص 583.

(2) زيادة من ز، والقول لابن أبي زمنين. وجاء في تفسير القرطبي ج 16 ص 105 ما يلي: «وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك: (وإنه لعَلَم للساعة) أي: أمارة».

(3) في تفسير مجاهد ص 583: «يعني به تبديل اليهود التوراة».

(4) جاء في ز قول لقتادة في اختلاف النصارى إلى طوائف: اليعقوبية والنسطورية والاسرائيلية. =

قوله عز وجل: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيهُمْ بَغْتَةً ﴾ أي: فجأة ﴿ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾.

قال: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ الإخلاء من باب الخلال[1]، الواحد خليل، والجماعة أخلاء. [استثنى من الأَخِلاَّء المتقين فقال: إلا المتقين منهم فإنهم ليسوا بأعداء بعضهم لبعض][2].

قوله: ﴿ يَـٰعِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ يقوله يوم القيامة ﴿ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ الذِينَ ءَامَنُوا بِئَايَٰتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ تفسير الكلبي: تكرمون. وتفسير الحسن: تفرحون.

قال: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ ﴾ أي: يغدى عليهم بها، في كل واحدة منها لون ليس في صاحبتها، يأكل من أخراها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها، لا يشبه بعضها بعضاً، ويراح عليهم بمثلها. ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبعمائة ألف غلام، مع كل غلام صحفة من ذهب فيها لون من الطعام ليس في صاحبتها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم أولها كما يجد طعم أخرها، ولا يشبه بعضه بعضاً.

قال: ﴿ وَأَكْوَابٍ ﴾ والكوب المدوّر، القصير العنق، القصير العروة، والإبريق المستطيل، الطويل العنق، الطويل العروة.

قال: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ ﴾ أي: ما خطر على بالهم شيء أتاهم من غير

= ومحاجّة المسلم لهم حتى حجهم. انظر ذلك في تفسير قوله تعالى من سورة مريم: الآية: 37 فيما سلف، ج 3 ص 14.

(1) في ق و ع: من الخلل، والصحيح ما أثبته، خلال، يقال: خاللت الرجل مخالة وخِلالاً. «والخُلة: الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه». والخلال في قوله تعالى: (يَوْمَ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ) إما مصدر، وإما جمع خُلة. انظر اللسان (خلل).

(2) زيادة من ز، ورقة 317.

أن يدعوه، وإن أحدهم ليكون الطعام في فيه فيخطر على باله طعام آخر فيتحول ذلك الطعام في فيه. قال: ﴿ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ﴾.

ذكروا أن كعباً قال: إن الملك يأتي من عند الله إلى ولي الله فيستأذن عليه فيقول ولي الله: ائذنوا له، فيؤذن له، حتى ينتهي إليه وبين اصبعه سبعون حلة خير من الدنيا وما فيها، فينظر ولي الله فيقول: لقد أعطاني الله ما اشتهت نفسي ولذت عيني، ما رأيت في الجنة مثل هذا، فيقول له الملك: أبشر، كان يكون لكل مثل هذا إن اشتهيت، فيقول: نعم. فيقول الملك لمن حوله من الشجر: أنا رسول ربي إليكن، لتعطوا فلاناً مثل هذا إذا شاء. فما يمد يده إلى مثلها إلا أخذها.

ذكروا عن أبي هريرة قال: دار المؤمن درة مجوَّفة[1]، في وسطها شجرة تنبت الحلل، ويمسك بين أصبعين من أصابعه سبعين حلة منظومة باللؤلؤ والمرجان.

قال: ﴿ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ أي: لا تموتون ولا تخرجون منها.

قال: ﴿ وَتِلْكَ الجَنَّةُ التِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: على قدر أعمالهم ورث الله المؤمنين منازل الكافرين التي أعدت لهم، لو آمنوا، مع منازلهم، وهي مثل التي في المؤمنون: (أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) [المؤمنون: 10].

قوله عز وجل: ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾. ذكروا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: والذي نفسي بيده إن أهل الجنة ليتناولون من قطوفها وهم متكئون في فرشهم، فما تصل إلي في أحدهم حتى يبدل الله مكانها أخرى[2].

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾ يعني المشركين خالدين في جهنم لا يموتون ولا يخرجون منها. ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ ﴾ أي العذاب ﴿ وَهُمْ فِيهِ ﴾ أي: في العذاب ﴿ مُبْلِسُونَ ﴾ أي: آيسون من أن يخرجوا منها.

---

(1) في ق و ع: درة محفوفة، والصواب ما أثبته: «مجوفة».

(2) رواه يحيى بن سلام عن عثمن عن نعيم بن عبد الله عن أبي هريرة، وانظر ما سلف ج 2 ص 312.

قال: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ ﴾ [يعني كفار الأمم كلها فيعذبهم في الآخرة بغير ذنب][1] ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي لأنفسهم بكفرهم.

﴿ وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِـكُ ﴾ ولمالك خازن النار أعوان من الملائكة. وخزنة النار تسعة عشر، أحدهم مالك، وهو رأسهم. ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴾. وذلك أنهم يدعون مالكاً فلا يجيبهم مقدار أربعين عاماً[2] ثم يجيبهم (إِنَّكُم مَّاكِثُونَ). ثم يدعون ربهم فيذرهم مقدار عمر الدنيا مرتين، ثم يجيبهم (اخْسَأُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108] فأيسوا بعدها، فما نبس القوم بعدها بكلمة، ما كان إلا الزفير والشهيق. شبه أصواتهم بأصوات الحمير، أوله زفير وآخره شهيق.

قوله: ﴿ لَقَدْ جِئْنَـٰكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالقرآن، يقوله للأحياء، وانقطع كلام أهل النار: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴾ يعني من لم يؤمن.

قال: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً ﴾ أي: كادوا كيداً بمحمد ﴿ فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾ أي: فإنا كائدون. وذلك ما كانوا اجتمعوا له في دار الندوة في أمر النبي ﷺ في قوله: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال: 30]. وقد فسّرنا ذلك في سورة الأنفال[3].

قوله: (فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) أي: فإنا كائدون لهم بالعذاب. قال مجاهد: فإنا مجمعون.

قال: ﴿ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَيٰهُمْ ﴾ أي: ما كانوا يتناجون فيه من أمر النبي عليه السلام. ﴿ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا ﴾ يعني الحفظة ﴿ لَدَيْهِـمْ ﴾ أي: عندهم ﴿ يَكْتُبُونَ ﴾ أي: يكتبون عليهم أعمالهم.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 317.

(2) كذا في ع وق ورقة 318: «ثمانين عاماً».

(3) انظر ما سلف، ج 2 ص 84 - 85.

قوله: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾ أي: ما كان للرحمٰن ولد[1]. ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَـٰبِدِينَ ﴾ تفسير بعضهم: فأنا أول الدائنين من هذه الأمة بأنه ليس له ولد.

قال: ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ينزّه نفسه عما يكذبون. ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ﴾ أي: فقد أقمت عليهم الحجة ﴿ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الذِي يُوعَدُونَ ﴾ أي: يوم القيامة. وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم.

قوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ أي: هو إله أهل السماء وإله أهل الأرض ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ في أمره ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بخلقه.

﴿ وَتَبَارَكَ الذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ أي: علم مجيء الساعة، لا يعلم علم مجيئها إلا هو ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿ وَلَا يَمْلِكُ الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَـٰعَةَ ﴾ أي: الأوثان، في تفسير الحسن، أي: لا تملك أن تشفع لعابدها، يقول: ليست الشفاعة لمن كان يدعو الأوثان، أي: يعبدها من دون الله في الدنيا. قال: ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ﴾ في

(1) لهذه الآية وجوه من التأويل لم يورد المؤلف هنا إلا واحداً منها. قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 206: «(قُل إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ). (إِنْ) في موضع (ما) في قول بعضهم: ما كان للرحمٰن ولد، والفاء مجازها مجاز الواو: ما كان للرحمن ولد وأنا أول العابدين... وقال آخرون: مجازها: إن كان في قولكم للرحمٰن ولد فأنا أول العابدين أي الكافرين بذلك والجاحدين لما قلتم، وهي من عبد يعبد عبداً». وقال مجاهد في تفسيره ص 584: (قُل إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ) يقول: إن كان له ولد كما تقولون فأنا أول العابدين، يقول: أنا أول المؤمنين بالله عز وجل، فقولوا ما شئتم». وفي قول لمجاهد أيضاً رواه الطبري ج 25 ص 101: «فأنا أول من عبد الله ووحده وكذبكم». وانظر اللسان (عبد) ففيه تلخيص واف لهذه الأقوال. وقد رجح الأزهري فيه قول مجاهد وقال عنه: «وهو الذي لا يجوز عندي غيره». وانظر كذلك ابن الجوزي، زاد المسير، ج 7 ص 331-332، وانظر ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج 2 ص 355.

الدنيا. يقول إنما الشفاعة لمن شهد بالحق ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنه الحق.

قال الكلبي: (وَلَا يَمْلِكُ الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ) يعني الملائكة، أي: لا يملك الملائكة أن يشفعوا إلا لمن شهد بالحق، أي: لا إله إلا الله مخلصاً وصلّى الخمس، أي: فأولئك تشفع لهم الملائكة.

وتفسير مجاهد: (وَلَا يَمْلِكُ الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ) أي: الملائكة وعزير، وعيسى.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ أي: فكيف يصدون فيعبدون غيره.

قوله: ﴿ وَقِيلَهُ ﴾ وهي تقرأ على ثلاثة أوجه: (وقيلَه، وقيلُه، وقيلِه) فمن قرأها بالنصب رجع إلى قوله: (أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَيٰهُمْ) وقيلَه، أي ولا نسمع قيلَه. ومن قرأها بالرفع، فهو كلام مبتدأ، يخبر بقوله. ومن قرأها بالجر رجع إلى قوله: (وَتَبَارَكَ الذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) وعلم قيلِه.

وقيله: ﴿ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [هذا قول النبي يشكو قومه إلى الله][1].

قال الله: ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ ﴾ وهي منسوخة، نسخها قوله: (وَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 3] ﴿ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ﴾ كلمة حلم بين المؤمنين والمشركين؛ وكان ذلك قبل أن يؤمر بقتالهم، ثم أمر بقتالهم. قال: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: يوم القيامة، وهي كلمة وعيد.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 318.

تفسير سورة الدخان، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ حمٓ ﴾ قد فسّرنا ذلك فيما مضى من الحواميم. قوله عز وجل: ﴿ وَالْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ﴾، قسم، أقسم بالقرآن المبين.

ذكر الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم جعل بعد ذلك ينزل نجوماً: ثلاث آيات، وأربع آيات وخمس آيات وأقل من ذلك وأكثر. ثم تلا هذه الآية: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) [الواقعة: 75].

ذكروا عن الأعمش قال: نزل به جبريل ليلة القدر جملة واحدة في سماء الدنيا، فوضعه في البيت المعمور، ثم جعل ينزل بعد ذلك الأول فالأول.

قوله: ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾ أي منذرين العباد من النار.

﴿ فِيهَا ﴾ يعني ليلة القدر ﴿ يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ أي: يفصل كل أمر حكيم أي: مُحكَم.

قال بعضهم: يدبّر فيها أمر السنة إلى السنة، ثم يدفع إلى الحفظة فيعملون عليها. وفيها يدبر الله ما يدبر، وينزل من الوحي ما ينزل مما يريد من الأمور في سمائه وأرضه وخلقه تلك السنة، من الحياة والموت، وما ينزل من المطر، وما يقبض ويبسط، وما يحدث في خلقه تلك السنة، فينزله في ليلة القدر إلى بعض سمائه، ثم ينزله في الليالي والأيام على ما قدر حتى يحول الحول من تلك السنة من قابل ليلة

القدر[1]. وذلك إلى اليوم على هذه الصفة إلا الوحي فإنه قد انقطع بموت النبي عليه السلام.

قال: ﴿ أَمْراً مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ أي: مرسلين الرسل إلى العباد. ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ أي: لا أسمع منه ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ أي: لا أعلم منه.

﴿ رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ ومقرأ الحسن: رب السماوات والأرض[2] ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾.

قال: ﴿ بَلْ هُمْ ﴾ أي: المشركون ﴿ فِي شَكٍّ ﴾ يعني من البعث ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾.

ثم قال للنبي عليه السلام: ﴿ فَارْتَقِبْ ﴾ أي: فانتظر ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعني الجدب وإمساك المطر عن قريش. ﴿ رَبَّنَا ﴾ أي: يقولون: ربنا ﴿ اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾.

قال الله عز وجل: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ ﴾ أي: كيف لهم الذكرى، أي: الإيمان، بعد نزول العذاب ﴿ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: محمد عليه السلام.

﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ أي: إنما يعلّمه عبد بني الحضرمي، وكان كاهناً في تفسير الحسن. وقال بعضهم: عداس، غلام عتبة بن ربيعة، وكان يقرأ الكتب.

---

(1) جاءت العبارة مضطربة في ق و ع، ولعل صوابها: إلى قابل ليلة القدر. وفي ز، ورقة 318 جاءت العبارة مختصرة واضحة هكذا: «قال الحسن: ما يريد الله أن ينزل من الوحي وينفذ من الأمور في سمائه وأرضه وخلقه تلك السنة ينزله في ليلة القدر إلى سمائه، ثم ينزله في الأيام والليالي على قدر حتى يحول الحول من تلك الليلة».

(2) من هنا تتوقف مخطوطة ع وتسقط فيه نحو ورقتين أو ثلاث من القطع الكبير فيها تفسير بقية سورة الدخان، وسورة الجاثية إلى الآية 25 منها. ومن حسن الحظ أن ما سقط من ع موجود كله في مخطوطة ق في خمس ورقات من القطع المتوسط، وموجودمختصراً في ز من ورقة 318 إلى ورقة 322.

قال الله عزّ وجل: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ أي: من أعدائنا يوم القيامة.

ذكر بعضهم عن مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه قيل له: هاهنا رجل يزعم أنه يأتي دخان قبل يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام. وكان متكئاً فغضب وجلس ثم قال: أيها الناس اتقوا الله؛ من علم علماً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول العبد فيما لا يعلم: الله أعلم. قال الله لنبيه عليه السلام: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنَ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) [سورة صٓ: 86][1].

وسأخبركم عن الدخان. إن قريشاً، لما أبطأوا عن الإسلام، دعا عليهم رسول الله فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف[2]. فأصابهم الجوع حتى أكلوا الميتة والعظام، حتى كان أحدهم يرى ما بينه وبين السماء دخاناً من الجهد[3]. فذلك قوله: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤمِنُونَ). فسألوا أن يكشف عنهم العذاب فيؤمنوا. قال الله: (أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ إِنَّا كَاشِفُو

---

(1) ورد هذا الخبر مضطرباً في ق فأثبت تصحيحه من ز، ورقة 319، ومن تفسير الطبري ج 25 ص 86.

(2) حديث صحيح متفق عليه رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي. أخرجه البخاري من طرق متعددة في كتاب التفسير، سورة الدخان. وأخرجه مسلم كذلك في تفسير سورة الدخان، باب في قوله (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدخانٍ مُبِينٍ)، وأخرجه الترمذي أيضاً في تفسير سورة الدخان، كلهم يرويه من حديث مسروق عن عبد الله بن مسعود. ورواه يحيى بن سلام في ز بهذا السند: «يحيى عن المعلى عن الأعمش عن أبي وائل عن أبي الضحا عن مسروق عن عبد الله بن مسعود. . .».

(3) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 39: «كان النبي ﷺ دعا عليهم فقال: اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسني يوسف، فأصابهم جوع، حتى أكلوا العظام والميتة، فكانوا يرون فيما بينهم وبين السماء دخاناً».

الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ)، فكشف عنهم العذاب، فعادوا في كفرهم. فأخذهم يوم بدر، فهو قوله: (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ).

قال عبد الله بن مسعود: قد مضت البطشة الكبرى والدخان واللزام والروم والقمر. ذكروا عن محمد بن سيرين عن عبد الله بن مسعود أنه قال: قد مضى الدخان سنين كسني يوسف.

وكان الحسن يحلف ما جاء الدخان، وليأتينَّ حتى يدخل في سمع الكافر والمنافق وبصره، ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام.

ذكروا عن عبد الرحمن بن البيلماني[1] أنه قال: سمعت ابن عمر: يذكر خروج الدابة، قال: ثم يخرج الدخان فيأخذ المؤمن منه شبه الزكمة فيدخل في مسامع الكافر والمنافق وفي جلده حتى يكون كالرأس الحنيذ، وإن التوبة لمفتوحة، ثم تطلع الشمس من مغربها فترفع التوبة[2].

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾ قال الحسن: ابتليناهم بالدين. كقوله: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ) [المؤمنون: 30] أي: لمختبرين. قال الله عز وجل: ﴿ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ أي: على الله، يعني موسى.

﴿ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ ﴾ أي: ارسلوا معي بني إسرائيل ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ أي: على ما أتاني من الله، لا أزيد شيئاً ولا أنقص منه شيئاً ﴿ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللهِ ﴾ أي: لا تستكبروا على عبادة الله ﴿ إِنِّي ءَاتِيكُمْ ﴾ أي: قد أتيتكم ﴿ بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بحجة بينة.

﴿ وَإِنِّي عُذتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴾ يعني القتل بالحجارة ﴿ وَإِن لَّمْ

---

(1) جاء الاسم في ق هكذا: عبد الرحمن السماني، وفيه تصحيف صوابه ما أثبته: عبد الرحمن بن البيلماني، وهو مولى عمر، تابعي ثقة وإن تكلم فيه بعض العلماء. أما ابنه محمد فضعيف جداً يروي المناكير.

(2) اقرأ ترجيح الطبري لقول ابن مسعود في تفسير هذا الدخان، في تفسيره ج 25 ص 114.

تُومِنُوا لِيَ ﴾ أي تصدقوني ﴿ فَاعْتَزِلُونِ ﴾ حتى يحكم الله بيني وبينكم.

﴿ فَدَعَا ﴾ موسى ﴿ رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾ أي: مشركون. وإذا أراد الله أن يهلك قوماً أذن لنبيهم أن يدعـو عليهم.

قال الله عز وجل: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ أي: يتبعكم فرعون وجنوده ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً ﴾ أي: طريقاً في تفسير الحسن. وقال مجاهد: منفرجاً[1]. وقال بعضهم: ساكناً[2]، [بعد أن ضربه موسى بعصاه][3] ﴿ إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ فأغرقهم الله وأنجى موسى ومن معه.

قال: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّـٰتٍ وَّعُيُونٍ وَّزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [أي: ومنزل حسن] ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴾ أي: مسرورين.

قال الله عزَّ وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ قال الحسن: أي: هكذا كان الخبر. قال: ﴿ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْماً ءَاخَرِينَ ﴾ يعني بني إسرائيل.

قال الله عز وجل: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ ذكروا عن أنس بن مالك أنه قال: للمؤمن بابان مفتوحان في السماء، يصعد من أحدهما عمله، والآخر ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه أربعين صباحاً[4]. ﴿ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ أي: مؤخرين بالعذاب، يعني الغرق.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَٰءِيـلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ أي: من

(1) وفي تفسير مجاهد ص 589 قول آخر لمجاهد: «يقول: يعني طريقاً يابساً كهيئته بعدما ضربه، يقول: لا تأمره أن يستوي، اتركه حتى يدخله آخرهم». وفي الدر المنثور، ج 6 ص 30 عن مجاهد قال «طريقاً منفرجاً».

(2) هذا لفظ لقتادة، وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 208: «(واتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً) ساكناً؛ يقال: أَرْهِ على نفسك، أي: ارفق بها ولا تخرق. يقال: عيـشٌ راهٍ...» وانظر اللسان: (رهو).

(3) زيادة من ز، ورقة 319.

(4) روى الفراء في المعاني ج 3 ص 41 بسند عن سعيد بن جبير قال: «يبكي على المؤمن من الأرض مصلّاه، ويبكي عليه من السماء مصعد عمله».

الهوان ﴿ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ أي: من المشركين. والعلو هاهنا الشرك[1].

قال: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَـٰلَمِيـنَ ﴾ يعني اخترنا بني إسرائيل على العالمين، يعني على عالم زمانهم، ولكل زمان عالم. قال: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُم﴾ يعني أعطينا بني إسرائيل ﴿ مِّنَ الأَيَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰؤٌا مُّبِينٌ ﴾ أي: نعمة بيّنة[2].

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ﴾ أي: مشركي العرب ﴿ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾ أي: بمبعوثين. ﴿ فَأْتُوا بِـَٔابَآئِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أي فأحيوا لنا آباءنا حتى نصدقكم بمقالتكم إن الله يحيي الموتى إن كنتم صادقين.

قال الله: ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ من الكفار، أي: إنهم ليسوا بخير منهم ﴿ أَهْلَكْنَـٰهُمْ ﴾ أي: بذنوبهم ﴿ إِنَّهُمْ كَانُـوا مُجْرِمِينَ ﴾ أي: مشركين، يخوفهم بالعذاب.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾.

﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي: للبعث والحساب والجنة والنار ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ ﴾ أي: جماعتهم، جماعة المشركين ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي إنهم مبعوثون ومُحاسَبون ومجازَوْن.

قال: ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴾ [أي: القضاء][3] ﴿ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾. هذا جواب لقولهم: (فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). قال الله عزّ وجل: (إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) أي ميقات بعثهم.

(1) كذا في ق: «والعلو هاهنا الشرك». ولم أر له وجهاً، وأرى أن الصواب معناه الاستكبار والطغيان، كقوله تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ) [القصص: 4]، وما فسّر القرآن مثل القرآن.

(2) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 42: «يريد نِعم مبيّنة، منها أن أنجاهم من آل فرعون، وظللهم بالغمام، وأنزل عليهم المنّ والسلوى، وهو كما تقول للرجل: إن بلائي عندك لحسن. وقد قيل: إن البلاء عذاب، وكل صواب».

(3) زيادة من ز، ورقة 320.

قال: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً ﴾ أي: ولي عن ولي شيئاً؛ أي: لا يحمل عنه ذنوبه شيئاً. كقوله: (وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) [فاطر: 18] قال: ﴿ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ أي: لا يمنعون من العذاب.

قال: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ تفسير الحسن: إن المؤمنين يستغفر بعضهم لبعض فينفعهم ذلك عند الله.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ يعني المشرك ﴿ كَالْمُهْلِ ﴾ [المهل ما كان ذائباً من الفضة والنحاس وما أشبه ذلك](1).

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه أهديت له فضة فأمر بها فأذيبت، حتى أزبدت وماعت قال لغلامه: ادع لي من حضر من أهل الكوفة. فدخل عليه نفر من أهل الكوفة فقال: ما شيء أشبه بالمهل من هذا.

قال: ﴿ تَغْلِي ﴾ أي الشجرة. فمن قرأها (تَغْلِي) يعني الشجرة، ومن قرأها: (يَغْلِي) يعني المهل. ﴿ فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ يعني الماء الشديد الحر.

﴿ خُذُوهُ ﴾ يعني المشرك ﴿ فَاعْتُلُوه ﴾ تفسير الحسن: فجروه. وتفسير مجاهد: فادفعوه ﴿ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ أي: إلى وسط الجحيم. وتفسير بعضهم: إلى معظمها، أي: حيث يصيبه الحر من جوانبها.

﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾ هو كقوله: (يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ) [الحج: 19-21]. يقمع بالمقمعة فتخرق رأسه فيصب على رأسه الحميم، فيدخل فيه حتى يصل إلى جوفه.

قال: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ يعني المنيع الكريم عند نفسك إذ كنت في الدنيا، ولست كذلك. قال بعضهم: نزلت في أبي جهل، كان يقول: أنا أعز

(1) زيادة من ز، ورقة 320.

قريش وأكرمها[1]. قال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ أي: العذاب ﴿ مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾ أي: تشكّون في الدنيا أنه كائن.

قال: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ ﴾ أي: في منزل[2] ﴿ أَمِينٍ ﴾ أي: هم آمنون فيه من الغير. ﴿ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾.

ذكروا عن عكرمة قال: أما السندس فقد عرفتموه، وأما الإستبرق فالديباج الغليظ. قال بعضهم: السندس يعمل بسوس العراق، وهو الخز المرقوم. وتفسير الحسن أنهما جميعاً حرير. قال: يعني (وَلِبَاسُهُمْ فيها حرير) [الحج: 23].

قال: ﴿ مُتَقَٰبِلِينَ ﴾ قال بعضهم: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض. وتفسير الحسن أنهم يقابل بعضهم بعضاً على الأسرة. وبعضهم يقول: ذلك في الزيارة إذا تزاوروا.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: هكذا ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ تفسيره: كذلك حكم الله لأهل الجنة بهذا. قوله: (بِحُورٍ عينٍ)، وهي كلمة عربية. تزوج فلان فلانة، وفلانة فلاناً. و(الحُورُ) البيض في تفسير بعضهم. [و(العينُ) عظام العيون][3]. وتفسير مجاهد: (الحُورُ) اللاتي يحار فيهن البصر، وينظر الناظر وجهه في جيدها.

قال: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ﴾ أي يأتيهم ما يشتهون منها ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ أي: من الموت.

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴾ وليس ثمة موتة إلا هذه الموتة الواحدة في الدنيا. وهو كقوله: (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَىٰ) [النجم: 50]، ولم يكن قبلها عاد.

---

(1) انظر الفراء، معاني القرآن، ج 3 ص 43 في سبب نزول الآية.
(2) هذا على قراءة من قرأ «مَقام» بفتح الميم، وقراء المدينة يقرأون بضمها بمعنى الإقامة.
(3) زيادة من ز، ورقة 320، وهو جمع عيناء.

قال: ﴿ وَوَقَيٰهُمْ ﴾ أي: وصرف عنهم ﴿ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ أي النجاة العظيمة من النار إلى الجنة.

قوله عز وجل: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾ يعني النبي عليه السلام. [أي: لولا أن الله يسره بلسان محمد][1] ما كانوا ليقرأوه ولا ليفقهوه. قال: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي لكي يتذكروا.

قوله عز وجل: ﴿ فَارْتَقِب ﴾ أي: فانتظر العذاب فإنه واقع بهم ﴿ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾ أي منتظرون. كقوله: (وَانْتَظِرِ اِنَّهُم مُّنْتَظِرُونَ) [السجدة: 30].

---

(1) سقط ما بين المعقوفين من ق، ولا بد من إثباته حتى يتضح المعنى ويتم، وهو موجود في ز.

تفسير سورة الجاثية، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ حٰمٓ ﴾ قد فسّرناه فيما مضى من الحواميم. قال: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَـٰبِ ﴾ يعني القرآن ﴿ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾.

﴿ إِنَّ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: فيما يرون مما خلق الله فيهما ﴿ لَأيَـٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ ﴾ أي: في بدء خلقكم من تراب يوم خلق آدم، ثم من نطفة، أي: نسل آدم، ثم من علقة، ثم من مضغة، وفي الاسماع والابصار وما لا يحصى من خلق الله في الإنسان ﴿ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ أي: وما يخلق من دابة(1) من صغير وكبير في البرّ والبحر ﴿ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ أي: يؤمنون.

قال: ﴿ وَاخْتِلَـٰفِ ﴾ أي: وفي اختلاف ﴿ الَّيْـلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِن

(1) كذا في ق: «أي: وما يخلق من دابة». وكنت ظننت أن في كلمة «خلق» التي جاءت في صفحة 99 من هذا الجزء تصحيفاً وقلت إن صوابها: «فرق» اعتماداً على بعض التفاسير. ثم تتبعت أغلب المواضيع التي وردت فيها كلمة (بَثَّ) في آي القرآن فوجدت أن المؤلف يفسرها بقوله: خلق. والحق أن لفظ خلق لا يؤدي معنى (بث) إلا تجوزا، وأصح منه تأويلاً وأحسن تفسيراً وأدق لفظاً كلمة «فرق»، فمعنى بث، نشر وفرق مع إكثار، واقرأ قوله تعالى (وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) [الشورى: 29] يتضح لك ذلك. فإن الجمع يكون أنسب لما هو مفرق ومنشور منه لما هو مخلوق، وإن كان الكل مخلوقاً لله. تأمل هذا تجده صواباً إن شاء الله.

السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ ﴾ [يعني المطر، فيه أرزاق الخلق][1] ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي بعد إذ كانت يابسة ليس فيها نبات ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ﴾ في الرحمة والعذاب ﴿ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

قال الله عز وجل: ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَءَايَٰتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: يصدقون. أي: ليس بعد ذلك إلا الباطل. كقوله: (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) [يونس: 33].

قوله: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ ﴾ أي: كذّاب ﴿ أَثِيمٍ ﴾ يعني المشرك ﴿ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ اللهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ ﴾ على ما هو عليه من الشرك ﴿ مُسْتَكْبِراً ﴾ أي: عن عبادة الله ﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ يعني آيات الله، أي: بلى قد سمعها وقامت عليه الحجة بها. وقال مجاهد: يعني جميع المصرّين. ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: موجع.

قال: ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً ﴾ قال بعضهم هو النضر بن الحارث ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.

﴿ مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ﴾ أي: أمامهم، كقوله: (وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ) [سورة إبراهيم: 17]. وهي كلمة عربية، تقول للرجل: من ورائك كذا، لأمر سيأتي عليه[2]. قال: ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئاً﴾. تفسير الحسن: ما عملوا من الحسنات يبطل الله أعمالهم في الآخرة. قال: ﴿ وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ قال: ولا يغني عنهم تلك الأوثان التي عبدوها من دون الله شيئاً ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ هَٰذَا ﴾ يعني القرآن ﴿ هُدًى ﴾ أي: يهتدون به إلى الجنة ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: موجع.

(1) زيادة من ز، ورقة 321.

(2) وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 210: «(مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ)» أي: من بين أيديهم.

قوله: ﴿ اللهُ الذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ يعني طلب التجارة في السفر ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: لكي تشكروا، أي: تؤمنوا. كقوله: (لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) [النحل: 81].

قال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾ أي: من الله، أي: كل ذلك تفضّلاً منه، أي: ما سخر لكم من السماوات، أي: الشمس والقمر والنجوم والمطر، وما في الأرض، أي: الأنهار والبحار وما ينبت في الأرض من النبات، وما يستخرج من الذهب والفضة والصفر والحديد والنحاس وغير ذلك مما ينتفع به مما في الأرض، فذلك كله تسخير الله. ﴿ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ قُل لِّلذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ ﴾، وهم المشركون. [أمر الله المؤمنين أن يغفروا لهم][1]، وهي منسوخة، نسختها (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 5] قال: ﴿ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي: يعملون؛ يجزي المؤمنين بحلمهم عن المشركين، ويجزي المشركين بشركهم، وكان هذا قبل أن يؤمروا بقتالهم، ثم نسخ بالقتال.

قوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحاً فَلِنَفْسِهِ ﴾ أي: يجده عند الله ﴿ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ أي: فعلى نفسه. ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا ﴾ أي: أعطينا ﴿ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ ﴾ أي: أنزلنا عليهم ﴿ الْكِتَـٰبَ وَالْحُكْمَ ﴾ قال بعضهم: الحكمة وهي السّنّة[2]. ﴿ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ

---

(1) زيادة من ز، ورقة 321.

(2) هذا وجه من وجوه تأويل معنى الحكمة بالسنة. ويبدو أن المؤلف فسّر هنا كلمة الحكمة، كما جاءت مكتوبة خطأ في مخطوطة ق، فإن كان ذلك كذلك، فهو خطأ، لأن ما ورد في الآية هنا إنما هو (الحُكْم) لا الحكمة. نعم، إن كلمة (الحكم) قد تدل أحياناً على معنى الحكمة كما في قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾ [مريم: 12] أي: الفهم واللّب والعلم كما ذكره المفسّرون. ولكن قد يراد بالحكم أيضاً الحكم على الناس والملك والسلطان. ولعل هذا =

الطَّيِّبَـٰتِ ﴾. أي: ما أحل الله لهم. وقال بعضهم: المنّ والسلوى. ﴿ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَى الْعَـٰلَمِينَ ﴾. أي: على عالم زمانهم الذي كانوا فيه، ولكل زمان عالم.

قال: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُم بَيِّنَـٰتٍ مِّنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾ أي: إنهم أرادوا الدنيا ورخاءها، فغيروا كتابهم، فأحلوا فيه ما شاءوا، وحرموا فيه ما شاءوا، فترأسوا على الناس ليستأكلوهم، واتبعوهم على ذلك. كقوله: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللهِ) [التوبة: 31] أي: يحلون لهم ما حرم الله عليهم فيستحلونه، ويحرمون عليهم ما أحلّ الله لهم فيحرمونه.

قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ فيكون قضاؤه فيهم أن يدخل المؤمنين منهم الذين يتمسكون بدينهم الجنة، ويدخل الكافرين منهم النار.

قوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ ﴾ تفسير الحسن: الشريعة: الفريضة. وقال الكلبي: (عَلَىٰ شَرِيعَةٍ) أي: على سنة[1]. قال: ﴿ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني المشركين، قال: أهواؤهم الشرك.

قال: ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً ﴾ أي إن اتبعت أهواءهم عذبتك، وإن

= المعنى يكون أولى بالصواب هنا، يؤيده قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً . . .) [المائدة: 20]. وقال القرطبي في تفسيره ج 16 ص 162: «(الحكم) الفهم في الكتاب، وقيل: الحكم على الناس والقضاء». وهذا المعنى الأخير هو الراجح عندي، والله أعلم.

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 210: «(عَلَىٰ شَرِيعَةٍ) عل طريق وسنة». وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 46: «(عَلَىٰ شَرِيعَةٍ) على دين وملة ومنهاج، كل ذلك يقال». وقال الشريف الرّضيّ: «وهذه استعارة لأن الشريعة في أصل اللغة اسم للطريق المفضية إلى الماء المورود. وإنما سمِّيت الأديان شرائع لأنها الطرق الموصلة إلى موارد الثواب، ومنافع العباد، تشبيهاً بشرائع المناهل التي هي مدرجة إلى الماء، ووصلة إلى الرِّواء. »انظر الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 305.

عذبتك فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً. وقد عصمه الله من ذلك، وإنما أمره أن يثبت على ما هو عليه.

قال: ﴿ وَإِنَّ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ يعني المشركين ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ أي في الحياة الدنيا، وهم أعداء في الآخرة، يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضاً قال: ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ يعني المؤمنين.

قوله: ﴿ هَـٰذَا بَصَـٰئِرُ لِلنَّاسِ ﴾ يعني القرآن، أي: لمن آمن به ﴿ وَهُدًى ﴾ يهتدون به إلى الجنة. ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ وهم المؤمنون. والمؤمن والموقن واحد.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا ﴾ أي اكتسبوا ﴿ السَّيِّئَـٰتِ ﴾ والسيئات هاهنا الشرك. ﴿ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ وذلك كقول أحدهم (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي)، كما تقولون، (إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ)، أي الجنة، إن كانت جنة، أي: لا نجعلهم مثلهم؛ الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الجنة، والمشركون في النار.

قال: ﴿ سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: مقرأ مجاهد بالرفع؛ سواءٌ محيا المؤمن ومماته، هو في الدنيا مؤمن وفي الآخرة مؤمن، والكافر في الدنيا كافر، وفي الآخرة كافر. ومقرأ الحسن: (سَوَاءً) بالنصب، على معنى أن يكونوا، يعني المؤمنين والمشركين، سواء فيما حسب المشركون، أي: ليسوا سواء[1]. أي: إن مات المؤمنون على الإيمان يرزقون الجنة، وأما المشركون الذين ماتوا على الشرك فهم يدخلون النار. قال الله عز وجل: ﴿ سَاءَ ﴾ أي: بئس ﴿ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ أي: أن نجعلهم سواء.

قوله: ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: للبعث والحساب والجنة

(1) انظر وجوه إعراب (سواء) المختلفة في معاني الفراء، ج 3 ص 47، وانظر ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج 2 ص 365.

والنار. قال الله عز وجل: ﴿ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

قال: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَيٰهُ ﴾ هو المشرك اتخذ إلهه هواه فعبد الأوثان من دون الله، وبعضهم يقرأها (اتَّخَذَ ءَالِهَةً هَوَيٰهُ) قال: ﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ ﴾ أي: بكفره فلا يسمع الهدى سمع قبول. ﴿ وَقَلْبِهِ ﴾ أي: وختم على قلبه، أي: فلا يفقه الهدى. ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَـٰوَةً ﴾ فلا يبصر الهدى ﴿ فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ﴾ أي: لا أحد. قال: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ يقوله للمشركين.

قوله عز وجل: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ أي: نموت ونولد. [قال محمد: يموت قوم ويحيى قوم][1] ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ قال مجاهد: وما يهلكنا إلا الزمان. أي: هكذا كان أمر من قبلنا، وكذلك نحن نموت ولا نبعث.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أي: بأنهم لا يبعثون ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ أي: إنْ ذلك منهم إلا ظن.

قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا ﴾ أي: القرآن ﴿ بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ أي: فأحيوا آباءنا حتى نصدّقكم بمقالتكم أي: بأن الله يحيي الموتى.

قال الله جواباً لقولهم: ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ﴾ يعني هذه الحياة ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ يعني الموت ﴿ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ ﴾ أي: ليوم القيامة ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي: لا شك فيه، يعني البعث ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: إنهم مبعوثون.

قوله: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ أي: المشركون المكذّبون بالبعث. خسروا أنفسهم أن يغنموها فصاروا في النار، وخسروا أهليهم من الحور العين.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 322، والقول لابن أبي زمنين.

قوله عز وجل: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ ﴾ يعني كفارها في تفسير الحسنى ﴿ جَاثِيَةً ﴾ أي: على ركبها في تفسير بعضهم. وقال مجاهد: أي: على الركب مستوفزين(1). وقال الكلبي: (جَاثِيَةً): جميعاً، يعني: جُثًى، والجثوة عنده جماعة(2). قال: ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ﴾ أي: إلى حسابها، وهو الكتاب الذي كتبته الملائكة من أعمالهم. ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ﴾ أي: يقال لهم: اليوم تجزون ﴿ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ هَذَا كِتَـٰبُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

ذكروا عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب. قال: رَبِّ، وما أكتب؟ قال: ما هو كائن، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة؛ فأعمال العباد تعرض كل يوم اثنين وخميس فيجدونه على ما في الكتاب. وزاد فيه بعضهم: (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). ثم قال: ألستم قوماً عرباً؟ هل يكون النسخ إلا من كتاب(3).

قال: ﴿ فَأَمَّا الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ أي: الجنة ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ أي: البيّن. والفوز: النجاة من النار إلى الجنة. كقوله: (فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) [آل عمران: 185].

قال: ﴿ وَأَمَّا الذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: يقول الله لهم يوم القيامة: (أَلَمْ تَكُن ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ) ﴿ فاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ ﴾ أي: مشركين.

---

(1) يقال: استوفز في قعدته: إذا قعد قعوداً لم يطمئن إليه، وكأنه متهيِّء للوثوب، وانظر اللسان: (وفز).

(2) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 48: «وقوله: (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) يريد: كل أهل دين. (جَاثِيَةً) يقول مجتمعة للحساب». وانظر اللسان: (جثو).

(3) وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 48: «الاستنساخ: أن الملكين يرفعان عمل الرجل صغيره وكبيره، فيثبت الله من عمله ما كان له ثواب أو عقاب، ويطرح منه اللغو الذي لا ثواب فيه ولا عقاب، كقولك: هلمّ، وتعال، واذهب، فذلك الاستنساخ».

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ﴾. أي: يوم القيامة ﴿ وَالسَّاعَةُ ﴾ أي: القيامة ﴿ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ أي: لا شك فيها ﴿ قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّاً ﴾ ذكروا أنهم تدخلهم خلجات شك. قال بعضهم: إن نشك إلا شكاً. ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ أي: إن الساعة آتية.

قال: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ أي: حين غضب عليهم علموا أن أعمالهم كانت سيئات، ولم يكونوا يرون أنها سيئات. ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ ﴾ أي: نزل بهم ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: إنهم كانوا يستهزءون بالنبي والمؤمنين فحاق بهم عقوبة ذلك الاستهزاء، فصاروا في النار.

قوله: ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَيكُمْ ﴾ أي: نترككم في النار ﴿ كَمَا نَسِيتُمْ ﴾ أي: كما تركتم ﴿ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ فلم تؤمنوا به. قال بعضهم: نُسُوا من أهل الخير ولم يُنسوا من أهل الشر. ﴿ وَمَأْوَيكُمُ النَّارُ ﴾ والمأوى: المنزل ﴿ وَمَا لَكُم مِّن نَّصِرِينَ ﴾ أي ينصرونكم من عذاب الله.

﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذتُمْ ءَايَتِ اللهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا ﴾ فكنتم لا تقرون بالبعث ﴿ فَالْيَومْ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا ﴾ أي: من النار ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾[1] أي: لا يخرجون فيستعتبون، أي ليعتبوا، أي ليؤمنوا، وقد فاتهم ذلك.

﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَلَمِينَ ﴾ والعالمون: الخلق. ﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ ﴾ أي: العظمة ﴿ فِي السَّمَوَتِ وَالأَرْضِ ﴾. قال: ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ في نقمته ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في أمره.

(1) هو مثل قوله: (وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِّنَ الْمُعْتَبِينَ) [سورة فصّلت: 24] وانظر ما سلف في هذا الجزء ص 79، تعليق: (1).

تفسير سورة الأحقاف، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ حٰمٓ ﴾، قد فسّرناه فيما مضى من الحواميم. قوله: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَـٰبِ ﴾ أي: القرآن ﴿ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ أي: العزيز في نقمته الحكيم في أمره.

﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي: للبعث والحساب والجنة والنار. ﴿ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: القيامة ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾.

قوله عزّ وجل: ﴿ قُلْ أرءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ يعني أوثانهم ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ أي: لم يخلقوا منها شيئاً. ﴿ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَـٰوٰتِ ﴾ أي: هل خلقوا منها شيئاً؟ على الاستفهام، أي: لم يخلقوا شيئاً. ﴿ اِيتُونِي ﴾ يقول للنبي عليه السلام: قل لهم: ايتوني ﴿ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ قَبْلِ هٰذَا ﴾ فيه أن هذه الأوثان خلقت من الأرض أو من السماوات شيئاً. ﴿ أَوَ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ أي: بهذا ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ أي: لستم بصادقين، وليس عندكم بهذا علم ولا أثارة من علم.

ومقرأ الحسن وتفسيره (أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ) أي من السنن التي قالها النبي عن الله غير منصوصة في الكتاب[1].

(1) كذا ورد هذا التأويل منسوباً إلى الحسن البصري. ولم أجد فيما بين يدي من مصادر التفسير من فسر أثارة العلم بعلم سنن الرسول ﷺ، بل نسب إلى الحسن قوله في هذا: هو الشيء يثيره مستخرجه».

وتفسير الكلبي: بقية من علم[1] قد كان قبل هذا القرآن (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).

وهي تقرأ على وجهين: أثارة وأثرة. فمن قرأها أثارة فهي البقية[2] ومن قرأ: أثرة فهو يقول: خاصة من علم.

ذكروا عن ابن عباس قال: سئل رسول الله ﷺ عن الخط فقال: هو أثرة من علم[3].

ذكروا عن عطاء بن يسار قال: إن رسول الله ﷺ سئل عن الخط فقال: كان نبي من الأنبياء يعلمه، فمن وافق مثل علمه[4] علم.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِن دُونِ اللهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ﴾ يعني أوثانهم ﴿ وَهُمْ ﴾ يعني الأوثان ﴿ عَنْ دُعَائِهِمْ ﴾ يعني عن دعاء من عبدها ﴿ غَـٰفِلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾. قال الحسن: إن الله يجمع يوم القيامة بين كل عابد ومعبود، فيوقفون بين يديه، يحشرها الله بأعيانها فينطقها لتخاصم من كان يعبدها، وهو قوله: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً) الأصنام والذين عبدوها (ثُمَّ نَقُولُ لِلذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ) أي فصلنا بينهم بالمسألة، فسألنا هؤلاء على حدة، وهؤلاء على حدة، (وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَّا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ) أي: ما كنا ندعوكم إلى عبادتنا (فَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ) إيانا (لَغَافِلِينَ). [يونس: 28-29].

---

(1) هذا هو التأويل الذي عليه جمهور المفسرين، وهذا ما رجحه الطبري في تفسيره، ج 26 ص 3.

(2) كذا في ق، وفي ز ورقة 323: «فمن قرأ أثارة، يعني رواية».

(3) أخرجه أحمد وابن أبي حاتم والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً وموقوفاً.

(4) كذا في ق: «مثل علمه»، وفي ع: «مثل عمله». والحديث أخرجه عبد بن حميد عن أبي هريرة مرفوعاً. وأخرجه ابن جرير في تفسيره، ج 26 ص 2 موقوفاً من طريق أبي سلمة عن ابن عباس قال: «خط كان يخطه العرب في الأرض. . .» وقال أبو بكر بن عياش: الخط هو العيافة. وانظر السيوطي، الدر المنثور، ج 6 ص 37-38، وانظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج 7 ص 369.

قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ ﴾ أي: للقرآن ﴿ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

قال الله عز وجل: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيهُ ﴾ أي: محمد، أي: قد قالوا افتراه محمد ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهم ﴿ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئاً ﴾ أي: لا تستطيعون أن تمنعوني من عذاب الله شيئاً ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ أي: بما تقولون فيه من الشرك، ﴿ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي: أني جئت بالقرآن من عنده وأني لم أفتره. قال: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ أي: لمن آمن بالله.

قال: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ أي: ما كنت أولهم، قد كانت الرسل قبلي ﴿ وَلَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ تفسير الحسن: وما أدري ما يحكم لي ولكم الله من الأحكام والشرائع، وهل يتركني مقيماً بين أظهركم في دار الشرك أم يخرجني إلى دار الهجرة.

وقال الكلبي: إن النبي عليه السلام قال: لقد رأيت في منامي أرضاً أخرج إليها من مكة. فلما اشتد البلاء على أصحابه بمكة قالوا: يا نبي الله، حتى متى نلقي هذا البلاء، متى نخرج إلى الأرض التي رأيت. فقال رسول الله ﷺ: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم، أنموت بمكة أم نخرج منها[1].

قال: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾. قال بعضهم: أنزل الله بعد ذلك: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً) [الفتح: 1-3].

ذكروا عن أنس بن مالك قال: إن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ مرجعه

(1) ذكر الواحدي في أسباب النزول، ص 401 هذا الخبر عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بدون سند، وفيه: «أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء...» انظر اختلاف المفسرين في تأويل الآية وترجيح الطبري وآخرين لما ذهب إليه الحسن، انظر ذلك في تفسير الطبري ج 26 ص 5-8، وفي تفسير القرطبي ج 16 ص 186-187.

من الحديبية وأصحابه مخالطون الحزن والكآبة، قد حيل بينهم وبين مناسكهم، ونحروا الهدي بالحديبية فقال: لقد نزلت علي آية لهي أحب إلي من الدنيا وما فيها جميعاً[1]. فتلاها عليهم، فقال رجل من القوم: هنيئاً لك يا رسول الله، قد بيّن الله لك ما يفعل بك، فما يفعل بنا؟ فأنزل الله: (لِيُدْخِلَ الْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزاً عَظِيماً) [الفتح: 5].

قوله: ﴿ قُلْ أَرَءيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ يعني القرآن، ﴿ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَٰءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ ﴾ أي: على مثل القرآن يعني التوراة، ﴿ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾.

ذكر بعضهم فقال: الشاهد من بني إسرائيل هو موسى، شهد على التوراة، فآمن واستكبرتم. وقال بعضهم: هو من بني إسرائيل، آمن بموسى وبالتوراة وأنتم لا تؤمنون بمحمد والقرآن. فذكر ذلك للحسن فقال: ما نسمع إلا أنه عبد الله ابن سلام[2].

ذكروا عن أبي قلابة عن عبد الله بن سلام قال: أنزل الله فيَّ آيتين حيث يقول: (قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) [الرعد: 43] وقوله: (قُلَ اَرَأَيْتُمُ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ).

قال: ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴾ أي المشركين الذين يلقون الله بشركهم.

(1) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية، عن زيد بن أسلم عن أبيه يرويه عن عمر بن الخطاب. وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، من حديث أنس. رقم (1786). لفظه عند البخاري: «لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس. ثم قرأ (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً).

(2) وقال الفراء في المعاني ج 51: «شهد رجل من اليهود على مثل ما شهد عليه عبد الله بن سلام

قوله: ﴿وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ ذكروا عن أبي المتوكل الناجي قال: كان أول إسلام أبي ذر أنه جاء يطلب النبي ﷺ، فكان في أستار الكعبة خمسة عشر يوماً يخرج بالليل، يطوف بالبيت، ويشرب من ماء زمزم، ليس له طعام ولا شراب غيره. فبينما هو كذلك إذا نبي الله ذات ليلة ومعه أبو بكر، فرآهما فعرف النبي بالنعت. فعرض النبي عليه السلام الإسلام فأسلم. فقال له النبي عليه السلام: اذهب فادع قومك، فذهب، فلقى زعيماً لهم كانوا يأتمرون به ولا يعصونه في الأمر إذا أمرهم. فقال له أبو ذر: إني تركت الظهر[1] بمكة غالياً، فاجلب إليها ظهراً فإنك تصيب به بمنى. فجلب إليها ظهراً فأصاب به بمنى. فلقيه نبي الله عليه السلام، فعرض عليه الإسلام فأسلم. ثم قال له النبي عليه السلام: اذهب فادع لي قومك فأتاهم فقال: يا قوم، أطيعوني هذه المرة ثم اعصوني. قالوا: وما ذلك؟ قال: أسلموا تدن لكم العجم، وتعترف لكم العرب، فتفرقوا ونفروا عنه، وقالوا: ما كنا نراك تقول لنا هذا.

ثم تلاوموا بينهم وتراجعوا، ثم قالوا: أليس صاحبنا الذي عرفنا يمنه وحسن رأيه في الأمر إذا أمرنا، فما لنا هذه المرة؟ فرجعوا إليه فقالوا: ما هذا الذي تعرض علينا؟ فقال: أسلموا تدن لكم العجم وتعترف لكم العرب، فأسلموا. فبلغ ذلك قريشاً فقالوا: إن غفاراً لحلفاء[2]، فلو كان هذا خيراً ما سبقونا إليه، فأنزل الله في

= من التصديق بالنبي ﷺ وأنه موصوف في التوراة، فآمن ذلك الرجل واستكبرتم».

(1) الظهر: الرِّكاب، أي الإبل التي يُركب عليها ويُحمل في السفر الطويل، وفي الحديث: من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له. أخرجه مسلم في كتاب اللقطة، باب استحباب المؤاساة بفضول المال (1729).

(2) كذا وردت هذه الكلمة في ق و ع: «لحلفاء»، ولست مطمئناً إليها، ولم أجد القصة مفصلة في بعض المصادر حتى أتحقق من صحتها. وجاء في معاني الفراء ج 3 ص 51 ما يلي في تفسير الآية: «لما أسلمت مزينة وجهينة وأسلم وغفار قالت بنو عامر بن صعصعة وغطفان وأشجع وأسد: لو كان هذا خيراً ما سبقنا إليه رعاة البهم، فهذا تأويل قوله: (لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ)». ويبدو لي أن في الكلمة تصحيفاً صوابها «حنفاء». فإن من معاني الحنيف المائل عن الأديان إلى الإسلام. وانظر اللسان: (حنف).

ذلك: (وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ).

قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾.

قال: ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: ومن قبل هذا القرآن ﴿ كِتَـٰبُ مُوسَىٰ إِمَاماً ﴾ يعني التوراة يهتدون به ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ أي: لمن آمن به ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ ﴾ يعني القرآن ﴿ مُّصَدِّقٌ ﴾ أي: للتوراة والإنجيل ﴿ لِّسَاناً عَرَبِياً لِّتُنْذِرَ الذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: أشركوا ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ يعني المؤمنين بالجنة.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ أي: على ذلك وعلى الفرائض التي فرضها الله عليهم ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

ذكروا أن أبا بكر قرأ هذه الآية فقالوا له: وما الاستقامة يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: لم يشركوا. وذكروا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ثم استقاموا على الفرائض لم يروغوا روغان الثعلب.

قال: ﴿ أُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ الْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي: لا يخرجون منها ولا يموتون. ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: على قدر أعمالهم.

قال: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْـهِ حُسْناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهاً وَوَضَعَتْهُ كَرْهاً ﴾ أي حملته بمشقة ووضعته بمشقة، ﴿ وَحَمْلُهُ ﴾ أي في البطن ﴿ وَفِصَالُهُ ﴾ أي: وفطامه ﴿ ثَلَـٰثُونَ شَهْراً حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ أي: إذا احتلم، وبعضهم يقول: عشرين سنة[1]، ﴿ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ أي في السّنّ ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي ﴾ أي: ألهمني ﴿ أَنْ

(1) جاء في ز، ورقة 324 ما يلي: قال محمد: وجاء في الأشد هاهنا أنه بضع وثلاثون سنة وهو الأكثر. واقرأ هذا التعليل الذكي وهذا الترجيح البديع الذي كتبه الفراء في المعاني ج 3 ص 52؛ قال: «... إن الأشد هاهنا هو الأربعون. وسمعت بعض المشيخة يذكر بإسناد له في الأشد: ثلاث وثلاثون سنة، وفي الاستواء: أربعون. وسمعت أن الأشد في غير هذا الموضع: ثماني عشرة. والأول أشبه بالصواب. لأن الأربعين أقرب في النسق إلى ثلاث وثلاثين منها إلى ثماني =

اشْكُرَ نِعْمَتَكَ التِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنَ أَعْمَلَ صَـٰلِحاً تَرْضَيٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾.

قال الحسن: هذا دعاء المؤمن لوالديه إن كانا مؤمنين، ودعاؤهما لذريتهما المؤمنين. وقال الكلبي: بلغنا أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهي بعدُ مرسلة في المؤمنين.

قال: ﴿ أُولَٰئِكَ الذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَـٰبِ الْجَنَّةِ ﴾ أي: مع أصحاب الجنة ﴿ وَعْدَ الصِّدْقِ الذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ أي: في الدنيا، وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَالذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِيَ أَنُ أُخْرَجَ ﴾ أي: أن أبعث ﴿ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي ﴾ أي: فلم يبعثوا. قال: ﴿ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ ءَامِن ﴾ أي يقولان له: ويلك آمن ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ﴾ أي القيامة، ﴿ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَـٰطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي: كذب الأولين وباطلهم.

نزلت في عبد الرحمٰن بن أبي بكر قبل أن يسلم، وفي أبويه أبي بكر وامرأته أم رومان، وهي أم عائشة، كانا يقولان له قبل أن يسلم هذا القول، فيقول هو هذا القول الذي أجابهما به[1].

قال الله عز وجل جواباً لقول عبد الرحمن في القرون التي قد خلت فلم يبعثوا: ﴿ أُولَٰئِكَ الذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ [أي: وجب عليهم الغضب][2] ﴿ فِي أُمَمٍ قَدْ

= عشرة. ألا ترى أنك تقول: أخذت عامة المال أو كله، فيكون أحسن من أن تقول: أخذت أقل المال أو كله. ومثله قوله: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَي اللَّيْلِ وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ) [المزمل: 20]، فبعض ذا قريب من بعض، فهذا سبيل كلام العرب. والثاني يعني ثماني عشرة، لو ضم إلى الأربعين كان وجهاً». وقد نقل الطبري في تفسيره، ج 26 ص 16 ما ذهب إليه الفراء ولم يذكره. وانظر اللسان: (شدد).

(1) انظر اختلاف المفسرين فيمن نزلت فيهم الآية في تفسير القرطبي، ج 16 ص 197.

(2) زيادة من ز، ورقة 324.

خَلَتْ ﴾ أي: مع أمم قد خلت ﴿ مِّنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ ﴾ صاروا إلى النار ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا خَـٰسِرِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ أي: للمؤمنين وللمشركين؛ للمؤمنين درجات في الجنة على قدر أعمالهم، وللمشركين دركات في النار على قدر أعمالهم. قال: ﴿ وَلِنُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ أي جزاء أعمالهم ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾ وعرضهم، في تفسير الحسن، دخولهم النار. ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾. وهي تقرأ أيضاً على الاستفهام بمد: (آذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا)؟. فمن قرأها بغير مدّ فهو يقول [على الخبر][1]: قد فعلتم. ومن قرأها بالمدّ فهي على الاستفهام. وإضمارها: أي قد فعلتم. المعنى: إنكم أذهبتم طيباتكم، أي: من الجنة إذ كنتم في الدنيا، أذهبتموها بشرككم.

قال: ﴿ وَاسْتَمْتَعْـتُمْ بِهَا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: عن عبادة الله ﴿ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾ أي: بشرككم وتكذيبكم ﴿ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ أي: فسق الشرك.

قوله: ﴿ وَاذْكُر أَخَا عَادٍ ﴾ يعني هوداً، أخوهم في النسب وليس بأخيهم في الدين، ﴿ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ ﴾ أي: أنذرهم عذاب الله ﴿ بِالأَحْقَافِ ﴾ وكانت منازلهم في أحقاف الرمال[2]. ﴿ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ وهذا بدء كلام مستقبل. يخبر الله أن الرسل قد خلت، أي: مضت، من بين يدي هود، أي: من

(1) زيادة من ز، ورقة 324.

(2) الأحقاف، جمع حقف، ويجمع على حقاف، وهو ما اعوج من الرمل، وقال الفراء: «الحقف: الرملة المستطيلة المرتفعة إلى فوق». والأحقاف منازل عاد، وهي رمال فيما بين عُمَان إلى حضرموت. وقال ابن عباس: «واد بين عمان ومهرة». انظر ياقوت، معجم البلدان ج 1 ص 115، واقرأ ما كتبه البكري رواية عن الكلبي في موضع الأحقاف في معجم ما استعجم ج 1 ص 119-120.

قبله ومن خلفه، أي من بعده، يدعون إلى ما دعا إليه هود من عبادة الله ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾. رجع إلى قصة هود فأخبر بقوله لقومه.

﴿ قَالُوا ﴾ أي قال له قومه ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا ﴾ أي: لتصرفنا ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ أي: عن عبادتها. وهذا منهم على الاستفهام. أي: قد فعلت ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ﴾ أي: إنه كان يعدهم بالعذاب إن لم يؤمنوا.

﴿ قَالَ ﴾ لهم ﴿ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي: علم متى يأتيكم العذاب. ﴿ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَيكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ ﴾ أي رأوا العذاب ﴿ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ أي: حسبوه سحاباً، وكان قد أبطأ عنهم المطر.

قال الله عز وجل: ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ﴾ أي: لما كانوا يستعجلون به هوداً من العذاب استهزاءً وتكذيباً. فقال: بل هو ما استعجلتم به ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ أي: تدمر كل شيء أمرت به، وهي ريح الدبور.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور[1]. وذكروا عن ابن عباس عن النبي عليه السلام مثل ذلك.

قال الله: ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ﴾ يقوله للنبي عليه السلام؛ أي: لا تبصر إلا مساكنهم. وهي تقرأ على وجه آخر: (لَا تُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ) أي: قد هلكت وبقيت مساكنهم. وهي تقرأ على وجه ثالث: (فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ)[2]. قال الله ﴿ كَذَٰلِكَ تَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين.

---

(1) حديث متفق على صحته، انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 3 ص 356.

(2) هذا الوجه الأخير من القراءة هو ما رجحه الفراء، وهي قراءة عاصم وحمزة ويعقوب. وقرأ الحسن (لا تُرى إلا مساكنُهم) انظر تفصيل وجوه هذه القراءات وعللها في معاني الفراء ج 3 ص 55.

قال: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ ﴾ أي: فيما لم نمكنكم فيه، يعني مشركي العرب، كقوله: (كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً) [التوبة: 69].

قال: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَـٰراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِئَايَـٰتِ اللهِ وَحَاقَ بِهِم ﴾ أي: ونزل بهم ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾. أي: نزل بهم عقوبة استهزائهم، يعني ما عذبهم به.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ ﴾ يقوله لأهل مكة، وهي أم القرى، منها دحيت الأرض، وما حولها البلاد كلها[1]. أخبر بهلاك من أهلك. قال: ﴿ وَصَرَّفْنَا الأَيَـٰتِ ﴾ أي: أخبرناكم كيف أهلكناهم. قال: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: لعل من بعدهم يرجعون إلى الإيمان، يحذرهم بذلك، كقوله: (وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيراً) [الفرقان: 39]، وكقوله: (وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ) [إبراهيم: 45] يعني ما أهلك به من قبلهم من الكفّار، يحذّرهم بهذا كله.

﴿ فَلَوْلَا ﴾ أي: فهلا ﴿ نَصَرَهُمُ الذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ قُرْبَاناً ءَالِهَةً ﴾ يعني آلهتهم التي عبدوها من دون الله والتي يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى ليصلح لهم معايشهم في الدنيا، ولم يكونوا يقرّون بالآخرة. قال: فهلّا نصروهم إذ جاءهم العذاب. ﴿ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ ﴾ أي: كذبهم ﴿ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾.

ذكروا عن عبد الله بن كثير المكّيّ[2] أنه كان يقرأها: (وَذَٰلِكَ أَفَكَهُمْ)[3] أي: صَدَّهم عن الهدى.

---

(1) قيل هي ديار ثمود بالحِجر، ومدائن قوم لوط المؤتفكات، وغيرها من منازل الأمم المهلكة.

(2) في ق و ع: «عبد الله بن أبي كثير» وهو خطأ صوابه ما أثبته: عبد الله بن كثير المكي الداري، إمام أهل مكة في القراءة. قال عنه ابن مجاهد: «ولم يزل عبد الله هو الإمامَ المجتمع عليه في القراءة بمكة حتى مات سنة عشرين ومائة. انظر ابن الجزري، طبقات القراء ج 1، ص 443، ترجمته رقم (1852).

(3) وهذه قراءة نسبت أيضاً إلى ابن عباس وأبي عياض وعكرمة وغيرهم. ويبدو أن ابن كثير أخذ هذه القراءة على درباس، مولى عبد الله بن عباس، انظر ابن جني، المحتسب، ج 2 ص 267.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ أي: يقوله بعضهم لبعض ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ أي: فلما قرأه عليهم النبي عليه السلام وأسلموا ﴿وَلَّوا﴾ أي: رجعوا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنْذِرِينَ﴾ وهم أهل نصيبين[1].

ذكر بعضهم أن جن نصيبين أتوا النبي عليه السلام فقرأ عليهم القرآن؛ فقالوا: يا رسول الله زوّدنا، فقال: كل روثة لكم خضرة، وكل عظم لكم عرق. فقالوا: يا رسول الله: إن أمتك ينجسونه علينا. فنهى رسول الله ﷺ أن يستنجي بعظم أو روثة[2].

ذكروا عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس وعن ابن مسعود أن جن نصيبين لما قرأ عليهم النبي عليه السلام القرآن فأرادوا أن يرجعوا زودهم الروث والعظام، لا يأتون على شيء منه إلا وجدوه لحماً وتمراً.

ذكروا عن عون بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود قال: خرجنا حاجين ومعتمرين، حتى إذا كنا بالطريق هاجت ريح فارتفعت عجاجة من الأرض حتى إذا كانت على رؤوسنا انكشفت عن حية بيضاء[3]، فنزلنا، وتخلف صفوان بن المعطل

---

(1) ذكرها ياقوت في معجم البلدان، ج 5 ص 288-289 وأطنب في وصفها والحديث عنها فقال: هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة. على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان، بينها وبين سنجار سبعة فراسخ، وبينها وبين الموصل ستة أيام».

(2) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، (رقم 450) من حديث ابن مسعود، وفيه: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم». وأخرجه أحمد وغيرهما من طرق عدة. انظر هذا كله في تفسير ابن كثير، ج 6 ص 290-306.

(3) كذا في ق و ع: «انكشفت عن حية بيضاء»، وفي ز، ورقة 325: «تكشّفت عن جان بيضاء، يعني حية».

فأبصرها. فصب عليها من مطهرته[1]، وأخرج خرقة من عيبته فكفّنها فيه، ثم دفنها، ثم اتّبعنا، فإذا بنسوة قد جئن عند العشاء، فسلمن ثم قلن: أيكم دفن عمرو بن جابر، فقلنا: والله ما نعرف عمرو بن جابر. فقال صفوان بن المعطل: أبصرت جاناً أبيض فدفنته[2]. قلن: ذلك والله عمرو بن جابر، بقية من استمع إلى رسول الله ﷺ قراءة القرآن من الجن؛ التقى زحفان من الجن، زحف من المسلمين وزحف من الكفار، فاستشهد رحمه الله.

ذكروا أن قوماً نفروا إلى عبد الله بن مسعود فقالوا: بينما نحن نسير في طريق الشام إذ رفع إلينا إعصار. فلما انتهينا إليه إذا حية قتيل[3] فنزل بعض القوم فكفّنها في عمامة له ثم دفنها. فلما نزلنا وجنّ علينا الليل إذا بامرأتين قد جاءتا، فسلمتا علينا، ثم قالتا: أيكم دفن عمراً اليوم؟ قلنا: ما دفنا رجلاً. قالتا: بلى، الحية القتيل. قلنا: نعم. قالتا: فإن كنتم إنما نويتم الآخرة والأجر فقد أصبتم. إن فسقة الجن ومسلميهم اقتتلوا اليوم فقتل فيهم، والله إنه لأحد النفر الذين استمعوا القرآن عند محمد ﷺ.

قوله: (مُنْذِرِينَ) أي: أنذروا قومهم.

﴿ قَالُوا يَـٰقَوْمَنَـا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰباً أُنْزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ كانوا على اليهودية قبل أن يسلموا. ﴿ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: من الكتاب ﴿ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: إلى دين مستقيم، وهو الطريق المستقيم إلى الجنة.

﴿ يَـٰقَوْمَنَـا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ ﴾ يعنون النبي عليه السلام ﴿وَءامِنُوا بِهِ﴾ أي:

(1) المَطهَرة: كل إناء يتطهّر به ويتوضأ به، وهي بفتح الميم وكسرها، «والفتح أعلى». كما قال الجوهري.

(2) كذا في ق وع: وفي ز، ورقة 325: «أبصرت جاناً بيضاء فدفنتها» وكلاهما صحيح. جاء الوصف في العبارة الأولى تابعاً للفظ الجان، وفي الثانية لمعناه لأن الجان هو الحية البيضاء.

(3) كذا في النسخ كلها: «حية قتيل»، وهي عربية عريقة. قال ابن السكيت: «إذا كان (فعيل) نعتاً لمؤنث وهو في تأويل مفعول، كان بغير هاء. انظر ابن السكيت، إصلاح المنطق ص 343.

وصدّقوا به ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ أي: ذنوبكم كلها ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ ﴾ أي النبي عليه السلام ﴿ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: فليس بالذي يسبق الله حتى لا يبعثه ثم يعذبه. ﴿ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ﴾ أي: يمنعونه من عذاب الله. قال: ﴿ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بيّن، يعني من لا يجيب داعي الله. أي لا يؤمن.

قوله: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الذِي خَلَقَ السَّمَٰوٰتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾ كقوله: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَٰوٰتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ) [سورة قٓ: 38] أي من عياء. وذلك أن اليهود أعداء الله قالت: إنه لما فرغ من خلق السماوات والأرض عيـي فاستلقى فوضع إحدى رجليه على الأخرى فاستراح، فأنزل الله: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) أي: من شمس وقمر ونجوم وسحاب ومطر وريح وليل ونهار وماء ومدر وحجر، وكل ما بينهما مما يرى ومما لا يرى (فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ). وقال: (أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّ اللهَ الذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ) قال: ﴿ بِقَادِرٍ ﴾ على أن يخلق مثلهم وبقادر ﴿ عَلَى أَن يُحْيِـيَ المَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ﴾ أي: يقال لهم هذا، في تفسير الحسن، يقال لهم هذا وهم في النار. أليس هذا بالحق الذي كنتم توعدون في الدنيا.

﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُـو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ قال بعضهم: أولو العزم من الرسل خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام. يقول: اصبر يا محمد كما صبروا هم جميعاً. وأولوا العزم في تفسير الحسن أولو الصبر. وبعضهم يقول: أولو الحزم. وتفسير الكلبي: يعني من أمر بالقتال من الرسل.

قال: ﴿ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ يعني المشركين: لا تستعجل لهم بالعذاب. كقوله: (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيداً) [الطارق: 17]. وهذا وعيد لهم.

﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ ﴾ يعني العذاب ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَغٌ ﴾ تفسير الحسن: في هذا الذي وصفت من إهلاك القرون، وفيما أخبر أنه يهلك كفار آخر هذه الأمة بقيام الساعة بلاغ. وفيها إضمار: يقول: في هذا الذي أخبرت بلاغ. ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ ﴾ أي: بعد البلاغ ﴿ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَسِقُونَ ﴾ أي: المشركون.

تفسير سورة محمد ﷺ، وهي مدنية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾. قوله عز وجل: ﴿ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ أي: سبيل الهدى، [يعني الإسلام][1] ﴿ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ أي: أحبط أعمالهم في الآخرة، أي: ما عملوا من حسن.

قال: ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾ أي:

وجهه تغيراً شديداً][1] ثم قال: إني لم أبعث لأعذب بعذاب الله، ولكني بعثت بضرب الأعناق وشدّ الوثاق.

ذكر الحسن عن معاذ بن جبل قال: بعثني رسول الله ﷺ فقال: إن أمكنك الله من فلان فأحرقه بالنار. قال: فلما وليت قال: ردوه علي. فرجعت، فقال: أمرتك إن أمكنك الله من فلان أن تحرقه بالنار؟ قلت: نعم. قال: إني قلته وأنا غضبان، إنه ليس لأحد أن يعذب بعذاب الله، فإن قدرت فاضرب عنقه[2].

قوله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا مَنّاً بَعْدُ وَأَمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ فيها تقديم، يقول: فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرّقاب حتى تضع الحرب أوزارها، أي حتى ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدّجّال، ويكسر الصّليب ويقتل الخنزير، وتضع الحرب أوزارها[3].

---

(1) زيادة من ز، ولم أجد هذه القصة فيما بين يدي من مصادر الحديث والتاريخ. وقد رواها ابن سلام بهذا السند: «يحيى عن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن أن رسول الله بعث سرية. . .».

(2) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار عن محمد بن حمزة الأسلمي عن أبيه (رقم2673) وعن أبي هريرة (رقم 2674). وأخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله عن أبي هريرة. وقيل إن فلاناً هذا هو هبّار بن الأسود، الذي أسلم بعد ذلك. انظر قصته مفصلة في مغازي الواقدي، ج 2، ص 857-858، وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج 6 ص 149-151. وانظر محمد بن الحسن الشيباني، شرح السير الكبير، ج 4 ص 1469.

(3) حذف الشيخ هود بعد هذا خبراً رواه ابن سلام، كما جاء في ز ورقة 326، هكذا: «يحيى عن ابن لهيعة عن أبي الزبير قال: سألت جابر بن عبد الله قلت: إذا كان عليّ إمام جائر فلقيت معه أهل ضلالة أقاتل أم لا؟ ليس بي حُبّه ولا مظاهرته. قال: قاتل أهل الضلالة أينما وجدتهم، وعلى الإمام ما حمّل وعليك ما حمّلت». وحذف بعده أيضاً حديثاً رواه ابن سلام بالسند التالي: «يحيى عن عمار الدهني عن جسر المصيصي عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: بني الإسلام على ثلاث: الجهاد ماض منذ بعث الله نبيّه إلى آخر فئة من المصلين تكون هي التي تقاتل الدجال لا ينقضه جور من جار، والكف عن أهل لا إله إلا الله أن تكفروهم بذنب، =

ذكروا عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين. ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق من ناوأهم إلى يوم القيامة(1).

وتفسير الحسن: (حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) أي: ذنوبها، أي: شركها(2). يريد قوله: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) [البقرة: 193] أي: حتى لا يكون شرك. هذا في مشركي العرب. وأما أهل الكتاب فإذا أقرّوا بالجزية قُبلت منهم وكُفَّ عنهم القتال. كذلك جميع المشركين إلا مشركي العرب، إلا من كان دخل في أهل الكتاب منهم قبل أن يؤمر بقتال أهل الكتاب، حتى يسلموا أو يقرّوا بالجزية.

قال: (حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ) وهذا في الأسرى. (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً). لم يكن لهم حين نزلت هذه الآية إذا أخذوا أسيراً إلا أن يفادُوه أو يُمنّوا عليه فيرسلوه. وهي منسوخة؛ نسختها:(فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ) أي: عظ بهم من سواهم (لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) [الأنفال: 57]. فإن شاء الإمام قتل

= والمقادير خيرها وشرها من الله». وكأني بالشيخ هود قد أسقط هذا الحديث لِمَا قد يُفهَم منه من معنى الإرجاء.

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد والشيخان: أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، (رقم 1037) كلاهما يرويه عن معاوية وهو على المنبر، وأخرجه أيضاً مسلم في نفس الباب مختصراً من حديث ثوبان (رقم 1920) ومن حديث جابر بن عبد الله (رقم 1923).

(2) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 57: «وقوله: (حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا): آثامها وشركها حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم. والهاء التي في (أَوْزَارَهَا) تكون للحرب وأنت تعني: أوزار أهلها». . . وقال ابن أبي زمنين: «المعنى حتى يضع أهل الحرب السلاح. وهو الذي ذهب إليه مجاهد. وأصل الوزر ما حملته، فسمى السلاح أوزاراً لأنه يحمل. قال الأعشى:

وَأَعْدَدتُ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَا   رِمَاحاً طِوَالاً وَخَيْلاً ذُكُوراً

وانظر اللسان (وزر).

الأسارى، وإن شاء جعلهم غنيمة، وإن شاء أفدى. وأما المنّ بغير فداء فليس له ذلك. قال بعضهم: لا ينتقم منهم له.

قال: ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾ يعني بغير قتال؛ يبتلى به المؤمنين والنبي عليه السلام[1]. قال: ﴿ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ أي: يبتلي بعضكم ببعض.

قال: ﴿ وَالذِينَ قَـٰتَلُوا ﴾ وهي تقرأ على وجه آخر: (قُتِلُوا) ﴿ فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَن يُّضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ أي: فلن يحبط أعمالهم. ﴿ سَيَهْدِيهِمْ ﴾ تفسير الحسن: يحقق لهم الهدى ﴿ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ وهي مثل الأولى. ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾[2].

تفسير مجاهد: إنهم يعرفون منازلهم في الجنة إذا جاءوا إلى الجنة. وتفسير الحسن: يعرفون الجنة بالصفة التي وصفها الله لهم في الدنيا.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ ﴾ أي: نصرهم النبي ودينه نصر لله ﴿ يَنصُرْكُمْ ﴾ الله ﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾.

قال: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّهُمْ ﴾. تفسير الحسن: إن التعس شتم من الله لهم، وهي كلمة عربية[3]. ﴿ وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ أي: أحبط ما كان منها حسناً في الآخرة.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾ أي القرآن ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾.

---

(1) وقيل: «بملائكة غيركم». وقال قتادة: «(وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ) إي والله بجنوده الكثيرة، كل خلقه له جند، ولو سلّط أضعف خلقه لكان جنداً».

(2) قيل إن هذه الآية نزلت في أهل أُحد، كما رواه الطبري في تفسيره، ج 26 ص 43-44 عن قتادة.

(3) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 58: «كأنه قال: فأتعسهم الله وأضل أعمالهم؛ لأن الدعاء قد يجري مجرى الأمر والنهي، ألا ترى أن (أَضَلَّ) فعل، وأنها مردودة على التعس، وهو اسم لأن فيه معنى أتعسهم، وكذلك قوله: (حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا) مردودة على أمر مضمر ناصب لضرب الرقاب».

قوله عز وجل: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: أهلكهم الله ﴿ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا ﴾ يعني عاقبة الذين من قبلهم. أي الذين تقوم عليهم الساعة، كفار آخر هذه الأمة، يهلكون بالنفخة الأولى.

قال الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي: وليّهم ﴿ وَأَنَّ الْكَـٰفِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ ﴾ أي: لا ولي لهم إلا الشيطان، فإنه وليّهم. وأما قوله: (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَيٰهُمُ الحَقِّ) [الإنعام: 92] فمعناه مالكهم، وليس هو من باب ولاية الله للمؤمنين. وقال: (اللهُ وَلِيُّ الذِينَ ءَامَنُوا) [البقرة: 257].

قال: ﴿ إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ ﴾ أي: أنهار الجنة تجري في غير خدود: الماء والعسل واللبن والخمر، وهو أبيض كله؛ فطينة النهر مسك أذفر، ورضراضه الدر والياقوت، وحافاته قباب اللؤلؤ.

قال: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَـأْكُلُ الأَنْعَـٰمُ ﴾ وهي غافلة عن الآخرة. قال: ﴿ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ أي: منزل للذين كفروا.

ذكروا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: المؤمن يأكل في مِعًى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء(1).

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ قَرْيَةٍ ﴾ أي: وكم من قرية ﴿ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً ﴾ أي: أهلها كانوا أشد قوة ﴿ مِّنْ قَرْيَتِكَ ﴾ أي: من أهل قريتك ﴿ التِي أَخْرَجَتْكَ ﴾ يعني مكة، أخرجك أهلها ﴿ أَهْلَكْنَـٰهُمْ فَلاَ نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ أي: يمنعهم منا.

قوله: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّـهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُـوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴾. وهذا المشرك، أي: ليسوا بسواء(2).

---

(1) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 341.

(2) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 59 بعد ذكر الآية: «ولم يقل: واتبع هواه، وذلك أن (مَنْ) تكون معنى واحد وجميع، فردّت أهواؤهم على المعنى. ومثله: (وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ) =

قوله عزّ وجلّ: ﴿ مَثَلُ الجَنَّةِ التِي وُعِدَ المُتَّقُونَ ﴾ أي: مثل صفة الجنة ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ أي: غير متغيّر[1] ﴿ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ﴾ أي: لم يخرج من ضروع المواشي فيتغيّر. ﴿ وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ ﴾ أي: لم يعصره الرجال بأقدامهم[2] ﴿ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ أي: لم يخرج من بطون النحل.

ذكروا عن كعب أنه قال: دجلة في الجنة لبن أغزر ما يكون من الأنهار التي سمّى الله، والفرات خمر أغزر ما يكون من الأنهار التي سمّى الله، والنيل عسل أغزر ما يكون من الأنهار التي سمّى الله، وجيحان ماء أغزر ما يكون من الأنهار التي سمّى الله.

ذكروا أن أربعة أنهار من الجنة: سيحون[3] وجيحون[4] والنيل والفرات.

ذكروا أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسريَ به قال: ثم رفعت لنا سدرة المنتهى، فإذا ورقها مثل آذان الفيلة، ونبقها مثل قلال هجر. وإذا أربعة أنهار يخرجون من أصلها: نهران باطنان، ونهران ظاهران. قلت: يا جبريل: ما هذه الأنهار؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات.

= [الأنبياء: 82]، وفي موضع آخر: (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيكَ) [الأنعام: 25]، وفي موضع آخر: (وَمِنهُم مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ) [يونس: 42].

(1) يقال: أَسَن الماء، يأسِن ويأسُن أُسُونا، وأَسِن يأسَن أَسَناً، إذا تغيّرت رائحته. وأسِن الرجل أَسَناً إذا دخل البئر فأصابه دُوار وغُشِيَ عليه من خُبث ريح البئر. اللسان (أسن).

(2) وكانوا إلى عهد قريب يعصرون الخمر بأقدامهم، يدوسون العنب لاستخراج الخمر، وذلك قبل أن تخترع آلات العصر المستحدثة.

(3) سيحون: نهر كبير يوجد فيما وراء النهر بعد سمرقند، وهو يجمد في الشتاء.

(4) جيحون، واسمه الحالي: أموداريا، من الأنهار الكبرى في آسيا. يأخذ منابعه من نواحي بامير الهند، ثم يجتاز آسيا حتى ينصب في بحيرة خوارزم (بحيرة آرال حالياً). وطول النهر حوالي ألفين وستمائة كيلومتر. وقد وصفه ياقوت الحموي في معجمه، ج 2 ص 196، وصفاً بديعاً وخاصة عند سورة البرد وتجمد النهر.

قوله: ﴿ وَلَهُم فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرٰتِ ﴾ تفسير الحسن: ما يعرفونها في الدنيا وما لا يعرفون. وتفسير بعضهم في قوله: (كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُوا هٰذَا الذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ) [البقرة: 25] أي: في الدنيا، يعرفونه باسمه.

قال بعضهم: أهبط الله من الجنة إلى الأرض ثلاثين ثمرة؛ عشرة يؤكل داخلها ولا يؤكل خارجها، وعشرة يؤكل خارجها ولا يؤكل داخلها، وعشرة يؤكل داخلها وخارجها.

قال: ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾. وهذا على الاستفهام. يقول: أهؤلاء المتّقون الذين وُعِدوا الجنة فيها ما وصف الله، كمن هو خالد في النار كما وصف الله، أي: ليسوا سواء.

قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَّسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ يعني المنافقين ﴿ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءانِفاً ﴾. كانوا يأتون النبي ﷺ يستمعون حديثه من غير حسبة[1] ولا يفقهون حديثه، فإذا خرجوا من عنده قالوا للذين أوتوا العلم، قالوا لعبد الله [بن مسعود][2]: ماذا قال محمد آنفاً، لم يفقهوا ما قال النبي عليه السلام.

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿ أُولٰئِكَ الذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾.

قال الله: ﴿ وَالذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَيٰهُمْ ﴾ أي: كلما جاءهم من عند الله شيء صدّقوه فزادهم ذلك هدى (وَءَاتَـٰهُـمْ) أي أعطاهم (تَقْـوَيٰهُمْ) أي جعلهم متّقين.

---

(1) في ق و ع: «من غير خشية، وأثبت ما جاء في ز، ورقة 327 فهو أصح: «حسبة» أي: من غير أن يحتسبوا ثواب استماعهم عند الله.

(2) زيادة من ز، وجاء في بعض التفاسير أنه عبد الله بن عباس. وقد روى الطبري في تفسيره، ج 26 ص 51 خبراً جاء فيه ما يلي: «قال ابن عباس: أنا منهم، وقد سئلت فيمن سئل. وأرى أن الآية عامة تشمل كل من أوتي العلم من الصّحابة رضي الله عنهم.

قوله: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ [أي: فما ينتظرون][1] ﴿ إِلَّا السَّاعَةَ ﴾ أي: النفخة الأولى التي يهلك الله بها كفار آخر هذه الأمة ﴿ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ﴾ أي: فجأة ﴿ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[2].

كان النبي عليه السلام من أشراطها، وكان انشقاق القمر من أشراطها، ورمي الشياطين بالنجوم من أشراطها، وأشراطها كثيرة[3].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين، فما فضل إحداهما على الأخرى، فجمع بين اصبعيه الوسطى والسبابة[4].

وذكر بعضهم قال: قال رسول الله ﷺ: من أشراط الساعة موت الفجاءة، وأن يرى الهلال ليلته كأنه لليلتين، وأن تكلم الذئاب.

وقال بعضهم: من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: من أشراط الساعة أن يظهر العلم، ويفيض المال، وتكثر التجار. ومن أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر. ومن أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً كأن وجوههم المجانّ المطْرَقة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من أشراط الساعة أن يرى رعاء الشاء على رؤوس الناس، وأن يرى الحفاة العراة الجُوَّع يتبارون في البنيان، وأن تلد الأمة ربها وربتها.

---

(1) زيادة من ز، وقد ورد النظر بمعنى الانتظار كثيراً في القرآن، منها قوله تعالى: (غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ) [الأحزاب: 53] أي غير منتظرين، وقوله: (فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) أي فمنتظرة. [النمل: 35].

(2) الأشراط؛ جمع شرَط، بفتح الراء، وهي العلامات والأمارات. قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 215: «(فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) أعلامها، وإنما سمى الشرط فيما نرى لأنهم أعلموا أنفسهم، وأشراط المال صغار الغنم وشراره. . .».

(3) الأحاديث التي صحّت عن رسول الله ﷺ في أشراط الساعة كثيرة جمعها أصحاب السنن. انظر صحيح البخاري، كتاب الفتن، وصحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة. وانظر السيوطي، الدر المنثور، ج 6 ص 50-62.

(4) انظر ما سلف، ج 3 ص 62.

ذكروا عن أبي عمران الحولي[1] قال: قال رسول الله ﷺ: حين بعث إليّ بعث إلى صاحب الصور، فأهوى به إلى فيه، وقدم رجلاً وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر فينفخ؛ ألا فاتقوا النفخة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ خرج يوماً على أصحابه فقال: كيف بكم وصاحب القرن قد حنى جبهته وأصغى بسمعه ينتظر متى يؤمر فينفخ فيه.

قال: ﴿ فَأَنَّىٰ لَهُمْ ﴾ أي: فكيف لهم. ﴿ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ أي: فكيف لهم التوبة إذا جاءتهم الساعة، إنها لا تقبل منهم.

قال: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ إذا صرتم إليه. والمثوى المنزل الذي يثوون فيه، أي: لا يزولون عنه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا ﴾ أي: هلاّ ﴿ نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ ﴾ والمحكمة المفروضة ﴿ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ﴾ وهي كل سورة فرض فيها القتال، أي أُمر به ﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ يعني المنافقين ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ أي: خوفاً منه وكراهية للقتال. كقوله: (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ) [المنافقون: 4].

قال: ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ وهذا وعيد من الله لهم: ثم انقطع الكلام. ثم قال: ﴿ طَاعَةٌ ﴾ أي: طاعة لله ورسوله ﴿ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ أي خير لهم مما هم عليه من النفاق.

قال: ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾ أي: بالجهاد في سبيل الله ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ ﴾ فكان عزمهم في الجهاد صدقاً[2] ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ يعني به المنافقين.

---

(1) جاء هذا الاسم في ع هكذا: «عن أبي عمران الحولي»، وجاء في ق هكذا: «أبي صمران الحوا»؛ ولم اهتد لتصحيح هذا الاسم.

(2) كذا في ق و ع، وفي ز ورقة 326: «فلو صدقوا الله فكان باطن أمرهم وظاهره صدقاً».

قال: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ ﴾ يعيبهم ﴿ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ عن الجهاد في سبيل الله[1] ﴿ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ أي: تقتلوا قرابتكم.

قال: ﴿ أُولَئِكَ الذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ ﴾ عن الهدى ﴿ وَأَعْمَىٰ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ عنه.

قال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ أي: إنَّ على قلوب أقفالَها، وهو الطبع الذي طبع الله على قلوبهم بكفرهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ الذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَـٰرِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾ أي: من بعد ما أقروا بالإيمان وقامت عليهم الحجة بالنبي والقرآن، يعني المنافقين ﴿ الشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ [أي: زيّن لهم][2] ﴿ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾. تفسير الحسن: وسوس إليهم أنكم تعيشون في الدنيا بغير عذاب، ثم تموتون وتصيرون إلى غير عذاب.

قال: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ ﴾ أي: قال المنافقون للمشركين ﴿ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ﴾ أي: سنَعتلّ بعِلل يقبلها منا [المؤمنون][3] فنتخلف عن قتالكم فلا نقاتلكم، فاتّفقوا على ذلك في السّرّ؛ كقوله: (وَإِذَا لَقُوا الذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾ أي: إلى قادتهم ورؤسائهم (قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) أي: في المودّة والهوى (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ) [البقرة: 14] أي: مخادعون. قال بعضهم: (سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ) أي في الشرك، وافقوهم على الشرك في السّرّ.

قال: ﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ أَسْرَرَهُـمْ ﴾[4].

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: (فَهَلْ عَسِيتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ) عما في قلوبكم من النفاق حتى تظهروه شركاً. قال محمد: قرأ نافع (عسِيتم) بكسر السين، وقرأ غير واحد من القراء بالفتح، وهي أعلى اللغتين وأفصحهما. ذكره أبو عبيد». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 63: «(هَلْ عَسَيْتُمْ...) إن توليتم أمور الناس أن تفسدوا في الأرض...».

(2) زيادة من ز.

(3) زيادة لا بد منها يقتضيها سياق الكلام.

(4) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 63: «قرأها الناس: (أَسْرَارَهُمْ)، جمع سِرّ. وقرأها يحيى بن =

قال: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلْئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴾ [تفسير الحسن: (تَوَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ) حشرتهم إلى النار (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) في النار][1]. قال الله عز وجل: ﴿ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ أي: في الآخرة[2].

قال الله عز وجل: ﴿ أَمْ حَسِبَ الذِينَ في قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ وهم المنافقون ومرضهم مرض النفاق ﴿ أَن لَّن يُّخْرِجَ اللهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴾ [يعني ما يكنون في صدورهم من الشرك] أي: أن لن يظهر الله عوراتهم للمؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ أي: بنعتهم، أي من غير أن يعرفهم بلحن القول.

قال تعالى: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾[3] يعني بعللهم الكاذبة وما كانوا يعتذرون به من الباطل في الغزو، وفيما يكون منهم من القول فيجحدونه ويعتذرون ويحلفون بالله (إِنَ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ) [التوبة: 107]. ثم أخبره الله بهم، فلم يخف على رسول الله ﷺ بعد هذه الآية منافق، وأَسرَّهم رسول الله ﷺ إلى حذيفة[4]. قال: ﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾ من قبل أن تعملوها.

= وثاب وحده (إِسْرَارَهُمْ) بكسر الألف، واتبعه الأعمش وحمزة والكسائي، وهو مصدر. ومثله: (وإِدْبَارَ السُّجُودِ) [سورة قٓ: 40].

(1) زيادة من ز، ورقة 326.

(2) في ق و ع: «في الأرض»، ويبدو أن خطأ صوابه ما أثبته.

(3) قال الفراء: «(فِي لَحْنِ الْقَوْلِ)، في نحو القول وفي معنى القول»، وقال الزمخشري في الكشّاف، ج 4 ص 330: «في نحو القول وأسلوبه». ومن معاني اللحن الميل بالكلام إلى نحو خاص ليفطن له صاحبك دون غيره، ومنه قول مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري:

مَنْطِقٌ رَائِعٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا ... نـاً وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْناً

وانظر مختلف معاني اللحن في اللسان (لحن).

(4) هو أبو عبد الله حذيفة بن اليمان، حليف لبني عبد الأشهل من الأنصار. كان من كبار أصحاب رسول الله ﷺ، وكان يعرف فيهم بصاحب سرّ رسول الله ﷺ. وقد ناشده عمر بن الخطاب ذات يوم: أأنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكّي أحداً بعدك.

قوله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّـٰبِرِينَ﴾ وهذا علم الفِعال ﴿ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ أي: نختبركم فنعلم من يصدق منكم فيما أعطى من الإيمان ومن يكذب ممن لا يوفى بما أقرّ به من العمل لله.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ أي: عن الإسلام ﴿ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ ﴾ أي: فارقوا الرسول وعادوه ﴿ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾ أي من بعد ما قامت عليهم الحجة ﴿ لَن يَّضُرُّوا اللهَ شَيْئاً ﴾ أي: بكفرهم ﴿ وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ أي: في الآخرة، يعني ما كان من عمل حسن عملوه في الدنيا.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾. ذكروا أن رجلاً كان على عهد النبي عليه السلام يصوم ويصلي، وكان في لسانه شيء، فقال له النبي عليه السلام: يا فلان إنك تبني وتهدم[1].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَّغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ فَلَا تَهِنُوا ﴾ أي: لا تضعفوا في الجهاد ﴿ وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ ﴾ أي: إلى الصلح. أي: لا تدعوا إلى الصلح ﴿ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾ أي: الظاهرون المنصورون؛ يقوله للمؤمنين. وهذا الحرف يقرأ بوجه آخر: إلى السِّلْم، أي: إلى الإسلام. قال: ﴿ وَاللهُ مَعَكُمْ ﴾ أي: ناصركم ﴿ وَلَن يَّتِرَكُمْ ﴾ أي: ولن يظلمكم ﴿أَعْمَـٰلَكُمْ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ أي: إن أهل الدنيا، يعني المشركين الذين لا يريدون غيرها أهل لعب ولهو، سبتهم الدنيا، وليسوا بأهل الآخرة.

---

(1) لم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من مصادر الحديث. ويعجبني هنا ما رواه الطبري في تفسيره ج 26 ص 62 في الموضوع عن قتادة قال: «من استطاع منكم ألّا يبطل عملاً صالحاً عمله بعمل سيء فليفعل، ولا قوة إلا بالله، فإن الخير ينسخ الشرّ، وإن الشرّ ينسخ الخير، وإن ملاك الأعمال خواتيمها».

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[1]. ﴿ وَإِنْ تُومِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ ﴾ أي: ثوابكم ﴿ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ أي: إن محمداً لا يسألكم أموالكم. ﴿ إِن يَّسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ ﴾ بالمسألة[2] ﴿ تَبْخَلُوا ﴾ أي: لو سألكم أموالكم لبخلتم بها. ﴿ وَيُخْرِجَ أَضْغَٰنَكُمْ ﴾ أي: عداوتكم. وهي تقرأ على وجه آخر: (وَتَخْرُجُ أَضْغَانُكُمْ).

قوله عز وجل: ﴿ هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَّن يَّبْخَلُ ﴾ أي: بالنفقة في سبيل الله، يعني المنافق. قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَّبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ ﴾ أي: عنكم ﴿ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ إلى الله، يعني جماعة الناس.

﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا ﴾ عن الإيمان، يعني جماعة الناس في تفسير الحسن ﴿ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ﴾ أي: خيراً منكم، أي: أطوع منكم، ويهلككم بالاستئصال. كقوله: (وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ) [الواقعة: 60-61] أي: خيراً منكم ويهلككم بالعذاب. قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَٰلَكُمْ ﴾ يقوله للمشركين، أي: يكونوا خيراً منكم وأطوع له منكم.

(1) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 338.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 216: «يقال أحفاني بالمسألة وألحف عليّ وألحّ. قال أبو الأسود: لن تمنع السائل الحفي بمثل المنع الخامس».

تفسير سورة الفتح، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ﴾ قال بعضهم: هو فتح مكة. وقال الكلبي: هو فتح يوم الحديبية(1). ظهر فيه نبي الله على المشركين بعد حبس الهدي أن يبلغ مَحلّه، وظهر عليهم المسلمون حتى دخلوا دورهم وسأل المشركون الصلح. وتفسير هذا الظهور بعد هذا الموضع. وتفسير مجاهد: إنه نحره بالحديبية وحلقه رأسه.

ذكروا عن أنس بن مالك أن هذه الآية ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً لِّيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطاً مُّسْتَقِيماً ﴾ نزلت على النبي عليه السلام مرجعَه من الحديبية، وأصحابه مخالطو الحزن والكآبة، قد حيل بينهم وبين مناسكهم، ونحروا الهدي بالحديبية، فقال: لقد نزلت عليّ آية لهي أحَبّ إلي من الدنيا جميعاً(2). فتلاها عليهم رسول الله فقال رجل من القوم: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله، لقد بيّن الله لنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا. فأنزل الله (لِّيُدْخِلَ الْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)... إلى آخر الآية.

---

(1) وحديث البراء بن عازب في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية يؤيده؛ «قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية...» وانظر الجمع بين هذه الأقوال في فتح الباري، ج 7 ص 441-442. وسميت الحديبية كذلك باسم بئر بها، وهي على مرحلة من مكة وعلى تسع مراحل من المدينة، انظر ياقوت معجم البلدان، ج 2 ص 229.

(2) انظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص 146، وانظر الواحدي، أسباب النزول ص 403-405.

قال الله تعالى: ﴿ وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴾ أي: يذلّ بك أعداءك.

﴿ هُوَ الذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ ﴾ أي الطمأنينة والوقار، في تفسير الحسن. وقال مجاهد: السكينة من أمر الله كهيئة الريح. قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِ الْمُومِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَـٰناً مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ أي: يقينا مع يقينهم، يعني تصديقاً مع تصديقهم، أي: يصدّقون بكل ما نزل من القرآن. ﴿ وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ ينتقم لبعضهم من بعض ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾.

قال: ﴿ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ وقد فسّرناه في الآية الأولى. قال تعالى: ﴿ وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ أي: ذنوبهم ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ وهي النجاة العظيمة من النار إلى الجنة.

قال: ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَـٰفِقَـٰتِ ﴾ أي: أهل الإقرار بالله وبالنبي عليه السلام من أهل التضييع والخيانة وعدم الوفاء ﴿ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَـٰتِ ﴾ أهل المساواة والإنكار والجحود ﴿ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾[1]. وكان ظن المشركين أن لن يبعثوا ولن يحاسبوا ولا ثواب ولا عقاب، وكان ظن المنافقين أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً؛ يقولون: إن محمداً سيهلك، ويهلك أصحابه، ويهلك دينهم[2].

قال الله عز وجل: ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾[1] أي: عليهم يدور السوء والهلاك في الآخرة. ﴿ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ أي: وبئست المصير.

قوله عز وجل: ﴿ وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ أي: عزيزاً في نقمته حكيماً في أمره.

(1) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 65: «... ودائرة السَّوْء: العذاب، والسَّوْءُ أفشى في اللغة وأكثر، وقلما تقول العرب: دائرة السُّوء».

(2) كذا في ق و ع: «ويهلك دينهم»، وفي ز: «ودينه».

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَـٰكَ شَاهِداً ﴾ على أمتك ﴿ وَمُبَشِّراً ﴾ بالجنة ﴿ وَنَذِيراً ﴾ من النار ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ يقوله للناس ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ أي: وتنصروه ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ أي: وتعظموه، يعني محمداً عليه السلام في تفسير الكلبي. وتفسير الحسن: (وَتُعَظِّمُوهُ) يعني الله ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ أي: تسبحوا الله، أي: تصلوا لله ﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ بكرة، صلاة الصبح، وأصيلاً صلاة الظهر والعصر. وهي تقرأ على وجه آخر: (لِيُومِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ. . .) إلى آخر الآية، يقوله للنبي علي السلام: ليؤمنوا وليفعلوا وليفعلوا.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: من بايع رسول الله ﷺ فإنما بايع الله؛ وهذا يوم الحديبية، وهي بيعة الرضوان، بايعوه على ألا يفروا.

ذكروا عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: بايعنا رسول الله ﷺ على ألَّا نفر ولم نبايعه على الموت.

[قال بعضهم: أخبر أناس يوم بيعة رسول الله تحت الشجرة أن رسول الله بعث عثمان بن عفان إلى قريش بمكة يدعوهم إلى الإسلام. فلما راث عليه، أي: أبطأ عليه، ظنّ رسول الله أن عثمان قد غُدِر به فقُتِل. فقال لأصحابه: إني لا أظن عثمان إلا قد غدر به. فإن فعلوا فقد نقضوا العهد، فبايعوني على الصبر وألَّا تفروا][1].

قوله: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ أي: فمن نكث حتى يرجع كافراً أو منافقاً فإنما ينكث على نفسه ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهَ ﴾ أي: ومن استكمل

قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ ﴾ يعني المنافقين [المتخلفين عن الجهاد في تفسير الحسن][1] ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ أي: خفنا عليها الضيعة، فذلك الذي منعنا أن نكون معك في الجهاد ﴿ فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: يعتذرون بالباطل.

وقال الكلبي: لما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية تخلف عنه عامة الأعراب، لم يتبعه أحد منهم، وخافوا أن يكون قتال. فلما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية وعده الله خيبر؛ فأتوه ليعتذروا وليغزوا معه رجاء الغنيمة، يقولون: (شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا)... إلى قوله: (بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُومِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً).

قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ فَمَن يَّمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً ﴾ أي أن يهلككم بنفاقكم[2] فيدخلكم النار. ﴿ أَوَ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً ﴾ أي: أن يرحمكم بالإيمان، أي: يمن عليكم. وقد أخبر نبيّه بعد في غير هذه الآية أنه لا يتوب عليهم في قوله: (وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ) أي: وتموت أنفسهم، أي يموتون. (وَهُمْ كَافِرُونَ) [التوبة: 55]. وقال: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمُ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَّغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) [المنافقون: 6]. قال: ﴿ بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾.

قوله: ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمُ أَن لَّن يَّنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُومِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَداً ﴾ قد ذكرنا تفسير الكلبي أنه يوم الحديبية. وقال الحسن: كان ذلك في غزوة تبوك. كان المنافقون يقولون: لن يرجع محمد والمؤمنون إلى المدينة أبداً، ويهلكون قبل أن يرجعوا ويهلك دينهم.

قال: ﴿ وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾ وهو مثل قوله: (الظَّانِّينَ

---

(1) زيادة من ز، ورقة 330. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 65: «وهم أعراب أسلم وجهينة ومزينة وغفار».

(2) في ق و ع: «أن يهلككم ويعاقبكم»، ويبدو أن في الكلمة تصحيفاً صوابه ما أثبته من ز.

بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) [الفتح: 6] أي: ظنوا أن محمداً وأصحابه سيهلكون ويهلك دينهم.

قال: ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً ﴾ أي: فاسدين[1].

قال: ﴿ وَمَن لَّمْ يُومِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي: إنهم لم يؤمنوا بالله ورسوله فيوفوا بما عاهدوا عليه ويكملوا فرائض الإيمان بالقول والعمل. قال: ﴿ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيراً ﴾ أي: فهم كفار، وقد اعتدنا للكافرين سعيراً. فسمّاهم كافرين إذ لم يكملوا فرضه ويوفوا بعهده في القول والعمل. وقال في آية أخرى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الذِينَ كَفَرُوا مِنَ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ. . .) إلى آخر الآية. [الحشر: 11].

قوله عز وجل: ﴿ وَللهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَّشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَّشَاءُ ﴾ أي: إنه لا يشاء أن يغفر إلا لمن تاب من الشرك وبرىء من النفاق، ويعذّب من أقام على شركه ونفاقه حتى يموت عليه، وهو قوله: (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ) فيبقوا على نفاقهم (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) [الأحزاب: 24] فيرجعوا عن نفاقهم. وقد أخبر بعد أنهم لا يرجعون عن نفاقهم، وقد فسّرناه في الآية الأولى. قال: ﴿ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ﴾ وهم المنافقون يقولونه للمؤمنين ﴿ ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾ وهذا حين أرادوا أن يخرجوا إلى خيبر؛ أحبوا الخروج ليصيبوا من الغنيمة، وكان الله وعدها النبي عليه السلام، فلم يترك النبي عليه السلام أحداً من المنافقين أن يخرج معه إلى خيبر، أمره الله بذلك، وإنما كانت لمن شهد بيعة الرضوان يوم الحديبية.

---

(1) كذا في ق و ع و ز: «(بُوراً) أي فاسدين». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 66: «عن ابن عباس قال: البور في لغة أزد عمان: الفاسد، (وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً): قوماً فاسدين. والبور في كلام العرب: لا شيء. يقال: أصبحت أعمالهم بوراً ومساكنهم قبوراً». وقال أبو عبيدة معمر في المجاز، ج 2 ص 217: «(وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً) هلكىٰ». وهو ما ذهب إليه مجاهد أيضاً فقد جاء في تفسيره ص 630: «يقول: كنتم قوماً هالكين» ويبدو لي أن هذا التأويل الأخير هو أقرب إلى أصل =

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أن يُبَدِّلُوا كَلَـٰمَ اللهِ قُل لَّنْ تَتَّبِعُونَا ﴾ أي: لن تخرجوا معنا ﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ لا تخرجوا. وإنما قال الله ذلك في براءة حيث قال: (فَإِن اسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِي عَدُوّاً) [التوبة: 83]. فذلك قوله عزّ وجل: (لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذٰلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ). ﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾ أي: إنما تمنعوننا من الخروج معكم للحسد. قال الله عز وجل: ﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ﴾ عن الله ﴿ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ أي: إلا التوحيد الذي قِبَلهم[1].

وقال الكلبي: هم الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ إذ انطلق إلى الحديبية من الأعراب وغيرهم.

قوله عز وجل: ﴿ قُـلْ لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ والبـأس القتال؛ أي: يـدعوهم المسلمـون بعد النبي عليـه السلام. ﴿ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ أي: تقاتلونهم على الإسلام. قال الحسن: هم فارس. وهو تفسير مجاهد[2]. وقال بعضهم: هم أهل اليمامة. وقال بعضهم: هوازن.

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْراً حَسَناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا ﴾ أي: عن القتال ﴿ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّنْ قَبْلُ ﴾ أي: عن محمد عليه السلام ﴿ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ قال الكلبي: يوم الحديبية.

وعذر الله عند ذلك أهل الزمانة فقال: ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾ أن يتخلفوا عن الغزو. ﴿ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ فصارت

= المعنى اللغوي للكلمة، فالبوار هو الهلاك؛ وانظر اللسان (بور).

(1) كذا في ع وق، وفي ز، ورقة 330: «قال الله: (بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ) عن الله، ثم استثنى المؤمنين فقال: (إِلَّا قَلِيلاً) فهم الذين يفقهون عن الله». وقيل معناه: «يعني لا يعلمون إلا أمر الدنيا». وقيل: «لا يفقهون من أمر الدين إلا قليلاً، وهو ترك القتال». وانظر تفسير القرطبي ج 16 ص 271.

(2) في تفسير مجاهد، ص 602-603: «هم فارس والروم». وفي الدر المنثور، ج 6 ص 73: «عن مجاهد قال... : أعراب فارس وأكراد العجم».

رخصة[1] لهم ألا يغزوا، فوضع عنهم الجهاد.

ذكر الحسن عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ: هل على النساء جهاد؟ قال: نعم، جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة[2].

قال: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ نُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾ أي: عن الوفاء لله بما أقرّ به ﴿ نُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ أي: موجعاً.

قوله عز وجل: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ ذكروا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كانت سمرة بايعناه تحتها. وكنا أربع عشرة مائة، وعمر آخذ بيده، فبايعناه كلنا غير جد بن قيس[3] اختبأ تحت إبط بعيره. [قال جابر: لم نبايع تحت شجرة إلا الشجرة التي بالحديبية][4].

قال تعالى: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي أنهم صادقون ﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾. تفسير الحسن: السكينة والوقار. وتفسير الكلبي: السكينة الطمأنينة. وتفسير مجاهد: هي من أمر الله كهيئة الريح. وقال بعضهم: ريح خجوج[5].

قال تعالى: ﴿ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ يعني فتح خيبر.

قال تعالى: ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً ﴾ في نقمته ﴿ حَكِيماً ﴾ في أمره.

---

(1) في ق و ع: «فصارت رحمة لهم...» وأثبت ما جاء في ز: «فهو أنسب».

(2) انظر الإشارة إليه فيما مضى، ج 1 ص 342.

(3) كذا في ق و ع و ز: «جد بن قيس، أو الجد بن قيس، بالألف واللام وبدونها كما جاء في الاستيعاب لابن عبد البر، والاشتقاق لابن دريد، وفي السيرة لابن هشام، وهو من بني سَلِمة، وقد تُكُلِّمَ فيه. وفيه نزل قوله تعالى: (وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي) [التوبة: 49]. وقيل إنه تاب وحسن إسلامه.

(4) زيادة من ز، ورقة 330.

(5) الخجوج: الريح الشديدة المرّ. وقيل: هي التي تلتوي في هبوبها، انظر اللسان (خجج)، ولا أرى لهذا المعنى الأخير وجهاً مناسباً هنا؛ والله أعلم.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ أيها المؤمنون ﴿ فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ ﴾ أي: خيبر ﴿ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ ﴾ وهم أسد وغطفان إذ كانوا حِلْفاً وأهلَ خيبر. وكان الله وعد نبيّه خيبر، فأمر رسول الله ﷺ أن يوجّهوا راياتهم إذا أصبحوا إلى غطفان وأسد. فبلغهم ذلك. وألقى الله في قلوبهم الرعب، فهربوا من تحت ليلتهم، وهو قوله عزّ وجل: (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ...) إلى آخر الآية. وهذا تفسير الكلبي.

وقال الحسن: (وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً): غنيمة خيبر، (وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا). أي: يأخذها المؤمنون إلى يوم القيامة في تفسير الحسن ومجاهد قال: (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ) أي: غنيمة خيبر، (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ). قال: (وَهُوَ الذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنَ اظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ)؛ وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ أخذوا قافلة من المشركين من أهل مكة، فأتوا بهم إلى رسول الله ﷺ فقال لهم رسول الله ﷺ: ألكم علينا عهد؟ قالوا: لا. قال: أليس دماؤكم حلالاً؟ قالوا: بلى، فتركهم[1]. وقال الحسن: (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ) يعني مشركي أهل مكة.

قال تعالى: ﴿ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: ما صنع النبي عليه السلام من تركه القوم الذين ترك. ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطاً مُّسْتَقِيماً ﴾ أي: الإسلام، وهو الطريق المستقيم إلى الجنة.

قال: ﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ﴾ بعدُ ﴿ قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا ﴾ أي: علم أنكم ستظفرون بها وتفتحونها، يعني كل غنيمة يغنمها المسلمون إلى يوم القيامة. ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً ﴾.

(1) كذا ورد هذا الخبر في هذا التفسير. ولم أجد فيما بين يدي من المصادر قصة هذه القافلة. والذي جاء في كتب التفسير والتاريخ في سبب نزول هذه الآية: (وَهُوَ الذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ) أن قريشاً أرسلت عدداً من المشركين ليأخذوا المسلمين على غِرّة، فأخذهم المسلمون أخذاً، فعفا عنهم رسول الله ﷺ. انظر سيرة ابن هشام، ج 3 ص 314، وتفسير الطبري ج 26 ص 94، والدر المنثور ج 6 ص 75، وأسباب النزول للواحدي ص 405. وقد روى الواحدي خبرين متشابهين في الموضوع عن أنس، وعن عبد الله بن مغفل المزني.

قال الله : ﴿ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ [في تلك الحال][1] ﴿ لَوَلَّوُا الأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيّاً ﴾ يمنعهم من ذلك القتل الذي يقتلهم المؤمنون ﴿ وَلاَ نَصِيراً ﴾ ينتصر [redacted]

النبي عليه السلام بالقتال. قال: ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَهُوَ الذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾. قال الكلبي: كان هذا يوم الحديبية، وكان المشركون من أهل مكة قاتلوا نبي الله، وكان شيء من رمي نبل وحجارة من الفريقين جميعاً، ثم هزم الله المشركين وهم ببطن مكة، فهزموا حتى دخلوا مكة، ثم كفّ الله بعضهم عن بعض. قال الله: ﴿ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ هُمُ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ عن نافع عن ابن عمر قال: إن رسول الله ﷺ صدّه المشركون عن المسجد الحرام وأنا معه فنحر [ونحر أصحابه][1] الهدي بالحديبية.

قوله عز وجل: ﴿ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً ﴾ أي: محبوساً ﴿ أَن يَّبْلُغَ مَحِلَّهُ ﴾ أي لئلا يبلغ محلّه. قال: ﴿ وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ ﴾ بمكة يدينون بالتقية ﴿ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ ﴾ فتقتلوهم ﴿ فَتُصِيبَكُمْ مِّنْهُمْ مَّعَرَّةٌ ﴾ أي: إثم ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾. قال الله تعالى: ﴿ لِّيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَّشَاءُ ﴾ أي: في دينه الإسلام فيُسلمون، وقد فعل الله ذلك. قال الله: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾ أي زال المسلمون من المشركين والمشركون من المسلمين فصار المشركون محضاً ﴿ لَعَذَّبْنَا الذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً

محله، وإنما حملهم على ذلك حمية الجاهلية والتمسك بها. ﴿ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾ تفسير الكلبي: السكينة الطمأنينة، وتفسير الحسن: الوقار ﴿ وَعَلَى الْمُؤمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ ﴾ وهي كلمة الإخلاص لا إله إلا الله. ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ أي وكانوا أهلها في الدنيا، وعليها الثواب مع الوفاء بالأعمال في الآخرة[1] ﴿ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾.

قوله: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾. وكان رسول الله ﷺ رأى في المنام، في تفسير الكلبي: في مخرجه إلى الحديبية[2]، كأنه بمكة وأصحابه قد حلقوا وقصروا. فأخبر رسول الله ﷺ بذلك المؤمنين فاستبشروا وقالوا وحي. فلما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية ارتاب الناس فقالوا: رأى فلم يكن الذي رأى. فقال الله: (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهِ ءَامِنِينَ). وكان رسول الله ﷺ صالح المشركين على أن يرجع عامه ذلك ويرجع من قابل فيقيم بمكة ثلاثة أيام، فنحر رسول الله ﷺ وأصحابه الهدي بالحديبية، وحلقوا وقصروا، ثم أدخله الله العام المقبل مكة وأصحابه آمنين فحلقوا وقصّروا.

وقال بعضهم: يوم فتح مكة. وقال الحسن: ليست برؤية المنام ولكنها رؤيا الوحي. وكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل بالوحي أخذته رعدة شديدة واحدة شبه النفاس، واحمرت وجنتاه، فشبه الله ذلك الذي كان يأخذه بالنوم[3].

ذكر هشام عن أبي يحيى بن أبي كثيرة عن أبيه إبراهيم[4] عن أبي سعيد

---

(1) كذا في ق و ع؛ وفي ز: «(وَكَانُوا بِهَا وَأَهْلَهَا) في الدنيا وعليها وقع الثواب في الآخرة».

(2) في ق و ع وفي ز أيضاً: «مخرجه إلى المدينة» وهو تصحيف ولا شك، صوابه «إلى الحديبية».
ويذكر بعضهم أن الرؤيا كانت قبل خروجه إلى الحديبية. وجاء في تفسير مجاهد ص 603 ما يلي: «أري رسول الله ﷺ، وهو بالحديبية، أنه دخل مكة وأصحابه آمنين».

(3) كذا وردت هذه العبارة في ق و ع وفيها اضطراب، ولست مطمئناً لبعض ألفاظها.

(4) في ق: «يحيى بن أبي كثيرة»، وفي ع: يحيى عن أبي كثيرة عن أبي إبراهيم». . . ولم أجد =

الخدري أن رسول الله ﷺ وأصحابه حلقوا رؤوسهم يوم الحديبية إلا عثمان وأبا قتادة، فاستغفر رسول الله ﷺ للمحلقين ثلاثاً وللمقصّرين واحدة.

ذكروا عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يغفر الله للمحلقين، يغفر الله للمحلقين. قالوا: والمقصرين، قال: وللمقصرين[1].

قوله عز وجل: ﴿ هُوَ الذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ الإسلام ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً ﴾ تفسير الحسن: حتى يحكم على أهل الأديان.

ذكروا عن المقداد بن الأسود قال: قال رسول الله ﷺ: لا يبقى أهل بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام، يعزّ عزيزاً ويذلّ ذليلاً، إما أن يعزّهم فيكونوا من أهلها، وإما أن يذلّهم فيدينوا لها[2].

وتفسير ابن عباس: حتى يظهر النبي عليه السلام على الدين كله، أي: على شرائع الدين كلها؛ فلم يقبض رسول الله ﷺ حتى أتم الله ذلك.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد. وأنا أولى الناس بعيسى لأنه ليس بيني وبينه نبي. وإنه نازل لا محالة، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه مربوع الخلق، بين ممصرتين، إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب ويقتل الخنزير، ويقاتل الناس على الإسلام فيهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام حتى تقع الأمانة في

= فيما بين يدي من كتب التراجم هذا السند حتى أحققه.

(1) حديث متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب الحلق والتقصير عند الإحلال عن ابن عمر بلفظ: «اللهم ارحم المحلقين. . .» وأخرجه من حديث أبي هريرة بلفظ: «اللهم اغفر للمحلقين. . .». وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب تفضيل الحلق على التقصير وجواز التقصير عن ابن عمر وعن أبي هريرة (رقم 1301-1302).

(2) انظر الإشارة إليه فيما مضى، ج 2 ص 128.

الأرض، وحتى ترتع الأسد مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً[1].

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب حتى يكون الدين واحداً[2].

ذكروا عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم من قبل المغرب مصدقاً بمحمد وعلى ملته[3].

قوله عز وجل: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [يعني متوادّين][4] ﴿تَرَيٰهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾ يعني يقيمون الصلوات الخمس ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْـوٰناً﴾ أي: بالصلاة والصوم والدين كله ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّن أَثَرْ السُّجُودِ﴾ قال بعضهم: يعرف الخشوع في وجوههم من أثر الصلاة. وقال بعضهم: (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ): في الآخرة يقومون غُرّاً محجّلين من أثر الوضوء.

ذكروا عن أبي هريرة قال: يا رسول الله، كيف تعرف أمتك؟ قال: يقومون غُرّاً محجّلين من أثر الوضوء[5].

قال: ﴿ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَيٰةِ﴾ أي: نعتهم في التوراة ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه مختصراً في باب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام (رقم 2365). وانظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 2 ص128، وج 1 ص 436.
(2) انظر ما سلف، ج 2 ص 127.
(3) أحاديث نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان صحيحة أخرج منها الشيخان وأصحاب السنن، ولكني لم أجد من بينها حديثاً بهذا اللفظ. فيما بحثت من كتب التفسير والسنة.
(4) زيادة من ز، ورقة 332.
(5) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء عن أبي هريرة (رقم 246) بألفاظ متشابهة، وانظر ابن الحنبلي، كتاب أقيسة المصطفى محمد ﷺ ص 160 (رقم 129).

الإِنْجِيلِ ﴾ أي: ونعتهم في الإنجيل؛ النعت الأول في التوراة، والنعت الآخر في الإنجيل ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ أي: فراخه ﴿فَآزَرَهُ﴾ أي فشدّه[1] ﴿ فَاسْتَغْلَظَ ﴾ أي: فاشتد، ﴿ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ﴾ أي: على قصبه، وقال بعضهم: على أصوله ﴿ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ﴾ أي: كثرته وكمامه ونباته. ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ أي يخرجون فيكونون قليلاً كالزرع حين يخرج ضعيفاً فيكثرون ويقوون فشبههم بالزرع؛ قال: يعجب الزراع بهم؛ يعجبون رسول الله كما يعجب ذلك الزرع الزراع ليغيظ بهم الكفار، أي ليغيظ بهم ربهم من كفر به؛ إنما يفعل ذلك بهم ليغيظ بهم الكفار. ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً ﴾ أي مغفرة الذنوب ﴿ وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [يعني الجنة][2].

(1) في تفسير مجاهد ص 604: «فشده وأعانه». وفي مجاز أبي عبيدة: «(فآزَرَهُ) ساواه، صار مثل الأم».

(2) زيادة من ز، ورقة332.

تفسير سورة الحجرات، وهي مدنية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

ذكروا عن الحسن أن قوماً ذبحوا قبل أن يضحي النبي ﷺ يوم النحر، فلم يُجز لهم ذلك، فأمر النبي عليه السلام أن يعيدوا ذبحاً آخر. فأنزل الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ).

ذكروا عن الحسن قال: من ذبح قبل الصلاة فليعد ذبحاً آخر.

ذكروا عن البراء بن عازب أن خاله ضحى لابن له قبل أن يصلي النبي عليه السلام، فقال النبي عليه السلام: إنها لا تجزي لأحد بعدك[1].

ذكروا عن محمد بن سيرين أنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن هذا اليوم النُّسُوك فيه بعد الصلاة، يعني يوم النحر[2].

(1) في الحديث سقط من أوله، وهو حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن البراء بن عازب، أخرجه البخاري في كتاب العيدين، باب الأكل يوم النحر، وأخرجه مسلم في كتاب الأضاحي، باب وقتها (رقم 1961) ولفظه: «عن البراء بن عازب أن خاله أبا بردة بنَ نِيَار ذبح قبل أن يذبح النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن هذا يوم اللحم فيه مكروه، وإني عجلت نسيكتي لأطعم أهلي وجيراني وأهل داري. فقال رسول الله ﷺ: أعد نسكاً. فقال: يا رسول الله، إن عندي عناق لبن هي خير من شاتي لحم، فقال هي خير نسيكتيك، ولا تجزي جذعة عن أحد بعدك». وانظر ابن الأثير، جامع الأصول، ج 4 ص 142-143.

(2) لم أجده بهذا اللفظ ولكنه ثبت في الصحاح بألفاظ قريبة منه؛ منها ما رواه مسلم في الأضاحي، =

وبعضهم يقول: (لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَي اللهِ وَرَسُولِهِ)، أي: في الأمر.

وتفسير مجاهد: (لَا تُقَدِّمُوا) أي: لا تفتاتوا على الله ورسوله شيئاً حتى يقضيه الله على لسانه.

قوله عز وجل: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾. تفسير الحسن أن أناساً من المنافقين كانوا يأتون النبي عليه السلام فيرفعون أصواتهم فوق صوته، يريدون بذلك أذاه والاستخفاف به. قال الحسن: نسبهم إلى ما أعطوه من الإيمان في الظاهر وما أقروا به من الفرائض فقال: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا)؛ وقد كان من المؤمنين من يرفع صوته فوق صوت النبي فلا ينهاه النبي عليه السلام عن ذلك، وإنما عنى بذلك المنافقين الذين يريدون أذاه والاستخفاف به.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ أي: لا تقولوا له: يا محمد، وقولوا يا رسول الله ويا نبي الله.

وقال مجاهد: لا تنادوه بذلك، ولكن قولوا له قولاً ليّناً سهلاً: يا رسول الله.

ثم قال: ﴿ إِنَّ الذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﴾ [يعظّمونه بذلك فلا يرفعونها عنده][1]. ﴿ أُولَـٰئِكَ الذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ أي: لذنوبهم ﴿ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: ثواب عظيم، أي: الجنة[2].

وبلغنا أن ثابت بن قيس كان في أذنيه ثقل، وكان يرفع صوته عند رسوله ﷺ، فقال له رجل من قومه: إني لأراك تعيب على أصحابك من القول، وتأتي أسوأ ما يأتون. فقال له ثابت: وما ذلك؟ قال: ترفع فوق صوت النبي عليه السلام وتجهر له بالقول.

= باب وقتها (رقم 1961) بلفظ: «من صلى صلاتنا، ووجه قبلتنا، ونسك نسُكنا، فلا يذبح حتى يصلي» وبلفظ آخر: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا نصلي ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح فإنما هو لحم قدمه لأهله، ليس من النسك في شيء».

(1) زيادة من ز، ورقة 332.

(2) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 70: «(أُولَـٰئِكَ الذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ) أخلصها للتقوى كما يمتحن الذهب بالنار، فيخرج جيّده، ويسقط خبثه».

فقال ثابت: يا رسول الله، أفيَّ نزلت؟ قال: نعم[1]. وهذا تفسير الكلبي: فقال ثابت: أما والذي أنزل عليك الكتاب لا أكلمك أبداً إلا سرّاً أو شبهه؟ فنزل عند ذلك (إِنَّ الذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ. . .) الآية. فصار هذا أدباً من آداب الله أدّب به المؤمنين.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَّرَاءِ الْحُجُـرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ تفسير الكلبي أن ناساً من العرب [من بني العنبر][2] كان رسول الله ﷺ وأصحابه قد أصابوا من ذراريهم فأقبلوا ليفادوهم. فقدموا المدينة ظهراً، فإذا هم بذراريهم عند باب المسجد، فبكى إليهم ذراريهم، فنهضوا، فدخلوا المسجد وعجلوا أن يخرج إليهم النبي عليه السلام، فجعلوا يقولون: يا محمد، اخرج إلينا.

وتفسير عمرو عن الحسن قال: كان الذين ينادونه خلف الحجرات، يا محمد، يا محمد، منافقين.

ذكر الحسن قال: جاء شاعر فنادى رسول الله ﷺ فخرج إليه. فقال له النبي ﷺ: ويحك، ويلك، مالك؟ فقال: قلت لي ويحك، ويلك، فوالله إن حمدي لَزَيْن، وإن شتمي لَشَيْن. فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله، ذلك الله، سبحان الله، ذلك الله[3].

---

(1) كذا في ق و ع: «نعم». وكأن ظاهر الحديث يوحي بأن الآية نزلت في ثابت خاصة. والحق أن ثابت بن قيس بن شماس كان ظن أن عمله كان قد حبط لأنه كان جهير الصوت فطمأنه الرسول ﷺ بقوله: «لست منهم، بل تعيش بخير وتموت بخير». اقرأ قصة ثابت بن قيس حين أغلق بابه على نفسه وطفق يبكي. . . في الدر المنثور ج 6 ص 85 من رواية عطاء الخراساني. وانظر تفسير الطبري ج 26 ص 118-119؛ وفيه: «فقال ثابت: يا نبي الله أخشى أن أكون قد رفعت صوتي وجهرت لك بالقول، وأن أكون قد حبط عملي وأنا لا أشعر. فقال النبي ﷺ: امش على الأرض نشيطاً فإنك من أهل الجنة. واقرأ ترجمة ثابت بن قيس في سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 1 ص 224-227.

(2) زيادة من ز.

(3) انظر تفسير الطبري، ج 26 ص 121-122. وانظر الواحدي، أسباب النزول ص 408-412 ففيه =

قال عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: تدفع إليهم ذراريهم بغير فداء ﴿ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ وهي تقرأ على وجه آخر: فتثبتوا. والتبيين والتثبيت بمعنى واحد. ﴿ أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾.

تفسير الحسن أن الوليد بن عقبة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن بني المصطلِق ارتدوا عن الإسلام ومنعوا الصدقة. فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقال: انطلق وكن قريباً من القوم، ثم انظر هل لهم تهجد من الليل وأذان أو صلاة، تحسس من ذلك وانظر. فأتاهم خالد وأصحابه، ونزلوا قريباً من القوم ليلاً، فسمعوا تهجداً وصلاة من الليل، ثم سمعوا أذاناً لصلاة الصبح. فأتاهم فأخبرهم أن فاسقاً سعى إلى رسول الله ﷺ، وهو الوليد بن عقبة، فأخبره أنكم ارتددتم عن الإسلام، ومنعتم الصدقة. فبعثني رسول الله ﷺ وأمرني أن أكون قريباً وأتحسس وأنظر هل نسمع تهجداً أو صلاة أو أذاناً. فرحمكم الله وأصلحكم. فدعا لهم وودَّعهم. ثم أتى رسول الله ﷺ، فأخبره بذلك؛ فأنزل الله هذه الآية. فأمر النبي ﷺ أن يتبيّنوا ويتثبّتوا ألا يصيبوا أحداً بجهالة.

وقال الكلبي: بلغنا أن رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلِق، وهم حي من خزاعة، ليأخذ منهم صدقاتهم، ففرحوا بذلك وركبوا يتلقونه. فبلغه أنهم قد ركبوا يتلقَّونه. وكان بينهم ضغن في الجاهلية. فخاف الوليد أن يكونوا إنما ركبوا ليقتلوه. فرجع إلى رسول الله ﷺ ولم يلقهم. فقال: يا رسول الله، إن بني المصطلِق منعوا زكاتهم وكفروا بعد إسلامهم. فبينما رسول الله ﷺ يهمّ أن يغزوهم إذ أتاه وفد من بني المصطلِق فقالوا: يا رسول الله، بلغنا أنك أرسلت إلينا من يأخذ صدقاتنا

= قصة المفاخرة التي كانت بين شعراء بني تميم من جهة، وبين خطيب رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس وشاعره حسان بن ثابت من جهة أخرى.

ففرحنا بذلك. وركبنا نتلقاه. فبلغناه أنه رجع، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله. فأنزل الله عذرهم في هذه الآية. فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا)، يعني الوليد بن عقبة. وفسقه هذا فسق نفاق لا فسق شرك[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ ﴾ تفسير الحسن: إنه معكم مقيم، فلا تضلون ما قبلتم عنه. ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ أي: في دينكم. والعنت الحرج والضيق. ﴿ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ أي: بما وعدكم عليه من الثواب وكريم المآب. ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ أي: المعاصي، أي بما أوعد عليها من العذاب. قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ أي: الذين حبّب إليهم الإيمان فأحبّوه لِتَحْبِيب اللهِ ذلك إليهم... إلى آخر الآية.

قال عز من قائل: ﴿ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَنِعْمَةً ﴾ أي: بفضل من الله ونعمته فعل ذلك بهم. ﴿ وَاللهُ عَلِيمٌ ﴾ أي: بخلقه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أي: في أمره.

قوله: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتِ إِحْدَيٰهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا الَّتِي تَبْغِى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ ﴾.

تفسير الحسن قال: كان بين رجل من المسلمين ورجل من المنافقين خصومة فدعاه المسلم إلى رسول الله ﷺ، ودعاه المنافق إلى[2] بني فلان، فتعزز المنافق ببني فلان وبقومه من المشركين، وتعزز المسلم بالمسلمين، فتدافعا بينهما حتى صارا إلى

(1) انظر الواحدي. أسباب النزول ص 412-414. وانظر تفسير الطبري ج 26 ص 123-124 وقد أورد فيه خبر الوليد بن عقبة مختصراً من رواية قتادة، وفي آخره: «وكان نبي الله يقول: التبين من الله، والعجلة من الشيطان». وانظر بعثة الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق في مغازي الواقدي، ج 3، ص 280-281. وانظر كذلك في سبب نزول الآية السيوطي أسباب النزول في تفسير الآية.

(2) كذا في ق: «ودعاه المنافق إلى بني فلان» وفي ع «ودعاه المنافق إلى فتن بني فلان» كذا، ولم أوفق لتصحيح هذه الكلمة. ولعل صوابه: إلى وثن بني فلان.

العصا[1] فأنزل الله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُومِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا. . .﴾ إلى آخر الآية. وقال الحسن سمى المنافق [مؤمناً][2] بالإسلام الذي أقرّ به وادعاه، أي من الإيمان.

قال: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ أي: ردوهما إلى الحكومة، أي بما في كتابهم الذي ادعوه وأقروا به. ﴿فَإِنْ بَغَتِ احْدَيٰهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ﴾ أي: فلم تقبل الحكومة من الكتاب والسنة التي[3] أقروا بهما وادعوهما ﴿فَقَاتِلُوا التِي تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ﴾، أي إلى حكم الله الذي حكم بينهم والذي يلزمهم إقرارهم به وادعاؤهم إياه. ﴿فَقَاتِلُوا الي تَبْغِى حَتَّى تَفِيء إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ﴾ الذي بتركه كفروا وضلوا.

قال: ﴿فَإِنْ فَاءَتْ﴾ أي: فإن رجعت إلى الذي تركت من حكم الله الذي أقرّت به وادّعته ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ أي: بالحق ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ أي: واعدلوا في حكمكم، أي فيمن تحكمون عليه ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ﴾ أي يثيب ﴿الْمُقْسِطِينَ﴾ أي العادلين.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ﴾ أي: يخوفهم نقمته أي: في العدل في حكمه وفيمن يحكمون عليه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: لكي ترحموا إذا اتقيتم الله وعدلتم في الحكومة بين خلقه. فرد المنافق في الحكومة إلى حكم كتابه الذي أقر به، وسمّاه أخاه المسلم[4] لما أقر به من الإسلام والإيمان الذي آخى الله بين أهله به، وليس بأخيه في الولاية عند الله ولا في المحبة[5].

وتفسير مجاهد: إن الطائفتين الأوس والخزرج اقتتلوا بالعصي.

---

(1) كذا في ق: «إلى العصا» وهو الصحيح، وفي ع «إلى القضاء».

(2) ورد قول الحسن هذا مضطرباً ناقصاً فأثبت ما يناسب المعنى وما يقتضيه التعبير الصحيح؛ فقد جاء في ع هكذا: «سبب المنافق بالإسلام الذي قر به وادعى أي من الإيمان» وجاء في ق: «سبب المنافق بالاسم الذي أقر به وادعاه أي من الإيمان».

(3) كذا في ع «التي»، والصواب اللذين، على ما في العبارة من فساد. وفي ق جاءت العبارة فاسدة هكذا: «علم لا يقبل الحكومة من الكتاب والسنة التي أقروا بها وادعوها».

(4) كذا في ق و ع: «أخاه المسلم»، والصواب أن يكون: أخاه المؤمن، كما سماهم في الآية.

(5) هذه الجملة الأخيرة من زيادة الشيخ هود الهواري.

ذكروا أن رسول الله ﷺ ضرب مثل المؤمنين كالجسد إذا شكا بعضه تداعى سائره.

ذكروا عن مجاهد عن كعب القرظي قال: قال رسول الله ﷺ: إنما المؤمن من أخيه مثل اليدين لا غنى بإحداهما عن الأخرى[1].

وقال الكلبي: بلغنا أن رسول الله ﷺ أقبل على حمار حتى وقف على مجلس من مجالس الأنصار، فكره بعض القوم موقفه، وهو عبد الله بن أبي بن أبي سلول، فقال له: خلّ لنا سبيل الريح من نتن هذا الحمـار، وأمسك بـأنفه. ومضى رسول الله ﷺ. وغضب له بعض القوم، وهو عبد الله بن رواحة. فقال: ألِرسول الله قلت هذا القول، فوالله لحماره أطيب منك ريحاً. فاستبَّا، ثم اقتتلا، واقتتلت عشائرهما. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأقبل يصلح بينهما؛ فكأنهم كرهوا ذلك، فأنزل الله: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُومِنِينَ اقْتَتَلُوا...) إلى آخر الآية.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ ﴾ أي: لا يستهزىء قوم بقوم، أي: رجال برجال ﴿ عَسَى أَن يَّكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَّكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي: إخوانكم، أي لا يلمز بعضكم بعضاً، أي: لا يستقبل الرجل أخاه بوجه، فيعمد[2] له بوجه. وقال مجاهد: أي: لا يطاعنوا، أي: لا يطعن بعضكم بعضاً.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: شر الناس ذو الوجهين، الذي يلقى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه[3].

---

(1) لم أجده فيما بين يدي من مصادر الحديث. ولم يورده ابن الحنبلي في كتابه أقيسة النبي المصطفى ﷺ.

(2) كذا في ق: «فيعمد»، وفي ع «فيعتل» وأنا غير مطمئن للكلمتين معاً، وإن كان المعنى العام واضحاً يفسّره الحديث التالي.

(3) حديث صحيح أخرجه مالك في الموطأ، وأخرجه البخاري في الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن. وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب ذم الوجهين وتحريم فعله (رقم 2526) كلهم يرويه من حديث أبي هريرة.

قال: ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَبِ ﴾. ذكر الحسن قال: لا يقول الرجل لرجل قد كان يهودياً أو نصرانياً فأسلم: يا يهودي، ولا يا نصراني، يدعوه باسمه الأول، فنهى الله المؤمنين عن ذلك.

قال تعالى: ﴿ بِيسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ﴾ أي بيس الإسم اليهودية والنصرانية بعد الإيمان.

وقال مجاهد: لا يُدْعى الرجل بالكفر وهو مسلم. قال الحسن في تفسيرها: لا تقل لأخيك: يا فاسق.

ذكروا أن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: لعن المؤمن كقتله، والشهادة عليه بالكفر كقتله[1].

ذكروا عن العلاء بن زياد قال: ما يضرك أشهدت على مؤمن بالكفر أم قتلته.

ذكروا عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ما من مسلمين إلا وبينهما من الله ستر. فإن قال أحدهما كلمة هُجْر فقد خرق ستر الله، فإن قال أحدهما لصاحبه: يا كافر، فقد وقع الكفر على أحدهما[2].

ذكروا عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما[3].

ذكروا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الرجل يقول للرجل: يا فاسق، يا فاجر، يا خبيث، قال فواحش تجر[4] عقوبة، ولا تعودوا لمثلهن فتُعَوَّدوهن.

---

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن عن ثابت بن الضحاك، وأخرجه الطبراني عن عمران بن حصين.
(2) أخرجه البيهقي عن عبد الله مرفوعاً، وليس فيه الجملة الأخيرة.
(3) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال من طريقين عن أبي هريرة وعن ابن عمر. وأخرجه مسلم من طريقين عن ابن عمر في كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر (رقم 60).
(4) في ق و ع: «قهر» (كذا) وفيها تصحيف، وصواب الكلمة ما أثبته إن شاء الله: «تجر».

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ﴾ أي: ظلم نفاق، وليس ظلم شرك؛ وهو ظلم دون ظلم، وظلم فوق ظلم.

وقال الكلبي: (لَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ) أي: لا يطعن بعضكم بعضاً.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ﴾ تفسير الحسن: إذا ظننت بأخيك المسلم ظناً حسناً فأنت مأجور، وإذا ظننت به ظنّ سوء فأنت آثم.

ذكروا عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: إياكم والظن فإنه أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً[1]. قوله: (وَلَا تَجَسَّسُوا) أي: لا يتبع الرجل عورة أخيه المسلم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فنادى بصوت أسمع العواتق في الخدور: يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه، لاتؤذوا المؤمنين، ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخي المسلم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته[2].

ذكروا أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب: إن فلاناً يشرب الخمر. قال: إذا رأيته قد قعد عليها فآذني. فأتاه يوماً فأخبره. فانطلق عمر إلى الرجل؛ قال فوافق الرجل قد جمع القلل. فلما رأى عمرَ واراها. فقال له عمر: يا فلان، أنت بهذا؟ فقال له الرجل: وأنت بهذا؟ أمرك الله أن تجسسني؟ فخرج عمر وتركه[3].

---

(1) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه الربيع بن حبيب في صحيحه في جامع الآداب (رقم 698) وأخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجامع، ما جاء في المهاجرة، وأخرجه البخاري في الأدب، باب يا أيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيراً من الظن، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها (رقم 2563) كلهم يرويه عن أبي هريرة.

(2) حديث حسن رواه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن عن ابن عمر بلفظ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه» وزاد الترمذي: «وقد روي عن ابن برزة الأسلمي عن النبي ﷺ نحو هذا».

(3) انظر هذا الخبر مفصلاً وآخر مثله في الدر المنثور ج 6 ص 93، ففيهما من فقه عمر وسيرته موعظة وذكرى.

ذكروا عن محمد بن سيرين أن سلمان جاء ومعه حذيفة وأبو قرة[1] رجل من أصحاب النبي عليه السلام إلى منزله ليدخلهم. فاستفتح الباب. فجاءت جارية فنظرت ثم ذهبت، ثم رجعت ففتحت الباب فقالت: ادخلوا، فقالا: أعهد من رسول الله ﷺ فقال: أو هو خير من التجسس[2].

ذكروا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه أن رجلاً شرب الشراب فكتب إليه: من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان: (حَمٓ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) [غافر: 1-3]. فلما جاءه الكتاب جعل يقرأ ويتفكر فيه حتى بكى. فبلغ ذلك عمر فقال: هكذا فاصنعوا؛ إذا رأيتم بأخ لكم عثرة فسَدِّدوه.

قوله: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ كان في حديث الإسراء أتى على قوم يقطع من لحومهم فيجوزونها بدمائهم فيمضغونها، ولهم خوار. قال: فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الهمّازون اللّمازون؛ ثم تلا هذه الآية: (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيِّتاً فَكَرِهْتُمُوهُ) أي: بعد ما يموت. فقالوا: لا والله يا رسول الله ما نستطيع أكله ولا نحبه. قال رسول الله ﷺ: فاكرهوا الغيبة[3] قال مجاهد: قالوا نكره ذلك. قال: فاتقوا الله [في الغيبة][4].

ذكروا عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: إذا ذكرت أخاك بما فيه فقد

(1) كذا ورد ذكر هذا الصحابي بكنيته ورسم هكذا في ع: «أبو أقرة»، وفي ق بياض. ولم أوفق لتحقيق اسم هذا الصحابي، فهل هو أبو فروة حدير الأسلمي، وقد ترجم له ابن عبد البر في الاستيعاب وغيره، ولم أجد هذا الخبر في بعض كتب التفسير والحديث.

(2) كذا في ق، وفي ع: «فقالا: أعهد من رسول الله ﷺ أو هو خير من التحسس».

(3) لم أجده بهذا اللفظ وإن ورد بمعناه.

(4) زيادة من تفسير مجاهد، ص 608.

اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته[1].

ذكروا أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الغيبة فقال: أن تذكره بما فيه. فقال الرجل: إنما أحسب الغيبة أن يذكر بما ليس فيه قال: ذلك البهتان.

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: الغيبة أن تذكر أخاك بسوء شيء تعلمه فيه.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: خياركم الذين إذا رُؤُوا ذُكِـر الله، وشراركم المشاءون بالنميمة[2].

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: أتدرون ما العضه[3]. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: حمل الحديث من بعض إلى بعض ليستفسدوا بينهم[4].

ذكروا عن الحسن أن رجلاً قال: يا أبا سعيد، الرجل لا يعرف المال، ثم يرى بعدُ في يده المال، فيقول رجل: من أين لفلان هذا المال؟ قال: إن علم أنه يكره ذلك فلا يقوله.

وقال بعضهم: كانوا لا يرون الغيبة إلا أن يسمى صاحبها.

قال عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ والتوبة من قبل الله. قال تعالى: (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [التوبة: 118].

---

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، عن أبي هريرة (رقم 589)، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الغيبة (رقم 4874)، كما أخرجه الترمذي وابن جرير الطبري وغيرهم.

(2) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من المصادر.

(3) العَضه: القالة القبيحة، وهي الإفك والبهتان والنميمة. ورويت الكلمة في بعض كتب الحديث واللغة بالتاء: العضة. انظر اللسان (عضه).

(4) حديث صحيح. أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة (رقم 2606) بلفظ: ألا أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة، القالة بين الناس». وأخرجه الدارمي والبيهقي كلهم يرويه من طريق أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَّقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾. تفسير الحسن: الشعوب بنو الأب، والقبائل فوق ذلك. وربما اتفق الاسمان واختلفت القبيلتان فعرف الرجل.

وتفسير مجاهد: الشعوب: النسب البعيد، والقبائل دون ذلك.

(لِتَعَارَفُوا) أي: إن فلاناً ابن فلان من كذا وكذا. وتفسير الكلبي: القبائل المرتفعة الناس: تميم، وبكر، وأسد، وقيس؛ والقبائل دون ذلك، نحو نهشل وبني عبد الله بن حازم، ونحو ذلك. (لِتَعَارَفُوا): أي بالشعوب والقبائل.

وبعضهم يقول: الشعوب: الأجناس، والقبائل قبائل العرب.

قال تعالى: (لِتَعَارَفُوا). ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَيٰكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: الكرم التقوى والحسب المال[1].

ذكر الحسن أن أبا ذر كان بينه وبين رجل كلام، قال: وكانت له أمٌّ إذا ذكرت لم يشاتم، فذكرها أبو ذر، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: يا أبا ذر، أعبت فلاناً بأمه، انظر إلى من حولك من أبيض وأحمر وأسود، فما لك على أحد منهم فضل إلا أن تفضله بتقوى الله.

قوله عز وجل: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا ﴾ يعني المنافقين من الأعراب. قال مجاهد: أعراب بني أسد بن خزيمة. قال الله عز وجل: ﴿ قُل ﴾ يا محمد ﴿ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ أي: أقررنا.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَـٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ أي: الإيمان بما أقررتم به

(1) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، سورة الحجرات عن سمرة بن جندب، وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح. وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب الورع والتقوى (رقم 4219).

من الأعمال التي لا يكون الإيمان إلا بها. أي: إن الإيمان قول وعمل. فلا يكونون مؤمنين حتى يستكملوها.

قال: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي في كل ما تعبدكم به، أي من قول وعمل فتستكملوا فرائضه في القول والعمل ﴿ لَا يَلِتْكُم ﴾ أي لا ينقصكم[1] ﴿ مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ ﴾ التي هي إيمان وإسلام ﴿ شَيْئاً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي الذين صدقوا الله وصدقوا رسوله في كل ما تعبدهم به من قول وعمل ﴿ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ أي: لم يشكّوا ﴿ وَجَـٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِـمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ ﴾ أي: الذين هذه صفتهم ﴿ هُمُ الصَّـٰدِقُونَ ﴾ أي: المستكملو فرائض الله، الموفون بها، فهم المؤمنون؛ أي: ليسوا كالمنافقين الذين أقروا بالله بألسنتهم وخالفوا النبي والمؤمنين في أعمالهم.

قوله عز وجل: ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ ﴾ أي إن دينكم الذين عليه عقدكم[2] ترك الوفاء والتضييع والخيانة. قال تعالى: ﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَـٰمَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلإِيمَـٰنِ ﴾ أي بأن هداكم للإيمان ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ أي: إن كنتم مؤمنين. أي: إنكم لستم بصادقين ولستم بمؤمنين حتى تستكملوا القول

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 221: «(لَا يَأْلِتْكُم مِّن أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً) أي لا ينقصكم. لا يحبس وهو من ألت يألت، وقوم يقولون: لات يليت...» وقال الفراء في المعاني ج 3: (لا يلتكم) لا ينقصكم، ولا يظلمكم من أعمالكم شيئاً وهي من لات يليت، والقراء مجمعون عليها. وقد قرأ بعضهم: (لا يألتكم)، ولست أشتهيها، لأنها بغير ألف كتبت في المصاحف...». انظر في معاني الفراء ج 3 ص 74 تفصيلاً لوجه ترجيح أصل الكلمة، وكأنه ردٌّ صريح على أبي عبيدة. والحق أن حجة الفراء أبلغ في الموضوع، وإن لم يكن على قراءة الكلمة إجماع كما قال، فقد قرأ أبو عمرو والحسن وبعضهم: (يألتكم) وانظر الداني، كتاب التيسير، ص 202، وانظر ابن خالويه، الحجة، ص 304.

(2) كذا في ق و ع: «عقدكم».

والعمل جميعاً. كقوله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا) أي: أقروا ولم يعملوا (اتَّقُوا اللهَ) أي: اخشوا الله (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) أي: أهل الوفاء والاستكمال لفرائض الله الذين صدقوا بالقول والعمل، وهم المؤمنون أهل الصدق والوفاء[1].

وقال الكلبي: هم المنافقون، وكانوا يكثرون على رسول الله ﷺ كل يوم ويقولون: أتيناك يا رسول الله بالذراري والأموال مسلمين، وإنما يأتيك من يأتيك على رحالهم، فلنا عليك حق بإسلامنا وإقبالنا عليك بالذراري، وأكثروا في ذلك وقال تعالى: (قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). كانوا يحلفون بالله إنهم لمؤمنون وليسوا بمؤمنين. قال الكلبي: وهي متصلة بالقصة الأولى؛ قالت الأعراب آمنا... إلى قوله: (قُل أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ).

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ كقوله: (يخرج الخبء في السَّمٰوَاتِ والأرض) [الشعراء: 25] أي: يعلم السر في السماوات والأرض. ﴿ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

(1) كذا في ق و ع، وهو من تأويل الشيخ هود ولا شك. فقد جاء في ز، ورقة 334 ما يلي: «قال الحسن: هم مؤمنون وليسوا بمنافقين، ولكنهم كانوا يقولون لرسول الله: أسلمنا قبل أن يسلم بنو فلان، وقاتلنا معك قبل أن يقاتل بنو فلان. فأنزل الله: (بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيٰكُمْ لِلإِيمَانِ)».

تفسير سورة قٓ، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ قٓ ﴾. ذكروا عن عكرمة أنه قال: هو اسم من أسماء الله. وكان الحسن يقول: ما أدري ما تفسير قٓ، وطسٓمٓ، وحمٓ، وكٓهيعٓصٓ وأشباه ذلك؛ غير أن قوماً من السلف كانوا يقولون: أسماء السور ومفاتيحها.

وذكر بعضهم في طسٓمٓ وحمٓ قال: أسماء من أسماء الكتاب. وبعضهم يقول في قٓ: جبل محيط بالدنيا. وبعضهم يجر قافِ.

﴿وَالْقُرْءانِ الْمَجِيدِ﴾ يحمله على القسم. ومعنى المجيد الكريم على الله. ومن جزم جعل القسم من وراء القرآن المجيد[1].

وتفسير الحسن أن القسم وقع على تعجب المشركين مما جاء به محمد ﷺ.

قال: ﴿ بَلْ عَجِبُوا ﴾ أي لقد عجب المشركون ﴿ أَنْ جَاءَهُمْ مُّنْذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي: محمد ﷺ؛ أي منهم في النسب، وليس منهم في الدين، ينذر من عذاب الله. ﴿ فَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ أي: عجب.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ﴾ على الاستفهام ﴿ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ ينكرون البعث، أي إنه ليس بكائن.

(1) وقع في ق و ع تقديم وتأخير في تفسير قوله: (قٓ والقرآن المجيد) فأثبته حسبما جاء في ز، ورقة 334 وهو أوضح. وانظر ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن ج 2 ص 384 ففيه إيضاح لمعنى هذا القسم وجوابه، وانظر تفسير القرطبي ج 17 ص 1-3.

قال عز وجل: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ أي: ما تأكل الأرض منهم إذا ماتوا، أي: تأكل كل شيء غير عجم الذنب.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: في الإنسان عظم لا تأكله الأرض، هو عجم الذنب وفيه يركب ابن آدم[1]. وقال بعضهم: سمعنا أنه فيه يركب ابن آدم.

وقال مجاهد: (مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ) من عظامهم. وقال بعضهم: ما تنقص الأرض: اللِّحى؛ وهم أهل الجنة، يخرجون مرداً.

قال: ﴿ وَعِنْدَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌ ﴾ أي: بما تأكل الأرض منهم. وبعضهم يقول: إنه اللوح المحفوظ.

قال الله عز وجل: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ أي: ملتبس، فهم في شك من البعث.

قال: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: بينكم وبينها مسيرة خمسمائة عام، حتى عدّ سبع سماوات هكذا. قال: وبين السابعة والعرش كما بين سماءين[2].

قال: ﴿ وَزَيَّنَّـٰهَا ﴾ أي: بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ أي: من شقوق.

﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾ أي: بسطناها، كقوله عز وجل: (وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَيهَا) [النازعات: 30] وهذا كله واحد.

---

(1) حديث صحيح أخرجه الربيع بن حبيب في الجامع الصحيح، باب في الآداب، ج 2 ص 97 (رقم 722)، وأخرجه مالك في الموطإ في كتاب الجنائز، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، (رقم 2955) كلهم يرويه من طريق أبي هريرة ولفظه عند مسلم: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب». يقال: عجم الذنب، وعجب الذنب، وهو العُظَيْم الذي في أسفل الصلب عند العجز.

(2) انظر ما سلف، ج 1 ص 88.

ذكروا عن عطاء قال: بلغني أن الأرض دحيت من تحت الكعبة. وقال مجاهد: كان البيت قبل الأرض بألف عام ومدّت[1] الأرض من تحته. وقال بعضهم: مكة أم القرى ومنها دحيت الأرض.

قال تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ ﴾ والرواسي الجبال، أرسيت بها الأرض، أي: أثبتت بها، أي: جعلت أوتاداً للأرض. وهو كقوله: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً) [النبأ: 6-7].

ذكروا عن الحسن قال: لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فلما رأت ذلك الملائكة قالت: يا ربنا، هذه الأرض لا يقرّ لك على ظهرها خلق. فأصبح وقد وتدها بالجبال. فلما رأت ملائكة الله ما أرسيت به الأرض أعظموا ذلك فقالوا: يا رب، هل خلقت خلقاً أشد من الجبال؟ قال نعم، الحديد. قالوا: ربنا هل خلقت خلقاً هو أشد من الحديد؟ قال نعم: النار. قالوا: ربنا، هل خلقت خلقاً هو أشد من النار؟ قال نعم، الريح. قالوا: ربنا هل خلقت خلقاً هو أشد من الريح؟ قال نعم: ابن آدم.

قال تعالى: ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ ﴾ أي: من كل لون ﴿ بَهِيجٍ ﴾. وكل ما ينبت في الأرض فالواحد منه زوج. ﴿ تَبْصِرَةً ﴾ أي: يتفكر فيه المؤمن، فيعلم أن الذي خلق هذا قادر على أن يحيي الموتى، وأن ما وعد الله من الآخرة حق. قال عزّ وجلّ: ﴿ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ أي: مخلص مقبل إلى الله بالإخلاص؛ كقوله عزّ وجل: (وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ) [الزمر: 54].

قوله عزّ وجل: ﴿ ونَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَٰرَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾؛ وهو كل ما يحصد في تفسير الحسن.

قال عز وجل: ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ ﴾ أي طوالاً، وبسوقها طولها. ﴿ لَهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾ أي منضود بعضه على بعض. ﴿ رِزْقاً لِّلْعِبَادِ ﴾ أي: فأنبتناه رزقاً للعباد. ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ ﴾ أي بالمطر ﴿ بَلْدَةً مَّيْتاً ﴾ أي: يابسة ليس فيها نبات، فأحييناها

(1) وردت الكلمة هكذا في ق و ع: «وهذب» والصواب ما أثبته.

بالنبات ﴿ كَذٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ أي: البعث؛ يرسل الله مطراً منيّاً كمني الرجال فتنبت به جسمانهم ولحمانهم كما تنبت الأرض الثرى.

قوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ ﴾ أي: قبل قومك يا محمد ﴿ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ الرَّسِّ ﴾ والرس بئر كان عليها قوم فنسبوا إليها. وقال بعضهم: المعدن[1]. وقال بعضهم: واد.

قال: ﴿ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴾ أي إخوانه في النسب وليسوا بإخوانه في الدين. ﴿ وَأَصْحَـٰبُ الأَيْكَةِ ﴾ والأيكة الغيضة. وقد فسّرنا أمرهم في سورة الشعراء[2].

قال تعالى: ﴿ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾. ذكروا أن ابن عباس سأل كعباً عن تبع فذكر قومه ولم يذكر [من][3] هو. قال: إنه كان معه اثنا عشر رجلاً من أولاد الأنبياء. فأراده قومه على أن يقتلهم فأبى. وجمع بينهم وبينهم فحاجوه. فتعاهدوا على أن يوقدوا ناراً، ثم يدعو كل قوم ما يعبدون، ثم يدخلونها. فمن هلك هلك، ومن نجا نجا. فدخلها أولاد الأنبياء، فمروا فيها حتى خرجوا من الجانب الآخر، فلم تضرهم شيئاً. فلما رأى ذلك قوم تبع أبوا أن يدخلوها. وكانوا قد اتفق اثنا عشر رجلاً من خيارهم[4] أن يدخلوا مع أولاد الأنبياء في النار وتقاعسوا، فأخذهم تبع وضرب أعناقهم، وحلق رأسه وآمن، فقتله قومه. فلذلك ذكر الله قومه ولم يذكره.

قوله عز وجل: ﴿ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ أي: إن الرسل جاءتهم يدعونهم إلى الإيمان، ويحذرونهم العذاب فكذبوهم فجاءهم العذاب. يحذر بهذا مشركي العرب.

---

(1) في ق «أبارق»، وفي ع «أباريق» ولم أر وجهاً مناسباً للكلمتين هنا، وقد أثبت مكانهما «المعدن» وهو تفسير ذكره بعض المفسّرين. قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 75: «(أَصْحَابُ الرَّسِّ): أي المعدن». وانظر ما سلف ج 3 ص 210.

(2) انظر ما سلف ج 3 ص 238-239.

(3) زيادة لا بد منها.

(4) كذا في ق: «من خيارهم»، وفي ع: «من أحبارهم».

قوله: ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ ﴾ أي: لم نعي به. قال مجاهد: أفأعيا علينا حين أنشأناكم [وأنشأنا خلقكم][1]. تفسير الحسن: إنه يعني خلق آدم وذريته بعده.

قال: ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ ﴾ أي: في شك ﴿ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ يعني البعث.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَـٰنَ ﴾ يعني بالإنسان هاهنا جميع الناس ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ أي: ما تحدّث به نفسه ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ وهو نياط القلب[2]، وهو الوتين.

قوله: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ ﴾ أي: الملكان الكاتبان الحافظان عن اليمين وعن الشمال ﴿ قَعِيدٌ ﴾ أي رصيد، أي يرصده حافظ.

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ ﴾ أي: عنده ﴿ رَقِيبٌ ﴾ أي حفيظ ﴿ عَتِيدٌ ﴾ أي: حاضر يكتب كل ما يلفظ به. قال مجاهد: حتى أنينه.

وتفسير الكلبي: إنه تعرض الأعمال، فما لم يكن فيه خير ولا شر محي ولم يثبت؛ وذلك في يوم اثنين وخميس، فيهما ترفع الأعمال.

وذكر بعضهم قال: أمر صاحب الشمال أن يكتب ما لا يكتب صاحب اليمين. وقال بعضهم: ما خطا عبد خطوة إلا كتبت له حسنة أو سيئة. قال: وبلغنا أن صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فلا يكتب صاحب الشمال حتى يأمره صاحب اليمين.

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الملائكة قالت: ربِ ذلك

---

(1) في ق: «عيا عليكم»، وفي ع: «منا عليكم»، وفي كلتا العبارتين خطأ. أثبت التصحيح والزيادة من تفسير مجاهد ص 610. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 77: «يقول: كيف نعيا عندهم بالبعث ولم نعي بخلقهم أولاً»؟.

(2) قال الجوهري في الصحاح: «النياط: عرق علق به القلب من الوتين. فإذا قطع مات صاحبه، وهو النيط أيضاً. ومنه قولهم: رماه الله بالنيط، أي بالموت». وأصل الفعل: ناط ينوط نوطاً، أي علق: وكل ما علق من شيء فهو نوط.

عبدك يريد أن يعمل سيئة وأنت أعلم وأبصر؛ فيقول: ارقبوا عبدي، فإن عملها فأثبتوا عليه بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، فإنما تركها من خشيتي[1].

وقال الحسن: الحفظة أربعة: يتعاقبان ملكان بالليل وملكان بالنهار، وتجتمع هذه الأملاك الأربعة عند صلاة الفجر، وهو قوله: (إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً) [الإسراء: 78].

ذكروا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فيجتمعون عند صلاة الفجر وعند صلاة العصر فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون[2].

قوله عز وجل: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالبعث، أي يموت ليبعث[3]. وهي في حرف ابن مسعود: وجاءت سكرة الحق بالموت.

قال عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: تهرب. قال الحسن: هو الكافر، لم يكن شيء هو أبغض إليه من الموت.

قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾. قد فسّرناه في غير هذا الموضع[4]. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ أي: اليوم الموعود.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: اليوم الموعود يوم القيامة[5].

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب إذا همّ العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، عن أبي هريرة (رقم 129) ولفظه في آخره: «إنما تركها من جرّاي».

(2) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 297.

(3) في ق و ع: «أي بالموت للبعث» وأثبت ما جاء في ز، وهو أوضح. وانظر معاني الفراء، ج 3 ص 78.

(4) انظر مثلاً ما سلف في هذا الجزء، ص 47 - 48.

(5) أخرجه الترمذي في أبواب التفسير، سورة البروج من حديث أطول عن طريق أبي هريرة، وقال الترمذي: «هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعّف في الحديث».

قوله: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ سائق يسوقها إلى الجنة أو إلى النار، وشهيد يشهد عليها بعملها.

وقال بعضهم: هو ملكها الذي يكتب عملها في الدنيا هو شاهد عليها بعملها. وقال مجاهد: (سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) الملكان الكاتبان عمله.

قال: ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هٰذَا ﴾ يعني الكافر ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ ﴾ أي: غطاء الكفر ﴿ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ حَدِيدٌ ﴾ أي: بصير[1]. هو كقوله: (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَاتُونَنا) [مريم: 38] أي: أبصروا حيث لم ينفعهم البصر.

قوله عز وجل: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ) وقرينه الملك الذي كان معه يكتب عمله ﴿ هٰذَا مَا لَدَيَّ ﴾ أي: ما عندي ﴿ عَتِيدٌ ﴾ أي: ما كتبت عليه حاضر.

قال الله: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ أي: معاند للحق مجتنبه. والحق الهدى. أمر الله به خزنة النار.

قال تعالى: ﴿ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ أي: للزكاة؛ وهذا المشرك. وقال في حمٓ السجدة: (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الذِينَ لاَ يُوتُونَ الزَّكَوٰةَ) أي: الواجبة (وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) [فصّلت: 6-7].

قال: ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ أي: من قبل العدوان. والعدوان هاهنا الشرك. ﴿ مُّرِيبٍ ﴾ أي: في شك من البعث. قال: ﴿ الذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾.

قوله: ﴿ قَالَ قَرِينُهُ ﴾ [أي شيطانه][2] ﴿ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ ﴾ أي ما أضللته بسلطان

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 78: «يقول: قد كنت تكذب، فأنت اليوم عالم نافذ البصر. والبصر هاهنا هو العلم، ليس بالعين». وقال ابن أبي زمنين: «حديد في معنى حادّ، كما يقال: حفيظ وحافظ. ويقال حدّ بصره».

(2) زيادة من ز، ورقة 335.

كان لي عليه ﴿وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾ أي: من الهدى.

ذكروا عن أبي هريرة قال: إن المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر[1].

قال: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ أي: عندي ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ أي: في الدنيا. ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ أي: عندي، من الوعد والوعيد في تفسير الحسن. وقال مجاهد: يقول: قد قضيت ما أنا قاض. ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ يَوْمَ يَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أي: في مزيد[2].

وقال مجاهد قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ أي: وأدنيت الجنة ﴿لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ قال: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ يعني الجنة ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ والأوّاب: التائب الراجع عن ذنبه. وقال مجاهد: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها.

ذكروا عن عبيد بن عمير قال: كنا نحدّث أن الرجل إذا قال في مجلسه: سبحان الله العظيم، اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا إنه الأواب الحفيظ.

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما من قوم يكونون في مجلس يتفرقون منه على غير ذكر أو صلاة على نبيهم إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار، وكان عليهم حسرة يوم القيامة[3].

---

(1) أنضى الرجل بعيره أي: هَزَله وصيّره نِضواً. انظر اللسان: (نضا). وما نسب إلى هريرة هنا هو نص حديث مرفوع إلى النبي عليه السلام، أخرجه أحمد في مسنده، وكذلك ذكره ابن منظور على أنه حديث.

(2) كذا في ق و ع: ويبدو في المخطوطتين سقط. جاء في ز ورقة 335 في تفسير الآية ما يلي: «(وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ) تفسير مجاهد: وعدها ليملأها فقال أوفيتك فقالت وهل من مسلك. أي: قد امتلأت». وانظر اختلاف المفسرين في قوله تعالى: (هَلْ مِن مَّزِيدٍ)، في تفسير الطبري، ج 26 ص 169-171.

(3) حديث صحيح أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا =

ذكروا أن جبريل عليه السلام علم النبي عليه السلام إذا أراد أن يقوم من مجلس أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، أستغفرك اللهم وأتوب إليك[1].

قوله عز وجل: ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ أي لقى الله بقلب مخلص؛ كقوله عز وجل: (إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [الشعراء: 89] أي: من الشرك.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ ذكروا عن علي بن أبي طالب في قوله عز وجل: (وَسِيقَ الذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً)... إلى قوله: (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) [الزمر: 73] قال: إذا توجّهوا إلى الجنة مرّوا بشجرة يخرج من تحتها عينان فيشربون من إحداهما فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تتغيّر أبشارهم ولا تشعث أشعارهم بعدها، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من أذى وقذى، ثم تستقبلهم الملائكة خزنةُ الجنة وتقول لهم: (سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ). وذكر بعضهم: أنه قوله عزّ وجلّ: (ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ).

قال: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ ذكروا عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى منادٍ يا أهل الجنة خلود لا موت فيها، ويا أهل النار خلود لا موت فيها، وكلٌّ خالد فيما هو فيه[2].

قوله عز وجل: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ أي: إذا اشتهوا الشيء جاءهم من غير أن يَدْعُوا بِهِ، ويكون في في أحدهم الطعام فيخطر على باله الطعام الآخر، فيتحوّل ذلك الطعام في فيه، ويأخذ البسرة فيأكل من ناحية منها بسراً، ثم يحوّلها فيأكل منها إلى عشرة ألوان أو ما شاء الله من ذلك.

= يذكر الله. عن أبي هريرة (رقم 4855)، ورواه الحاكم في المستدرك، وقال حديث صحيح على شرط مسلم.

(1) حديث صحيح أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في كفارة المجلس، عن أبي برزة الأسلمي (رقم 4859).

(2) نظر تخريجه فيما سلف من هذا التفسير، ج 3 ص 15.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ أي: وعندنا مزيد.

ذكروا عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: إذا انصرف أهل الجنة إلى منازلهم انصرف أحدهم إلى سرادق من لؤلؤ [طوله][1] خمسون ألف فرسخ، فيه قبة من ياقوتة حمراء، ولها ألف باب، له فيها سبعمائة امرأة، فيتكىء على أحد شقيه، فينظر إليها كذا وكذا، ثم يتكىء على الشق الآخر، فينظر إليها مثل ذلك. ثم يدخل عليه من كل باب ألف ملك من ألف باب معهم الهدية من ربهم فيقولون له: السلام عليك من ربك؛ فيوضع ذلك فيقول: ما أحسن هذا. فيقول الملك للشجر حوله: إن ربكن يأمركن أن تقطعن[2] له كل ما يشتهي على مثل هذا. قال: وذلك كل جمعة. قال وبلغنا أن أهل الجنة، ولا أحسبه إلا أرفعهم درجة، تأتيه الهدية من ربه عند مواقيت الصلاة[3].

وأخبرني[4] عن السدي قال: لا يزال أهل الجنة معجبين بما هم فيه حتى يفتح الله المزيد، فإذا فتح الله المزيد لم يأتهم شيء من المزيد إلا وهو أفضل ما في جناتهم.

قوله عز وجل: ﴿ وَكَمَ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم ﴾ يعني قبل مشركي العرب ﴿ مِّن قَرْنٍ هُمُ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً ﴾ أي: كانوا أشد منهم بطشاً، يعني قوة، كقوله عز وجل: (كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً) [التوبة: 69] ﴿ فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ ﴾. وهي تقرأ على وجهين: بالتثقيل وبالتخفيف؛ فمن قرأها بالتثقيل فهو يقول: فجوّلوا في البلاد، أي: حين جاءهم العذاب، ومن قرأها بالتخفيف فهو يقول: فجالوا في البلاد على مثل التفسير

(1) زيادة يقتضيها سياق الكلام.
(2) كذا في ق: «أن تقطعن»، وفي ع: «أن تقطرن».
(3) جاء في ز، ورقة 336 روايات ثلاث ليحيى بن سلام في تفسير قوله: (وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ)، تتعلق برؤية الباري، حذفها الشيخ هود الهواري لأنها لم تصح عنده، وأثبت مكانها ما رواه هنا منسوباً إلى ابن عباس.
(4) كذا في ق وع، بدون ذكر لاسم المخبر، ولعله أحد شيوخ ابن سلام.

الأول[1]. ﴿ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾ أي: هل من ملجأ يلجأون إليه من عذاب الله، أي: فلم يجدوا ملجأ حتى هلكوا.

قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ أي: عقل، وهو المؤمن ﴿ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾. تفسير مجاهد: أو ألقى السمع والقلب شهيد. وتفسير الحسن: أو ألقى السمع وهو شهيد، أو الوحيَ[2]، يعني أهل الكتاب، كقوله عز وجل: (نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) [البقرة: 101] يقول: إن في ذلك للمؤمن وللكتابي أن يذكر.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ واليوم منها ألف سنة. كقوله عز وجل: (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) [الحج: 47].

قال عز وجل: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ أي: من إعياء. وذلك أن اليهود أعداء الله قالت: لما فرغ الله من خلق السماوات والأرض أعيا فاستلقى على ظهره، ثم وضع إحدى رجليه على الأخرى [استراح][3]. فأنزل الله: (وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ).

ذكروا عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه استلقى يوماً على ظهره، ثم رفع إحدى رجليه على الأخرى ثم قال: كذبت اليهود أعداء الله، ما مس الله من لغوب.

---

(1) وأورد الفراء في المعاني ج 3 ص 79-80 قراءة ثالثة ليحيى بن يعمر بكسر القاف المشددة فقال: «ومن قرأ: (فَنَقِّبُوا فِي البِلَادِ) فكسر القاف، فإنه كالوعيد. أي اذهبوا في البلاد فجيئوا واذهبوا».

(2) وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 80. يقول: «أو ألقى سمعه إلى كتاب الله وهو شهيد، أي: شاهد ليس بغائب». وقال ابن أبي زمنين، كما في ز ورقة 336: «استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساه».

(3) زيادة من ز، ورقة 336.

ذكروا عن عبادة بن الأشيم أنه رأى رسول الله مستلقياً وضع إحدى رجليه على الأخرى وهو يقول: ما مسَّ اللهَ من نصب[1].

قوله عز وجل: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أي: على ما يقول لك قومك: إنك شاعر. وإنك ساحر، وإنك كاهن، وإنك كاذب، وإنك مجنون.

قال: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ قال بعضهم: هما صلاة الصبح وصلاة العصر. وتفسير الحسن: هي الصبح والظهر والعصر.

قوله عز وجل: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ يعني صلاة المغرب وصلاة العشاء. ﴿ وَإِدْبَارَ السُّجُودِ ﴾[2] [عن علي قال سئل رسول الله ﷺ عن إدبار السجود][3] فقال: هما الركعتان بعد صلاة المغرب. [وسئل عن إدبار النجوم فقال: هما الركعتان قبل صلاة الصبح][4] وقال مجاهد: ركعتان بعد صلاة المغرب. ذكروا عن ابن عباس قال: التسبيح دبر كل صلاة.

قوله عز وجل: ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾. والمنادي صاحب الصور، ينادي من الصخرة من بيت المقدس في تفسير بعضهم. قال: وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً.

وبلغنا، والله أعلم، عن عبد الله بن عباس أنه قال: يقوم ملك بين السماء والأرض بالصور فينفخ فيه.

---

(1) لم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من مصادر التفسير والحديث، ولعله مما انفرد بروايته ابن سلام جاء في ع اسم الصحابي راوي الحديث هكذا عباد بن تميم، وفي ق عباد بن شيم، وأثبته «عبادة بن الأشيم»، كما جاء في الاستيعاب، ج 2 ص 807، على الترجيح لا على التحقيق.

(2) جاءت العبارات ناقصة في ق وع فأثبت التصحيح من ز، ورقة 336-337، بين معقوفين.

(3) أخرجه ابن سلام بسند عن علي بن أبي طالب كما في ز ورقة 337، وأخرجه ابن جرير الطبري وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير، سورة الطور عن ابن عباس مرفوعاً.

(4) زيادة من ز، ورقة 337.

قال عز من قائل: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ ﴾ أي النفخة الآخرة ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي بالبعث؛ ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ أي: من القبور.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ﴾ إلى المنادي صاحب الصور، إلى بيت المقدس. ﴿ ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ أي هيّن.

قوله عز وجل: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ أي: إنك ساحر، وإنك مجنون، وإنك شاعر، وإنك كاذب، وإنك كاهن، أي: فسنجزيهم بذلك النار. ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾. أي: تجبرهم على الإيمان؛ أي: إنما يؤمن من أراد الله أن يؤمن. وقال بعضهم: (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) أي: ما أنت عليهم بمسلَّط فتقهرهم.

قال: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءانِ مَن يَّخَافُ وَعِيدِ﴾، [وهو المؤمن، يقبل التذكرة. أي: إنما يقبل نذارتك بالقرآن من يخاف وعيد][1]، أي: وعيدي بالنار.

(1) زيادة من ز، ورقة 337.

تفسير سورة الذاريات، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ وَالـذَّٰرِيَٰتِ ذَرْواً ﴾ أي: الرياح. قال الله عز وجل: (فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ) [الكهف: 45]. وذروها جريها. قال عز وجل: (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ) [سورة صٓ: 36].

قوله عز وجل: ﴿ فَالحَـٰمِلَٰتِ وِقْراً ﴾ أي السحاب [تحمل الوقر من الماء][1] قال: (حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً) [الأعراف: 57] أي التي فيها الماء.

قوله عز وجل: ﴿ فَالْجَـٰرِيَٰتِ يُسْراً ﴾ أي: السفن تجري بتيسير الله. كقوله: (حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) [يونس: 23] وكقوله: (وَحَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) [الحاقة: 11].

قوله عز وجل: ﴿ فَالْمُقَسِّمَـٰتِ أَمْراً ﴾، أي الملائكة[2].

ذكر بعضهم قال: (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً): الرياح، (فَالْحَامِلاَتِ وِقْراً): السحاب، (فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً): السفن، (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً): الملائكة. وهذا قسم، أقسم بهذا كله.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 337.

(2) قال الفراء في المجاز، ج 3 ص 28: «الملائكة تأتي بأمر مختلف: جبريل صاحب الغلظة، وميكائيل صاحب الرحمة، وملك الموت يأتي بالموت، فتلك قسمة الأمور».

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ يعني البعث ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ ﴾ أي: الحساب ﴿ لَوَاقِعٌ ﴾ أي: لكائن.

قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ والحبك استواءها وحسنها. ويقال منه حبك الماء إذا هاجت الريح، ومنه حبك الزرع إذا أصابته الريح، ومنه حبك الشعر الجعد[1]. وهي موج مكفوف، أي السماء. وهذا قسم. يقول: والسماء ذات الحبك ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾ أي لفي اختلاف من البعث[2]. ﴿ يُوفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ أي يصدُّ عنه من صد [عن الإيمان به][3]، ويصرف عنه من صرف، وقال هذا وهذا.

قوله عز وجل: ﴿ قُتِلَ الخَرَّٰصُونَ ﴾ أي لعن الخراصون الذين يكذبون بيوم الدين، أي الذين يكذبون بالبعث، وذلك منهم تخرّص[4].

قال: ﴿ الذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ﴾ أي: في غفلة. وقال بعضهم: في حيرة ﴿ سَاهُونَ ﴾ أي: لاهون. ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴾ أي: متى يوم الدين، وذلك منهم استهزاء وتكذيب. أي: لا يكون.

قال الله: ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ أي: يحرقون بها. ﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ﴾ أي: حريقكم ﴿ هٰذَا الذِي كُنْتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ أي: في الدنيا. أي: لما كانوا يستعجلون بالعذاب في الدنيا استهزاءً وتكذيباً.

ذكروا عن الحسن قال: (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) أي عذابكم الذي كنتم به تستعجلون. وقال مجاهد: يفتنون أي: كما يفتن الذهب، أي يحرق الذهب[5].

---

(1) قال الفراء: «الحبك تكسُّر كل شيء... وواحد الحبك: حباك وحبيكة». وانظر مجاز أبي عبيدة ج 2 ص 225.

(2) وقال بعضهم: القول المختلف: تكذيب بعضهم بالقرآن وبمحمد، وإيمان بعضهم». وانظر معاني الفراء ج 3 ص 83.

(3) زيادة من ز، ورقة 337.

(4) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 225: «(قُتِلَ الخَرَّاصُونَ) المتكهّنون».

(5) من معاني الفَتْن الإحراق. كما جاء في كتب اللغة. وفي صحاح الجوهري. «وَرِق فتين، أي: فضة محرقة». ويقال للحَرّة، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء، فتين، كأنّ حجارتها محرقة.

قال ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ وهي الأنهار؛ كقوله: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ) [القمر: 54] يعني جمع الأنهار.

﴿ ءَاخِذِينَ ﴾ أي: قابلين ﴿ مَا ءَاتَيٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ أي ما أعطاهم ربهم، أي: في الجنة ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ أي: في الدنيا.

﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ الَّيْـلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾. ذكروا عن الحسن أنه قال: كانوا لا ينامون منه إلا قليلاً.

ذكروا عن مطرف بن عبد الله أنه قال: قَلَّ ليلة تأتي عليهم إلا وهم يصلّون فيها لله عز وجل[1].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أَصِيبوا من الليل ولو ركعتين ولو أربعاً[2].

ذكروا عن أنس بن مالك قال: كانوا يتنفلون[3] ما بين المغرب والعشاء يصلون ما بينهما.

ذكر الحسن قال: نهى رسول الله ﷺ عن النوم قبل العشاء وعن الحديث بعدها[4]. وبعضهم لا يرى بالحديث بعدها فيما كان من خير بأساً.

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 48: «وقوله: (كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) إن شئت جعلت ما في موضع رفع، وكأن المعنى: كانوا قليلاً هجوعهم، والهجوع: النوم. وإن شئت جعلت ما صلة [أي زائدة] لا موضع لها، ونصبت قليلاً بيهجعون، أردت: كانوا يهجعون قليلاً من الليل. وانظر أوجهاً أخرى في معنى الآية وإعرابها عند ابن الجوزي، زاد المسير، ج 8، ص 31-32، وانظر تحقيقاً في موضع (ما) في كشاف الزمخشري ج 4 ص 398-399. وانظر تفسير القرطبي، ج 17 ص 35-37.

(2) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 3 ص 217. ولم أجد الحديث فيما بين يدي من المصادر غير ابن سلام.

(3) في ق و ع: «ينقبون»، ولم أر للكلمة وجهاً، فأثبت ما ورد في هامش ع من تصحيح الناسخ، «يتنفلون» وهو الصواب إن شاء الله.

(4)) أخرجه الطبراني عن ابن عباس، وهو حديث صحيح.

قوله عز وجل: ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ أي: يصلون.

ذكروا عن ابن عمر أنه كان يصلي من الليل، حتى إذا أسحر قال: يا نافع، أأسحرت؟ فإذا قال نعم، جلس يستغفر.

ذكروا عن الحسن عن أبي موسى الأشعري قال: إنا نستفتح على العدو بصلاة أقوام من السحر.

ذكروا عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: إن من أحب أحبائي المشاءين إلى المساجد، المستغفرين بالأسحار، المتحابين فيَّ، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض سوءاً فذكرتهم صرفته عنهم بهم[1].

ذكر غير واحد في تفسير هذه الآية في قول يعقوب لبنيه: (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ) [يوسف: 98] أي: أخَّرهم إلى السحر.

قال تعالى: ﴿ وَفِي أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾. أما السائل فالذي يسأل، وأما المحروم فإن تفسير الحسن فيه أنه المتعفف القاعد في بيته، الذي لا يسأل.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: المحروم المحارف الذي لا سهم له[2].

وقال بعضهم: هم أصل الصّفّة، صفّة مسجد النبي عليه السلام، كانوا لا يقدرون أن يغزوا مع النبي عليه السلام فحلّ لهم من الصدقة قبل أن يسمى أهلها في سورة براءة.

---

(1) أخرجه ابن سلام بالسند التالي: يحيى عن خالد بن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك، كما جاء في ز، ورقة 338، وعبارته: «إذا أردت أهل الأرض بسوء». ولم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ فيما بين يدي من المصادر.

(2) قيل هو الذي لا سهم له في الغنيمة لأنه لم يشهد الموقعة، وهذا ما ذهب إليه الفراء، وقيل: «هو الذي لا ينمى له مال». وقيل: «هو الذي يصاب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته». وانظر تفسير الطبري ج 26 ص 202-203.

وقال بعض العلماء: الجهاد إنما فرض بالمدينة، وهذه السورة كلها مكية. والله أعلم بهذا التفسير الذي قيل في أصحاب النبي عليه السلام.

وقال مجاهد: (الْمَحْرُومُ): المحارَف.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ أي: فيما خلق الله فيها ﴿ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ قال: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي: في بدء خلقكم من تراب، أي آدم، ثم خلق نسله من نطفة ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ يقوله للمشركين. وقال مجاهد: (وَفِي أَنْفُسِكُمْ) أي: مدخل الطعام والشراب ومخرجه[1].

قال: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾ أي المطر، فيه أرزاق الخلق ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ تفسير الحسن: أي: من الوعد والوعيد؛ الوعد للمؤمنين بالجنة، والوعيد للمشركين والمنافقين بالنار. قال بعضهم: أظنه يعني: جاء الوعد والوعيد من السماء. وبعضهم قال: الجنة وعدها المتقون، وهي في السماء؛ والنار في الأرض.

قوله: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ أقسم بنفسه ﴿ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ أي: إن هذا القرآن لحق ﴿ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ أي: كما أنكم تنطقون.

قوله: ﴿ هَلْ أَتَيٰكَ ﴾ أي قد أتاك[2] ﴿ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيـمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ أي: عند الله بالمنزلة والقربة، يعني الملائكة الذين نزلوا به، فبشروه بإسحاق، وجاءوا بعذاب قوم لوط.

قال تعالى: ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ﴾ أي في صورة آدميين ﴿ فَقَالُوا سَلَـٰماً ﴾ أي:

(1) آيات الله في أنفسنا أعم من أن تنحصر في الجهاز الهضمي كما أشار إليه مجاهد، بل هي في جميع أجهزة الإنسان، فالجهاز العصبي مثلاً من آيات الله الكبرى في أنفسنا؛ وقل مثل ذلك في جميع الأجهزة. ولا يزال العلم الحديث يطلعنا في كل يوم على آية من آيات الله في النفس البشرية، مما يزيد المؤمن إيماناً إذا تدبر آيات الله في الأكوان والأبدان، وفي كل ما خلق الله، لا إله إلا هو.

(2) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 86: وقوله: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ) لم يكن علمه النبي - ﷺ - حتى أنزله الله عليه».

سلّموا عليه ﴿ قَالَ سَلَـٰمٌ ﴾ أي: ردَّ عليهم ﴿ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴾ أي: أنكرهم حين لم يأكلوا من طعامه[1].

قال تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ ﴾ أي: فمال إلى أهله ﴿ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾. وهذا قبل أن ينكرهم ﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ﴾ حنيذاً مشوياً، فلم يأكلوه. ﴿ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ قال: ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ أي: إسحاق[2].

قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُـهُ فِي صَرَّةٍ ﴾ أي: رنة، أي: صيحة ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ أي: جبهتها بكفها اليمنى تعجباً بما بشروها بـه ﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ أي: كيف تلد وهي عجوز عقيم، أي: عاقر. وقالوا لها في آية أخرى: (أَتَعْجَبِينَ مِنَ أَمْرِ اللهِ) [هود: 73].

﴿ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ﴾ أي: إنك تلدين غلاماً اسمه إسحاق ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ ﴾ في أمره ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بخلقه.

﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم ﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾ أي: ما أمركم ﴿ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ أي مشركين، يعنون قوم لوط ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ ﴾. وقال في آية أخرى: (حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ) [هود: 82]، وهي بالفارسية: أولها حجر وآخر طين: سيد وكل. وقال في هذه: (حِجَارَةً مِّن طِينٍ).

قال تعالى: ﴿ مُسَوَّمَةً ﴾ أي: مُعلَمة، أي: إنها من حجارة العذاب، وليست من حجارة الدنيا. كان في كل حجر منها مثل الطابع. قال تعالى: ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ أي للمشركين.

---

(1) وقيل: أنكرهم للسلام الذي حيّوه به، وهو قول له حظ من النظر لأنهم لم يأكلوا بعد.

(2) قال بعض المفسرين: «أي: يبلغ ويعلم». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 86: «إذا كبر، وكان بعض مشيختنا يقول: إذا كان العلم منتظراً لمن يوصف به قلت في العليم إذا لم يعلم: إنه لعالم عن قليل وفاقه، وفي السيـد: سائد، والكريم: كارم. والذي قال حسن. وهذا كلام عربي حسن، قد قاله الله في (عَلِيمٍ)، و (حَلِيمٍ) و (مَيِّتٌ)».

قال: ﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾ أي: فأنجينا ﴿ مَنْ كَانَ فِيهَا ﴾ أي: في قرية لوط ﴿ مِنَ الْمُومِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أي أهل بيت لوط، أي في القرية[1]، ومن كان معه من المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا ﴾ أي: في إهلاكنا إياها ﴿ءَايَةً لِّلذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ أي فيحذرون أن ينزل بهم ما نزل بهم.

قال عز من قائل: ﴿ وَفِي مُوسَىٰ ﴾ [أي: وتركنا في أمر موسى][2] ﴿ إِذَ أَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي بحجة بينة ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ ﴾ أي: بقومه. وقال الكلبي: بجنوده ﴿ وَقَالَ سَـٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ يعني موسىٰ.

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ أي: في البحر، أي: أغرقناهم في البحر ﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ أي: وهو مذنب[3]، يعني فرعون، وذنبه الشرك، وهو الذنب العظيم.

قال عز من قائل: ﴿ وَفِي عَادٍ ﴾ [أي وتركنا في عاد أيضاً آية][4] ﴿ إِذَ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ أي: التي لا تلقح سحاباً ولا شجراً، وهي الدبور. ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ ﴾ أي: مما مرت به، وهذا إضمار ﴿ إِلَّا جَعَلَتْهُ كالرميم ﴾ أي: كرميم الشجر[5].

﴿ وَفِي ثَمُودَ ﴾ وهي مثل الأولى ﴿ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ أي: إلى حين أي: إلى آجالكم بغير عذاب إن آمنتم، وإن عصيتم عذبتم. كقول نوح عليه

(1) كذا في ق وع: أي: في القرية، وهو الصحيح، فهو تفسير لقوله: (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا) أي في القرية. وجاء في ز، ورقة 338: «في القرابة»، وفي الكلمة تصحيف ولا شك.

(2) زيادة من ز، ورقة 338.

(3) قال ابن أبي زمنين: «يقال ألام الرجل إذا أتى بذنب يُلَام عليه». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 87. «أتى باللائمة، وقد ألام».

(4) زيادة من ز، ورقة 338.

(5) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 88: «والرميم نبات الأرض إذا يبس ودبس، فهو رميم».

السلام: (أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُم مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) [نوح: 3-4] فتموتوا من غير عذاب إن آمنتم.

قال تعالى: ﴿ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: تركوا أمر ربهم، أي: عصوه. ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّـٰعِقَةُ ﴾ أي العذاب، وهو الفزع. قال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ أي العذاب. ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ ﴾ أي يذهبون فيه إلى حوائجهم[1]. ﴿ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴾ أي: ممتنعين.

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبل عاد ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَـٰسِقِينَ﴾ يعني فسق الشرك.

قوله عز وجل: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ أي: بقوة. وقال تعالى في آية أخرى: (فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) [سورة فصلت: 11]. قوله: ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ أي: في الرزق.

قال عز من قائل: ﴿ وَالأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا ﴾ مثل قوله: (جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً) [البقرة: 23] ومهاداً، وبساطاً. قال عز من قائل: ﴿ فَنِعْمَ الْمَـٰهِدُونَ﴾.

قال عز وجل: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ تفسير الحسن: السماء والأرض، والجنة والنار، والليل والنهار، والصيف والشتاء، وكل اثنين فالواحد منه زوج. وتفسير الكلبي: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) أي: الذكر والأنثى. قال عز وجل: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي تذكروا فتعلموا أن الذي خلق هذه الأشياء واحد، جعلها لكم تذكرة لتعبدوه[2].

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز، ورقة 339: «فما أطاقوا أن يقوموا للعذاب»، والقول للسدي. وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة في تأويل الآية: قال في تفسير غريب القرآن، ص 422: «أي: ما استطاعوا أن يقوموا لعذاب الله».

(2) كذا في ق و ع، وفي ز، ورقة 339: «لكي تذكروا فتعلموا أن الذي خلق هذه الأشياء واحد صمد، جعلها لكم آية فتعتبروا».

قال عز وجل: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللهِ ﴾ أي: إلى دين الله، أمر الله النبي عليه السلام أن يقولها لهم. قال: ﴿ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: إنه يعذّبكم إن كفرتم.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: من قبل قومك يا محمد، أي هكذا ما أتى الذين من قبلهم ﴿ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَـٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ كما قالوا لك.

﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ ﴾ على الاستفهام، أي: لم يتواصوا به، لأن الأمة الأولى لم تدرك الأمة الأخرى، أهلكهم الله بالعذاب، ثم أبقى الأخرى بعدهم قال عز وجل: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ أي: مشركون، وهو من الطغيان.

قوله عز وجل: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أي: فأعرض عنهم. وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴾ أي: في الحجة، فقد أقمتها عليهم. ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُومِنِينَ ﴾ أي: إنما يقبل التذكرة المؤمنون.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ تفسير ابن عباس: إلا ليُقِروا لي بالعبودية. قال بعضهم: كقوله: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ) [الزخرف: 87].

وتفسير الحسن: على ابتلاء؛ كقوله عزّ وجلّ: (إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) أي: بصَّرناه سبيل الهدى وسبيل الضلالة (إِمَّا شَاكِراً) أي: مؤمناً (وَإِمَّا كَفُوراً) [الإنسان: 2-3] أي: مشركاً أو منافقاً. وتفسير الكلبي: إنها خاصة[1] لمن خلقه الله [مؤمناً][2].

قال عز وجل: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ أي أن يرزقوا أنفسهم، ﴿ وَمَا أُرِيدُ

(1) في ق و ع: «خالصة»، وفي الكلمة تصحيف صوابها ما أثبته، أي إن الآية خاصة فيمن خلقه الله لعبادته من المؤمنين، كما جاء في بعض التفاسير. انظر مثلاً تفسير القرطبي ج 17 ص 55.

(2) زيادة لا بد منها ليتضح معنى الخصوص.

أَن يُطْعِمُونِ ﴾ أي أنفسهم[1]. ﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ ﴾ في أمره وفي خلقه وفيما يحكم ﴿ المَتِينُ ﴾ أي: الذي لا تضعف قوته[2].

قوله عز وجل: ﴿ فَإِنَّ لِلذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي أشركوا ﴿ ذَنُوباً مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ ﴾ أي من مضى قبلهم من المشركين.

ذكروا عن سعيد بن جبير قال: (فَإِنَّ لِلذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً) أي: سَجْلاً من عذاب. والسَّجل: الدَّلو. وقال بعضهم: عذاب متدارك كما تدارك الدلاء في البئر. وقال الكلبي: ذنوباً كذنوب الدلو يتبع الدلو[3].

ذكروا عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: لو أن غربا، يعني الدلو العظيم، من جهنم وضع في الأرض لأذى حره ما بين المشرق والمغرب[4].

قوله عز وجل: ﴿ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾ أي بالعذاب، لما كانوا يستعجلونه بالعذاب استهزاء وتكذيباً.

وتفسير الحسن: إنه العذاب الذي لقيام الساعة، عذاب كفار آخر هذه الأمة بالنفخة الأولى.

قال عز وجل: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلذِينَ كَفَرُوا مِن يَّوْمِهِمُ الذِي يُوعَدُونَ ﴾ أي: في الدنيا.

---

(1) كذا في ق و ع: «أي: أنفسهم»، وفي ز، ورقة 339: «أي أن يطعموا أحداً»، وهو أصح.

(2) في ق و ع: «الذي لا يضعف»، وأثبت ما ورد في ز.

(3) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 228: «أي نصيباً» وإنما أصلها من الدلو، والذنوب والسجل واحد. . .» وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 90: «والذنوب في كلام العرب: الدلو العظيمة، ولكن العرب تذهب بها إلى النصيب والحظ. وبذلك أتى التفسير: فإن للذين ظلموا حظاً من العذاب. . . والذنوب يذكر ويؤنث».

(4) أخرجه يحيى بن سلام بالسند التالي: «يحيى عن تمام بن نجيح عن الحسن عن أنس بن مالك. . .».

تفسير سورة الطور، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ وَالطُّورِ ﴾ أي: الجبل ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴾ أي مكتوب. ﴿ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴾ تفسير الحسن: إنه القرآن في أيدي السفرة.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: سألت كعباً عن (رَقٍّ مَّنْشُورٍ) فقال: ينزل من السماء السابعة فيُكتب فيه اسمُ المؤمن ثم يُرفع، وهو كتاب يكتب في الرَّق ثم يُصعد به، يشهده المقرّبون، أي يشهدون كتابه في الرق. قال بعضهم: أظنه عمل المؤمن. وقال مجاهد: هو رَقٌّ منشور، صحيفة.

ذكروا عن عون بن عبد الله قال: من قال: سبحان الله وبحمده كتب في الرَّق ثم ختم عليها ثم رفعت إلى يوم القيامة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: كل ميت يختم على عمله إلا الذي يموت مرابطاً في سبيل الله فإنه يجري عليه ما كان الرباط[1].

(1) حديث صحيح، أخرجه أحمد، وأخرجه الترمذي في كتاب الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطاً. وفيه: فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، من حديث فضالة بن عبيد. قال: «وسمعت رسول الله ﷺ يقول: المجاهد من جاهد نفسه. وقال الترمذي حديث فضالة بن عبيد حديث حسن صحيح. وأخرج حديث فضالة بن عبيد هذا أبو داود في كتاب الجهاد، باب فضل الرباط ولفظه كل الميت يختم على عمله إلا المرابط، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر. (رقم 2500).

قال: ﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ ذكروا عن رسول الله ﷺ حديثاً عن ليلة أسري به، فكان في حديثه فيما رأى في السماء السابعة. قال: ثم رفع لنا البيت المعمور فإذا هو بحيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة إذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم[1].

ذكروا عن ابن عباس قال: البيت المعمور في السماء السابعة حيال الكعبة يحجه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون فيه حتى تقوم الساعة، يسمى الضُّراح[2].

ذكروا عن علي قال: البيت المعمور. الضراح فوق ست سماوات ودون السابعة.

ذكر بعضهم قال: قال الله يا آدم أهبط معك بيتي يطاف حوله كما يطاف على عرشي، فحجه آدم ومن بعده من المؤمنين. فلما كان زمان الطوفان، زمان أغرق الله قوم نوح، رفعه الله وطهره من أن تصيبه عقوبة أهل الأرض فصار معموراً في السماء، فتتبع إبراهيم الأساس فبناه على أس قديم كان قبله.

قال عز وجل: ﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾ يعني السماء، بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة عام.

قال تعالى: ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ أي الفائض. أي: يفيض يوم القيامة على الأرض فتسعه الأرضون، فتكون لجج البحار ورؤوس الجبال سواء. وقال الحسن: يسجر كما يسجر التنور. وقال مجاهد: المسجور: الموقد[3]، وهو مثل قول الحسن.

(1) أخرجه أحمد من حديث أنس بن مالك، وأخرجه البخاري ومسلم من حديث مالك بن صعصعة.

(2) جاء في اللسان: الضراح: بيت في السماء مقابل الكعبة في الأرض. . . وهو البيت المعمور، من الضارحة وهي المقابلة والمضارعة».

(3) من معاني السجر المَلء، والمسجور المملوء. وقد جمع الإمام علي بين المعنيين فقال: «المملوء ناراً». وانظر اللسان (سجر).

وبلغنا أن البحر موضع جهنم. ذكروا عن أبي صالح عن علي قال: البحر المسجور في السماء.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ أقسم بهذا كله، من قوله: (وَالطُّورِ) إلى هذا الموضع: إن عذاب ربك لواقع، أي بالمشركين. ﴿ مَالَهُ ﴾ أي: ما للعذاب ﴿ مِنْ دَافِعٍ ﴾ أي: يدفعه من الله.

﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً ﴾. فيها تقديم؛ أي: إن عذاب ربك لواقع يوم تمور السماء موراً أي: تتحرك السماء تحرّكاً. ﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً ﴾. وقال في آية أخرى: (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ). [التكوير: 3].

قال: ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ الذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَّلْعَبُونَ ﴾ وخوضهم التكذيب. ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ ﴾ أي: يدفعون ﴿ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ أي: دفعاً ﴿ هٰذِهِ النَّارُ ﴾ أي يقال لهم: هذه النار ﴿ التِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ أي: في الدنيا، أي: إنها لا تكون.

﴿ أَفَسِحْرٌ هَذَا ﴾ يقال لهم هذا على الاستفهام ﴿ أَمَ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ أي: في الدنيا، إذ كنتم تقولون: هذا سحر، أي إنه ليس بسحر.

﴿ اصْلَوْهَا ﴾ يعني النار ﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ﴾، وهو كقوله: (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا) [إبراهيم: 21] قال: ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: في الدنيا.

قوله: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ فَٰكِهِينَ ﴾ أي: مسرورين ﴿ بِمَا ءَاتَيٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ أي بما أعطاهم ربهم. وقال بعضهم: معجبين بما هم فيه من نعيم الجنة. ﴿ وَوَقَيٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ أي: وصرف عنهم ﴿ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾.

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾. ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يبولون ولا يتغوّطون إنما يكون

جشاء ورشح مسك، ويُلهمون الحمد والتسبيح كما يُلهمون النَّفَس[2].

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الطعام والشرب والجماع. قيل: يا رسول الله، إن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة. قال: حاجة أحدهم أن يعرق فرشحه ريح مسك، وهو البول.

ذكروا أن رجلاً قال: يا رسول الله، كيف شهاء[2] أهل الجنة؟ قال: يأكلون ويشربون حتى إذا امتلأت بطونهم قيل لهم: هنيئاً لكم شهوتكم، فيرشحون عند ذلك مسكاً، لا يتغوطون ولا يمتخطون[3].

قوله: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴾.

ذكروا عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: إن الرجل من أهل الجنة ليتنعم في تكأة واحدة سبعين عاماً [مع امرأة][3] فتناديه أبهى منها وأجمل من غرفة أخرى: أما آن لنا منك دولة بعد؟ فيلتفت إليها فيقول: من أنت؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله: (وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) [سورة قٓ: 35]، فيتحول إليها فيتنعم معها سبعين عاماً في تكأة واحدة، فتناديه أبهى منها وأجمل من غرفة أخرى فتقول: أما لنا منك دَوْلة بعدُ؟ فيقول: من أنت؟ فتقول: أنا من اللاتي قال الله: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [السجدة: 17]. فيتحول إليها فيتنعّم معها في تكأة واحدة سبعين عاماً. فهم كذلك يدورون[4].

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشياً، من حديث جابر بن عبدالله (رقم 2835).

(2) كذا في ق و ع: «شهاء» ولم أعثر على هذه اللفظة فيما بين يدي من معاجم اللغة. وإن كان القياس الصرفي لا يمنعها. يقال: شهِيَ الطعام، يشهاه، وشهاه، يشهوه شهوة، وتشهاه واشتهاه، إذا أحبه ورغب فيه. وانظر اللسان: (شها).

(3) رواه أحمد والنسائي عن زيد بن أرقم. وقال المنذري في الترغيب والترهيب ج 4 ص 525: «ورواته يحتج بهم في الصحيح. والسائل في الحديث رجل من أهل الكتاب».

(4) رواه يحيى بن سلام عن صاحب له عن أبان بن أبي عياش عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ كما جاء في ز ورقة 340.

ذكروا عن الضحاك بن مزاحم عن علي قال: إذا دخل أهل الجنة يدخل الرجل منزله، ويأتي الأرائك. فإذا فيها سرير، وعلى السرير سبعون فراشاً، وعليهم سبعون زوجة، على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الحلل، فيقضي جماعهن في مقدار ليلة من لياليكم هذه.

قوله: ﴿ وَزَوَّجْنَـٰهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ والحور: البيض في تفسير العامة.

وتفسير مجاهد: الحور، أي: يحار فيهن البصر، وينظر الناظر وجهه في جيدها. وتفسير بعضهم: العين: العظام العيون.

ذكروا عن عبد الله بن عمر قال: شعر [شفر][1] عينيها أطول من جناح نسر.

وقال بعضهم: الحور العين بيض الألوان، صفر الحلي، خضر الثياب، يقلن في الجنة: نحن الناعمات فلا نبؤس[2]، ونحن الخالدات فلا نموت، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، طوبى لمن كنا له وكان لنا.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على أهل الأرض [لملأت الأرض ريح][3] مسك، ... والذي نفسي بيده إن عليها

---

(1) زيادة لا بد منها ليستقيم المعنى.

(2) كذا في ق و ع: «نبؤس»، بضم الهمزة، وهو صحيح فصيح، ففي الحديث: إن لكم أن تنعموا فلا تبؤسوا. وأصل الفعل: بَؤُس يبؤُس بأساً. إذا اشتد، ومنه شدة البأس في الحرب. ويأتي الفعل بفتح الهمزة في المضارع. ففي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي عليه السلام: «من يدخِلُ الجنةَ ينعمُ لا يبأَسُ». الحديث رقم (2836). وانظر اللسان: (بأس). والحديث رواه الترمذي والبيهقي وأبو نعيم وغيرهم.

(3) ما بين المعقوفين ساقط من ع و ق. ويبدو في الرواية اضطرب. فالجزء الأول من هذه الرواية حديث رواه الطبراني والبزار عن سعيد بن عامر بن حذيم، تمامه، «ولأذهبت ضوء الشمس والقمر». والحديث الوارد هنا جزء من حديث رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين وصفتهن أوله: «لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها»... وفيه: «ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها». عن أنس بن مالك.

لنصيفاً[1] خيراً من الدنيا وما فيها.

ذكروا عن عمرو بن ميمون الأزدي قال: إن المرأة من أهل الجنة ليكون عليها سبعون حُلة، وإنه ليرى مخ ساقها من وراء ذلك كما يبدو الشراب الأحمر في الزجاج الأبيض.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ما حضر قتال قط إلا تزخرفت الجنة، ونزلت الحور العين. فإذا أقبل المقاتل قلن: اللهم انصره، وإذا أدبر قلن: اللهم ثبِّته. فإذا قتل كان أول قطرة تقطر من دمه يغفر بها ذنوبه، وتهبط عليه زوجتاه من الحور العين فتجلسانه، وتمسحان دمه والغبار عنه وتقولان له: مرحباً بك. فيقول: وأنتما مرحباً بكما. وإذا صرف وجهه عنهما ثم التفت إليهما قال: لقد ازددتما في عيني سبعين ضعفاً حسناً وجمالاً مما كنتما عليه. وإذا صرفتا وجوههما عنه قالتا مثل ذلك. فجيدها مرآته، وجيده مرآتها، مكتوب بين ثدييها: أنت حبيبي وأنا حبيبتك، ليس علي معدل ولا مصرف. ثم قال: والذي بعثني بالحق إن إحداهن ليكون عليها سبعون حلة مثل شقائق النعمان، وإنه ليرى مخ ساقها من وراء ذلك، وتمسك بين أصبعين من أصابعها سبعين حلة من رقها وحسنها وجمالها، قلوبهم على مثل قلب أنقاهم، أو قال: على مثل قلب واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، يسبحن الله بكرة وعشياً[2].

قوله عز وجل: ﴿وَالذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّـٰتِهِمْ﴾.

[. . . عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال][3]: إن الله يرفع إلى المؤمن ولده في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقر بذلك عينه، وكذلك الآباء يرفعون إلى الأبناء إذا كانت الآباء دون الأبناء في العمل.

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال: ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم

(1) النصيف: الخِمار، ثوب تضعه المرأة على رأسها وتسدله على ظهرها وجانبيها.

(2) لم أجده بهذا اللفظ وافياً فيما بين يدي من مصادر الحديث. وبعض عباراته موجودة في وصف نساء الجنة. انظر مثلاً المنذري، الترغيب والترهيب ج 4، ص 531-536. وانظر الدر المنثور، ج 6 ص 119 تجد بعض هذا الحديث.

(3) ما بين المقعوفين زيادة من ز ورقة 340.

يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم[1].

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: لأن أقدم سقطاً خير من أن أخلف مائة فارس كلهم يجاهدون في سبيل الله[2].

قال: ﴿وَمَا أَلَتْنَـٰهُم﴾ أي: وما نقصناهم ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ يعني أهل النار. كل امرىء بما كسب، أي بما عمل، رهين، أي غلِق الرهن[3]. مثل قوله: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) [المدثر: 38-39]استثنى المؤمنين، وعامة الناس مشركون. قال عزّ وجل: (إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ)، وهم أهل الجنة، وهم المقتصدون.

قوله عز وجل: ﴿وَأَمْدَدْنَـٰهُمْ بِفَـٰكِهَةٍ﴾ ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن أهل الجنة ليتناولون قطوفها وهم متكئون على فرشهم، فما تصل إلى فيّ أحدهم حتى يبدّل الله مكانها أخرى[4].

قوله عز وجل: ﴿وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ وقال في آية أخرى: (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ) [الواقعة: 21]. ذكر الحسن قال قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن في الجنة لطيراً أمثال البخت. فقال أبو بكر: يا رسول الله؛ إن ذلك الطير لناعم، فقال: والذي نفسي بيده إن الذي يأكل منها أنعم منها، وارجو أن تأكل منها يا أبا بكر[5].

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب من مات له ولد فاحتسب، من حديث أنس بن مالك.
(2) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 1 ص226.
(3) جاء في ع وق: «علق القوم في النار». والعبارة فاسدة لا معنى لها، وأثبت ما جاء في هامش مخطوطة ع من تصحيح، «غلق الرهن» وهو الصواب إن شاء الله، أي: كل امرىء مرتهن بعمله؛ يقال غَلِق الرهنُ غُلوقاً إذا لم يستطع الراهن افتكاكه من يد المرتهن.
(4) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من المصادر إلا من رواية يحيى بن سلام... عن أبي هريرة مرفوعاً كما في ز، ورقة 347.
(5) أخرجه أحمد والترمذي والبيهقي وغيرهم من حديث أنس.

قال بعضهم: تصف الطير بين يدي الرجل، فإذا اشتهى أحدها اضطرب ثم صار بين يديه نضيجاً.

قال علي بن أبي طالب: إذا اشتهوا الطعام جاءتهم طير بيض فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها أي الألوان شاءوا، وفيها من كل لون، يأكلون، ثم تطير فتذهب.

قال بعضهم: بلغنا أن الطير تصفّ بين يديه فرسخاً في فرسخ، والطير أمثال الإبل، فيقول الطائر: يا ولي الله، أما أنا فرعيت في وادي كذا وكذا، وأكلت من ثمار كذا وكذا، وشربت من عين كذا وكذا، وسِمَني كذا وكذا، وريحي كذا وكذا، فكُلْ مني، فإذا اشتهى حسن الطير واشتهى صفته فوقع ذلك في نفسه قبل أن يتكلم به، وقع على مائدته، نصفه قدير، ونصفه شِواء، فيأكل أربعين سنة، كلما شبع ألقي عليه ألف باب من الشهوة. قالها: ثلاث مرات[1]. ثم يؤتى بالشراب على برد الكافور، وليس بهذا الكافور، وطعم الزنجبيل، وليس بهذا الزنجبيل، وريح المسك، وليس هذا المسك، فإذا شرب هضم ما أكل من الطعام. وتوضع المائدة بين يديه قدر عمره في الدنيا، ويعطى قوة مائة رجل في الجماع؛ يجامع مقدار أربعين سنة لكل يوم مائة عذراء.

ذكروا عن مالك بن مالك بن حميد قال: قال لي أبو هريرة: أَحْسِن إلى غنمك: أوسط رعاها، وأطب مراحها، وصل صانعها، فإنها من دواب الجنة.

قوله عز وجل: ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا ﴾ أي: يتعاطون فيها ﴿ كَأْساً ﴾ والكأس: الخمر. ﴿ لَّا لَغْوٌ فِيهَا ﴾ أي في الجنة، لا معصية فيها، في قول الحسن. وقال مجاهد: أي: لا يسمعون فيها لغواً. ﴿ وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾ أي: لا يؤثم بعضهم بعضاً. وتفسير الكلبي: (لَا لَغْوٌ فِيهَا) أي: لا حلف[2] فيها، (وَلَا تَأْثِيمٌ) أي: لا إثم عليها في شربها. وقال بعضهم: (وَلَا تَأْثِيمٌ) أي: ولا تكذيب.

(1) في ق و ع: «قال ثلاث مرات».

(2) في ق و ع: «لا خلف فيها» بالخاء المعجمة، وأثبت ما رأيت أنه أصح وأنسب «لا حلف فيها». وفي تفسير مجاهد: ص 625: يقول: اللغو السب، يقول: لا يستبون (وَلَا تَأْثِيمٌ) يقول: لا يأثمون ولا يؤثمون.

قوله: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ ﴾ وقال في آية أخرى: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ) [الواقعة: 17] أي: لا يموتون ولا يشيبون. ﴿ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ أي: في صفاء ألوانهم. والمكنون: الذي في أصدافه.

ذكروا عن جابر بن عبد الله عن النبي عليه السلام قال: خدم أهل الجنة نور وجوههم نور الشمس، لو كانوا في الدنيا لاقتتل أهل الدنيا عليهم. قالوا يا رسول الله، هذا حسن الخادم، فكيف حسن المخدوم. فقال: والذي نفسي بيده لحسن الخادم عند المخدوم كالكوكب المظلم إلى جنب القمر ليلة البدر[1].

فبلغنا ـ والله أعلم ـ أن أولياء الله يخيّرون قبل أن يدخلوا أمان الله ورضوانه، ثم تزلف لهم الجنة، ويؤمر بأبوابها فتفتح لهم، فيخرج منه المسك مقدار خمسمائة سنة، أو ما شاء الله من ذلك. وتخرج الحور العين قد عرفت كل واحدة منهن زوجها إذا أقبلت إليه. ويرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة من الصفاء والطيب. ثم يقال لهم: لكم أنتم وأزواجكم ما تحبون. ثم تقدمهم الملائكة إلى الجنة يرونهم مواضعهم. فإذا دنوا من أبوابها استقبلتهم الملائكة (يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) أي ادخلوا دار الخلد، ودار الجنة، ودار القرار، ودار الملك، ودار الأمان، ودار النعيم الدائم، ودار الفرح والسرور والبشرى، أبشروا بنعيم مقيم أبداً، لا ينفد، ولا يُسأم، ولا ينقطع، فعند ذلك يقولون: (الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) [الزمر: 74]. فتنزل كل نفس درجتها بعملها.

في درجتها أزواج وخدم، وفرش وأسرة، وأنهار تجري في غير أخدود من لبن وعسل مصفّى وماء وخمر، وفاكهة كثيرة، وألوان الرياحين، والأكاليل على رؤوسهم، ولباسهم من سندس وإستبرق وحرير. وريح المؤمن أطيب من ريح المسك الذكي. أسكنهم الله في داره، وهي الجنة، ليست كجنان الدنيا؛ أرضها رخام ليس كرخامكم

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 27 ص 29 عن قتادة مرسلاً وليس فيه أول الحديث.

هذا، ولكنه رخام من فضة بيضاء، وترابها الورس والزعفران، وكثبانها مسك أذفر، وأنهارها تجري في غير أخدود، وطينها مسك أذفر، ورضراضها[1] الدر والياقوت، وقصورها من الذهب والفضة والدر والياقوت والزبرجد وألوان الجوهر. وعلى الجنان كلها حائط طوله خمسمائة سنة، لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولبنة من ياقوت. وجذوع نخلها ذهب أحمر، وكَرَبها[2] در وزبرجد أخضر، وسعفها حلل، ورطبها أشد بياضاً من الفضة وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس في شيء منه نوى.

وطيرها أمثال البخت، فإذا أكل ولي الرحمٰن جاءت الطير صفاً بين يديه، فينعت كلُّ طيْر منها نفسَه وطيبَ لحمه، ورائحتَه وطعمَه. فإذا اشتهى ولي الرحمٰن شيئاً من غير أن يتكلم، وضع على مائدته نصفه قدير ونصفه شواء.

ويعطى أحدهم قوة مائة رجل شاب في الطعام والشراب والكسوة والشهوة والجماع. نور الوجوه، بيض الألوان، صفر الحلي، خضر الثياب، جرداً، مرداً، مكحلين، مسوّرين، متوّجين بالذهب واللؤلؤ والجوهر. فإذا شاء أحدهم ركب فرساً من ياقوت حمراء فطارت به إلى أي جنة شاء. ولكل رجل منهم نجيبة من ياقوت أحمر، لها أجنحة بيض أشد بياضاً من الثلج، لها رحل مقدمه ومؤخره درٌّ وياقوت، وجانباه ذهب وفضة، وزمامها ياقوت أحمر، وهو ألين من الحرير. خطوتها مدّ بصره.

وله فيها أزواج مطهرة من القذى كلها: من الحيض والبول والغائط والبزاق، عاشقات لأزواجهن، عذارى أبكار، كلهن على سنّ واحدة، يجد فيها ريح إحداهن من مسيرة خمسمائة عام. ولهن حلل، كل حلّة خير من الدنيا وما فيها من أولها إلى يوم تفنى.

قوله عز وجل: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ أي يسائل بعضهم بعضاً عن شفقتهم في الدنيا من عذاب الله.

---

(1) الرضراض: ما استدق من الحصى.

(2) الكَرَب: الأصول العريضة لسعف النخيل، وهي الكرانيف، مفردها كرنافة.

﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ ﴾ أي في الدنيا ﴿ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ أي: خائفين وجلين من عذاب الله ﴿ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَيْنَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ نَدْعُوهُ ﴾ أن يقينا عذاب السموم. ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ أي: برّ بالمؤمنين، رحيم بهم، في تفسير الحسن. وقال بعضهم: البر الصادق.

قوله عزّ وجل: ﴿ فَذَكِّرْ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ أي: قد قالوا: نتربّص به الدهر حتى يموت، في تفسير الحسن. وقال مجاهد: يعني حوادث الدهر[1].

قال الله عزّ وجلّ لنبيه عليه السلام ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ أي: كانوا يتربصون بالنبي عليه السلام أن يموت، وكان النبي يتربّص بهم أن يأتيهم العذاب.

قال الله عز وجل: ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَٰذَا ﴾ أي: بالتكذيب، أي: ليست لهم أحلام[2] ﴿ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ أي: بل هم قوم طاغون، أي: إن الطغيان يأمرهم بهذا؛ والطغيان الشرك.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ﴾ يعني محمداً، أي القرآن تقوله محمد، أي قد قالوه. قال الله عز وجل: ﴿ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ﴾ أي: بحديث مثل القرآن. ﴿ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ أي: لا يأتون بمثله، وليس ذلك عندهم.

قال عز وجل: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾ أي: لم يُخلَقوا من غير شيء، إنا

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 93: «أوجاع الدهر، فيشغل عنكم ويتفرق أصحابه، أو عمر آبائه، فإنا قد عرفنا أعمارهم».

(2) وقال الفراء: «الأحلام في هذا الموضع العقول والألباب».

خلقناهم من نطفة، وأول ذلك من تراب. قال عز وجل: ﴿ أَمْ هُمُ الْخَـٰلِقُونَ ﴾ أي: ليسوا بالخالقين، وهم مخلوقون.

قال عز وجل: ﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضَ ﴾ أي: لم يخلقوها. ﴿ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴾ بالبعث.

﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ ﴾ يعني علم الغيب ﴿ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾ أي: الأرباب. وقال بعضهم: أم هم المصيطرون. أي: إن الله هو الرب، تبارك اسمه.

﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ ﴾ أي: درج ﴿ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾[1] أي: إلى السماء ﴿ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بحجة بينة بما هم عليه من الشرك، أي: إنه ليس لهم بذلك حجة.

﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَـٰتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ وذلك لقولهم إن الملائكة بنات الله، وجعلوا لأنفسهم الغلمان. كقوله: (وَيَجْعَلُونَ لِلهِ مَا يَكْرَهُونَ) أي البنات (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ) أي الغلمان (لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ) [النحل: 62].

قال عز وجل: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً ﴾ أي: على القرآن. ﴿ فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ فقد أثقلهم الغرم الذي تسألهم، أي: إنك لا تسألهم أجراً.

﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ ﴾ يعني علم غيب الآخرة ﴿ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ أي: لأنفسهم ما يتخيرون من أمر الآخرة، أي الجنة، إن كانت جنة. ومعنى قولهم كقول الكافر: (وَلَئِـن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ) [فصلت: 50] أي: الجنة إن كانت. أي: ليس عندهم غيب الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً ﴾ أي: بالنبي، أي: قد أرادوه، وذلك ما كانوا يتآمرون فيه ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴾ كقوله: (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 233: «هي السلّم وهو السلّم، ومجاز (فِيهِ) به وعليه. وفي القرآن: (وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)[طه: 23] إنما هو على جذوع النخل. والسلم: السبب والمرقاة... ويقول الرجل: اتخذتني سلماً لحاجتك، أي سبباً».

كَيْداً) [الطارق: 15-16] أي: إن الله يكيدهم، أي يجازيهم جزاء كيدهم وهو العذاب.

قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ ﴾ أي: ليس لهم إله غير الله ﴿ سُبْحَـٰنَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ينزّه نفسه عما يشركون.

وقوله عز وجل: أم، أم، أم من أول الكلام: (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) إلى هذا الموضع كلها استفهام، وكذبهم به كله.

قوله: ﴿ وَإِن يَّرَوْا كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ أي قطعة من السماء ﴿ سَاقِطاً يَّقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ [بعضه على بعض. وذلك أنه قال في سورة سبأ (إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ) [سبأ: 9] فقالوا للنبي عليه السلام: (لَن نُّومِنَ لَكَ حَتَّى... أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً) [الإسراء: 92]، فأنزل الله: (وَإِنَّ يَّرَوْا كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَّقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ) أي: ولم يؤمنوا][(1)].

قال الله: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ ﴾ أي: يموتون بالفزع، وهي النفخة الأولى في تفسير الحسن، يعني كفار آخر هذه الأمة الذين يكون هلاكهم بقيام الساعة. وقد قال في سورة سأل سائل: (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الذِي يُوعَدُونَ) [المعارج: 42] وهي النفخة الآخرة.

قال: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾ أي لا يغني عنهم عبادة الأوثان ولا ما كادوا به النبي عليه السلام شيئاً. ﴿ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ أي: إذا جاءهم العذاب.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: أشركوا ﴿ عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ ﴾ أي: بالسيف يوم بدر، يعني من أهلك يوم بدر بالسيف في تفسير الحسن. وقال مجاهد: الجوع الذي أصابهم.

---

(1) ما بين المعقوفين زيادةمن ز ورقة 342، لا بد من إثباتها.

وبعضهم يقول: عذاباً دون عذاب الآخرة: عذاب القبر. وقد كان الدخان والجوع الذي أصابهم بمكة عذاباً قبل عذاب السيف يوم بدر. قال: (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ) يعني الجوع بمكة (فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) [المؤمنون: 77] وهو يوم بدر.

والعذاب خمس: عذاب الجوع الذي أصابهم بمكة، وعذاب السيف يوم بدر. وعذاب القبر لمن مات من المشركين قبل قيام الساعة، وعذاب الساعة الذي يهلك به كفار آخر هذه الأمة. والعذاب الأكبر جهنم.

قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني بأكثرهم جماعتهم، يعني من لم يؤمن. . . .

قوله عز وجل: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ أي: لما يحكم الله عليك، فأمره بقتالهم، واصبر على أذاهم إياك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: نرى ما تصنع وما يصنع بك، وسنجزيك ونجزيهم. ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ من منامك، يعني صلاة الصبح، في تفسير الحسن. وقال بعضهم: حين تقوم للصلاة ﴿ وَمِنَ الَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ أي: صلاة المغرب وصلاة العشاء ﴿ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ يعني الركعتين قبل صلاة الصبح. وذكر عن علي قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله: (وَإِدْبَـٰرَ النُّجُومِ) فقال: هما الركعتان قبل صلاة الصبح[1].

---

(1) حديث صحيح، أخرجه يحيى بن سلام بهذا السند: «يحيى عن عثمان عن أبي إسحاق الهمداني عن الحارث عن علي. . . »، وأخرجه الترمذي من حديث ابن عباس مرفوعاً في كتاب التفسير سورة الطور بلفظ. «إدبار النجوم الركعتان قبل الفجر، وإدبار السجود الركعتان بعد المغرب وانظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص 147. وأخرج مسلم في صحيح في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر. . . عن عائشة عن النبي ﷺ قال: ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها. (رقم 725).

تفسير سورة النجم، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ أي: والوحي إذا نزل، في تفسير ابن عباس.

ذكروا عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة: ثم جعل بعد ذلك ينزل نجوماً: ثلاث آيات، وأربع آيات، وخمس آيات وأقل من ذلك وأكثر؛ ثم تلا هذه الآية: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) [الواقعة: 75].

وقال بعضهم: الثريا إذا غابت. وتفسير الحسن: يعني الكواكب إذا انتثرت. والنجم جماعة النجوم، كقوله عز وجل: (وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا) [الحاقة: 17] يعني جماعة الملائكة. وكقوله: (وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ) [النور: 41] يعني جماعة الطير. وقوله: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ) قسم أقسم به.

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ أي محمد. ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ إن القرآن الذي ينطق به محمد ﴿ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾.

﴿ عَلَّمَهُ ﴾ أي علم محمداً ﴿ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ أي جبريل، شديد الخلق. ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ وهو من شدة الخلق أيضاً. وتفسير الحسن: استمر على أمر الله[1].

---

(1) كذا في ق و ع: «استمرّ على أمر الله» ولم أجد هذا المعنى تأويلاً لقوله تعالى (ذُو مِرَّةٍ) فيما بين يدي من كتب التفسير، فهل هو مما انفرد بروايته ابن سلام؟ أم أن في العبارة سقطاً أو خطأً من =

قال تعالى: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ أي: استوى جبريل عند محمد. أي: رآه في صورته[1]. ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ أي: جبريل بالأفق الأعلى، وهو المشرق، فسدّ ما بين الأفقين، في تفسير الحسن. وكان محمد يرى جبريل في غير صورته، أي التي هي صورته، فرآه يومئذ في صورته.

ذكروا عن مسروق عن عائشة قالت: ثلاث من قالهن فقد أعظم على الله الفرية: من زعم أن محمد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، لأن الله يقول: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) [الأنعام: 103]، ومن زعم أن محمداً قد نقص شيئاً من الوحي لم يخبر به فقد أعظم على الله الفرية، لأن الله يقول: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَاتِهِ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [المائدة: 67]، ومن زعم أنه يعلم ما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، لأن الله يقول: (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي

= النساخ؟ والتفسير المشهور لقوله تعالى (ذُو مِرَّةٍ) هو ما ذكره المؤلف أولاً، وهو ما ذهب إليه جمهور المفسرين. قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 236: «(ذُو مِرَّةٍ): ذو شدة وإحكام، يقال: حبل مُمَر، أي: مشدود». وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 427: (ذُو مِرَّةٍ) أي: ذو قوة، وأصل المرة الفتل». وقال الزمخشري في الكشاف، ج 4 ص 417: «(ذو مرة): ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه. وهذا القول الأخير نسب أيضاً لقطرب، انظر تفسير القرطبي، ج 17 ص 86. أما ما ذكر في بعض التفاسير منسوباً إلى الحسن من أن قوله تعالى: (شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ) هو الله عز وجل فهو قول خالف به الحسن جمهور المفسرين.

(1) كذا في ق و ع وفي ز ورقة 342، وهو الصحيح، وهذا ما ذهب إليه المحققون من المفسرين. أي استوى جبريل،(وهو) أي وجبريل بالأفق الأعلى. وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 95: «وقوله عز وجل (فاستوى) استوى هو وجبريل بالأفق الأعلى لما أسري به، وهو مطلع الشمس الأعلى. فأضمر الاسم في (استوى) ورد عليه هو. وأكثر كلام العرب أن يقولوا: استوى هو وأبوه، ولا يكادون يقولون: استوى وأبوه، وهو جائز، لأن في الفعل مضمراً. . . قال الله تبارك وتعالى، وهو أصدق قيلاً: (أئِذَا كنا تراباً وآباؤنا) [النمل: 67]، فرد الآباء على المضمر في (كنا) إلا أنه حسُن لما حيل بينهما بالتراب والكلام: أئذا كنا تراباً نحن وآباؤنا. انظر في هذا ابن الجوزي، زاد المسير، ج 8 ص 64-66، وانظر كذلك ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 27 ص 94-96.

نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [لقمان: 34]. قال: فقلت: يا أم المؤمنين: ألا تخبرينني عن قوله: (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المبين) [التكوير: 23]. قالت: رأى جبريلَ في صورته قد سدّ ما بين السماء والأرض[1].

قال عز وجل: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ أي جبريل بالوحي إلى محمد ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوَ اَدْنَىٰ ﴾ والقاب: القدر. وقال بعضهم قاب قوسين، أي: ذراعين (أَوَ اَدْنَىٰ) أي: بل أدنى من ذراعين. ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ أي: إلى عبد الله ﴿ مَا أَوْحَىٰ ﴾.

ذكروا عن عروة بن الزبير عن عائشة أن النبي عليه السلام كان أول شأنه أنه يرى في المنام. فكان أول ما رأى جبريل بأجياد، إنه خرج لبعض حاجته، فصرخ به جبريل: يا محمد، يا محمد. فنظر يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً. فرفع بصره، فإذا هو بجبريل يلقي إحدى رجليه على الأخرى على أفق السماء. قال: يا محمد، جبريل، جبريل، يسكنه. فهرب محمد عليه السلام حتى دخل في الناس، فلم ير شيئاً. ثم خرج فنظر فرآه. وذلك قول الله عز وجل: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالأُفُقِ الاعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتدلّى)، أي جبريل إلى محمد (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوَ أَدْنَىٰ). ويقال: إن القاب نصف الإصبع، وبعضهم يقول: ذراعين، كان بينهما. (فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ)، أي جبريل إلى محمد عليهما السلام. وكانت عائشة رضي الله عنها تنكر أن محمداً رأى ربه. وكان عروة ينكر ذلك إنكاراً شديداً. قال: وكان المسلمون ينكرون ذلك إنكاراً شديداً. قال: وبيان ذلك في سورة إذا الشمس كورت في قوله تعالى: (فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) أي جبريل (ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ) أي: في السماء (أَمِينٍ) أي: على ما أتى به من الوحي (وَمَا صَاحِبُكُمْ) يعني محمداً عليه

(1) حديث مسروق عن عائشة رواه أصحاب السنن، انظر مثلاً صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة والنجم. ورواه الربيع بن حبيب في مسنده، ج 1 ص 22 (رقم 61) عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن عائشة مختصراً.

السلام (بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَآهُ) أي رأى محمدٌ جبريلَ (بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ) [التكوير: 15-23].

قوله عز وجل: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ وهي تقرأ على وجهين: بالتثقيل والتخفيف؛ فمن قرأها بالتثقيل فهو يقول: ما كذّب فؤاد محمد ما رأى من ملكوت السماوات وآياته. ومن قرأها بالتخفيف فهو يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأى، قد صدق الرؤية فأثبتها[1].

﴿ أَفَتُمَـٰرُونَه عَلَى مَا يَرَى ﴾ وهي تقرأ على وجه آخر: (أَفَتَمْرُونَهُ) فمن قرأها: (أَفَتُمَارُونَه) يقول للمشركين: أفتمارون محمداً عليه السلام، أي: أفتجادلونه على ما يرى؛ يجعل المراء منهم. ومن قرأها: (أَفَتَمْرُونَهُ) فهو يثبت المراء منهم خاصة وينفيه عن محمد عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ رَءاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ أي: مرة أخرى، أي رأى جبريلَ في صورته مرّتين[2].

قال تعالى: ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ ذكروا عن سعد بن كعب عن رجل عن ابن عباس قال: سألت كعباً عن سدرة المنتهى فقال: يُنتهى إليها بأرواح المؤمنين إذا ماتوا، لا يجاوزها روح مؤمن. فإذا قبض المؤمن شيّعه مقربو أهل السماوات حتى

---

(1) كذا جاء في ق و ع، وهو الصواب، وانظر معاني الفراء، ج 3 ص 96.

(2) جمهور المفسرين على أن الضمير في قوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى) راجع إلى جبريل الذي كني عنه في قوله قبل ذلك: (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُـوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 27 ص 94-102. وروى الطبري في ج 27 ص 50-51 بسند عن مسروق عن عائشة أنها قالت: «من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله. قال: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني ولا تعجليني، أرأيت قول الله: (وَلَقَد رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ) (وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ). قالت: إنما هو جبريل رآه مرة على خلقه وصورته التي خلق عليها. ورآه مرة أخرى حين هبط من السماء إلى الأرض، ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض. قالت أنا أول من سأل النبي ﷺ عن هذه الآية. قال: هو جبريل عليه السلام». وانظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج 8 ص 64-70.

يُنتهى به إلى السدرة فيوضع. ثم تصف الملائكة المقرّبون فيصلّون عليه كما تصلّون أنتم على موتاكم هاهُنا.

ذكروا عن مالك بن صعصعة أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به قال: ثم رفعت لنا سدرة المنتهى فإذا أوراقها مثل آذان الفيلة، وإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا أربعة أنهار تجري من أصلها: نهران ظاهران ونهران باطنان. قلت: يا جبريل، ما هذه الأنهار؟ فقال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات[1].

قوله عز وجل: ﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴾ أي: الجنة عند السدرة، والمأوى مأوى المؤمنين.

قوله عز وجل: ﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ ذكروا عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال: غشيها فراش من الذهب.

وذكر عن أبي سعيد الخدري قال: إن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري قال: ثم انتهينا إلى سدرة المنتهى فغشاها من أمر الله ما غشى فأيده بتأييده، ورفع عن كل ورق مَلَك[2]. وقال مجاهد: وكان أغصان الشجر من لؤلؤ.

قوله عز وجل: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ أي: بصر النبي عليه السلام، أي: ما زاغ البصر فلم يثبت ما رأى ﴿ وَمَا طَغَىٰ ﴾ أي: ما قال ما لم ير. ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ ولم يقل رأى ربه الكبير[3]. يعني ما قص مما رأى.

ثم قال للمشركين ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّـٰتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ أي: بعد الإلهتين. واللات كانت لثقيف، والعزى لقريش[4]، ومناة لبني هلال.

(1) انظر ما سلف، ج 2 ص 398. في أحاديث الإسراء والمعراج في سورة الإسراء.

(2) انظر ما سلف، ج 2 ص 405.

(3) هذه الجملة من الشيخ هود الهواري ولا شك، فهي غير واردة في ز، وقد جاء فيها ما قبلها وما بعدها.

(4) وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 98: «وكانت العزى سَمُرَةً لغطفان يعبدونها». وقال: «كانت مناة=

﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَىٰ ﴾، على الاستفهام. وذلك أنهم جعلوا الملائكة بنات الله، وجعلوا لأنفسهم الغلمان. قالوا إن الله صاحب بنات، فسموا هذه الأصنام فجعلوها إناثاً. قال الله: (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَىٰ) أي: ليس كذلكم.

﴿ تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ أي: جائرة. أي: قسمة جور في تفسير الحسن. يقول: إذ جعلوا لله البنات ولهم الغلمان. وقال مجاهد: ضيزى أي: معوجّة[1].

ثم قال الله: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُم ﴾ يعني اللات والعزى ومناة ﴿ مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَـٰنٍ ﴾ أي من حجة بأنها آلهة.

ثم قال للنبي عليه السلام: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ ﴾ أي: إن ذلك منهم ظنّ ﴿ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾ أي القرآن.

ذكروا عن أبي العالية الرياحي قال: كان النبي عليه السلام في المسجد الحرام يصلي وهو يقرأ سورة النجم. فلما أتى على هذه الآية: (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ) ألقى الشيطان على لسانه: إنهن من الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فأعجب ذلك المشركين. وقرأ السورة حتى ختمها فسجد وسجد معه أهل مكة المؤمنون والمشركون، والجن والإنس، فأنزل الله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ ءَايَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حكِيمٌ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) يعني المنافقين (وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ) [الحج: 52-53] يعني المشركين. قوله: (إِذَا تَمَنَّى) أي: إذا قرأ، في تفسير بعضهم. وقال الكلبي: إذا حدّث نفسه.

وقال الكلبي: كان النبي عليه السلام يصلّي في البيت، والمشركون جلوس؛ فقرأ (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوىٰ) فحدّث نفسه، حتى إذا بلغ: (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ

= صخرة لهذيل، وخزاعة يعبدونها».

(1) انظر تحقيقاً ممتعاً مفيداً في أصل الكلمة ضيزى ووزنها في معاني الفراء، ج 3 ص 98-99. وانظر مجاز أبي عبيدة، ج 2 ص 237.

الثَّالِثَةَ الأُخْرىٰ) ألقى الشيطان على لسانه: فإنها من الغرانيق العلى، يعنى الملائكة، وإن شفاعتهم ترتجى. وقال بعضهم: وإنها مع الغرانيق العلى، وإن شفاعتهم لترتجى.

وقال بعضهم: بينما رسول الله ﷺ عند المقام يصلّي، إذ نعس، فألقى الشيطان على لسانه كلمة فتكلّم بها، فتلقفها المشركون عليه: (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ) وإنها مع الغرانيق العلى، فأنزل الله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِي إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى...) الآية.

قال الكلبي: فلما انصرفَ النبي عليه السلام من صلاته قال المشركون: قد ذكر محمد آلهتنا بخير. فقال النبي عليه السلام: والله ما كذلك نزلت علي. فنزل عليه جبريل، فأخبره النبي عليه السلام فقال: والله ما هكذا علّمتك، وما جئت بها هكذا. فأنزل الله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَتِهِ...) وقال الكلبي: (إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى): إن سأل شيئاً من الدنيا. فألقى الشيطان على لسانه هذا القول.

وقال بعضهم: وبلغنا أنه قوله تعالى: (وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ) أي: انقبضت (قُلُوبُ الذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الذِينَ مِنْ دُونِهِ) أي: أوثانهم (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) [الزمر: 45].

قوله عز وجل: ﴿ أَمْ لِلإِنْسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ وذلك لفرح المشركين بما ألقى الشيطان على لسان النبي من ذكر آلهتهم(1).

قال: ﴿ فَلِلَّهِ الأَخِرَةُ وَالأُولَىٰ ﴾ [أي ثوابهما](2).

قوله: ﴿ وَكَمْ مِن مَّلَكٍ فِي السَّمٰوٰتِ لا تُغْنِي شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْئاً ﴾ أي: لا تنفع

(1) قصة الغرانيق هذه قصة موضوعة ما أنزل الله بها من سلطان. وقد فندها جمع من علماء التفسير المحققين قديماً وحديثاً. انظر تعليقنا عليها فيما مضى ج 3 ص 123.

(2) زيادة من معاني الفراء، ج 3 ص 99.

شفاعتهم المشركين والمنافقين شيئاً، إنما يشفعون للمؤمنين ولا يشفعون ﴿ إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾. هو كقوله: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ) [الأنبياء: 28] وكقوله: (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) [سبأ: 23]، وكقوله: (وَلَا يَمْلِكُ الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) [الزخرف: 86] أي: قال لا إله إلا الله، وعمل بفرائض الله.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ لَا يُومِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أي بأنهم إناث ولا بأنهم بنات الله. ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ أي إن ذلك منهم ظن. قال: ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِد إِلَّا الحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴾ أي: تغنيهم[1]. وهي منسوخة، نسختها آية القتال، هي قوله: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) [التوبة: 5].

قال: ﴿ ذٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ أي إن علمهم لم يبلغ الآخرة. كقوله عز وجل: (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ) [النمل: 66]. وقال مجاهد: (ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ) أي [مبلغ][2] رأيهم.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ أي: إن المشركين هم الذين ضلوا عن سبيله ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾ أي: إن النبي والمؤمنين هم المهتدون.

﴿ وَللهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الذِينَ أَسَاءُوا ﴾ أي: أشركوا ﴿ بِمَا عَمِلُوا ﴾ أي: ليجزيهم النار ﴿ وَيَجْزِيَ الذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ أي آمنوا ﴿ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أي: الجنة.

(1) كذا وردت الكلمة في ق: «تغنيهم» ولست مطمئناً إليها، وأشكلت الكلمة على ناسخ ع فكتبها هكذا: «بعهم».

(2) زيادة من تفسير مجاهد، ص 631. وهذا أحسن تأويلاً. قال الفراء في المعاني ج 3 ص 100. «صغر بهم، يقول: ذلك قدر عقولهم، ومبلغ علمهم حين آثروا الدنيا على الآخرة؛ ويقال: ذلك مبلغهم من العلم أن جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله».

قوله: ﴿ الذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَٰحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الكبائر من أول سورة النساء إلى رأس الثلاثين. قال عز وجل: (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) [النساء: 31].

ذكروا عن يحيى بن أبي كثير قال: قال رسول الله ﷺ: الكبائر تسع: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وعقوق الوالدين المسلمين، وقذف المحصنات، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والسحر، والفرار من الزحف، واستحلال البيت الحرام، قبلتكم التي توجهون إليها[1].

ذكروا عن الحسن قال: كان الفرار من الزحف يوم بدر من الكبائر خاصة. قال بعضهم: ويحدثون أن الفرار من الزحف يوم ملحمة الروم الكبرى من الكبائر لأن المسلمين مجتمعون يومئذ كما كانوا يوم بدر.

ذكروا عن الحسن قال: ذكرت الكبائر عند النبي ﷺ فقال: أين تجعلون اليمين الغموس[2]؟.

ذكروا عن عوف قال: مر بنا أبو العالية الرياحي فقال: اتقوا كبائر تسعاً، إني إراها تسعاً وتسعاً وتسعاً، حتى عدَّ أربعين أو أكثر.

غير واحد من العلماء المأخوذ عنهم، والمقبول منهم قال: كل ما أوجب الله عليه الحد في الدنيا وأوعد عليه وعيداً في الآخرة فهو كبيرة. وقال: وكل ما عذب الله عليه عذاباً في الدنيا أو في الآخرة فليس بصغيرة.

ذكروا عن قيس بن سعد أن ابن عباس قال: كل ذنب تاب منه العبد فليس بكبيرة، وكل ذنب أقام عليه العبد حتى يموت فهو كبيرة.

وقال بعضهم: كان يقال: لا قليل مع الإصرار، ولا كبير مع توبة واستغفار.

---

(1) و (2) انظر الإشارة إلى الحديثين فيما سلف، ج 1 ص 373.

والاستغفار مكنسة للذنوب. وقوله عز وجل: (وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ) [البقرة: 199] أي: لا تعودوا.

تأويل هذا الحديث: إذا كان ذنب فيما بين العبد وبين الله فالتوبة إلى الله والاستغفار يجزيانه باللسان. وإن كان ذنب فيما بينه وبين الناس من القتل وذهاب الأموال فلا يجزيه إلا القَوَد من نفسه والانتصال[1] من أموال الناس إذا كان يقدر على ردّ أموالهم.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه يوماً: ما تعدون الزنا والسرقة وشرب الخمر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: كبائر وفواحش، وفيهن العقوبة. ثم قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بحقها، وعقوق الوالدين. وكان متكئاً فجلس، ثم قال: ألا وقول الزور، ألا وقول الزور، ألا وإن لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة بقدر غدرته يركز عند مقعدته، ألا ولا غدرة أكبر من غدرة أمير عامةٍ[2].

ذكروا عن سعيد مولى ابن عباس، أنه ذكرت عنده الخمر فقال: ليست من الكبائر. فقال ابن عباس: بل هي أكبر الكبائر، إنه إذا شرب زنى، وفعل، وفعل.

وقوله عز وجل: (إِلَّا اللَّمَمَ): ذكروا عن عكرمة قال: ما دون الحدين[3] [كل ذنب ليس فيه حد في الدنيا ولا عذاب في الآخرة فهو اللمم].

وقال الحسن: اللمم ما يُلِمّ به من الزنا والسرقة وشرب الخمر، ثم لا يعود.

---

(1) لم أجد فيما بين يدي من معاجم اللغة هذا المصدر «الانتصال» وإنما هود «التَّنَصُّل». يقال: تنصَّل من ذنبه إذا تبرأ منه. ومنه الحديث: من لم يقبل من متنصل صادقاً أو كاذباً لم يرد علي الحوض، كما أورده الزمخشري في أساس البلاغة: (نصل) وذكر ابن منظور في اللسان ما يلي: «وفي الحديث: من تنصل إليه أخوه فلم يقبل، أي انتفى من ذنبه واعتذر إليه...».

(2) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 374.

(3) في تفسير الطبري: «ما بين الحدين» وما جاء بين المعقوفين زيادة للإيضاح من تفسير الطبري، ج 27 ص 68.

تأويل حديث الحسن: أن يلمّ بشيء من هذا أن يفعله ولا يفعله ثم لا يعود أن يلم بها.

ذكروا عن أبي هريرة في اللمم أنه قال: العين تزني، وزناها النظر، واليد تزني وزناها اللمس، والرجل تزني وزناها المشي، والنفس تهوى وتحدث، ويصدق ذلك ويكذبه الفرج.

ذكروا عن أبي هريرة [عن النبي ﷺ][1] قال: كل بني آدم قد أصاب من الزنا لا محالة؛ فالعين تزني وزناها النظر، واليد تزني وزناها اللمس، والرجل تزني وزناها المشي، والنفس تهوى وتحدث، ويصدق ذلك كله ويكذبه الفرج[2].

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: إن الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر[3].

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ أي: يغفر ما دون الكبائر أي: يكفرها بالصلوات الخمس.

قال غير واحد من العلماء: إن ما دون الكبائر مكفر محطوط، شرط من الله وثيق، وهو قوله (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) [النساء: 31]. فإذا اجتنبت الكبائر كانت هذه السيئات مُكَفَّرَة مغفورة، محطوطة باجتناب الكبائر.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: مثل الصلوات الخمس كمثل رجل على بابه نهر جار عذب ينغمس فيه كل يوم خمس مرات، فماذا يبقى من درنه[4]. وتفسير درنه إثمه.

---

(1) زيادة لا بد منها لأن الحديث روي عن أبي هريرة مرفوعاً.

(2) حديث صحيح أخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج ولفظه: «عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمني وتشتهي، والفرج يصدّق ذلك كله ويكذّبه».

(3) انظر الإشارة إليه فيما مضى، ج 1 ص 359.

(4) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الصلاة، باب الصلوات الخمس=

قوله عز وجل: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ أي: خلقكم من الأرض ﴿ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ والأجنة من باب الجنين في بطن أمه. قال تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾.

ذكروا عن الحسن عن أبي بكر قال قال رسول الله ﷺ: لا يقولن أحد إني قمت رمضان كله[1]. فالله أعلم أكان يخشى التزكية على أمته، أم يقول لا بد من رقاد وغفلة.

ذكروا عن الأعمش عن بعض أصحابه أن رجلاً قال لأصحاب عبد الله بن مسعود: لقد قرأت البارحة كذا وكذا سورة. فذكروا ذلك لعبد الله بن مسعود فقال: أخبروه أن حظه من ذلك الذي تكلم به.

وذكروا عن بعضهم قال: كانت اليهود تقدم أولادها فيصلون بهم، وقالوا ليست لهم ذنوب، فأنزل الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ) [النساء: 49].

وذكر بعضهم عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: كانت اليهود تقول لأولادها [إذا هلك صبيّ صغير: هذا][2] صديق. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمها إلا أنه شقي أو سعيد[3]. فأنزل الله عند ذلك هذه

= كفارة. وفي آخره: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا». وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشى إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات عن جابر بن عبد الله مرفوعاً ولفظه: مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات... «قال: قال الحسن: وما يبقى ذلك من الدرن».

(1) لم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من مصادر التفسير والحديث، ولعله مما انفرد بروايته ابن سلام.

(2) زيادة من ز، ورقة 344 لا بد من إثباتها ليتضح المعنى.

(3) رواه ابن سلام كما جاء في ز ورقة 344 بالسند التالي: يحيى عن ابن لهيعة عن الحارث عن يزيد عن ثابت بن الحارث الأنصاري، ولم أجده فيما بين يدي من مصادر الحديث والسنة بهذا اللفظ. وإن كان معناه ثابتاً في كتب السنة.

الآية: (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَ انْشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَإِذَا أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ).

وتفسير الكلبي: ألا يزكي بعضكم بعضاً. قال بعض العلماء: فإذا زكى نفسه زكى أشد[1].

قوله عز وجل: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الذِي تَوَلَّىٰ ﴾ أي: عن الإيمان، يعني المشرك، والتولي هاهنا الشرك، لأن السورة مكية. ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ ﴾ [تفسير عكرمة: أعطى قليلاً ثم قطعه][2]. قال بعضهم: إنما قل لأنه كان لغير الله. ﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴾ أي: يختار لنفسه الجنة إن كانت جنة، على تفسير الحسن.

وتفسير الكلبي أن رجلاً من أصحاب النبي عليه السلام كان ذا متاع حسن، فأعطى عطية. فزعم أنه يريد بها وجه الله. ثم أتاه أخ له من الرضاعة فقال له: ما تريد يا فلان بما تصنع من إهلاك مالك؟ قال: أريد به وجه الله وليكفر به خطيئاتي. قال: فأعطني ناقتك هذه وأتحمل عنك ذنوبك من يومك هذا إلى يوم تموت، فأنزل الله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ الذِي تَوَلَّىٰ وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ).

قال: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرٰهِيمَ الذِي وَفَّىٰ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي: لا يحمل أحد ذنوب أحد.

ذكروا عن عطاء بن السايب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: (الذِي وَفَّىٰ) قال: العشر خصال التي من السنة؛ خمس في الرأس، وخمس في الجسد.

وقال بعضهم: ركعتان قبل الفجر. وقال بعضهم: وفى يومه بأربع ركعات من

(1) كذا في ق: «زكى أشد»، وفي ع: «زكى وأشد»، وكلاهما غير واضح المعنى.
(2) زيادة من ز، ورقة 344. وقال ابن أبي زمنين «وأصل الكلمة من كدية البئر، وهي الصلابة فيها. فإذا بلغها الحافر يئس من حفرها فقطع الحفر. فقيل لكل من طلب شيئاً فلم يبلغ آخره وأعطى ولم يتمم: أكدى». وانظر مجاز أبي عبيدة، ج 2 ص 238.

أول النهار. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن الله يقول: يا ابن آدم، أتعجز أن تصلي أربع ركعات من أول نهارك أكفك آخره[1].

قال: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ أي: إلا ما عمل ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ ﴾ أي: عمله ﴿ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ أي: سوف يتبيّن ﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾ قال: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ أي: المصير.

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ أي: خلق الضحك والبكاء ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ أي: خلق الموت والحياة. وقال في آية أخرى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [الملك: 2].

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ الواحد منهما زوج ﴿ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ أي: إذا أمناها الرجل، وقد يجتمع ماء الرجل وماء المرأة. ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ أي: البعث.

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾ [أي: أغنى عبده وأقناه][2] من قِبَل القِنية. وتفسير الحسن: أقنى أي: أخدم. وقال بعضهم: أغنى بالذهب والفضة والثياب والمساكن، وأقنى بالرقيق والإبل والغنم، وهو أيضاً من الغنى[3].

---

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده عن عقبة بن عامر، وأخرجه الترمذي في أبواب الصلاة، باب ما جاء في صلاة الضحى، من حديث أبي الدرداء وأبي ذر، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب صلاة الضحى (رقم 1289) عن نعيم بن همار بلفظ: يقول الله عز وجل: يا ابن آدم لا تعجزني من أربع ركعات في أول النهار أكفك آخره. قيل: إن نعيم بن همار لم يرو إلا هذا الحديث.

(2) زيادة من ز، ورقة 344.

(3) وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 102: «رضّى الفقير بما أغناه به. (وَأَقْنَى) من القنية والنشب». وقال ابن أبي زمنين في ورقة 344: «تقول: أقنيت كذا، أي: عملت على أنه يكون عندي لا أخرجه من يدي، فكأن معنى أقنى جعل الغنى أصلاً لصاحبه ثابتاً». وانظر اللسان: (قنا).

ذكروا أيضاً عن عبد الله بن جبير عن رجل خدم رسول الله ﷺ قال: كان النبي عليه السلام إذا فرغ من طعامه قال: اللهم لك الحمد على ما أنعمت وأطعمت وسقيت. أو قال: أنت أطعمت وسقيت، وأغنيت وأقنيت، فلك الحمد[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴾ وهي الكوكب الذي خلف الجوزاء، كان يعبدها قوم. وقال مجاهد: مرزم الجوزاء، يعني الكوكب الذي يتوقّد في الجوزاء.

﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَىٰ ﴾ وهي عاد واحدة ولم يكن قبلها عاد[2]. قال: ﴿ وَثَمُوداً فَمَا أَبْقَىٰ ﴾ أي: أهلكهم فلم يبقهم.

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾ أي: وأهلك قوم نوح ﴿ مِّنْ قَبْلُ ﴾ أي من قبل عاد وثمود ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾ أي: إنهم كانوا هم أول من كذب الرسل.

قال: ﴿ وَالمُوتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴾ يعني قرى قوم لوط، رفعها جبريل بجناحه حتى سمع أهل سماء الدنيا صراخ كلابهم ثم قلبها. والمؤتفكة المنقلبة.

قال تعالى: ﴿ فَغَشَّيٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ أي: الحجارة التي رمى بها من كان خارجاً من المدينة وأهل السفر منهم.

قال عز من قائل: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ أي: تشك، أي إنك لا تشك.

ثم قال للناس: ﴿ هٰذَا نَذِيرٌ ﴾ يعني محمداً عليه السلام ﴿ مِّنَ النُّذُرِ الأُولَىٰ ﴾ أي: جاء بما جاءت به الرسل الأولى.

﴿ أَزِفَتِ الأَزِفَةُ ﴾ أي: دنت القيامة. كقوله عز وجل: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ)

---

(1) أخرجه أحمد عن رجل خدم رسول الله ﷺ ثمان سنين ولفظه: كان إذا قرب إليه الطعام يقول: بسم الله، وإذا فرغ قال: اللهم إنك أطعمت وسقيت، وأغنيت وأقنيت وهديت واحتبيت، اللهم فلك الحمد على ما أعطيت».

(2) وقال الفراء في المعاني ج 201: «وقوله: (عادا الأولى) بغير همز: قوم هود خاصة، بقيت منهم بقية نجوا مع لوط، فسمى أصحاب هود عادا الأولى.

[القمر: 1] ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ ﴾ أي: ليس يستطيع أحد أن يكشفها ولا يدفعها إلا الله، يعني قيامها[1].

قال تعالى: ﴿ أَفَمِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ ﴾ يعني القرآن ﴿ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ ﴾ يعني المشركين، أي: قد فعلتم. ﴿ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ أي: ينبغي لكم أن تبكوا. ﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ أي: غافلون ﴿ فَاسْجُدُوا لِلهِ ﴾ أي: فصلوا لله ﴿ وَاعْبُدُوا ﴾ أي: واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، لا إله إلا هو الحي القيوم.

(1) وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 103: يقول: ليس يعلمها كاشف دون الله. أي: لا يعلم علمها غير ربي. وتأنيث (الكاشفة) كقولك: ما لفلان باقية. أي: بقاء، والعافية والعاقبة. وليس له ناهية، كل هذا في معنى المصدر».

تفسير سورة اقتربت الساعة،[1] وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ أي: دنت الساعة. ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين، فما فضل إحداهما على الأخرى. فجمع بين اصبعيه الوسطى والتي يقول لها الناس السبابة[2].

ذكروا عن عمران الحولي قال: قال رسول الله ﷺ: حين بعثت بعث إلى صاحب الصور، فأهوى به إلى فيه، فقدم رجلاً وأخر أخرى ينظر متى يؤمر فينفخ، ألا فاتقوا النفخة[2].

ذكروا عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً على أصحابه فقال: كيف أنعم وصاحب الصور قد حنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر الإذن متى يؤمر فينفخ[3].

قوله عز وجل: ﴿ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [ذكروا عن عطاء بن السايب عن أبي عبد الرحمٰن السلمي قال: نزلنا المدائن، فكنا منها على فرسخ، فجاءت الجمعة. فحضر

(1) في ق و ع: «تفسير سورة اقتربت» وأثبت ما جاء في ز، ورقة 344: سورة اقتربت الساعة، وكذلك جاءت في تفسير الطبري، ج 27 ص 84.
(2) انظر الإشارة إليهما فيما سلف، ج 3 ص 62.
(3) أخرجه البغوي في شرح السنة، ج 15 ص 103.

أبي. وحضرت معه. فخطبنا حذيفة فقال: ألا إن الله يقول: اقتربت الساعة وانشق القمر، ألا وإن الساعة قد اقتربت][1] ألا إن القمر قد انشق.

ذكروا عن العطار أن عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر شقين[2]، حتى رأيت أبا قبيس بينهما. وبعضهم يقول: حراء.

قال تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا ءَايَةً﴾ يعني المشركين ﴿ يُعْرِضُوا ﴾ أي: عنها. ﴿ وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ أي: ذاهب. وذلك قولهم: (فَلْيَأتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ) [الأنبياء: 5].

قال عزّ وجلّ: ﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ أي: لأهله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الأَنْبَاءِ ﴾ أي: من الأخبار، أخبار الأمم السالفة حين كذبوا رسلهم فأهلكهم الله ﴿ مَا فِيهِ مُزْدَجَر ﴾ أي: عمّا هم عليه من الشرك ومن التكذيب.

قال تعالى: ﴿ حِكْمَةٌ بَـٰلِغَةٌ ﴾ أي: القرآن ﴿ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ أي عمن لم يؤمن. كقوله: (وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُومِنُونَ ﴾ [يونس: 101].

قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُو الدَّاعِ ﴾ أي: صاحب الصور ﴿ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾ أي: إلى شيء عظيم. ﴿ خُشَّعاً أَبْصَـٰرُهُمْ ﴾ أي: فتولَّ عنهم في الدنيا فستراهم يوم القيامة خشعاً أبصارهم: أي ذليلة أبصارهم. وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم. ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ ﴾ أي: من القبور ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ شبههم

(1) في ق: «ألا إن القمر قد استوى»، وفي ع: «ألا إن انشق القمر قد استوى». كذا بدون ذكر لقائل هذا القول. وغلب على ظني أن سطراً أو أكثر قد سقط من ق و ع. فأثبت ما بدا لي أنه الصواب بين معقوفين من تفسير الطبري، ج 72 ص 86 حتى تستقيم العبارة.

(2) في ق و ع: «جزآن» وأثبت ما بدا لي أصح وأدق: «شقين» من ز ورقة 344. يؤيده ما أورده الفراء في المعاني، ج 3 ص 104 حيث قال: «ذكر أنه انشق وأن عبد الله بن مسعود رأى حراء من بين فلقتيه، فلقتي القمر».

بالجراد إذا أدركه الليل لزم الأرض، فإذا أصبح وطلعت الشمس انتشر[1].

قوله عز وجل: ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ أي: منطلقين سراعاً ﴿ إِلَى الدَّاعِ ﴾ صاحب الصور، إلى بيت المقدس ﴿ يَقُولُ الْكَـٰفِرُونَ ﴾ أي: يومئذ ﴿ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾. لقد علم الكافرون يومئذ أي[2] عسر ذلك اليوم عليهم، وليس لهم من يسره شيء.

قوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ أي: قبل قومك يا محمد. ﴿ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ﴾ أي نوحاً. ﴿ وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾ أي: تُهُدِّدَ بالقتل، في تفسير الحسن. وقال مجاهد: واستطير جنوناً.

قال: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾ [أي: فانتقم لي من قومي][3]. فنصره الله وأهلك قومه.

قال: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ أي: بماء منصب بعضه على بعض، وليس بمطر. ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً ﴾ أي: فصارت الأرض عيوناً. وتفسير الكلبي: إن ماء السماء وماء الأرض كانا سواء. قال تعالى: ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ ﴾ أي: ماء السماء وماء الأرض ﴿ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾. أي: على إهلاك قوم نوح.

قال تعالى: ﴿ وَحَمَلْنَـٰهُ ﴾ يعني نوحاً ﴿ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ ﴾ يعني السفينة. ﴿ وَدُسُرٍ ﴾ والدسر: المسامير في تفسير بعضهم[4]: وذلك قول الشاعر:

ودسّـرها نـوح وأيـقـن أنـهـا وأعـلم أن الله قـد كـان عـالمـاً

وقال الحسن: دُسُرها: صدرها. وقال الكلبي: دسرها: عوارضها، وقال مجاهد: أضلاعها.

(1) هذا تفسير للحسن، كما جاء في ز، ورقة 345.

(2) كذا في ق و ع. وفي ز، «يعلم الكافرون يومئذ أن عسر ذلك اليوم عليهم...».

(3) زيادة من ز، ورقة 345.

(4) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 240: «الدسر: المسامير والخرز، واحدها: دِسار. يقال: هات لي دساراً». وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 106: «مسامير السفينة، وشُرُطها التي تشد بها».

وقال تعالى: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ كقوله عز وجل: (إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ) [طَهَ: 16] قال: ﴿ جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴾. أي: جزاء لنوح إذ كفره قومه، وجحدوا ما جاء به، يعني إنجاء الله إياه في السفينة.

قوله: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَهَا ءَايَةً ﴾ لمن بعدهم، يعني السفينة. قال بعضهم أبقاها الله بباقَرْدىٰ من أرض الجزيرة، حتى أدركها أوائل هذه الأمة. وكم من سفينة كانت بعدها فصارت رماداً.

قال: ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ أي: متفكر؛ يأمرهم أن يعتبروا أو يحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم، فيؤمنوا. قال: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [1] أي: كان شديداً ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءانَ لِلذِكْرِ ﴾ أي: ليذكروا الله ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ وهي مثل الأولى.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً ﴾ والصرصر الباردة الشديدة البرد، أحرقت أجوافهم، وهي ريح الدبور. قال: ﴿ فِي يَوْمِ نَحْسٍ ﴾ أي مشؤوم ﴿ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ أي: استمر بالعذاب. ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ ﴾ أي تنزع أرواح الناس وتصرعهم، ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴾ شبههم في طولهم وعظمهم بالأعجاز وهي النخل التي قد انقلعت من أصولها فسقطت على الأرض. قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ أي: كان شديداً. وهي مثل الأولى. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ وهي مثل الأولى.

﴿ كَذَّبَت ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴾ أي: بالرسل، يعني صالحاً ﴿ فَقَالُوا أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ ﴾ يعنون صالحاً ﴿ إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلَٰلٍ ﴾ أي: في ضلال من ديننا ﴿ وَسُعُرٍ ﴾ أي في عذاب، في تفسير الحسن. وقال مجاهد: (لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) أي: وشقاء[2].

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 107: «(النذر) هاهنا مصدر معناه: فكيف كان إنذاري. ومثله عذراً أو نُذُراً يخففان ويثقلان...».

(2) كذا في ق و ع و ز: «وسعر، أي: وشقاء في تفسير مجاهد. أما في تفسير مجاهد، ص 637 فجاء فيه ما يلي: قال: (السُّعُر) الضلال أيضاً، وفي معاني الفراء، ج 3 ص 108: «أراد بالسعر: العناء للعذاب». وقال أبو عبيدة: «جمع سعيرة». وفي اللسان: «في ضلالة وجنون». ونسب فيه =

﴿أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا﴾ على الاستفهام منهم، وهذا استفهام على إنكار؛ أي: لم ينزل عليه الذكر من بيننا. يجحدون الذكر الذي جاء به صالح. ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ والأشر اللّعّاب. وهو من باب الأشر[1]. قال تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَداً مَّنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ﴾.

قال الحسن: يوم القيامة. جعل الله قرب الآخرة من الدنيا كقرب اليوم من غد. قال: (سَيَعْلَمُونَ غَداً مَّنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ) أي اللعاب، لأن الكافر في الدنيا في لعب، كقوله عز وجل: (الذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَّلْعَبُونَ) [الطور: 12] وما أشبه ذلك. وقالوا لإبراهيم: (أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ) [الأنبياء: 55].

ثم قال: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي: بلية لهم. ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ أي: انظر ماذا يصنعون ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ أي: على ما يصنعون وعلى ما يقولون، أي: إذا جاءت الناقة. وقد فسّرنا أمر الناقة في طسم الشعراء[2].

قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ وهذا بعد ما جاءتهم الناقة. ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ أي: تشرب الناقة الماءَ يوماً ويشربونه يوماً[3].

قال: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى[4] فَعَقَرَ﴾ أي: الناقة. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ وهي مثل الأولى.

= هذا القول إلى الفارسي. والصحيح ما ذهب إليه الفراء وقتادة من أن السعر هو العذاب، وهو جمع سعير كما ذكره الطبري في تفسيره ج 27 ص 100.

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 241: «الأشر: ذو التجبر والكبرياء، وربما كان النشاط». وقال الطبري، «يعنون بالأشر المرح ذا التجبر والكبرياء والمرح من النشاط».

(2) انظر ما مضى من هذا التفسير، ج 3 ص 236 - 237.

(3) قال محمد بن أبي زمنين، كما جاء في ز ورقة 346: «معنى محتضر يحضر القوم الشرب يوماً وتحضره الناقة يوماً». وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 108: «يحتضره أهله ومن يستحقه». وكذا قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 433.

(4) قال الطبري في تفسيره، ج 27 ص 102: «يقول: فتناول الناقة بيده فعقرها».

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً واحِدَةً ﴾ والصيحة: العذاب جاءهم. ﴿ فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: المحتظِر والمحتظَر. وهو النبات إذا هاج فذرته الرياح فصار حظائر[1]. وهذا تفسير من قرأ المحتظِر بكسر الظاء. ومن قرأ المحتظَر بفتح الظاء فالمعنى الذي جعل حظائر، شبههم بذلك[2].

قال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله عز وجل: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴾ أي: بالرسل، يعني لوطاً ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً ﴾ يعني الحجارة التي رمى بها من كان منهم خارجاً من المدينة وأهل السفر منهم وأصاب مدينتهم الخسف.

قال عز وجل: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ يعني من آمن منهم ﴿ نَّجَّيْنَـٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ وهو قوله: ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ) [الذاريات: 36]: قال عز وجل: ﴿ نِّعْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا ﴾ بمعنى نجيناهم بالإنعام عليهم. ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴾ أي: من آمن.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدَ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا ﴾ أي: عذابنا ﴿ فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾ أي: كذبوا بما قال لهم لوط[3].

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُـذُرِ﴾ وهي مثل الأولى. وقد فسّرنا حديثهم في سورة هود، في حديث حذيفة بن اليمان[4].

---

(1) في ق و ع: «فصار حطاماً»، والصواب ما أثبته: «حظائر» من ز ورقة 346.

(2) قال الفراء في المعاني: (المُحْتَظِر) التي يحتظر على هشيمه. وقرأ الحسن وحده كهشيم المحتظَر. فتح الظاء فأضاف الهشيم إلى المحتظر، وهو كما قال: (إِنَّ هذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) والحق هو اليقين وكما قال: (وَلَدَارَ الآخِرَةِ خَيْرٌ) فأضاف الدار إلى الآخرة، وهي الآخرة. والهشيم: الشجر إذا يبس».

(3) جاءت العبارة مضطربة فاسدة، فأثبت تصحيحها مما جاء في ز: ورقة 346.

(4) انظر ما مضى من هذا التفسير، ج 2 ص239 - 241.

وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ أي: استقر بهم العذاب. قال عز وجل: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ وهي مثل الأولى.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴾ أي الرسل؛ يعني موسى وهارون عليهما السلام ﴿ كَذَّبُوا بِئايَٰتِنَا كُلِّهَا ﴾ يعني التسع، أي: اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وقال عز وجل: (وَلَقَدَ اخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ). قال عز وجل: ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ أي على خلقه. أي: عذبهم بالغرق.

قال عز وجل: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ ﴾ [يعني أهل مكة][(1)] ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ ﴾ يعني من أهلك من الأمم السالفة، أي: ليسوا بخير منهم، كانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً.

قال عز وجل: ﴿ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ أي: براءة من العذاب في الكتب ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنْتَصِرٌ ﴾ أي [بل يقولون][(2)] نحن جميع منتصر. ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ يعني يوم بدر.

﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ تفسير موعدهم هذا بعذاب الاستئصال يعني كفار آخر هذه الأمة، في تفسير الحسن. ﴿ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ ﴾ أي من تلك الأحداث التي أهلك الله بها الأمم السالفة. ﴿ وَأَمَرُّ ﴾ أي: وأشد[(3)]. قال الحسن: إن الله معذب كفار آخر هذه الأمة بعذاب لم يعذب به أمة من الأمم، وهي النفخة الأولى.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين ﴿ فِي ضَلَٰلٍ ﴾ أي: عن الهدى ﴿ وَسُعُرٍ ﴾ أي في عذاب، في تفسير الحسن. وقال مجاهد: (فِي سُعُرٍ) أي:

(1) زيادة من ز، ورقة 346.

(2) زيادة من ز أيضاً. وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 110: «(أَمْ يَقُولُونَ) أي: أيقولون نحن جميع كثير منتصر».

(3) كذا في ق وع: «وأشد»، وفي ز: «وأشر».

في شقاء. ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: تسحبهم الملائكة ﴿ذُوقُوا﴾ أي: يقال لهم في النار: ذوقوا ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ وسقر اسم من أسماء جهنم[1].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ ذكروا عن سعيد بن جبير عن علي قال: كل شيء بقدر حتى هذه ووضع إصبعه السبابة على طرف لسانه، ثم وضعها على طرف إبهامه اليسرىٰ.

ذكروا عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: لا يؤمن العبد حتى يؤمن بأربعة: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر[2].

ذكروا عن عطاء بن السايب عن علي قال: لا يجد عبد طعم حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ذكروا عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر[3] أن رسول الله ﷺ بينما هو في ملإ من أصحابه إذ أقبل رجل حتى سلم على النبي ﷺ والملأ، فرد عليه السلام فقال: يا محمد، ألا تخبرني ما الإيمان؟ فقال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث بعد الموت والحساب والميزان والجنة والنار، والقدر خيره وشره. قال فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟ قال: نعم. قال صدقت. فعجب أصحاب النبي عليه السلام من قوله: صدقت. ثم قال: يا محمد، ألا تخبرني ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج بيت الله

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 110 «سقر: اسم من أسماء جهنم لا يُجرى [أي لا ينصرف]. وكل اسم كان لمؤنث فيه الهاء أو ليس فيه الهاء فهو لا يجرى، إلا أسماء مخصوصة خفت فأجريت وترك بعضهم إجراءها، وهي هند، ودعد، وجمل، ورنم، تجرى ولا تجرى...».

(2) حديث صحيح أخرجه الترمذي في المقدمة، باب في القدر، وأخرجه الترمذي في باب القدر، وأخرجه البغوي في شرح السنة ج 1 ص 122؛ باب الإيمان بالقدر، كلهم يرويه من حديث علي بن أبي طالب.

(3) كذا في، ق و ع، والصحيح أن يزاد فيه «عن أبيه عمر بن الخطاب».

الحرام، وتغتسل من الجنابة، قال: فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت؟ قال: نعم. قال صدقت. قال: يا محمد، ألا تخبرني ما الإحسان؟ قال الإحسان أن تخشى الله[1] كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإن يراك. قال فإذا فعلت ذلك فقد أحسنت؟ قال: نعم. قال: صدقت. قال: يا محمد، ألا تخبرني متى الساعة؟ قال: سبحان الله العظيم ثلاث مرات، ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، إن الله استأثر بعلم خمسة لم يطلع عليها أحد ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 34] ولكن سأخبرك بشيء يكون قبلها: حين تلد الأَمَةُ ربَّها وحين يتطاول أهل البناء في البنيان وتصير الحفاة العراة على رقاب الناس. قال: ثم تولى الرجل فاتبعه رسول الله ﷺ بطرفه حيناً طويلاً، قال: ثم رد طرفه فقال: هل تدرون من هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمر دينكم فتعلموا[2].

ذكروا أن عبد الله بن مسعود قال: ما كفر قوم بعد نبوءة إلا كان مفتاح ذلك التكذيب بالقدر.

ذكروا عن عمران عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: بني الإسلام على ثلاثة: الجهاد ماض منذ بعث الله نبيه إلى آخر فئة من المسلمين تكون هي التي تقاتل الدجال لا ينقضه جور من جار، والكف عند ما لا تعلم، والمقادير خيرها وشرها[3].

---

(1) كذا في ق و ع: «أن تخشى الله» وهو لفظ جاء في إحدى روايتي أبي هريرة للحديث في صحيح مسلم. أما سائر روايات الحديث فجاءت بلفظ: «أن تعبد الله كأنك تراه».

(2) حديث صحيح رواه مسلم في كتاب الإيمان، وهو أول أحاديث الباب الأول، باب الإيمان والإسلام والإحسان... يرويه عبد الله بن عمر بلفظ: حدثني أبي عمر بن الخطاب (رقم 8)، وأخرجه أيضاً مسلم من رواية أبي هريرة في الباب الأول (رقم 9) وأخرجه البخاري مختصراً في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان من رواية أبي زرعة عن أبي هريرة. وأخرجه غيرهما.

(3) حديث صحيح أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد. باب في الغزو مع أئمة الجور عن أنس بن مالك، (رقم 2532) وأوله: ثلاثة من أصل الإيمان.

ذكروا عن يحيى بن كثير عن رجاء بن حيوة قال: قال رسول الله ﷺ: إنما أخاف على أمتي حيف الأئمة والتصديق بالنجوم والتكذيب بالقدر[1].

ذكروا عن أبي العجاج الأزدي قال: قلت لسلمان الفارسي: ألا تخبرني عن القدر وعن الإيمان بالقدر. قال: تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تقل لولا كذا لم يكن كذا.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ كقول الله عز وجل: (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ). [النحل: 77] أي: بل هو أقرب. تفسير الحسن: أي إذا جاء عذاب كفار آخر هذه الأمة بالنفخة الأولى.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أي: الذين على دينكم ومنهاجكم يقوله للمشركين: أي من أهلك من الأمم السالفة. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: من متفكر، يخوّفهم العذاب ويحذرهم.

قوله عز وجل: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: في الكتب، أي: قد كتب عليهم. ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: مكتوب مسطر.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾، يعني جميع الأنهار، كقوله عز وجل: (وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا) [الحاقة: 17] يعني بالملك جماعة الملائكة. وكقوله: (وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) [النحل: 16] يعني جماعة النجوم. وكقوله: (وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ) [النور: 41] يعني جماعتها. وأنهار الجنة تجري في غير أخدود: الماء والعسل واللبن والخمر، وهو أبيض كله. فطين النهر مسك أذفر، ورضراضه الدر والياقوت، وحافاته قباب اللؤلؤ. قال تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾. أي عند الله[2]. أي: إن الجنة في السماء والنار في الأرض.

(1) حديث صحيح أخرجه الطبراني عن أبي أمامة.

(2) كذا في ق وع، وفي ز ورقة 347: «يعني نفسه».

تفسير سورة الرَّحْمٰنِ، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْءانَ خَلَقَ الإِنْسَـٰنَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ أي: علمه الكلام(1).

قوله تعالى: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ قال مجاهد: [يعني بحسبان](2) كحسبان الرحى. وفي تفسير الحسن: بحسبان: بمجرى وقال الحسن: هما والنجوم في مثل الطاحونة، أي في مثل فلكة المغزل دون السماء. ولو كانت ملتزقة بالسماء لم تجر.

وفي تفسير الكلبي: بحسبان أي بحساب ومنازل معدودة [كل يوم منزل](3).

ذكروا عن أبي صالح: إن السماء خلقت مثل القبة، إن الشمس والقمر والنجوم ليس شيء منها لازقاً بالسماء، وإنها تجري في فلك دون السماء. وإن أقرب الأرض

(1) كذا في ق و ع و ز: «علمه الكلام» وكذلك جاء في تفسير ابن قتيبة. وهذا تأويل غير كاف. فلفظ البيان أبلغ تعبيراً وأدق معنى إذ يفيد الإبانة والإفصاح عما يختلج في نفس الإنسان، والقدرة ـ بإذن الله ـ على التعبير عن مقاصده.

(2) زيادة من تفسير مجاهد، ص 639. وقول مجاهد هذا وقول الحسن تأويل لا يعتد به الآن.

(3) زيادة من ز، وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 242: «(بحسبان) جميع حساب مثل شهبان وشهاب»، وقول الأخفش في معاني القرآن ج 2، ص 112: «(بِحُسْبَانٍ): حساب ومنازل للشمس والقمر لا يعدوانها». وأقوال الكلبي والفراء والأخفش هي أولى بالصواب وذلك ما أكده العلم الحديث.

إلى السماء بيت المقدس باثني عشر ميلًا، وإن أبعد الأرض من السماء الأبلّة[1].

ذكروا عن مجاهد قال: قوله عز وجل: (كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [الأنبياء: 33] قال: يدورون كما يدور فلك المغزل.

قوله عز وجل: ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ النجم ما كان من النبات على غير ساق، والشجر ما كان على ساق. وسجودهما ظلهما. وقال في آية أخرى (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ اليَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً لله وَهُمْ دَاخِرُونَ) [النحل: 48].

قوله عز وجل: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ﴾ إن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام. قال تعالى: ﴿ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ أي: وجعل الميزان في الأرض بين الناس ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ أي: لا تظلموا فيه. ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل ﴿ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ أي: ولا تنقصوا الناس حقهم. قال مجاهد: الميزان العدل.

قوله عز وجل: ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ أي: للخلق ﴿ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾ تفسير الحسن: الأكمام: الليف، وتفسير الكلبي: الطلع[2].

﴿ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾ يعني البقل[3] في الزرع، والعصف سوق الزرع.

وقال الحسن: كنا بالمدينة ونحن غلمان نأكل الشعير إذا قُضِب[4] وكنا نسميه العصف.

(1) الأبلّة: مدينة على شاطىء دجلة قرب البصرة، وهي أقدم عمراناً من البصرة، انظر ياقوت الحموي معجم البلدان، ج 1 ص 76-78، والبكري، معجم ما استعجم، ج 1 ص 98.

(2) وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن: «أي: ذات الكُفُرّى قبل أن ينفتق. وغلاف كل شيء كمه». والكُفُرّى هو وعاء طلع النخل.

(3) في ق و ع: «يعني القد في الزرع» وفي الكلمة تصحيف ولا شك، فأثبت ما جاء في معاني الفراء ج 3 ص 113.

(4) أي إذا قطع وهو أخضر قبل أن يستغلظ، ويسمى القصيل.

وقوله عز وجل: (والرَّيْحَان) تفسير الحسن أنه مبتدأ، يقول: وفيها الريحان، يعني الرياحين.

وتفسير الكلبي: الريحان الرزق. وهذا التفسير على من قرأها بالجر: والحب ذو العصفِ والريحانِ، يجعلهما جميعاً من صفة الزرع. وبعضهم على المقرأ بالجر يقول: العصف سوق الزرع والريحان ورق الزرع.

وتفسير الكلبي: العصف الورق [الذي لا يؤكل]، والريحان الحب [الذي يؤكل][1].

وقال مجاهد: العصف ورق الحنطة، [والريحان الرزق][2].

قال عز وجل: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يعني الثقلين: الجن والإنس[3].

قال تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنْسَـٰنَ﴾ يعني ءادم ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ وهو التراب اليابس الذي يسمع له صلصلة. وقال مجاهد: الذي قد صلَّ، أي: أنتن.

قوله عز وجل: (كَالْفَخَّارِ) له صوت كالفخار المتكسر إذا حرّك. وكان آدم في حالات قبل أن ينفخ فيه الروح. قال تعالى في آية أخرى: (مِنْ طِينٍ) [السجدة: 7] وقال: (مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ) [الحجر: 26] أي: من طين منتن فيما ذكروا عن عطاء بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الجَانَّ﴾ يعني إبليس ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾. تفسير الحسن: من لسان النار ولهبها. قال ابن عباس: من خالص النار. وقال مجاهد: من

(1) وقع اضطراب ونقص في ق و ع في تفسير الكلبي فأثبت التصحيح والزيادة من تفسير القرطبي ج 17 ص 157.

(2) زيادة من تفسير مجاهد: ص 640.

(3) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 243: «(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) أي: فبأي نعمه، واحدها أَلًى تقديرها قَفًى. وقال بعضهم: تقديرها مِعًى. وَ(تُكَذِّبَانِ) مجازها مخاطبة الجن والإنس وهما الثقلان.

اللهب الأحمر والأصفر والأخضر. يعني الاختلاط. كقوله تعالى: (فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ) [سورة قٓ: 5] أي: ملتبس، وهو المختلط.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ يعني الجن والإنس. قال الحسن: الإنس كلهم من أولهم إلى آخرهم ولد آدم. والجن كلهم من أولهم إلى آخرهم ولد إبليس.

قوله عز وجل: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ أي: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، ومغرب الشتاء ومغرب الصيف. قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالآءِ ﴾ أي نعماء[1] ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ [تفسير قتادة: أفاض أحدهما في الآخر][2] ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [أي: بين العذب والمالح حاجز من قدرة الله لا يبغي أحدهما على صاحبه]. لا يبغي المالح على العذب فيختلط، ولا العذب على المالح فيختلط.

وقال بعضهم: بين البحرين المالحين بحر فارس وبحر الروم حاجز، أي: من الأرض. وتفسير الحسن: حاجز من الخلق لا يبغيان عليهم فيغرقانهم، وهو محبوس. ﴿ فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا ﴾ أي نعماء ربكما ﴿ تُكَذِّبَانِ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ يُخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ قال بعضهم: اللؤلؤ: الكبار، والمرجان الصغار. ذكر ذلك عن سعيد بن جبير وغيره.

وقال مجاهد: المرجان ما عظم من اللؤلؤ. وقال الكلبي: اللؤلؤ هو اللؤلؤ البسّذ[3]. يعني العزل[4].

---

(1) كذا في ق و ع: «نعماء» بالإفراد، وهي النعمة، وجمعها نعم وأنعم. وقد تأتي الكلمة مفردة ويراد بها الجمع كما في قوله تعالى: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا) [إبراهيم: 34].

(2) ما بين المعقوفين في هاتين الآيتين زيادة من ز، ورقة 348 للإيضاح.

(3) في ق و ع: «السند»، وفي الكلمة تصحيف صوابه ما أثبته «البُسَّذ». واللفظة غير عربية انظر الجواليقي، المعرّب، ص 388، تعليق: 3، واللسان: (بسذ)، ويرى محقق المعرب أن الكلمة، كلمة المرجان، عربية.

(4) كذا في ق و ع: «يعني العزل» ولم أهتد لوجه الصواب في الكلمة إن كان بها تصحيف.

فمن فسّر بتفسير الكلبي فهو يقول: يخرج منهما، أي: من البحرين المالحين بحر فارس وبحر الروم، أي يخرج من بحر فارس اللؤلؤ، ويخرج من بحر الروم العزل. ومن جعلهما من صغار اللؤلؤ فهو يقول: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا) أي: من أحدهما، أي: لا يعدوهما. كقوله تعالى: (يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي) [الأنعام: 13] يعني من الإنس. وقال في آية أخرى: (وَهُوَ الذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) [الفرقان: 53]. وقال: (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) [الرحمٰن: 58]. أي: صفاء الياقوت في بياض المرجان. قال: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالاَءِ ﴾ أي: نعماء ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَئَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلَٰمِ ﴾ يعني السفن التي عليها شُرُعها، وهي القلوع[1]. والأعلام: الجبال. ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا ﴾ أي: على الأرض ﴿ فَانٍ ﴾ كقوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) [آل عمران: 185] أي: تموت. أي: يموت أهل الأرض وأهل السماء. ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَٰلِ ﴾ أي: العظمة ﴿ وَالإِكْرَامِ ﴾ أي: لأهل طاعته. قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قوله: ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي: يسأله أهل السماء الرحمة، ويسأله أهل الأرض الرحمة والمغفرة والرزق وحوائجهم، ويدعوه المشركون عند الشدة، ولا يسأله المغفرة إلا المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[2] فمن شأنه أن يميت ويحيي، أي: ما

---

(1) في تفسير مجاهد: «المنشآت: ما قد رفع قِلْعه من السفن، فأما ما لم يرفع قِلْعه فليس بمنشإ، يعني شراعه». وقد وردت في ع كلمة «القلوع» هكذا بالواو، جمعاً لقِلْع، ولم أجد هذا الجمع فيما بين يدي من كتب اللغة، والصحيح أن جمعها قلاع، وقُلُع. وقد سقطت الآية وتفسيرها من ق، وهو سهو من ناسخ المخطوطة ولا شك.

(2) جاء في معاني الفراء، ج 3 ص 116: «وقوله: (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَانٍ) غير مهموز. قال: وسألت الفراء عن (شان) فقال: أهمزه في كل القرآن إلا في سورة الرحمٰن، لأنه مع آيات غير =

يولد، ويجيب داعياً، ويعطي سائلاً، ويشفي مريضاً، ويفك عانياً، أي: أسيراً. وشأنه كثير لا يحصى، لا إله إلا هو. قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ أي: الجن والإنس، أي: سنحاسبكم ونعذّبكم. وهي كلمة وعيد، يعني المشركين منهم. قال: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ ﴾ يعني المشركين منهم ﴿ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي: من نواحيها ﴿ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ الله عليكم في تفسير الحسن. وقال مجاهد: إلا بحجة.

ذكروا عن عطاء بن يزيد قال: يبعث الله خوفاً على أهل الأرض قبل أن ينفخ في الصور، فترجف بهم الأرض، مساكنهم وأفئدتهم، فيخرجون حتى يأتوا أنشف[1] البحر، فيجتمع فيه الإنس والجن والشياطين. فيلبثون ما شاء الله أن يلبثوا، ثم يقول الشياطين بعضهم لبعض: ما يحبسنا؟ هلموا لنلتمس المخرج، فيخرجون حتى يأتوا الأفق من قبل مغرب الشمس فيجدونه قد سدّ عليه الحفظة، فيرجعون إلى الناس، فيلبثون لبثاً. ثم يقول بعضهم لبعض ما حبسنا، هلموا فلنلتمس المخرج. فيخرجون حتى يأتوا الخافق من قبل مطلع الشمس، فيجدونه قد سدّ عليه الحفظة، فيرجعون إلى الناس. فبينما هم كذلك إذ أشرفت عليهم الساعة، فنادى مناد: أيها الناس، أتى أمر الله، فما المرأة بأشد استماعاً لها من الوليد في حجرها، فينفخ في الصور.

قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ ﴾ أي: نعماء ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال تعالى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا ﴾ يعني الكفار من الجن والإنس ﴿ شُوَاظٌ مِّن

= مهموزات. وشأنه في كل يوم أن يميت ميتاً، ويولد مولوداً، ويغني ذا، ويفقر ذا فيما لا يحصى من الفعل».

(1) كذا في ق و ع: «أنشف البحر»، وهو صحيح فصيح أي: أكثر موضع في البحر يبساً. انظر اللسان: (نشف).

نَّارٍ﴾ وهو اللهب الذي لا دخان فيه ﴿وَنُحَاسٌ﴾ وهو الدخان الذي لا لهب فيه، وهو تفسير ابن عباس. وهي تقرأ على وجه آخر: (مِن نَّارٍ وَنُحَاسٍ)، وهي قراءة عبد الرحمٰن الأعرج، يقول: (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٍ) يقول: من لهب ودخان. قال الله: ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ أي: لا تمتنعان. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي محمرّةً ﴿كَالدِّهَانِ﴾ أي: كعكر الزيت، في تفسير بعضهم. وقال الحسن: أي: مثل الدهان إذا صب بعضه على بعض رأيت لها حمرة. وقال مجاهد: كألوان الدهان. وبعضهم يقول: أُدُم تكون في اليمن يقال لها الدّهان[1]. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ﴾ أي: نعماء ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ أي: لا يطلب علم ذلك من قِبَلِهم. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [بعلاماتهم][2]، أي: بسواد وجوههم وزرقة عيونهم. ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ أي: يجمع بين ناصيته وقدميه من خلفه ثم يلقى في النار. وتفسير الحسن: يجمع بين ناصيته وقدميه من الغل لِكَيْ لا يضطرب. قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قوله عز وجل: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: المشركون ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 245: «(فكانت وردة كالدهان) من لونها، جمع دهن، تمور كالدهن صافية، وردة لونها كلون الورد، وهو الجلّ». وقد أورد الفراء في المعاني ج 3 ص 117 معنى آخر فقال: «أراد بالوردة الفرس الوردةَ. تكون في الربيع وردة إلى الصفرة، فإذا اشتد البرد كانت وردة حمراء. فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة. فشبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل. وشبهت الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه. ويقال: إن الدهان: الأديم الأحمر. وقد ذكر الطبري في تفسيره ج 17 ص 142 اختلاف المفسّرين في تأويل الآية فقال: «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِيَ به الدهن في إشراق لونه، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب». فنرجح ما ذهب إليه أبو عبيدة.

(2) زيادة من مجاز أبي عبيدة ج 2 ص 245.

بلغنا[1] ـ والله أعلم ـ أن شجرة الزقوم نابتة في الباب السادس من جهنم على صخرة من نار، وتحتها عين من الحميم أسود غليظ، فيسلط على أحدهم الجوع، فيُنطلق به، فيأكل منها حتى يملأ بطنه، فتغلي في بطنه كغلي الحميم، فيطلب الشراب ليبرد به جوفه، فينزل من الشجرة إلى تلك العين التي تخرج من تحت الصخرة، من فوقها الزقوم ومن تحتها الحميم، فتزل قدماه على تلك الصفا، فيقع لظهره ولجنبه، فيشتوى عليها كما يشتوى الحوت على المِقلَى. فتسحبه الخزان على وجهه، فينحدر على تلك العين، ولا ينتهي إليها إلا وقد ذهب لحم وجهه، فينتهي إلى تلك العين، فيسقيه الخزان في إناء من حديد من نار. فإذا أدناه من فيه [اشتوى وجهه، وإذا وضعه على شفتيه][2] تقطعت شفتاه وتساقطت أضراسه وأنيابه من حره. فإذا استقر في بطنه أخرج ما كان في بطنه من دبره.

وبلغنا أن ابن عباس قال: إن في جهنم شجرة نابتة في أصل جهنم، لا بد للكافر من أكلها، فتملأ بطنه. فيهوي حتى إذا انتهى إليها أكل منها. فإذا ملأ بطنه صعد إلى أعلاها. فإذا بلغ إلى أعلاها انحدر إليها أيضاً. فإذا أكل منها صعد إلى أعلاها أيضاً، فإذا بلغ إلى أعلاها انحدر إليها.

وقال في آية أخرى: (عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ) [الغاشية: 3] أي: كفرت بالله في الدنيا فأعملها وأنصبها في النار، فهم في عناء وترداد.

قوله تعالى: (حَمِيمٍ آنٍ) فالحميم: الحار، والآني: الذي قد انتهى حره. وقال مجاهد: قد بلغ أناه وحان شرابه. ذكروا عن الحسن في قوله: (تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) [الغاشية: 5] أنى حرها فاجتمع. قال: قد وقد عليها منذ خلق الله السماوات والأرض. قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ يعني الذي يقوم بين يدي ربه للحساب، في

(1) هذا قول ليحيى بن سلام كما في ز ورقة 348.
(2) زيادة من ز، ورقة 349.

تفسير الحسن، ﴿ جَنَّتَانِ ﴾. وتفسير مجاهد: هو من أراد ذنباً فذكر الله وذكر أنه قائم عليه فتركه[1].

تفسير الحسن أنها أربع جنات: جنتان للسابقين، وجنتان للتابعين. ويعني بالسابقين أصحاب النبي[2] عليه السلام، وبالتابعين من بعدهم. وبعضهم يقول: السابقون الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والذين دونهم أصحاب اليمين غير السابقين. فالمنزل الأول للسابقين، والآخر لأصحاب اليمين، وهم الذين يحاسبون حساباً يسيراً. قال عز وجل: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ﴾ أي: نعماء ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال: ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾. تفسير الحسن: ذواتا أغصان، يعني ظلال الأشجار وبعضهم يقول: ذواتا ألوان. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ قال: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال: ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ أي: لونان[3]. ﴿ فَبِأَي ءَالَاءِ﴾ أي نعماء ربكما تكذبان.

قوله: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ تفسير الحسن: [(بَطَائِنُهَا): يعني ما يلي جلودهم][4] والاستبرق الديباج الغليظ. وهي بالفارسية: إستبره. قال تعالى: ﴿ وَجَنَا الْجَنَّتَيْنِ ﴾ أي: ثمارها ﴿ دَانٍ ﴾ أي: قريب.

ذكروا عن البراء بن عازب قال: أدنيت منهم وذللت، يتناولون منها أنهاشاً. وذكروا عن البراء بن عازب قال: يتناولون منها قعوداً ومضطجعين وكيف شاءوا.

---

(1) كذا في ق وع، وروى الطبري في تفسيره، ج 27 ص 145 بعض عبارات مجاهد هكذا: «الرجل يهم بالذنب فيذكر مقامه بين يدي الله فيتركه، فله جنتان». وفي أخرى: «فيذكر مقام ربه فينزع».

(2) كذا في ق وع، وفي ز: «أصحاب الأنبياء».

(3) كذا في ق وع: «لونان»، وفي ز، ورقة 349: «نوعان». وهو واحد.

(4) زيادة من ز، ورقة 349.

ذكروا عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن أهل الجنة يتناولون من قطوفها وهم متكئون، فما تصل إلى في أحدهم حتى يبدل الله مكانها أخرى[1].

قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال: ﴿ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ ﴾ أي: قصر طرفهن على أزواجهن لا يردن غيرهم ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ ﴾ أي: لم يمسسهن قبل أزواجهن في الجنة بعد خلق الله إياهن وفي الخلق الثاني ﴿ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ يعني من كان من المؤمنات من نساء الدنيا.

ذكروا عن الحسن أن امرأة من عمات النبي عليه السلام قالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني معك في الجنة فقال: يا عمه، إن الجنة لا يدخلها عجوز، ففزعت من ذلك فقال: إن الله جعلهن شواب أبكاراً[2].

ذكروا عن الحسن أن منهن من كان في الدنيا عجوزاً رمصاء[3] فجعلهن الله شواب أبكاراً. قال: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ يريد صفاء الياقوت في بياض المرجان.

ذكر بعضهم قال: إن المرأة لتكون من أهل الجنة يكون عليها تسعون حلة وإنه لَيُرى مخّ ساقها من وراء ذلك كما يبدو الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء. قال بعضهم: ذلك مثل الخيط في النظام لا يغيبه النظام.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة

---

(1) انظر الإشارة إليه فيما مضى قريباً في هذا الجزء ص 226.

(2) أخرجه مجاهد في تفسيره، ص 648. عن الحسن مرسلاً. وأخرجه الترمذي في الشمائل من حديث الحسن كذلك، وفي سنده المبارك بن فضالة، وهو مدلس.

(3) الرمصاء: التي في عينها رَمَص، وهو القذى الذي يجتمع في العين، وقيل الذي يسيل منها. انظر اللسان (رمص) و (غمص).

البدر، ثم الذين يلونهم كأضوإ نجم في السماء أضاءت قلوبهم على قلب واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض. لكل امرىء منهم زوجتان، يرى مخ ساقها من وراء لحمها، يسبحون الله بكرة وعشياً، آنيتهم الذهب والفضة، وزاد فيه بعضهم: وقود مجامرهم الألوّة[1]. والألوّة: العود القماري، ورشحهم مسك أذفر، وبساطهم ذهب[2].

قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾ أي: هل جزاء الإيمان إلا الجنة.

ذكروا عن الحسن قال: لا إله إلا الله بعمل صالح ثمن الجنة. قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ أي: ومن دون الجنتين اللتين وصف ما فيهما ﴿جَنَّتَانِ﴾، وهاتان الجنتان الأخيرتان لأصحاب اليمين، وهم المقتصدون، وهم الذين يحاسبون حساباً يسيراً. والجنتان الأوليان منزل المقرّبين، وهم السابقون. والمنزل الثاني، منزل أصحاب اليمين، وهم المقتصدون. قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قال تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ قال: خضراوان ناعمتان من الري، وادهمّتا من الخضرة. وقال مجاهد: مسوّدتان من الري[3]. قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ﴾ أي نعماء ربكما تكذبان﴾.

(1) في ق و ع: «اللؤلؤة» وفي الكلمة تصحيف صوابه: اللوة، والألوّة. انظر اللسان: (لوى).

(2) حديث حسن صحيح، أخرجه الترمذي في أبواب صفة الجنة عن أبي سعيد، ويتقوى الحديث بحديث متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب خلق آدم وذريته. وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر، (رقم 2834) كلاهما يرويه من حديث أبي هريرة.

(3) في ق و ع: «مستويتان من الري إلى النعمة، وفي العبارة تصحيف وفساد، أثبت صحتها مما جاء في تفسير مجاهد، ص 643.

قال: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ أي: تنبعان من أصولهما ثم تجريان بعد. وأما عينا جنتي السابقين فتجريان من أصولهما. قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ﴾ أي نعماء ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾.

ذكروا عن الحسن قال: نخل الجنة جذوعها ذهب، وسعفها حلل، ورطبها مثل قلل هجر أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد.

ذكروا عن سعيد بن جبير قال: جذع نخل الجنة ذهب أحمر، وكربها زبرجد أخضر، وشماريخها در أبيض، وسعفها الحلل، ورطبها أشد بياضاً من الفضة، وأحلى من العسل وألين من الزبد، ليس في شيء منه عجم[1]. طول العذق اثنا عشر ذراعاً منضود من أعلاه إلى أسفله أمثال القلل لا يؤخذ منه شيء إلا أعاده الله كما كان.

ذكروا عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: نخل الجنة نميك[2] ما بين أصلها إلى فرعها، وتمرها كالقلال. كلما نزعت تمرة عادت تمرة أخرى، وأنهارها تجري في غير خدود، والعنقود منها اثنا عشر ذراعاً.

ذكروا عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به قال: ثم أعطيت الكوثر، فسلكته حتى انفجر بي في الجنة فإذا الرمانة من رمانها مثل جلد البعير المقتب[3].

ذكروا عن الحسن عن النبي ﷺ قال: في كل رمانة من رمان الدنيا حبة من رمان الجنة، أحسبه قال: لا يأكلها المنافق[4]. قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ يعني النساء، الواحدة منهن خيرة. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ

(1) عجم، هو النوى، نوى التمر والنبق والرمان.
(2) كذا جاءت الكلمة في ع «نميك»، وفي ق تصيك، ولم أهتد لما فيها من تصحيف.
(3) انظر الإشارة إليه في أحاديث الإسراء والمعراج، ج 2 ص 288. وأخرجه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري، كما في الدر المنثور، ج 6 ص 150.
(4) رواه ابن عباس مرفوعاً، وليس فيه الجملة الأخيرة، كما في الدر المنثور، ج 6 ص 150.

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ قال: ﴿ حُورٌ ﴾ يعني بيض، في تفسير العامة. وتفسير مجاهد: (حُورٌ) أي يحار فيهن النظر، وينظر الناظر إلى وجهه في جيدهن. قوله عز وجل: ﴿ مَقْصُـورَٰتٌ ﴾ أي: محبوسات ﴿ فِي الْخِيَامِ ﴾.

ذكروا عن عكرمة عن ابن عباس قال: الخيمة درة مجوفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب، على كل مصراع وصيف قائم.

ذكروا عن أبي موسى الأشعري قال: إن رجلاً من أهل الجنة لتكون له الخيمة طولها في السماء ستون ميلاً وإن له في ناحيتها الجواري يطفن عليه لا يشعر بهن الآخرون. قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ أي: لم يمسسهن قبل أزواجهن، أي في الجنة، قبل خلق الله إياهن في الخلق الثاني (إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) يعني من كان منهن من نساء الدنيا المؤمنات. قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ ﴾ أي نعماء ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ فالرفرف المحابس[1]، والعبقري الوسائد. ذكروا عن مجاهد عن ابن عباس قال: العبقري: الوسائد، والحسان: العتاق. وقال بعضهم: الواحد منهم عبقرة. وتفسير الحسن: الرفرف: المحابس، والعبقري المرافق. وتفسير الكلبي: العبقري: الزرابي، ذكروا عن سعيد بن جبير قال: (عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ): على رياض الجنة[2]. قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ).

قوله: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ أي: ذي العظمة والإكرام، أي: لأهل طاعته؛ أكرمهم إذ صيّرهم إلى داره، دار السلام. عونك يا معين.

---

(1) المحابس: جمع محبس، وهو «المقرمة التي تبسط على وجه الفراش للنوم». والمقرمة: ستر قد يكون فيه نقوش ورقم. انظر اللسان: (حبس) و (قرم).

(2) وردت معان كثيرة للرفرف الخضر وللعبقري الحسان منها المخاد والطنافس الثخان وغيرهما، انظر ذلك في مجاز أبي عبيدة، ج 2 ص ٦٤٢، وفي تفسير الطبري ج 27 ص 163-164.

تفسير سورة الواقعة، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ أي: إذا قامت القيامة. ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ أي: هي كائنة لا شك فيها، ليس في مجيئها تكذيب[1]. ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ أي: خفضت أقواماً إلى النار فلا يرتفعون أبداً، ورفعت أقواماً إلى الجنة فلا ينزلون أبداً.

قال تعالى: ﴿ إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً ﴾ كقوله: (إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا) [الزلزلة: 1] أي: يوم القيامة. وقال مجاهد: (رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً) زلزلت الأرض زلزالاً وحركت تحريكاً.

قال تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً ﴾ أي كما يُبَس السويق[2]. وقال مجاهد: فتتت فتاً. قال تعالى: ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثّاً ﴾ الهباء الغبار الذي يدخل من الكوّة من شعاع الشمس (مُنْبَثّاً) أي: منثوراً متفرقاً. وتفسير الحسن: فكانت غباراً ذاهباً.

قوله تعالى: ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاَثَةً ﴾ أي أصنافاً ثلاثة: أي: مؤمناً ومنافقاً ومشركاً[3]. وهي كقوله: (لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ،

---

(1) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 121: «يقول: ليس لها مردودة ولا رد. فالكاذبة هاهنا مصدر مثل: العاقبة والعافية».

(2) بسَّ السويقَ يبُسه بساً إذا خلطه بسمن أو زيت، والبسّ يكون للسويق وللدقيق أو الاقِط المطحون، والبسّ أشد من اللتّ بللاً. والاسم منه: البسيسة.

(3) هذا التفسير مخالف لما جاء في سورة فاطر، الآية: 32 حسبما تأوله المؤلف هناك في حديث =

وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ) [الأحزاب: 73]. وكقوله في الآية التي في سورة فاطر: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ)، سقط هذا، وهو المنافق، (وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ) وهم أصحاب اليمين، وهم أهل الجنة، أهل المنزلة الآخرة في سورة الرحمٰن، وفي هذه، (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) [فاطر: 32] وهم المقرّبون السابقون، وهم أهل المنزلة الأولى في سورة الرحمٰن وفي هذه السورة.

قال تعالى: ﴿ فَأَصْحَـٰبُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَـٰبُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ وهم الميامين على أنفسهم ﴿ وَأَصْحَـٰبُ الْمَشْئَمَةِ مَا أَصْحَـٰبُ الْمَشْئَمَةِ ﴾ وهم المشائيم على أنفسهم.

قال تعالى: ﴿ والسَّـٰبِقُونَ السَّـٰبِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ يعني السابقين من أهل الميمنة، وأصحاب الميمنة هم أصحاب الجنة، وهم أصحاب اليمين. وأهل الجنة صنفان: السابقون وأصحاب اليمين الذين ليسوا سابقين، وهم أهل الاقتصاد، وهم الذين يحاسبون حساباً يسيراً. وتفسير الحسن: السابقـون أصحاب النبي ﷺ وأصحاب الأنبياء عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿ فِي جَنَّـٰتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ ﴾ والثلة الطائفة. وتفسير مجاهد: الثلة: الأمة، قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الأخِرِينَ﴾ تفسير الحسن: يعني أن سابقي جميع الأمم أكثر من سابقي أمة محمد عليه السلام. والثلة أكثر من القليل.

قال: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ قال مجاهد: عن ابن عباس: يعني مرمولة بالذهب. قال الحسن: ورملها نسجها بالياقوت واللؤلؤ[1]. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: مرمولة بقضبان اللؤلؤ الرطب.

= أبي الدرداء وكأني بهذا التأويل هنا من زيادات الشيخ هود الهواري. وهو غير وارد في ز. انظر ما مضى من هذا التفسير، ج 3 ص417 - 420. والمحققون من المفسرين يرون أن الذين أورثهم الله الكتاب ممن اصطفاهم هم من أصحاب الجنة.

(1) وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 122: «(موضونة): منسوجة، وإنما سمت العرب وضين الناقة (أي: حزامها) وضينا لأنه منسوج.

قال تعالى: ﴿ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴾ قال: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض وتفسير الكلبي: يقابل بعضهم بعضاً. قال بعضهم: بلغنا أن ذلك في الزيارة إذا تزاوروا.

قوله عز وجل: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْـدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ أي: لا يموتون ولا يشيبون عن منازل الوصفاء[1]، خلدوا على تلك الحال لا يتحولون عنها.

قال تعالى: ﴿ بِأَكْوَابٍ ﴾ يسمى كوباً، والعرب تسمية كوزاً، وهو المدور القصير العنق القصير العروة[2]. قال تعالى: ﴿ وَأَبَارِيقَ ﴾ وهو المستطيل الطويل العنق الطويل العروة، وهو بالفارسية أبواه. قال تعالى:

﴿ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ أي: ظاهرة[3]. ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا ﴾ أي: عن الخمر، أي: لا يصيبهم عليها صداع ﴿ وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ ولا تذهب عقولهم، أي: لا يسكرون، ولا يبولون ولا يتغوطون لا يمتخطون.

قال تعالى: ﴿ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ أي: إذا اشتهوا الشعب[4] من الشجرة انقض إليهم، فأكلوا منه أي الثمار شاءوا، إن شاءوا قياماً أو قعوداً أو مستلقين، وهو قوله: (وَجَنَا الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ) [الرحمٰن: 54].

قال: ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن في الجنة طيراً مثل البخت، فقال أبو بكر: إن ذلك لطير ناعم.

---

(1) الوصفاء: جمع وصيف، وهو الغلام إذا بلغ الخدمة، وربما قالوا للجارية وصيفة بينة الوَصافة، وجمعها وصائف.

(2) كذا في ق وع: وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 123: «الكوب ما لا أذن له ولا عروة له، والأباريق ذوات الآذان والعرى». وهذا هو الصحيح كما ذكره المحققون من اللغويين.

(3) وقال أبو عبيدة في المجاز؛ ج 2 ص 249: «(وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ): شراب من معين، والمعين الماء الظاهر.

(4) الشُّعبة من الشجر ما تفرق من أغصانها، وشُعَب الغصن أطرفه المتفرقة، ويقال أيضاً: شُعب للمفرد منه بدون تاء. انظر اللسان: (شعب).

قال: والذي يأكل منها أنعم، وإني لأرجو أن تأكل منها يا أبا بكر[1].

ذكروا أن الطير تصف بين يدي الرجل، فإذا اشتهى أحدها اضطرب ثم صار بين يديه نضيجاً.

ذكروا عن علي بن أبي طالب قال: إذا اشتهوا الطعام جاءتهم طيور خضر فترفع أجنحتها، فيأكلون من جنوبها أي الألوان شاءوا، وفيها من كل لون، يأكلونها ثم تطير فتذهب. وبلغنا أن الطير تصف بين يديه فرسخاً، فالطير أمثال الإبل؛ فيقول الطير: يا ولي الله أما أنا فقد رعيت في وادي كذا وكذا وأكلت من ثمار كذا وكذا، فَكُلْ مني. فإذا اشتهى حسن الطير واشتهى صفته فوقع ذلك في نفسه قبل أن يتكلم وقع ذلك الطير على مائدته نصفه قدير[2] ونصفه شواء، فيأكل منها مقدار أربعين سنة، كلما شبع ألقي عليه ألف باب من الشهوة. قالها ثلاث مرات.

قال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ والحور البيض في تفسير بعضهم. وقال مجاهد: الحور: أي: يحار فيهن النظر، وينظر الناظر وجهه في جيدها. وقال تعالى: (عِينٌ) أي: عظام العيون، والواحدة منها عيناء. وقال بعضهم: أشفار عينيها أطول من جناح نسر.

قال تعالى: ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ يعني صفاء ألوانهن، والمكنون أي: الذي في أصدافه. وقال بعضهم: المكنون: الذي لم يثقب ولم تمسه الأيدي قال: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: يجازون على قدر أعمالهم.

قوله عز وجل: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ لَغْواً ﴾ واللغو: الباطل ﴿ وَلَا تَأْثِيماً ﴾ أي: لا يؤثم بعضهم بعضاً. ﴿ إِلَّا قِيلاً سَلَـٰماً سَلَـٰماً ﴾ أي: يسلم بعضهم على بعض، وقال بعضهم: إلا خيراً خيراً.

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف قريباً، ج 4 ص 226.
(2) القدير من اللحم ما طبخ في القدر بتوابل.

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَـٰبُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَـٰبُ الْيَمِينِ ﴾ هؤلاء غير المقربين وهم أهل المنزل الآخر في سورة الرحمٰن. [يعني أهل الجنة من غير السابقين. وأهل الجنة كلهم أصحاب اليمين](1).

قال تعالى: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ المخضود الذي لا شوك له. وقيل: الموقر، وهو تفسير مجاهد. قال تعالى: ﴿ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴾. قال الحسن: هو الموز(2). وهو قول مجاهد ذكروا عن عطاء بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: هو الموز.

قوله عز وجل: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ أي: متصل دائم في تفسير الحسن. وقال الكلبي: ليس معه شمس.

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها؛ اقرأوا إن شئتم: (وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ)(3).

قال تعالى: ﴿ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾ أي: ينسكب بعضه على أثر بعض وليس بالمطر.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 350.

(2) كذا في ق و ع. وجاء في ز ما يلي: «(وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ) أي بعضه على بعض. يعني بالطلح الشجر الذي بطريق مكة. قال مجاهد: كانوا يعجبون من وَجّ وظلاله من طلح وسدر فخوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله». سقط هذا التفسير من ق و ع وهو أحقُّ بالإثبات، وأولى بالصواب عندي؛ ففي مجاز أبي عبيدة ج 2 ص 250 ما يلي: «(وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ) زعم المفسّرون أنه الموز، وأما العرب فالطلح عندهم شجر عظيم كثير الشوك. . .» ووَجّ الذي ذكره مجاهد هو الطائف، بلاد ثقيف: انظر معجم البلدان لياقوت، ومعجم ما استعجم للبكري. (وَجّ).

(3) حديث صحيح متفق عليه أخرجه الشيخان وأصحاب السنن. أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك. وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إن في الجنة لشجرة. . . من حديث أبي هريرة (رقم 2826) ومن حديث سهل بن سعد (رقم 2827) ومن حديث أبي سعيد الخدري (رقم 2828).

قوله عز وجل: ﴿ وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾. ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن أهل الجنة ليتناولون من قطوفها وهم متكئون على فرشهم، فما تصل إلى في أحدهم حتى يبدل الله مكانها أخرى[1].

قال الحسن: (لَا مَقْطُوعَةٍ) أي ليس ثمارها مثل ثمار الدنيا لها زمن تكون فيه ثم تنقطع، (وَلَا مَمْنُوعَةٍ) أي: إن لثمار الدنيا من يمنعها وثمار الجنة لا تمنع.

قال: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ أي بعضها فوق بعض. ذكر بعض أصحاب النبي عليه السلام أن ارتفاعها من الأرض قدر مائة خريف، يعني مائة سنة.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَـٰهُنَّ ﴾ أي: ابتدأنا خلقهن، يعني نساء أهل الجنة ﴿ إِنشَاءً ﴾ أي: خلقاً. ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَاراً ﴾ أي عذارى. ﴿ عُرُباً ﴾. قال الحسن: العرب: العاشقات لأزواجهن. وبعضهم يقول: المحبّبات لأزواجهن، أي: هم عاشقون لهن. وبعضهم يقول: الغَنِجات[2].

قال: ﴿ أَتْرَاباً ﴾ أي: على سن واحدة، عن رسول الله ﷺ قال: إن أهل الجنة لا يدخلونها كلهم رجالهم ونساؤهم إلا على نحو ثلاث وثلاثين سنة، على طول آدم، وطوله ستون ذراعاً. والله أعلم بأي ذراع، لا يتغوطون ولا يبولون، ولا يمتخطون. والنساء عرب أتراب لا يلدن ولا يحضن ولا يمتخطن ولا يقضين حاجة، أي: ليس فيهن قذر.

ذكر الحسن أن امرأة من عمات النبي عليه السلام قالت: يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني معك في الجنة. قال: يا عمة، إن الجنة لا يدخلها عجوز. ففزعت من ذلك فقال: إن الله جعلهن شَوَابَّ أبكاراً[3].

(1) انظر الإشارة إليه في تفسير سورة الطور فيما سلف من هذا الجزء، ص 226، وقد أخرج الحديث ابن سلام بسند كما في ز ورقة 340.

(2) جمع الفراء هذه الأوصاف فقال وأوجز: «(عُرُباً) واحدها عروب، وهي المتحببة إلى زوجها، الغَنِجَة». وقال أبو عبيدة: «هي الحسنة التبعّل».

(3) انظر الإشارة إليه فيما مضى قريباً في هذا الجزء ص 269.

قال الحسن: يجعل العجوز شابة، والمولودة الصغيرة يُشبُّها حتى تكون بنت ثلاث وثلاثين سنة. يعني قوله: (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً).

قال: ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ وأصحاب اليمين هاهنا، في تفسير الحسن، جماعة أهل الجنة. قال في الآية الأولى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ) [الواقعة: 13-14] يعني بالثلة سابقي من مضى من أصحاب الأنبياء مع الأنبياء (وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ) يعني أصحاب محمد مع محمد ﷺ. وقال في هذه الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾، يعني التابعين ممن مضى والتابعين من هذه الأمة، فسوى بين تابعينا وتابعيهم، وسابقهم أكثر من سابقنا. فيدخل الله أطفالنا الجنة وأطفالهم فنكون شطر أهل الجنة بأطفالنا لأن أطفالنا أكثر من أطفالهم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوماً: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبروا وحمدوا الله واستبشروا. ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فكبّروا وحمدوا الله واستبشروا. ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. فكبروا وحمدوا الله واستبشروا[1]. قال الحسن: إن ذلك لفي كتاب الله: (ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ). ذكروا عن جابر بن عبد الله عن النبي عليه السلام مثل ذلك غير أنه لم يذكر الأخيرة.

ذكروا عن بعضهم قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه ذات يوم: أيسرّكم أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أيسركم أن تكونوا شطر أهل الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: الناس يوم القيامة عشرون ومائة صف، وأنتم منهم ثمانون صفاً[2].

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة عن عبد الله (رقم 221) وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ عن عبد الله (رقم 4283) وأوله: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة. . . .

(2) انظر ما سلف، ج 2 ص 466.

ذكروا عن أبي بكر قال: إن الثُّلَّتين كلتاهما من هذه الأمة: ثلة من الأولين وثلة من الآخرين.

قوله: ﴿ وَأَصْحَـٰبُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَـٰبُ الشِّمَالِ ﴾ وهم أهل النار ﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾ في نار وحميم، أي الشراب الذي لا يستطاع من حره. قال: ﴿ وَظِلٍّ مِن يَّحْمُومٍ ﴾ أي: من دخان، [واليحموم الدخان الشديد السواد][1] وهو قوله: (اِنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ) [المرسلات: 30-31] يُنطَلَق بهم عند الفراغ من حسابهم ويُساقون إلى النار. ثم يبعث الله إليهم ملكاً فيقول للخزنة: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ) [الصافات: 24] أي: عن أعمالهم الخبيثة، فيحبسون قبل أن يصلوا إلى النار، فيخرج عنق من النار فيحيط بهم جميعاً فيغشاهم الحرّ والغشيان[2]. وذلك قوله عز وجل: (أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) [الكهف: 29] ثم يخرج من النار دخان أسود مظلم غليظ شديد حتى يكون فوق رؤوسهم. ثم يتفرق ذلك الظل ثلاث فرق فوقهم على السرادقات، فينطلق كل قوم من شدة الحر الذي أصابهم من حر السرادق، فذلك قوله: (انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ).

قال تعالى: ﴿ لَا بَارِدٍ ﴾ أي: لا بارد في الظل ﴿ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ أي: في المنزل. والكريم: الحسن.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ هو كقوله عز وجل: (إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً) [الانشقاق: 13]. والمترفون أهل السعة والنَّعمة في الدنيا، يعني المشركين.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[3].

---

(1) زيادة من ز، ورقة 350.

(2) كذا في ق وع: «الغشيان» وله وجه، ولعله الغثيان.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق عن أبي هريرة (رقم 2956) وهو أول أحاديث الكتاب.

قوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ ﴾ قال مجاهد: كانوا يقيمون ﴿ عَلَى الحِنْثِ العَظِيمِ ﴾ أي: الذنب الكبير، وهو الشرك.

﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَ ءَابَاؤُنَا الأَوَّلُونَ ﴾ أي: لا نبعث نحن ولا آباؤنا.

قال الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾.

ذكروا عن الأعمش قال: الهيم: إبل بها داء [الهيام][1] فإذا وجدت الماء كرعت فيه ولم ترفع رؤوسها حتى تموت. وتفسير الحسن: (الهِيمُ) الإبل المراض[2] التي تشرب حتى تنقطع أعناقها. وقال الكلبي: (الهِيمُ): الظمأى، أي: العطاش.

قال: ﴿ هَـٰذَا نُزُلُهُمْ[3] يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أي يوم الحساب، يوم يدين الله الناسَ بأعمالهم.

وحدث عن علي بن أبي طالب أنه دخل عليه رجل بعدما صلى صلاة الصبح فقال: يا أمير المؤمنين، ما بلغ عطش أهل النار. قال: فغطى وجهه بثوب، ثم بكى. حتى تعالى النهار، ثم كشف الثوب عن وجهه فقال: أين السائل عن عطش أهل النار، تعال أخبرك بما سمعت من رسول الله ﷺ وهو يقول:

---

(1) زيادة من تفسير الطبري، ج 27 ص 196، ويسمى الداء أيضاً العُطاش.

(2) في ع وق: «الإبل الصوال» (كذا)، ولم أهتد لما في الكلمة من تصحيف فأثبت مكانها لفظ المراض كما فسره عكرمة حسب رواية الطبري في تفسيره ج 27 ص 195: «قال: هي الإبل المراض التي تمص الماء مصاً ولا تروي. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 251: «و (الهيم) واحدها أهيم وهو الذي لا يروى من رمل كان أو بعير». وانظر اللسان (هيم).

(3) النُّزُل: ما يهيأ من طعام تكريماً للضيف إذا نزل. ويقال للضيف: نزيل. وفي الآية تهكم بالضالين المكذبين.

إن أهل النار ليبكون الدموع في النار زماناً حتى تنفد الدموع، ثم يبكون الدم زماناً حتى ينفد الدم، ثم تقرح العيون فيصير عليها قرح فتستبين فيها القيح ما لو قذفت فيه السفن لجرت. قال: فيجتمعون فيقولون: يا معشر الأشقياء، نعم الزرع تزرعون لو كنتم في الدنيا المحروم أهلها. أما من أحد نستغيث به اليوم. فيقولون: ما نعلمه إلا أهل الجنة. يا معشر الآباء والأمهات، ويا معشر القرابة والأنسبة، ألم نكن في الدنيا نتراحم، ألم نُسأل فنُعطِي، ألم نُظْلَم فنعفو. إنا خرجنا من الدنيا عطاشاً، وسكنا القبور عطاشاً، وخرجنا من القبور عطاشاً، ووقفنا طول الموقف عطاشاً، ثم سُحِبنا إلى النار على وجوهنا عطاشاً؛ فقد أحرقت القلوب، ونضجت الجلود، وعميت الأبصار. وصمّت الآذان، (أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ). [الأعراف: 50]. قال: ثم يؤذن لهم بالجواب، فيقولون: (إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ) قال: فعند ذلك انقطع رجاؤهم وينادون بالويل والثبور والشهيق.

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَـٰكُمْ فَلَوْلَا ﴾ أي: فهلا ﴿ تُصَدِّقُونَ ﴾ أي: بالبعث، يقوله للمشركين.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾ يعني النطفة كقوله عز وجل: (نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ تُمْنَىٰ) [القيامة: 37] وكقوله: (مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ) [النجم: 46] قال تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَـٰلِقُونَ ﴾ على الاستفهام، أي: لستم بالذي تخلقونه، ولكن نحن الخالقون.

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ ﴾ أي: لكل عبد وقت لا يعدو وقته، وقال: مجاهد: المتأخر منهم والمُسْتَعجِل. قال: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ أي: بمغلوبين ﴿ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ ﴾ أي: آدميين خيراً منكم. يقوله للمشركين. ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي في صورة القردة والخنازير، في تفسير الحسن. وقال مجاهد: في أي: خلق شاء.

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ ﴾ أي: خلق آدم وذريته بعده، وقال مجاهد:

يعني إذ لم تكونوا شيئاً. قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا ﴾ أي: فهلا ﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: فتؤمنوا بالبعث.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ ﴾ أي: تنبتونه، يقوله على الاستفهام ﴿ أَمْ نَحْنُ الزَّرِعُونَ ﴾ أي: لستم الذين تزرعونه ولكن نحن الزارعون المنبتون.

قال: ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَهُ ﴾ يعني الزرع ﴿ حُطَماً ﴾ وهو كقوله عز وجل: (ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَيهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً ﴾ [الحديد: 20]، وكقوله: (هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾ [الكهف: 45] ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ تفسير الحسن: تَنَدَّمون، أي: على ما أنفقتم في الزرع. وقال مجاهد: أي: فَظَلْتُم تعجبون [المعنى تعجبون لهلاكه بعد خضرته[1] ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ أي: غرمنا في الزرع[2] ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أي: حرمنا الزرع.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ﴾ تفسير ابن عباس: المزن السحاب. وهو قول مجاهد. وتفسير الحسن: السماء. قال تعالى: ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ على الاستفهام، أي: لستم أنتم أنزلتموه من المزن، ولكن نحن المنزلون.

﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَهُ أُجَاجاً ﴾ أي: مرّاً ﴿ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: فهلا تؤمنون. يقوله للمشركين.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ أي: توقدون ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا ﴾ أي: التي تخرج منها ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾ أي الخالقون، يعني أم نحن المنبتون.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 351.

(2) كذا في ق و ع: أي: «غرمنا في الزرع»، وفي ز. «إنا لمهلكون». وفي تفسير مجاهد ص 650: «يقول: إنا لملقون للشر». وقال أبو عبيدة والفراء وابن قتيبة: «إنا لمعذبون». وزاد ابن قتيبة: من قوله عز وجل: (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً) أي: هَلَكَة.

﴿ نَحْنُ جَعَلْنَـهَا تَذْكِرَةً ﴾ أي: للنار الكبرى. قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: ناركم هذه التي توقدون. إنها جزء من سبعين جزءاً من نار الآخرة. قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية. قال: فإنها فضلتها تسعة وستين جزءاً. ولقد ضرب بها في الماء مرتين[1].

ذكروا عن سلمان الفارسي قال: النار سوداء مظلمة ما يضيء لهبها، ثم قرأ هذه الآية: (وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ) [الأنبياء: 100].

ذكر الحسن قال: كان عمر بن الخطاب إذا هم أن يوقد النار [أوقد] ثم يدني أصبعه منها فيقول: يا ابن الخطاب، ألك على هذا صبر؟.

ذكر بعضهم قال: فما ظنكم عباد الله بعبد قد جعلت في عنقه سلسلة محماة تحرق ما ظهر من جسده وما بطن؛ فلو أن حلقة من تلك السلسلة وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص، فكيف بابن آدم، وهي عليه وحده. ثم يطمس وجهه على دبره، ويجمع ما بين ناصيته وقدمه، وقرن معه شيطانه، تنازعهم الأغلال في حميم، فبئس القرناء قرنوا معه. فويل لابن آدم حين هو مسود الوجه، بادىء العورة، ذليل الجسد، كاسف البال، آيس من كل خير، مستيقن من كل شر، تسحبه الملائكة بالسلاسل في نار تغلي على القطران، والقطران يغلي على جسده.

قال تعالى: ﴿ وَمَتَـعاً لِّلْمُقْوِينَ ﴾ أي: يستمتعون بها. والمقوون المسافرون في تفسير الحسن[2].

وقال بعضهم: المقوي المسافر المرمل. والمرمل الذي قد ذهب زاده[3]. وقال مجاهد: المقوون المستمتعون.

---

(1) انظر الإشارة إلى هذا الحديث فيما سلف، ج 2 ص 158.

(2) وهذا ما ذهب إليه ابن قتيبة أيضاً. قال في تفسير غريب القرآن، ص 451: «(لِلْمُقْوِينَ) يعني المسافرين، سموا بذلك لنزولهم القَوَاءَ، وهو القفر».

(3) وهذا ما ذهب إليه أبو عبيدة. قال في المجاز، ج 2 ص 252: المقوي الذي لا زاد معه ولا مال، وكذلك الدار التي قد أقوت من أهلها.

قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ قال بعضهم: بلغنا أنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ: اجعلوها في ركوعكم. قال: ولما نزلت: (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَىٰ) [الأعلى: 1] قال: اجعلوها في سجودكم[1].

قوله عز وجل: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾ وهذا قسم. وأقسم ولا أقسم واحد. قال تعالى: ﴿ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ أي نجوم القرآن، وهي تقرأ بموقع النجوم، أي بنزول الوحي، فيما ذكر عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس[2].

وتفسير الحسن: يعني الكواكب إذا انتثرت يوم القيامة. وبعضهم يقول: النجوم إذا غابت. وقال مجاهد: موقع نجوم السماء.

قال: ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ أقسم بمواقع النجوم إن هذا القرآن كريم أي: على الله. ﴿ فِي كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ أي: عند الله، بأيدي السفرة الكرام البررة. ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ أي: من الذنوب، يعني الملائكة ﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: نزل به جبريل. وفيها تقديم؛ يقول: نزل من رب العالمين في كتاب مكنون لا يمسّه إلا المطهّرون.

قال: ﴿ أَفَبِهَـٰذَا الْحَدِيثِ ﴾ يعني القرآن ﴿ أَنْتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ أي: تاركون له، يقوله للمشركين. كقوله عز وجل: (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) [القلم: 9] أي: ودوا لو تدع هذا الأمر الذي بعثت به فيدعونه. قال: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ كقوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً) [إبراهيم: 28].

---

(1) أخرجه ابن ماجه في باب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب التسبيح في الركوع والسجود، (رقم 887) وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما يقوله الرجل في ركوعه وسجوده، (رقم 869) كلاهما يرويه من حديث عقبة بن عامر الجهني.

(2) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 129: «قال: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ) قال: بمحكم القرآن، وكان ينزل على النبي ﷺ نجوماً». وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 252: «فأقسم بمواقع النجوم، ومواقعها مساقطها ومغايبها».

قال: ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ أي النفس التي زعمتم أن الله لا يبعثها. ﴿الحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا﴾ أي: فهلا ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: غير محاسبين في تفسير بعضهم: وقال بعضهم: غير مقرِّين بالبعث. وقال بعضهم: غير مملوكين[1] ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ يعني النفس إلى الدنيا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أي: بأنكم لا تبعثون.

قال: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾. وهي تقرأ على وجهين: فـ (رَوْحٌ)، و فـ (رُوحٌ) وكان الحسن يقرأها: فرُوح، بضم الراء. وتفسير الحسن في (رُوح) الحياة الطويلة في الجنة. وبعضهم يقول: الروح: الرحمة. ومقرأ الكلبي: فَـرَوْحٌ، يعني الراحة. وقال الكلبي: الريحان: الرزق[2].

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحاً قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان، وربّ راض غير غضبان. يقال لها ذلك حين ينتهى بها إلى السماء، فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون فلان بن فلان. فيقولون: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب. ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان، ورب راض غير غضبان. فيقال لها ذلك، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة.

فإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد

---

(1) اختلف المفسرون قديماً في المراد من قوله غير مدينين وروي في معناه خمسة أقوال والراجح منها حسبما ذهب إليه جمهور المفسرين أن معناه غير مجزيين، وهو ما ذهب إليه أبو عبيدة في المجاز، وكان الفراء رجح معنى غير مملوكين.

(2) جاء في معاني الفراء. ج 3 ص 121 ما يلي: «قال الفراء قال: وحدثني شيخ عن حماد بن سلمة عن عبد الله بـن شقيق عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: (فرُوح وريحان) وقراءة الحسن كذلك والأعمش وعاصم والسلمي وأهل المدينة وسائر القراء (فرَوْح) أي: فرَوح في القبر ومن قرأ: (فرُوح) يقول: حياة لا موت فيها (وَرَيْحَانٌ): رزق».

الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق (وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) [سورة صٓ: 58]. فيقولون ذلك لها حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها. فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان. فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة، ارجعي ذميمة فإنه لن يفتح لك، فترسل بين السماء والأرض، ثم يصيران إلى القبر.

ذكروا عن الحسن أنه قرأ هذه الآية: (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ). فقال: ذلك في الآخرة. فسأله بعض القوم فقال: أما والله إنهم ليرون عند الموت.

ذكروا عن بعض التابعين قال: إن المؤمن عند الموت يؤتى بحزمة[1] ريحان فيشمها ثم يموت.

قال تعالى: ﴿ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾.

قال عالى: ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ الْيَمِينِ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ [أي فخير لك][2] مِنَ أَصْحَـٰبِ الْيَمِينِ ﴾ وهؤلاء أصحاب اليمين من غير المقرّبين. وهم أصحاب المنزل الثاني في هذه السورة وفي سورة الرحمٰن. وهي أيضاً في سورة الملائكة في المقتصد والسابق، والسابق يدخل الجنة بغير حساب. والمقتصدون هم الذي يحاسبون حساباً يسيراً، وهم أصحاب المنزل الآخر.

قال: ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ ذكروا عن عطاء بن السايب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وبعضهم يرفعه إلى النبي عليه السلام قال: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، وإن المؤمن إذا احتضر أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وأحب الله لقاءه... وإن الكافر إذا احتضر كره لقاء الله وكره الله لقاءه[3]. ثم تلا هذه الآية: (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ

---

(1) في ق و ع: بحوزة ريحان، ولا معنى لحوزة هنا فأثبت ما رأيت أنه الصواب: حزمة.

(2) زيادة من ز ورقة 351. وفي معاني الفراء ج 3 ص 121: «أي: فذلك مسلّم لك أنك من أصحاب اليمين. وانظر معاني أخرى لقوله: (فَسَلَامٌ لَّكَ) في تفسير القرطبي ج 17 ص 233.

(3) حديث متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب الرقائق: باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه عن عائشة. وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، (رقم 2683) عن عبادة بن الصامت، و (رقم 2684)، عن عائشة.

الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ. . .) إلى ختام السورة.

قوله: ﴿ إِنَّ هٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ أي: إن هذا الذي قصصنا عليك في هذه السورة ليقين حق][1] ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [أي: نزّه الله من السوء][1].

(1) زيادة من ز، ورقة 352.

تفسير سورة الحديد، وهي مدنية كلها[1].

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾. قال بعضهم: العزيز في نقمته، الحكيم في أمره. وتفسير الحسن: العزيز: بعزته ذل من دونه.

قوله: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ ﴾ [يعني قبل كل شيء] ﴿ وَالآخِرُ ﴾ [بعد كل شيء] ﴿ وَالظَّـٰهِرُ ﴾ [يعني العالم بما ظهر] ﴿ وَالْبَاطِنُ ﴾ [يعني العالم بما بطن][2] ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

ذكروا عن الحسن قال: اجتمعت أربعة أملاك فقالوا لأحدهم: من أين جئت؟ فقال: من السماء السابعة من عند ربي، ثم قالوا للثاني: من أين جئت فقال: من الأرض السابعة من عند ربي. فقالوا للثالث: من أين جئت؟ فقال: من المشرق من

---

(1) في ق و ع: «مكية كلها» وهو خطأ من ناسخ ولا شك، فإنه لم يقل بأنها مكية إلا ابن السائب. والجمهور على أنها مدنية. وممن قال بأنها مدنية ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وجابر بن زيد وقتادة ومقاتل. ومما يؤكد أنها مدنية ذكر الفتح فيها في الآية: 10، وهو فتح مكة. وكذلك ذكر المنافقين والمنافقات في الآية: 13. وأغلب الآيات التي نزلت في المنافقين إنما هي آيات مدنية وفي سور مدنية. وجاء في ز ورقة 352: وهي مدنية كلها.

(2) ما جاء بين معقوفين في تفسير هذه الآية زيادة من ز.

عند ربي. فقالوا للرابع من أين جئت؟ فقال: من المغرب، من عند ربي. ثم تلا هذه الآية: (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). ولا أعلمه إلا رفعه إلى النبي عليه السلام.

قوله عز وجل: ﴿ هُوَ الذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ وفيها إضمار: خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، اليوم منها ألف سنة كقوله: (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ). [الحج: 47].

قال: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾. ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: بين السماء السابعة وبين العرش كما بين سماءين. ذكروا عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أنه قال: لا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه.

قوله عز وجل: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: ما يدخل في الأرض من المطر ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ أي: من النبات ﴿ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ أي: من وحي وغيره. ﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ أي: ما يصعد إليها من الملائكة وأعمال العباد[1].

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لَّهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ أي: يوم القيامة.

قوله عز وجل: ﴿ يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ ﴾ وهو أخذ كل واحد منهما من صاحبه. ﴿ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾. أي: بما في الصدور.

قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ أي بعد الأمم التي أهلك الله واستخلفكم في الذي كان في أيديهم[2]. كقوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ) [يونس: 14] قال: ﴿فَالذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا ﴾ أي: في سبيل الله ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ أي: الجنة.

(1) جاء في ق و ع ما يلي: (وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا) «أي: من الوحي الذي تعرج به الملائكة». وما أثبته من ز ورقة 352 أصح عبارة وأوفى معنى.

(2) وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 132: «مملكين فيه، وهو رزقه وعطيته».

قال عز وجل: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ﴾ أي: في صلب آدم عليه السلام. قال تعالى: ﴿ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم مؤمنين بالله وبالرسول فأنتم مؤمنون بذلك الميثاق. وإن كفرتم بالله وبالرسول فأنتم كافرون بذلك الميثاق.

قوله عز وجل: ﴿ هُوَ الذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ﴾ أي: القرآن ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي: من الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَىٰ يعني من أراد الله أن يهديه. قال: ﴿ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ رجع إلى الكلام الأول: (وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ). قال تعالى: ﴿ وَللهِ مِيرَٰثُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يعني يبقى بعد كل شيء ويهلك كل شيء. كقوله عزّ وجلّ: (إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) [مريم: 40].

قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ﴾ [فيها تقديم: لا يستوي من أنفق منكم من قبل الفتح وقاتل](1)، وهو فتح مكة ﴿ أُولَـٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ أي: الجنة، من أنفق وقاتل قبل فتح مكة وبعده. قال: ﴿ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

ذكروا عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: لا هجرة بعد فتح مكة (2).

ذكروا عن صفوان بن أمية(3) وسهيل بن عمرو(4) ورجلين آخرين قدموا على

(1) زيادة من ز، ورقة 352.

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير عن ابن عباس بلفظ: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا. وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة عن ابن عباس (رقم 1353) وعن عائشة (رقم 1864).

(3) هو صفوان بن أمية بن خلف القرشي الجمحي، وكنيته أبو وهب. انظر ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر، ج 2 ص 718، وفي سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج 2 ص 405.

(4) في ق و ع جاء الاسم هكذا سهل بن عمر والصحيح ما أثبته سهيل بن عمرو بن عبد شمس =

النبي ﷺ من مكة فقال: ما جاء بكم؟ فقالوا: سمعنا أنه لا إيمان لمن لم يهاجر. فقال: إن الهجرة قد انقطعت ولكن جهاد ونية وحسبة[1]. ثم قال: أقسمت عليك يا أبا وهب لترجعن إلى أباطح مكة.

قوله: ﴿ مَنْ ذَا الذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾ [أي: محتسباً][2] وهذا في لنفقة في سبيل الله وفي صدقة التطوع ﴿ فَيُضَـٰعِفُهُ لَهُ ﴾ وتفسيره في سورة البقرة: (مَثَلُ الذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَّشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: 261].

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فهو لي وأنا أجازي به الجنة[3].

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: ما أنفق عبد من نفقة أفضل من نفقة قول[3].

قال تعالى: ﴿ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ أي: ثواب كريم، وهو الجنة.

قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤمِنِينَ وَالْمُؤمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: يقودهم إلى الجنة ﴿ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ بُشْرَيٰكُمُ الْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ ﴾ أي: وبأيمانهم كتبهم، وهي بشراهم بالجنة، وذلك على الصراط. ومثلها في سورة: يا أيها النبي لم تحرم في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِي وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ [التحريم: 8] قال تعالى: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ أي: النجاة العظيمة من الجنة إلى النار.

= القرشي العامري من سادات قريش وأشرافهم، ويكنى أبا يزيد. وكان خطيب قريش له مواقف قبل إسلامه وبعد إسلامه. انظر ترجمته في الاستيعاب ج 2 ص 669.

(1) كذا وردت الكلمة: وحسبة. ولعلها «ونية حسنة».

(2) زيادة من ز ورقة 352.

(3) انظر الإشارة إليه فيما مضى، ج 1 ص 245 - 246.

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَـٰفِقُونَ وَالْمُنَـٰفِقَـٰتُ ﴾ أهل التضييع والخيانة من أهل الإقرار[1] ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهم على الصراط، يقولون للمؤمنين إذا طَفِىءَ نورُهم ﴿ انْظُرُونَا ﴾ [أي: انتظرونا][2] ﴿ نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾. وذلك أنه يعطى كل مؤمن وكل منافق نوراً على الصراط، فيطفأ نور المنافقين ويبقى نور المؤمنين، فيقول المنافقون للمؤمنين (انظُرُونَا نَقْتَبس مِن نُّورِكُمْ) ويَحْسِبون أنه قبس كقبس الدنيا إذا طفئت نار أحدهم اقتبس[3] فقال لهم المؤمنون، وقد عرفوا أنهم منافقون ﴿ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ ﴾ أي إلى الدنيا[4] ﴿ فَالْتَمِسُوا نُوراً ﴾ أي: فمن ثَمَّ يكسب الإيمان الذي هو نور. فرجعوا وراءهم فلم يجدوا شيئاً. فهنالك أدركتهم خدعة الله. وخدعة الله إياهم قوله: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) [النساء: 142].

ذكروا عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: ... أعطى كل إنسان مؤمن ومنافق نوراً، وتغشى ظلمة[5] معهم المنافقين على جسر جهنم، فيه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله. ثم يطفأ نور المنافقين وينجو نور المؤمنين. وينجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضـوإ نجم في السماء أضاء. ثم كذلك [حتى] ينجو آخر زمرة.

---

(1) هذه عبارة للشيخ هود الهواري، وكأنها تعريف للمنافقين عنده.

(2) زيادة من ز. وانظر معاني الفراء ج 3 ص 133 كيف حقق المؤلف معنى القراءتين: (انْظُرُونَا) بمعنى الانتظار، و(أَنْظِرُونَا) بمعنى التأخير، ثم جمع بين القراءتين فقال: «وقد تقول العرب انظرني، وهم يريدون انتظرني، واستشهد ببيت عمرو بن كلثوم:

أبـا هـنـد فـلا تـعـجـل عـلـيـنـا وانـظـرنـا نـخـبـرك الـيـقـيـنـا

وقال: فمعنى هذه: انتظرنا قليلاً نخبرك. وقد نقل الطبري في تفسيره ج 27 ص 224 عبارات الفراء هذه حرفياً ونسبها إليه.

(3) الاقتباس أن يطلب الإنسان من جاره القَبَس، وهو الشعلة، أو الجذوة، من النار.

(4) وقال الفراء: «أي ارجعوا إلى الموضع الذي أخذنا منه النور».

(5) كذا وردت هذه العبارة بل هذا الحديث كله مضطرباً غير كامل في ق و ع. ولم أعثر عليه في كتب الحديث لتحقيقه وتصحيحه. وأقرب حديث في معناه ما أورده السيوطي في الدر المنثور، ج 4 ص 172، وأخرجه الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس.

وبلغنا أن النور الذي يعطي المؤمنون على قدر أعمالهم فيجوزون الصراط على قدر أعمالهم كالبرق وكالريح وكجواد الخيل وكجواد البهائم. ويسعى الرجل سعياً، ويمشي مشياً، وتزل قدم وتستمسك أخرى، ولا يجاوز نور أحدهم قدميه. وبعضهم يزحف زحفاً، وبعضهم يتلبّط على بطنه.

وقال الكلبي في الذي يزحف زحفاً: هم الذين (يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا).

قوله عز وجل: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ ﴾ تفسير مجاهد: السور: الأعراف[1]. ﴿ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ﴾ أي: الجنة ﴿ وَظَـٰهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ أي: النار.

قال بعضهم: بلغنا أنه جبل أُحُد. قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: أحد جبل يحبنا ونحبه. وإنه يمثل يوم القيامة بين الجنة والنار ويحبس عليه أقوام يعرفون بسيماهم هم إن شاء الله من أهل الجنة[2].

وتفسير الحسن: إن السور فصل[3] بين الجنة والنار.

وبلغنا أن أصحاب الأعراف يميل بهم الصراط مرة إلى الجنة ومرة إلى النار، ثم يصيرون إلى الجنة؛ وهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، وقد فسّرنا أمرهم في سورة الأعراف[4].

قال: ﴿ يُنَادُونَهُمْ ﴾ أي ينادي المنافقون المؤمنين حين ضرب الله بينهم بسور: ﴿ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ أي في الدنيا، أي على دينكم، نشهد بشهادتكم، ونتنسك مناسككم ﴿ قَالُوا ﴾ أي قال لهم المؤمنون: ﴿ بَلَىٰ ﴾ [أي فيما أظهرتم][5]

(1) في تفسير مجاهد، ص 657: «والسور كالحجاب في الأعراف».
(2) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 20.
(3) كذا في ق و ع، ولعلها يفصل، أو فاصل.
(4) انظر ما مضى ج 2 ص 19 - 22.
(5) زيادة من ز، ورقة 352.

﴿ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي: بالمعاصي ﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ ﴾ أي: بالتوبة. ﴿ وَارْتَبْتُمْ ﴾ أي: وشككتم أن يعذبكم الله بعد إقراركم وشهادتكم ﴿ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ ﴾ التي منيتم بها أنفسكم من قولكم: يهلك محمد وأصحابه فلا نستفسد إلى إخواننا من المشركين. ﴿ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ أي: الموت وأنتم على حالكم هذه ﴿ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ وهو الشيطان، غرّكم بوسواسه إليكم أن الله لا يعذبكم بعد إقراركم وتوحيدكم[1].

قوله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ ﴾ يا أهل النفاق لأن المخاطبة إنما كانت من الله لهم ﴿ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أيضاً، يعني أهل الإنكار والجحود[2].

قال تعالى: ﴿ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ﴾ يعني المنافقين والكفار والجاحدين، كقوله عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً) [النساء: 140] قال: (مَأْوَاكُمُ النَّارُ) أنتم المنافقون والكفار. ﴿ هِيَ مَوْلَاكُمْ ﴾ أي: كنتم تتولونها في الدنيا فتعملون عمل أهلها الذين يدخلونها اليوم، فهي مولاكم اليوم ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.

قوله: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ[3] لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ والخشوع الخوف الثابت في القلب ﴿ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ أي القرآن ﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

---

(1) كذا ورد تأويل هذه الآية في ق و ع، وهو تأويل من الشيخ هود الهواري يؤكد به رأي الأباضية في مسألة الكفر والإيمان. وهذا ما جاء في تفسير ابن سلام من اختصار ابن أبي زمنين كما جاء في مخطوطة ز، ورقة 352: «(وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ) أي أكفرتم أنفسكم، (وَتَرَبَّصْتُمْ) أي بالنبي، وقلتم: يهلك ونرجع إلى ديننا (وَارْتَبْتُمْ) أي: وشككتم، (وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ) أي ما كنتم تتمنون من قولكم: يهلك محمد وأصحابه فنرجع إلى ديننا، (حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) قال بعضهم: يعني الموت (وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ) الشيطان أخبركم بالوسوسة إليكم أنكم لا ترجعون إلى الله».

(2) كذا في ق و ع، وجاء في ز ما يلي: «يعني الذين جحدوا في الدنيا في العلانية. وأما المنافقون فجحدوا في السر وأظهروا الإيمان فآمنوا كلهم في الآخرة فلم يقبل منهم».

(3) قال ابن أبي زمنين: «أنى الشيء يأني إذا حان». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 134: «وفي (يَأْنِ) لغات: من العرب من يقول: ألم يأن لك، وألم يئن لك مثل: يعن، ومنهم من يقول: ألم يَنَل لك باللام، ومنهم من يقول: ألم يُنَل لك. وأحسنهن التي أتى بها القرآن».

مِنْ قَبْلُ ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ ﴾ أي: الدهر، يعني بقاءهم في الدنيا ﴿ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فغلظت قلوبهم ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ أي: من ثبت منهم على الشرك.

وتفسير الحسن قال: نزلت هذه الآية (أَلَمْ يَأْنِ لِلذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ) قال: نزلت والله وهم أهل الصلاة والصوم والأعمال الحسنة، وهم أصحاب النبي عليه السلام فاستزادهم بذلك.

وبعضهم يقول: نزلت في المنافقين: (أَلَمْ يَأْنِ لِلذِينَ ءَامَنُوا) أي: الذين أقرّوا ولم يعملوا (أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِن الْحَقِّ) أي: فيصدُقوا في القول والعمل كما فعل المؤمنون الذين صدَقوا الله في قولهم وعملهم[1].

قوله: ﴿ اِعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي: فكذلك يقدر أن يحيي الموتى. وقال بعضهم: وكذلك يُلين القلوبَ بالذكر بعد قساوتها. ﴿ قَد بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: لكي تعقلوا عن الله بيانه لكم.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَـٰتِ ﴾ أي: المتصدّقين والمتصدّقات ﴿ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾ هذا في التطوّع، أي يقدمون لأنفسهم ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمْ ﴾ أي: يضاعف لهم الثواب عليه ﴿ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ أي ثواب كريم، أي: الجنة.

قال تعالى: ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ﴾ أي: صدَّقوا بما جاء من عند الله، وعملوا بما صدّقوا به ﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: الذين يقاتلون في سبيل الله.

وتفسير الشهداء: يشهدون كرامة الله، في تفسير الحسن. وقد ترجى الشهادة لأقوام لم يُقتلوا في سبيل الله سيُلحقهم الله بالشهداء.

(1) كذا في ق و ع، وهو من تأويل الشيخ هود الهواري، وفي ز، ورقة 353: «نزلت في المنافقين، أمرهم أن يخلصوا الإيمان كما أخلص المؤمنون».

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه يوماً: ما الشهيد عندكم؟ قالوا: القتيل في سبيل الله. فقال: إن شهداء أمتي إذاً لقليل. ثم قال: القتيل في سبيل الله شهادة، والبطن شهادة، والطاعون شهادة، والغرق والحرق شهادة، والنِّفاس شهادة، والسّلّ شهادة[1].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ما بين حياة الشهيد في الدنيا وحياته في الآخرة إلا كمضغ تمرة[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد القرصة[3].

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ : من سأل الشهادة صادقاً من قِبَل نفسه فله أجر الشهيد وإن مات على فراشه[4].

ذكروا عن الحسن أنه قرأ هذه الآية: (اَلذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) فقال: كل مُّؤمن شهيد وإن مات على فراشه. [وتفسير مجاهد في قوله: (وَالشُّهَدَاءُ): يشهدون على أنفسهم بالإيمان][5].

قال تعالى: ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ قال: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴾.

---

(1) رواه الربيع بين حبيب في مسنده من حديث أبي هريرة في كتاب الجهاد، باب في عدة الشهداء، (رقم 449، ورقم 451) وأخرجه مسلم في صحيح في كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء من حديث أبي هريرة وأوله: «ما تعدون الشهيد بينكم...» (رقم 1915).

(2) لم أجده فيما بين يدي من مراجع التفسير والحديث.

(3) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 159.

(4) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى عن سهل بن حنيف، (رقم 1909)، وأخرجه الترمذي في فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن سأل الشهادة، من حديث معاذ بن حبل.

(5) زيادة من ز ورقة 353، ومثلها في تفسير مجاهد ص 658.

قوله: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ أي: إنما أهل الدنيا أهل لعب ولهو، [يعني المشركين][1] ﴿ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ ﴾ أي: مطر ﴿ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾[2] يعني ما أنبتت الأرض من ذلك المطر ﴿ ثُمَّ يَهِيجُ ﴾ ذلك النبات ﴿فَتَرَيٰهُ مُصْفَرّاً ﴾ أي: يصفار ﴿ ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰماً ﴾ [أي: متكسّراً ذاهباً][1] كقوله: (هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ) [الكهف: 45] ﴿ وَفِي الْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ أي: للكافرين ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ ﴾ أي: للمؤمنين. ﴿ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ ﴾ أي: يغترّ بها أهلها.

ذكروا عن أبي عبد الله قال: سمعت أبا الدرداء يقول: الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما أوى إليه ذكر الله.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[3].

قوله: ﴿ سَابِقُوا ﴾ أي: بالأعمال الصالحات ﴿ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ يعني جميع السماوات وجميع الأرضين مبسوطات كل واحدة إلى جانب صاحبتها. هذا عرضها، ولا يصف أحد طولها. وقال في آية أخرى: (عَرْضُهَا السَّمَٰوَاتُ والأَرْضُ) [آل عمران: 133] أي: الأرضين السبع.

قال تعالى: ﴿ أُعِدَّت لِلذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ﴾. ذكروا عن الحسن قال: أرض الجنة رخام من فضة، وترابها مسك أذفر أشد بياضاً من جواريكم هذه، وحيطانها لبنة

---

(1) زيادة من ز.

(2) جاء في ز ورقة 353 ما يلي: قال محمد: لم يفسّر يحيى معنى الكفار، ورأيت في كتاب غيره أنهم الزّرّاع. يقال للزارع كافر لأنه إذا ألقى البذر في الأرض كفره أي: غطاه. وقيل: قد يحتمل أن يكون أراد الكفار بالله، وهم أشد إعجاباً بزينة الدنيا من المؤمنين، والله أعلم بما أراد».

(3) انظر ما سلف، ج 1 ص 338.

من ذهب ولبنة من فضة، وبلاطها المسك الأذفر، وجذوع نخلها ذهب، وسعفها حلل، ورطبها مثل قلال هجر، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، وإن أدنى أهل الجنة منزلاً آخرهم دخولاً، فيعطى فيقال له: انظر ما أعطاك الله، فيفسح له في بصره فينظر إلى مسيرة خمسمائة سنة كله له، ليس فيه شبر إلا وهو عامر قصور الذهب والفضة وخيام الياقوت، فيه أزواجه وخدمه، يغدى عليه كلَّ يوم بسبعين ألف صحفة من ذهب، ويُراح عليه بمثلها، في كل واحدة منها لون ليس في صاحبتها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها. لو نزل به الجن في غداء واحد لوسعهم، ولا ينقص ذلك مما عنده شيئاً.

بلغنا أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَـوَاتُ وَالأَرْضُ) قال: هي مائة درجة كل درجة منها عرضها السماوات والأرض (1).

قال: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَّشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾.

قوله: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ ﴾ يعني الجدوبة ونقص الثمار ﴿ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ يعني الأمراض والبلايا في الأجساد ﴿ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾ أي: من قبل أن نخلقها. تفسير الحسن: من قبل أن يخلق الله تلك النفوس. وبعضهم يقول: من قبل أن يخلق الله السماوات والأرض. ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ أي: هيِّن.

تفسير الحسن: إن الله كتب عنده كتاباً: إن ذنب كذا وكذا عقوبته كذا وكذا. فيعفو عن أكثر ذلك ويعاقب من ذلك ما يشاء؛ وهو قوله: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَت أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ). [الشورى: 40].

قال تعالى: ﴿ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا ﴾ أي: لكي لا تحزنوا ﴿ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ أي: من الدنيا، أي فيما أصابكم في الأرض وفي أنفسكم. أي: فيعلمون أن ذلك بذنب،

(1) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة: وانظر ما سلف ج 1 ص 781، ورواه الترمذي عن أبي هريرة بلفظ: في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام.

فيعتبرون ويتوبون. ﴿ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَيٰكُمْ ﴾ أي: من الدنيا.

ذكروا عن الحسن عن عبد الله بن عمر أنه قال: ما أبالي على أي حال رجعت إلى أهلي؛ لئن كانوا على عسر إني أنتظر اليسر، وإن كانوا على يسر إني لأنتظر العسر.

وبلغنا أن حذيفة قال: إن أقرّ أيامي لعيني يوم أرجع إلى أهلي وهم يشكون إلي الحاجة.

ذكروا أن. . . [1] امرأة مسروق، قالت: ما قلت لمسروق قط: ما أصبح لعيالك اليوم رزق إلا تبسّم ضاحكاً وقال: أما والله ليأتينهم الله برزق.

وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال: والله ما أبالي أي حال سبق إلي: يسر أم عسر، لأن أحدهما يتلو صاحبه، ثم تلا هذه الآية: (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) [الشرح: 5-6]. قال تعالى: ﴿ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾.

قوله: ﴿ الذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ يعني اليهود يأمرون إخوانهم بالبخل، أي: بكتمان ما في أيديهم من نعت محمد عليه السلام، وبالإسلام وبالزكاة. قال: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ الْغَنِيُّ ﴾ أي عن خلقه ﴿ الْحَمِيدُ ﴾ أي المستحمد إلى خلقه، أي: أوجب عليهم أن يحمدوه.

قوله عز وجل: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ ﴾ أي: وجعلنا معهم الميزان، وهو العدل. كقوله: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) [الرحمٰن: 7] أي: وضع الميزان في الأرض ﴿ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل. ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾ أي: وجعلنا الحديد، أخرجه الله من الأرض ﴿ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ يعني السلاح من السيوف والدروع وغيرها. وقال في الدروع، (لِيُحْصِنَكُم مِّن

(1) وردت الكلمة في ق هكذا: «كمن»، وفي ع هكذا: «كمسر» ولم أهتد لتحقيقها ولم أجد اسم امرأة مسروق بن الأجدع فيما بين يدي من كتب التراجم. وقد توفي مسروق سنة ثلاث وستين للهجرة.

بَأْسِكُمْ) [الأنبياء: 80] والبأس: القتال، وجعل فيه أيضاً جُنّة من القتل والدروع وما حرمته[1]. ﴿ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ يعني ما ينتفعون به من الحديد في معايشهم.

قال: ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ أي بالإيمان بالغيب. والغيب: البعث والحساب والجنة والنار. فإنما ينصر اللهَ ورسلَه مَن يؤمن بهذا، وهذا علم الفعال. قال: وليعلمنكم الله ناصرين دينه ورسله أو تاركين نصرتهما. قال: ﴿ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ ﴾ أي: في سلطانه ﴿ عَزِيزٌ ﴾ أي: في نقمته.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَـٰبَ ﴾ فكان أول كتاب نزل فيه الحلال والحرام كتاب موسى. قال: ﴿ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ ﴾ أي من ذريتهما ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي: من ذريتهما ﴿ فَـٰسِقُونَ ﴾ أي: مشركون ومنافقون.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَـٰرِهِمْ بِرُسُلِنَا ﴾ أي: جعلنا الرسل تبعاً يقفو بعضُها بعضاً، أي: بعضها على أثر بعض كالذي يقفو صاحبه ﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﴾ من بعدهم ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ الإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ أي: يرأف بعضهم ببعض، ويرحم بعضهم بعضاً، كقوله عز وجل: (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح: 29].

ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي: ما فرضناها عليهم، أي: إنما ابتدعوها ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ ﴾ ليتقرَّبوا بها إلى الله. قال الحسن: ففرضها الله عليهم حين ابتدعوها. قال: ﴿ فَمَا رَعَوْهَا ﴾ يعني الرهبانية ﴿حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ ولا ما فرضنا عليهم، أي: ما أدوا ذلك إلى الله. ﴿فَئَاتَيْنَا الذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ﴾ قال: ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ أي: مشركون ومنافقون. وهو فسق دون فسق، وفسق فوق فسق.

(1) كذا وردت هذه الجملة في ق وع، ولم أوفق إلى تصحيح ما فيها من التصحيف أو الخطأ في بعض كلماتها.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الجهاد[1].

قوله: ﴿ أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ﴾ أي أجرين ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ ﴾ أي: ويجعل لكم إيماناً [تهتدون به][2] كقوله عز وجل: (أَوَمَنْ كَانَ مَيِّتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) [الأنعام: 123] ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: لمن تاب.

قوله: ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَـٰبِ﴾ أي: ليعلم أهل الكتاب. وهذه كلمة عربية (لِئَلَّا يَعْلَمَ) وَ (لِيَعْلَمَ) بمعنى واحد. وهو كقول الرجل: أجل، وأجل لا، ويقول الله: (لَا أُقْسِمُ) وأقسم، وهذا قسم، وهو واحد. ﴿ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ أي: إنهم لا يقدرون على شيء. ﴿ مِّن فَضْلِ اللهِ ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَّشَاءُ ﴾ ذكروا عن نافع عن [ابن عمر عن][3] النبي ﷺ قال: إنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى قبلكم كرجل استأجر عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط، فعملت اليهود إلى نصف النهار. ثم قال: من يعمل من نصف النهار إلى العصر على قيراط قيراط، فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط. ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين قيراطين. ألا وأنتم أصحاب القيراطين، ألا فلكم الأجر مرتين. فغضبت اليهود والنصارى فقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل أجراً. قال: فهل ظلمتكم من حقكم شيئاً. قالوا: لا. قال: فهو فضلي أوتيه من أشاء[4].

---

(1) أخرجه أحمد من حديث إياس بن مالك عن النبي ﷺ، وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وأبو يعلى والبيهقي في الشعب عن أنس كما في الدر المنثور، ج 6 ص 178.
(2) زيادة من ز، ورقة 354.
(3) زيادة لا بد منها.
(4) حديث صحيح، أخرجه البخاري في أبواب كثيرة من صحيحه، منها في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وفي كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار، وأخرجه الترمذي في =

قالت العلماء: فالنهار في هذا اثنتا عشرة ساعة. وكانت لليهود ست ساعات إلى نصف النهار. ثم كانت للنصارى من بعدها أربع ساعات من نصف النهار إلى صلاة العصر. ولأمة محمد عليه السلام ساعتان من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس.

ذكروا عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: إنما آجالكم في آجال من مضى قبلكم كما بين صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس[1].

ذكروا عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال يوماً من آخر النهار حين صارت الشمس على سعف النخيل وعلى شرف المسجد: إنما بقي من زمانكم هذا فيما مضى منه كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه.

ذكروا عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال: وقفت مع النبي عليه السلام عشية عرفة حتى إذا تدلت الشمس إلى الغروب واصفرت وعادت كالورس قال: إنما بقي من الدنيا فيما مضى كما بقي من شمس يومنا هذا.

قال: ﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فلا أعظم منه ولا أجل سبحانه.

= سننه، في أبواب الأمثال. باب ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله، كلاهما يرويه من حديث ابن عمر. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(1) هذا أول حديث ابن عمر السابق.

تفسير سورة المجادلة، وهي مدنية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ التِي تُجَـٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾. كان طلاق أهل الجاهلية ظِهاراً؛ يقول الرجل: أنتِ عليّ كظهر أمي.

وكانت خويلة[1] بنت ثعلبة تحت أوس بن الصامت فظاهر منها. فأتت النبي عليه السلام فقالت: يا رسول الله، إنه حين كبرت سني ظاهر مني زوجي، فلم يجر عليها[2] رسول الله ﷺ شيئاً، فأنزل الله آية الظهار.

وفي تفسير الكلبي: إن من قولها لرسول الله عليه السلام: فهل من شيء يجمعني وإياه يا رسول الله، فقال لها: ما أمرتُ فيكِ بشيء، ارجعي إلى بيتك فإن يأتني شيء أعلمتك به[3]. فلما خرجت من عنده رفعت يديها إلى السماء تدعو الله فأنزل الله: (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ التِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا).

قال: ﴿ وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ الذِينَ

(1) كذا ورد اسم هذه الصحابية في ق وع وز: «خويلة» بالتصغير. وكذلك ذكرها الطبري في تفسيره مرات، وأثبتها القرطبي كذلك. وأغلب كتب التفسير تذكرها باسم خولة، وذكرها الفراء في المعاني ص 128 باسم خولة. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب، ج 4 ص 1830: «خولة بنت ثعلبة، ويقال: خويلة، وخولة أكثر. وانظر الواحدي، أسباب النزول، ص 433-435.

(2) كذا في ع: «فلم يجر عليها» وهو الصحيح، وفي ق: «فلم يجز إليها».

(3) أخرجه الطبري بأسانيد في تفسيره ج 28 ص 3 عن ابن عباس. والقصة مشهورة في كتب التفسير، انظر مثلاً تفسير القرطبي. ج 17 ص 269-272.

يَظْهَّرُونَ مِنْكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ إِنِ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا الَّـي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً ﴾ أي: كذباً حيث يقول: أنتِ علي كظهر أمي، يحرّم ما أحلّ الله. قال: ﴿ وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَالذِينَ يَظْهَّرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا ﴾ أي: يعودون إلى ما حرّموا، أي: يريدون الوطء ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّنْ قَبْلِ أَن يَّتَمَاسَّا ذٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَن يَّتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِينَ مِسْكِيناً ﴾.

ذكروا عن الحسن قال: الظهار من كل ذات محرم. ويقول: إذا جعل امرأته عليه كظهر فلانة، لِمحرَم منه، أو سمّى أمَّه، فهو ظهار.

قوله: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) قال بعضهم: يجزي الصبي في كفارة الظهار وكل نسمة، صغيرة أو كبيرة، فهي تجزي في عتق الظهار. ويجزي أيضاً عتق يهودي أو نصراني. ولا تجزى أم الولد ولا المدبَّر[1].

وكان إبراهيم يقول في الذي لا يجد رقبة فيصوم شهرين متتابعين، إن مرض قبل الفراغ من الشهرين وأفطر فإنه يستأنف الصوم شهرين متتابعين. وإن أيسر العتق قبل أن يفرغ من الشهرين أعتق.

وقال أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: إذا صام فمرض قبل أن يفرغ من الشهرين، فإذا صح فليبن على ما صام قبل أن يمرض، فذلك يجزيه؛ وليس بأشدَّ من رمضان. وبهذا نأخذ، وعليه نعتمد وهو قول العامة من فقهائنا[2].

قوله: (فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَّتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً).

---

(1) في ق و ع: «وتجزي». والصواب ما أثبته: «لا تجزي». والتصحيح من مخطوطة ابن سلام؛ القطعة 180، جاء فيها: «ولا تجزي أم الولد، ولا المدبرة ولا المكاتبة، كل شيء لا يباع».

(2) هذا قول الشيخ هود الهواري، وهو واضح. فأبو عبيدة من الذين أرسوا أصول المذهب الأباضي.

ذكروا عن عطاء قال: سمعت أبا هريرة يقول: ثلاثة أشياء منهن مدّ مدّ: كفارة الظهار، وكفارة اليمين، وفدية الصيام.

ذكروا عن أبي زيد المدني أن رجلاً ظاهر من امرأته فلم يكن عنده ما يعتق ولم يستطع الصيام فقال له رسول الله ﷺ: تصدق بثلاثين صاعاً من شعير على ستين مسكيناً، ولكل مسكين مدان حتى يكون مكان كل مد مدان[1].

ذكروا أن أوس بن الصامت ظاهر من امرأته، فلم يقدر على رقبة، فلم يستطع الصوم فأعطاه رسول الله ﷺ خمسة عشر صاعاً من تمر فقال له: تصدق به على ستين مسكيناً، ولكل مسكين مد.

قال الحسن: إذا ظاهر الرجل من امرأته، فإن كان لم يمسّها قط فلا ظهار عليه، وإن كان قد مسّها مرة واحدة فعليه الكفارة.

قال إبراهيم: ليس في الأَمَة ظهار.

ذكروا عن نصر بن طريف عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس قال: من شاء باهلته عند الحجرات أن الله لم يجعل في الأَمَةِ ظهاراً. والكوفيون يقولون: لا ظهار عليه من أمته إلا أن تكون زوجته أمة فيجب عليه منها الظهار لأنها زوجة.

وقال أبو عبيدة: الظهار عليه من أمته زوجة كانت أو غير زوجة[2].

(1) الجملة الأخيرة من هذا الحديث غير واضحة المعنى. والصاع - كما نعلم - أربعة أمداد - وتذكر أغلب الروايات أن الرسول عليه السلام أعان أوس بن الصامت بخمسة عشر صاعاً لما عجز عن الصوم والإطعام فقال له رسول الله ﷺ: هل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً، فقال له أوس: لا والله يا رسول الله إلا أن تعينني منك بعون وصلة. وتذكر الروايات أيضاً أن أوساً أخرج من عنده خمسة عشر صاعاً مثلها حتى يستطيع أن يطعم ستين مسكيناً، مدين لكل منهما.

(2) هذا القول الذي رواه الشيخ هود منسوباً إلى أبي عبيدة في وقوع الظهار على الزوج في أمته مخالف لقول ابن عباس. وهي مسألة خلافية عند الإباضية وغيرهم؛ فقد روي عن بعضهم أنه لا ظهار في سرية الرجل لقوله تعالى: (الَّذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ) فأفهم التخصيص بالإضافة هنا أن المعنيّات بالظهار إنما هن الحرائر دون الإماء. انظر السالمي، جوهر النظام، ج 1

ذكر الحسن عن عمر بن الخطاب في رجل ظاهر من أربع نسوة بكلام واحد قال: عليه أربع كفارات. وقال بعضهم: إذا أجمل فكفارة واحدة، وإذا فرق فأربع كفارات، وهو قول أبي عبيدة والعامة من فقهائنا.

ذكروا عن علي قال: إذا ظاهر الرجل من امرأته مراراً في مقعد واحد في شيء واحـد، فكفارة واحدة، وإذا ظاهر في مقاعد شتى في شيء واحد، فعليه كفارات شتى.

قوله عز وجل: ﴿ ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ ﴾ أي: أحكام الله التي حدَّ في الظهار من العتق والصيام والإطعام.

قال تعالى: ﴿ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي يعادون الله ورسوله ﴿ كُبِتُوا ﴾ أي: أُخزوا ﴿ كَمَا كُبِتَ ﴾ أي: أُخزيَ ﴿ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ ﴾ أي: القرآن ﴿ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ وقد فسّرنا مهيناً.

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَـٰهُ اللهُ وَنَسُوهُ ﴾ أي: أحصى عليهم ما عملوا في الدنيا ونسوه. ﴿ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي: شاهد على أعمالهم.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاَثَةٍ ﴾ أي: يتناجون، أي: يتسارون ﴿ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ أي حاضرهم ولأعمالهم[1] ﴿ وَلاَ أَدْنَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ ﴾ في سرِّهم وعلانيتهم. قال: ﴿ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

= ص 229، وانظر الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج 29 ص 253. وقول مالك: إنه يلزم الظهار في كل أمة يجوز له وطؤها.

(1) كذا في ق و ع، وفي ز، ورقة 354 في قوله تعالى: (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ): ما يكون من خلوة ثلاثة يسرون شيئاً ويتناجون به إلا هو رابعهم أي: عالم به».

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوىٰ ﴾ وهم اليهود، نهوا أن يتناجوا بمعصية الله ومعصية الرسول وعن الطعن في دين الله ﴿ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ ﴾ [الإثم: المعصية، والعدوان: الظلم][1] ﴿ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ ﴾. كانوا يسلمون على النبي عليه السلام وأصحابه فيقولون: السام عليكم. والسام: الموت، في قول بعضهم، وتأويله في قول بعضهم: إنكم ستسأمون، أي: تملون هذا فتدعوه. فكان رسول الله ﷺ يرد عليهم على حد السلام. فأتاه جبريل فقال: إنهم ليسوا يقولون ذلك على وجه التحية، فقال النبي عليه السلام لأصحابه: إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك. أي: عليك ما قلت[2].

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا ﴾ أي: هلا ﴿ يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ من السام، أي: إن كان نبياً فسيعذبنا الله بما نقول. قال الله تعالى: ﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا﴾ [يعني الذين أقروا بالألسنة][3] ﴿ إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُـدْوَٰنِ وَمَعْصِيَـتِ الرَّسُولِ ﴾ أي: كما صنعت اليهود من هذه النجوى التي ذكروا. قال: ﴿ وَتَنَاجَوْا بِالبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللهَ الذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَـٰنِ لِيُحزِنَ الذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

تفسير الحسن أن رجلاً من المسلمين كان يأتي رسول الله ﷺ فيستخليه

(1) زيادة من ز، ورقة 355.
(2) انظر الإشارة إليه فيما مضى، ج 1 ص 405.
(3) زيادة من ز، ورقة 355.

لحاجته، فكان الشيطان يوقع في قلوب المؤمنين الحزنَ، يقول: إن صاحبكم هذا إنما خلا برسول الله ليبغّضكم عنده، قال تعالى: (وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ) ذلك، أي الذي وقع في قلوبهم، (شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) فأراد أن يعصم المؤمنين ألا يستخلي أحد منهم بالنبي عليه السلام.

وقال الكلبي في قوله تعالى: (إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ. . .) إلى آخر الآية: إن المنافقين كانوا إذا غزا رسول الله ﷺ أو بعث سرية يتغامزون بالرجل إذا رأوه وعلموا أن له حميماً في الغزو، فيتناجون وينظرون إليه، فيقول الرجل: ما هذا إلا لشيء قد بلغهم عن حميمي، فلا يزال من ذلك في غم وحزن حتى يقدم حميمه. فأنزل الله هذه الآية.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَـٰلِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا ﴾. قال الحسن: هذا في القتال؛ كانوا يكونون في مصافّهم فيجيء الرجل فيقول: وسّعوا، ولا يوسّعون له، كلهم يرغب في الشهادة، فأنزل الله: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا) أي إذا قيل انهضوا إلى قتال عدوكم فانهضوا. ونظيرها في سورة آل عمران: (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنَ اَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُومِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ) [آل عمران: 121] والمقاعد والمجالس واحد.

وتفسير مجاهد: يعني مجلس النبي عليه السلام. (وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا) إلى كل خير من قتال عدو، أو أمر معروف ما كان.

وتفسير الكلبي: (إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ) أي: مجلس النبي عليه السلام ﴿ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا) أي: ارتفعوا إلى الصلاة وإلى ما سواها من الخير فارتفعوا.

قال: ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾ أي: في الجنة ﴿ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ أي: على الذين آمنوا الذين ليسوا بعلماء.

ذكروا عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال: العالم أفضل من المجاهد؛ يقول الله عز وجل: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ فقد دخل فيهم المجاهد، قال: ﴿وَالذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ أي: على غيرهم.

وبلغنا عن رجل من أصحاب النبي عليه السلام أو التابعين قال: أفضل الناس العلماء والشهداء، أما العلماء فأخبروا بما جاءت به الرسل، وأما الشهداء فإنهم قاتلوا على ما جاءت به الرسل.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: فضل العالم أحب إلي من فضل العابد. قيل له: لِمَ؟ قال: لأنه أورع لله عن محارمه[1].

ذكروا عن بعضهم قال: موت العالم أحب إلى إبليس من موت ألف عابد.

ذكروا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: معلِّم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر[2].

ذكر الزهري قال: ذهب أبي بن كعب ليركب، فأمسك له ابن عباس الركاب فقال له: مه يا ابن أخي. فقال له ابن عباس: إن الله يحب أن يعظم حق خيار المسلمين. وبلغنا أن النظر في وجه الفقيه عبادة.

(1) لم أجد فيما بين يدي من المصادر هذا الحديث بهذا اللفظ. وقد وردت أحاديث في فضل العالم على العابد تؤكد معنى هذا الحديث. منها ما روي من حديث أبي الدرداء الذي أورده الترمذي في باب فضل الفقه على العبادة، والذي أخرجه البغوي في شرح السنة ج 1 ص 275-276 ولفظه: «إن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب». ومنها حديث أبي أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم. أخرجه الترمذي كذلك في فضل الفقه على العبادة.

(2) هذا نص حديث أخرجه ابن ماجة في المقدمة، باب ثواب معلم الناس الخير من حديث أبي الدرداء ولفظه: إنه ليستغفر للعالم من في السماوات والأرض حتى الحيتان في البحر.

ذكروا عن ليث بن أبي سليم عن عبد الله بن أبي سليم عن عمار بن ياسر قال: ثلاثة لا يَستخِفّ بحقّهم إلا منافق: الإمام المقسط، وهو إمام الهدى، وذو الشيبة المسلم، ومعلّم الخير.

ذكروا عن أبي الدرداء قال: ويل لمن لا يعلم مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات.

ذكروا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه[1].

ذكروا عن أنس بن مالك أن رجلاً تجر مصارنه في النار يتأذى أهل النار من نتنه. قيل له: من هو؟ قال: من علم علمه ولم يعمل به.

ذكروا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إن الله يقول لرجل كان عالماً: ما صنعت فيما آتيتك؟ فيقول: بيّنت علمي وعبدتك حتى جاءني الموت. فيقول: كذبت، بل أردت أن يقال: فلان عالم، فلان مصل، وقد قيل ذلك، اذهبوا به إلى النار[2].

ذكروا عن رسول الله ﷺ قال: من تعلّم العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه فله النار[3].

ذكر بعضهم قال: قال رسول الله ﷺ: من يبتغ العلم أو الحديث ليحدّث به الناس لم يرح رائحة الجنة[4].

---

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 2 ص 59.

(2) هذا جزء من حديث أخرجه النسائي في كتاب الجهاد، باب من قاتل ليقال فلان جريء من حديث أبي هريرة.

(3) أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده مرسلاً عن جابر بن زيد، ج 4 ص 23 (رقم 964) وأخرجه ابن ماجه في مقدمة سننه في باب الانتفاع بالعلم والعمل به من حديث ابن عمر (رقم 253) وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده عن أنس بن مالك مرفوعاً بلفظ: من تعلم العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء لقى الله يوم القيامة، وهو خائب من الحسنات (رقم 33).

(4) أخرجه بمعناه ابن ماجه في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به من حديث أبي هريرة =

ذكروا عن أبي هريرة أنه قال: إن أخوف ما أخاف يوم القيامة أن يقال: يا عويمر، قد علمت، فماذا عملت فيما علمت.

[يحيى عن الخليل بن مرة عن عمران القصير قال: قال رسول الله ﷺ: فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي][1].

قوله تعالى[2]: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَـٰجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ أي: لذنوبكم. ولم يكن فيها شيء مؤقت[3]. ولكن ما قل أو كثر. فكان الرجل يستخلي بالنبي عليه السلام في اليوم مراراً لحوائجه فلا يستطيع أحد أن يخلو به حتى يقدم بين يدي نجواه صدقة.

وبلغنا أن أول من قدم بين يدي نجواه صدقة علي بن أبي طالب. فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقالوا: لا بد لنا منك لحوائجنا أن نستخلي فيها يا رسول الله، وكلما أردنا أن نستخلي لحوائجنا أردنا أن نقدم بين يدي نجوانا صدقة، فإنا والله ما نطيق ذلك، وإن أموالنا لا تطيق ذلك، فأنزل الله: ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ءَاشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾ أي: دون أن شكوتم فقلتم إن أموالنا لا تطيق ذلك ﴿ وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ﴾ أي: إن ذلك يضع عنكم هذه الصدقات، وهي الصلاة المكتوبة والزكاة المفروضة.

وقال بعضهم: كان الناس أحفوا رسول الله ﷺ في المسألة ففطمهم الله[4] عنه

= (رقم 252) وأخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب في تعلم العلم لغير الله تعالى من حديث أبي هريرة أيضاً (رقم 3664).

(1) زيادة من ز ورقة 355. وانظر ما سلف قريباً في هامش ص 310 من هذا الجزء.

(2) في ع تقديم وتأخير في إيراد الآيات الثلاث وتفسيرها فأثبت ترتيبها حسبما جاءت في المصحف. وقد سقطت بعض هذه الآيات مع تفسيرها من ق.

(3) أي: محدّد معلوم.

(4) في ع و ق: فعصمهم الله، وفيه تصحيف. وقد وردت العبارة في ز ورقة 355 هكذا: «كان الناس =

بهذه الآية: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيٰكُمْ صَدَقَةً) فكان أحدهم لا يسأل النبي عليه السلام حاجة حتى يقدم بين يدي نجواه صدقة. فاشتد ذلك عليهم، فأنزل الله هذه الآية فنسختها: (ءَاشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيٰكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ) أي: أتموا الصلاة (وَآتُوا الزَّكَوٰةَ) أي: أتموا الزكاة. قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ تَوَلَّوا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنْكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ ﴾ وهم المنافقون وَادُّوا المشركين وناصحوهم فأدّوا إليهم أخبار المؤمنين وأسرارهم. قال: (مَا هُم مِّنْكُمْ) يقوله للمؤمنين: ما هم منكم أي ليسوا من المؤمنين في الاسم والثواب [ما هم منكم في باطن أمرهم، إنما يظهرون لكم الإيمان وليس في قلوبهم][(1)] (وَلاَ مِنْهُمْ) يعني من المشركين [في ظاهر أمرهم لأنهم يظهرون لكم الإيمان ويسرون معهم الشرك][(1)]. ليسوا من المشركين في الحكم والسيرة. كقوله تعالى: (مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لاَ إِلَىٰ هَٰؤُلاَءِ وَلاَ إِلَىٰ هَٰؤُلاَءِ) [النساء: 143].

قال: ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي وهم يعلمون أنهم كاذبون فيما حلفوا عليه، أي أنهم منكم وليسوا منكم. كقوله تعالى: (يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُم وَّمَا هُم مِّنْكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَّفْرَقُونَ) [التوبة: 56].

قال عز وجل: ﴿ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَـٰنَهُمْ ﴾ أي: حلفهم ﴿ جُنَّةً ﴾ وهو كقوله: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) [المنافقون: 1].

وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: إنا إذا أتينا المشركين شهدنا إنك لرسول الله،

= أحفوا رسول الله بالمسألة حتى أذوه ففطمهم الله عنه بهذه الآية...» أي حبسهم وصدهم عنه. وهو قول لقتادة كما في ز، وفي تفسير ابن كثير ج 6 ص 588 نسب هذا القول إلى قتادة ومقاتل بن حيان.

(1) زيادة من ز، ورقة 355.

فكذبهم الله في الذي قالوا لرسول الله ﷺ. فقال عز وجل: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ) أي: إنا شهدنا بذلك عند المشركين. قال عز وجل: (وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) أي فيما ذكروا لك أنهم يشهدون عند المشركين إنك لرسوله. وكانوا يحلفون للنبي وللمؤمنين ليصدقوهم، فقال: (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ) أي حلفهم لك (جُنَّةً) اجتنوا بها منكم، وأسروا نفاقهم ولم يظهروه. لكي لا يقتلوا [ولا تسبى ذريتهم ولا تؤخذ أموالهم][1]، إذا أظهروا نفاقهم لأنهم يعلمون أن الحكم فيهم إذا أظهروا نفاقهم القتل. كقوله تعالى: (لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً. سُنَّةَ اللهِ فِي الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) [الأحزاب: 60] أي: هكذا سنة الله في منافقي كل أمة خلت من قبل: القتل إن لم ينتهوا عن إظهار نفاقهم. وكذلك سنته في منافقي أمتك إن لم ينتهوا عن إظهار نفاقهم.

قال تعالى: ﴿ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ أي: عن الإسلام، كانوا يصدون عنه قال: ﴿ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ أي: من الهوان في عذاب جهنم.

﴿ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَا أَوْلَٰدُهُمْ مِّنَ اللهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ فَيَحْلِفُونَ لَهُ ﴾ أي: إنهم كانوا في الدنيا مؤمنين، أي: بالآخرة، بالإقرار الذي كان منهم ﴿ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ أنتم في الدنيا فتقبلون منهم ﴿ وَيَحْسِبُونَ ﴾ أي: يحسب المنافقون ﴿ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ أي: أن ذلك يجوز لهم عند الله كما جاز لهم عندكم في الدنيا إذا أقرّوا بإقراركم، وادّعوا ملتكم، فقالوا: إنهم مؤمنون حيث أقروا بالإيمان وجرت عليهم أحكامه.

(1) زيادة من ز، ورقة 355.

قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَـٰذِبُونَ ﴾ أي: إذا ظنوا أنهم على شيء ولم يعملوا بفرائض الله ويوفوا كوفاء المؤمنين[1] كقوله: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَىٰةَ وَالإِنْجِيلَ) [المائدة: 68] أي: حتى تعملوا بما عهد إليكم ربكم في كتبه التي أنزل على أنبيائه. ثم قصد إلى المسلمين فقال: (وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ) يقول: وأنتم أيضاً يا معشر من أقر للنبي عليه السلام بما جاء لستم على شيء، أي: لستم مؤمنين حتى تقيموا ما أنزل إليكم من ربكم في كتابه الذي أنزل إليكم وما عهد إليكم على لسان نبيه.

قال تعالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَـٰنُ فَأَنْسَىٰهُمْ ذِكْرَ اللهِ ﴾ أي: غلب واستولى عليهم، فأنساهم أن يذكروا الله في كل ما عهد إليهم فيؤمنوا به على حال ما فرضه عليهم[2].

قال: ﴿ أُولَـٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَـٰنِ ﴾ أي: شيعة الشيطان ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَـٰنِ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ﴾ أي: خسروا أنفسهم فصاروا في النار وخسروا الجنة.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي: يعادون الله ورسوله ﴿ أُولَـٰئِكَ في الأَذَلِّينَ ﴾ أي: أذلّهم الله ﴿ كَتَبَ اللهُ ﴾ أي: فرض الله[3] ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «ألا إنهم هم الكاذبون يوم يحلفون له». والجمل التي تأتي بعد هذا كلها من الشيخ هود الهواري ولا شك، فهو من عادته أن يقف عند كل مناسبة، ليؤكد بها أصلاً من أصول الإباضية في أن الإيمان الحق لا يتم إلا بالعمل الصالح. وكأني به في تفسير آية المائدة يحمّلها ما لا تحتمل. فالآية مصدّرة بخطاب أهل الكتاب، وليست موجهة في قوله: (وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ) لمن أقرّ للنبي محمد عليه السلام بالإسلام كما يراه الشيخ هود. وإذا كان ما زاده حقاً وصواباً فليس مستنبَطاً من الآية. وانظر تفسيرها مختصراً في سورة المائدة فيما سلف ج 1 ص 487.

(2) هكذا وردت هذه الجملة في ق و ع: «فيؤمنوا به على حال ما فرضه عليهم» ولست مطمئناً إلى صحة عبارتها.

(3) كذا في ق و ع: «فرض الله»، وفي ز، ورقة 356: «قضى الله»، وهذه الكلمة الأخيرة أصح وأبلغ.

قَوِيٌّ ﴾ في سلطانه ﴿ عَزِيزٌ ﴾ في نقمته[1].

قوله عز وجل: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ ﴾ أي يحبون، من المودة والمحبة ﴿ مَنْ حَادَّ ﴾ أي من عادى ﴿ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾.

تفسير الحسن: إنهم المنافقون يوادون المشركين.

وتفسير الكلبي: إن هذا نزل في أمر حاطب بن أبي بلتعة حيث كتب إلى أهل مكة ينذرهم خروج النبي عليه السلام إليهم[2]؛ وتفسيره في سورة الممتحنة[3].

قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ كَتَبَ ﴾ أي: جعل ﴿ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَـٰنَ ﴾ وهم المؤمنون الذين لا يوادون المشركين. قال تعالى: ﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ وقد فسّرنا أمرها في غير هذا الموضع.

قال: ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ﴾ أي: بأعمالهم ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ أي: بثوابه إياهم. ﴿ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللهِ ﴾ أي: جند الله ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ ﴾ أي جند الله ﴿ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أي: السعداء، وهم أهل الجنة، صاروا إلى دار القرار، ودار السعادة، ودار الخلود؛ فطوبى لهم.

---

(1) كذا في ق و ع وجاء في ز ما يلي: «قال محمد: قيل: إن معنى غلبة الرسل على نوعين: فمن بعث بالحرب فغالب بالحرب، ومن بعث منهم بغير حرب فغالب بالحجة».

(2) وهذا ما ذهب إليه الفراء في المعاني ج 3 ص 142.

(3) انظر قصته في تفسير الآيات الأولى من سورة الممتحنة الآتية بعد سورة الحشر. والحق أن الآية عامة في كل من يواد المشركين أو العصاة الذين يحادون الله ويجاهرون بمعاصيهم في كل زمان ومكان.

تفسير سورة الحشر وهي مدنية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾. تفسير الحسن قال: العزيز: بعزته ذلّ من دونه. وقال بعضهم: العزيز في نقمته، الحكيم بأمره.

قوله تعالى: ﴿ هُوَ الذِي أَخْرَجُ الذِينَ كَفَرُوا مِنَ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ مِنْ دِيَـٰرِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ تفسير الحسن: إن رسول الله ﷺ لَمَا أجلى بني النَضير إلى الشَام قال: هذا أول الحشر، ونحن على الأثر إن شاء الله[1]. يعني أمته الذين تقوم عليهم الساعة بالشام.

وبعضهم يقول: يبعث الله النار قبل أن تقوم الساعة تطرد الناس إلى الشام، تنزل معهم إذا نزلوا، وترحل معهم إذا ارتحلوا. تطردهم إلى الشام، ثم تقوم عليهم الساعة بالشام.

وبعضهم يقول: كان بنو النضير أولَ من أخرج رسول الله ﷺ من اليهود.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: لئن عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلما[2]. فَقُبض قبل أن يفعل.

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 28 ص 29 عن الحسن مرسلاً، وانظر: السيوطي: الدر المنثور ج 6 ص 187.

(2) انظر تخريجه فيما سلف ج 1 ص 479.

ذكروا عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبي عليه السلام أنه أمر أن يُخرج اليهود من جزيرة العرب[1].

قوله تعالى: ﴿ مَا ظَنَنْتُمْ أَن يَخْرُجُوا ﴾ أي: ما ظننتم أن يحكم الله بأن يُجلوا إلى الشام. ﴿ وَظَنُّوا ﴾ أي اليهودِ، يعني بني النضير ﴿ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ فَأَتَيٰهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ أي: لم يكونوا يحتسبون أن يخرجوا من ديَارهم ومن حصونهم.

قال تعالى: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ أي: يخربونها من داخل، يقولون: لا نتركها للمؤمنين. قال تعالى: ﴿ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: يخربها المؤمنون من خارج في تفسير الحسن.

وقال الكلبي: لما أمر رسول الله ﷺ بالسير إلى بني النضير درّبوا الأزقة[2] وحصّنوا الدور، فأتاهم رسول الله ﷺ فقاتلهم إحدى وعشرين ليلة؛ كلما ظهر على دار من دورهم أو درب من دروبهم هدمه ليتسع المُقَاتَل[3] وجعلوا ينقبون دورهم من أدبارها إلى الدار التي تليها ويرمون أصحاب رسول الله ﷺ بنقضها، فلما يئسوا من نصر المنافقين، وذلك أن المنافقين كانوا واعدوهم إن قاتلهم النبي عليه السلام أن ينصروهم، فلما يئسوا من نصرهم سألوا نبي الله عليه السلام الصلح. فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة. فصالحوه على أن يجليهم إلى الشام على أن لهم أن يحملوا،

---

(1) انظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير: باب إجلاء اليهود من الحجاز، (رقم 1765-1766).

(2) أي اتخذوها دروباً، أي ضيقوها.

(3) أي: موضع القتال، وجاءت عبارة الفراء في المعاني ج 3 ص 143 هكذا: «فتحصنوا [أي اليهود] في دورهم، وجعلوا ينقبون الدار إلى التي هي أحصن منها، ويرمون النبي ﷺ بالحجارة التي يخرجون منها، وجعل المسلمون يهدمون دورهم ليتسع موضع القتال...» واقرأ تفاصيل غزوة بني النضير في مغازي الواقدي ج 1 ص 363 - 383 فقد أفاض فيها القول وأتى بمختلف الروايات بتحقيق جيد وأسلوب جذاب.

كل ثلاثة منهم، على بعير واحد، ما شاءوا من[1] طعام وسقاء، ولنبيِّ الله وأصحابه ما فضل؛ ففعلوا.

ذكروا أن رسول الله ﷺ دعاهم إلى الصلح فأبوا. فلما رآهم لا ينزلون من حصونهم أمر بنخلهم فعُقِرت. فعقر يومئذ من صنوف التمر غير العجوة. فلما رأوا أنه قد ذهب بعيشهم هبطوا إلى الصلح على أن يجليهم رسول الله ﷺ إلى الشام، وشارطهم على أن لهم ما حمل الظهر، سوى الحلقة والكراع[2]. وزعم بعضهم أن الحلقة الدروع والسلاح كله. فاحتملوا شروطهم حتى إنهم لينقضون سقوفهم. وفيهم أنزل الله: (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِم وَأَيْدي الْمُؤْمِنِينَ).

قال تعالى: ﴿ فَاعْتَبِرُوا ﴾ أي تفكّروا واعرفوا الحق ﴿ يَا أُولِي الأَبْصَـٰرِ ﴾ أي: يا أهل العقول[3]. يعني المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ ﴾ أي: ولولا حكم الله بالجلاء، أي: بالخروج إلى الشام ﴿ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾ أي: بالقتل والسباء ﴿ وَلَهُمْ فِي الأخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي: فارقوا[4] الله ورسوله ﴿ وَمَن يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

قوله: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أو تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ ﴾ أي: إن

(1) كذا في ق وع، وفي ز ورقة 356: «على أن لهم أن يحمل أهل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاءوا من طعام وسقاء...».

(2) في ق و ع: «والحلقة والكراع» وهو خطأ صوابه ما أثبته: «سوى الحلقة والكراع» كما جاءت في كتب التفسير والسيرة على أني لم أجد فيها ذكراً للكراع. وفي اللسان: الكراع اسم يجمع الخيل. والكراع: السلاح، وقيل هو اسم يجمع الخيل والسلاح.

(3) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 143: «(يَا أُولِي الأَبْصَارِ) يا أولي العقول. ويقال: (يَا أُولِي الإِبْصَارِ) يا من عاين ذلك بعينه». والصحيح الأول، لأن العبرة باقية مدى الأزمان لكل من قرأ القرآن.

(4) كذا في ق و ع: «فارقوا»، وفي ز: «عادوا» وهذه اللفظة الأخيرة أدق تعبيراً وأصح تأويلاً.

الله أذن لكم في ذلِكَ فجعل ذلك إليكم: أن تقطعوا إن شئتم وأن تتركوا إن شئتم. قال تعالى: ﴿وَلِيُخْزِيَ الفَـٰسِقِينَ﴾.

ذكروا عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرّق نخل بني النضير وترك العجوة[1] وهي التي يقول فيها الشاعر[2].

وَهَـانَ عَـلَى سَـرَاةِ بَـنِـي لُـؤَيّ حَـرِيقٌ بِـالْبُـوَيْـرَةِ[3] مُسْتَـطِـيـرُ[4]

ذكروا أن رسول الله ﷺ عقد يومئذ من صنوف النخل غير العجوة وترك العجوة.

ذكروا عن عكرمة أنه قال: كل ما كان دون العجوة من النخل فهو لينة[5].

وتفسير مجاهد أن المهاجرين وقعوا في النخل، فنهاهم بعضهم عن قطع النخل وقالوا: إنما هي مغانم للمسلمين. وقال الذين قطعوا: بل هي غيظ للعدو، فأنزل الله تصديق من نهى عن قطعه و[تحليل][6] من قطعه من الإثم [وإنما قطعه وتركه بإذنه][6].

ذكروا عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: العجوة من الجنة، وهي شفاء من السم[7].

---

(1) انظر ما رواه عبد الله بن عمر في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها (رقم 1746).

(2) هو حسان بن ثابت، شاعر رسول الله ﷺ.

(3) البويرة، تصغير بئر، وقيل: تصغير بور، وهي الحفرة. وهي هنا عَلَم لموضع به نخل بني النضير ومنازلهم يقع قبلة مسجد قباء إلى جهة الغرب. انظر: ياقوت، معجم البلدان (بور).

(4) انظر عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، نشر دار الأندلس، بيروت 1386-1966.

(5) هذا هو القول المشهور في معنى اللينة. وقال بعضهم: هو جميع أنواع التمر سوى العجوة والبرني. وهنالك أقوال أخرى في معنى اللينة وردت في كتب التفسير. انظر مثلاً تفسير القرطبي ج 18 ص 8-10.

(6) زيادة من تفسير مجاهد، ص 663 لإيضاح المعنى.

(7) أخرجه الترمذي في كتاب الطب، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطب، باب الكمأة والعجوة

قال تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. فظن المسلمون أنه سيقسمه بينهم جميعا فقال رسول الله ﷺ للأنصار إن شئتم أن أقسم لكم وتقرون المهاجرين معكم في دياركم فعلت، وإن شئتم عزلتهم وقسمت لهم هذه الأرض والنخل. فقالوا يا رسول الله، بل أقرهم في ديارنا واقسم لهم الأرض والنخل. فجعلها رسول الله ﷺ في المهاجرين [1].

قوله تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنَ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَـٰمَىٰ وَالْمَسَـٰكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [تفسير قتادة: لما نزلت هذه الآية كان الفيء في هؤلاء كلهم فلما نزلت الآية في الأنفال: (وَاعْلَمُوا أنما غَنِمْتُم مِّنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيـلِ)[2]] [الأنفال: 41] نسخت الآية الأولى وجعلت الخمس لمن كان له الفيء فصار ما بقي من الغنيمة لأهل القتال.

قال بعضهم: وكتب عمر بن عبد العزيز: إن كلا الآيتين واحدة لم تنسخ إحْدَاهُما الأخرى.

وتفسير الحسن إن الفيء الجزية، ولا يجعلها منسوخة. قال: (مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنَ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ) فهذا سهم واحد. قال: (وَلِذِي الْقُرْبَىٰ أي: قرابة النبي عليه السلام، (وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ).

ذكروا أن نجدة بن عامر كتب إلى ابن عَباس يَسأله عن سهم ذوي القربى فكتب إليه: إنا كنا نراها قرابة رسول الله ﷺ، فأبى ذلك علينا قومنا.

= (رقم 3455) كلاهما يرويه من حديث أبي هريرة، وأخرجه أيضاً أحمد والدارمي.

(1) انظر تفضيل ذلك في مغازي الواقدي ج 1 ص 379 وما قاله سعد بن عبادة وسعد بن معاذ.

(2) سقط ما بين المعقوفين من ق و ع فأثبته من ز ورقة 356-357 حتى يستقيم المعنى، وانظر تفصيل هذا القول في تفسير الطبري ج 28 ص 38، وانظر ابن العربي، أحكام القرآن، ج 4 ص 1760، وانظر الجصاص، أحكام القرآن، ج 5 ص 318-319.

ذكروا أن أبا بكر وعمر حملا عليه في سبيل الله.

قال: [يحيى][1] وبلغني عن الحسن أنه قال: يعطى منه قرابة رسول الله ﷺ. وقال في ابن السبيل: هو الغازي يعطى منه إذا احتاج وإن كان في بلده غنيا.

قال تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ يعني الفيء فلا يكون فيه للفقراء والمساكين حق.

قال تعالى: ﴿ وَمَا ءَاتَيٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ نزلت في الغنيمة صارت بعد في جميع الدين. ﴿ وَمَا نَهَيٰكُمْ عَنْهُ ﴾ من الغلول ﴿ فَانْتَهُوا ﴾ وهي بعد في جميع الدين. ﴿ وَاتَّقُوااللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ أي: إذا عاقب.

ثم قال: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَـٰجِرِينَ ﴾ أي: وللفقراء المهاجرين، رجع إلى أول الآية: (مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنَ أَهْلِ الْقُرىٰ فلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ واليَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) وللفقراء المهاجرين. ثم قال: (وَالذِينَ تَبَوَّءُوا الـدَّارَ والإِيمَانَ) أي: وللذين تبوءوا الدار، تبعا للكلام الأول. . . إلى قوله: (فَأولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحونَ) ثم قال الله عز وجل: (وَالذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ) أي: وللذيـن جاءوا من بعدهم تبعا للكلام الأول أيضا. قال [بعضهم]: فلم يبق أحد إلا وله في هذا المال حق. وهذا تفسير الحسن.

ذكروا أن عمر بن الخطاب قال: ما من أحمر ولا من أسود إلا يملكون فيئه. أي: إلا وله في هذا المال حقه، أُعطِيَه أو مُنِعَه. ولئن عشت إن شاء الله ليأتين الراعي باليمن حقه منه قبل أن يسأله أو يحمرّ فيه وجهه[3].

(1) زيادة من مخطوطة ابن سلام، قطعة 180.
(2) كذا في ق: «فيئه» وفي ع: «إلا يملكون فيه إلا وله في هذا المال حقه. . .».
(3) كذا في ق و ع وفي مخطوطة ابن سلام، قطعة 180، وفي تفسير القرطبي ج 18 ص 22 «لئن عشت ليأتين الراعي وهو بِسَروِ حميرَ نصيبُه منها لم يعرق فيها جبينه». وانظر أبو يوسف: كتاب الخراج ص 67-72.

[ابن لهيعة عن أبي الأسود قال: أدركت زمان عثمان بن عفان وما من المسلمين أحد إلا وله في مال الله حق][1].

قوله: (وَمَا ءَاتَيْكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ). ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه لعن المتفلجات والمتوشمات والمتنمصات المغيرات خلق الله. فجاءته امرأة من بني أسد فقالت: أنت الذي تقول: لعن الله المتفلجات والمتوشمات والمتنمصات المغيرات خلق الله؟ فقال: ألا ألعنُ من لعن رسول الله ﷺ؟ وقال بعضهم: قال: يسعنى أن ألعن من لعن رسول الله ﷺ. فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت هذا فيه[2]. فقال إن كنت قرأت ما بين اللوحين إنه لفيه. أما وجدت: (وَمَا ءَاتَيْكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) قالت بلى. فقالت: والله إني رأيت امرأتك تفعله. قال: اذهبي وانظري إليها، فإن رأيت فيها شيئا من ذلك لم تصحبني. فدخلت فنظرت فلم تر شيئا. ثم رجعت فقالت: ما رأيت فيها شيئا من ذلك.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: ألا هل عسى رجل أن يكذبني وهو متكىء على حشاياه، يبلغه الحديث عني فيقول: كتاب الله ودعونا من حديث رسول الله[3].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم. فقال زياد بن لبيد: أيرفع العلم يا رسول الله ونحن نقرأ القرآن إيمانا ولسانا. فقال: ثكلتك أمك يا

(1) زيادة من مخطوطة تفسير ابن سلام، قطعة 180.

(2) كذا في مخطوطة ابن سلام، وفي ق و ع: «فما وجدت بأنه لعنه».

(3) حديث صحيح أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة من حديث المقدام بن معديكرب (رقم 4604) ومن حديث أبي رافع مولى رسول الله ﷺ (رقم 4605) وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه من حديث المقدام بن معديكرب (رقم 12) ومن حديث أبي رافع (رقم 13). ورواه الشافعي بسند صحيح أيضاً من حديث أبي رافع مرفوعاً ومن حديث محمد بن المنكدر مرسلاً انظر الشافعي: الرسالة، ص 91-98. وانظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: وما آتاكم الرسول فخذوه. وانظر فتح الباري ج 8 ص 630.

زياد بن لبيد، قد كنت أعدك من فقهاء المدينة. أوليس كتاب الله عند اليهود والنصارى فما أغنى عنهم. إن ذهاب العلم ذهاب العلماء[1].

ذكروا عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله لا ينزع العلم عنكم بعد أن أعطاكموه انتزاعا، ولكن ينزعه عنكم بقبض العلماء. أي: يذهب العلماء بعلمهم ويبقى الناس جهالاً يستفتون فيقولون برأيهم فيضلون ويُضلون. قال عروة: فحدثت بذلك عائشة فقالت: والله لقد حفظ عبد الله[2].

ذكر غير واحد، وذكروه عن عمر بن الخطاب قال: أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها فسُئلوا فقالوا برأيهم فضلوا وأضلوا.

ذكروا عن بعضهم قال: ما حدثك به أصحاب النبي عليه السلام فحدِّث.

ذكروا عن الحسن عن أبي مسلم الخولاني قال: مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم يهتدي بها الناس ما بدت، فإذا خفيت تحيّروا.

ذكروا عن بعضهم قال قال رسول الله ﷺ: السنة سنتان: سنة في فريضة الأخذ بها هدى وتركها ضلالة، وسنة في غير فريضة الأخذ بها فضيلة، وتركها ليس بخطيئة[3].

ذكروا عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: قال

---

(1) انظر ما مضى، ج 1 ص 296.

(2) حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (رقم 2673) وأخرجه ابن سلام بهذا السند: «ابن لهيعة عن ابن أبي الأسود عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول. . .» كما في مخطوطة تفسير ابن سلام.

(3) في مخطوطة ابن سلام، تفسير، قطعة 180 ورد هذا الحديث بالسند التالي: الخليل بن مرة عن الوضين بن مرة عن مكحول قال قال رسول الله ﷺ. وانظر ما سلف ج 1 ص 82.

رسول الله ﷺ: ما أمرتكم به من شيء فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فانتهوا[1]. فهذا الأمر في غير السنة التي لا تترك فيما كان من فضيلة[2].

ذكروا عن الحسن أنه قال: ركوب النهي أشد من ترك الأمر. قال بعضهم: يعني بالأمر الذي فيه فضيلة ليس بسنة لا تترك.

قوله عز وجل: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَـٰجِرِينَ الذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيـٰرِهِمْ وَأَمْوٰلِهِـمْ ﴾ أي: أخرجهم المشركون من مكة ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً ﴾ أي بالعمل الصالح ﴿ وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّـٰدِقُونَ ﴾ أي: في القول والعمل.

﴿ وَالذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ ﴾ أي: وطنوا الدار، يعني المدينة ﴿ وَالإِيمَـٰنَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ يعني الأنصار. وكان إيمان الأنصار قبل أن يهاجر إليهم المهاجرون، وكان إيمان المهاجرين قبلهم.

قال تعالى: ﴿ يُحِبُّونَ ﴾ يعني الأنصار ﴿ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾ أي: مما أوتي المهاجرون، أي مما آثروهم به[3] من الطعام والشراب وغير ذلك، في تفسير الحسن. وقال بعضهم: مما قسم للمهاجرين من [أموال][4] بني النضير.

قال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾.

ذكروا أن رجلا من المهاجرين قام ثلاثة أيام صائما، يمسي فلا يجد ما يفطر

(1) حديث صحيح، أخرجه ابن ماجه في المقدمة، وهو أول أحاديث السنن، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ. وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر (رقم 1337) من حديث أبي هريرة، وفيه: «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتكم بشيء فآتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». وأخرجه أحمد والنسائي وغيرهم.

(2) هذه الجملة الأخيرة من كلام مجاهد كما في مخطوطة ابن سلام، قطعة 180.

(3) في ق و ع: آتوهم، وأثبت ما هو أصح وأبلغ «آثروهم به» من مخطوطة ابن سلام قطعة 180.

(4) زيادة يقتضيها السياق.

عليه، فيصبح صائماً حتى فطن له رجل من الأنصار يقال له ثابت بن قيس فقال لأهله: إني أجيء الليلة بضيف لي. فإذا وضعتم طعامكم فليقم أحدكم إلى السراج كأنما يصلحه فليطفئه، ثم اضربوا بأيديكم كأنكم تأكلون، ولا تأكلوا حتى يشبع الضيف. فلما أمسى وضع أهله طعامهم، فقامت امرأته إلى السراج كأنها تصلحه فأطفأته. ثم جعلـوا يضربون بأيديهم إلى الطعام كأنهم يأكلون ولا يأكلون، حتى شبع ضيفهم. وإنما كانت خبزة هي قوتهم. فلما أصبح ثابت غدا إلى النبي ﷺ، فقال له النبي عليه السلام: يا ثابت، لقد رضي الله فعلكم البارحة بضيفكم. وأنزلت فيه: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) أي: حاجة[1].

ذكروا أن عبد الرحمٰن بن عوف قدم على رسول الله ﷺ فآخى النبي بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فقال له سعد: أقاسمك مالي نصفين. وكان ذا غنى. قال: وعندي امرأتان فأيتهما أعجبتك[2] حتى أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها. فقال له: بارك الله لك في مالك وأهلك. دلوني على السوق. فما رجع حتى استحصل أقطا كثيرا وسمنا، وأحسبه قال: وتمرا. فجاء به إلى منزله. فمكثنا ما شاء الله. فرأى رسول الله ﷺ أثر صفرة في صدره فقال. مهيم[3]؟ فقال: يا رسول الله، تزوجت امرأة من الأنصار. قال: ما سقت إليها. قال: تومة[4] من ذهب أو ورق. فقال: أولـم ولـو بشاة[5].

---

(1) حديث صحيح، أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة عن أبي هريرة. وقد أكد الحافظ ابن حجر العسقلاني أن الصحابي الذي نزلت فيه هذه الآية إنما هو أبو طلحة وليس ثابت بن قيس وردّ هذه الرواية التي أوردها ابن سلام، وذكره باسمه يحيى بن سلام. وقال: «وهو غلط بيّن». انظر ابن حجر، فتح الباري، ج 7 ص 119-120، وج 8 ص 631-632، وانظر السيوطي، الدر المنثور، ج 6 ص 195، والواحدي، أسباب النزول ص 445-446 وغيرها من مصادر التفسير والحديث.

(2) كذا في ق و ع، وفي مخطوطة تفسير ابن سلام قطعة 180: «فانظر أيهما أعجب إليك».

(3) «مهيم». أي: ما وراءك؟ وفي رواية ما هذا؟.

(4) «تومة»: هي حبة تعمل مستديرة كاللؤلؤة من فضة، وفي البخاري: «زنة نواة من ذهب».

(5) حديث متفق عليه، رواه البخاري في مناقب الأنصار، باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار=

ذكروا أن رسول الله ﷺ أعطى من غنائم خيبر الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن بن بدر مائة من الإبل، فقال أناس من الأنصار: يعطي النبي ﷺ غنائمنا رجالا سيوفنا تقطر من دمائهم وسيوفهم تقطر من دمائنا. [فبلغ ذلك ﷺ فدعا الأنصار][1] فاجتمعت إليه الأنصار، فقال النبي عليه السلام: هل فيكم غيركم؟ قالوا: لا يا رسول الله إلا ابن أخت لنا. فقال: ابن أخت القوم منهم. ثم قال: يا معشر الأنصار، ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وبالشاء والإبل وتذهبون أنتم بمحمد إلى دياركم؟ قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: لو أخذ الناس واديا وأخذت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار. الانصار كرشي وعيبتي، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار[2].

قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾ [تفسير سعيد بن جبير: وقي إدخال الحرام ومنع الزكاة][3] ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: بريء من الشح من أعطى زكاة ماله وقرى الضيف وأعطى النائبة في قومه[4].

= وفي كتاب النكاح، باب الصفرة للمتزوج، وباب: كيف يدعى للمتزوج. وفيه عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة، قال: ما هذا؟ قال: إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب. قال: بارك الله لك، أولم ولو بشاة.

(1) زيادة لا بد منها.

(2) حديث صحيح رواه البخاري في باب مناقب الأنصار، وفي باب قول النبي ﷺ: لولا الهجرة لكنت من الأنصار عن أنس، وعن عبد الله بن زيد وعن أبي هريرة بألفاظ متقاربة. وفي حديث أنس: «قالت الأنصار يوم فتح مكة وأعطى قريشاً: والله إن هذا لهو العجب إن سيوفنا تقطر من دماء قريش...» وأخرجه ابن ماجه مختصراً في المقدمة. فضل الأنصار (رقم 164) من طريق عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «الأنصار شعار والناس دثار، ولو أن الناس استقبلوا وادياً أو شعباً، واستقبلت الأنصار وادياً لسلكت وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار».

(3) زيادة من ز ورقة 357.

(4) أخرجه ابن سلام بهذا السند: «نصر بن طريف وعاصم بن حكيم عن محمد بن يحيى عن عمه =

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: من أدى زكاة ماله فقد أدى حق الله في ماله ومن زاد فهو خير له[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَالذينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ يعني بعد أصحاب النبي عليه السلام إلى يوم القيامة [فلم يبق أحد إلا وله في هذا المال حق أعطيه أو منعه][2] ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لنَا وَلإِخْوَانِنَا الذينَ سَبَقُونَا بالإِيمَـٰنِ ﴾ أي: أصحاب النبي عليه السلام ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلًّا ﴾ أي: حسدا. وقال بعضهم: عداوة ﴿ لِلذينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رحِيمٌ ﴾.

تفسير الحسن: إن من اتبعهم إلى يوم القيامة، وهي مثل التي في براءة (وَالذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) [التوبة: ١٠٠] إلى يوم القيامة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: دعوا أصحابي ولا تسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق كل يوم مثل جبل أحد لم يبلغ مد أحدهم[3].

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إذ ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا[4].

= زيد بن خالد الجهني»، وأخرجه عبيد بن حميد عن خالد بن يزيد بن جارية كما في الدر المنثور ج 6 ص 196.

(1) انظر ما سلف، ج 2 ص 129 ففيها الإشارة إلى هذا الحديث. وفي المسألة خلاف قديم، وجمهور الصحابة على أنه ليس في المال حق سوى الزكاة. وقال ابن عمر: في المال حق سوى الزكاة. ومعتمد من يرى رأي ابن عمر الآيةُ: 177 من سورة البقرة؛ قوله تعالى: (لَّيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ. . .) إلى قوله: (وَأُولَئِكَ هُمُ المتَّقُونَ). ويرى جمهور العلماء بأن في الآية نسخاً بعد أن فرضت الزكاة وحددت صنوفها ومقاديرها. انظر في الموضوع: كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام. ص 445-446.

(2) زيادة من ز ورقة 357.

(3) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذاً خليلاً، وأخرجه مسلم كذلك في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم عن أبي سعيد الخدري (رقم 2540) وفي آخره: «مد أحدهم ولا نصيفه».

(4) أخرجه يحيى بن سلام كما في مخطوطة تفسيره بهذا السند: «النضر بن معبد عن أبي قلابة =

ذكر النضر قال: سمعت أبا قلابة يقول لأيوب: يا أيوب، احفظ علي ثلاثا: لا تجالس أهل البدع ولا تسمع منهم، ولا تفسر القرآن برأيك، فإنك لست من ذلك في شيء، وانظر إلى هؤلاء الرهط من أصحاب النبي ولا تذكرنهم إلا بخير.

قول عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوانِهِمُ الذينَ كَفَرُوا مِنَ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ ﴾ تفسير الحسن: يعني قريظة والنضير ﴿ لَئِن اخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلاَ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً ﴾ يقول المنافقون: لا نطيع فيكم محمدا وأصحابه ﴿ وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ ﴾ فاغترت قريظة بذلك ﴿ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ لَئِنْ اخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لاَ يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَصَـرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ ﴾.

فأجلى رسول الله ﷺ بني النضير إلى الشام فلم يخرجوا معهم، وقتل بني قريظة بعد ذلك بحكم سعد بن معاذ فلم يقاتلوا معهم.

قال الكلبي: كان بين إجلاء بني النضير وقتل بني قريظة سنتان. كانوا مقيمين بالمدينة بعد إجلاء بني النضير في عهد رسول الله ﷺ والمؤمنين. فلما سار أبو سفيان بالأحزاب إلى رسول الله ﷺ غدرت بنو قريظة نبيَّ الله، وقطعوا الحلف الذي كان بينه وبينهم.

فلما هزم الله الأحزاب أمر الله نبيه أن يقاتل بني قريظة. فأرسل إليهم المنافقون: إن أراد محمد أن يخرجكم من المدينة كما أخرج بني النضير فلا تخرجوا، فوالله لئن خرجتم لنخرجن معكم وإن قوتلتم لننصرنكم. فاغتر بنو قريظة بذلك ولزموا حصونهم. فقاتلوا رسول الله ﷺ قريباً من شهر. وقذف الله في قلوبهم الرعب فلم ينصروهم. فلما رأت بنو قريظة أن المنافقين قد خذلوهم وأيسوا من

= عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ، وأخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود أيضاً، وأخرجه ابن عدي في الكامل عن ثوبان. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ج 1 ص 42-46 (رقم 34).

نصرتهم نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم بين المهاجرين والأنصار.

ذكروا عن عبد الله بن عمر بن سعد بن معاذ عن أبيه أن سعداً لم يحكم فيهم، ولكن النبي عليه السلام أرسل إليه فجاء على حمار فقال: أشر علي فيهم. فقال سعد: لقد علمتُ أن الله أمرك فيهم بأمرٍ أنت فاعل ما أُمِرتَ به. قال: أشر علي فيهم. قال: لو وُليت أمرهم لقتلت مقاتلتهم وسبيت ذراريهم ونساءهم ولقسمت أموالهم. فقال النبي عليه السلام: والذي نفسي بيده لقد أشرت علي فيهم بالذي أمرني الله به فيهم[1].

ذكروا عن عطية القرظي، وكان فيمن عرض على النبي عليه السلام يوم قريظة. فمن نبتت عانته قتل، ومن لم تنبت ترك. قال: فنظروا فإذا عانتي لم تنبت وتركت.

قوله عز وجل: ﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللهِ ﴾ أي: هم أشد خوفاً منكم منهم من الله، يعني بني النضير[2]. قال: ﴿ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾.

قال: ﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ ﴾ يعني اليهود ﴿ جَمِيعاً ﴾ أي: لا يقاتلونكم شذاذا، أي: لا يقاتلونكم إلا جميعاً من شدة رعبهم الذي دخلهم منكم ﴿ إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ ﴾ أي: لا يقاتلونكم في الصحارى. قال تعالى: ﴿ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾ أي في المدائن ﴿ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾ أي: يقولون إذا اجتمعوا: لنفعلن بمحمد كذا وكذا ولنفعلن بمحمد كذا وكذا.

قال الله عز وجل: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ أي: مختلفة مفترقة،

---

(1) انظر الإشارة إلى هذه القصة وبعض مصادرها فيما سلف ج 1 ص 327.

(2) في ق و ع، وفي ز، وفي مخطوطة ابن سلام، قطعة 180: «يعني المنافقين، ويبدو لي أن هذا خطأ من ناسخ أول تناقله مَن بعدَه، فإن سياق الآية بعده لا يدل على أن المعنيين هم المنافقون والصواب ما أثبته إن شاء الله، «يعني بني النضير» كما جاء في بعض كتب التفسير، انظر مثلاً تفسير الطبري ج 28 ص 47؛ وإن كان ابن عاشور يرى أن الضمير يعود للمنافقين وإلى اليهود معاً كما جاء في التحرير والتنوير، ج 28 ص 101-102.

أي: في قتالكم[1]. وقال مجاهد: (قُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ). وهم المنافقون مختلف دينهم ودين بني النضير[2]. قال تعالى: ﴿ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾.

ثم قال عزّ وجلّ: ﴿ كَمَثَلِ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [من قبل قتل قريظة][3] ﴿ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ يعني بني النضير. كان إهلاك الله إياهم قريباً: كان بين إجلاء بني النضير وقتل قريظة سنتان. نزلت هذه الآية من قوله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِين نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمْ الذِينَ كَفَرُوا مِنَ أَهْلِ الكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلاَ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أبداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ. . .) إلى هذا الموضع في قتل قريظة[4]، من قبل أن ينزل قوله: (مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا. . .) إلى قوله عز وجل: (وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رحِيمٌ) وهي بعدها في التأليف. وتفسير مجاهد: (والذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً) أي: كفار قريش يوم بدر.

قال تعالى: (ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) أي: ذاقوا عقوبة أمرهم. والوبال العقوبة. ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

قال: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَال إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ بريء منه ومن عبادته إياه.

﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا ﴾ أي: عاقبة الشيطان والذي عبده ﴿ أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 146: «(تحسبهم) يعني بني النضير جميعاً، وقلوبهم مختلفة، وهي في قراءة عبد الله: وقلوبهم أشت، أي أشد اختلافاً».

(2) هذا القول الأخير هو الذي اختاره الطبري في تفسيره ج 28 ص 47 قال: «(تَحْسِبُهُم جَمِيعاً) يعني المنافقين وأهل الكتاب، يقول: تظنهم مؤتلفين مجتمعة كلمتهم، (وَقُلُوبُهُم شَتَّى) يقول وقلوبهم مختلفة لمعاداة بعضهم بعضاً». ويعجبني ما رواه الطبري عن قتادة في تفسير الآية قال: «تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواؤهم، مختلفة أعمالهم، هم مجتمعون في عداوة أهل الحق».

(3) زيادة من ز ورقة 358.

(4) في ع و ق: «من قبل» وفي الكلمة تصحيف صوابه ما أثبته: «قتل قريظة».

وَذٰلِكَ جَزَاءُ الظَّـٰلِمينَ﴾ أي: المشركين. فضرب الله مثل المنافقين واليهود حين اغترت اليهود بما وعدهم المنافقون من النصر فخذلوهم ولم ينصروهم (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)... إلى قوله عز وجل: (وَذٰلِكَ جَزَاءُ الْظَالِمينَ).

وبلغنا أن عابدا كان في بني إسرائيل قد خـرج من الدنيا واتخذ دَيرا يتعبّد فيه. فطلبه الشيطان أن يزله فأعيا عليه. فلما رأى الشيطان ذلك جاء إلى ابنة الملك فدخل فيها فأخذها. فدعوا لها الأطباء فلم يغنوا عنها شيئا. فتكلم على لسانها فقال: لا ينفعها شـيء إلا أن تأتوا بها إلى فلان الراهب فيدعو لها. فذهبوا إليه فجعلوها عنده. فأصابها يوما ما كان بها فانكشفت، وكانت امرأة حسناء فأعجبته بياضها وحسنها فوقع عليها فأحبلها. فوسوس الشيطان إلى أبيها وإخوتها بأنه قد وقع عليها فأحبلها. ثم وسوس إلى الراهب فقال له: اقتلها وادفنها لئلا يعلموا أنك أحبلتها. فقتلها الراهب ودفنها في أصل حائط. فجاء أبوها وإخوتها، وجاء الشيطان بين أيديهم فسبقهم[1] إلى الراهب وقال: إن القوم قد علموا ما صنعت بالمرأة، فإن سجدت لي سجدة رددتهم عنك فسجد له. فلما سجد له أخـزاه الله وتبرأ منه الشيطـان. وجاء أبوها وإخوتها فاستخرجوها من حيث دفنها وعمدوا إلى الراهب فصلبوه. فضرب الله مثل المنافقين حين خذلوا اليهـود فلم ينصروهم، وقـد كانـوا وعدوهم النصـر (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ) في هذه الآية (إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)، وكذب. قال الله عز وجلّ: (فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا) أي عاقبة الشيطان وذلك الراهب (أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذٰلِـكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ)[2]. وهو تفسير مجاهد.

---

(1) في ق و ع: «فتقدمهم» وأثبت ما جاء في ز وفي مخطوطة ابن سلام «فسبقهم» وهو أدق تعبيراً.

(2) وردت هذه القصة في بعض كتب التفسير والحديث موقوفة على ابن عباس، وأحياناً على علي. ورفعها بعضهم إلى رسول الله ﷺ. ونسبت أحيـاناً إلى قصص وهب بن منبـه. ولم يشر إليهـا الفخر الرازي في التفسير الكبير مطلقاً كأنه أنكر صحتها. وانظر تفسير القرطبي ج 18 ص 37-42 فقد رواها من طرق متعددة وألفاظ متقاربة.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ أي: للآخرة ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: عالم بأعمالكم.

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالذِين نَسُوا اللهَ ﴾ أي: تركوا العمل لله بفرائضه ﴿ فَأَنْسَيٰهُـمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ أي: تركهم من الخير ولم يتركهم من الشر[1]. ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْفَـٰسِقُونَ ﴾ من فاسق مشرك، أو فاسق منافق؛ جمعهم كلهم جميعا.

قوله عز وجل: ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَـٰبُ النَّارِ وَأَصْحَـٰبُ الْجَنَّةِ ﴾ أي: أهل النار وأهل الجنة ﴿ أَصْحَـٰبُ الجَنَّةِ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ أي: فازوا من النار إلى الجنة.

قوله عز وجل: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ ﴾ أي: على حدِ ما أنزلناه على العباد من الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهي ﴿ لَرَأَيْتَهُ خَـٰشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾ يوبخ بذلك العباد. ونظيرها قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) [الأحزاب: ٧٢]. وقد فسّرناه في سورة الأحزاب[2].

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي يتفكروا فيعلموا أنهم أحق بخشية الله من هذا الجبل، لأنهم يخافون العقاب، وليس على الجبال عقاب.

قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللهُ الذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: لا معبود سواه ﴿ عَـٰلِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ ﴾ الغيب ما أخفى العباد وَالشَّهَـٰدَةِ ما أعلنوا. قال تعالى: ﴿ هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ وقد فسّرناه في فاتحة الكتاب[3].

﴿ هُوَ اللهُ الذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾ أي: المبارك، أي إن البركة

---

(1) كذا في ق وع، وفي ز: (نَسُوا اللهَ) يعني تركوا ذكره بالإخلاص من قلوبهم فأنساهم أنفسهم بتركهم من أن يذكروا ما عنده بالإخلاص له. (أُولَئِكَ الْفَاسِقُونَ) وهو فسق الشرك.

(2) انظر ما سلف، ج 3 ص385 - 386.

(3) انظر تفسير فاتحة الكتاب، ج 1 ص73 - 74.

من قبله. وتفسير الكلبي: القدوس: الطاهر ﴿السَّلَـٰمُ﴾ أي: الذي سلمت الخلائق من ظلمه ﴿المُومِنُ﴾ تفسير الحسن: المؤمن بنفسه قبل إيمان خلقه، كقوله عز وجل: (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلائكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ). يعني المؤمنين... إلى آخر الآية. [آل عمران: ١٨].

وقال بعضهم: أمن الله الخلائق من ظلمه. وقال بعضهم: الموفي خلقه بما وعدهم، هو المؤمن. ﴿المُهَيْمِنُ﴾ أي: الأمين على ما حدّث أنه كائن وأنه يكون، وبعضهم يقول: الشاهد على خلقه. وتفسير مجاهد: الشهيد، وهو نحوه. ﴿العَزِيزُ﴾ في نقمته. وقال الحسن: (العَزِيزُ) بعزته ذلّ من دونه ﴿الجَبَّارُ﴾ أي الذي تجبر على خلقه[1]. وقال بعضهم: القاهر لخلقه بما أراد. ﴿المُتَكَبِّرُ﴾ أي: الذي تكبر على خلقه[2]. ﴿سُبْحَـٰنَ اللهِ﴾ نزه نفسه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿هُوَ اللهُ الْخَـٰلِقُ البَارِيءُ﴾ والبارىء هو الخالق ﴿المُصَوِّرُ﴾ الذي يصور في الأرحام وفي غيرها ما يشاء ﴿لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ذكروا عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: لله تسعة وتسعون اسما مائة غير واحد من أحصاها[3] دخل الجنة[4]. وإنما يتقبل الله من المتقين.

قال الله عز وجل: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمـٰوَاتِ وَالأَرضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي العزيز في نقمته الحكيم في أمره.

(1) وقال الطبري في تفسيره ج 28 ص 55: «وقوله: (الجبار) يعني المصلح أمور خلقه، المصرفهم فيما فيه صلاحهم. وكان قتادة يقول: جبر خلقه على ما يشاء من أمره».

(2) كذا في ق وع و ز، وفي تفسير الطبري: «(المتكبر): تكبر عن كل شر». والقول لقتادة.

(3) جاء في ز ورقة 358 ما يلي: «قال محمد: معنى أحصاها، حفظها، ومنهم من قال: تعبد الله بها.

(4) أخرجه يحيى بن سلام بالسند التالي: يحيى عن خراش عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ. وانظر ما سلف ج 2 ص 60.

تفسير سورة الممتحنة، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [يعني في الدين][1] ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ أي في الدنيا[2] ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ ﴾ أي: القرآن ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ أي أخرجوا الرسول ﴿ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ ﴾ أي: إنهم أخرجوكم من مكة لأنكم آمنتم بربكم.

ثم قال تعالى: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ وبأخبار النبي عليه السلام والمؤمنين[3]. ﴿ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَن يفْعَلْهُ مِنْكُمْ ﴾ أي: ومن ينافق منكم[4]. ﴿ فَقَد ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ أي: قصد الطريق طريق الهدى.

﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ ﴾ أي: إن يظفروا بكم[5] ﴿ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أي يقاتلوكم ﴿ وَأَلْسِنَتَهُمْ ﴾ أي: ويبسطوا إليكم السنتهم ﴿ بِالسُّوءِ ﴾ أي: بالشتم ﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾

قال: ﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَـٰدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ يُفْصَلُ بَيْنَكُمْ ﴾ أي: بين

(1) زيادة من ز ورقة 359 ومن مخطوطة تفسير ابن سلام، قطعة 180.

(2) كذا في ق وع، وفي مخطوطة ابن سلام: «يعني بالنصيحة».

(3) كذا في ق وع. وفي مخطوطة ابن سلام: «(تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) يعني كما صنع المنافقون».

(4) كذا في ز، وفي مخطوطة ابن سلام، وهو أصح، وفي ق وع: «(وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ) فإنه منافق».

(5) كذا في ق وع: «إن يظفروا بكم»، وفي ز ومخطوطة ابن سلام: إن يلقوكم.

المؤمنين وبين المشركين، فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل المشركين النار. قال تعالى: ﴿ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

نزلت الآية في أمر حاطب بن أبي بلتعة[1]. تفسير الكلبي أن حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى أهل مكة أن محمداً قد نفر[2]. ولا أدري إليكم يريد أم غيركم، فعليكم بالحذر. وكتب مع امرأة مولاة لبني هاشم وجعل لها جعلا، وجعلت الكتاب في خمارها. فجاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فأخبره. فبعث رسول الله ﷺ في طلبها عليّاً ورجلا آخر[3] ففتّشاها فلم يجدا معها شيئا. فأراد صاحبه الرجوع فأبى علي. وسل عليها السيف وقال: ما كَذَبت ولا كُذبت. فأخذت عليهما عهدا إن أعطته إياهما ألا يردّاها. فأخرجت الكتاب من خمارها.

قال الكلبي: فأرسل رسول الله ﷺ [إلى حاطب. فلما حضر][4] قال: هل تعرف هذا الكتاب يا حاطب. قال: نعم. قال: فما حملك على هذا. قال: أما والذي أنزل عليك الكتاب ما كفرت منذ آمنت، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع الذي له غيري، فأحببت أن أتخذ عندهم مودّة، وقد علمت أن الله منزل عليهم بأسه ونقمته، وإن كتابي لن يغني عنهم شيئاً، فصدّقه رسول الله وعذره، فأنزل الله فيه هذا[5].

---

(1) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، يكنى أبا عبد الله، وهو حليف قريش. شهد بدراً والحديبية وتوفي سنة ثلاثين للهجرة بالمدينة. انظر ترجمته في كتب تراجم الصحابة مثل الاستيعاب لابن عبد البر، ج 1 ص 312-315.

(2) كذا في ق و ع: «قد نفر» وفي ز، وفي مخطوطة ابن سلام: «يغزو».

(3) هو الزبير بن العوام حسبما ذكرته أغلب كتب التفسير والسيرة. وتضيف إليهما بعض الروايات المقداد بن عمرو، أو أبا مرثد الغنوي.

(4) زيادة لا بد منها ليتم سياق الكلام.

(5) القصة مشهورة تجدها في كتب التفسير والحديث والسيرة اقرأها مثلاً في صحيح البخاري، كتاب التفسير سورة الممتحنة من رواية عبيد الله بن أبي رافع، كاتب علي، عن الإمام علي يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد. . . .

وقال: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرٰهِيمَ وَالذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِم إِنَّا بُرَءَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ أي: بولايتكم في الدين، وهذا تفسير الحسن. وقال بعضهم: تبرأنا منكم، وهو واحد.

﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُومِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أي: أن أدخلك في الإيمان ولا أن أغفر لك. يقول: قد كانت لكم في إبراهيم والذين معه أسوة حسنة إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك [فليس][1] لكم فيه أسوة فلا تستغفروا للمشركين. وقال في سورة براءة: (مَا كَانَ لِلنَّبِي وَالذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِله تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) [التوبة: ١١٣ - ١١٤].

قال عز وجل: ﴿ رَبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا ﴾ أي: أقبلنا مخلصين لك ﴿ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ أي يوم القيامة.

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً ﴾ أي: بلية ﴿ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: لا يظهرن علينا المشركون فيقولوا لو كان هؤلاء على دين ما ظهرنا عليهم فيعيبونا[2] ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمُ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ أي: لمن يؤمنون بالبعث. رجع إلى قوله: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ)؛ أمر الله النبي عليه السلام والمؤمنين بالبراءة من قومهم ما داموا كفاراً كما تبرأ إبراهيم والذين آمنوا معه من قومهم؛ فقطع المؤمنون ولايتهم من أهل مكة، وأظهروا لهم العداوة.

(1) سقط لفظ «ليس» من ق وع، والمعنى يقتضي إثباته.

(2) كذا في مخطوطة ابن سلام «فيعيبونا» وهو أصح. وفي ق وع و ز ورقة 359: «فيفتتنوا بنا». وجاء في تفسير مجاهد ص 667 في تفسير الآية: «يقول: ربنا لا تعذبنا بأيديهم، ولا بعذاب من عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا، وما سلطنا عليهم».

قال عز وجل: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ ﴾ أي: عن الإيمان ﴿ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ أي: عن خلقه ﴿ الحَمِيدُ ﴾ استحمد إليهم، أي: استوجب عليهم أن يحمدوه.

ثم قال عز وجل: ﴿ عَسَى اللهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الذِينَ عَادَيْتُم مِنْهُم مَّوَدَّةً ﴾. يعني المشركين. فلما أسلم أهل مكة خالطهم المسلمون وناكحوهم، وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان، وهي المودة التي ذكر الله عزّ وجل. قال الله: ﴿ وَاللهُ قَدِيرٌ واللهُ غَفُورٌرَحِيمٌ ﴾

قوله عز وجل: ﴿ لاَ يَنْهَيكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ في الدّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِنْ دِيَـٰرِكُمْ ﴾ يعني قرابة المؤمنين ﴿ أَنْ تَبَرّوهُمْ ﴾ بالصلة ﴿ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ أي: وتعدلوا إليهم، أي في أموالكم ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ أي العَادِلين. وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم ثم أمر بقتال المشركين كافة.

وكان المسلمون قبل أن يؤمر النبي عليه السلام بقتال المشركين استشاروا النبي عليه السلام في قراباتهم من المشركين أن يصلوهم ويبروهم، فأنزل الله عز وجل هذه الآية، في تفسير الحسن.

ذكروا عن الحسن قال: كان رجل من المشركين قد سماه[1] يهدي النبي عليه السلام لا يزال يهاديه، وإنه قدم على النبي عليه السلام بهدية فقال له النبي عليه السلام: أو كنت أسلمت؟ قال: لا، قال له: فإنه لا يحل لنا رفد المشركين[2]. وتفسير مجاهد: هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَيكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ قَـٰتَلُوكُم فِي الدِّين ﴾ يعني كفار

(1) هو عياض بن حِمار بن أبي حِمار المجاشعي التميمي. وكان صديقاً لرسول الله ﷺ قديماً ثم أسلم. انظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ج 3 ص 1232، وابن قتيبة المعارف، ص 337.

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في الإمام يقبل هدايا المشركين (رقم 3057) عن عياض بلفظ: «إني نهيت عن زَبْد المشركين». أي رفدهم وعطائهم. وقد ورد اللفظ في مخطوطة ابن سلام بلفظ: «زبد» وقال الراوي عبد الله بن عون: «فسألت الحسن عن الزبد فقال الرفد». انظر الزمخشري، الفائق (زبد) واللسان: (زبد).

أهل مكة ﴿ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ﴾ أي: من مكة ﴿ وَظَاهَرُوا ﴾ أي: وأعانوا ﴿ عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِك هُمُ الظَّـٰلِمُونَ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَـاءَكُمُ الْمُؤمِنَـٰتُ مُهَـٰجِـرَٰتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ وهذه في نساء أهل العهد من المشركين، وكانت محنتهن في تفسير بعضهم أن يستحلفـن بالله ما أخرجكن النشوز، وما أخرجكن إلا حب الإسلام، والحرص عليه. وفسـر الحسن أن المرأة من نساء من كان بينه وبين رسول الله عهد إذا جاءت إلى النبي عليه السلام لم يقبلها حتى تحلف بالله الذي لا إلـه إلا هو ما جاءت ناشزة عن زوجها، ولا جـاءت إلا راغبة في الإسلام. فإذا حلفت قَبِلَهَا. وهو قوله: (فَامْتَحِنُوهُنَّ).

قوله: ﴿ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ﴾ أي: بصدقهن أو كذبهن ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ ﴾ أي: إذا أقررن لكم بالإسلام وحلفن بالله ما أخرجهن النشوز وما أخرجهن إلا الحرص على الإسلام وحبه.

فأما إذا كانت من غير أهل العهد لم تمتحن ولم ترد على زوجها شيئاً إذا تزوّجت.

ذكروا عن عكرمة قال: كان العبد إذا جاء إلى النبي عليه السلام مسلماً ومولاه مشرك كان حراً. وقال بعضهم: أظن هذا إذا لم يكن سيده من أهل العهد[1].

ذكروا عن جابر بن عبد الله أن مملوكاً بايع النبي عليه السلام، فلم يعلم النبي عليه السلام أنه عبد. ثم علم النبي عليه السلام فاشتراه من سيده بغلامين [ثم لم يبايع أحداً حتى يعلم][2] قال بعضهم: أظن أن سيده من أهل العهد.

قال عز وجل: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ

(1) في ق و ع: «إذا كان سيده من أهل العهد» وهو خطأ أثبت تصحيحه من مخطوطة ابن سلام، والقول ليحيى.

(2) زيادة من مخطوطة ابن سلام قطعة 180.

لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءاتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: لا إثم عليكم ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: إذا أعطيتموهن مهورهن[1] ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ يعني كوافر العرب اللائي ليس لهن كتاب يفترينه[2] إذا أبين أن يسلمن أن يخلى سبيلهن.

﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، [وهذا حكم حكمه الله بين أهل الهدى وأهل الضلالة][3] أي: من أسلم وعنده مشركة عرض عليها الإسلام، فإن أسلمت فهي امرأته، وإلا فهي منه بريئة.

وقال بعضهم: كن إذا فررن إلى أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجهن من أهل العهد فتزوّجوهن بعثوا بمهورهن إلى أزواجهن [من المشركين. وإذا فررن من أصحاب رسول الله إلى الكفار الذين بينهم وبين رسول الله عهد فتزوجوهن بعثوا بمهورهن إلى أزواجهن][4] من المسلمين. فكان هذا بين أصحاب رسول الله ﷺ وبين أهل العهد من المشركين. ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد في براءة فنُبِذَ إلى كل ذي عهد عهدُه، فقال عز وجل في سورة براءة: (فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 5].

قوله عز وجل: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ أي إلى الذين

---

(1) أورد الفراء في المعاني ج 3 ص 150-151 قصة سبيعة بنت الحارث الأسلمية التي جاءت مسلمة إلى رسول الله ﷺ بعد ختم كتاب صلح الحديبية. ولما جاء زوجها يطالب بردها حسب شروط الصلح نزل قوله تعالى: (فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ) «فاستحلفها رسول الله ﷺ: ما أخرجك إلا الحرص على الإسلام فيه، ولا أخرجك حدث أحدثته، ولا بغض لزوجك. فحلفت، فأعطى رسول الله ﷺ زوجَها مهرَها...».

(2) كذا في ق وع وفي مخطوطة ابن سلام «ليس لهن كتاب يفترينه» ولم أوفق إلى فهم المقصود من العبارة التي لم ترد في ز.

(3) زيادة من ز ورقة 360، ومن مخطوطة ابن سلام قطعة 180.

(4) سقط ما بين المعقوفين كله من ق وع فأثبته من مخطوطة ابن سلام ومن ز.

ليس بينكم وبينهم عهد ﴿ فَعَاقَبْتُمْ ﴾ أي فغنمتم، وقال مجاهد: فأصبتم[1] ﴿فئاتُوا الذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَجُهُـمْ﴾ يعني من أصحاب النبي عليه السلام ﴿ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللهَ الذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤمِنُونَ﴾.

فكانوا إذا غنموا غنيمة أعطوا زوجها صداقها الذي كان ساق إليها من جميع الغنيمة، ثم تقسم الغنيمة بعدُ. ثم نسخ ذلك مع العهد والحكم بقوله في هذه الآية: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) [الأنفال: 41]، فجعل خمس الغنيمة لهؤلاء، وما بقي من الغنيمة الأربعة أخماس لأهل القتال.

وإذا أسلم الرجل وعنده امرأتان أو ثلاثة أو أربعة فأسلمن معه أقام عليهن، فإن كن أكثر من أربعة اختار منهن أربعاً.

ذكر سالم[2] بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رجلاً من ثقيف يقال له غيلان بن سلمة أسلم وعنده عشر نسوة فأسلمن معه فأمره رسول الله ﷺ أن يختار منهن أربعاً.

ذكر قرة بن خالد عن سهيل بن علي النسري قال: لما كان يوم الفتح وجد رسول الله ﷺ عند عتبة بن عمر[3] خمس نسوة فأمره أن يطلق إحداهن، فطلق دجاجة بنت أسماء بن الصلت، فخلف عليها عامر بن كريز فولدت له عبد الله بن عامر.

قال بعضهم: فإذا أسلم الرجل وعنده أختان فأسلمتا اختار أيتهما شاء

(1) قال ابن أبي زمنين في مخطوطة ز ورقة 360: «المعنى كانت العقبى لكم فغنمتم» وفي تفسير مجاهد: ص 669: «يقول: أصبتم مغنماً من قريش أو غيرهم».

(2) في ق و ع: «سعيد بن عبد الله بن عمر» وهو خطأ والتصحيح من مخطوطة ابن سلام. على أنه لا يوجد من أبناء عبد الله بن عمر من سُميَ بسعيد، وسالم هذا يعد من الفقهاء وكان أبوه يحبه حباً جماً.

(3) كذا في ق و ع، وفي مخطوطة ابن سلام عند عمير بن عمرو. ويلاحظ كثرة الأخطاء في أسماء الرواة ورجال السند في ق و ع.

فأمسكها. ذكروا عن الضحاك بن فيروز الديلمي قال: أسلم أبي[1] وعنده أختان فأمره رسول الله ﷺ أن يطلق إحداهما.

وإذا أسلم الزوجان معاً جميعاً، أو الرجل ونساؤه إن كانت عنده امرأتان أو ثلاث أو أربع فأسلمن معه جميعاً أقام عليهن جميعاً. فإن كن أكثر من ذلك اختار منهن أربعاً.

وبعضهم يقول في هذا كله: يحبس الأوائل الأربع من النسوة ويطلق الأواخر من النسوة والآخرة من الاختين، يقولون: كل ما لا يصلح نكاحه في الإسلام فهو الذي يفارق، وكل ما كان يصلح نكاحه في الإسلام يحبس. والأثر عن النبي عليه السلام جاء من غير وجه كما ذكرناه أولاً.

وإذا أسلمت امرأة قبل زوجها بانت منه بواحدة، فإذا أسلم خطبها فتكون عنده على اثنتين. وبعضهم يقول: إذا أسلم في عدتها فهو أحق بها. وفيه اختلاف.

ذكروا عن الزهري أن سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل أسلمت امرأتاهما فأقاما علي نكاحها.

ذكر غير واحد من العلماء أن زينب بنت النبي هاجرت، ثم أسلم زوجها العاص بن ربيعة فردها رسول الله ﷺ. قال بعضهم: ثم جاءت براءة، فإذا أسلمت امرأة قبل زوجها فهي تطليقة بائنة فلا سبيل له عليها إلا بخطبة.

ذكروا عن ابن عباس أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها فرق بينهما.

ذكروا عن سعيد بن المسيب عن علي قال: هو أحق بها ما كان في دار الهجرة. وقال بعضهم: في دار هجرتها.

---

(1) هو أبو عبد الله فيروز الديلمي، من أصل فارسي، أسلم وحسن إسلامه ووفد على النبي ﷺ فسمع منه. وهو الذي قتل الأسود العنسي الكذاب الذي ادعى النبوة في صنعاء أيام رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «قتله الرجل الصالح فيروز الديلمي». انظر ترجمته في الاستيعاب. ج 3 ص 1264، والمعارف لابن قتيبة، ص 335.

ذكروا عن عبد الله بن يزيد الخطمي أن امرأة أسلمت ثم أسلم زوجها فخيَّرَها عمر بن الخطاب. ذكر بعضهم قال: يعرض عليه الإسلام فإن أسلم فهما على نكاحهما، وإلا فرّق بينهما.

وإن كان الزوجان يهوديين أو نصرانيين فأسلم الزوج قبل المرأة فهما على نكاحهما.

ذكروا عن عكرمة عن ابن عباس قال: الإسلام يظهر ولا يظهر عليه. إذا أسلم الرجل قبل امرأته فهما على نكاحهما، يعني اليهوديين[1]. فإن أسلمت المرأة قبله فرق بينهما. وفي هذا اختلاف مثل الاختلاف في نساء العرب إذا أسلمن قبل أزواجهن.

وقال الحسن في المجوسيين إذا أسلما جميعاً فهما على نكاحهما. وإذا أسلم أحدهما قبل الآخر فرق بينهما.

وإذا ارتد الرجل عن الإسلام وله امرأة مسلمة فإن امرأته لا تتزوج ولا تعتد حتى يعرض عليه الإسلام. فإن طال ذلك، فإن تاب فهي امرأته وهما على نكاحهما، وإن أبى أن يتوب قُتِل، واعتدت امرأته عدة المطلقة. وإن ارتد والتحق بالشرك فإنها تعتد وتتزوج.

وقال الحسن في النصرانية تسلم قبل أن يدخل زوجها الإسلام وهو نصراني إنه يفرق بينهما، ولا شيء له. ذكر بعضهم قال: إن أبى أن يسلم فلها نصف الصداق لأن الإباء جاء من قِبَله.

قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِي إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَتُ ﴾ وهن جميع المؤمنات ﴿ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَاتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾ أي: لا تلحق بزوجها ولداً ليس له. قال تعالى: ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾. قال الحسن: نهاهن عن النياحة وأن يحادثن الرجال

(1) في مخطوطة ابن سلام «أو النصرانيين».

إلا مَحْرَماً. قال: ﴿ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

ذكروا عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة أن رسول الله ﷺ لم يصافح النساء حين بايعهن، وقال: اذهبن قد بايعتكن[1]. وقال بعضهم بايع رسول الله ﷺ النساء وعلى يده خرقة أو ثوب[2].

قوله تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: أقروا، يعني المنافقين ﴿ لَا تَتَوَلَّوا قَوْماً قَدْ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني المشركين. كان المنافقون يوادونهم ويسرون إليهم بأخبار النبي عليه السلام والمؤمنين.

قال تعالى: ﴿ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الأخِرَةِ ﴾ أي: فلا يرجونها ولا يؤمنون بها. ﴿ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَـٰبِ الْقُبُورِ ﴾ أي: كما يئس هذا الكافر الذي من أصحاب القبور من الجنة حين عاين ثوابه واطلع عليه. وهذا تفسير مجاهد.

وتفسير الحسن: (لَاتَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ) أي اليهود (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ) أي على حد ما وعد الله في الجنة من الطعام والشراب والنساء، (كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ) وهم المشركون (مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) أي يئسوا من موتاهم أن يرجعوا أبداً وأن يحيوا أبداً.

قال الكلبي أيضاً: هم اليهود يئسوا من نعيم الآخرة زعموا أنه لا أكل فيها ولا شراب ولا نعيم، أي: قد يئسوا من ذلك كما يئس من مات من الكفار من الجنة حين عاينوا النار، فنعوذ بالله منها.

---

(1) حديث صحيح متفق عليه؛ أخرجه البخاري في الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب كيفية بيعة النساء (رقم 1866) كلاهما يرويه من حديث عروة بن الزبير عن عـائشـة بألفاظ متقاربة.

(2) روى يحيى بالسند التالي هذا القول: «أيوب بن عبد الملك عن حصين بن عبد الرحمن عن الشعبي قال: بايع رسول الله النساء وعلى يده ثوب» كما جاء في مخطوطة ابن سلام (رقم 180). وانظر سنن الدارقطني ج 4 ص 147 وما قاله المحدث أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي تعليقاً على رواية ابن سلام هذه. وانظر فتح الباري ج 8 ص 637.

تفسير سورة الصف(1)، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَـٰوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ أي في نقمته ﴿ الحَكِيمُ ﴾ في أمره.

﴿يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾ قال الحسن: يعني المنافقين. يقول: يا أيها الذين أقروا بألسنتهم، نسبهم إلى الإيمان الذي أقروا به وادعوه، وكانوا يقولون: نجاهد مع رسول الله ﷺ، فإذا جاء الجهاد تخلفوا عنه وقعدوا. فقال الله: ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾.

ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً ﴾ أي يفعلون ما يقولون ويتمون على ما يدعون، وأنتم أيها المنافقون لا تفعلون ما تقولون وتقولون ما لا تفعلون. وهو كقوله تعالى: (قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا) أي حيث رأوا الأحكام جرت لهم وعليهم. قال الله: (قُلْ) يا محمد (لَمْ تُومِنُوا وَلَكِنْ قُولوا أَسْلَمْنَـا) [الحجرات: 14] أي: أقررنا. أي: فأنتم مقرون غير مؤمنين، لأن الإيمان والإسلام لا يكونان إلا لمن استكمل فرائض الله وأوفى بها ولم ينقصها(2).

(1) وتسمى في بعض المصاحف القديمة سورة الحواريين، وبهذا جاءت في مخطوطة ابن سلام، والأولى تسميتها بسورة الصف لأنها كانت معروفة بهذا الاسم في عصر الصحابة.

(2) هذه الجمل الأخيرة من كلام الشيخ هود الهواري، وهي غير موجودة في ز ولا في مخطوطة ابن سلام.

وقال مجاهد: إنها نزلت في نفر من الأنصار منهم عبد الله بن رواحة الأنصاري. قالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا بها حتى نموت، فأنزل الله فيهم هذه الآية. وقال ابن رواحة: لا أبرح جيشاً في سبيل الله حتى أموت فقتل في سبيل الله.

قوله عز وجل: ﴿ كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ ذكر ثبوتهم في صفهم كأنه بنيان قد رُصَّ بعضه إلى بعض.

ذكروا عن الأعمش عن أبي صالح عن كعب قال: في التوراة مكتوب: محمد المختار، لا فَظٌّ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يغفر ويعفو. أمته الحامدون، يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد. مناديهم ينادي في جو السماء، ويتوضأون على أطرافهم، ويتزرون على أوسطهم[1]، لهم بالليل دوي كدوي النحل، صفوفهم في الصلاة والقتال سواء، مولده بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: رُصُّوا صفوفكم وقاربوا بينها وحاذوا بالأعناق، فوالذي نفسي بيده إني لأرى الشيطان يتخلل بينكم كأنه الحذَف[2].

وتفسير الكلبي في قوله: (لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) قال: بلغنا أن المؤمنين قالوا قبل أن يؤمروا بالقتال: والله لو نعلم أحب الأعمال إلى الله وأرضاها عنده لعملنا بها. فدلهم الله إلى أحب الأعمال إليه فقال تعالى: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ) فكره ذلك من كرهه. فأنزل الله هذه الآية (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ).

قوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي

(1) كذا في ق و ع، وفي مخطوطة ابن سلام رقم 180: «من أوساطهم».

(2) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، في تفريع أبواب الصفوف باب تسوية الصفوف، عن أنس بن مالك (رقم 667)، وأخرجه النسائي وابن حبان، والحذَف: ضأن سود جرد صغار تكون باليمن. انظر الزمخشري، الفائق، واللسان: (حذف).

رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ ﴾ يعني الخاصة الذين يعلمون أنه رسول الله، الذين كذبوه وآذوه، فكان مما أذوه به أن زعموا أنه آدر. وقد فسّرنا ذلك في سورة الأحزاب[1].

قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ والزيغ الشرك، أي: فلما ضلوا أضلهم الله بضلالتهم. ﴿ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَـٰسِقِينَ ﴾ أي: المشركين، يعني الذين يلقون الله بشركهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَيٰةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾. ذكروا عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يقول: أنا أحمد وأنا محمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب[2]، يعني الآخر.

قال الله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَـٰتِ ﴾ أي بالإنجيل ﴿ قَالُوا هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلَـٰمِ ﴾ أي: لا أحد أظلم منه. ﴿ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين الذين يلقون الله بشركهم.

قال: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ أي: بتكذيبهم وبقتالهم. ونوره القرآن والإسلام، أرادوا أن يطفئوه حتى لا يكون إيمان ولا إسلام ﴿ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَـٰفِرُونَ ﴾.

(1) انظر ما مضى ج 3 ص 384 في تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً).

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الصف، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، (رقم 2354) وأوله: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي». وجاء في آخره: «والعاقب الذي ليس بعده نبي» كلاهما يرويه من طريق محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه.

قوله: ﴿ هُوَ الذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ ﴾ أي الإسلام ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ [وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ تفسير الحسن: حتى تدين له الأديان كلها ويحكم على أهل الأديان كلها. وتفسير ابن عباس حتى يظهر النبي على الدين كله][1] أي على سائر شرائع الأديان كلها. فلم يقبض رسول الله ﷺ حتى أتمّ الله له ذلك كله.

ذكروا عن سليم بن عامر الكلاعي[2] قال: سمعنا المقداد بن الأسود يقول: قال رسول الله ﷺ: لا يبقى أهل مدر ولا وبر إلا أدخله الله الإسلام بِعِزٍّ عزيز أو بذُلٍّ ذليل، إما يعزهم فيجعلهم من أهله، وإما يذلهم فيدينون له.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى وأبوهم واحد، يعني دينهم واحد وشرائعهم مختلفة. وقال ﷺ أنا أحق الناس بعيسى بن مريم، لأنه ليس بيني وبينه نبي، وإنه نازل لا محالة فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع الخلق، بين ممصّرتين، سبط الرأس، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويقاتل الناس على الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام حتى تقع الأمانة في الأرض حتى ترتع الأسد مع الإبل، والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً[3].

قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا هَل أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَٰلِكُـمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ ﴾. تفسير الكلبي: إن هذا جواب لقولهم: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله وأرضاها عنده لعملنا بها له. فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا هَلَ ادُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ

(1) سقط ما بين المعقوفين من ق و ع فأثبته من مخطوطة ابن سلام القطعة 180.

(2) جاء في ق و ع: «ذكروا عن سلمان عن عامر الكندي» وهذا خطأ صوابه ما أثبته من ز. ورقة 361، ومن مخطوطة ابن سلام.

(3) انظر الإشارة إليه فيما سلف ج 2 ص 127.

أَلِيم). . . إلى آخر الآية، مع قوله: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ).

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: هل تريدون من ربكم إلا أن يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم الجنة؟ قالوا حسبنا يا رسول الله، قال فاغزوا في سبيل الله[1].

ذكروا عن الحسن قال: من كثرت سيئاته وقلت حسناته فليجعل دروب الروم من وراء ظهره.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ما جميع أعمال البر في الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة رجل ينفثها في بحر لجي، ألا وإن طالب العلم أعظم أجراً[2].

قال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ذكروا عن الحسن أن أدنى أهل الجنة منزلة آخرهم دخولاً، فيعطى فيقال له: انظر ما أعطاك الله، ويفسح لهم في أبصارهم فينظرون إلى مسيرة مائة عام كله له ليس فيه موضع شبر إلا وهو عامر قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ والياقوت، فيها أزواجه وخدمه.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: إن أدنى أهل الجنة منزلة من له سبعة قصور من قصور الجنة. قال بعضهم: أحسبها أنواع القصور. قال وليس أحد إلا له

---

(1) أخرجه يحيى بن سلام بهذا السند: المعلى بن هلال عن يزيد بن يزيد بن جابر عن مكحول عن أبي هريرة كما في مخطوطة ابن سلام، القطعة 180، وفي ز، ورقة 361. وجاء بعده حديث بالسند التالي: «إبراهيم بن محمد عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار قال قال رسول الله ﷺ: حرّم الله النار على عين دمعت من خشية الله وعلى عين سهرت في سبيل الله» كما في مخطوطة ابن سلام، القطعة 180.

(2) أخرجه يحيى بن سلام بالسند التالي: المعلى عن رجل عن الوضين بن عطاء عن بكار بن سحيم (كذا)، وليس فيه الجملة الأخيرة، ولم أجد الحديث فيما بين يدي من المصادر والمراجع.

سبعة قصور: قصر من ذهب، وقصر من فضة، وقصر من در، وقصر من ياقوت، كل قصر منها فرسخ في فرسخ، لكل قصر منها ألف مصراع ووصيف قائم لا يكبر على حاله له شُرَف الفضة وشُرف الذهب، فيها أبوابها وأغلاقها.

قال تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي (نَصْرٌ مِّنَ اللهِ) على أعدائه، (وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) يعني فتح مكة (وَبَشِّرِ الْمُومِنِينَ) بأن لهم الجنة، أي جنات عدن في الآخرة والنصر لهم على أعدائهم في الدنيا.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَاراً لِلهِ ﴾ ولمحمد بالقتال على دينه ﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ ﴾ وهم أنصاره[1] ﴿ مَنْ أَنْصَارِيَ إِلَى اللهِ ﴾ أي: مع الله. قال مجاهد: من يتبعني إلى الله. ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ ﴾. ذكروا عن بعضهم قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكل نبي حواريين وحواريـي أبو بكر وعمر وسعد وعثمان بن مظعون[2].

قال تعالى: ﴿فئامنت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْـرَٰءِيلَ وَكَفَرت طَّائِفَةٌ ﴾ أي قاتلت الطائفة المؤمنة الطائفة الكافرة ﴿ فَأَيَّدْنَا ﴾ أي: أعنا ﴿ الذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَـٰهِرِينَ ﴾ أي عليهم قد ظفروا بهم. وهذا تفسير الحسن. ولم يكن الحسن يصف قتالهم بالليل كان أم بالنهار. وقال ابن عباس. قاتلوا ليلاً فأصبحوا ظاهرين عليهم. وقال مجاهد: يعني من آمن مع عيسى من قومه.

(1) كذا في ق وع، وفي ز ورقة 362: «وهم أصفياء الأنبياء».

(2) كذا في ق وع، وفي مخطوطة ابن سلام عد تسعة من حواريـي رسول الله ﷺ بزيادة عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف.

تفسير سورة الجمعة، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ﴾ أي المبارك في تفسير الحسن. وقال الكلبي: القدوس: الطاهر ﴿ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ في تفسير الحسن: لعزته ذلّ من دونه، وفي تفسير بعضهم: العزيز في نقمته، الحكيم في أمره.

قوله: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ ﴾ العرب ﴿ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ أي: كانوا أميين ليس عندهم كتاب من عند الله كما كان لأهل الكتاب، وقد كانوا يخطون بأيديهم.

قال عز وجل: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِ﴾ يعني القرآن ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ قال بعضهم: الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة، والزكاة: العمل الصالح. قال عز وجل: ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: كانوا قبل أن يأتيهم محمد ﷺ بالكتاب والحكمة ﴿ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بيّن.

قال عز وجل: ﴿وَءاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي: بعث في الأميين رسولاً منهم وفي آخرين لما يلحقوا بهم بعد.

في تفسير الحسن: إنهم الذين اتبعوا أصحاب النبي عليه السلام. وقال مجاهد: وآخرين منهم لما يلحقوا بهم: أي: إخوانهم من العجم.

ذكروا عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: بينما أنا في غنم لي سوداء إذ خالطها غنم عفراء. قال أنس قال: هم قوم يأتون بعدكم فيكون بهم مال وجمال وإخوان(1).

(1) كذا في ق و ع، والعبارة ناقصة مضطربة صوابها ما يلي: «. . . غنم عفراء، وقال بعض: فإذا =

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سابق العرب، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحبشة وصهيب سابق الروم(1).

[قوله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُوتِيهِ مَن يَّشَاءُ ﴾ يعني من رُزِق الإسلامَ من الناس كلّهم. ﴿ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾](2).

قوله عز وجل: ﴿ مَثَلُ الذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَيٰةَ ﴾ يعني اليهود ﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ أي: كذبوا ببعضها. ومن كفر بحرف من كتاب الله فقد كفر به أجمع. وهو جحودهم بمحمد ﷺ والإسلام وما غيروا من التوراة فأحلوا ما أحبّوا مما حرّم الله فيها، وحرّموا ما أحبّوا أن يحرّموا مما أحلّ الله لهم فيها.

قال عز وجل: ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ والأسفار: الكتب. شبّههم بالحمار الذي لو حملت عليه جميع كتب الله لم يدر ما حملت عليه.

قال تعالى: ﴿ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَٰتِ اللهِ ﴾ أي: لشبههم بالحمار الذي يحمل أسفاراً ولا يدري ما حُمِل عليه. قال الله عز وجل: ﴿ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: من ظالم مشرك وظالم منافق.

قال الله عز وجل للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ يَٰأَيُّهَا الذِينَ هَادُوا ﴾ أي: تهوّدوا ﴿ إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي: بأنكم أولياء لله من دون الناس.

قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً ﴾ يعني الموت ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين.

= غنمي فيها كالكواكب. قال قيل: يا رسول الله، فما يعني. قال إخوان لكم يجيئون من أرض العجم فيدخلون في دينكم يهديهم الله بكم فيكونون إخواناً ومالاً وجمالاً وأعواناً» كما جاءت في مخطوطة ابن سلام بهذا السند: عثمان عن أبي جعفر عن أبي هريرة.

(1) أخرجه ابن سلام بهذا السند: المبارك بن فضالة والحسن بن دينار عن الحسن مرسلاً.

(2) سقطت هذه الآية وتفسيرها من ق و ع فأثبتها كما جاء في ز ورقة 362.

قال عز وجل: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ إِنَّ الْمَوْتَ الذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ إِلى عَـلِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ ﴾ (الغَيْب). السر، (والشَّهَادَة): العلانية ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ ﴾ يعني صلاة الجمعة. وهي في حرف ابن مسعود: فامضوا إلى ذكر الله. وقال بعضهم: فامشوا إلى ذكر الله، ذكروا عن الحسن في قوله: (فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ) قال: السعي بالقلوب والسعي بالنيات.

قوله عز وجل: ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ ذكروا عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: إذا أذن المؤذن يوم الجمعة حرم البيع. قال بعضهم: إنما يقال ذلك لأن الشمس إذا زالت يوم الجمعة جاء وقت الصلاة. وإنما هو قدر ما يتهيأ للجمعة إذا انتصف النهار. ويستحب تعجيل الجمعة إذا زالت الشمس ليس كصلاة الظهر.

قال عز وجل: ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. ذكروا عن محمد بن عبد الرحمن عن زرارة قال قال رسول الله ﷺ: من ترك الجمعة ثلاثاً من غير عذر كتب من المنافقين[1]. ذكروا عن ابن عباس قال: من ترك أربع جمع من غير عذر طبع الله على قلبه.

قوله عز وجل: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ ﴾ أي: من رزق الله. ﴿ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾. رخّص لهم أن ينتشروا إذا صلوا إن شاءوا، فإن أقاموا على ذلك كان أفضل لهم.

ذكر بعضهم قال: أربع[2] أمر بهن في القرآن لسن بفرائض، من شاء فعلهن

(1) حديث صحيح، أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة، باب ما جاء في ترك الجمعة من غير عذر، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجمعة (رقم 1052) وأخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب فيمن ترك الجمعة من غير عذر (1125) كلهم يرويه من حديث أبي الجعد الضَّمْريّ ولفظه: من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاوناً بها طبع الله على قلبه. وأخرجه ابن ماجه أيضاً في نفس الباب عن جابر بن عبد الله (رقم 1126).

(2) في ق و ع: «خمس» والصواب أربع كما جاء في مخطوطة ابن سلام.

ومن شاء لم يفعلهن: هذه الآية، وقوله عز وجل: (وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا) [المائدة: 2]؛ إن شاء اصطاد وإن شاء لم يفعل، وقوله عز وجل: (فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً) [النور: 33]؛ إن شاء كاتب مملوكه وإن شاء لم يفعل، ويستحب له أن يفعل، وليس بحتم. وقوله عز وجل: (وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ). [البقرة: 241] إن شاء متع وإن شاء لم يمتع، ويستحب له أن يفعل، وليس بحتم، إلا أن يطلق قبل أن يدخل بها ولم يفرض، فتلك التي لها المتعة واجبة(1).

قوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً ﴾. ذكروا عن الحسن قال: كانت عير تجيء إلى المدينة في الزمان مرة، فجاءت يوم الجمعة، فانطلق الناس إليها، فأنزل الله هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: لو اتبع آخركم أولكم لسال عليكم الوادي ناراً(2).

وقال بعضهم: التجارة العير التي كانت تجيء واللهو: كان دحية الكلبي قدم في عير من الشام، وكان رجلاً جميلاً، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي عليه السلام في صورته. فقدمت عير ومعهم دحية الكلبي والنبي عليه السلام يخطب يوم الجمعة، فتسللوا ينظرون إلى العير، وهي التجارة، وينظرون إلى دحية الكلبي، وهو اللهو: أي لهوا بالنظر إلى وجهه وتركوا الجمعة.

وقال بعضهم: سودان كانوا بالمدينة يلعبون، وهو اللهو.

قال عز وجل: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَـٰرَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ ﴾.

---

(1) جاء في مخطوطة ابن سلام رقم 180 آثار كثيرة وأقوال للصحابة والتابعين في فضل الجمعة وأحكامها تكاد تبلغ صفحتين لم يورد الشيخ هود إلا القليل منها. أما ابن أبي زمنين فلم يشر إليها أصلاً حتى إن سورة الجمعة في مختصر تفسيره لا تكاد تبلغ صفحة واحدة.

(2) أخرجه الحافظ أبو يعلى مرفوعاً من حديث جابر بن عبد الله، وأخرجه عبد بن حميد عن الحسن مرسلاً، ولفظه عندهما: «والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى معي أحد منكم لسال بكم الوادي ناراً». وانظر الواحدي، أسباب النزول، ص 456.

تفسير سورة المنافقون[1]، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴾.

وذلك أن نفراً من المنافقين قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إذا لقينا المشركين شهدنا عندهم إنك لرسول الله، فقال الله عز وجل: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ) أي: نشهد عند المشركين إذا لقيناهم (إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ) فيما قالوا لك (لَكَاذِبُونَ) [أي: إنما يقولونه بأفواههم وقلوبهم ليست على الإيمان][2].

قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً ﴾. وذلك أنهم حلفوا لرسول الله ﷺ ليصدّقهم، فقال تعالى: (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ) أي: حلفهم الذي يحلفون به جنة، أي اجتنوا بها، أي: استتروا [حتى لا يقتلوا ولا تسبى ذراريهم] ﴿ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ أي عن الإسلام، أي يصدون الناس عنه قال: ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ ﴾ أي: بئس ﴿ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ﴾ أي: أقروا وصدقوا ﴿ ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ أي: خالفوا وضيعوا ﴿ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: فختم على قلوبهم، أي: بنفاقهم ﴿ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾.

(1) في ق و ع: «سورة إذا جاءك المنافقون»، وفي ز «تفسير سورة المنافقين». وأثبت ما جاء في مصحف ورش.

(2) زيادة من ز، ورقة 363.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ يعني في المنظر والهيئة ﴿ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ أي: من قولهم بما أقروا به وادعوه[1] ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ أي: إنما هم أجساد ليست لهم نية ولا حسبة في الخير[2].

ثم وصف جبنهم وجزعهم فقال: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ حذراً من القتال وجبناً عنه، ليست لهم نية في الجهاد.

ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ ﴾ الأدنى إليك[3] ﴿ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ ﴾ أي لعنهم الله ﴿ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ أي: كيف يُصَدّون عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا ﴾ أي: أخلصوا الإيمان ﴿ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ﴾ أي: أعرضوا عن ذلك ﴿ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ ﴾ أي: عن دين الله وعن الحكومة إلى نبي الله والمؤمنين، ويدعون إلى المحاكمة إلى وثن بني فلان الذي كان أهل الجاهلية يتحاكمون إليه. كقوله تعالى: (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ) [النور: 48] وكقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً) [النساء: 61]. قال: ﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي: إنهم أهل كبر وعظمة وأَنَف[4].

قال تعالى: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ أي فسق النفاق، وهو فسق دون فسق، وفسق فوق فسق. فأخبر الله أنهم يموتون على النفاق ومقيمون عليه، فلم يستحِلّ رسول الله ﷺ أن يستغفر لهم بعد ذلك.

---

(1) كذا في ق وع، وفي ز: «من قولهم لما أعطوا من الإيمان في الظاهر».
(2) كذا في ق وع، وفي ز: «ليست لهم قلوب آمنوا بها».
(3) كذا في ق وع، وفي ز: «هم العدو فيما أسروا».
(4) كذا في ق وع: «وأَنَف» وهي كلمة عربية صريحة من: أَنِف يأنف أَنَفاً وأنفة، أنِف من الشيء أي: استنكف وتكبّر.

قال بعضهم: لما نزلت الآية التي في براءة: (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) [التوبة: 80] قال رسول الله ﷺ: قد خيّرني ربي فلأزيدن على السبعين[1]. فنزلت هذه الآية في المنافقين: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) أي: لا يكونون بالفسق والنفاق مهتدين عند الله.

قال تعالى: ﴿ هُمُ الذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا ﴾.

تفسير الحسن: إنه كان بين عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وبين رجل من المسلمين من فقرائهم قول، فقال: يا رسول الله ما لهم، ولّى الله أمرهم فلاناً، يعني ذلك الرجل وأصحاب فلان[2]. ثم نظر إلى أصحابه فقال: أما والله لو كنتم تمنعون أطعمتكم هؤلاء الذين حصروا أطعمتكم وركبوا رقابكم لأوشكوا أن يذروا محمداً ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم. فأنزل الله: (هُمُ الذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا وَلِلهِ خَزَائِنُ السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ).

قال ابن أبي بن سلول حين رأى المسلمين نصروا ذلك الرجل: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة، وذلك أنه في غزوة تبوك، ليُخرجن الأعز منها الأذل. عمدنا إلى رجل من قريش فجعلناه على رقابنا، أخرِجوه فألحقوه بقومه، وليكن علينا رجل من أنفسنا. فسمعها زيد بن أرقم فقال: لا والله لا أحبك أبداً. فانطلق إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فغضب غضباً شديداً. فأرسل إلى ابن أبي بن سلول، فأتاه ومعه أشراف من الأنصار يعذرونه ويكذبون زيداً. فقال ابن أبي بن سلول: يا رسول الله والذي أنزل

---

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 2 ص 156.

(2) كذا في ق و ع، وعبارة الفراء: «وكلهم الله إلى جُعَال، وذوي جعال» وجعال (ويقال جعيل) بن سراقة الضمري من فقراء المهاجرين، أسلم قديماً. واقرأ في معاني الفراء ج 3 ص 159 سبب نزول الآية تجد كلاماً بليغاً مختصراً واضحاً.

عليك الكتاب ما قلته، وإن زيداً لكاذب، وما عملت عملاً هو أرجى أن أدخل به الجنة من غزوتي هذه معك. فعذره رسول الله ﷺ.

فبينما رسول الله ﷺ يسير إذ نزل عليه عذر زيد فقال: (يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ...) إلى آخر الآية. فجاء رسول الله ﷺ يتخلل الناس حتى لحق زيداً فأخذ بأذنيه فعركهما ساعة ثم قال: أبشر، أنزل الله عذرك وصدّقك. وقرأ عليه الآية(1). وبلغنا أن قول ابن أبي بن سلول: ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني به النبي عليه السلام.

قوله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي علم خزائن السماوات والأرض ﴿ وَلَـٰكِنَّ الْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ الْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [يخبر الله سبحانه وتعالى أنه معز رسوله ومن عنده من المؤمنين](2) وقد فسّرناه قبل هذا الموضع.

قوله عز وجل: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَا أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ ﴾ وبلغنا أنها نزلت في المنافقين. يقول: يا أيها الذين أقروا باللسان: (لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ) أي: عن حق الإيمان بالله. وبعضهم يقول: عن الصلاة المكتوبة ﴿ وَمَن يَّفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ ﴾ أي: خسروا أنفسهم فصاروا في النار وخسروا الجنة.

قال عز وجل: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾ يعني الزكاة المفروضة، وهي قصة المنافقين، كقوله عز وجل: (وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ) [التوبة: 54] وكقوله عز وجل: (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة المنافقون عن زيد بن أرقم بلفظ: إن الله قد صدقك يا زيد. وانظر الواحدي، أسباب النزول ص 460-461. وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3 ص 111-112.

(2) زيادة من ز، ورقة 363.

سَاهُونَ الذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) [الماعون: 5—7] يعني الزكاة. قال عز وجل: ﴿ مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ ﴾ أي: هلا ﴿ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ وهو الموت، قريب، وإنّ عمر العبد قليل. قال: ﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ أي فأزكى ﴿ وَأَكُن مِّنَ الصَّـٰلِحِينَ ﴾ أي: فأحجّ، ومثلها في سورة المؤمنون قوله عز وجل: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) أي إلى الدنيا (لعلي أعمل صالحاً فيما تركت) [المؤمنون: 99-100] قال الله عز وجل: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا. واللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون ﴾.

تفسيرة سورة التغابن، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلهِ مَا فِي السَّمٰـوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَّمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي: إن منكم من سيكون كافراً ومنكم من سيكون مؤمناً. وهو كقوله: (إِمَّا شَاكِراً وَّإِمَّا كَفُوراً) [الإنسان: 3].

ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره.

قال تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمٰـوٰتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: للبعث والحساب والجنة والنار. ﴿ فَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰـوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي بما في الصدور.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: خبر الذين كفروا ﴿ مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ أي: عقوبة أمرهم، يعني العذاب الذي عذب به الأمم السالفة في الدنيا حين كذبوا رسلهم. يحذر المنافقون أن ينزل بهم ما نزل بمن كفر قبلهم.

(1) جاء في ز، ورقة 364 وفي تفسير قوله تعالى: (فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُم مُؤمِنٌ) ما يلي: «يحيى عن فطر بن خليفة بن عبد الرحمن بن سابط قال: خلق الله الخلق فكانوا قبضتيه فقال لمن في يمينه: ادخلوا الجنة بسلام، وقال لمن في يده الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالي، فذهبت إلى يوم القيامة».

قال تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع، يعني عذاب جهنم مع عذاب الدنيا[1].

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أي: إنكاراً لذلك، وهو مثل قولهم: (أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَّسُولاً) [الإسراء: 94] أي: لم يفعل. قال: ﴿ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ﴾ أي: عن طاعة الله. قال: ﴿ وَاسْتَغْنَى اللهُ ﴾ أي: عنهم ﴿ وَاللهُ غَنِيٌّ ﴾ عن خلقه ﴿ حَمِيدٌ ﴾ أي: استحمد إلى خلقه، أي: استوجب عليهم أن يحمدوه.

قوله عز وجل: ﴿ زَعَمَ الذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ فَئَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الذِي أَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾ أي يوم القيامة، يجتمع فيه الخلائق أهل السماوات وأهل الأرض[2]، وهو تبع للكلام الأول ليبعثنكم يوم يجمعنكم ليوم الجمع ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ أي: يتغابنون في المنازل عند الله، فريق في الجنة، وفريق في السعير. أي غبن أهل الجنة أهلَ النار[3].

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً نُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ﴾ أي: لا يموتون ولا يخرجون أبداً ﴿ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ أي: النجاة العظيمة من الجنة إلى النار.

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «بعد عذاب الدنيا».

(2) اللام في قوله ليوم الجمع يجوز أن تكون للتعليل، ويجوز أن تكون بمعنى (في) ورجح ابن عاشور أن تكون للتوقيت فقال في التحرير والتنوير، ج 28 ص 274: «والأحسن عندي أن يكون اللام للتوقيت، وهي التي بمعنى (عند) كالتي في قولهم كتب لكذا مضين مثلاً. وقوله تعالى: أقم الصلاة لدلوك الشمس، وهو استعمال يدل على شدة الاقتراب، ولذلك فسروه بمعنى (عند) ويفيد هنا أنهم مجموعون في الأجل المعين دون تأخير رداً على قولهم: (لَن يُبْعَثُوا). . . ».

(3) أوجز المؤلف هنا تفسير التغابن، وقد فصله القرطبي بوجوهه في تفسيره ج 18 ص 136-138، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير ج 28 ص 275-277.

قال تعالى: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ لا يموتون ولا يخرجون منها أبداً ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ ﴾ أي: بقضاء الله ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ أي: إن أصابته مصيبة سلَّم ورضي وعلم أنها من الله. قال: ﴿ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: قضاء الله خير لكل مسلم: إن أعطاه شكر، وإن ابتلاه صبر(1).

قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أي: عن الإيمان ﴿ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَٰغُ الْمُبِينَ ﴾ أي: ليس عليه أن يكرههم على الإيمان، أي: إن الله يهدي من يشاء. قال تعالى: ﴿ اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

قال تعالى: ﴿ يَٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنَ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ تفسير الحسن: من لم يكن من أزواجكم وأولادكم على دينكم فهو عدوّ لكم. ﴿ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا ﴾ أي عما يؤذونكم به فيما بينكم وبينهم ﴿ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. وذلك قبل أن يؤمر بقتال المشركين خاصة.

وتفسير مجاهد: (إِنَّ مِنَ ازْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) قال: يحمل الرجلَ حبُّه ولدَه وزوجتَه على قطيعة رحِمِه وعلى معصية رسول الله ﷺ لا يستطيع من حبه إلا أن يطيعه.

وتفسير الكلبي: إن الرجل كان إذا أراد الهجرة تعلق به ولده وزوجته وقالوا له: نناشدك الله أن تذهب وتتركنا فنضيع، فمنهم من يطيع أمرهم فيقيم، فحذرهم الله إياهم ونهاهم عن طاعتهم. ومنهم من يمضي على الهجرة إلى رسول الله ﷺ ويحذرهم ويقول: أما والله لئن لم تهاجروا معي وأبقاكم الله حتى تجتمعوا بي في دار

(1) انظر الإشارة إليه فيما مضى ج 2 ص 170.

الهجرة لا أنفعكم بشيء أبداً. فلما جمع الله بينهم وبينه أنزل الله: (وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ).

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ليس عدوك الذي إن قتلك أدخلك الله به الجنة، وإن قتلته كان لك ثواباً، ولكن أعدى الأعداء نفسك التي بين جنبيك، ثم أعدى الأعداء ولدك الذي خرج من صلبك. ثم أعدى الأعداء زوجتك التي تضاجعك، ثم أعدى الأعداء ما ملكت يمينك[1].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي: اختبار وبلية لينظر كيف تعملون. ﴿ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: ألا إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون. ألا فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، لا يُقَلِّدَنَّ الرجلُ منكم دينَه امرأتَه[2].

ذكروا عن الحسن أن امرأة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عرضت له في بعض الأمر فقال: فما أنت مما أنت هاهنا. إنما أنتِ لعبة إذا كانت لنا إليك حاجة دعوناك إليها، ولست من الأمر في شيء[3].

---

(1) رواه الطبراني من حديث أبي مالك الأشعري مختصراً بلفظ: «ليس عدوك الذي إن قتلته كان لك نوراً، وإن قتلك دخلت الجنة، ولكن أعدى عدو لك ولدك الذي خرج من صلبك، ثم أعدى عدوك مالك الذي ملكت يمينك».

(2) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء، من حديث أبي سعيد الخدري (رقم 2742) ولم ترد فيه الجملة الأخيرة.

(3) قد يبدو في كلام سيدنا عمر ـ إن صح أن القول له ـ شيء من الجفاء والشدة أو ما يشبه أن يكون إهانة للمرأة حين يصفها بأنها لعبة لا تدعى إلا للحاجة إليها، وخاصة عندما نقرأ قوله تعالى: (وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) [الروم: 21] ونتفكر آيات الله في الأزواج، ولكنه سيدُنا عمر! رضي الله عنه وأرضاه.

قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ قال بعضهم: ما أطقتم؛ وذلك أن الله أنزل في سورة آل عمران: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) [آل عمران: 102]، وحق تقاته أن يطاع الله فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، فنسختها هذه الآية: (فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ).

قال: ﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾. وعليها بايع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فيما استطاعوا.

ذكروا عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: على المسلم السمع والطاعة فيما أحب وفيما كره ما لم يؤمر بمعصية الله، فإن أمر بمعصية الله فلا طاعة في معصية الله[4].

وقال بعضهم: (فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي: ما كنتم أحياء. وقال بعضهم: ما استطعتم فعلاً من الأفاعيل.

ذكروا أن عمران بن حصين قال للحكم الغفاري، وكلاهما من أصحاب النبي عليه السلام: هل تعلم يوماً ما قال النبي ﷺ: لا طاعة في معصية الله؟ قال: نعم. قال: الله أكبر[2].

(1) حديث متفق على صحته. أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (رقم 1839) كلاهما يرويه من حديث ابن عمر.

(2) اقرأ هذا الخبر مفصّلاً في سير أعلام النبلاء للذهبي ج 2ص 340 في ترجمة الحاكم بن عمرو الغفاري. وفي صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية... «عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا: حدثنا ـ أصلحك الله ـ بحديث ينفع الله به، سمعتَه من رسول الله ﷺ فقال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه. فكان فيما أخذ علينا، أن بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرَهِنا، وعسرنا ويسرنا، وأثَرَةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله. قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً. (الحديث رقم 1709).

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ تفسير الحسن: إنها النفقة في سبيل الله. قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾. قال بعضهم: هذا في جميع الدين: الزكاة وغيرها.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: بريء من الشح من أدى زكاة ماله وقرى الضيف وأعطى النائبة في قومه[1].

قال تعالى: ﴿ إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾.

ذكروا عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ: كلُّ حسنة يعملها ابن آدم بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف[2].

ذكروا عن سعيد بن المسيب قال: الذكر في سبيل الله يضاعف كما تضاعف النفقة، والدرهم بسبعمائة.

قال تعالى: ﴿ وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ أي: يشكر للعبد العمل اليسير، ويثيبه عليه الثواب العظيم.

قال تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ ﴾ الغيب السر، والشهادة: العلانية. ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ في نقمته ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في أمْرِهِ. وقال الحسن: (الْعَزِيزُ) بعزته ذلّ من دونه.

(1) انظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص 327.
(2) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 1 ص 245.

تفسير سورة الطَّلاق، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا النَّبِي إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِـدَّتِهِنَّ ﴾ يعني النبي وجماعـة المؤمنين. قال بعضهم يـطلقونهـا في قُبُل عدتها[1] طاهراً من غير جماع.

ذكروا عن الحسن قال: كان الرجل إذا أراد أن يطلق امرأته استقبل طهرها، ثم دعا شاهدين فأشهدهما على طلاقها واحدة، وقال لها اعتدّي. ثم يلوم نفسه فيما بينه وبين انقضاء عدتها. فإن كان له بها حاجة دعا شاهدين فأشهدهما أنه قد راجعها، وإن لم تكن له بها حاجة تركها حتى تنقضي عدتها، فإن ندم كان خاطباً مع الخطاب. وبلغنا عن ابن مسعود نحو ذلك.

ذكروا عن الحسن وابن سيرين قالا: كان يقال: من طلق طلاق السنة لم يندم على امرأة فارقها؛ يقولان: ينبغي له أن يطلق امرأته واحدة، ولا يطلقها ثلاثاً.

ذكر بعضهم أن النبي عليه السلام طلق حفصة تطليقة؛ فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: راجعها فإنها صوّامة قوّامة، فهي زوجتك في الجنة، فراجَعَها.

قال بعضهم: طلاق السنة أن يطلق الرجل امرأته في قُبُل عدتها طاهراً من غير جماع تطليقة واحدة، ثم يدعها. فإن شاء راجعها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة. فإن شاء أن يطلقها ثلاثاً طلقها أخرى قُبُلَ عدتها طاهراً من غير جماع، ثم يدعها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها، ثم لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

(1) في قُبُلِ عدتها، أي: في وقت تستقبل فيه العدة.

ذكروا عن نافع عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر النبي عليه السلام فقال له: مره أن يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر من حيضة سوى الحيضة التي طلقها فيها، فإذا طهرت فإن شاء أمسكها وإن شاء طلقها فإن أراد أن يطلقها فلا يقعن عليها عند طهرها فإن هذه العدة التي أمر الله بها[1]. قال بعضهم: فإن ابن عمر طلق امرأته واحدة.

ذكروا عن يونس بن جبير قال: قلت لابن عمر: رجل طلق امرأته وهي حائض. قال: أتعرف عبد الله بن عمر؟ قلت: نعم. قال: فإنه طلق امرأته وهي حائض. فأتى عمر النبيَّ عليه السلام فأخبره، فأمره أن يراجعها. فإن بدا له في طلاقها طلّقها قُبُلَ عدّتها، أي: قبل طهرها. قلت: أفتعتد بتلك التطليقة؟ قال: أرأيت إن عجل واستَمْحَق[2]؟.

ذكروا عن عبد الله بن دينار قال: سمعت ابن عمر يقرأ هذا الحرف: (فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ)[3].

---

(1) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، وهو أول أحاديث الكتاب، ثم ترجم البخاري بعده: باب إذا طلقت الحائض تعتد بذلك الطلاق، وأخرجه مسلم أيضاً في كتاب الطلاق باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها، وأنه لو خالف وقع الطلاق ويؤمر برجعتها (رقم 1471)، بطرق كثيرة أغلبها عن نافع عن ابن عمر.

(2) في ق و ع: «فقد رأيت أن عجل واستحمق». وللعبارة وجه من التأويل. فإن ابن عمر، وهو يتحدث عن نفسه بضمير الغائب، يجيب سائله يونس بن جبير ويقول له: إنه، أي: ابن عمر، قد عجل في الأمر وأصابته حماقة فهو يتحمل نتيجة عجلته وحماقته، وتحسب عليه تطليقة. ولم أجد هذه العبارة فيما بين يدي من كتب الحديث. وأكثر ما وردت هذه العبارة في كتب التفسير والحديث: «قال: أرأيت إن عجز واستَحْمَق». وفي لفظ لمسلم: «أوَ إن عجز واستحمق؟» أي: أرأيت إن عجز عن الرجعة وركب حماقته أفلا تحسب عليه تطليقة، وهو استفهام إنكاري، أي: بلى! إنها تحتسب عليه تطليقة وقد عدد الحافظ ابن حجر مختلف هذه العبارات وبين أوجه معانيها في فتح الباري، ج 9 ص 348. فانظرها مستوفاة هنالك.

(3) وهي قراءة نسبت إلى رسول الله ﷺ وإلى عثمان وابن عباس وغيرهم، انظر ابن جني، المحتسب، ج 2 ص 323.

ذكروا عن الحسن قال: الرجل لا يستأذن على مطلقته، ولكن يضرب برجله وينحنح. وقال بعضهم: يتنحنح ويسلم ولا يستأذن عليها، وتتشوف له وتتصنع، ولا يرى لها رأساً ولا بطناً ولا رجلاً، ولكن ينام معها في البيت.

ذكروا عن علي قال: يستأذن الرجل على كل امرأة إلا امرأته.

ذكر بعضهم قال: التي لم تحض والتي قعدت عن المحيض تطلق عند كل شهر عند الهلال.

ذكروا عن جابر بن عبد الله في الحبلى يريد زوجها أن يطلقها فقال: لا أراها تحيض فتعتدّ، ولو كنت مطلقَها فحتى تضع. والعامة تقول: إذا استبان حملها طلقها متى شاء.

قال بعضهم في الغائب يطلّق امرأته: إنه يكتب إليها: إذا حضتِ ثم تطهرتِ من محيضكِ فاعتدّي. فإن كانت حاملاً فاستبان حملها كتب إليها بطلاقها. وإذا طلقها بعض الطلاق، وكانت تعتد، ثم أتبعها طلاقاً، فإنها تعتد من أول طلاقها.

قوله عز وجل: ﴿ وَأَحْصُوا العِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ﴾ أي: فلا تطلقوهن في الدم ولا في الطهارة وقد جامعتموهن، إلا في الطهارة بعد أن يغتسلن من المحيض من قبل أن تجامعوهن.

قوله عز وجل: ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾ لا تخرج من بيتها حتى تنقضي عدتها، وإن[1] طلقها ثلاثاً في قول العامة. وفي قول ابن عباس والحسن إن شاءت خرجت إذا طلقها ثلاثاً، وإذا توفي عنها زوجها أيضاً.

معنى قولهما: تعتد منه وإن طلقها اثنتين أيضاً. ومعنى قول العامة أنها في المطلقات اللاتي دخل بهن لا يخرجن حتى تنقضي عدتهن.

(1) في ق و ع: «فإن طلقها» والصواب ما أثبته حتى يستقيم المعنى.

وهذا الخروج ألا تتحول من بيتها. فإن احتاجت إلى الخروج بالنهار لحاجتها خرجت ولا تمسي[1] إلا في بيتها.

ذكروا عن فاطمة بنت قيس أنها أتت النبي عليه السلام وقد أَبَتَّ زوجُها طلاقها فقال لا سكنى لك ولا نفقة[2].

ذكروا عن عمر أنه قال: ما كنا لنأخذ بقول امرأة لعلها وهمت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: لها السكنى والنفقة[3].

ذكروا عن ميمون بن مهران قال: سألت ابن المسيب عن أشياء فقال: إنك تسأل سؤال رجل يمتحن، فهل خالفت في شيء مما سمعت ما سمعت من غيري. قلت: لا، إلا قولك في المطلقات إنها لا تنتقل، فما بال حديث فاطمة بنت قيس. فقال:

(1) كذا في ق و ع. وفي ز: «ولا تبيت» وكلاهما صحيح، والتعبير الثاني أكثر تسامحاً.

(2) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها (رقم 1480) ولفظه: لا نفقة لك ولا سكنى. وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق. باب المطلقة ثلاثاً هل لها سكنى ونفقة، عن فاطمة بنت قيس أيضاً (رقم 2035 و2036).

(3) لم أجد فيما بين يدي من مصادر الحديث رواية لهذا الحديث بسند صحيح يرفعه راويه إلى رسول الله ﷺ إلا رواية من طريق إبراهيم النخعي، وهو حديث منقطع لا تقوم به حجة. وإنما ورد في بعضها قول عمر هكذا: قال عمر: لا نترك كتاب الله وسنة نبينا ﷺ لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت؛ لها السكنى والنفقة، قال الله عز وجل: (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة). انظر في صحيح مسلم أحاديث الباب، واقرأ في نيل الأوطار للشوكاني ج 6 ص 319-322، باب ما جاء في نفقة المبتوتة، تحقيقاً قيماً انتهى به صاحبه إلى أن حديث فاطمة بنت قيس هو الصحيح، وأن ما نسب إلى عمر «كذب على عمر وكذب على رسول الله ﷺ». وقال الدارقطني: السنة بيد فاطمة قطعاً. وانظر فتح الباري، ج 9 ص 477-481، وانظر الجصاص، أحكام القرآن ج 5 ص 355-358.

وجمهور فقهاء الإباضية على أنه لا نفقة ولا سكنى للمطلقة طلاقاً بائناً، على أن في المسألة خلافاً داخل المذهب. انظر السالمي، شرح الجامع الصحيح ج 3 ص 74-78، وانظر السالمي، جوهر النظام ج 1 ص 205، وانظر الجناوني، كتاب النكاح، ص 305-306 وتعليق الشيخ على معمر رحمه الله في الموضوع، وانظر اطفيش، شرح النيل، ج 7 ص 397-398. وانظر بشر بن غانم الخراساني، المدونة الصغرى، ج 2 ص 267.

ويح تلك المرأة، كيف فتنت الناس. قلت: إن كان أفتاها رسول الله ﷺ فما فتنت.

قوله عز وجل: ﴿ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ ذكروا عن نافع عن ابن عمر قال: [الفاحشة المبيّنة خروجها في عدتها. وقال بعضهم][1]: الفاحشة: الزنا، والمبيّنة أن يشهد عليها أربعة أنها زنت[2].

وكانت المرأة إذا زنت وشهد عليها أربعة أخرجت من بيت زوجها، وحبست في بيت آخر قبل أن ينزل حد الزاني، وهو قوله عز وجل: (وَاللاتِي يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيْهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) [النساء: 15] فنسخ ذلك في هذه الآية: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) [النور: 2].

وبعضهم يقول: (إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ) أي: تزني فتخرج فيقام عليها الحد. وبعضهم يقول: الفاحشة المبيّنة: النشوز البيّن[3].

قوله عز وجل: ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ ﴾ أي: أحكام الله. وقال الكلبي: هذا حد الله، بيّن فيه طاعته ومعصيته. قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ ﴾ أي يجاوز ما أمر الله به ﴿ فَقَد ظَّلَمَ نَفْسَهُ ﴾[4].

قوله عز وجل: ﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْراً ﴾ أي: المراجعة، رجع إلى أول السورة: (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا العِدَّةَ) أي: له الرجعة في التطليقة والتطليقتين ما لم تنقض العدةُ فتغتسل من الحيضة الثالثة إن كانت ممن تحيض، أو

(1) سقط ما بين المعقوفين من ق وع، فأثبته من ز، ورقة 365. وهو الموافق لما جاء في تفسير الطبري ج 28 ص 134 منسوباً إلى ابن عمر، والقول الذي جاء بعده هو قول لابن زيد كما جاء في تفسير الطبري، ونُسب أيضاً إلى الحسن وإلى مجاهد.

(2) يكون هذا قولاً لمن قرأ بفتح الياء المشددة من مبيّنة، وهي قراءة ابن كثير وأبي بكر كما ذكرها الداني في التيسير، ص 95.

(3) قال أبو الحواري في تفسير الخمسمائة آية: «(الفَاحِشَةُ المُبَيِّنَةُ): العصيان البيّن وهو النشوز».

(4) جاء في ز بعد قوله: (فَقَد ظَّلَمَ نَفْسَهُ) «أي: بمعصيته من غير شرك».

ثلاثةُ أشهر إن كانت ممن لا تحيض، كبيرة قعدت عن المحيض، أو صغيرة لم تحض بعد. وكذلك الضهياء[1] التي لا تحيض.

قوله عز وجل: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ [أي: منتهى العدة][6] ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾. وذلك أن الرجل كان يطلق المرأة فيتركها حتى تشرف على انتهاء عدتها، ثم يراجعها، ثم يطلقها، فتقضي المرأة تسع حيضات، فنهى الله عن ذلك في هاتين الآيتين. (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) والآية التي في سورة البقرة: (فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا) [البقرة: 231] يعني ما كانوا يعتدون فتصير تسع حيضات، فنهى الله عن ذلك، وهو قوله: (فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) [البقرة: 229]، وهو قوله: (وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِّيثَاقاً غَلِيظاً) [النساء: 21] وذلك من حين يملكها.

قوله عز وجل: ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ فإن هو أراد أن يراجعها قبل أن تنقضي العدة [وغشيها قبل أن يشهد][3] فقد حرمت عليه في قول جابر بن زيد وأبي عبيدة والعامة من فقهائنا. وكان إبراهيم يقول: غشيانه لها مراجعة، ويشهد بعد ذلك بالمراجعة.

وإن هو لم يراجعها حتى تنقضي العدة فهي الفرقة التي قال الله عز وجل:

---

(1) الضهيأة والضهياء: التي لا ثدي لها ولا تحيض. انظر اللسان: ضها).

(2) زيادة من ز ورقة 365.

(3) سقط ما بين المعقوفين من ق و ع، والسياق يقتضيه حتى يكون للحكم معنى وجيه. وهو قول عند الإباضية قديم. قال أبو الحواري في تفسير الخمسمائة آية ص 184: «وإن جامعها من قبل أن يشهد بانت عنه ولا يتزوجها أبداً». وفي المدونة الكبرى لأبي غانم الخراساني ج 2 ص 92 ما يلي: «قلت فرجل طلق امرأته وأشهد وغشيها في العدة ولم يشهد قال: حدثني أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس أنه قال: حرمت عليه أبداً ولو نكحت أزواجاً غيره فماتوا أو طلقوها لم تحل له أبداً». وجاء في المدونة ج 2 ص 90: «قال المرتب: جاء الحديث من راجع بلا إشهاد فهو زان» (كذا) ولم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من المصادر.

(أَوْفَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ). فإذا انقضت العدة بانت عنه بواحدة إن كان طلقها واحدة: أو اثنتين، ما لم يطلقها ثلاثاً.

ذكروا عن الأسود بن يزيد أن امرأة طلقها زوجها وتركها حتى وضعت ماءها لتغتسل من الحيضة الثالثة فراجعها. فردها عليه عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، وهو قول علي وأبي موسى الأشعري وعمران بن حصين وابن عباس.

ذكر الزهري عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت عن عائشة رضي الله عنها قالت: إذا دخلت في الحيضة الثالثة فقد بانت عنه.

وحدثني الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه أنه قال: إذا دخلت في الحيضة الثالثة فقد بانت عنه. وكذلك حدثني عثمان عن نافع عن ابن عمر. وأهل العراق يقولون: الأقراء: الحيض، وأهل المدينة يقولون: الأقراء: الطهر. وقد بيّنا قولهم في سورة البقرة[1].

وقوله عز وجل: (وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنْكُمْ) أي: على الطلاق والمراجعة.

وإذا طلق الرجل امرأته تطليقة أو تطليقتين، ثم تركها حتى تنقضي عدتها، فتزوجت رجلاً غيره، فطلقها أو مات عنها، فراجعها الأول، فإن عثمان حدثني أن رسول الله ﷺ أتِيَ في ذلك فقضى على ما بقي من طلاقها.

ذكر الحسن عن أبي هريرة قال: شهد عندي نفر فيهم عمر، وعمر أصدقهم، أنها عنده على ما بقي من طلاقها. ذكروا عن الحسن عن أبيّ بن كعب قال: هي عنده على ما بقي من طلاقها، وهو قول علي وعمران بن حصين.

قوله عز وجل: ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ﴾ أي: يقوم من كانت عنده فليُؤَدِّها ولا يكتُمْها (وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ) [البقرة: 283].

(1) انظر ما سلف، ج 1 ص 215.

قال عز وجل: ﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ﴾. تفسير الحسن: يجعل له مخرجاً من الشرك إذا تاب، ويغفر له ما مضى[1]. ذكروا عن الأعمش قال: إن المخرج أنه مِن قِبَل الله، وأنه هو الذي يعطيه ويمنعه. قال عز وجل: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ أي: من حيث لا يرجو.

قال: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَـلِغُ أَمْرِهِ ﴾ أي: قاض[2] أمره على من توكل عليه وعلى من لم يتوكل عليه. ﴿ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾ أي: منتهى ينتهي إليه.

قوله عز وجل: ﴿ والَّـئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمُ إِنِ ارْتَبْتُمْ ﴾ [أي: إن شككتم][3] يعني بقوله: (إِنِ ارْتَبْتُمْ) الأزواج، وبقوله: (يَئِسْنَ) النساء عند أنفسهن (مِنَ الْمَحِيض) ﴿ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـثَةُ أَشْهُرٍ ﴾ أي: هي مأمونة في ذلك. وقال في آية أخرى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) فالمرأة مأمونة على عدتها. قال عز وجل: (وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ) [البقرة: 228] أي: لا تقول: أنا حامل وليست بحامل، ولا تقول: إني لست بحامل وهي حامل، ولا تقول: إني لست بحائض، وهي حائض، ولا تقول: إني حائض وليست بحائض.

وقال الحسن: إذا كانت المرأة لا تحيض إلا كل سنة اعتدت به إذا علم أنه حيضها. غير واحد من العلماء قال: تعتد بالحَيْضِ ما كان إلا أن يعلم أنه قطع.

ذكروا عن عكرمة أنه قال: من الريبة المستحاضة والتي لا يستقيم لها حيض؛ تحيض في الشهر مرتين وفي الشهر مرة، فعدتها ثلاثة أشهر. والعامة أن حيضها إذا كان في الشهر مرتين اعتدت به، ولا يكون دون ذلك.

ذكر الزهري عن سعيد بن المسيب قال: عدة المستحاضة سنة. ذكروا عن

(1) كذا في ق و ع، وفي ز ورقة 365: «تفسير ابن عباس في قوله عز وجل: (وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً) قال: من كل ضيق».
(2) كذا في ق و ع، وفي ز: «أي يبلغ أمره على من توكل عليه...».
(3) زيادة من ز.

الحسن وعطاء والحكم بن عيينة أنهم قالوا في المستحاضة إذا طلقت أنها تعتد أيام أقرائها.

ذكروا أن عمر بن الخطاب قال في التي تطلق ثم تحيض حيضة أو حيضتين، ثم ترتفع حيضتها أنها تعتد تسعة أشهر. فإن تبين حملها وإلا اعتدت ثلاثة أشهر.

ذكروا عن حماد بن إبراهيم عن علقمة أنه طلق امرأته فحاضت حيضتين، ثم لبثت في الحيضة الأخرى، قال بعضهم: ثمانية عشر شهراً، وقال بعضهم: ستة عشر شهراً، ثم ماتت. فقال عبد الله بن مسعود: حبس الله عليك ميراثها بكلها[1].

وقول أصحابنا في هذا أنها تعتد بالحيض ما كانت إلا أن تكون قعدت عن المحيض فتعتد ثلاثة أشهر.

قوله عز وجل: ﴿ وَالَّـٰئِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ وهذه التي لم تبلغ الحلم، هي مع اللائي يئسن من المحيض، وكذلك الضهياء التي لا تحيض، عدتها ثلاثة أشهر.

قوله عز وجل: ﴿ وَأُولَٰتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ هذه نسخت[2] التي في سورة البقرة: (وَالذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً) [البقرة: 234]. وإن كانت حاملاً فأجلها أبعد الأجلين في قول علي بن أبي طالب وابن عباس. وهو قول جابر بن زيد وأبي عبيدة والعامة من فقهائنا. وفيها اختلاف. وقول العامة إنها نسخ منها الحامل فجعل أجلها أن تضع حملها. وهو قول أهل الخلاف، ورووه عن أبي بن كعب وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود[3].

(1) كذا في ق و ع: «بكلها» ولست مطمئناً إلى صحة الكلمة ولعل بها تصحيفاً.

(2) كذا في ز: «نسخت»، وفي ق: هذه هي التي في البقرة، وفي ع كلمة مطموسة.

(3) اعتماداً على هذا القول الأخير يمكن لامرأة توفي عنها زوجها وهي حامل فوضعت حملها بعد ساعة أو ساعتين أن تتزوج في نفس اليوم لأنها تكون قد خرجت من عدتها بوضعها. لذا كان رأي الإمام علي وابن عباس أولى بالاعتبار وأنسب لحرمة الزوج، خاصة إذا تأملنا قوله تعالى: (فما لكم عليهن من عدة) وأدركنا أن العدة حق للزوج؛ ومن الوفاء له أن تعتد المرأة بأبعد الأجلين.

قول الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ﴾ أي: في القرآن. ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُم مِّنْ وُجْدِكُمْ ﴾ أي: من سعتكم، يعني أن لها المسكن حتى تنقضي العدة ﴿ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ ﴾ أي: في المسكن ﴿ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ أي: إن كانت حاملاً أنفق عليها حتى تضع حملها إذا طلقها.

ذكروا عن سعيد بن المسيب أنه قال: المطلقة ثلاثاً وليست حبلى لها السكنى ولا نفقة لها. ذكروا عن ابن عمر أنه قال: المطلقة ثلاثاً لا تنتقل، وهي في ذلك لا نفقة لها[1].

ذكروا أن علياً كان يقول: أيما رجل طلق امرأته فلينفق عليها حتى يتبين له أنها حامل أم لا. فإن كانت حاملاً أنفق عليها حتى تضع حملها، وإن لم يكن حمل فلا نفقة لها.

وذكر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس وابن الزبير قالا: نفقتها من نصيبها. وقال ابن مسعود النفقة من جميع المال. وبِقَوْلِ ابن عباس وابن الزبير يأخذ أصحابنا وعليه يعتمدون، وهو قول أبي عبيدة والعامة من فقهائنا.

قوله: ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَئَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي أجر الرضاع ﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾ يعني الرجل والمرأة[2]. ﴿ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ ﴾ أي في الرضاع ﴿ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴾ أي: فاسترضعوا له امرأة أخرى. وهو قوله: (وَإِنَ اردتُّمُ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا ءاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ) [البقرة: 233].

قال تعالى: ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾ أي: قُتِر عليه رزقه

(1) انظر الدكتور محمد رواس قلعجي: موسوعة فقه عبد الله بن عمر، (نفقة) ص 702.

(2) جاء في ز ما يلي: «قال محمد: يقول: ليأمر بعضكم بعضاً بالمعروف في رضاع المولود والرفق به حتى تتفقوا على شيء معلوم من أجر الرضاع».

﴿ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَيٰهُ اللهُ ﴾ أي من النفقة على مطلقته ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا مَا ءَاتَيٰهَا ﴾ أي: إلا ما أعطاها من الرزق ﴿ سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾ أي: سيجعل الله بعدما قتر عليه الرزق بأن يوسع عليه يسراً.

ذكر عن الحسن عن عبد الله بن مسعود قال: ما أبالي على أي حال رجعت إلى أهلي؛ لئن كانوا على عسر، إني لأنتظر اليسر، وإن كانوا على يسر إني لأنتظر العسر.

قوله عز وجل: ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ أي: وكم ﴿ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ﴾ أي: عصت أمر ربها ورسله، يعني أهلها، أي: أهل هذه القرية ﴿ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَاباً نُّكْراً ﴾ قال الحسن: عذاباً عظيماً ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ أي: جزاء ذنوبها، وهي العقوبة، أي عقوبة شركهم وتكذيبهم الرسلَ، يعني من أهلك من الأمم السالفة، والوبال العقوبة، وهي الجزاء. قال عز وجل: ﴿ وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً ﴾ أي: خسروا به الجنة. ﴿ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً ﴾ أي: في الآخرة بعد عذاب الدنيا.

قال عز وجل: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَـٰبِ ﴾ أي: يا ذوي العقول ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً ﴾ أي: القرآن ﴿ رَّسُولاً ﴾ أي: محمداً ﷺ أي: أنزل إليكم ذكراً بالرسول الذي جاءكم[1]. ﴿ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ اللهِ ﴾ أي: القرآن ﴿ مُبَيَّنَـٰتٍ ﴾ أي: بيّنها رسول الله ﷺ. هذا على مقرأ من قرأها مفتوحة الياء، وهي تقرأ أيضاً (مُبَيِّنَاتٍ) مكسورة الياء، أي هي تبيّن.

قال عز وجل: ﴿ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي: من الضلالة إلى الهدى.

قال عز وجل: ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحاً نُّدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقاً ﴾ أي: في الجنة.

---

(1) انظر: أبو البركات بن الأنباري، البيان في إعراب غريب القرآن، ج 2 ص 444، فقد أورد المؤلف خمسة أوجه لإعراب (رَسُولاً).

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ ﴾ ذكروا عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوماً: ما تسمون هذا؟ أو قال: هذه؟ قالوا: السماء. قال: هي الرقيع الموج المكفوف، وغلظها مسيرة خمسمائة عام، وبينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام، وغلظها مسيرة خمسمائة عام، وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام، وغلظها كذلك، حتى عَدَّ سبع سماوات. وبين السماء السابعة وبين العرش كما بين السماءين. وغلظ هذه الأرض مسيرة خمسمائة عام، وبينها وبين الثانية مسيرة خمسمائة عام وغلظها مسيرة خمسمائة عام، وكذلك ما بينها وبين الثالثة إلى سبع أرضين كما بين السماء والسماء وكغلظها[1].

قال عز وجل: ﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ ﴾ أي: يتنزل الوحي بين السماء والأرض. وقال مجاهد: بين الأرض السابعة وبين السماء السابعة ﴿ لِتَعۡلَمُوٓاْ ﴾ بهذا الوحي ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ أي: أحاط علمه بكل شيء فلا يخرج عن علمه شيء.

---

(1) انظر ما سلف، ج 1 ص 88.

تفسير سورة التحريم، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ يَـٰأَيُّهَا النَّبِي لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهِ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوٰجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

كان النبي عليه السلام حرّم أم إبراهيم على نفسه، وأسرّ ذلك إلى حفصة دون أزواجه، وذلك أن حفصة زارت أباها فرجعت، فوجدت رسول الله ﷺ مع مارية، أم إبراهيم، في البيت. فلما خرجت مارية دخلت حفصة على رسول الله ﷺ فقالت له: أما إني[1] قد رأيت من معك في البيت. فقال: والله لأرضينّك، هي علي حرام، فلا تخبري بذلك أحداً. وقال بعضهم: لا تخبري عائشة. فانطلقت حفصة إلى عائشة فأخبرتها. وقد كانتا تظاهران، أي: تعاونان، على نساء النبي عليه السلام فأنزل الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبي لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[2].

---

(1) في ق وع: «أما أنا» وأثبت ما جاء في ز، ورقة 365، فهو أبلغ.

(2) هذا سبب من أسباب نزول الآية. وهنالك سبب آخر ذكره المفسرون ورجال الحديث في كتبهم، وهو أن النبي ﷺ شرب عسلاً عند زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وبعض أزواج النبي عليه السلام على أن يقلن له عليه السلام: أكلت مغافير... إلى آخر القصة، انظر مثلاً صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة التحريم، وانظر صحيح مسلم كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق (رقم 1474) وانظر الواحدي، أسباب النزول، ص 466-468.

قال تعالى: ﴿ قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾ أي: كفارة أيمانكم. وهو قوله في سورة المائدة: (فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَـامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنَ اوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمُ أَوْ كِسْوَتُهُمُ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ) [المائدة: 89]. قال تعالى: ﴿ وَاللهُ مَوْلَيْكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ ﴾ أي: بخلقه ﴿ الحَكِيمُ ﴾ في أمره.

فأمر رسول الله ﷺ بالكفارة فكفَّر عن يمينه.

ذكروا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في الرجل يحرم عليه امرأته قال: عليه كفارة يمين: وقال: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [الممتحنة: 6][(1)].

قال الحسن: إن رسول الله ﷺ حرّم جاريته فأنزل الله: (يَا أَيُّهَا النَّبِي لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ) وقوله: (قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ) قال الحسن: هو في الإماء يمين، وفي الحرائر طلاق. والقول في ذلك عندنا قول ابن عباس[(2)].

وذكر الحسن عن علي أنه قال في الرجل يحرم عليه امرأته إنها ثلاثة لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره. وذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: في الحرام كفارة الظهار.

قوله: ﴿ وَإِذ أَسَرَّ النَّبِي إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ﴾ وهو ما أسرّ النبي عليه السلام إلى حفصة من تحريم أم إبراهيم على نفسه وقوله: لا تخبري بهذا أبداً. وأخبرت به عائشة ففشا ذلك، واطلع رسول الله ﷺ على سرهما.

(1) انظر صحيح مسلم، كتاب الطلاق، نفس الباب (رقم 1473).

(2) وهو الحق إن شاء الله. وهذا ما ذهب إليه جمهور علماء الإباضية قديماً وحديثاً. قال أبو الحواري في تفسير الخمسمائة آية: ص 201 بعد أن أورد آية التحريم هذه: «فمن قال لامرأته أو لجاريته أنت علي حرام فليكفر يمينه، وإن كان نوى طلاقاً فله ما نوى»، وانظر بكلي، فتاوى =

ذكروا عن يحيى بن سعيد عن عبيد بن حنين عن ابن عباس[1] قال: قلت لعمر بن الخطاب: من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ؛ فقال: حفصة وعائشة.

قوله عز وجل: (عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ) تفسير الكلبي أن رسول الله ﷺ قال لحفصة: ألم آمرك أن تكتمي سري ولا تخبري به أحداً، لِمَ أخبرت به عائشة[2]. وذكر لها بعض الذي قالت، وأعرض عن بعض ولم يذكره لها.

قال عز وجل: ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾.

قال عز وجل: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ ﴾ يعني عائشة وحفصة ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ أي: زاغت، أي: مالت إلى الإثم، فأمرهما بالتوبة ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾ أي تعاونا عليه، أي على النبي عليه السلام ﴿ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَيْهُ ﴾ أي: وليه في العون له ﴿ وَجِبْرِيلُ ﴾ وليه ﴿ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أولياؤه، وهم النبيون. قال عز وجل في آية أخرى: (وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ) [آل عمران: 39]. وقال عز وجل: (كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ) [التحريم: 10] أي نبيين ﴿ وَالْمَلَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ أي: مع ذلك ﴿ ظَهِيرٌ ﴾ أي أعوان له. يعني النبي عليه السلام.

قوله عز وجل: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ ﴾ أي: مطيعات[3] ﴿تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾ أي: صائمات. ﴿ ثَيِّبَاتٍ ﴾ الواحدة ثيب ﴿ وَأَبْكَاراً ﴾.

= البكري، ج 2 ص 229 حيث اعتبر تحريم الزوجة يميناً تحلتها كفارة مرسلة، وهي التي وردت في سورة المائدة.

(1) ورد هذا السند فاسداً مضطرباً في ق و ع هكذا: «ويظاهر ذلك عن يحيى بن سعيد بن أبي عبيدة بن جبير فأثبت تصحيحه من صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة التحريم، ومن صحيح مسلم، كتاب الطلاق. باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى: (وَإِنْ تُظَاهَرَا عَلَيْهِ) (رقم 1479) من حديث ابن عباس الطويل وسؤاله لعمر بن الخطاب.

(2) في ق و ع: «ثم أخبرت به عائشة» وأثبت ما جاء في ز.

(3) في ق و ع: «طائعات» وأثبت ما جاء في ز، ورقة 366، مطيعات، وبهذا اللفظ فسره أبو عبيدة =

ذكروا[1] أن عمر بن الخطاب قال: وافقت ربي في أربعة، أو قال: وافقني ربي في أربعة: قلت: يا رسول الله، لو اتخذنا مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله (وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) [البقرة: 125]. قلت: يا رسول الله، يدخل عليك البار والفاجر، فلو أمرت نساءك أن يحتجبن، فأنزل الله آية الحجاب[2] وبلغنا أنه كان بين أزواج النبي عليه السلام وبين النبي عليه السلام بعض الشيء، فقلت: لتنتهنّ عن رسول الله أو ليبدلنّه الله أزواجاً خيراً منكن، فأنزل الله: (عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنْكُنَّ). ولما نزلت هذه الآية: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ثُمَّ خَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ثُمَّ خَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ) [المؤمنون: 12-14] قلت تبارك الله أحسن الخالقين. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لقد ختمها الله بما قلت[3].

قوله عز وجل: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾ أي: بطاعة الله ناراً. قال بعضهم: لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله: هذا نقي أنفسنا، فكيف نقي أهلينا. قال: تأمرونهم بطاعة الله[4].

قوله عز وجل: ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ﴾ أي: حطبها الناس والحجارة،

= في المجاز ج 2 ص 261، وهو أفصح.

(1) جمهور المفسرين على أن السائحين والسائحات هم الصائمون والصائمات، معتمدين في ذلك على حديث رُوِيَ مرفوعاً وموقوفاً عن أبي هريرة. وهنالك من يقول إن السائحات هن المهاجرات. انظر ما مضى ج 2 ص 170. وانظر تفسير الطبري ج 14 ص 500-506 ط. دار المعارف، وج 28 ص 164-165، ط. الحلبي. وقال الفراء في معاني القرآن ج 3 ص 167: «هن الصائمات، ونرى أن الصائم إنما سمي سائحاً لأن السائح لا زاد له، وإنما يأكل حيث يجد، فكأنه أخذ من ذلك والله أعلم».

(2) هي في سورة الأحزاب: الآية: 95: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ. . .) الآية.

(3) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 3 ص 133.

(4) أخرجه ابن مردويه عن زيد بن أسلم مرسلاً كما جاء في الدر المنثور ج 6 ص 244 ولفظه:=

أي: تأكل الناس وتأكل الحجارة في تفسير الحسن، وهي حجارة من كبريت [أحمر.

قال عز وجل: ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ أي: على أعداء الله. قال أبو العوام: الملك منهم في يده مرزبة من حديد لها شعبتان يضرب بها الضربة فيهوى بها سبعين ألفاً. ﴿ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ يَٰأَيُّهَا الذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ﴾ وهذا يقال لهم يوم القيامة ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: في الدنيا.

قوله عز وجل: ﴿ يَٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً ﴾ يحيى عن حماد عن سِماكِ بن حرب عن النعمان بن بشير قال: سألت عمر بن الخطاب عن التوبة النصوح قال: هي أن يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود فيه[1].

يحيى عن الفرات عن عبد الكريم عن زياد بن الجراح عن عبيد الله بن معقل قال: كان أبي عند عبد الله بن مسعود فسمعته يقول لعبد الله: أسمعت رسول الله ﷺ يقول: الندم توبة[2]. قال: نعم.

يحيى عن سفيان الثوري عن عاصم الأحول عن الشعبي قال: التائب من الذنب كمن لا ذنب له[3].

= «تأمرونهم بما يحبه الله وتنهونهم عما يكره الله. وذكر أن السائل هو عمر كما رواه الألوسي في روح المعاني ج 10 ص 156 بدون سند.

(1) هذا الأثر ورد منسوباً هنا إلى عمر بن الخطاب، وورد منسوباً إلى ابن مسعود في تفسير مجاهد، ص 684، وورد حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ بسند ضعيف في بعض المراجع. انظر السيوطي، الدر المنثور ج 6 ص 345.

(2) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة (رقم 4252) وصححه الحاكم عن ابن مسعود، وأورد الحديثَ الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية بزيادة: «الندم توبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب عليه».

(3) هذا نص حديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه (رقم 4250).

قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ ﴾ وعسى من الله واجبة ﴿ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ يقودهم إلى الجنة ﴿ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ كتبهم، وهي بشراهم بالجنة][1] ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

تفسير الكلبي: إنه يعطي كل مؤمن نوراً، وبعضهم أكثر من بعض، فيجوزون على الصراط منهم كالبرق، ومنهم من يكون كركض الفرس الجواد، ومنهم من يسعى سعياً، ومنهم من يزحف زحفاً، وهم الذين (يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). وقد فسرنا ما بلغنا من ذلك في سورة الحديد[2].

قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَـٰفِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: جاهد الكفار المشركين بالسيف، واغلظ على المنافقين بالحدود. قال: ﴿ وَمَأْوَيٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.

قوله عز وجل: ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾. تفسير ابن عباس: فخالفتاهما يقول: كانتا منافقتين [تظهران الإيمان وتسران الشرك][3]. فأما امرأة نوح فكانت تفشي سرّه، وكانت امرأة لوط إذا نزل به ضيف دخّنت لتُعلِم أنه نزل بلوط ضيف لعملهم السوء وإتيانهم الرجال في أدبارهم، فنافقتا بذلك.

وتفسير الحسن مثل تفسير ابن عباس إلا أنه يذهب في الخيانة أيضاً إلى أمر قبيح يجعلهما باغيتين بذلك. وحاشا لأنبياء الله من ذلك، وليس مذهبه هذا مذهباً لأنه كان يقال: ما بغت امرأة نبيّ قطُّ.

---

(1) ما بين المعقوفين ابتداء من الصفحة الماضية إلى هنا ساقط كله من ق وع، فأثبته من ز لإتمام النقص الذي ورد في تفسير الآيتين. وهذا دليل آخر على أن مخطوطتي ق وع نقلتا من أصل واحد، أو أن الواحدة نقلت من الأخرى.

(2) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 294.

(3) زيادة من ز، ورقة 366.

قال تعالى: ﴿ فَلَمْ يُغْنِيَـا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً ﴾ أي: لم يغن عمل نوح ولوط عليهما السلام عن امرأتيهما من الله شيئاً. ﴿ وَقِيلَ: ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِيـنَ ﴾.

وهذا مثل ضربه الله يحذّر حفصة وعائشة للذي كان مما قصّ في أول السورة.

وضرب لهما أيضاً مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ومريم بنت عمران، يأمرهما بالتمسك بطاعة الله وطاعة رسوله[1] فقال:

﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ ﴾ أي: في السماء، لأن الجنة في السماء والنار في الأرض. ﴿ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ ﴾. يقول الله: فامرأة فرعون ومنزلتها عند الله لم تغن عن فرعون من الله شيئاً إذ كان كافراً.

قال تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ التِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ أي عفّت جيب درعها عن الفواحش ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ أي فتناول جبريل جيبها بأصبعه فنفخ فيه فسار[2] إلى بطنها فحملت[3].

قال تعالى: ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكِتَـٰبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَـٰنِتِينَ ﴾. تفسير الكلبي: إن الكلمات: إنه عيسى؛ وذلك لقول جبريل: (إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً) [مريم: 19] ولقوله: (إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَّمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ والْحِكْمَةَ والتَّوْرَيٰةَ

---

(1) انظر ابن الجوزي، زاد المسير ج 8 ص 315 حيث ورد هذا القول منسوباً إلى يحيى بن سلام، وانظر ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن، ص 266.

(2) كذا في ق وع: «فسار» وفي ز، ورقة 367: «فصار إلى بطنها».

(3) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 169: «والفرج هاهنا جيب درعها. وذكر أن جبريل ﷺ نفخ في جيبها. وكل ما كان في الدرع من خرق أو غيره يقع عليه اسم الفرج. قال الله تعالى: (وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) [سورة قٓ: 6] يعني السماء، من فطور ولا صدوع».

وَالإِنْجِيلَ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ) [آل عمران: 45-49] وقال تعالى في هذه الآية: (وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ). أي وجميع الكتب في تفسير الحسن؛ وهو مقرأه. وتفسير الكلبي: الإنجيل ومقرأه وكِتَابِهِ (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) قال الحسن: القنوت طول القيام في الصلاة. وقال بعضهم: (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) أي: من المطيعين لربها.

تفسير سورة الملك وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ تَبَـٰرَكَ ﴾، وهو من باب البركة، كقوله: (تعالى) وهو من العلوّ. ﴿ الذِي بِيَدِهِ ﴾ أي: في يده. ﴿ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كِلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي: الذي لا يعجزه شيء.

﴿ الذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾. ذكروا عن الأعمش عن أبي سفيان عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ يؤتى بملك الموت يوم القيامة في صورة كبش أملح. فيجعل على سور بين الجنة والنار. ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة ويا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ هذا الموت، فيقولون: نعم، فيذبح على السور وهم ينظرون إليه. ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، وكل خالدٌ فيما هو فيه[1].

قوله عز وجل: (لِيَبْلُوَكُمُ) أي: ليختبركم (أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) قال: ﴿ وَهُوَ العَزِيزُ ﴾ في نقمته ﴿ الغَفُورُ ﴾ لمن تاب وآمن.

قوله عز وجل: ﴿ الذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوٰتٍ طِبَاقاً ﴾ أي: بعضها فوق بعض،

(1) هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة مريم، وخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (رقم 2850)، كلاهما يرويه من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد.
وانظر الإشارة إليه فيما مضى ج 3 ص 15.

غلظ كل سماء كما فسّرناه قبل هذا [1]. وما بينهما كذلك: وهو كقوله عز وجل: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ) [سورة المؤمنون: ١٧].

قال تعالى: ﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَـٰنِ مِنْ تَفَـٰوُتٍ ﴾ أي: من اختلاف، وهي مستوية كلها، كقوله عز وجل: (والسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) [الذاريات: ٧]. والحبك: استواؤها وحسنها.

قال تعالى: ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ ﴾ أي: فانظر إلى السماء ﴿ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ ﴾ على الاستفهام، أي: هل ترى من شقوق، أي: إنك لا ترى فيها شقوقا. ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ أي: مرة بعد مرة ﴿ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً ﴾ أي: فاترا ﴿ وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: كَليل، أي: قد أعيا لا يجد منفذا.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ﴾ وهي الكواكب ﴿ وَجَعَلْنَـٰهَا ﴾ أي: الكواكب ﴿ رُجُوماً لِلشَّيَـٰطِينَ﴾ يعني ما جعل منها رجوما. وكان الوقت الذي جعلت فيه رجوما حين[2] بعث النبي عليه السلام.

ذكروا عن أبي رجاء العطاردي قال: كنا قبل أن يبعث محمد ﷺ ما نرى نجما يرمى به، فبينما نحن ذات ليلة إذا النجوم قد رمي بها. فقلنا ما هذا؟ إن هذا إلا أمر حدث. فجاءنا أن النبي عليه السلام قد بعث، فانزل الله في هذه الآية، وفي سورة الجن: (وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً) [الجن: ٩].

ذكروا عن حسان بن أبي بلال قال: من قال في النجوم سوى هذه الأشياء الثلاثة فهو كاذب، ثم مفتن مبتدع. قال تعالى: (وَلَقَدْ زَيَّنا السَّمَاءَ الدُنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ). وقال: وَهُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي

(1) انظر ما مضى قريباً في هذا الجزء ص377.

(2) في ق و ع: «حيث بعث». . . ويمكن أن تكون الكلمة صحيحة لأن (حيث) التي تأتي للمكان أصلاً قد ترد أحياناً للزمان، وإن كان هذا قليلاً، انظر ابن هشام، مغني اللبيب ج 1 ص 131.

ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الانعام: ٩٧] فهي مصابيح ورجوم ويهتدى بها(1).

ذكروا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إذا رأيتم الكواكب قد رمي بها فتواروافإنها تحرق ولا تقتل. وفي تفسير الحسن: إنه يقتلهم في أسرع من طرف(2).

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ أي: وأعددنا لهم ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ أي: في الآخرة، أي: للذين يرجمون من الشياطين ولجماعة الشياطين. تفسير الحسن الذين هم يسترقون السمع، يسترق أحدهم السمع وهو يعلم أنه محترق وأن له في الآخرة عذاب السعير. والكلبي يقول: هم شرار إبليس. وقال الحسن: الشيطان والعفريت والمارد لا يكون إلا الكافر من الجن.

قوله عز وجل: ﴿وَلِلذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِيسَ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شهيقاً﴾ أي: صوتاً في تفسير الحسن ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ أي: تغلي ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ أي تتفرق ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ أي: تكاد يبين بعضها من بعض تغيّظا على أعداء الله.

قال: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ أي: التسعة عشر ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ أي نبي ينذركم عذاب الله في الدنيا والآخرة ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ﴾ يعنون الرسل والمؤمنين. ﴿إلا فِي ضَلَلٍ كَبِيرٍ﴾ أي في الدين. وهذا خاصة في بعض المشركين دون جميع المنافقين. وأهل الكتاب اليهود والنصارى لا يقولون هذا القول، فكيف أهل الاقرار بالله والنبي والكتاب لأن اليهود والنصارى يقولون إن الله أنزل عليه كتابا. وكانت اليهود يقرون بالتوراة ويجحدون الانجيل، وكانت النصارى يقرون بالإنجيل ويجحدون التوراة والقرآن.

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَـٰبِ السَّعِيرِ﴾ هؤلاء جميعُ

(1) نسب مثل هذا القول أيضاً لقتادة، قال: خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها في البر والبحر والأوقات، فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم. انظر تفسير القرطبي، ج 18 ص 211.

(2) جاء في ق و ع: «فإنه يحرف ولا يقتل»، أي: فإن الرمي بها يحرق ولا يقتل.

أصحابِ النار. أي: لو كنا نسمع أو نعقل في الدنيا لآمنا في الدنيَا وأوفينا بفرائض الله في الدنيا، فلم نكن من أصحاب السعير. والسعير اسم من أسماء جهنم، وجهنم كلها سعير تسعر بهم.

قال الله تعالى: ﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً ﴾ أي: فبعدا ﴿ لِأَصْحَـٰبِ السَّعِيرِ ﴾ أي: أهل السعير، أهل النار.

ثم قال: ﴿ إِنَّ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ﴾ أي: في السر، ومثلها في سورة قٓ: (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَـٰنَ بِالْغَيْبِ) [سورة قٓ: ٣٣] أي: يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها. ﴿ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ﴾ أي: فهو يعلمه ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُدُورِ ﴾ أي: بما في الصدور.

﴿ أَلَا يَعْلَـمُ مَـنْ خَلَقَ ﴾ على الاستفهام، أي: هو خلقكم فكيف لا يعلم سركم وعلانيتكم. ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ فبلطفه خلق الخلق، وهو الخبير بأعمالهم.

قوله عز وجل: ﴿ هُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً ﴾ أي: [سهّل لكم السلوك فيها[1] و] ذلّلها لكم. وهو كقوله: (فِرَاشاً) و(بِسَاطاً) و(مِهَاداً) ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ أي: فامضوا في مناكبها، ومناكبها، جوانبها[2]. وتفسير الحسن: جوانبها وطرقها، وقال الكَلْبِي: مناكبها: أطرافها. وقال بعضهم: نواحيها، وتفسير مجاهد: طرقها وفجاجها. قال: ﴿ وَكُلُوا مِنّ رِزْقِهِ ﴾ أي: الذي أحل لكم ﴿ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ أي: البعث.

قوله: ﴿ ءَأَمِنْتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ على الاستفهام، يعني نفسه ﴿ أَن يَّخْسِفَ بِكُمُ

(1) زيادة من ز، ورقة 367.

(2) في ق و ع: «جبالها»، وفي الكلمة تصحيف صوابه ما أثبته: «جوانبها». وبهذا اللفظ فسرها أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 262، والفراء في المعاني، ج 3 ص 171.

الأَرْضَ ﴾ أي: إنكم لا تأمنون ذلك ﴿ فَـإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ أي: تتحرك حين تخسف بكم. ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ يعني نفسه، وهي مثل الأولى، أي لا تأمنون ﴿ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ﴾ أي: كما حصب قوم لوط، أي: بالحجارة التي أمطرها عليهم. قال تعالى: ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيـرِ﴾ . وهذا تخويف. قال الحسن: يعني المشركين.

ثم قال للنبي عليع السلام: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الذِينَ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: من قبل قومك يا محمد ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِى ﴾ على الاستفهام، أي: كان شديداً. ونكيري، أي: عقوبتي.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰفَّـٰتٍ﴾ أي: بأجنحتها، أي: قد رواها﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾[1] قال الحسن: حين تحرك الطير جناحيها. وبعضهم يقول: (وَيَقْبِضْنَ) يعني إذا وقف الطائر صافا جناحيه لا يزول. قال تعالى: ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحمَـٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ أَمَّـنْ هَـٰذَا الذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَـٰنِ ﴾ على الاستفهام، أي: إن أراد عذابكم. أي: ليس أحد ينصركم من دون الله. قال تعالى: ﴿ إِنِ الْكَـٰفِرُونَ ﴾ أي: ما الكافرون ﴿ إِلاَّ فِي غُرُورٍ ﴾ يعني في غرور من الشياطين.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَـٰذَا الذي يَرْزُقُكُمْ إِن أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ على الاستفهام. أي: لا أحد. يقول: إن هذه الأوثان التي تعبدونها ليست بالتي ترزقكم. قال: ﴿ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ ﴾ أي من العتوّ، وهو الشرك[2] ﴿ وَنُفُورٍ ﴾ أي: عن الإيمان. وقال مجاهـد: أي: وكفور، وهو واحد[3].

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 262: «(إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ) باسطات أجنحتهن (وَيَقْبِضْنَ) فيضربن بأجنحتهن».

(2) كذا في ق و ع وفي ز: «وهو الشرك». والحق أن لفظ العتو يفيد معنى الطغيان والتكبر والتجبر. وفي مفردات الراغب: «العتو: النبوّ عن الطاعة».

(3) وقال الزمخشري في الكشاف، ج 4 ص 581: «بل تمادوا في عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه».

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ أي: لا يبصر: موضع قدميه، وهذا مِثل الكافر. أي: هو أعمى عن الهدى ﴿ أَهْدَىٰ ﴾ أي: هو أهدى ﴿ أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: عدلا مهتديا يبصر حيث يسلك، على طريق مستقيم، وهو الطريق إلى الجنة. وهذا مَثل المؤمن، أي: المؤمن أهدى من الكافر.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الذِي أَنْشَأَكُمْ أي: خلقكم ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبصَٰرَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: أقلكم من يشكر، أي: أقلكم المؤمن.

﴿ قَلْ هُو الذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرضِ ﴾ أي: خلقكم في الأرض ﴿ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي: يوم القيامة[1].

قال: ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ يعني المشركين ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

قال الله لنبيه عليه السلام ﴿ قُل إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي: علم الساعة. أي: متى الساعة، لا يعلـم قيامها إلا هو ﴿ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ ﴾ أي: أنذركم عذاب الله ﴿ مُّبِينٌ ﴾ أي أبيّن لكم عن الله.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ ﴾ يعني العذاب ﴿ زُلْفَةً ﴾ أي: قريباً، في تفسير الكلبي. وقال مجاهد: قد اقترب، وقال الحسن: عيانا ﴿ سِيئَتْ وُجُوهُ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: ساء العذاب وجوههم ﴿ وَقِيلَ ﴾ [لهم عند ذلك[2]] ﴿ هَٰذَا الذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴾[3] لقولهم: (إيتِنَا بِعَذَابِ اللهِ) [العنكبوت: ٢٩] استهزاء وتكذيبا.

---

(1) قال الراغب الأصبهاني: «الذرء: إظهار الله تعالى ما أخفاه. يقال: ذرأ الله الخلق، أي: أوجد أشخاصهم». وقال ابن قتيبة في قوله تعالى من سورة الأعراف، آية 179: (وَلَقَد ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ) أي: خلقنا لجهنم، ومنه ذرية الرجل؛ إنما هي الخلق ولكن همزها يتركه أكثر العرب، وانظر ابن قتيبة تفسير غريب القرآن ص 175.

(2) زيادة من ز، ورقة 368.

(3) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 262: «(الذِي كُنْتُم بِهِ تَدَّعُونَ) أي: تدعون به وتكذبون وتردون، وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 171: «يريد: تَدْعُونَ، وهو مثل قوله: تَذْكرون وَتذَّكرُون، وتخبرون وتختبرون، والمعنى واحد. والله أعلم».

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَن مَّعِيَ ﴾ من المؤمنين وهذا على القدرة، كقوله تعالى: (إِنَ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً) [المائدة: ١٧] قال تعالى: ﴿ أَوْرَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: موجع. أي ليس لهم مجير يمنعهم من عذاب الله.

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِ ﴾ أي: صدّقنا به ﴿ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ مَنْ هُوَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: إنكم أيها المشركون في ضلال مبين.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنَ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً ﴾ والغور: الذي لا يقدر عليه، أي: لا تدركه الدلاء، أي: قد غار في الأرض فذهب[1]. يعني أهل مكة. وماؤهم فيما بلغنا زمزم وبئر ميمون[2].

قال تعالى: ﴿ فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ أي: لا أحد. والمعين: الظاهر. وتفسير الحسن: المعين أصله من العيون.

(1) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن: «(أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً) أي: غائراً، وصف بالمصدر، يقال ماء غور ومياه غور، ولا يجمع ولا يثنّى ولا يؤنث، كما يقال رجل صوم رجال صوم، ونساء صوم، وانظر معاني الفراء ج 3 ص 172.

(2) بئر ميمون. ذكرها ياقوت في معجمه ولم يزد على أن قال: «بمكة» ولم يحدد موقعها. وقد ذكرها الطبري في تاريخه عدة مرات. وذكر ابن قتيبة في المعارف ص 283 أنها بأبطح مكة، وذكر بعضهم أنها بأعلى مكة وإنما نسبت إلى ميمون لأن الذي حفرها في الجاهلية هو ميمون الحضرمي، ولم تـرو له صحبة. أما أخوه العلاء بن الحضرمي فقد أسلم وحسن إسلامه فولاه رسول الله ﷺ البحرين، وتوفي رسول الله ﷺ وهو واليها. وأقره على ذلك أبو بكر فعمر رضي الله عنهما، وتوفي في خلافة عمر سنة أربع عشرة للهجرة.

تفسير سورة نٓ، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمَ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ نٓ والْقَلَمِ ﴾ ذكروا عن الحسن قال: نون: الدواة (والقلم) هذا القلم الذي يكتب به. وتفسير الكلبي: القلم الذي يكتب به الملائكة الذكر وأعمال العباد.

قوله: ﴿ وَمَا يَسْطُرونَ ﴾ أي: وما يكتبون، يعني الملائكة ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾.

ذكروا أن عليا قال: (الٓر) و(حٰمٓ) و(نٓ): الرحمـٰن. وبعضهم يقول: (نٓ) الحوت الذي عليه قرار الأرض. أقسم بهذا كله للنبي عليه السلام (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون) لقول المشركين إنه مجنون.

ومقرأ العامة نٓ بالوقف والإسكان ووقع القسم على القلم وما يسطرون وبعضهم يجرّون نٓ والقلم وما يسطرون ويحمله كله على القسم.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً ﴾ أي: ثوابا، يعني الجنة ﴿ غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ أي: غير محسوب، في تفسير مجاهد. وتفسير الحسن: غير ممنون عليك منٌّ أذى[1].

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ أي: لعلى دين عظيم، يعني الإسلام.

(1) وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 173: «غير مقطوع». وقال ابن قتيبة: «غير مقطوع ولا منقوص. يقال: مننت الحبل إذا قطعته». وبهذا اللفظ الأخير أورده ابن أبي زمنين في ز، ورقة 368.

ذكروا عن سعيد بن هشام عن عائشة قالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن. قالت: والقرآن فيه الدين.

قال: ﴿ فَسَتُبْصِرُ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ وَيُبْصِرُونَ ﴾ يعني المشركين ﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ أي: بأيكم الشيطان، والشيطان مفتون في تفسير مجاهد. أي: سيبصرون يوم القيامة أنك كنت المهتدي وأنهم الضُّلّال. (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) أي [أيكم الضال في تفسير الحسن؛ يجعل الباء صلة][1]. والمفتون الضال.

قال عز وجل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ أي: إنهم ضلال عن سبيل الهدى وإنك وأصحابك مهتدون. ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ إنهم كانوا يريدون أن يترك النبي عليه السلام ما جاء به.

قال عز وجل: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ قال الحسن: ودوا لو تدع هذا الأمر الذي بعثت به فيدعونه. [وتفسير بعضهم يقول: لو تداهن في دينكم فيداهنون في أديانهم. كانوا أرادوه على أن يعبد الله سنة ويعبد هو آلهتهم سنة][2].

قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ ﴾ أي: مكثار في الشر ﴿ مَّهِينٍ ﴾ أي: ضعيف في الخير ﴿ هَمَّازٍ ﴾ أي: يهمز الناس بلسانه وعينه، أي يغتابهم ﴿ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ أي: يفسد ذات البين ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ أي: يمنع حق الله عليه، في تفسير

(1) زيادة من ز ورقة 368: «يجعل الباء صلة» أي زائدة. وقال ابن قتيبة: (بِأَيِّكُمُ المَفْتُونُ) أي: أيكم المفتون، أي الذي فتن بالجنة، والباء زائدة كما قال الراجز: نضرب بالسيف ونرجو بالفرج، أي: ونرجو الفرج. وأورد أبو عبيدة الشطر الأول من الرجز هكذا: نحن بنو جعدة أصحاب الفلج... وقال الفراء: (المفتون) هاهنا بمعنى الجنون، وهو في مذهب الفتون، كما قالوا: ليس له معقول رأي». وقال ابن الأنباري في البيان في إعراب غريب القرآن، ج 2 ص 453 (بِأَيِّكُمُ المَفْتُونُ) أي: بأيكم الفتنة، كما يقال ما له معقول أي: عقل. وقيل الباء في (بأيكم) زائدة، وتقديره أيكم المفتون، أي: المجنون».

(2) زيادة من ز، ورقة 368. وقال الفراء: «يقال: ودوا لو تلين في دينك فيلينون في دينهم. وقال بعضهم: ودوا لو تكفر فيكفرون: أي فيتبعونك على الكفر».

الحسن. وقال بعضهم: مناع للإسلام. وتفسير مجاهد: (مَهِينٍ): ضعيف القلب. وتفسير الكلبي: (مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ) يمنع نفسه وقرابته أن يتبعوا رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ من الاعتِداء، أي: ظالم ﴿ أَثِيمٍ ﴾ أي: آثم.

قوله عز وجل: ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾. والعتل الفاحش، (بَعْدَ ذَلِكَ) أي: مع ذلك كقول الرجل: وهو مع ذلك كذا وكذا، وهو واحد. ﴿ زَنِيمٍ ﴾ والزنيم في تفسير الحسن اللئيم الضريبة، يعني الطبيعة.

ذكروا عن عكرمة عن ابن عباس قال: الزنيم: الدعيّ. قال الشاعر:

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زاد في عرض الأديم الاكارع[1]

وتفسير مجاهد: العتل: الشديد، والزنيم: الملحق في النسب.

ذكروا عن ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب عن أبي الدراداء، قال: العتل الزنيم: رحب الجوف، وثيق الخلق، أكول شروب، غشوم ظلوم.

قال بعضهم: هو الكافر المعروف كالشاة التي لها زنمتان تعرف بزنمتيها في سائر الغنم. وبلغنا أن هذه الصفات كلها في رجل من المشركين. وقد نهى الله المسلمين عن هذه الأخلاق كلها.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله، وشراركم النّمامون المفرّقون بين الأحبة، الباغون للبْرآءِ العنَتَ[2].

(1) نسب هذا البيت لشاعر جاهلي يدعى الخطيم التميمي، وقيل إنه لحسان بن ثابت، انظر اللسان: (زنم). وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 265: «الزنيم المعلق في القوم ليس منهم: قال حسان ابن ثابت:

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد».

(2) حديث صحيح، أخرج أوله ابن ماجه في كتاب الزهد، باب من لا يؤبه له عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول. . . (رقم 4119). وأخرجه أحمد بتمامه من طريقين كما في تفسير ابن كثير، ج 7 ص 83.

قال عز وجل: ﴿ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ على الاستفهام، أي: بأن كان ذا مال وبنين ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي: كذب الأولين وباطلهم. ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ أي: على أنفه بسواد يعرف به يوم القيامة. وقال بعضهم: أي: سيما لا تفارقه.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ ﴾ يعني أهل مكة ابتلوا بالجوع حين كذبوا النبي عليه السلام ﴿ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَـٰبَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ أي: إذا أصبحوا.

تفسير مجاهد: إن هؤلاء قوم كانوا أول أمرهم على الشرك.

وتفسير الكلبي إنهم أبناء قوم صالحين، وإن آباءهم جعلوا من جنتهم حظا للمساكين وابن السبيل. وكان حظ المساكين وابن السبيل عند الحِصاد ما أخطأ المنجل، وعند القِطاف ما أخطأ القاطف، وعند صِرام النخل ما انتثر خارجا من البساط الذي يبسط تحت النخل. فخلف أبناؤهم من بعدهم وقالوا: كثرنا وكثر عيالنا فليس للمساكين عندنا شيء. فتقاسموا ليصرمنّها مصبحين أي صبحاً ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ أي: ولا يقولون: إن شاء الله.

قال عز وجل: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ أي: عذاب من ربك ﴿ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ الصريم بمعنى المصروم. أي: الذاهب الهالك فأهلك تِلكَ الجنان وذلك الحرث.

﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴾ أي حِين أصبحوا ﴿ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴾.

---

(1) قيل: إن قصة أصحاب الجنة جرت لأبناء رجل صالح من أهل اليمن كان له زرع ونخل وعنب، فخلفه ثلاثة أبناء لم يتبعوا سيرة أبيهم في إكرام اليتامى والمساكين والأرامل. اقرأ القصة بعبارات موجزة بليغة في معاني الفراء ج 3 ص 174-174، وفي بعض كتب التفسير.

قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ﴾ أي: يتسارّون بينهم ﴿أَن لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ أي: أن لا تطعموا اليوم مسكينا.

قال عز وجل: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي: على جدّ من أمرهم، أي جادّين، ﴿قَـٰدِرِينَ﴾ أي: قادرين على جنتهم في أنفسهم. قال الحسن. (عَلَى حَرْدٍ) أي: على منع من الفاقة [1].

قال عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ خرابا سوداء، وعهدهم بها في الأمس عامرة، ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ أي: ضللنا الطريق، أي ظنوا إنها ليست جنّتهم. ثم أيقنوا أنها جنتُهم فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: حُرِمنا خيرَ جنّتنا.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: أعدلهم ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي هلا تستثنون [2].

﴿قَالُوا سُبْحَـٰنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ قَالُوا يَـٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾.

قال الله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي: هكذا كان العذاب، أي: كما قصصته عليك، يعني ما عذّبهم به مِن إهلاك جنّتهم. ﴿وَلَعَذَابُ الأخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ من عذاب الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يعني قريشا. رجع إلى قوله: (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ)، يعني قريشاً، لو كانوا يعلمون لعلموا أن عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا.

---

(1) أورد أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 265-266 عدة معان لكلمة (حَرْدٍ) منها القصد، والمنع، والغضب، وفسّرها الفراء في المعاني وقال: «على جِدّ وقدرة في أنفسهم» وقال: «والحَرْد أيضاً: القصد» ورد الطبري في تفسيره ج 29 ص 33 معنى المنع وقال مرجحاً: «صح أن الذي هو أولى بتأويل الآية قول من قال: معنى قوله: (وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ) وغدوا على أمر قد قصدوه واعتمدوه، واستسرّوه بينهم، قادرين عليه في أنفسهم».

(2) قال ابن منظور: «وقوله: (أَلَم أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) أي تستثنون، وفي الاستثناء تعظيم الله والإقرار بأنه لا يشاء أحد إلا أن يشاء الله، فوضع تنزيه الله موضع الاستثناء. اللسان: (سبح).

ذكروا أن رسول الله ﷺ نهى عن الحصاد ليلاً وعن الجداد ليلا. ذكروا عن الحسن أن رسول ﷺ نهى عن أن يُصرَم ليلاً وأن يُحصَد ليلاً(1).

ذكروا عن ابن عمر في قوله تعالى: (وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حِصَادِه) [الأنعام: 141] قال: هو سوى العشر ونصف العشر أن يُنَاوَل منه يوم حصاده. وذكروا عن مجاهد(2). وقال بعضهم: هو ما أخطأ المنجل.

قال بعضهم تراه إنما نهى عن الصرام ليلاً وعن الحصاد ليلاً وأن يضحيِ ليلاً لما كان للمساكين لئلا يُحرَمُوا أن يطعموا منه ولا يصنعون كما صنع أصحاب الجنة.

ذكروا عن الحسن وسعيد بن جبير قالوا: (وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قالوا: الزكاة المفروضة.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّـتِ النَّعِيـمِ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِيـنَ ﴾ أي: كالمشركين. أي: لا نفعل ذلك. ثم قال الله عزّ وجلّ للمشركين: ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ أي: ليس لكم حكم أن نجعل (3) المسلمين في الآخرة كالمشركين.

ذكروا عن ابن مسعود قال: ثلاثة أحلف عليهن ولا أستثني: لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، ولا ولى الله عبدا في الدنيا فيوليه(4) غيره [في الآخرة]، ولا يحِب عبد قوماً إلا كان معهم. والرابعة لو حلفت عليها لبررت: لا يستُرُ الله على عبد في الدنيا إلا ستر عليه غدا في الآخرة.

قال الله: ﴿ أَمْ لَكُمْ ﴾ يقوله للمشركين. ﴿ كِتَـٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ أي: تقرأون

(1) حديث صحيح أخرجه البيهقي من حديث الحسن.
(2) جاء في تفسير مجاهد ص 225 ما يلي: «(وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال: نافلة واجباً حين يصرم سوى الزكاة». وانظر تفسير الطبري ج 12 ص 163. ط دار المعارف.
(3) كذا في ق و ع، وفي ز «أي: ليس حكمنا أن نجعل. . .».
(4) كذا في ق: «فيوليه»، وفي ع «فوليه»، وفي ع «فوليه»، وفي كليْهما غموض.

﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ ﴾ أي: في ذلك الكتاب ﴿ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴾ أي: ما تخيّرون. واللام صلة. [أي: ليس عندكم كتاب تقرأون فيه إن لكم لما تخيرون][1].

قال تعالى: ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَـٰنٌ عَلَيْنَا بَـٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ أي ما تحكمون. يقول أم جعلنا لكم بأن لكم ما تحكمون. أي: لم نفعل. وقد جعل الله للمؤمنين عنده عهدا. وقال: (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إلا مَن اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَـٰنِ عَهْداً) [مريم: ٨٧]. وقال لليهود: (قُلَ اتخَذتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَن يُّخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ) [البقرة: ٨٠].

قال تعالى: ﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴾ أي: حميل[2]، أي: يحمل عنا لهم بأن لهم ما يحكمون، أي: يوم القيامة لأنفسهم بالجنة، إن كانت جنة لقول أحدهم: (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ) [سورة فصلت: ٥٠] أي للجنة، إن كانت جنة.

قوله عز وجل: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾ أي: خلقوا مع الله شيئا ﴿ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَـٰئِهِمْ إِنْ كَانُوا صَـٰدِقِينَ ﴾. أي: قد أشركوا بالله آلهة لم يخلقوا مع الله شيئاً.

قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ قال الحسن: عن ساق الآخرة. وقال مجاهد: عن شدة الأمر وجده، أي: عن الأمر الشديد.

وحدثني[3] هشام عن المغيرة عن إبراهيم عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) قال: يكشف عن شدة يوم القيامة. وعن الضحاك أنه كان يرى مثل ذلك.

---

(1) زيادة من ز ورقة 369.

(2) جاء في معاني الفراء ج 3 ص 3 ص 177: «يريد: كفيل، ويقال له الحميل؛ والقبيل والصبير والزعيم في كلام العرب: الضامن والمتكلم عنهم، والقائم بأمرهم».

(3) هذه الأقوال في تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) جاءت في ق و ع بعد قوله تعالى إن كيدي متين) فجعلتها في نسقها مع الأقوال الأولى. والعبارة حدثني إنما هي من قول ابن سلام ولا شك.

قال ابن عباس: كانت العرب إذا اشتدت الحرب بينهم قالوا: قامت الحرب بنا على ساق. وعن سعيد بن جبير أنه سئل عن قوله: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) فغضب وقال: والله إنكم لتقولون قولاً عظيماً، إنما يعني الأمر الشديد. وعن سعيد بن جبير مثله: هو عذاب الاستئصال، يعني إنه يعذبهم بالنفخة الأولى قبل عذاب يوم القيامة.

قال عز وجل: ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي: ذليلة أبصارهم ﴿ تَرْهَقُهُمْ ﴾ أي: تغشاهم ﴿ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ﴾ أي: إلى الصلاة المفروضة ﴿ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾. رجع إلى قوله تعالى: (وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ) أي: يُخادَعون بذلك كما كانوا يُخادِعون في الدنيا، وذلك أن سجودهم في الدنيا راءَوا بِهِ الناس[1].

قوله عز وجل: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ﴾ يعني القرآن. وهذا وعيد بالعذاب لمن كذب بالقرآن. ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم ﴾ يعني المكذبين ﴿ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهذا مثل قوله عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ) أي: مكانِ الشدة الرخاء (حَتَّى عَفَوْا) أي حتى كثروا (وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ والسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُون) [الأعراف: 94 ـ 95] أي أخذناهم أحسن ما كانوا حالاً وآمنه، فأهلكهم، فحذّر المشركين ذلك.

قوله عز وجل: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾ [أي: أطيل لهم وأمهلهم][2] حتى يبلغوا الوقت الذي آخذهم فيه. ﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ أي شديد. وكيده أخذه إياهم بالعذاب. وقد عذّب الله أوائل هذه الأمة أبا جهل وأصحابه بعذاب شديد.

قال تعالى: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ ﴾ يقول للنبي عليه السلام: أم تسأل المشركين على

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز، ورقة 370: «وذلك أن سجودهم في الدنيا لم يكن لله إنما كان رياء حتى لا يُقتلوا ولا تُسبى ذراريهم». وهذه العبارة أوفى وأوضح معنى.

(2) زيادة من ز، ورقة 370.

القرآن ﴿ أَجْراً فَهُمْ مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ أي: قد أثقلهم الغرم. وهذا استفهام. أي: إنك لست تسألهم أجراً على القرآن.

قال: ﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ ﴾ أي: علم الغيب ﴿ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ أي: لأنفسهم الجنة.

إن كانت جنة ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ أي: الذي يحكم عليك، وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم، ثم أمر بقتالهم. ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ يعني يونس ﴿ إِذْ نَادَىٰ ﴾ [يعني في بطن الحوت] ﴿ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ أي: مكروب. وقد مضى تفسير قصة يونس في غير هذا الموضع[1]. قال: ﴿لَّوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ فتاب عليه ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ ﴾ أي بالأرض إلى يوم القيامة ﴿ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ أي: عند الله. وقال بعضهم: حين نبذ، أي: حين أخرج من بطن الحوت. كقوله: (فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ) [الصافات: 145]. قال: ﴿ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ ﴾ أي: فاصطفاه ربه وأنقذه مما كان فيه ﴿ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾.

قال عز وجل: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾ أي: لينفذونك ﴿ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ [لشدة نظرهم عداوة وبغضاً][2] ﴿ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ﴾ أي القرآن، بُغضاً له ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ يعنون محمدا عليه السلام ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ يعني القرآن ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ أي: يذكرون به الآخرة والجنة والنار.

---

(1) انظر ما سلف، ج 3 ص 459 - 462.

(2) سقط ما بين المعقوفين من قو ع فأثبته من ز. وورد مكانه في ق و ع: «قتلا». ولئن صح هذا اللفظ فالمراد قتله بإصابته بالعين كما جاء في بعض التفاسير، منها معاني الفراء ج 3 ص 179. ولكن ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 482 يرد هذا المعنى فيقول: «ولم يرد الله - جل وعز - في هذا الموضع أنهم يصيبونك بأعينهم. كما يصيب العائن بعينه ما يستحسنه ويعجب منه. وإنما أراد أنهم ينظرون إليك، إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء، يكاد يزلقك أي: يسقطك كما قال الشاعر:

يَتَقَارَضُونَ إِذَا الْتَقَوْا فِي مَوْطِنٍ نَظَراً يُزِيلُ مَوَاطِىءَ الأَقْدَامِ».

تفسير سورة الحاقة، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ الحَاقَّةُ مَا الحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَيٰكَ مَا الحَاقَّةُ ﴾ أي: إنك لم تكن تدري ما الحاقة حتى أعلمتكها[1]. والحاقة اسم من أسماء القيامة أحقت لأقوام الجنة وأحقت لأقوام النار. قال بعضهم: كل شيء في القرآن: (وَمَا أَدْرَاكَ) فقد أدراه، أي: أعلمه إياه، وكل شيء (وَمَا يُدْرِيكَ) فهو لم يعلمه إياه بعدُ.

قوله عز وجل: ﴿ كَذَّبَت ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾ أي: كذبوا بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة، في تفسير الحسن. وتفسير الكلبي: القارعة اسم من أسماء جهنم.

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ قال الحسن: أي: بطغيانهم، كقوله: ﴿ كَذَّبَت ثَمُودُ بِطَغْوَايهَا) [الشمس: 11] أي: بشركها. وقال الكلبي: الطاغية الصاعقة التي أهلكوا بها. وتفسير مجاهد: (بِالطَّاغِيَةِ) أي: بالذنوب.

قوله: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾ أي: باردة شديدة البرد ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ أي: عتت على خزانها بأمر ربها، كانت تخرج من قبل بقدر، فعتت يومئذ على خزانها، مثل قوله: (إِنَّا لَمَا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِي الجَارِيَةِ) [الحاقة: 11] أي: طغى الماء على خزانه إنه كان يخرج بقدر فطغى يومئذ على خزانه. وقال الحسن: العاتية: الشديدة، وضمّ أصابعه وشدّها، وضمّ أصابعه وشدها. قال: وكذلك أيضا. وقال مجاهد: عاتية: شديدة. والريح التي أهلك بها عادا هي الدبور.

(1) في ق وع: «حتى علمناك»، وأثبت ما جاء في ز: أعلمتكها، فهو أدق تعبيرا.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور[1].

قال: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً ﴾ اي: تباعا ليس بينها تفتير. وكان ذلك من يوم الأربعاء إلى الأربعاء [والليالي سبع من ليلة الخميس إلى ليلة الأربعاء][2]

﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ شبههم بالنخل التي قد انقعرت فوقعت. قوله: (خَاوِيَةٍ) أي: خاويةً أبدانهم من أرواحها مثل النخلة الخاوية. وتفسير الحسن أن النخل الخاوية هي البالية. وذكر بعضهم أن الريح تضرب أحدهم فتقلع رأسه بجميع أحشائه، فتلقيه خاوياً.

قال: ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ أي: من بقية. أي: إنك لا ترى أحدا باقيا، أي قد أهلكوا.

قوله عز وجل: ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ ﴾، وهي تقرأ على وجهين: (من قَبْلَه) و (من قِبَلَه) فمن قرأها (قَبْلَه) خفيفة، فهو يقول، ومن قَبْلَه من الأمم السالفة التي كذبت الرسل، ومن قرأها (قِبَلَه)، فهو يقول: ومن معه ﴿وَالْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴾، وهي قريات قوم لوط الثلاث. وقال بعضهم: خمس مدائن خسف بها كلها، (وَالْمُؤْتَفِكَاتِ)، أي: جاءوا جميعا: فرعون ومن قبله، على مقرأ من قرأها خفيفة أي: والمؤتفكات جاءوا جميعاً بالخاطئة. ومن قرأها مثقلة فهو يقول: وجاء فرعون ومن قِبَلَه، ومن معه، والمؤتفكات، أي جاءوا جميعا بالخاطئة.

وتفسير مجاهد: جاءوا جميعا بالخاطئة، أي: بالشرك. وقال بعضهم: بالمعصية. ﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾. أي: عصى كل قوم رسول ربهم الذي أرسل إليهم؛ كقوله عز وجل: (كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوه) [المؤمنون: 44].

---

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 3 ص 356.

(2) زيادة من ز، ورقة 370. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 180: «و (الحسوم): التباع إذا تتابع الشيء فلم ينقطع أوله عن آخره، قيل فيه: حسوم. . .».

قال: ﴿ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ قال مجاهد: أخذة شديد[1].

قال عز وجل: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ ﴾ أي: على خزانه بأمر ربه، وذلك يوم أغرق الله فيه قوم نوح ﴿ حَمَلْنَـٰكُمْ فِي الجَارِيَةِ ﴾ يعني نوحا ومن معه وأولاده الثلاثة الذين الناس من ذريتهم: سام وحام ويافث. والجارية السفينة.

قال عز وجل: ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً ﴾ أي: فتذكرون أن جميع من في الأرض غرقوا غير أهل السفينة. قال عز وجل: ﴿ وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ أي: حافظة. يعني بذلك التذكرة. وهي أذن المؤمن سمع التذكرة فوعاها بقلبه.

قال عز وجل: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، وقد فسّرنا الصور في غير هذا الموضع ﴿ نَفْخَةٌ وَّاحِدَةٌ ﴾ [بالرفع على ما لم يسمَّ فاعله][2]، وهي النفخة الآخرة ﴿ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالجِبَالُ ﴾ أي تحمل من أصولها وتذهب ﴿ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَّاحِدَةً ﴾ ودكها ذهابها. أي: تدك الأرض والجبال فتصير الأرض مستوية.

قال عز وجل: ﴿ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذ وَاهِيَةٌ ﴾ كقوله عز وجل: (وَفُتِّحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً) [النبأ: 19] يعني سقفها. والواهية الضعيفة، ليست بالشديدة كما كانت.

قال عز وجل: ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ﴾ يعني الملائكة، والملك يعني جماعة الملائكة (عَلَى أَرْجَائِهَا) أي على حافاتها، أي: على حافات السماء. وقال الحسن: على أبوابها. وقال مجاهد والكلبي؛ على أطرافها[3].

قال عز وجل: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ ﴾ أي: فوق الخلائق ﴿ يَوْمَئِذٍ

---

(1) وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 267: «(أَخْذَةً رَّابِيَةً) نامية زائدة شديدة من الرباء».

(2) زيادة من ز، ورقة 371، والقول لابن أبي زمنين.

(3) وقال أبو زيد الأنصاري في كتاب النوادر في اللغة ص 212: «والرجا [مقصور] ناحية البئر وناحية كل شيء. قال عز وجل: (والمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا). والرجا في معنى: الأرجاء».

ثَمَـٰنِيَةٌ ﴾ تفسير الحسن: ثمانية من الملائكة. وتفسير الكلبي: إنهم يومئذ ثمانية أجزاء [من تسعة أجزاء من الملائكة][1].

وقال بعضهم: ثمانية صفوف من الملائكة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنه إلى عاتقه خفقان الطائر سبعمائة سنة يقول: سبحانك على حلمك بعد علمك[2]. قال بعضهم: بلغنا أن اسمه روفيل.

وقال بعضهم: (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) تحمله الملائكة على كواهلها، يقول أهل سماء الدنيا بمثلي من الأرض[3].

وذكر بعضهم أن الذين يحملون العرش ثمانية صفوف من الكروبيين لا يرى أطـرافهـم ولا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، سبحانه.

قال عز وجل: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ أي: لا يخفى على الله من أعمالكم شيء.

قال عز وجل: ﴿ فَأَمَّا مَن أوتِيَ كِتَـٰبَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ فيعلم أنه من أهل الجنة ﴿ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقرءوا كِتَـٰبِيَهْ ﴾وذلك حين يأذن الله له فيقرأ كتابه. فإذا كان الرجل في الخبر رأسا يدعو إليه ويأمر به، ويكثر تبعه عليه، دعي باسمه واسم أبيه فيتقدم، حتى إذا دنا أخرج له كتاب أبيض بخط أبيض، في باطنه السيئات، وفي ظاهره الحسنات. فيبدأ بالسيئات فيقرأها، فيشفق ويتغير لونه. فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه سيئاتك قد غفرت لك فيفرح، ثم يقلب كتابه فيقرأ حسناته، فلا يزداد إلا فرحا، فيقال له: هذه

(1) زيادة من تفسير الطبري، ج 18 ص 267.
(2) انظر الإشارة إليه فيما سلف ج 1 ص 514.
(3) هكذا وردت العبارة في ق و ع: . . . بمثلي من الأرض، ولم أدرك ما فيها من فساد أو نقص لتصحيحها. وانظر ما ورد في موضوع حملة العرش وما روي عنهم من أحاديث وأخبار في تفسير القرطبي، ج 18 ص 267.

حسناتك، وقد ضوعفت لك، ويبيضّ وجهه، ويؤتى بتاج، فيوضع على رأسه ويكسى حُلّتين، ويحلّى كل مفصل منه، ويطول ستين ذراعاً، وهي قامة أبينا آدم عليه السلام ويقال له: انطلق إلى أصحابك فبشّرهم وأخبرهم بأن لكل إنسان منهم مثل هذا. فإذا أدبر قال: (هَاؤُمُ) أي: هاكم (اقْرَأُوا كِتَابِيَه) ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ ﴾ أي: علمت ﴿ أَنِّي مُلَـٰقٍ حِسَابِيَه ﴾.

قال عز وجل: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ أي: مرضية، قد رضيها ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ أي: في السماء. ﴿ قُطُوفُهَا ﴾ أي: ثمارها ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ فيقول لأصحابه: هل تعرفونني، فيقولون: قد غيّرتك كرامة الله، من أنت، فيقول: أنا فلان بن فلان، ليستبشر كل رجل منكم بمثل هذا.

ذكروا عن البراء بن عازب قال: أدنيت منهم وذلّلت، يتناولون أيها شاءوا، قعودا أو مضطجعين وكيف شاءوا.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده إن أهل الجنة يتناولون من قطوفها وهم متكئون، فما تصل إلى في أحدهم حتى يبدل الله مكانها أخرى[1].

قوله عز وجل: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ ﴾ أي: بما قدمتم على قدر أعمالكم ﴿ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ وهي أيام الدنيا: وهي في الآخرة أيام خلت.

ذكروا عن عبد الله بن أوفى أن رجلاً قال: يا رسول الله، كيف شهاء أهل الجنة قال: يأكلون ويشربون وإذا امتلأت بطونهم قيل لهم: هنيئاً لكم شهوتكم، فيرشحون عند ذلك مسكا لا يبولون ولا يتغوّطون ولا يمتخطون[2].

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَه يَـٰلَيْتَهَـا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾. قال الحسن: يقولها في النار، يتمنى الموت. وهو مثل قولهم: (يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَينا رَبُّكَ) [الزخرف: 77]. قال بعضهم: يقول: يا ليتني مت قبل أن أحاسب، وقبل أن أوت كتابيه.

(1) انظر ما سلف في هذا الجزء ص122، وانظر كذلك ج 2ص 312.
(2) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 223.

قال: وإذا كان الرجل في الشر رأسا يدعو إليه ويأمر به ويكثر عليه تبعه نودي باسمه واسم أبيه، فيتقدم إلى حسابه ويخرج له كتاب أسود بخط أسود، في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات؛ فيبدأ بالحسنات فيقرأها فيفرح، ويظن أنه سينجو. فإذا بلغ آخر الكتاب وجد: هذه حسناتك، وقد ردت عليك، فيسود وجهه ويعلوه الحزن، ويقنط من كل خير. ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته، فلا يزداد إلا حزنا، ولا يزداد وجهه إلا سواداً. فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه سيئاتك قد عظم بلاؤها؛ فيعظّم للنار، وتزرقّ عيناه ويسودّ وجهه، ويكسى سرابيل القطران ويقال له: انطلق إلى أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا. فينطلق وهو يقول: (يَالَيْتَنِي لَم أُوت كِتَابِيَه وَلَم ادْرِ مَا حِسَابِيَه يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ) ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَه هَّلَكَ عَنِّي سُلْطَـٰنِيَه ﴾. ذكروا عن عكرمة عن ابن عباس قال: هلكت عني حجتي.

قال عز وجل: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ أي: اجعلوه يصلى الجحيم(1) والجحيم النار، وهي اسم من أسماء جهنم.

قال تعالى: ﴿ثم فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً ﴾ والله أعلم بأي ذراع. وبلغنا أن الحلقة من تلك السلسلة لو وضعت على ذروة جبل لذاب.

قال تعالى: ﴿ فَاسْلُكُوهُ ﴾ فيُسلك فيها سَلكاً كما يسلك النظام في الخيط، تدخل من فيه ثم تخرج من دبره، فينادي أصحابه فيقول: هل تعرفونني؟ فيقولون لا، ولكن قد نرى ما بك من الخزي(2)، فمن أنت؟ فيقول أنا فلان بن فلان، وإن لكل إنسان منكم مثل هذا.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِـاللهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسكِينِ ﴾ قال: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ ﴾ تفسير الحسن أن الحميم: القرابة. وتفسير مجاهد: الحميم: الشفيق. أي: فليس له اليوم ها هنا حميم ينفعه.

(1) في ق و ع: «(صلوه) أي: اشووه» وأثبت ما جاء في ز ورقة 372.
(2) في ق و ع: «من الحزن»، وأثبت ما جاء في ز ورقة 372، وكلاهما صحيح.

قال تعالى: ﴿ وَلَا طَعَامٌ ﴾ أي: وليس له ها هنا طعام ﴿ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ أي: من غسالة أهل النار، أي: الدم والقيح. ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَـٰطِئُونَ ﴾ أي: المشركون والمنافقون.

قال تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ أي: أقسم بكل شيء ﴿ إِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [أي: كريم على الله][1]. تفسير الحسن، إنه رسول الله محمد ﷺ. وقال بعضهم: جبريل.

قال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ يعني القرآن ﴿ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُومِنُونَ ﴾ أي: أقلكم من يؤمن. ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَّكَّرُونَ ﴾ أي: أقلكم من يتذكر، أي: يؤمن. قال تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ ﴾ يعني القرآن ﴿ مِّن رَّبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا ﴾ يعني محمد ﷺ ﴿ بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴾ أي: فزاد في الوحي أو نقص منه ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ أي: لقطعنا يده اليمنى[2] ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ أي: نياط القلب، وهو العرق الذي القلبُ معلَّقٌ به، وهو حبل الوريد. وقال مجاهد: حبل القلب الذي في الظهر فإذا انقطع مات الإنسان.

قال تعالى: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴾ يعني بذلك المؤمنين في تفسير الحسن. وإنما صارت حاجزين لأن المعنى على الجماعة.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾ أي: أن منكم من لا يؤمن. ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ وهم الذين يقبلون التذكرة. ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي: يوم القيامة إذ لم يؤمنوا به في الدنيا ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ أي: إنه من عند الله ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾[3].

(1) زيادة من ز، ورقة 372.

(2) هذا وجه من وجوه تأويل القطع باليمين نسب إلى الحسن. وجاء في ز: «(لأخذنا منه باليمين) أي: بالحق عقوبة». وقال الفراء في المعاني: «(لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ): بالقوة والقدرة».

(3) قال ابن أبي زمنين: «التسبيح معناه تنزيه الله من السوء وتبريته تبارك وتعالى».

تفسير سورة سَأَلَ سَائِلٌ، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾ العامة يقرأونها بالهمز ويقولون: هو من باب السؤال. وتفسير الحسن أن المشركين سألوا النبي عليه السلام: لمن هذا العذاب التي تذكر، يا محمد، أنه يكون في الآخرة. فقال الله تعالى: سأل سائل ﴿ بِعَذَابٍ ﴾ أي: عن عذاب ﴿ وَاقِعٍ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾.

وتفسير الكلبي: إنه النضر بن الحارث، أخو بني عبد الدار قال: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأنفال: 32]. قال: فقتل يوم بدر، وله في الآخرة عذاب أليم.

وبلغنا عن عبد الرحمن[1] أنه كان يقرأها: (سَالَ سَائِلٌ) من باب السيلان. قال هو واد من نار يسيل بعذاب واقع للكافرين.

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِّنَ اللهِ ﴾ يدفعه ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ أي: ذي المراقي إلى السماء ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَـٰئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال في حديث ليلة أسري به لما أتى بيت المقدس

(1) هي قراءة عبد الرحمن بن زيد كما ذكره القرطبي والطبري في تفسيرهما. وممن قرأ بغير همز نافع وابن عامر كما ذكره الداني في التيسير ص 214. ولهذه القراءة بغير همز وجهان. الوجه الأول هو أن سال لغة في سأل بتخفيف الهمزة وقلبها مداً، فهي بمعنى السؤال، والوجه الثاني أنها من السيلان وهو واد في جهنم كما ذكر.

على البراق: أتي بالمعراج فإذا هو أحسن خلق الله. ألم تر إلى الميت حيث سوى بصره، فإنما يتبع المعراج عجباً به. قال: فقعدنا فيه، فعرج بنا حتى انتهينا إلى باب الحفظة، فذكر ما رأى في تلك الليلة في السماء[1].

قال تعالى: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾. ذلك يوم القيامة.

وقوله: (مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) أي: لو كلفتم القضاء فيه بين الخلائق لم تفرغوا فيه منه في مقدار خمسين ألف سنة، والله تعالى يفرغ منه في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا. وهو قوله عز وجل: (وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ) [الأنعام: 62].

قوله: ﴿ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ﴾ يقوله للنبي عليه السلام. تفسير مجاهد: جميلاً ليس فيه جزع. وقال الحسن: على تكذيب المشركين لك، يقولون: إنك ساحر، وإنك شاعر. وإنك كاهن، وإنك كاذب وإنك مجنون.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ﴾، يعني يوم القيامة، أي يقولون: إنه ليس بكائن، إنه ليس بجاء. ﴿وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾ أي: جائياً. وكل آت قريب.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾ أي: وذلك يوم تكون السماء كالمهل، أي: كعكر الزيت في تفسير بعضهم. ذكروا أن عبد الله بن مسعود أهديت له فضة فأمر فأذيبت حتى ازبدت وانماعت فقال لغلامه: ادع له نفراً من أهل الكوفة، فدخل عليه نفر من أهل الكوفة فقال: أترون هذا. ما رأينا شيئاً أشبه بالمهل من هذا.

قال الله: ﴿ وَتَكُون الجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ أي: كالصوف الأحمر المنفوش، وهو تفسير مجاهد. وقال في آية أخرى: (كَالْعِهْنِ المَنْفُوشِ) [القارعة: 5]، وهو أضعف الصوف، وهو في حرف عبد الله بن مسعود: كالصوف الأحمر المنفوش، وهو تفسير مجاهد أيضاً.

قال الحسن: فأول ما يغير الجبال عن حالها أن تصير رملاً كثيباً مهيلاً. ثم تصير

---

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 2 ص 398 في أحاديث الإسراء والمعراج.

كالعهن المنفوش، ثم تصير هباء منتوراً منبثاً، وهو حين تذهب من أصولها. وتفسير الهباء الذي يدخل البيت من الكوى من شعاع الشمس. وقال الحسن: غباراً ذاهباً.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً ﴾ ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: ثلاثة مواطن لا يسأل فيها أحد أحداً: إذا وضعت الموازين حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف، وإذا تطايرت الكتب حتى يعلم أيأخذ كتابه بيمينه أم بشماله، وعند الصراط حتى يعلم أيجوز الصراط أم لا يجوز[1].

وتفسير الحسن: (وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً) أي: لا يسأل قريب قريبه أن يحمل عنه من ذنوبه شيئاً كما كان يحمل بعضهم عن بعض في الدنيا. كقوله عز وجل: (وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) [فاطر: 18].

قال تعالى: ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾ أي: يبصّر الرجلُ قرابتَه وأهل بيته وعشيرته في بعض المواطن ولا يعرف بعضهم بعضاً. وتفسير الكلبي: يعرفونهم مرة واحدة. قال: ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ ﴾ أي: المشرك ﴿ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ ﴾ أي: وعشيرته ﴿ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾ تفسير الحسن: (تُؤْوِيهِ) أي تنصره وتنقذه في الدنيا. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ أي يفتدي بهم ﴿ ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾ ذلك من عذاب الله.

قال الله: ﴿ كَلَّا ﴾ أي: لا ينجيه ذلك من عذاب الله.

ثم قال: ﴿ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴾ وهي اسم من أسماء جهنم. وجهنم كلها لظى، أي: تلظى، أي: تأجج ﴿ نَزَّاعَةً ﴾ يعني أكالة ﴿ لِّلشَّوَىٰ ﴾. قال الحسن: نزاعة للهام. وقال مجاهد: نزّاعة لجلود الرأس[2]. وقال بعضهم: تأكل أطرافه ومكارم خِلقته[3].

---

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف ج 2 ص 196.

(2) في ق و ع: «لجلود الناس» والصحيح ما أثبته، والتصويب من تفسير الطبري، ج 19 ص 77.

(3) في ق و ع: «مصارم حلقه» وهو خطأ صوابه ما أثبته. والقول لقتادة؛ كما في تفسير الطبري، وقال أبو عبيدة ج 2 ص 269: «واحدتها شواة، وهي اليدان والرجلان والرأس من الآدميين». =

قال تعالى: ﴿ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ ﴾ [عن الإيمان] ﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [عن طاعة الله][1] ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ أي [وجمع المال][1] فأوعاه[2].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ﴾ أي: ضجوراً ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾ أي: الشدة ﴿ جَزُوعاً ﴾ أي: إذا أصابته الشدة لم يصبر فيها، ليست له فيها حسبة، يعني المشرك، ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ ﴾ أي: إذا أعطي المالَ ﴿ مَنُوعاً ﴾ أي: يمنع حق الله فيه. وذلك من المشرك والمنافق ضجر.

ثم استثنى المؤمنين من الناس فقال: ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ يعني المسلمين ﴿ الذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوٰتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ أي: يديمون عليها في تفسير الحسن. وقال الحسن: يقومون على مواقيتها. وهو واحد. وقال بعضهم: (دَائِمُونَ) أي: لا يلتفتون.

قال: ﴿ والذِينَ فِي أَمْوٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ تفسير الحسن: هي الزكاة المفروضة. ﴿ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾. تفسير الحسن: السائل: المسكين الذي يسأل عند الحاجة، ثم يكف عن المسألة حتى ينفد ما في يده. قال: والمحروم الفقير الذي لا يسأل على حال، فَحُرِمَ أن يعطى عن المسألة كما يعطِي السائل، [وإذا أعطي شيئاً قبل][2].

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن المسكين ليس بالطوّاف الذي ترده التمرة والتمرتان والأكلة والأكلتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يسأل الناس إلحافاً[3].

= وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 185: «والشوى: اليدان والرجلان وجلدة الرأس، يقال لها شواة، وما كان غير مقتل فهو شوًى».

(1) زيادة من ز، ورقة 373. وقال الفراء في المعاني: «تقول للكافر: يا كافر إليّ؛ يا منافق إليّ، فتدعو كل واحد باسمه».

(2) زيادة من ز ورقة 363.

(3) حديث متفق على صحته، انظر تخريجه فيما سلف ج 1 ص 252.

ذكروا عن ابن عباس قال: المحروم المُحارَف الذي لا سهم له في الغنيمة.

ذكروا عن بعضهم قالوا: هم أصحاب صُفَّة مسجد النبي عليه السلام، وهم فقراء أصحاب رسول الله ﷺ الذين لا يستطيعون الغزو فجعل لهم يومئذ منها سهماً، ثم نزلت الآية التي في سورة براءة: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلفُقَرَاءِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُولَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة: 60] فصارت عامة، وهذه السورة ـ فيما بلغنا ـ مكية، وهذه الآية مدنية، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿ وَالذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي: بيوم الحساب، أي: يوم يدين الله تعالى الناس بأعمالهم.

قال تعالى: ﴿ وَالذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ أي: خائفون ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾. ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: قال الله: وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع عليه أمنين: لا يخافني في الدنيا إلا أمنته في الآخرة، ولا يأمنني في الدنيا إلا خوفته في الآخرة[1].

قال: ﴿ وَالذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَٰجِهِـمْ أَوْ مَا مَلَكَتَ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) أي: لا يلامون على الحلال.

قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: وراء أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ أي: فأولئك هم الزناة، تعدوا حلال الله إلى حرامه.

قال: ﴿ وَالذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ﴾ أي: فيما افترض الله عليهم، والأمانات فيما بينهم وبين الناس ﴿ وَعَهْدِهِمْ ﴾ أي: ما عاهدوا عليه الناس ﴿ رَاعُونَ ﴾ أي حافظون، يعني يؤدون الأمانات، يوفون بالعهد فيما بينهم وبين الناس فيما وافق الحق ﴿وَالذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ) وهي شهادات فيما بين الناس، يقومون بها إذا كانت عندهم.

(1) حديث حسن، أخرجه أبو نعيم في الحلية عن شداد بن أوس، وأخرجه عبد الله بن المبارك عن الحسن مرسلاً. وانظر الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 742.

قال: ﴿ وَالذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ أي: على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ فِي جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَمَالِ الذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ قال الحسن: (مُهْطِعِينَ) أي: منطلقين يأخذون يميناً وشمالاً يقولون: ما يقول هذا الرجل؟ يقول: يتفرّقون عنه يميناً وشمالاً يكذّبون بما جاء به. و (العِزِينَ): الفِرق، في تفسير الحسن.

ذكروا عن جابر بن سمرة[1] قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فرآنا حلقاً حلقاً فقال: مالي أراكم عزين[2].

قال تعالى: ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ لقول أحدهم: (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ) [فصلت: 50] أي: الجنة. إن كانت جنة كما تقولون.

قال الله عز وجل: ﴿ كَلَّا ﴾ أي: ليسوا من أهل الجنة ثم قال: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: من النطفة.

قال تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾ (لا أقسم) وأقسم واحد، وهو قسم كله ﴿ بِرَبِّ الْمَشَـٰرِقِ وَالْمَغَـٰرِبِ ﴾ أقسم الله بنفسه. قال بعضهم: للشمس ثلاثمائة وستون مشرقاً وثلاثمائة وستون مغرباً. قال: ﴿ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ ﴾ أي: على أن نهلكهم بالعذاب ونبدل خيراً منهم، أي: آدميين أطوع لله منهم، ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ أي: بمغلوبين على ذلك إن أردناه.

---

(1) في ق و ع: «رجاء بن سرمة». وهو خطأ صوابه ما أثبته: جابر بن سمرة، وهو الصحابي الجليل ابن أخت سعد بن أبي وقاص، وأمه خالدة بنت أبي وقاص. روى أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ. انظر ترجمته في كتب الرجال، كالاستيعاب، ج 1 ص 224.

(2) حديث صحيح، أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي. أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة. . . (رقم 430) عن جابر بن سمرة بأطول مما ورد هنا. والعِزَة، وجمعها العِزُون: هي الجماعات المتميزة بعضها عن بعض.

قال تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا ﴾ أي: في كفرهم ﴿ وَيَلْعَبُوا ﴾ فقد أقمت عليهم الحجة. ﴿ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا يَوْمَهُمُ الذِي يُوعَدُونَ ﴾ يعني يوم القيامة. ثم أمر بقتالهم.

وكل شيء في القرآن: (فَذَرْ)، و(أَعْرِضْ) منسوخ، نسخه القتال.

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً ﴾ أي: من القبور سراعاً يخرجون من قبورهم سراعاً إلى المنادي صاحب الصور إلى بيت المقدس.

قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نَصْبٍ يُوفِضُونَ ﴾ قال الحسن: يوفضون: يبتدرون نصبهم، أي يستلمه أولاً؛ يعني الصنم، وهي تقرأ على وجهين: نَصب ونُصب، فمن قرأها (نُصُب) فهو يعني جماعة الجماعة من النَّصب، وهو أعـلام على وجه القراءتين[1].

قال تعالى: ﴿ خَـٰشِعَةً أَبْصَارُهُمْ ﴾ أي: ذليلة فهي لا تطرف. ﴿ تَرْهَقُهُمْ ﴾ [أي: تغشاهم][2] ﴿ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ في الدنيا، وهو يوم القيامة.

---

(1) والنُّصُب، بضمتين، واحد وجمع: حجر ينصب ويذبح عنده، وقيل: هو كل ما نصب فعبد من دون الله. انظر اللسان: نصب. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 186: «قرأ الأعمش وعاصم (إلى نَصب) إلى شيء منصوب يستبقون إليه. وقرأ زيد بن ثابت: (إلى نُصُب يوفضون) فكان النصب الآلهة التي كانت تعبد من دون الله، وكل صواب، وهو واحد، والجمع أنصاب».

(2) زيادة من ز، ورقة 373.

تفسير سورة نوح[1]، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَن يَّأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع.

﴿ قَالَ يَـٰقَـوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُم مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ أي: يغفر لكم ذنوبكم ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: إلى موتكم فيكون موتكم بغير عذاب. وإن لم تؤمنوا أخذكم العذاب في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ يعني يوم القيامة جعله الله أجلاً للعباد يبعثون فيه، إذا جاء لا يؤخر، وهو تفسير الحسن. وقال مجاهد: حضور الأجل؛ فإذا جاء الأجل لا يؤخر.

قال: ﴿ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ لعلمتم أن القيامة جائية.

فكذبوا نوحاً فـ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيَ إِلَّا فِرَاراً ﴾ أي عن الإيمان. ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ أي: كلما دعوتهم أن يستغفروا من الشرك فيؤمنوا فتغفر لهم أبوا، و﴿ جَعَلُوا أَصَـٰبِعَهُمْ فِي أَذَٰنِهِـمْ ﴾ أي: يتولّون ويكرهون ذلك بمنزلة من لا يسمع ﴿ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ أي: غطوا رؤوسهم لكيلا يسمعوا دعائي إياهم إلى الإيمان ﴿ وَأَصَرُّوا ﴾ أي: أقاموا على الكفر ﴿ وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً ﴾ أي: عن عبادة الله.

(1) كذا في ق وع. وفي ز: «سورة إنا أرسلنا نوحاً».

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ﴾ أي مجاهرة ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً ﴾ [أي: خلطت دعاءهم في العلانية بدعاء السرّ][1] ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ أي: من شرككم وآمنوا به ﴿ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾ أي: لمن تاب ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ﴾ أي: تدرّ عليكم بالمطر. ذكروا عن الأعمش عن رجل عن عبد الله بن مسعود قال: يحمل السحاب الماءَ ثم يرسل الله الريح فتمري السحاب كما تُمرَى اللقحة حتى تدرّ ثم تمطر.

قال تعالى: ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰراً ﴾ [قيل إنهم قد أجدبوا فأعلمهم أن إيمانهم بالله يجمع لهم مع الحظ الوافر في الآخرة الخصب والغنى في الدنيا][2].

قال تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً ﴾ أي: لا تخافون لله عظمة[3] وتفسير مجاهد: لا تبالون لله عظمة. ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾ أي: نطفة، ثم علقة، ثم مضعة، ثم عظماً، ثم لحماً.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقاً ﴾ أي: بعضها فوق بعض؛ وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام. وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً ﴾ أي: لأهل الأرض[4].

ذكروا عن عبد الله بن عمر قال: الشمس والقمر وجوههما إلى السماء وأقفيتهما إلى الأرض يضيئان في السماء كما يضيئان في الأرض، ثم تلا هذه الآية: (أَلَمْ تَرَوْا

(1) زيادة من ز، ورقة 374.

(2) زيادة من ز، ورقة 374، والقول لابن أبي زمنين. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 188: «كانت السنون الشدائد قد ألحت عليهم، وذهبت بأموالهم لانقطاع المطر عنهم، وانقطع الولد من نسائهم، فقال: (وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ)».

(3) كذا في ق و ع، و ز، وهي نفس الألفاظ التي أوردها الفراء في المعاني ج 3 ص 188: «أي لا تخافون لله عظمة».

(4) كذا في ق و ع، وفي ز ورقة 374، أي: «معهن ضياء لأهل الأرض في تفسير الكلبي».

كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقاً وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً. . .) الآية.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ﴾ ذكروا عن يزيد بن حفص قال: قلت لعبد الله بن عمر: ما بال الشمس تصلانا أحياناً وتبرد أحياناً؟ قال: أما في الصيف فهي في السماء الخامسة، وأما في الشتاء فهي في السماء السابعة. قلت ما كنا نراه إلا في هذه السماء الدنيا. قال: لو كانت في السماء الدنيا لم يقم لها شيء. والذي في أيدينا أنها تُدنَى في الشتاء لأهل الأرض فينتفعون بها، وترفع في الصيف لكي لا يتأذوا بها.

ذكروا أن الشمس والقمر والنجوم ليس شيء منها لازقاً بالسماء، وأنها تجري في فلك دون السماء، وهو تفسير الحسن. وقال: مثل الطاحونة دون السماء. ولو كانت ملتزقة لم تجر.

قال تعالى: ﴿ اللهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ﴾ أي: خلقكم من الأرض خلقاً. أي: خلق آدم من طين، ونسله من نطفة. ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا ﴾ كقوله تعالى: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نخرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ) [طه: 55] قال تعالى: ﴿ وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً ﴾ أي: بسطها لكم. وقوله: بساطاً، وفراشاً، ومهاداً، واحد. قال تعالى: ﴿ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً ﴾ أي: طرقاً وأعلاماً(1).

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً ﴾. وهي تقرأ على ثلاثة أوجه؛ فمن قرأها: وَوَلَده، فهو عشيرته التي ولدته(2). ووُلْده:

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «طرقاً بينة». والقول لقتادة. وقال الفراء في المعاني: «هي الطرق الواسعة».

(2) جاء في اللسان: «والولد أيضاً الرهط. . . ويقال تفسير قوله تعالى: (مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً) أي: رهطه».

أولاده[1]. وقوله: (اتَّبَعُوا) أي: اتبع بعضهم بعضاً على الشرك والتكذيب. وقوله: (إلَّا خَسَاراً) أي: عند الله باتباعهم إياه.

قال عز وجل: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً ﴾ أي: عظيماً، وهو الشرك ﴿ وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وُدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾. وهي أسماء آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله. أي: لا تدعوا عبادتها في تفسير الحسن.

ذكروا أن هذه الأصنام كانت في بلاد العرب، ووصف كل صنم منها أين كان موضعه. قال بعضهم: حفظت منها موضعين ونسيت اسم موضع الصنمين. قال: كان صنم كذا وكذا برهاه ببلخع[2].

ذكروا عن جابر بن عبد الله أنها أصنام كانت للعرب وأحسبه سمى بعضها. فمن قال: إنها كانت في أرض العرب فإنه يقطعها في هذا الموضع من قصة نوح عليه السلام ويجعل الكلام مستأنفاً. ثم رجع إلى قصة نوح حيث يقول: (وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلاَلاً).

قوله عز وجل: ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً ﴾ تفسير الحسن: إنه يعني الأصنام أضلت كثيراً من الناس بعبادتهم إياها من غير أن تكون الأصنام دعت إلى عبادتها.

قال عز وجل: ﴿ وَلاَ تَزِدِ الظَّـٰلِمِينَ إِلاَّ ضَلَـٰلاً ﴾ هذا دعاء نوح عليه السلام على قومه حين أذن الله بالدعاء عليهم: مثل قوله عز وجل: (أَنَّهُ لَن يُؤمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ ءَامَنَ) [هود: 36].

---

(1) لم يذكر المؤلف القراءة الثالثة، وهي التي بكسر الواو وإسكان اللام: «وِلْده» بمعنى وُلْده، وهذه قراءة الحسن وأبي العالية وابن يعمر والجحدري كما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ج 8 ص 373. وفيه: «المعنى أن الأتباع والفقراء اتبعوا رأي الرؤساء والكبراء».

(2) هكذا وردت هذه الكلمة غير واضحة في ق و ع ولم أتمكن من تبيانها. وقد ذكر الطبري في تفسيره ج 29 ص 99 أسماء هذه الأسماء ومواضيعها وأمكنتها والقبائل التي تعبدها. واقرأ أخباراً عنها وعن أماكنها مفصلة في كتاب الأصنام لابن الكلبي بتحقيق الأستاذ أحمد زكي، ص 59 فما بعدها.

قال عز وجل: ﴿ مِمَّا خَطِيئَـٰتِهِمْ ﴾ أي: بشركهم[1] ﴿ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً ﴾ أي: فوجب لهم النار ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّنْ دُونِ اللهِ أَنْصَاراً ﴾ يمنعونهم من عذاب الله.

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَـٰفِرِينَ دَيَّاراً ﴾ أي: أحداً[2]. وهذا حين أذن الله له بالدعاء عليهم. ﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ﴾ أي: إن هم ولدوا وليداً فأدرك كفر. وهو شيء علمه نوح من قِبَل الله وهو قوله: (وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ).

قال نوح: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِـدَيَّ ﴾. قال الحسن: كانا مؤمنين ﴿ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً ﴾ قال بعضهم: (مَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ) يعني مسجدي (مُؤْمِناً) ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ الظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَاراً ﴾ أي: إلا هلاكاً. وذلك حين أمر بالدعاء عليهم فاستجاب الله له فأغرقهم.

---

(1) كذا في ق و ع: «بشركهم»، وفي ز: «أي: بخطاياهم».

(2)) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 190: «هو من درت، ولكنه فيعال من الدوران، كما قرأ عمر بن الخطاب: (الله لا إله إلا هو الحي القيام) [البقرة: 255 وهو من قمتُ». وقال بعضهم: (دياراً) أي من يسكن الدار. يقال: ما بالدار ديار. أي: أحد. وقيل: الديار: صاحب الدار. وانظر تفسير القرطبي ج 18 ص 313، واللسان: (دور).

تفسير سورة الجِنّ، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الجِنِّ ﴾ هؤلاء من جنّ نصيبين، من الذين قال الله عزّ وجل عنهم للنبي عليه السلام: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) [الأحقاف: 29].

﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءاناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ أي: إلى الهدى ﴿فَئامَنَّا بِهِ﴾ أي: فصدّقناه. ﴿ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدَاً ﴾ أي: آمنوا به، وكانوا قبل ذلك ـ فيما بلغنا ـ على اليهودية. وقد قالوا في سورة الأحقاف: (إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ) [الأحقاف: 30]. قال الكلبي: كانوا سبعة.

قال عز وجل: ﴿ وَأَنَّهُ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ أي: عظمته وكبرياؤه[1] ﴿ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَداً ﴾.

قال: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ﴾ أي: سفيه الجن، وهو المشرك[2] ﴿ عَلَى اللهِ شَطَطاً ﴾ أي: جوراً وكذباً؛ أي: شركة[3]. ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِباً ﴾.

(1) كذا في ز، وهو الأصح، وفي ق و ع: «ذكر ربنا». وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 272: «علا ملك ربنا وسلطانه». وفي رواية للفراء وللطبري عن مجاهد قال: «جلال ربنا». ورجح الطبري من هذه الأقوال قول من قال: «تعالت عظمة ربنا وقدرته وسلطانه».
(2) كذا في ق و ع، وفي ز، وفي بعض التفاسير: «هو إبليس» كما ذهب إليه قتادة ومجاهد.
(3) كذا في ق و ع: «شركة» ولا أرى لها وجهاً إلا أن تكون بمعنى الشرك.

قال: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ ﴾ هذا قول الله عز وجل في تفسير الحسن. قال: يقلبون عليهم وسوستهم في الضلال[1] ﴿ فَزَادُوهُمْ ﴾ بإقبالهم[2] عليهم ﴿ رَهَقاً ﴾ أي: ضلالاً إلى ضلالهم.

وتفسير الكلبي أن رجالاً من الإنس كان أحدهم في الجاهلية إذا كان مسافراً، فإذا أمسى في الأرض القفر الموحشة نادى: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فيمسي[3] في جواره وفي منعته حتى يصبح، (فَزَادُوهُمْ رَهَقاً)، أي إن الإنس زادت الجن لتعوّذهم بهم، رهقاً، أي: إثماً. قال مجاهد: فهم الجن الكفار.

﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا ﴾ يعني المشركين من الجن ﴿ كَمَا ظَنَنتُمْ ﴾ يعني المشركين من الإنس ﴿ أَن لَّن يَبْعَثَ اللهُ أَحَداً ﴾ أي: يجحدون البعث.

قوله: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ﴾ هذا قول الجن، يعنون من كان يفعل ذلك منهم، وهم المردة من الجن. ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا ﴾ أي: من السماء ﴿ مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً ﴾ [أي: حفظة تمنع من الاستماع][4] وقوله: (للسَّمْعِ) أي للاستماع من الملائكة خبراً من أخبار السماء؛ فأما الوحي فلم يكونوا يقدرون على أن يستمعوه.

ذكروا عن أبي رجاء العطاردي قال: كنا قبل أن يبعث النبي عليه السلام ما نرى نجماً يرمىٰ به. فبينما نحن ذات ليلة إذا النجوم قد رمي بها. فقلنا ما هذا؟ إن هذا إلا أمر حدث. فجاءنا أن النبي عليه السلام قد بعث[5]. فأنزل الله تعالى هذه الآية في

---

(1) كذا في ق و ع: «يقلبون عليهم وسوستهم في الضلال» ولم ترد العبارة في ز، ولم أر لها وجهاً أطمئن إليه، وهي غير واردة في ز ولا في تفسير الطبري وغيرهما.

(2) في ق و ع: «بقبولهم» والصواب ما أثبته.

(3) كذا في ق و ع، وفي ز: «فيبيت» وهو أنسب.

(4) زيادة من ز، ورقة 375، وفيها: «قال محمد: الشهاب الرصد: الذي قد أرصد به للرجم».

(5) من عادة ابن سلام أن يكرر بعض الأخبار لأدنى مناسبة، وقد روى هذا الخبر عن أبي رجاء العطاردي عدة مرات في تفسيره آخرها في هذا الجزء ص 387.

سورة الجن: (وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَّسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً).

قوله: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً ﴾ أي أراد الله بأهل الأرض أن يهلكهم، أو أراد بهم رشداً، أي: أم أحدث لهم منه نعمة وكرامة.

وقال بعضهم: قالوا لا ندري أراد بهم أن يطيعوا هذا الرسول فيرشدهم، أم يعصوه فيهلكهم.

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ ﴾ [أي المؤمنون][1] ﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [يعنون المشركين][1] ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً ﴾ أي: مختلفون: مؤمن ومشرك. وفي الجن مؤمنون ويهود ونصارى ومجوس وعبدة الأوثان وصابون.

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا ﴾ أي: علمنا ﴿ أَن لَّن نُّعْجِزَ اللهَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي أن لن نسبق الله في الأرض ﴿ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَباً ﴾ أي: في الأرض حتى لا يقدر علينا فيبعثنا يوم القيامة.

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ﴾ أي: القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِ ﴾ أي: صدقناه ﴿ فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً ﴾ أي: أن ينقص من عمله شيء ﴿ وَلَا رَهَقاً ﴾ ولا يخاف أن يزاد عليه ما لم يعمل. وهي مثل قوله: (فَلَا يَخَافُ ظُلْماً) أي لا يخاف أن يزاد عليه في سيئاته (وَلَا هَضْماً) أي: ولا ينقص من حسناته [طه: 112].

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ أي: الجائرون، وهم المشركون. ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً ﴾ [أي: أصابوا رشداً][2]. ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ[3] فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً ﴾.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 375.

(2) زيادة من ز. وقال الفراء في المعاني: «(تَحَرَّوْا رَشَداً) يقول: أَمُّوا الهدى واتبعوه».

(3) يقال: قسط فهو قاسط إذا جـار، وأقسط فهو مقسط إذا عدل.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَلَّـو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ يعني المشركين، لو استقاموا على الإيمان ﴿ لأَسْقَيْنَـهُم مَّاءً غَدَقاً ﴾ أي: ماء رَواء[1]. والماء عيش الناس؛ به تنبت زروعهم وتعيش مواشيهم. وهو مثل قول هود لقومه: (يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) أي: من شرككم (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً) [هود: 52] وكقوله: (وَلَوَ اَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض) [الأعراف: 96]، وكقول نوح لقومه: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ. . .) إلى آخر الآية. [نوح: 10-12].

قال عز وجل: ﴿ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ أي: لنختبرهم فيه فنعلم كيف شكرهم[2].

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ ﴾ أي: لا يؤمن ﴿ نَسْلُكْهُ ﴾ أي: ندخله ﴿ عَذَاباً صَعَداً ﴾ أي: لا راحة فيه. وتفسير مجاهد: مشقة من العذاب. [قال ابن عباس: جبلاً في جهنم][3]. ذكروا عن كعب قال: هو قوله عز وجل: (سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً) وتفسيره في المدثر. [17][4].

قوله عز وجل: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَـجِدَ لِلهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً ﴾ قال الحسن: ما

---

(1) كذا في ق و ع: «ماء رَوَاء» وهو صحيح فصيح، وهو الماء الكثير العذب. قال الجوهري في الصحاح: ماء رواء، بالفتح ممدود، أي عذب. . . وإذا كسرت الراء قصرته وكتبته بالياء وقلت: ماء روًى. ويقال هو الذي فيه للواردة رِيٌّ. وانظر اللسان: (روى). وجاء في ز ورقة 375: (لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غدَقاً) أي: لأوسعنا لهم من الرزق.

(2) كذا في ق و ع وفي ز. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 193: «(وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) على طريقة الكفر (لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً) يكون زيادة في أموالهم ومواشيهم. . . يقول: نفعل ذلك بهم ليكون عليهم فتنة في الدنيا وزيادة من عذاب الآخرة». ويبدو لي أن ما ذهب إليه المؤلف هنا في تأويل الآية هو أحق وأولى بالصواب. وهو ما رجحه الطبري في تفسيره ج 29 ص 114.

(3) زيادة من تفسير الطبري ومن الدر المنثور للسيوطي.

(4) وقع في ق و ع اضطراب في نسبة هذه الأقوال إلى أصحابها فأثبت من تفسير الطبري والدر المنثور ما هو الصواب الصحيح إن شاء الله.

من قوم غير المسلمين يقومون في مساجدهم إلا وهم يشركون بالله فيها، فأخلصوا لله فيها.

﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ يَدْعُوهُ ﴾ أي: يدعو الله ﴿ كَادُوا ﴾ أي كاد المشركون ﴿ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً ﴾ أي: تظاهروا عليه حتى كادوا يقتلونه، في تفسير الحسن. وقال الكلبي: حتى كاد يركب بعضهم بعضاً، أي: من الحرد عليه(1).

قال عز وجل: ﴿ قَالَ ﴾: [أي: قال النبي عليه السلام](2): ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً ﴾.

قال تعالى: ﴿ قُلِ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً ﴾ أي أن ادخلكم في الكفر ﴿ وَلَا رَشَداً ﴾ أي: أن أكرهكم على الإيمان.

﴿ قُلِ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي ﴾ أي: لن يمنعني ﴿ مِنَ اللهِ أَحَدٌ ﴾ أي: إن عصيته عذبني. كقوله عز وجل: (إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [الأنعام: 15] ﴿ وَلَنَ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحداً ﴾ أي: ملجأ ألجأ إليه، أي: يمنعني من عذاب الله، في تفسير الحسن وغيره.

وقال بعضهم: (وَلَنَ اَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحداً) ﴿ إِلَّا بَلَٰغاً مِّنَ اللهِ وَرِسَٰلَٰتِهِ ﴾ أي: إلا أن أبلغ عن الله الرسالة فإن ذلك يمنعني.

﴿ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَداً حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ ﴾ أي: عذاب جهنم، يعني المشركين ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً ﴾ أي: إنكم أيها المشركون أضعف ناصراً من محمد عليه السلام وأصحابه، أي: إنه لا ناصر لكم ﴿ وَأَقَلُّ عَدَداً ﴾ [أي سيفرد كل إنسان بعمله](3).

(1) أي: من شدة الإقبال عليه وقصده.

(2) زيادة للإيضاح.

(3) زيادة من ز، ورقة 376.

﴿ قُل إِنَ ادْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ أيها المشركون من مجيء الساعة. ﴿ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّيَ أَمَداً ﴾. وقال في آية أخرى (وَإِنَ اَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ) [الأنبياء: 109].

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾ والغيب هاهنا في تفسير الحسن: القيامة وخبر ما مضى وقال بعضهم: هو قوله تعالى: (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [لقمان: 34]. وقال بعضهم: الغيب هنا هو الوحي.

قال: ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ فإنه يظهره على ما أراده من الغيب.

قال عز وجل: ﴿ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ أي يدي ذلك الرسول ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ﴾ أي: من الملائكة يحفظونه حتى يبلغ عن الله رسالته.

﴿ لِّيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: ليعلم ذلك الرسول أن الرسل قبله قد بلّغوا رسالات[1] ربهم ﴿ وَأَحَاطَ ﴾ أي: أحاط الله ﴿ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ أي: بما عندهم مما أرسلوا به، أي فلا يوصل إليهم حتى يُبلِّغوا عن الله الرسالة. ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ من خلقه ﴿ عَدَداً ﴾.

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 196: «(لِيَعْلَمَ) يعني محمداً ﷺ، (أن قد أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ) يعني جبريل ﷺ. وقال بعضهم: هو محمد ﷺ، أي يعلم محمد أنه قد أبلغ رسالة ربه. وقد قرأ بعضهم: (لِيُعْلَمَ أَنْ قَدَ ابْلَغُوا) يريد: لتعلم الجن والإنس أن الرسل قد أبلغت، لا هم، بما رجوا من استراق السمع».

تفسير سورة المزّمّل، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ وهو المتزمل بثيابه، يعني النبي عليه السلام ﴿ قُمِ الَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِّصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾.

ذكروا عن الحسن أن رجلاً خرج ليلة يريد المسجد، فسمع قراءة رسول الله ﷺ، فدنا من الباب. فسمع رسولُ الله ﷺ حسحسةً فقال: من هذا؟ فقال: أنا فلان بن فلان، سمعت قراءة رسول الله ﷺ فأحببت أن أصلي بصلاته. فقال له: ادخل. فصلّى بصلاته معه. فلما أصبح ذكر ذلك لخاصة من أصحابه. فترصّدوا تلك الساعة، فدنوا من باب رسول الله ﷺ، فسمع حسيستهم فقال: من هذا؟ فقالوا: فلان بن فلان وفلان بن فلان، أحببنا أن نصلي بصلاة رسول الله ﷺ، فقال: ادخلوا. فدخلوا حتى امتلأت الحجرة. وقَفَوا[1] رسولَ الله ﷺ في الصلاة، فسقط القوم نعاساً. فقال لهم رسول الله ﷺ: ارجعوا إلى حالكم فليصل الرجل بقدر ما يستطيع، فإنكم لا تطيقون ما يطيق رسول الله ﷺ. إن أعلمَكم بأمر الله رسولُ الله، وأقواكم في أمر الله رسولُ الله، فإنكم قد تعرّضتم لأمر إن أخذتم به لن تقوموا به[2].

(1) أي: اتبعوه.

(2) لم أجد مثل هذا التفصيل لسبب نزول أوائل هذه السورة فيما بين يدي من كتب التفسير والحديث إلا عند ابن سلام. وليت لي تفسير ابن سلام كاملاً حتى نطلع على سند الحديث.
وقد أوردت المصادر ما روته عائشة وابن عباس عن قيام رسول الله ﷺ الليل. انظر تفسير =

فأنزل الله عز وجل تصديق نبيه: (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِّصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) فقام القوم اثني عشر شهراً حتى انتفخت أقدامهم. ثم أنزل الله رخصة: (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ) [المزمل: 20].

قول عز وجل: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْءانَ تَرْتِيلًا﴾ أي: بيّنه تبياناً. وتفسير مجاهد: ترسّل فيه ترسُّلًا، وهو واحد.

ذكروا عن محمد بن عبد الرحمن قال: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ يُرتِّل ويفسّر[1].

ذكروا عن صالح مولى التوأمة قال: كان ابن عباس يقرأ الآية ثم يسكت كقدر ما أعلمتك، ثم يقرأ الآية الأخرى. وكان جاراً لي؛ فقلت: لم كان يفعل هذا؟ قال: من أجل تأويل القرآن.

ذكروا عن أبي حمزة قال: قلت لابن عباس: إنني رجل خفيف القراءة أهذرم القراءة. فقال: لأن أقرأ سورة البقرة وأرتل وأرسل فيها وأتدبرها أحبُّ إلي من أقرأ القرآن أجمع هذرمة[2].

= الطبري ج 29 ص 125-126، والسيوطي الدر المنثور ج 6 ص 276-277، والمنذري، الترغيب والترهيب ج 1 ص 422-423.

(1) روى البخاري عن قتادة قال: سألت أنساً عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كان يمد مداً، إذا قرأ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) يمد بسم الله، ويمد بالرحمٰن ويمد بالرحيم. وروى الترمذي عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته يقول: (الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ثم يقف، (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) ثم يقف. وانظر في ذيل تفسير ابن كثير، فضائل القرآن. الترتيل في القراءة، تفسير ابن كثير، ج 7 ص 498.

(2) الهذرمة في الكلام أو في القراءة السرعة فيهما، وقيل: هو التخليط أيضاً. انظر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، وانظر اللسان: (هذرم).

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾. قال بعضهم: فرائضه وحدوده والعمل به[1].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْـلِ ﴾ أي: قيام الليل. ذكر بعضهم قال: ما كان بعد العشاء فهو من ناشئة الليل.

وذكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ناشئة الليل قيامه، وهي بلغة الحبش. فإذا قام الرجل قالوا: قد نشأ فلان. وفي تفسير مجاهد: أيّ ساعة تهجد فيها متهجد من الليل فهي ناشئة[2].

قوله عز وجل: ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً﴾. وهي تقرأ على وجهين: (وطأ) مفتوحة الواو مقصورة، و (وِطَاءً) مكسورة الواو ممدودة، فمن قرأها: (وَطْأً) بفتح الواو فتفسيرها عند بعضهم: أثبت في الخير. ومن قرأها بكسر الواو والمد فتفسيرها عند ابن عباس: أشد مواطأة للقلب لفراغه، لأن الأصوات تهدأ في الليل[3]. وتفسير مجاهد: أشدُّ مواطأة للقرآن [أي أشدُّ موافقة لسمعه وبصره وقلبه][4].

قوله عز وجل: ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾. قال الحسن: أصدق في التلاوة وأجدر أن لا يلبس عليك الشيطان تلاوتك.

---

(1) كذا في ق و ع و ز، وهو قول لقتادة. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 197: «أي: ليس بالخفيف ولا السفساف لأنه كلام ربنا تبارك وتعالى».

(2) قال الزمخشري في الكشاف ج 4 ص 638: «(نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها إلى العبارة أي: تنهض وترتفع، من نشأت السحابة إذا ارتفعت، ونشأ من مكانه ونشز إذا نهض... وقيام الليل، على أن الناشئة مصدر من نشأ إذا قام ونهض، على فاعلة: كالعاقبة... وقيل: هي ساعات الليل كلها، لأنها تحدث واحدة بعد أخرى. وقيل: الساعات الأولى منه».

(3) جاءت العبارات في اختلاف قراءة (وطأ) مضطربة ناقصة في ق و ع، فأثبت صحتها من ز ومن تفسيري الطبري ومجاهد.

(4) زيادة من تفسير مجاهد، ص 700.

قال عز وجل: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً ﴾ أي: فراغاً طويلاً لحوائجك.

قال عز وجل: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ أي: تضرّع إليه تضرّعاً، في تفسير الحسن. وقال الكلبي: أخلص إليه إخلاصاً.

ذكروا عن الحسن أن رجلاً من السلف كان يصلي من الليل فيتلو الآية، فإذا فرغ منها أعادها، يعيدها ويتدبّرها. قال: فهو قوله عزّ وجل: (وَتَبَتَّلِ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً).

قوله عز وجل: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ أي: مشرق الشمس ومغربها ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴾ أي: وليّاً.

قوله عز وجل: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أي: على ما يقول لك المشركون إنك كاذب وإنك شاعر، وإنك كاهن وإنك مجنون. ﴿ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً ﴾ أي: ليس فيه جزع، وهي منسوخة نسختها القتال.

قال عزّ وجلّ: ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ ﴾ أي: في الدنيا، أي: فساء عذابهم يوم القيامة. وهذا وعيد هوله شديد. بلغنا أنها نزلت في بني المغيرة، وكانوا ناعمين ذوي غنى. قال عز وجل: ﴿ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴾ أي إن بقاءهم في الدنيا قليل، ثم يصيرون إلى النار.

﴿ إِنَّ لَدَيْنَا ﴾ أي: عندنا، وهذا وعيد ﴿ أَنْكَالاً ﴾ ذكروا عن الحسن قال: الأنكال: القيود. قال عزّ وجل: ﴿ وَجَحِيماً ﴾ الجحيم: النار ﴿ ذَا غُصَّةٍ ﴾ أي: يأخذ بالحلاقيم، في تفسير الحسن ومجاهد. وقال الحسن: يأكلون النار، ويشربون النار، ويلبسون النار. قال عز وجل: ﴿ وَعَذَاباً أَلِيماً ﴾ أي: موجعاً.

قال عز وجل: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ ﴾ أي: تتزلزل ﴿ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ ﴾ [أي: وصارت الجبال][1] ﴿ كَثِيباً مَهِيلاً ﴾ أي رملاً سائلاً. ذكروا عن

(1) زيادة من ز، ورقة 376.

الحسن قال: تطحن الجبال بعضها إلى بعض فتصير غباراً ذاهباً.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ شَاهِداً عَلَيْكُمْ ﴾ أي: يوم القيامة أنه بلغكم ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴾ يعني موسى عليه السلام ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً ﴾ أي: عظيماً، والوبيل الشديد. وقال مجاهد: وبيلاً شديداً.

قال عز وجل: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الوِلْـدٰنَ شِيباً ﴾ أي: فكيف تتّقون ذلك اليوم الذي يجعل الولدان شيباً، أي: إن كفرتم لم تتقوا[1].

﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾ أي: منشق به[2]. قال عز وجل: ﴿ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً ﴾ أي إن السماء سوف تنشق ذلك اليوم وتسير الجبال.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ﴾ أي إن هذه السورة تذكرة ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّه سَبِيلاً ﴾ أي: بتقواه وطاعته. وقال تعالى في آية أخرى: (كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ وَمَا تَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَّشَاءَ اللهُ) [المدثر: 54-56].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ أي: أقل ﴿مِنْ ثُلُثَي الَّيْلِ وَنِصْفَهِ وَثُلُثَه وَطَائِفَةٌ مِّنَ الذينَ مَعَكَ واللهُ يُقَدِّرُ الَّيْلَ وَالنَّهار عَلِمَ أَنْ لَّنْ تُحْصُوهُ[3] فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءانِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضَىٰ وَءاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَءاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾.

(1) جاءت العبارة مضطربة في ق و ع فأثبت التصحيح من ز.

(2) في ق و ع: «مثقل به» وهو تصحيف، وفي ز: «منشق فيه». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 199 «(السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) بذلك اليوم. والسماء تذكر وتؤنث، فهي هاهنا على وجه التذكير قال الشاعر:

فلو رفع السماءُ إليه قوماً لحقنا بالنجوم مع السحاب».

(3) جاء في معاني الفراء ج 3 ص 200 ما يلي: «(عَلِمَ أَن لَّنْ تُحْصُوهُ) أن لن تحفظوا مواقيت الليل. (فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ) المائة فما زاد. وقد ذكروا أنه من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين، وكل شيء أحياه المصلّي من الليل فهو ناشئة».

ذكر بعضهم قال: كان الله قد افترض قيام الليل في أول هذه السورة بقوله: (يَا أَيُّهَا المُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً نِّصْفَهُ أَوُ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ). فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم. فأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً، ثم أنزل الله: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الذِينَ مَعَكَ. . .)إلى قوله: (فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ) فريضتان واجبتان لا رخصة لأحد فيهما، فصار قيام الليل تطوّعاً بعد إذ كان فريضة.

ذكروا عن بعضهم أنه كان يقول: لا بد من قيام الليل ولو قدر حَلَب شاة.

ذكر بعضهم قال: قال رسول الله ﷺ: أَصِب من الليل ولو ركعتين ولو أربعاً(1).

وبلغنا عن الحسن أنه قال: إن رسول الله ﷺ لم يقم أقل من ثلثي الليل. وقال بعضهم: إن قيام الليل على النبي عليه السلام فريضة وللناس تطوع.

وكان الحسن يقرأها بالجر: (أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفِهِ وثلثِه وَطَائِفَةٌ مِّنَ الذِينَ مَعَكَ). ولم يقم النبي عليه السلام أقل من ثلثي الليل، وما كان من بعض فهو من غيره. وبعضهم يقرأها بالنصب؛ أي: قام ثلثه.

قال تعالى: ﴿ وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾ تفسير الحسن: إن هذا في التطوّع. ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْراً ﴾ أي: تجدوا ثوابه عند الله خيراً ﴿ وَأَعْظَمَ أَجْراً ﴾ أي: يثيبكم عليه الجنة ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

(1) انظر ما سلف ج 3 ص 217.

تفسير سورة المُدَّثِّر، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ أي: المُتَدَثِّر بثيابه، يعني النبي عليه السلام. ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ أي من النار.

ذكروا عن جابر بن عبد الله قال: هذه أول سورة نزلت على النبي عليه السلام. قال [يحيى][1]: والعامة على أن أول ما نزل من القرآن: (اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ).

قال: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ قال بعضهم: لا يلبسها على معصيته. وقد يقال للرجل الصالح: إنه لطاهر الثياب. وتفسير الحسن: (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) أي: من الغدر.

قال تعالى: ﴿ وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾. والرجز الأوثان، أي: لا تعبدها.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾. ذكروا عن الضحاك بن مزاحم أنه قال في قوله تعالى: (وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّباً لِّتُرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِنْدَ اللهِ) [الروم: 39] قال: تلك الهدية تهديها لِيُهدَى لك خير منها، ليس لك فيها أجر، وليس عليك فيها وزر، نهى عنها النبي عليه السلام فقال: (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ).

قال بعضهم: وهي في مصحف أبي بن كعب: (وَلَا تَمْنُنْ أَنْ تَسْتَكْثِرَ) وذلك

(1) زيادة لا بد منها للإيضاح، وهي موجودة في ز، وهو المؤلف يحيى بن سلام.

تفسيرها على قراءة من قرأها بالرفع[2]. ذكروا عن الحسن أنه كان يقرأها بالجزم: (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ) موقوفة[2]. وقال: هي مقدّمة ومؤخرة. يقول: لَا تَسْتَكْثِرْ عَمَلَكَ فَتَمُنَّ عَلَيْنَا.

قال تعالى: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ [على ما أوذيت][3].

قال: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ أي: فإذا نفخ في الصور، والصور قرن ينفخ صاحب الصور فيه الأرواح فينطلق كل روح إلى جسده حتى يدخل فيه، فيقومون فيجيبون إجابة رجل واحد. قال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ كقوله: (يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) [القمر: ٨] أي: عسير.

﴿ عَلَى الْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ أي: ليس لهم من يُسرِه شيء، وإنما يسرُه للمؤمنين. ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: ما طول يوم القيامة على المؤمن الا كرجل دخل في الصلاة المكتوبة فأتمها فأحسنها وأجملها[4].

قوله عزّ وجل: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ أي: خلق كل إنسان وحيداً، وعنى به في هذا الموضع الوليد بن المغيرة، وهذا وعيد له.

﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً ﴾ أي: واسعاً ﴿ وَبَنِينَ شُهُوداً ﴾ يعني حضوراً معه في مكة لا يسافرون. وكان له اثنا عشر ولداً ذكوراً رجالاً ﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً ﴾ أي بسطت له في الدنيا بسطاً.

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 275: «لَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) رفع، يقول لا تمنن مستكثراً، صفة، ليس له هاهنا نهي. وقال الفراء في تفسير الآية: «يقول: لا تعط في الدنيا شيئاً لتصيب أكثر منه، وهي في قراءة عبد الله: (وَلَا تَمْنُنْ أَنْ تَسْتَكْثِرَ) فهذا شاهد على الرفع في تستكثرُ، ولو جزمه جازم على هذا المعنى كان صواباً. والرفع وجه القراءة والعمل». وانظر في تفسير القرطبي، ج 19 ص 67-69، أحد عشر تأويلاً لهذه الآية لخص معانيها القرطبي واستنبط ما فيها من فقه.

(2) انظر تعليل ذلك عند ابن جني، المحتسب، ج 2 ص 337.

(3) زيادة من ز، ورقة 377.

(4) انظر ما سلف في هذا الجزء، ص 50.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنَ أَزِيدَ ﴾ قال بعضهم: فلم يزده بعد هذه الآية شيئاً. تفسير الحسن: (ثُمَّ يَطْمَعُ أَنَ أَزِيدَ) أي: أن أدخله الجنة. أي: لقول المشرك (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ) [فصلت: 50] أي: للجنة إن كانت جنة. وكقوله: (وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهُمَا مُنْقَلَباً) [الكهف: 63]. وكقوله: (لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَّوَلَداً) [مريم: 77] أي: في الجنة إن رددت إلى ربي كما تقولون.

قال الله: ﴿ كَلَّا ﴾ أي: لا ندخله الجنة، وليس له فيها المال والولد. ﴿ إِنَّهُ كَانَ لِأَيَـٰتِنَا عَنِيداً ﴾ أي: معانداً لها، جاحداً بها.

﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ﴾ ذكروا عن الحسن وغيره قال: عذاباً لا راحة فيه(1). ذكروا عن كعب قال: هو جبل في جهنم يصعده الكافر إلى أعلاه، فإذا بلغ أعلاه رد حتى يبلغ إلى أسفله، ثم يصعد إلى أعلاه، ثم ينزل إلى أسفله.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ أي: فلعن كيف قدر. ﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ أي: كلح ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَا ﴾ أي: القرآن ﴿ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَـٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾.

تفسير الكلبي ان الوليد بن المغيرة قال لقريش: إن أمر هذا الرجل، يعني النبي عليه السلام قد فشا، وقد حضر الموسم. وإن الناس سيسألونكم عنه فما تردون؟ قالوا: نقول: إنه مجنون. قال: إذن والله يستنطقونه فيجدونه فصيحاً عاقلاً فيكذبونكم. قالوا: فلنخبرهم أنه كاهن [فقال: إذن والله يلقونه فيخبرهم بما لا يخبرهم به الكاهن. قالوا: فنخبرهم أنه شاعر](2). قال: فإنهم يعرفون الشعر ويروونه، فلا يسمعون شيئاً يشبه الشعر.

ثم انصرف إلى بيته فقالت قريش: صبا والله الوليد، وأيم الله لئن صبا(3) الوليد

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «(سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً) أي: سأحمله على مشقة من العذاب.

(2) سقط ما بين المعقوفين من ع وق فأثبته من ز حتى يستقيم معنى الحوار.

(3) صبا بالمد لغة في صبأ بالهمز يصبأ صبأً وصبوءاً أي خرج من دين إلى دين.

لتصبونّ قريش كلها. فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه. فانطلق أبو جهل فجلس إليه وهو كهيئة الحزين. فقال له: ما يحزنك يا ابن أخي. فقال: ومالي لا أحزن، وهذه قريش تجمع لك نفقة ليعينوك بها على كبرك وزمانتك. قال: أو لست أكثر منهم مَالاً وولداً؟ قال: فإنهم يقولون: إنك قلت الذي قلت لتصيب من فضول طعام محمد وأصحابه. فقال: والله ما يشبعون من الطعام فأيُّ فضل يكون عندهم. ولكني أكثرت حديث نفسي[1] فإذا الذي يقول سحر وقول بشر.

ذكروا عن سعيد بن المسيب قال قال رسول الله ﷺ: الفتنة تلقح بالنجوى، وتولد بالشكوى، فلا توقظوها إذا رقدت، ولا تثيروها إذا هي اجتمّت. قال: الفتنة راتعة في بلاد الله تطأ في خطامها حتى يأذن الله لها فيها. فإذا أذن الله لها فويل لمن أخذ بخطامها. من طلب الفتنة ذهب بقاؤه، وقل نماؤه، وكانت النار مأواه. ألا ففروا من الفتنة كما تفر الوحوش بأولادها. ألا فالحذر الحذر، فإنه لن ينجو من الفتنة إلا من صانع الذل، ولأن يقال لك ذليل ضعيف خير من أن يقال لك إنك من أصحاب السعير[2].

قال: فاجتمع إليه قومه فقالوا يا أبا المغيرة، كيف يكون قوله قولَ بشر وسحراً؟ قال: أذكركم الله، هل تعلمون أنه فرق بين فلانة وزوجها، وبين فلان وأبيه، وبين فلان وأخيه، وبين فلان، مولى بني فلان، ومواليه، يعني من أسلم واتبع النبي عليه السلام. فقالوا: اللهم نعم، قد فعل ذلك. قال: فهو ساحر.

قال مجاهد: وكان ذلك في دار الندوة. قال الله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ يعني عداساً[3]، غلام عتبة. كقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: 103]؛ عدّاس في تفسير الحسن.

(1) كذا في ق و ع، وفي ز ورقة 378: «أكثرت الحديث فيه».

(2) كذا أقحمت هذه الأقوال عن الفتنة في سياق قصة الوليد بن المغيرة مع قريش في ق و ع، ولم أدرك لها مناسبة هنا. وهي غير واردة في ز.

(3) في ق و ع «غداشاً» وفي الكلمة تصحيف صواب الاسم ما أثبته: «عداساً». اقرأ في تاريخ =

قال الله عز وجل: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ وسقر اسم من أسماء جهنم ﴿ وَمَا أَدْرَٰكَ مَا سَقَرُ ﴾ أي: لم تكن تدري ما سقر حتى أعلمتك.

قال تعالى: ﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾ أي: لا تبقي، إذا دخلها، شيئاً من لحمه ودمه وشعره وبشره وعظامه وأحشائه حتى تهجم على الفؤاد فتطبخ الفؤاد. فإذا انتهت إلى الفؤاد لم تجد شيئاً تتعلق به. ثم يجدد الله خلقه فتأكله أيضاً. وهو قوله: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) [النساء: 56].

وقال مجاهد: (لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ) أي: لا تحيي ولا تميت.

قوله عز وجل: ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾ أي: محرقة للجلد، تأكل كل شيء إلا الفؤاد. ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾.

لما نزلت قال أبو جهل: يا معشر قريش إني أرى محمداً يخوِّفكم بخزنة النار، ويزعم أنهم تسعة عشر وأنتم الدَّهم[1]، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم فتخرجوا منها؟ فقال أبو الأشد[2] الجمحي: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر: عشرة على ظهري وسبعة على صدري، فاكفوني أنتم اثنين. فأنزل الله:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَٰبَ النَّارِ إِلَّا مَلَٰئِكَةً ﴾ [أي: فمن يطيقهم][3] ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً ﴾ أي بلية ﴿ لِّلذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَٰبَ ﴾ لأنهم في كتبهم تسعة عشر ﴿ وَيَزْدَادَ الذِينَ ءَامَنُوا إِيمَٰناً ﴾ أي: تصديقاً ﴿ وَلَا يَرْتَابَ ﴾ أي: ولا يشك ﴿ الذِينَ أُوتُوا الكِتَٰبَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي: فيما أنزل الله من عددهم ﴿ وَلِيَقُولَ

= الطبري، ج 2 ص 345-346 قصة عداس هذا وهو غلام نصراني لعتبة بن ربيعة، مع النبي عليه السلام حينما خرج الرسول ﷺ إلى الطائف يدعو ثقيفاً إلى الإسلام.

(1) الدَّهم، بفتح الدال: العدد الكثير من الناس، وكذا الدهماء. انظر اللسان (دهم).

(2) جاء الاسم في ق و ع و ز: «أبو الأسود»، وهو خطأ أثبت صوابه: «أبو الأشد»، وهو أبو الأشد ابن كلدة الجمحي، كما جاء في بعض كتب التفسير. انظر مثلاً ابن الجوزي. زاد المسير، ج 8 ص 408.

(3) زيادة من ز، ورقة 378.

الذينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي: نفاق ﴿ وَالْكَـٰفِرُونَ ﴾ أي الجاحدون ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَٰذَا مَثَلاً ﴾ [أي: ذكرها][1] وذلك منهم استهزاء وتكذيب.

قال الله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاءُ ﴾ بترك الإيمان بالقرآن الذي فيه التسعة عشر. ﴿ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به قال: فعرج بي حتى انتهيت إلى باب الحفظة وعليه ملك يقال له إسماعيل جنده سبعون ألف ملك. ثم تلا هذه الآية: (وَمَا يَعْلَمُ جُنودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ)[2].

قال: ﴿ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ تفسير الحسن وغيره: يعني النار: رجع إلى قوله: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَيٰكَ مَا سَقَرُ).

قال: ﴿ كَلاَّ وَالْقَمَرِ وَالَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ أي: إذا ولى، وبعضهم يقرأها إذا دبر، [أي إذا ولّى][3] قال ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾ أي: إذا أضاء. هذا كله قسم. ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴾ يعني النار في تفسير الحسن ومجاهد؛ أي: إحدى العظائم. وقال الكلبي: إنها لإحدى الكبر، يعني سقر. وجهنم سبعة أبواب: جهنم، ولظى، والحطمة، وسقر، والجحيم، والسعير، والهاوية.

قال: ﴿ نَذِيراً لِّلْبَشَرِ ﴾ يعني النبي عليه السلام ينذرهم النار. رجع إلى أول السورة: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ) أي: قم نذيراً للبشر، فأنذرهم.

قال: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمُ أَن يَتَقَدَّمَ ﴾ في الخير ﴿ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ في الشر. وقال في آية أخرى: (لِمَنْ شَاءَ مِنكُمُ أَن يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [التكوير: 28-29] وقال في سورة الكهف: (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُومِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)

(1) زيادة من ز، ورقة 378.

(2) انظر ما سلف، ج 2 ص 402.

(3) زيادة من ز. يريد أن يقول: «أدبر» و«دبر» يأتيان بمعنى واحد. وقيل: «أدبر»: ولى، و«دبر»: خلف. قال أبو عبيدة في المعاني ج 2 ص 275: «... يقال: دبرني، جاء خلفي وإذا أدبر إذا ولّى...».

[الكهف: 29-31] وهذا كله وعيد. فذكر ما للمؤمنين وما للكافرين في الآخرة فقال: (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً) وهو ظلم فوق ظلم وظلم دون ظلم. . . إلى آخر الآية. وقال تعالى: (إِنَّ الذينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَن أَحْسَنَ عَمَلاً أُولئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهارُ).

قوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ يعني أهل النار ﴿ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ في النار. ثم قال: ﴿ إِلاَّ أَصْحَـٰبَ الْيَمِينِ ﴾ وهم أهل الجنة كلهم في هذا الموضع. وقال مجاهد: لا يحاسبون. قال: ﴿ فِي جَنَّـٰتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين، أي: يسائلون المجرمين: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ فأجابهم المشركون: ﴿ قَالوا: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ المِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَـٰنَا الْيَقِينُ ﴾.

قال الله: ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ الشَّـٰفِعِينَ ﴾ أي: لا يشفع لهم الشافعون في تفسير مجاهد وغيره، وإنما يشفعون للمؤمنين.

قال: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ ﴾ أي: عن القرآن ﴿ مُعْرِضِينَ ﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفَرَةٌ ﴾ وهي حمر وحشية ﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ قال الحسن: القسورة الرماة وقال بعضهم: القسورة: الأسد(1). والعامة على أنها الرماة.

قال: ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ أَن يُؤْتَى صُحُفاً مُّنَشَّرَةً ﴾ أي: إلى كل إنسان باسمه، أي: من الله رب العالمين إلى أبي جهل بن هشام وإلى فلان بن فلان وإلى فلان بـن فلان أن آمِن بمحمد فإنه رسول الله.

قال الله عز وجل: ﴿ كَلاَّ ﴾ أي: أنتم أهون على الله من ذلك. ثم قال: ﴿ بَل لاَّ يَخَافُونَ الأَخِرَةَ ﴾ أي: لا يؤمنون بها ﴿ كَلاَّ إِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ وَمَا تَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَّشَاءَ اللهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوىٰ ﴾ أي أهلٌ أن يُتّقى ﴿ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ أي: هو أهل أن يَغفِر، ولا يغفر إلا للمؤمنين.

(1) هو قول أبي عبيدة في المجاز، والكلبي، كما في معاني الفراء، وابن عباس في أحد قوليه، كما في تفسير الطبري، ورواه زيد بن أسلم عن أبي هريرة.

تفسير سورة القيامة، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ ﴾ هذا قسم، وهي كلمة عربية: أقسم، ولا أقسم واحد. أراد القسم[1].

قال: ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾. ذكروا عن الحسن أنها نفس المؤمن لا تلقاه إلا وهو يلوم نفسه، ويقول: ماذا أردت بكلامي، وما أردت بحديث نفسي، فلا تلقاه إلا وهو يعاتبها [يندم على ما فات ويلوم نفسه][2].

قوله عز وجل: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَـٰنُ﴾ وهو المشرك ﴿ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ أي: أن لن نبعثه. ﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾.

قال عمر بن عبد العزيز: (بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ) مفاصله. يعني البعث. وهو مثل قوله: (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) [الأنفال: 12] أي: كل مفصل. وقال بعضهم: (بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ) أي أصابعه فيجعلها مثل خف البعير أو كحافر الدابة، يعني في الدنيا. وتفسير مجاهد: كخف البعير فلا يعمل بها شيئاً.

قال تعالى: ﴿ بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَـٰنُ ﴾ وهو المشرك ﴿ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ قال الحسن:

---

(1) انظر وجوه معاني «لا» وإعراب (لَآ أُقْسِمُ) في معاني الفراء ج 3 ص 207، وكشاف الزمخشري ج 4 ص 658 - 659.

(2) زيادة من ز، ورقة 379.

فلا تلقاه إلا يمضي قدماً، لا يعاتب نفسه كما يعاتبها المؤمن. ذكروا عن عمرو عن الحسن قال: يمضي على فجوره حتى يلقى ربه[1].

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: متى يوم القيامة الذي كذب به المشرك؛ يقول ليست بجائية.

﴿فَإِذَا بَرِقَ[2] الْبَصَرُ﴾ أي: إذا شخص لإجابة الداعي. كقوله: (مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) [إبراهيم: 43].

قال الكلبي: (بَرِقَ[2] البَصَرُ)، أي: عجب فلا يطرف لما نظر إلى السماء، فقد تمزّقت من كل جانب، وهي محمَرّة كالدهان، والملائكة على حافاتها وهي تطوي، وقد طمست نجومها، وخسفت شمسها، ودرست أعلامها، وأظهرت الملائكة أسارير المجرم بيّنة الندامة، فهو شاخص البصر مخلوع القلب، معلقة روحه في حنجرته لا هي تخرج ولا هي ترجع. قال مجاهد: ذلك عند الموت.

قال: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ أي: ذهب ضوءه ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ قال الحسن: أُذهِبا جميعاً. وهو قول مجاهد؛ قال: كُوِّرَا يوم القيامة. وبعضهم يقول: حين تطلع الشمس والقمر من المغرب كالبعيرين المقرونين.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الشمس والقمر ثوران عقيران في النار[3] قال

---

(1) وجاء في معاني الفراء ما يلي: «عن سعيد بن جبير في قوله: (بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) قال: يقول: سوف أتوب، سوف أتوب. وقال الكلبي: يكثر الذنوب ويؤخر التوبة».

(2) جاء في ز ما يلي: «قال محمد: من قرأ (بَرَق البصَرُ) بفتح الراء أراد بريقَه إذا شخص، يقال برَق يبرُق. ومن قرأ (برِق) بكسر الراء فمعناه فزع وتحيّر. يقال منه: برِق يبرَق».

(3) في ق و ع «الشمس والقمر نوران عفيران في الثرى»، وسقطت كلمة «نوران» من ق. وفيهما تصحيف وفساد صواب الحديث ما أثبته. والحديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر. عن أبي هريرة. انظر فتح الباري، ج 6 ص 299-300 وفي رواية للطيالسي في مسنده عن أنس مرفوعاً: إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار، والشرح الذي أورده المؤلف هنا عن بعضهم يؤيد هذه العبارة الصحيحة.

بعضهم: أي: يمثلان في النار لمن عبدهما، يُوَبَّخُون بذلك. قال الله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ) [الحج: 18].

قال: ﴿ يَقُولُ الإِنْسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ المَفَرُّ ﴾ قال عز وجل: ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ أي: لا جبل ولا ملجأ يلجأون إليه. قال الحسن: كلا. لا جبل ولا حرز. وكانت العرب إذا أتاها الأمر قالوا: الجبل الجبل فيحترزون به. وقال مجاهد: لا ملجأ.

قال الله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ أي: المرجع.

قال تعالى: ﴿ يُنَبَّؤُا الإِنْسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾. وهو مثل قوله: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) [الإنفطار: 5].

ذكروا عن ابن مسعود قال: ما قدمت من خير أو شر، وما أخرت من سنة حسنة فعمل بها بعده، فإن له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيئاً، أو سيئة ولا ينقص من أوزارهم شيئاً.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه كان له مثل أجر من تبعه ولا ينقص من أجره شيئاً. وأيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع عليها كان عليه وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئاً[1]. وتفسير الحسن: (يُنَبَّؤُا الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّر) أي ينبأ بآخر عمله وأول عمله.

قال: ﴿ بَلِ الإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ أي: شاهد على نفسه أنه كافر. قال: ﴿ وَلَو أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ أي: ولو اعتذر لم يقبل عذره.

قال مجاهد: ولو جادل عنها فهو بصيرة عليها[2]. وقال الكلبي: : (عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) أي عليه من نفسه شاهد، أي: يداه ورجلاه وسائر جوارحه، يعني مثل قوله

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف ج 3 ص 299.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 277: «(بَصِيرَةٌ) جاءت هذه الهاء في صفة الذكر كما جاءت في راوية، وعلامة، وطاغية».

تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يسٓ: 65].

قوله عز وجل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾.

ذكروا عن الحسن قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه القرآن يقرأه ويذيب فيه نفسه مخافة أن ينساه، فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [أي نحن نحفظه عليك فلا تنساه][1] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ نحن ﴿فَاتَّبِعْ﴾ أنت ﴿قُرْآنَهُ﴾ يعني فرائضه وحدوده والعمل به[2].

وتفسير الكلبي أن النبي عليه السلام إذا نزل عليه جبريل وعلمه شيئاً من القرآن لم يكد يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله ﷺ بأولها مخافة أن ينساها فأنزل الله عليه ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى: 6-7]، وهو قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنَ ايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ [البقرة: 106] أي: ننسها النبي عليه السلام فيما ذكر بعضهم.

قال: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ قال الحسن: نجزي به يوم القيامة، أي: على ما قلنا في القرآن من الوعد والوعيد. وقال بعضهم: نحن نبيّنه لك.

قال عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا ﴿وَتَذَرُونَ الْأَخِرَةَ﴾ يعني المشركين، أي: لا يؤمنون أنها كائنة.

---

(1) سقط ما بين المعقوفين من ق و ع، فأثبته من ز ورقة 380.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 278: «﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ اتبع جمعه. فإذا قرأناه: جمعناه، وهي من قول العرب: ما قرأت هذه المرأة سلىً قط. قال عمرو بن كلثوم: لَمْ تَقْرَأْ جَنِيناً».

وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 112: «إذا قرأه عليك جبريل عليه السلام فاتبع قرآنه، والقراءة والقرآن مصدران، كما تقول: راجح بيّن الرجحان والرجوح، والمعرفة والعرفان، والطواف والطوَفان».

قال عز وجل: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ أي: ناعمة ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ أي: تنتظر الثواب، وهي وجوه المؤمنين.

وحدثني مسلم الواسطي قال: سمعت أبا صالح يقول في قوله: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) قال: تنتظر الثواب من ربها. قال أبو صالح: ما رآه أحد ولا يراه أحد[1].

﴿ وَوُجُوهٌ يَّوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ أي: كالحة، وهذه وجوه أهل النار ﴿ تَظُنُّ ﴾ أي: تعلم ﴿ أَن يُّفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾. قال: تظن أن يفعل بها شر. وقال مجاهد تظن أن يفعل بها داهية. وتفسير الكلبي: (أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) أي: منكرة[2].

قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ أي: حتى إذا بلغت النفس التراقي، أي: سُلَّت من الرجلين حتى بلغت الترقوتين. ﴿ وَقِيلَ: مَن رَّاقٍ ﴾ أي: من يرقى بعمله. وقال بعضهم: (مَن رَّاقٍ) أي: من يَرْقيه[3].

قال عز وجل: ﴿ وَظَنَّ ﴾ أي: وعلم ﴿ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ أي: فراق الدنيا. قال تعالى: ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ قال الحسن: مالت الرجلان وانكسرت العينان.

قال تعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يوم القيامة. ﴿ الْمَسَاقُ ﴾ قال الحسن: يساقون إلى الحساب.

(1) ليس هذا القول للشيخ هود الهواري كما قد يتبادر إلى الذهن، ولكنه لابن سلام، وإن لم أتبيّن بالضبط من هو مسلم الواسطي هذا. وكانت عادة الشيخ هود أن يروي أقوال ابن سلام بقوله: «قال بعضهم».

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 278: «الفاقرة الداهية، وهو الوَسم الذي يُفقر على الأنف». وقال ابن أبي زمنين: «يقال: إنها من فَقار الظهر كأنها تكسره، تقول: فقرت الرجل: إذا كسرت فَقاره».

(3) فصّل الفراء في المعاني ج 3 ص 212 هذا الفرق بين المعنيين بعبارة أوضح فقال: «يقول: إذا بلغت نفس الرجل عند الموت تراقيه، وقال من حوله: (مَنْ رَاقٍ)؟ هل من مداو؟ هل من راق؟ (وَظَنَّ) الرَّجُلُ (أَنَّهُ الْفِرَاقُ): علم أنه الفراق، ويقال هل من راق إن ملك الموت يكون معه ملائكة، فإذا أفاظ الميت نفسَه، قال بعضهم لبعض: أيكم يرقَى بها؟ من رقيت إذا صعدتُ».

قال تعالى: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ﴾ [أي: لم يصدق ولم يصل][2]، يعني أبا جهل بن هشام ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أي: كذب بكتاب الله وتولى عن طاعة الله. ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴾ أي: يتبختر.

وقال أبو جهل للنبي عليه السلام: ما بين هذين الجبلين أحد أعز مني، فاجتهد أنت وربك يا محمد جهدكما. فأنزل الله: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ [وعيد بعد وعيد][1]. فقتله الله يوم بدر، ثم صيّره إلى النار.

قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ ﴾ أي: المشرك. ﴿ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ أي: هملاً في تفسير الحسن وقال مجاهد: أن يترك باطلاً فلا يبعث ولا يحاسب بعد موته.

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ تُمْنَىٰ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: يمنى وتمنى فمن قرأها يمنى، ذلك المني أي: مني الرجل، كقوله عز وجل: (أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ) [الواقعة: 58] ومن قرأها تمنى فهو يعني النطفة يمنيها الرجل.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ يعني خلق الإنسان. يعني بقوله: (فَخَلَقَ) يعني نفسه. أي: خلقه الله فسواه مثل قوله: (خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ) [الإنفطار: 7].

قال: ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ الذكر زوج والأنثى زوج.

قال: ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾. يقوله على الاستفهام. ذكروا أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى على هذه الآية قال: سبحانك وبلى[2].

---

(1) زيادة من ز، ورقة 280.

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء في الصلاة عن موسى بن أبي عائشة عن صحابي بسند رجاله ثقات. (رقم 884). وجاء الحديث في ز بالسند التالي: «يحيى عن إبراهيم عن إسماعيل بن أمية عن أبي اليسع عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إذا ختم أحدكم آخر لا أقسم بيوم القيامة فليقل: بلىٰ».

تفسير سورة الإنسان[1] وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ هَلَ أَتَىٰ ﴾ أي: قد أتى ﴿ عَلَى الإِنْسَانِ ﴾ يعني آدم ﴿ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾ أي: في الخلق، وهو عند الله مذكـور أنه خالقه؛ لأنه خلق الأشياء كلها؛ صغارها وكبارها، ما يرى منها وما لا يرى من دواب الأرض والبحر والبر والهوام والسباع، يعني أصول الخلق في الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض، غير آدم خلقه الله يوم الجمعة، آخر الأيام السبعة[1].

ذكروا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ تبنة من الأرض فقال: يا ليتني كنت هذه التبنة، ويا ليت أمي لم تلدني، يا ليتني كنت نسياً منسياً، يا ليتني لم أكن شيئاً مذكوراً.

وذكروا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية: (هَل أَتَىٰ الإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً) فرفع صوته وقال: يا ليتها تمّت[2].

قال: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ يعني نسل آدم ﴿ أَمْشَاجٍ ﴾ تفسير الحسن: يعني مشج[3] ماء الرجل بماء المرأة.

---

(1) كذا في ق وع: «آخر الأيام السبعة»، وفي ز: آخر الأيام الستة.

(2) في ق وع: «يا ليتني مت قبل هذا»، والصواب ما أثبته من ز، ورقة 380. وقال أبو عبيدة: «ويحقق قول أبي بكر: ليتها كانت تمّت فلم نُبتَل».

(3) أي: خلط. وقال ابن عباس: ماء الرجل والمرأة حين يختلطان.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فمن أيهما سبق، أو قال: علا، فمنه يكون الشبه[1].

قال تعالى: ﴿ نَّبْتَلِيهِ ﴾ أي: نختبره. قال: ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾ أي: بصّرناه سبيل الهدى وسبيل الضلالة كقوله عز وجل: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) [البلد: 10] أي سبيل الهدى وسبيل الضلالة.

قال تعالى: ﴿ إِمَّا شَاكِراً ﴾ أي مؤمناً ﴿ وَإِمَّا كَفُوراً ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَاسِلاً ﴾ وقال في سورة الحاقة: (فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً) [الحاقة: 23]، لو أن حلقة منها وضعت على جبل لذاب قال: ﴿ وَأَغْلَلاً ﴾ كقوله: (إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ) [غافر: 71] قال: ﴿ وسعيراً ﴾. والسعير اسم من أسماء جهنم، وجهنم كلها سعير تسعر بهم، وطعامهم من نار، وشرابهم من نار، ولباسهم من نار.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ ﴾ يعني الخمر ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا ﴾ أي: طعمها ﴿ كَافُوراً ﴾ وهو الكافور إلا أنه أفضل من هذا الكافور وأطيب. وقال الحسن: يشربونها على برد الكافور وطعم الزنجبيل. وتفسير مجاهد: (مِزَاجُهَا) أي: الذي يمزج به. وقال الكلبي (كَافُوراً) عين في الجنة تسمى كافوراً.

قال تعالى: ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ ﴾ يعني المؤمنين ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾ قال الحسن: تفجير الله لهم. وقال مجاهد: يقودونها حيث شاءوا. وقال بعضهم: يقول أحدهم بأصبعه حيث أراد فينبعه من الماء وغيره[2].

---

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد وأخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، من حديث طويل (رقم 315) وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، باب في المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل، عن أنس، (رقم 601).

(2) وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 215: «أيها أحبَّ الرجل من أهل الجنة فجّرها لنفسه».

قال تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ أي: ما كان من نذر في طاعة الله.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: لا نذر في معصية الله، ولا في قطيعة رحم، ولا فيما لا يملك ابن آدم[1].

قال تعالى: ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾ أي: فاشياً، وشرّه على الكفار[2].

قال: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ أي: على حاجتهم إليه ﴿ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾ يعني الأسير من المشركين.

كان رسول الله يدفع الأسير إلى الرجل من المسلمين فيقول: احبس هذا عندك. فيكون عنده الليلة والليلتين. ورسول الله ﷺ مشغول بحربه، فإذا فرغ قَبِلَهم؛ فكانوا يؤثرون على أنفسهم أولئك الأسارى، فأثنى الله عليهم بذلك.

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ ﴾ أي: ينوون هذا في أنفسهم. [تفسير مجاهد: قالوا هذا في أنفسهم ولم ينطقوا به، فعلم الله ذلك منهم فأثنى به عليهم][3] ﴿ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً ﴾ أي: أن تجزونا به ﴿ وَلَا شُكُوراً ﴾ أي: ولا أن تشكرونا. ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً ﴾ أي: يخافون شر ذلك اليوم الذي لا انبساط فيه. (والقَمْطَرِيرُ) الشديد. و(العَبُوسُ) أي تعبس فيه الوجوه. والقمطرير الذي يُقبّض ما بين الأعين. وتفسير مجاهد: العبوس بالشفتين. القمطرير: قبض الجبهة[4].

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم من حديث طويل عن عمران بن حصين في كتاب النذر، باب: لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد (رقم 1641). وأخرجه ابن ماجه في كتاب الكفارات عن عمران بن الحصين أيضاً (رقم 2124) وأخرجه النسائي.

(2) جاء في ق و ع: «فاشياً في السماوات والأرض» ولم أر لهذه الزيادة هنا وجهاً، ولعلها سهو من ناسخ، فأثبت ما جاء في ز ورقة 381، وهو الصواب.

(3) زيادة من ز، ورقة 381.

(4) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 279: «العبوس، والقمطرير، والقماطر، والعصيب، والعصبصب أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء».

قال: ﴿ فَوَقَيهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّيهُمْ نَضْرَةً ﴾ أي في وجوههم ﴿ وَسُرُوراً ﴾ أي في قلوبهم. قال: ﴿ وجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ ﴾ أي: على السرر في الحجال ﴿ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً ﴾ الزمهرير: البرد الشديد. وقال مجاهد: البرد الذي يقطع.

ذكروا عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: ليس في الجنة ليلة تظلم ولا حر ولا برد يؤذيهم[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا ﴾ أي ظلال الشجر ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾ أي: ذللت لهم ثمارها يتناولون منها قعوداً ومضطجعين وكيف شاءوا. وتفسير مجاهد: إن قام ارتفعت بقدره، وإن قعد نزلت حتى ينالها، وإن اضطجع تدلت إليه حتى ينالها.

قال عز وجل: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِئَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوارِيراً قَوَارِيراً مِّنْ فِضَّةٍ ﴾ والأكواب: الأكواز؛ تسمي العرب الواحد منها كوزاً، وهو الكوب المدور القصير العنق القصير العروة. والإبريق: الطويل العنق الطويل العروة. ومعنى: (كَانَتْ قَوَارِيراً مِّنْ فِضَّةٍ) أي: اجتمع صفاء القوارير في بياض الفضة. وذلك أن لكل قوم قوارير من تراب أرضهم، وأن تراب الجنة فضة، فهي قوارير من فضة يشربون فيها؛ يرى الشراب من وراء جدر القوارير، وهذا لا يكون في فضة الدنيا[2].

قال: ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾ أي: في أنفسهم، فأتتهم على ما قدروا واشتهوا من صغار وكبار وأوساط، هذا تفسير بعضهم.

وتفسير مجاهد: متشابهة لا تنقص ولا تفيض. وبعضهم يقرأها: (قُدِّرُوهَا

(1) جاء الحديث في ز ورقة 381 بدون سند بلفظ: ليس في الجنة شمس ولا ليل مظلم ولا حر ولا برد. ولم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من المصادر. وأورد السيوطي في الدر المنثور ج 6 ص 300 ما يلي: «أخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال: الجنة سجسج لا قر فيها ولا حر».

(2) وقع بعض التقديم والتأخير في تفسير هذه الآية في ق و ع فأثبت الترتيب والتصحيح حسبما جاء في ز.

تَقْدِيراً) أي: على قدر رِيِّهِمْ فلا يفضل عنهم شيء ولا يشتهون بعدها شيئاً، وهو مقرأ ابن عباس[1].

قال تعالى: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ كَأْساً ﴾ وهي الخمر ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً ﴾ أي طعم ذلك المزاج طعم الزنجبيل على برد الكافور فيهضم ما أكلوا.

قال تعالى: ﴿ عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به قال: ثم انتهيت إلى سدرة المنتهى فإذا هي أحسن ما خلق الله، وإذا الورقة منها لو غطيت بها هذه الأمة لغطتها. ثم انفجر من السلسبيل نهران نهر الرحمة ونهر الكوثر[2]. [والسلسبيل اسم العين][3] وقال مجاهد: إنه ماء يجري لو يمر بالجبال لسقاها.

قال تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ على هيئة الوصفاء[4] لا يشيبون عنها ولا يموتون أبداً. ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ ﴾ أي: شبهتهم ﴿ لُؤْلُؤاً مَّنْثُوراً ﴾ أي: في صفاء ألوانهم، والمنثور أحسن ما يكون. وقال بعضهم: (لُؤْلُؤاً مَّنْثُوراً) من كثرتهم.

---

(1) وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 217: «قدروا الكأس على ري أحدهم لا فضل فيه ولا عجز عن ريه، وهو ألذ الشراب».

(2) انظر ما سلف ج 2 ص 400.

(3) زيادة من ز، ورقة 381. وقال ابن أبي زمنين: «والسلسبيل في اللغة صفة لما كان غاية في السلاسة، وصرف لأنه رأس آية». وفي كتاب المعرب للجواليقي، ص 237-238، حيث يذهب المؤلف إلى أن الكلمة «اسم أعجمي نكرة، فلذلك انصرف، وقيل هو اسم معرفة إلا أنه أجري لأنه رأس الآية» يقدّم المحقّق الشارح الشيخ أحمد محمد شاكر تحقيقاً قيّماً لخّص فيه أقوال المفسرين واللغويين وأثبت ما كان ذهب إليه الزجاج والطبري من أن الكلمة صفة للعين وليست اسماً. وانظر الزمخشري الكشاف ج 4 ص 672.

(4) في ق وع: «على هيئة الوصف» وفي الكلمة تصحيفٌ صوابه ما أثبته: «الوصفاء»، جمع وصيف، «وهو الخادم غلاماً كان أو جارية. يقال: وَصُفَ الغلام إذا بلغ حدّ الخدمة، فهو وصيف بيِّن الوَصَافة». كما جاء في صحاح الجوهري.

ذكروا عن جابر بن عبد الله قال: حسن الخادم عند حسن المخدوم كالكوكب المظلم إلى جنب القمر ليلة البدر.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾ أي في الجنة ﴿ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴾. ذكر بعضهم قال: [يأتي الملك من عند الله إلى الرجل من أهل الجنة بالتحفة والهدية وبأن الله عنه راض، فلا يدخل إليه حتى يستأذن فيقول البواب: سأذكره للبواب الذي يليني، فيذكره للبواب الذي يليه حتى يبلغ البواب الذي يلي ولي الله فيقول له: ملك يستأذن. فيقول: ائذنوا له. فيؤذن له، فيدخل فيقول: إن ربك يقرئك السلام ويخبره أنه عنه راض ومعه التحفة فتوضع بين يديه][1]. وقد فسرنا ما بلغ ذلك النعيم وذلك الملك في غير هذا الموضع.

قال تعالى: ﴿ عَالِيَهِمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ ﴾ وبعضهم يقرأها: (عَالِيْهِمْ)[2] ﴿ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ وهو الديباج الغليظ. وهو بالفارسية: استبره. وتفسير الحسن: إنه الحرير.

ذكروا عن عكرمة قال: أما السندس فقد رأيتموه: الحرير الرقيم الذي يحمل بالسوس[3]. قال: (وَالإِسْتَبْرَقُ): الديباج الغليظ[4].

قال تعالى: ﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ فليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة: سوار من فضة. وسوار من لؤلؤ، وسوار من ذهب.

قال تعالى: ﴿ وَسَقَـٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ﴾ ذكروا عن علي بن أبي طالب أنه قال: إذا توجّه أهل الجنة إلى الجنة مرّوا بشجرة يخرج من تحتها عينان فيشربون من

(1) زيادة من ز ورقة 381-382.

(2) من قرأ (عَالِيهم) بإسكان الياء وكسر الهاء جعله اسماً، ومن قرأ (عَالِيَهم) بفتح الياء وضمّ الهاء جعله ظرف مكان. انظر ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص 331.

(3) كذا في ق و ع: «يحمل بالسوس» ولعله: «يحمل بالسوس» والسوس بلدة بلدة بخوزستان، غير السوس الأقصى الذي بالمغرب، كما ذكر ذلك ياقوت في معجم البلدان.

(4) انظر الجواليقي، المعرّب ص 63، وتعليق الشارح: 7 و10.

إحداهما. فتجري عليهم بنضرة النعيم، فلا تَغَيَّرُ أبشارُهم ولا تشعث أشعارهم بعدها أبداً؛ ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من أذى وقذى، ثم تستقبلهم الملائكة خزنة الجنة فيقولون: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) [الزمر: 73].

ذكر بعضهم أنه يقال لأهل الجنة: ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً ﴾ أي: بأعمالكم ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُم ﴾ أي: الذي سعيتم، أي الذي عملتم في الدنيا ﴿ مَّشْكُوراً ﴾ شكره الله لكم فجزاكم به الجنة.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءانَ تَنْزِيلاً ﴾ أي: نزل به جبريل ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ أي: لما حكم عليك فيه وفرض ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءاثِماً ﴾ وهو المنافق [في تفسير الحسن؛ أظهر الإسلام وقلبه على الشرك][1] ﴿ أَوْ كَفُوراً ﴾ أي: مشركاً جاحداً[2].

قال: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً ﴾ أي: صلاة الصبح ﴿ وَأَصِيلاً ﴾ أي: صلاة الظهر والعصر. ﴿ وَمِنَ الَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ ﴾ أي: صلاة المغرب والعشاء قال: ﴿ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾ هذا تطوع.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ﴾ يعني المشركين ﴿ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ أي: الدنيا ﴿ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ ﴾ أي: أمامهم، أي: بعد موتهم ﴿ يَوْماً ثَقِيلاً ﴾ أي: لا يؤمنون به، يعني يوم القيامة. (ثقيلاً) أي: عسيراً عليهم.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 382.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 280: «ليس هاهنا تخيير، أراد آثماً وكفوراً». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 219: «(أو) هاهنا بمنزلة (لا). و (أو) في الجحد والاستفهام والجزاء تكون في معنى (لا) فهذا من ذلك. وقال الشاعر:

لا وجدُ ثكلى كما وَجِدتُ ولا وَجدُ عجولٍ أضلَّها رُبَعُ
أو وجدُ شيخٍ أضلَّ ناقتَه يومَ توافى الحَجيجُ فاندفعوا

أراد: ولا وجد شيخ».

قال: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَـٰهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾ أي: قوتهم، يعني شدة الخلق. وقال مجاهد: (أَسْرَهُمْ) أي: خلقهم، وبعضهم يقول: قوتهم، وبعضهم يقول: مفاصلهم وهذا كله قريب بعضه من بعض. قال: ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلاً ﴾ [أي: أهلكناهم بالعذب وبدلنا أمثالهم][1] آدميين خيراً منهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِ ﴾ أي إن هذه السورة ﴿ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾ أي: بطاعته. ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ أي: عليماً بخلقه، حكيماً في أمره.

﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ أي: في دينه الإسلام ﴿ وَالظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين والمنافقين ﴿ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ أي: موجعاً شديداً، يعني بذلك النار.

(1) زيادة من ز، ورقة 382.

تفسير سورة المرسلات، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ وَالْمُرْسَلَـٰتِ عُرْفاً ﴾ يعني الملائكة ترسل بالمعروف إلى الرسل، فتبلغ الرسلُ العبادَ[1]. وتفسير الحسن: إنها الرياح. قال: عرفها: جريها.

قال تعالى: ﴿ فَالْعَـٰصِفَـٰتِ عَصْفاً ﴾ أي: الرياح إذا عصفت، أي: اشتدت ﴿ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً ﴾ يعني الرياح. كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُراً بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِهِ) [الأعراف: 57] أي: بين يدي المطر.

قال: ﴿ فَالْفَـٰرِقَـٰتِ فَرْقاً ﴾ يعني الملائكة التي تنزل بالوحي، أي: بكتب الله التي فرق فيها بين الكفر والإيمان وبين الحلال والحرام. قال: ﴿ فَالْمُلْقِيَـٰتِ ذِكْراً ﴾ يعني الملائكة تلقى الذكر، وهو كتب الله على الأنبياء، فيوحيه جبريل إلى النبيين. وقد قال في آية أخرى: (وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَن يُّلْقَىٰ إِلَيْكَ الكِتَابُ) [القصص: 86] أي: أن ينزل عليك. قال: ﴿ عُذْراً ﴾ أي تنزل به الملائكة يعذر به الله إلى خلقه[2] ﴿أَوْ نُذْراً ﴾ أي: ينذرهم بعذابه.

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 221: «يقال هي الملائكة. وأما قوله: (عُرْفاً) فيقال: أرسلت بالمعروف. ويقال: تتابعت كعرف الفرس. والعرب تقول: تركت الناس إلى فلان عرفاً واحداً، إذا توجهوا إليه فأكثروا». وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 281: «(عُرْفاً) يتبع بعضه بعضاً يقال: جاءوني عرفاً».

(2) في ق و ع: «تنزل به الملائكة تعذر به الله إلى خلقه» وأثبت ما جاء في ز فهو أصح.

وهذا قسم كله من أول هذه السورة إلى هذا الموضع، أقسم به ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ بِهِ لَوَٰقِعٌ ﴾ يعني المشركين، ما يوعدون به من عذاب الله لواقع بهم.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ يقول: عذاب الله واقع يوم تطمس فيه النجوم فيذهب ضوءها. ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ أي: فتحت وانشقت، كقوله: (وَفُتِّحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتَ اَبْوَاباً) [النبأ: 19]. قال: ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ أي: قد ذهبت من أصولها فكانت هباء منبثاً في تفسير الحسن. وتفسير الكلبي: (نُسِفَتْ) أي: سوّيت بالأرض.

قال: ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ أي: وعدت، يعني الميعاد، وميعادها يوم القيامة في تفسير الحسن. وتفسير الكلبي: (أقتت) أي: جمعت. وتفسير مجاهد: (أُقِّتَتْ) أي: أجّلت أجلاً يعيشون فيه. ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾.

قال: ﴿ لِيَوْمِ الفَصْلِ ﴾ أي: يوم القضاء. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَٰكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ أي يوم القضاء. قال الحسن: أي: إنك لم تكن تدري ما يوم الفصل حتى أعلمتكه. ﴿ وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ أي: ينادون في النار بالويل والثبور.

قال: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ ﴾ على الاستفهام، أي بلى، قد أهلكنا الأولين، يعني الأمم السالفة التي أهلك حين كذبوا رسلهم. قال: ﴿ ثُمَّ نُتْبِعُهُمَ الأخِرِينَ ﴾ والآخرون هذه الأمة، أي: نهلكهم كما أهلكنا من قبلهم، يعني آخر كفار هذه الأمة الذين تقوم عليهم الساعة. قال: ﴿ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين. ﴿ وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ يعني النطفة الضعيفة ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُ ﴾ يعني الماء، وهو النطفة ﴿ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ يعني الرحم ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ أي: إلى يوم يولد المخلوق. قال تعالى: ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَـٰدِرُونَ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: (فَقَدَرْنَا) خفيفة و (فَقَدَّرْنَا) مثقلة. فمن قرأها بالتخفيف فهو يقول: (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ القَادِرُونَ) من باب القُدرة، أي: فملكنا فنعم المالكون. ومن قرأها بالتثقيل (فَقَدَّرْنَا

فَنِعْمَ القَادِرُونَ) فمن قِبَل التقدير. قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً ﴾ أي تكفتهم، أي تضمهم، [والكفت الضم والجمع][1] ﴿ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً ﴾ أي يكونون على ظهرها وعليها أرزاقهم أحياء، وتضمهم أمواتاً فيكونون في بطنها، في تفسير الحسن. وقال بعضهم: الأحياء في البيوت، والأموات في القبور. قال: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَـٰمِخَـٰتٍ ﴾ والرواسي الجبال، والشامخات المرتفعة. قال: ﴿ وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّاءً فُرَاتاً ﴾ أي: عذباً. وكل ماء عذب فهو فرات. قال: ﴿ وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾. وهي مثل الأولى.

ثم قال: ﴿ انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي: يقال لهم يوم القيامـة: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من العذاب، أي: يقولون إنه ليس بكائن. ﴿ انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَـٰثِ شُعَبٍ ﴾ أي: يخرج من النار لسانان قبل أن يدخلوا النار، فيحيط بالمشركين مثل السرادق، ثم يسطع من النار دخان أسود فيُظِلّ ذلك السرادق، ثم يصير ثلاث فرق، فيلجأون إليه[2]، يرجون أن يظلهم [ويجدون منه من الحر مثل ما وجدوا قبل أن يلجأوا إليه][3] قوله: ﴿ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴾ وقال في الواقعة: (وَظِلٍّ مِّن يَّحْمُومٍ) وهو الدخان، وهو هذا الذي قال: في ظل ذي ثلاث شعب (لَا بَارِدٍ وَّلَا كَرِيمٍ) [الواقعة: 43-44] أي لا بارد في الظل ولا كريم في المنزل.

قال: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي ﴾ يعني النار ﴿ بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: كالقصْر، خفيفة، وكالقصَر مثقلة. فمن قرأها كالقصر خفيفة فهو يعني قصراً من

(1) زيادة من ز، ورقة 383.

(2) كذا وردت هذه العبارة في ق و ع، وهي في معاني الفراء ج 3 ص 224 أوضح: «يقال: إنه يخرج لسان من النار فيحيط بهم كالسرادق، ثم يتشعب منه ثلاث شعب من دخان فيظلهم حتى يفرغ من حسابهم إلى النار».

(3) زيادة من ز، ورقة 383.

القصور، ومن قرأها مثقلة فهو يعني أصول الشجر، وهي قصرها كقصر الرجال والدواب، وهي أعناقها[1].

قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُ جِمَـٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: جمالة وجمالات فمن قرأها جمالة فهو يعني النوق السود. ومن قرأها جمالات فهو يعني جمالات السفينة، أي حبالها[2] فيما ذكروا عن مجاهد. قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قال تعالى: ﴿ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ أي: بحجة ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ وقد يؤذن لهم في الكلام في بعض المواطن ولا يؤذن لهم في بعض. فإذا أذن لهم في الكلام لم يعتذروا بعذر. قال: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قال تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ أي: هذا يوم القضاء ﴿جَمَعْنَـٰكُمْ وَالأَوَّلِينَ ﴾ أي: يقال لهم هذا يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ ﴾ تنجون به من عذاب الله ﴿ فَكِيدُونِ ﴾ تفسيره: فكيدون إن قدرتم، أي: إنكم لا تقدرون على ذلك. قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ ﴾ يعني الأنهار ﴿ وفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ قال: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وذلك على قدر أعمالكم. ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ قال: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قال تعالى: ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً ﴾ يقوله للمشركين وعيداً لهم. وانقضت

(1) انظر تحقيق مختلف هذه القراءات ومعانيها في معاني الفراء، ج 3 ص 224-225. وقال الراغب الأصبهاني في المفردات: «وقيل القصر أصول الشجر، الواحدة قصْرة مثل جمرة وجمر». وانظر ابن خالويه: الحجة، ص 333.

(2) في تفسير مجاهد ص 717: حبال الجسور، وفي تفسير الطبري ج 29 ص 241-242: «قلوس السفينة، أي حبالها الغليظة».

القصة الأولى من أمر أهل النار. ﴿ إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ ﴾ يعني شركهم.

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: المؤمن يأكل في معاء واحد، والمنافق يأكل في سبعة أمعاء[1]. قال: ﴿ وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾ أي: وإذا قيل لهم صلوا لا يصلون ﴿ وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وهي مثل الأولى. قال: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ ﴾ أي: بعد القرآن ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: يصدّقون. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(1) انظر تخريجه فيما سلف ج 2 ص 240.

تفسير سورة عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ يعني المشركين، أي: ما الذي يتساءلون عنه. ثم قال عز وجل: ﴿ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾ أي البعث[1]، وذلك منهم تكذيب واستهزاء. قال عز وجل: ﴿ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ يعني البعث اختلف فيه المشركون والمؤمنون، فآمن به المؤمنون وكفر به المشركون.

قال عز وجل: ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ وهذا وعيد من الله للمشركين، ووعيد بعد وعيد.

ثم قال: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾ مثل قوله عز وجل: فراشاً وبساطاً. قال: ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ أي: أوتاداً للأرض.

قال: ﴿ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ أي: ذكراً وأنثى. قال: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ أي: نعاساً[2]. ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ أي: ستراً يغطي الخلق فيسكنون فيه[3]. ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ أي: يطلبون فيه أرزاقهم ومعايشهم.

---

(1) وذكر بعض المفسرين أن الذي اختلفوا فيه إنما هو القرآن؛ ووجه اختلافهم فيه أنهم قالوا: هو سحر، وقالوا هو شعر، وقالوا أساطير الأولين. وفي تفسير مجاهد ص 719: (عَنِ النَّبَإِ العظيم)، يعني القرآن.

(2) كذا في ق، و ع، و ز: «نعاساً»، وأصح منه تأويلاً ما ورد في بعض التفاسير: «راحة وقطعاً للأعمال» لأن أصل معنى السبت الراحة والدعة والسكون.

(3) في ق و ع: «أي سكناً لبعض الخلق، أي يسكنون فيه» وما أثبته من ز ورقة 383 أدق تعبيراً وأوضح معنى.

قال: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً ﴾ وهي السماوات، وهي أشد من خلق الناس. قال تعالى: (ءَأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها. . . إلى قوله وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) [النازعات: 27-30] قال عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً ﴾ يعني الشمس. وتفسير الكلبي: وهاجاً: أي مضيئاً. وتفسير الحسن: حر الشمس وهجها.

قال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ ﴾ أي: من السماوات[1] وبعضهم يقول: من السحاب[2]. ﴿ مَاءً ثَجَّاجاً ﴾ أي: ماء منصباً؛ ينصب بعضه على بعض. ﴿ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً ﴾ أي: البر والشعير ﴿ وَنَبَاتاً ﴾ أي: من كل شيء. قال عز وجل: ﴿ وَجَنَّتٍ أَلْفَافاً ﴾ أي: ملتفة. وقال الكلبي: ألفافاً، أي: ألواناً.

قال: ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴾ أي: يوم القضاء، وهو يوم القيامة ﴿ كَانَ مِيقَاتاً ﴾ أي: يوافونه كلهم. ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ وهي النفخة الأخيرة ﴿ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ﴾ أي: أمة أمة. ﴿ وَفُتِّحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً ﴾ أي: منشقة. ﴿ وَسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً ﴾ أي: مثل السراب، تراه وليس بشيء.

قال عز وجل: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً ﴾ أي: هي رصد دون الجنة [أي: ترصد من حق عليه العذاب][3]. والصراط عليها، فمن كان من أهلها هوى فيها، ومن لم يكن من أهلها حاد عنها إلى الجنة.

قال الحسن: كان الرجل يلقى أخاه فيقول: أما علمت أن جهنم على الرصد. يعني أن جهنم كانت مرصاداً. قال الحسن: والله لقد أدركت أقواماً ما جعل أحدهم

---

(1) كذا ورد اللفظ في ق وع «السماوات»، وهو قول نسب إلى أبي بن كعب والحسن وابن جبير، وفي ز: «من الرياح» وهو قول نسب إلى ابن عباس وقاله مجاهد وعكرمة وقتادة. وهو أنسب.

(2) رجح الطبري هذا القول. وروي أيضاً عن ابن عباس والربيع والضحاك. وذكره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 508 فقال: «يقال شبهت بمعاصير الجواري. والمعصر: الجارية التي دنت من الحيض». وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30 ص 25.

(3) زيادة من ز، ورقة 384.

بينه وبين الأرض فراشاً حتى لحق بالله إلا كساءه، بعضه تحته وبعضه فوقه. ولقد أدركت أقواماً إن كان أحدهم ليعرض له المال الحلال فلا يأخذه ولا يعرض له خشية أن يكون هلاكه فيه. وإن كان الرجل ليلقاه أخوه فيحسب أنه مريض، وما به من مرض إلا أن القرآن قد أرَقَّه. وكان الرجل يلقى الرجل فيقول: أخي، أتاك أنك وارد جهنم؟ فيقول: نعم. فيقول: أتاك أنك صادر عنها؟ فيقول: لا. فيقول: ففيم البِطاء إذاً[1].

قال الله عز وجل: ﴿ لِلطَّٰغِينَ مَئاباً ﴾ أي: للمشركين والمنافقين مرجعاً ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً ﴾ أي: تأتي عليهم الأحقاب لا تنقطع أبداً. والحقب ثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم ألف سنة من سني الدنيا. كلما خلا حقب دخل حقب، وذلك ما لا انقطاع له ولا أمد ولا غاية ولا منتهى.

قال: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ﴾ أي في جهنم ﴿ بَرْداً وَلَا شَرَاباً إِلَّا حَمِيماً ﴾. والحميم الحار الذي لا يستطاع من حره، قد أوقد على تلك العين التي قال عنها عز وجل: (تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ) [الغاشية: 5] أي: قد أنى حرها فاجتمع، قد أوقد عليها منذ خلق الله السماوات والأرض. قال: ﴿ وَغَسَّاقاً ﴾ قال بعضهم: هو القيح الغليظ المنتن. وقال بعضهم: هي بالفارسية الغساق بلسانهم، أي: المنتن. وبعضهم يقول: الغساق: الذي لا يستطاع من شدة برده، وهو الزمهرير.

قال تعالى: ﴿ جَزَاءً وِفَاقاً ﴾ أي: يوافق أعمالهم الخبيثة. ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً ﴾ أي: لا يخافون حساباً، [لأنهم] لا يقرون بالبعث. ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً ﴾ [أي: تكذيباً][2].

(1) ما أحسن ما قاله الحسن البصري، وما أصدقه! إنه مما يلين القلوب، ويزهد في الدنيا، ويرغب فيما عند الله، فيا ليتنا نتعظ ونعتبر!.

(2) زيادة من ز، وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 229: «خففها علي بن أبي طالب رحمه الله: (كِذَاباً) وثقلها عاصم والأعمش وأهل المدينة والحسن البصري. وهي لغة يمانية فصيحة يقولون: كذّبت به كِذّاباً، وخرّقت القميص خِرّاقاً، وكل فعّلت فمصدره فِعّال في لغتهم مشدد. قال لي أعرابي منهم على المروة: آلحلق أحبّ إليك أم القِصّار؟ يستفتيني». وقال الجوهري في الصحاح: «هو أحد مصادر المشدد لأن مصدره قد يجيء على تفعيل. مثل التكليم، وعلى=

قال: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَـٰباً ﴾ أي: أحصت الملائكة على العباد أعمالهم وهي عند الله محصاة في أم الكتاب.

ذكروا عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم فقال اكتب. قال: رب وما أكتب. قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة. قال: فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة. فأعمال العباد تعرض كل يوم اثنين وخميس فيجدونه على ما في الكتاب. وزاد فيه بعضهم: (هَٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). [الجاثية: 29]. ثم قال: ألستم قوماً عرباً. هل تكون النسخة إلا من كتاب.

قال: ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً ﴾ ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال: ما نزل على أهل النار آية هي أشد منها. قال: فهم في زيادة من العذاب أبداً. وهو قوله تعالى: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) [النساء: 56] أي: زيدوا عذاباً.

قوله: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً ﴾ أي: نجاة مما أعد الله للكافرين. قال بعضهم: مفازاً أي من النار إلى الجنة. ﴿ حَدَائِقَ ﴾ أي: جنات ﴿ وَأَعْنَاباً ﴾ أي فيها أعناب. قال: ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً ﴾ أي: أبكاراً على سنّ واحدة، بنات ثلاث وثلاثين سنة. قال تعالى: ﴿ وَكَأْساً ﴾ وهي الخمر ﴿ دِهَاقاً ﴾ وهي المترعة الممتلئة. وهو قول الشاعر[1].

أَتَـانَـا عَـامِـرٌ يَـرْجُـو قِـرَانَـا فَـأَتْـرَعْـنَـا لَـهُ كَـأْساً دِهَـاقـاً

وهي المترعة.

قال: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً ﴾ قال الحسن: معصية، كما كانوا يسمعون في

= فِعّال، مثل كِذّاب، وعلى تفعلة، مثل توصية، وعلى مُفَعّل، مثل: (وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) [سبأ: 19].

(1) هو خداش بن زهير بن ربيعة العامري، شاعر جاهلي، قيل إنه شارك في صفوف المشركين في غزوة حنين، ثم أسلم. انظر ابن حجر الإصابة ج 2 ص 358. (رقم 2329).

الدنيا. وقال بعضهم: (لَغْواً): حَلِفا. تفسير الكلبي: اللغو: الباطل. ﴿ وَلَا كِذٰبـاً﴾ تفسير الحسن: لا يكذِّبُ بعضهم بعضاً. وقال بعضهم: ولا كَذِباً.

قال: ﴿ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً ﴾ أي: على قدر أعمالهم. وقال تعالى في آية أخرى: (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) [غافر: 40]. وذلك أنهم يُعطَون فيها المنازل على قدر أعمالهم، ثم يُرزقون فيها أهل كل درجة بغير حساب.

قال عز وجل: ﴿ رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ وهي تقرأ على وجهين: رب السماوات والأرض بالجر وبالرفع. فمن قرأها بالرفع فهو كلام مستقبل؛ يقول ربُّ السماوات والأرض وما بينهما (الرَّحْمَـٰنُ) برفع (الرَّحْمَـٰن). لا يملكون منه خطاباً. ومقرأ الحسن: ربُّ السماوات والأرض وما بينهما الرحمن[1]. يبتدىء فيقول: ﴿ الرَّحْمَـٰنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً ﴾. وقوله عز وجل: (لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً) أي: مخاطبة في تفسير الحسن. وبعضهم يقول: (لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً)، أي: كلاماً. كقوله عزّ وجل: (يَوْمَ يَاتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [هود: 105].

وقال في هذه الآية: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلٰئِكَةُ صَفّاً لَّا يَتَكَلَّمُونَ ﴾ [أي: لا يشفعون][2] ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾ أي: قال: صواباً في الدنيا. وهو قول لا إله إلا الله. وقوله: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ) قال الحسن: يوم يقوم روح كل شيء في جسده[3].

قال عز وجل: ﴿ذٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَئاباً﴾ أي: مرجعاً، أي: بعمل صالح. وقال في آية أخرى: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَّشَاءَ اللهُ) [الإنسان: 30].

(1) انظر ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص 334، وانظر معاني الفراء ج 3 ص 229، في مختلف وجوه هذه القراءات.

(2) زيادة من ز، ورقة 384.

(3) هذا وجه من وجوه تأويل الروح في هذه الآية، وقيل: الروح هنا هو جبريل عليه السلام، وقيل غير ذلك. انظر اختلاف المفسرين في الروح في تفسير القرطبي ج 16 ص 186-187.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَـٰكُمْ عَذَاباً قَرِيباً ﴾ ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين فما فضل إحداهما على الأخرى؛ فجمع بين اصبعيه الوسطى والتي يقال لها السبابة[1].

قال: ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ ﴾ أي المؤمن ﴿ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ أي ينظر إلى ما قدمت يداه من عمل صالح ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً ﴾، ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أول ما يدعى إلى الحساب يوم القيامة البهائم، فتجعل الجماء قرناء، والقرناء جماء، فيقتص لبعضهم من بعض حتى تقتص الجماء من القرناء، ثم يقال لها: كوني تراباً. فعند ذلك يقول الكافر: (يَا ليتني كنت تراباً)[2].

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف ج 3 ص 62.

(2) أخرجه الطبري بسند من حديث أبي هريرة كما جاء في تفسيره ج 30 ص 26.

تفسير سورة النازعات، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ وَالنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقاً ﴾ عن علي بن أبي طالب قال: هي النجوم تنزع من المشرق وتغرق في المغرب. وهو تفسير الحسن.

ذكروا عن محمد بن علي[1] قال: هي الملائكة تنزع أنفس بني آدم. قال سفيان. وبعضهم يقول: هي النجوم. وقال بعضهم: هي بقر الوحش.

قوله عز وجل: ﴿ وَالنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطاً ﴾ تفسير الحسن: إنها النجوم تنشط من مطالعها إلى مغاربها. عن عثمان قال حدثني من سمع محمد بن علي يقول: هي الملائكة تنشط أنفس بني آدم. ذكروا عن الأرمز[3] بن عبد الله الأزدي قال: إن ملك

(1) لم أجد من المفسرين الأوائل من اسمه محمد بن علي غير أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي الباقر. وأغلب ظني أنه المقصود هنا، فقد كان من فقهاء المدينة ومن ذوي الحسب والعقل الراجح فيهم، وتوفي سنة 114 هجرية. انظر الداودي، طبقات المفسرين ج 2 ص 198.

(2) كذا ورد هذا القول في ق و ع، دون ز، وأورده القرطبي في تفسيره ج 19 ص 191 هكذا: «وقيل: هي الوحش تنزع من الكلأ وتنفر، حكاه يحيى بن سلام، ومعنى (غرقاً) أي: إبعاداً في النزع». وأورده ابن الجوزي في زاد المسير قولاً سادساً للنازعات، فقال: «إنها الوحوش تنزع وتنفر، حكاه الماوردي». وأورده الطبري قولاً في (النَّاشِطَاتِ نَشْطاً) فقال: «وبقر الوحش أيضاً تنشط... لأنها تنشط من بلدة إلى بلدة. ولم ينسب من روى هذا القول إلى قائله الأول ولكنهم اكتفوا بذكر من حكاه.

(3) كذا وردت هذه الكلمة في ق «الأرمز» وفي ع: «الأمر» ولم أوفق لتحقيق هذا الاسم.

الموت ينشط نفس الكافر نشطاً مثل السفود ذي السعة من حمل العصعه[1] لا يبقى عرق ولا عصب إلا اتبعها.

قال: ﴿وَالسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحاً﴾ يعني النجوم كقوله: (كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [الأنبياء: 33] أي: يدورون كما يدور فلك المغزل.

قال عز وجل: ﴿فَالسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقاً﴾ يعني الملائكة. قال الحسن: إنهم سبقوا إلى طاعة الله قبل بني آدم. قال عز وجل: ﴿فَالْمُدَّبِـرَٰتِ أَمْراً﴾ يعني الملائكة يدبّر الله بهم ما أراد.

قال عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ يعني النفخة الأولى ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ يعني النفخة الآخرة ﴿قُلُوبٌ يَّوْمَئِذٍ وَٰجِفَـةٌ﴾ أي خائفة[2]. ﴿أَبْصَـٰرُهَا﴾ أي: أبصار تلك القلوب ﴿خَـٰشِعَةٌ﴾ أي: ذليلة. ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: يقول المشركون في الدنيا. ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ أي في أول خلقنا[3]، ينكرون البعث. ﴿إِذَا كُنَّا عِظَـٰماً نَّخِرَةً﴾ أي: بالية، على الاستفهام. وهذا استفهام إنكاري، أي: لا نبعث خلقاً جديداً.

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أي: كاذبة، أي: ليست بكائنة[4].

(1) وردت هذه العبارة هكذا مضطربة غامضة في بعض كلماتها فلم أتمكن من تصحيحها. وجاءت العبارة في الدر المنثور هكذا: «تنشط نشطاً عنيفاً مثل سفود في صوف». وفي بعض التفاسير: «في صوف مبتل».

(2) كذا في ق وع. وفي ز: «(واجفة) مضطربة شديدة الاضطراب».

(3) جاء في ز ورقة 385 ما يلي: «(الحافرة) يقال: إلى أمرنا الأول، والعرب تقول: أتيت فلاناً ثم رجعت على حافرتي، أي: رجعت إلى حيث جئت». وقال أبو عبيدة في المجاز: «من حيث جئنا، كما قال: رجع فلان في حافرته من حيث جاء، وعلى حافرته من حيث جاء». وانظر تحقيق معنى الحافرة وتعليل تسميتها في كشاف الزمخشري ج 4 ص 693-694.

(4) وجاء في ز، ورقة 385: «قال محمد: وقيل: المعنى: تلك إذاً رجعة يخسر فيها». وهي عبارة ابن قتيبة نفسُها في تفسير غريب القرآن، ص 513.

قال الله عز وجل: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ والزجرة والصيحة والنفخة واحد. قال الله عز وجل: ﴿ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ أي: بالأرض، قد خرجوا من بطنها وصاروا على ظهرها.

قوله: ﴿هَلَ أَتَيكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ أي: قد أتاك حديث موسى، وفي تفسير الحسن: إنه لم يأتك حتى أعلمتك ﴿ إِذْ نَادَيهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ ﴾ يعني المبارك ﴿ طُوًى ﴾. قال بعضهم: قدس مرتين[1] قال الحسن: طوى بالبركة.

﴿ اذْهَبِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ أي: كفر ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَّكَّىٰ ﴾ أي: إلى أن تؤمن ﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي: وأبين لك دين ربك ﴿ فَتَخْشَىٰ ﴾ الله.

قال الله عز وجل: ﴿ فَأَرَيهُ الأَيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ أي: اليد[2]، وهي أكبر الآيات التسع التي أتاه بها. قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴾ أي: فجمع قومه ﴿ فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾.

قال الله: ﴿ فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ ﴾ أي عقوبة ﴿ الأَخِرَةِ وَالأُولَىٰ ﴾. قال مجاهد: الآخرة. قوله: (أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ) والأولى قوله: (مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّن إِلَهٍ غَيْرِي) [القصص: 38]. ذكر غيره قال: مكث فرعون بعد قوله: (أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ) ثلاثين سنة[3]. وتفسير الحسن: (فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ) أي: عذبه الله في الدنيا بالغرق، ويعذبه في الآخرة بالنار.

قال الله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَىٰ ﴾ وتفسير الحسن: لمن يخشى ما صنعت بفرعون وقومه حين أغرقتُهم، فيخشى الله مخافة أن يُفعل به ما فعل بفرعون وقومه فيؤمن.

(1) هذا على قراءة من قرأ طِوًى، بكسر الطاء والتنوين، كما ذكره ابن أبي زمنين، وانظر أبو عبيدة، المجاز ج 2 ص 285.

(2) كذا في ز، وفي ق و ع: «اليد والعصا وهي أكبر الآيات التسع التي قال الله في تسع آيات».

(3) في ع و ق: «ثلاثمائة سنة»، وهو خطأ. وفي تفسير ابن الجوزي: «ثلاثين سنة» وفي تفسير الطبري «أربعين سنة».

قوله: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَيٰهَا ﴾ بغير عمد ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّيٰهَا ﴾ بينكم وبينها مسيرة خمسمائة عام.

قال عز وجل: ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾ أي: وأظلم ليلها ﴿ وَأَخْرَجَ ضُحَيٰهَا ﴾ أي: شمسها ونورها. قال: ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَيٰهَا ﴾ أي: بسطها [بعد خلق السماوات والأرض. قال بعضهم: وكان بدء الخلق، فيما بلغنا أنها كانت طينة في موضع بيت المقدس ثم خلق السماوات، ثم دحا الأرض][1] فقال لها اذهبي أنت كذا واذهبي أنت كذا. ومن مكة بسطت الأرض، ثم جعل فيها جبالها وأنهارها وأشجارها.

قال عز وجل: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَـٰهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَيٰهَا ﴾ أي: أثبتها وجعلها أوتاداً للأرض. قال الحسن: لما خلق الله الأرض جعلت تميد، وقد فسرنا حديثه في غير هذا الموضع بأجمعه[2].

قال عز وجل: ﴿ مَتَـٰعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَـٰمِكُمْ ﴾ أي: تستمتعون به إلى الموت. وهذا تبع للكلام الأول: أخرج منها ماءها ومرعاها [للإمتاع لكم][3].

قال عز وجل: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴾ أي: النفخة الآخرة ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾ أي: ما عمل، يوم يحاسب الله الناس بأعمالهم. ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴾ أي: كفر ﴿ وَءَاثَرَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴾ أي: لم يؤمن بالآخرة لقولهم: (إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) [المؤمنون: 37]. قال عز وجل: ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ أي المنزل، أي منزله.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ أي: موقفه بين يدي الله. ذكروا عن مجاهد في قوله عز وجل: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) [الرحمٰن: 46] قال: من أراد ذنباً

---

(5) سقط ما بين المعقوفين من ق و ع، فأثبته كما جاء في ز ليستقيم المعنى.

(1) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 69.

(2) زيادة من ز، ورقة 385.

(3)

فذكر الله أنه قائم عليه فتركه[1]. فقال هاهنا: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ أي: منزله.

قوله عز وجل: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَيٰهَا ﴾ أي: متى مجيئها. ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَيٰهَا ﴾ تفسير الحسن: إنه ليس عليك من ذكرها شيء، أي: ليس عليك في ذلك علم متى تكون، وقد علمت أنها كائنة. وقال الكلبي: فيم أنت من ذكراها، أي فيم أنت من أن تسأل عنها ولم أخبرك عنها متى تجيء. قال عز وجل: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَيٰهَا ﴾ أي: منتهى علم مجيئها.

قال: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَن يَخْشَيٰهَا ﴾ أي: إنما يقبل نذارتك من يخشى الساعة. وقال في آية أخرى: (الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ) [الأنبياء: 49].

قال عز وجل: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا ﴾ يعني الساعة ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَيٰهَا ﴾ أي: عشية أو ضحوة[2]. قال بعضهم: أول ساعة من النهار، تصاغرت الدنيا عندهم فجاءهم الأمر كأنهم لم يروها.

(1) كذا وردت هذه العبارة في ق و ع، ولعل صوابها: «فذكر أن الله قائم عليه، أي يحصي عليه أعماله»، كما جاء في بعض التفاسير.

(2) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 234: «وهل للعشى ضحا؟ إنما الضحا لصدر النهار، فهذا بيّن ظاهر من كلام العرب أن يقولوا: آتيك العشية أو غداتها، وآتيك الغداة أو عشيتها. تكون العشية في معنى: آخرَ والغداة في معنى: أول...».

تفسير سورة عبس، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَىٰ ﴾ أي: لأن جاءه الأعمى.

ذكروا أن النبي ﷺ كان مع رجل من المشركين من وجوههم وأشرافهم، وهو يدعوه إلى الإسلام، والناس تَبَعٌ لوجوههم وأشرافهم. فرجا النبي عليه السلام أن يؤمن فيتبعه ناس من قومه. فهو يكلمه، وقد طمع في ذلك منه، إذ جاء ابن أم مكتوم، وكان أعمى، فأعرض عنه النبي عليه السلام وأقبل على الرجل. وبلغنا أن الرجل أمية بن خلف[1]. وتفسير مجاهد أنه عتبة بن ربيعة أو شيبة بن ربيعة. فجعل ابن أم مكتوم لا يَتَقَارُّ لما أعرض عنه النبي مخافة أن يكون حدث فيه شيء، فأنزل الله تعالى: (عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَنْ جَاءَهُ الأَعْمىٰ).

قال: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴾ أي: يؤمن. ﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَىٰ ﴾.

﴿ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴾ أي: عن الله ﴿ فَأَنْتَ لَهُ ﴾ بوجهك ﴿ تَصَدَّىٰ ﴾ أي: تتعرّض ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ أي: ألا يؤمن.

﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴾ أي: يسارع في الخير ﴿ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴾ أي: يخشى الله، يعني ابن أم مكتوم. ﴿ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾ أي: فأنت عنه تعرض.

---

(1) كذا في ق: أمية بن خلف، وفي ع: أمية بن أبي الصلت، خلف (كذا) وذكر القرطبي في تفسيره ج 19 ص 212 قولين لقتادة: أمية بن خلف، وأبي بن خلف. وذهب بعضهم إلى أن الرجل هو الوليد بن المغيرة المخزومي.

قال: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ أي: إن هذه السورة تذكرة. ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ أي: القرآن. وقال في آية أخرى: (وَمَا تَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ) [المدثر: 56].

قال تعالى: ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ أي: عند الله في السماء[1] ﴿ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ أي: من الدنس. ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ أي: كتبة[2]. يعني الملائكة ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ أي: لا يعصون الله.

ذكروا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأه ويتتعتع به وهو عليه شاق. فله أجران[3].

قوله عز وجل: ﴿ قُتِلَ الإِنْسَـٰنُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ أي: لعن الإنسان ما أكفره وتفسير الكلبي: ما أشد كفره. ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَـهُ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ أي: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً، ثم لحماً، ثم أنبت الشعر ونفخ فيه الروح.

﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ أي: سبيل الهدى وسبيل الضلالة. وقال مجاهد: هو مثل قوله: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) أي: بينا له السبيل، سبيل الهدى وسبيل الضلالة (إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً) [الإنسان: 3][4].

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ أي: جعل له من يقبره، أي: من يدفنه في

(1) كذا في ق و ع وفي ز، وجاء في تفسير القرطبي ج 19 ص 216: «وقيل: مرفوعة في السماء السابعة». قاله يحيى بن سلام.

(2) هذا أحد وجوه تأويل السفرة. وهنالك معنى آخر للكلمة أوردها بعض المفسرين، وهو معنى السِّفارة قال الفراء في المعاني ج 3 ص 236: «(بِأَيْدِي سَفَرَةٍ) وهم الملائكة، واحدهم سافر. والعرب تقول سفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم، فجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله تبارك وتعالى وتأديبه كالسفير الذي يصلح بين القوم...».

(3) حديث متفق على صحته. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة عبس، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه (رقم 798). وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن (رقم 1454) وأخرجه الترمذي في فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل قارىء القرآن، كلهم يرويه من حديث عائشة.

(4) كذا في ق و ع، وفي ز ورقة 386: «(ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) تفسير بعضهم: يعني خروجه من بطن أمه.

القبر[1]. ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ أي: أحياه، يعني البعث. وقد جعل الله له وقتاً، فكيف يكفره. وقال في سورة البقرة: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [البقرة: 28]، أي: كنتم أمواتاً في أصلبة آبائكم، أي: نطفاً، فأحياكم هذه الحياة، ثم يميتكم، ثم يحييكم، يعني البعث، ثم إليه ترجعون.

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ أي: لما يصنع ما أمره، يعني هذا الإنسان المشرك والمنافق لم يصنعا ما أمرهما الله به.

ثم ضرب مثلاً آخر فقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ أي: من أي شيء خلقه. قال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً﴾ يعني المطر ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً﴾ أي للنبات ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً وَعِنَباً وَقَضْباً﴾ وهي الفصافص[2]. ﴿وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً وَحَدَائِقَ غُلْباً﴾ قال الحسن: أي نخلاً كراماً، وهي الطوال الكرام. وقال الكلبي: (وَحَدَائِقَ غُلْباً) أي: شجراً طوالاً غلاظاً.

قال تعالى: ﴿وَفَـٰكِهَةً وَأَبّاً﴾ وهذا الذي ذكر من الفاكهة. قال الحسن: الفاكهة ما تأكلون، والأبّ ما تأكل أنعامكم. وتفسير الكلبي: الأب: الكلأ. قال تعالى: ﴿مَّتَـٰعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَـٰمِكُمْ﴾ أي تستمتعون به، أي: تأكلونه رزقاً لكم إلى الموت.

قال: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ وهي اسم من أسماء القيامة، أصاخ لها الخلق من الفَرَق. وقال في آية أخرى: (وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً)

---

(1) كذا في ق وع، وجاءت عبارة الفراء في هذا المعنى أوضح وأدلّ على المقصود. قال في المعاني ج 3 ص 237: «جعله مقبوراً، ولم يجعله ممن يلقي للسباع والطير، ولا ممن يلقى في النواويس؛ كأن القبر مما أكرم المسلم به. ولم يقل: فَقَبَرَه؛ لأن القابر هو الدافن بيده، والمقبر: الله تبارك وتعالى: لأنه صيّره ذا قبر. وليس فعله كفعل الآدمي».

(2) في كتب التفسير واللغة القضب: النبات الرطب، وهو ما يقضب أي يُقطع ويؤكل رطباً أخضر. والفصافص نوع منه، ويسمى القتّ عند أهل مكة. ومنه القصيل أيضاً، وهو الزرع يقتصل أي يقتطع ليناً رطباً أخضر. انظر اللسان (قضب) و (قصل).

[طٰه: 108]. وقال تعالى: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلاَئِكَةُ صَفّاً لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إلاَّ مَنَ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَـنُ وَقَالَ صَوَاباً) [النبأ: 38].

قال عز وجل: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِن أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَـٰحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ أي: يشغله.

ذكروا أن عائشة قالت: يا رسول الله، كيف يحشر الناس يوم القيامة؟ قال: يحشرون عراة. قالت: أما يحتشم الرجال من النساء والنساء من الرجال يا رسول الله؟ قال: هم يومئذ أشغل من أن ينظر بعضهم إلى بعض، أو إلى عورة بعض، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه[1].

قال عز وجل: ﴿ وُجُوهٌ يَّوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾ أي: ناضرة ناعمة[2]، وهؤلاء أهل الجنة ﴿ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ أي: بالجنة وبرضاء الله. ﴿ وَوُجُوهٌ يَّوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ أي: يغشاها سواد، وهؤلاء أهل النار.

قال: ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ أي: هؤلاء الذين هذه صفتهم وهذا نعتهم ﴿ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾. فباين الله بين خلقه وأخبر بثوابهم وبأسمائهم عند بياض الوجوه وسوادها، وتسمية من دخل النار بالكفر والفجور. ففي ذلك دليل لمن عقل عن الله وألقى السمع وهو شهيد[3].

---

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، (رقم 2859) عن عائشة.

(2) جاء في ز ما يلي: قال محمد: (مُسْفِرَةٌ) حقيقته مضيئة. يقال: أسفر الصبح إذا أضاء».

(3) هذه الجمل الأخيرة هي ولا شك من الشيخ هود الهواري، فهي بروحه وأسلوبه أشبه. وهي غير واردة في مخطوطة ز.

تفسير سورة إذا الشمس كورت، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ تفسير الحسن: أي: ذهب ضوءها. ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ أي: قد رمي بها. كقوله: (وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ) [الانفطار: 2].

﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ أي: ذهبت، تصير في حالات. أما أول ما تحول عن منزلة الحجارة فتكون كثيباً، وتكون كالعهن المنفوش، وتكون هباء منبثاً، وتكون سراباً. قال تعالى: (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً) [النبأ: 20]. مثل هذا السراب تراه وليس بشيء، فسويت بالأرض. وقال في آية أخرى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً) أي: من أصولها (فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً) أي مستوية (لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً) [طه: 105-107] أي انخفاضاً ولا ارتفاعاً.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ وهي النوق عطّلها أهلها فلم تُحْلَبْ ولم تُصَرَّ وشغل عنها أهلها[1].

قال: ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ أي: جمعت لحشر يوم القيامة فهي أول من يُدعى للحساب فيقتص لبعضها من بعض حتى يقتص للجمّاء من القرناء، ثم يقال لها: كوني تراباً. فعند ذلك (يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً) [النبأ: 40][2].

(1) كذا في ق وع، وفي ز: «فلم تحلب من الشغل بأنفسهم».

(2) وهنالك معنى آخر روي عن أبي بن كعب واختاره الشيخ الطاهر بـن عاشور وأفصح عنه بأبلغ=

ذكروا عن الحسن قال: مرّ رسول الله ﷺ على بعير معقول أول النهار، ثم مرّ عليه آخر النهار وهو كما هو، فقال: أين صاحب هذا البعير، ليعدّ له خصومة[1].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أي: فاضت، فتصير أعماق البحار ورؤوس الجبال سواء. وقال بعضهم: تسجر كما يسجر التنور. وتفسير مجاهد: أوقدت، وهو واحد[2].

قال: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال الحسن: يلحق كل شيعة بشيعتها: اليهود باليهود والنصارى بالنصارى، والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد من دون الله شيئاً بعضهم من بعض، والمنافقون بالمنافقين والمؤمنون بالمؤمنين. وتفسير مجاهد: الأمثال من الناس جمع بينهم.

ذكروا عن النعمان بن بشير قال: سألت عمر بن الخطاب عن قوله: (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) فقال: يُزوَّجُ كل إنسان نظيرَه من الجنة، ويزوّج كل إنسان نظيره من أهل النار، ثم تلا هذه الآية: (احْشُرُوا الذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ) [الصافات: 22-23]. قال الكلبي: أما أهل الجنة فيُزوَّجون بخيرات حسان، وأما أهل النار فيقرن كل إنسان وشيطانه، يكونان جميعاً في سلسلة واحدة. وبعضهم يقول: (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) أي: ردّت الأرواح إلى الأجساد[3].

= بيان وأحسن تعليل، وهو يجعل من هذا الحشر جمعَ الوحوش «في مكان من الأرض عند اقتراب فناء العالم»... و«ليس هذا الحشرَ الذي يحشر الناس به للحساب، بل هذا حشر في الدنيا، وهو المناسب لما عدّ معه من الأشراط». انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30 ص 143.

(1) لم أعثر على هذا الحديث فيما لدي من المصادر. فهل هو مما انفرد بروايته ابن سلام؟.

(2) وقال ابن أبي زمنين، كما في مخطوطة ز، ورقة 387: «(سُجِّرَتْ) حقيقته ملئت فيفضي بعضها إلى بعض فتصير شيئاً واحداً، وهو معنى قول الحسن». وقد نقل هذه العبارة القرطبي في تفسيره ج 19 ص 230 إلا أنه قال: «فيفيض بعضها إلى بعض».

(3) هذا المعنى الأخير لتزويج النفوس هو ما ذهب إليه المحققون من العلماء. وهو رأي أستاذنا المرحوم الإمام إبراهيم بيوض كما حفظتُه عنه. وقد بدأ به أيضاً الشيخ ابن عاشور واختاره مع =

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ وهي بنات أهل الجاهلية كانوا يدفنونهن أحياء لخصلتين: أما إحداهما فكانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله، فألحقوا به البنات، فهو أحق بهن، وأما الخصلة الأخرى فمخافة الحاجة. قال في آية أخرى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) [الإسراء: 31] أي: خشية الحاجة. كان أحدهم يقتل ابنته ويغذو كلبه.

قال تعالى: ﴿ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ قال الحسن: إن الله يوبّخ قاتلها لأنها قتلت بغير ذنب وسيئة فسئلت، فلم يوجد لها ذنب.

وبعضهم يقرأها: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سَأَلَتْ[1] بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) أي: تتعلق الجارية بأبيها فتقول: بأي ذنب قتلتني.

قال: ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ للحساب. وهو ما كتبت الملائكة على العباد من أعمالهم، مثل قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا). [الكهف: 49]، وكقوله: (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) [الإسراء: 71] أي: ما كتبت الملائكة على العباد من أعمالهم في بعض هذا التفسير.

قال: ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ أي: طويت، وهو قوله تعالى: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ) [الأنبياء: 104]. وقال مجاهد: (كُشِطَتْ) أي: اجتبذت.

= المعنى الأول وهو جعل الناس أصنافاً ونزع بقول تعالى: (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً) [الواقعة: 7] ثم قال: «ولعل قصد إفادة هذا التركيب لهذين المعنيين هو مقتضى العدول عن ذكر ما زوّجت النفوس به. وأول منازل البعث اقتران الأرواح بأجسادها، ثم تقسيم الناس إلى مراتبهم للحشر. كما قال تعالى: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ). ثم قال: (وَسِيقَ الذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً) ثم قال: (وَسِيقَ الذين اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً) الآية». [الزمر: 68، و: 71 و: 73].

(1) وهي قراءة الضحاك وأبو الضُّحا عن جابر بن زيد وأبي صالح، وهي قراءة ابن عباس، وكذلك هي في مصحف أبيّ كما ذكره القرطبي في تفسيره ج 19 ص 233-234.

قال: ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ أي: أوقدت، وهي توقد منذ خلق الله السماوات والأرض في الستة الأيام. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ أي: أدنيت؛ كقوله تعالى: (وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) [الشعراء: 90]. قال: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ أي: من عملها.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾ [المعنى فأقسم، ولا صلة][1] ﴿ بِالْخُنَّسِ ﴾. ذكروا عن علي قال: يعني النجوم تجري بالليل وتخنس أي تتوارى بالنهار. وهو قول الحسن: هي في ذلك جارية، ولكنها لا ترى بالنهار. وقال بعضهم: بلغنا أنها خمسة تجري في مجرى الشمس: وهي الزهرة والمشتري، والمريخ، وزحل، وعطارد.

قال: ﴿ الْجَوَارِي ﴾ يعني جريها في السماء ﴿ الْكُنَّسِ ﴾ تفسير الحسن: أن ترجع إلى مطلعها في القابلة. وقال الكلبي: (الكُنَّس) يعني أنها تكنس، أي: تتغيّب وتتوارى بالنهار كما تتوارى الظباء في كناسها. وبعضهم يقول: (الجَوَارِي الكُنَّس) هي بقر الوحش.

قال: ﴿ وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ تفسير الحسن: إذا أظلم، وتفسير الكلبي: إذا أدبر. وقال مجاهد: يقال إقباله ويقال إدباره.

ذكروا أن رجلاً سأل علياً: أي ساعة توتر؟ فسكت عنه. فلمّا أذّن من السحر للصبح قال علي: أين السائل عن الوتر؟ نِعمَ ساعة الوتر [هذه][2] ثم قرأ (والليل إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ).

قوله: ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أي: إذا أسفر، يعني إذا أضاء. أقسم بهذا كله، من قوله: (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ) إلى قوله: (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ).

﴿ إِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ يعني جبريل يرسله الله إلى النبيين ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ أي: في المنزلة والقربة. ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ ﴾

(1) زيادة من ز، ورقة 387. بمعنى زائدة.
(2) زيادة لا بد منها ليستقيم المعنى.

أي: في السماء قال الحسن: جعل الله طاعة جبريل في السماء طاعة له، فأمر الله الملائكة بذلك كما أمر الله أهل الأرض أن يطيعوا محمداً ﷺ. قال: ﴿ آمِين ﴾ أي عند الله وعند الملائكة.

قوله: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ يعني محمداً ﷺ، وذلك لقول قريش وقول مشركي العرب إنه مجنون. قال: ﴿وَلَقَدْ رَءاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ يعني بالمشرق الذي هو مطلع النجوم والشمس والقمر. يعني أن محمداً رأى جبريل في صورته مع الأفق قد سدّ ما بين السماء والأرض. وتفسير مجاهد: إن ذلك كان من نحو أجياد. عن عمارة مولى بني هاشم قال إن النبي عليه السلام رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح مثل الزبرجد الأخضر فأغمي عليه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ أي: على الوحي ﴿ بِضَنِينٍ ﴾ أي: بخيل، أي لا يبخل عليكم به، وهي تقرأ على وجه آخر: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) أي: بمتّهم، وهو مقرأ عبد الرحمن الأعرج ومقرأ أهل الكوفة. ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ يعني القرآن ﴿ بِقَوْلِ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ أي رجمه الله باللعنة. قال: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ يقول للمشركين: فأين تعدلون عنه يميناً وشمالاً، كقوله تعالى: (فَمَالِ الذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ).

قال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ يعني القرآن ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ إلا تفكير ﴿ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ يعني من آمن به يذكرون به الآخرة. قال: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَّسْتَقِيمَ ﴾ أي: على ما أمر الله في تفسير الحسن. وقال مجاهد: (أَن يَّسْتَقِيمَ)، أي أن يتّبع الحق، وهو واحد. ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ أَلَّا أَن يَّشَاءَ اللهُ ﴾ أي: لا تقدرون على شيء لم يرده الله ﴿ رَبُّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي الخلق أجمع.

تفسير سورة إذا السماء انفطرت، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾ أي: انشقت، وذلك يوم القيامة بعد النفخة الأخيرة. ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴾ أي: تساقطت وهو قوله: (انْكَدَرَتْ) [التكوير: 2] ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ أي: فجر ملحها في عذبها وعذبها في ملحها ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ أي: أخرج ما فيها من الأموات.

قال: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ أي: (مَا قَدَّمَتْ) من عمل، خيراً كان أو شراً، (وَمَا أَخَّرَتْ) أي من سنة حسنة فعُمِل بها بعده فله مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيئاً، أو سنة سيئة فعمل بها بعده فعليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئاً.

قوله تعالى: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا الإِنْسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ ذكروا أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية: (يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) فقال غرّه حمقه وجهله[1].

قال: ﴿ الذِي خَلَقَكَ فَسَوَّيٰكَ ﴾ أي سوى خلقك باللحم والشعر ﴿ فَعَدَّلَـكَ ﴾ يعني اعتدال الخلق؛ فهذا مقرأ من قرأها بالتخفيف (فَعَدَلَكَ) ومن قرأها بالتثقيل

(1) في ق و ع: «أحمقت، وجهلت» وأثبت ما جاء في ز ورقة 387، فهو أفصح، وفي الدر المنثور: «غره والله جهله»، وفي الكشاف: «غره حمقه وجهله».

(فَعَدَّلَكَ) قال: جعل عينيك سواء. ورجليك سواء، ويديك سواء، وجنبيك سواء[1].

ثم قال: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ أي: خلق الله كل إنسان في صورته، لا ترى اثنين على صورة واحدة؛ فجعله إن شاء طويلاً وإن شاء قصيراً، وإن شاء جعله ذكراً، وإن شاء جعله أنثى. وقال مجاهد: إن شاء جعله حسناً، وإن شاء جعله قبيحاً.

ذكروا عن الضحاك بن مزاحم قال: يشبه الرجل الرجل وليس بينه قرابة إلا من قبل الأب الأكبر آدم عليه السلام. قال بعضهم: إنه وإن أشبه الرجل الرجل فإنه ليس على صورته كلها.

﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ أي: بالحساب، بأن الله يدين الناس يوم القيامة بأعمالهم.

قال: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِيـنَ ﴾ أي: حفظة يحفظون أعمالكم، أي: يكتبونها يعني بها الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد.

قال تعالى: ﴿ كِرَاماً كَـٰتِبِينَ ﴾ أي: كراماً على الله، كاتبين أعمال العباد. قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ أي: من الظاهر، فيكتبونه ولا يعلمون الباطن. قال تعالى في موضع آخر: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [سورة قٓ: 18].

ذكروا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة يضاعف على الذي تسمعه الحفظة سبعين ضِعفاً؛ فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى للعبد: إن لك عندي كنزاً لم يطلع عليه أحد غيري؛ وهو الذكر الخفي.

ذكروا عن بعضهم قال: إذا عمل العبد في العلانية عملاً وعمل في السر مثله قال الله للملائكة: هذا عبدي حقاً.

---

(1) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 518: (فَعَدَلَكَ) بالتخفيف، أراد: صرفك إلى ما شاء من الصور في الحسن والقبح». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 244: «ومن قرأ: (فَعَدَّلَكَ) مشددة، فإنه أراد ـ والله أعلم ـ: جعلك معتدلاً معدّل الخلق، وهو أعجب الوجهين إليّ وأجودهما في العربية...».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ أي: في الجنة ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ يعني المشركين والمنافقين ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾ أي: لفي النار ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: يوم الحساب، يوم يدين الله فيه الناس بأعمالهم. ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا﴾ أي: عن النار ﴿بِغَائِبِينَ﴾. وقال في آية أخرى: (أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) [الروم: 16].

قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [ثُنِّي ذكره][1] تعظيماً له. قال الحسن: إنك لم تدر يوم الدين حتى أعلمتك به.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً﴾ أي: لا يغني أحد عن أحد شيئاً، أي: لا ينفعه. كقوله: (يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَولًى شَيْئاً) [الدخان: 41] أي: ولي عن ولي شيئاً. ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ وحده لا شريك له، ولا ينازعه الأمرَ في ذلك اليوم أحد، فالأمر له[2].

(1) زيادة من ز.

(2) وردت هذه الجملة الأخيرة مضطربة فاسدة في ق و ع فأثبت صحتها حسبما يقتضيه المعنى.

تفسير سورة المطففين وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ في الآخرة يدعون بالويل والثبور في النار. وهم المشركون والمنافقون المطففون في المكيال والميزان. بلغنا أنها نزلت في مشركي أهل مكة، عابهم الله بتطفيفهم. وقد عاب المشركين بأعمالهم الخبيثة في شركهم في مواضع من القرآن.

قال تعالى: ﴿ الذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ أي: ينقصون. ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾. [قال بعضهم][1]: بلغنا أنهم يقومون ثلاثمائة سنة من قبل أن يفصل بينهم.

قوله: تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَـٰبَ الْفُجَّارِ ﴾ أي: المشركين والمنافقين ﴿ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ قال الحسن: لفي سَفَال[2]. وقال كعب: حجر أسود تحت الأرض السابعة لايَصعد[3].

(1) زيادة لا بد منها، لأن القول ليحيى بن سلام. وجاءت العبارة في ز ورقة 388 هكذا: «يحيى بلغني أنهم...».

(2) كذا: «سَفال»، وهو السفل، نقيض العلوّ والعلاء. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 289: «(لفي سجين) في حبس، فعّيل من السجن، كما يقال: فسّيق من الفسق». وانظر كيف رجح ابن كثير في تفسيره ج 7 ص 239 أصل هذا المعنى الأخير وتلطف فجمع بينه وبين قول كعب التالي.

(3) كذا في ق وع، وفي ز: «حجر أسود تحت الأرض السابعة تكتب فيه أرواح الكفار». (كذا).

[قال تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَيٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ أي: ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك، ثم فسّره فقال: ﴿ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴾ أي: مكتوب][1].

قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ ﴾ يعني يوم القيام ﴿ لِلْمُكَذِّبِينَ الذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي: بيوم الحِساب، يوم يدين الله فيه الناس بأعمالهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ ﴾ أي: بيوم القيامة الذي فيه الحساب ﴿ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ ﴾ أي: من العدوان، وهو الشرك ﴿ أَثِيمٍ ﴾ أي آثم ﴿ إذا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا ﴾أي القرآن ﴿ قَالَ أَسَٰطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي: كذب الأولين وباطلهم. قالَ الكلبي: إنه النضر ابن الحارث.

قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَل رَّانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ تفسير الحسن: إنه الذنب على الذنب حتى يموت القلب.

ذكروا عن حذيفة قال: القلب في مثل الكف، فيذنب العبد الذنب فينقبض، ثم يذنب الذنب فينقبض، ثم يذنب الذنب فينقبض حتى يسمع الخبر فلا يجد في قلبه سماعا فيحرم[2] منه، فهو الران[3].

وقال بعضهم: إن الطبع طبع على قلوبهم بفعلهم الكفر. وقال الكلبي: إن على قلوبهم الطبع، ألا تراه يقول: (مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمحْجُوبُونَ ﴾ أي: عن ثواب ربهم لمحرومون[4]. ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الجَحِيمِ ﴾ أي النار ﴿ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الذِي كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي: في الدنيا، يقال ذلك للمشركين وهم في النار.

---

(1) سقطت هاتان الآيتان وتفسيرهما من ق و ع فأثبتهما بين معقوفين من ز، ورقة 388.

(2) في ق و ع: «فيخرج منه» ويبدو في الكلمة تصحيف، فأثبت ما رأيته صواباً إن شاء الله، أي: فيحرم من الخير.

(3) ران يرين ريْناً ورُيُوناً: غطّى وغشى عليه، والاسم منه الران كالرين، ومثله العاب والعيب. وانظر لمزيد من الفائدة اللسان: (رين).

(4) هذه عبارة الشيخ هود الهواري، وهذا تأويله للآية، وهو موافق لرأي الإباضية في استحالة رؤية=

قال: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَـٰبَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ أي: في صعود إلى الله. وتفسير مجاهد: علّيون في السماء السابعة. وقال كعب: عليون قائمة العرش اليمنى.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن أهل الجنة ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأَنعَما (1).

قال عز وجل: ﴿ وَما أَدْرَيٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ قال الحسن: إنك لم تدر ما عليون حتى أعلمتك. قال عز وجل: ﴿ كِتَـٰبٌ مَرْقُومٌ ﴾ أي مكتوب، يكتب عليه في عليين.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم رفعنا له في عليين (2).

قال: ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ أي: مقربو أهل كل سماء، يشهدون كتاب عمل المؤمن حيث يرقم فيه، أي: يكتب فيه، يشهدون نسخه إذا نسخ، ويشهدون عليه يوم القيامة أنها أعمالهم. وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: إن أعمال بني آدم تنسخ من اللوح المحفوظ.

قال عز وجل: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الأَرَائِكِ ﴾ أي على السرر في الحجال. ﴿ يَنْظُرُونَ ﴾. قال مجاهد: هي سرر من لؤلؤ وياقوت. ﴿ تَعْرِفُ فِي

= الباري في الدنيا والآخرة معاً. وجاء بدل هذا في ز ورقة 388 ما يلي: «يحتجب الله من المشركين فلا يرونه، وأما المؤمنون فيرونه في كل جمعة، فيتجلّى لهم حتى ينظروا إليه». تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(1) حديث حسن أبو داود في كتاب الحروف والقراءات (رقم 3987)، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (رقم 96) كلاهما يرويه من حديث أبي سعيد الخدري. وأما قوله: «وأنعما» فقيل معناه: «وزادا على ذلك». وقيل معناه: «أهل ذاك هما». وقيل: معناه: «صارا إلى النعيم».

(2) رواه المنذري في الترغيب والترهيب ج 1 ص 405 في كتاب النوافل، باب الترغيب في الصلاة بين المغرب والعشاء عن مكحول يبلغ به النبي ﷺ. وقال المنذري: «ذكره رزين ولم أره في الأصول».

وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [يعني بريق النعيم ونداه. وقيل: حسنه وبريقه وتلألؤه][1] ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ ﴾ [يعني الشراب][2]، وهي الخمر، قال عز وجل: ﴿مَّخْتُومٍ ﴾ يعني الشراب ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ أي: عاقبته مسك في تفسير بعضهم. وقال مجاهد: ختم به آخر جرعة، وهو واحد[3].

قال: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ أي في الدنيا بالأعمال الصالحة.

قال عز وجل: ﴿ وَمِزَاجُهُ ﴾ أي: ومزاج ذلك الشراب ﴿ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾. قال بعضهم: يشرب بها المقربون صرفا، وتمزج لسائر أهل الجنة.

قوله تعالى: (عَيْناً) أي: تلك الخمر من عين. وإنما صارت عينا كقوله: (ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً)[الإسراء: 61] أي من طين.

قال تعالى: (يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) وهي من تسنيم، أي تسنم عليهم منازلهم، أي: مالهم من معالٍ. وتسنيم أشرف شراب في الجنة[4].

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: تسنيم هي مما قال الله: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) [السجدة: 17].

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الذِينَ أَجْرَمُوا ﴾ أي: أشركوا أي: أشركوا ﴿ كَانُوا مِنَ

(1) زيادة للإيضاح؛ والعبارة الأولى للفراء، والثانية للطبري.

(2) زيادة من ز، ورقة 388. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 289: «الرحيق: الذي ليس فيه غش، رحيق معرق من مسك أو خمر». وقال الجوهري في الصحاح: «الرحيق صفوة الخمر» وفي اللسان: «الرحيق من أسماء الخمر، وقال ابن سيده: وهو من أعتقها وأفضلها».

(3) قال ابن أبي زمنين: «يعني أنهم إذا شربوا هذا الرحيق ففني ما في الكأس وانقطع الشرب انختم ذلك بطعم المسك ورائحته».

(4) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 249: «مزاج الرحيق (من تَسْنِيمٍ) من ماء يتنزل عليهم من معال. . .» وانظر ما حققه الفراء بكلمة تسنيم ووجوه إعراب (عينا) في الآية.

الـذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُـونَ ﴾ أي: في الدنيـا، يسخـرون بهم. تفسيـر: الحسن كـان المشركون إذا مرّ بهم النبي عليه السلام وأصحابه يقول بعضهم لبعض: انظروا إلى هؤلاء الذين تركوا شهواتهم في الدنيا يطلبون بذلك ـ زعموا ـ نعيماً في الآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ ﴾ أي بالنبي وأصحابه ﴿ يَتَغَامَزُونَ ﴾ أي: يقولون هذا القول. قال: ﴿ وَإِذَا انْقَلَبُوا ﴾ يعني المشركين ﴿ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ ﴾ في الدنيا ﴿ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴾ أي: مسرورين. كقوله تعالى: (إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً) [الانشقاق: 13].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين. لا يخافني في الدنيا إلا أمنته في الآخرة، ولا يأمنني في الدنيا إلا خوفته في الآخرة[1].

وقال في آية أخرى: (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَيْنَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلَ نَدْعُوهُ أَنَّهُ هُوَ البَرُّ الرَّحِيمُ) [الطور: 26-28] وقال عز وجل: (وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً) [الانشقاق: 13] أي: في الجنة. وقال في الكافر: (فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً وَيُصلى سَعِيراً إِنَّه كَانَ فِي أَهْلِهِ) أي في الدنيـا (مَسْرُوراً) [الإنشقاق: 11-12].

قال عز وجل: ﴿ وَإِذا رَأَوْهُمْ ﴾ أي إذا رأوا أصحاب النبي عليه السلام ﴿ قَالُوا إِنَّ هٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ أي: بتركهم شهواتهم في الدنيا لنعيم الآخرة زعموا.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ﴾ أي يحفظون أعمالهم، يعني المشركين.

قال: ﴿ فَالْيَوْمَ الذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾. قال الحسن: هذه والله الدُّولة الكريمة التي أدال الله المؤمنين على المشركين في الآخرة،

---

(1) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 413.

فهم يضحكون منهم وهم متكئون على فرشهم ينظرون كيف يعذَّبون، كما كان الكفار يضحكون منهم في الدنيا. والجنة في السماء والنار في الأرض.

ذكروا أن كعباً قال: بين الجنة والنار كوى؛ فإذا أراد الرجل من أهل الجنة أن ينظر إلى عدوّ له من أهل النار نظر فرآه. وهو قوله: (فَالْيَوْمَ الذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ. . .) إلى آخر الآية.

وتفسير الحسن إنهم يضحكون منهم حين يفتح لهم باب من الجنة، فيدعون ليدخلوها، فإذا جاءوا أغلق دونهم فيرجعون، ثم يدعون، فإذا جاءوا أغلق دونهم فيرجعون، فيدعون ليدخلوا فإذا جاءوا أغلق دونهم، حتى إنهم يدعون فما يجيئون من اليأس.

وقال بعضهم: هؤلاء المنافقون، وهم كانوا أشد استهزاء بالنبي والمؤمنين وأشدّ ضَحِكا من المشركين، فأدال الله المؤمنين عليهم في الآخرة وخدعهم بفتح باب الجنة لهم ليدخلوها كما كانوا يخدعون في الدنيا.

قال الله: ﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ﴾ أي: هل جوزي الكفار ﴿ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ أي: جوزوا في الآخرة ما كانوا يفعلون في الدنيا، أي: نعم، قد جوزوا شر الجزاء في تفسير الكلبي. وقال الحسن: شر ثواب وشر دار.

تفسير سورة إذا السماء انشقت، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ وذلك يوم القيامة عند النفخة الآخرة. ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا ﴾ أي: سمعت لربها فأطاعت. ﴿ وَحُقَّتْ ﴾ أي: وحق لها أن تفعل.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ قال ابن عباس: تُمدّ كما يمدّ الأديم العكاظي. وعكاظ سوق باليمن[1]. وهذا إذا أبدلت، تبدل الأرض بأرض بيضاء وكأنها فضة لم تعمل عليها خطيئة، ولم يسفك عليها محجم دم حرام.

قال تعالى: ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا ﴾ أي: أخرجت ما فيها من الأموات فظهروا على ظهرها. ﴿ وَتَخَلَّتْ ﴾ أي: إلى الله منهم. ﴿أَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي: سمعت وأطاعت. ﴿ وَحُقَّتْ ﴾ أي: وحق لها أن تفعل.

قوله تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَا الإِنْسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً ﴾ أي: ساع إلى ربك سعياً بالعمل، كقوله تعالى: (لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ) [طه: 15].

(1) كذا في ق و ع، وهو خطأ من ناسخ فيما يبدو، فعكاظ ليست باليمن، وإنما هي سوق من أسواق العرب بين نخلة والطائف بالحجاز، بينها وبين الطائف. وقال أبو عبيدة حسبما نقله البكري: عكاظ فيما بين نخلة والطائف إلى موضع يقال له العتق، وبه أموال ونخل لثقيف؛ بينه وبين الطائف عشرة أميال. قال ياقوت في معجم البلدان: «وأديم عكاظي نسب إليه وهو مما يحمل إلى عكاظ فيباع فيها». انظر البكري: معجم ما استعجم ج 2 ص 959. وانظر ياقوت الحموي. معجم البلدان.

قال تعالى: ﴿ فَمُلَٰقِيهِ ﴾ أي: فملاق ثواب ذلك العمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ﴾.

ذكروا عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن الذي يحاسب حسابا يسيرا فقال: ذالكم العرض. قال: ولكن من نوقش الحساب فهو هالك[1].

ذكروا عن عبد الله بن عمر أنه قال: يوقف الله عبده المؤمن يوم القيامة على ذنوبه فيقول: أتعرف ذنب كذا وذنب كذا، فيقول: نعم: يا رب أعرف. فيقول: أتعرف ذنب كذا فيقول: نعم يا رب أعرف، حتى إذا قرّره بذنوبه ورأى العبد في نفسه أنه قد هلك قال: فإني سترتها عليك في الدنيا وإني سأغفرها لك اليوم وأحطها عنك. ثم يعطى كتاب حسناته. وأما المنافقون والمشركون فإنه ينادي الأشهاد: (هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) [هود: 18] أي: الكافرين.

قال تعالى: ﴿ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ ﴾ أي إلى أزواجه من الحور العين ﴿ مَسْرُوراً ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَٰبَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ فإنه تخلع كفه اليسرى وتجعل خلفه فيأخذ بها كتابه. قال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً ﴾ أي: بالويل والهلاك في النار. ﴿ وَيَصْلَىٰ سَعِيراً ﴾ [أي: يكثر عذابه][2] ويشوى في النار.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ ﴾ أي في الدنيا ﴿ مَسْرُوراً ﴾. قال الحسن [قال رسول الله ﷺ][3] الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

---

(1) كذا في ق و ع: «من نوقش الحساب فهو هالك» وروي في بعض كتب الحديث: «ولكن من نوقش الحساب عُذِّب، أو هلك» وانظر الإشارة إليه فيما سلف ج 2 ص 304.

(2) زيادة من ز، ورقة 389.

(3) زيادة لا بد منها لأن هذا نص حديث صحيح أورده ابن سلام مراراً. وقد أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، وهو أول أحاديث الكتاب (رقم 2956).

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَّحُورَ ﴾ أي: إنه حسب أن لن يرجع إلى ربه. ﴿ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً ﴾ أي: إنه سيبعثه.

قال تعالى ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾ وهو شفق النهار إذا غابت الشمس. وتفسير الحسن: الشفق: الحمرة، وهو هذا الشفق عينه.

ذكروا أن جبريل صلى بالنبي عليه السلام العشاء في الوقت الأول حين غاب البياض من الشفق.

قال تعالى: ﴿ وَالَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ أي: وما جمع، جمع خيراً كثيراً وشراً كثيراً مما عمل فيه الخلق.

قال تعالى: ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ أي: استوى واستدار ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ﴾ قال الحسن: حالا بعد حال.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ) قال النبي عليه السلام ليلة أسري به، أي: سماء بعد سماء. وبعضهم قال: أمراً بعد أمر؛ السماء تنشق مرة، ومرة تكون وردة كالدهان، ومرة كالمهل.

قال تعالى: ﴿ فمالَهُمْ ﴾ يعني المشركين، ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِىءَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ أي: لا يصلون.

قال: ﴿ بَلِ الذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ واللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ أي: بما يخفون في صدورهم من الكفر. ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: موجع، يعني عذاب جهنم.

﴿ إلا الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ استثنى الله من آمن وعمل الصالحات ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ ﴾ أي: ثواب. وهو الجنة ﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أي: غير محسوب. كقوله تعالى: (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) [غافر: 40]. وتفسير الحسن: غير ممنون عليهم مَنَّ أذى. والحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة ﴿ والسماء ذات البروج ﴾، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ ذكروا عن ابن عباس قال: ذات النجوم(1). قال تعالى: ﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴾ قال الحسن قال رسول الله ﷺ: اليوم الموعود يوم القيامة(2).

قال تعالى: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ قال الحسن: قال رسول الله ﷺ. (وشاهد) يوم الجمعة (ومشهود) يوم عرفة(2).

قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَـٰبُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِنْهُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُومِنِينَ شُهُودٌ ﴾.

قال الحسن: كان أصحاب الأخدود ثمانين بين رجل وامرأة. فأخذهم المشركون وحفروا لهم أخدودا في الأرض، ثم أوقدوا لهم نارا ضخمة، ثم امتحنوهم فجعلوا يقولون للرجل والمرأة منهم: إما أن تترك دينك وإما أن نقذفك في النار.

(1) كذا في ق و ع و ز: «ذات النجوم». وهو قول نسب إلى الحسن وقتادة ومجاهد. ونسب القرطبي إلى أبي عبيدة ويحيى بن سلام قولاً آخر قالا: «ذات المنازل» قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 293: «(البروج) كل برج يومين وثلث وهو للشمس شهر، وهو اثنا عشر برجاً، يسير القمر في كل برج يومين وثلث (كذا) فذلك ثمانية وعشرون منزلة، ثم يستسر ليلتين. ومجرى الشمس في كل برج منها شهر». وهذا القول الأخير هو ما اختاره الطبري وابن قتيبة، وهو أولى بالتأويل وأقرب إلى الصواب.

(2) حديث حسن، أخرجه الطبراني عن أبي مالك الأشعري في حديث واحد بلفظ أطول، وأخرجه الترمذي في التفسير عن أبي هريرة بلفظ أطول من الأول. انظر تفسير ابن كثير ج 7 ص 253-254.

فيقول: ما أنا بتارك ديني لشيء، فيقذف فيها، فيحترق، حتى أتوا على آخرهم. فبقيت امرأة ومعها صبـي لها فتهيّبت[1]. فقال لها الصبي: يا أمّاه، امضي ولا تنافقي، فمضت واحترقت. [قال يحيى: كان صغيراً لم يتكلم قبل ذلك][2] وقال مجاهد: وذلك بنجران.

قال تعالى: ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُومِنِينَ شُهُودٌ ﴾ أي: من تحريقهم إياهم بالنار.

قال تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ ﴾ أي: ما كرهوا منهم ﴿ إِلَّا أَن يُّؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [ما سفكوا لهم دما ولا أخذوا لهم مالاً][4]. ﴿ الذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ واللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي شاهد على كل نفس بعملها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ يعني أحرقوهم بالنار في تفسير السدي ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾.

﴿ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ أي: النجاة العظيمة من النار إلى الجنة.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ ﴾ [أي عقوبة ربك][3] ﴿ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِىءُ وَيُعِيدُ ﴾ أي يبدىء الخلق ويعيده، أي: يبعثه يوم القيامة. كقوله: (وَهُوَ الذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه) [الروم: 27].

قوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ ﴾ أي: للذنوب، ولا يغفر إلا لمن تاب وآمن. قال عز وجل: ﴿ الوَدُودُ ﴾ أي: يود أهل طاعته. وتفسير الحسن إنه يتودد إلى خلقه بما يعطيهم من النعم في عيشهم وأرزاقهم[4]، وبما يغفر لهم من الذنوب ويودّهم.

---

(1) كذا في ز، وهو أنسب، وفي ق وع: «فبهتت».
(2) زيادة من ز، ورقة 390.
(3) زيادة من ز، ورقة 390.
(4) في ق وع: «بما يعطيهم من النعيم في دنياهم وأرزاقهم» وأثبت ما جاء في ز، وكل صحيح.

قال تعالى: ﴿ذَو الْعَرْشِ﴾ أي: رب العرش ﴿الْمَجِيدُ﴾ أي: الكريم يجعله من صفة العرش[1]. كقوله عز وجل: (رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) [المؤمنون: 116].

قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ أي قد أتاك ﴿حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ أي: كيف أهلكهم الله حين كذبوا رسلهم.

قال تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ حتى يجزيهم بأعمالهم. ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ أي: كريم على الله ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ وهو أم الكتاب.

(1) هذا على مقرأ من قرأ بالجر. ومن قرأ (المجيدُ) بالرفع، مثل نافع، جعله في نسق واحد مع الأوصاف السابقة: وهو الغفورُ، الودودُ. ذو العرشِ، المجيدُ.

تفسير سورة والطارق وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَيٰكَ مَا الطَّارِقُ[1] النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ أي المضيء، كقوله: (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) أي مضيء. وقال مجاهد: يتوهّج. والنجم في هذا الموضع جماعة النجوم، يعني النجوم المضيئة. وهذا قسم.

﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: (لَمَا) مخففه و(لَمّا) مثقلة فمن قرأها بالتخفيف فهو يقول لعليها حافظ [وما صلة][1] ومن قرأها بالتثقيل فهو يقول إلا عليها حافظ. وتفسير حافظ يعني حافظا من الملائكة يحفظ عليها عملها.

قال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن ماء دَافِقٍ﴾ يعني النطفة ﴿ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ أي: من بين صلب الرجل وترائب المرأة، وهو نحرها[3].

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 254: «الطارق النجم: لأنه يطلع بالليل، وما أتاك ليلاً فهو طارق». وقال الفراء: «ويقال إن الثاقب هو النجم الذي يقال له: زحل. والثاقب الذي قد ارتفع على النجوم. والعرب تقول للطائر، إذا لحق ببطن السماء ارتفاعاً: قد ثقّب. كل ذلك جاء في التفسير».

(2) زيادة من ز، ورقة 390، بمعنى زائدة.

(3) الترائب جمع تريبة، وقد أحسن الفراء تعريفها فقال: «وهو ما اكتنف لبات المرأة مما يقع عليه القلائد».

﴿ إِنَّهُ ﴾ أي: إن الله ﴿ عَلَى رَجْعِهِ ﴾ أي: على أن يبعثه بعد موته ﴿ لَقَادِرٌ ﴾ وبعضهم يقول: (إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ) أي على رجع ذلك، أي النطفة، في الاحليل لقادر.

قوله: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ أي: تختبر وتظهر، يعني سرائر القلوب. وهو قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ والجبال فَأَبَيْنَ أَن يَّحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولًا) [الأحزاب: 72].

ذكروا أن ابن أسلم قال قال رسول ﷺ: ائتمن الله ابن آدم على ثلاث: على الصلاة ولو شاء قال صليت، وعلى الصوم ولو شاء قال صمت، وعلى الاغتسال من الجنابة ولو شاء قال قد اغتسلت ثم تلا هذه الآية: (يَوْمَ تبْلَى السَّرَائِرُ)'[1].

قال تعالى: ﴿ فَمَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ من عذاب الله ﴿ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ أي: ينصره، وهذا المشرك.

ثم أقسم فقال: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾ أي بالمطر عاماً فعاماً ﴿ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ أي: بالنبات ﴿ إِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ أي لقول حق ﴿ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ أي: بالكذب وقال مجاهد: بالعبث.

ثم قال: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً ﴾ يعني المشركين، يكيدون بالنبي عليه السلام، وذلك لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي عليه السلام، وهو قوله تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ) [الأنفال: 30] قال تعالى: ﴿ وَأَكِيدُ كَيْداً ﴾ أي: أعذبهم في الدنيا والآخرة، فعذّبهم يوم بدر بالسيف، ويعذب كفار آخر هذه الأمة بالنفخة الأولى، ولهم عذاب النار في الآخرة. قال تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ الْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ﴾ أي: قليلا. وهذا وعيد في تفسير الكلبي. وقال قتادة: قليلا، رأَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً) أي: ليوم بدر.

---

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف ج 3 ص 385.

تفسير سورة سبح اسم ربك، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ أي: صل لربك الأعلى ﴿ الذي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَالذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ أي: قدره في خلقه نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظماً، ثم لحماً، ثم شعَراً، ثم نفخ فيه الروح. قال (فَهَدَىٰ) أي فبيِّن له سبيل الهدى وسبيل الضلالة في تفسير الحسن. وبعضهم يقولُ (قَدَّرَ فَهَدَى) أي: علَّم الذكر كيف يأتي الأنثى.

﴿ وَالذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴾ أي: الكلأ ﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴾ وفيها تقديم؛ أي جعله أحوى غثاء. والغثاء: المهشم اليابس، كقوله تعالى: (فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ) [الكهف: 45] أي صار هشيما بعد أن كان أخضر. والأحوى عند الحسن: الأسود من شدة الخضرة.

قوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ ﴾ وذلك أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه القرآن يجعل يقرأه ويذيب فيه نفسه مخافة أن ينساه. وهو قوله عز وجل: (لَاتُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ به إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرآنَهُ) [القيامة: 16-17] أي: نحن نحفظه عليك. وقوله في هذه الآية: (سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ[1]) هو كقوله: (مَا نَنْسَخْ مِنَ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نأتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا) [البقرة: 106] أي: ينسيها الله نبيَّه عليه السلام.

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 256: «(إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ) لم يشأ أن ينسى شيئاً، وهو كقوله: (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) [هود: 17-18] ولا يشاء. وأنت قائل في الكلام: لأعطينك كل ما سألت إلا ما شئت، وإلا أن أشاء أن أمنعك، والنية ألا تمنعه. وعلى هذا مجاري الأيمان يستثنى فيها، ونية الحالف التمام».

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ ﴾ أي العلانية ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ أي: السر. قال تعالى: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ أي: لعمل الجنة. ﴿ فَذَكِّرِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ أي: إنما ينتفع بالتذكرة من يقبلها.

قال تعالى: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ أي: من يخشى الله تعالى ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ﴾ أي: يتجنب التذكرة ﴿ الأَشْقَى ﴾ أي: المشرك والمنافق ﴿ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴾، وهي نار جهنم، والصغرى نار الدنيا، كقوله: (نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً) [الواقعة: 73] أي من النار الكبرى. قال: ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ أي: ثم لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه.

قال عز وجل: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴾ أي من آمن ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ وكانت الصلاة يومئذ ركعتين غدوة وركعتين عشية. وقال بعضهم: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ) أي زكاة الفطر (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ) أي: صلاة العيد أي: أدّى زكاة الفطر قبل أن يخرج إلى المصلّى.

ذكروا عن عمر بن عبد العزيز. ذكر بعضهم قال: كان صوم رمضان وأداء زكاة الفطر بعده[1] بالمدينة، ولكن في القرآن أشياء نزلت بما يكون حتى تبلغ حدها ثم يعمل بها.

قال: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴾ وهي تقرأ على وجهين: (تُوثِرُونَ) (ويُؤثِرُونَ) فمن قرأها (تُؤثِرُونَ) يقولها للمشركين، أي: تزعمون أن الدنيا باقية وأن الآخرة لا تكون. ومن قرأها (تُؤثِرُونَ) فهو يقول للنبي عليه السلام: (بَلْ يُؤثِرُونَ)، يعني المشركين الحياة الدنيا. ﴿ والآخرة خَيْرٌوَأَبقَىٰ ﴾ أي: هي خير من الدنيا؛ الدنيا لا تبقى والآخرة باقية، يعني بهذا الجنة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ تفسير الحسن: يعني القرآن ﴿ لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ تفسير بعضهم: فيها أن الآخرة خير من الدنيا وأبقى لكم.

(1) في ق و ع: «وأداء الفطرة بعدها».

تفسير سورة الغاشية وهي مكية كلها[1].

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَـٰكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ تفسير الحسن: الغاشية: القيامة تغشى الناس بعذابها وعقابها. وتفسير الكلبي: الغاشية غاشية النار.

قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَّوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴾ أي: ذليلة، يعني وجوه أهل النار. ﴿ تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً ﴾ أي: حارة. كقوله عز وجل: (يَطُوفُونَ بَيْنَها وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ) [الرحمٰن: 44]؛ فهم في عناء وفي معالجة السلاسل والأغلال. وكان ابن عباس يقرأ هذه الآية في حمٓ (إِذِ الأَغْلَالُ في أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الحَمِيمِ) [غافر: ١٧] وكان يقول: إذا سحبوها فهو أشد عليهم.

قال تعالى: ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ قال الحسن: أنى حرها[2] فاجتمع. قد أوقد عليها منذ خلق الله السماوات والأرض. وقال بعضهم: الآنى الذي قد انتهى حره. وقال مجاهد: بلغ أناها وحان شربها.

وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾. تفسير مجاهد: الضريع: اليابس. وقال الكلبي: هو الشبرق الذي ينبت في الربيع تأكله الإبل أخضر؛ فإذا كان في الصيف يبس فلم تذقه، يدعى بلسان قريش الضريع؛ فإذا كان عليه ورقه فهو الشبرق، وإذا تساقط عليه ورقه فهو الضريع.

(1) كذا في ق و ع، وفي ز ورقة 391: تفسير سورة هل أتاك حديث الغاشية.
(2) في ق و ع: «آن حرها» والصحيح ما أثبته: «أنى» أي انتهى حرها وبلغ غايته.

قال عز وجل: ﴿ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ وبلغنا عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ: يسلط على أهل النار الجوع حتى يعدل جوعهم ما بهم من العذاب. قال فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة[1].

قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴾ فهؤلاء أهل الجنة. ﴿ لِسَعْيِهَا ﴾ أي: لعملها ﴿ رَاضِيَةٌ ﴾ أي: لثواب عملها راضية. أي: أثيب عليه الجنة على قدرِ أعمالهم.

قال تعالى: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ أي في السماء. قال تعالى: ﴿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ أي لغوا، يعني باللغو الباطل. ويقال الحَلِف. وتفسير الحسن المعصية.

قال تعالى: ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ وهي جماعة العيون، وهي الأنهار. ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴾ قال بعضهم: لو هوى شيء من أعلاها لهوى مائة خريف. قال تعالى: ﴿ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ والأكواب واحدها كوب، وهو المدوّر القصير العنق، القصير العروة.

قال: ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ وهي الوسائد[2] ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ أي: مبسوطة. بلغنا أنها منسوجة بالدر والياقوت، وحشوها فيما ذكر بعضهم مسك وزعفران وألوان الأنوار مما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾. وقال بعضهم: هي السحاب[3]. ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ أي: بَينكم وبينها مسيرة خمسمائة عام.

(1) أخرجه ابن مردويه عن أبي الدرداء كما في الدر المنثور ج 2 ص 342.

(2) واحدها: نُمْرقة. قال الفراء: «وسمعت بعض كلب يقول: نِمرقة، بكسر النون والراء».

(3) لم يذكر المؤلف التفسير الظاهر للإبل، وهي هذه الجمال والنوق، لشهرته، ويبدو لي أنه مذكور في الأصل ولكن ناسخاً أسقطه سهواً فتبعه في ذلك من جاء بعده. فإن ابن أبي زمنين زاد بعدها: «قيل أراد أنها تنهض بأحمالها وهي باركة، وليس يعقل (كذا) ذلك غيرها من الدواب». وهذا هو التأويل الذي ارتضاه جمهور المفسرين. أما من فسرها بالسحاب فعلى قراءة من قرأ الإبلّ بكسر الباء وتشديد اللام. وهو السحاب الذي يحمل الماء، وهي قراءة نسبت إلى أبي بن كعب وإلى علي وابن عباس من رواية أبي عمرو والكسائي وغيرهما.

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى الجِبَال كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ يقول : أفلا ينظرون إلى هذا فيعلمون أن الذي خلق هذه الأشياء قادر على أن يبعثهم يوم القيامة .

قال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مَذَكِّرٌ لسْتَ عليهم بمُصَيْطِرٍ ﴾ حتى تكرههم على الإيمان. وبعضهم يقول: لست عليهم بمسلط. وتفسير مجاهد: لست عليهم بجبـار. وقال الحسن: لست عليهم بمسيطر حتى تكرههم على الإيمان.

قال: ﴿ إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴾ تفسير الحسن: إلا من كفر بربه، أي فلست له بمذكر لأنه لا يقبل التذكرة.

وقال الحسن: (إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ) فكِلْه إلى الله، وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالم وقد أمر بقتالهم بعد هذا؛ ولكن ليس عليه أن يهديهم ولكن الله يهدي من يشاء.

قال تعالى: ﴿ فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعذَابَ الأَكْبَرَ ﴾ أي جهنم. يعني بالذي تولى المنافق، وبالذي كفر المشرك، فيعذبه الله العذاب الأكبر. ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ أي: رجوعهم، يعني البعث، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾.

تفسير سورة الفجر، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعال: ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ يعني الصبح ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ يعني عشر ذي الحجـة، أياما عظمها الله ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾. قال بعضهم: الشفع الخلق، والوترالله. ذكروا عن عمر بن حصين أنه قال: إن من الصلاة شفعا ومنها وترا. وتفسير الحسن: العدد كله منه الشفع ومنه الوتر، يعني بالشفع الاثنين، وبالوتر الواحد.

قال تعالى: ﴿ وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ أي: إذا ذهب، وهذا كله قسم. ثم قال: ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ أي: لذي عقل ولب. أي: فيه قسم لذي عقل. وقال مجاهد: لذي نُهًى، وهو المؤمن. [وجواب القسم: (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)][1].

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ﴾. وهذا على وجه الخبر؛ أي: أهلكهم حين كذبوا رسولهم. وإرم هي من صفة عاد. وتفسير الحسن: إن لعاد اسمين: عاد وإرم. [وتفسير بعضهم: إرم قبيلة من عاد][1].

قال تعالى: ﴿ ذَاتِ العِمَادِ ﴾. قال: كانوا أصحاب عمود. وتفسير الحسن: ذات البناء الرفيع. وقيل: يعني ذات الطـول. تقول العرب للرجل الطويل: المُعْمَد.

﴿ التِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلَادِ ﴾ يعني عادا في طول أجسامهـم.

قال: ﴿ وَثَمُودَ الذِينَ جَابُـوا الصَّخْرَ بِـالْـوَادِ﴾ أي: الـذين نقبوا الصخـر

(1) زيادة من ز، ورقة 392.

بالوادي. جابوه، أي: نقبوه فجعلوه بيوتا. كقوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨] و (بُيُوتاً فَرِهِينَ) [الشعراء: 149].

قال تعالى: ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ أي وكيف فعل ربك بفرعون ذي الأوتاد، أهلكه الله بالغرق. وكان إذا غضب على أحد أوتد له في الأرض أربعة أوتاد على يديه ورجليه، ولذلك سمي ذا الأوتاد[1].

قال تعالى: ﴿ الذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَدِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ أي: لوناً من العذاب فأهلكهم.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ بلغنا. والله أعلم أن على جسر جهنم سبع محابس: أولها يسأل العبد عن الإيمان فإن تم إيمانه جاز، والثاني يسأل عن الصلاة، فإن أقامها جاز، والثالث يسأل عن الزكاة، فإن أداها جاز، والرابع، يسأل عن صوم رمضان فإن كان صامه جاز، والخامس عن الحج، فإن كان أداه جاز، والسادس عن العمرة فإن كان أداها جاز، والسابع عن المظالم، فإن لم يكن ظلم أحداً جاز.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الإِنْسَـٰنُ ﴾ وهذا المشرك ﴿ إِذَا مَا ابْتَلَيْهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ﴾ أي: وسّع عليه من الدنيا ﴿ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ أي فضّلني ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَيْهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) أي: ضيّق عليه[2] رزقه ﴿ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا ﴾ قال الحسن: أكذبهما الله جميعا بقوله: (كلّا) أي: لا بالغنى أكرمت ولا بالفقر أهنت.

ثم قال: ﴿ بَل لا تُكْرِمُون اليَتِيمَ وَلَا تَحُضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾. وهي تقرأ على وجهين: تكرمون ويكرمون. فمن قرأها بالياء فهو يقول للنبي عليه السلام، ومن قرأها بالتاء فهو يقول للمشركين، يقول لهم كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين لأن المشركين قالوا (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) [يسٓ: 47].

---

(1) قيل إنه فعل ذلك بامرأته آسية بنت مزاحم أيضاً.

(2) كذا في ق وع: «ضيّق»، وفي ز: «قتّر» والمعنى واحد. يقال: قَتَر وقتّر على عياله.

قال تعالى: ﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ ﴾ أي: الميراث ﴿ أَكْلاً لَّمّاً ﴾ أي: أكلا شديداً قال الحسن: (لَمَّا) أي لا تبالون من حلال أو حرام. ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً ﴾ أي: كثيراً.

قال تعالى: ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دكّاً ﴾ أي: سوّيت بالجبال فذهبت الجبال وصارت الأرض مستوية.

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾ أي: جاء أمر ربك والملك، وهم جماعة الملائكة، أي بأمره وبالملائكة صفا صفا، لا كما زعمت المشبهة أعداء الله أن ربهم يذهب ويجيء، لأن الله ليس بزائل ولا منتقل.

عن ابن عباس عن عائشة رضي الله عنهما أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أشد الناس عذابا يوم القيامة قوم يضاهون الرب. قالت: فقلت: بأبي أنت وأمي، كيف يضاهون الرب؟ قال: يشبهون الله بخلقه يشبهون بذلك قول اليهود حيث زعموا أن الله على صورة آدم[1].

قوله تعالى: ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ قال: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَـٰنُ ﴾ أي: يتوب الإنسان، يعني المشرك والمنافقون ﴿ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ أي: وكيف له التوبة، أي: لا تقبل توبته يوم القيامة.

---

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف: ج 3، ص 133. وقد أورد ابن سلام في تفسير الآية وصفاً لمجيء الله تتقدمه ملائكة كل سماء صفوفاً صفوفاً في موكب كأنه موكب بشري، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. أورد ذلك بسند واه بقوله: حدثني رجل من أهل الكوفة عن ليث عن شهر بن حوشب قال... إذا كان يوم القيامة... إلى آخر القصة، ثم روى مشهداً من مشاهد الحساب عن أبان بن أبي عياش عن أبي العالية عن أبي بن كعب وصف فيه كيف يجاء بجهنم إلى موقف الحساب إلى آخر ما هنالك مما لا يكاد يصدقة عاقل. وقد حذف الشيخ هود بن محكم هذه الروايات التي ينكرها، ارجع إليها إن شئت في مخطوطة ابن أبي زمنين ورقة 392، 393 ونحن نؤمن بظاهر ألفاظ القرآن وبدلالاتها اللغوية من غير تأويل للكيف، وننزّه الباري جل وعلا تنزيهاً مطلقاً عن كل ما لا يليق به مما يؤدي إلى التشبيه أو التجسيم، ولا نؤمن إلا بما جاء به صريح الكتاب مجملاً من غير تفصيل، وبما ثبت عن الصادق المصدوق ﷺ وصح من أحاديثه.

قوله تعالى: ﴿ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ لِحَيَاتِي ﴾ يعني بعد الموت، التي فيها خيرها وشرها. يتمنى لو آمن في الدنيا فيحيا في الجنـة. كقوله تعالى: (وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) [العنكبوت: 64] أي الجنة[1].

قوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴾ أي: عذاب المشرك أحد وهي تقرأ على وجهين: لا يعذَّب. فمن قرأها: لا يعذَّب عذابه أحد، فهو يقوله: لا يعذَّب عذابَ المشرك أحد، وهذا الحرف يذكر عن النبي عليه السلام. ومن قرأه: لا يعذِّب فهو يقول: لا يعذِّب عذابَ الله أحد. ﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ أي: وثاق المشرك. [وقيل لا يوثق وثاق الله أحد][2].

قال تعالى: ﴿ يَـٰأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ وهذا المؤمن، نفسه مطمئنة راضية بثواب الله. وتفسير مجاهد: (الْمُطْمَئِنَّةُ) أي: المحبة إلى الله، وهي في حرف أبي ابن كعب: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الآمِنَةُ الْمُطمَئِنَّةُ) ﴿ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً ﴾ أي قد رضيت الثواب. ﴿ مَّرْضِيَّةً ﴾ أي: قد رضيَ عنك ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ هذا حين يرجع الروح إلى الجسد يوم القيامة ﴿ وادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ وتفسير الحسن: فادخلي في عبادي الصالحين وادخلي جنتي.

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 262: «(يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) لآخرتي التي فيها الحياة والخلود».

(2) زيادة من ز، ورقة 393.

تفسير سورة لا أقسم بهذا البلد، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا الْبَلَدِ ﴾ يعني مكة. و (لَآ أُقْسِمُ) وَأقسم واحد إذا أردت القسم.

قال تعالى: ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَـٰذَا الْبَلَدِ ﴾ يعني مكة. وهذا حين أُحِلّت للنبي عليه السلام ساعة من النهار يوم الفتح. قال النبي عليه السلام: إنما أحلّت لي ساعة من نهار[1]. وتفسير الحسن: أي: لا تواخذ بما فعلت فيه، يعني مكة، أي: ليس عليك فيه ما على الناس.

قال عز وجل: ﴿ وَوَالِـدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ أي: آدم وما ولد. وهذا كله قسم من أول السورة إلى هذا الموضع.

قال عز وجل: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَـٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ أي في انتصاب. وقيل: في شدة وذلك أن الخلق كلهم منكب إلا ابن آدم. وقال بعضهم: يكابد الدنيا حتى يموت، أي: يكابد عمل الدنيا والآخرة حتى يموت، فإن كان مؤمناً كابد أيضاً عمل الآخرة.

(1) هذا جزء من حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الحج من أبواب العمرة، باب لا ينفر صيد الحرم، عن ابن عباس وأبي شريح العدوى في حديث طويل. وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها من أحاديث لابن عباس وأبي شريح وأبي هريرة. (رقم 1353-1355) وأخرجه الربيع بن حبيب في الجامع الصحيح في كتاب الحج، باب في الكعبة والمسجد والصفا والمروة، (رقم 419) ولفظه: «مكة حرام حرمها الله تعالى إلى يوم القيامة، لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار»...

قال عز وجل ﴿أَيَحْسَبُ﴾ الإنسان، وهذا على الاستفهام ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ أي أن لن يقدر عليه الله، وهذا المشرك يحسب أن لن يبعثه الله بعد الموت. قال عز وجل: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَداً﴾ أي: مالا كثيراً، أي: أتلفت وأكلت مالاً كثيراً فمن ذا الذي يحاسبني.

قال الله: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ أي أن لم يره الله، أي: حين أهلك ذلك المال. أي: بلى، قد علمه الله.

ثم قال عز وجل: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾ أي: ألم يعلم أن الله جعل له عينين ﴿وَلِسَاناً وشَفَتَيْنِ﴾ أي: فالذي جعل ذلك قادر على أن يبعثه فيحاسبه.

قال عز وجل: ﴿وَهَدَيْنَـٰهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي: بصرناه الطريقين: طريق الهدى وطريق الضلالة. قال رسول الله ﷺ: إنهما النجدان: نجد الخير ونجد الشر فما يجعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير[1].

قال عز وجل: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ أي: لم يقتحم العقبة. [وهذا خبر، أي: إنه لم يفعل][2]. قال الحسن: عقبة الله شديدة؛ يريد الرجل أن يحاسب[3] نفسه وهواه وعدوه الشيطان. قال الكلبي: هي عقبة على جسر جهنم، من أعتق رقبة مؤمنة وهو مؤمن جازها.

ثم قال عز وجل: ﴿وَمَا أَدْرَيٰكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ يقول للنبي عليه السلام: (وَمَا أَدْرَيٰكَ) على الاستفهام، يعني أنك لم تكن تدري حتى أعلمتك ما العقبة.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أي: عتق رقبة من الرّق. وهي تقرأ (فَكُّ رَقَبَةٍ) [بالرفع وبالنصب

(1) أخرجه ابن أبي حاتم عن أنس، وأخرجه الطبراني عن أبي أمامة، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 30 ص 200-201 من طرق عن الحسن وعن قتادة مرسلاً.
(2) زيادة من ز، ورقة 393.
(3) كذا في ق و ع: «يحاسب» ولعل صوابه «يحارب».

فمن قرأها بالرفع: فكُّ فعلى أنه مصدر، ومن قرأها بالفتح فعلى أنه فعل ماض][1]
قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: من اعتق رقبة مؤمنة فهو فكاكه من النار[2].

قال عز وجل: ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾أي ذي مجاعة، أي يوم جوع.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن الله لم يحب عبداً كما أحب عبداً برد كبداً جائعة[3].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن كسا مسلماً على عراء كساه الله يوم القيامة من حلل الجنة[4].

قال عز وجل: ﴿ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ أي أطعم يتيماً ذا مقربة، أي: ذا قرابة منه. ﴿ أَوْ مِسكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ أي لاصقاً بالتراب من الحاجة في تفسير الحسن. وقال عطاء هو المطروح في الطريق الضائع الذي لا أحد له. وقال بعضهم: هو المسكين الذي خرج يسأل ولا يعطى شيئاً فيرجع إلى بيته ترب اليدين.

قال الحسن: وقد علم الله أقواماً يفعلون هذا الذي ذكر، لا يريدون الله به، ليسوا بمؤمنين فاشترط فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: الذي فعل هذا من الذين آمنوا كقوله عز وجل: (وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيهَا وَهُوَ مُومِنٌ) [الإسراء: ١٩].

---

(1) زيادة لا بد منها للإيضاح، وانظر ابن خالويه، الحجة ص 343، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص 91.

(2) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه في كتاب العتق؛ باب العتق عن كعب بن مرة (رقم 2522)، وأخرجه البخاري ومسلم وغيرهما؛ أخرجه مسلم في كتاب العتق، باب فضل العتق، عن أبي هريرة (رقم 1509) بلفظ «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار»، وفي رواية: «بكل إرب منها إرباً من النار». وأخرجه أحمد والنسائي وأبو داود عن عمرو بن عنبسة بلفظ: «من أعتق رقبة مؤمنة كانت فداءه من النار».

(3) أخرجه البيهقي عن أنس بلفظ أفضل الصدقة أن تشبع كبداً جائعة».

(4) أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري. وقال الترمذي حديث غريب.

قال عز وجل: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ أي: على ما أمرهم الله به وعما نهاهم عنه ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ أي: بالتراحم فيما بينهم.

قال عز وجل: ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ أي: الذين هذه صفتهم ﴿ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ أي: الميامين على أنفسهم، وهم أهل الجنة.

قال عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ أي: الشؤم، وهم المشائيم على أنفسهم، وهم أهل النار. قال عز وجل: ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾ أي: مطبقة، فنعوذ بالله منها.

تفسير سورة ﴿ والشمس ﴾[1] وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَـٰهَا ﴾ أي: وضوئها، وبعضهم يقول: وحرها. ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَـٰهَا ﴾ أي: إذا تبعها. أي إذا تبع الشمسَ صبيحة الهلال[2].

قال عز وجل: ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّـٰهَا ﴾ أي جلى ظلمة الليل فأذهبها. والليل والنهار يختلفان والنهار يذهب بظلمة تلك الليلة. وقال مجاهد: إذا جلاها أي: إذا أضاء.

قال عز وجل: ﴿ وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَـٰهَا ﴾ أي: إذا غشى الشمس فأذهبها. ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَـٰهَا ﴾ أي والذي بناها، أقسم بالسماء وبنفسه. قال: ﴿ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَـٰهَا ﴾ أي بسطها: أقسم بها وبنفسه. ﴿ وَنَفْسٍ وَما سَوَّىٰهَا ﴾ أي والذي سواها، يعني نفسه، أقسم بالنفس التي خلقها فسواها وبنفسه. قال عز وجل: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ أي: بيّن الله لها الفجور والتقوى، وهو سبيل الهدى وسبيل الضلالة. ﴿ قَد أَفْلَحَ مَنْ زَكَّىٰهَا ﴾ [أي من زكى الله نفسه فهداها][3] ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «تفسير سورة والشمس وضحاها».

(2) كذا في ق و ع: «صبيحة الهلال»، وفي ز: «ليلة الهلال»، وبكلا اللفظين رواه ابن جرير الطبري عن قتادة في تفسيره ج 30 ص 208.

(3) زيادة من ز، ورقة 394، وهذا وجه من وجوه تأويل الآية، وقيل معناه: «من زكى نفسه بعمل البر واصطناع المعروف» كما جاء في بعض التفاسير.

دَسَّيٰهَا ﴾ أي وقد خاب من دسى الله نفسه، أي أشقاها الله بفعلها[1]. وهذا كله قسم من أول السورة إلى هذا الموضع.

﴿ كَذَّبَت ثَمُودُ بِطَغْوَايٰهَا ﴾ على هذا وقع القسم. وقوله بطغواها، أي بطغيانها، أي: بشركها، وتكذيبها رسلها بما جاء به من عند الله. وتفسير مجاهد: بمعصيتها، وهو واحد.

قال عز وجل: ﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَيٰهَا ﴾ وهو أحمر ثمود الذي عقر الناقة، وقد فسرنا أمرها وعقرهم إياها في غير هذا الموضع[2]. ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﴾ يعني صالحا ﴿ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاها ﴾أي: اتقوا ناقة الله ولا تمسوها بسوء، واتقوا سقياها، أي شربها، لا تمنعوها منه؛ كانت تشربه يوماً ويشربونه يوماً.

قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ يعني صالحاً ﴿ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ ﴾ أي حرّك بهم الأرض فأهلكهم بذنبهم ﴿فَسَوَّيٰهَـا﴾ أي: بالعقوبة[3]. ﴿ فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ أي: لا يخاف الله تباعة، أي: لا يُتبَع بذلك كقوله تعالى: (ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تبيعاً) [الإسراء: 69] أي: يتبعنا بذلك لكم. وبعضهم يقول: فلا يخاف الذي عقر الناقة، حين عقرها، عقباها. أي: لم يخف أن يصيبه العقاب. وفيها في هذا التفسير تقديم؛ يقول: إذ انبعث أشقاها فلا يخاف عقباها. لا حول عن معاصي الله إلا بعصمة من الله ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله.

---

(1) وقيل معناه: من دسّى نفسه، أي: أخفاها بالفجور والمعصية.

(2) انظر ما سلف ج 3 ص 236 - 237.

(3) قال ابن خالويه في كتابه: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص 106 ما يلي: «(فَسَوَّاهَا) أي: انخسفت بهم الأرض فسوّيت عليهم ودمدمت ودكدكت وزلـزلـت عقوبة لعقرهم الناقة. وقال بعض أهل العلم: الهاء في فسوّاها تعود على الدمدمة، لأن الفعل إذا ذكر دل على مصدره، كقوله تعالى: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ) [البقرة: 45] أي: وإن الاستعانة لكبيرة. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 269: «ويقال: (فَسَوَّاها) سوى الأمة أنزل العذاب بصغيرها وكبيرها بمعنى سوى بينهم».

تفسير سورة والليل إذا يغشى وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ أي: غشى النهار وأذهب ضوءه. ﴿ والنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ أي إذا ظهر الليل[1] فأذهب ظلمته.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكرَ والأُنْثَىٰ ﴾ أي: والذي خلق الذكر والأنثى يعني نفسه، وهذا كله قسم. ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ ﴾ يعني سعي المؤمن وسعي الكافر، أي عملهما ﴿ لَشَتَّىٰ ﴾ أي: لمختلف.

قال عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَىٰ وَاتَّقَـىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسنَىٰ ﴾ أي: بالثواب، وهي الجنة ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ ﴾ أي لعمل أهل الجنة. ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾ أي: بما عنده أن يتقرب به إلى ربه ﴿ وَاسْتَغْنَى ﴾ أي: عن ربه ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أي بالثواب وهي الجنة ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ أي: لعمل النار، أي ببخله وتكذيبه.

ذكروا عن جندب بن عبد الله قال: لا فقر بعد الجنة، ولا غنى بعد النار؛ إن النـار لا يُفدى أسيرها، ولا يَستغنِي فقيرها.

قال عزّ وجل: ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾ أي: في القبر إذا مات. وقال بعضهم: إذا تردّى في النار، إذا هوى فيها.

---

(1) في ق و ع: «إذا تجلى الليل». وهو خطأ أثبت تصحيحه من ز.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ أي: تبيين سبيل الهدى وسبيل الضلالة. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلأخِرَةَ وَالأُولَىٰ ﴾ أي: الدنيا.

قال: ﴿ فَأَنذَرْتُكُم نَاراً تَلَظَّىٰ ﴾ أي تتأجج ﴿ لاَ يَصْلَيُهَا إِلاَ الأَشْقَىٰ الذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ يعني بالذي كذب المشرك، وبالذي تولى المنافق، أي: توليا عن طاعة الله[1].

قال عز وجل: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَىٰ الذِي يُوتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴾ أي: يتقرّب به إلى الله في تفسير الحسن. وهذا تطوّع. بلغنا أنها نزلت في أبي بكر الصديق حين أعتق بلالاً وخمسة معه[2].

قال عز وجل: ﴿ وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴾ أي ليس يفعل ذلك لنعمة يجزيها أحد فعلها به ﴿ إِلَّا ابْتَغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ ﴾ أي: ليس يفعل ذلك إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ أي: الثواب في الجنة.

---

(1) كذا في ق و ع، وهذا من كلام الشيخ هود الهواري ولا شك. وجاء في ز ورقة 394: «(الذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ): كذّب بكتاب الله وتولى عن طاعة الله. وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 2 ص 301: «(لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الأَشْقَىٰ) والعرب تضع «أفعل» في موضع «فاعل» قال طرفة:

تمنّى رجال أن أموت وإن أمت ... فتلك سبيل لست فيها بأوحد

(2) كذا في ق و ع، وفي تفسير الطبري ج 30 ص 228 «عن قتادة قال: نزلت في أبي بكر، أعتق أناساً لم يلتمس منهم جزاء ولا شكوراً، ستة أو سبعة، منهم بلال وعامر بن فهيرة».

تفسير سورة والضحىٰ، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴾ أي: ضحى النهار، يعني ضوءه، وبعضهم يقول: أول ساعة من النهار. ﴿ والَّيْـلِ إِذَا سَجىٰ ﴾ أي: إذا أظلم، وهذا قسم.

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: (مَا وَدَّعَكَ) مثقلة، و(وَدَعَكَ) مخففة، أي: ما تركك. وذلك أن جبريل أبطأ عن النبي عليه السلام بالوحي، فقال المشركون: ودعه ربه وأبغضه. فمن قرأها مثقلة، فهو يقول: لم يودّعك ربك فيكون آخر الفراغ من الوحي. ومن قرأها بالتخفيف فهو يقول: ما تركك ربك، أي من أن ينزل عليك الوحي قال: ﴿ وَمَا قَلَىٰ ﴾ أي: وما أبغضك.

﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى ﴾ أي: من الدنيا ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ ﴾ أي: في الجنـة ﴿ فَتَرْضَىٰ ﴾.

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ ﴾. [قال ابن عباس يقول: وجدك يتيماً عند أبي طالب فآواك إلى خديجة][1].

قال تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ ﴾ وهو قوله: (وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّن

(1) زيادة من ز، وهي من رواية ابن أبي زمنين. ولم أجد هذا التأويل فيما بين يدي من المصادر، ويبدو لي غريباً فإنه لما تزوجته خديجة لم يكن يتيماً، فإنه لا يُتْمَ بعد احتلام. لعل الصواب، «آواك وضمك إلى أبي طالب».

أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ ولا الإِيمَانُ) [الشورى: 52]. وكقوله عزّ وجل: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) [يوسف: 3].

قال عز وجل: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً﴾ أي: فقيراً ﴿فَأَغْنَىٰ﴾.

قال عز وجل: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي: لا تقهره فتمنعه حقه الذي أمر الله به. وقال بعضهم: فلا تشتدّ به.

قال عز وجل: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [أي: فلا تنهره؛ إمّا أعطيته وإمّا رددته ردّاً ليّناً][1].

ذكروا أن رجلاً شكا إلى النبي ﷺ قساوة قلبه فقال له عليه السلام: إن أردت أن يلين قلبك فامسح رأس اليتيم وأطعم المساكين[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من عال يتيماً من أبوين مسلمين حتى يستغني وجبت له الجنة[3].

قال عز وجل: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ بينكم بنعم ربك[4].

---

(1) زيادة من ز، ورقة 395.

(2) رواه أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة، ورواه الطبراني بزيادة من حديث أبي الدرداء.

(3) أخرجه أحمد والطبراني عن عمرو بن مالك القشيري. ورواه الترمذي عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: من قبض يتيماً من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتّةَ إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر؛ كما ذكره المنذري في الترغيب والترهيب، ج 3 ص 347.

(4) كذا وردت هذه العبارة في ق و ع: «بينكم نعم ربه» ولست مطمئناً إلى صحتها. ففي ز: «(وأما بنعمة ربك) أي بالقرآن فحدّث». وجاء في بعض التفاسير رواية عن الحسن بن علي «قال: هو الرجل يعمل عمل البر يخفيه عن المخلوقين ثم يطلع عليه ثقاته من إخوانه».

تفسير سورة الم نشرح، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فشق نحري إلى كذا وكذا. قال: إلى أسفل بطني واستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب فيه من ماء زمزم، ثم كُنِز، أو قال حُشِي إيماناً وحكمة ثم أعيد مكانه[1]. وتفسير الحسن: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)، أي: بالإيمان.

قال عز وجل: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴾ والوزر الحمل، وهو الذنوب التي كانت عليه في الجاهلية ﴿ الذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ أي: أثقل ظهرك.

قال عز وجل: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ أي: بالنبوة، أي: إنك تذكر معي إذا ذكرت في الآذان والإقامة والخطب. نزلت هذه الآية قبل الآذان والإقامة حتى إذا جاء الوقت الذي فيه الوقت[2].

---

(1) كذا في ق و ع: «كنز»، «أو حشي». وبهذا اللفظ الأخير جاء في حديث مسلم، في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ... (رقم 164). انظر ما سلف، ج 2 ص 397 فما بعدها في أحاديث الإسراء. وانظر سنن الترمذي، كتاب التفسير سورة ألم نشرح من حديث مالك بن صعصعة.

(2) كذا وردت هذه العبارة فاسدة في ق و ع. ولا شك أن بعض الكلام ساقط حتى يستقيم المعنى، وانظر معاني رفع الله ذكرَ نبيه عليه السلام في تفسير القرطبي ج 106-107.

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال لبعض أصحابه: لن يغلب عسر يسرين[1].

قوله عز وجل: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴾ تفسير الحسن: فإذا فرغت من قتال أعدائك فانصب إلى ربك في العبادة. قال: أمره الله أن لا يؤثر شيئاً من أمر الدنيا على شيء من أمر الآخرة؛ والله أعلم كيف كان تفسير الحسن هذه الآية. وقال الكلبي: فإذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء.

قال عز وجل: ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ أي: فتضرّع بالدعاء. ذكروا أن أبا الدرداء قال: من أكثر قرع الباب يوشك أن يُفتح له؛ يعني الدعاء.

وكان بعض الفقهاء يعجبهم أن يدعو في الصلاة المكتوبة بدعاء في كتاب الله. وقال بعضهم: السنة أن القرآن في الصلاة في القيام، والتسبيح في الركوع والسجود، والدعاء في الجلوس.

(1) أخرجه ابن جرير الطبري مرسلاً عن الحسن وعن قتادة ولفظه: «أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين» وأخرجه ابن مردويه عن جابر بن عبد الله مرفوعاً في قصة بعثٍ عليهم أبو عبيدة بن الجراح رواها السيوطي في الدر المنثور ج 6 ص 364. وانظر ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ص 127.

تفسير سورة التين، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ والتِّينِ وَالزَّيْتُـونِ ﴾ قال بعضهم: التين جبل دمشق، والزيتون جبل بيت المقدس. وقال الكلبي: تينكم هذا وزيتونكم هذا.

قوله عز وجل: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ﴾ الطور: الجبل، و(سِينِينَ): الحسن. أي: الجبل الحسن. وقال مجاهد: (سِينِينَ): المبارك. وقال الحسن: هو الجبل الذي نادى الله منه موسى.

قال عز وجل: ﴿ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ أي: الآمن، أي: الحرام يعني مكة. يقول: إنكم تأمنون فيه من القتل والسباء، والعرب يقتل بعضهم بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً، وأنتم آمنون من ذلك. وكان هذا قبل أن يؤمر النبي عليه السلام بقتل المشركين، ثم أمر بقتالهم بالمدينة.

قال عز وجل: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَـٰنَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ أي: في أحسن صورة وقال مجاهد: في أحسن الخلق. أقسم بهذا كله من أول السورة إلى هذا الموضع.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ أي: جهنم، ويعني بالإنسان هاهنا المشرك. وقال بعضهم: (فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) أي: الشباب، (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) يعني الهرم[1]. وقال الكلبي: (أَسْفَلَ سَافِلِينَ) أي: الهرم، يعني مثل قوله: (وَمَن

(1) وهذا ما اختاره الفراء في المعاني، ج 3 ص 276. قال: «يقول: إنا لنبلغ بالآدمي أحسن=

نُعَمِّرهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [يٰس: 68]، فيصير مثل الصبي الذي لا يعقل شيئاً.

قال تعالى: ﴿إِلاَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ استثنى من آمن [وعمل صالحاً][1] ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ﴾ أي ثواب ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير محسوب، في تفسير مجاهد، وهو الجنة. وقال الحسن: غير ممنون عليهم منٌّ أذى[2].

قال عز وجل: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ تفسير الكلبي: إنه يقول للمشرك: فما يكذبك أيها الإنسان ﴿بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ أي: بالحساب يوم القيامة.

قال عز وجل: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَـٰكِمِينَ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إذا قرأ أحدكم فبلغ والتين والزيتون، فإذا أتى على آخرها فليقل: بلى[3].

= تقويمه، وهو اعتداله واستواء شبابه، وهو أحسن ما يكون، ثم نرده بعد ذلك إلى أرذل العمر».. . .

(1) زيادة لا بد منها يقتضيها سياق الآية.

(2) وقيل أيضاً: «غير مقطوع ولا ممنوع».

(3) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب مقدار الركوع والسجود (رقم 887)، من حديث أبي هريرة، وفي إسناده ضعف لجهالة الأعرابي الذي روى عنه أبو هريرة. وفيه: «بلى وأنا على ذلك من الشاهدين».

تفسير سورة اقرأ باسم ربك، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ اِقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ ﴾ هذا أول ما كلم جبريل النبي عليه السلام حين تبدّى له. قال له: (اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ. . .) إلى قوله (إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ)[1]. ذكروا أن هذه السورة أول سورة نزلت على محمد عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ خَلَقَ الإِنْسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ وهو الكتاب[2] بالقلم. ﴿ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.

قال تعالى: ﴿ كَلَّا ﴾ [قال الحسن: معناها حقاً][3] ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّءَاهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾. قال بعضهم: هو أبو جهل بن هشام. وتفسير الكلبي: (لَيَطْغَىٰ أَن رَاءَاهُ اسْتَغْنَىٰ) يعني ليرتفع من منزلة إلى منزلة.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: لو أن لابن آدم واديين ملئاً مالاً لابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. ثم يتوب الله على من تاب[4].

---

(1) كذا في ق و ع وفي ز. «إلى قوله: (إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ)» والصحيح الذي عليه جمهور المحققين من المفسرين وكتاب السيرة أن أولى الآيات نزولاً كانت خمساً وتنتهي بقوله: (عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) انظر مثلاً حديث عائشة المتفق عليه في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (رقم 160).

(2) زيادة من ز، ورقة 396.

(3) أي: علم الكتابة بالقلم. يقال: كتب كتْباً وَكِتَاباً وكتابة.

(4) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال عن ابن عباس وأنس بن مالك، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً عن أنس بن مالك (رقم 1048)، وعن ابن عباس (رقم 1049) وأخرجه ابن ماجه والترمذي وغيرهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ أي: المرجع يوم القيامة.

قال الله عز وجل: ﴿ أَرَأَيْتَ الذِي يَنْهَىٰ عَبْداً إِذَا صَلَّىٰ ﴾ نزلت في أبي جهل؛ كان ينهى النبي عليه السلام عن الصلاة ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ يعني النبي عليه السلام؛ أي: إن محمداً على الهدى ﴿أَوْأَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ وهو محمد عليه السلام أمر العباد بطاعة الله. ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ يعني أبا جهل، كذب بكتاب الله وتولى عن طاعة الله، أي: قد كذب وتولّى. قال عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَىٰ ﴾ أي: يرى عمله.

﴿ كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ ﴾ يعني أبا جهل، عن كفره وتكذيبه ﴿ لَنَسْفَعاً ﴾ أي: لنأخذن ﴿ بِالنَّاصِيَةِ ﴾ أي: ليجرّن بالناصية، أي: ناصية أبي جهل، أي تجره الملائكة بناصيته، تجمع بين ناصيته وقدميه من خلفه فتلقيه في النار. وهو مثل قوله تعالى: (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُوخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ) [الرحمـٰن: 40] قال عز وجل: ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ وهي ناصية أبي جهل، وهو الكاذب الخاطىء المشرك.

﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ أي فليدع أبو جهل إذا دعونا بالزبانية، خزنة جهنم فجروا بناصيته إلى النار، فليدع حينئذ ناديه. قال بعضهم: عشيرته. وقال الحسن: جلساءه، أي: فليمنعوه من ذلك.

قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾ أي: لا تطع أبا جهل فيما يأمرك به، يقوله للنبي عليه السلام. ﴿ وَاسْجُدْ ﴾ أي: وصل لربك ﴿ وَاقْتَرِبْ ﴾ وهو الدنوّ. أقرب ما يكون العبد إلى الله إذا كان ساجداً[5]. ذكروا عن كعب قال: إن أقرب ما يكون العبد إلى الله إذا كان ساجداً، واغتنموا الدعاء عند نزول المطر. وقال الحسن: أقرب ما يكون العبد إلى الله إذا كان ساجداً ثم تلا هذه الآية: (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ).

---

(1) هذا نص حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود من حديث أبي هريرة (رقم481) ولفظه: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء».

تفسير سورة القدر وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَـٰهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ذكروا عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن ليلة القدر إلى السماء الدنيا جملة واحدة وجعل بعد ذلك ينزل نجوماً: ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات وأقل من ذلك وأكثر؛ ثم تلا هذه الآية: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) [الواقعة: 75].

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَيٰكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [تفسير ابن عباس: العمل في ليلة القدر خير في العمل من ألف شهر][1] لا توافق فيها ليلة القدر.

[ذكروا عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان[2].

(1) ما بين المعقوفين زيادة من ز ورقة 396.

(2) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب التماس ليلة القدر في العشر الأواخر عن ابن عمر وعن أبي سعيد وعن عائشة وعن ابن عباس وعن عبادة بن الصامت، ولفظ عائشة: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان». وأخرج هذا الحديثَ أصحابُ السنن. واختلف الصحابة والعلماء في تحديدها، وكان أبي بن كعب حلف ولم يستثن إنها ليلة سبع وعشرين. كما ذكره زر بن حبيش وكما رواه مسلم في كتب الصوم، باب فضل ليلة القدر... (رقم 762). وانظر مختلف الأقوال فيها في كتاب التفسير والحديث. انظر مثلاً ابن الجوزي، زاد المسير ج 1 ص 182.

يحيى عن فطر عن عبد الرحمٰن بن سابط قال: كان رسول الله عليه السلام يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان ويشمر فيهن للصلاة][1].

قوله عز وجل: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلٰئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: بأمر ربهم. والروح جبريل.

ذكروا عن أبي عبيدة قال: الملائكة في الأرض ليلة القدر أكثر من عدد الحصى.

قال عز وجل: ﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [يعني بكل أمر][1].

﴿ سَلٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [يعني خير كلها إلى مطلع الفجر][1] وتفسير الكلبي: إن الملائكة تسلم على المؤمنين ليلة القدر إلى مطلع الفجر.

(1) ما بين المعقوفين زيادة من ز ورقة 396.

تفسير سورة لم يكن وهي مكية كلها(1)

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ الذِينَ كَفَرُوا مِنَ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: ومن المشركين ﴿ مُنْفَكِّينَ ﴾ أي: منتهين عن كفرهم ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِّنَ اللهِ ﴾ يعني محمداً عليه السلام ﴿يَتْلُوا صُحُفاً ﴾ يعني القرآن ﴿ مُّطَهَّرَةً ﴾ أي: من الشرك والكفر، كقوله تعالى: (فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ) [عبس: 13-16] ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ [أي: مستقيمة لا عوج فيها](2)، يعني التي جاءت بها الأنبياء، وهي من الصحف المطهرة التي عند الله.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: أي الخلائق أعجب إيماناً؟ قالوا: الملائكة. قال: الملائكة في السماء فما لهم لا يؤمنون. قال: أي الخلائق أعجب إيماناً؟ قالوا: النبيون. قال: النبيون ينزل عليهم الوحي فما لهم لا يؤمنون. قال: أي الخلائق أعجب إيماناً؟ قالوا: أصحابك. قال: أصحابي يرونني ويسمعون كلامي فما لهم لا يؤمنون. قال: أعجب الخلائق إيماناً قوم يأتون من بعدكم فيجدون كتاباً في رَق فيؤمنون به(3).

ذكروا عن عمران بن حصين قال قال رسول الله ﷺ: خير القرون قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم(4).

(1) كذا في ق و ع: «وهي مكية كلها». وهو موافق لما ذكره القرطبي وابن الجوزي في تفسيريهما من أن يحيى بن سلام ذهب إلى أنها مكية. وفي ز: «تفسير سورة لم يكن الذي كفروا، وهي مدنية كلها». وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين.

(2) زيادة من ز، ورقة 396.

(3) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 1 ص 68.

(4) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الفضائل، فضائل أصحاب النبي ﷺ، =

قال عز وجل: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الذِينَ أُوتُوا الْكِتَـٰبَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ أي: إلا من بعد ما جاءهم البيان من الله.

قال عز وجل: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ والحنيف في تفسير الحسن: المخلص. وتفسير الكلبي: الحنيف: المسلم. قال عز وجل: ﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَـوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ أي: دين الملة المستقيمة بأمر الله(1). رجع إلى قوله: (لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ).

قال: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا مِنَ اَهْلِ الْكِتَـٰبِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴾ يعني من كفر بما جاء به محمد عليه السلام من أهل الكتاب والمشركين ﴿ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيئَةِ ﴾ أي: شرّ الخلق.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيئَةِ ﴾ أي: خير الخلق. [يحيى عن حماد عن أبي الزبير عن أبي هريرة قال: المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده](2) ﴿ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنهـٰرُ خَـٰلدين فيها أبداً ﴾ أي: لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ﴾ أي: بأعمالهم ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ أي: ورضوا ثوابه ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾.

= وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، (رقم 2535) عن عمران بن حصين بلفظ أطول.

(1) في ق و ع: «دين الملائكة القيمة»، وهو خطأ صوابه ما أثبته من ز.

(2) زيادة من ز. كذا رواه ابن سلام بهذا السند ولم يرفعه، وذكره الفخر الرازي في تفسيره ج 32 ص 51-52 بلفظ أطول عن أبي هريرة مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ. كما ذكره الألوسي في تفسيره ج 10 ص 264-265 فقال: «أخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة مرفوعاً: «أتعجبون لمنزلة الملائكة من الله تعالى، والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن من عند الله تعالى يوم القيامة أعظم من منزلة الملك، واقرأوا إن شئتم إن الذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك هم خير البريئة». وفي المسألة خلاف قديم. فابن كثير ويحيى بن سلام يرويان الحديث موقوفاً، والفخر الرازي والألوسي يرويانه مرفوعاً. ولكن الفخر الرازي يضعف الاستدلال بهذا الحديث على أفضلية المؤمن على الملَك، والألوسي لا يرى ذلك.

تفسير سورة إذا زلزلت، وهي مدنية

﴿ بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴾ قوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ أي: تحركت من نواحيها كلها، وذلك يوم القيامة. قال تعالى: ﴿ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ أي: ألقت ما فيها من الأموات[1]. كقوله عز وجل: (وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ) [الانشقاق: 4] أي: تخلت منهم إلى الله. قال عز وجل: ﴿ وَقَالَ الإِنْسَـٰنُ ﴾ والإنسان هاهنا المشرك[2]. ﴿ ما لها ﴾ أي: ما لها تحركت.

قال الله: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ أي بما ألقت مما كان في بطنها من الأموات. قال عز وجل: ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ أي: أمرها في تفسير مجاهد. أي أوحى لها أن تلقي ما في بطنها. وقال بعضهم: سألها.

قال عز وجل: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً ﴾ أي: من بين يدي الله مختلفين، بعضهم إلى الجنة وبعضهم إلى النار. ﴿ لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَن يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ أي: وزن ذرة ﴿ خَيْراً يَّرَهُ وَمَن يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ أي وزن ذرة ﴿ شَرّاً يَرَهُ ﴾ أي يراه في ميزانه فيسوءه ذلك.

---

(1) هذا وجه من وجوه تأويل الآية، ولفظ الأثقال أعم من ذلك، فكل ما في جوف الأرض من معادن حجرية كالذهب والفضة والحديد مثلاً، أو سائلة كالنفط والماء، أو غازية أو غير ذلك يعد من أثقالها.

(2) لا وجه لتخصيص الإنسان هنابالمشرك، بل تعريف الإنسان هنا يفيد استغراق الجنس البشري.

تفسير سورة والعاديات، وهي مكية كلها، وقيل إنها مدنية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قوله عز وجل: ﴿وَالْعَـٰدِيَـٰتِ﴾ وهي الخيل في تفسير ابن عباس. وقال علي: هي الإبل[1]. قال عز وجل: ﴿ضَبْحاً﴾ وضبحها أنفاسها إذا جرت. قال: ﴿فَالْمُورِيَـٰتِ قَدْحاً﴾ أي: تصيب الحجارة بحوافرها فتخرج منها النار. قال تعالى: ﴿فَالْمُغِيـرَٰتِ صُبْحاً﴾، قال الحسن: هي الخيل تغير على العدو إذا أصبحت.

[قال أنس بن مالك إن قوماً كان بينهم وبين النبي عليه السلام عهد فنقضوه، وهم أهل فدك. فبعث إليهم رسول الله ﷺ خيله فصبحوهم، وهم الذين أنزل الله فيهم (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً)][2].

قال عز وجل: (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾ أي تثير الغبار بحوافرها ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾ قال الحسن: تغير صبحاً فتتوسط العدو. وقال بعضهم: غداة جمعها[3] وقال عكرمة (فَالْمُورِيَاتِ قَدْحَا) قال: الأسنة في الحروب. وهذا كله قسم.

---

(1) اقرأ في تفسير الطبري ج 30 ص 272-273 حواراً بين علي وابن عباس في المقصود بالعاديات في الآية ونزوع ابن عباس عن قوله: إنها الخيل، ورجوعه إلى قول علي: إنها الإبل. وكيف رجح الطبري القول بأنها الخيل معتمداً على الدليل اللغوي. فإن الضبح يكون من الخيل لا من الإبل، وإن القدح بسنابك الخيل أقوى منه بأخفاف الإبل.

(2) زيادة من ز، ورقة 497.

(3) في ق وع: عداه جمعها، والصحيح ما أثبته: غداة جمعها: كما في بعض التفاسير، وجمع هي مزدلفة. وهذا على قول من فسر العاديات بالإبل.

﴿ إِنَّ الإِنْسَـٰنَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾. تفسير العامة: الكَنود. الكَفور، وهي بلسان ربيعة، الكَفور للنعمة، الذي يأكل وحده، ويمنع رفده، ويجيع عبده، ولا يعطي النائبة في قومه.

وقال الحسن هو الذي يلوم ربه، ويستبطىء الإجابة. وتفسير عمرو عن الحسن: إنه المشرك؛ وهو مثل قوله تعالى: (فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَـنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) [الفجر: 15-16].

قال عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ أي: على كفره يوم القيامة. وقال الحسن: يشهد على نفسه أنه يلوم ربه. ﴿ وَإِنَّـهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ ﴾ أي: المـال ﴿ لَشَدِيدٌ ﴾ [أي لبخيل][1].

﴿ أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ أي: أخرج ما فيها من الأموات ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ أي ميّز، وهو مثل قوله تعالى: (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) [الطارق: 9] وحصل، أي: شق عما في الصدور[2] ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ أي: لعالم.

(1) زيادة من ز، وهو أحد وجوه تأويل الآية ذهب إليه الحسن وقتادة وأبو عبيدة، والكلبي، والزجاج وابن قتيبة. قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 307: «وإنه من أجل حب الخير لشديد، لبخيل، يقال للبخيل: شديد ومتشدد»... وقال الفراء: «نرى والله أعلم أن المعنى وإنه للخير لشديد الحب، والخير: المال...» انظر توضيح ما ذهب إليه الفراء وتعليله في معاني القرآن ج 3 ص 285-286.

(2) وقال بعض المفسرين: «(وَحُصِّلَ) أي: جُمِعَ وأُحصِيَ»، وهو الصواب إن شاء الله.

تفسير سورة القارعة، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ يعظمها بذلك، وهي اسم من أسماء القيامة. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَيْكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ أي: كالفراش المبسوط في تفسير الحسن. وقال الكلبي: الذي يجول بعضه في بعض. وذكروا أقوالاً في الفراش: قال جماعة من العلماء: الفراش: الدَّبَى[1]؛ شبه الناس به يوم القيامة. وقال بعضهم: الفراش هو ما تساقط في النار من البعوض، وهو قول الشاعر:

مثل الفراشة والمصباح لاح لها ... لم تستطع دونه خوفاً ولا خرقاً[2]

قال تعالى: ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ أي: كالصوف المنفوش، وهو أضعف الصوف [قال يحيى: وهي في قراءة ابن مسعود: كالصوف الأحمر المنفوش][3].

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَزِينُهُ ﴾ وهو المؤمن، فإنما تثقل بالعمل الصالح ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ أي معيشة راضية، أي: قد رضيها، وهي الجنة ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَزِينُهُ ﴾ وهو المشرك والمنافق. وإنما تخف الموازين بالعمل السيء ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ أي: فمسكنه هاوية. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَيْكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ أي: حارة.

(1) وردت هذه الكلمات هكذا في ق وع: «الدباشم الناس»، وهو مسخ غريب، والصحيح ما أثبته. والدَّبَى: الجراد قبل أن يطير، وهو ما فسره به الفراء في المعاني ج 2 ص 286: قال: «يريد كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضاً، كذلك الناس يومئذ يجول بعضهم في بعض».

(2) لم أعثر على البيت ولا على قائله، ولست مطمئناً على صحة الكلمتين الأخيرتين كما وردتا في ق وع.

(3) زيادة من ز ورقة 397.

تفسير سورة ألهاكم، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ أَلْهَيٰكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ أي: في الدنيا عن الآخرة، وهو التكاثر في المال والولد.

ذكروا عن مطرف بن عبد الله عن أبيه أنه دخل على رسول الله ﷺ فسمعه يقرأ هذه الآية: (أَلْهَيٰكُمُ التَّكَاثُرُ) فقال: يقول ابن آدم مالي مالي. وما لك من مالك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت، وهو أنفع لو دريت[1].

ذكروا عن أبي الدرداء قال: إذا مات ابن آدم قالت الملائكة: ما قدّم، وقال بنو آدم: ما ترك.

قوله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ أي: حتى متم. ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وهذا وعيد بعد وعيد.

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ أي: إن علمكم ليس بعلم اليقين، يعني المشركين، وإن علم المؤمنين هو علم اليقين.

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في أول كتاب الزهد والرقائق عن مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير (رقم 2958) وعن أبي هريرة (رقم 2959)، كما أخرجه الترمذي عن مطرف عن أبيه في باب الزهادة في الدنيا، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ أي: لتصيرن في علم المؤمنين إلى الجحيم، وهو علم اليقين بأنكم سترون الجحيم، أي النار[1]. ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ أي: بالمعاينة ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾.

قال الحسن: قال الله تعالى: يا ابن آدم، طعام يقوتك، وثوب يواريك، وبيت يكنك. وما سوى ذلك حاسبتك به[2].

(1) جاءت العبارة في ق و ع مضطربة وفيها تكرار، فصححتها قدر الإمكان.

(2) كذا في ق و ع. وجاء في ز ورقة 398 بدلاً من قول الحسن ما يلي: «يحيى عن خالد عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: ثلاث ليس لك منهن بد، وليس عليك فيهن تبعة: بيت يكنك، وثوب تواري به عورتك، وطعام تقيم به صلبك». وقد أورد هذا الحديث الفراء في المعاني ج 3 ص 288 بدون سند، وذكره القرطبي في تفسيره ج 20 ص 176 من رواية أبي نعيم عن أبي عسيب مولى رسول الله ﷺ باختلاف في ألفاظه، ونسبه الطبري في تفسيره ج 30 ص 289 أثراً للحسن وقتادة.

تفسير سورة والعصر، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ أي: عصر النهار، وهو ما بين زوال الشمس إلى الليل[1]. وهو قسم. ﴿ إِنَّ الإِنْسَـٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ أي: من الجنة. وقال بعضهم: لفي ضلال. ثم استثنى من الناس فقال: ﴿ إِلَّا الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالتوحيد ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ أي: على الفرائض. وبعضهم يقول: (بِالحَقِّ) أي: بالله (إِلَّا الذِينَ ءَامَنُوا) فإنهم ليسوا في خسر من الجنة، وهم أهل الجنة.

ذكروا أن رجلين من أصحاب النبي عليه السلام إذا التقيا فأرادا أن يفترقا أخذ كل واحد منهما بيد صاحبه، ثم قرأ كل واحد منهما سورة والعصر إلى آخرها.

(1) هذا قول الحسن وقتادة. وقيل (العصر) هو الدهر، أي الزمان كله. وهو قول ابن عباس وزيد بن أسلم، والفراء، وابن قتيبة. وقال ابن أبي زمنين. «و (العصر) أيضاً الليلة، واليوم عصر أيضاً. قال الشاعر:

ولـن يـلبـث الـعـصـران يـوم ولـيـلة إذا طـلبـا أن يـدركـا مـا تـيـمـمـا».

تفسير سورة الهمزة[1]، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ وهو الذي يطعن على الناس. بلغنا أنها نزلت في الأخنس بن شَريق[2]. وقد نهى عن ذلك المؤمنون.

ذكروا عن النبي ﷺ أنه ذكر في حديث ليلة أسري به قال: مررت بأقوام تقطع لحومهم بدمائهم ويضفرونها ولهم جؤار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل فقال: هؤلاء الهمازون اللمازون[3]؛ ثم تلا هذه الآية: (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ) [الحجرات: 12].

قال عز وجل: ﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ﴾ أي: وأحصى عدده. وهي تقرأ على وجهين بالتثقيل والتخفيف. فمن قرأها بالتثقيل فهو يقول أحصى عدده، ومن قرأها بالتخفيف فهو يقول: أعدّه.

﴿ يَحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ أي: يحسب أنه يخلد فيه حياتَه. كقول أحد الرجلين الكافر منهما لصاحبه في سورة الكهف: (مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِ أَبَداً) [الكهف: 35] أي: أخلد فيها حتى الموت. والكافر يقر بالموت ويجحد البعث.

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «تفسير سورة ويل لكل همزة». . . .

(2) هو الأخنَس بن شَريق الثقفي. كان حليفاً لبني زهرة فخنس بهم، أي تأخر وانقبض، يوم بدر، فلم يشهد بدراً من بني زهرة أحد، ولم يثبت للأخنس هذا إسلام، انظر ابن دريد، الاشتقاق، ص 304-305.

(3) انظر ما سلف ج 2 ص 402.

قال: ﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ أي: لَيُرْمَيَنَّ به في الحطمة، وهي اسم من أسماء جهنم، وجهنم كلها حطمة، تأكل لحومهم وتحطم عظامهم، تأكلهم وتأكل كل شيء منهم إلا الفؤاد، فتطبخ الفؤاد، ثم يُجدَّد خلقهم. ثم تأكلهم أيضاً، حتى تنتهي إلى الفؤاد.

قال: ﴿ وَمَا أَدْرَيْكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾ أي: تأكل كل شيء منهم حتى تنتهي إلى الفؤاد فتطبخ الفؤاد.

قال عز وجل: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ أي: مطبقة ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ أي: لها عمد هي ممدودة بها. وفي تفسير الحسن: قال الله في سورة الكهف: (أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) [الكهف: 29] أي: لها سرادق. والسرادق عمد دون عمد منه، يعني سقفها؛ فإذا مدت تلك العمد أطبقت على أهلها.

ذكروا عن عبد الله أنه قال: إذا قيل لهم: (اِخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108] انطبقت عليهم، وليس لهم فيها إلا الزفير والشهيق.

تفسير سورة الفيل، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [أي: ألم تُخْبر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل][1] قال الحسن: هذا خبر أخبر الله به النبي عليه السلام، وذلك أن العرب، أهل الحرم، هدموا كنيسة للحبشة، وهم نصارى. فقال أبرهة بن الصباح[2]: لنهدمـن كعبة العرب كما هدموا بيتنا.

وكان أبرهة بن الصباح من أهل اليمن ملّكته الحبشة عليهم، فبعث بالفيل وجنوده، فجاء، حتى إذا انتهى إلى الحرم ألقى بجرانه فسقط. فوجهوه نحو منازلهم فذهب يسعى. قالوا: فإذا وجهوه إلى الحرم ألقى بجرانه ولم يتحرك، وإذا وجه إلى منازلهم ذهب يسعى. قال بعضهم: إن أبا يكسوم الحبشي سار بالفيل إلى البيت ليهدمه، وذلك العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ ﴾ أي: الذي كادوا به لك ﴿ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ أي: ضلالاً[3].

قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ ﴾ والأبابيل: الزمر، زمرة بعد زمرة في تفسير سعيد بن جبير. وتفسير الحسن: الأبابيل: الكثيرة.

---

(1) زيادة من ز ورقة 398.

(2) انظر نسبه في جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص 435.

(3) كذا في ق وع: «ضلالاً»، وفي ز: «في ذهاب».

وذكر بعضهم أنه أخرج الله عليهم طيراً من البحر سودا، طوال الأعناق، لها خراطيم يحمل كل طائر منها ثلاثة أحجار كهيئة الحمص[1]، مكتوب فيها اسم صاحبها الذي يموت بها. ولم تُرَ تلك الطير قبل ذلك ولا تُرى بعد ذلك.

قال تعالى: ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ ﴾ وهي بالفارسية؛ أولها حجر وآخرها طين. وقال في سورة الذاريات: (حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ) [الذاريات: 33]. كان مع الطير منها ثلاثة أحجار، حجران في رجليه وحجر في فيه. وكان إذا وقع الحجر منها على الرجل سقط جلده[2]. وكان ذلك في أول ما كان. ثم إن الله أرسل سيلاً فألقاهم في البحر.

وقال الكلبي: إن أبا يكسوم الحبشي سار بالفيل يريد الكعبة حتى إذا كان بالحرم من قبل عرفات أرسل الله عليهم طيراً أبابيل، أي: متتابعة (تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ) أي: من طين. ذكر بعضهم أن أبا يكسوم هو الذي أرسل الفيل إلى البيت.

قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾. قال الحسن: (العَصْفُ): سوق الزرع (وَالْمَأْكُولُ) الذي خرقه الدود الذي يكون في البقل، وهو مثل.

(1) في ق و ع بياض قدر كلمة أثبت فيه كلمة الحمص كما وردت في بعض التفسير. وفي بعضها: «أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة».

(2) كذا في ق و ع: «سقط جلده» وفي ز ورقة 399: «فكان إذا وقع الحجر منها على رأس أحدهم نقبه حتى يسقط من دبره».

تفسير سورة قريش[1]، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ لإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ إِلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ وإيلافهم تعودهم رحلة الشتاء والصيف. وقال مجاهد: إيلافهم ذلك فلا يشق عليهم رحلة شتاء، ولا صيف.

وتفسير الكلبي: كانت قريش قد تعودت رحلتين فصليتين[2]: إحداهما في الشتاء، والأخرى في الصيف للميرة، فمكثوا بذلك زماناً حتى اشتد العسر، ثم أخصبت تبالة وجرش. وهما على شاطىء البحر من اليمن؛ فحمل أهل الساحل إلى مكة في البحر، ثم حمل أهل اليمن على الإبل. فنزل أهل الساحل بجدة، ونزل أهل اليمن بالمحصبة[3]. فامتار أهل مكة ما شاءوا، وكفاهم الله الرحلتين.

قال بعضهم: كانت رحلة الشتاء إلى اليمن لأنها حارة، وأخرى إلى الشام في الصيف لأنها باردة.

قال تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـٰذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ ﴾ وهو ما كان أصابهم من الشدة. ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ وهو الأمن الذي كان فيه أهل الحرم، وأهل الجاهلية يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً وهم آمنون مما فيه العرب.

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «سورة لإيلاف قريش».

(2) في ق: «فلصطين»، وفي ع: «فلسطين». ولا معنى لهما، وفيهما تصحيف ولا شك، فأثبت ما يناسب المعنى.

(3) في ق «المحصنة»، وفي ع: «المحصـه» ولم أهتد لتحديد هذا المكان، ولم ترد الكلمة في معجم البلدان لياقوت، وأغلب ظني أنه المحصَّب، وهو موضع معروف بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب، وجعله بعض الشعراء من منى.

تفسير سورة أرأيت الذي، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ الذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ أي: بالحساب، وهو المشرك لا يقر بالبعث وبأن الله يدين الناس يوم القيامة بأعمالهم.

قال: ﴿ فَذَٰلِكَ الذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾ أي: يدفعه عن حقه ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ وذلك أن المشركين كانوا يقولون: (أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ) [يٓس: 47].

قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ وهم المنافقون ﴿ الذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾. تفسير الحسن: هم المنافقون، إن صلوها لم يرجوا ثوابها، وإن تركوها لم يخشوا عقابها. وقال بعضهم: هم الذين يؤخرونها عن وقتها[1].

﴿ الذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ تفسير عمرو عن الحسن. لا يصلونها في السر ويصلونها في العلانية يراءون بها المؤمنين. قال تعالى: ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ والماعون الزكاة. [وتفسير بعضهم: الماعون: القِدر والدلو والرحى والفاس وما أشبه ذلك][2].

(1) هذا قول نسبه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 30 ص 311-312 إلى سعد بن أبي وقاص وإلى ابن عباس، ثم أورد حديثاً من رواية مصعب عن أبيه سعد بن أبي وقاص قال: سألت النبي ﷺ عن (الذين هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها». وانظر السيوطي الدر المنثور ج 6 ص 400. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 295: «(الذِينَ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) يقول: لاهون. كذلك فسّرها ابن عباس وكذلك رأيتها في قراءة عبد الله». وهذا المعنى أقرب إلى الصواب، فإن المصلي إذا لها عن صلاته أخرها عن وقتها.

(2) زيادة من ز ورقة 399. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 295: «وحدثني حبان بإسناده قال: الماعون: المعروف كله حتى ذكر القصعة والقدر والفأس». وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 313: «هو في الجاهلية كل منفعة وعطية، والماعون في الإسلام الطاعة والزكاة».

تفسير سورة الكوثر[1]، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَـٰكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: بينما أنا في الجنة إذا أنا بنهر حافاته قباب اللؤلؤ المجوف فضربت بيدي إلى مجرى الماء فإذا مسك أذفر. فقلت ما هذا يا جبريل، فقال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به قال: انفجر لي من السلسبيل نهران نهر الرحمة ونهر الكوثر، فاغتسلت في نهر الرحمة فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأعطيت الكوثر فسلكته حتى انفجر بي في الجنة[3].

وقال مجاهد: الكوثر: الخير كله. وقال الحسن: الكوثر: القرآن. وقال عطاء: الكوثر حوض أعطاه الله النبي عليه السلام في الجنة.

ذكروا عن ثوبان، مولى رسول الله ﷺ أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ما الكوثر الذي تحدث عنه، فقال: هو من أيلة إلى عمان، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً. أول الناس به وارداً فقراء المهاجرين، الشعث الرؤوس، الدنس الثياب، الذين تفتح لهم أبواب المتعات، الذين يعطون الذي عليهم ولا يعطون الذي لهم[4].

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «تفسير إنا أعطيناك الكوثر».
(2) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 2 ص 400. وأخرجه يحيى بن سلام بالسند التالي: «يحيى عن عثمان عن قتادة عن أنس بن مالك».
(3) انظر الإشارة إليه بلفظ أطول فيما سلف ج 2 ص 404.
(4) لم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من مصادر التفسير والحديث.

قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرِبِّكَ ﴾ أي: صلاة العيد ﴿ وَانْحَرْ ﴾ أي: يوم النحر. قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ ﴾ أي: مبغضك ﴿ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ تفسير الحسن: تفسير الحسن: المنقطع به، أي: يقطع به أمره دون أن يبلغ فيه ما يأمل.

وقال الكلبي إن رسول الله ﷺ خرج من المسجد والعاص بن وائل داخلٌ المسجدَ فالتقيا عند الباب فقالت قريش للعاص: من الذي استقبلك عند الباب؟ فقال: ذلك الأبتر؛ فقال الله: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ). وقال الله للنبي عليه السلام: لا أُذكر حتى تذكر معي، وأما عدو الله العاص فهو أبتر من كل خير، فلا يذكر بخير. وقال بعضهم: نزلت في عمرو بن هشام.

تفسير سورة الكافرين، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ قُلْ يَـٰأَيُّهَا الْكَـٰفِرُونَ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ أي: من الأوثان ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ أي: إنكم تعبدون الأوثان ولا تعبدون الله. ﴿ وَلَآ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ أي من الأوثان. قال: ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ أي: إنكم تعبدون الأوثان ولا تعبدون الله[1] ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ أي: الكفر ﴿ وَلِيَ دِينِ ﴾ أي: الإسلام.

(1) هذا تفسير بسيط للسورة، اقرأ ما قاله أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 314، فهو على اختصاره مفيد واف بالغرض.

تفسير سورة إذا جاء نصر الله، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ يعني فتح مكة. قال الحسن: لما فتح الله على رسوله مكة قالت العرب بعضهم لبعض: يا أيها القوم، ليس لكم بهؤلاء القوم يدان. فجعلوا يدخلون في دين الله أفواجاً أي: أمة أمة[1].

قال الله تعالى: ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾. قال الكلبي: (يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً) أي جماعات جماعات، فعند ذلك نعيت للنبي عليه السلام نفسُه. وذكر بعضهم أنه قرأ هذه السورة فقال: نعى إليه نفسُه.

(1) كذا في ق و ع: «أمة أمة». وفي ز: «قبائل قبائل».

تفسير سورة تبّت يدا، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ أي: خسرت يدا أبي لهب ﴿ وَتَبَّ ﴾ أي: وخسر. ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ يعني ولده، أي: إذا صار إلى النار.

قال تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ﴾.

قال: ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾. قال الحسن: كانت تلقي العضاه[1] على طريق النبي عليه السلام، فكأنما يطأ به كثيباً. وقال مجاهد: (حَمَّالَةَ الحَطَبِ) يعني حمالة النميمة؛ [تمشي بالنميمة][2].

قال تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا ﴾ أي: في عنقها ﴿ حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾. قال بعضهم: في عنقها قلادة فيها ودعات من مسد.

ذكروا أن رجلاً سأل النبي عليه السلام: وما المسد؟ قال: أما رأيتم الخيوط الصفر والحمر تنعقد فيها البرود اليمانية فإنها تجعلها في عنقها.

وقال ابن عباس: المسد: الحديد. وقال الكلبي: في عنقها سلسلة من حديد من نار ذرعها سبعون ذراعاً، وهي حبل من مسد.

(1) في ق و ع: «تلقي العصى» وهو تصحيف صوابه ما أثبته من تفسير الطبري ج 30 ص 339 حيث ورد فيه الخبر مروياً عن قرة بن خالد عن عطية الجدلي. وأصل العضاه كل شجر له شوك كالطلح والسلم والسدر، وواحدته عضاهة وعضهة وعضة. وكانت امرأة أبي لهب، وهي أم جميل بنت حرب، أخت أبي سفيان، من أشد الناس عداوة للنبي عليه السلام.

(2) زيادة من ز. وقال ابن أبي زمنين: «من قرأ (حمالةُ) بالرفع فعلى معنى سيصلى هو وامرأته حمالة الحطب، حمالة نعت لها. ومن قرأها بالنصب (حمالةَ) فنصبه على الذم، أعني حمالةَ الحطب». وانظر ابن خالويه الحجة، ص 350.

تفسير سورة الإخلاص[1]، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ أي: الواحد قال بعضهم: كان عبد الله بن مسعود يقرأها: قل هو الله الواحد.

قال: ﴿ اللهُ الصَّمَدُ ﴾ أي: الباقي. وتفسير بعضهم: الصمد: الذي قد انتهى في الشرف والسؤدد. وتفسير الكلبي: الذي لا يأكل ولا يشرب[2].

قال تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُـؤاً أَحَدٌ ﴾ أي: ولم يكن أحد كفؤاً له. وتفسير الكلبي: إن المشركين قالوا للنبي عليه السلام، وقال بعضهم: إنهم اليهود قالوا له: انسب لنا ربك وصفه لنا، فأنزل الله تعالى هذه السورة.

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «تفسير قل هو الله أحد».
(2) وقيل: الصَّمد، على وزن فَعَل بمعنى مفعول، أي مصمود بمعنى مقصود، يقال صمده وصمد إليه، فالله هو المصمود إليه في الحوائج.

تفسير سورة الفلق، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الفلق سجن في جهنم[1]. وقال جابر بن عبد الله: الفلق فلق الصبح. وقال الحسن مثله، وكل شيء تفلق من الحب والنوى للنبات. ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ أي: ومن شر الليل إذا أطبق. قال بعضهم: عن ابن عباس في قوله تعالى: (إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) [الإسراء: 78] أي اجتماع الليل وظلمته. ذكر ذلك داود بن حصين عن ابن عباس. وقال بعضهم: بدو الليل.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّـٰثَـٰتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ وهن السواحر ينفثن في العقد للسحر.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [يحيى عن الحسن بن دينار عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: غُمّوا هذا الحسد بينكم فإنه من الشيطان، وإنه ما من أحد إلا وهو يعرض له منه شيء، وإنه ليس بضائر عبداً لم يَعْدُ بلسان أو يد][2].

(1) أخرجه ابن جرير الطبري بسند عن ابن عباس ولم يرفعه إلى رسول الله ﷺ، وأخرجه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: الفلق جب في جهنم مغطى، كما في تفسيره ج 30 ص 349، وأخرجه ابن مردويه والديلمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) قال: هو سجن في جهنم يحبس فيه الجبارون والمتكبرون وإن جهنم لتتعوذ بالله منه كما في الدر المنثور، ج 6 ص 418.

(2) ما بين المعقوفين زيادة من ز ورقة 400. ولم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من المصادر إلا عند ابن سلام.

تفسير سورة الناس[1]، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَٰهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ ذكر بعضهم قال: إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس.

قال تعالى: ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ مر به رجل ومعه امرأة من نسائه فقال رسول الله ﷺ: يا فلان، هذه فلانة. فقال الرجل: يا رسول الله، أفأظن بك هذا؟ أو كما قال. فقال رسول الله ﷺ: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم[2].

قوله عز وجل: ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ أي: من شر شياطين الجن والإنس. ذكروا أن أبا ذر قام إلى الصلاة فقال له رسول الله ﷺ: يا أبا ذر، تعوّذ من شياطين الجن والإنس. فقال أبو ذر: يا رسول الله، أو للإنس شياطين كشياطين الجن؟ قال:

(1) كذا في ق و ع، وجاء في ز ورقة 401 ما يلي: «تفسير سورة قل أعوذ برب الناس، وهي مكية في قول قتادة، وبعضهم يقول: مدنية، نزلت هي وقل أعوذ برب الفلق معوِّذتين للنبي حين سحرته اليهود».

(2) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد، وأخرجه مسلم في كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة، وكانت زوجة أو محرماً له، أن يقول هذه فلانة ليرفع ظن السوء به. كلاهما يرويانه من حديث علي بن حسين عن صفية بنت حيي. صحيح مسلم (رقم 2175)، ورواه مسلم أيضاً من حديث أنس (رقم 2174).

نعم[1]. قال بعضهم: بلغنا أن الشياطين توسوس إلى الجن من غير الشياطين كما توسوس إلى الناس[2]-[3]-[4].

(1) انظر تخريجه فيما سلف ج 1 ص552.

(2) هذا ما جاء في ظهر آخر ورقة من مخطوطة القرارة: «كمل السفر الرابع من تفسير هود بن محكم قاضي الإمام عبد الوهاب (كذا) بن عبد الرحمن بن رستم، رضي الله عنهم، بحمد الله وحسن عونه وتأييده. وكان الفراغ منه يوم الأحد بعد الزوال الثاني والعشرين من شهر الله المبارك صفر الذي من عام السابع عشر (كذا) من القرن الثاني عشر من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام، على يد العبد الفقير إلى الله الغني به عمن سواه أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن عمور، لطف به آمين. نسخه لإخوانه أهل القرارة، عمرها الله بالإسلام آمين يا رب العالمين».

(3) وهذا ما ورد في ظهر آخر ورقة من مخطوطة العطف: «كمل السفر الرابع من تفسير هود بن محكم الهواري، قاضي الإمام عبد الوهاب رحمه الله بحمد الله وحسن عونه على يد متممه أبي القاسم بن يحيى الغرداوي غفر الله له ولجميع المسلمين. أتممت نسخته (كذا) من نسختين كثيرتي الفساد جداً، فمن وجد له نسخة صحيحة فليقابله فأجره على الله».

(4) وهذا ما جاء في مصورة مخطوطة ابن أبي زمنين في آخر ورقة 401: «تم الجزء العاشر وبه كمل جميع الديوان، والحمد لله على ذلك كثيراً، وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة وعلى آله وسلم تسليماً، وفي السادس والعشرين من شوال إحدى عشر وستمائة هـ».

الفهـــارس

الفهرس العام للسور المفسّرة

فهرس الأحاديث القولية والفعلية والآثار
(الرقم الأول يشير إلى الجزء والثاني إلى الصفحة)

همزة الوصل

همزة القطع

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ د ـ

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

- ز -

- س -

– ش –

– ص –

– ض –

– ط –

– ع –

ـ ك ـ

ـ ل ـ

— م —

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

— ي —

ي

٣

فهرس اللغة المبيّنة في التعليق

فهرس الشعر مرتباً حسب القوافي

صدر البيت	القافية	الشـاعـر	الجزء - الصفحة
إن قصة	إنكارُ	أبو محمد عبدالله بن حميد السالمي	475:1
إذ أجارى	مثبور	ابن الزبعرى	203:3
شاده مرمرا	وُكورُ	عدي بن زيد العِبادي	121:3
وهان على	مستطيرُ	حسّان بن ثابت	364:3، 320:4
بَنِي الضِّلع	انكسارُها	حاجب بن ذبيان	345:1
قد لقى	إمرا		473:2
وأعددت	ذكورا	الأعشى	159:4
سقى الله	يسارِ	ابن مفرّغ الحميري	223:1
	- ع -		
زنيم	الأكارعُ	الخطيم التميمي	395:4
لا وجد ثكلى	رُبَع	مالك بن عمرو	452:4
أو وجد	اندفعوا	مالك بن عمرو	452:4
أتجعل نهبى	الأقرع	عباس بن مرداس	440:3
	- ف -		
امهد لنفسك	خلف	سليمان بن يزيد العدوي	328:3
	- ق -		
أتانا عامر	دهاقا	خداش بن زهير	462:4
مثل الفراشة	خرقا		528:4
	- ل -		
درة غاص	طـلُّ	أبو دؤاد	264:2
ما بال عينك	منبزلُ	المتنخّل الهذلي	59:3
حلو ومرّ	ينتعلُ	المتنخّل الهذلي	59:3
صحوت عن الصبا	قتولُ	أُحَيحة بن الجلاح الأوسي	124:2
ومايدري الفقير	يعيل	أُحَيحة بن الجلاح الأوسي	124:2
وما تدري	المقيلُ	أُحَيحة بن الجلاح الأوسي	124:2

فهرس الأعلام المتـرجَمين في التعليق

فهرس الأمم والقبائل

فهرس الأماكن والبلدان المبيّنة في التعليق

فهرس المصادر والمراجع

1 ـ ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 658 هـ) **الحلّة السيراء**، جزآن، تحقيق د. حسين مؤنس، الشركة العربية، القاهرة 1963/1383.

2 ـ ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت 606 هـ) **جامع الأصول** 12 جزءاً. تحقيق محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1983/1402.

3 ـ ـــ: **منال الطالب في شرح طوال الغرائب**، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1979/1399.

4 ـ ـــ: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، ط. عيسى الحلبي، القاهرة 1963/1383.

5 ـ الأخفش: أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت 215 هـ) معاني القرآن، جزءان، تحقيق د. عبد الأمير محمد أمين الورد، دار عالم الكتب، بيروت 1985/1405.

6 ـ اطفيّش: محمد بن يوسف (ت 1332 هـ) **تيسير التفسير**، نشرته وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ستة أجزاء منه إلى سنة 1986/1406.

7 ـ ـــ: **شرح كتاب النيل وشفاء العليل**. 17 جزءاً، دار الفتح، بيروت 1972/1392.

8 ـ الألباني: محمد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، 4 أجزاء، المكتب الإسلامي، بيروت 1979/1399.

9 ـ ـــ: **صحيح الجامع الصحيح وزيادته**، 6 أجزاء، المكتب الإسلامي، بيروت 1969/1388.

10 ـ الألوسي: أبو الفضل شهاب الدين محمود (ت 1270 هـ) **روح المعاني**، 10 أجزاء، دار الفكر، بيروت 1978/1398.

11 ـ ابن الأنباري: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت 577 هـ) **البيان في غريب إعراب القرآن**؛ تحقيق د. طه عبد الحميد طه، جزءان، الهيئة المصرية العامة، القاهرة 1970/1390.

12 ـ أوغلو: إسماعيل جراح، يحيى بن سلام ومنهج تفسيره (باللغة التركية)، كلية الإلاهيات، جامعة انقرة 1970 م.

13 ـ باجية : صالح ، **الإباضية بالجريد**، دار بو سلامة ، تونس 1976/1396 .
14 ـ الباقلاني : أبو بكر محمد بن الطيب (ت 403 هـ) إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر 1954/1374 .
15 ـ البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ) **صحيح البخاري**، المطبعة الأميرية 1313 هـ.
16 ـ البرادي : أبو القاسم بن إبراهيم (ت أوائل القرن التاسع الهجري) **الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات**. ط مجرية، القاهرة1302 .
17 ـ البرقوقي : عبد الرحمن بن عبد الرحمن، (ت 1363 هـ) شرح ديوان حسان بن ثابت، دار الأندلس، بيروت 1973/1393 .
18 ـ ابن بركة : أبو محمد عبد الله بن محمد (ت أواخر القرن الرابع الهجري) **الجامع**، تحقيق عيسى يحيى الباروني جزءان. دار الفتح، بيروت 1973/1393 .
19 ـ البغوي : أبو محمد الحسين بن مسعود (ت 516 هـ) **شرح السنة**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، 16 جزءاً، المكتب الإسلامي، بيروت 1983/1403 .
20 ـ البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 487 هـ) **التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه** ط. ثالثة، السعادة، القاهرة 1954/1373 .
21 ـ ـــ: **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، تحقيق د. إحسان عباس ود. عبد المجيد عابدين، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت 1983/1403 .
22 ـ ـــ: **معجم ما استعجم**، تحقيق مصطفى السقا. 4 أجزاء. ط. ثالثة عالم الكتب، بيروت 1983/1403 .
23 ـ ـــ: **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب**، وهو جزء من **كتاب المسالك والممالك**. تصحيح ونشر دوسلان. الجزائر 1857 م.
24 ـ بكوش: يحيى بن محمد. **فقه جابر بن زيد**، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986/1407.
25 ـ ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت 728 هـ) **مقدمة في أصول التفسير** تحقيق د. عدنان زرزور، ط أولى، دار القرآن الكريم، الكويت 1971/1391 .
26 ـ الثعالبي : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت 875 هـ) **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**. تحقيق د. عمار الطالبي، 5 أجزاء، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1985/1406.
27 ـ الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ) **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة 1985/1384 .

28 ـ ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 291 هـ) **مجالس ثعلب**. تحقيق عبد السلام محمد هارون. جزءان. دار المعارف. ط رابعة، 1980/1400.

29 ـ الثميني: ضياء الدين عبد العزيز (ت 1223 هـ) **كتاب النيل وشفاء العليل** صححه وعلق عليه عبد الرحمن بن عمر بكلى، ثلاثة أجزاء، المطبعة العربية، الجزائر 1967/1387.

30 ـ الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ) **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، 4 أجزاء، دار المعارف، القاهرة 1948/1367.

31 ـ ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت 833 هـ) **غاية النهاية في طبقات القراء** نشره ج. برجستراسر، جزءان ط. أولى القاهرة 1932/1351.

32 ـ الجصاص: أبو بكر أحمد بن علي (ت 370 هـ) **أحكام القرآن**، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، 5 أجزاء، دار المصحف، ط. ثانية، القاهرة بدون تاريخ.

33 ـ الجناوني: أبو زكريا يحيى بن الخير (من علماء القرن الخامس الهجري) **كتاب النكاح**، تقديم وتعليق علي يحيى معمر، ط نهضة مصر، القاهرة 1976/1396.

34 ـ ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) **المحتسب**. تحقيق علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي. جزءان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1386 هـ.

35 ـ الجواليقي: أبو منصور موهوب بن أحمد (ت 540 هـ) **المعرَّب**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر. ط. ثانية، دار الكتب، القاهرة 1969/1389.

36 ـ ابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت 597 هـ) **زاد المسير**. قدّم له ونشره محمد زهير الشاويش، 9 أجزاء. دمشق ط أولى، المكتب الإسلامي 1963/1384.

37 ـ ـــ **الوفا بأحوال المصطفى**، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1966/1386.

38 ـ الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت 393 هـ) **الصحاح**، قدم له وحققه أحمد عبد الغفور عطار. 7 أجزاء، ط. ثالثة، دار العلم للملايين، بيروت 1984/1404.

39 ـ ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد (ت 354 هـ) **كتاب المجروحين** تحقيق محمود إبراهيم زايد ثلاثة أجزاء، دار الوعي، ط أولى، حلب 1976/1396.

40 ـ ابن حجر: أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق علي محمد البجاوي، 8 أجزاء. دار نهضة مصر، القاهرة 1963/1383.

41 ـ ـــ: **فتح الباري، شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد

الباقي، 13 جزءاً، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
42 ـ ــ: **هدى الساري، مقدمة فتح الباري**، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
43 ـ ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت 456 هـ) **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار المعارف، القاهرة 1962/1382.
44 ـ ابن حمزة: الشريف إبراهيم بن محمد بن كمال الدين (ت 1120 هـ) **البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف**، 3 أجزاء. ط. أولى، المكتبة العلمية، بيروت 1980/1400.
45 ـ الحميدي: أبو بكر عبد الله بن الزبير (ت 219 هـ) **المسند**، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، جزءان، عالم الكتب، بيروت 1382 هـ.
46 ـ ابن خالويه: أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت 370 هـ) **إعراب ثلاثين سورة من القرآن**، دار ومكتبة الهلال بيروت 1985 م.
47 ـ ــ: الحجة في القراءات السبع. تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق. بيروت 1971 م.
48 ـ الخطّابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (ت 388 هـ) غريب الحديث تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، نشر جامعة أم القرى. في 3 أجزاء ط. دار الفكر. دمشق 1982/1402.
49 ـ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، (ت 808 هـ) **كتاب العبر**. 6 أجزاء. ط ثالثة دار الكتاب اللبناني، بيروت 1963 م.
50 ـ ابن خير: أبو بكر محمد بن خير بن عمر. الأشبيلي، (ت 575 هـ) **الفهرست** ط. ثانية. مؤسسة الخانجي، القاهرة 1963/1383.
51 ـ الدارقطني: علي بن عمر، (ت 385 هـ) **سنن الدارقطني**، وبهامشه. **المغني على الدارقطني** لأبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي، 4 أجزاء. ط. ثانية. عالم الكتب، بيروت 1983/1403.
52 ـ الداني: أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت 444 هـ) **كتاب التيسير في القراءات السبع** عنى بتصحيحه أوتويرتزل. مطبعة الدولة، استانبول 1930 م.
53 ـ أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275 هـ) **سنن أبي داود**، 4 أجزاء مراجعة وضبط محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة بدون تاريخ.
54 ـ الداودي: شمس الدين محمد بن علي (ت 945 هـ) **طبقات المفسرين**، تحقيق علي محمد عمر، جزءان، ط. أولى، مكتبة وهبة، القاهرة 1972/1392.

55 ـ الدباغ: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. (ت 699 هـ) **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**. ط. ثانية. الخانجي، 1968 هـ.

56 ـ الدرجيني: أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670 هـ) **كتاب طبقات المشايخ بالمغرب**، تحقيق إبراهيم طلاي، جزءان، مطبعة البعث، قسنطينة 1974/1394.

57 ـ ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسين (ت 321 هـ) **الاشتقاق**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة 1958/1378.

58 ـ الذهبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 748 هـ) **سير أعلام النبلاء**، ج 1، تحقيق صلاح الدين المنجد، ج 2، تحقيق إبراهيم الأبياري، ج 3 تحقيق د. محمد أسعد أطلس ط. دار المعارف القاهرة، 1956 م.

ــ: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، 23 جزءاً. ط. ثالثة مؤسسة الرسالة بيروت 1985/1405.

59 ـــ: **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق علي محمد البجاوي، 4 أجزاء، البابي الحلبي، القاهرة 1963/1382.

60 ـ الذهبي: محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، 3 أجزاء، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1961/1381.

61 ـ الرازي: فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر (ت 606 هـ) **التفسير الكبير**، 32 جزءاً، ط. ثالثة، دار إحياء التراث العربي، مصورة المطبعة البهية بالقاهرة، بدون تاريخ.

62 ـ الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502 هـ) **المفردات في غريب القرآن**،تحقيق محمد سيد كيلاني، ط. البابي الحلبي، القاهرة 1961/1381.

63 ـ الربيع بن حبيب الأزدي الفراهيدي (ت في القرن الثاني الهجري) **الجامع الصحيح، مسند الربيع** ترتيب أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، ط. ثالثة، القدس، 1381 هـ.

64 ـ ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد (ت 595 هـ) **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، جزءان، ط. رابعة، البابي الحلبي، القاهرة 1975/1395.

65 ـ الرضي: الشريف أبو الحسن محمد بن الطاهر (ت 406 هـ) **تلخيص البيان في مجازات القرآن**. تحقيق محمد عبد الغني حسن، ط. البابي الحلبي 1955/1374.

66 ـ الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني: **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تحقيق محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام. ط. ثانية، دار المعارف، القاهرة 1968/1387.

67 ـ الزبير بن بكار: أبو عبد الله بن أبي بكر (ت 256 هـ) **جمهرة نسب قريش وأخبارها** تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة 1381 هـ.
68 ـ الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل (ت 316 هـ) **إعراب القرآن**، تحقيق إبراهيم الأبياري، 3 أجزاء، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة 1963/1382.
69 ـ الزركلي: خير الدين. **الأعلام**، 10 أجزاء، ط. ثانية ط. كوستا توماس 1954/1374.
70 ـ أبو زكريا: يحيى بن أبي بكر الوارجلاني (ت أوائل القرن السادس الهجري)، **كتاب السيرة وأخبار الأئمة**، تحقيق عبد الرحمن أيوب، الدار التونسية للنشر، تونس 1985/1405.
71 ـ الزمخشري: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت 528) **أساس البلاغة**، جزءان ط. ثانية، دار الكتب المصرية 1972 م.
72 ـ ـــ: **الفائق في غريب الحديث**، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، 4 أجزاء، ط. ثانية، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
73 ـ ـــ: **الكشاف**، ترتيب وتصحيح مصطفى حسين أحمد، 4 أجزاء، ط. أولى، مكتبة الاستقامة 1946/1365.
74 ـ ابن أبي زمنين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله المري (ت 399 هـ) **مختصر تفسير ابن سلام**، مصورة مخطوطة مكتبة القرويين، رقم 34.
75 ـ أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس (ت 215 هـ) **كتاب النوادر في اللغة**، تحقيق د. عبد القادر أحمد، ط. أولى، دار الشروق، بيروت 1981/1401.
76 ـ أبو زيد القرشي محمد بن أبي الخطاب (ت أوائل القرن الخامس الهجري) **جمهرة أشعار العرب**، حققه علي محمد البجاوي، جزءان، ط. أولى، دار نهضة مصر 1967/1387.
77 ـ السالمي: نور الدين أبو محمد عبد الله بن حميد بن سلوم (ت 1332 هـ) **جوهر النظام** صححه وعلق عليه أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، المطبعة السلفية، القاهرة 1346 هـ.
78 ـ ـــ: **شرح مسند الربيع بن حبيب**، 3 أجزاء، نشرته مؤخراً مكتبة الاستقامة بسلطنة عمان، صحح الجزء الثالث وعلق عليه عز الدين التنوخي، دمشق 1963/1383.
79 ـ السجستاني: أبو بكر محمد بن عزيز، (ت 330 هـ)، **غريب القرآن**، المسمى نزعة القلوب، ط. ثالثة، دار الرائد العربي، بيروت 1982/1402.
80 ـ ابن أبي ستة: أبو عبد الله محمد بن عمرو (ت 1087 هـ) **حاشية الترتيب**، 6 أجزاء، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان 1982/1402.

81 ـ السرخسي: أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل (ت 490 هـ) **أصول السرخسي**، تحقيق أبي الوفاء الأفغاني، جزءان، ط. دار الكتاب العربي بمصر 1954/1373.
82 ـ ـــ: **شرح كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني**، تحقيق صلاح الدين المنجد، 4 أجزاء، نشر معهد المخطوطات العربية، القاهرة 1971 م.
83 ـ سزكين: محمد فؤاد، **تاريخ التراث العربي**، نقله إلى العربية فهمي أبو الفضل المجلد الأول. الهيئة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة 1971.
84 ـ السّكّري: أبو سعيد الحسن بن الحسن (ت 275 هـ) **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، 3 أجزاء، مكتبة دار العروبة، القاهرة 1965/1384.
85 ـ ابن السكيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت 244 هـ) **إصلاح المنطق**، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط ثانية. دار المعارف بمصر 1970/1390.
86 ـ ابن سلام: يحيى بن سلام البصري (ت 200 هـ) **التصاريف**، تقديم وتحقيق هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1979.
87 ـ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ) **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، جزءان، ط. أولى، ط. المشهد الحسيني، القاهرة 1967/1387.
88 ـ ـــ: **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، 6 أجزاء، المطبعة الإسلامية، طهران 1377 هـ.
89 ـ ـــ: **طبقات الحفاظ**، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة 1973/1393.
90 ـ ـــ: **طبقات المفسرين**، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ط. أولى 1983/1403.
91 ـ الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت 204 هـ) **أحكام القرآن**، تقديم الشيخ محمد زاهد الكوثري وتعليق عبد الغني عبد الخالق، بيروت، دار الكتب العلمية 1980/1400.
92 ـ ـــ: **الرسالة**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط. ثانية، مكتبة دار التراث القاهرة 1979/1399.
93 ـ شاكر أحمد محمد (ت 1377 هـ) **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير**، 5 أجزاء، دار المعارف بمصر 1956/1376.
94 ـ شلبي: هند، **القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، الدار العربية للكتاب، تونس 1983 م.
95 ـ الشمّاخي: أحمد بن سعيد، (ت 928 هـ) تحقيق أحمد بن سعيد السيابي، نشر وزارة

التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، 1987/1407، وكانت الطبعة الأولى حجرية بالقاهرة 1301 هـ.

96 ـ الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت 1250 هـ) **نيل الأوطار**. 8 أجزاء. ط. ثانية البابي الحلبي، القاهرة 1952/1370.

97 ـ ابن الصغير: (عاش في أواخر القرن الثالث الهجري) **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق وتعليق د. محمد ناصر وإبراهيم بحاز، الجزائر 1985/1405.

98 ـ ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ت 643 هـ) **علوم الحديث**، تحقيق نور الدين عتر، الناشر، المكتبة العلمية، بيروت 1981/1401.

99 ـ الضبّي: المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر (ت 178 هـ) **المفضليات**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة 1964/1383.

100 ـ طالبي. د. محمد. **الدولة الأغلبية**، نقله إلى العربية. د. المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، 1985.

101 ـ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ) **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق محمود محمد شاكر، 16 جزءاً، دار المعارف 1374-1388/1954-1968. والأجزاء 13-30، ط. البابي الحلبي القاهرة 1954/1373.

102 ـ ــ: **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. ثانية، 10 أجزاء دار المعارف، القاهرة 1967/1387.

103 ـ الطرسوسي: أبو أمية محمد بن إبراهيم (ت 273 هـ) **مسند عبد الله بن عمر**، تخريج الطرسوسي، تحقيق أحمد راتب عرموش، دار النفائس، ط. ثانية، بيروت 1979/1398.

104 ـ ابن عاشور: محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، 15 جزءاً، الدار التونسية للنشر، تونس 1984.

105 ـ ابن عاشور: محمد الفاضل؛ **التفسير ورجاله**، دار الكتب الشرقية، تونس 1966.

106 ـ ابن عبد البر: أبو عمرو يوسف بن عبد الله (ت 463 هـ) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي بجاوي، 4 أجزاء، مكتبة نهضة مصر، بدون تاريخ.

107 ـ ابن عبد السلام: عز الدين عبد العزيز (ت 660 هـ) **الفوائد في مشكل القرآن**، تحقيق د. سيد رضوان علي، وزارة الأوقاف، والشؤون الإسلامية، الكويت 1967/1387.

108 ـ عبد الوهاب: حسن حسني، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، ط. ثانية، 3 أجزاء، مكتبة المنار، تونس 1972.

109 ـ أبو عبيد: القاسم بن سلام. (ت 224 هـ) **كتاب الأموال**، تحقيق محمد خليل هراس، دار الفكر، القاهرة، ط. ثانية 1975/1395.

110 ـ أبو عبيدة: معمر بن المثنى (ت 210 هـ) **مجاز القرآن**، تحقيق وتعليق د. محمد فؤاد سزكين. الخانجي، القاهرة 1954/1374.

111 ـ أبو العرب: محمد بن أحمد بن تميم (ت 333 هـ) **كتاب طبقات علماء إفريقية**، تحقيق الشيخ محمد بن أبي شنب، الجزائر 1914/1332.

112 ـ ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله (ت 543 هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق علي محمد البجاوي، 4 أجزاء، ط. أولى، البابي الحلبي، القاهرة 1957/1376.

113 ـ ابن عصفور: أبو الحسن علي بن محمد الأشبيلي (ت 669 هـ)، **الممتع في التصريف**، تحقيق د. فخر الدين قبادة، جزءان، ط. خامسة، الدارالعربية، بيروت 1983/1403.

114 ـ القاضي عياض: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض (ت 544 هـ) **ترتيب المدارك**، تحقيق د. أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت 1965/1385.

115 ـ ابن فارس: أبو الحسن أحمد بن فارس (ت 395 هـ) **مجمل اللغة**، تحقيق الشيخ هادي حسن حمودي، معهد المخطوطات العربية، 5 أجزاء، ط. أولى، الكويت 1985/1405.

116 ـ الفارسي: أبو علي الحسن بن أحمد. (ت 376 هـ) **الحجة في علل القراءات السبع**، تحقيق علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح شلبي، جزءان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1983/1403.

117 ـ الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد (ت 207 هـ) **معاني القرآن**، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار وغيرهما، ثلاثة أجزاء، دار الكتب المصرية 1972-1955/1392-1374.

118 ـ ابن فرحون: برهان الدين إبراهيم بن علي (ت 799 هـ) **كتاب الديباج المذهب**، ط. عباس بن عبد السلام بن شقرون، القاهرة 1351 هـ.

119 ـ ابن الفرضي: أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت 403 هـ) **تاريخ رواة العلم بالأندلس**، تحقيق عزت العطار الحسيني، القاهرة 1954/1373.

120 ـ القاسمي: محمد جمال الدين (ت 1337 هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، 10 أجزاء، ط. ثانية، دار الفكر، بيروت 1978/1398.

121 ـ ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276 هـ)، **تأويل مشكل القرآن**، شرح

ونشر السيد أحمد صقر. ط. ثانية، دار التراث، القاهرة 1973/1393.

122 ـ ـــ: **تفسير غريب القرآن**، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت 1978/1398.

123 ـ ـــ: **الشعر والشعراء**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، جزءان، دار المعارف، القاهرة 1966 م.

124 ـ ـــ: **غريب الحديث**، تحقيق د. عبد الله الجبوري، 3 أجزاء، وزارة الأوقاف بغداد 1977/1397.

125 ـ ـــ: **المعارف**، تحقيق د. ثروت عكاشة. ط. ثانية دار المعارف القاهرة 1969/1388.

126 ـ ابن قدامة: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد (ت 620 هـ) **المغني**، 12 جزءاً + جزءان من معجم الفقه الحنبلي، دار الكتاب العربي، بيروت 1983/1403.

127 ـ القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 671 هـ) 20 جزءاً، ط. ثالثة مصورة عن ط. دار الكتب المصرية، دار الكاتب العربي، القاهرة 1967/1387.

128 ـ **قطب**: سيد (توفي 1966 هـ) **في ظلال القرآن**. 8 مجلدات، ط. خامسة دار إحياء التراث العربي، بيروت 1967/1886.

129 ـ القفطي: الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 646 هـ) **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 4 أجزاء، دار الكتب المصرية 1950/1369.

130 ـ ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت 751 هـ) **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، 3 أجزاء، دار الكتب الحديثة. القاهرة 1969/1389.

131 ـ ـــ: **الأمثال في القرآن الكريم**، تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب، ط. ثانية، دار المعرفة، بيروت 1983/1403.

132 ـ ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، (ت 774 هـ) **تفسير القرآن العظيم**، 7 أجزاء، ط. ثانية، دار الفكر، بيروت 1970/1389.

133 ـ الكرماني: محمود بن حمزة بن نصر (من علماء القرن السادس الهجري) **البرهان في متشابه القرآن، أو أسرار التكرار في القرآن**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة 1974/1394.

134 ـ ابن الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمد (ت 204 هـ) كتاب الأصنام، تحقيق الاستاذ

أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1965/1384.
135 ـ اللواتي: لوّاب بن سلّام بن عمر (عاش أواخر القرن الثالث الهجري) **بدء الإسلام وشرائع الدين**، تحقيق الشيخ سالم بن يعقوب وق شفارتز، دار اقرأ، بيروت 1985/1405.
136 ـ ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت 275 هـ) **السنن**، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، مجلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1975/1395.
137 ـ مالك بن أنس، أبو عبد الله (ت 179 هـ) **الموطأ**، منشورات دار الآفاق الجديدة. ط. ثانية، بيروت 1981/1401.
138 ـ ابن مالك: محمد بن عبد الله بن مالك الجياني (ت 672 هـ) **إكمال الإعلام بتثليث الكلام** تحقيق ودراسة سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى. مكة المكرمة 1984/1404.
139 ـ المباركفوري: أبو العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت 1253 هـ) **تحفة الأحوذي، شرح جامع الترمذي**، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، 11 جزءاً، دار الفكر. ط. ثالثة 1979/1399.
140 ـ مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر (ت 103 هـ) **تفسير مجاهد**، تحقيق عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، باكستان. ط. مطابع الدوحة، قطر 1976/1396.
141 ـ المجدوب: عبد العزيز، **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، الدار التونسية للنشر، تونس 1975/1395.
142 ـ المروزي: أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد (ت 292 هـ) **مسند أبي بكر الصديق**، تحقيق وتعليق شعيب الأرناؤوط، ط. ثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت 1399 هـ.
143 ـ المزاتي: أبو يعقوب يوسف بن خلفون (من علماء القرن السادس الهجري) أجوبة ابن خلفون تحقيق وتعليق د. عمرو خليفة النامي، دار الفتح، بيروت 1974/1394.
144 ـ مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت 261 هـ) **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، 5 أجزاء، ط. دار الفكر، ببيروت 1983/1403.
145 ـ معمر علي يحيى (ت 1400 هـ) **الإباضية في موكب التاريخ**، الحلقة الأولى والثانية، 3 أجزاء، مكتبة وهبة 1964/1384، الحلقة الثالثة، دار الثقافة، بيروت 1966/1385، الحلقة الرابعة، غرداية. الجزائر، المطبعة العربية، 1985/1405.
146 ـ المفضل بن سلمة، أبو طالب (ت 290 هـ) **الفاخر**، تحقيق عبد الحليم الطحاوي

ومحمد علي النجار، ط. البابي الحلبي، القاهرة 1960/1380.

147 ـ المنذري: زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي، (ت 656 هـ) **الترغيب والترهيب** تعليق مصطفى محمد عمارة، 4 أجزاء، ط. ثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1969/1388.

148 ـ ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711 هـ) **لسان العرب**، 15 جزءاً دار صادر، ببيروت 1968/1388.

149 ـ الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت 518 هـ) **مجمع الأمثال**، جزءان، ط. ثانية، دار مكتبة الحياة، بيروت.

150 ـ النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت 303 هـ) **سنن النسائي** شرح الحافظ جلال الدين السيوطي، 8 أجزاء، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

151 ـ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733 هـ) **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 22 جزءاً، ط. دار الكتب المصرية، ابتداء من 1935 م.

152 ـ ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت 218 هـ) **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، 4 أجزاء، ط. ثالثة، البابي الحلبي، القاهرة 1955/1375.

153 ـ ابن هشام: أبو محمد عبد الله جمال الدين، (ت 761 هـ) **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، بدون تاريخ.

154 ـ الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد (ت 487 هـ) **أسباب نزول القرآن**، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتاب الجديد، ط. أولى، القاهرة 1969/1389.

155 ـ الواقدي: محمد بن عمر بن واقد (ت 207 هـ) **كتاب المغازي**، تحقيق د. مارسدن جونس، ط. ثالثة، 3 أجزاء، عالم الكتب، بيروت 1983/1404.

156 ـ أ. ي. وِنسنك: **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**، بمشاركة محمد فؤاد عبد الباقي، دار الدعوة باستانبول، ودار سحنون بتونس 1987/1987.

157 ـ ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626 هـ) **معجم البلدان**، 5 أجزاء، مكتبة صادر، بيروت 1979/1399.

158 ـ يحيى بن آدم بن سليمان القرشي أبو زكريا (ت 203 هـ) **كتاب الخراج**، تحقيق وشرح الشيخ أحمد محمد شاكر. المطبعة السلفية. ط. ثانية. القاهرة 1384 هـ.

159 ـ أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب القاضي (ت 182 هـ) **كتاب الخراج**، تحقيق وتعليق د. محمد إبراهيم البنا، دار الإصلاح، القاهرة 1981.

فهرس الجزء الرابع

دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصاحبها الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود
تلفون 340131 - 340132 - ص. ب. 5787 - 113 بيروت - لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم 90/10/3000/158
التنضيد : كومبيوتايب / بيروت
الطباعة : مؤسسة جواد للطباعة والتصوير